بکجی اغاسی حسن پاشا قوللرینک هدیه سیدر

تعر استانکال

۳ یا صحیفه

۸۰

آيا صوفيا

٨٠

٨٠

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وقف السلطان الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم

مفخر العدل والإحسان وموضح أحوال الأمور بالرشد والعرفان

السلطان ابن السلطان السلطان أبو الفتوح والمغازي

محمود خان ابن السلطان مصطفى خان أبد الله دولته

القاهرة وخلد خلافته العلية الباهرة

وأنا الفقير إليه سبحانه وتعالى مصطفى طاهر

المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين

عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

سورة فاتحة الكتاب

السورة عبارة عن طايفة من القران مترجمة اقلها ثلاث ايات وهي ان جعلت واوها
اصلية منقولة من سور المدينة او من السورة التي هي الرتبة وان جعلت مبدلة من
الهمزة فمن السورة التي هي البقية او القطعة من الشي وفايدة تقطيع القران سورا ان
تنويع الجنس احسن من كونه بيانا واحدا وانشط للقاري واسهل للحفظ واما افراد
الانواع وتلاحق الاشكال فلا يصلح وجها لما ذكر لانه غير مراعي في ترتيب الايات وتنظيمها
سورا كما لا يخفي على من تتبع وتامل وفاتحة الشي اوله وخاتمته اخره اذ بهما الفتح والختم
والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية وقيل هو في الاصل مصدر بمعني الفتح ثم اطلقت
على اوله التي تسمية للمفعول بالمصدر الفاعلة في المصادر غير عزيز واضافتها
الى الكتاب وهو مجموع كلام الله المفتتح بالتحميد والمختتم بالاستعاذة بمعني اللام لان اوله
التي جزوه واضافة الجز الى الكل بمعني اللام ثم ان وجه تسمية هذه السورة بفاتحة
الكتاب والفاتحة وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسئلة ظاهر اما تسميتها بام القران
فلاشتمالها على كليات المعاني التي في القران من الثنا على الله تعالى ومن التعبد بالامر والنهي
والوعد والوعيد واما التسمية بالاساس فلانها مفتتح الكتاب ومبدوه فكانها اصله
ومنشاوه واما تسميتها بسورة الكنز فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم انها انزلت من كنز
العرش واما تسميتها بسورة الشفا والشافية فلقوله عليه السلام هي ام القران وهي

شفا من كل داء واما تسميتها بسورة الصلوة فلوجوب قراتها فيها وقد سمي بالصلوة
كما وقع في الحديث القدسي قسمت الصلوة بيني وبين عبدي وذلك من باب تسمية الشي باسم
ما يلازمه واما تسميتها بالوافية والكافية فلانها تكفي الصلاة عن غيرها ولا يكفي عنها
غيرها والمراد من الصلاة الركعتين الاخيرتين من الرباعية لان ضم السورة عليها واجب
في الاوليين واما تسميتها بالسبع المثاني فلانها سبع ايات تثنى في الصلوة وقيل لانها ثنيت
في النزول فانها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وفيه ان الوصف
المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني يعني فاتحة الكتاب
على ما نص عليه النبي عليه السلام حيث قال في رواية ابي هريرة رضي الله عنه فاتحة الكتاب
انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته والاية مكية بالنص وبذلك استدلوا على
مكية هذه السورة فدم دليل مكيتها انفا وهو الدلالة ظاهرة والمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني
ما نزل بعدها سوا نزل بالمدينة او في سفر من الاسفار وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان قرا
المدينة والبصرة والشام وفقهاها عدوا انعمت عليهم اية ولم يعدوا التسمية اية منها وعليه مالك
واصحابه وابو حنيفة واصحابه ولهذا لم يذكرها مالك في الصلاة ويسر بها ابو حنيفة ونحو
انها اية من القران انزلت للفصل بين السور والافتتاح بها متبركا وقرا مكة والكوفة وفقهاوهما
على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولهذا يجهر بها في الصلوة
ولا دلالة في الاجماع على ان ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها في
المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين على صحة القول الثاني اذ لا يستلزم
من كونها كلام الله تعالى ان تكون اية من الفاتحة نعم فيما روى ابو هريرة رضي الله عنه من انه
عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم دلالة عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جا في الخبر عن خير البشر انه كان يكتب باسمك اللهم فلما نزلت سورة هود بسم الله مجريها ومرسيها
كتب باسم الله فلما نزلت سورة بني اسرايل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما
نزلت سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم ففي الخبر دلالة
على انها ليس من اول كل سورة ولكنها بعض اية من كتاب الله تعالى في سورة النمل وقالوا اللطف
من الله في عدم كونها اية تامة ان لا يكون الجنب والحايض والنفسا ممنوعين عند كل امر
ذي بال كالشهادتين لم تجتمعا في القران في موضع واحد لئلا يتوهم انها اية وربما يحتضر الجنب
ونحوه فلا يمكنه التكلم بهما عند ختم عمره ثم بسم نصب بفعل مضمر تقديره باسم الله اقرا وتقديم

المتعلق للاهتمام والاختصاص واصله باسم بالالف حذفت لكثرة الاستعمال ولذلك ثبتت
عند استعمالها بحرف اخر نحو قولك لاسم الله حلاوة في الصلوة ومضافا الى اسم اخر نحو باسم
ربك وطولت الباء اجلالا وهي للخفض كسرت لتناسب حركتها عملها وعن عمر بن عبد العزيز انه قال
لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم وكان النابس السنات لانه جمع السن الا انه عدل
عنه حذرا عن الالتباس ببعض المصادر كما قال الجوهري في الدينار اصلها الدنار بالتشديد
فابدل من حرف تضعيفه يا لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال كقوله تعالى وكذبوا باياتنا
كذابا افتتح كتابه العزيز بحرف الباء واثرها على سائر الحروف لا سيما على الالف حيث اسقط
واثبت هيئة الباء مكانه اشارة الى انها وان كانت متبوعا للباء صورة لكنه من توابعها
معنى وذلك انك اذا نظرت على صورة وضع الحروف وجدت الالف متقدما على الباء
متبوعا له واذا نطقت بالباء وجدت الالف تابعا لها والاسم من السمو لانها رفعة للمسمى
وشعار له وصلة لدفع توهم اختصاص الاستعانة بلفظ الله فقط فان القائل اذا قال بالله
ابتدا فمعناه بهذا الاسم واذا قال بسم الله ابتدا فمعناه باسمه تعالى ابتداي فان المقصود به
حينئذ المسمى الله اسم علم خاص له تعالى عند الخليل ومن تبعه وعلاقة الاشتقاق بينه وبين
غيره انما تنافي علميته اذا ثبت اصالة ذلك الغير وذلك لم يثبت بعد وقيل وصف لكنه غلب عليه
تعالى بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم لا علم لان ذاته تعالى من حيث هو بلا اعتبار امر
حقيقي او غيره غير معقول من البشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ويرد عليه ان المعتبر في اسم
الذات تجريد الموضوع له من معنى زايد لا تجريد الذات عنه عند الوضع فملاحظته
بوصف مخصوص لا ينافي كونه اسم ذات اذا لم يكن ذلك الوصف معتبرا في الموضوع له
على انه في وضع الاعلام لا حاجة الى معرفة الموضوع له وملاحظته بخصوصه بل يكفي معرفته
وملاحظته على وجه يخصه ذلك الوجه في الخارج فيه الا ترى ان الاب يضع علما لولده
قبل ان يراه ولو سلم انه يستحيل ان يضع له تعالى علما ولكن لما لا يجوز ان يسمي الحق نفسه
باسم يدل على ذاته تعالى بالمطابقة ثم يعرفنا بذلك او يقال لو دل على مجرد ذاته تعالى لما افاد
ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا لان اللازم ح عدم دلالته
وضعا على معنى زايد لا عدم دلالته اصلا كحاتم فانه علم ومع ذلك دل على معنى الشجاعة لاشتهاره
بها واصله اله فلما دخل عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا وعوضت منها حرف التعريف
فان قلت اذا كان دخولها قبل حذفها فكيف يكون عوضا عنها **قلت** دخولها قبل حذفها
لا بطريق اللزوم وبعد الحذف يكونان لازمين فيهما باعتبار اللزوم يكونان عوضا عنها ولذلك

احدهم

قطعت الهمزة في يا الله وهو اسم جنس وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب منكرا على المعبود
بحق كالنجم والسنة وقد دل على ذلك اي على غلبته منكرا كلمة التوحيد ثم اختص بذاته
تعالى بعد حذف الهمزة وتعويض التعريف عنها ويدل على هذا ايضا كلمة التوحيد مشتقا من
اله كعبد وزنا ومعنى وتصرفا او من اله بمعنى فزع او من اله بمعنى ولع او من اله بمعنى تحير او
اله بمعنى سكن او من وله كعلم وزنا ومعنى وتصرفا اي تحير ودهش او من وله بمعنى
طرب او من لاه بمعنى ارتفع او بمعنى احتجب او بمعنى استتر فمجموع الاقاويل هو المعبود للخواص
والعوام المفزوع اليه عند الامور العظام المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام
الظاهر بالاعلام الذي تحير في صفاته الاحلام وسكنت في عبادته الاجسام وولعت
به نفوس الانام وطربت اليه قلوب الكرام الرحمن الرحيم اصلهما واحد لانهما من الرحمة
والاول ابلغ من الثاني لان فعيلا لمن كثر منه الفعل وفعلان لمن كثر منه وتكرر وحق الابلغ
التاخير الا انه قدم لاختصاصه به تعالى كالعلم ووصفه تعالى بالرحمة ومعناهما العطف
ومنه الرحم من اطلاق السبب على المسبب فهو الانعام والاحسان فان الملك اذا عطف على
رعيته انعم عليهم واحسن في حقهم ومما في معنا الرحمن من الزيادة كما وكيفا حيث يقال
تارة يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة واخرى يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا فرجعه
الى الصيغة فان زيادة البنا لزيادة المعنى وهذا انما يجري الى اصل واحد في الاشتقاق
بشرط الاتحاد في النوع فلا ينتقض بنحو حاذر وحذر لان احدهما اسم فاعل والاخر صيغة
مشبهة فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غير الله تعالى الا شاذا كرحمن اليمامه
والرحيم على عكس ذلك **الحمد لله** الحمد هو المدح والوصف بالجميل ولا اختصاص له بالله تعالى
يتضح من ذلك قول عايشة رضي الله عنها نحمد الله لا نحمدك وقول علي رضي الله عنه لا تحمد امرا
حتى تخبره بل لا اختصاص له بذي علم وشعور يرشدك اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا وقول العرب في المثل السائر عند الصباح يحمد القوم السرى ومن هاهنا تبين
ان المحمود لا يلزم ان يكون فاعلا لما حمد به فضلا عن ان يكون مختارا فيه كما توهم ومن وهم
قيام الفرق بين الحمد والمدح بصحة تعلق الثاني بالجماد دون الاول فقد وهم وانقطع انه لا دخل
لتسمية خالق العباد افعالهم في هذا المقام لان الكلام في الحمد اللغوي والمرجع فيه من وثق
بعربيتهم وقد ثبت بالنقل الصحيح والاستعمال الفصيح من قبلهم عدم اختصاص الحمد به تعالى
واما حمل التعريف على الجنس دون الاستغراق فنشاو امر اخر وهو ان مقتضى مقام الخطابة
تخصيص حقيقة الحمد به تعالى تنزيلا لافراد الحمد الثابتة لغيره بمنزلة العدم والقصد

الي هذا المعني ظاهر عند كون التعريف للجنس دون الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما في جمع
الامير الصاغة وبيانا عن مقام الخطابة فلا يوجد استيعاب جميع الافراد فلا يتحقق
تقتضي المقام والشكر فعل ينبي عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما قولا او عملا او اعتقادا باللسان كما يكون بالقول قيل
دابة شكور اذا اظهر سمنه بادني علف له وقال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا فهو اخص
من الحمد متعلقا واعم منه موردا او نحو اللسان والاركان ويقابل الشكر الكفران ونقيضا
الحمد الذم الذي يقابل المدح على ما نص عليه الجوهري ومن ههنا ظهر انهما مترادفان لغة
واما الجنان فليس بمورد له بل هو شرط لكون القول شكرا والا دلالة في قول الشاعر

افادتكم النعماء مني ثلاثة ۞ يدي ولساني والضمير المحجبا

علي استقلال كل منهما موردا او لما كان الحمد في مقابلة النعمة من شعب الشكر اشيع لها وادل
علي مكانها لما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة وقال عليه السلام الحمد
راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده ورفع الحمد بالابتداء وخبره لله واصله النصب على المصدر
باضمار فعله لكونه من المصادر التي حقها ان تكون كذلك ولا يذكر الفعل معها البتة كشكرا
او عجبا وقد ترك على الاصل والعدول الى الرفع عن الاول للثبات لما في الفعل من التجدد لدلالته
على الازمنة ولذلك كانت تحية ابراهيم عليه السلام احسن في قوله تعالى قالوا سلاما قال
سلام ولان معناه على الرفع ان الحمد حق لله تعالى يستحقه لذاته وعلى النصب لا دلالة على
ذلك ولان الناقل عن معناه وكذا الشاهي عن ملاحظته اذا تكلم به على النصب يكون
كاذبا لاخباره عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك بخلاف ما اذا تكلم به على الرفع
وانما خص الاسم المذكور ههنا ليكون الحامد كلها مقرونة بمعانيها المستدعية لها فان اسم
ينبي عن جميع صفات الكمال وكافة نعوت الجلال حمدا ولم يحمد نبه على استحقا قوله
باعتبار انتقاله النظام واثاره الجسام ايضا من ربوبيته للكل وشمول رحمته
الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة لعباده المؤمنين وذلك ان ترتيب الحكم
على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم بالوصف يشعر بها كانه قال حقيقته
الحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها ولكمالاتها التي لا يشترك فيها غيره **رب**
العالمين الرب يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك والخالق والمعبود وكل ذلك يحتمله
المقام فيصح ان يراد به ههنا كل منها وكفى ذلك فخصا لاشارة على المالك ونحو ثم ان ربوبيته
تعالى بمعنى الخالقية والمالكية والسيدية والمعبودية عامة وبمعنى التربية والاصلاح
خاصة بحسب انواع الموجودات متفاوتة فهو مربي الاشباح بانواع نعمه ومربي الارواح

باسناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي قلوب العارفين
باداب الطريقة ومربي اسرار الابرار بانوار الحقيقة ولقد احسن من قال انه يا مالك
يملك عباد اغيرك كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو ودات ليس لك ربا سواه ثم انك
تتاهل في خدمته كان لك ربا غيره وهو يعتني في تربيتك كانه ليس له عبد سواك يحفظك
بالنهار عن الافات بلا عوض ويحرسك بالليل عن المخافات من غير غرض فما احسن هذه التربية
واطلاق الرب على غيره تعالى لا يجوز شرعا الا مطلقا ولا منسيدا لما رواه الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا لا يقول احدكم اطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ولا يقل احدكم ربي
وليقل سيدي واما قول يوسف عليه السلام ارجع الى ربك وانه ربي فمحمول على الحكاية من الله
تعالى لانه عليه السلام كان يتكلم بالعبرية فلا حاجة الى ما قيل انه ملحق بقوله تعالى وخروا
له سجدا في الاختصاص بزمانه بل الاوجه كما لا يخفى ويجوز لغة ولو مطلقا كما وقع في شعر
الحارث بن حلزة من شعراء الجاهلية يمدح ملكا

وهو الرب والشهيد على ۞ يوم الحيارين والبلاء بلاء

والعالمين جمع عالم وهو في لسان العرب اسم لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه
من الانواع كالملك والانس والجن فتقول العرب عالم البر وعالم البحر وعالم الارض
وعالم السماء على ما نقله ائمة اللسان وهو جمع لا واحد له من لفظه كالانام والرهط
والجيش وهو ماخوذ من العلم والعلامة فجعل اسما لما يعلم به الصانع فان فاعل كثيرا
ما يجيء في اسم الالة التي يفعل بها الشيء كالخاتم والقالب والطابع فحمل بناؤه على
هذه الصيغة لكونه كالالة في الدلالة على صانع واما جمعه فلانه لو افرد لربما
يتبادر الي الفهم انه اشارة الي هذا العالم المشاهد بشهادة العرف او الي الجنس الحقيقي
على ما هو الظاهر عند عدم العهد فجمع ليشمل كل جنس سمي بالعالم لعدم العهد وفي الجمع
دلالة على ان القصد الي الافراد دون نفس الحقيقة والجنس انما جمع جمع قلة ذي الظاهر
ليستدعي الاتيان بجمع الكثرة قال وهب لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها تنبيها
على انهم وان كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه واما جمعه بالياء والنون فلتغليب
العقلاء منهم **الرحمن الرحيم** ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناء على صفاته كما قال عليه السلام فيما
روي عنه يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي فذكرهما في البسملة
لاستمالة قلوب العباد على العبودية بالرحمة والغفران وفي الفاتحة للثناء على الله تعالى بالكمال
والجلال للتربية والرضوان **مالك يوم الدين** الملك تمام القدرة وقوة التملك من الملك

وهو التسلط العام والاستيلاء التام وهو اشد مناسبة لله تعالى والاضافة الى يوم الدين
فان مدار الجزاء على الاعمال من الثواب والعقاب واخذ حق الضعيف من القوي على الاستيلا
والسلطنة واضافة الملك والسلطنة الى وقت شايع دون اضافة الملك دنيا وترجح قراءة
مالك ان فيه زيادة حرف وبه زيادة ثواب لقوله عليه السلام من قرا القران كتبت له بكل
حرف عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات واضافته الى اليوم
اضافة اسم الفاعل الى الظرف اجرى مجرى المفعول اتساعا وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة
اسم الفاعل انما يكون غير حقيقية اذا اريد به الحال والاستقبال لكونه في تقدير الانفصال والمراد هنا
الزمان المستمر او الماضي لقراءة ملك على المضي واليوم مدة كون الشمس فوق الارض عرفا وعبارة
عن وقت استضاءة الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت المطلق لغة ليلا كان او نهارا
طويلا كان او قصيرا وهو المراد في الاية لعدم الطلوع والغروب ثمة والدين الجزاء خيرا كان الجزاء
به او شرا كما يقال تدين تدان وانما خص اضافة ملك اليه لان الاملاك يومئذ زايلة قال
الله تعالى والامر يومئذ لله فكانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك بوجوه النعم فانا رب
ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال الجزاء اليك
فانا مالك يوم الدين **اياك نعبد** لانك مالك **واياك نستعين** لان ما سواك هالك ضمير
منفصل منصوب وكاف الخطاب مثل كان ذلك وهو اي ياؤها حرف التنبيه والندا فادغم اليا
وكسرت الالف لجوار الالف والعبودية التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل ولهذا
اختصت بالرب عدل عن الغيبة الى الخطاب وهو صنعة الالتفات وقد اقتضاه المقام
ان من اول السورة الى هنالك ثنا والثنا في الغيبة اولى ومن هنا الى الاخر دعا والدعا في الحضور
اولى والمعنى نخصك يا من لا تسوغ العبادة الا له لاتصافه بما ذكر من اضافة النعم الدنيوية
والاخروية ولا نجوز الاستعانة الا به لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شيء بغاية التذلل
في طلب المعونة لا نعبد غيرك ولا نستعين سواك قدم الضمير المنفصل للتخصيص والتوحيد
وقطعا للاحتمال لتعلق العبادة لغيره من اول الامر لانه لا يمكن الاحتياط عن ذهاب الوهم اليه
ولا يشكل في الحمد لله ذلك المثال اذ لا باس في تعلق الحمد لغيره تعالى واتى الضمير المتكلم
الشامل للقارئ ولساير الموحدين للتعميم والتشريك ودرجا العبادة في تضاعيف عبادتهم
وخلطا لحاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وكان ذلك
ايضا للاهتمام حقه فكانه يقول انت منفرد في المعبودية ونحن شركاء في العبودية وكذلك ان تقول
ان في اعبد معنى التوحيد المشعر عن التكبر وفي نعبد معنى التواضع المناسب بمقام العبادة

والتذلل

والتذلل فكانه يقول القاري اني واحد من عبيدك وقدم العبادة على الاستعانة تعليما
للعباد وجريا على ما انطبع في القرائن من تقديم الوسيلة على الحاجة لانها انجح لحصول المطلب
واسرع لوقوع الاجابة واطلق الاستعانة ليعم كل مستعان عليه ثم خصصها بقوله اهدنا
بتكرارها او تفصيلا فيدل على انه اهم المهمات الاستعانة به وبتوفيقه في طلب الهداية
والسعادة الاخروية الباقية وكرر الضمير المنفصل للتنصيص على التخصيص في كل من العبادة
والاستعانة ولولا ذلك لكان التخصيص في مجموعهما ولا يلزم من ذلك التخصيص في كل منهما
اهدنا الصراط المستقيم الدين القويم وما يدل عليه القران العظيم قال علي وابي بن كعب
رضي الله عنهما اهدنا الصراط ثبتنا عليه كما يقال للقائم قم حتى اعود اليك اي دم على ما انت عليه
وقيل وقرئ ثبتنا وفي التعبير عنه باهدنا اشارة الى ان المطلوب من الثبات في ضمن التجدد
يعني ثبتنا على اصل الهداية وزدنا فيها في كل وقت والهداية دلالة بلطف ومنه الهداية وخص
ما كان دلالة بفعل نحو هديته الطريق وما كان من الاعطا بافعلت نحو اهديت الهداية واستعمالها
في الشر كما في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فعلى طريقة التهكم كالبشارة في قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم واصل هدى يتعدى الى ثاني مفعوليه باللام تارة وبالى اخرى فحذف اداة
التعدية على طريقة واختار موسى قومه اجراء له مجرى المتعدي الى مفعولين بالذات والاقصد
في ان يقصد بذلك الاشارة الى قوة الهداية المطلوبة فكانه قيل اهدنا هداية كاملة لا يحتاج
الى الواسطة وانما قال اهدنا دون اهدني رعاية للمناسبة مع نعبد ونستعين ولان الدعا مهما
كان اعم الى الاجابة اقرب كان بعض العلما يقول لتلامذته اذا قرأتم في خطبة السبق ورضي عنكم
وعن جماعة المسلمين ان ذكرتني في قولك رضي الله عنك فلا اصلح وكن يا لك ان تنالني في قولك وعن
جماعة المسلمين فلا بد وان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله تعالى الدعا في البعض
فهو اكرم من ان يرده في الباقي ولهذا السبب قالوا السنة اذا اراد واحد ان يذكر دعا ان يصلي
اولا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يذكر ذلك ثم يصلي على النبي عليه السلام فانه اذا اجيب في طرفي
دعايه امتنع ان يرد في وسطه وقد قال النبي عليه السلام ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا
يا رسول الله فمن اين لنا تلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى
بلسانك والصراط كالطريق في التذكير والتانيث اما في المعنى فبينهما فرق لطيف وهو ان
الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان او غير معتاد والسبيل من الطريق ما هو معتاد
السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد فهو اخص
الثلاثة وفايدة وصفه بالمستقيم ان الصراط الا ما فيه صعود او هبوط والمستقيم ما لا ميل

فيه الى جهة من الجهات الاربعة واصل الاستقامة في قيام الشخص ان لا يكون منحنيا ولا
منثنيا ولا مائلا الى يمين او يسار صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وفائدته
التوكيد للتكرير والتفصيل بعد الاجمال واطلاق الانعام ليتناول كل نعم شددت اللام في الذين
لانها لامان والاصل الذ مثل عم ثم دخلت الالف واللام للتعريف والتشديد من اجل ذلك
والانعام نفع الغائر من دونه بامر عظيم خاليا عن العوض والتبعة ولما كان الكفار من جملة
الذين انعم الله عليهم على ما صرح به في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم خصهم
بقوله غير المغضوب عليهم في دار الدنيا ولا الضالين في دار الاخرة والمشهور ان نعمة
الله تعالى على نوعين دنيوية وهي اوفر في حق الكافر لقوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر واخروية على قسمين وهي مختصة بالمؤمن ونحن نقول ان النعمة الاخروية على قسمين
نعمة نفع وهي المختصة بالمؤمن ونعمة رفع ولا شبهة في عمومها للكافر ايضا لانه تعالى لا يعذب كافرا
من الكفار بنوع من العذاب الا وهو قادر على ان يعذبه باشد منه وترك ذلك نعمة تخفيف منه
تعالى عليه غير صفة مقيدة اي جمعوا بين النعمة والسلامة منهما وانما وصف المعرفة بغير تنوين
تنزيلا للموصول منزلة النكرة اذ لم يقصد به معهود او رفعا للغير الى درجة المعرفة لزوال الابهام
بالاضافة الى ماله ضد واحد اعلم ان غيرا لها ثلاثة مواضع احدها ان تقع موقعا لا تكون فيه
الا نكرة وذلك اذا اريد بها النفي الساذج في نحو مررت برجل غير زيد الثاني ان تقع موقعا
لا تكون فيه الا معرفة وذلك اذا اريد بها شيء قد عرف بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاده
فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك اي المعروف بمضادتك الا انه في هذا لا يجري صفة
فيذكر غير جارية على الموصوف الثالث ان تقع موقعا يكون فيه نكرة تارة ومعرفة اخرى
كما اذا قلت مررت برجل كريم غير لئيم وعاقل غير جاهل والرجل الكريم غير اللئيم كذا قال
صدر الافاضل وقد تبين منه ان من قال ان غيرا لا يتعرف اصلا وان اضيف الى المعارف
لم يصب وان من زعم انه بالاضافة الى ماله ضد واحد يتعين تعين الحركة غير السكون
فقد اخطا من وجوه اما الاول فلانه وان اضيف الى ماله ضد واحد لكنه لم يعرف ما اريد
به بمضادة المضاف اليه في معنى لا يضاده فيه الا هو وهذا الموكن من قبيل الثاني فلم يتعين
تعين الحركة من غير السكون واما ثانيا فلانه يكون معرفة بالحقيقة على ما مر لا بالتاويل
كما ظنه ذلك الزاعم واما ثالثا فلانه لا يجري صفة وانما يذكر غير جار على الموصوف وهو
في صدد توجيه كونه صفة لما قبله وقيل هو بدل من الذين ولا يبعد في ذلك لان غير اصل
ومنعه للوصف والبدل بالوصف ضعيف والغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب

لارادة الانتقام والقانون في امثاله هذه ان جميع الاعراض النفسانية مثل الرحمة والفرح
والسرور والغضب والحياء والتكبر والاستهزاء لها اوائل ولها نهايات ويتبين ذلك في الغضب
فان له غليان الدم وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ الغضب في حق الله
تعالى لا يحمل على اوله الذي هو من خواص الجسم بل يحمل على غايته وهذه قاعدة شريفة بقي
ههنا نكتة لطيفة وهي انه صرح بالخطاب كما ذكر في النعمة ثم لو تحرجت قال غير المغضوب عليهم
ولم يقل غير الذين غضبت عليهم عطفا على الاول جريا بالادب تحرزا به عن ذكر الغاضب فاسند
النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا قيل يعني بالاول اليهود لقوله تعالى
في حقهم وباؤا بغضب على غضب وبالثاني النصارى لقوله تعالى في حقهم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وهذا على وفق ما روي عنه عليه السلام من ان رجلا سأله وهو بوادي القرى من المغضوب
عليهم فقال اليهود ومن الضالين فقال النصارى فان قلت كيف فسر على ذلك وكلا الفريقين
ضال ومغضوب عليه قلت خص كل فريق منهم بصفة كانت اغلب عليهم وان شاركوا غيرهم
في صفات ذم وعليهم ههنا في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلافه في انعمت عليهم فانه في محل
النصب على المفعولية ولا مزيد لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قيل لا المغضوب عليهم ولا
الضالين وعين دخولها العطف على قوله المغضوب عليهم لمناسبة غير لئلا يتوهم في اول الوهلة
بتركها عطف الضالين على الذين والضلال فقدان الطريق السوي سواء سبق وجدان او لا كما
في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وانما عبر ها هنا عن تفسيره بالعدول عن الطريق السوي عمدا
او خطا لان من طلب الطريق السوي ولم يجده او تعمد عن الطلب يكون ضالا لا عمدا ولعله
لا عمدا ولا خطا آمين مبني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها والا
فيه القصر وانما مد ليرتفع الصوت بالدعاء كذا قال ابن خالويه في اعراب القرآن وذكر ابن جني
ان القصر ليس بمعروف وانما قصره الشاعر في قوله * امين فزاد الله بيننا بعدا *
للضرورة وذلك وهم اذ لا ضرورة فانه لو قدم الفاء فقال فامين زاد الله بيننا بعدا
اندفع الضرورة ولا يشدد ميمه فانه لحن والعامة ربما ضلوا ذلك واما في قوله تعالى ولا آمين
البيت الحرام فالميم مشددة لانه من امت اي قصدت معناه على قول ابن عباس رضي الله عنهما
كذلك فليكن وقيل اسم فعل اي استجب وروي عن كعب الاحبار انه قال امين خاتم رب العالمين
يختم به دعاء عباده المؤمنين وليس من القرآن اجماعا وقراءته سنة في الصلاة وخارج الصلاة
بعد الفاتحة مفصولة عنها

سورة البقرة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي عليه السلام ان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة

البقرة ولا حجة فيه على ما استكره ان يقال السورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي
يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران لانا
يكون من الامة قد يكره منه عليه السلام الا يري انه قال لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وقد انكر قول الاعرابي ومن عصاهما فقد غوي وقال بئس خطيب القوم انت

بسم الله الرحمن الرحيم

الم في الفواتح المقطعة اوجه والاوجه انها اسما السور وعليه الاكثر ومحلها رفع على الابتدا
وقيل نصب او جر على حذف حرف الجر واضمار والمروي عن الصديق الاول في التهجي انها السر
بين الله تعالى وبينه وقال بعض الكمل قد يجري بين المحبين كلمات معما تشير الي سر بينهما
والمقطعات في اوايل السور من هذا القبيل فانه تعالى قد وضع مع نبيه عليه السلام في وقت
لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبرايل عليه السلام باسرار
وحقايق لا يطلع عليها جبريل عليه السلام ويدل على هذا ما روي في الاخبار ان جبرايل عليه
السلام لما نزل بقوله تعالى كهيعص فلما قال كاف قال النبي عليه السلام علمت فقال ها
قال علمت فقال يا قال علمت فقال عين قال علمت فقال صاد قال علمت فقال جبريل عليه السلام
كيف علمت ما لا اعلم ذلك الكتاب اصل ذلك ذا اسم مبهم للاشارة واللام عوض عن الها
التي للتنبيه ولهذا لا يجمع بينهما والكاف للخطاب فلا دلالة في اصل وضعه الي البعد وانما ذلك
بحسب العرف الطاري فالاشارة به ههنا الي الحاضر اما على الوضع اللغوي او لان ما لا يحس
بالبصر اشبه المحسوس الغايب ومن حيث انه مدرك بالعقل او السمع اشبه المحسوس الحاضر
فصح فيه استعمال اللفظين ولهذا قال جمع من ايمة التفسير والعربية ان معنى قوله تعالى
ذلك الكتاب هذا الكتاب وتذكيره لان المشار اليه المسمي وهو ذلك البعض من القران
ليس بمؤنث وكذا اسمه المذكور وهو الم ليس بمؤنث نعم له اسم اخر مؤنث وهو السورة
لكن الاشارة ليست باعتبارها فلا حاجة الي التاويل في تذكيره وهو مبتدا ثان وذا الكتا
خبر والجملة خبر المبتدا الاول ذا المعني ان ذلك هو الكتاب الكامل او خبر المبتدا والكتاب
صفته ومعناه وهو ذلك الكتاب الموعود مصدر بمعنى المفعول قال الراغب الكتب ضم
اديم الي اديم بالخياطة وفي المتعارف ضم الحروف بعضها الي بعض في اللفظ ولهذا سمي كلام الله
وان لم يكتب كتابا ومن قال اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب فكانه لم يفرق
بين الخط والكتابة لا ريب فيه في محل الحال ذا العامل فيه معنى الاشارة وفيه اشارة الي
كماله في نفسه وقوله هدي اشارة الي كونه مكملا لغيره فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه

فالاشارة اليه بلفظ ذلك ومنها
حوالانه من حيث انه لا يحتاج

بالكمال قال الراغب في الفرق بين الشك والمرية والريب ان الشك وقوف النفس بين
شيئين متقابلين بحيث لا يترجح احدهما على الاخر بامارة والمرية التردد في المتقابلين
وطلب الامارة ماخوذ من مري الضرع اي مسحه للدر فكانه يحصل مع الشك تردد في طلب
ما يقتضي غلبة الظن والريب ان يتوهم في الشيء امر ما ثم ينكشف عما توهم فيه ولما كان
الريب اضعف كان نفيه ابلغ ثم ان المنفي عنه منشا الريب لا نفسه لانه حالة قايمة
بالمرتاب لا يحتمل ان يوجد في جنس الكلام فلا حاجة الي نفيها بل لا وجه له في مقام المدح
فتاخير الظرف لا لان الحصر المستفاد من تقديمه باطل لان باقي الكتب السماوية ليس
بمعجز فلا قاطع لعرق الريب فيه بل بتجريد الكلام لما سيق له فان المفهوم من الحصر
المذكور فضله في الكتاب التام واختيار ما هو احسن نظما وتوسيع دايرة القران
على ما ستقف عليه باذن الله تعالى وقري لا ريب بالتنوين والرفع والفرق بينهما وبين
المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه هدي للمتقين اي الشارفين
للتقوي الصايرين اليه ففيه مجاز وايجاز وهما من اقوي اسباب الاعجاز ونكته المجاز
التنبيه على قوة ترتب اهتدايهم على هدايته بحيث لا يتخلل بينهما زمان فكان هدايته
بالذين يهتدون به هداية بالمهتدين وانما لم يقل هدي للضالين لئلا يتدرج تحت
عمومه المطبوع على قلوبهم هدي مبتدا خبره فيه تقدم عليه محتمقا على قراة من وقف
على لا ريب ومقدرا على قراة من وقف على فيه للعناية والاهتمام تنبيها على ان المقصود
بالاخبار كون الكتاب متضمنا لهدايتهم لا كونهم مهتدين به والمحافظة على الفاصلة
واختار الظرف على الضمير المنفصل للاشارة الي ان الهداية من بعض الفوايد التي تضمنها
وتنكيره للتعظيم والهدي في الاصل مصدر على فعل كالسري وقد مر تفسير الهداية وما
يتعلق بها والتقوي على ما قال علي رضي الله عنه ترك الاصرار على المعصية والاعتذار على
الطاعة والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقاه والوقاية فرط العناية وقيل المتقي من
سلك سبيل المصطفي ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف نفسه الاخلاص والوفا واجتنب
الحرام والجفا ولو لم يكن فضل الا ما فهم من هنا فكفي فانه تعالى بين في غير موضع ان
القران هدي للناس وقال هنا هدي للمتقين فكانه يقول ان المتقين هم كل الناس فمن لا يكون
متقيا ليس منه ولما كان معني قوله للمتقين الذين يؤمنون صح ان يكون قوله الذين يؤمنون
موصولا بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب بتقدير اعني او امدح او مرفوع
بتقديرهم واما فصله عنه على انه مرفوع بالابتدا المخبر عنه باوليك على هدي ضعيف

لانقلابه مما قبله والذهاب به مذهب الاستيناف مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه
به وبني الاستيناف عن تقدير ان يسال ما بال المتقين مخصوصين بذلك فلا يتم
الجواب الا بمجموع القسمين فيكون القطع بينهما لا للاتحاد والظاهر انه لكمال الاتصال
في الاول والاسلوب على ما مهد لذلك تصدير القصة الثانية بان المشعر بالاخذ
في فن اخر والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم نقل الى التصديق
فقيل امنته التكذيب والمخالفة ثم ضمن معنى امن واعترف فعدي بالبا **بالغيب** اي بما غاب
عن الحس والعقل غيبة كاملة حيث لا يدركه احدهما لا بالبديهة ولا بالاستدلال يعني
احوال البعث والجنة والنار كما في قوله تعالى الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون
والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين ولعل غيبته
حيث غاب عن مظهري الحس والعقل عبر عنه بالمصدر كما يقال لمن بلغ الغاية في العدالة
عدل ولكمال في معنى الغيبة حيث لم يمكن استحضاره لا بالبديهة ولا بالنظر عرف بتعريف
الجنس كان معنى الغيبة انما تم فيه وباقي الغايبين بمنزلة الشاهد نظرا اليه ففيه اشارة
الى قوة تصديقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ووفور اعتقادهم بنبوته حيث صدقوه
في اخبار لا طريق الى العلم بصدقها لا بالحس ولا بالعقل لا بالبديهة ولا بالكسب وعدم
التعرض للتصديق بالمبدأ للتنبيه على ان شانه تعالى اظهر الامور بحيث كان التصديق به
تصديقا باجلى المعلومات فلا يناسب ذكره في مقام المدح بالتصديق باخفى المجهولات
وفيه نعي على الدهرية على وجه ابلغ **ويقيمون الصلوة** اقامة الشيء جعله قايما والقيام
انتصاب القامة ولما كانت هيئة الانتصاب اكمل هيئات من له القامة واحسنها
استعيرت الاقامة للتكميل والتحسين ومنه اقام الامر اذا اتمه وجاء به معطى حقوقه
وايضا لما كان استعمال من له القامة باقامتها استعيرت الاقامة للاستعمال ايضا ومنه
اقام القوم سوقهم اذا استعملوها ولم يعطلوها فالمعنى على الاول يعدلون اركانها ويحفظون
حدودها وعلى الثاني يحافظون عليها في مواقيتها ولا يعطلونها والصلاة الاذكار المعروفة
والافعال المشهورة واصلها الدعا قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وفيما نقلها الشرع اليه
اشتمال على الدعا وفي ترك الاطناب بزيادة الاقامة التنبيه على انه لم يرد ايقاعها
فقط ولهذا لم يامر بالصلوة ولم يمدح بها الا بلفظ الاقامة نحو اقيموا الصلوة
والمقيمين الصلوة ولم يقل والمصلين الا في المنافقين حيث قال فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون ومن ثم قيل المصلون كثير والمقيمون لها قليل كما قال عمر رضي الله

عنه الحاج قليل والراكب كثير وكثير من الافعال التي حث الله على توفية حقه ذكره بلفظه
نحو ولو انهم اقاموا التورية والانجيل واقيموا الوزن بالقسط ولما كان المعنى يعبدون
الله تعالى بكل من نوعي العبادة البدنية والمالية عقبه بقوله **ومما رزقناهم ينفقون**
قدم ما هو الاشق وبالتقديم احق لانه نظام العبادات وعماد الدين ولم يقل ويوتون الزكوة لئلا
يختص المدح بالاغنيا وايضا لما ذكر البدنية مطلقة شاملة للواجبة منها وغير الواجبة ناسب
ان يذكر المالية ايضا على وجه الاطلاق والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان واصله الحظ
والنصيب من اي نوع كان ثم شاع للاقتصار على ما اعطى الله تعالى عبده ومكنه من التصرف فيه حلالا
كان او حراما لقوله عليه السلام لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه
مكان ما احل الله لك من حلاله واما ما قيل لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا
وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فيرد عليه ان الملازمة ممنوعة
وكذلك بطلان التالي نسلم انما الشان في وقوع المقدم فانهم نعم هو محمول ههنا على المباح
دون المحظور بقرينة اضافته الى الله تعالى فان ما يضاف اليه تعالى بخصوصه ينبغي ان
يكون خاليا عن الكراهة فضلا عن الحرمة وان كان قد تضاف اليه الافعال كلها على سبيل العموم
والايجاد واما الحث على الانفاق والمدح للمنفق وكونه من المتقين فانما يصلح قرينة لكون المنفق
مباحا لا دلالة فيه على عدم كون الرزق الذي ذلك المنفق بعض منه مشتملا على الحرام
وزيادة حرف التبعيض للحث على الاقتصاد المحمود لان الجود الذي هو وسط بين الاسراف
والاقتار قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ففيه اخبار
صريح في حق الغايبين ونهي ضمني في حق الحاضرين واما التبذير فلا حاجة للاحتراز عنه
الى اداة التبعيض لانه بمعزل عن مظنة المدح به كيف وهو حرام منهي عنه بابلغ وجه في قوله
تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين بخلاف الاسراف فانه قد شاع انه لا اسراف
في الخير فكان مظنة ان يمدح به ولما كان المدح باعتبار تخصيصهم الانفاق بالبعض الحلال
من رزقهم لا بالانفاق مطلقا كان ذكر المفعول وتبيينه لهم من الاخبار عن نفس الفعل
فقدمه عليه اظهارا للاهتمام به والاعتنا بشانه ومحافظة على الفاصلة والانفاق
صرف المال الى الحاجة لا النفاد واذهابه مطلقا فالاحراق مثلا ليس بانفاق **والذين
يومنون** هم مومنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يومنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخص تحت اعم اذ المراد باوليك الذين امنوا
ليسوا باهل الكتاب وهولا مقابلوهم فكانت الايتان الكريمتان تفصيلا للمتقين وانما قدم

غير الكتابي لان تصديقهم بتلك المغيبات اغرب اذ هم لم يسمعوا اشباهها الى ان اخبر به
النبي عليه السلام فهم بالمدح بذلك الوصف احق ومن ذلك تبين وجه تخصيص التعبير
بالغيب عن المصدق به في حقهم مع ان متعلق التصديق لكلا الفريقين واحد وظهر ان
ما فصل بقوله **بما انزل اليك** الاية هو بعينه ما عبر عنه اجمالا بقوله بالغيب اليك انقل
الانزال قيل فرقا بين الاضافة الى المكي وغيره والانزال النقل الشيء من العالي الى الاسفل وهو انما
يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها كما في انزال القران فانه انزل جملة من اللوح
الى سماء الدنيا ثم نزل منها على لسان جبريل بخطاب الرسول عليه السلام او النقوش الدالة
عليها كما في انزال التورية فانها قد انزلت على موسى عليه السلام مكتوبة في الالواح فان كان
المراد جميع ما انزل عليه عليه السلام الى حين نزول هذه الاية كما هو الظاهر والامر بين
فان الايمان بالمترتب غير واجب وذلك بين وان كان المراد مجموع القران والشريعة فمبناه
على تنزيل المترتب منزلة النازل لتحقق وقوعه او لارتباط بعضه ببعض كالشئ الواحد ونظيره
قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح ولا تريد به الماضي فقط بل الاتي ايضا وتغليبا للنازل
على ما لم ينزل وفي يؤمنون اشارة الى ان القران غير متفاوت الابعاض في البلوغ الى حد
الاعجاز حتى امن ببعضه يؤمن كله لا محالة والعدول من صيغة الماضي الى المستقبل لما فيه من
الحدوث والتجدد المقتضي للاشارة الى ان ايمانهم بما انزل اليه عليه السلام يتجدد بحسب
تجدد نزول الايات والاحكام والى ان ايمانهم بما انزل من قبله ايمان حادث لا ايمان ثابت
لان ايمانهم السابق انكاره في الحقيقة لا التصديق به وتقدم الايمان بما انزل اليه لاصالته
حيث كان صحة ايمانهم بما انزل من قبله في ضمن الايمان بما انزل اليه وبسببه ولهذه النكتة
لم يكرر الباء في قوله **وما انزل من قبلك** كما كرر في امنا بالله وباليوم الاخر والمراد بذلك
ما انزل على الانبياء الذين كانوا قبل محمد عليه وعليهم السلام والايمان به واجب لجملة لا لانه
الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته تفصيلا نعم ان عرفنا شيئا من تفاصيله
فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل **وبالاخرة** تانيث الاخر صفة للدار كما في قوله
تعالى تلك الدار الاخرة او النشاة كما في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة سميت بذلك
لانها متاخرة عن الدنيا او النشاة الاولى زمانا وقيل الدنيا دنيا لانها ادنى من الاخرة رتبة
هم يوقنون تقديم الظرف للقصر عليه كما في قوله تعالى لالى الله تحشرون وتقديم المسند
اليه وهو ضمير هم بنا الفعل عليه ايضا للقصر عليه كما في قولك انا سعيت في حاجتك والقصر
اضافيان كما هو الغالب في استعمالات البلغاء والمعنى المستفاد من القصر الاول ايمانهم

مقصور على حقيقة الاخرة لا يتعداها الى ما هو على خلاف حقيقتها او نعرض بسائر اهل
وبما هم عليه من امر الاخرة والمعنى المستفاد من القصر الثاني ان الايقان المذكور لا يتعداهم الى
غيرهم وهذا تصريح بانهم على جهالة في امر الاخرة والايقان اتقان العلم بازالة الشك والشبهة
عنه فاليقين هو العلم بالشيء بعدما كان صاحبه شاكا فيه وكذلك لا يطلق على علمه تعالى ولا لما
يتأتى ذلك في العلم الحادث بالامور سواء كان ذلك العلم ضروريا او استدلاليا فيقول القايل
تيقنت ما اردته بهذا الكلام وان كان قد علم مراده بالاضطرار ويقول تيقنت ان الاله واحد
وان كان قد علمه اكتسابا **اولئك** اي اهل هذه الصفات فيبتني الحكم على الوصف فينبئ
باشعاره وهذا معنى الاختصاص واولا كلمة معناها الكناية عن الجماعة نحو هم جمع لا واحد
له من لفظه بني على الكسر والكاف للخطاب والجملة استيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام
والصفات المتقدمة **على هدى** مثل لتمكنهم من الهدى شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ
وركبه وتنكير هدى لتفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه نحو لقد وقعت على لحم ومعنا كونهم على الهدى
تمسكهم بموجب الدلائل لان الواجب على المتمسك بالدلائل ان يدوم على ذلك فكانه تعالى لما
مدحهم بالايمان بما انزل الله عليه اولا مدحهم بالاقامة على ذلك ثانيا **من ربهم** نفي في
الكسب واثبات كونه لمحض العناية والعطا كالشيء الذاتي المقارن لوجودهم في اول الكون
وفيه زيادة تعظيم لتلك الهداية واضافة الرب اليهم للتشريف فكما يفيد اضافة العبد اليه
تعالى تشريفه فكذلك اضافته تعالى اليه تفيده بل ذلك اقوى افادة له **واولئك** اعاد
اسم الاشارة تنبيها على ان المقتضي للفلاح ايضا هو اتصافهم بتلك الصفات وان كل واحدة
من الاثرتين لهم بالاستقلال والانفراد لا بتبعية احدهما للاخرى ولو انفردت احدهما
لكفت في تفرقهم بالكمال وامتيازهم على غيرهم وتوسيط العاطف لتناسبهما في الوجود حيث كان
احدهما علة للاخرى وتغايرهما في المعنى المقصود فان الهدى حاصل في الدنيا والفلاح في الاخرة
فالجملتان متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بخلاف كالانعام والغافلون
فانهما شيء واحد بحسب المقصود والمال وان تعددت بحسب اللفظ والمفهوم **هم المفلحون**
هم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح الظافر بمطلوبه والفلاح الخير المتحقق
وفيه يقال افلح المكاري والاكار لشقهما لقطعهما الارض في الكرا والكراب وفي المثل
الحديد بالحديد يفلح اي يقطع ويصلح والتعريف للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون في الاخرة والاشارة الى ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين في الاخرة

وخصوصياتهم ولا دلالة في الاية على خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب لان الفايز
بمطلوبه في الاخرة من زحزح عن النار وادخل الجنة فالمعذب بالنار وان لم يخلد فيها غير
مفلح نعم لو قيل ان فيها دلالة على ان الفاسق بل تارك الصلاة وان كان تايبا لا يخلو من العذاب
لاحتيج في جوابه الى ان يقال ان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح **ان الذين كفروا**
لما تم الكلام في تقرير ما سيق له اي ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي
اهلتهم للهدى والفلاح تفنن على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار المطبوع
على قلوبهم بحيث لا ينجع فيهم الهدى ولا يجدي لهم اللطف والدعوى والانذار وانما فصل
بينهما لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لبيان شان الكتاب والثانية سوقها لشرح
تمردهم وانهماكهم في الضلال لذلك تاكيد بان لان الخبر قد بولغ فيه وعلى ما عسى ان يستنكر
ويستبعد والتعريف للاشارة الى ناس معهودين اخرج ابن جرير وغيره بسند صحيح عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان المراد به الكفار من اليهود خاصة وهو الظاهر بقرينة ايلاء الايات
من اهل الكتاب ولان السورة مدنية واكثر الخطاب فيها لليهود والكفر بالضم والفتح في اللغة
الستر ومنه سمي الزارع كافرا فانه يستر البذر ونقل في الشرع الى عدم قبول ما علم مجيء
الرسول به عليه السلام عقدا او قولا لما فيه من ستر نور الفطرة الاصلية الذي هو بذر
الكمال هذا هو الكفر المقابل للايمان المنجي والكفر المقابل للايمان الشرعي الذي لا بد فيه من
الاحتراز عن امارات عدم قبول ما ذكر فيكفي في تحققه وجود احدى تلك الامارات
والاخبار بلفظ الماضي نظرا الى حال المخاطب لانه مقصود بالذات لا لافادة ذا المتكلم ليس
زمانيا فلا يختلف الاخبار بحسب دلالتها على الازمنة الثلاثة نظرا اليه **سواء عليهم**
ءانذرتهم ام لم تنذرهم اي مستو عندهم مبالغة وايثار الاسم على الوصف لتجرده
على معنى الحدوث وتمحضه للدلالة على الثبوت والاستوا الاعتدال في الوسط والوسط الاعتدال
في المقدار ولكون ذلك الاستوا اصار لهم غير نافع قال سواء عليهم ولم يقل سواء لهم والفعل في تاويل
المصدر وانما عدل عنه لما في الفعل من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير
معنى الاستوا وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستوا والمعنى سواء عليهم الانذار
وعدمه فالانذار وما عطف عليه مبتدا في المعنى وسواء الخبر والجملة خبر ان وانما قلنا ان
سواء هو الخبر لان موضع الفايدة الخبر والشك انما وقع في استوا الانذار وعدمه لا في نفي
الانذار ومن هنا خرج وجه العناية الداعية الى تقديمه ولفظ الاستفهام لا يمنع من ذلك
اذ المعنى على اليقين والتحقيق لا على الاستفهام لما عرفت من ان الهمزة هنا مستعارة للتسوية

انتاج

والانذار الاعلام بالتخويف وقال ابن عطية ولا يكاد الا في تخويف يسع زمانه الاحتراز فان
لم يسع زمانه الاحتراز كان اشعارا او اخبارا او الاقتصار عليه لان الكفار ليسوا اهلا للبشارة المطلقة
والبشارة المعلقة على الايمان منتفية في حقهم انذارا لانهم مصرون على الكفر مصممون عليه
فينتظم الانذار بهذا القسم من البشارة في حقهم **لا يؤمنون** مفسرة لاجمال ما قبلها فلا
محل لها من الاعراب او خبر ان وما قبلها اعتراض ولا دلالة في الاية على وقوع التكليف بما لا
يطاق لان الاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه واستحالة الكذب على الله تعالى
اللازم على تقدير وقوع ما اخبر بعدم وقوعه انما يدل على عدم وقوع الملزوم لا على عدم كونه
مقدورا فان استحالة اللازم لا يلزم استحالة الملزوم وفايدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام
الحجة وحيازة الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك حكم بالتسوية نظرا اليهم دون
اليه عليه السلام ولما كان مظنة ان يسال عن سبب الحكم السابق لغرابته استونف الجواب عنه
بقوله **ختم الله** الختم والطبع الاثر الحاصل على نقش ويتجوز به عن الاستيثاق من الشيء
والمنع منه نظرا الى ما يحصل بالختم على الكتب والابواب بالمنع وقد يقال لذلك ويعني
به بلوغ اخر الشيء نظرا الى انه اخر فعل في احراز الشيء ومنه ختمت القران ولم يرد
به الختم في بدء الفطرة ليكون التكليف ضايعا ويخالف ما روي عن النبي عليه السلام
شايعا من ان كل مولود يولد على الفطرة اي على الخلقة القابلة للاسلام ويخرج للنعي عليهم
شناعة صنعتهم مخرج التشنيع على فاقد البصر بعدم الابصار بل اراد الختم بعد ما اعرضوا
عن الحق واصروا على ذلك على ما ورد في قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم واصح عنه ما روي
ابن عمر مرفوعا ان الطابع طابع معلق بقايمة العرش فاذا انتهكت الرحم وعمل بالمعاصي
واجترئ على الله بعث الله الطابع فطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيا فالاسناد اليه تعالى
مجازي لكن المسند على حقيقته **على قلوبهم** اريد بالقلب محل القوة العاقلة من الفواد
وعلى سمعهم السمع محل القوة السامعة من الاذن وكان في الاصل مصدرا ولذلك وحد
في مواضع الامر من اللبس جريا على مقتضى الاصل واعادة الجار للدلالة على ان الختم على السمع
بالاستقلال لا بالاصالة لانتفاء ختم القلب لان الختم على السمع لا يتبع الختم على القلب في الجملة
وكنحو ترك اعادة الجار حيث قدم ختم السمع على ختم القلب في قوله تعالى وختم على سمعه
وقلبه واما ما ذكر في قوله **وعلى ابصارهم** فليس باعادة لانه متعلق بما بعده فان الابصار
داخلة في حكم التغشية دون الختم بخلاف الاسماع لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم لان التغشية ليست بمانعة

الشامعة عن الادراك بخلاف الباصرة **غشاوة** رفع على الابتدا وتقديم الخبر للاهتمام
فان المقصود بالاخبار كونها على الابصار والعدول الى الاسمية لافادة الدوام والثبوت
تقوية لحكم التغشية وجبرا لنقصانه عن حكم الختم وقرئ بالنصب عطفا على المختوم من
باب الاستغنا باحد الفعلين عن الاخر فان العرب اذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى
ولكل واحد متعلق على حدة جوزت ذكر احدهما وعطف متعلق الاخر المتروك على المذكور
كقوله متقلدا سيفا ورمحا والمضي الى تقدير فعل او الحذف والايصال في مثل هذا من
ضيق العطن ولولا الوفاق على الوقف على سمعهم لجاز ان يكون غشاوة اسما وضع موضع
مصدر من معنى ختم لان معنى ختم غشى وستر كانه قيل تغشيته على سبيل التاكيد ويكون
قلوبهم وسمعهم وابصارهم مختوما عليها غشاوة ولما كان الختم والتغشية سببا
لما اقترفوه ناسب تعقيبه بوعيد وبيان لما يستحقونه لا على وجه التفريع كيلا
يتوهم ان ما سبق من الختم والتغشية سبب لذلك فقيل **ولهم عذاب عظيم** اللام
للجار اذا اتصلت بالضمير غير اليا بنيت على الفتح والعذاب كل ما يمنع من المطلوب
ويقال عذب الرجل وعذب لم ياكل غير صائم والعظيم شرح القوة ومنه العظم او الزائد
القدر وذلك في الدنيا الاسار وفي العقبى النار والمعنى ان تلك الطايفة مخصوصة من بين
الطوايف بنوع من العذاب على ان التنوين للتنويع كما في غشاوة اي نوع من العذاب لا تعارفه
الناس وفايدته التهويل وتوصيفه بالعظيم تاكيد له وتركه في الغشاوة تنبيها على
الفرق بين مقامي التهويل فان الاول في احوال الدنيا والثاني في احوال الاخرة وكم بين
الحالين وما فيهما من التفاوت ثم بعد ذكر المومنين واحوالهم والكافرين وانما لهم
ذكر المنافقين واقوالهم واعمالهم وخصالهم بقوله **ومن الناس** الناس اصله
اناس جمع انسان ولذلك لا يستعمل الا في معنى جماعة كقوله تعالى يوم ندعوا كل اناس
بامامهم وقوله قد علم كل اناس مشربهم وقوله انهم اناس يتطهرون فحذفت
الهمزة وعوض عنها حرف التعريف وهي هنا للعهد ومن في قوله **من يقول** موصوف
والقول عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على وجه الحكاية وحد يقول نظرا الى لفظ
من وجمع من نظر الى معناها اعتبر جهة وحدته عند ذكر مقالهم وجهة تعددهم
عند بيان احوالهم اشارة الى انهم وان كانوا متفرقين على عقايد شتى في الكفر الباطن
لكنهم مجتمعون على كلمة واحدة في اظهار النفاق تخص هذا الصنف من بين الاصناف
بمبالغات وتشديدات وابرز نظم قصتهم ابرازا غريبا حيث قدم الخبر على المبتدا

وابهمه

وابهمه غاية الابهام ووصفه بصفات عجيبة ليتشوق السامع الى ذكر ما يبين من
قبايحهم ونكرهم نعيا عليهم وتعجيبا من شانهم يعني انظروا الى هولا الخبيثة وقبيح
ما ارتكبوا كيف اختصوا من بين ساير الناس بما لم يرض العاقل ان ينسب اليه ولما كانت
فايدة الاخبار بكونهم من بعض الناس استعظام ان يكون من جنسه ما اختص بمثل هذه
الصفات فانها تنافي الانسانية بحيث كان ينبغي ان لا يعد المتصف بها من جنس الانس
ناسب تصدير الكلام به وان حقه التاخير وهذا النوع من الاعتبار اللطيف مداره
على دلالة رابعة خطابية لا يعتبرها البليغ الا بمعونة المقام واقتضا الحال فلا يطالب
بالاطراد وهذا الصنف ابغض الكفرة الى الله تعالى لانهم غيروا لاستعدادهم الاهتدا
وامكان قبولهم لذلك لعدم انطفا نور الفطرة فيهم مع بقايهم على الكفر وخلطهم بالكفر
تمويها وتلبيسا واستهزا وخداعا وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والاقتصار
في وصف الكفار المصرف المطبوع على قلوبهم على اثنين والاطناب في وصف المنافقين في ثلاث
عشر اية الاضراب من اوليك صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدي لهم الخطاب واما
المنافقون فقد ينجع فيهم التوبيخ والتعيير وعسى ان يعرتدعوا بالتشنيع عليهم وتفظيع
شانهم وسيرهم بقصد تهجين عاداتهم وخبث نياتهم وسريرتهم وتنبهوا بتقبيح صورة حالهم
وتفضيحهم بالتمثيل بهم وبطش بعقيهم فتلين قلوبهم وتنقاد نفوسهم وتتزكى بواطنهم وتضمحل
رذايلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنين في قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا
واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاوليك مع المومنين **امنا بالله وباليوم الاخر** اي يوم البعث
وتوصيفه بالاخر لتاخره عن الدنيا والمراد صدقنا بالمبدا والمعاد وفيه احاطة الايمان
بطرفيه وفي تكرير الجار ادعا التعريف بكل منهما على الاصالة وما قيل فيه ايذان بانهم منافقون
مما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق فان القوم كانوا يهودا و
كانوا يومنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان
الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لم تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المومنين انهم
امنوا مثل ايمانهم ففيه بناء على ان يكون المعرف تخصيصها بالذكر في الحكاية دون المحكي وذلك
خلاف الظاهر ثم ان تمشيته ما ذكر على تقدير ان لا يكون مرادهم من الايمان بالله واليوم
الاخر التصديق بجميع ما لا بد منه في دين الاسلام والظاهر خلافه على ما مر الاشارة اليه
ثم ان بيانه بقوله فان القوم كانوا انما يفيد انهم مخطيون فيما يعتقدون انهم مصيبون فيه
لا انهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه لان الخطا لا يستلزم النفاق وذلك ظاهر

بالقول شرط النفاق الكتم وهم لا يكتمون ذلك **وما هم بمؤمنين** ما نافية عن ليس
ولهذا العقبت بالباء والضمير للمعهودين والمنفي نفيها اخلاوا اثباته ولاجل التأكيد والمبا
في نفي ايمانهم جاءت الجملة المنفية اسمية مصدرة بهم وسلطوا النفي على اسم الفاعل الذي
ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الازمان وجرد الكلام للدلالة على ما سيق له ولم يؤت
بشيء زايد عليه الا ما يشد من عضده كحرف الباء لتاكيد النفي واطلاق الايمان في سياق
النفي وكان مقيدا في الاثبات لا دعبر بجز فمن اخل ببعض ما لابد منه ليس بمؤمن اصلا لانه
لومن ببعض دون اخر والاية الكريمة لا تنهض حجة على الكرامية لانهم يشترطون في كون
الشهادتين ايمانا عدم مخالفة القلب اللسان اعم من ان يكون موافقا له وفارقا عنها
لا احتجاجهم بانه تواتر ان الرسول عليه السلام والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين
كانوا يقنعون بالكلمتين في اثبات الايمان ولا يستفسرون عن علم وتصديقه القلبي فعمله
فيحكون بايمانه بمجرد الكلمتين فعلم ان الايمان بلا علم دعوى صريح في عدم الاشتراط بها
بالقيد المذكور بلا ان كلامهم على ما دل سياق احتجاجهم في الايمان الشرعي المعتبر عندنا
في اجرا احكام الاسلام في الدنيا لا الايمان الحقيقي المعتبر عند الله تعالى المنجي عن الخلود
في النار فلا يندفع قولهم بالاجماع على ان المنافق كافر ولا بالاجماع على ان من لم يتشهد بل
فمنع مانع من خرس اخوف مؤمن **يخادعون الله** يعني رسوله فالتجوز في الاسناد تفخيما
لشانه عليه السلام وتنبيها على ان المعاملة معه فيما يتعلق بالرسالة معاملة مع المرسل في الحقيقة
وكونهم من اهل الكتاب العارفين بانه تعالى لا يخدع فلا يناسبهم قصد خداعه وانما يناسبهم
قصد خداع الرسول لانهم ينكرون نبوته كي في قرينة المجاز والمعنى يعاملون له عمل الخادع
والخداع اظهار ما يخالف الاضمار ويراد به التعريض ومنه الاخدعان لاستتارهما
تارة وظهورهما اخرى وانه مفاعلة من واحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص
وما في الصيغة من المبالغة للافصاح عن بلوغهم الغاية في وجهي النفاق لانه بيان لقوله
تابع لصلة من او لا محل له من الاعراب في موضع الاستيناف بذكر ما هو الغرض منه
كانه سئل عما اصله دعواهم وعن كيفية ما لقيهم فيه المستفهمة من ذكر الايمان بقطريه
وتكرير الباء فاجيب عنهم معا عن الاصل بالاصل وعن الوصف بالوصف وعلى تقدير
اعتبار الخداع من الجانبين يريد البيان على قدر الحاجة ويفصل الكلام عن مقتضى
المقام **والذين امنوا** يجوز ان يكون ذكر الله تعالى توطئة والمراد مخادعة المؤمنين
من قولهم اعجبني زيد وكرمه وفايدة هذه الطريقة بيان قوة اختصاصهم وكونهم من الله

تعالى

تعالى بمكان ومنه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله
وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون نفس الشيء ذاته وهي من التفاسير يقال
خادع اذا لم يبلغ مراده فلما لم يتعد خداعهم فيما قصدوا كان مخادعة ولا وقع الضرر
فعلهم على انفسهم كان في حق انفسهم خداعا اي لم يرجع وبال خداعهم الا اليهم لانهم لما سلكوا
مسلك الخداع نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل من النار فكانت مقسورة خداعهم راجعة
الى انفسهم والواو عاطفة الجملة على الجملة وما يشعرون والحال او بالعكس والشعور هو
الادراك الحسي ومشاعر الانسان حواسه الظاهرة والباطنة اي ما يحسون ان ضرر الخداع
لا يلحق الا بهم لتمادي غفلتهم فانه من شدة ظهوره كالمحسوس المشاهد فكانه لا حس لهم
اصلا وفي نفي الشعور هنا التنبيه في قوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
لانه لبيان العذر من جهتهم ولهذا التعظيم الامر على المنافقين فانهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما قال
❁ جهلت ولم تعلم بانك جاهل ❁ وذاك لعمري من تمام الجهالة ❁
في قلوبهم اثر حرف الظرف على اداة الملابسة ليدل على الاستقرار والرسوخ **مرض** اي
تردد واضطراب استعير المرض للمرض النفساني وتنكيره للتنويع اي نوع مرض ليس بمعتاد
الناس لتشبيههم بمرض لاضطرابهم في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول
ويتمردون لهم الخلاف بالقلب فكان حالهم كحال المريض اذ هو مشرف على الموت ويرجى الاقبال
منه ثانيا فاما ساير الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول ما اضمروا بالقلب
فسماهم الله تعالى موتى وسمى المؤمنين احياء لانهم اطمأنوا على الايمان قولا وعقيدة **فزادهم**
الله مرضا بتكرير الوحي وازدياد التكاليف ولا تجوز في الاسناد كما توهم من لا يرى صدور
القبيح عنه تعالى ولا يدري ان القبح بالنسبة الى الكاسب لا بالنسبة الى الفاعل واصل
الكلام فزاد الله مرضهم وانما عدل الى ما في النظم لنكتة سرية فلا دلالة في تنكير المرض
الثاني على مغايرته للاول حقيقة كيف وفي تصدير الكلام بالفاء دلالة على تفريع الثاني
على الاول **ولهم عذاب اليم** اي مولم نحو سميع وخصيب بمعنى مسمع ومخصب ذكره الراغب ووصف
به العذاب وانما وصف عذاب المختوم على قلوبهم بالعظم لانهم حرموا عن مؤدي المشاعر وحجبوا
عن عالم النور وحبسوا في سجون الظلمات فما اعظم عذابهم وان لم يحسوا بايلامهم كمعنى
الميت والمفلوج وعذاب المنافقين بشدة الايلام لان مشاعرهم غير ما وفة لعدم انطفا
نور فطرتهم والالم يعتد ادراك المولم فلمكافاة نور استعدادهم الراسخ فيهم من الرذايل
والملكات الرديه والصفات الظلمانية بالموت وكان ادراكهم لذلك اشد ايلاما وعذابهم

اقوى وانكى واذا كان عذاب الادنى لشرح محابهم وغاية بعدهم من النور اعظم لعدم منافاة
ذواتهم لصفاتهم وضعف ادراكاتهم لهم لذلك فلم يحسوا بالالم بخلاف هولا بما كانوا يكذبون
بسبب ثباتهم واستمرارهم على الكذب زيادة كان للثبات وصيغة الفعل للاستمرار التجددي وفيه
دلالة على ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم الذي هو ادنى حالهم في الكفر والنفاق فكيف
سائر الاحوال الدالة لا دلالة فيه على ان الكذب في هو الاخبار التي على خلاف الواقع يستحق به العذاب
مطلقا كيف وقد صرح في كتب الفقه ان الكذب لاحيا الحق مباح قال الامام الغزالي اذا اختفى
مسلم من ظالم وسال عنه وجب الكذب باخفايه واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على
يقول فلا محل له من الاعراب ولا باس بالفصل بينها وبين الصلة بالبيان والاستيناف لانه ليس
باجنبى فالايات على حسن تعديد قبايحهم وتوصيفهم بالاوصاف المذكورة قصدا واستقلالا لا
ويحتمل ان تكون مستانفة اذ هي عن الحلة والجملتان بعدها من تفاصيل الكذب ونتايج النفاق
الاول قولهم انما نحن مصلحون وقولهم انؤمن كما امن السفهاء وقولهم عند لقاء المؤمنين امنا
كذب محض فناسب عطف تلك جملة مستقلة وكرت لاظهار كذبهم ونفاقهم والافساد جعل الشي
فاسدا خارجا عما ينبغي ان يكون عليه وعن كونه منتفعا به وكان من افسادهم في الارض هيجهم
الحروب والفتن لمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم والظاهر
ان القايل بعض من شافههم من الرسول والصحابة والثاني اقرب قالوا انما نحن مصلحون
لما لا نفهم عن الافساد مشعرا بان فيهم افسادا انفوا ذلك عن انفسهم بادعايهم انهم مقصورون
على الاصلاح من غير شايبة افساد واتوا بانما دلالة على ذلك الحكم لدعوى ظاهر بين
لا ينبغى ان يشك فيه وفيه تنبيه على انهم يتصورون افسادهم بصورة الاصلاح
لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقوله وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا فرد الله تعالى ذلك بقوله الا انهم هم المفسدون
قصر قلب اى هم مقصورون على الافساد لا يتخطون في جملة المصلحين اصلا مع المبالغة
على ابلغ الوجوه واكدها من الاستيناف المقصود به تمكن الحكم في ذهن السامع فضل
تمكن لحصوله بعد التشويق الحاصل من ذكر ادعايهم الاصلاح على وجه ابلغ مع توغلهم
في الافساد فانه يشوق السامع ان يصدق بما حكم الله عليهم والنبوة اوجد بعد الطلب
يكون اعز مما يجى به من غير التعب وتصدير الجملة بالاداة للتنبيه والتحقيق وذلك
ان الا مركبة من همزة الاستفهام ولا اعطا معنى التنبيه على التحقيق وذلك بمعناها والاستفهام
اذا دخل النفى افاد التقرير والتحقيق كقوله تعالى اليس ذلك بقادر وتكون همزة الاستفهام

بعض

بعض المتابعة من التحقيق ينبغي ما يليق به القسم واختها التي هي اما من مقدمات القسم
وطلايعه وتوسيطهم وتعريف الخبر والاستدراك بقوله ولكن لا يشعرون وهذا اولى
من نفى العلم مطلقا المستلزم لنفى العلم الخاص لان من لا يشعر بالضروريات لا سيما بالمحسوسات
منها اولى ان لا يعلم غيرها وهذا من هذا الوجه لانه نفى مع دليل ولانه ينادي عليهم بانحطاط
رتبتهم عن رتبة البهايم ويوذن بان مساويه من اجلى المعلومات وكذلك لا يعلمون وهذا
الاخير هو الاصل وابانه في مؤيد واذا قيل لهم امنوا نهوا عن الافساد ثم امروا بالسلوك
في سبيل الرشاد وبدا بالمنهى عنه لانه الاهم وهو ترك والترك اسهل من اتيان المامور به
فكان في ذلك تدريج لهم كما امن الناس كما من في محل النصب على المصدرية وهو في الحقيقة
صفة مصدر محذوف اي ايمانا مثل ايمان الناس واللام في الناس للجنس اما الانسان الكاملون
في الانسانية من باب ذلك الكتاب واما ان غيرهم ليس بناس حقيقة لقصورهم ولخطاهم
عن رتبة الانسانية بل رتبة البهيمية وفي الاول نظر الى كمال المؤمنين وفي الثاني الى قصور
غيرهم على نحو اذ الناس ناس والزمان زمان وهذا ابلغ في هذا المقام ولا دلالة فيه على
قبول توبة الزنديق لان النفاق غير الزندقة كيف ويقتل الزنديق دون المنافق ولم يقل احد
انه في عدم قتله ذم المنافق ولا دلالة في عدم قتل الزنديق لان النفاق ثم ان دلالة التقييد
على ان في اقرار الايمان تنازعا بالكمال والنقصان على ان الاقرار باللسان نحو ايمان قالوا
انؤمن الاستفهام للانكار كما امن السفهاء لما كان المامور به شبيها اتوا بانكارهم شبيها واللام
للعهد والاشارة الى الناس والسفه خفة في البدن او في المقال يقتضيها نقصان العقل والحلم
رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل نسبوهم بارين تتبيح ما هم فيه لادايه الى الفساد
والفتنة وتبصرهم طريق الهدى والصلاح فلما كان حالهم الان سفهوهم وادعوا الى الصلاح
فيما كانوا عليه بجهلهم المركب ذما دعهم في غيهم وافراطهم في السفه واعتقادهم ان ما هم عليه
هو الحق وان ما عليه المؤمنون هو الباطل فكانوا عندهم سفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون ردع على وجه المبالغة في تجهيلهم فان الجاهل الجازم بما خلاف ما هو الواقع اشد
جهالة واعظم ضلالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعتذر وتنفعه الايات والنذر
والتفصيل بلا يعلمون لا تستقيم النظم الاعلام لا يكون الا لغاية السفه والجهل المركب ومعرفة
الحق والايمان به وكون المؤمنين على الحق وكونهم على الباطل امر نظري لا يتعلق بالحس بخلاف
الفساد في الارض ولان ذكر العلم مع السفه وهو جهل احسن طباقا واذا لقوا الذين امنوا
تعولقيه ولاقيه اذا استقبله قريبا منه بيان لمعاملتهم مع المؤمنين وما سبق بيان

مخادعتهم وتمهيد نفاقهم فلا تكرير على ان المعنى من الناس من يتفوه بالايمان نفاقا للخداع وذلك
عند لقاء المؤمنين وفيه زيادة بيان انهم عمدوا الى الخداع الاستهزاء ولا يتفوهون بالكلمة
الا عند الحاجة **قالوا آمنا واذا خلوا** من خلوت به واليه اذا انفردت معه **الى شياطينهم**
الشيطان يقال من شطن اذا ابعد لبعده عن الحق او فعلان من شاط اذا بطل ومن
اسمائه الباطل وقال الراغب من شاط اذا احترق غضبا والمراد مترددوهم وهم وشطارهم
قالوا انا معكم خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ادعاء لاحداث الايمان اذ لا يروج عنهم دعوى
التحقيق ولا يساعدهم انفسهم على ذلك اذ ليس لهم صدق رغبة ولا نفي داع وشياطينهم
بالاسمية مع التاكيد لوجود الامرين فنفي الشك والتردد عنهم في كذب قولهم امنا ح
واستمرارهم على دينهم وموافقتهم ولك ان تقول ان مقتضى المقام في الاول تجرد الكلام عن
جنس المؤكد لان التاكيد والتقوية فيه لا يخلوا عن تذكير نفاقهم من حيث باعتبار ان فيه
دلالة على انكار المخاطب وتسوئلته وهم في صدد التجنب فيه والاحتراز عن مظانه ومقتضى
المقام في الثاني تحلية به لان اظهارهم الايمان موافقتهم المسلمين في ظاهر الاحكام كان
مظنة لانكار المخاطبين ثباتهم على اليهودية **انما نحن مستهزؤن** الهزؤ السخرية من شئ
يجئ عند مناجيه ولا يجئ عند الهازي استيناف كانهم اعترضوا عليهم اه حين قالوا انا معكم
فقالوا فما بالكم توافقون المسلمين فقالوا انما نحن مستهزؤن ويجوز ان يكون تاكيدا لقوله انا
معكم لانه لما كان معنى قوله انا معكم هو انا معكم قلوبنا وتوهم اصحاب محمد الايمان وقع قوله
انما نحن مستهزؤن مقررا له لان الاستخفاف بالشئ انكار له ودفع الاعتداد به ودفع نقيض الشئ
تاكيد لثبوته او ان يكون بدلا لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاول اوجه لزيادة
الفايدة وكون المحرك للسؤال معنى قوله انا معكم في غاية الظهور **الله يستهزئ** بهم يقال هزئت
واستهزأت نحو اجبت واستجبت والصحيح ان الاستهزاء ارتياد الهزؤ وان كان قد يعبر به عنه
وكذا الاستجابة في الاصل معناها تحري الاجابة وان كان قد يجري مجراها كذا قال الراغب
لما ذكر استهزاءهم بالمؤمنين استانف الكلام اظهار السخط وانما قال يستهزئ ليدل على دوام
تجدد الاستهزاء وقتا فوقتا وفي الجملة الاسمية والخبر الفعلي مع المعنى المذكور تقوي الاسناد
لتكرره والتخصيص اي هو الذي يتولى الاستهزاء بهم خاصة الاستهزاء الابلغ الاقوى الذي يكون
استهزاؤهم بالنسبة اليه كلا استهزاء ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم **بهم** ذكر ههنا لعدم
الداعي الى الحذف بخلاف ما تقدم فان فيه باعثا لفظيا وهو المحافظة على الفاصلة وداعيا
معنويا وهو تحرجهم من ابلاغ المؤمنين وابقاء اللفظ محتملا ليكون لهم مجال التوجيه عند

الحاجة

الحاجة اليه والمعنى انه تعالى يعاملهم في الدنيا على وفق معاملتهم فانهم اظهروا الايمان وفي باطنهم
النفاق والله تعالى اظهر لهم في الحال الامان وعاقبتهم الاحراق بالنيران وعلى هذا يكون الكلام
المذكور من قبيل الاستعارة التبعية وقيل ان معناه مجازيهم في الاخرة جزاء استهزائهم والعرب
تسمي الجزاء باسم الابتدا قال عمرو بن كلثوم • الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •
وفي القران وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا النوع مخصوص بغير المشاكلة وقيل انه تعالى يجعل
المؤمنين يطلعون على المنافقين من الجنة فيقولون لهم اتحبون ان تخرجوا من النار وتدخلون
الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب من النار فيقصدونه فيغلق عليهم ثم يفتح باب اخر فيقصدونه
فيغلق ولا يزال يفعل بهم كذلك والمؤمنون يضحكون منهم قال الله تعالى ان الذين اجرموا
كانوا من الذين امنوا يضحكون الى ان قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وعلى
هذا يكون التجوز في اسناد الاستهزاء الى الله تعالى **ويمدهم** من مد الجيش وامده اذا زاده • ولحق
به ما يقويه ويكثره • لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم والحذف والايصال خلاف
الاصل والايصال الا بدليل وهنا دليل على خلافه وهو قراءة ويمدهم **في طغيانهم** الطغيان بالضم
والكسر تجاوز الشئ عن مكانه والمراد غلوهم في الكفر وتجاوزهم الحد في العتو وانما اضيف
اليهم لانه اريد الطغيان الذي عرض لهم واشتهر بصدوره عنهم فلا دلالة في اضافته اليهم
على انه فعلهم **يعمهون** في محل النصب بالحال من مفعول يمدهم او فاعل طغيانهم العمه في
البصيرة والعمى في البصر وهو التحير والتردد قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا
لهم اعمالهم فهم يعمهون **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** استئناف جار مجرى
التعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان ويحتمل ان يجعل مقررة لقوله ويمدهم
في طغيانهم يعمهون واستعيرت الضلالة وهو الجور عن القصد الذهاب عن الحق والعدول
في الدين والهدى وقد مر بيان معناه للنور الفطري والدين القيم الاصلي والاشتراء وهو
اعطاء بدل واخذ اخر للاستبدال اي اختاروا الضلالة واستبدلوها بالهدى **فما ربحت
تجارتهم** الربح الفضل على راس المال والتجارة تعاطي الامتعة بالبيع والشرا للربح وعدم الربح
كناية عن الخسران ونسبته الى التجارة في الموضع الشايع قال الراغب والربح والخسران
ينسبان مرة الى صاحب السلعة ومرة الى السلعة ومرة الى الصفقة اذ لا اشتباه فيه وحسن
تلك الكناية التي هي ترشيح للاستعارة المذكورة نظر الى وجه قوله **وما كانوا مهتدين**
اي لطرق التجارة فانها كناية عن اضاعة الطلبة الاصلية وهي سلامة راس المال لان من لم يهتد
بطرق التجارة تكثر الافات في امواله ويقع الخسران اكثر احواله وقد استبان من هذا الترشيح

انه يشتد من عقد الترشيح وزيادة كان لاستمرار النفي على ان النفي اعتبر اولا ثم قيد والتعويل في مثل هذا على القراين **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما بين اوصافهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف والتبيين فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد كانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولشانه العجيب في ابراز الحقائق المستورة ورفع الاستار عن وجوه الخفيات اكثر الله تعالى في القران وساير كتبه الامثال وفشت في كلام رسول الله عليه السلام وساير الانبيا والمثل في الاصل بمعنى النظير ثم نقل في العرف الى القول الساير المثل مضربه بمورده ولم يستعمل الا فيما فيه غرابة ولهذا لم يغير وعما ورد عليه ثم استعير للصفة والحال والقصة اذا كان لها شان وفيها غرابة فالمعنى حالهم العجيب الشان كحال المستوقد فلا حاجة الى معنى الجمع كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار واستوقد من الوقود وهو سطوع النار وارتفاع لهبها والسين للاستعمال ليس للطلب والسوال بل للاهتمام والمبالغة في الايقاد والنار جسم لطيف محرق مشتقها من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط الانارة من الضوء الذي هو النور البالغ القوي ويصدقه قوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتاليف الحول للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور واضاءت اما متعد وحوله مفعول به وما زايدة او موصوله مفعول به وحوله ظرف صلتها اي جعلت النار ضيا واما لازم مسند الى ما حوله والتذكير لمعنى اضاءت وما زايدة او حول ظرف في موضع الصلة وما موصولة عبارة عن الامكنة والموصول مع الصلة مفعول فيه وجوابه اما قوله **ذهب الله بنورهم** والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وانما لم يقل بنارهم لان في النار شيئين حرارة ونورا والله تعالى اذهب النور وبقي عليهم الحر المحذور واما محذوف دل عليه ما بعده كما حذف في قوله فلما ذهبوا به للاستطالة الكلام مع الامن من اللبس وفي الحذف ايجاز مع الايضاح عن الصفة التي عليها المستوقد بما هو ابلغ في الدلالة على المعنى من اللفظ وهو المثل كانه قال فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا متحيرين في ظلام متحسرين على فوات الضوء خايبين بعد الكدح في احيا النار وما ذكر استيناف اي جواب للسوال عن وجه الشبه لمن ظهر او بيان لجملة المثل واسناد الاذهاب الى الله تعالى لقصد المبالغة ولذلك عدي الفعل بالبا دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله تعالى وما امسكه فلا مرسل له وعدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ان يكون

الذاهب ما في الضوء من الزيادة والغرض ازالة النور عنهم راسا الا يرى كيف قرر ذلك واكده بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور والطامسة بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بالخلوص وترك بمعنى طرح وخلي وفي ظلمات متعلق به ولا يبصرون في موضع الحال او في ظلمات في موضع الحال فيتعلق بمحذوف ولا يبصرون حال ايضا اما من الضمير في تركهم واما من الضمير المستكن في المجرور او ضمن ترك معنى صير فيكون ثاني المفعولين في ظلمات ولا يبصرون حال ولا يجوز العكس لان الخبر لا يكون الحق كذا وقول الشاعر • فتركته جزر السباع ينشنه • يحتمل الوجهين لان جزر السباع وان كان معرفة يحتمل الحال كما ان ينبغي في قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني • يحتمل الصفة وان كان اللئيم معرفة والظلمة ماخوذة من ظلمه اذا منعه حقه لانها تمنع البصر من النفوذ ونفسه وظلمة تم ظلمة الجهل فظلمة الكفر وظلمة النفاق وقيل يجوز به ان يراد به النار نارا مجازية كنار فتنة او حرب فليس بقوي لان الغرض من التمثيل ابراز المعقول في صورة المحسوس ليكون شاهدا وعلى هذا التقدير يفوت الغرض منه وفي الاية دلالة على ان وجود النور شرط لرؤية الالوان لا لوجودها اذ هي تمنع الابصار فلا تخرج قوله لا يبصرون مخرجه **صم** جمع لاصم النعت من الصمم وهو انسداد خروق المسامع ومنه القناة الصما التي ليست بمخرقة وكذا افعل كان نعتا ما هو خلقة فجمعه الفعل ومثله البكم والعمي وان كان اسما ضد الافعال يجمع كالارب والارانب والاجم والاعاجم وان كان نعتا ما هو ابانة فمثل الفعل كالعجف والحجي والاحمق والحمقي **بكم** من البكم وهو الخرس وهو آفة في اللسان لا يمكن معها ان يعتمد مواضع الحروف **عمي** من العمى الاعمي في العين وجمعه العمي ومن القلبا العمي وجمعه العموم قال الله تعالى بل هم منها عمون لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما فقدت مشاعرهم ولم توجد قواهم واثبات هذه الصفات مع سلامة حواسهم تشبيه بليغ اذ شرط الاستعارة الاعراض عن المستعار له صيغا ونسيانه مطلقا وهمنا وان حذف المبتدا الذي هو ضمير المنافقين لكنه في حكم المقدر المنوي لاحتياج الخبر اليه دنظيره قوله • صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا • واما قوله • اسد علي وفي الحروب نعامة • ففي كونه من هذا الباب نظر **فهم لا يرجعون** ايجابا لان من سدت عليه تلك المشاعر لا يمكن ان يرجع جوابا لمن يخاطبه لا بالعبارة ولا بالاشارة من الرجع بمعنى الصرف لا من الرجوع بمعنى الانصراف فان رجع لازم ومتعد **او كصيب** مجرور بمضاف محذوف اي كمثل ذوي صيب **من السما** صفة في محل الجر اما تقدير المثل فلا بد للعطف على السابق واما تقدير ذوي فلقوله يجعلون اصابعهم والا فنفس التشبيه لا يقتضي

تقدير شيء اذ لا يلزم في التشبيه المركب ان يكون ما يلي الكاف هو المشبه به كما في قوله
وما الناس الا كالديار واهلها وادني الاصل التشادي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين
وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وتشبيه التمثيل كشف بعد كشف وايضاح عقب ايضاح وكما
يجب علي البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد
التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ
يرمون بالخطب الطوال وتارة ٭ وحي الملاحظ خيفة الرقباء
والصيب يقال للمطر والسحاب وفي الاية يحتملهما وتنكيره للتعظيم كتنكير النار في المثل الاول
والسماء هي المظلة وقد يطلق علي جهة العلو وهو المراد هنا وتعريفها للدلالة علي اطباق ذلك
كالصيب الاول فان كلما فوقك سما ففي تنويرها امد به ما في صيب من المبالغة من جهة التركيب
فان الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء من الشديدة ومن جهة المعنى فان الصوب
فرط الانسكاب والوقوع ومن جهة البنا فان فيعل صفة مشبهة دالة علي الثبوت ومن جهة
الفارض لان التنكير للتعظيم والتهويل **فيه ظلمات ورعد وبرق** صفة اخري في محل الجر
وظلمات مرفوع بفاعلية الظرف بالاتفاق لاعتماده علي الموصوف والمعني في اثنايه وتضاعيفه
اريد بالصيب المطر وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره جعلا كانهما فيه
بطريق استعارة كلمة في التلبس لخصوص التشبيه بتلبس الظرف به الحقيقة والظلمات تكاثف
المطر بتتابع القطر والسحاب وسحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وان اريد به السحاب ففيه
الرعد والبرق واما الظلمات فما ذكرت بعينها الا المطر فانه قد يكون وقد لا يكون والرعد
الصوت الذي يسمع من السحاب عند تمزيق الريح وهو تحريف الدخان البخار عند احتقانه
فيه بتكاثفه والبرق ما يلمع من السحاب اذا غالت اجزاؤه من برق الشيء بريقا اذا لمع ولم يجمع
رعد وبرق وان كان الجمع اشد مناسبة لقوله تعالي ظلمات واكثر مبالغة كما في قول البحتري
يا عارضا متلفعا ببروده ٭ يختال بين بروده ورعوده
لكونهما في الاصل مصدرين فان اريد العينان روعي الاصل فلم يجمعا وان اريد الحدثان
اي الابراق والارعاد فحقهما الافراد وايضا قصد التهويل المناسب للمقام بغرابة نوعهما
المستفاد من التنكير لاستعداد افرادهما المستفاد من صيغة الجمع **يجعلون اصابعهم
في اذانهم** جملة استئنافية وذلك انه لما ذكر الظلمات والرعد والبرق علي ما يؤذن
بالهول فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم من ذلك البرق فقيل يكاد

البرق يخطف ابصارهم ثم قال فكيف حالهم مع تلك الظلمات فقيل كلما اضاء لهم مشوا فيه
واذا اظلم عليهم قاموا او صفة للمضاف المحذوف في محل الجر اي ذوي صيب كما يعلم من رجوع
رجوع الضمير الي ذلك المضاف لكونه في الحكم المذكور وفي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس
في ذكر الانامل ومعناه علي ان يكون الاصابع بمعناها لا بمعني الانامل دقي العدول عن الانامل
وهو الظاهر الي المذكور نوع تقوية لتلك المبالغة ثم انه كناية عن كمال الحيرة ودهش
الدهشة فيستقيم المعني بلا حاجة الي تنزيل الكلام عن درجته البليغة حذرا عن عدم
مطابقة الواقع **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولك سقاه من
الغيم والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار لطيفة حديد لا تمر بشيء الا اتت
عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود لطافتها وهي تنقدح من السحاب اذا اصطكت
اجرامه او جرم ثقيل مذاب مفرغ من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة المسماة
دخانا والمائية المسماة بخارا حار حادي الحدة والحرارة وفي غاية الحدة والحرارة
لا يقع علي شيء الا نقب او احرق وينفذ في الارض حتي يبلغ الماء او ينطفي ويقف ومنه الحار من
من الصعق وهو شدة الصعق الصوت وقد يطلق علي كل هائل مسموع او مشاهد ويقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقري من الصواقع وهو
ليس بقلب الصواعق لاستوا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع
ونظيره جبذ في جذب وهي في الاصل اما النعت صفة الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما في
الرواية او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت** منصوب علي المفعول له والموت
زوال الحياة **والله محيط بالكافرين** جملة اعتراضية لا محل لها واحاطة الله بالكافرين
مجاز معناه انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط **يكاد البرق يخطف
ابصارهم** كاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه
لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع والخطف الاخذ بسرعة **كلما اضاء لهم
مشوا فيه** المشي السير المهمل واضاء ان جعل متعديا اي اضاء لهم ممشي ورجع الضمير فيه اليه
لكونه متعديا ويؤيده قراءة كلما ضاء لهم وان كان لازما وهو الظاهر كما علم ومعناه مشوا في ضوئه
او في مطرحه او به اذ كلما نار البرق فانار الطريق مشوا فيه **واذا اظلم عليهم قاموا** اظلم غير
متعد علي الظاهر ويحتمل ان يكون متعديا من ظلم الليل ويعضده قراءة اظلم علي ما لم يسم فاعله
ومعني قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد وانما
جامع اصابكما ومع اظلم باذا لغة دواعيهم الي مكان المشي والخلاص عما هم فيه من الشدة

والحيرة وحرصهم على ماهم به متعودين الشيء الحركة فلا يسعهم الاهمال وترك
الفرصة اما الوقوف فليس كذلك لانه لايلزمهم البحث ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم وقوى لاذهب اسبابهما عنهم
زيادة الباكقوله ولاتلقوا بايديكم شاع حذف المفعول شاء واراد مع حرف الشرط لدلالة
الجواب عليه حتى لايكاد يذكر الا اذا كان مستغربا كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته
اراد ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم وفي خفوق البرق فاعماهم وفايدة هذه الشرطية
التنبيه على ان كل محنة معها منحة وان نعمة الرفع تفوق نعمة النفع ولادلالة فيه على وجود
ماينتفي لحق المذكور ولا على ان تاثير الاسباب مشروط بمشية تعالى واما ان الكل واقع
بقدرته تعالى فالتنبيه عليه بقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تقريرا لما تقدم ولا
اختصاص للشيء بالموجود كيف وهو اعم العام يقع على الواجب والممكن والممتنع نص على ذلك
سيبويه حيث قال في كتابه ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه وخص ههنا بالممكن بدليل العقل
وقرينة القدرة اذ القدرة هي مبدا الافعال المتضادة على نسبة متساوية والواجب
راجح الوجود والممتنع راجح العدم فلايمكن تساوي الطرفين الذي هو شرط تعلق القدرة
الا في الممكن وكانه قيل على كل شيء ممكن قدير ثم انه في الاصل مصدر شاء الا ان اطلاقه بمعنى شيء
لايستلزم الوجود في الجملة لان متعلق المشية قد يكون زوال الوجود وعدم الايجاد ه
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته والقادر هو الذي يصح
منه الفعل والترك واما الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فهو المختار ولايلزمه ان
يكون قادرا لجواز ان يكون مشية الفعل لازمة لذاته وصحة الشرطية لاتقتضي وجود
المقدم واعلم انه اذكر تتميم لتمثيل شدة الامر على المنافقين شدة على اصحاب الصيب
من الحيرة والخوف والدهشة بحيث اذا صادفوا خفقة من البرق وانتهزوها فرصة
مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطوات يسيرة وان انطوت وانطفت حبسوا عن
الحركة وبقوا متحيرين خايفين ثم ان التمثيلين المذكورين جاز ان يكونا مفردين الا ان
الاصح الافصح الذي عليه الفحول من علماء البيان ان يكونا من التمثيلات المركبة لا بان يلاحظ
لكل جزء من اجزاء الجملة الممثل لها فرد في شيء مشبه به من اجزاء الجملة الممثل بها
مفردة كما في قول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
بل تشبه هيئة حاصلة من اشياء تضامت وتلاصقت وصارت شيئا واحدا باخرى مثلها
من غير مراعات افرادها والنظر الى تشبيه هيئة حاصلة بشيء من هذه بشيء من تلك

فان الغرض تشبيه حال المنافقين في حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة
الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من يكابد شدة امر عند انطفاء ناره بعد
ايقاده ورجا الانتفاع بها والاهتدي باضايتها او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت يا ايها الناس التفت من الغيبة الى الخطاب
لان الكلام السابق كان في تعداد فرق المكلفين وحكايات احوالهم وبيان مآلهم ويناسب
اسلوب الغيبة واما هذه الاية فتضمنت بامر وتكليف وحق الاوامر والنواهي ان يسلك
فيها مسلك الخطاب خصوصا اذا كان ما كلف به مما فيه مشقة فان فيه جبر الكلفة
الكلفة بلذة المخاطبة والندا لاحضار الغايب وتنبيه الحاضر وتوجيه المعرض وتفريغ
المشغول وتهييج الفارغ ويا حرف وضع في اصله لندا البعيد واستعماله ههنا في ندا
القريب لبعض ما خوطب به معنى وقد يستعمل لندا القريب الغافل الدلالة على ان الخطاب
المذكور بعض معنى به جدا واما ندا الداعي المتضرع لربه بقوله يارب مع علمه بانه
اقرب اليه من حبل الوريد فلهضم نفسه واقتصار الها واستبعاد امن مظان القربة
والزلفي واي وصلة الى ندا ما فيه الالف واللام لتعذر الجمع بين حرفي التعريف وهو
اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه من اسم جنس او ما يجري مجراه صفة له حتى يحصل
المقصود بالندا وكلمة التنبيه معاضدة حرف الندا تاكيد معناه ووقوعها عوضا عما
يستحقه اي من الاضافة والناس صفة لاي وجب رفعها خاطبهم مقبلا عليهم بالندا
لان فيه هزا لما يلقيهم اليهم من امر العبادة له اعبدوا قد مر تفسير العبادة والامر به
يعم افراد المكلفين لان اسم الجمع المحلى باللام للعموم حيث لاعهد وما روي عن علقمة ان
كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي ان صح فلا يوجب تخصيصه بالكفار وليس المراد احداث
العبادة خاصة بل ما يعمه والمواظبة عليها فان هذا هو المناسب للمقام وان كان
الاول هو المتبادر من الكلام والعبرة في الكلام البليغ بمقتضى المقام لا بما يتبادر الى
الافهام واعلم ان النبي عليه السلام بعث بدعوة الكفار الى الايمان وورد في ذلك
نصوص وانهم اجبروا في بعض النصوص بان العبادة لاصحة لها بدونه وبعد هذا المرهم
بالعبادة في هذا النص وغيره وان ورد مطلقا عن قيد الايمان لفظا لكنه مقيد به
معنى بحكم النص المخبر عن اشتراط صحة العبادات بالايمان وليس في ذلك امر بالايمان
في ضمن الامر بالعبادة حتى يلزم ايجاب الاصل تبعا لايجاب الفرع فيما في حكم الاصالة ربكم
عبارة الرب صاد قصحرها اذ هو السيد والمصلح ومن كان مالكا ومصلحا احوال العبد

بان
يلقيه

يجدر ان يعبد ولا يشرك به ولما امر بعبادته وهي موقوفة على معرفة موجوده تا
ان يذكر من الاوصاف ما يتضمن الدليل على وجوده • واستحقاقه العبادة فقال الذي
خلقكم فالتوصيف المذكور للتعليل كما هو الاصل في ترتيب الامر بالشيء على الموصوف
والموصول وفي التعليل المذكور باعتبار تضمنه الاشارة الى ما لا قدرة له على الخلق
والايجاد لا استحقاق له للعبادة تعريض للمشركين حيث عبدوا ما لا قدرة له على
شيء وما قيل على تقدير ان يكون الخطاب للمشركين يكون الوصف المذكور للتخصيص
وهو منشأ عدم فهم معنى ربكم فان المعنى المتبادر منه الرب المشترك فيما بينهم
وليس ذلك الا الله تعالى لانهم ما اتفقوا على واحد من معبوداتهم الباطلة فاذا الامر
في معنى ربكم فلا حاجة الى مخصص واصل الخلق التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها
وسواها بالمقياس والمراد ايجاد الشيء على تقدير واستوا والذين من قبلكم ذكر
خلق من قبلهم لانهم اصولهم وخلق الاصول انعام على الفروع وقدم خلق المخاطبين وان
تقدم خلق من قبلهم زمانا لان علم الانسان بحال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره ولانهم
المواجهون به بالعبادة فتنبيههم اولا على احوال انفسهم اهم واكد وبدأ اولا بصفة الخلق
اذا كانت العرب مقرة بان الله تعالى خالقهم وهم المخاطبون وقلت ان تقول اخرجه مخرج
المقر المعلوم اما لاعترافهم به كما افصح عنه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله او مبالغة في ظهوره حيث نزل لتمكنهم من العلم به بادنى نظر منزلة
المعلوم ومن دخلت من على الزمان اذ التقدير من زمن قبل زمان خلقكم وقرئ من بفتح
الميم على انه خبر مبتدأ محذوف وهو صدر الصلة تقديره والذين هم اناس من قبلكم وحذف
صدر الصلة كثير الدور في الكلام وفيه تأكيد ابهام يتضمن التنبيه على ما فيه التفخيم
على انه خلق من قبلهم ادخل في القدرة وعلى هذا تكون من موصوفة ومن قبلكم صفتها ويحتمل
ان يكون موصولا متمما كالخرم ثم يخرياتم هدى لعلكم تتقون اي يجعلون العبادة
وقايتكم ولعل فيها لغات ولم يجيء في القرآن الا افصحها وهي للترجي والاطماع وذلك
بالنسبة الى المخاطبين والمعنى اذا عبدتم ربكم رجوتم حصول التقوى وهي التي تحصل
بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار فتعلقت جملة الترجي باعبدوا ربكم وقيل تعلقها
بخلقكم ولا يخفى ذلك لان الذي سيق الكلام لاجله هو الامر بالعبادة وذكر الموصول
وصلته لما قصد بالتبع فلم يجيء الموصول ليحدث عنه وكذا صلته كيف وهي لتتميم ما قبلها
فلا يناسب ان يتعلق بها ما ترجح بخلاف اعبدوا فانها الجملة المفتتح بها اولا والمطلوبة

من المخاطبين واذا تعلقت باعبدوا انما يناسب خطاب لعلكم الذي نصب على انه صفة بعد
صفة ولزوم توسيط الاجنبي بين الوصفين لا يضعفه لانه اولى من توسيط بين الموصوف
والصفة الواقع في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض او على المدح او
رفع عليه او على انه خبر مبتدأ محذوف او بالابتداء وخبره فلا تجعلوا وفيه ضعف لمعنى
الصلة فلا يناسب دخول الفاء في الخبر وللربط بالاسم الظاهر جعل الجعل ههنا بمعنى
التصيير فيتعدى الى مفعولين ثانيهما فراشا لكم فيه منة على عباده وفي تقديمه اشارة
الى عزة عبده وتفضيلهم عند باقي المخلوقات حيث خلق السموات والارض لاجلهم خاصة
الارض فراشا الفراش والمهاد والبساط متقاربة المعاني والمراد ما يفترش وفيه
اشارة الى ان الارض لم تخلق مبسوطا بل خلق على وضع اخر ثم بسطت على ما افصح عنه قوله
تعالى والارض بعد ذلك دحاها ومن ظن ان فرشا حال فقد اشتبه عليه حقيقة الحال
والسماء بناء سقف وسمي به المبني وانزل عطف على جعل من السماء متعلق بانزل وفي موضع
الحال فيتعلق بمحذوف والمعنى من جهة السماء لان الاصل الذي لا يعدل عنه الا بصاد
ان المعرفة اذا اعيدت تكون الثانية عين الاولى ومن الابتداء ماء هو جوهر سيال
يضاد النار برطوبته وبرودته وتنكيره للتنويع يعني انزل من السماء نوعا من الماء اشارة
الى ان في ذلك الجنس ما لم ينزل من السماء وهو ما يحدث في الارض بطريق الانقلاب من الهواء
وغيره فاخرج به الخروج في الاصل الانفصال من الحصن الى العرصة ويلزمه الظهور
وانما عطف على انزل بحرف التعقيب وان كان متراخيا عنه لسرعة خروج النبات
بالمطر فكانه لم يتخلل بينهما زمان تصويرا لسرعة قدرته تعالى في توسيط الاسباب حكم
ليس في الانتساب به ثم انه تعالى جعل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الارض فان اكثر
ما يخرج من الارض بما ينزل من السماء ليعلم ان منشأهما واحد لانه لو كان منشأ احدهما غير
الاخر لم تتصل منافع هذا بمنافع الارض على بعد ما بينهما ولتوهم خلاف احدهما للاخر
فلما دل هذا على منشأ واحد لا شريك له فلا تجعلوا له اندادا من الثمرات الثمر اصلها
الزيادة والنماء يقال ثمر الله ماله اي زاده وكثر وحمل الشجرة يسمى به لهذا وجمع ثمرة وجمع
الجمع التي هي للتجديد ثمار الا بالطلاق يجمع على اللام ثم الثمار يجمع على الثمر كالحمار يجمع على الحمر
وهذه جموع تكسير وجموع السلامة هو الثمرات والمراد بها ههنا الماكولات كلها من
الحبوب والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر وقد بسط الله تعالى ما اختصره
في هذه الاية فقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه

خضر انخرج منه حبا متراكبا وقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده
صريح في عموم الثمر لان الحصاد انما يكون للزرع واللام لتعريف الجنس وانما جمع لاختلاف
انواعه ثم انه جمع الصحيح انما يكون للقلة اذا لم يعرف باللام فلا حاجة الى ان يقال
ان الجموع يتناوب بعضها في موضع بعض ومن للتبعيض فانما يصلح رزقا لنا بعض
الثمرات المخرجة ولا يصلح للتبيين اذ لم يتقدم ما يبين رزقا مصدر فيكون مفعولا
له ويحتمل ان يكون بمعنى مرزوقا فينتصب على الحال وعلى الاول تكون الكاف في لكم
مفعولا به واللام تقوية لتعدي المصدر اليه وعلى الثاني تكون في موضع الصفة
فتعلق اللام بمحذوف اي كائنا لكم ولا يمتنع عكس ذلك ويجوز ان يتعلق باخرج
فلا تجعلوا لله اندادا ند الشيء مشاركه فيما يخصه وذلك ضرب من المماثلة فان
المثل يقال في اي مشاركة كانت فكل ند مثل ولا ينعكس ولما كانوا اتخذوا اندادا
جاء النهي عن جعل الانداد لله تعالى على حسب الواقع والاظهر في النهي ان يتعلق بجعل ند له
تعالى وهذه الجملة متعلقة بالذي على ما جعلناه خبر مبتدا محذوف اي هو الذي
من عليكم بانواع النعم العظام من خلق السما سقفا مرفوعا وجعل الارض فراشا موضوعا
واخراج النبات بالمطر رزقا مجموعا فلا تجعلوا له اندادا وانما عدل الى الظاهر
نعيا عليهم بان جعلهم له اندادا جعل الانداد لذات موصوفة بصفة لا شريك له
فيه فان الشركا يجوز ان يكون متعلقا بقوله اعبدوا ربكم والفا للسبب اي بسبب
حسن ايجاد هذه الآيات الباهرة النهي عن اتخاذكم الانداد ولولا هذا الاعتبار لكان
الانسب عطفه بالواو كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به ويجوز ان يكون
نفيا منصوبا باضمار ان على جواب الامر كما في زرني فاكرمك لا يقال شرط انتصاب
المضارع باضمار ان في جواب الامر هو كون الاول سببا للثاني منتف ههنا
لانه يجوز ان يكتفي بسببية الاول للاخبار بمضمون الثاني كما اكتفي بسببية الشرط
للاخبار بمضمون الجزاء في قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وانتم تعلمون
اي والحال انتم من اهل العلم على ان تعلمون من الافعال المنزلة منزلة اللازم فلا
يقدر له مفعول ويجوز ان يقدر له المفعول على ان المعنى وانتم تعلمون امتناع الندا
وانها لا تفعل مثل هذه الافعال وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتنبيه على
قبح فعلهم لان مرتكب القبيح مع علمه بالقبح اعظم جرما لا تقييد الحكم وتخفيفه به
فان العاقل والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف وانما خصصنا التوبيخ بالعالم

الاخير لان الظاهر ان المراد على الاول النهي لترك الانداد ووجه ذلك انه التلطيف
بعد التغليظ اذ دخل في الاسماع واهون على الاصغاء من التغليظ بعد التغليظ الا ترى
كيف وصى رسوله اذ ارسل الى عدوه وقال فقولا له قولا لينا وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل
الى العلم بها عقبه بذكر ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز
بفصاحته وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله ثم انه سلك مسلك
الاطناب حيث لم يعترف وان اراد سوق الكلام على وفق حالهم وتنبيها على توغلهم في
الارتياب واستمرارهم على ذلك واستقرارهم فيه وتضمينا للنعي عليهم حيث بلغوا
النهاية فيما لا يجوز لاولي الالباب الوقوع في بداية وهل هذه الا غاية الغباوة والغرور
واتى بكلمة الشك مع تحقق الريب على خلاف الظاهر تكميلا للنعي عليهم بتنزيل حالهم
المحقق منزلة المقدر للتنبيه على ان مثل هذا الحال حقيق بان يبعد من قبلنا نفرض
كما يفرض المحال والتنكير في ريب للتحقير وفيه تنبيه على ان وضوح دلايل الاعجاز في
المنزل المذكور بلغ الى حد لا ينبغي ان يعرض فيه ريب الا على وجه القلة ومن يحتمل ان
يكون لابتدا الغاية والسببية وما موصولة اي من الذي نزلناه والعائد محذوف نزلنا
ولا دلالة فيه على نزوله منجما في اوقات مختلفة لان مبناه على ان يكون التضعيف
للتكثير وذلك في المتعدي نحو جرحت وقطعت ولا يكون في اللازم الا نادرا نحو موتت
المال وموتت اذا كثر ذلك فيه وصح ان يجعله متعديا كيلا يلزم الجمع بين معنى التضعيف
وذلك غير جائز وفيما نحن فيه لابد من معنى التعدية فلا مجال لارادة معنى التكثير
والتعبير بما نزلنا دون القرآن للتنبيه على ان الريب فيه باعتبار ذلك الوصف
والعبادة لما كانت اشرف الخصال والتسمي به انفس الحظ قال الشاعر
لا تدعني الا بيا عبدها ❊ فانه اشرف اسمائي ❊ سمى نبيه عبدا واضافه الى نفسه تنويها
بذكره وتنبيها على انه مختص به ومنقاد لامره لا يخالفه فكانه يقول على الرسول الذي كما
يعلمه من عندنا وقد شاركه عليه السلام في ذلك التشريف بعض الانبياء عليهم السلام انما
اختصاصه عليه السلام في تسميته بالعبد المطلق فانه لم يسم غيره الا بالعبد المقيد
باسمه كما قال واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب وغيرهما وذلك لان كمال العبودية
ما تهيأ لاحد من العالمين الا لحبيبه عليه السلام وكمال العبودية في الحرية عما سوى
الله تعالى وهو مختص بصنف الكرامة كما انعم الله تعالى عليه بذلك فقال اذ يغشى السدرة

بلغ

ما ينبغي بازاغ البصر وما طغى فلما اختص بهذه الحرية اكرم باسم العبد المطلق كما قال
فاوحى الى عبده ما اوحى وقرى على عبادنا يعني النبيين الذين انزل عليهم الكتب وفيه
تنبيه على ان من شك في القران مع ظهور اعجازه ان يراد من اخبر بنبوة محمد عليه السلام
وبشر بمجيئه من الانبيا كيحيى وعيسى عليهما السلام والامر في فاتوا للتعجيز كما في قوله تعالى
فات بها من المغرب والفا الا انه جواب الشرط وبعد وقلبها الا اتوا الالف محتمله والهمزة
صارت الكسر ما قبلها وسقطت همزتها كراهة التقا الهمزتين وثبتت اليا كما في قوله
ثم ايتوا الا انه يوقف على ثم ويبدا ايتوا ولاتثبت في قوله فاتوا ذي قوله واتوا النذر الفعل
بين الفا والكلمة وكذا بين الواو والكلمة والسورة ماخوذة من قولهم سار يسور اذا
ارتفع وعلا وسمي الجدار المحيط بالمدينة سور الارتفاعه فالسورة من القران مجموع ايات
متصلة ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم في تغايرها السائر السور وهي بالكلام
تناول باقصر السورة وهي في القران سورة الكوثر وهي ثلاث ايات قصار وهذا ابلغ الزام
وانقطع لاهل الخصام فقد كان التحدي اولا بالاتيان بمثل كل القران بقوله فاتوا بحديث
مثله ثم اخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور مثله بقوله قل فاتوا بعشر سور مثله ثم لما ظهر عجزهم
عنها ايضا تحداهم بسورة من مثله بقوله فاتوا بسورة من مثله وقد عجزوا عن ذلك
كله من مثله في محل الجر صفة لسورة اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلناه والمعنى
ان كنتم في شك مما انزلنا على عبدنا بحسن استعداده في كمال العبودية بانعام الوحي ومن
نعمة القران في انه من عندنا زاعمين ان معارضته بايراد المثل مقدور للبشر على ما افصح
عنه قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا فاتوا بسورة
من مثله اي مثل المقدور البشري في زعمكم وقد افصح عن هذا المعنى في التحدي بعشر
سور والا القصد الى هذا الكلام الظاهران يقال فاتوا بمثل سورة منه ورجوع الضمير
المنزل عليه لا يناسب المقام ولا الكلام اما الاول فكما عرفت فيما تقدم ان المقام مقام
توسيع دائرة التحدي حيث نزل من التحدي بكل القران الى التحدي بعشر سور ثم الى التحدي
بسورة فلا يناسبه التضييق باشتراط ان يكون الاتي به اميا في هذه الصورة دون
الصورة السابقة واما الثاني فلان قوله وادعوا شهداكم من دون الله في معرض
وادعوا من استطعتم من دون الله من قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين في قولكم ان الله منزه اختلقه محمد عليه

فهو شامل لسائر الكتب الالهية ايضا حقيقة اوحكما ويجوز مم

لوح

السلام

السلام من عند نفسه فاعانه عليه قوم اخرون فهو امر بان يستعينوا بكل من يعينهم على ذلك
في زعمهم فعلى هذا الاوجه لاشتراط المذكور وايضا لا بد من اعتبار قيد المماثلة بين المنزل
والماتور باتيانه وعلى تقدير عود الضمير المذكور الى المنزل عليه يلزم ان يكون الكلام خاليا عن
ذلك القيد المهم والشهدا جمع شهيد معناها على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما اعوانكم لانه
الشاهد كالعون له في استخراج حقه والمراد من الدعاء الاستصراخ وكلمة دون لفظ
مكان والمراد منها معنى غير وهي في الاصل اسم ولهذا دخله الخافض فخفضها وكثيرا ما يستعمل
استعمال الحروف مجردة عن اللام الذي هو للتعريف والتنوين الذي هو التنكير وهما من خصا
الاسما لانها تفيد المعنى في غيرها كالحروف فاجريت مجراها لذلك ان كنتم صادقين
في زعمكم السابق ذكره والصدق الاخبار المطابق للواقع هذا اذا كان وصفا للمتكلم واما
اذا كان وصفا للكلام فهو الخبر المطابق للواقع ولما كان الامر المذكور امر فضحكم وتعجيز اخبر انهم
ليسوا قادرين على اتيان الماتور به بقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لما ارشدهم الى
الدليل الذي يتبين لهم امر النبي عليه السلام وصدقه وكون ما جا به حقا صرح بنتيجته
لاستلزامه نفي اللازم وهو امتناع معارضته نفي الملزوم الذي هو انتفا الريب فلزمه تصديقه
والايمان به والا استوجبوا اشد العذاب وانما اورد الفعل في موضع الاتيان لانه ما من شيء
من الاحداث الا يصح ان يعبر به عنه وذلك لما ذكره الراغب ان معناه اعم من معنى سائر الافعال
من العمل والصنع والاحداث فالمعنى فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله
ولا يخفى ما فيه من حسن الايجاز واتى بكلمة ان دون اذا لعدم تحقق الشرط اما تهكما به واما بنا
على ظنهم قبل ظهور العجز عن المعارضة ولم كلمة نفي تدخل على المستقبل وتجعله بمعنى الماضي
ثم دخول ان وهي للشرط يجعله بمعنى المستقبل فكانه فيه اشارة الى انقلاب حال المخاطبين
ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانه اعتراض قبل تمام المرام وهو من محاسن الكلام اثاره لهممهم
ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ ومعناه لستم بفاعلين ذلك ابدا لان لن لتاكيد النفي في المستقبل
فيشاركه لا في نفيه وبيانه في التاكيد والتشديد واختلف في اصله فقيل لا ان وقيل لا
ابدلت الفه نونا والظاهر انه حرف منتصب براسه كما هو قول سيبويه واحدى الروايتين
عن الخليل وفيه دليل على صحة نبوته عليه السلام حيث اخبر عن الغيب على ما هو به وقيل انه
من باب الكرامة ولا اختصاص لها عند اهل الحق بالانبيا واما الاستدلال بعدم كونه عليه
السلام شاكا في امره فمما لا وجه له لان مبنى الدلالة على صحة دعواه على ثبوت عصمته عن
الخطا وهو فرع نبوته فاثباته به مصادرة فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

جواب الشرط وكني به عن ترك العناد تقريرا للمكني منه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد
مع الايجاز وذلك ان من عاند بعد وضوح الحق له استوجب العقاب بالنار واتقاء النار
من نتائج ترك العناد والنار هي نار جهنم وقيل النار مجاز عن العناد وهذا اشد تهويلا
لما فيه من ابراز العناد في صورة النار بخلاف الاول فان النار على حقيقتها والتهويل
انما جاء من انابة اتقاء النار مناب ترك العناد ثم ان الامر بالاتقاء ابلغ من الامر بالترك
فهي النهي عن ملابسة العناد وتعريفها بانه ظ ان تلك النار كانت معلومة للمخاطبين اسماعا
من النبي عليه السلام بالذات او بواسطة المؤمنين وايضا هذه الاية مدنية فنزولها
بعد نزول قوله نارا وقودها الناس والحجارة لانها مكية فصح تعريفها لكونها معروفة
قبل ذلك ضرورة ان المكيات لنزولها قبل الهجرة متقدمة على المدنيات النازلة بعدها
وللتفظيع شان العناد وهو وصفا للنار بقوله التي وقودها الناس والحجارة وكون
الصلة معلومة انما اشترط في غير مقام التفخيم والتهويل الا يرى الى قوله تعالى
فاوحى الى عبده ما اوحى والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم اتقادها وقيل هما مصدر
والاول اسم وقد جاء المصدر بالفتح والاسم بالضم وقرئ بهما والظاهر المناسب لبلاغة
القران ان يكون المراد به المصدر على ان المجاز عقلي فان الغرض وهو المبالغة في التهويل
تحصل على وجه اتم والكلام المصير الى حذف المضاف تنزيل لشان التنزيل والناس
ههنا هم الكفار والحجارة جمع حجر كالجمل والجمالة وهذا جمع على غير قياس والقياس فيه
الاحجار كالنجر والانجار وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما ظ انما اخرجه ابن جرير
في تفسيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه على ما اخرجه البيهقي في البعث والنشور انها
الحجارة الكبريت وانما خصت من بين انواع الاحجار لانها اسرع وقودا وابطأ خمودا
وانتن رائحة واكثر دخانا واشد حرا والصق بالبدن والظاهر ان مرادهما بيان
الواقع لا تفسير المراد ههنا من لفظ الحجارة فلا يتجه انه تقييد للمطلق بغير دليل
فهي على اطلاقها فلا يفوت ما قصد به من تهويل شان تلك النار وتفاقم لهبها حيث
تتقد بما لا تتقد به غيرها واما احتمال ان يراد بها الاصنام فيأباه العموم المستفاد
من قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فان بعض ما عبدوا ليس
من جنس الحجر وسائر وقودها الناس والحجارة اي تلك النار لا تتقد الا بهما **اعدت**
ان الاعداد وهو التهيئة والارصاد اكثر استعماله بالموجود وقد يستعمل فيما هو في معنى
الموجود كما في قوله تعالى اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما فدلالة الاية على ان النار مخلوقة

الان

الان كما هو مذهب اهل الحق ثبت بقرينة **للكافرين** ختم بما وقع به البدء اي اتفق ا
الكفر الموجب للنار فانما اعدت للكفار والجملة استيناف نحوي عطف وبشر على لفظ المبني
المعطوف عليه وقيل صلة منفصلة بلا عاطف بينهما الا قياس ما يقع في الاخبار والصفات وفي
قوله تعالى في سورة ال عمران واتقوا النار التي اعدت للكافرين واما العطف بترك العا
فتجويزه يؤدي الى الالباس في مواضع الفصل والوصل ودلالة لام الاختصاص على ان
اعدادها للكافرين لا يلزم من ذلك اختصاصها بهم كما لم يلزم من اختصاص اعداد
الجنة للمتقين ان لا يدخلها غيرهم فلا حاجة الى ان يقال ان النار التي وقودها النا
والحجارة هي للكفار خاصة ولغيرهم نار غيرها **وبشر الذين امنوا** البشارة في اللغة اسم
لخبر يغير بشرة الوجه مطلقا سرا كان او حزنا الا انه غلب استعمالها في الاول وصار
اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره واعتبر فيه الصدق على ما نص عليه في الكتب
الفقهية فالمعنى العرفي للبشارة الخبر الصادق السار الذي ليس عند المخبر به علمه
والمامور بالتبشير على قراءة بشر على لفظ المبني للفاعل الرسول عليه السلام والاوجه
التعميم اي لكل من يقدر على البشارة من غير تعيين لما عرفت ان مدار البشارة على الصدق
فحقها ان يكون المبشر صادقا ومصدقا كانما الكلام في امر التبشير على كل قادر عليه ولا ضي
على اعظمهم واصدقهم ليكون ذلك اوثق عند المبشرين واقطع في الاخبار بهذه البشارة
الجليلة وفيه من التعظيم لامر البشارة والمؤمنين ما لا يخفى والجملة معطوفة على ما قبلها
عطف قصة على قصة بينهما جهة جامعة بحيث يقتضي ان يتبع ذكر احدهما بذكر الاخرى
توفية لحق الكلام ورعاية لما يقتضيه المقام وذلك ان قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا
خطاب عام يشمل الفريقين الموافق والمخالف ثم ان قوله وان كنتم في ريب مختص بالفريق
الاول ومتضمن الانذار وان قوله وبشر الذين امنوا مختص بالفريق الثاني ومتضمن
البشارة كانه اوحى الى نبيه ان يدعو الناس قاطبة الى عبادته وتوحيده وتصديق رسوله
ثم امره ان ينذر من ابى وعاند ويبشر من امن وعبد وهذا هو المعتمد وقيل معطوفة
على مقدر يقتضيه اعدت اي فانذر الذين كفروا باهلاك النار وبشر الذين امنوا وعلى هذا تكون
الواو فصيحة كما في قوله تعالى واهجرني مليا اي فاحذرني وقيل معطوفة على قل مقدر
قبل يا ايها الناس اي قل كذا او كذا وبشر المؤمنين ولا يأبى عن ذلك قوله وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه قد جاء في كلام الله تعالى في غير موضع منها قوله قل من كان
عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك قالوا كان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى

كانه قال فلما نكلت بمو وجاز ان تكون معطوفة على قوله فاتقوا على انه ليس جوابا للشرط
بل هو محذوف وهذا امر مرتب عليه فيكون هذا تقدير الكلام اذا تبين عجزكم عن المعارضة
فقد صح عند المعاند والموافق صدقه واذا كان كذلك فاحذروا ايها المعاندون العقاب
وبشر يا محمد المصدقين بالثواب وعطف الامر المخاطب على الامر لمخاطب اخر ما الخطا في معه
النجاة لوقوعه قطعا في قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك وتعرف على تتميم
هذا الكلام في تفسير قوله تعالى فان تختم الايتين احد وذا اقد **وعملوا الصالحات** الصا
نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم وهي ما ورد به الامر ايجابا او ندبا من الاعمال وتانيثها على
تاويل الخصلة والتعريف للجنس لكن لم يرد بالصالحات جنس الجمع بل جميع الجنس باعتبار
التوزيع واللازم منه ان يعمل كل مكلف ما يختص به من مواجب التكليف كما في لبس القوم
ثيابهم ودخلوا مساجدهم الا ان يعمل كل واحد منهم عملا واحدا منها كيف ما كان وفي تلازم
الايمان والعمل الصالح في القران ايذان بانهما كالمتلازمين في توقف مجموع النجاة والثواب
عليهما وهذا لا ينافي كون الايمان المجرد عن العامل الصالح منجيا ثم ان بشر يتعدى الى
مفعول بنفسه والى اخر بحرف الجر وهو قوله **ان لهم جنات** وحذف منه الحرف
وهو في موضع نصب على مذهب الخليل لانه موضع جر خلافا لمن قال انه في موضع جر وهو
ابن مالك قال في التسهيل وهو تحليل الامام بكتاب سيبويه واللام للاختصاص لا
ان التخصيص بفضل الله تعالى لا بالاستحقاق الذاتي والحقيق بهم منازل عالية من دار
الثواب لا الدار بتمامها حتى يشكل بالنصوص الدالة على عدم اشتراط العمل في الدخول فيها
ولهذا قال لهم جنات دون الجنة فانها علم لتلك الدار وحمل الجنات على الجنات الثمانية
لا يلائمه مقابلة الجمع بالجمع الذي مقتضاها الانقسام والتوزيع وقد روعي ذلك
في ترتيبها السابقة ولا يجاد لوعليها ههنا لعدم التمهيد لتوزيعها ثم ان ذلك الاختصاص
مشروط بسلامة العاقبة لان الاعتبار بالخاتمة على ما افصح عنه قوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم واما الاستمرار على الايمان المقارن
بالعمل الصالح فليس بشرط والجنة في الاصل المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره
ومدار التركيب على ذلك سمي به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه وستره ما تحته ثم البستان
لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان والمراد ههنا
الغرف وهي المواضع العالية والمنازل الرفيعة من بساتين الجنة على ما افصح عنه ذلك
في قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها

الانهار خالدين فيها فان القران يفسر بعضه بعضا وتنكير الجنات للتعظيم اي جنات اي
جنات لا يكتنه وصفها ولا يدرك بالاوصاف العقلية ويجوز ان يكون المراد جنات متعددة مرتبة
في مراتب بحسب طبقاتهم ودرجات اعمالهم وعلومهم واخلاقهم **تجري من تحتها الانهار**
الضمير للجنات يعني من تحت تلك الغرف وفيه تنبيه على انها منازل عالية وقد جاء في الاثار
ان الجنة درجات والنار دركات والنهر بالتحريك والسكون المجرى الواسع والمراد
الانهار المعهودة المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير اسن فان الاصل في التعريف
العهد ولا يعدل عنه الا عند التعذر ولا تعذر ههنا اذ لا حاجة في ثبوت العهد
الى سبق نزول تلك الاية فان المخاطب بتبليغ البشارة هو النبي عليه السلام فيكفي علمه
بها باعلام من الله تعالى وفي البيان من ماء دلالة قاطعة على ان المراد بها الانهار
على التجوز فيها والاسناد **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا** صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا
محذوف اي هي او جملة مستانفة على تقدير سؤال يختلج في ذهن السامع اثمارها مثل
ثمار اهل الدنيا ام اجناس اخر فقيل من جنسها ومن الاولى لابتداء الغاية وكذا الثانية
واقعتان موقع الحال ورزقا مفعول ثان بمعنى المرزوق واصل الكلام ومعناه كل
حين او مرة رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من الثمرة قيد الرزق المطلق بكونه من
الجنات ثم المقيد بكونه من الجنات قيد بكونه مبتدا من اي ثمرة من ثمارها فصاحب الحال
الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن في الحال ويجوز ان تكون الثانية
للتبعيض اي كلما رزقوا من الجنات بعض الثمرات على انه مفعول ثان ورزقا حال
او نصب على المصدرية وليس المراد من الثمرة الثمرة الواحدة بالشخص وانما المراد النوع
الواحد من انواع الثمار بناء على انك اذا ادركت ثمرة بستانه والمراد الجنس ويجوز ان يكون
بيانا كما تقول رايت منك اسدا اي رايت اسدا وعلى هذا الوجه يجوز ان يراد بالثمرة النوع
والجنات الواحد **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا والقول جملة
تشبيهية **واتوا به متشابها** اي هذا مثل الذي او كالذي رزقنا من قبل حذف حرف
التشبيه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته وانما جعل ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا
لتميل النفس اليها اول ما رات فانه لو لم يكن من جنسها لا يمكن ان تنفر منها طباعهم وتعافها
نفوسهم في اول الوهلة بادي النظر وهذا لا ينافي الغاية به فوق اللذاذة بالوفاء بعد
الوقوف على طعمه ولا يخالف ما اشتهر فيما بينهم من ان الجنة جديدة ولانهم اذا صادفوا فيها
اللذة به والنوع من جنسها كان مهموما لهم ورايته وبين ما عهدوا تفاضلا بينا

وتفاوتا عظيما عرفوا قدر النعمة وتحققوا وبلغ استغرابهم به واستحسانهم له إلى ما لا يمكن
وصفه لكونه نعمة غير مترقبة ولو كان من جنس آخر وإن فاق وبلغ غاية الحسن وراق لظنوا
أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك ولم ينجع في التفهيم وقع تلك النعمة وتكرارهم هذا القول
واستيناسهم له عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر في الفضيلة والمزية وأن ذلك
الفرق البين والتفاوت العظيم هو الذي يستدعي التعظيم بذلك ويشغلهم ويستطيعهم
ويبتهجون فرحا وحبورا ولا يدعهم يفترون ويسكنون بل يستفزهم اللذة وسرورا وعن
مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها أخرى
وأنهارها تجري في غير أخدود والضمير في به يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة لاشتمال
الكلام عليهما كقوله إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير ولو رجع إلى
المذكور لقال أولى به ويجوز أن يكون المعنى من قبل هذا في الجنة لأن طعامها متشابه
الصورة كما حكي عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي
أوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعلى هذا يرجع الضمير إلى
الرزق المطلق كما أن هذا إشارة إليه ولا يخفى أن الوجه هو الأول لعدم الملائمة في نكتة كما
للأخير والجملة اعتراضية كقوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون والواو في
ولهم فيها أزواج مطهرة عاطفة للجملة من تتمة وصف ثواب المؤمنين ومطهرة بالتوحيد
ومطهرات بالجمع لغتان فصيحتان في وصف أزواج لكونه جمع التكسير وإن كان جمع المؤنث الحقيقي
خلاف ما لو قال زوجات لسلامة الواحد فيه فلم يجز إلا المطهرات كأنه قال جماعة أزواج مطهرة
وبناء المفعول للفخم إذ فهم أن طاهرها مطهر وليس إلا الله تعالى فكونه طهارتهن أعظم من كل طهارة
فإن قيل هذا معارض بأن فيه إشعارا بسابقة التلويث بما يستقذر والكمال أن يكون
الطهارة في خلقته خلافا لما التقابل فإن المتبادر منه عرفية المقام أن تكون طهارتهن
خلقية **قلنا** نعم هو كذلك إلا أن الأول أبلغ لكونه أدخل في البلاغة لما فيه من تعظيم
المؤمنين وهو المناسب للمقام ورعاية جانب من سيق له الكلام وتطهيرهن من الأوصاف
المستقبحة في الخلق والخلق ولما كانت مجامع اللذة في المسكن البهي والمشرب الروي والمطعم
الشهي والمنكح الرضي ذكرها تعالى فيما يبشر به المؤمنين وبدأ بالمسكن لأنه أبو الاستقرار ثم
بالمشرب والمطعم لأن بهما قوام الجسد وقدم المشرب لما فيه من تشريف المكان ثم بالأزواج
لأن بها تمام اللذة والأنس ولما ذكر مجامع اللذة وذلك يقتضي خوف الزوال دفعه بقوله
وهم فيها خالدون الخلد والبقاء الدائم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك

الخلد أفإن مت فهم الخالدون وتقييده بالتأبيد بقوله خالدين فيها أبدا لقطع التجوز فإن
استعماله في الثبات المديد وإن لم يدم متعارف شائع **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة**
لما بين التوحيد وأثبت صحة النبوة بالبرهان وهما أس أساس الدين وأصلا الإيمان وأرشدهم
إلى معرفة حقيقة القرآن وألجمهم بالتحدي ورتب الوعيد على الكفر به والوعد على الإيمان شرع
في إبطال الاعتراضات والشبهات التي طعن بها الجاحدون الجهلة كقولهم إن الله أجل قدرا وأعظم
شأنا من أن يمثل بمثل الحقيرات كالذباب والعنكبوت وقولهم إنما يستحيي رب محمد فأجابهم بما دل على أن
التمثيل أمر يستدعيه حال الممثل به أحقر كقوله وله المثل الأعلى فيلزم أن يكون الحقير المثل
الأدنى لأنها جمادات لا عقل لها ولا شعور إذ الغرض التمثيل تصوير المعقول بصورة المحسوس
وتقريب المعنى المراد في النفس ولا يعارض بالعقل في المعاني المعقولة إلا الوهم فيلجأ إلى
الحس واتباع إدراكه المعاني الكلية فإذا تمثل المعنى العقلي بصورة محسوسة أذعن له وانقاد
وقبل المعنى المراد ولهذا أكثر التمثيل في كلام البلغاء والحكماء والأنبياء وفي الكتب الإلهية
ولا يتعلق بحال المثل في الحسن والقبح بحال الممثل إلا باعتبار إليه من وجه بين الممثل به
والممثل له فإن لم يطابقا بأن لا يكون الوصف المشترك المقصود إظهاره في الممثل به أجلى وأقوى
وأشهر كان المثل به قاصرا في البلاغة منسوبا إلى الركاكة وإن كان يطابقها بأن كان المراد ما
في الممثل به أبلغ وأتم وأكمل وأعم كان المثل أجل قدرا وأعلى شأنا ولهذا كان تمثيل الله تعالى
الحقير بالبعوضة فما فوقها في المعنى الممثل له من الحقارات إلى ما هو أحقر منها كجناحها ونحوها
كما قيل أحلام الأفنى في غاية القلة والحقارة وفي نهاية الفصاحة والبلاغة كما تقول فلان أذل
قدرا من الكلب فتقول صاحبك وفوق ذلك أي في قلة القدر وقد جاء في الإنجيل تمثيل غل
الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء بإثارة الزنابير وفي كلام العرب أبصر من جراد وأسمع
من قراد ويحتمل أن يكون المراد بقوله فما فوقها العنكبوت والذباب ومما ورد في المثل مما هو أعظم
من البعوضة ولا استنكاف كما قيل فلان بخيل بدرهم فتقول إنه بخيل بدانق فما فوقه أي فضلا
عما فوقه في العظم من الدرهم والحياء انقباض النفس مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي
هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجالة التي هي انحصار النفس عن الفعل مطلقا
واستعماله ههنا لله تعالى مجاز على سبيل التمثيل أي لا يترك ضرب المثل بالحقرات ترك من
يستحيي عنها وقد جاء في الحديث إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه وفي التمثيل
من المبالغة ما لا يخفى على الفطن للتخييل وتصويرا للمعقول بالمحسوس أو القصد إلى المدرك
بالضرورة ويجوز أن يكون وقوعه في سبيل المقابلة وتطبيق الجواب السؤال فإنه لما جاء كلا

المعنى صح

الكفرة اما يستحيي رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت قابله بقوله ان الله لا يستحيي
ان يضرب وهو في كلامهم نوع بديع وفن عجيب يستحلونه ويرتضونه لمراعات المشاكلة وضرب المثل
صنعه واعتماله من ضرب اللبن وضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر والاستحيا يتعدى بنفسه
وبمن فعلى الاول يكون ان يضرب منصوب المحل على المفعولية وعلى الثاني يكون مجرور المحل
بتقدير من او منصوب بنزع الخافض حذفا وتعدية الفعل اليه بنفسه ومثلا مفعول ليضرب
وما ابهامية تزيده شياعا وعموما وابهاما وسدا لباب التقييد او
مزيدة للتاكيد كما في قوله فبما رحمة اي مثلا حقا وبعوضة منصوب بدلا او مفعول به وقيل
عطف بيان لمثلا وفيه انه لا يكون في النكرات عند الجمهور ومثلا حال متقدمة عليها لتنكرها
او مفعولان ليضرب اجرائه مجرى جعل وصير وان رفعت بعوضة فما موصولة حذف
صدر صلتها كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن بالرفع او موصوفة كذلك اي صفتها جملة حذف
المبتدا فلما كان الوجوه الاربعة المذكورة في بعوضة بالنصب وجه اخر اغرب وافصح وهو
ان تكون ما استفهامية مبتدا خبره بعوضة اي بل البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي مما
دينارا ولا دينارين والبعوض من البعض كالقطوع والخموش من القطع والخمش ومعنى البعض القطع
كالبضع والعضب ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه وهو في الاصل صفة غلب على هذا النوع **فما فوقها**
عطف على بعوضة او على ما ان جعل اسما **فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم** اما حرف
التفصيل وفيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء يفيد الكلام توكيدا تقول زيد ذاهب فاذا
اكدت قلت اما زيد فذاهب وما بعدها انا جملة جزائية حقها ان تصدر بالفاء لولا دخول اما
عليها فاخرت الى الخبر لوجوها وجعل المبتدا لسادا مسد الشرط المحذوف لفظا ومعنى التفصيل
في اما وتصدير الجملتين به كان بين الفريقين غاية البعد والتضاد في فضل الفريق الاول
وتحسينهم في علمهم واصابة نظرهم وهدايتهم وسدادهم ونقص الفريق الثاني وتعمقهم في جهلهم
وازالة بصرهم دعواتهم وزيفهم او عنادهم ومكابرتهم لانهم بين ان لا يتفطنوا لوجه
التمثيل وحسنه وحقيقته وبين ان يتبادروا ويكابروا الا الاخرين وفيه بعد عن مقتضى
الفطرة وسقوط عن درجة الانسانية وتجاف عن الصواب والسداد وانهماكا في الغي
والفساد والحق هو الامر الثابت الصحيح في نفس الامر الذي لا يسوغ عند العقل انكاره يتناول
حق الامر اذا ثبت **واما الذين كفروا فيقولون** انما قال ذلك في مقابلة قوله فيعلمون ليقولوا
لدلالته على عدم العلم بالغ الوجوه واكمل البرهان فان صدور القول المذكور منهم يدل على فرط
الغباوة من عدم التفطن او مخالفة العلم بالمكابرة واهمال العمل بمقتضى العلم بها **ماذا**

استواع

اراد الله بهذا مثلا يحتمل ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد
الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع
النفس وميلها الى الفعل وهي نقيض الكراهة التي هي النفرة وارادة الله تعالى ليست بشهوة ولا ميل له
كارادتنا بل هي من حكمته التي تخصص وقوع الفعل في وجه دون وجه وحكمه بين علمه المقتضي
لنظام الاشياء في الوجه الاصلح والترتيب الاكمل وانضمامها مع القدرة هو الاختيار وفي قوله هذا
استركاك واستحقار كما في قول عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو
هذا ومثلا نصب على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية او على التمييز كما في قولك لمن اجاب بجواب ضعيف
ماذا اردت بهذا جوابا **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** بيان للجملتين المصدرتين باما وتقرير
لان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم والجهل به واستنكاره من
باب الضلالة والفسق الذي ازداد به الجهلة ظلمة الى ظلمتهم وفيه تسجيل على الفريقين بهداية
المحقين ورشدهم وضلالة المنكرين وفسقهم وكون كل منهما بالكثرة في القسم لا بالقياس الى الاخر
والضالين بالعدد والمهديين بالقدر والحقيقة كما قال

ان الكرام كثير في البلاد وان ... قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

فان المهديين اقل من الضالين بالعدد ولهذا قدم يضل به كثيرا وانما احتمل كونهما جوابا لماذا
اي المراد اضلال كثير وهداية كثير واراد اضلالا كثيرا وهداية كثيرا فياباه قوله فلان التمثيل
لا يناسب ان يراد به الاضلال قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون **وما يضل
به الا الفاسقين** الفسق لغة هو الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائر
ويستعمل في مجرد الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها وشرعا هو الخروج عن امر الله تعالى
بارتكاب الكبيرة والمراد بالفاسقين ههنا الخارجون عن الايمان لدلالة ما بعده عليه وقصر الخسران
عليهم وترتيب الضلال على الفسق يدل على كونه سببا في الفسق **الذين ينقضون عهد الله** صفة
الخاصة للفاسقين للذم او مبتدا خبره اولئك هم الخاسرون ويكون بيانا للفاسقين تسجيلا
عليهم بالخسران والنقض الفسخ وفك التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من
باب الاستعارة بالكناية بارادة صفة المستعار منه دون ارادته تنبيها بالرمز على ان العهد
حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين وعلى هذا لا يلزم ان يكون النقض مستعملا في معنى الابطال
منقولا عن معناه الاصلي كما ان استعارة الاسد للشجاع واستعارة البحر للعالم بطريق الكناية
لا يلزم خروج الافتراس والاغتراف عن معناهما الاصليين بل تقول معنى تلك الاستعارة ان

يكون من باب الكناية فلا راجح بمعناه الاصلي حتى يكون من خواص المستعار منه حقيقة والعهد
الموثق ولهذا قال في الوصية عهد الله الي كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه ووصفه بما يحفظ ويراعى
ويتعهد كالوصية والشرط واليمين ويقال للدار التي يراعى فيها التاريخ الذي يحفظ وهذا العهد
اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب تصديقه في الايمان على
هذا الاول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم لانهم اذا بعث اليهم رسول
الله المصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولا يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه والى ذلك اشار بقوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب من بعد ميثاقه الميثاق ما اوثق به العهد والالزام
والحلف واشتقاقه بمعنى من اوثاقه والاصل في مفعال ان يكون صفة كمعطار واولة كمراث
وقال ابن عطية اسم بمعنى المصدر لا يجمع مفعال جاء مصدرا ولا عدوه في ابنيته والضمير عائد
على العهد ان عنى به ما وثق به العهد وعلى الله او عليه ان عنى به المصدر ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لكن الظاهر انه توصيف للفاسقين بانهم يضيعون حق
خلق الله تعالى بعد توصيفهم بانهم يضيعون حقه تعالى وتضييع حقه تعالى بنقض عهده وتضييع
حق خلقه بقطيعة ارحامهم والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فكان الداعي الذي يدعو اليه ويبعث عليه امر يامر به فهو
مأمور به كما يسمى شأنا والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وان يوصل
مجرور المحل بدل من الضمير في به للاشتمال او على تقدير اللام ويفسدون في الارض بقطع
الرحم والنسل ومنع الرغيب والفتن واحداث الحروب والمرج ولذلك قصر في قوله اولئك هم
الخاسرون للخسار عليهم لاخراجهم عن مقتضى الفطرة واستبدالهم ظلمة الجهل بالنور الفطري والفلاح
بالهداية الاصلية التي هي نور العقل والنقض بالوفا والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب
بالثواب كيف تكفرون كيف للاستفهام عن الحال والمراد الانكار والاستبعاد والتعجب
وليس فيه معنى الاخبار والا يلزم الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي وللمانع امتناع وقوع الشيء
على غير حال من الاحوال كان انكار حاله نافيا للاحوال انكارا لنفس الكفر على طريق البرهاني
فيكون من باب الكناية بنفي اللازم عن نفي الملزوم فيفيد كون الكفر بالله مع العلم بالحال الاتي
ذكرها لا يتحقق في نفسه لتحقق الدليل الموجب للايمان فانها ايات بينات ولهذا كان الاستفهام
الانكاري بكيف ابلغ من الاستفهام الانكاري بالهمزة وحمل الكفر على نفي الكفران المقابل للشكر
يأباه الباء في قوله بالله لانه لا يقال كفر بالمنعم وبالنعمة بل يقال كفر المنعم والنعمة ولان تعقيب
ما ذكر ليس من النعم لا يخفى والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث

الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك
وكنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا والاموات جمع ميت
كالاقوال جمع القيل واطلاقها على تلك الاجسام من قبيل اطلاق المقيد على المطلق مجازا كاطلاق
مرسن على الانف وقيل بطريق الاستعارة للاشتراك مع الاموات الحقيقية وهي التي زال عنها
الحيوة في عدم الروح والاحساس وفيه نظر والواو للحال والمنصوب على الحال ليس فعلا واحدا
بل الجملة قوله وكنتم الى قوله ترجعون وهي وان كانت بعض اجزائها ماضيا وبعضها مستقبلا ولا يصح
كونها حالا لانه يكون فعلا مقارنا للوجود ماضيا حال عنه لكن معناها وحالكم المفهومة ونشأتكم
المعلومة عند انتقال نسبها هاالي قوله كيف تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فاحياكم
بنفخ الارواح فيكم واما خلق الارواح فلا دليل على تأخره عما ذكر بل الظاهر من بعض الاحاديث
تقدمه عليه والعطف بالفاء لادلة التعقيب لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف
البواقي ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال
في القبور ولا يناسبه التنزيل منزلة البديهي في الظهور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب وهذه الامور بعضها معلوم بالضرورة وبعضها
بوضوح ادلة العقلية جعل كالمعلوم كالبديهية لتوقع التمكن من العلم به هو الذي خلق
لكم ما في الارض لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم اما الاول فظاهر واما الثاني فبالنظر
فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم يعني ان الحكمة والمصلحة
في خلقه انتفاعكم وهذا لا ينافي التوقف في الانتفاع به على الرخصة من جهة الشرع
حتى يكون فيه دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة لان الاختصاص في البعض ببعض الطرق
بسبب بعض العوارض حتى يحتاج الى الدليل فلا ان الكل على التوزيع فان المعتبر صلاحية
الانتفاع بالفعل واراد الضمير مبتدا او تاكيدا الذي عليه ذو ان افتى مسند لله تعالى يفيد
التخصيص والتعظيم اي هو الخالق لها لا كردون غيره والمراد من الارض الجهة السفلية كما
في الارض غبارة الارض وما فيها جميعا نصب على الحال من ما في الارض وهو للمبالغة في التكثير
الاستغراق كلفظ كل في قوله واوتيت من كل شيء وقوله ثم كلي من كل الثمرات لان في الارض
ما لا صلاحية فيه للانتفاع ولا هو في معرض الاعتبار لكونه مستورا عن النظر ثم استوى
الى السماء الاستواء الاعتدال والاستقامة من استوى العود اذا قام واعتدل واستوى
اليه قصد قصدا مستويا لا اعوجاج فيه كالسهم المرسل من غير ميل الى جنب وسواه عدله
وقومه والاستواء طلب السواء والدلالة على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولكن

الابا

فما

حمل عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوي اليه بمعني استوي عليه وملك قال
قد استوي بشر علي العراق والاول اوفق للاصل والتسوية المرتبة عليه والمراد من السما
هذه الاجرام العلوية او جهات العلو فسواهن سبع سموات هن ضمير مبهم فسره سبع سموا
بيان له وقيل راجع الي السما التي في معني الجنس وسبع سموات حال وقيل جمع سماوة والوجه
الاول وقوله وهو بكل شي عليم جملة اعتراضية وكلمة ثم للتفاوت بين الخلقين وبيان فضل خلق السما
علي الارض استعيرت من معني التراخي لبعد خلق السما من خلق الارض في الرتبة ولهذا اعتضد
ووشحه بالابهام والتفسير لتنبيه عظمة ورفعة في النفس ثم قواه بالجملة الاعتراضية
لافادة ان مثل ذلك الخلق لا يكون الا عن علم تام بالغ فوق كل ذي علم عليم ثم انه مع خلق
هذه الاشيا البديعة العجيبة اقدر علي خلق ما هو ابداع منها واعجب وابعد عن الوهم والقياس
من غير سبيل الي شي عجيب فلا يبعد لعل تاخير خلق السما عن الارض بالزمان بل علي تبيين تباينهما
وتفاضلهما واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اذ ظرف منصوب باضمار
اذكر فيكون عطفا علي قوله وبشر علي الوجه الاول لعطف قصة علي قصة وما تخلل بين اجنبي
لابين تمام القصة واحسن منه انه نصب بما بعده وصحته علي ان الاوجه انه يقدر فتدبر او نحوه
بعد قوله وهو بكل شي عليم ويكون ما ذكر عطفا عليه ولما كان هذا من اجل النعم علي نوع البشر
ومن ادل الدلائل في عناية الباري بشان هذا النوع كان العطف عقيب تعداد النعم
مناسبا كما قيل فتدبر ذلك وما ذكر من النعمة خاصة فان فيها بلاغا لمن تذكر ويجوز ان
ينتصب بقالوا ويتعين ان يكون عطف قصة علي قصة متقدمة من قوله كيف تكفرون
او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا وقد سبق انها قصة واحدة في المساق والغرض
وانه لا يجب مراعاة الخبرية والطلبية في هذا الضرب والملائكة جمع ملاك في الاصل كالشمائل
في جمع شمال والحاق التا لتانيث الجمع كما في الصياقلة في جمع صيقل والخليفة فعيلة بمعني الفاعل
من خلفه يخلفه اذا قام مقامه والتا فيه للمبالغة وفي الارض خليفة وكانا في الاصل مبتدا وخبر
فصارا مفعولي جاعل من جعل المتعدي الي مفعولين بمعني صير والمعني اني جاعل في الارض
خليفة مني اي من يخلفني ويقوم باوامري في الارض وقيل منكم اي من يخلفكم ويسكن مكانكم لانهم
كانوا قبل ادم سكان الارض يخلفهم فيها ادم وذريته واستغني بذكر ادم عن ذكر ذريته كما يستغني
بذكر ابي القبيلة عنها في قولك مضر وهاشم او اريد به الجنس اي من يخلفكم وانما اخبرهم بذلك
ليعرفوا اسئلتهم وجوابه حكمة الله تعالي في قوله اني اعلم ما لا تعلمون اذ الملائكة تطلع علي
تفاصيل وجوده وخواص قواه من الافساد في الارض وسفك الدما المختصين بالقوي

الشهوانية والغضبية ولا يطلع علي خواص الهيئة الاجتماعية وعلي خواص ما فوق اطوارهم من
المعارف والاسرار الالهية او قاسوا الانس علي الجن حيث اسكنوا الارض قبل الملائكة فافسدوا
فيها ولذلك استبعدوه وتعجبوا منه وليس فيه تعليم المشاورة لانه ليس بطريق المشاورة قال
الراغب ليس قوله اني جاعل في الارض خليفة في الاستشارة لان الاستشارة استمداد في الراي
من المستشار والله منزه عن ذلك وانما هو اعلام كاعلامه ايانا كثيرا من الكائنات لمصلحة ما ولا
البشارة بوجود المجعول لانها انما تكون بالخبر السار والتقييد المذكور مقصود ههنا في ما يفصح
عنه قولهم ونحن نسبح الخ قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما لما كان قول الملائكة
مع عصمتهم ظاهر الاعتراض تاوله العلما في وجوه احسنها عندي انهم كانوا حين الخطاب
لهم مجملين وابليس مندرج في جملتهم فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل ابليس عن جملتهم بابائه
واستكباره انفصل الجواب الي نوعين فنوع الاعتراض كان من ابليس ونوع التسبيح والتقديس
كان من الملائكة فانقسم الجواب الي قسمين كانقسام الجنس اليهما وناسب كل جواب لمن ظهر عنه وكان
الظاهر المطابق للخطاب السابق ان يقولوا اتجعل فيها خليفة من يفسد فيها وانما عدلوا عنه الي ذكر
مرتبة التعجب لجعل المفسد خليفة في الارض مع قطع النظر عن معني الخلافة يعني ان تعجبهم فيها
محل الاستبعاد فابي كونهم خليفة ويحتمل ان يكون القصد تجريد التعجب عن شوب الغضب فان
في ذكرهم بوصف الخلافة تعريضا لما هو مطمح نظرهم واما قصد الاستكشاف عما خفي عليهم
من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والاستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسوال المتعلم
معلمه فياباه ما في توصيفهم انفسهم بالتسبيح والتقديس من التعريض وما في قوله اني اعلم ما لا
تعلمون من عدم البيان لما اشتبه عليهم لا يناسبه من يفسد احد مفعولي تجعل والثاني
فيها وانما قدم الاهتمام وفي تكريرها تنبيه علي ان ما كان محلا للعبادة لا يناسب ان يكون
محلا للفساد والسفك والسبك والسفح والسن والشن والصب متقاربة وبينها فروق
فالصب اعم من هذه الالفاظ والسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة
والسفح في الصب من اعلا والشن والسن الصب من الفوهة ونحوها ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك الواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الي فلان وانا احق منه بالاحسان وقوله بحمدك
في محل الحال اي ملتبسين بحمدك بمعني حامدين لك والتسبيح تنزيه الله تعالي من النقص والسوء
قولا او اعتقادا اصله من السبح وهو سرعة الذهاب في الما واستعير لمر النجوم في الفلك وجري
الفرس كما قال الله تعالي ان لك في النهار سبحا طويلا اي سعة ذهاب وسبحه عن كذا اي نزهه
والتقديس التطهير من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ثم استعمل في التطهير لان مطهر الشي

منسي عن الاقذار ومعنى نقدس لك نقدسك واللام مزيدة وقيل نقدس نفوسنا لاجلك
كانهم قابلوا الفساد بالتسبيح وسفك الدما بتطهير النفس وليس ذلك اظهار المنة
بل هو على حسب ما تقول لمجتهد يجب ان يفوض صاحبه اليه خدمة ما ينبغي انا رجل
تجربتي وانا مجد فيها وعلى ذلك قولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقال الله تعالى
عن شانه في جوابهم قال اني اعلم ما لا تعلمون فرمز ولم يصرح هاهنا الى بيان فضيلة الانسان
وما خصوا به من العلم والعمل اللذين يقصر الملك عنهما عيانا وتشاهدة وانما ابهم بيان ذا تحقيقا
ليتزودوا بالعبودية ويعرفوا ان لله وراء علمهم علما هم عنه محجوبون وكي العباد علمهم بذلك
ليزدادوا تعظيما له ويتهموا انفسهم وكان الامر بين الرتبة فيما بعد ليستقر عندهم وتثبته
ويعلموا ويعترفوا بنقصهم ولعل في كلامهم هنا جملة محذوفة يتم بها المعنى ويصح العطف
وتقديرها فجعل في الارض خليفة وسماه ادم فالواو المذكورة فصيحة وعلم ادم الاسما كلها
التعليم حقيقته فعل يترتب عليه العلم ولا يتخلف عنه وقد يطلق مجازا على [illegible] العلم
وهو الذي يترتب عليه العلم غالبا وقد يتخلف عنه وهو المراد في قولهم علمته فلم يتعلم ومعنى
تعليم الاسما انه اراه اجناس المخلوقات وبين ان هذا اسمه فرس وان هذا اسمه
بعير على ان المراد من الاسما الالفاظ الموضوعة للمعاني مفردة كانت او مركبة مخبرا عنها
او خبرا او رابطة بينهما او بين ان هذا المركوب وهذا الحرث على ان المراد منها
مسميات الاشيا وخصايصها ولا علم لنا بطريق تعليمه ادم الاسما واعلم انهم بعد ما اتفقوا
على ان دلالة الالفاظ وضعية اختلفوا في تعيين الواضع فذهب قوم الى انه هو الله
تعالى ويسمى هذا المذهب مذهب التوقيف وذهب قوم الى انه هو الناس ويسمى هذا
المذهب مذهب الاصطلاح وبعضهم الى التوزيع اي بعضه توقيفي وبعضه اصطلاحي
فان كان النزاع في الظهور لا في القطع فالظاهر من الاية المذكورة هو الاول
المذكور وعلى المذهب الثاني لا يلزم من الحاجة الى سابقة اصطلاح التسلسل لجواز
ان يعرف القدر المحتاج اليه في الاصطلاح بالترديد والقراين كما يعرف الاطفال
والله اعلم بحقيقة الحال وادم فوزنه فاعل كآزر وعازر وشالخ وفالغ ان كان
عجميا والعمل على انه مشتق من اديم الارض ان كان عربيا قال الجواليقي في المعرب
اسما الانبيا كلها اعجمية الا اربعة اسما وهي ادم وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام
وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انما سمي ادم لانه خلق من اديم الارض
اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الاسما والصفات

وورد مثله عن علي رضي الله عنه وابن مسعود اخرجه ابن جرير واديم الارض
ظاهر وجهها وقري علم على البنا للمفعول ورفع ادم ومنع الصرف للعلمية والعجمة
او وزن الفعل ثم عرضهم على الملايكة الضمير للمسميات المدلول عليها كما في قوله تعالى
ولابويه ان كان الالف واللام في الاسما للجنس او المقدرة اذ كان التعريف باللام
عوضا عن التعريف بالمضاف اليه على ان المراد اسما المسميات كما في قوله تعالى واشتعل
الراس وانما ذكر الضمير للتغليب فان المسميات العقلا ملحظة ثم للدلالة على تاخير
العرض عن التعليم وذلك لتحقيقه ويظهر فضل ادم وحجة احقيته للخلافة وقت
قوله تعالى ان كنتم صادقين فانه يدل على انهم صادقون في زعمهم انهم احقا بالخلافة
وذلك بثبوت فضل ادم في ذلك الوقت فقال انبيوني باسما هولا ان كنتم صادقين
الانبا اخبار فيه اعلام ولذلك اجري مجرى كل واحد منهما فقيل انباته بكذا كقولك
اخبرته بكذا او انباته كذا كقولك اعلمته كذا ولما كان المراد هاهنا معنى الاخبار
قال باسما ثم انه لا ينقاد انبا الا بخبر فيه خطر ففي عبارة الانبا تعظيم لشان علم الاسما
انباهم للتبكيت والرد عليهم فيما اظهروا من عدم استحقاقه الخلافة وما ابطنوا
من اولويتهم بذلك لا للتكليف لانه من باب التكليف بالمحال لانه معلق بل لان
التعليق المذكور لا يناسب التكليف وجواب الشرط في ان كنتم محذوف دل عليه انبيوني
فان قيل الصدق انما يتعلق بالخبر وهم استخبروا ولم يخبروا فكيف يصدقون او
يكذبون قلت الصدق والكذب وان كانا لا يتعلقان الا بالاخبار بالقصد الاول
ومن حيث المنطوق فقد يتعلقان بما بالقصد الثاني ومن حيث المفهوم وذلك
اذا كان الاستخبار على وجه يفهم منه معنى الخبر وقد نبهت فيما تقدم ان الامر فيما نحن
فيه كذلك فان سياق كلامهم لما كان كاشفا عن زعمهم انهم احقا بالخلافة كان
استخبارهم متضمنا معنى الخبر فان قيل الى زعمهم المذكور فاسد استفهاما التعريض
صدور ما يخالف الحكمة عن الله تعالى في شان الملايكة اعلى من ذلك لانهم عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون قلت الان قوي الاشكال وقد
ترسمنا الاشارة الى وجه الانحلال بارجاع الزعم المذكور الى ابليس والله اعلم قالوا
سبحانك تنزيه منهم له تعالى عن فعل ما لا مصلحة فيه ولا حكمة اي نبعد لك عن
فعل ما يمكن ان يكون اصلح منه واما الاستخبار بان سوالهم كان استفسارا محضا
فلا يناسب المقام لما فيه من التلبيس لانه مردود بقوله تعالى ان كنتم صادقين

على ما تقف عليه باذن الله تعالى وسبحان من المصادر اللازمة حذف فعلها
سماعا وهو علم التسبيح يجري ذكره مجرى ذكر الفعل اي نسبحك تسبيحا **لا علم لنا**
الا ما علمتنا اعتراف منهم بالنقص ولزوم الحد اي لا يمكننا الاكتساب والترقي
ولما كان قولهم لا علم لنا من باب العذر وقولهم الا ما علمتنا من باب التشكر افادة
الاية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله تعالى واحسانه
وفي وجه هذا الكلام من الحسن ما ابهر الالباب حيث قدموا بين يديه تنزيه
الله تعالى ثم اعترفوا بالجهل ثم نسبوا العلم لله تعالى واردفوا صفة العلم صفة
الحكمة اذنا بان لهم وصف الحكمة في قوله اني جاعل في الارض خليفة وقدموا وصف
العلم لان الذي ظهرت به المزية لادم هو العلم ولان الحكمة من اثاره **انك انت**
العليم الحكيم سلب العلم والحكمة عن النفس بتصرهما عليه فانما قصروهما عليه
بتوسيط الضمير وايراد اللام وتصدير الجملة بان التوكيدي الرافع للشك
والانكار لايهام كلامهم بان استخلاف ادم على خلاف مقتضى العلم والحكمة ودعوا
العلم لانفسهم وتكلمهم في استحقاقه وانكار مزيته عليهم فرجعوا عن ذلك واقروا
بان ماهية العلم والحكمة مخصوصة به دون غيره وانه محقق عندهم والحكيم فعيل
بمعنى مفعل اي محكم مبدعاته وذلك لانه لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة **قال يا ادم**
انبئهم باسمائهم ناداه باسمه العلم وكذا سائر الانبيا عليهم السلام وهو خطاب
تعريف ونادى محمدا عليه السلام يا ايها النبي يا ايها الرسول وهو خطاب تشريف
فانظر تفاوت ما بين الندائين وقال الله تعالى انبئهم يحمل من اعترضوا به
تعلمهم وتنبئهم بما تقاصرت علومهم عنه ليظهر بذلك فضله عليهم **فلما**
انباهم باسمائهم بين هذه الجملة والتي قبلها جملة محذوفة تقديرها فانباهم فالفا
المذكور فصيحة اي اخبرهم بها وعلى افضله وظهر عجزهم وقصورهم **قال**
الم اقل لكم انكار دخل على النفي فيفيد التقرير لان نفي النفي اثبات **اني اعلم**
غيب السموات والارض استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه قد جاء به على وجه
البسط لكونه كالحجة عليه واضافة غيب بمعنى في كضرب اليوم اي ما غاب
في السموات والارض والغيب ههنا ما خفي عنهم فيها وفي الاصل ما غاب عن الحس
اي الغائب المقابل للشهادة بمعنى الشاهد **واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**
عطف على الم اقل لكم لا على اعلم لانه ما كان مقولا لهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون

فهو مقول لذلك القول لا لذلك ويجوز ان يكون واو الحال والمراد بما تبدون ما صدر
عنهم من التصريح والتلويح فينتظم ما تعرضوا له بطريق التعريض وبما يكتمون ما استتر
ابليس من الكبر والعصيان فهو من قبيل خطاب الجمع بفعل الواحد منهم كما في قوله تعالى
فعقروها واعلم ان هذه الايات دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على
العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى
وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاشتهاره فيمن يحترف بالتعليم وان لم يكن مختصا به على
ما يفصح عنه تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني **واذ قلنا للملائكة** نظمه بما قبله من حيث
ان في اول هذه الاية كشف ما اجمل في ضمن تلك الاية مما نسب اليهم من كتمان ابليس
من الكبر والعصيان واذ هذه عطف على التي قبلها ان نصبتها باضمار اذكر وان نصبتها
بقالوا فهي منصوبة باذكر مقدرا او حينئذ عاطفة الجملة على الجملة ولك ان
تقول ان القايل محذوف تقديره انقادوا فسجدوا لان السجود كان ناشيا عن الانقياد
وفي قلنا خروج عن الضمير المتكلم المفرد الى ضمير الجمع لان التعظيم من حيث انه ادعى
لامتثال الامر من غيره بطوينا ناسب المقام **اسجدوا لادم** فيه ايجاز ونقل الامر التعليقي
الى صوت التنجيز اعتبارا للحاصل على ما دل عليه قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فانه صريح في ان الامر بالسجود كان قبل تسوية ادم
عليه السلام فلما لم يكن امرهم بالسجود مرتبا على انبائهم بالاسماء بل على ظهور شان
نفخ الروح في قالب ادم عليه السلام لم يصح ان يكون ذلك اعترافا بفضله واداء لحقه
واعتذارا عما قالوا فيه قال ابو عمرو يقال اسجد اذا طأطأ راسه وانحنى فالسجود
التطأطؤ مع خفض الراس وبه يفارق الركوع واما التذلل فباعتبار في مفهومه
العرفي دون اللغوي وقد جاء في المثل اسجد من هدهد وليس في سجوده تذلل وفي
الشرع وضع الجبهة على الارض ولا يلزم ان يكون على قصد العبادة فان صلاة المرائي
صلاة حقيقة وليست على قصد العبادة والسجود المامور كانت على سبيل
التكرمة كسجود اخوة يوسف عليه السلام له وكون السجود لله تعالى على ان يكون
ادم عليه السلام قبلة يرده قوله تعالى نقلا عن ابليس أأسجد لمن خلقت طينا لان الاخر
بكونه طينا انما يتجه ان لو كان سجود الحقيقة لا قبلة للسجود كالكعبة شرفها
الله تعالى قال الامام ابو منصور وفيه دليل على ان الكتاب نسخ بالسنة فان جواز
السجود لغير الله تعالى ثبت بقصة ادم عليه السلام ثم نسخ ذلك بالخبر وقيل

هو بيان استغنائه عن عبادتهم اياه وانكار عليهم قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك فقال لهم لا حاجة الي عبادتكم وخدمتكم فاخدموا عبدا من عبادي لم يخدمني
كخدمته **فسجدوا** عن وهب قال اول من سجد جبريل عليه السلام ثم ميكائيل ثم اسرافيل
ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة وكان ذلك كما نفخ فيه الروح من غير تاخير لقوله
عز وجل فقعوا له ساجدين فان الفا للتعقيب بلا تراخ **الا ابليس ابى واستكبر**
استثناء متصل لانه من جنس الملائكة ولا ينافيه قوله كان من الجن لان صنفا منهم
يطلق عليه الجن على ما دل عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولانه
لما كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بينهم فغلبوا عليه في قوله
للملائكة ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ولانه في قوله تعالى استكبرت ام كنت من
العالين دلالة على ان يتناوله الامر اياه بطريق الدلالة لان المعنى امرتك اذ يريد ان
يكون ادنى من المامورين بالسجود فيتناوله الامر دلالة فيلزم الاستكبار او اعلى
منهم فيكون من زمرة العالين الذين لم يتناولهم الامر بل لان تقديره الكلام فسجد
المامورون به تبعا الا ابليس فانه امتنع عن السجود واستعظم نفسه ورفعها عن حيز
المامورين تبعا وهذا ما قيل ان الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة الا انه استغنى
بذكر الملائكة عن ذكرهم لانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد علم ان الاصاغر
ايضا مامورون به وليس يبعد هذا الا ان يرجع الضمير في فسجدوا الى المثبتين لان
قوله فسجدوا هنا في موضع فسجد الملائكة في ايات اخر وامتنع ابليس من الصرف
للعلمية والعجمة ومن جعله مشتقا من الابلاس بمعنى الياس قال وشبه العجمة
لكونه لم يتسم به احد من العرب فصار خاصا بمعنى اطلقه الله تعالى فكانه دخل
في لسانهم وهو علم مرتجل والابا امتناع بالاختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من شانه والاستكبار طلب ذلك بالتشبع فهو من افعال القلوب وانما
قدم الابا عليه وان كان ادل لان مفهوم الاستثناء وهو عدم صدوره السجود
عنه ناشئ عن استكبار فروعي هنا الترتيب واستونف في ابا لانه موضع
سؤال لاحتمال ان يكون ترك السجود بعذر دون استكبار لظهور ان الامتناع
بالاختيار لم فيه تدل لا يكون الا عن الاستكبار وكان استكباره مسببا
عن كفره الاصلي ولهذا ذيله بالجملة الاعتراضية التعليلية وهو قوله **وكان**
من الكافرين اي كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب المعصية على ما افصح عنه

قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه قيل اي صار منهم باستقباحه امر الله تعالى
ولو كان المعنى هذا القيل فكان من الكافرين **وقلنا يا ادم** عطف على اذ قلنا لا على قلنا
وفائدة النداء تنبيه المامور بما يلقى اليه من الامر **اسكن** من السكنى اي اتخذها مسكنا
ولهذا ذكر متعلقه بدون في لا من السكون بمعنى ترك الحركة وان كان ذلك في الحقيقة
راجعا الى السكون لانه نوع من اللبث والاستقرار **انت وزوجك** معطوف على الضمير المستكن
في اسكن المؤكد بانت والفصل بالتاكيد لتصحيح الوصل على سبيل التغليب اشعارا بانه نوع
دنيتها وتبعيتها وكان فيه توطئة الاكتفا بذكره في قوله فتاب عليه **الجنة** اللام للعهد
والمعهود دار الثواب لا غير **وكلا منها** عدل ههنا عن اسلوب التغليب تنبيها على ان
نعمتها اي وجهها في السكنى دون الاكل **رغدا** وصف للمصدر اي اكلا رغدا او الرغد العيش
الدار الهني الذي لا عنا فيه كما ذكره القرطبي وقال ابو الليث الرغدان ياكلا ما شاءا
حيث شاءا **حيث شئتما** حيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما ومحل حيث مضافا
الى الجملة النصب على الظرفية علقه بالاكل مع ظهور تعلقه بالسكنى لان اباحة الاكل
من اي مكان كان وفي اي وقت كان مستلزمة لاباحة السكنى فيه بحيث العادة
بدون العكس وانما اطلق لهما الاكل من الجنة من حيث شاءا ومتى ارادا مع سعتها وكثرة
اشجارها فلم يقيد بوقت ولا موضع ولا اكل مخصوص بشيء دون شيء كيلا يبقى لهما عذر
في التناول من الشجرة ولحق نهيهما ببيان المبالغة **ولا تقربا هذه الشجرة** نهي عن الاكل
عن الاكل منها بطريق الكناية مبالغة فلا نهي عن القرب منها وتدافع عن هذا
قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة حيث اشار بما يشار به الى القريب ثم انه لم يعلل
عن القرب من هذه الشجرة والشجرة نعت او عطف بيان واختلفوا في تعيينها
وقال ابن جرير والاولى ان لا يعين لان العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر
ولا ان نتوقف في التعيين بانها الكرمة كما ذهب اليه بعضهم فابين الاشارة الى
ان الخمر ام الخبائث لان اصلها هو الذي كان السبب في الخروج من الجنة اولا فيجب
الاجتناب عنها لئلا تكون مانعا من العود اليها **فتكونا** مجزوم على تقربا او منصوب
بتقدير ان جوابا للنهي وان تعيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او للجواب
له وفي جعله سببا لكون المذكور مبالغة اخرى في تاكيد النهي **من الظالمين** انفسهم
بنقص حقوقهما بالعصيان وحطها عن درجة القرب والكرامات الى خمول الحرمان
والهوان والظالم ابلغ من الذي ظلم ففيه ايضا مبالغة **فازلهما الشيطان** اي حملهما

علي الذلة والضمير في عنها للشجرة اي بسببها وتحقيقه اصدر الشيطان زلتهما وعن
هذه مثلها في قوله تعالى وما فعلته عن امري قيل يجوز ان يكون الضمير للجنة اي اذ
اذهبهما عنها وابعدهما عنها من زل اذا ذهب يقال زلت عن الشهر كذا اذا ذهبت ويؤيده
قراءة حمزة فازالهما اذ يلي هذه القراءة لا يكون الا للجنة والفرق بينهما ان ازل من الزلل
وهو عثور القدم وازال من الزوال وهو التنحية ويقول هذه القراءة انهما امرا بالثبات
والاستقرار في الجنة فناسب ان يقال بعد ذلك فازالهما الشيطان بالمعصية عن المكان
الذي امرا بالثبات فيه على وجه الطاعة واولاه بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اياهما
بقوله اني لكما لمن الناصحين وهذا اصح ان الغاية اليهما كان مشافهة لا على طريق الوسوسة
وهو قول ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء واختلف في كيفية توصله الى
ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم وقيل انه منع من الدخول على جهة التقريب
والتكرمة كدخول الملائكة ولم يمنع من الدخول على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل
قام عند الباب فناداهما ورده قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان لان الوسوسة لا تحتاج
النداء وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما ورد هذا الوجه بانهما يعرفانه ويعرفان ما عنده
من العداوة والحسد فيستحيل في العادة ان يقبلا قوله ويرده قوله تعالى الم انهكما
الى قوله ان الشيطان لكما عدو مبين لانه صريح في مباشرة الشيطان للازلال والله
اعلم بحقيقة الحال فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة والابهام للتعظيم
اي مما لا يدخل تحت الوصف او من الجنة ان تخص الضمير في عنها بالشجرة والاسناد هنا
وفيما تقدم مجازي لان الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى والشيطان سبب عادي
وقلنا اهبطوا اهبط لازم ومتعد ومصدر المتعدي الهبط ومصدر اللازم الهبوط
وهو النزول من علو الى سفل والخطاب لادم وحوا لقوله تعالى في موضع اخر قال اهبطا
منها جميعا والخطاب ثلاثين على ما نقف عليه فلا يحال التعدد فلا وجه لما قيل
المراد هما وابليس وكذلك ما قيل المراد هما وذريتهما لان ما وضع لخطاب المشافهة لا يتناول
المعدوم حال الخطاب لا حقيقة ولا دلالة خلافا للحنابلة وانما جمع الضمير هنا رفعا
لشانهما كما جمع الضمير في قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين بعضكم لبعض عدو جملة في محل
نصب بالحال استغني بالضمير عن الواو اي متعادين والمعاداة فقدان الملايمة
والموافقة منه قيل مكان ذو عدو واو قوم عدى للاعدا والقرب لما بينهم من فقدان

الملايمة

الملايمة وذلك بين الرجل والمراة كثير في الخالق والخلق حتى ان عامة ما يجد من اختلاف
الرجال يذم من المراة وليس الامر تكليفا حتى يلزم الاذن في المعادات بناء على ان الحال
تقيد والامر بالمقيد يتناوله ولكم في الارض مستقر اما حال ثانيا بالواو واما عطف على
والمستقر اما موضع استقرار والقرار هو السكون عن برودة برد ولما كان من شان
البرودة السكون ومن شان الحرارة الحركة قيل في الساكن برد وفي المتحرك استعمل
والتبس حتى يشبه التريح بار ستعن والساكن بما هو جامد ومتاع الى حين المتاع
الانتفاع ممتد الوقت ومنه قيل متعه الله بكذا والمراد بالحين وقت الحين اذ لا انتفاع
بعده وصلا اي الى يوم القيامة بين الموت تخفف مستغنى عنه ولذلك جعل السكنى
في القبر تمتعا في الارض فتلقى ادم من ربه كلمات التلقي كالتلقن الا ان التلقي يقتضي
استقبال الكلام وتصوره والتلقن يقتضي الحذف في تناوله والتلقف يقاربه لكن
يقتضي الاحتيال في التناول وصيغة التفعيل للتكليف اي تكلفه في لقائها بالجهد
في التحصل والتوجه على قراءة النصب في ادم والرفع في كلمات تكلفه الكلمات
في الوصول اليه ليكون تزكية وتصفية قلبه بالتوبة مندرجا وفي اسناد التلقي
الى الكلمات مجاز شبه نزولها في التدريج بالتكلف في النزول اليه وحاصل المعنى
استقبلها بالقبول والعمل او استقبله بالبلوغ والوصول اليه واختلف في المراد
بالكلمات واكثر المفسرين على انها قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وقيل غيره واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى
الحاستين السمع والبصر والكلام حاسة البصر كلمته جرحته جراحة بان اثرها
ذكره الراغب ولنقض الغاية قوله فتلقى معنى التوبة فتاب عليه مضمنا اياه
معنى العطف اي فرجع متعطفا عليه بالقبول والرحمة تعالى عن ضده والخبر عنه
وحده لانه هو المواجه بالامر والنهي وحوا تابعة له او طوى ذكرها كما طوي في قوله وعصى
ادم ربه فغوى وطي ذكر النساء في القران والحديث كثير انه هو التواب الرجاع
على عباده بالمغفرة واصل التوبة الرجوع وتوبة العبد رجوعه الى ربه من ذنبه
وتمامها من العبد بالندم على ما كان وترك الذنب الان والعزم على ان لا يعود اليه في
مستانف الزمان وفي المظالم لا بد مع ذلك من ارضاء الخصم الرحيم المبالغ في الرحمة
يرحم التائب فيغفر حوبته ويقبل توبته قلنا اهبطوا منها جميعا كرر هذا لان الاول
من الجنة الى سما الدنيا والثاني منها الى الارض لانه مردود بقوله ولكم في الارض مستقر

ولا اختلاف المقصود حيث دل الاول على ان هبوطهم الى دار البلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف لان ما ذكر لا يقتضي التكرار فان الدلالتين المذكورتين يمكن
ان يجمعا بل تتعلق الزيادة بقوله **فاما ياتينكم مني هدى** ليدل على ان هذا الغضب
مسوق برحمة الى رحمة ولهذا اورد ما التاكيد الملازمة والتزموا تقويتها زيادة النون
في الشرط وانما اورد كلمة الشك مع ان اتيان الهدى محقق عنده نظرا الى انه محتمل في نفسه
غير واجب عقلا وفي هذا النظم اظهار بما فيه من جهة التفضيل والاحسان فلذلك
حسن وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون وذلك لا يستدعي
اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا **فمن تبع هداي** من شرطية
ويجوز ان تكون موصولة ويعضده اتيان الموصول في قسيمه ودخول الفاء في الجملة الخبر
جائز وههنا جعل الهدى بمنزلة الامام المتبع المقتدى به وفي اضافته اليه من التعظيم
ما لا يكون لو اتي معرفا باللام وان كان ذلك سبيل ما يكون نكرة ثم يعاد وجواب فاما
ياتينكم فمن تبع **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي فلا خوف عليهم من الضلالة في الدنيا
ولا حزن الشقاوة في العقبى قال الله تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقدم
انتفا الخوف على انتفا الحزن لان انتزاع الخوف فيما هو آت اكثر من انتفا الحزن على
ما فات ولذلك ابرزت الجملة الاولى مصدرة بالنكرة التي هي ادخل في باب النفي وابرزت
الثانية مصدرة بالمعرفة وفيها اشارة الى اختصاصهم بانتفا الحزن وان غيرهم بالحزن
والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع قسيم له وهو ابلغ من قوله ومن لم يتبع
وان كان ظاهر التقسيم يقتضيه لان نفي الشيء قد يكون لعدم القابلية في المحل
فابرز القسيم في صورة ثبوتية مزيلة لهذا الاحتمال وانما ذكر الصلتين ومعناهما
واحد تقريرا لقبايحهم وتكريرا لفضايحهم كما قال واضل فرعون قومه وما هدى
والايات العلامات الدالة على وحدانية الله وصفاته من الكتب المنزلة وغير ذلك
وسميت اية القران بها لانها علامة لانقطاع كلام عن كلام وانفصاله وقيل سميت
اية لانها جماعة حروف من القران وطايفة من الكلم كما يقال خرج القوم باياتهم
اي بجماعتهم **اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون** الاصحاب اجتماع مع طول لبث
واوليك مبتدا ويجوز ان يكون عطف بيان او بدلا فيكون اصحاب خبرا عن والذين وهم
فيها خبرثان او تفسير ولا تمسك للحشوية في هذه القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم
السلام لان مبناه على ان يكون ادم عليه السلام حينئذ نبيا وان يكون النهي تكليفا وان

لا تكون التوبة الا عن معصية وواحد منها غير مسلم واما ما قيل انه اخطا في اجتهاده
حيث ظن ان الاشارة للمعين ترك الشجرة فاكل غيرها من ذلك النوع وكان الاشارة الى
النوع فمردود بقوله وما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية لانه صريح في انه كان لا زال
في المنهي عنه **يا بني اسرايل** انتظامه بختم قصة ادم عليه السلام انه وعد متبع الهدى
بالجنة واوعد مخالفه بالنار وحثهم في هذه الاية على الوفا بعهده وهو الايمان به
والطاعة ليوفي بعهدهم وهو ادخال الجنة والخطاب لاولاد يعقوب عليه السلام فان
اسرايل لقبه معناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله ولم ينصرف للعجمة والعلمية
واصل بني بنين وهو جمع ابن سقطت نونه للاضافة والبنون يطلق على الذكور
والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا والابنا عن الابا وهو وضع الشيء على الشيء شبه الاب
بالاس والابن بما بني عليه **اذكروا نعمتي** امر من الذكر وهو مضمون الذال وهو بالقلب
خاصة فالمراد الحفظ على الشيء الذي يضاد النسيان امر بذكر النعمة وكان المطلوب
القيام بشكرها ايما الى ان مثل هذه النعم الجسام التي لا مانع للعاقل من القيام بشكرها
الا الغفلة عنها والتغير تعريف الشيء الياء في نعمتي لان لغتها الالف واللام فلم يكن بد
من اسقاطها او تحريكها وكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بالا يلزم اللام
في الاخيرتان من فتح الف الوصل واسكان اليا في قوله يا عبادي الذين اسرفوا الجوهلاك
من حق يا الاضافة ان لا تثبت في الندا واذا لم تثبت فلا طريق الى تحريكها **التي انعمت
عليكم** من السابقة واللاحقة والظاهرة والباطنة والنعمة اسم للشيء المنعم به
اضافها الى ذاته اولا ثم اسندها اليه تعظيما لها ثم قيدها بهم هذا لهم وتحشا
لطباعهم المجبولة على جهلها على القيام بشكرها واما ما قيل لان الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله تعالى على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط
فانما يصلح وجها للعدم تقييدها بغيرهم وهو بمعزل عن هذا المقام لما عرفت ان المطلوب
القيام بالشكر لا مجرد الذكر **واوفوا بعهدي** الوفا مراعاة العهد والغدر تضييعه
كما ان الانجاز مراعاة الوعد والخلف تضييعه فالوفا والانجاز في الفعل كالصدق
في القول والغدر والخلف كالكذب فيه واوفى ابلغ من وفى كما ان اسقى ابلغ من سقى
والعهد وهو حفظ الشيء ومراعاته حالا فحالا الا ان للتطيل اصله الاحتفاظ بالشيء والمراد
العهد به وسمي الموثق بعهد للزوم مراعاته ويضاف الى المعاهد والمعاهد وههنا
اضيف الى المفعول اي اوفوا بعهدي في ان لا تؤثروا على غيري اوف بعهدكم في ان

لا اسمع منكم خيري ابنا و تعالى بعهدهم هو ترتيب انجاز ما وعدهم على ذلك وانما سماه عهدا
على سبيل المقابلة او لانه في صورة المشروط الملتزم به وانجزام اوف على جواب الامر
وهو في معنى الشرط فانجزم او نايب عن الشرط اذا حذفت جملته قولان ويجوز ان
يكون اضافته في الاول الى الفاعل اي اوفوا بعهدي الذي قبلتم يوم الميثاق اوف بعهدكم
الذي ضمنت لكم يوم التلاق وقيل هو ما اخذ عليهم من العهد في كتابهم بالايمان برسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه واياي فارهبون من باب الاضمار على شريطة التفسير كقولك زيدا
ارهبته والفاء لتقدير الشرط اي واياي ارهبوا ان كنتم رهبتم شيئا فارهبون وهو
اوكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لتكرر الرهبة مضمرة ومظهرة وايقاعها على
المفعولين مع التقدم في الاولى ولخروج الكلام على الجملة الشرطية والرهبة خوف
مع تحرز واضطراب ولتضمنه الاحتراز اختيرت على الخوف لان المقام مقام الحث على
التحرز عن نقض العهد وحذف الياء من فارهبون لدلالة الكسرة عليه ولكون الفواصل كالقوافي
وامنوا بما انزلت اي بالقران الذي انزلته على محمد عليه السلام مصدقا لما معكم
من الكتب الالهية حيث نزل حسب ما نعت فيها حال وذو الحال الضمير في انزلت او الموصول
ويحتمل ان تكون ما مصدرية والتقدير امنوا بانزالي مصدقا لما معكم وفيه تنبيه على انه
لا منافاة بين ما اتى به الانبيا عليهم السلام من اصول العبادات وانما الاختلاف بينهم
في جزئيات الكلام وفروعها كفي ما يقتضيه مصلحة كل قوم وزمان فكل مصدق الاخر
فيما اتى به من حيث ان كليات شرايعهم متساوية وان فروعها حق بحسب الاضافة
الى زمان كل واحد منهم وامته حتى لو كان احدهم في زمن الاخر لم ير المصلحة الا فيما اتى به
الاخر واما قوله عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي فليس وجهه
هذا بل كونه عليه السلام مبعوثا لكافة الناس فلا يسع من في زمنه كاينا من كان
الا اتباعه بخلاف ساير الانبيا عليهم السلام ولا تكونوا اول كافر به لا مفهوم هنا
لقوله اول فيكون تدابع لهم ثانيا او اخرا وانما ذكرت الاولية لانها افحش لما فيه من
الابتدا بالكفر فان المعنى لا تكونوا ايمة في الكفر فيقتدي بكم اتباعكم فتكونوا حاملين
اوزاركم واوزارهم كما قال الله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم فلا بد من القيد المذكور لافادته واضيف الى مفرد وان كان قبله
جمع لان المفرد اذا كان صفة جاز ان يطابق وان يفرد وقد جاء ذلك في قوله

• واذا هم طعموا فالام طاعم • واذا هم جاعوا فشر جياع •

افرد في طاعم وطابق في جياع وتاوله النحاة فقدره الفراء الام من طعم وقدره غيره الام
فريق طاعم والضمير في به للمنزل او المنزل عليه ويجوز ان يكون لما معهم فان فيه تعالى
فالكفر به كفر لما يصدقه وعلى هذا ايضا لا يكون القيد المذكور على ظاهره لان مشركي
العرب سبقوهم اليه هذا بحسب جليل النظر واما الذي بحسب دقيقه فهو انه انما
وحد الخبر دون ضمير الجمع لان حكمهم استنان لتناددهم وانفاقهم على دين واحد وانخادهم
لذلك ولالفة فيما بينهم كان حكما واحدا فكانهم شخص واحد وعلى هذا ورد قوله تعالى
فقولا انا رسول رب العالمين واول افعل ولا فعل له ووزنه افعل واصله وول واول
واول واوايل ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا استعير الاشترا للاستبدال والثمن القليل
هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم فاستبدلوها بايات لانهم خافوا فواتها لو امنوا بمحمد
عليه السلام وصدقوا بكتابه وانما اطلقها بالنسبة الى الحق الذي كل كثير بالنسبة اليه
قليل والهدى الذي كل كبير بالنسبة اليه حقير فكيف بالمتاع الدون اليسير فلا مفهوم
لقوله قليلا بل فيه التنبيه على خساسة انفسهم اذ يبدلون الشي العظيم في تحصيل الشي
الحقير وانما ادخل الثمن على الشي مع انه الحق في التحقير والتنبيه على ان الحظوظ الدنيوية
وسايل لا مقاصد والتنبيه على تعاكس احوالهم وانقلابهم حيث جعلوا المثمن والمقصود
ثمنا وفي كلمة البا والاستعارة السابق ذكرهما وجه تقوية لهذا المعنى واياي
فاتقون باتباع الحق والاعراض عن الباطل لما فصلت الاية الاولى بالرهبة لان التحذير
فيها عن الكفران ونقض العهد وهما من المعاصي وهذه الاية بالاتقا وهو فرط
الصيانة لان التحذير هنا عن الكفر نقلا وعلا وقد ان تقول ان التقوى فوق الرهبة
فحيث ما خاطب العامة عالمهم ومقلدهم وحثهم على شكر النعمة التي يشتركونه
فيها امرهم بالرهبة التي هي من مبادي التقوى وحيث خاطب العلما منهم خاصة
وحثهم على مراعاة اياته والتنبيه على ما ياتي به اولو العزم من الرسل امرهم بالتقوى
التي هي منتهى الطاعة ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الستر لغة
وضد الستر الكشف وضد اللبس الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ومن جملة
اسبابه الخلط وقد تقدم الكلام في الحق واما الباطل فما لا ثبات له عند الفحص
والحق ما نقضه وذلك عام في الاعتقاد والمقال والفعال والباطلة ما ناسبها
الالصاق اي لا تخلطوا الحق بالباطل بان تكتبوا في التورية ما ليس منها او الاستعا

اي لاتخلطوا متلبسًا بسبب الباطل الذي تكتبونه لا نظر حينئذ الى معنى الاختلاط كما لا نظر
في الاول الى معنى الاشتباه • وتكتموا الحق بان تقولوا ليس وصف محمد عليه السلام وهذا الحكم
في التورية فليس المراد من الحق في الموضعين شيا واحدا وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى
ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع وحقيقته لا يكن منكم لبس الحق وكتمان
الحق والقصد الى ان ينعى عليهم سوء فعلهم الذي هو الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح
ووجوب الانتهاء عنه ويجوز ان يكون المراد من الحق في الموضعين واحدا ويكون اعادة
صريح الحق دون ضميره لانهم يكررون اسما الاجناس والاعلام كثيرا ولا سيما اذا
قصدوا التفخيم صرح به الامام المرزوقي والشيخ عبد القاهر وعلى ذلك ورد قوله
تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله احد الله الصمد ويجوز ان يكون
النهي عن الجمع لان الخلط بالباطل قد يكون لترويج الحق واسماعه فان اسماع العوام
محوض عن الحق الصرف لانه من خلط الباطل الحلو به لا يكاد ينفر عنه طبع السامع
ليتمكن كل الانكار فان الضرر اليسير قد يحتمل للنفع الكثير ومثل هذه الرخصة ترغيبا
للمخاطب الى الاستماع من مقتضيات البلاغة وموجبات الخطاب الا ترى قوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين كيف سرد فيه المقال على ابهام
الحال واظهار التردد فيه توسعة لدائرة الاحتمال بعده وفي مصحف ابن مسعود
وتكتمون وهو في موضع الرفع على حذف المبتدا اي وانتم تكتمون وانتم تعلمون
في محل النصب بالحال اي في حال علمكم بذلك وبقبحه وانما قيد به لان الجاهل ربما نعذر
ويجعل عذرا فعلى هذا يكون الحذف اقتصارا او رعاية للفاصلة ويجوز ان يكون
اقتصارا اي وانتم من ذوي العلم والالباب من كان عالما ان يكتم الحق ويلبسه
بالباطل ففيه تعبير لهم بانهم يفعلون فعل الجهلا وتذكير لما فيهم من صفة العلم
وحث على العمل بمقتضاه وذلك ادخل في قبول الحق واسماعه من التعريضات
التوبيخ واقيموا الصلاة واتوا الزكاة التعريف فيهما للعهد والاشارة الى الصلوة
المعلومة والزكاة المبينة او للجنس كقولهم هو الرجل كان ما عدا صلاة المسلمين
ليس بصلاة وكذا الزكاة لكونهما منه مقبولين والزكوة من زكى الزرع اي نمى فانها
تنمي المال باستجلاب بركة الله تعالى امرهم بفروع الايمان بعد ما امرهم باصوله
فيحتمل ان يكون الامر الثاني مشروطا بالامتثال بالاول فلا تكون الاية حجة
على المنكرين لكون الكفار مخاطبين بالفروع واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم

فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من الفضيلة
المتفقة وفضيلة الانتظار وقد تقرر في موضعه ان من ادرك الامام في الركوع فقد
ادرك فضيلة الجماعة والادراك فيما قبله ليس بشرط ولا عبرة للادراك فيما بعده وهذا
هو السر في تخصيص الركوع بالذكر وايثار عبارة مع على عبارة في واما الاحتراز عن صلاة
اليهود فلا حاجة اليه بعدما اريد من الصلاة فيما تقدم صلاة المسلمين واصل الركوع
الانحناء لصاحب العين كل شي ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان
يطاطا راسه فهو راكع اتامرون الناس بالبر اعتراض والبر التوسع في افعال الخير له
واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء الواسع ويتناول كل معروف وتنسون انفسكم
وتتركونها من البر والنسيان بمعنى الترك ومنه النسي وهو ما يسقط في منازل
المرتحلين من رذال امتعتهم والهمزة للتقرير معناه ان الامر المذكور دعليه كانهما
مكشوف لا يمكن للمخاطب انكاره فانه يجيء الى العبارة التعجب من حالهم والتوبيخ على
الجمع بين الامر بالبر وتركه في حق انفسهم روي انها نزلت في احبار اليهود كانوا يامرون
سرا من نصحوه ولا يتبعونه وانتم تتلون الكتاب يعني التورية تبكيت بالحجة
كقوله وانتم تعلمون وفي عبارة التلاوة اشارة الى وضوح ما في التورية من النهي
عن هذا الوصف الذميم بحيث يقف عليه كل من يتلوه من اهل اللسان والتلاوة
اتباع اللفظ اللفظ سوا تدبر المعنى او لا وفي الاية التحريض على تقديم العمل على
القول والوعيد على مخالفة القول العمل والنهي على من يعظ الغير ولا يعظ نفسه
وكان المنكر تركهم انفسهم لا امرهم غيرهم بالمعروف الا انه بدا بالتوبيخ بدايتها
الى ذلك الترك بلغ بالشناعة غاية خرج مما يقارنه من الفعل المندوب
الى مرض المستنكر وفيه من المبالغة في الانكار على سوء صنيعهم ما لا يخفى
افلا تعقلون توبيخ عظيم بالمرة وتوسيط الفاء اي اتغفلون ذلك فلا تعقلون
كانكم مسلوبوا العقل فلا تفطنون بقبح ما ترتكبون فتمنعون لذا العقل واصله المنع
التشديد ومنه عقل البعير لمنعه اياه من الشرود ومنه المعقل للدية لانه
يمنع ولي المقتول عن قتل الجاني وفي ايثار نفي العقل على نفي العلم نوع تاييد لما ذكرنا
يعني ان المحتاج اليه في ادراكه عند التلاوة انما هو العقل الجلي لا الادراك الكسبي
فلا دلالة فيه على ان قبح هذه الاشيا عقلي بل دلالة على انه شرعي حيث رتب التوبيخ
على ما صدر عنهم بعد تلاوة الكتاب وانما العطف كان الاصل تقديمها لكن الهمزة

لها صدر الكلام تتقدم على الفاء حكم الواو وثم في نحو اولم يسيروا اثم اذا ما وقع
حكم انفا واستعينوا اي اطلبوا المعونة في دفع المكاره وجلب المنافع فالاختصار
للتعميم بالصبر وهو حبس النفس على ما يكره وقدمت الاستعانة بالصبر لتقدم
تكاليف عظيمة يشق التزامها على من يالفها والصلاة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وهي ارفع منزلة من الصبر لانها تجمع ضروبا
من الصبر اذ هي حبس الحواس على العبادة وحبس الخواطر والافكار على الطاعة بل نقول
الامر بالصبر تمهيد الامر بالصلاة فان مرجع الجمع بينهما ان تصلوا صابرين على تكاليف
الصلاة متحملين مشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب بدفع الوساوس ومراعات
الاداب ولهذا قال وانها وخصها برد الضمير اليها دون الصبر ولولا ذكر الصبر تمهيد
لكان حق الصلاة ان يعاد فيها حرف الباء الدالة على اعادتها على الاصالة والجملة اعتراض
وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل شهر رمضان شهر الصبر وعلى هذا رد
الضمير الى الصلاة ليس بطريق التخصيص بل بطريق الاكتفاء بالاعم او الاقدم كما في قوله
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقوله تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها فان الكناية في احدهما الى الفضة لانها الاغلب والاعم
وفي الاخر الى التجارة لانها افضل واهم لكبيرة من كبر بمعنى عظم تمثيل وتصوير
بمعنى ثقلها وكونها شاقة على غير الخاشعين لان من كبر بمعنى ثقل وشق حقيقته
او مجاز الا على الخاشعين يعني لا تثقل على احد الا على الخاشعين لانه استثناء مفرغ
من كلام موجب فلا بد من تاويل النفي والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح
سكون وتواضع وفيه اشارة الى ان الصلاة التي تخف على الخاشع مسماة باسمها
فليست هي في حكمها فان قيل هلا يلزم ان يكون ثواب غير الخاشع اكثر لما جاء
في الخبر ان اكثر الاعمال ثوابا اشقها قلنا لا يلزم ذلك لان مفهوم الخبر ان الاعمال
المتساوية في استجماع الاركان والشرائط وسائر ما يجب رعايته او تستحب اكثرها
اشقها الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم لما كانت الملاقاة تتعذر الحمل على الحقيقة
جعلت كناية عن رؤيته تعالى وهو الوجه فيما يروى في الاخبار لقي الله تعالى وهو
عليه غضبان والظن بمعنى العلم ويقتضيه ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه
يعلمون وانما عبر عنه الى الظن لاعتبار قيام القرينة اللفظية وهي ذكر ما يتعلق
بالمظنون وهي مفقودة ههنا وفي عبارة الظن اشارة الى انه يكفي في حضور الخشوع

الذي

الذي يزول به ثقل الصلاة ادنى مراتب الاعتقاد بملاقاته تعالى وقيل المراد ملاقاة ثوابه
وحينئذ يكون الظن بمعنى التوقع لانه وان علم انه لابد من ثواب او عقاب لكن من اين يعلم
ما يختم به عمله فلابد من صرف الظن عن معنى العلم الى معنى التوقع اللازم له ويأباه قوله
وانهم اليه اي الى ربه وحكومته يوم العرض والمراد راجعون اذ لا يناسبه معنى
التوقع وتقدير عامل الخبر خلاف الظاهر وانما تثقل على غيرهم لانهم لم يعتقدوا بالتلقي
ولم يرجوا الثواب فكانت في حقهم مشقة خالصة ولم تثقل عليهم لانهم يعتقدوا ابتغاء
الجزاء وتوقعوا انما ادخر للصابرين على مشاقها فاتوها برغبة ونشاط وانشراح صدر
واستلذوا بها ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تكرير تمهيد للتذكير بنعمة التفضيل

تفصيلها

وقد تجلى في قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا
وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وذكر النعمة على الآباء الزام
الشكر على الابناء لانهم يتشرفون بشرفهم ولذلك قال واني فضلتكم ولم يقل فضلت
اباكم والفضل الزيادة في الخير والجملة في محل النصب معطوفة على معنى ما تقدم اي اني
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين الظاهر هو الاستغراق فيخرج الجن النص بقوله
وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ولا حاجة الى الصرف الى الاستغراق العرفي بقرينة
ان المراد من الموجود المعتبر في مفهوم العالم الوجود بالفعل لعدم الدلالة فيه على التفضيل
من كل جهة عموما ولا من جهة القرب والمكانة عند الله تعالى خصوصا ولذلك لم يكن فيه
متمسك لمن فضل البشر على الملك واتقوا يوما يريد يوم القيامة وعظمه بالتنكير ثم
بالتوصيف والمقصود بيان كون ذلك معيار العليا وخوف بحيث لا يكون ان من اتاه
خاليا من الخوف وهذا يجعل نفس اليوم مخوفا لا الامر فيه لا تجزي نفس عن نفس شيئا
اي لا تقضي نفس من النفوس عن نفس اي نفس كانت حقا من الحقوق وشيئا مفعول به
ويجوز ان يكون في موضع المصدر اي قليلا من الجزاء وعلى قراءة لا تجزي من اجزأ عنه اذا
اغنى عنه لا يكون الا مصدرا اي شيئا من الاجزاء والجملة في محل النصب صفة ليوم والعائد محذوف
اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف تدريجي ام حذف برمته ابتدا قولان ولا يقبل منها شفاعة
اي ان شفعت كانت والضمير فيها راجع الى النفس الثانية العاصية اي لو جاءت
بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى الاولى اي لا تجزي منها شيئا وان شفعت
لها لا يقبل وكذا على هذا قوله ولا يؤخذ منها عدل والعدل الفدية لانها تعادل

المفدي والشفاعة من الشفع كان الجاني كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه
وضمير الجمع في **ولا هم ينصرون** يرجع الى ما دلت عليه النفس المنكرة في سياق النفي الدالة
على العموم والتذكير بمعنى العباد والاناسي والنصر اخص من المعونة لاختصاصه بدفع
الضرر وانما عدل عن الجملة الفعلية المعطوفة على اخواتها الى الاسمية الدالة على الدوام
المضيا اي ولا هم ينصرون دايما ما داموا فيه وفيه ايما الى انه ينصر غيرهم وانما قطع
الاطماع الكلية لان اليهود كانوا يزعمون ان اباهم الانبيا يشفعون لهم ولما كان
الخطاب لليهود كان تقديره لا تجزي نفس منا مسلم عن نفس منا منكم فلا دلالة فيه
على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة مطلقا وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب
عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون باعطا شي او مجانا فان كان الاول فاما
ان يكون باداء ما كان عليه وهو الجزا او بغيره وهو الفدية وان كان الثاني فاما ان
يكون على سبيل العطف وهو الشفاعة او على سبيل القهر وهو النصرة وانما عدل عن
الترتيب الذي هو مقتضى هذا التقسيم اختيار الاسلوب الترقي كانه قيل النفس الاولى
غير قادرة على استخلاص صاحبها بقضا الواجب وتدارك التبعات لانها مشتغلة
عنها بشانها كما افصح عنه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ثم ان قدرت
على شي ما مثل الشفاعة فلا يقبل منها وان زادت عليها بان بضمها الفدا فلا يوخذ
منها وان حاولت الخلاص بالقهر والغلبة واني لها ذلك فلا يتمكن منه فالترقي
من الشي الى الشي **واذ نجيناكم** اذ نسب باذكر والتنجية التخليص من مكروه وشدة
ومثله الانجا قيل معنى نجيناكم القيناكم على نجوة من الارض وهي ما ارتفع منه
هذا هو الاصل ثم سمي كل فائز ناجيا فالناجي من خرج من ضيق الى سعة وسنا
خلصنا اباكم وجعل ذلك نعمة لهم لان نجاتهم نجاتهم ومن عادة العرب هذا
يقولون قتلناكم يوم عكاظ اي قتل اباونا اباكم وقرى نجيتكم فوافق الضمير
ضمير نعمتي وعطفها عليها كعطف جبرائيل وميكائيل عليهما السلام على الملائكة
او تفصيل لما اجمل في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والتفصيل لا يلزم ان يكون
على جهة الاستيعاب بل قد يكتفي بذكر المعظمات **من ال فرعون** اصل ال اهل لانه
تصغيره اهيل فابدلت هاوها الفا وخص بالاضافة الى الاعلام الناطقين دون
النكرات والامكنة والازمنة والصناعات وفرعون علم لمن تسمى به كل من ملك
العمالقة وهم جبابرة مصر وضعا ابتدائيا ذلك منع صرفه وجمعه باعتبار

الافراد كقيصر لملك الروم وكسرى لملك فارس ولعتوهم الفراعنة بالعتو اشتق منه
تفرعن اذا عتا وتجبر والقوم ال المناسبون له وحقيقة الال الذين يؤول
امرهم اليه في نسبة او صحبة **يسومونكم** حال من ال فرعون والاستيناف حكاية
حال والسوم اصله الذهاب في ابتغا الشي فهو لفظ مفرد بمعنى مركب من الذهاب والابتغا
فاجري مجرى الذهاب في قولهم سامت الابل فهي سائمة ومجرى الابتغا في قولهم سمته
كذا ومنه السوم في البيع **سوء العذاب** نصب على المفعول ليسومونكم والسوء مصدر
ساءه يسوءه ومعنى سوء العذاب مع ان كله سيء افظعه واقطعه **يذبحون ابناءكم**
لاستئناف او حال من ضمير الفاعل في يسومونكم او بدل منه او معطوفة عليه حذف
منها حرف العطف وقد بين نوعه في سورة ابراهيم عليه السلام **ويستحيون نساءكم**
الاستحيا استفعال من الحياة اي يبقون بناتكم للخدمة تمهيدا لما يؤول اليه امرهن
وللمبالغة صيغة الاستفعال من الدلالة على ابقائهن كان لمصلحتهم كان المذكور من جملة
الشدايد **وفي ذلكم بلاء** البلا هو الاختبار ويكون بالشر ليصبروا او يكون محنة
وبالخير ليشكروا فيكون منحة وكلاهما محتمل ههنا بحسب احتمال المشار اليه ان يكون صنعه
لنجاتكم او صنع يسومون ويذبحون ويستحيون والاول اوفق بقوله **من ربكم**
والثاني باصل المقام فانه لتعديد النعم والثاني اليق بمقام تفصيل الحمد والنسب
للتذييل بعين الجملة الاعتراضية **عظيم** صفة بلاء وفيما ذكر من المبالغة والتاكيد
بالاجمال والتفصيل والتهويل بان الذبح المذكور اشد العذاب وافظعه ما لا يخفى
ولهذا ذيله بالاعتراض تاكيدا وتقوية له **واذ فرقنا** الفرق والفلق كالفصل
لكن الفلق لا يكون الا بابانة خصمين والفرق يكون فيهما وفي المعاني وقرى فرقنا
على بنا التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط والبا في **بكم**
للتعدية اي بسببكم وبسبب انجائكم ولا يجوز ان تكون للملابسة اي ملتبسا بكم
وللاستعانة اي تسلكونه وتتفرق بكم كما يتفرق الشي بالسكين بقطعه
قطعه لان قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق صريح في ان انفصال
البحر بعضه عن بعض وحصول المسالك كان بضرب العصا قبل اخذهم في السلوك
فان في الفا الفصيحة في قوله فانفلق دلالة على عدم تراخي الانفلاق عن
الضرب **البحر** هذا البحر كان نهرا من مصر جرعون موسى عليه السلام بينا له
اساف ويسمى اليوم بحر القلزم **فانجيناكم** من خطر عبور البحر وانجيناكم من ضيق

سالكا الى سعة البر وهي ايضا فصيحة واغرقنا غرق في الماء من حد علم اي
رسب فيه فهو غرق اذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو غريق وجمعه الغرقى آل
فرعون اتباعه فهو اول الغرقى واولى به فكانه علم غرقه معلوما دلالة وفيما في العدول
من المضمر الى المظهر من التنبيه على ان السبب لذلك الحال كونهم اتباعه نوع تاكيد
لتلك الدلالة وانتم تنظرون تقلبون ابصاركم في الجهات نظر المبهوت اذا
فاجاه خطب او تنظرون ما يفعلون باعدائكم فعلى الاول يكون النظر بمعنى طلب
الابصار وعلى الثاني بمعنى الانتظار روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان اسري
ببني اسرائيل فاتبعهم فرعون وجنوده مشرقين فلما تراءا الجمعان وهم على شاطئ
البحر اوحى الله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فضرب فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا
فسلكوها حتى جاوزوا البحر ووصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو
وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واذ واعدنا موسى اربعين ليلة الوعد
هو الترجية بالخير وعد الله تعالى موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون ان ينزل عليه
كتابا يعرفون الله ويتمسكون به وعين له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما
عبر عنه بالليالي لانها غرر الشهور وانتصاب اربعين على المفعول به اذ هي الموعد
على الاتساع والمفهوم الزمان يحتمل لكون شرط الموعود موعدا او لا يجوز نصبه
على الظرف لانه معدود فيلزم ان يكون وقوع الفعل في كل فرد فرد منها وليس
كذلك وقرئ وعدنا وقال الزجاج هذا جيد لان الطاعة في القبول بمنزلة
المطاوعة من الله تعالى وعد ومن موسى عليه السلام قبول وموسى اسم اعجمي غير منصرف
للعجمة والتعريف روي ان القبط يقولون للماء مو وللشجر شا فلما وجد موسى عليه
السلام في التابوت عند ماء وشجر سمي موسى ثم اتخذتم العجل اي اتخذتموه الها
وحذف المفعول الثاني للعلم به ولشناعة ذكره وفيه تفظيع لشانه حيث ترك
تلفظه اي صلاته لا انفسكم معبودا او نسب الاتخاذ الى جميعهم وان كان بعضهم
لم يتخذ ولم يرض به لان القبيلة تذم وتمدح بما وقع في بعضها وفيه تنبيه
على زيادة التبع في ذلك الاتخاذ حتى خرج الى حد الذم بمقارنة المباشرة لما
والتعريف في العجل للعهد والمعهود ما ذكر في قوله تعالى عجلا جسدا له خوار
وثم للبعد بين مشاهدة النعم المذكورة واتخاذ العجل معبودا الا ان معنى التراخي
قد فهم من قوله من بعده الضمير لموسى عليه السلام والمعنى بعد غيبته وهي بالمضي

الى الطور وانتم ظالمون اخبار بان سجيتهم الظلم وشد لي هذا قوله في موضع اخر
اتخذوه وكانوا ظالمين والاتخاذ المذكور يدل على انهم تحتمه او حلولية ثم عفونا اي
تجاوزنا عنكم حين تبتم فان قلت انهم عوقبوا بالقتل على ما ياتي عن قريب فما
معنى العفو قلت العفو قد يكون قبل العقوبة وقد يكون بعدها بخلاف الغفران فانه
لا يكون معه عقوبة البتة على ان العقوبة كانت لبعضهم واصل العفو المحو من عفت الريح
الاثر اذا ادمسته لا من عفى المنزل اذا درس فانه يتعدى ولا يتعدى وثم للبعد فان العفو
بعد ارتكابهم ما هو الموجب لاشد العذاب في غاية البعد وذلك في قوله من بعد ذلك
لتعظيم الشرك اي عفونا من بعد ذلك الامر العظيم البعيد عن العفو لعلكم تشكرون
نعمة العفو ومعنى الشكر في اللغة عرفان الاحسان بالجنان ونشره باللسان وتفسير لعل
بكي مردود بان جمهور ائمة اللغة انتصروا في بيان معناها الحقيقي على الترجي والاشفاق
وعدم صلوحها لمجرد معنى العلية والغرضية بما وقع عليه الاتفاق الا ترى انك تقول
دخلت على المريض كي اعوده واخذت الماء كي اشربه ولا يصح لعل وحملها على الارادة انما يصح
على اصل الاعتزال واما على اصل اهل الحق فلا صحة له لان ارادته تعالى تستلزم الوقوع
عندهم وقد لم يقع فلا بد من الحمل على كونهم في صورة من يرجى منه الشكر وان لم يتعلق به الارادة
واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان الواو بينهما هي التي توسط بين الصفات لمعنى
كون الموصوف جامعا لها اي الشيء الجامع بين كونه كتابا منزلا من عند الله تعالى وبين
كونه فرقانا بين الحق والباطل وهو التورية وفي توصيفه بالكتاب في مقام المدح اشارة
الى ان نزوله من السماء مكتوبا وحمل الفرقان على النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كما
في قوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر لا يناسبه قوله لعلكم تهتدون باتباع ذلك
الكتاب المنزل والعمل بما فيه قال الله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور واذ
قال موسى لقومه القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه ويختص بالرجال يا قوم المنادى
اذا اضفته الى نفسك جاز فيه حذف اليا واثباتها كما في قوله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا وفتحها كما في قراءة من فتح اليا والاجود الاكتفاء بالكسر انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل اي ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها او نقصتموها ثواب الاقامة
على عهدي فان الظلم في اللغة النقص وفي العرف الضرر الخالي عن نفع يزيد عليه
ودفع مضرة اعظم منه وظلم الانسان نفسه اخس من ظلم غيرها فتوبوا الى بارئكم
فاقتلوا انفسكم الفا الاولى للسببية لان الظلم سبب التوبة والثاني للتعقيب

فان كانت توبتهم نفس القتل قوله فاقتلوا انفسكم تفسير وتفصيل لقوله فتوبوا ولا حاجة
الى تقدير الفاء السببية وان كانت تتمة التوبة وسبب قبولها فمعناه توبوا فاتبعوا
توبتكم القتل تماما لها والتعدية بالى لما في التوبة من معنى الرجوع وخص البارئ
بالذكر من سائر اسمائه لان البارئ هو الذي خلقهم ابرياء من التفاوت في النوع
والتشابه في التشخص وذلك من عجيب حكمته وبديع قدرته فعبرهم عن تركهم
عبادة من هذا شأنه الى عبادة ما هو مثل في الغباوة حتى عرضوا انفسهم
لسخط فناسب خلقهم وجمع بينهم باللطف تنكيلهم وفك تركيبهم بالقتل حيث تقابلا
والنفس ههنا في هذه البنية الانسانية والقتل هو ازهاق الروح وحمل قوله
فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع اي يقتل احد نفسه ويجوز ان يكون على التجوز
بجعل المقتول نفس القاتل بما بينهما من التعلق والاتحاد في الاعتقاد وقيل امروا
ان يقتل بعضهم بالسيف بعضا وقيل من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة ذلكم خير
لكم اي ذلك القتل او الرجوع انفع لكم من الحياة بالاصرار المؤدي الى العذاب المخلد
في النار ولما كان ظهور نفعه في الآخرة بالحياة الابدية والبهجة السرمدية نبه
عليه بقوله عند بارئكم واعادة بارئكم كاعادة الحق في قوله تعالى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل فتاب عليكم اخبار بالتوبة وعطف على محذوف اي فامتثلتم ذلك
فتاب عليكم وهاتان الجملتان تحت الاضافة الى الظرف الذي تقدم والتفات من الغيبة
الى الخطاب حيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظ قومه واما اندراجه تحت قول موسى
عليه السلام على تقدير شرط محذوف اي ان فعلتم فنبه ان تدخل الفاء الجزائية
على الماضي المتصرف من غير قد غير جائز واضمارها ضعيف وحذف فعل الشرط واداته
معا وابقاء الجواب مما نوزع في صحته انه هو التواب الرحيم المبالغة في الوصف
الاول لكثرة توفيقه تعالى للتوبة وقبولها مرة بعد اخرى والمبالغة في الوصف
الثاني لعدم الاستعجال في امر العقوبة والامهال الى زمان التوبة بعد عود
واذ قلتم يا موسى تعدد عليهم ما صدر عنهم من سوء الافتتاح في ندائهم موسى
كليم الله باسمه دليل على سوء ادبهم معه وقد تكرر ذلك منهم لن نؤمن لك تعدية
الايمان باللام باعتبار تضمنه معنى الوثوق وما قيل اي لاجل قولك يا باه قوله حتى
نرى الله لان عدم ايمانهم لاجل قوله لا ينتهي عند رؤيته تعالى بل يشتم والرؤية بصرية
واكدت بقوله جهرة اي غير مستتر عنا بشيء مبالغة في الابصار وانتصب على المصدر

لانها نوع من الرؤية او على الحال بمعنى ذوي جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة
واما جمع جاهر واوجه الاوجه هو ان يكون بمعنى جهرة لان كل اسم كان ثانيه من
حروف الحلق يجوز تحريكه قياسا مطردا كالبحر والبحر والنهر والنهر والاصل في الترائين
التوافق والجهر حقيقة في ظهور الشيء بافراط صوتا كان او غيره والقائلون هم
السبعون الذين خرج بهم موسى عليه السلام الى الطور وقيل عشرة آلاف
منهم والمؤمن به ان هذا الكتاب لله تعالى وانك سمعت كلامه وانه امرنا بقوله والعمل به
فاخذتكم الصاعقة لا لاستحالة المسؤول بل لانهم لم يسألوا الرؤية للاسترشاد بل سألوا
سؤال التعنت واساءوا الادب في السؤال حيث قالوا لن نؤمن لك والصاعقة كل امر هائل
مميت ومزيل للعقل والفهم غالبا والمراد الصيحة الهائلة الحاصلة بالرجفة بقوله تعالى
في سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة واصلها الاضطراب خروا صعقين يوما
وليلة وانتم تنظرون دل على ان انتقامهم معاينة بالنهار وهم ايقاظ يبصرونها
وذلك افظع واشد وقعا ثم بعثناكم البعث اثارة البارك والنائم عن مكانه
ونشر الميت كبعث النائم فالتقييد بقوله من بعد موتكم اي بسبب الصاعقة لتعيين
المراد ودفع الاشتباه لعلكم تشكرون نعمة البعث او نعمة الهداية بعد الضلال وظللنا
عليكم الغمام اي وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم
يظلهم من الشمس والظل في اللغة الستر والغمام جمع غمامة وهي ما ابيض من السحاب
سمي بها لستره فان كل ما يستر شيئا فهو غمه وانزلنا عليكم المن الذي هو الترنجبين وكان
ينزل كهيئة الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والسلوى هو السماني وكانت ريح الجنوب
تحشر عليهم كلوا على ارادة القول من طيبات ما رزقناكم من المشتهيات الخاليات
عن الادواء والمضرات وعن الحرمة والكراهة لان الامر للاباحة لا للانتفاء وما ظلمونا
عطف على مقدر اي فظلموا بان كفروا هذه النعمة وما ظلمونا فالواو فصيحة ولما اخبر
عن وقوع الظلم ونفي ان يصل اليه تشوقت النفس الى ذكر من وقع به الظلم واتصل به
ضرره فاستدرك ببيانه فقال ولكن كانوا انفسهم يظلمون فتقديم المفعول للتخصيص
والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي واذ قلنا ادخلوا الدخول
الانتقال من البروز الى الكمون هذه القرية هي تدل هذه المادة ذات الدال منها
على كماله فان الشيء اذا عظم لزم ان يوصف باسم جنسه والقرية الابنية التي هي مجتمع الناس
من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد بالقرية هنا بيت المقدس وقيل

ايليا وهي البلدة التي فيها بيت المقدس وقيل اريحا وهي بقرب بيت المقدس امروا به بعد التيه
وقد امروا بالدخول في الارض المقدسة مرة بعد اخرى وذلك الامر قبل التيه ذل على
ذلك ما في سورة المائدة من ترتيب التيه على عدم امتثالهم بهذا الامر فكلوا منها حيث
شئتم رغدا اي واسعا كم ووسعناه عليكم فعيشوا فيها اين شئتم بلا تضييق ولا منع
وذكر الاكل لانه معظم المقصود والنما افاد تسبب دخولهم للاكل منها الا شكاية عن
استيلائهم عليها وهو سبب الملك المعبر عنه بالاكل رغدا او اسما انعت لمصدر محذوف
ويجوز ان يكون في موضع الحال وادخلوا الباب يعني باب القرية قال مجاهد والسدي
هو باب الثاني من بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة والامر على لسان يوشع بن
نون عليه السلام فلا ينافي عدم دخولهم بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام
سجدا امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل امروا
بالدخول الخشوع واخبات وقولوا حطة فعلة من الحط وهو انزال الشي من علو وحط
الذنب اسقاطه وهو كالقاء الحمل عن الظهر وحط حطا منه وحط حطوطا الانم
وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا
ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات وقري بالنصب على الاصل على انه مفعول
قولوا وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم
جواب الامر مترتب على دخول الباب بقيد السجود وقوله حطة المغفرة والغفران والغفر
الستر ومنه المغفر الجمع الكثير الذي يستر بعضه بعضا والخطايا جمع خطية بمعنى
الاثم في الخطي اذا اثم متعمدا واخطا اذا لم يتعمد وسنزيد المحسنين ثوابا يعني من
كان خاطيا غفرنا له خطاياه ومن كان محسنا زدناه في عطاياه ففي الكلام جمع وتفريق
اما عدم انجزام سنزيد مع عطفه على مجزوم فلخروجه عن صورة الجواب بدخول
السين المانعة من الانجزام ونكتة الاخراج الدلالة على انه يفعل البتة لان تلك
الزيادة ان كانت عن وعد الله تعالى كانت اقطع مما اذا كانت مسببة عن فعلهم
فبدل الذين ظلموا وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التبديل ظلم او مسبب عن
ظلمهم وعادتهم في وضع الاشياء غير مواضعها وان المبدلين بعضهم لا كلهم قولا غير الذي
قيل لهم اي امروا ان يقولوا معناه التوبة والاستغفار فبدلوا به قولا معناه غيره
وقيل الغرض انهم امروا ان بلفظة معينة فخالفوا الى غيرها الانهم لو قالوا مكان حطة ستغفرك
ونتوب اليك او ما اشبه ذلك لم يؤاخذوا به ولم يعد بدوا وقيل قالوا مكان حطة

حنطة استهزاء واعراضا عن طلب ما عند الله تعالى الى طلب ما اشتهت نفوسهم فانزلنا
على الذين ظلموا الاظهار في موضع الاضمار للتنصيص على عدم تعدي العذاب عن الذين ظلموا
الى غيرهم فان منه ما يتعدي الى غير الظالم على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة لا
تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وانما الاشعار بان الانزال عليهم بظلمهم المذكور فهذه حمل
من الفاء الداخلة على التسبب فيما تقدم رجزا من السماء عذابا في غاية الاشتداد خارجا عن حد
المعتاد فان النسبة الى السماء للاشارة الى هذا المعنى روي انه مات منهم بالطاعون في الساعة
الواحدة اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا وههنا وجه اخر وهو ان العذاب ضربان
ضرب يحصل بالاشياء الظاهرة فيظن انها يمكن دفاعه كالهدم والغرق وضرب يحصل باسباب
غير ظاهرة فلا يظن انه يمكن دفاعه كالطاعون والصاعقة وقد شاع في متعارف الناس
نسبة هذا الضرب الى السماء والرجز ما يطلق على العذاب الموجب للاضطراب في الارتجز
اذا ارتعش بما كانوا يفسقون بسبب اعتبارهم بالخروج عن الطاعة واذ استسقى
موسى لقومه الاستسقاء طلب السقي او الاسقاء والسقي ان يجعل له ما يشربه والاسقاء
التعريض لما يجعله له يتناوله متى اراد فهو اخص معنى من السقي وقد دل ذلك على
انهم عطشوا واشتد حاجتهم الى ما كان العطش في التيه ودخول القرية بعدها
ولم يراع الترتيب في ذكرهما لان المقصود تعديد النعم والتقريع على كفرانها نعمة نعمة
على التفصيل والتفريق ادل على ذلك لانها لو وردت مرتبة كان قصة واحدة فيظن
ان المراد ذكر نعمة واحدة فقلنا اضرب بعصاك الحجر كانت عصاه من اس الجنة وله
شعبتان تتقدان في الظلمة واللام في الحجر للعهد على ما روي انه كان اهبطه آدم عليه
السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه اليه مع العصا او حجرا
طوريا حمله معه او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى
به عما رموه بالادرة فاشار اليه جبرائيل عليه السلام بحمله او للجنس على ما قيل
لم يامر ان يضرب حجرا معينا ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجر بها
حمل حجرا في مخلاته وهذا اظهر في الحجة والاول انسب لتعريف قرينه قال ابن عطية
لا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا يطرد من كل جهة ثلاثة عيون اذا ضربه موسى
واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون واياك ان تتوهم ان هذا من قبيل ما يستند
الى الطبائع من الخواص كجذب بعض الاحجار الحديد وحلق بعض الشعر لانه لا يتبع الارادة
والحاجة والحق ان فتح باب امثال هذا التوجيه الباطل في خوارق العادات الصادرة

بلغ

عن الانبيا اجمعين سيجي في سند طريق دلالة المعجزة على صدق النبوة فانفجرت منه اثنتي
عشرة عينا متعلق بمحذوف يفصح عنه الفا الفصيحة تقديره فضرب فانفجرت
ونكتة الحذف الدلالة على سرعة الامتثال وظهور الاثر في الحال وعلى ان المقصود بالا
اثر الضرب لا الضرب نفسه والاشارة الى ان ترتب الانفجار وان كان في الظاهر على
ضربه موسى عليه السلام لكنه في الحقيقة على امر الله تعالى به وتعليقه عليه والانفجار الشق
ومنه الفاجر لانه يشق شق عصا المسلمين بخروجه الى الفسق والعين هي الينبوع
وهي مونث سماعا ونصبه على التمييز وجاز اجتماع علامتي التانيث في اثنتي عشرة لانها
في شيئين قد علم كل اناس الاناس اسم جمع لا واحد له من لفظه والمراد كل سبط من اسباط
بني اسرائيل وكانوا اثني عشر عدد العيون مشربهم المشرب موضع الشرب والعلم كناية عن عدم
التجاوز عنه كما يقال فلان يعرف حده اي لا يتجاوز عنه وفي الكلام ايجاز بليغ حيث دل
على سبق اليقين والتخصيص قيل كانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا كلوا
واشربوا على تقدير القول وقيل الما ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق يوكل منه ويشرب
ولا وجه له في هذا المقام لانهم في التيه ما كانوا من زرع الما وثمره من رزق الله
من المن والسلوى وما العيون من للابتدا او للتبعيض والرزق المرزوق والاسناد
الى الله تعالى لعدم التوقف على الكسب العادي والا فالرزق كله مستند اليه تعالى
خلقا وايجادا ولا تعثوا في الارض مفسدين لما كان قد تهيا لهم الماكول والمشروب
من غير تعب نهوا عن الفساد وان كان ذلك قد يدعوا اليه كما قال الشاعر •

• ان الشباب والفراغ والجده • مفسدة للمرء اي مفسدة •

والعثي على ما ذكره البعض اشد الفساد والفساد خروج الشي عن ان يكون منتفعا به
وربما لا يكون منهيا بل يكون واجبا كهدم دور المشركين وحرق زرعهم ولذلك
قيد بتقييد الانفساد المستفاد من قوله مفسدين فان المفسد من باشر الفساد
عمدا لا من صدر عنه الفساد مطلقا ولو سهوا وفيه ما في مفهوم العثي من الشدة الا
على ان اشد العذاب الفساد غير منهي اذا كان لمصلحة فكيف الفساد في الجملة قال الراغب
العيث والعثي يتقاربان نحو جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يقال فيما يدرك حسا
والعثو فيما يدرك حكما واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يعني ما رزقوا به
في التيه قيل كان ينزل عليهم المن وحده ثم تلوا فارسلت عليهم السلوى وكان هذا الكلام
منهم قبل نزول السلوى وقيل اريد بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل فلا ينافي التعدد

بموضع الشرب في

وادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه وفي معنى التربية التي هي ماخذ الرب مناسبة
للمقام يخرج لنا جزم على انه جواب فادع كانهم طلبوا اصول ما طلبوا على سبيل خرق
العادة كنزول المن والسلوى ولذلك قالوا اخرج اي يظهر ولم يقولوا انبت وانما كرر
لنا مع ان في الثاني منهما غنى عن الاول اظهارا لفضيلة الدعا النافع اهتماما في شانه
مما تنبت الارض من للتبعيض والانبات عمل طبيعة الارض في تربية البذر ومادة النبا
بتسخيره تعالى اياها وتدبيره وذلك امر اخر دون الايجاد وايجاد اسبابه والعمل انما يسند
حقيقة الى من باشره لا الى من خلقه واوجده كالمنبت والوالد والمصور ونحو ذلك حقيقة
المباشر بالاسباب من الاعمال لا الباري تعالى وانما نسب اليه كنسبة القتل والقطع
والكسر اليه لكونه المكون فيها من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها •
تفسير وبيان وقع موقع الحال من الضمير تقديره مما تنبته كائنا من بقلها او بدله
باعادة الجار والبقل كل ما يوكل مع الطعام من الخضر والفوم الحنطة عند الاكثر
وقال مجاهد الفوم الخبز يقال فوموا لنا اي اخبزوا وقال الفرا هي لغة قديمة وقيل الثوم
بدلالة الا في قراءة وثومها عليه لان الثا تبدل من الفا كما قالوا اثافير ومغافير وجدث
وجدف ولو كان المراد الثوم لكان المناسب ان يذكر بعد العدس والقثا جمع قثاة وهو
نوع اخر من جنس الخيار ولكثرة صيغة الجمع هنا انتصاحتها وانما معنى الجمع فقد سطحه
بالتفريع لعدم مناسبة المقام قيل كان القوم فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا
ما القوه قال اي الله اي دعا فاجابه الله تعالى لما دعا قال الله تعالى او موسى عليه
السلام باذنه اتستبدلون الذي هو ادنى اي تطلبون تبديل الذي هو ادنى المنعوت
هو الحاصل والذي يدخل عليه البا هو الزائل وادنى افعل التفضيل من الدنو المستعار
من القرب المكاني للخسة كالقرب المستعار للشرف والرفعة او من الدون وهو
الردي نقلت او اصله ادنا فقلبت همزته بابدالها الفا من الدناءة وقد قري بالهمزة
بالذي هو خير يريد بالمن والسلوى وانما كان خيرا لكونه بلا تعب ووصوله من جهة
الرب تشريفا وخلوصه عن شبهة الحظر وكونه ذي خطر بخلاف البقول اهبطوا
مصرا انحدروا اليه فان القادم على خطر كانه منصب عليه والمصر البلد العظيم واصله
سقف الاقصار ان كنتم تريدون هذه الاشيا ويحتمل ان يريد العلم اعني مصر فرعون
وصرفه لعدم سبب اخر على ارادة البلد وسكون وسطه ويويده انه غير منون
في مصحف ابي رضي الله عنه وقراة ابن مسعود رضي الله عنه وقيل اصله مصرايم

يضرب ولعرفه حينئذ وجه اخر وهو انه لا اعتداد بالنعمة لوجود التعرب والترف
فان لكم ما سالتم لما كان هذا الحق قوله وجدوا ما سالوه عطف عليه قوله **وضربت
عليهم الذلة والمسكنة** وفي الجمع بينهما اشارة الى ان الذلة والمسكنة من روادف
ما ابتغوه من الزراعة والحرث وقد جاء في الخبر الذل في اذناب البقر والكلام كناية عن
كونهم اذلاء متصاغرين منها على الاستعارة اما في الذلة تشبيها لها بالقبة فهي
مكنية واثبات الضرب تخييل واما في الفعل اعني ضربت تشبيها لالصاق الذلة ولزومها
بضرب الطين على الحائط فتكون تصريحية تبعية والذلة فعلة من الذل كانها هيئة
وحالة والمسكنة من المسكين وقال الزجاج هي ماخوذة من السكون وهي هنا
ذل الفقر وخضوعه فان وجد يهودي غني فلا يخلو من ذل الفقر ومهانته مخافة ان
تضاعف جزيتهم **وباؤا بغضب من الله** رجعوا به اي لزمهم ذلك ومنه قوله
عليه السلام في دعائه ومناجاته ابوء بنعمتك علي اي اقر بها والزمها نفسي هذا
على ما ذكره الفرا انبا بمعنى رجع رده الكسائي ولا يكون با الا بشر اما بخير واما بشر
ولا يكون لمطلق الانصراف او حلوا مبواهم ومنهم غضب الله تعالى اي عقوبته وقوله
بغضب في محل الحال يخرج بسببه واستعمال البا للتنبيه على ان مكانهم الموافق يلزمهم
فيه غضب الله فكيف غيره من الامكنة وهذا على ما ذكره الراغب من ان اصل البوء
مساواة الاجزاء في المكان خلافا للنبو الذي هو منافاتها **ذلك** اشارة الى ما سبق
من الضرب والبوء **بانهم كانوا يكفرون بايات الله** بسبب انهم جحدوا من الثبات
في اصل الكفر والدوام عليه وتجدد انواعه والمراد من الايات المعجزات او الكتب
المنزلة **ويقتلون النبيين** انهم قتلوا اشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم **بغير الحق** ليس للحق
اذ لا يقع قتل نبي الا بغير الحق فهو قيد لازم نحو دعوت الله سميعا اوجا لعظيما للشنعة والذ
الذي اتوه وما قيل معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم يرده انهم كانوا يقولون هؤلاء
كاذبون وما ارادوا به تمويهات وليست من الله تعالى ويقتلونهم بهذا الاعتقاد الباطل
لا بما خلا **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اشارة الى السبب المذكور والباقي فيهما للسببية
فيكون بيانا لسبب السبب مبالغة في جواب اجتناب المعصية والاعتداء بانهما
يفضيان الى الكفر بالايات وقتل الانبياء وهما من اشنع القبائح ويجوز ان يكون ذلك
تكريرا للدلالة على ان ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب مسبب عن امور كثيرة كل
واحد منها يوجب ذلك والعصيان والاعتداء من الاثنا لا التي جعلت لازمة وتركت

مفاعلها انسيا منسيا والاعتداء وان كان في اصله وضعه تجاوز الحد في كل شيء لكن عرفه
في الظلم والمعاصي والعدول عن قوله واعتدوا ابمثل ما مر من النكتة في قوله بانهم كانوا
يكفرون واما التاكيد ثمة دون هنا فلان الكفر بالمعجزات الباهرة وقتل الانبيا
المبعوثين بالبينات الظاهرة مظنة ان يستبعد بخلاف مطلق العصيان والاعتدا
ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب لا بد من هذا القيد ليدخلوا في عداد
الكفرة وينتظموا معهم في سلك الابدال والاخبار بان من امن منهم ايمانا خالصا فله كذا
والذين هادوا اي تهودوا يقال هاد يهود اذا دخل في اليهودية ويهود من هاد بمعنى تاب سموا
بذلك لما تابوا من عبادة العجل **والنصارى** اختلف في اصلها والاقرب ما قيل انه
المسيح عليه السلام كان من قرية يقال لها نصران فلما ان سموا باسمها حيث جمعته
العرب على نصارى نحو سكران وسكارى وجعلوا منسوبين اليها ثم جعلت نحو مهري
ومهارى كذا قال الامام الراغب فاليا في نصراني للنسبة الى تلك القرية او الى تلك
الجيل او للفرق بين اسم الجمع والواحد كما في اليهودي والمجوسي **والصابئين** الصابي من
صبا اذا خرج من الدين وهم خرجوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة
او الكواكب **من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا** في محل النصب بدل من اسم
ان وما عطف عليه وخبر ان فلهم اجرهم ودخول الفا لتضمن الموصول معنى الشرط او
في محل الرفع بالابتداء وخبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان والمعنى من امن من هؤلاء الكفرة
ايمانا خالصا وتصدق بقلبه بجميع ما يجب تصديقه به عاملا بمقتضى شرع نبي ارسله
الله وما قيل في تفسير من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ لا يناسب المقام كما عرفت
ان المراد من الذين امنوا المنافقون والصابئون لم يثبت لهم دين سماوي ولذلك
اختلف في حل مناكحتهم **فلهم اجرهم** اي ثوابهم على ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا لانه جزاء عمله
بوعد الصادق وان كان فضلا منه وترتيب الحكم على الموصول دل على ان الاستحقاق بسبب
ما ذكر في الصلة من الايمان والعمل الصالح فقد زكسبه والجملة اعتراض بين خطاب
بني اسرائيل **عند ربهم** كناية عن كون ذلك الاجر مامونا من الضياع لكونه عند امين حافظ
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يناله خوف ولا يصيبهم حزن في الاخرة لانهم يصيرون
الى النعيم المقيم والامن الدائم والتنكير في الخوف للتقليل وفي قوله ولا هم دلالة على ثبوت
الحزن لغيرهم **واذ اخذنا ميثاقكم** بالعمل على ما في التوراة والدليل على اختصاصهم
قوله **ورفعنا فوقكم الطور** اي حتى قبلتم واعطيتم الميثاق فالميثاق مفعول من وثق

بثق مثل ميزان من وزن يزن ووحّد وان اضيف الى الجمع تنبيهاً على ان الماخوذ على الكل
ميثاق واحد الطور كالجبل بالسريانية وقد تكلمت به العرب وقيل علم الجبل الذي ناجا
عليه الله تعالى موسى عليه السلام وهو المراد هنا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم
اي التورية بقوة اي بجد واجتهاد واستمعوا اي اخذ التورية والتزام احكامها الشاقة
فاكرهوا على ذلك برفع الطور فوقهم واذكروا ما فيه امر بحفظه وعدم تناسيه قولا وعملا
لعلكم تتقون تقدير تفسير لعلكم تشكرون ما يغني عن بسط الكلام في هذا المقام
بتوضيح المرام ورد الاوهام ثم توليتم من بعد ذلك اي اعرضتم عن الوفا بالميثاق بعد
اخذه على الكيفية المذكورة وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاعراض بعد تاكيد الميثاق بما
ذكر امر بعيد وترتجه عبارة ذلك فلولا فضل الله عليكم بقبول التوبة ورحمته
بالعفو عن الذلة وارتفاع فضل على الابتدا وعليكم متعلق بفضل والخبر محذوف واجب
الحذف على المختار لدلالة الجواب عليه لكنتم من الخاسرين اي من المغبونين بالوقوع
في العذاب وحرمان الثواب جواب لولا وكثر دخول اللام عليه اذا كان موجبا ولو
في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء
لثبوت غيره والتفريع المستفاد من الفا باعتبار ان في مدخولها دلالة على انهم كانوا
على شرف الخسران لولا تدارك فضل الله تعالى وذلك مسبب عما تقدم ذكره من احوالهم
القبيحة ولقد علمتم اللام توطئة للقسم سهلة لتفهيم جوابه على السامع وعلم هنا بمعنى
الى واحد يعني قد عرفتم اصحاب السبت وما احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حين
اعتدوا بالاصطياد في يوم السبت فلم يكن تاخيرنا العقوبة عن اسلافكم الذين كانوا
قبلكم على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم للعجز عن تعجيلها لك بل فضلا ورحمة ولو شئنا
لعاجلناهم بما عاجلنا به اصحاب السبت فيكون هذا التذكير لتقريب ما ذكر
من ان نجاتهم عن الخسران بمحض فضل الله ورحمته الذين اعتدوا منكم في السبت
اي الذين جاوزوا الحد الذي حدد لهم من ترك الصيد يوم السبت من اسلافكم هو يوم
معروف سمي به لانه سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وتم واصل السبت القطع ومنه
السبات لانه يقطع الافعال الاختيارية واليهود يسبتون فيه اي يقطعون الاعمال وقيل
هو ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة والسبت هنا مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت السبت فهي في السنة تعظيم يوم السبت وتعظيمه عبارة عن ترك العادات
والاشتغال للعبادات والاعراض عما يؤدي الى ما يؤذي الحيوانات داخل في حل وذكر

الموصول

الموصول مع الصلة يفيد تعلق العلم بالوصف المذكور الموجب للمسخ المذكور لابد والقسم
وتفصيل القصة ياتي في سورة الاعراف باذن الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة مجاز
لتعلق ارادة الله تعالى بمسخهم في آن واحد والقردة جمع قرد كالديكة جمع ديك والقياس
في فعل الاسم فعول نحو قرود وجمعه على فعلة لا ينقاس خاسئين خبر اخر لكونوا او
صفة لقردة باعتبار انهم كانوا من العقلا اي جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار
والطرد وفعله خسا يجيء متعديا ولازما والضمير في فجعلناها للمسخة نكالا
النكال العقوبة الغليظة المنكلة الغير اي المانعة من الذنب فان اصله المنع ومنه
النكل للقيد واللجام لما بين يديها من ياتي بعدها وما خلفها من تقدمها وجودا
والتقدم بحسب الوجود لا ينافي حضورها للمتقدم عنه المتاخر وما يحضرها او ما بعدها
فظرفا المكان مستعاران للزمان وان ما اقيمت موقع من لا يحتاج لشانهم لا لا بناء
المقام بل لا اعتبار وصف المعتبرين وموعظة مفعول له من الاتعاظ والانزجار والوعظ
التخويف والعظة الاسم للمتقين لكل من اعتبرها وانما اي يفعل ذلك قصدا للتشفي
كفعل الادميين بل لمصلحة العباد واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا وانما فك عنها ولد القصة واخرج مخرج
الاستيناف كانه قصة مستقلة بالتقريع على القتل والتدافع والتنبيه على القدرة
في احيا الميت والاعجاز وقدم اخرها لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزا
بالامر والاستقصا في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال ولذلك لم يقل قال موسى
لقومه ياقوم كما قال فيما تقدم فانه لما كان جواب سؤال لا ابتدا خطاب لم يناسب التصدير
بالندا ثم امر بالثانية ضمير البقرة ليدل بهذا الربط انها قصة واحدة وفيما يحاذيها
من التقريع والتنبيه قصتان ولو اوردت مسرودة في الترتيب لا يمكن ان يفعل ذلك
فالبقرة اسم للانثى واسم الذكر الثور مثل ناقة وجمل وقيل البقرة واحد البقر الانثى والذكر
سواء واصلها من بقر اي شق فالبقر يشق الارض بالحرث وقصته انه كان فيهم شيخ موسر
فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم
الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي اتجعلنا
نفس الهزؤ للمبالغة وفرط الاستهزاء او اهل هزؤ او مكان هزؤ او مهزوا بنا الاختصار
والايجاز ظنوا ان موسى عليه السلام يستهزئ بهم فيما امرهم قالوا نخبرك ان رجلا منا
قتل فتقول لنا اذبحوا بقرة فيحتمل ان موسى عليه السلام امرهم بذبحها ولم يبين المراد

والغرض بيان اول الامر فلذلك وقع هذا القول منهم موقع الهزء في بادي نظرهم قيل
قوله تتخذنا بالنا اي الله تعالى ولاياسه قوله تعالى قال اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين تبرؤ عن الاستهزاء على وجه ابلغ حيث عده من الجهل واستعاذ منه استفظاعا
له وذلك لكونه في مقام التبليغ والارشاد فلا ينافي قصده في مقام الاحتقار والتهكم
على انبشرهم بعذاب اليم فرجع الجهل هنا الى عدم العلم بمقتضى المقام فلا حاجة الى
صرفه الى معنى السفه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا قدمر نظيره عن قريب ما هي حال ارادوا
ما امروا به على حال ليست من احوال جنس البقر لشبهه عليهم وجه الاشتباه فلذلك قال
يبين لنا ما هي فان الحاجة الى البيان انما تكون في موضع الاشتباه والسؤال بما هي يكون
غالبا عن الجنس واما كونه لمفعول لا اول جماعة فلا دخل له في انتفاء التاويل بالحذف
او التجوز في المفرد او الحكم لان ما اصله المصدر يجوز ان يكون خبرا عن الاثنين وعن
الجماعة كما في قوله تعالى فقولا انا رسول رب العالمين وقوله تعالى لا هن حل لهم فكيف
بالمصدر قال انه يقول انما زيد هذا كيلا يتوهم انما ذكر قول موسى عليه السلام وقد
روعي هذه النكتة في مواضع من هذه القصة انها بقرة تكرير الاسم لتقرير الحقيق
المعنى المراد دفعا لاحتمال ان يراد جنس اخر بعد ابانة ما ذكر من الاثر كما سبق الى وهم
السائلين لا فارض ولا بكر صفة للبقرة النكرة واذا وصفت النكرة بما دخل عليه
لا كررت وكذا الخبر والحال لانه لا انه رد الفارض المسنة التي انقطعت ولادتها من الكبر
والبكر الصغيرة التي لم تلد من الصغر عوان نصف النصف من الفارض فرضت تفرض
فروضا ومن العوان عونت تعون تعوينا ولم يسمع من البكر فعل الا ان في تركيبها
الاولية ومنه البكرة والباكورة وانما لم تدخل التاء في هذه الصفات للتانيث لانها
من خصايص اوصاف الاناث فصارت كالحايض والطالق بين ذلك اي بين البكر والفارض
ولم يقل بين تينك ترجيحا للافراد عنا ان ذلك بما الخاصية على ما في تينك من الجناس مع
بين وقد مر وجه التعبير عن الاثنين بذلك فافعلوا ما تؤمرون ما موصولة والعائد
محذوف واصله ما تؤمرون به لان الامر يتعدى الى المامور بنفسه والى الفعل المطلوب
بالباء فالامر به بكذا ثم حذف الجار واوصل بنفسه ثم حذف المفعول به او مصدرية
اي امركم بمعنى مامورکم لان المصدر بمعنى المفعول شايع واما المصدر بمعنى المفعول به
فقليل جدا التجديد للامر تاكيد وتنبيه على ترك التعنت والمسارعة الى الامتثال
ولم يجد حيث ما ادوا السوال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها

بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه واستعماله
للتاكيد بيانه اصفر فاقع واحمر قاني واخضر ناضر واسود حالك وابيض يقق فهذه
التوابع تدل على شدة الوصف وخلوصه وفي ارتفاع اللون بفاقع مزيد تاكيد
لذلك لانه صفراء اشد بالصفرة صفرتها وعلى هذا لا تقف على صفراء لئلا
تنفصل بين الصفة والموصوف وان جعلت صفراء بمعنى سوداء اوقفت عليها ويكون
الفقوع بمعنى الخلوص صفة اللون كانه قال لونها خالص على ان فاقع واقع خبرا عن
اللون فلم يقع تاكيد الصفرة حتى ينافي تفسيرها بالسواد تسر الناظرين اي
تردف هذه البقرة من نظر اليها وتعجبه وتفرح قلبه اتمام خلقتها ولطافة شكلها
وحسن لونها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه او اندفاع ضرر
قالوا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر قال القرطبي البقر والباقر والبيقور
والبقر لغات بمعنى والعرب تذكره وتؤنثه والى ذلك ترجع القراءات في تشابه
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي طلبوا تمام الكشف ببيان ما يرفع الاشتباه ويدفع
الصدق على متعدد ولما ارادوا البقر الزائد على التعين بالعوارض المشتركة
سالوا بما هي فكانهم طلبوا ما في منزلة الذاتي المميز من الاوصاف المخصوصة لتشخص
معين ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه فانما لم يقل ان البقرة تشابهت علينا لانهم
لم يريدوا تشابه المعهود بل ارادوا ان الاوصاف المذكورة صدقت على جماعة من الجنس
المذكور فاشكل علينا الامر فيها للتشابه والتشارك في تلك الاوصاف وقرئ تشابها
مخففا ومشددا قال القرطبي وفي مصحف ابي انه تشابهت بتشديد الشين
قال ابو حاتم وهو غلط لان التاء في هذا الباب لا يدغم الا في المضارع وانما ذكر
الفعل لتذكير اللفظ كقوله منقعر وكل جمع حروفه اقل من حروف واحده جاز
تذكيره مثل نخل وبقر وسحاب وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها
لما جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله
وانما سميت استثناء لصرفها الكلام عن الجزم وعن الثبوت في الحال من حيث التعليق
بما لا يعلمه الا الله المتنبي واخر الابد كناية عن المبالغة في التابيد والمعنى الى الابد الذي
هو اخر الاوقات وتقديم الكلام وانا لمهتدون ان شاء الله فقه على ذكر
الاهتداء اهتماما به وحفظا لرؤس الاي ولا تمسك فيه لاصحابنا على ان الحوادث
بارادة الله تعالى لان دلالته على ان مراده تعالى واقع وانما ان الواقع ليس

بحث

الارادة فلا تعرض له ولا على ان الامر قد ينفك عن الارادة لان محل الخلاف الامر
التكليفي وهذا الامر للارشاد على ما يرشد اليه قولهم اتتخذنا هزوا ولا اختلاف
فيه قال انه يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة اي لم تذلل للكراب من الذل
بكسر الذال وهو خلاف الصعوبة يقال ذلت الدابة ذلا فهو ذلول وذل الرجل
ذلا بضم الذال فهو ذليل تثير الارض صفة لذلول داخلة تحت النفي والمقصود
نفي اثارتها الارض ولا تسقي الحرث نفي ما د لا للتقليل لا ذلول والمعنى انها لم
تذلل بالعمل حرث ولا سقي وقيل لا في قوله ولا تسقي الحرث زائدة للتوكيد وان
المعنى اي لا ذلول تثير الارض وتسقي الحرث والفعلان صفتان لذلول كانه
قيل لا ذلول مثيرة وساقية فيلزم الوصف بالاثنين مكررة ولا مقابل منفي
وذلك لا يكون الا في الشعر وقرئ لا ذلول بالفتح على ان لا لنفي الجنس والخبر
محذوف فالجملة صفة ذلول كناية عن نفي الذل عنه كما يقال البلد لا حيث هو
كناية عن اثبات الذلول له والحرث الارض المهيئة للزرع ومعنى الاثارة هنا
قلب الارض للزراعة يقال اثرت الشيء واستثرته اذا هيجته مسلمة من العيوب
اي سلمها الله تعالى او من العمل اي سلمها اهلها وقيل مخلصة اللون من سلم له
كذا اذا خلص له اي لم يشب صفرتها شيء من الالوان ويرد عليه ان يخص هذا
البيان ح ان يعقب السؤال الثاني ويذكر في اخر جوابه لا شية فيها اي علامة
فيها تشينها وقيل الالوان فيها يخالف لون جلدها ماخوذ من وشي الثوب اذا نسج
على لونين مختلفين يقال ثور ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب ابقع وثور
اشيه كل ذلك بمعنى البلقة ويرد على ذلك هذا اما رد على المعنى الاخير
لمسلمة قالوا الآن هو اسم للزمان بين الماضي والمستقبل مبني لتضمنه معنى
الاشارة تقديره هذا الوقت جئت بالحق اي بما تحققنا به المراد من البقرة
فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وانما حذف
ما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه والفاء ليست فصيحة لان شرطها
ان يكون المحذوف سببا للمذكور والتحصيل ليس سببا للذبح وانما سببه الامر
به بل للتعقيب والدلالة انهم كما حصلوها ذبحوها وما كادوا يفعلون
يعني شيئا من الذبح ونفد ما تم من تحصيل المامور به وتحقيق اسبابه
وبهذا الاعتبار كان المذكور ابلغ من يذبحونه وكاد من افعال المقاربة وضع

لان الخبر حصولا اما الفعل المقرون به مقيد والنفي الداخل عليه قد يعتبر سابقا
على القيد فيفيد معنى الاثبات بالتكلف كما في هذه الاية وقد يعتبر مسبوقا به
فيفيد البعد عن الاثبات والوقوع كما في قوله تعالى لا يكادون يفقهون قولا
ومن غفل عن هذا توهم التدافع بينه وبين قوله فذبحوها فتكلف في التوفيق
واعلم انه لا خلاف في ان الظاهر المتبادر من اول الامر بقرة مطلقة مبهمة وان
تعلق الامتثال الحق الامر انما وقع بذبح بقرة موصوفة معينة حتى لو ذبحوا
غيرها لم يكن مطابقا لكن اختلفوا في ان المراد به في اول الامر هو البقرة المعينة
وتأخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ولحقها التغيير الى المعينة الماهية
بسبب تثاقلهم في امتثالهم وكثرة سؤالهم واستكشافهم والحق هو الثاني
لقوله عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا
فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم روي مثله عن ابن عباس رضي الله
عنهما وهو نص في المقصود ولان اللازم على الاول تاخير البيان عن وقت
الحاجة اذ لا اذ قوله فافعلوا ما تؤمرون على انهم امروا بايقاع ذبح البقرة
قبل بيان اللون وكونها مسلمة غير مذللة وهذا اللازم محذور عند المخالف
ايضا ومن ذهب الى الاول لعله تمسك اولا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة
كذا وكذا للمعينة قطعا فكذا في السؤال انطباقا فان السؤال انما هو عن البقرة
المامور بذبحها فتكون هي المعينة وجوابه انهم لما تعجبوا من بقرة ميتة
يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما هو عليه صفة الجنس
فسالوا عن حالها وصفتها فرجعت الضمائر حسبهم الى المعينة في زعمهم واعتقادهم
فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من الامر في المبهمة وثانيا
بانه قد دل السياق ووقع الاتفاق على انه سبحانه امر بنحو ذبح غير الاول
فالامتثال ليس الا بالامر الاول فلزم انه لا يكون منسوخا وان يكون امرا
بذبح المعينة لظهور ان الامتثال لم يقع الا بذبح المعينة وجوابه ان انتقال
الحكم الى المخصوصة لا يلزمه ارتفاع الامر الاول حتى يحتاج ايجاب المخصوصة
الى امر جديد بل على انه كان متناولا لها ولغيرها بمعنى حصول الامتثال
باي فرد كان فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال بذبحها خاصة
وكان ذبحها امتثالا للامر الاول ولم يكن هذا منافيا للنسخ الامر الاول في الجملة

ولا موجبا لكون المراد به اولا ذبح المعينة **واذ قتلتم نفسا** خطاب للجمع لان القتل
صدر من جماعة وهم بنو عم المقتول **فادارأتم** اي تخاصمتم لان المتخاصمين يدرأ
بعضهم بعضا او تدافعتم لان كلا منهم يدفع التهمة عن نفسه الى الآخر والتدارؤ
عن الآخر الى نفسه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال لاتحاد مخرجهما
فسكنت وادخلت الف الوصل لتعذر الابتداء بالساكن وفي ذ فيها التعليل
كما في قوله تعالى لمتنني فيه **والله مخرج** مظهر لا محالة حكي كما ان مستقبلا وقت
التدارؤ فاعمل فنصب به **ما كنتم تكتمون** على المفعولية كما حكى ما كان
حاضرا وقت التقلب في قوله وكلبهم باسط ذراعيه **فقلنا اضربوه** عطف
على فادارأتم وما بينهما اعتراض مشعر بان التدارؤ لا يجدي اذ الله مخرج
ومظهر ما كتمتم والضمير لتأويل القتيل وفي تذكيره تنبيه على زوال الحكم النفس
على الجسد بعد القتل **ببعضها** اي بعض كان دل على ذلك الابهام **كذلك
يحيي الله الموتى** خطاب لمنكري البعث من مشركي مكة او للذين حضروا القتل
على تقدير وقلنا لهم والكاف في محل النصب على المصدر اي مثل ذلك الاحياء
العجيب الشان وذلك اشارة الى ما دل عليه المحذوف المدلول عليه بهذا الكلام
وما قبله وهو فضربوه فحيي وروي انه لما ضرب قام باذن الله واوداجه تشخب
دما فقال قتلني ابنا عمي فلان وفلان وسقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث
قاتل بعد ذلك **ويريكم آياته** دلائله لان من قدر على احياء نفس واحدة قدر
على احياء الكل لعدم الفرق عند العقل **لعلكم تعقلون** تستدلون بها او تعملون
على قضية عقولكم وقد مر معنى لعل غير مرة وانما جعل احياءه مسببا عن
ذبح البقرة وضرب به بعضها وهو قادر على احيائه ابتداء ليعلم ان في الاسباب
والشرائط حكما وفوائد كالتقرب بالقربات والتنبيه على حسن تقديم القربة
في الطلب وترك الاحسن والمغالاة في الثمن وعلى وجوب المسارعة في امتثال
الامر ولو كان للارشاد وان التشديد موجب لتشديد الله تعالى على من شدد
وان الاستهزاء من فعل الجهال وان بر الوالدين له بركة وكذا التوكل والشفقة
على الايتام **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** اي بعد احياء القتيل وهو امر عظيم
خارق للعادة موجب للاعتبار بل ثم للاستبعاد وفيه ان ما بعدها ما لحقيقي
غير متعذر قال الواحدي قسا قلبه يقسو قسوة وقساوة وهي الشدة

بعد

والصلابة

والصلابة واليبس وقست قلوبكم استعارة تبعية واقعة على سبيل التمثيل
شبهت حالة قلوبهم في نبوها عن الاعتبار بحالة قسوة الحجارة في انها لا تجدي
فيها الطف العمل وحسن الحيل ولا اعتبار ومن الاستعارة حسن التفريع والتعقيب
بقوله **فهي كالحجارة او اشد قسوة** تشبيه في القساوة بالحجارة ثم رجوع عنه
بتفضيلها على في القساوة على الحجارة وبيانه وتقريره **وان من الحجارة** لدلالته
على انها في شدة القسوة مفضلة على الحجارة بمطاوعة الحجارة لامر الله تعالى في
دونها وانتصب قسوة على التمييز وبتضمنه اشد وكاف التشبيه وهذا التمييز
الذي بعد افعل التفضيل منقول من المبتدا او هو نقل غريب وعلى هذا فقوله
او اشد معطوف على قوله كالحجارة من قبيل عطف المفرد على المفرد كما تقول
زيد على السفر او مقيم وقرئ اشد بالفتح عطف على الحجارة او مثل شيء اشد
من الحجارة قال الواحدي قال المفسرون انما شبه قلوبهم بالحجارة في الغلظ
والشدة ولم يشبهه بالحديد وان كان الحديد اصلب من الحجارة لان الحديد يلين
بالنار ولا تلين الحجارة بمعالجة ابدا وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة
كدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشديدة فيها
وفي ذلك ايماء الى الاقتصار ببيان الزيادة مما لا يخفى والدلالة على اشتداده
اتفاقا وتبين واشتمال المفضل على زيادة واو بمعنى بل كما في قول الشاعر

بدت مثل ضوء الشمس في رونق الضحى * وصورتها او انت في العين املح

اي بل انت او للابهام على المخاطب قال ابو الاسود الدؤلي

احب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة او عليا
فان يك حبهم رشدا اصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

ولم يشك ابو الاسود ان حبهم رشد ظاهر وانما قصد الابهام وقد قيل له حين
قال ذلك شككت قال لا ثم استشهد بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين قال او كان شاكا من اخبر بهذا **لما يتفجر منه الانهار** التفجر التفتح
بسعة وكثرة وقرئ ان مخففة من مثقلة ولهذا اللام في لما **وان منها لما
يشقق فيخرج منه الماء** اصله يتشقق وقرئ به والتشقق التصدع بطول
او بعرض فينبع منه الماء بقلة وهذا على التتميم دون الترقي والا لقدم الوجه
وان منها لما يهبط من خشية الله الهبوط التردي من علو الى سفل والخشية

الترقي

الخوف من علم وفي جمعها تجاوز عن الانقياد واطلاق لاسم الملزوم على اللازم
كقوله من خشية الله متعلق بالافعال السابقة كلها ولما كانت قساوة القلب
تنشأ عنها الاعمال القبيحة قال الله تعالى على سبيل التهديد وما الله بغافل عما
تعملون وقرئ بالياء ضما الى ما بعده من الضماير الغايبة الى اليهود
افتطمعون الطمع نزوع النفس الى شيء ما اشتهته والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا اي في ان يحدثوا في ايمانهم والضمير لليهود الذين في زمن
محمد عليه السلام لانهم الذين يصح منهم الطمع واللام في لكم للتعليل او لتضمين
معنى الاستجابة اي ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم كما في قوله
فآمن له لوط او للصلة كما في وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لان مثله
لا يوجد في الفعل وانتظامه بما قبله ان النبي عليه السلام والصحابة لما سمعوا
هذه الايات وفيها مخاطبة اليهود طمعوا ان يؤثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا فقال
الله تعالى افتطمعون مبالغة في انكار الطمع مع كونه كالمستحيل عادة بايراد
الفاء بعد الهمزة اي بعد ما شاهدوه منهم ما يوجب اليأس من ايمانهم من قسوة
القلب تطمعون في ايمانهم وهم قوم باعيانهم كما في قوله تعالى اانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون وقد كان فريق الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب والواو
للحال اي في حال علمكم بحال بعضهم وعادتهم منهم الظاهر رجوع الضمير الى ما رجع
الضمير في يؤمنون وعنادا لبعض ما كان منافيا لاقرار الباقين لانهم كانوا اسلافا
لهم يسمعون كلام الله ما يتلونه من التوراة والسماع كناية عن القبول ففي ذكره
زيادة تقبيح لحالهم لان التحريف بعد القبول اشد قباحة ولو كان على حقيقته
لما احتيج الى ذكره لان التحريف لا يكون الا بعد السماع ثم يحرفونه تحريف الشيء
امالته من حال الى حال ومنه قلم محرف اي احد شقيه مايل فينتظم التغيير
والتبديل والتاويل وما حرفوه من نعت الرسول عليه السلام وشريعتهم
كآية الرجم ويجوز ان يكون المراد من الفريق من كان في زمن موسى عليه السلام
وهم اهل الميقات والكلام المسموع كلام الله تعالى بالطور وقد نقل عنهم تغيير
ما سمعوه وعلى هذا ايضا الضمير في منهم على ظاهره ولا حاجة الى ان يكون المعنى
من اسلافهم فان اسلاف طائفة يعدون منهم وعلى هذا يكون المعنى الاصرار
على البطلان موروث لهم سنة عريقة من اخلافهم من بعد ما عقلوه اي

فهم

فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون اي لم يفعلوا
ذلك عن خطأ ونسيان بل فعلوا عن قصد وتعمد حسدا وبغيا واذا لقوا
يعني المنافقين الذين آمنوا المخلصين من اصحاب الرسول عليه السلام قالوا
آمنا اي بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية وانما لم يسلطوا التملق
لعدم المناعة عن باطنهم وهذه آية غاية خبثهم واذا خلا بعضهم الى بعض
اي اذا انفردوا عن المخلصين منضمين بعضهم الساكتون وقت الملاقاة الى
الناطقين بكلمات النفاق قالوا اي الذين سكتوا عاتبين على الذين نطقوا به
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام
والاستفهام للتقريع والتشنيع واللام في ليحاجوكم به متعلق باتحدثونهم وهي
لام كي على تجوز لان المناجي عن شيء وان لم يقصد كالغاية والمعنى ليحتجوا عليكم
بما انزل ربكم في كتابه من الحجة واصله من حاجه اذا قصده مغالبة خصمه عند ربكم
جعلوا محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد
انه في كتابه وحكمه كذا وعلى هذا يكون عند ربكم بدلا عن قوله به او ظرفا مستقرا
بمعنى ليحاجوكم بما قلتم حال كونه في كتابكم وقيل المعنى عند ربكم يوم القيامة لا يقال
ان اليهود يعلمون انهم يوم القيمة محجوجون حدثوا او لم يحدثوا لان ذلك التعليم
لعلمائهم لا الكلام فلا ينافي تخويفهم الجهال منهم بذلك القول ابقاء لهم على اليهودية
ولان احترازهم عن كونهم محجوجين من جهة الخصم فان ذلك لازم ان حدثوا
ومندفع ان لم يحدثوا في زعمهم افلا تعقلون افليس لكم عقل حتى تدركوا فساد
ما فعلتم وهذا من تمام كلام اللائمين او لا يعلمون مقابلة لهم بذلك التجهيل
والتوبيخ والتجهيل التقريري اي اتكلمون عليهم ولا تعلمون ان النفاق
في ذمكم مضاعف ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي يعلمهما على السوا
والقصد الى معنى التسوية ذكر قوله وما يعلنون مع ان قوله ما يسرون
يغني عنه ونظيره هذا قوله يكلم الناس في المهد وكهلا في القصد الى المعنى
المذكور وتقديم ما يسرون مع ان حقه في اسلوب الترقي التاخير للتسوية
بينهما في الاهتمام فان في الجمع بين العبارتين والدلالة اهتماما بالثاني وفي
التقديم مع ان حقه التاخير اهتماما بالاول ومنهم اميون عاميون
الامي من لا يكتب ولا يقرأ سمي به لانه على الخلقة التي ولدته الام عليها

لا يعلمون الكتاب اي التورية الا اماني الاستثناء منقطع والاماني
جمع امنية افعولة من التمني وهو التقدير ولها معان ثلاث التمنيات
لان المتمني يقدر في نفسه ما يشتهيه ويتخيله او الاكاذيب اذ الكاذب
يقدر في نفسه ويتخيل شيئا لا وجود له او القراءات لان القاري يقدر
عند قراءته في نفسه ان كلمة كذا ابعد كذا ومنه قوله تمنى كتاب الله اول ليلة
فالمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها
منهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
او ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره والامي ربما يقدر على
قراءة ما بالاخذ من افواه الرجال وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون
والظن ما غلب ثابته من ترجيح احد الطرفين ولا يلزم من الترجيح عندهم
ان يكون راجحا في نفس الامر ويجوز ان يحمل الضمير للفريقين تنفي العلم
عن العلماء في قوله او لا يعلمون على سبيل الانكار حيث لم يعملوا بموجبه وعن
المقلدين بقوله لا يعلمون الكتاب ثم يحكي انهم في الظن المؤدي الى الضلال
ثم انظر هذا يكون في الآيات جمع وتقسيم جمع الفريقين في قوله افتطمعون
ان يؤمنوا لكم ثم قسمهم الى فريقين علما معاندين وجهلا مقلدين ثم جمعهم في يظنون
فويل اي تحسر او هلك روي عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم الويل جبل في النار
وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله عنه واد في جهنم وهو في الاصل مصدر
لا فعل له لان فاءه وعينه معتلان وتنكيره للتعظيم فلم يكن نكرة محضة
على ان الغرض من الكلام الافادة فاذا حصلت جاز الحكم سواء تخصص المحكوم
عليه بشيء او لا وانما ان النكرة اذا كانت دعاء يقع مبتدأ وان لم تخصص
فاتصل في بيانه لا يجري في ويل صرح به الرضي للذين يكتبون الكتاب
يعني ما كتبوه من التاويلات الزائفة ولذلك احتاجوا في ترويجه الى
نسبته الى الله تعالى ولو كان المراد الكتاب المحرف لا احتاجوا اليه لان كون
التورية من عند الله مسلم وما احدثوه من التحريف غير معلوم لغيرهم
بايديهم يعني المجاز اي يتولونه بانفسهم فقد يقول الانسان كتبت الى فلان
اذا امر غيره بان يكتب عنه واذا قال كتبت بيدي فقد اخبر بانه باشر بنفسه
فيوهي حيث انه كما يدعي انه من تلقاء انفسهم دون ان ينزل عليهم ما ظنوا

عملا

الى

الى ما في قولهم هذا من عند الله من دعوى النزول هذا المكتوب لنا كما هو
الشان في التورية ويجوز ان يكون لدفع احتمال الانشاء فان الكتابة شايعة فيه
ونايرة التنصيص بمعنى الاملاء التغليظ في الجناية حيث انضم الى القول العمل
ثم يقولون هذا من عند الله كلمة ثم للاستبعاد وعدم التناسب في الاخبار عن
تاخي القول المذكور عن العمل المزبور كما في قرينته صارفة عن المعنى الحقيقي لها
في الكلام البليغ ليشتروا به ثمنا قليلا متعلق بيقولون وقد مر بيان استعمال
الاشتراء للاستبدال ونكتة التعبير عن البيع بالتمني فتذكروا ما حصلوا به وان
جل قليل بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة فويل لهم مما كتبت ايديهم
جعلنا ما هنا وفي قوله وويل لهم مما يكسبون مصدرية اولى من جعلها موصولة
لعدم الحذف ولكون الويل على الفعل اولى وانسب من كونه على المفعول
واصل الكسب الفعل الجزئي اود فع ضرر ولهذا لا يوصف به الله تعالى وقيل
هو اجتلاب الحظ بما هي له من الاسباب وكرر الويل حتى يعلم ان الخسار
والهلاكة يترتب على كل واحد من المكتوب والمكسوب على حدة وقالوا لن
تمسنا النار المس اقل تمكنا من الاصابة وهو اقل درجاتها ولذلك اوثر عليها
في قوله تعالى وما مسنا من لغوب وفي قوله تعالى لم يمسسني بشر وقوله
تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كالنص فيه
الا اياما معدودة اي قلائل فهذا لانهم يكنون بالعد عن القلة روي انهم
كانوا يعدون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها روي انهم قالوا سبعة ايام
وعنهم اربعون يوما عدد عبادتهم العجل ولا وجه له لانهم قد تابوا
عنها توبة مقبولة قل اتخذتم عند الله عهدا الالف الحقيقية ذهبت بالادراج
ومن الالف المقطوعة الف الاستفهام للتوبيخ يعني ان مثل هذا الجزم لا يكون
الا ممن وعده الله تعالى به وانما عبر عن الوعد بالعهد ايماء الى ان في الجزم المذكور
لابد من وعد قوي وانما قال عند الله دون من الله تعليما للسؤال مسلك الكتاب
في امثال هذا فان التصريح باتخاذ العهد من الله تعالى لا يخلو عن سوء ادب
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده فالفاء فصيحة والجملة معترضة وانما قلنا ان المقدر ان كنتم اتخذتم
لان المعنى ليس على الاستقبال ثم ان هذا من جملة المواعيد فلا وجه للاستدلال به

على عدم الخلف في وعده وعلى تقدير صحته انما يدل على عدم وقوع الخلاف في وعده
لا على استحالته **ام تقولون على الله ما لا تعلمون** ام اما معادلة للهمزة بمعنى اي
الامرين كائن على سبيل التقرير او وقوع العلم بكون احدهما او منقطعة بمعنى بل
والهمزة للتقرير **بلى** اثبات لما بعد النفي في لن تمسنا اي بلى تمسكم ابدا
ويختص بجواب النفي **من كسب سيئة** السيئة تانيث السيئ وهو فعيل من السوء
وهو العمل الفاسد ولذا ذكر في مقابلة العمل الصالح والمكتوب لا يلزم ان يكون
ناشيا في نفس الامر بل يكفي ان يكون مما يطلب الكاسب موثرا عنده **واحاطت
به خطيئته** قال الثناء كل ذنب خطا وخطيئة لانه ليس بصواب وفي الاساس
الخطايا المسلية وفي الراي خطا في خطاه اذا تعمد الذنب وضع قوله من كسب سيئة
اي مكان تمسكم النار ابدا للاثبات على الطريق البرهاني لانه اثبت السيئة اليها
اي سيئة من السيئات ثم خصصها بالكبيرة بقوله احاطت به خطيئته اي استولت
عليه ولم تنتقض عنها بالتوبة وفي خطاياه وخطيئاته تعريضا بكثرة خطاياهم
من الشرك والنفاق والتحريف والافتراء على الله تعالى وشبهها بالعدو
المحيط به من جميع الجهات لذلك وتخليتها على طاعته واشار بقوله فاولئك
الى ان سبب استحقاق الخلود في النار هو ذلك الكسب المعلوم **فاولئك
اصحاب النار** ملازموها في الاخرة لانهم ملازموا اسبابها في الدنيا وذلك لان
الصاحب مشتق من الصحبة وهي وان كانت تعم القليل والكثير لكن العرف خصصها
بالطائلة **هم فيها خالدون** اوقع هم للتاكيد كانه قال اي كبيرة من الكبائر
استولت ورسخت بالغلبة على الطاعة استحق صاحبها الخلود في النار وقد
تقرر ان الشرك كبيرة لقوله تعالى لا يغفر ان يشرك به وكذا التحريف والافتراء
على الله تعالى لقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه
لا يفلح الظالمون فثبت بالبرهان انه تمسكم النار ابدا او معنى الخلود في الاصل
الثبات المديد دام او لم يدم لكن المراد به هنا الدوام لما يشهد له من
الايات والسنن وذلك ان تقول الاحاطة في الاصل الاحداق بالشيء من كل
جانب وجوانب المكلف من حيث انه مكلف ثلاث اللسان كلفت من جهته
بالاقرار والاركان كلفت من جهتها بالطاعات والجنان كلف من جهته
بالتصديق وهم لما افتروا بالسنتهم وحرفوا كتاب الله تعالى بايديهم

واصروا على النفاق معتقدين بالباطن خلاف ما اظهروه فقد تحقق احاطة الخطيئة
بهم وثبت استيلاؤها عليهم فالاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة
في النار **والذين امنوا وعملوا الصالحات** جرت عادته تعالى ان يشفع وعده
بوعيده تبشيرا للمطيع وانذارا للعاصي والايمان على مقتضاه اللغوي فلا دلالة
في عطف العمل عليه على الخلافية المشهورة المذكورة في كتب الكلام **اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون** ذكر الفاء فيما تقدم وترك هنا للدلالة على ان
الملازمة والخلود ثمة بالاستحقاق من قبلهم بسبب ما بهم من احاطة الخطيئة
وهنا بمحض فضل الله تعالى على ما دل عليه قوله تعالى الذي احلنا دار المقامة
من فضله نعم يفهم منه اشتراط العمل الصالح في دخول الجنة فلمن شرطه
في الايمان المقبول الاقرار باللسان ان يحمل العمل الصالح عليه وللخوارج ان
يقول ان لفظة هم للتاكيد لا للحصر بدلالة النصوص القاطعة على عدم
اشتراط العمل في النجاة عن النار وعلى انه لا دار ثالثة للفريقين **واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون** اخبار في معنى النهي كما في لا تضار والدة بولدها وفي لا تنكح
المراة على عمتها وهو باب من ابواب البلاغة في الامر والنهي يظهر البليغ به شدة
المسارعة اعتنائه بالامتثال والانتهاء وتحريض المخاطب على المسارعة والمبادرة
فيهما كانه سارع الى الامتثال والانتهاء فيخبر عنه الامر والناهي ويؤيده قراءة
لا تعبدوا ويدل عليه قوله ايكون على ارادة القول واما ايهام ان المنهي
سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه فلا يناسب هذا المقام لان حال المنهي هنا
على خلاف ذلك وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما سقط ان رفع الفعل وزاد النار
كقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وقال طرفة
الا ايها الزاجري احضر الوغى يروي احضر بالرفع اي ان احضر الوغى ولذلك
عطف عليه وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا
فيحتمل ان تكون ان مفسرة بمعنى اي ان يكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق اي
اخذنا توحيدهم او نحوه لا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قال وحلفنا لهم لا تعبدون وقيل انه وقع في موضع الحال في صيغة الفعل
وموضعه نصب في الاسم قوله دخل عليه قسم اي ميثاقنا والتقدير هنا
اخذنا ميثاقهم غير عابدين وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم

غب **الا الله** استثناء مفرغ وفيه التفات من التكلم الى الغيبة لما في الاسم
الظاهر من الفخامة **وبالوالدين احسانا** مصدر في معنى الامر اي واحسنوا
بالوالدين وتقديم المعمول للاهتمام واحسن كما يتعدي بالى يتعدي بالبا
قال الله تعالى وقد احسن بي **وذي القربى** عطف على الوالدين اراد به الجنس
ولذلك افرد ذى واضافته الى المصدر تغني عن صيغة الجمع **واليتامى**
جمع يتيم كنديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه فانفرد عنه واليتم الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة وحق هذا الاسم ان لا يزول عن الكبار بتمام معنى
الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال
وعلى وفق هذا اورد قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم وان كان المراد تعليم
الشريعة **والمساكين** جمع مسكين وهو مفعيل من السكون كان الفقر
اسكنه عن التصرف **وقولوا للناس حسنا** اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة
لما اتبع عبادة الله تعالى بالاحسان لمن ذكر وهو فعلا اتبع ذلك بالقول ليكون
الاحسان بالفعل والقول ولما كان الاحسان بالفعل التولد امرا صعبا على
ما النصح عنه من قال الاولى تخفيف وجه تطليق ولسان ليكون شمله الناس
عموما وقرئ حسنا بفتحتين على انه صفة مصدر محذوف وحسنا بضمتين
وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في شريعتهم وبين هنا
ظهرانيهما منقولان الى القدر المشترك بين صلواتنا وصلاتهم والقدر المشترك
بين زكاتنا وزكاتهم **ثم توليتم** على طريق الالتفات للتعنيف والتوبيخ فانه عند
الاستحضار اشد ويجوز ان يكون الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول
عليه السلام ومن قبلهم على التغليب اشعارا بان التولي الذي حصل منهم
في عهده عليه السلام ليس ببدع منهم لانه دابهم ودأب اسلافهم **الا قليلا**
منكم اي اشخاصا قليلين وهم الذين اقاموا اليهودية على وجهها قبل النسخ
واما الذي اسلم من الذين ما اقاموها فقد وجد منهم التولي والاعراض
فلا وجه لاستثنائهم **وانتم معرضون** التولي قد يكون لحاجة تدعو الى الانصراف
مع ثبوت القصد والاعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب فالجملة حال اي توليتم
من قبل وليتم مدبرين وفي اسمية هذه الجملة الدلالة على انهم قوم عادتهم

الاعراض عن الطاعة والوفاء نتيجة لما تقدم من نكتة التغليب **واذ اخذنا**
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق
في لا تعبدون والمعنى لا تفعلون ما يؤدي الى هذين المحذورين او لا يفعل ذلك
بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ثم نسب الى نفسه
ما كان منسوبا الى الغير على التجوز لادنى ملابسة والديار ربما في الاقامة وقال
الخليل محلة القوم دارهم **ثم اقررتم** اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ
عليكم فالتزمتموه ويحتمل هذا ان يكون من الاقرار الذي هو ضد الجحد
ويتعدى بالباء وان يكون من الاقرار الذي هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم
هذا الميثاق ملتزما فعوله **وانتم تشهدون** تاسيس على هذا او تاكيد
على الاول لقطع احتمال ان يكون اقر بمعنى تكلم بما يلزم منه الاقرار **ثم انتم هؤلاء**
استبعاد قوي بما ينسب اليهم بعد اخذ الميثاق على الانتهاء منه واقرارهم
شهادتهم وفي هؤلاء تنبيه وتعيير بليغ وتحقير اي انتم المشاهدون المشار
اليهم بنقض العهد الذي لا يمكن ذمهم بما يزيد على ما يشاهد منهم ويشار به اليهم
كقولهم في التعجب يا هذا وانتم المشاهدون اي قوم اخرون غير اولئك المقرين
تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كقولك رجعت بغير الوجه الذي دخلت به
وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيابا ثم فصلها بالهم
في اسم الاشارة للمستحق عليهم وتسجيلهم بنقض العهد ومخالفة الاقرار والشهادة
والافراط في ذلك بالتظاهر بالاثم والعدوان فقال **تقتلون انفسكم وتخرجون**
فريقا منكم من ديارهم ويجوز ان يكون خبر انتم وهؤلاء منادى او منصوب على
الاختصاص للذم اعني هؤلاء الحاضرين او تاكيد والخبر هو الجملة او بمعنى الذي
والجملة صلته والمجموع هو الخبر ويجوز ان يكون حالا والعامل فيها معنى الاشارة
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما
والتظاهر التعاون واصله الظهر وبرتقي الاسناد ذا الاعتماد **وان ياتوكم**
اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا
اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ اسرى وهو جمع اسير كجرحى
وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير كما قالى

قديم وشيوخ تداعى فهو قليل وقال الواحدي نقلا عن سيبويه قالوا
كسالى شبهوه باسرى كما قالوا اسارى شبهوه بكسالى والاسير هو الماخوذ
قهرا واصله من الاسر بمعنى الشد ومن اخذ قهرا اشد غالبا فسمي الماخوذ قهرا
اسيرا وان لم يشد وقال ابو عمرو الاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى
الذين هم في اليد وان لم يكن في الوثاق وقرئ تفدوهم اي تطلقوهم
بعد ان تاخذوا منهم شيئا قال ابو علي فاديت نفسي اي اطلقتها بعد ان
دفعت شيئا وقد يجئ فاديت بمعنى فديت اي دفعت فيه من مال نفسي
ومنه قول العباس للنبي صلى الله عليه وسلم فاديت نفسي وفاديت عقيلا
وهما فعلان يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف جر تقول فديت زيدا
بمال وفاديته بمال اي كل واحد من الفريقين فعل الاسر وفي الاسير والماسور
منه وفي ايضا انا اسير وانا غني والمفعول الثاني محذوف **وهو محرم**
عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما
اعتراض والضمير للشان ومحرم خبره واخراجهم مرفوع بمحرم ويجوز ان
يكون اخراجهم مبتدا ومحرم خبر مقدم والجملة خبر هو او مبهم وتفسيره
اخراجهم او راجع الى مصدر دل عليه تخرجون ويكون محرم الخبر واخراجهم بدل
من الضمير في محرم او من هو او تاكيد وبيان كيلا يذهب الوهم الى ان يرجع
ذلك الى فدا الاسرى وانما اكد الاخراج بالنص على تحريمه وان كان ما سبق
ايضا محرما لما فيه من الجلاء والنفي الذي لا ينقطع شره بخلاف القتل فان
شره ينقطع في الحال والمحرم الممنوع منه **افتؤمنون ببعض الكتاب** يعني
الفداء **وتكفرون ببعض** يعني حرمة المقاتلة والاجلاء والاستفهام بمعنى
الانكار والتوبيخ والتهديد وذلك على التفريق بين احكام الله تعالى وكان
مرجع الانكار الى القيد المستفاد من لفظ البعض **فما جزاء من يفعل ذلك**
منكم الا خزي في الحياة الدنيا فاذا فعلتم ذلك فيجب ان لا يكون جزاؤكم
في الدنيا الا الخزي وفي قوله منكم دلالة على ان التعريض المذكور بفعل بعضهم
والتوبيخ للكل لعدم منع الباقين عنه والخزي الذل من الفضيحة وقد خزي
يخزى خزيا فهو خزي والخزاية الاستحيا وقد خزي خزاية فهو خزيان قال
المرزوقي واخزى يجوز ان يكون من الخزي اي الهوان ويجوز ان يكون من الخزاية

قال ابو علي

الاستحيا والمراد قتل قريظة فان قتل مقاتلتهم بسبب لذلك ذراريهم واجلاء
النضير وضرب الجزية على غيرهم والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصل اليا
فيه واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسما والصفات وانما قدم ذكر الخزي اما للاشارة
الى بقايهم احيا الى تلك الحالة مدة مديدة واخر الجزاء في الاخرة لانه عند
انتهايهم القيامة **ويوم القيامة يردون** معنى الرد الارجاع ففيه اشارة الى
انهم كانوا قبل ذلك مرة اخرى في اشد العذاب وهو ما في القبر ثم ان فيه بيان
ان ما كان في الحياة الدنيا من الخزي غير مكفر بذنوبهم **الى اشد العذاب**
اي الى عذاب لا روح فيه لاتصال اجزايه وذلك لان عصيانهم اشد **وما**
الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد وقرئ يردون بالياء اعتبارا لمن يفعل
وبالتاء اعتبارا بقوله منكم وقرئ يعملون ايضا بالياء والتاء على الاعتبارين
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اي عظموها لاغراضها اذ هي
لا تفوت عنهم والاشترا استعارة لايثار العاجل الفاني على الآجل الباقي
فلا يخفف عنهم العذاب اي يبقى على شدته معطوف على الصلة من قبيل
عطف الجمل فلا يشترط اتحاد الزمان **ولا هم ينصرون** بدفعه عنهم **ولقد**
اتينا موسى الكتاب التورية **وقفينا من بعده بالرسل** اي جينا من بعده بالرسل
متقفين اثره متبعين شريعته يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه
من الذنب وقفاه به اتبعه اياه ولولا اعتبار معنى جينا على التضمين
لضاع قوله من بعده **واتينا عيسى بن مريم البينات** الايات الظاهرة
من قولك بان اي ظهر وما ثبت به الدعوى من حيث افادته البيان يسمى
بينة ومن حيث التغلب به على الخصم حجة لما لم يكن عيسى عليه السلام من جملة
المقتفين اثر موسى عليه السلام المتبعين شريعته افرده بالذكر واضافه
الى امه تحقيقا لعدم نسبته الى الاب وفيه رد لقول اليهود حيث نسبوه الى
الاب وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بالسريانية الخادم وقد جعلها امها محررة
لخدمة المسجد وبالعربية كالزير من الرجال وقال ابو البقاء مريم علم اعجمي ولو كان
مشتقا من رام يريم كان مريم بفتح الميم وسكون اليا وقد جاء في الاعلام
بفتح اليا نحو مزيد وهو خلاف القياس والمراد بالبينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل **وايدنا**

وقويناه بروح القدس جبرايل عليه السلام وذلك انه تولد بنفخة وانه عصمه
من اول حاله الى اخره فلم يدن منه الشيطان عند الولادة ورفعه الى السما
حين قصد اليهود قتله والقدس الطهارة وكان الاصل الروح المقدسة لكن
اضيف الروح الى القدس تنبيها على زيادة اختصاص الروح به لان من شان
الصفة ان تكون منسوبة اليه فاذا عكس باضافته اليها فيد معنى الاختصاص
افكلما جاكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر اذا
احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط وانما اسند الهوى الى الانفس الى
ضمير الخطاب اشعارا بان حق التشبث ان يسند اليها وقوله كلما جاكم
مسبب عن قوله ولقد اتينا موسى الكتاب ولهذا دخلت الفا عليه على
تقدير نحن انعمنا عليكم ببعثة موسى عليه السلام وايتائه الكتاب ثم
اتبعناه الرسل باتيا عيسى عليه السلام لتشكروا اتلك انتم بالتلقي
بالقبول فعكستم بان كذبتم فريقا وقصدتم قتل اخرين ثم ادخل بين السبب
والمسبب همزة التوبيخ والتعجيب بتعكيسهم فيما يجب عليهم ويجوز ان يكون
استينافا والفا للعطف على مقدر يليق بهذا اما عتو الايات محذوف وهو
قوله فعلتم ما فعلتم وهو كناية عن التكذيب والقتل وغيره ذلك من قبائحهم
وعنادهم ثم استانف الكلام موبخا لهم مسندا والجملة بهمزة الانكار على تقدير
اكفرتم وخالفتم فكلما جاكم رسول وبيع هذا المزج بين التقريع والتوبيخ
اجمالا او تفصيلا استكبرتم اي عن قبول ما اتى به مما لا تحبه انفسكم على
تضمين الاستكبار معنى الابا عن الايمان به لانهم كانوا مصدقين ببعض ما جا
من بعد موسى عليه السلام من الرسل كيوشع وداود وسليمان عليهم السلام
ففريقا اي فريقا منهم كذبتم يريد به التكذيب من غير قتل بقرينه تفريق
هذا عن قرينه والا فاطلاق التكذيب يتناولهما والفا للسببية او للتعقيب
وفريقا اي فريقا اخر تقتلون حال ماضية اريد استحضارها وتصويرها
لشدة فظاعتها ونكرها او خروجا مخرج الحال الماضية او قصد الدلالة
على انهم بعد فيه لانهم كانوا حول قتل محمد عليه السلام لولا العصمة من الله
ولهذا سحروه وسموا الشاة له ثم ان فيه محافظة على الفاصلة وانما لم يذكر
تكذيبهم هذا الفريق استغنا بذكر اقبح الفعلين عن الاخر وقالوا قلوبنا

غلف جمع اغلف وهو الذي لم يختن مستعار للقلب المغشاة بالاغطية خلقة
وجبلة اي مجبولة على صفة لا يتوصل اليها ما جاء به محمد وقد افصح عن هذا في موضع
اخر بقوله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه والقران يفسر بعضه بعضا وفي القراة
الشاذة غلف بضم اللام جمع غلاف وهو الغشا والوعا كالشهاب والشهب معناه
قلوبنا اوعية العلم تعيه وتحيط بما لنا وتخاطب به ولكن لا نفهم ما تقول ولا نفقه
ما تحدث فلو كان حقا وصدقا لفهمت وتفهمت يدعون به ابطال ما يقوله او نحن
مستغنون بما فيها عن غيره ويابى عن حمل القراة المتواترة على هذا التوجيه
المعنى الاول في موضع اخر بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا اي ليست قلوبهم
كذلك خلقة لانها خلقت على الفطرة بل طردهم الله وابعدهم عن قبول ذلك
بسبب كفرهم ولحجاجهم بالعقايد الفاسدة فهم الذين غلفوا قلوبهم بالتقطع
عن الفطرة اثبت اللعن من نفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل السنة والجماعة
والمبني على القراة الشاذة بل انتم مبعدون عن خير العلم بشوم كفركم لستم
بعلما ولو كنتم كذلك لتسلمتم هذا وعلمتم به فقليلا ما يؤمنون اي فقليلا
يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وما مزيدة للتاكيد لا نافية لان ما في حيزها
لا يتقدم عليها ويجوز ان تكون مصدرية على ان قليلا منصوب بنزع الخافض ويجوز
ان يكون المبالغة في القلة كناية عن العدم بنا على ان القليل اذا بولغ فيه
يستشبه العدم ويجوز ان يكون انتصاب قليلا على الظرفية ولما جاءهم
كتاب اي القران من عند الله زيادة عند لتبيين معنى النزول فان كل شي من
الله تعالى مصدق لما معهم من كتابهم وفي مصحف ابي مصدقا بالنصب على الحال
من كتاب تخصيصه بالوصف وحذف جواب لما لدلالة جواب لما الثانية عليه وقيل
لما الثانية تكرار للاولى والفا للاشعار بان مجيئه كان متعقبا استفتاحهم به
ولا بعد فيه لان ما عرفوا هو حاصل الكتاب وكانوا من قبل اي من قبل مجي الكتاب
يستفتحون اي يستنصرون على الذين كفروا وهم المشركون الذين يقاتلونهم ويقولون
اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا
يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة كانهم يطلبون الفتح من انفسهم
كما في سنفهم ونحوه وذلك لان الفعل مع الداعي والطلب يكون اقوى مجردا عنها
او لانه لما كان الفعل حاصلا يكون الطلب للزيادة فلما جاءهم ما عرفوا

من الكتاب والنبي كفروا به حسدا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم
على ان التعريف للعهد كما هو الاصل فلا يعدل عنه الى الجنس الا عند التعذر على
ان الفا بالمعنى عن الحمل على الجنس والاظهار في موضع الاضمار للدلالة على انما لحقهم
اللعنة لسبب كفرهم على الكفر وكلمة على ارفع من اللام لما فيها من الدلالة على انه تعالى جعل
اللعنة مستعلية عليهم جللهم بها بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة
مفسرة لفاعل بئس المستكن اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم اي باعوها وانما اشتروا
بحسب زعمهم فانهم زعموا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا والمراد
كفرهم في الماضي الا انه عبر عنه بصيغة المضارع استحضارا لذلك الامر القبيح
ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا اي حسدا اناله الحياني بغيت
على اخيك بغيا اي حسدته فالبغي اصله الحسد والباغي هو الظالم الذي يفعل
ذلك عن حسد واما بغى بمعنى طلب فمصدره بغيا بضم الباء وبغيت بمعنى فجرت
مصدره بغيا بالكسر وهو علة اشتروا لا لان يكفروا اذ المعنى على ذم الكفر
الذي اوثر على الايمان بغيا لا على ذم الكفر المعلل بالبغي وانما الفصل فليس باجنبي
لان الصلة والموصول في حكم الاتحاد وكذا التمييز والمميز فما لا يكون اجنبيا
بالنسبة الى فاعل فعل الذم لا يكون اجنبيا بالنسبة الى الفعل الذي وصف به
تمييز ذلك الفاعل ثم انه لا ريبة في ان ايثار الكفر على انفسهم بغيا وعنادا
ادخل في الذم من ايثارهم الكفر الناشئ عن البغي على انفسهم اذ لا يتعين حينئذ
كون الايثار عنادا او بغيا فيحتمل ان يكون لوجه يخف به استحقاق الذم
والغرض واضح ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله
اي بعض فضله الذي هو الوحي او الشيء الذي هو فضلهم على من يشاء من عباده
على من اختاره بالرسالة فباءوا بغضب على غضب اي صاروا احقاء بغضب
مترادف متراكم بعضه على بعض لكفرهم بنبي الحق وبغيهم عليه او كفرهم بمحمد
عليه السلام بعد كفرهم بعيسى عليه السلام وغير ذلك من انواع كفرهم
والاستحقاق معتبر في مفهوم باءوا على ما تقدم بيانه دلالة الفاء على سببية
الاشتراء المذكور لذلك الاستحقاق وقوله بغضب حال وعلى غضب صفة له
وللكافرين عذاب مهين يريد به اذلالهم وتقديم الجار والمجرور للتخصيص
فان عذاب العاصي من المؤمنين طهرة لذنوبهم واذا قيل لهم امنوا بما انزل

الله اي بجميع الكتب الالهية قالوا نؤمن بما انزل علينا خصصوا ايمانهم بالتورية
ويكفرون حال من الضمير في قالوا على حذف المبتدأ وتقديره وهم يكفرون والاحوال
الواو في المضارع المثبت بما وراءه قال الازهري ان وراء يصلح للماضي والمستقبل
لانه وضع لكل منهما على حدة بل لان معناه ما توارى عنك اي استتر وهو موجود
فيهما وهو في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل والمفعول قيل فيراد على الاول
الخلف وعلى الثاني القدام وفيه نظر وهو الحق والضمير لما وراءه القايل الانجيل
والقران وانما وحد بتوحيد اللفظ مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن الرد لايمانهم
بالتوراة لانهم كفروا بما يصدقها حيث نزل على حسب ما نعت فيها اعتقد كفر به
والجملة حال من ما وراءه وتعريف الحق لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى انه خاصة
هو الحق الذي يتارت تصديق كتابهم ولولا الحال لاعني مصدقا لم يستقم الحصر لانه
في مقابلة كتابهم وهو ايضا حق قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم
مؤمنين الفاء جواب شرط مقدر دل عليه المعنى اي قل لهم ان كنتم امنتم بما انزل
الله عليكم فلم تقتلون انبياء الله فان ذلك الحق لم ينه عنه وانما قال تقتلون
حكاية للحال الماضية كانه قيل فلم كنتم تقتلون وانما اسند اليهم لانه فعل ابائهم
وهم راضون به عازمون عليه ويجوز ان يكون المعنى على التضمين فلم ترضون
قتل الانبياء وتعزمون عليه وح يتضح وجه الاعتراض ولم اصله لما وسقطت
الالف وهذا السقوط خص بالاستفهامية لانها تامة فالفها طرف فالاطراف
محل الحذف وغيره من التغيير بخلاف الموصولة فانها ناقصة تحتاج الى ما توصل
به كاسم واحد فالفها في حكم المتوسط ولقد جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات
الواضحة ويدخل فيها فلق البحر وهو خارج عن الايات التسع المذكورة في قوله
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات لان المراد بها ما جاء به موسى عليه السلام
الى فرعون بعد ما انفلق عليه في موضعه باذن الله تعالى فلا حاجة لحمل البينات
المذكورة على الايات التسع ثم اتخذتم العجل اي الها ولفظة ثم ابلغ من الواو في التقريع
لانها تدل على انهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الايات وذلك اعظم ذنبا
من بعده اي بعد مجيء موسى عليه السلام لكم بالبينات لا بعد مجيئه او ذهابه
الى الطور لتقدم انتهائه من سياق الكلام وانتم ظالمون حال اي واضعون
العبادة غير موضعها او ظالمون بالاخلال بايات الله تعالى ويجوز ان يكون

اتخذ من قبيل اتخذ خاتما بمعنى صنعه وعمله فما قيل الحال ظاهر لان الاتخاذ
بهذا المعنى لا يكون ظلما الا حال كونه مقرونا بالعبادة وعلى الاول فائدته
زيادة التوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم الظلم وسياق هذا
ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول
عليه السلام طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا ان تاكيدا للقصد بالتكرير
وكذا ما بعده واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة ويجوز ان يكون تكرير هذا لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى واسمعوا
اي اطيعوا فان الامر بالسماع في العرف يفيد الاجابة والقبول ومنه سمع الله
لمن حمده اي قبل واجاب لمن قال دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول
اي يقبل بهم حملوه على المفهوم اللغوي تجاهلا او تماديا عنادا منهم قالوا
سمعنا اي القول وعصينا اي الامر قال الامام القرطبي اختلف هل صدر منهم
هذا القول لفظا او فعلا اقاموا مقامه فيكون مجازا وقال الامام ابو منصور
قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا لكن بعض باوقات فانهم لما ابوا
قبول التوراة لما فيها من الشدائد رفع الله الجبل فوقهم فقبلوها خوفا
وقالوا سمعنا واطعنا فلما زايل الجبل وامنوا قالوا عصينا وهو ما ذكر في قوله
تعالى ثم توليتم وكان التولي بعد ذلك باوقات واشربوا في قلوبهم العجل
اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وهذا كما يقال
اشرب الثوب الصبغ اذا تداخلت الصبغ اجزاءه تداخل الماء اعضاء الشارب
كانه جعل شاربا اياه وفي العدول عن الظاهر وهو اشرب قلوبهم حب
العجل الى ما عليه التنزيل ما لا يخفى من الفخامة والابهام والتفسير من وجه
والمبالغة في الاسناد الى الكل والدلالة على التمكن المستفاد من الظرفية
وان العجل نفسه هو المشرب مبالغة في اشراب الحب الى غير ذلك بكفرهم
بسبب كفرهم لما انهم كانوا مجسمة وحلولية قل بئسما يامركم به ايمانكم
اي بالتوراة اذ ليس فيها عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانكم تهكم
وكذلك اضافة الايمان اما الثاني فظاهر كما في قوله ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون تحقيرا واستهزاء ودلالة على ان مثل هذا لا يليق ان يسمى
ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه استعارة تهكمية واما الاول

فلان

فلان الايمان انما يامر ويدعو الى عبادة من هو غاية في العلم والحكمة
لا الى اخبث حيوان انما تهكم بالامر بعبادة من هو غاية في البلادة غاية
التهكم والاستهزاء واسنادا حمل يامر به بمعنى يدعو اليه اولا وعنوا فقصد الاسناد
الى السبب الباعث مجازا لانه قد يتبع هواه ولانه هو الحق والمخصوص بالذم محذوف
نحو هذا الامر وتابعه وغيره من قبائحهم المعدودة في الايات الثلاث الزاما
عليهم ان كنتم مؤمنين ليس للشك من المتكلم الا استحالته لان المامور هذا
القول مما لا يصح منه الشك بل لعدم مطابقته للواقع ولا للتشكيك اذ لم يعهد
استعماله ان كتشكيك السامعين بل لتقرير القدح في دعواهم الايمان
بالتوراة وذلك لان القائل قد ياتي بالشرط وهو جازم بعدم وقوعه
اقامة للحجة بتقديره كما في قوله ان كنت قلته فقد علمته وتقرير ان كنتم
مؤمنين بها فبئسما يامركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما
يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت
لكم الدار الاخرة عند الله المراد من الدار الاخرة الجنة وانما قال عند الله
تشريفا لها وتنبيها على انها في عالم الغيب خالصة صافية عن شوب خطر
الخلف لعدم احتمال الزوال لا من سبب الاختلاف وهو كونهم ابناء الله واحباؤه
في زعمهم اهل الخلوص من الصدق والاخلاص تصفية السر والقول والعمل الا انه ضمن
معنى الاختصاص حتى ما يتعلق عليه وهو منصوب على الحال من الدار عند من جوز
مجيء الحال من اسم كان واما عند من لم يجوز فهو حال عن الضمير المستتر
في الخبر العائد الى الدار ومرجع الخلاف الى ان اسم كان هل هو فاعل او لا
من دون الناس متعلق بخالصة باعتبار تضمنه معنى الاختصاص ودون لفظ
يستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول هذا لي دون لك اي من دونك
اي لا حق لك فيه ولا نصيب وفي غير هذا الاستعمال ياتي بمعنى الانتقاص
في المنزلة او المكان فان قلت اليس قد استفيد معنى الاختصاص من تقديم
الظرف قلت نعم الا انه يحتمل ان يراد به الاختصاص من جنس المخاطبين
فلا نطمع فيه بالمعنى المقصود فان قلت لا وجه لدعوى الاختصاص مطلقا
لانهم لم ينكروا ان من مات قبل حدوث اليهودية على شريعة ابراهيم عليه السلام
يدخل الجنة قلت ذلك اذا كان معنى خلوص الاختصاص واما اذا كان

مثناء القضاء عن شوب خطر التخلف فلابد في ان يدعوا الاختصاص بدخول الجنة
مقيد بتلك الحال لانفسهم مطلقا وايضا تفرع الامر بالتمني الاتي ذكره انما يصح على
اعتبار الخلوص بالمعنى المذكور والظاهر ان المراد من الناس سائر الامم
لا سائرهم مطلقا حتى ينتظم الانبياء عليهم السلام اذ لا ينكرون ان الانبياء المتقدمين
به كنوح وابرهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ولا دلالة في قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى على ما ذكر لان المفهوم منه اختصاص الجنة
بهم لاختصاصهم بالجنة وما يصح منشا للتمني المذكور انما هو الثاني دون
الاول على ما نبهت عليه انفا فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص لها من الدار ذات الشوائب
ولا يذهب عليك ان هذا الايقان على تقدير ان يكون معنى الخلوص ما ذكرناه
لا ما ذكره القوم ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من الكبائر
الموجبة لدخول النار وانما اسند التقديم الى اليد لانها اعظم الاعضا في التصرف
وعن النبي عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه
وما بقي على وجه الارض يهودي والمراد بالتمني قول القائل ليتني مت لا تمنيا
في القلب دل عليه قوله عليه السلام غص بريقه وان التحدي لا يمكن بالامور
القلبية لخفائها ولو كان المراد المعنى القلبي لكان يمكنهم ان يقولوا تمنينا كاذبين
ولو ادعوا ذلك لنقل الينا لتوفر دواعيهم على النقل مع كثرتهم ولو نقل
لاشتهر وكذا قول احدهم ليتني مت لم ينقل مع كثرة اليهود وغيرهم من
الطاعنين في الاسلام كما نقل سائر المطاعن ففي الجملة اخبار بالغيب
صادقا كقوله ولن تفعلوا والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة من وجد بمعنى علم المتعدي الى المفعولين وهما
هم واحرص وتنكير الحيوة للدلالة على نوع من الحياة متطاولة ولذلك
كانت القراءة بها اوقع من قراءة على الحيوة ومن الذين اشركوا اما ان يكون
معطوفا على الناس محمولا على المعنى لان المعنى احرص من باقي الناس واما ان
يراد واحد من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص عليه وعلى الوجه الاول
الاولى انما خص المشركون بالذكر لاختصاصهم من بين الناس بزيادة
الحرص على الحياة الدنيا لعدم اقرارهم بالبعث فكانهم نوع اخر غير الناس

فني

فني افرادهم بالذكر زيادة توبيخ وتقريع لاهل الكتاب لانه لما زاد حرصهم
وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار
وقيل من الذين اشركوا كلام مستانف على حذف الموصوف اي ومن الذين اشركوا
اناس يود احدهم على ان المراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
لملوكهم هزار سال بزي اي عش الف سنة فالجملة على هذا صفة محذوف
وعلى الاولين استيناف لبيان زيادة حرصهم لو يعمر الف سنة حكاية
لودادتهم على طريق الالتفات لان لو للتمني وكان القياس لو اعمر به لتطابق
الحكاية المحكي الا انه جرى على لفظ يود في الغيبة كقولهم حلف بالله
ليفعلن ومفعول يود محذوف كالعيش اجرى التمني مجرى اللازم اي يتمنى
من احدهم الودادة المطلقة فيكون لو يعمر توضيحا بعد الابهام للايقاع
في النفس ويجوز ان تكون لو بمعنى مصدرية بمنزلة ان لتاكيد معنى
الودادة فيكون مفعولا ليود والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب
لاحد وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من النار تعميره
وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون
هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء والله بصير بما يعملون
قرئ بالياء جريا على الغيبة وبالتاء على سبيل الالتفات وكني بالبصير عن العليم
مبالغة في ادراك الخفيات وفيه تهديد ووعيد قل من كان عدوا
لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وساله عمن نزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا
عادانا مرارا واشدها انه نزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاكه فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر
رضي الله عنه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا عليه السلام على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل
عليه السلام عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما
تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو

الله تعالى ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد
وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات وقرئ بهن اربع في المشهورات
جبرئيل كسلسبيل وجبرئل بحذف اليا جبريل وجبريل بفتح الفا وكسرها
وحذف الهمزة واربع في الشواذ جبرائيل وجبراييل بالمد فيهما وبحذف اليا
في الثانية وجبرال بحذف اليا وتشديد اللام وجبريل قال ابن جني العرب
اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد
ومن للشرط وقوله فانه نزله تعليل للجزا قام مقامه والبارز الاول لجبريل
عليه السلام اي فلا وجه لعداوته فانه نزله اي القران واضمار غير
مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته يدل على نفسه
ويستغني بذكر شي من صفاته عن التصريح باسمه على قلبك لانه القابل الاول
للوحي ومحل الفهم والحفظ وصرفا للاستعلا للدلالة على ان المنزل باخذ
بمجامع قلبه وكان الظاهر ان يقال على قلبي لكنه جا على حكاية كلام الله تعالى
كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بتيسيره حال من فاعل نزله مصدقا
لما بين يديه حال من ضمير القران وكذا وهدى وبشرى للمؤمنين
اي يحقه ان يحبوه ويشكروا الصنيعة لانه مصدق كتابهم او جميع
الكتب المنزلة قبله يهديهم ويبشرهم اي ان كانوا مومنين لم يجز ان
يكون المعنى من عادى جبريل فالسبب في عداوته انه نزل القران على
قلبك مصدقا لما بين يديه موافقا اياه وهم يكرهون القران خوفا
من فوات رياستهم ولهذا يحرفون كتابهم وينكرون موافقته اياه كقولك
ان عادك فلان فقد اذيته او خوف انتقاض حجتهم لانه يكشف عن اسرارهم
من تحريف التورية وكتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوة
المؤمنين من كان عدوا لله اراد بعداوة الله مخالفته او امره عنادا او بعدا
المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره على طريقة التمهيد تفخيما لشانهم
كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وملائكته ورسله من يخاصم
والملائكة ولو لم يكن المراد من الرسل ما يعم الرسول من جنس الملائكة لاحسن
الفصل بينهم وبين ما خص منهم بالذكر وجبريل وميكال خصهما بالذكر
مع اندراجهما تحت عموم الملائكة والرسل لفضلهما وكرامتهما لان كل واحد

منهما

منهما جنسا برأسه تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة تغاير الموصوف وتنبيها على ان
معاداة الواحد والكل سوا في الكفر واستجلاب العداوة من الله وفي ميكائيل خمس لغات
ميكائيل وميكايل بحذف اليا وميكئيل وميكئل بحذف المد عنهما والياء عن الثانية
وميكال بحذف الهمزة والياء وانما ذكر ميكائيل مع انهم كانوا يقولون لو كان ميكائيل
صاحب محمد لاتبعناه لانه ياتي بالخصب والسلام تنبيها على ان من ابغض جبريل
فقد ابغض ميكائيل لانهما قرينان بغض احدهما يستلزم بغض الاخر فان الله
عدو للكافرين بحق المعاداة معلوم فلا بد من الحمل على الكناية ترتيبه المقابلة
اي من عاداهم عاقبه الله تعالى اشد العقاب ولما كان فيه تنزيل المعتقد منزلة
المحقق استحق التاكيد بالجملة الاسمية وان المشددة المذكورة مستبق في المحكي
عنه ولانها شرفها لتاكيد الخبر وكان الظاهر ان يقال فانه عدو لهم
والعدول عن الظاهر او للتهويل ولان فيه احتمالا لان يذهب الوهم
الى رجوع الضمير الى مجموع ما تقدم وثانيا الدلالة على ان عداوة المذكورين
كفر وان الكفر سبب لعداوة الله تعالى اياه ولقد انزلنا اليك ايات بينات
اي واضحة الدلالة لا الباس فيها فعدم الايمان بها ليست بشبهة وما يكفر بها
عطف على مقدر اي فلا يشتبه على احد ولا يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون
من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك
النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك بها فنزلت واللام للجنس
والمراد باهل الكتاب الخارجون عن دينهم لانها نزلت فيهم وكل فيها الكلام
في شانهم والوصف بالتمرد الذي يجاهرهم فيه دلالة على ان ذلك الخروج سبب
كفرهم فيكون فيه مبالغة وهي ان كفر غيرهم كالعدم ومن لم يتنبه لهذا زعم
ان الاحسن ان تكون اللام للعهد اوكلما عاهدوا عهدا الواو للعطف على محذوف
اي العطف على السابق معناه اكفروا بالايات البينات اوكلما عاهدوا
فالهمزة انكار للجمع بين الكفر ونقض العهد وقرئ بسكون الواو على ان الفاسقين
بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل الا الذين فسقوا ونقضوا عهد الله مرارا كثيرة
لا على ان الواو العاطفة اسكنت اسكان الهاء في وهو لانه لم يثبت مثل ذلك
في الواو العاطفة والواو في مثل هذه المواضع تفيد تساوي الامرين الواقع من

الثاني انهم والبق بان لا ينبغي ان يحمل على انها بمعني بل وقد اثبتها الثقات وشهد
بها الاستعمال ودلت عليها ههنا القرينة وهو قوله بل اكثرهم لا يؤمنون
ترقيا الي الاغلظ فالاغلظ **نبذه فريق منهم** الذين بالذمام ورفضه ولم يلتفت
بما يعني فلذلك احتيج الي زيادة قوله وراء ظهورهم عند ارادة نفي النسيا
فانما قال فريق منهم لان بعضهم لم ينقض **بل اكثرهم لا يؤمنون** ردا لما
يتوهم ان الفريق هم الاقلون وهذا على تقدير ان يكون من لم ينبذ جهارا
مؤمنا حقا **ولما جاءهم رسول** تنكير الرسول للتعظيم وفي قوله **من عند الله**
اشارة الي ان استحقاقه التعظيم من جهة اخري **مصدق لما معهم** من الكتاب
وتصديقه كونه على الوصف الذي ذكر فيها والمراد بالرسول محمد عليه السلام
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية حيث لم يعملوا
بموجب ما فيها وهو الايمان بالرسول المصدق لها **وراء ظهورهم** النبذ وراء
الظهر مثل لترك الشيء والاعراض عنه بالكلية مثل بما يرمي به وراء الظهر استغناء
عنه وقد يكون كناية عن نسيانه فان نبذ الشيء وراء الظهر مستتبع لـ
نسيانه غالبا ويجوز ان يستعار النسيان للاعراض رأسا ثم يكون النبذ
وراء الظهر كناية عنه على انه نسيان فيكون كناية متفرعة على الاستعارة
المكنية ولنسمه كناية بالاستعارة وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة
التمثيلية **كانهم لا يعلمون** انه كتاب الله تعالى جملة حالية وكان فيه ايماء الي
ما ذكر من الاستعارة المكنية **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**
عطف على نبذوا اي نبذوا كتاب الله تعالى واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي
كانت الشياطين وهم المتمردون من الجن يقرؤنها على عهد ملك سليمان
عليه السلام وليست على صلة التلاوة بل من قولهم كان هذا على عهد
فلان اي في وقته وزمانه وتتلوا حكاية حال ماضية **وما كفر سليمان**
تكذيب لمن زعم ان سليمان عليه السلام سخر الانس والجن والريح بالسحر
وان ملكه تم بهذا العلم والكناية عن الكفر بالسحر للدلالة على انه كفر والاشارة
الي ما يوجب تنزيهه عليه السلام عنه كانه قال وما سحر سليمان لان السحر
كفر والنبي معصوم عن الكفر **ولكن الشياطين كفروا** لما نفي الكفر عن سليمان
عليه السلام وكان الشياطين قد سحرت لسليمان عليه السلام ليستعملهم فيما

يشاء فتوهموا انهم لا يكفرون ايضا اذ هم في خدمته بين فاستدرك انهم كفروا
باستعمالهم السحر وقرئ الحسن الشياطون وقد لحنوه وخطاه انما يجيء
ولو سلم صحته فللاخفاء في عدم صحته **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة
حال عن الضمير والسحر مزاولة النفوس الخبيثة لافعال واقوال يترتب عليها
امور خارقة للعادة ولا يروى خلاف في كون العمل به كفرا وعن نوعا من
الكبائر ومغاير للاشراك اجماعا وذلك لان الكفر اعم والاشراك نوع منه وهو
في اصل اللغة الصرف حكاه الازهري عن الفراء ويونس فاطلاقه على ما يفعله
اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية وما يريك صاحب خفة اليد باعتبار
ما فيه من صرف الشيء من جهته حقيقته لغرابته **وما انزل على الملكين**
عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لانه نوع اقوى منه كانه من جنس
اخر وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وقيل رجلان سميا
ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة ملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف
على كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ويكذبه قوله وما يعلمان من احد فانه لم يكن
هنا الذي منه لدي في التعليم والتعلم اي في يكون **ببابل** ظرف او حال من الملكين
او الضمير في انزل قال ابن مسعود هي في سواد الكوفة ومنع صرفها للعلمية والتانيث
هاروت وماروت عطف بيان او بدل للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو
كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرئ بالرفع على انهما هاروت
وماروت وانما هما من الشياطين بدل البعض من الكل لانفصالهما لا قيل ان ما انزل
نفي يرده تعلق قوله وما كفر سليمان الاية بما قبله تعلقا خاصا عبث لا ينتظم
بدونه فان المبدل منه في حكم الساقط عبث لو اتم البدل مقامه لا ينتظم الكلام
معه **وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة** تصريح بما قدمناه من ان
انزال السحر عليهما للابتلاء اي ما يعلمان احدا حتى ينصحاه وينبهاه على انه سحر
والعمل به كفر والفتنة ما يتبين به حال الانسان من الخير والشر يقال فتنت
الذهب بالنار اذا اختبرته بها لتعلم انه خالص ام مشوب ومنه الفتان وهو الحجر
الذي يجرب به الذهب والفضة **فلا تكفر** باعماله او باعتقاد جوازه انما نحن
ابتلاء من الله تعالى واختبار وقال علي رضي الله عنه كانا يعلمان تعليم انذار
لا تعليم دعاء اليه كانهما يقولان لا تفعل كذا وكذا والصحيح من مذهب اصحابنا

ان تعلمه حرام مطلقا لانه توسل الى محظور عنه غنا وتوقيه فالتجنب اصلح واحوط
فيتعلمون منهما عطف على يعلمان الحد راي يعلمان فيتعلمون الناس على كون الضمير
لما دل عليه من احد وما يفرقون به بين المرء وزوجه اي ما يحدث الله
عند الفرقة بينهما وما هم بضارين به بما يفرقون من احد الا باذن الله
استثنا مفرغ من الاحوال الفعول حال من فاعل بضارين ومن احد في محل النصب
بالمفعولية في موضعين وفي زيادة من تاكيد بليغ فيهما وقرئ بضاري على حذف
النون من اسم الفاعل وانه لم يكن فيه الى تا قال ابو حيان وله نظير في نثر العرب
ونظمها وانما حذفها على الاضافة الى احد وجعل الجار جزا منه مردود بان
الجار موثر فيه وجزء الشي لا يوثر في الشي ويتعلمون ما يضرهم لما عرفت
انه اضاعة واقوالها النفوس الخبيثة تحضرها لا يخلوا عن نوع تاثير
في نفس المتعلم اثما ما قيل لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى
العمل غالبا اذا ما يصلح وجها للضرر ايهم الا الضرر المعلوم ولا ينفعهم نفي لاحتمال
ان يكون ضرر مشوبا بنفع في الجملة وهذا كالدلالة على ان نوهم ان في تعلمه
لتوقاه ولئلا ينعزف به نفع ما واستشهد بقول ابن نواس ________ •
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه
ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدله بكتاب الله والضمير لما تتلوا
الشياطين واللام الاولى لتاكيد القسمي والثانية لام الابتدا المتعلق فعل
العلم ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على
جملة القسم والجواب او على الجواب وعطف الانشائي على الاخبار كثير وقد تقدم
الكلام فيه لو كانوا يعلمون جواب لو محذوف اي لارتدعوا عن تعلم السحر والنار
كتبه او لكان خيرا لهم والمعنى لو اعتادوا العمل بموجب العلم لكن بعدم العلم
تنبيها على قوة الملازمة بين العلم والعمل بموجبه وان عدم العمل لعدم الصحة
بما يوجبه من العلم ولو انهم امنوا الرسول الله والقران والتورية لان ايمانهم
بها كلا ايمان واتقوا اجتنبوا ما هم عليه من اتباع السحر واستبدالهم كتاب
الله بها لمثوبة لشي من الثواب من عند الله فيه تعظيم للثواب وتنبيه
على بقائه بنا على ان ما عند الله عبارة عما في عالم الغيب اعني عالم الاخرة
ودفع لما عسى ان يتوهم ان التنكير للتقليل في مثوبة للتحقير خير جواب لو

اصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل
وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف
المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه ويجوز ان يكون ولو انهم
امنوا تمنيا على سبيل المجاز كانه قيل وليتهم امنوا واتقوا وترك الجواب في لو
حين كان اللازم لكونه في معنى ليت وتقدير لو امنوا واتقوا لكان حسنا وايراد
الجملة الابتدائية بعض كالتعليل للتمني لو كانوا يعلمون اي ثواب الله خير
مما هم فيه جهلهم لترك العمل بعلمهم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا راعنا امر من المراعاة يقتضي المشاركة غالبا اي يكن منك رعي لنا
ومنا رعي لك فالمراعاة والرعي الحفظ النبي لحظة نهوا ان ينطقوا بلفظ يقتضي
المشاركة مع من يعظم ويضمن هذا النهي عن كل ما يكون فيه استواء النبي
عليه السلام وروي ان المسلمين كانوا يقولون للرسول عليه السلام راعنا
اي راقبنا وتان بنا فيما نلقننا حتى نفهم وسمع اليهود فافترصوا وخاطبوه
به مريدين نسبته الى الرعي او شتمه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون
بها وهي راعنا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يحتمل
التلبيس وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ وانظرنا اذا امهلنا
حتى نحفظه وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا
رعي نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعنا فنسب للسب
واسمعوا ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تيقظ حتى لا تحتاجوا
الى المراجعة والمراعاة او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى
ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم في تركها وللكافرين اي الذين تهاونوا بالرسول
عليه السلام وسبوه عذاب اليم بسبب كفرهم ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين المودة محبة الشي مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما
ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون ولا
مزيدة للتاكيد نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون
انهم يودون لهم الخير ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى
مزيدة للاستغراق بعد النفي والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى
انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شي منه بالعلم والنصرة والوجه

تعميم الكل لانه نكرة في سياق النفي بلا واسطة والله يختص برحمته من يشا
علي مقتضي حكمته وتقديم اسم الله تعالى على الفعل للتاكيد والتخصيص ثم
وضع المظهر موضع المضمر للتعظيم وتربية معنى الاضافة بالانفراد والله
ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة في الفضل العظيم والله تعالى صاحبه
دون غيره ما ننسخ من اية او ننساها وقرئ ما ننسخ من انسخ وننسها
بالتشديد من التنسية وننساها بالهمزة وتنسها وتنسها من نسي وانسى
علي خطاب الرسول عليه السلام وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها وما ننسخ
من اية او ننسكها والنسخ في اللغة هو النقل والتحويل ومنه انتساخ الكتاب
هو نقله من نسخة الى اخرى ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بحكمها
او بهما جميعا وانساخها الامر بنسخها ونسوها تاخيرها واذهابها لا الى
بدل وانساؤها ونسيها اي نذهب بحفظها عن القلوب وما شرطية
جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية او ننساها مجزوم ايضا بالعطف
على المجزوم وجزمه بحذف اليا منه والاية على المعنى اللغوي وهو جماعة
من الكلام ومنه خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم اذ الاختصاص للنسخ بتمام الاية
المصطلحة نات بخير منها بما هو انفع لكم في الدنيا او في الاخرة او مثلها في النفع
في واحدة منها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه وفي الاية دلالة على جواز النسخ
بل على وقوعه قبل وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد
وتكميل نفوسهم فضلا من الله تعالى ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار
والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره وكان هذا
القايل غافل عن قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم وادعى دلالته على ان النسخ قد يكون نقضا على قوم ثم ان قوله وذلك يختلف
باختلاف الاعصار الخ مبنا المنقول عن ان النسخ قد يكون بالعمل قبل المنسوخ
الم تعلم الخطاب لكل احد لان الامر عظيم شامل والتيقظ له ضروري الكل فيصلح
ان يخاطب له كل احد ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو
خير منه وعلى مثله في الخير ويجوز ان يكون الخطاب لمحمد عليه السلام ثم تعريضا
للمشركين او اليهود كما ان قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني خطاب لعيسى

يوم القيمة تعريضا بالنصارى الم تعلم تاكيد لما مر وجملة استيفها لمخفاه ومعادلة
ام تريدون تمهيدا لمن لم يذق فصاحة كلام القران ان الله له ملك السموات والارض
فهو يملك اموركم ويليها ويدبرها فيتعبدكم بما شاء مما يرى فيه مصلحتكم وما لكم من دون
الله من ولي من يلي اموركم ولا نصير من ينصركم عليه وفي اظهار اسم الله في من دون
الله ما فيه اشعار بانهم كما ظهر عليهم ان مالك امورهم ومدبرها بحسب مصالحهم وانه لا يريد
عليهم الا ما هو خير لهم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما يؤل عليهم ويجري به امورهم
ويتعهدهم به وان لا يكونوا كقوم موسى عليه السلام في السؤال عن امور تادت
عليهم وبالاقتسار الا رسولهم ما يخبرهم ولا ينفعهم فقال ام تريدون ان تسالوا
رسولكم ام هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة فمعنى بل عن اقتراحهم على القران بالنسخ
وطعنهم وغفلتهم عن حكمة الله تعالى ومعنى الهمزة انكار ما ناسبه من اقتراحهم
على النبي عليه السلام كاقتراحهم على موسى عليه السلام وفيه مبالغة في النهي حتى كانهم
قصدوا الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال لا يبعد من شان العاقل ان
لا يتصدى لارادة ذلك ويجوز ان تكون متصلة بهمزة محذوفة اي اتعترضون عليه
بالنسخ وتطعنون فيه ام تريدون ان تسالوا وقوله كما سئل موسى من قبل
مصدر المبني للمفعول لترشيح هذا المعنى يعني ان من سال مثل هذا السؤال حقيق بان يصان
عن ذكر الفاعل والا فالمناسب ان يشبه سؤالهم بسؤال قومه او سؤال نبينا بسؤال
موسى على المصدر المبني للفاعل ثم ذيل الكلام بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
اي ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل
الطريق المستقيم اضاف الوصف الى الموصوف لتنبيه بعد الانحراف ويكون اول ما يطرق
سمعهم بعد الضلال هو الاستواء فينتبهوا على انهم اخطأوا الاستقامة في طريقهم فيكون
وهو ابلغ من قولك فقد ضل الطريق المستوي ود كثير من اهل الكتاب يعني
احبارهم لو يردونكم تمنوا ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون العمل
من بعد ايمانكم كفارا حال او مفعول ثان على ان يضمن يود معنى يجعل حسدا
مفعول له او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف على ما له
غيره والتمني ان يزول عنه اليه من عند انفسهم متعلق بحسدا اي حسدا
ناشيا من عند انفسهم يعني حسدا ناشيا من ذواتهم لا يمكن ازالته لا عرضيا حاصلا
لزوال الاخر فحسدهم لا يكون الا من عند انفسهم ويجوز ان يتعلق بود اي تمنوا

ارتدادكم من قبل انفسهم وتشهوقها لا من جهة التدين والميل الى الحق لانهم تمنوا
ذلك من بعد ما تحققوا انكم على الحق من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت
المذكورة في التورية ومعنى الغاية فاعفوا واصفحوا المسببة بمعنى اذا علمتم ان
ودادتهم المحكية انما هي لحسدهم لا للدين فليس يمكنكم ازالتها فلا تستعجل لكم الا العفو
وهو الترك والصفح وهو الاعراض حتى يأتي الله بامره من قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بالجزية ولا يخفى بلاغة نسبة الاتيان اليه تعالى في التعظيم
والتهويل فلذا التعظيم لعن الاصل وهو حتى ياتي الله ولما كان مظنة ان يسبق
الى الوهم ان ذلك التوقف لعدم القدرة على الانتقام على الفور تدارك دفعه
بقوله ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم اي وقت شاء وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه منسوخ باية السيف والغاية التي تتعلق بها الامر
اذا كانت لا يعلم الا شرعا لم يخرج ذلك الوارد من ان يكون ناسخا دل على ذلك
انتساخ بالغ حكم التورية والانجيل بظهور نبينا عليه السلام مع ما فيهما من
بيان انتهاء حكمها بظهور النبي الامي واقيموا الصلاة واتوا الزكاة عطف
على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما
تقدموا لانفسكم من خير اي شيئا قليلا من جنس الخير تجدوه كما في الاحا
الصحاح ان الاعمال نفسها تتجسد يوم الجزاء او تجدوا ثوابها عند الله قد مر
تفسيره ان الله بما تعملون بصير وقد يتضمن الوعيد على عدم الاخلاص في العمل
وتركه بالبتة فيتضمن وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من الفريقين
لن يدخل الجنة الا من كان هودا جمع هائد كعائد وعود وهو جمع لا ينقاس في فاعل
وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر باعتبار اللفظ والمعنى او نصارى لف بين قولي
الفريقين كما في قوله كونوا هودا او نصارى ايجازا اعتمادا على فهم السامع
وامنا من الالتباس لشهرة تباين الناس بالتعادي تلك امانيهم اشارة الى
الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا
وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك
الامنية امانيهم والجملة اعتراض وقد مر ان الامنية افعولة من التمني مثل
الاضحوكة والاعجوبة والتمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها ولما كان
اكثره عن تمني ما شاكل البطلان لذا مثله قل هاتوا برهانكم اي احضروا حجتكم

على اختصاصكم بدخول الجنة والبرهان مشتق من البره وهو القطع او من البرهنة
وهي البيان ان كنتم صادقين في دعواكم فان قلت هلا يجوز ان يكون واحد
منا صادقا في دعواه ومع ذلك يكون عاجزا عن اثباته قلت يجوز ذلك في المثل
واما الذي بصدد ان يجب السمع فلا يجوز بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
من اسلم وجهه اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره عبر بالوجه عن الجملة اذ هو
اشرف الاعضا وفيه الحواس ولان اثر الانقياد والخضوع يظهر فيه وهو محسن
في عمله حال فله اجره الذي وعد على عمله عند ربه لا يضيع ولا ينقص ويجوز ان
يكون بلى وحده ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدا او الجملة جواب من ان
كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط وان تكون
من موصولة فاعلا لفعل محذوف دل عليه بلى اي يدخلها من اسلم وجهه لله
ويكون قوله فله اجره معطوفة على يدخلها من اسلم ولا يخفى ما في الشرطية
العامة من التعريض بانهم لا يدخلون الجنة لانتفاء الاوصاف الموجبة للاجر بحكم
الوعد الصادق والترغيب في سلوك طريق الدخول ولم يجزم بان غيرهم موصوف
بذلك لانه على اسلوب الكلام المنصف والاوجه الوجوه ان يقدر بلى يدخلها
غيرهم فيتصل بنفيهم ثم قيل من اسلم ويكون قوله فله اجره من التتميم على انه زيادة
على دخول الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قدم تفسيره وقالت اليهود ليـ
ست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء هو في غاية
المبالغة لان الشيء يتناول المعدوم الممكن والمحال فاذا سلب الشيئية لم يبق من
المبالغة حد وراءه ومن قيد بقوله يعتد به فقد اخل بها نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وا
رتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عليه
السلام والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى عليه السلام و
التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ذلك وحالهم
انهم من اهل العلم والتلاوة والكتب وحق من يتلو بعض كتب الله الايمان بالباقي
لان بعضها مصدق للبعض كذلك اي مثل ذلك القول البعيد عن الصواب
قال الذين لا يعلمون اي الجهال من المعطلة والدهرية والمشركين الذين لا كتاب
لهم مثل قولهم لم ينقل مثل قولهم لان المنظور ههنا جهة اتحادهم وهي كونهم اهل الكتا

وهو بيان توهمهم لقوله كذلك لما فيه من الابهام او بدل منه ويجوز ان يكون
كذلك مفعولا به اي كلاما مثل ذلك الكلام الشنيع الذي سمعت به قال
الجهلة قولا مثل قولهم صادرا عن عناد وجهل بلا حاجة فيكون مثل نصبا
على المصدر وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم
فالله يحكم بينهم اي بين اهل الكتاب لا بين الفريقين والانشاء بينهما او بينهم
وبين الجهلة ايضا يوم القيمة اي بين من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار
عيانا فيظهر المحق من المبطل والثاني فضيحة كانه قيل اذا لم يرضوا بحكم الكتاب
في الدنيا فالله يحكم الاية فيما كانوا فيه يختلفون من الدين والكتاب والنبي
ومن اظلم ممن منع مساجد الله اي لا اظلم منه دلت على ذلك صيغة التفضيل
في سياق الاستفهام الانكاري وهذا لا ينافي كون المشرك اظلم لانه فضل في الظلم
لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير وسبب نزولها ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وقيل منع المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وكيف كان فالاعتبار
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذلك اي لقصد تعميم الحكم قيل مساجد الله مع
ان المنع والتخريب انما وقع في مسجد واحد وهو مسجد بيت المقدس او المسجد
الحرام ان يذكر فيها اسمه مفعول ثان لمنع ويجوز ان يكون على تقدير من اي من
ان يذكر وحذف حرف الجر مع ان قياس ويجوز ان ينتصب مفعولا له اي كراهة
ان يذكر وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل وسعى كلمة تختلف معانيها باختلاف
مصادرها يقال سعى يسعى سعيا اذا عمل واذا اكتسب واذا عدى وسعى
سعاية اذا اخذ الصدقات وهو عامل وكذا سعى به الى السلطان سعاية
اذا وشى به وكذا سعى المكاتب ومعتق البعض في اداء ما عليه سعاية وساعى
الرجل الامة اي فجر بها مساعاة ولا يقال ذلك في الحرة وفائدة زيادة
سعى هنا نفي احتمال السبب اولئك المانعون ما كان لهم ينبغي لهم
ان يدخلوها الا خائفين اي وجلين من عقابه تعالى فكيف لهم الجراءة على تخريبها
قيل ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وفيه نظر لان تخريبهم ومنعهم يدل على انه قد كان في علم الله تعالى
وقضائه ان يدخلوها غير خائفين وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد

ولية نظر ايضا لان النهي عن تمكينهم من الدخول لا يطلق الا عن تمكينهم منه غير
خائفين لهم في الدنيا خزي اي قتل وسبي وذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة
عذاب عظيم بسبب ظلمهم العظيم وانما عبد لهم تنصيصا على ان المعذبين في الاخرة
هم المعذبون في الدنيا وليس عذابهم في الدنيا مكفرا لذنوبهم حتى يكون احد
العذابين في الاخرة هم المعذبون لبعضهم والاخر لباقي ولله المشرق والمغرب
وهما عبارتان عن ناحيتي المعمورة والمراد كلها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم
التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي الجهة التي امر
بها الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والمعنى انكم
اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض
مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان
التولية ممكنة في كل مكان لا تختص امكانها بمسجد دون مسجد ولا بمكان
دون مكان ان الله واسع بالرحمة يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم
واعمالهم في الاماكن وعن ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت في صلاة المسافر
على الراحلة وعن عطا عميت القبلة على القوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاهم فعذروا وفي النقل وانا وجوب القضا وعدمه فامر اخر والظاهر
انه مستطرد عند ذكر المساجد وتمهيد لذكر نفي الولد لان من له الجهات
كلها متعالي عنها فيستحيل ان يماثله ذو جهة والولد جنس لوالده لا محالة
قالوا اتخذ الله ولدا اي الذين قالوا عزير ابن الله والذين قالوا المسيح
ابن الله والذين قالوا الملائكة بنات الله قالوا اتخذ الله ولدا فالضمير لمن سبق
ذكره من اليهود والنصارى والمشركين الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على
الاستيناف كانه قيل هل انقطع جل افتراهم على الله تعالى او امتد فلم ينقطع
فقيل بل قالوا اعظم من ذلك وافظع سبحانه تنزيه له عن ذلك اعتراض
بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه وتنبيه على فساده والمعنى انه
خالق ما في العالم كله ومن جملته عزير والمسيح والملائكة كل له قانتون
منقادون لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكلما كان في هذه الصفة لم يجانس
لكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما

جاء بما للعموم وقانتون بتغليب العقلا وهذا التغليب يابى عن قصد التحقير
بالمراد هنا وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض الاية تدل على
فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه ومبني تضمنه بالاحتجاج بالوجه الاول على ثبوت التنافي
بين ولدية احد الشخصين ومملوكيته له اذ لا تجتمع هذا فيما ذكرنا الاحتجاج به على ان من ملك
ولدا عتق عليه بناء على ذلك المبنى لا يخلو عن نوع مصادرة بديع السموات والارض يقال
بدع الشي فهو بديع كقولهم ظرف فهو ظريف وبديع السموات من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه اي بديع في السموات والارض لقولهم فلان
ثبت العذر اي ثابت فيه والمعنى انه تعالى عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع
بمعنى المبدع فيكون مضافا الى المفعول وقال ابن معصم يجوز ان تكون البديع بمعنى
الصنع والبديع والمبدع كالبدي والمبدي اختراع الشي لا عن شي دفعة وعلى هذا
المعنى تكون الاشيا كلها مبدعا وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا بوجه
اخر تقريره ان من قدر على من خلق السموات والارض من غير شي كيف لا يقدر
على خلق مثل عيسى عليه السلام من غير اب وقري بديع مجرورا على البدل من الضمير
في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اذا اراد شيا بقوله تعالى انما امره اذا
اراد شيا ان يقول له كن فيكون واصل القضا اتمام الشي قولا كقوله وقضى ربك
او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود
الشي من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث اي لا يدخله تاخر عن وقته ولا يمتنع عليه شي ولا يلحقه به تعب ولا
يحتاج الى استعمال الة ومن اوله يحمل استعارة تمثيلية شبهت الحال المتحصل
المتصور من تعلق ارادته تعالى بشي من المكونات وسهولة ايجاده اياه
من غير امتناع ولا توقف بحال الامر المطاع النافذ تصرفه في المامور المطيع
الذي لا يتوقف في الامتثال فاطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل في تلك من
غير ان يكون هنا قول وامر وهذا اقرب ما يتراءى به المعنى المقصود ولا يتجه
المناقشة بان وجه الشبه في المشبه اقوى وحق التشبيه عكس هذا او ذهب
بعضهم الى انه حقيقة وقد جرت السنة الالهية بانه يكون الاشيا بكلمة كن ٥
فيكون المامور الحاضر في العلم والمامور به الدخول في الوجود وقري برفع يكون
اي فهو يكون وبالنصب على جواب الامر وفيه تقرير لمعنى الابداع وتاكيد للاستبعاد

الولادة

الولادة بالمولود عليه بقوله سبحانه واما ما قيل انه حجة اخرى وهو ان اتخاذ الولد
مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك فيرد عليه انه يكون الحوالة
ومهلة هو تكون الولد على جري العادة فلعلها تعلق ان تقول اتخاذ الولد على سبيل
خرق العادة ثم ان فعله تعالى قد يقارن المهلة لحكمة وان كان مستغنيا عنه
كيف وقد كان خلقه السموات والارض في ستة ايام ومن هنا ظهر ان من اعتبر
في القبيل المذكور الحصول بلا مهلة لم يصب وقال الذين لا يعلمون اي الجهلة من المشركين
وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لا يعملون به فتوا تجاهلوا او لانه ظهر
عليهم لولا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وموسى عليه السلام ويامرنا وينهانا بالذات
وهذا استكبار منهم عن اتباع بشر مثلهم او تاتينا اية من الله تعلم بها انك رسول
الله وهذا استهانة منهم بالمعجزات الباهرة وانكار بالايات الخارقة كذلك
قال الذين من قبلهم يعني اليهود حيث قالوا ارنا الله جهرة واما قول الحواريين هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما فليس من هذا القبيل في ما نقف عليه
في موضعه مثل قولهم قد مر تفسيره والمماثلة بين القولين في كونهما تحكما وعنادا
تشابهت قلوبهم اي قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى والعناد اعتراض وقري بتشديد
الشين وخطا القرا قايلا ذلك انما يجوز في المضارع يعني تتشابه فتدغم احدى
التائين في الشين قد بينا الايات لقوم ذوي بصاير يوقنون انما الايات يجب الاكتفا
بها عن غيرها واصل الايقان الذي يتم به الالزام ثم الكل لكن يخص الموقنين نصحا للنفع
واليقين ابلغ علم واوكده لا يكون ثمه مجال عناد واحتمال زوال ولذلك قال في حق
ابراهيم عليه السلام وليكون من الموقنين ولو صح ان يتخلف عنه الاذعان لكان
درجته فوق الايمان فكان من المذعنين ابلغ من الموقنين واللام في الايات للاستغراق
اي كل الايات او الماهية او مما يعرفه العقلا انها ايات وتنكير قوم للتعظيم اي قوم اي
قوم صفتهم الايقان وفيه تعريض بانهم ازداد اهل الظن والتقليد وايذان بان الايمان
له شان انا ارسلناك بالحق متصوبا به لا ينازعك بشيرا ونذيرا للمطيع والعاصي
فلا عليك الا البلاغ المبين ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما بالهم لم يومنوا اذ بلغت ٥
في دعوتهم جهدك وقري ولا تسال على النهي تعظيما لما في الكفرة من العذاب كما تقال
عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه اي هو في حالة لا يحتمل سماعها لفظاعتها او ايحا
السامع او ارق او اجزع ان اتكلم بها فلا تكلفني او اعظم ان يكتبها او يعبر عنها عبارة

وقيل لما نزل تبشير المؤمنين وانذار الكفار كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل
وقال يا رسول الله اين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه السلام ان والدك
ووالدي ووالد ابراهيم في النار فنزل القول المذكور فلم يسأل شيئا من بعد ذلك والجحيم
النار الشديد الالتهاب والجاحم المكان الشديد الحر ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم لعله بعد النشر على عكس ما في قوله تعالى وقالوا لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى حكى الله تعالى كلامهم ولا بد من الحمل هذا
ليطابق قوله قل ان هدى الله فانه يقتضي سابقة قول من ندب عليه السلام
الى ما هم مبني على تمادي لجاجهم والملة من املات الكتاب وهو اسم
لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه
والدين مثلها لكن الملة تقال باعتبار الدعاء اليه والدين باعتبار الطاعة
والانقياد له ثم يقال الملة والدين للذي من قبل الله تعالى على التقييد
كقولك ملة نوح ودينه قيل كان عليه السلام يجتهد في طلب ما يرضيهم
ليقبلوا الى الاسلام فقال له دع طلب ما يرضيهم الى ما امرتك به من مجاهدتهم
فليس فيه اقناط عن اسلامهم قل ان هدى الله هو الهدى بالغ في تعظيم دين
الاسلام بتسمية الهدى واضافته الى نفسه وحصر الهدى فيه بان والضمير
واللام اي ان دين الاسلام الذي هو نفس الهدى المخصوص بالله الذي يستاهل
ان يسمى هدى وهو الهدى كله لا غير فيلزم ان ما عداه ليس بهدى بل هو كما قال
كلا قول لا حجة معه ولا عن علم فهو هوى فلهذا قال في سبيل العرض ولئن
اتبعت اهواءهم ارآءهم الزائغة فان الهوى رأي عن شهوة داع الى الضلال
وانما سمي بذلك لانه يهوي بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الآخرة الى
الهاوية بعد الذي جاءك من العلم ابهمه ثم بينه للتعظيم اي من الدين
المعلوم صحته بالبرهان ما لك من الله جواب للقسم قد سد مسد جواب الشرط
من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل
الكتاب يتلونه حال مقدرة من هم او من الكتاب لانهم لم يكونوا وقت
ايتائه تالين له او خبر حق تلاوته نصب على المصدر اي تلاوة كما يجب ان يتلى
لا يحرفونه ولا يكتمون شيئا منه كنعت الرسول عليه السلام وغيره اولئك
اي التالون على ما يجب يؤمنون به بكتابهم دون غيرهم من المحرفين ومن

يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون المخصرون بالخسران
باشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما ذكرهم النعمة اولا وخصهم بالخطاب
من بين بني آدم وخصهم بالخطاب على اتباع من هو رحمة للعالمين فانتسبوا الى
من قبلهم اي فضلهم خاتما بها عليهم على سبيل الالتفات عقل الاول خطابا شاملا
للمؤمنين عودا على بدء وختما بما به بدأ وتحسيرا لمن كان وعلم من ذلك ان التكرير ليس
بمجرد التقرير وفيه حسن التخلص الى حديث جدهم ابراهيم عليه السلام وجه
يؤكد ما يدعوا اليه واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات باوامر ونواهي واصل الابتلاء
والبلاء الاختبار امر يعرف من حاله وظهور جودته ورداءته وربما قصد
الامران معا وربما قصد احدهما فاذا نسب الى الله تعالى فهو الامر الثاني فتم
وليس هذا من ابتلاء الله تعالى بكذا اذا اصابه بما يكرهه ويشق عليه لان حمل الاوامر
والنواهي على المكاره وعدها من البلاء ما ليس بمناسب وابراهيم تفسيره بالسريانية
رب ارحم وذلك لرحمته بالاطفال قيل جعل هو وزوجته سارة كافلين لاولاد
المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة فاتمهن اي قام بهن حق القيام واطاعه
فيهن احسن الطاعة لقوله وابراهيم الذي وفى قال استيناف فالعامل في اذ محذوف
او هو العامل فيه اذ والواو داخلة عليه عطفا على ما قبله عطف القصة على القصة
المشتملة ايضا الامتنان لقوله يا بني اسرائيل اذكروا اني جاعلك من الجعل بمعنى التصيير
فتعدى الى اثنين للناس اماما الامام اسم لمن يؤتم به كالازار لما يتزر به والملحد
عليه السلام مؤبد اذ لم يبعث بعده نبي الا كان مأمورا باتباعه واما عمومها
فيما في قوله عليه السلام اعطيت خمسا الحديث قال ومن ذريتي اي واجعل
بعض ذريتي واستعمال البعض صيغة الامر في موضع الالتماس شايع شائع وهذا
اولى من المصير الى عطف التلقين لانه لا يخلو عن سوء ادب وذرية شخص
نسله قال لا ينال عهدي الظالمين اي من كان ظالما من ذريتك لا ينال العهد اي
بالامامة وانما ينالها من كان عادلا والنيل اللحوق واختلف في المراد بالعهد
فالاظهر انه النبوة فلا دلالة في الآية على ان الفاسق لا يصلح للامامة واذ
جعلنا البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس المثابة كالمثابة صيغ

ومعنى اي مرجعا يثوبون اليه بعد التفرق عنه وامنا اي موضعا غاية الامن
لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حوله قيل يامن حاجه من
عذاب الاخرة وفيه نظر لان الحج لا يجب ما قبله من المظالم وقيل لا يوخذ الجاني
الملتجي اليه حتى يخرج وفيه نظر ايضا لانه يلجي الى الخروج فلا يبقى امنا واتخذوا
على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض تقديره وتوبوا الى الله
واتخذوا وعلى هذا الواو فصيحة من مقام ابرهيم مصلى موضع صلاة تصلون
فيه وهو على وجه الاستحباب دون الايجاب وهو الحجر الذي فيه اثر قدميه
والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعى به الناس الى الحج او رفع بنا البيت
وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضي الله عنه وقال
هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم اومر بذلك
فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد الامر بركعتي الطواف لما روي جابر انه عليه
السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرئ واتخذوا
بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي اتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها ويحتمل ان يكون امرا على صيغة الخبر للتاكيد فتوافق القراتان
وعلى هذا يتبين كون الامر للايجاب وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا
اي بان طهرا بيتي من الاوثان والانجاس ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد
معنى القول والمعنى ذوما على تطهير فهو امر ان يبقياه على الطهارة لا ان
يكون فيه نجاسة فيزيلاها وهو كقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة اي
مبقاة على الطهارة الاصلية للطائفين اي الدائرين حوله والعاكفين
المعتكفين من لزم الشيء او اقام عليه والركع السجود جمع الراكع والساجد اي
المصلين والصلاة تشتمل على افعال اقربها الى الخشوع هذان وترك العاطف
بينهما لكمال الاتصال واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا اي هذا البلد او هذا المكان
بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه غريبا كان او منا اهله
كقولك ليل نائم والبلد الاثر في الجلد وغيره وانما سمي البلد بلدا لما فيه من الاثار
وارزق اهله من الثمرات الثمرة في جميع ما يخرج من الارض والاشجار فهو ستعمل
في الطعام والفواكه وذلك لانه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع
وانما قال اهله دون اهلي تعميما للدعا لا هو اللائق لشان الانبيا من امن بالله

رضي الله عنه اندج

نفهم

واليوم الاخر بدل من اهله اي وارزق المؤمنين من اهله خاصة فالوا انا من
ابرهيم عليه السلام الرزق على الامامة فخص الرزق المطلوب بالمؤمنين وهذا
الناس لا يليق بشانه عليه السلام لظهور الفرق بينهما عند من له ادنى تمييز
فالوجه ان يقال انه عليه السلام اي عن تعميم الدعا للكفار لان الكافر
لا ينبغي له بل يدعى عليه قال عليه السلام اللهم اشدد وطاتك على مضر وقال
موسى عليه السلام ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وخشي ان يخرج
ذلك مخرج المعونة لهم على العصيان او اراد ان يجعل ذلك اية الكفار والاسلام
قال ومن كفر مبتدا فيه معنى الشرط وجوابه وخبره مقدر بتقدير فلا اهلكه
والفا في قوله فامتعه فصيحة وجعله جوابا او خبرا يابا ان الفا الكفر لا يصلح
سببا للمنع كثيرا ولا قليلا نعم يصلح لتقليله لكن صرف النظم اليه لا يخلو عن تعسف
واما عطف من كفر على من امن فتنبه ان العطف يقتضي التشريك في العامل
فيصير التقدير قال ابرهيم وارزق من كفر ولا يناسبه السياق واللحاق ومن هنا
ظهر سناخة قراة الخبرين على لفظ الامر على انه من دعا ابرهيم عليه السلام من
التصلو وكيف والمناسب له عليه السلام طلب الهداية الى الاسلام لمن كفر لا طلب
ختمهم على الضلالة قليلا نصب على المصدر اي تمتيعا قليلا او على الظرف اي زمانا
قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وقرئ فاطّره
بادغام الضاد في الطا كما قالوا اطجع نقل سيبويه عن بعض العرب مطجعا وقال
مطجع اكثر فيدل على ان مطجع كثير فلا يكون لغة مرذولة وبئس المصير مصيرهم
فحذف المخصوص بالذم واذ يرفع ابرهيم يرفع حكاية حال ماضية اوردة مع
استحضار الحال لمعظم وقعها في النفوس ولهذا ابهم القواعد بالاطلاق ثم بينها
بالتبيين بقوله من البيت فخما لشان المبين والقواعد في الاساس لما فوقه
وهي من الصفات الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفعها البنا عليها فانه
من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع واسمعيل عطف على ابرهيم فهما شريكان
في الرفع اي يقولان ربنا والجملة حال منهما تقبل منا اي هذا العمل الذي قصدنا
به رضاك انك انت السميع العليم بنياتنا ربنا واجعلنا عطف على الدعوة
السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكر والخضوع للربوبية مسلمين لك مخلصين
لك من اسلم وجهه او منقادين من اسلم بمعنى استسلم والمراد طلب الزيادة

بمعانيهم

على ما كانا دا ثبات عليه وقرئ مسلمين على ان التثنية من مراتب الجمع وقيل ارادا
انفسهما وهاجر ومن ذريتنا خصا الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة وانما
باداة التبعيض لانه تعالى كان اعلمهما ان في ذريتهما من لا ينال العهد لكونه ظالما ولما
علما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما
يشوش المعاش فلا يصلح وجها لما ذكر كما لا يخفى امة مسلمة لك الاسلام هو الانقياد
بالخضوع وارنا من الروية بمعنى الابصار او المعرفة دل على ذلك الاقتصار على مفعولين
والاختيار ان يقرا بكسر الرا وهي قراة الجمهور لان كسرة الهمزة حولت الى الرا وسقطت
الهمزة فلا ينبغي ان يسكن قياسا على فخذ في فخذ كما فعله ابن كثير لئلا يجحف بالكلمة
وتبطل الدلالة على الهمزة مناسكنا متعبداتنا في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن
العادة او مذابحنا فان النسك يخص بالذبيحة وتعورف فيه حتى قيل نسك فلان
اذا ذبح وتب علينا التوبة هنا رجوع الى الطاعة عن العصيان ومن الله تعالى رجوعه
بالاحسان ولهذا يتعدى بعلى فذلك ان تاب بمعنى رجع كما ان رجع لازم ومتعد
وانما قالا ذلك هضما لانفسهما واستتابة عما فرط منهما سهوا وارشادا لذريتهما
انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا تكرير للامر وابعث فيهم اي في ذريتهما او في الامة
المسلمة لتقدم الدلالة على انهم امة ذلك الرسول رسولا منهم البعث فيهم لا يستلزم ان
يكون منهم كالعكس ولهذا جمع بينهما يتلو عليهم اياتك المراد بالاية المعجزة الواضحة
الدلالة وفي عبارة التلاوة اشارة الى انه اراد ان يكون للرسول المسؤول معجزة من جنس
الكلام ويعلمهم اي يلقنهم في الفهم شيئا فشيئا الكتاب كلام الله تعالى المنزل عليه
عليه السلام وهو اعم من القراة لاشتماله على منسوخ التلاوة الخارج عن القران
والحكمة السنة ذكره قتادة ووجه المناسبة بينهما ان الحكمة تنتظم العلم والعمل
كما ان السنة تنتظم القول والفعل ويزكيهم ويطهرهم اي يحليهم بالفضائل ويخليهم
عن الرذائل وانما قدم الاول لان علم الشرائع يكون سببا لتزكيتها والجامع لما ذكر
انما هو محمد عليه السلام وقد روي انه عليه السلام قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة
اخي عيسى ورويا امي انك انت العزيز الغالب الذي يقهر ولا يغلب الحكيم
المحكم للامور ومن يرغب عن ملة ابرهيم الرغبة سعة الارادة ومنه بطن رغيب
اي نهم ومتى عدي بعن اقتضى صرف الارادة عن ذلك الشي وذلك بالزهد فيه
ومن للاستفهام على وجه الاستبعاد والمراد النفي على وجه ابلغ اي لا يزهد في ملته

قال الزجاج كل متعبد نسك والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج

ابرهيم الا من سفه نفسه الا الذي اذلها واستخف بها قاله المبرد وثعلب ان سفه
بكسر انما يتعدى كسفه المشددة ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق
وتغمص الناس والمستثنى في محل الرفع بدل من الضمير الذي في يرغب وهو اجود من النصب
على الاستثنا ولقد اصطفيناه في الدنيا اي جعلناه صافيا من جميع ما لا يليق بخلة الحق
والاصطفا في الاصل تناول صفوة الشي كما ان الاختيار تناول خيره والاجتبا تناول
جبايته اي وسطه وهو المختار وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من الثابتين على
الصلاح في الدنيا حتى يكون كذلك في العقبى فكم من صالح من اول حاله ذهب صلاحه
في ماله فهو في مقام التعليل لاصطفائه في الدنيا كما انه مقام التعليل كما سبق
من انه حقيق الاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت العامل في اذ قال اسلمت اي حين
امره الله تعالى بالاسلام قال اسلمت استيناف تعليل لما تقدم عن الصلاح في الدارين
وانما زاد قوله لرب العالمين لبيان ان المراد من الاسلام هو الانقياد عن عرفان
بما يوجب الاذعان لا مجرد الاقرار باللسان ووصى بها اي بملة الاسلام المذكور
ابرهيم بنيه والتوصية التقدم بفعل فيه صلاح ديني او دنيوي وقرئ واوصى
والاول ابلغ واشتقاقهما من وصاه اي وصله ويقال وصاه فصاه اي فصله ويعقوب
عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه
ابرهيم وانما منع عن الصرف للعجمة والعلمية يا بني على اضمار القول او متعلق بوصى
لانه نوع منه وباعتبار القول والفعل تجوز اثبات ان وحذفها كما في الرسالة
والابلاغ والانذار والوعد ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة
الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون كناية عن الثبات على الاسلام وفي
العبارة المذكورة اشارة الى ان العبرة للخاتمة ام كنتم شهدا ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال
فلم تدعون اليهودية عليه وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت والشهود حضور
بالذات او بالعناية او المثال والحضور اكثر ما يقال بالذات كذا قال الراغب
وتقديم المفعول وهو يعقوب لشدة الاهتمام به لانهم يدعون عليه اليهودية
اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي لم يعين به المكان المشرعة

فقط بل عن جميع الاعمال فكانه دعاهم ان لا يخيروا في اعمالهم غير وجه الله تعالى
ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف ان يشغلهم دنياهم ولهذا
زادوا في الجواب قولهم ونحن له مسلمون اي منقادون له في جميع الافعال والاحوال
قالوا نعبد الهك واله ابائك اي نقتدي بك كما اقتديت بابائك وللاشعار
بهذا الاعتبار المناسب للمقام زادوا في الكلام على قدر الحاجة في الجواب وتكرير اله
ابيك على انه جمع اب على السلامة او مفرد ابرهيم عطف بيان واسمعيل واسحاق
بدل من قوله ابيك وابرهيم عليه السلام كان جدا له والجد اب قال الله تعالى كما اخرج
ابويكم من الجنة واسمعيل عليه السلام كان عما له والعم عند العرب يسمى ابا قال
النبي عليه السلام في حق العباس ردوا علي ابي وانما قدمه على ابيه اسحاق لانه
اكبر سنا منه الها واحدا بدل من اله ابائك ويجوز ان يكون واحدا حالا والها
توطئة والفائدة تنصيص على ان معبودهم واحد ونفي التوهم الناشي من تكرير
المضاف وانما النصب على الاختصاص فيرده نص النحاة على ان المنصوب على
الاختصاص لا يكون نكرة ولا مبهما ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله
او منهما ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد او اعتراضية تلك امة الاشارة الى
ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة اهل الملة الواحدة وهي في الاصل المقصود امة
كالعمدة من عمد ويسمى به الجماعة لان الفرق تؤمها قد خلت اي مضت وصارت
الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها ويلزمها الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه
اذا انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد منهم لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
الكسب اجتلاب النفع بعلاج وحرص ولذلك لا يجوز في صفة الله تعالى واذا
قيل في المضرة فعلى طريق الاستعارة وتقديم لها ولكم للتخصيص والجملة استيناف
لبيان ان الانتفاع بالاكتساب لا بالانتساب ولا تسئلون عما كانوا يعملون
تتميم للتقديم اي لا يثاب ولا يعاقب احد بما كان من الاخر على ان المراد سؤال
المواخذة وقالوا اي رؤساء اليهود ونصارى نجران كونوا المخاطبون من امن برسول
الله صلى الله عليه وسلم هودا او نصارى كان الظاهر ايراد اداة الجمع لان كلام
الجمع مجموع الكلامين الا انه اراد ان يتضمن الكلام بيان انقسام المقال على
الانفصال الحقيقي فاتى باداة المنع تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم
اي قل يا محمد جوابا عن قولهم بل نكون اهل ملة ابراهيم على حذف المضاف وذكر

ملة بالرفع على معنى بل المهتدين ملة ابرهيم حنيفا حال من المضاف اليه والحنيف
المائل والمراد المائل عن الاديان كلها الا دين الحق كان يقال في الجاهلية لمن كان على
دين ابرهيم عليه السلام حنيف ليميلهم عن طريقتهم الى طريقة غيرها وما كان من
المشركين تعريض الى ان تلك الطائفتين قد اشركت قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز
ان يكون خطابا للكافرين على ان المراد بقوله بل ملة ابرهيم بل كونوا اهل ملته لتكونوا
مهتدين فيكونون قولوا امنا له امنا بالله اي بالوهيته ووحدانيته وسائر صفاته
ومن جملتها كلامه وكان الايمان مشتملا للايمان بجميع ما انزل من عنده فلهذا
لم يفصل بينهما باداة التعدية الدالة على الاستقلال وما انزل الينا القران قدمه
لان التصديق به اهم وانتم وما انزل الى ابرهيم من الصحف واسمعيل واسحاق
ويعقوب عطفوا على ابرهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة
عليه كانها منزلة اليهم والاسباط اولاد يعقوب جمع سبط وهو في الاصل كالنافلة
والنافلة والاسباط في اولاد اسحاق عليه السلام كالقبائل في اولاد اسمعيل عليه
السلام وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجر واحد لها اغصان
كثيرة وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل والايات البينات ولهذا اتي هنا
بعبارة اوتي ولم يكرر ما اوتي لان شريعة عيسى عليه السلام هي شريعة موسى عليه
السلام الا في النذر وافرادهما بالذكر لوقوع النزاع فيهما وما اوتي النبيون تعميم
بعد التخصيص من ربهم اي منزلا من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا نكون كالذين
امنوا ببعض وكفروا ببعض من اليهود والنصارى واحد عام فساغ ان يضاف
اليه بين وعمومه ليس من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما هو السابق الى الوهم
بل لانه موضوع له في النفي المستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه
ولو قال بينهم لكان اوجز الا انه لما كان القصد الى ان يبين ان لا نفرق بين فرد
وفرد ذكر لفظ احد ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فان الفاء للترتيب الحكم
على ما تقدم امنوا اي اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به اي بمثل ايمانكم فالقصد
به بدل من مثل يفيد التاكيد وكذا الباء المزيدة ويجوز ان تكون الالة والمعنى
تحروا الطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
او المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد
له قراءة بما امنتم به بالذي امنتم به فقد اهتدوا اي اصابوا الصراط السوي

وان تولوا يقال تولاه اي اتخذه وليا قال الله تعالى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم واذا وصل بالى يكون بمعنى الانبا عليه قال تعالى ثم تولى الى الظل واذا وصل بعن يكون بمعنى الاعراض وهو المراد هنا اي ان اعرضوا عن الايمان بما امنتم به او عما تقولون لهم فانما هم في شقاق اي فما هم الا في شقاق عظيم وهو المناواة والمخالفة لاهل الحق فان كل احد من المخالفين في شق غير شق اخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر والسين اشارة الى كون ذلك محقق الوقوع قريبه وهو السميع العليم حذف المفعول للتعميم او ترك تنزيلا للمتعدي منزلة اللازم لايهام المبالغة وعد للمؤمنين ووعيد للكفار صبغة الله انتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله قولوا امنا اي صبغنا الله تعالى بالايمان الفطري صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا الله تعالى هدايته وارشد حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الثوب وقيل انه كلام وارد على طريق المشاكلة وذلك انه كان النصارى يصبغ بنيهم بالمعمودية وهو ماء اصفر كانوا يغمسون اولادهم فيه يزعمون انه تطهير لهم ويقولون للغمور الان صار نصرانيا حقا ومن احسن من الله صبغة اي لا احد احسن من الله صبغة ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وفيه تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم قل اتحاجوننا المحاجة المقاومة في اظهار الحجة البينة الصحيحة اي المتفقد في الله في شانه واصطفائه نبيا من قريش روي ان اهل الكتاب قالوا الانبيا كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص لربوبيته بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى فكذلك لنا اعمال ونحن له مخلصون اي في الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف تكونون افضل منا واولى كما هو زعمكم على كل مذهب ينتحلونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل الله تعالى على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى على القراءة بالتاء الفوقانية

[illegible] [illegible] ان تكون ام متصلة معادلة للهمزة في اتحاجوننا يعني ان الامرين تاتون المحاجة في الله ام ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء عليهم السلام وان تكون منقطعة وعلى القراءة بالياء التحتانية لا تكون الا منقطعة لان المتصلة تقتضي المساواة بين ما بين الهمزة وام والا مساواة ح ومعنى الاستفهام الانكاري وعلى تقدير اتصال ام انكار الامرين جميعا وكذا على تقدير انقطاعهما وفي القراءة الثانية اعراض عن الخطاب لهم استجهالا لهم بما كان منهم وفي قل ءانتم اعلم ام الله انكار للقسم الاول وتقرير الثاني اي ان الله تعالى شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وقولا المعطوفون عليه اتباعه في الدين اتفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده كائنة من الله اي شهادة الله تعالى في حق ابرهيم التي ثبتت عنده في كتابه الذي يتلوه والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وغيرها وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ما يتعلق بهذا المقام من بيان وجه هذه الطريقة من الكلام وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم سيقول السفهاء من الناس قدم لمعنى السفه والمراد المنكرون لتغير القبلة من المنافقين والمشركين واليهود وفائدة تقديم الاخبار به مع انه نوع من الاعجاز توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة وان كانت في الاصل اسما للحالة التي عليها الانسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة صارت في العارف للمكان المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق والمغرب كني بهما عن الجهات كلها اشارة الى ان نسبة جميع الجهات اليه تعالى على السوا لا يختص بامر مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو ما علم الله تعالى صلاحهم واستقامة امرهم فيه من توجههم الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى وكذلك اي مثل ذلك الجعل العجيب والاشارة الى الجعل المدلول عليه بجعلناكم اي الى الجعل المفهوم من الاية

المتقدمة وانما جئ بما يدل على البعد تفخيما والكاف مقحم للمبالغة **جعلناكم امة**
وسطا اخيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان
الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب في المدور ومن الطرفين في المطول
كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود ثم جعل عبارة عن العدل
وشبه به كل ما وقع بين طرفين افراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل
والشجاعة بين التهور والجبن ثم جعل عبارة عن المختار من كل شي حتى قيل فلان
من اوسطهم نسبا فاستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كساير الاسما
التي يوصف بها **لتكونوا شهدا** يعني الانبيا عليهم السلام يوم القيمة **على**
الناس على الكفار **ويكون الرسول** هو محمد عليه السلام **عليكم** خاصة **شهيدا**
معدلا مزكيا لهم والشهيد كالرقيب والمهيمن فجي بعلى لاستعلائه والشهود
له روي ان الامم يوم القيمة يجحدون بتبليغ الانبيا عليهم السلام فيطالب الله
تعالى الانبيا بالبينة على انهم بلغوا وهو اعلم فيوتى بمحمد عليه السلام فيميز
كل رسول منه طايفة من امته تشهد له فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتاب الله الناطق على لسان نبيه
الصادق فيوتى بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد
بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هولاء شهيدا واستدل بالاية الكريمة المذكورة على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما
اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم ولا يخفى ضعفه اذ غاية ما لزم حينئذ
خطاوهم في الاجتهاد ولا تنثلم به العدالة كيف والخاطي في الاجتهاد مما يثاب عليه
وما يثاب عليه لا يكون قادحا في العدالة **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها**
اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لانه عليه السلام يصلي اليها بمكة ثم امر بعد
الهجرة بالصلاة الى الصخرة بعد بيت المقدس تالفا لليهود لانه مردود بالخبر
المستفاد من تمام الكلام الاتي ذكره فانه صريح في ان جعل الكعبة قبلة ليس تالفا
لقريش على هذا الوجه وان جعل الصخرة قبلة ليس تالفا لليهود على الوجه الاخر
ثم حول الى الكعبة فالمعنى ما رددناك الى الكعبة وذلك لا ينتفي ان تكون
القبلة المفعول الاول والتي كانت عليها المفعول الثاني كما توهم بل يجوز
ان يكون على العكس اي صيرنا الجهة التي كنت عليها اولا ثم صرفت عنها الى بيت

المقدس قبلتك او الصخرة فالمخبر به على الوجه الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ
والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا
امتحانا وابتلاء للناس وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته عليه السلام بمكة
بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه ولا دلالة في هذا على احد
المعنيين المذكورين بخصوصه كما لا يخفى **الا لنعلم من يتبع الرسول** ليظهر علمنا
على مظاهر الرسول عليه السلام والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام
الصادق فيه وانما عبر عن الظهور المذكور بالعلم المسند الى ذاته لانهم خواصه
واهل الزلفى عنده تعظيما لهم وبهذا اندفع ما قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل
وهو لم يزل عالما واما التاويل بانه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء
والمعنى ليتعلق به علمنا موجودا فليس بشي لان علمه تعالى بهم موجودين وقت وجودهم
لم يزل ايضا فانه تعالى كان عالما في الازل بهم وبكل حال من احوالهم التي يقع في زمان
من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذي يقع فيه تلك الحالة **ممن ينقلب على**
عقبيه من المرتد الذي يرتد بادنى شبهة لقلة تصلبه بسوء حالهم في الارتداد
بانقح الوجوه فان الانقلاب على العقب اسوء احوال الراجع في مشيه وتثنية العقب
تقوية لشناعته والعقب على ما قاله الاصمعي ما اصاب الارض من مؤخر الرجل
الى موضع الشراك الذي ذكر من جنس الحكم والغايات التي يترتب عليها المصالح
لا من قبيل الاعراض وقرى ليعلم على البنا للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز
ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد
في الدار ام عمرو **وان كانت لكبيرة** شاقة لان من الف شيئا ثم فارقه شق عليه
ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفاصلة وقيل ان هي النافية واللام
بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة اي الجعلة او التولية او
الردة ويجوز ان يكون للقبلة وقرى لكبيرة بالرفع فيكون كان زايدة كما في قوله
وجيران لنا كانوا كرام **الا على الذين** استثنا من محذوف اي لكبيرة على الناس الا
على الذين **هدى الله** الى حكمة الاحكام الثابتين على الاسلام والاتباع **وما كان الله ليضيع**
ايمانكم ثباتكم على الايمان في الاتباع بل شكر صنيعكم واعد لكم الاجر العظيم وقيد
الاستمرار المستفاد من لفظ كان متقدم في الاعتبار على النفي او صلاتكم الى بيت المقدس
اي ايمانكم بسبب الصلاة فيه فانها قبل التحويل ما صحت الا باستقبالها قال ابن عباد

قبل

رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله فيه معنى التعليل والاظهار في مقام الاضمار للتعميم بالناس على الاطلاق فكيف بالمومنين منهم لرؤف رحيم فلا يضيع اعمالهم ولا يخل بما يصلح احوالهم وانما قدم الرؤف على الرحيم لان الرافة انما تكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الآفات والنقائص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا تكون التحلية الا بعد التزكية قد نرى قد للتقليل وقد تستعمل هنا ه في مقام التكثير كما في قوله قد اترك القرن مصفرا انامله يعني انك تتقلب كثيرا على ما دل عليه عنان تقلب وهو قليل بالنسبة الى ما تريد وتريد وفي البيت يدعي قلة الترك بالنسبة الى ما في نفسه وما تريد وهو كثير في حد ذاته تقلب وجهك تقلب الوجه اخص من تقلب العين على ان الوجه يريد به التوجه كقولك وجهي الى فلان في السما اي في جهتها تطلعا في الوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم عليه السلام واقدم القبلتين وادعى العرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه عليه السلام حيث قال انتظر ولم يسأل كما فعله ابوه ابرهيم عليه السلام حيث قال حسبي عن سوالي علمه تعالى فلنولينك فلنجعلنك واليا لقبلة من وليته كذا اذا جعلته واليا له او لنجعلنك تلي سمتها دون الولي ترضاها تحبها وتميل اليها لمصلحة دينية هذا القيد للدلالة على ان التولية كانت رعاية لرضاه عليه السلام فلا دلالة فيه على كراهة القبلة الاخرى فول وجهك فاجعل وجهك يلي شطر المسجد نحو وجانبه الشطر في الاصل لما انفصل عن الشي من شطر اذا انفصل عن الشي ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل وزيادته ليست لانه عليه السلام كان بالمدينة والبعيد يكفيه رعاية الجهة لان التعميم المستفاد من قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يأباه للدلالة على ان القبلة هو الهواء ولا دخل للبنا فيها الحرام اي المحرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان ه يتعرضوه وهذا الوصف هو الباعث لايثار المسجد على الكعبة فان الحكم

المذكور لا اختصاص له بها الآن في استقبال عينها حرجا لا انه فذا انه ه زيادة عنان الشطر روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول عليه السلام بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصها للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اجمالا لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص اهل كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه عليه السلام يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وفي قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب اللام موطئة للقسم بكل آية اي برهان قاطع على التوجه الى الكعبة هو الحق نعت قوله ليعلمون انه الحق دلالة على ان امتناعهم عن التوجه اليها ليس عن شبهة بل عن عناد ومكابرة فلا ينفعهم البرهان قطعا ما تبعوا اي كلهم فلا ينافي اتباع بعضهم قبلتك جواب القسم المضمر وهو مع جوابه ساد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبتت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا وقبلة المخالفين وان تعددت لكنها متحدة من جهة البطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس فلا يرجى توافقهم فلا وجه للتوجه الى احدى تينك القبلتين ارضا لاحد الفريقين مع ما فيه من سخط الآخر ولئن اتبعت اهواءهم اي ولئن اتبعتهم في موافقة الهوى فرضا وفي العدول عن الظاهر التنبيه على ان قبلتهم لما انتسخت لم يبق فيها الا محض الهوى والميل الى مقتضى النفس لبطلان وجه الحق من بعد ما جاءك من العلم اي سببه وهو الوحي انك اذا لمن الظالمين في الامات الثلاث الجيبة والموطيتين للقسم في الجمل الثلاث والتكرار ه في قوله فول وجهك وفولوا مع التعميم في حيثما والتاكيد بان واللام والوعيد في قوله وما الله بغافل وايراد الجملتين المنفيتين وهما وما انت بتابع وما بعضهم بتابع اسميتين وتاكيد النفي بالباء فيهما وايراد كلمة الشك في قوله ولئن اتبعت بعد القطع في قوله وما انت بتابع ليدل على الفرض والتقدير كالحالات وتقوية ذلك المعنى بقوله من بعد ما جاءك من العلم وذكر الاهواء والتاكيدات الاربعة

في جواز مبالغة عظيمة في ان كل واحد من المحق والمبطل في غاية التصلب والتشدد
في دينه وامتناع رجوعه عنه اما المحق فلقوة يقينه ووضوح برهانه وكونه
على بينة من ربه واما المبطل فلشدة شكيمته في عناده ومكابرته وتعظيم
للحق المعلوم وتعريض على انتفائه وتحذير عن متابعة الهوى واستفظاع
لصدور الذنب عن الانبياء عليهم السلام **الذين آتيناهم الكتاب** اي علماؤهم ودراسة
وهم الاحبار **يعرفونه** الضمير للرسول عليه السلام وقد سبق ذكره في قوله تعالى
انك اذا لمن الظالمين وهذا الكلام غير منقطع عنه لانه التفت من الخطاب
للغيبة ثم منها الى الخطاب في قوله وهم يعلمون الحق من ربك **كما يعرفون ابناءهم**
اي يعرفونه عليه السلام معرفة لا شبهة فيه بالوصف الذي يعينه كما يعرفون البنين
على التعيين لا اشتباه في معرفتهم اياهم بغيرهم وانما خص الابناء بالذكر لان
اختلاطهم بالابناء اكثر فعدم الاشتباه فيهم اظهر روي عن عمر رضي الله عنه
انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني
قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فيه
فقبل عمر رضي الله عنه رأسه **وان فريقا منهم** التنوين للتحقير والاشارة الى قلتهم
بالنسبة الى المظهرين منهم **ليكتمون الحق** اي كونه النبي الموعود وكان الظاهر ان يقال
ليكتمونه والعدول عنه للتنبيه على ان المراد معرفته عليه السلام بذلك الوجه
لا معرفة ذاته **وهم يعلمون** تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن **الحق من ربك** كلام
مستانف والحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال او
الحق مبتدا خبره من ربك واللام اما للعهد والاشارة الى ما يكتمونه اي الحق الذي يكتمونه
هو الحق من ربك او الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واما للجنس
اي الحق من ربك لا من غيره اي ماهية الحق ما ثبت انه من ربك يعني الذي انت عليه
وما لم يثبت انه من ربك كالذي عليه اهل الكتاب فهو باطل كما تقول الرجل زيد
اي ما عداه ليس بالرجل وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون **فلا
تكونن من الممترين** النهي عن الكون على صفة ابلغ من النهي عن تلك الصفة ولذلك
كثر في القرآن النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها والامتراء من مريت
الناقة اذا مسحت ضرعها واستعير للتردد في الامر وهو لا يكون بتعمد واختيار
فالنهي المذكور للحث على محافظة الاسباب المزيلة له والتحذير عن الغفلة عنها والسهو

عليه السلام احق بها من امته ولقد احسن من قال ان الله يحذر نبيه من اتباع
الهوى اكثر مما يحذر غيره لان ذا المنزلة الرفيعة الى تحذير الانذار احوج حفظا
لمنزلته وصيانة لمكانته وقد قيل حق المراة المجلوة ان يكون تعهدها اكثر اذ
كان القليل من الصدا عليها اظهر ومن ذهب عليه هذا قال ليس المراد به نهي
الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار
فكانه غافل عن انه لا صحة للكلام عن ظاهره وبعد الصرف عنه لا مانع عن كون الخطاب
له عليه السلام ثم انه لا اختصاص للنهي بالمتوقع الا يرى ان الجهل غير متوقع من نوح
عليه السلام وقد وقع التحذير عنه في حقه في قوله تعالى اني اعظك ان تكون من
الجاهلين وفائدة نهيه عليه السلام مع ان المنهي غير متوقع منه المبالغة في حق من
يتوقع منه ذلك **ولكل وجهة** اي ولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة
وقيل المعنى ولكل امة من اهل الاديان المختلفة جهة وقبلة ولا ينتظم وصل الشرح
الاتي ذكره وفي قراءة ابي قبلة والتنوين عن الاضافة **هو موليها** هو اما راجع الى كل
اي هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او الى الله تعالى اي هو موليها وجهه وقرئ
ولكل وجهة بالاضافة اي ولكل وجهة الله تعالى موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد
جبر الضعف العامل وقرئ مولاها اي مولي تلك الجهة ولما كان في التوسعة
المستفادة من الكلام السابق ازاحة العذر في التوقف والتاخر رتب عليه الامر
بالمبادرة بقوله **فاستبقوا الخيرات** اي سارعوا الى اداء الصلاة في اوائل اوقاتها
والسبق التقدم والاستباق من الاشياء دون التسابق وكذا التبادر والابتدار
والتقاتل والاقتتال وفي التعبير بالخير عن الصلاة دلالة على تفوقها في الخيرية على
سائر الاعمال الصالحة فان النوع الخاص اذا عبر عنه باسم الجنس يدل على فضله على
سائر الانواع **اينما تكونوا يات بكم الله** اي في اي موضع كنتم احضركم الله المحشر للثواب
والعقاب استئناف تعليل للامر المذكور وانما قال **جميعا** لان نكال العاصي بحضور الاخيار
يكون اشد فظاعة والاحسان للمطيع في تلك الحال يكون اقوى تاثيرا في تحسير العاصي
ففيه تاكيد لفضيحته وقيل المعنى اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا
ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ويثاب قوله **ان الله على كل شيء قدير** دليل
لشمول القدرة وكمالها في المعنى المذكور فان مبناه على الرخصة والوسعة في امر
التكليف لا على القدرة في امر التكوين **ومن حيث** اي ومن اي مكان **خرجت** سوا كان

للشيء او الامر اخر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه اي وان هذا الامر
للحق من ربك تاكيد على ابلغ الوجوه وما الله بغافل عما تعملون وقرئ بالياء ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد حكمه فانه تعالى ذكر للتحويل القبلة ثلاث فوايد تعظيم
الرسول عليه السلام بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل
ملة وصاحب دعوة جهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبين
وقرن بكل حكم حكمة تقريبا وتقريرا على ان القبلة لها شان والنسخ من مظان
الشبه والفتن ومحال تسويل الشيطان فيحتاج الى التاكيد والتشديد ليتحققوا
انه ليس بالبداء لئلا يكون للناس عليكم حجة تعليل لقوله فولوا يعني ان التولية
عن الصخرة الى الكعبة دفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة
وان محمدا عليه السلام يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا واحتجاج المشركين بانه يدعي
ملة ابراهيم عليه السلام ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم الظالمون المستثنون
من الناس هم المعاندون من اليهود والقايلون ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا
الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبيا عليهم السلام والمشركون
من العرب الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم
فلا تخشوهم ولا تبالوا بهم فان قولهم عناد وطعن ليس بحجة فلا يضركم وان ساقوه
مساق الحجة ولذلك استثناه من الحجة بناء على زعمهم وقراءة زيد بن علي رضي الله
الا الذين ظلموا والفاظ على انه استئناف الجملة مصدرة بالا للتنبيه دلت على كونه
ليس بحجة واخشوني فلا تخالفوا امري وكون الموصول لتضمنه معنى الشرط وكون
الخبر جملة انشائية دخل الفاء في الخبر اي فلا يسوغ ان تخشوهم ويجب ان تخشوني
لان الجملة الانشائية لا تقع خبرا الا على تاويل الخبرية ولاتم نعمتي عليكم
معطوف على علة محذوفة اي واخشوني لاعصمكم منهم في الدنيا ولاتم نعمتي عليكم
في الاخرة بان ادخلكم الجنة ولعلكم تهتدون الى الله وفي الحديث اتمام النعمة
دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه اتمام النعمة الموت على الاسلام او علة
لمحذوف اي ولاتم نعمتي عليكم وارادتي اهتداكم امرتكم بذلك كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم متعلق بما قبله مصدرا اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب
كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول

فاذكروني بالطاعة وانما جمع بين فيكم ومنكم لان كلا منهما فائدة ولا يغني احدهما
عن الاخر يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه هنا باعتبار
المقصد واخر في قصة ابراهيم عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب
والحكمة قد مر تفسيرهما ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى
معرفته سوى الوحي وتكرير الفعل للدلالة على انه جنس اخر فاذكروني الذكر هو
الشيء للقلب يكني به عما يلازمه من الطاعة وفيه تنبيه على ان العصيان للنسيان
حقيقة او حكما اذكركم يكني به عن الاحسان وذلك مشهور في كل لسان واشكروا لي
يقال شكرته وشكرت له والثاني افصح ولا تكفرون حذف الياء اخر ليستوي
الفواصل والشكر اظهار النعمة بالاعتراف بها او بما هو كالاعتراف من القيام
بحقها والكفران ستر نعمة المنعم بالجحود او بما هو في حكمه من العمل يا ايها الذين
امنوا استعينوا بالصبر والصلوة قد مر الكلام فيهما حث الله تعالى على الصبر
لانه ذريعة الى كل خير واول كل فضل وعلى الصلاة التي هي ام العبادات القلبية
والقالبية ان الله مع الصابرين يعني ان النصر مع الصبر فمن لازمه فقد فاز بالنصر
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اي في الجهاد لانه طريق الى ثواب الله تعالى ورحمته
اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حياتهم
وكيف حالهم في حياتهم اي ليس ذلك مما يدرك بالمشاعر اي الحواس وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح
والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع
والاية نزلت في شهداء بدر وفيها وما روي عنه عليه السلام لما قتل من صناديد
قريش يوم بدر من قتل جمعهم في قليب ثم اتى فخاطبهم بقوله هل وجدتم ما وعد
ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقيل له عليه السلام اتخاطب
جيفا فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب دلالة على ان
الارواح منطقا جواهر قايمة بانفسها وذوات مغايرة لما يحس من البدن تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والاثار
وعلى هذا التخصيص الشهداء بالذكر لاختصاصهم بمزيد الزلفى ولنبلونكم
مجازاة البلا مستعار كالمحن يظهر به جوهر النفس هل تصبر وتثبت اي لنصيبنكم
بمكروه اصابة تشبه فعل المختبر بشيء ايراد شيء وتنكيره تقليل لما ابتلاهم به

وركدة

ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقتل وهو بالنسبة اليه
ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم حتى في حال البلاء
فلو عرفوا ذلك لشكروا في موضع الصبر ولهذا اشكل الصوفي قد حمد والله تعالى على
البلاء كما شكر غيرهم على النعما وقدم في تفسير الفاتحة ان نعمة الدفع تنتظم
الفريقين في الدار الاخرة كما انتظمها نعمة النفع في هذه الدار وانما وعدهم ذلك
ليعلموا ثواب الصبر ويوطنوا عليه نفوسهم من الخوف والجوع اي خوف الاعدا
والقحط ونقص تخصير وتقليل من الاموال بالاهلاك والخسران والانفس
بالقتل والموت والثمرات بالجوائح وقلة النبات وانقطاع البركات وبشر من
الخطاب المتوجه الى كل واحد ممن ياتي منه البشارة عند البلغا لتفخيم الشيء
وتفخيمه لانه فضيلة عظيمة الثواب يستحق صاحبه ان يبشره كل احد الصابرين
الحابسين لانفسهم على مكروه الذين اذا اصابتهم مصيبة المصيبة ما يصيب الانسان
من مكروه روي انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه
راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة قالوا انا
لله اقرار على انفسنا بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك وليس
الصبر بالاسترجاع باللسان فقط بل لا بد معه من الاذعان بالجنان والمبشر
به محذوف دل عليه قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة
في الاصل الدعاء ومن الله تعالى افاضة الكمالات والسعادات فهي من باب التحلية
كما ان الاسلام وهو التطهير والتجريد من باب التزكية والتخلية وجمعها للتنبيه على
كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان واولئك هم المهتدون
للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضا الله تعالى عظم الله تعالى ه
الصبر بوجوه بالبشارة المطلقة وبقوله اولئك بعد وصفهم بما وصفه اشعارا
بان ذلك الوصف يوجب هذه الكرامة المذكورة بعده وبتكرير اولئك وبتقديم
عليهم اي عليهم خاصة وبتنكير صلوات وجمعه ايما امداد وافاضات متصلة متتالية
وتغيرات لا يعرف كنهها ولا يقدر قدرها وبتقييدها بقوله من ربهم ورحمة
اي رحمة وبتوسيطهم وتعريف المهتدين بلام الماهية ان الصفا والمروة
الصفا الحجر الصلب الاملس الذي لا يخالطه طين ولا تراب والاولى ماخوذ من
الصفوة وهي الخلوص والمروة هي الحجر اللين وقيل الحجر الابيض الذي يبرق ثم جعلا

علمين للجبلين بمكة من شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه
ومتعبداته من موقف ومسعى ومنحر لما اراد ازالة الكراهة عن انفس الساعين بين
الصفا والمروة على ما سياتي بيانه مهد لذلك كونهما من شعائر الله تعالى موكدا بان
لنفي التردد والذي فيهم اي من اعلام دينه تعالى ومما له تعبد فتسبب عنه رفع
الجناح عن الساعين بينهما فلذلك اوردها بالسببية في قوله فمن حج البيت
او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة نقلا في قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين
وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان فلا جناح عليه الجناح الميل الى الاثم اصله
من الجناح ونفيه ابلغ من نفي الاثم ان يطوف بهما الطوف الدور والتطوف تكلفه
واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف روي انه كان اساف على الصفا
ونائلة على المروة وهما صنمان وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جا الاسلام
وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت واختيار الجناح ه
لا يدفع بالوجوب فان اليمين على المعصية يجب نقضه وفيه جناح ولهذا تلزم منه
الكفارة ومن هنا اتضح وجه الحاجة الى الاخبار عن عدم الجناح في الطواف المذكور
بعد ما بين انه من معالم الدين واعلم انه لا خلاف في انه مشروع في الحج والعمرة وانما
الخلاف في وجه مشروعيته فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضي الله عنهم
لقوله تعالى فلا جناح فان الظاهر المتبادر منه التخيير المنافي للوجوب وقد مر وجه
دفعه ولا نص في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما
لما ذكر انه موجب تفريعه على ما تقدم ان تكون لا زائدة لعدم تسبب انتفا الجناح
عن عدم الطواف بهما عما تقدم من كونهما من شعائر الله وعند ابي حنيفة واصحابه
انه واجب يجبر بالدم وبه قال سفيان الثوري وعامة اهل العلم وعند مالك والشافعي
هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله تعالى قد كتب عليكم السعي ويرد عليه
ان دلالته على الوجوب دون الركنية ومن تطوع اي فعل طاعة فرضا كان او واجبا
او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف خيرا نصب على انه صفة
مصدر محذوف او بتعديته الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل او بحذف الجار ه
وايصال الفعل اليه لانه ليس بمتعد فلا يتصل اليه بلا واسطة وفي قراءة يطوع
واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر مثيب على الطاعة عليم لا يخفى
عليه شي ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات

البينات على امر محمد عليه السلام والهدى الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه
وشرحناه للناس في الكتاب في التورية من نعته عليه السلام ووصفه بما لا ابهام
فيه ولا اشكال ولا اشتباه على احد فكتموه ولبسوا على الناس ففي قوله من البينات
والهدى توبيخ لهم والزام ببيان استحقاقهم اللعن مخلا لما عندهم من السبب بالابهام
والتبيين لانهم اعتقدوا انها ايات بينات وهدى ثم كتموها ولذلك يلعنهم
الله تعالى ويلعنهم اللاعنون احيا واذا ماتوا على الكفر والكتمان ولم يتوبوا
خص بهم اللعنة بسبب ذلك ابدا سرمدا اولئك يلعنهم الله اللعن الابعاد على جهة
الطرد وصار في التعارف دعا ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن ويعتد
بلعنهم من الملائكة والمومنين من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر
ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وبينوا ما كتموا من نعته
عليه السلام كابي عبد الله بن سلام واضرابه فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة
وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار اي الذين ماتوا على الكفر من هولاء الكاتمين اولئك الموصوفون بالكفر
الثابتون عليه حتى الموت عليهم لعنة الله والملائكة هم المخصوصون باللعنة الابدية
احيا واموات اوردني الاولى الجملة الفعلية الدالة على الحدوث المسبب عن الكتمان
لامكان التوبة والفعل المضارع الدال على التجدد المترتب عليه وقتا بعد وقت
متتابعا في الازمنة المتتالية وفي الثانية الجملة الاسمية مع تقدم الخبر المفيد
للاختصاص على الدوام واللازم والناس اما للعامة والتاكيد بقوله اجمعين
لله والملائكة وللناس واما للاستغراق والتاكيد لهما او للكل ثم انه يحتمل العموم
لان الكفار يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا والخصوص عن يعتد بلعنه وهم المومنون
كان من عاداتهم لم يلبسوا بالناس لا لاعتدادهم عند الله تعالى وقرى والملائكة
والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله تعالى لانه فاعل في المعنى المذكور
كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو اي من ان ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل
مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار واضمرت
بلا ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار
اي يمهلون ولا يوجلون اولا ينتظرون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد اي المستحق للعبادة منكم واحد لا شريك له يصح ان يعبد

او يسمى الها والخطاب عام لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لتوهم ان
يكون اله ولكن لا يستحق العبادة منهم الرحمن الرحيم اي المنعم على خلقه بادرار
رزقه واسباغ فضله فهو مفزع كل مضطر وغياث كل قانط ومسترد لا كالذي
على ان ما سواه اما نعمة واما منعم عليه حتى يكون كالحجة على الوحدانية وهما خبران
لقوله الهكم او لمبتدا محذوف او صفة لقوله واحد والهكم وفصل بالخبر ولا اله خبر
ثان او اعتراض ان في خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض
لانها طبقات متفاصلة بالذات بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار
باقبال احدهما وادبار الاخر وبالنور والظلمة والطول والقصر والتساوي
وقدم الليل لسبقه في الخلق والفلك السفينة المذكورة يقال للواحد والجمع وقرئ
بضمتين على الاصل التي تجري في البحر وهو ثقيل كثيف والماء خفيف لطيف يتفسح
ويدبر بريح واحدة بما ينفع الناس ما موصولة اي بالذي ينفع الناس مما يحمل
فيها وما انزل الله من السماء من ماء بيان للموصول والسما يحتمل الفلك والسحاب
وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها الاحيا والموت استعارتان لطيفتان
لتزيين الارض بالنبات واخضرارها ونموها وكونها صعيدا جرزا وانما قال
بعد موتها دون اثباتها تنبيها على انه تنتفي طبيعتها وبث فيها البث الاظهار
ما كان خفيا عن الحاسة حديثا كان او غيرها من كل دابة الدبيب اصله
حكاية صوت حركة الماشي ثم قيل دب اذا مشى وبعد الكل مما يمشي دابة وانما عطف
بثها على احيا الارض لانه لا يكون الا باحيائها بالنبات وتصريف الرياح
اي صرفها الله تعالى او صرفها السحاب من جهة الى اخرى والسحاب الجنح جو
الدبور والسحاب ما جر الريح المسخر بين السما والارض يعني الرياح تقلبه في الجو
بمشية الله تعالى بمطر حيث يشا ويرشد الى ما قد ذكر عقيب تصريف الرياح
ولولا ذلك لكان حقه ان يذكر قبل قوله وما انزل ولما قيل لا ينزل ولا ينقشع
مع ان الطبع يقتضي احدهما سقوطه ونيه لان بعض المركبات لا يرسب في الماء ولا يخرج
منه ولا ينحسر عنه فلم لا يجوز ان يكون بعض كائنات الجو شانه كذلك والتسخير
القهر على الفعل وهو ابلغ من الاكراه فانه حمل الغير على الفعل بلا ارادة منه
كحمل الرحى على الطحن لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون
وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على الرسول عليه السلام اية

في صدق قولوا الحكم الله ولمصالح اذ لو عقلوا لكفاهم بعض التصاريف اية ومن الناس
لا يخفى على الخبير ما في التعبير من التحقير من يتخذ من دون الله من لابتداء الغاية
متعلق بيتخذ او حال من اندادا او ثاني مفعولي يتخذ اندادا امثالا من الروسا
الذين يتبعونهم ويطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم وقيل من الاصنام ولا يلايمه
قوله اذ تبرا الذين اتبعوا الخ يحبونهم حال من فاعل يتخذ او مفعوله كحب الله
في محل النصب على المصدر من الفعل المبني للمفعول اي محبة كمحبة الله او المبني للفاعل
كحبهم الله اي يسوون بينهم وبين الله تعالى في الحب لانهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون اليه والذين امنوا اشد حبا لله في موضع الحال وانما قيل حبهم اشد
لانهم لا يعدلون عنه تعالى الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن روسائهم
الى الله تعالى عند الشدائد وكذا يعدلون عنهم الى غيرهم والمحبة ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة
العبد لله ارادة طاعته والاعتنا بتحصيل مراضيه ومحبة الله تعالى للعبد
ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ولو يرى الذين ظلموا
ولو يعلم هولاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه عند الموت
او بعد الحشر ولو واذ في المستقبل استعارتان لتحقق الوقوع كانه قد وقع واخبر عنه
كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة وحذف جواب لو ايماء الى انه لا يمكن التعبير عنه اما
لكونه اربى على العبادة او لكونه ممتنع الاكتنا اذ لا يحتمل المعبر نهايته الضجر والجزع
والنعي عليه او المسترد وقرى ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول عليه السلام
او كل مخاطب على ما ذكرنا من التفخيم ومعناه لرايت امرا عظيما لا يمكن وصفه وترك
اذ يرون على اتيانه المفعول ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى اي ولو
يعلمون حين يشاهدون العذاب يوم القيمة ان القدرة المطلقة على كل شيء من
الثواب والعقاب كلها لله تعالى دون من سواه من الانداد وغيرهم وان الله
شديد العقاب للظالمين لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الحسرة والندامة على
ظلمهم وضلالهم وحذف الجواب كما في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقرى ان
في الموضعين بالكسر على الاستيناف او على اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون العذاب اي اذ تبرا المتبوعون من الاتباع
وقرى بالعكس اي تبرا الاتباع من الروسا والواو في ورأوا العذاب للحال

وقد مضمرة اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وقيل عطف على تبرا وتقطعت بهم
عطف على تبرا الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد
والانساب والمحاب وساير انواع الاتباع والاستتباع واصل السبب الحبل
الذي يرتقى به الشجر وقال الذين اتبعوا على من قرى فيما سبق بالعكس انه تبرا
هنا على البنا للمفعول لو ان لنا كرة الكرة الرجوع عن الشيء فنتبرأ منهم كما تبرؤا
منا نصب في الجواب لما في لو من معنى التمني اي ليت لنا كرة فنتبرأ منهم
واستعيرت لانقطاع المتمني والتبرء الانفصال ومنه برء من مرضه
اذا انفصل منه بالعافية كذلك نصب على المصدر من يريهم اي مثل ذلك
الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم في الحسرة تحسر حسرة وحسرا
اذا كمد على الشيء الفايت وتلهف عليه وهي غير الندم واشد منه حالا لان روية
الاعمال تكون بالنص على ما نطق به الخبر عن خير البشر وبه فسر ابن عباس رضي
رضي الله عنهما حيث قال اراد به الاعمال التي عملوها من الحسنات فرعمهم يرونها
حسرات عليهم حيث اهبطوها وهم في وما هم بخارجين من النار بجعل الجملة
اسمية يفيد الدوام بحسب العرف كما في قوله وما هم بمؤمنين اي وما هم بخارجين
من النار ابدا وانما هم هم لتخصيص النسب بهم اي بالمشركين من بين المخلفين
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا اي هم
خاصة ليسوا بخارجين من النار كقوله هم القوم كل القوم يا ام خالد لا لسلب
التخصيص فان اداة السلب متاخر عن اداة التخصيص معنى وان تقدمت عليها
لفظا او انه في الخبر لتاكيد النفي يا ايها الناس كلوا الاكل هو البلع عن مضغ ومن
في قوله مما في الارض للتبعيض لا لابتداء الغاية فقوله حلالا مفعول وان كان للتبعيض
فهو مفعول له او حال او صفة مصدر محذوف وهذا اوجه الاوجه لان حل الاكل
يستلزم حل الماكول بدون العكس فان الحلال قد يوكل على وجه يحرم او يكره
كالاكل فوق الشبع او ما يا ما في محل الفسق طيبا طاهرا عن كل شبهة والى هذا
اشار من قال الحلال ما ليس بمحظور والطيب ما ليس بمحذور والاية نزلت في قوم
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس والامر في الماكول امر في الملبوس
دلالة ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تتبعوا على اثاره اعتقادا وقولا
وعملا وقد اجتمع من الثلاثة في سبب النزول ومن فسر بالنهي عن نطق الاتباع

فقد ضيع ما في عبارة الجمع من الاشارة اللطيفة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا
اقتدى به واستن بسنته قرئ خطوات بضمتين وضمة وسكون الطاء وبفتحتين وفتحة
وبسكونها والخطوة بالفتح المرة من الخطو وهو نقل قدم الماشي والخطوة بالضم
اسم ما بين قدمي الخاطي وهما كالقبضة والقبضة **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة
عداوته لهم لا ينافي ولايتهم اياه المفهومة من قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت
حتى يحتاج الى التكلف في التوفيق بان يقال يسمى وليا لاظهار الموالاة لمن يغويه
انما يأمركم استئناف لبيان وجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي ما
يأمركم الا بالشر استعير الامر لوسوسة الشيطان وتزيينه تشبيها في تسلطه عليهم
بامر مطاع وتشبيها في تقبلهم لها وطاعتهم له بالطبع بمأمور مطيع [illegible]
بالسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباح الشرع اياه وقيل الفحشاء ما تطم قبحه
من المعاصي او ما يتجاوز الحد في القبح من العظائم ويؤيده قوله تعالى كبائر
الاثم والفواحش الا اللمم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد
وان تقولوا على الله القول اذا تعدى بعلى يكون بمعنى الافتراء اي وان تفتروا على الله
تعالى فلا تعرض في الاية لاتباع الظن **ما لا تعلمون** كاتخاذ الولد وتحليل المحرمات
وتحريم الطيبات والافتراء عن جهل محض اقبح من الافتراء عن ظن فاسد **واذا قيل
لهم** الضمير للناس على طريقة الالتفات والسر فيه انهم وقعوا في حد البعد والغيبة
في طاعة الشيطان وانهم في غاية الحمق والضلال الى حد لا يستاهلون للخطاب
اذ لا ضلال اضل من المقلد للباطل كما تقول العقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا
يجيبون الداعي **اتبعوا ما انزل الله** في عبارة ما انزل اشارة الى وجه وجوب
الاتباع **قالوا بل نتبع ما الفينا** ما وجدنا **عليه اباءنا** لانهم كانوا خيرا منا نزلت
في المشركين امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج والبينات
فجنحوا الى التقليد والهمزة في **اولو كان اباؤهم** للرد والتعجب والواو للحال
اي ايتبعونهم لو كان اباؤهم **لا يعقلون** جملة لا يتفكرون في امر الدين **شيئا
ولا يهتدون** الى الحق لانه مثل هذا التركيب يجيء تنبيها على ان ما بعدها غير مناف
لما قبلها كما في قوله اعطوا السائل ولو جاء على فرس والمعنى على كل حال وذلك اما في
لا استقصاء الاحوال التي يتبع عليها الفعل ويدل على ان المراد بذلك وجود الفعل

في كل حال حتى في هذه الحال التي لا يناسب الفعل واذا قصد التوبيخ والتعجب كما في هذه
الاية لا يكون ايرادها لاستقصاء الاحوال ولما كانت الواو للحال لم يحتج لو الى جواب لان
الشرط انما يقتضي جوابا اذا انسلخ عنه معنى الشرط ولا دلالة في الاية على المنع من التقليد
لمن قدر على التحصيل الظاهر منها انه انما ينكر اذا كان المقلد ضالا **ومثل الذين كفروا**
تقدم بمعنى المثل وفيه اضمار تقديره ومثل داعي الذين كفروا **كمثل الذي** او مثلهم كمثل
البهائم الذي والاضمار في الكلام من الايجازات المعتبرة في البلاغة لتنبيه الذكي عند
الخلل المعنوي في الحمل على الظاهر على الحذف ثم على خصوصيته بالقرائن اللفظية او
المعنوية فيثبت في التدبر ويشغلهم في التفكر فيحقق المعنى هذا ما عند جلي النظر
والذي يحسب دقيق النظر ما مر في تفسير او كصيب من السماء من ان التشبيه المتعلق
لا يلزمه ان يكون ما يلي اداة التشبيه هو المشبه به فلا حاجة الى التقدير **ينعق
بما لا يسمع** قال صاحب الصحاح نعق الراعي بالغنم اذا صاح بها زجرا **الا دعاء ونداء**
الدعاء للقريب والنداء للبعيد ولذلك قال الاعرابي اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد
فنناديه **صم** هم صم رفع على الذم **بكم عمي** اي ومثل هذا داعيهم الى الايمان كمثل
الناعق بالبهائم في انهم لا يسمعون الا دعاء الداعي وتصويته من غير فهم المعنى
وتعقله او بالاصم الذي لا يسمع من دعاء الداعي صوته بكلامه الا التصويت والندا
من غير تمييز الحروف وادراكها وقيل مثلهم في تقليدهم اباءهم واتباعهم كمثل
البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم معناه فكذلك يتبعونهم على ظاهر حالهم
ولا يفقهون ما هم عليه احق هو ام باطل **فهم لا يعقلون** اي بالفعل للاخلال
بالنظر **يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** لما وسع الامر على الناس
كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا
طيبات ما رزقوا وقد مر ان الطيب اخص من الحلال وان يقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ولما تضمن الامر الاول الامتنان ناسبه الخطاب
وما في الامر الثاني من التنبيه على ان استحقاقه تعالى للشكر ليس لكونه رازقا لهم
ومبيحا الطيبات الرزق فقط بل لكونه خالقا للناس ولم يندرج فيه ما يستوجب
الشكر اقتضى العدول عن الخطاب الى الغيبة وعن التعريض بالقا الى المتصف بالالوهية
ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة
كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليل وللـ

ولنا أن نقول كان الظاهر أن يقول إن كنتم تعرفون أنه مولي النعم كلها إلا أنه كني عنه بلازمه
وهو تخصيص العبادة إياه تعالى **إنما حرم عليكم الميتة** قرئ حُرِّم وحَرُم وحُرِم بالضم
والتشديد والميتة بالتخفيف وبالتشديد وكلمة إنما قد لا تكون للقصر كما في قوله تعالى
قل إنما حرم ربي الفواحش الآية فلا حاجة إلى أن يقال إن ما أبين من حي في حكم الميتة
بالحديث وأن المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وإنما لم يستثن السمك
والجراد من الميتة والكبد والطحال من قوله **والدم** ولذا احتج على ما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان أما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان
فالكبد والطحال بناء على ما يتعارفه الناس ويتفاهمه في العادة ولما كان المتبادر من
الحرمة المضافة إلى العين حرمة التصرف فيه مطلقا زاد عبارة اللحم في قوله **ولحم**
خنزير قرينة صارفة عنه دالة على أن المحرم أكل العين المذكورة لا الانتفاع به مطلقا
حتى يلزم انتساخ النص بالحديث في جلد الميتة وإنما خص اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل
من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له وبهذا الوجه أيضا لا يساعد تقدير الانتفاع
العام للأكل وغيره **وما أهل به لغير الله** أي رفع به الصوت عند ذبحه لغير الله تعالى
صنما كان أو نارا أو غير ذلك وما ذكر معناه الأصلي على ما نص عليه الجوهري والهلال
غرة القمر إنما سمي به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير **فمن اضطر غير باغ**
على مضطر آخر بالاستيثار عليه **ولا عاد** سد الجوعة **فلا إثم عليه** في تناوله دل بمفهومه
على ثبوت الإثم في تناوله غير مضطر وبهذا الاعتبار صح تفريعه على ما تقدم ه
ففيه دلالة على اعتبار المفهوم كما هو مذهب الإمام الشافعي فإنه لولا اعتباره ه
لما صح تصدير الكلام المذكور بأداة التفريع **إن الله غفور** أي يغفر المعاصي فأولى
أن لا يؤاخذ بما رخص فيه أو غفور لما عسى أن يفرط عند العمل بالرخصة فيه **رحيم**
بالرخصة فيه فهو مقرر للأول **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به**
ثمنا قد مر تفسيره وبيان ما في عبارة الثمن من المزية على عبارة الشيء أو العرض
وغير ذلك **قليلا** ليس به أنهم إذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل المعنى أنه كلما
يأخذونه في مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل **أولئك ما يأكلون في بطونهم**
أي ملء بطونهم يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه قال الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا
فمرادهم من الأكل في البطن الأكل في جميع البطن والظاهر أن التعدية بفي لتضمين
معنى الاستقرار المناسب للمقام فإن الأكل قد يعقبه الدفع خصوصا إذا كان الأكل

غير ملائم للطبع وذكر الأكل لكونه المقصود الأولى من تحصيل المال وذكر في بطونهم تنبيها
على شرههم وتقبيحا للتضييع لعظم النعم لأجل المطعم الذي هو أخس مطلب من الدنيا
إلا النار مجاز من باب إطلاق اسم المسبب على السبب أو النتيجة على الشيء لتشبثه بها
فإنهم إذا أكلوا السحت وهو الرشي على الكتمان لزمهم عقوبته التي هي النار فكأنهم أكلوا النار
ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه **ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم**
عبارة عن غضبه تعالى عليهم لأن من غضب على صاحبه حرمه وقطع كلامه وقيل
تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله تعالى إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء
ولهم عذاب أليم مؤلم وتقدير الجار والمجرور للمحافظة على الفاصلة **أولئك الذين**
اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا **والعذاب بالمغفرة** في الآخرة والحاجة إلى المغفرة
أشد من الثواب فالخسران في فقدانها أقوى ولهذا آثرها عليه مع أنه أنسب لأن
يذكر مع العذاب لفظا ومعنى **فما أصبرهم على النار** تعجب من حالهم في ارتكاب موجبات
النار والتباسهم بها من غير مبالاة بتهم به كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب
السلطان ما أصبرك على القيد والسجن به يريد أنه لا يتعرض بذلك إلا من هو شديد
الصبر على العذاب وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب
أو استفهامية وما بعدها الخبر أو موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف **ذلك**
أي العذاب **بأن الله** بسبب أن الله **نزل الكتاب بالحق** أي نزل ما نزل من الكتاب ملتبسا
بالحق **وإن الذين اختلفوا في الكتاب** الظاهر أن المراد هو القرآن واللام إشارة إلى الجنس
المسمى كتابا أي الكامل في كونه كتابا كما كان ما عداه من الكتاب لا يستأهل معه أن يسمى
كتابا والإظهار في موضع الإضمار للتعظيم وتربيته فإن اللام وبيان أن الاختلاف
فيه عظيمة من العظائم ولهذا اكتفى في الأول بالحق واختلافهم فيه قول بعضهم
سحر وقول بعضهم شعر وقول بعضهم أساطير الأولين **لفي شقاق بعيد** عن الحق
والشقاق عبارة كل من المخالفين عن شق صاحبه للخلاف وطلب كل منهما ما يشق
على الآخر **ليس البر** البر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير **أن تولوا وجوهكم** الخطاب
لأهل الكتاب فإنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت **قبل المشرق** أي مقابله
كفعل النصارى **والمغرب** أي قبل المغرب كفعل اليهود وذلك [illegible]
وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرئ بأن تولوا بالباء للتأكيد بالنفي **ولكن**
البر من آمن بالله واليوم الآخر أي بالمبدأ والمعاد **والملائكة والكتاب والنبيين**

اي بالشرايع المتحقق في اصول الدين المنزلة على الانبيا عليهم السلام بواسطة الملك
وللتنبيه على جهة الاتحاد قال والكتاب دون الكتب انما قال والملائكة دون الملك
لان سفيرا لوحي وان كان واحدا الا انه قد اتى لبعض الكتب بل لبعض سور القرآن بجم غفير
من الملائكة تعظيما لشان المنزل والمنزل والله اعلم ولكن البر في العقايد الصحيحة
والاعمال الصالحة والوصف كما يذكر في مقام الموصوف بالحذف ولا يجوز بحسب اللفظ
كما في قولك رجل عدل فان التجوز فيه الاسناد دون المسند كذلك يذكر الموصوف في مقام
الوصف بالحذف ولا يجوز بحسب اللفظ كالذي نحن فيه تنزيلا للموصوف منزلة الوصف لما
فيه من المبالغة في شان ذلك الوصف وتعظيمه على عكس ما في المثال المذكور
فان المبالغة فيه في شان الموصوف ولدقة الفرق بين الاعتبارين ذهب على
كثير من الحذاق دقيق الحسن الى التقدير في مثل هذا المقام تنزيلا للكلام عن منزلته
الرفيعة وتغييرا لصورته البديعة على انه اذا قيل ولكن البر بر من امن لا
يفهم منه عدم الاعتبار لبر من قصر في بعض تلك الاعمال واذا قيل ولكن ذا البر من
امن لا يخرج الكلام عن سنن الانتظام وايضا لو قصد هذا لكان المناسب ان يقال
ولكن البر من امن بالله واتى المال على حبه اي على حب المال والشح به كما قال عليه السلام
لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر
وقال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والجار والمجرور في موضع الحال
ذوي القربى واليتامى لانها اعم من الصدقة فلا يشترط فيها الفقر وقد تقدما بالزكاة
فانصرف الى الندب وثبات من الصلاة وقدم ذوي القربى لانهم احق بالاحسان
قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة
وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدايم السكون الى الناس لشدة فقره او الدايم
السكون في البيت لعدم الناس او لعدم القوة كالمسكير الدايم السكر وابن
السبيل المسافر المنقطع به وجعل ابنا السبيل لملازمته له والسائلين المستطعمين
وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب
واعتاقها وقيل في فك الاسارى وفي العطف بعبارة الجمع اشارة الى فضل النوع
في هذه الانواع واقام الصلاة مفروضة كانت او واجبة واتى الزكوة المتصدقة
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين نصب على المدح لما
فضيلة الصبر في الشدايد ومواطن القتال واظهار الفضل الصبر على ساير الاعمال

والاعمال في البأساء في الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وحين البأس
وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا كانوا صادقين في الدين جادين
واولئك هم المتقون اي هم المتقون حق الصدق قولا وفعلا واعتقادا وحق التقوى
خطرا وكراهة وندبا والصدق فيما يفعل والتقوى فيما يترك فالاية جامعة للكمالات
الانسانية باسرها واليه اشار النبي عليه السلام في قوله من عمل بهذه الاية فقد
استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص تخصيص الخطاب بالمؤمنين
لا لاختصاص الحكم المذكور بهم بل التنبيه بخطابهم بوصف الايمان على ايجاب
القصاص عليهم بقتل العمد الذي هو من الكباير التي ورد فيها الشدة والوعيد وللتنبيه
على ان الكبيرة لا تزيل الايمان واصل الكتابة الخط وكني بها عن الالزام وهذا الوجوب
على الناس كافة فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو السلطان اذا طلبه الولي ومنهم
من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل ومنهم من تلزمه المعاونة او الرضا به ومنهم
من يلزمه ان لا يتعدى بل يقتص او ياخذ الدية او يعفو والقصاص قطع الشيء على سبيل
الاحتذاء ومنه قص شعره وقص اثره وقص الحديث ان يقطع كلاما حاذيا احد وغيره
والمقصة اسم منه وحقيقة القصاص ان يفعل بالقاتل او الجارح مثل ما فعل فيه اشارة
الى ان المقصود بالاية منع التعدي فان اهل الجاهلية كانوا يتعدون في القتل وكلمة
فيه في القتلى للسببية كما في قوله تعالى لمتنني فيه والقتلى جمع قتيل والاتيان بصيغة
الجمع للاهتمام في المنع عن التعدي فانه اذا كان ممنوعا في قتل الجماعة فالمنع عنه في قتل
واحد بطريق الاولى الحر بالحر اي يقتص الحر القاتل بالحر المقتول ولا يتعدى
من الحر الى العبد لخساسة ذلك المقتول ولا من واحد الى اثنين لشرفه والعبد بالعبد
لا يتعدى من العبد الى الحر لشرف مولى المقتول وقبيلته والانثى بالانثى ولا يتعدى
من الانثى الى الذكر لشرف المقتول كان بنو النضير يقولون لبني قريظة اذا
قتلتم منا عبدا اقتلنا منكم حرا واذا قتلتم منا امراة قتلنا منكم رجلا واذا قتلتم
منا حرا قتلنا منكم حرين وكانوا على ذلك قبل ظهور النبي عليه السلام فلما جاء الاسلام
تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتبعوا فلا دلالة فيها على
ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا دلالة على عكسه فان المفهوم انما يعتبر
حيث لا يظهر للتخصيص وجه سوى اختصاص الحكم وقد ظهر هنا وجهه فلا يتمسك
للقائلين بحجية المفهوم في هذه الاية اثباتا ونافيا على عدم قتل الحر بالعبد فمن

عفي تفريع على ما في عبارة القصاص من الاشارة الى ان المكتوب حق العبد سقط
باسقاطه له مفعول به لكن لكونه بواسطة حرف الجر كان مساويا للمصدر في عدم
في جواز الاسناد اليه من اخيه اي من جهة اخيه يجوز ان يتعلق بالفعل وان يكون
حالا من شيء يعني ولي الدم وانما ذكر بهذه العبارة تذكيرا لما بينهما من الاخوة الدينية
والجنسية ليرق له ويعطف عليه شيء اي شيء من العفو بان كان
للقتيل اولياء فعفى بعضهم فصار نصيب الباقين مالا وهو حصتهم من الدية فهو
في موقع المفعول المطلق المقيد الموصوف مثل ضرب ضرب شديد بدلالة في تنكير
شيء من الدلالة على ذلك وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط
القصاص ولا يصح ان يكون شيء مفعولا به لان عفي لا يتعدى بنفسه الى المفعول به
لكن بعن الى الجاني والى الذنب واذا تعدى الى الذنب بعن عدي الى الجاني باللام فكان
اصله في الاية فمن عفي له عن جناية من اخيه فاستغني بذكر القصاص في القتل
عن ذكر الجناية واما عفي بمعنى ترك المتعدي بنفسه الى المفعول به فلم يثبت
وانما ثبت اعفي ولما انقلب حق باقي الورثة في الصورة المذكورة من القصاص
الى الدية قال فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فعلى الولي اتباع بالمعروف
على الجاني بان لا يجاوز عن الحد المعهود في الدية باخذ الزيادة عن حصته منها
ومن هنا ظهر وجه التعريف في المعروف وعلى الجاني اداء اليه باحسان بان
لا يمطله ولا يبخسه على انه كلا منهما مسند الى فاعل الظرف او فليكن اتباع من الولي
واداء من الجاني على الفاعلية فيهما او فالامر اي امر الولي اتباع وامر الجاني اداء على الخبرية فيهما
وفي هذه التوصية لهما ترتيبه لما في الاخوة ذلك اشارة الى المذكور من تجويز
العفو المستلزم للدية وضمانه هو العفو الطاري عنها وذلك ان العفو عن بعض القصاص
لما كان مشروعا لكونه حق العبد علم منه بطريق الدلالة ان عفو كله ايضا مشروع
تخفيف تسهيل بدفع القصاص عن الجاني من ربكم ورحمة بنفع الولي حيث لم يضيع حقه
والفصل بينهما بقوله من ربكم للايذان بتعلقه بهما كما في قوله تعالى لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري كان
في شريعة موسى عليه السلام القتل لا غير وفي شريعة عيسى عليه السلام العفو لا غير
وفي شريعتنا القصاص ثابت والعفو حسن والصلح جائز على حسب ما يراه النفع له
والاشفى لغليله والاوفق لحاله ومن قال دخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية

والعفو

العفو لم يصب اذ ليس اثنان منها باختيار الولي لانه بدل الصلح ولا يكون الا برضى
الجاني بقي هاهنا شيء وهو ان قولهما كان في شريعة موسى عليه السلام القتل لا غير مخالف
لما ياتي في تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف يأخذوا باحسنها ان الحسن
هو الاقتصاص والاحسن العفو وصحيح في انه ذلك في التورية اذ ضمير احسنها للالواح
فمن اعتدى بعد ذلك الحكم والتخفيف فيتجاوز بقتل غير القاتل او القتل بعد العفو او اخذ
الدية فله عذاب نوع من العذاب اليم شديد الالم ولكم في القصاص حيوة كلام كامل في
الفصاحة وعالي الطبقة في البلاغة لم يوجد اقل منه حروفا واجل منه مفهوما مع اشتماله
على الغرابة التي هي من نكت البلاغة وذلك ان القصاص قتل وتفويت للحيوة فجعل محلا للحياة
ومعرف القصاص ونكر حيوة وقدم الخبر وخصص الخطاب باولي الالباب اشعارا
بانه لا يفهم معناه الا ذو اللب اي لكم خاصة ايها العقلاء في هذا الجنس من الحكم نوع
من الحياة او حيوة عظيمة لا يقدر قدرها اذ لولم يشرع وكان ما كان في الجاهلية
من قتل غير القاتل وقتل الجماعة بواحد لوقع الهرج والمرج بين الناس وهاجت الفتن
والحروب وارتفع الامن من الناس فانطفت بتلك النائرة بشرع القصاص وارتدع
كل من هم بالقتل لعلمه بذلك فسلم المقتول من القتل والقاتل من القود ولم يجترئ احد
من اولي الالباب على القتل فامن الناس وتمت حياة لخلق كثير في امن وسلامة وسعة
لصلاحهن النفسين فلهذا قال لعلكم تتقون القتل بغير الحق اي اريتكم ما فيه الحياة
لكي تتقوا ويجوز ان يختص الخطاب بالائمة وهم اولوا الالباب اي لعلكم تتقون في
المحافظة على القصاص والحكم به كتب عليكم امر الوصية لا بد في اقامته من جماعة
فلذا اتى بصيغة الجمع هنا اذا حضر احدكم الموت اي قرب منه بظهور اماراته ان
ترك خيرا اي مالا كثيرا وكان هذا القيد لا بد منه لان المال الخبيث لا تجوز الوصية
به لما فيها من الاثم والتنوين للتكثير لما روي عن عايشة رضي الله عنها ان رجلا
اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية
للوالدين والاقربين الوصية فاعل كتب وتانيثها ليست بحقيقة فيجوز تذكيرها ولا حاجة
الى ما قيل وتذكيرا لفعل للفاصل او لانها بمعنى ان يوصي ولهذا ذكر ضميرها في قوله فمن
بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها بالمعروف اي بالعدل
المعهود وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي

حق ذلك حقا على المتقين كان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بعد نزول اية المواريث
بقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان
من الاحاد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر لعلمنا بانهم لا يتلقون
بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته فمن بدله اي قول الموصي بقرينة قوله بعد
ما سمعه اي غيره عن وجهه من الاوصيا والشهود والحكام ولا حاجة الى ان يقال
اذا كان موافقا للشرع لان الذي لا يوافقه مردود لا يبدل فانما اثمه اي اثم التبديل
او الايصا المبدل على الذين يبدلونه لا على الوصي والموصى له وانما اتى هنا بصيغة الجمع
لان التبديل انما يتصور بالاتفاق فان الوصي مثلا انما يقدر على التبديل بمشاهدة
الشهود ولو بالسكوت وكذا الحاكم غيره ان الله سميع بقول الموصي عليم بفعل
الوصي وغيره من الذين يبدلونه الوصية ظاهره الاخبار وباطنه الوعيد للمبدل
ومن يساعد فيه فمن خاف يراد بالخوف في مثل هذا ما يلزمه من التوقع والظن
الغالب اذ لا اختيار فانه لا معنى للخوف من الميل والاثم بعد الوقوع من موص جنفا
ميلا عن الحق او اثما تعمدا للجنف قال الربيع الجنف في الخطا والاثم في العمد فاصلح
بينهم اي بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون او بين الموصى لهم والورثة بردهم
الى الحق وجاز اضمارهم لانفهامهم من سياق الكلام بمعونة المقام قال الراغب
ولا فرق بين ان يخاف منه ذلك قبل موت الموصي فيرشده له او بعد موته فيحط
وليس الاصلاح بمقصود على ايقاع الصلح دون استعمال الصلاح بارشاد وغيره فلا اثم
عليه اي على المبدل لانه تبديل باطل الى حق وانما قال هذا لانه لما خوفه في الاية
الاولى من تبديل الوصية بين ان النهي عن تغييرها لا حيف ولا اثم فيه فاما
اذا كان فيه شيء من ذلك فلا اثم في تغييره فلما كان ما تضمنه الكلام السابق
من الوعيد باعتبار احاطته تعالى بالظواهر والسرائر علمنا انه ان يترتب
عليه ما في هذا الكلام من الوعد لمن قصد تغيير الوصية الصلاح فصدر بلاه
الترتيب وبين بقوله ان الله غفور انه يتجاوز عما عسى ان يسقط من المصلح لا
يجوز رحيم بالرخصة فيما ذكر يا ايها الذين امنوا كتب عليكم تخصيص الخطاب بالمؤمنين
لا لاختصاص الكتاب المذكور بهم بل لاشتراط صحة المكتوب بالايمان فلا تمسك
فيه لمن قال ان الكفار غير مخاطبين بالعبادات الصيام الصوم قال الخليل الصوم
قيام بلا عمل والصوم الامساك عن الطعم وفي الشرع الامساك بالنية في النهار

الشرعي عن المفطرات كما كتب نصب على المصدر اي كتبا كما كتب على الذين من قبلكم
من الانبيا والامم من لدن ادم عليه السلام يعني انه عبادة قديمة ما اخلى الله تعالى
امة من افتراضها عليهم ففيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس
والتشبيه في اصل الوجوب فقط وقيل في الاصل والقدر والوقت جميعا لعلكم تتقون
الله بالمحافظة عليها لقدمها واصالتها فانها ما فرضت عليكم وحدكم او تتقون المعاصي
لان الصايم ارد لنفسه فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدا المعاصي كما اشار اليه النبي
عليه السلام بقوله فان الصوم له وجا او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين فان الصوم
شعارهم اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله تعالى دراهم
معدودة واصلها ان المال القليل يقدر بالعد والكثير يحثى حثيا نصبهما على الظرفية
للصيام وتدخل على المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم يجز في غيره والمراد بها
ما اوجب صومه قبل فريضة رمضان ونسخ به وهو عاشورا او ثلاثة ايام من كل شهر
ويجوز ان يراد بها رمضان والاولى اولى اذ الانسب على الثاني ان يقال شهرا معلوما كما قيل
الحج اشهر معلومات وقيل معناه صومكم كصومكم في عدد الايام كما روي ان رمضان كتب
كتب على النصارى فوقع في حر وبرد شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين
كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا ذهب بعضهم
الى ان كل مرض مبيح للافطار اخذا باطلاق النص وبعضهم الى ان المرض الذي يضر الصوم
او يعسر معه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر او على سفر لم يقل مسافرا ليتناول
من دخل بلدة ومكث فيها اياما لا بنية الاقامة فان ما ذكر يطلق عليه دون ما ترك
فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف
الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها كذا قالوا وفيه ان وجه التعليل المذكور
ظاهر في حذف المضافين لانه بحكم قانون العربية واما في حذف الشرط فلانه
بحكم الشرع ولم يعلم بعد انه حتم او معلق على شرط ولذلك قال بعضهم مكتوب عليهما ان
يفطرا ويصوما عدة ايام اخر ولعله حذف مساغا للاجتهاد فيه وقرئ فعدة بالنصب
اي فليصم عدة وعلى الذين يطيقونه اي المطيقين الصيام فلا عذر لهم ان افطروا فدية
يطوقونه على البنا للمفعول تفعيل من الطوق بمعنى الطاقة اي يكلفونه او التقلدة
اي يتقلدونه ويقال لهم صوموا وقرئ يتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه
بادغام التاء في الطا ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه

بلغ

ويتطوقونه من تفعيل وتفعل من الطوق فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء كقولهم
تدير المكان وما بها ديار وهو اما بمعنى يطيقونه او يتقلدونه ويتقلدونه
واما بمعنى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكمهم
الافطار والفدية وعلى هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون معنى يطيقونه
ايضا هذا اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فدية طعام مسكين** نصف
صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز قيل رخص لهم
ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوا ثم نسخ وقد نبهت
فيما تقدم على انه لا حاجة الى المصير الى النسخ وقرئ فدية منونا وطعام مرفوعا
بدلا من فدية ومسكين مفردا او جمعا وقرئ بالاضافة والجمع وتبيين بقراءة الافراد
ان الحكم لكل يوم يفطر فيه طعام مسكين **فمن تطوع خيرا** بان زاد في الطعام
للمساكين او في عدد من يلزمه اطعامه وانتصاب خيرا على انه صفة لمصدر
محذوف اي تطوعا خيرا لا على اسقاط الحرف اي بخير لانه غير قياسي وفي قراءة من
جعل تطوع ماضيا يحتمل الموصولة والشرطية وفي قراءة من قرأها مجزوما شرطية
فهو اي فالتطوع **خير** اي اكثر خيرا **له** من الاقتصار على القدر المفروض **وان تصوموا**
ايها المطيقون او المطوقون **خير لكم** من الفدية على اي وجه كان **ان كنتم تعلمون**
جوابه محذوف دل عليه ما قبله اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز علمتم ان الصوم
خير لكم من ذلك **شهر رمضان** مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او فمن شهد
والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب
اختصاصه بوجوب الصوم فيه او بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام
والذي انزل صفته او خبر مبتدأ محذوف اي هو او هي الايام المعدودات وقرئ
بالنصب بدلا منها او على صوموا شهر رمضان ولا يجوز ان يكون مفعول ان تصوموا
اذ يلزم ان تفصل بين الموصول وعامله بالخبر والرمضان مصدر
رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف
والالف والنون وسمي بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع والظمأ او لوقوعه
ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة وقد يحذف المضاف
لامن الالتباس وعليه ما جاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه **الذي انزل فيه القرآن** اي ابتدأ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة

القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم انزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن
وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام **هدى للناس** الى الحق حال **وبينات** وآيات واضحات
عطف عليه **من الهدى** من جملة ما يهدي الله به الناس **والفرقان** وما يفرق به بين
الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بينهما **فمن شهد منكم الشهر**
اي فمن شهد منكم هلال الشهر **فليصمه** على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي
صلاتها وعلى هذا انتظم امر المريض والمسافر ولا بد منه لان اصل الوجوب ثابت
في حقهما والساقط بالرخصة المستفادة من قوله **ومن كان مريضا او على سفر**
انما هو وجوب الاداء فلا وجه لان يكون شهد بمعنى حضر لاستلزامه اختصاص
الامر بالمقيم ولا صحة له اذ يلزم ان يكون الحكم المذكور في حق المسافر عزيمة وعلى
تقدير حمل الوجوب المستفاد من الامر على وجوب الاداء لا وجه لتخصيص المقيم
بالذكر دون الصحيح ثم ان اختصاص الاداء بما عدا المريض والمسافر قد علم من قوله
فعدة من ايام اخر فالوجه ان يحمل ما قبله على اصل الوجوب لان الافادة خير من
الاعادة **فعدة من ايام اخر** اطلاقه اقتضى التخيير بين الجمع والتفريق فلا يجوز
تقييده بالتتابع بخبر الواحد لان التقييد نسخ ولا يجوز نسخ الكتاب باخبار
الاحاد **يريد الله بكم اليسر** برخصة الافطار بعذر المرض والسفر **ولا
يريد بكم العسر** بايجاب القضاء متواليا وبلا تاخير عند زوال العذر وفي
عبارة يريد الله اشارة الى ان الاحب عند الله تعالى الافطار عند احد هذين
العذرين لما في مقابلة عدم قبول الاحسان والامتنان به وقد نبه النبي عليه
السلام على هذا بقوله ليس من البر الصيام في السفر وما في الاداء في رمضان
من الفضيلة لا يعارض هذا الاستحباب والله اعلم بالصواب **ولتكملوا العدة**
يجوز ان يعطف على علة محذوفة اي لتعملوا ما شرع لكم ولتكملوا العدة او على اليسر
اي يريد الله بكم اليسر ويريد لتكملوا العدة كقوله يريد الله ليذهب عنكم الرجس
ولتكبروا الله قيل هو تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال ضمن فعل التكبير
معنى الحمد فعدي بعلى فكان المعنى حامدين **على ما هداكم** على هدايتكم **ولعلكم
تشكرون** اي ارادة ان تشكروا مجاز لاشتراك المرجو والمراد في الترجح والاولى
ان يجعل ولتكملوا العدة الخ عللا لفعل محذوف مدلول عليه بما ذكر من قوله
فمن شهد منكم الشهر الخ اي وشرع هذه الامور شرع ذلك فقوله ولتكملوا العدة علة الامر

بصوم الشاهد في الشهر وافطار المسافر والمريض وما علم من كيفية القضا
والخروج عن عهدة الفطر اي ولتعظموا الله وتثنوا عليه ولعلكم تشكرون على
الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يطلع عليه الا الحذاق
من علما البيان واذا سألك عبادي مرتبط بما تقدم من جهة انه لما حث على تكبيره
وشكره بين ان الذي يذكرونه ويشكرونه قريب منهم ولهذا افصله به بين حكمي
رمضان عبادي شرفهم بالاضافة الى نفسه عني اي عن صفتي ومعاملتي معهم
اذا دعوني فاني قريب لم يقل فقل اني قريب كما في سائر سؤالاتهم لانه تعالى تولى
جوابهم حيث كان عنه سؤالهم فتقدير الكلام فقل اني قريب روي انه اعرابيا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
تمثيل لحاله في اجابة الداعي بحال من قرب مكانه من مكانه فيلبيه اذا دعا. لانه
تعالى عن المكان فانه كان ولا مكان وهو الان على ما كان اجيب دعوة الداع اذا
دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاخلاص مقرونا بشرائطه بالاجابة والاجابة
من الجوب وهو القطع فاجابة السائل القطع بما سأل لان سؤاله على الوقف ايكون
ام لا يكون فليستجيبوا لي اي انا اجيبهم فيما دعوني فليجيبوني فيما دعوتهم
اليه بالائتمار فيما امرت به والانتهاء عما نهوا عنه قال ابو عبيدة الاستجابة بمعنى الاجابة
واحد كالانابة والاستنابة وانشد لكعب بن سعد الغنوي

وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

اي لم يجبه هذا ما بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيقه وهو انه تعالى انما قال
فليستجيبوا ولم يقل فليجيبوا للطيفة وهي ان حقيقة الاستجابة طلب الاجابة وان
كان قد يستعمل في معنى الاجابة فنبه على ان العباد متى حروا اجابته بقدر وسعهم
فانه قد رضي به عنهم هذا فيما يتولاه الجوارح من الاعمال واما الذي يتعلق بالاذعان
القلبي من الايمان فلا بد فيه من حقيقة الاجابة ولهذا افرده بالذكر بقوله
وليؤمنوا بي مع انتظامه فيما تقدم بحسب جليل النظر لعلهم يرشدون راجين
الرشد وهو اصابة الخير ونقيضه الغي وقرئ بفتح الشين وضمها اما الاول فمن الرشد
بالفتح يقال رشد يرشد رشدا فهو رشيد من حد علم واما الثاني فمن الرشد
بالضم يقال رشد يرشد رشدا فهو راشد من حد دخل وقرئ بالكسر ايضا احل
لكم ليلة الصيام نصب على الظرف وانما لم يقل ليالي الصيام اعمالا لدلالة الكلام

ولا يخفى لطفه على ذوي الافهام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا صلوا
العشاء او ناموا حرم عليهم المطعم الى القابلة وان لم يفطر ثم ان عمر رضي الله عنه
باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا
بما صنعوا بعد العشاء فنزلت والرفث في الاصل هو قول الفحش ثم جعل اسما للافصاح
بما يجب ان يكنى عنه عند النساء من معاني الافضاء الذي يرشدك الى هذا قول ابن عباس
رضي الله عنهما حين انشد وهو محرم * وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا
فقيل له ارفثت قال انما الرفث ما كان عند النساء وانما عدي بالى لما في مفهومه من
معنى الافضاء ثم انه كني بمجموع قوله الرفث الى نسائكم عن الجماع وقد كني عن الجماع في
القران بلفظ مستحسن لا يدل على معنى القبح مراعاة للادب ولا ادب كادب التنزيل
كقوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم
بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن الى غير ذلك
مما كني عنه بما لا يدل على معنى القبح استهجانا واستقباحا لما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن
وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة وفي تقديم هن لباس نوع تاييد
له حيث كان ذلك لزيادة الشغف من جانبه شبه الرجل والمرأة في تعانقهما
واشتمال كل منهما على صاحبه في عناقه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفه * تثنت فكانت عليه لباسا * وافرد اللباس لانه مصدر
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها
من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب لتضمنه معنى القصد
والزيادة والخيانة ضد الامانة وقد ائتمن الله تعالى على عباده على امر حرمه
ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر فقد خانوه وفي زيادة كنتم دلالة على انهم
يعتادون على ذلك ففيه نوع اشارة الى وجه قبول توبتهم ولهذا اتى باداة التفريع
في قوله فتاب عليكم اي لما تبتم مما اقترفتموه من المحظور وقدم تفسير التوبة
وعفا عنكم ومحى اثر ذلك عنكم بالتجاوز فالان آن اصله فعل بمعنى حان ثم جعل اسما
للزمان الحاضر وعرف بالالف واللام وبني على الفتح والمراد ليلة الصيام
باشروهن لا نسخ عنكم حكم التحريم ولا دلالة فيه على انتساخ السنة بالقران
لاحتمال ان يكون المنسوخ حكما من كلام الله تعالى المنسوخ تلاوة واصل المباشرة

لميسا

تمام

الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد كني به عن المجامعة والامر للاباحة
وابتغوا الابتغا الطلب للبغية **ما كتب الله لكم** ما قدره الله تعالى لكم من الولد اي
لا تباشروهن لقضا الشهوة وحدها ولكن لابتغا ما وضع الله له النكاح من التناسل
لبقا النوع الى غايته وهذا يتضمن النهي عن العزل واتيان المحل المحرم وكني في الابتغا
المذكور كون الولد مستدعيا للمجامعة ولا يجوز ان يكون مقدرا الكلام احدهم **وكلوا** الظاهر
انه كلام مستقل لا معطوف على باشروهن وانما زيد قوله **واشربوا** اما للدلالة
على تقديرها انما الرفث حاجة الى تلك الزيادة وانما اهملت لانها مستنظم الوقوع
لهو لا يجوز ان ينفعلا الى طلوع الفجر اذ لا يتحقق اثر المفسد للصوم في الحال على خلاف
الاكل والشرب **حتى يتبين لكم** التبين تميز الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق **الخيط
الابيض من الخيط الاسود** شبه اول ما يبدو من نور الفجر المعترض في الافق بالخيط
الابيض وما يمتد معه من غلس الليل بالخيط الاسود اختلف مشايخ اصحابنا
في ان المعتبر لاول طلوعه ام لاستطارته وانتشاره قال شمس الائمة الحلواني الاول
احوط والثاني اوسع ونحن نقول ان التشبيه بالخيط التشبيه على ان المعتبر لاول
طلوعه فلا مساغ للاختلاف المذكور **من الفجر** بيان لهما اما كونه بيانا للاول فظاهر
واما كونه بيانا للثاني فلانه باعتبار انتهائه اليه واتصاله به بعد منه وشمله
التوسع في البيان ليس بعزيز ولهذا قدم الخيط الابيض على قرينه فانه على تقدير
اختصاص البيان له حقه ان لا تأخير عنه ومن هنا اتضح انه لا وجه لان تكون من
المذكورة للتبعيض وبالبيان المذكور خرج الكلام من احتمال الاستعارة وانما زيد
مع ان الاستعارة ابلغ من التشبيه لفقد شرطها وهو تعذر الحقيقة قال سهل بن سعد
الساعدي نزلت هذه الاية حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل
قوله من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض
والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له منهما فانزل الله تعالى بعد
ذلك قوله من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وهذا حديث صحيح
عند ائمة الحديث كالبخاري ومسلم لا ينافي الا انه غير مقبول عند ائمة البلاغة لان
الكلام المذكور بدون البيان المزبور ساقط عن درجة البلاغة لفقدان قرينة
الاستعارة على ما نبهت عليه انفا وعند عامة الاصوليين لا يجوز تاخير البيان
عن وقت الحاجة ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز تكليف المحال وانما الخلاف

في التاخير عن وقت الخطاب لانا نقول كفى قوله لكم قرينة للاستعارة وذلك ان في
التخصيص المستفاد من تقديمه دلالة على ان التبين المذكور مما يختلف فيتحقق لبعض
الرائين دون بعض وعلى تقدير الحقيقة لا يختلف ولهذا الاختلاف انما يتحقق مع تقدير
الاستعارة لاختلاف المطالع ولما في هذا البيان من الدقة اشتبه على بعض اهل الافق
فاحتيج الى زيادة البيان بقوله من الفجر قيل فيه تجويز المباشرة الى الصبح الدالة على
جواز تاخير الغسل عنه ويلزمه صحة صوم المصبح جنبا ومعناه المنقول عما ذكرنا
من اعمال الدلالة ثم ان تمام الاستدلال المذكور على تحقيق المنافاة بين اباحة المباشرة
الى اخر الليل ووجوب الاغتسال فيه وذلك غير مسلم فان وجوب الصلاة مع كونها
مشروطة بالطهارة فقد اجتمع مع اباحتها في اخر جزء من اجزا وقت صلاة
المغرب **ثم اتموا الصيام** تمسك اصحابنا بهذا في جواز النية بالنهار في صوم رمضان
ولا وجه له بل هو الظاهر فيما ذكره الخالف حيث قال الله تعالى ثم اتموا الصيام ولم
يقل ثم صوموا ولولا ما فيه من محذور الدلالة على تراخي الشروع في الصوم عن طلوع
الفجر لما عدل عن الاخصر الى الاظهر **الى الليل** بيان اخر وقت الفرض واخراج الليل عن
حده لا يستلزم اخراجه عن محلية الصوم مطلقا فلا دلالة فيه على نفي صوم الوصال
ولا تباشروهن المراد بالمباشرة الوطء والنهي عنه لا لعينه بل لانه سبب للجنابة المانعة
لصحة الاعتكاف فانه في الشرع لبث المسلم العاقل الطاهر في المسجد بنية القربة
فينتظم النهي بهذا معناه من الملامسة بالشهوة مع الانزال **وانتم عاكفون في المساجد**
معتكفون فيها والعكوف في اللغة الاقامة بين ان المباشرة كانت في ليالي رمضان
لكن لغير المعتكف فانها تفسد الاعتكاف عن قتادة رضي الله عنه كان الرجل
يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وانما زاد قوله في المساجد
للاشارة الى ان الاعتكاف انما يكون في المسجد وصيغة الجمع لدفع وهم العهد
فيفهم منه عدم اختصاصه بمسجد دون مسجد **تلك** اشارة الى ان التقديرات
الواقعة في الاوامر والنواهي المذكورة المانعة عن التجاوز عنها **حدود الله** اصل الحد
المنع ومنه الحداد للبواب وحدود الشرع موانع عن الجنايات وحدود الدار
موانع عن الاختلاط **فلا تقربوها** نهي اشفاق يتضمن نهي التقرب عن التجاوز عنها
على وجه ابلغ كما في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة قال النبي عليه السلام ان لكل
ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ومن هنا ظهر

وجه النهي المذكور **كذلك** مثل ذلك التبيين **يبين الله آياته** الدالة على سائر شرائعه
للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي **ولا تأكلوا اموالكم بينكم** نسبة الكل
او الحال ان الاموال تتبع بلبعض لما كانوا يتعاطونه من المنكر في ذلك مع ا ... بعضهم
على مال البعض **بالباطل** بالجهة التي ليست مشروعة كما في العقود الفاسدة ما
والاكتساب الخبيثة والاموال التي فيها شبهة هذا هو الظاهر من قوله اموالكم
قيل اي ولا يأكل ابنكم مال نفسه ولا يخفى ما فيه من الصرف عن الظاهر بلا ما
الجاء اليه **وتدلوا بها الى الحكام** عطف على النهي اي ولا تدلوا ولا تأكلوا او منصوب
باضمار ان اذ ح يكون المعنى لا تجمعوا بين الاكل بالباطل والادلاء الى الحكام والنهي عن
الجمع بينهما لا يستلزم النهي عن كل منهما وكل منهما حرام فخفه ان ينهى عنه منفردا عن
الاخر فيفهم منه النهي عن الجمع بينهما بطريق الدلالة على اكد وجه والمعنى والادلاء
ارسال الدلو في البئر واستعير للتوصل الى الشي **لتأكلوا** بالتحاكم **فريقا من اموال
الناس** الفريق القطعة المعزولة من الشي **بالاثم** اي بما يوجب الاثم كشهادة الزور
واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم **وانتم تعلمون** انكم مبطلون وانما قيد به لان
الاثم مشروط بالعلم المذكور وقيل ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اعظم وصاحبها
بالتوبيخ احق والاول اولى كالاخير وي ان عبدان الحضرمي ادعى على امري القيس الكندي
ارضا غصبا في يده واختصما الى النبي صلى الله عليه فقال لعبدان الك بينة قال لا
قال فلك يمينه فقال اذا يذهب بارضي فقال النبي عليه السلام ليس لك الا ذلك فلما
كاد ان يحلف انزل الله حتى نزلت الاية فاقر عبدان ورد ارضه اليه واعطاه ارضا
اخرى ايضا كان ما اخذ من غلتها **يسئلونك عن الاهلة** الاهلة جمع هلال وهو الليلة
او الليلتين سمي به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رويته روي ان معاذ بن جبل
وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد
حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا وهذا ظاهر وجه الاتيان
بصيغة الجمع فانهما سالا عن اعلام الشهر وعما في اخر كان المناسب ان يعبر عن
المسئول عنه بصيغة الجمع **قل هي مواقيت للناس** جمع ميقات وهو مفعال من الوقت
معنا ما وقت به الشي اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها
من يريد دخول مكة محرما والوقت والمدة والزمان يتقارب لكن المدة المطلقة
اوسعها فانها امتداد حركة الفلك اي اتصالها من مبدايها الى نهايتها والغاية

مقسومة من مطلق المدة والوقت والزمان المفروض لامر للناس **والحج** اي لما تعلق به
من امور المعاملات ومصالحهم ونبه بذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات وكمن
ذكر اعظمها اثرا فان الحج يراعى في ادائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات
التي لا يعتبر في قضائها وقت معين كان السؤال عن السبب الداعي لاختلاف القمر
في زيادة النور ونقصانه واجيب عن اسلوب الحكيم ببيان الحكمة في هذا الاختلاف
للتنبيه على ان المناسب لحال السائل ان يسأل عن ذلك لا عن السبب لانه ليس مما
يطلع عليه بسهولة لانه لا يتوقف على معرفة مسائل من دقائق علم الهيئة **وليس البر
بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى** اي بر من اتقى المحارم بيان انهم
عكسوا الحال في السؤال عن حال الهلال مثل حالهم في السؤال عما لا ينبغي كحالهم
في الاحرام بالحج وعن ... على خلاف ما يجب ان يكونوا عليه وهو ان ناسا من الانصار
كانوا اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا بيتا من بابه فان كانوا من اهل المدن نقبوا
نقبا في ظهر بيوتهم منه يدخلون ويخرجون او اتخذوا سلما يصعدون فيه وينزلون
وان كانوا من اهل الوبر خرجوا من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من
دخول الباب ولكن البر بر من اتقى محارم الله تعالى وهذا مع كونه نفيا لما هم عادتهم
الردية في باب الحج على سبيل الاستطراد لذكر الحج وبيان مواقيته بيان لتعكيسهم في السؤال
وهو انهم يتركون ما يعنيهم ويسألون عما لا يعنيهم اي ما انتم في سؤالكم عن سبب
نقصان الاهلة وكمالها وترككم ما يعنيكم من فوايدها الا كمن يتحرجون عن دخول
البيوت من ابوابها واتيانكم من ظهورها خاشين ذلك بر وما هو من البر
في شي وترككم التحرج عما يجب عليكم اتقاؤه واجتنابه وهو البحث قال **واتوا
البيوت من ابوابها** اي باشروا الامور من وجوهها والمراد توطين النفس
عن ترك الفضول من السؤال والفساد واجتناب ما يجب اجتنابه والتزام
ما اوجبه الشرع من غير شك وشبهة في السؤال امان الشك **واتقوا الله** في تغيير
احكامه والاعتراض على افعاله **لعلكم تفلحون** لكي تظفروا بالبر **وقاتلوا في سبيل
الله** اي جاهدوا لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه والقتال مجادلة القتل ممن يجاوله
والقتل نقض بنية الحياة **الذين يقاتلونكم** عن الربيع بن انس رضي الله عنه هي
اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل
ويكف عمن كف اي قاتلوا الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين فعلى هذا يكون

ما
باطل

فان مع

منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة او الذين يناصبونكم القتال دون
غيرهم كالشيوخ والنساء والصبيان والرهبان او الكفرة كلهم لانهم اعداء للمؤمنين
قاصدين لقتالهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا ليكون غير منسوخ وقيل
لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف
المسلمون ان لا يفي قريش ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فيها ولا تعتدوا بابتداء القتال على الاول والرابع
او بقتال غير المناصبين كالشيوخ والصبيان والنسوان والرهبان والذين بينكم
وبينهم عهد على الثاني او بالمثلة او المفاجأة من غير دعوة على الثالث ان الله لا يحب
المعتدين عدم الحب كناية عن الكراهة فهم في معرض المواخذة بسبب الاعتداء واقتلوهم
حيث ثقفتموهم في حل او حرم تقول ثقفته اثقفه ثقفا اذا ظفرت به ومنه قوله
تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم وقول الشاعر فاما تثقفوني فاقتلوني
فان اثقف فسوف ترى بالي. واما الحذاقة في الاخذ فغير معتبر في مفهومه
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل من باب التتميم لاندراج الخاص
فيه اي المحنة والبلاء الذي يعذب به الانسان اشد عليهم من القتل وقيل لبعض الحكماء
ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن
الذي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل. لقتل بحد السيف اهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق. ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي
لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام والمسجد الحرام كله قال الله تعالى
وصدوكم عن المسجد الحرام وانما صدوكم عن الحرم كله حتى يقاتلوكم فيه اي هنا بسائق
فيه دون عند الدال الذي انه لا رخصة للقتال بمقاتلتهم عند المسجد الحرام بل لا بد
في اول الامر من الالتجاء اليه بالدخول فيه فان انتهوا عن القتال والاقتراب
بقاتلوهم عند المسجد الحرام بالاثر بعد ذلك وهذا رعاية حرمته مهما امكن وفيما
تقدم اي بعند دون فيه لان النهي عن القتال عند المسجد الحرام يستلزم النهي
عن القتال فيه بدون العكس فكان من العبارتين اصاب محزها فان قاتلوكم
فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وهذا التصريح بمفهوم

الحرم؟

الغاية

الغاية وبشارة بالغلبة حيث قال فاقتلوهم دون فقاتلوهم وقرئ ولا تقتلوهم
حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان
كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر
والقتال فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف ويرحمهم في المؤتنف وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة عدوان وتفسيرها بالشرك ياباه العطف بالواو في قوله
ويكون الدين لله خالصا الذي ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا اي عن العدوان والفاء
للتعقيب فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا عدوان عليهم فاراد ان ينبه على قبح العدوان
وانه ظلم وان مقاتلة المنتهين عدوان فخص العدوان في اضدادهم وسجل على ان
العدوان ظلم ووضع الظالمين موضع ضمير العادين فيدل بالتحري على ان المنتهين
هم العادلون الذين لا عدوان عليهم ويسمى القتل عدوانا بمجاز من حيث كان عقوبة
على العدوان كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحسن ذلك لازدواج الكلام ومراوحته
هنا على اعتبار المتقدم لما عرفت ان تقديره فان انتهوا عن العدوان فلا عدوان
الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر
الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء فيه وكراهتهم القتال
الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر فهتكه بهتكه فلا تبالوا به
والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيه
القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم
ان قاتلوكم كما اكد بمعنى القصاص بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم الاعتداء المجاوزة الحد مادة ذلك قد لا يكون مذموما بخلاف الظلم فانه وضع
الشي في غير الموضع الذي يحق ان يوضع فيه وهذا في كل حال مذموم فلا يقال لمن
كذلك فاطلقه الا بطريق المشاكلة بخلاف ما في الاية المذكورة واتقوا الله في حال
كونكم منتصرين منهم فلا تزيدوا على المثل فتعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله
مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع اسباب المعاش فان المال
وقاية النفس فتضييعه يفضي الى تضييعها او بالكف عن الغزو والانفاق فيه
فان ذلك يقوي العدو ويسلطه عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه نحن اعلم بهذه الاية فانها نزلت فينا حين رجعنا الى اصلاح الاموال

وتركنا الغزاة بعد ما فشا الاسلام وكثر اهله والهلاك انتهاء الشيء في الفساد ولهذا
سمي الموت هلاكا عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد والالقاء اطلاق الشيء
الى جهة السفل ويتضمنه الارسال وتعديته بالى لما فيه من معنى الانتهاء او الباء زائدة والمراد بالا
الانفس فان اليد يعبر بها عن النفس كما في قوله تعالى تبت يدا ابي لهب والمزيدة
واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج **ان الله يحب المحسنين** يريد
بهم الخير **واتموا الحج والعمرة** انما قال فيهما اتموا كما في الصوم دون اقيموا كما في الصلاة
تنبيها على انهما يجبان بالنية كالصوم فيلزم اتمامهما بعد النية كما يلزم اتمام الصوم
بعدها بخلاف الصلاة فانها لا تجب بالنية فلا يلزم اتمامها بعدها بل يجوز ان
يترك ومن هنا اتضح وجه تخصيص هذه الثلاثة من بين العبادات بالامر بالاتمام
ومن لا ينتبه لهذه الدقيقة الانيقة قال في تفسيره ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
فدل التقييد على ان من شرع فيهما لزم اتمامهما من جهة الاركان والشرائط وبه نقول
ان العمرة تجب بالشروع وكذا الحج مطلقا انما يجب به فلا تمسك فيها لمن قال
بوجوب العمرة وقراءة واتموا الحج والعمرة شاذة فلا تصح حجة وما روي جابر رضي
الله عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لكم
نص في هذا الباب ولا ينافيه ما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت الحج
والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك لان الاثر انما رتب
الخبر على انه نص في كلام ترتيب الاهلال على الوجدان بل الظاهر منه بيان سبب ان
في سبيل الاستئناف **لله** لوجه الله تعالى عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله
عنهم ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل ان تفرد لكل منهما سفرا وقيل ان تخلصوهما
للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية وقرئ والعمرة لله على
الابتداء **فان احصرتم** اي منعتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض
او عجز قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة
وما هجر ليلى ان تكون تباعدت ۝ عليك ولا ان احصرتك شغول ۝ ويقال
حصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن هذا هو الاكثر في كلامهم ونص عليه الخليل
حيث قال الحصر الحبس والاحصار ان يحصر الحاج عن بلوغ المناسك بمرض او نحوه
ويوافقه قول الكسائي وابي عبيدة وقال الفراء وابو عمرو الشيباني هما بمعنى المنع
في كل شيء مثل صده واصده وعن جماعة من الصحابة من كسر او عرج فقد احصر

وهو مذهب اصحابنا وقال الشافعي رضي الله عنه لا يكون الاحصار الا من عدو
فان احصار النبي عليه السلام واصحابه كان بالعدو ولانه تعالى قال فاذا امنتم
وذلك زوال خوف العدو قلنا العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واللفظ
لا دلالة فيه والامن يكون من المرض ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم الزكام امان
من الجذام **فما استيسر من الهدي** في محل الرفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او
النصب على تقدير فاهدوا ما استيسر واستيسر بمعنى تيسر كاستغنى وتغنى
واستعجل وتعجل كذا قالوا والظاهر ان زيادة السين لزيادة اليسر فالمراد الشاة
لان الهدي من الثلاث من الابل والبقر والغنم وايسرها الشاة والهدي جمع
هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي والمعنى
ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه حيث احصر عند الشافعي
فان النبي صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية وذبح هناك وتحلل وعند ابي حنيفة
لا يذبح الا بالحرم يبعثه ولا يتحلل حتى يبلغ محله ويعين المبعوث على يوم امارة
ويدل عليه قوله تعالى **ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله** فان بلوغ المحل
يدل على مسافة تنتهي الى موضع الحصر بين المحل وكذا قوله تعالى والهدي معكوفا ان
يبلغ محله والخطاب في ولا تحلقوا للمحصرين اي ولا تحلوا حتى تعلموا بلوغ الهدي
محله ومحله مكانه الذي يجب فيه نحره او ذبحه كمحل الدين وهو الوقت الذي يجب
فيه قضاؤه وانما نحر الرسول عليه السلام في موضع الاحصار لان محصره كان طرف
الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم قال الواقدي الحديبية في طرف الحرم
على تسعة اميال من مكة وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر بدنه
في الحرم **فمن كان منكم مريضا** الفاء للتعقيب وفائدتها دفع ذهاب الوهم الى الحلق
على ان الحصر بشرط تقدير التصدير بالواو فانه يلزم اخراج المريض عن حد الحصر
ولا وجه له والخطاب في منكم الذين بعثوا الهدي من المحصرين فالمعنى من كان بعد
البعث مريضا يحوجه الى الحلق والتنكير للتقليل فينتظم المرض المرخص باذى الراس
من الجراحة والقرحة **او به اذى** هو ما يوجب ايذاء يتعبه ويشق عليه من بخار
في الراس او قمل والتعميم للثاني قال **من راسه** اي من جهتها دون في راسه **ففدية**
فعليه فدية ان حلق **من صيام او صدقة او نسك** بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة اذ مر عليه والقمل يتهافت على وجهه

لعلك آذاك هوامك فقال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق
على ستة مساكين او انسك بشاة والفرق ثلاثة آصع واو العطف في وجه التفريق
وبيان عدم خلو الواجب عن احد الانواع الثلاث المذكورة للفدية والتخيير يلزم
هذا البيان ضرورة لانه معناها الوضعي والنسك جمع نسيكة وهي الذبيحة واخبر
الجمع هنا لتعدد انواعها وتركيا ونسك بالتخفيف كان مقتضى البداية بالاشق وهو
النسك وانما عدل عنه بالبداية بالصوم تطييبا لقلوب الفقراء العاجزين عن النسك
باظهار العناية والاهتمام في شان الصيام تقدمه على الباقين والتقديم
لا يخلو عن التنظيم **فاذا امنتم** الاحصار او كنتم في حال امن وسعة **فمن تمتع بالعمرة**
الى الحج اي استمتع بها الى وقت الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه اذ الحل من عمرة
باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج وقيل بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع
بتقربه اليه بالحج **فما استيسر من الهدي** فعليه دم سبب التمتع هو هدي المتعة وهو
نسك عند ابي حنيفة رضي الله عنه لا يذبحه الا يوم النحر ويأكل منه وجبران عند
الشافعي رضي الله عنه يجوز ذبحه اذا احرم بحجه لان السبب هو التمتع ولا يتحقق الا
به ولا يأكل منه لانه دم جناية **فمن لم يجد** اي الهدي **فصيام ثلاثة ايام** اي فعليه صيام
ثلثة ايام **في الحج** في ايام الاشتغال به بعد الاحرام عند الشافعي وعند ابي حنيفة في وقت
الحج اي في اشهره ما بين الاحرامين والافضل اليوم السابع ويوم التروية وعرفة ولا يجوز
في ايام النحر وايام التشريق عند الاكثر **وسبعة اذا رجعتم** الى اهليكم وهو احد
قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعمال الحج وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة
وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام اذ تقديره فصيام ثلثة **تلك عشرة**
فذلكة الحساب وفائدتها امران احدهما ان يعلم جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب
لم يحسنوا الحساب قال الفرزدق ◦ ثلاث واثنتان فهن خمس ◦ والثاني ان ينفي
توهم الاباحة فان الواو قد تجيء لها كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين ويرد على الاول
انه لا يناسب بلاغة القرآن لان المراعى فيها مقتضى المقام نظرا الى الخواص دون العوام
وعلى الثاني ان الاباحة توجب صيغة الامر والواو للتشريك في الحكم فقط وايضا
ارادة الكثرة من السبعة دون العدد فلا يذهب اليه الوهم عند ذكرها مع الثلاث
فلا حاجة الى دفعها وعندي ان صيام ثلثة ايام لما كان قبل تمام الاصل ودخول
وقته احتمل ان يذهب الوهم الى عدم اعتباره في اصل البدل فاتى بالفذلكة المذكو

ونفى لذلك الوهم **كاملة** صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة
كمال العشرة فان اول عدد كامل اذ به ينتهي الآحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد
كمال بدلها من الهدي كذا قيل واوجه الاوجه انها مبينة تفيد كمالها في الثواب والاجر
ودفع ذهاب الوهم الى ان صوم السبعة ليس كصوم الثلاثة في الاجر لتفاوت في زمانها
ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واكثر الائمة لانه يختص بالافاقي عندهم فلا
متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية والى الحكم
المذكور عند الشافعي **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** اي الذي لا يسكن ثمة وانما
ذكر الاهل لان الظاهر ان الانسان يسكن حيث سكن اهله فعبر بسكون الاهل عن
سكون نفسه وقد مر ان المسجد الحرام هو الحرم كله وحاضروا المسجد الحرام عند ابي
حنيفة هم اهل مكة ومن كان منزله داخل الميقات وعند الشافعي اهل مكة ومن
كان بين الحرم على مسافة القصر عنده وعند مالك اهل مكة واهل ذي طوى
واتقوا الله لا تتقدموا امره ونهيه ولما كان يناسب ان يختم ذلك بالامر بالتقوى في
ان لا يتعدى ما حد ثم اعلم بقوله **واعلموا ان الله شديد العقاب** شدة عقابه
على المخالفة **الحج اشهر** اي وقته كقولك البرد شهران لما امر باتمام الحج والعمرة ثم
اقتصر على بيان وقت الحج علم منه بطريق البيان السكوتي وقت الحاجة ان العمرة
غير موقتة وهذا من جملة وجوه الايجاز الذي ارتقى به القرآن الى درجة الاعجاز
ولم يتنبه له الناظرون فيه **معلومات** شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة
خلافا للشافعي في يوم النحر وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد من وقته
وقت افعاله او وقت احرامه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا وانما
لم يبينها باعيانها لانها كانت معروفة عندهم على ما توارثوه الا انهم كانوا يخلطون
فيها النسيء فنبهوا على اسقاط اوقاته دون غيرها والاشهر على الحقيقة وانما التجوز
في جعل بعض الشهر شهرا او في اطلاق الجمع على ما فوق الواحد فلا يناسب المقام لما
فيه من اخراج بعض الشهر الثالث من حد الكلام فان الاستدلال على الاطلاق
المذكور بقوله تعالى فقد صغت قلوبكما فليس بشيء لانهم صرحوا بان مثل هذا ليس
من التنازع فيه **فمن فرض فيهن الحج** الزمه نفسه بالاحرام ولا خلاف فيه انما
الخلاف بيننا وبين الشافعي في ان الاحرام يتم بالنية او لا يتم بل لا بد من التلبية
معها او من سوق الهدي ولا دلالة فيه على جواز تقديم الاحرام على وقت الحج لان معنى

من فرض فيهن من فرضه في كل ايما الاشهر المذكورة لا من فرضه في كل يوم من ايامها
ثم فيه دلالة على كراهة تقديم الاحرام عليها فانه لو جاز ذلك لضاع قوله فيهن
واما ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فقد دل عليه قوله تعالى واتموا الحج والعمرة
بظاهره **فلا رفث** فانه مفسد للحج وقيل لا فحش في الكلام **ولا فسوق** ولا خروج
عن حدود الشريعة بالاسباب والتنابز بالالقاب لقوله تعالى ولا تنابزوا
بالالقاب بئس الاسم الفسوق **ولا جدال** ولا مرية ولا اشتقاق مع الرفقاء والخدم
وغيرهم وانما نهى عنه في الحج مع كونه منهيا عنه لكونه في الحج اقبح كلبس الحرير
في الصلاة **في الحج** في اثنا اقامة مناسكه بعد الاحرام وانما نفي الحقيقة في
الثلاثة المذكورة للمبالغة في النهي اي فلا يكونن هذه الاجناس واذا وجب
انتفاؤها وكانت حقيقة بان لا تكون لزم الانتهاء عنها ضرورة وقرئ الاولان
بالرفع على معنى النهي اي فلا يكونن رفث ولا فسوق والاخير بالفتح على معنى الاخبار
بانتفاء الجدال اي لا خلاف وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب في الحج فـ
تقف بالمشعر الحرام وسائر العرب بعرفة وكانوا يؤخرون الحج سنة ويقدمونه
سنة وهو النسيء فرد الوقوف الى عرفة والحج الى وقت واحد فاخبر الله تعالى انه
قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون
الجدال بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته
امه فانه لم يذكر الجدال **وما تفعلوا من خير** التنكير للتقليل **يعلمه الله** حث
على الخير بعد النهي عن الشر وضمنا على الكناية بعلمه تعالى بفعل من افعال العباد
من ترتب الجزاء عليه ولا يخفى ما في ضمن هذا الوعد من الوعيد وبه يتم حق
المقام والمراد من الخير بقرينة سياق الكلام ان ياتوا بالكلام الحسن مكان
القبيح وبالبر والتقوى مكان الفسوق وبالثناء والمدح مكان السيئات والتنابز
وبالوفاق مكان الخلاف ومحاسن الاخلاق مكان الجدال ويجوز بعض تخالفه
ان يراد بفعل الخير ضبط انفسهم عما نهوا عنه **وتزودوا فان خير الزاد التقوى**
اي اجعلوا زادكم في الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها والزاد [illegible]
الذي يتخذ للسفر وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون ونحن
نحج بيت الله تعالى افلا يطعمنا ويحجون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا
واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد الاجتناب

من ذلك **واتقون** وخافوا عقابي **يا اولي الالباب** ايها الذين منت عليهم بالعقول
التي هي افضل ما خلق في الخلق فان لب الشيء هو خالص ما فيه اي جعلت فيكم العقول
التي هي الات التمييز والتدبر فيسهل منها التقوى والتمكن **ليس عليكم جناح** حرج **ان**
تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم** زيادة عطاء وهو الربح بالتجارة قيل كان
عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تأثموا منها فنزلت فرفع عنهم الجناح في ذلك وانما يباح ما لم يشغل عن
العبادة الواجبة **فاذا افضتم** دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وصبه بكثرة واصله
افضتم انفسكم وترك ذكر المفعول كما ترك في موضع دفعوا من موضع كذا وصبوا
وانما للتعقيب لما بين تقضي الحج وذكر ما نهي عنه في الاحرام وما ندب اليه وما ابيح
فيه عقيبه بيان ما يجب ان يفعل بعد الفراغ عن اقامة ركنه وهو الوقوف **من**
عرفات علم للموقف منقول عن الجمع كاذرعات والظاهر انه جمع عرفة جمع عارف
والا فهو من الاسماء المرتجلة اذ لا يعرف التعرف في اسماء الاجناس منصرف لان تاءه مع الالف
علامة جمع المؤنث لا التاء التي هي علامة التانيث واما التانيث المعنوي فمقدر باعتبار
المعنى والموقف ليس بمؤنث فليس فيه الا العلمية فلا تمنعه الصرف وجدها وانما سمي الموقف
بها لان ادم عليه السلام وحواء التقيا فيه فتعارفا او الناس يتعارفون فيه وكان
جبريل عليه السلام يدور بابراهيم عليه السلام في المشاعر اراه اياه فلما ارى العرفة وقيل
وصف له عليه السلام فلما راه عرفه وليس هنا دليل على وجوب الوقوف فيه
فاذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعاء وقيل
بصلاة المغرب والعشاء فانهما يجمعان بالمشعر الحرام وهو الجبل الذي يقف عليه
الامام وعليه الميقدة وقيل ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي
محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر والصحيح انه الجبل لما روى
جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى
اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر
الحرام مما يليه ويقرب منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة
به عند المشعر **واذكروه كما هداكم** هداية حسنة الى المناسك وغيرها

جلد

اراه

مازمي

واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه وما مصدرية اوكافة وان كنتم من قبله اي
من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون
ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم فليس فيه ايجاب افاضة حتى يدل على
وجوب الوقوف بعرفة بناء على ان الافاضة لا تكون الا بعده بل بيان اختصاص
مشروعيتها بالوجه المذكور وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الي
الناس ثم لا تحسن الي غير كريم وقيل من مزدلفة الي منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناسي بالكسر اي الناسي يريد ادم عليه السلام من قوله
تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من مخالفتكم في الموقف وغيرها من افعال الجاهلية وعاداتهم ان الله غفور
يغفر الذنوب رحيم بالمذنبين يدعوهم بجميل الحسنات الي بابه ويرحمهم في جزيل ثوابه
ولهذا اي ولتضمنه الترغيب المذكور اتي باداة السببية في قوله فاذا قضيتم مناسككم
اي فاذا اتممتم امور حجكم فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله تعالى ذكرا
كثيرا وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكركم اباءكم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى
بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم فنزلت اي اكثروا ذكر
الله تعالى ودعائه ولا تطلبوا بالذكر اغراض الدنيا كالذاكرين اباءهم او اشد ذكرا
في موضع الجر عطف على الضمير المضاف اليه الذكر في قوله كذكركم اي او كقوم اشد ذكرا من
ذكركم اباءكم او موضع النصب عطف على اباءكم اي او اشد ذكرا من ابائكم على انه من الفعل المبني
للمفعول اي مذكورية ويجوز ان يكون معطوفا على الكاف في كذكركم اي ذكرا مثل ذكركم
او ذكرا اشد ذكرا من ذكركم اباءكم على ان الذكر ذكر اشد من ذكرهم كقولهم جد جده
وشعر شاعر واو هنا ليست للتخيير بل للنقل عن الاول فالاولى التقاد ومجاز اللغة في مثل
هذا امر معروف يقول الرجل لاخر اتسل كذا الي شهر ثم تقول او اسرع منه وانما يريد به النقل
عن الاول الي ما هو اقرب وتماسه فمن الناس من يقول الفاء سببية عن تقسيم يتضمنه الكلام
السابق فانه يشتمل على ذكر المفيضين من عرفات الذاكرين الله والمفيضين من المزدلفة
الذاكرين اباءهم فعقب القسم الثاني بانهم الطالبين لحظوظ الدنيا واما القسم الاول
الجامعون بين الثوابين فاولئك هم اهل الفلاح والفوز ربنا اتنا في الدنيا اي اجعل

ايتاءنا في الدنيا خاصة وما له في الاخرة من خلاق الخلاق نصيب الانسان من افعاله
المحمودة التي تكون خالصة له وقد يراد به النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وهو المراد
هنا ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة من الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي
الاخرة حسنة من الثواب والكرامة والقربة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة اولئك
اشارة الي الفريق الثاني او اليهما لهم نصيب النصيب في الاصل المنصوب وجعل لهم المفرز
نصيبا مما كسبوا اي من جنسه من الاعمال الحسنة وهو الثواب الحسن في الاخرة والمنافع
الحسنة في الدنيا او من اجل ما كسبوا وما دعوا به يعطيهم منه ما يستوجبونه في الاخرة
لان الدعاء من الاعمال الحسنة والاعمال توصف بالكسب فسمي كسبا او من جنس ما كسبوا على
ما تقتضيه مشيئة الله تعالى وحكمته والله سريع الحساب وعيد اي سريع حسابه للخلائق
مع كثرة اعدادهم واعمالهم لكمال علمه وقدرته فيجب الحذر منه او حث على العبادة اي
سريع وقوع حسابه يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا الي اكثار الذكر وطلب
الاخرة واذكروا الله في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها
التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعند ذبح القرابين وغيرها فمن تعجل فمن استعجل النفر
في يومين يوم النفر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق قبل طلوع الفجر
عندنا وبعد رمي الجمار عند الشافعي فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر في النفر
حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال فلا اثم عليه وقال ابو حنيفة يجوز رميه قبل الزوال
وهو مخير بين النفرين فلذلك سوي بينهما بنفي الاثم عن صاحبيهما وفيه رد على اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المستعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من
الاحكام لمن اتقى لانه يحذر ويتحرز من كل ما يريبه او لانه هو الحاج عند الله بالحقيقة واتقوا
الله في المحافظة على هذه الاحكام ليعبا بكم واعلموا انكم اليه تحشرون وعيد شديد
اي اليه لا الي غيره حشركم فيجازيكم على حسب تقواكم واصل الحشر ضم المتفرق
وسوقه من جهات مختلفة ومن الناس من يعجبك يروقك ويعظم في نفسك قوله
والتعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ومنه العجب كذا اظهر الخطوط
لما عرف سببه في الحياة الدنيا متعلق بقوله اي ما يقوله في امر الدنيا وشانه اذ مراده
به احراز حظوظ الدنيا لا ثواب الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة
وقيل متعلق بيعجبك اي يعجبك في الحياة الدنيا فصاحته وحلاوته لا في الاخرة لما يرهقه ثم
من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه بحلفه ويقول

اتشاهد على ما في قلبي من المحبة للاسلام وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة
للمسلمين واضافة الالد بمعنى في على ان الخصام بمعنى المخاصمة كقولهم ثبت العذر
ولما وصف بكونه الد للمبالغة وجعل خصامه لشدته كانه في نفسه خصم الد وقيل جمع
خصم كصعب وصعاب اي هو اشد الخصوم خصومة روي انها نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام
وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى سعى التولي الانصراف عن الشي الى خلاف جهته والسعي
الاسراع في المشي اي اذا انصرف عنك وذهب مسرعا في الارض ليفسد فيها كما فعله
الاخنس بثقيف وقيل اذا صار واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الافساد والظلم
ويهلك الحرث والنسل حقيقة او حكما بان يمنع الله تعالى القطر بشوم ظلمه وفساده فيهلك
الحرث والنسل والحرث هو الزرع واصله الشق والنسل ما خرج من كل انثى من اجناس
الحيوان والله لا يحب الفساد عدم الحب كناية عن البغض نفيه وعيد بليغ ويتضمن التعليل
لما سبق في المعنى الثاني والافساد في الحقيقة اخراج الشي عن حالة محمودة لا لغرض صحيح
وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ولا هو امر به ولا احب له وما يرا منه في فعله فسادا
فهو بالاضافة الينا وبالاعتبار بنا فاما بالنظر اليه فكله صلاح واذا قيل له اتق الله
اي لا تخوف هذا المنافق بالله تعالى اخذته العزة بالاثم اي حملته العزة على ذلك
من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه وفيه مبالغة شديدة كان العزة التي
فيه حمية الجاهلية والنزغ حاكم مسلط عليه يلزمه ارتكاب الاثم الذي ينهى عنه لجاجا
وضررا او في زعم الواعظ ورد قوله فحسبه جهنم اي كافيه جزا جهنم وهو استعظام لما
حل به وجهنم اسم علم للنار وهي ماخوذة من قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر
وامتنعت من الصرف للتانيث والعلمية بين ان جهنم نصيبه الكافي وجزاوه الوافي
ثم دل على حال جهنم بقوله ولبيس المهاد جواب قسم محذوف وحذف المخصوص بالذم
للعلم به والمهاد ما يوطى للجنب ويهيى للنوم ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها
للجهاد او امر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغا مرضات الله طلبا لرضاه والله
روف بالعباد اي هو في نهاية الرحمة لهم ولهذا اعوضهم النعيم المقيم على عمل منقطع عقب ذكر
المذموم من اعدايه بذكر المحمودين من اوليايه ترهيبا وترغيبا يا ايها الذين امنوا ادخلوا
في السلم كافة السلم بالفتح والكسر الاسلام والطاعة وكافة اسم للجملة من الكف كانهم
كفوا باجماعهم من ان يخرج منهم احد حال من فاعل ادخلوا ومن السلم وتاوها لنقل

لو تبق للتانيث والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جميعا ظاهرا وباطنا على ان
الخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بجميعكم ولا تخلطوا به غيره على ان الخطاب
لمومني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها وشرايع
الله تعالى كلها بالايمان بالانبيا عليهم السلام والكتب جميعا على ان الخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشي منها على ان الخطاب للمسلمين ولا تتبعوا
خطوات الشيطان بالتفريق والتفرق وقدم ما يتعلق بقوله انه لكم عدو مبين
فتدبر فان زللتم عن الدخول في السلم اصل الزلل في القدم يقال زل يزل زللا وزلولا
اذا دحضت قدمه ثم استعمل في الاعتقاد والراي بطريق الاستعارة من بعد ما جاءتكم
البينات الحجج والشواهد على ان ما امرتم بالدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب
لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يهمل وان كان يمهل على ما تقتضيه الحكمة هل ينظرون
ما ينتظرون الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره لقوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة
او ياتي ربك وانما اسند الاتيان اليه تعالى تفخيما وتهويلا وتنبيها على انه ياتي الامر الذي
لا يدافع كان امره هو اوجه به واكد التهويل وشدة العذاب ببيان اتيانه من الغمام
الذي هو مظنة الرحمة لكونه افظع فان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير
اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جا الشر من حيث يحتسب الخير ولهذا
كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيها من حيث يتوقع الغيث في ظلل جمع ظلة
كقلة وقلل وهو ما يستظل به وقري ظلال كجبال جمعها كقلال او ظل من الغمام قال الثعلبي
في سر الادب اول ما ينشا هو النشي فاذا انسحب في الهوى فهو السحاب فاذا تغيرت
لونه السما فهو الغمام انتهى فالغمام اقوى من السحاب ظلمة فكان انسب لعبارة الظلل
من السحاب والملايكة وقري بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي قضي امر
اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه عبر بالماضي عن المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
وقري وقضا الامر عطفا على الملايكة والى الله ترجع الامور قري على البنا للمفعول
على انه من الرجع وعلى البنا للفاعل على انه من الرجوع سل بني اسرائيل بحذف الهمزة في الكلام
المبتدا وتثبت في العطف مثل قوله واسيل القرية والسوال للتقريع والخطاب لكل
احد او للرسول عليه السلام كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيايهم وهي معجزاتهم
او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وحقيته وكم خبرية او استفهامية
للتقرير ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتدا على حذف العايد من الخبر وآية

مميزها ومن التبديل **ومن يبدل نعمة الله** اي اياته اذ هي اجل نعمة من الله تعالى بان جعلها اسباب الضلالة وهي اسباب الهدى والنجاة منها لقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفها كما حرفوا الايات الدالة على دين محمد عليه السلام **من بعد ما جاءته** من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل **فان الله شديد العقاب** فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اعظم جريمة والعقاب ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشي بالمجازاة له في اثار عقبه **زين للذين كفروا الحياة الدنيا** التزيين هو التحسين المدرك بالحس دون المدرك بالعقل وهذا جاء في اوصاف الدنيا دون اوصاف الاخرة والمزين للكفار هو الشيطان فانه حسن الدنيا في اعينهم وحببها اليهم وقراءة زين على البناء للفاعل والحيوة بالنصب على الاسناد المجازي فانه تعالى لما امهل المزين فحمل انما له تزيينا او زينها حتى استحسنوها واحبوها ومن قال المزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله اخطا في المدعى وما اصاب في الدليل اما الاول فلان التزيين صفة تقوم بالشيطان والفاعل الحقيقي لصفة ما يقوم به تلك الصفة وليت شعري ما يقول هذا القائل في الكفر والضلالة فان فاعل القيام حقيقة هو القايم الذي يتصف به لا خالقه واما الثاني فلان مبناه عدم الفرق بين الفاعل النحوي الذي يتصف به والفاعل الكلامي الذي يعزل عن هذا المقام **ويسخرون من الذين امنوا** اي يسخرون من فقراء المومنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم رضي الله عنهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على الاخرة قال القرطبي سخرت منه وسخرت به وضحكت منه وضحكت به وهزيت منه وهزيت به كل ذلك يقال حكاه الاخفش والاسم السخرية **والذين اتقوا** اي الذين اتقوا الدنيا واختاروا الفقر من المومنين هم اهل الزلفى والكرامة عند الله تعالى وضع موضع الذين امنوا لانهم يسخرون منهم دون الاغنياء تنبيها على انهم اهل السعادة الكبرى عند الله تعالى وتحريضا للمومنين على التقوى **فوقهم يوم القيمة** لانهم كانوا في درجات الجنة وهم في دركات النار فينادونهم ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله **والله يرزق من يشاء** يعني في الدنيا لان سياق الكلام فيه **بغير حساب** بغير تقدير اي يوسع بحسب الحكمة والمشية التابعة لها على العبادة فمنهم من يكون التوسعة عليه استدراجا كهولاء الكفرة وقارون واحزابهم ومنهم من يكون التوسعة عليه كرامة له كاغنياء المسلمين وسليمان وداود عليهم السلام وامثالهم

لعله النايم

كان الناس امة واحدة على الفطرة متفقة في دين الاسلام فيما بين ادم وادريس عليهما السلام قال القرطبي وفيه نظر لان ادريس عليه السلام بعد نوح عليه السلام على الصحيح وقيل هم نوح عليه السلام ومن معه في السفينة **فبعث الله النبيين** اي فاختلفوا فبعث الله فحذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله فاختلفوا فبعث الله تعالى ولقوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولما كان سبب البعثة الاختلاف لم يبق احتمال لان يكون المراد من الامة المذكورة المتفقة على الجهالة والكفر **مبشرين** من اطاع **ومنذرين** من عصى **وانزل معهم الكتاب** اي الكتب فاسم الجنس يصلح للجميع ومعهم حال مقدرة من الكتاب فيتعلق بمحذوف وليس منصوبا بانزل ولا يريد به انه انزل مع كل واحد منهم كتابا يخصه لان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم بل كانوا ياخذون بكتب من قبلهم لان المعنى ح مع كل واحد من الذين لهم كتاب وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العايد اليه بمعونة القرينة بل لان بعض الكتب المخصوص لمن معه لا يشمل الاحكام كالزبور فلا يصلح ما ذكر بقوله ليحكم بين الناس غاية له **بالحق** حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق **ليحكم بين الناس** اي النبي الذي معه الكتاب **فيما اختلفوا فيه** من امر الدين **وما اختلف فيه الا الذين اوتوه** اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف ومعناه زادوا اختلافهم بسبب الكتاب حتى كان الاختلاف الاول بالنسبة اليه كلا اختلاف او لما كان الاختلاف الا الذي حدث بعده كان الاختلاف الموجب لنزول الكتاب متفقا عليه لشدة عنادهم **من بعد ما جاءتهم البينات** الدلايل الناطقة على حقيقة الدين المتفق عليه **بغيا بينهم** وحسدا وقلة انصاف منهم بحرصهم على الدنيا وقتالكم **فهدى الله** بسبب تلك البينات **الذين امنوا** منهم **لما اختلفوا فيه من الحق** بيان لما اختلفوا فيه **باذنه** بتيسيره وتوفيقه اياهم **والله يهدي** دون غيره **من يشاء** من اهل الفنا بمقتضى الحكمة **الى صراط مستقيم** لا يعرف كنهه وهو طريق التوحيد **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والحسبان كالظن يستعمل في المترجح لما ذكر الامم الخالية واختلافهم على النبيين بعد مجي البينات وانكارهم تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وحثا لهم على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم لهم له خاطبهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ **ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** حالهم التي هي مثل في الشدة ولما للتوقع في النفي كقد في الاثبات ومعناها ان اتيان ذلك متوقع ومنتظر

وليرتفع بعد مستهم بيان للمثل على الاستئناف البأساء الشدة من الخوف والجوع
والفاقة والضراء الألم والأمراض وزلزلوا أي أزعجوا إزعاجا شديدا شبيها
بالزلزلة مما أصابهم من الأهوال والأفزاع حتى يقول لتناهي الشدة وتماديها
في المطر بحيث تقطعت حبال الصبر الرسول مع كونه في كمال الثبات والصبر وضبط
النفس والوقار إلى غاية لا يتقدر قدرها والذين آمنوا معه الصابرين في البأساء
والضراء وقرئ يقول بالرفع على معنى الحال وهي حكاية حال ماضية وبالنصب على إضمار
أن ومعنى الاستقبال متى نصر الله معناه استبطاء النصر وطلبه وتمنيه واستطالة زمان
الشدة ألا إن نصر الله قريب استئناف على إرادة القول أي فقيل لهم إجابة لهم إلى
طلبهم من عاجل النصر وإعطاء سؤلهم يسألونك ماذا ينفقون لما نزل قوله تعالى من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا جاء عمرو بن جموح الأنصاري وسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال كم ننفق وعلى من ننفق نزل جواب السؤالين في آيتين من هذه السورة
جواب قوله كم ننفق في قوله قل العفو وجواب قوله على من ننفق في قوله قل ما أنفقتم
من خير أي بشيء أنفقتم من مال وإنما سمي خيرا قال الله تعالى لا يسأم الإنسان من دعاء
الخير وقال وإنه لحب الخير لشديد وإنما سماه خيرا هنا لأنه مذكور في موضع الصرف
إلى الخير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل بدأ في الصرف
بالأقرب فالأقرب ثم الأحوج فالأحوج وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فإن الله
به عليم جوابه أي إن تفعلوا خيرا فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه والفعل أعم من
الإنفاق وغيره سألوا عن خاص وأجيب عاما ثم أتى بالعموم في أنواع الخير فيكون
هذا الإيجاب ونسخها الأمر بالزكوة وقيل كان الاستحباب وهو باق كتب عليكم
القتال أي فرض عليكم الجهاد وهو كره لكم من الكراهة لقوله تعالى وعسى أن
تكرهوا شيئا وهو إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف
للمبالغة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي
وهو مكروه لكم وقرئ بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف أو بمعنى
الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لفرط كراهتهم له وكراهة الطبع لا ترتب
الذم بل تحقق معنى العبودية إذا فعل ذلك انقيادا للشرع مع نفور الطبع وأما كراهة
الاعتقاد فهو من صفات المنافقين ونبه بقوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم باللف وجه على أن ما كتب عليهم من القتال

خير لهم وأوضح دلالة وفي أنه إذا جاز أن يكون منكم كراهية لا يريد فيه الخيرية
فيجوز أن تكون كراهتكم لما كتب عليكم من القتال كذلك وإذا جاز أن تحبوا شيئا
وهو شر لكم فيجوز أن تكون محبتكم لما أحببتموه شرا ثم نبه على أن هذا الجائز كونه
عندكم واجب كونه في نفسه بقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد قضى بأن ذلك
خير إذ الأكان خيرا فيجب أن تحبوه ولا تكرهوه فالخير تجب إرادته والشر تجب كراهته
والمحبة ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرا والإرادة لا تلزمها إلا الخير فقط فلا
أن تحبوا دون أن تريدوا أو لم يراع حق المقابلة مع قوله أن تكرهوا وعسى كلمة تجري
مجرى لعل وهي من العباد للترجي ومن الله تعالى للترجيه قيل جميع ما كلفوا به من قبيل
الأول وجميع ما نهوا عنه من قبيل الثاني وفيه نظر يسألونك عن الشهر الحرام نزلت
في أول سرية في الإسلام أغاروا على عير فيها لقريش قافلة من الطائف وقتلوا عمرو
بن عبد الله الحضرمي وأول يوم من رجب وهم يظنون من جمادى الآخرة فعيرهم أهل مكة
باستحلاله قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وخايرة الإبدال في ذكر الشهر أولا
تنبيه على أن السؤال عن القتال لأجل الشهر المحرم قل قتال فيه كبير ذنب كبير والأكثر
على أنه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء ولا حجة
دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا بناء على أن النكرة في حيز الإثبات
لا تعم لا سيما إذا لم تكن موصوفة وقد مر ما يؤيد هذا وصد السد ناحية الشعب والواد
المانع للسائل وحده عن كذا أنما جعل بينه وبين ما يريده صد أي منعه والتشديد
ما حال بين الجلد واللحم من الدم والقيح كذا قال الراغب عن سبيل الله أي ما يوصل العبد
إلى الله من الطاعات وكفر به أي بالله تعالى عطف على صد وقد عطف عليه قبل تمام […]
المعطوف عليه لشدة الاعتناء به عند ذكر الله تعالى بأن الكفر به أكبر الكبائر وأمها
والذي اندرج فيه جميع الكبائر والآثام حقه أن يوضع عن قوله والمسجد الحرام لما
أشرنا إليه من أنه من تمام قوله وصد عن سبيل الله وإخراج أهله منه أكبر عند الله
خبر عن الأشياء المعدودة وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام
وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
منه أكبر عند الله مما فعلته السرية على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة أكبر
من القتل وما ارتكبوه من الصد والإخراج والكفر أكبر من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم أي يداومون على عداوتكم ولا ينفكون من قتالكم حتى يردوكم عن دينكم

حتى للتعليل كما في قولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا استبعاد
لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي ثقة بانه لا يظفر به
وايراد ان في موضع اليقين للتهكم او البناء على ظنهم الفاسد ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر ومن يرجع منكم عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردهم اياه
اليه ولم يتب فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم اي حسناتهم لا يملك الاعمال
في الحقيقة اذ السيئات مما ينبغي ان لا تعمل او يبطل الحسن عملا لا ينتفع به لم يعمل شيئا
في الدنيا لفوات ما لهم من المحاسن من ثواب الاسلام باحداث الردة وفي الاخرة
لفوات ما لهم من الثواب لو لم يرتدوا بالموت عليها والحبط فساد يلحق الماشية
في بطونها من اكل الكلا واستعير لفساد العمل واولئك اصحاب النار ملازموها
يقال فلان صاحب فلان اذا كان ملازما له هم فيها خالدون اي دائمون فيها لا يموتون
ولا يخرجون عنها ثم الطاعة تحبط بنفس الردة عندنا لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله والموت عليها ليس بشرط وعند الشافعي شرط وتمسك بهذه الاية
وقلنا انما جعل الموت على الكفر شرط جميع ما ذكر في هذه الاية من حبوط العمل والخلود
في النار وبه نقول كذا قيل وفيه ان تكرير اولئك لا ينافيه من الدلالة على اعتبار الشرط
المذكور في كل واحد من الحكمين المذكورين فالصواب في الجواب ان يقال انما اعتبر الشرط
المذكور في حبوط عمل الدنيا وعمل الاخرة معا لا في حبوط عمل الدنيا وحده فلا تمسك
فيه للخصم لانا نقول بتاثير الشرط المذكور في حبوط عمل الدنيا فانه ما لم يستمر على الردة
الى اخر الحياة لا يحرم عن ثمرات الاسلام ان الذين امنوا نزلت في السرية المذكورة لما
قال بعض الناس فيهم ان لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر والذين هاجروا اي من مكة
الى المدينة وقيل اي فارقوا العادات السوء واصحابها والاول كان فرضا فنسخت فرضيتها
والثاني فرضيتها باقية وجاهدوا في سبيل الله اي قاتلوا الكفار وقيل اي استخرجوا
المجهود في طاعة الله وتكرير الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق
الرجا اولئك يرجون رحمة الله في الدنيا والاخرة ثوابا ونصرا ودفعا وفي عبارة
الرجا مع لهم باستقصارهم اعمالهم واستشعارهم اما لهم خائفين رده راجين
قبوله كما قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والله غفور لما فعلوا خطا
وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والايتاء الى حسن المآب يسالونك عن الخمر
والميسر روي انها نزلت بمكة نزل فيها الله تعالى وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل

والاعناب

والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر
ومعاذا ونفرا من الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر
فانهما مذهبة للعقل ومسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم
وتركها اخرون والخمر ما خامر العقل اي ستره كانها سميت بالمصدر للمبالغة ومنه
الخمار لما يستر الراس وقال ابن الانباري سميت خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه قال
عمر رضي الله عنه في خطبته ايها الناس فانه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب
والعسل والتمر والحنطة والشعير والميسر القمار وقال الازهري الميسر الجزور
الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه جزي اجزاء فكانه موضع التجزية وكل شيء
جزاته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزي لحم الجزور قل فيهما لما كان منشا
للاثم وسببا للمانع جعلهما منبعا له ومعدنا لها تنبيها على فوائد المناشئة والسببية
فلا حاجة الى تقدير المضاف بل لا وجه له عند البلغا فلا دلالة في هذا على ان السؤال
عن تعاطيهما اثم الاثم ما يستحق فاعله العقاب يختص بما يكون عمدا يوشدك اليه
ذكره في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما في مقابلة الخطيئة كبير من حيث انه يؤدي
الى الارتكاب عن المامور وارتكاب المحظور ومنافع من الطرب والالتذاذ وكسب
المال ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية
الطبيعة للناس في عبارة اسم الجنس اشارة الى عموم المنافع لما غته من الاصناف
من الافراد وفيه وفي جمع المنفعة تمهيد لتعظيم الاثم فيهما ضرورة ان تعظيم المفضل عليه
يستلزم تعظيم المفضل واثمهما اكبر من نفعهما يعني ان الاثم المترتب على المفاسد
التي تنشا من كل منهما اعظم من المنافع المتوقعة منه قال الحسن هذه الاية تدل
على تحريم الخمر لانه ذكر ان فيهما اثما كبيرا وقد حرم الله تعالى الاثم بقوله قل انما حرم
ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم على انه قد وصف ما فيهما من الاثم بكبير
والكبير منه حرام بلا خلاف وقوله حسن وان كان خالفنا الماوردي فيما سبق ويسئلونك
ماذا ينفقون قد مر ان سائله ايضا عمرو بن جموح قل العفو نقيض الجهد وهو القصد
في الانفاق حيث لا يبلغ الجهد واستفراغ الوسع كذلك يبين الله لكم الايات
اي مثل ما بين من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف
وتوحيد العلامة على تاويل القبيل لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة متعلق بتتفكرون
اي لعلكم تتفكرون في امر الدارين وما هو اصلح لكم فيهما فتختارونه وتجتنبون عما

عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر ويسألونك عن اليتامى لما تشهد بان السؤال
ليس عن اعيانهم بل عن كيفية مخالطتهم والافصاح باسمائهم هذه تخالف عن طريق
البلاغة لانه لا يخلو عن عبارة للتكلم او تنبيه للمخاطب وسوء ادب وكلام الله تعالى مبرا عن
كل هجنة روي انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تجافوا عن اليتامى وتركوا
مخالطتهم والقيام بمصالحهم واموالهم والاهتمام باحوالهم فشق ذلك عليهم وكادوا يوقعهم
في الحرج فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعلى هذا السؤال يجب النزول
فالوجه ما قاله القائل من ان المسلمين لما اشتغلوا من مخالطة اليتامى فعزلوا بيت اليتيم
وطعامه شق عليهم فقال ثابت بن رفاعة للنبي عليه السلام قد انزل الله في اليتيم
ما انزل فعزلنا لهم والذي لهم اعتزلنا والذي لنا فشق علينا وعليهم وليس كلنا يجد
سعة فهل يصلح لنا مخالطتهم فيكون البيت والطعام واحدا والاخر ايهم شيئا الا ان
يعود عليهم بافضل منه فنزل قوله تعالى قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه
الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة
اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه والخلط الجمع بين اجزاء شيئين سوى
كان مما يتميز او غير متميز فهو اخص من المزج والله يعلم المفسد من المصلح والله يعلم
المخالط بالافساد من المخالط بالاصلاح ولا يخفى عليه فيجازي بحسبه فلا تفسدوا
بمخالطتهم الا الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة ومنعكم
عن المخالطة واوقعكم في الحرج ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم لا يكلف
الا ما يسع طاقتهم ويصلح حالهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن من المسلمين المشركات والمشركة تعم الكتابية لقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
عما يشركون ولكن خصت عنها الكتابيات الذميات بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب وبقيت الحربيات في عموم هذه الاية روي انه عليه السلام بعث مرثد
الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت الا تخلو بنا فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن
استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره عليه السلام فنزلت ولامة مؤمنة خير
من مشركة يعني ان المؤمن ولو كان فيه خساسة الرق خير من الكافر ولو كان فيه
شرف الحرية فان شرفها لا يجدي نفعا مع الكفر ودناءة الرق لا تضر مع شرف

الايمان ولو اعجبتكم جملة اعتراضية وجواب لو محذوف لدلالة ما قبلها عليه وكذا لو
اعجبكم اي ولو احببتموها واعجبكم حسنها كانت المؤمنة مع ذلك خيرا لكم ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو اعجبكم وضع اللازم مقام الملزوم في الموضعين للتنفير والترغيب
فقال اولئك اي المشركون والمشركات يدعون الى النار اي الشرك المستلزم
لدخول النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو الى الجنة والمغفرة اي
الايمان المستلزم لدخول الجنة واورد الله مكان المؤمنين لاختصاصهم به
وتعظيمهم حثا على مصاهرتهم وموالاتهم وايثارهم على غيرهم باذنه بتيسيره
وتوفيقه لما يستحق به الجنة والمغفرة من الايمان والعمل الصالح ويبين اياته
للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او يكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ذكر في العقول
السليمة من الميل الى الخير والاجتناب عن مظان المضار ويسألونك عن المحيض
الحيض مصدر يقال حاضت محيضا كما يقال جاء مجيئا روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا
الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح
في نفر من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فنزلت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك
في المواضع الثلاثة بغير واو وفي المواضع الثلاثة بعدها مع الواو لان الاول ليس
مظنة للواو وكانت الاسولة عن الحوادث الاول في احوال متفرقة كل واحد منها
سؤال مستقل والاسولة عن الحوادث الاخر مع الثلاثة الاول كانت في وقت واحد
وليس مبنى هذا على ان الواو حرف الجمع لان الجمع الذي هو مدلول الواو اعم من
المعية بل على ان في ترك الواو دلالة على الاستقلال وفي ذكرها دلالة على خلافه
قل هو اذى لما كان الموضع موضع الكناية والمجاز لكون التصريح والحقيقة لا يخلو عن
سوء ادب سلك طريقة التعريض والتشبيه باحسن الوجوه فكنى عن الحيض المستقذر
الذي ينفر عنه الطبع بالاذى وهو اسم لما يتأذى منه النفس مكروه وعن اجتناب
المجامعة بقوله فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن واصل الاعتزال التنحي والبعد عن
الشيء ولما كان الانسان قد يتحمل الاذى ولا يراه محرما صرح بالحكم ولم يكتف بذكر
العلة وانما اكد بصيغتي امر ونهي مبالغة في المنع لما ان [illegible] يحملان غالبا
وشهوة داعيان اليه ظاهرا والدليل على ان المراد الاجتناب عن مجامعتهن قوله عليه
السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت

اعلم

كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض حتى يطهرن بيان لغايته اي يخرجن من الحيض بانقطاع الدم ان
كان ايامها عشرة فكما انقطع حل وطيها واذا كانت دون ذلك وانقطع واغتسلت
فكذلك واذا لم تغتسل ومضى عليها وقت صلاة فكذلك خلافا لزفر والشافعي
فانهما قالا لا يحل الا بعد الاغتسال واحتجا بقراءة التشديد فان التطهير
الاغتسال ونحن نعمل بالقراءتين في حالين وفيه نظر لان شرط العمل بالمفهوم
ان لا يكون مخالفا للمنطوق ومفهوم قراءة التخفيف مخالف لمنطوق قراءة التشديد
ونحن نقول ليس العمل بقراءة التخفيف بطريق المفهوم بل بطريق المنطوق فان
الدلالة على انتهاء الحكم عند الغاية بحسب الوضع ثم ان قوله فاذا تطهرن
فاتوهن ظاهر في تاخير جواز الاتيان عن الغسل من حيث امركم الله اي المكان
الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل فانما زيد هذا وكان الكلام تاما بدونه للنهي بطريق
المفهوم على اتيانها في الدبر فان الله تعالى لما حرم الاتيان في ايام الحيض للاذى فحرم اتيان
الدبر في الاحوال كلها لما فيه من الاذى ومن هنا ظهر وجه تصدير الكلام المذكور بالفاء
التفريعية ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه ومن سائر
الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان
في غير المأتى نساؤكم حرث لكم اشارة الى الغرض الاصلي من الاتيان المامور به طلب
النسل لا مجرد قضاء الشهوة والى وجه النهي الذي قصد بطريق المفهوم بتشبيههن بالحارث
تشبيها لالقاء النطف في الارحام للنسل بالقاء البذر في الارض للزرع ولما كان التشبيه
المذكور مترتبا على هذا التمثيل المتروك ترتب اللازم على الملزوم لم يبعد ان يسمى تمثيلا
على سبيل الكناية والقوم قد غفلوا عن هذا النوع من التمثيل فاتوا حرثكم انى شئتم
كما ياتي الحارثون محارثهم من اي جهة شاؤوا بعد مراعاة موضع الحرث عبر به عن وجوه
الاتيان المختلفة مع اتحاد المأتي تمثيلا لحالهن بحال الصور روي ان اليهود كانوا يقولون
من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود فنزلت وقدموا لانفسكم الخير والاجر بطاعة
الله تعالى فيما امر به ونهى عنه في هذه الآية وقيل النية الخالصة اي لا تقتصروا
على قضاء الشهوة ولكن اقصدوا التعفف والولد واتقوا الله بالاجتناب عن المناكير
واعلموا انكم ملاقوه فلا تجترؤوا على مخالفته وتزودوا مما لا تفتضحون به وبشر

المؤمنين المستوجبين للمدح والكرامة بترك القبائح والفواحش ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم العرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء
يتعلق بعرضة اي حاجزا لايمانكم اذ في العرضة معنى الاعتراض والمنع او بالفعل اي
لا تجعلوا الله لايمانكم حاجزا ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم اي
الامور المقسم عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس ويجوز ان تكون اللام
للتعليل وان تبروا وما عطف عليه متعلقا بالفعل اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا
لاجل ايمانكم به او بعرضة اي ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك
ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة
بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه
لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح البين نزلت في الصديق رضي الله عنه لما حلف
ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها وقيل في عبد الله بن رواحة
حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والله سميع
لايمانكم عليم بنياتكم فيجازيكم عليها وهو وعيد على كثرة الحلف وعلى جعله مانعا
بشيء من انواع البر والتقوى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي
لا يعتد به من كلام وغيره فاللغو من اليمين هو الذي لا عقد له كما سبق به اللسان او تكلم
به جاهلا لمعناه كقول العرب وغيرهم في اثناء الكلام للتأكيد لا والله وبلى والله ولا
خطر ببالهم الحلف بدليل قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولكن يؤاخذكم بما
كسبت قلوبكم وهو قصد القلب لعقد اليمين والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة
بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بواحد منهما بما قصدتم من الايمان وقال ابو حنيفة
اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان
ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها ولا يساعده ظاهر قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء
الحلف وتعديته بعلى لما ضمن في هذا القسم معنى الامتناع فعدي بمن اي يمتنعون
من نسائهم مقسمين ويجوز ان يتعلق عليه محذوف والمراد لهم من نسائهم تربص اربعة
اشهر كقولك لي منك كذا والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على
الاتساع اي للمولي التلبث في هذه المدة فلا يلزمه شيء فيها وهذا الايلاء يوقع

الطلاق البائن عند مضيها كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه ولا ينبغي ان تكون مدة
الايلا اكثر مما ذكر كذا قاله الشافعي رضي الله عنه ولا دلالة للآية لهما في قوله فان فاؤا
على ذلك لانما التعقيب فان التفصيل بالفية وان كانت قبل مضي المدة اودفع
الطلاق بعقب المفصل والفيا الرجوع اي ارجعوا عن هذا الاضرار بترك القربان
بان تقربوا بلغ المدة فان الله غفور يغفر للمولين ما ارادوا به اضرار النسا لاجل
الفية التي بمثابة التوبة رحيم حيث اجاز لهم الحنث وتقبل منهم الكفارة ورفع منهم الذنب
وان عزموا الطلاق العزم هو العقد على الامضا فان الله سميع بما جرى بينكم عليم
بما تقصدون والمطلقات يعني اللاتي من ذوات الاقرا بقرينة الخبر عام مخصص بالمدخول
بهن من الحرائر بالنصوص الدالة على اختصاص الحكم الاتي ذكره بهن يتربصن اخبار
في معنى الامر وانما عدل عن الظاهر للتاكيد واظهار الاعتنا بالمبادرة الى الامتثال كانه
امتثلنه واخبر عنه موجودا كما يقال في الدعا رحمك الله ثقة بالاجابة وثقته
بما كان الرحمة وقعت فاخبر عنها وبناؤها على المبتدا زيادة فضل تاكيد لم يكن لو قيل
ويتربص المطلقات وفي قوله بانفسهن زيادة تحريض وبعث وتهييج لهن على التربص
وقمع الانفس وذلك ان انفس النسا طوامح الى الرجال فاذا امرن ان يقمعنها ويغلبنها
على الطموح يستنكفن فيحملهن على التربص ثلاثة قروء انتصب على انه مفعول به
كقولك الحكر يتربص الغلا اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن
مدة ثلاثة قروء والقرء جمع القرء بالضم والفتح وهو لفظ مشترك بين الحيض والطهر
باجماع اهل اللغة وقد ورد الشرع في كل واحد منهما قال عليه السلام للمراة دعي
الصلاة ايام اقرائك اي حيضك وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان من السنة ان
يطلقها في كل قرء تطليقة اي في كل طهر وقال ابو حنيفة ان المراد من القرء هنا
الحيض وقال الشافعي المراد الطهر وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان صريح في الاول وانما جا الخبر على جمع الكثرة دون القلة التي هي
الاقرا اعتبارا لما في المطلقات من معنى العموم فان المعنى ليتربص كل واحدة
من المطلقات ثلاثة قروء فلما اسند الى جماعتهن والواجب على كل واحدة منهن
ثلاثة قروء اتى بلفظ القرو ليدل على الكثرة المرادة واما الانفس فكان النكتة
في تقليلها الايما الى ان التطليق ينبغي ان يكون قليل الوقوع من الرجال ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد بان يكتمن حملهن استعجالا للطلاق

يستنكفن

مخافة ان ينتظر الزوج لطلاقها ان تضع او يشفق على الولد فلا يطلق وقيل من الحيض
بان تقول طهرت وهي حائض استعجالا للطلاق ويجوز ان يكون الكتمان كناية عن
ارادتهن اسقاط ما في ارحامهن من الاجنة فلا يعترض بهن وفيه دليل على ان قولها
مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن واتهمن اي لا يفعل ذلك
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ولا يجتري على مثل هذه العظايم وبعولتهن اي ازواج
المطلقات والبعول جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع وانما سمي زوج المراة بعلا لانه
سيد فاوما اتكيا ذكره الازهري ومن هنا تبين وجه التعبير عنه بالبعل فان الحكم
الاتي ذكره مخصوص بصورة الطلاق الرجعي الذي لا يزول به ملك النكاح وفي عبا
البعل اشارة اليه احق بردهن اي برجعتهن وتسميتها حقا ان الرجل اذا اراد الرجعة
وابتها المراة فهو احق بقوله لان لها حقا في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا
اي بالرجعة اصلاحا بينهم وبينهن لا اضرارا والتحريض عليه في الرجعة والمنع من قصد
الاضرار لا لبيان اشتراط صحة الرجعة بقصد الاصلاح ولهن من الحقوق
على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة
الجميلة اي لا يجعل احد الزوجين صاحبه ما لا يستحسن في الشرع ولا يعنف بدركن
بساعة وتجلدوا المراد بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب والمستحب بالمستحب لا الاتحاد
في الجنس وللرجال عليهن درجة الدرجة نحو المنزلة لكن ينال اذا اعتبرت بالصعود
دون الامتداد على البسيط كدرجة السلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة اي زيادة فضيلة
بقيامهم عليهن وانما قدم في مصالحهن بعد ما تشاويا في نيل اللذة والله عزيز على
الانتقام ممن خالفه الاحكام حكيم شرعها الحكم ومصالح الطلاق مرتان الطلاق
بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم يعني التطليق الرجعي كرتان على التفريق تطليقة
بعد تطليقة بعقبها رجعة لا تطليقتان على التثنية والارسال دفعة واحدة
ولا التطليق البائن واحدا كان او اثنين لقوله فامساك اي فامر الزوج بعدهما
امساك اي نصحيه امساك ولا يخفى ما في عبارة الامساك من الدلالة على استدامة
الملك وفي لا ينبغي بعد البائن بمعروف بحسن عشرة وما يعرف شرعا من القيام
بمواجبها او تسريح بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة باحسان بان لا يراجعها
مراجعة يريد بها الضرار وتطويل العدة عليها وقيل التسريح ان يطلقها الثالثة
في الطهر الثالث وروي ان سايلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة

القران م

فقال صلى الله عليه وسلم او تسريح باحسان وظاهر الاية يحجه الشافعي في قوله لا باس
بارسال الثلاث ولا حجة له في حديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين
يدي رسول الله عليه السلام ولم ينكر عليه لعدم الدليل بتاخره عن نزول الاية
ولا يحل لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما اتيتموهن من الصداق شيئا قليلا الا ان
يخافا الا ان يخاف الزوجان استثنا مفرغ وان يخافا نصب على الظرف او مفعول له
التفات كانهم اذا رضوا بالخلع وهموا بالاخذ وقعوا في حد البعد ولم يستاهلوا الخطاب
لعدم انصافهم وعدالتهم واختيار جعله الى الائمة والحكام فخوطبوا بما ياتي ويجوز ان
يكون الخطاب الاول ايضا للحكام وانه لم يمكن الاخذ والايتا منهم لانهم الامرون
بالاخذ والايتا عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والموتون وقرئ الا ان يخافا
على البنا للمفعول وابدال ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ يظنا ويؤيده تفسير
الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله بترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب
الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما
حدود الله بتركهما اقامة الحدود المذكورة فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي
لا جناح على الزوج فيما اخذ ولا على المراة فيما بذلت وافتدت به نفسها واختلعت به
من الصداق او الزيادة عليه على كره روي ان جميلة اخت عبد الله بن ابي كانت تحت
ثابت بن قيس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شي والله ما اعيب عليه في دين
ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا
فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت
وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام تلك
حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
عدل عن الضمير الى الظاهر للتفخيم فاولئك هم الظالمون تعقيب النهي بالوعيد
مبالغة في التهديد فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح
باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى
والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد اي من بعد ذلك التطليق حتى تنكح
اي تتزوج زوجا غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج بنا له فلانة ناكح في بني
فلان وتمسك ابن المسيب بدلالته على انتها الحرمة بتزوجها زوجا اخر

في الاقتصار على العقد بالتحليل فان قلت البتة الحرمة باقية الى ان يطلقها
وتنقضي عدتها قلت بل تنتهي تلك الحرمة بالعقد وتحدث حرمة اخرى هي
اثره والجمهور على انه لا بد من الاصابة لحديث العسيلة ويجوز به انتساخ حكم
الغاية وان كان ثبوته منطوقا لانه حديث مشهور تلقته الامة بالقبول
ومنهم من وفق وقال ان شرط الدخول ثابت بنص الكتاب لان المراد من التزوج
الاصابة على انها كناية عن حكمها من الشرط المذكور او الكلام على القلب كقولك ادخلت
الخاتم في الاصبع والمعنى حتى ينكحها زوج اخر ولا بد من المصير الى احد هذين الوجهين
كيلا يضيع قوله زوجا والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق فان طلقها
اي الزوج الثاني وانقضت العدة وهذا القيد معلوم من موضع اخر ولهذا لم يذكر
والفا للتفريع صحة المراجعة بعد تطليقه اياها على ما تقدم من ثبوت التحليل بالتزوج
فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من الزوج الاول والمراة الى صاحبه بالمزاوجة
ان ظنا ان يقيما حدود الله حقوق المعاشرة وما يجب عليهما من حسن المصاحبة
ومن فسر الظن بالعلم فقد وهم من جهة اللفظ والمعنى لانه لا يقال علمت ان يقوم زيد
لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وان المستقبل غيب فلا يعلمه الا الله تعالى
وهذا الظن ليس بشرط في صحة النكاح بل في اباحته ورفع الاثم ان العقد صحيح وان ظنا
ان لا يقيما حدود الله وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون
ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اريد بالاجل اخر المدة وبالبلوغ
مشارفته والقرب منه على الاتساع لقوله فامسكوهن بمعروف اذ الامساك
بعد البلوغ حقيقة او سرحوهن بمعروف لما اعيد ذكر الرجعة على التسريح بالمعروف
تنبيها على انه ان لم تراعوا في تسريحها الاحسان فراعوا فيها المعروف كما قال بعض اتنا
لسلطان ان لم تحسن فعدلا وهذه الاية ظاهرها اعادة حكم ما تقدم الا ان الاولى
لبيان جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين وهذه لبيان جوازها ما دامت في العدة
وانما خص المشارفة بالذكر لانهم كانوا يطلقون المراة ويتركونها حتى تشارف انقضا
العدة يراجعونها اضرارا بها فنهوا عنه بقوله ولا تمسكوهن ضرارا بعد الامر بضده
مبالغة ونصب ضرارا على انه مفعول له اي للمضارة او حال اي مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بتطويل العدة او الجائها الى الافتدا واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا

بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كما
بالنهي عنها الهزو بمن الامر الجد قيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا
فنزلت عن النبي عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة
واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية الى الاسلام وبعثة محمد عليه السلام والمراد
من ذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على ان النعمة
نعمة جليلة بحيث تذكيرها كاف في ايجاب شكرها والقيام بحقها والمانع عنه ليس الا
الغفلة عنها وما انزل عليكم النزول على النبي عليه السلام الا انه لما كان لمصلحتهم نزل
منزلة النازل عليهم من الكتاب والحكمة الكتاب والسنة وقدمه وجه مناسبة الحكم
بالسنة وانما افردهما بالذكر لشرفهما يعظكم به اي بما انزل عليكم واتقوا الله اي لا تغافلوا
امره ونهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم وعد ووعيد وتاكيد وتهديد والظاهر العدول
عن الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
لقوله فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن العضل المنع مع تضييق يقال اعضلت الدجاجة
بيضها والمراة بولدها والخطاب لا يجوز ان يكون للازواج بدلالة ما روى البخاري
والترمذي وابو داود ان الاية نزلت في معقل بن يسار وكانت اخته تحت ابن عم له
فطلقها طلقة فلما انقضت عدتها خطبها وهي تريد ان ترجع اليه فقال معقل لا ازوجكها
ابدا فانزل الله تعالى هذه الاية فدعاه النبي عليه السلام فتلاها عليه فقال سمعا لربي
وطاعة والحكم الوارد في سبب لا يصح ان يكون السبب خارجا عنه وانما اريد به معنى
ولا ان يكون الاولياء لما فيه من تنافر الخطاب من الازواج قبل تمام الكلام الى الاولياء
فان خطاب اذا طلقتم لا يصلح للاولياء قطعا فالوجه ان يكون للناس ليتناول عضل
الازواج والاولياء جميعا مع السلامة عن المحذور المذكور والمعنى لا يوجد بينكم
عضل ايها الناس ولا يخفى ما فيه من تهويل امر العضل بان من حق الاولياء ان لا يحوموا
حوله وحق الناس كافة ان ينصروا المظلوم اذا ذلك ولا متمسك للشافعي في الاية على ان
النكاح لا ينعقد بعبارة النساء اذ لا يلزم من قدرة الاولياء على منعهن ان لا يكون
النكاح بعبارتهن وقوله ان ينكحن صريح في انه ينعقد بعبارتهن اذا تراضوا بينهم
بالمعروف اذا تراضى الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بالوجه الجميل في الدين والمروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف ذلك الاشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للكل واحد

او الرسول للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد ويجوز ان
يكون الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى
ما ذكر ازكى انفع لكم واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن اخبار في معنى الامر المبالغ
في الحث على الارضاع فان الامر لما كان للاستحباب دون الايجاب على ما دل عليه التعليق
بالارادة احتيج الى المبالغة فيه والحمل على الوجوب والتخصيص بما اذا لم يرتضع
الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار يأباه تعيين المدة والتعليق
المذكور حولين كاملين صفة مؤكدة لحولين كما في قوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح
فيه كما في قوله الحج اشهر لمن اراد ان يتم الرضاعة اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاع قيل
متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وفيه ما مر
من ان التعليق بالارادة لا يناسب الوجوب وقد نبه على هذا انه لا حد له واعلى ان
النقصان عن ذلك والزيادة عليه عند وقوع الكفاية بما دونها والحاجة الى الزيادة
عليه جائز ان يحث على ذلك بالارادة وعلى المولود له اي الذي حكم له الولد شرعا كما يوجب
قوله عليه السلام الولد للفراش وان لم يكن والده حقيقة وله في محل الرفع على الفاعلية
نحو عليهم في غير المغضوب عليهم ومن الفرق بين المولود والولد باختصاص الاول
بالصغير على ما ذكره المطرزي يتبين لطف موقعه ثم ان في العبارة المذكورة اشارة
الى علة بناء الحكم كما في قوله وراودته التي هو في بيتها لان الذي ولد له وجب عليه
الرزق والكسوة اذا ارضعت ولده كما تظهر بناء على ما تقرر من ان الغنم بالغرم وعلى
هذا يكون نوعها على المولى اذا ولد الولد من جاريته التي تحت نكاح الغير لانه المولود له
حقيقة في هذه الصورة ومن هنا اتضح ان المولود له اعم من الوالد انتظامه ما لا
يكون والدا من صاحب الفراش والمولى رزقهن وكسوتهن اراد بالرزق المأكول
والمشروب ولهذا ذكر الكسوة بعده بالمعروف اي من غير اسراف ولا تقتير نظرا
الى الجانبين لا تكلف نفس الا وسعها الوسع ما احتملته الطاقة اي لا يحمل احد الا
ما يطيقه فلا يكلف المولود له ما لا يطيق من الاجر ولا الوالدة ما لا تستطيع من العمل
وهو الرضاع بما لا يكفيها من الاجر وهذه الاية كالتي في سورة الطلاق فان ارضعن لكم
فاتوهن اجورهن الى قوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها لا تضار والدة بولدها

ولا مولود له بولده تفصيل لما تقدم وتقرير له اي لا يضار واحد منهما الاخر بسبب
الولد واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق
بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه
وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار ويحتمل البنا للفاعل والمفعول على ان الاصل لا تضارر
بكسر الرا او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح على النهي وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون
بمعنى تضر والبا من صلته اي لا تضار الوالدة بالولد فتفرط في تعهده وتقصر
فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما معترض والمراد بالوارث وارث المولود له على العموم او الصبي
نفسه او وارث الصبي على العموم او تقييده ان يكون ذا رحم محرم من الصبي حيث
لا يجوز بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى او بتقييد ان يكون
من عصبته واما فصل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة فقلق في هذا المقام
اذ ليس لقولنا فالنفقة على الاب وعلى من بقي من الاب والام معنى يعتد به وذلك
اشارة الى ما يجب على المولود له من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا تفريع على
ما تقدم من تعليق اتمام الحولين بالارادة وتصريح بالتوسعة بعد التحديد والفصال
الفطام سمي به لانه فصل بين الغذا والصبي عن تراض منهما وتشاور اي صادرا
عنهما والتراضي اجتماعهما في المشورة وهي استخراج صواب الراي باشارة المستشار من شور
من العسل وهو اجتناؤه وانما اطلقه لينتظم تشاور احدهما الاخر وتشاورهما
الثالث من له خبرة في تربية الاطفال وتدبيرهم وانما اعتبرهما لان الفطام قبل
تمام الحولين مظنة لحوق الضرر فلا بد من اتفاقهما اما المولود له فلانه حقه واما
الام فلانها اعلم بحال الولد وتربيته والدليل على ان المراد الفطام قبل التمام قوله
فلا جناح عليهما اذ لا يتصور الجناح بعد تمام مدة الرضاع وان اردتم ان تسترضعوا
اي المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح
الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول استغناء عنه لعدم القصد
الى خصوص المرضعة فلا جناح عليكم فيه وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد
ويمنع الام عن الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما التزمتم ايتاءه وقرئ ما اتيتم
من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه

بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم على الوجه الجميل بالطلاقة والبشاشة من اطيب
ما يكون منها او الكم على احسن ما يكون من وجوه الاعطا لتكون طيبة النفس
شفقة على الرضيع وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم
شرطا لجواز الاستيجار بل هو مندوب اليه لتطييب نفس المرضعة ولهذا قيد
قيد بالمعروف واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في الاسترضاع
واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم اي يقبض
ارواحهم بالموت واصل التوفي اتمام القبض وقرئ يتوفون بفتح اليا اي يستوفون
اعمارهم وهو كناية عن الموت ويذرون ازواجا اي يتركون زوجات ويذر مستعمل
اميت ماضيه ومصدره وكذلك يدع يتربصن ينتظرن بانفسهن تقديره يتربصن
لوفاتهم دل عليه يتوفون وبه يحصل الربط بين المبتدا والخبر اربعة اشهر وعشرا
اي يعتدون هذه المدة ولا حاجة الى التاويل في عشر لما نقل عن ايمة اللغة انه
اذا كان المعدود مذكرا وحذفته فلك فيه وجهان احدهما وهو الاصل ان تبقى
العدد على ما كان عليه لو لم تحذف المعدود فتقول صمت خمسة ايام والثاني ان
تحذف منه كلمة التانيث فتقول عشرا على احد الجائزين وحسنه هنا انه نقطع كلام
شبه بالفواصل واطلاق اللفظ يقتضي عدم الفرق بين المسلمة والكتابية والحرة والامة
والحامل وغيرها الا ان القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل منه
بقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فاذا بلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن تفريع على التحديد المذكور فلا جناح عليكم ايها الايمة وجماعة المسلمين
فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ودل
بالمفهوم على انهن لو فعلن ما ينكره الشرع كان عليهم ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم
الجناح والله بما تعملون خبير وعيد لهن في ارتكاب المنكر وللايمة في التقصير في المنع
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به التعريض ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ولا مجازا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض من خطبة النسا الخطبة بالضم
والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد
بالنسا المعتدات وتعريض خطبتها ان يقال لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان
اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا
علم الله انكم ستذكرونهن اي ستظهرون رغبتكم فيهن لقلة صبركم عن النطق به

وفيه طرف من التوبيخ على التحرز ابتداء انما ابيح لحكمة ولكن لا تواعدوهن سرا
استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
سرا والسر كناية عن النكاح بمعنى الوطي لانه مما يسر ثم عبر به عن النكاح بمعنى
العقد لانه سبب فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ وان تقولوا
نصب على المصدر اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة وهي
بالتعريض او لا تواعدوهن بوجه الا بان تقولوا قولا معروفا غير منكر في
الشرع ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا لفساد المعنى وهو واعدوهن
التعريض وليس المراد مواعدة التعريض بل مواعدة النكاح بالتعريض وقيل
لا تواعدوهن في السر لان مسارتهن في الغالب انما هي بما يستحيى من المجاهرة
به لاستهجانه الا وقت ان تقولوا قولا جميلا غير منكر في الشرع فعلى هذا
ان تقولوا في محل النصب بالظرف ويكون المفعول محذوفا اي لا تواعدوهن
النكاح في السر ولا تعزموا عقدة النكاح اي لا تقصدوا عقد عقدة النكاح
قصدا جازما لانه ذكر معه نهي عن العزم ليكون ابلغ في منع الفعل وتقدير الكلام
لان العزم انما يكون على الفعل كالعقد لا على نفس العقد وقيل العزم القطع والمعنى
لا تقطعوا عقدها اي لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقدموا عليه فيكون النهي عن نفس
الفعل لا عن قصده حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز شرعا فاحذروه اي فاحذروا
مؤاخذته بالمناهي الصادرة عن العزيمة ولما كان السابق الى الفهم مما تقدم
المؤاخذة بالعزايم على المناهي رفعه بقوله واعلموا ان الله غفور لمن عزم
فلم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بعدم المؤاخذة
بالعذاب عاجلا لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ولزومه
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن المس كناية عن الوطي لان حقيقة المس لا يوجب
المهر اذا لم يوجد خلوة صحيحة او تفرضوا لهن فريضة اما جزم عطف على تمسوهن
اي او لم تفرضوا لهن فريضة او نصب بمعنى الا ان او الى ان تفرضوا وفرض الفريضة
تعيين المهر وهي بمعنى المفروضة وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى
مفعولة والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر وانما اعتبر
القيدان المذكوران لانه يجب مهر المثل في المس وان لم يفرض لها شيئا ويجب نصف

المسمى ان طلقها وان لم يمسها ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن
اي ملكوهن ما يتمتعن به ويسمى ذلك متعة واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به
انتفاعا قليلا غير باق بل ينقضي عن قريب وضمير النصب عايد على المطلقات قبل
المسيس وقبل الفرض والحكمة في امر المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها
الى راي الحاكم ويؤيده قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره يقال اوسع
الرجل اتسع حاله فصار ذا سعة وغنى والمقتر المقل من اقتر اذا افتقر وقرئ
قدره بفتح الدال وتسكينها وهما المقدار اي على كل من الذي له سعة ومن الفقير
المقتر الحال قدر يساره واعساره اي ما يطيقه ويليق به لان الحد الذي يطيقه
هو الذي يختص به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة
قبل ان يمسها امتعتها ولو بقلنسوتك اما انها لا تساوي شيئا ولكن احب ان احيي السنة
متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا
اي تمتيعا واجبا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي على الموصوفين
بالاحسان من اصحاب المروات او الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم
محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وللاتيان بعبارة ظاهرة في الوجوب تاكيدا له
في الحث واهتماما في الترغيب دفع ذهاب الوهم الى ان معنى الايجاب حقيقة بعبارة
المحسنين بما فيها من الاشارة الى انه بطريق الاحسان لا بطريق الالزام ومبنى هذه
الاشارة على ما في قوله تعالى على المحسنين من سبيل التنصيص على عدم الايجاب
فيكون احسانا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم فيه دلالة على ان الجناح
المنفي تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون استثناء
مفرغ وان يعفون نصب على الظرف اي فنصفه لكم او فالواجب نصف ما فرضتم
لا يحل لكم منعه ابدا الا وقت ان يعفون والنون ضمير المطلقات في طلقتموهن محلها
الرفع بانها فاعله والواو لام الفعل وقد يشتبه في اللفظ بفعل جماعة الذكور يقال
الرجال يعفون والفرق ان الواو ضمير الرجال والنون علامة الرفع والفعل على الاول
مبني فلذلك لم يؤثر فيه ان ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح وهو الزوج لان الطلاق بيده فكان ابقاء العقد بيده والمراد ان يعطيها المهر
كله وذا اطلاق العفو عليه بطريق المشاكلة وقيل هو ولي الصغيرة والبكر والعفو

علي احقيقته وهذا لا يصح لانه لا يملك التبرع بحق الصغيرة ولا بحق الكبيرة بغير
رضاها وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للازواج وكذا قوله تعالى ولا تنسوا
الفضل بينكم اي فضل الرجال على النساء ندب الزوج الى اكمال المهر اظهارا للمروة ٥
واعتبارا بالفتوة ان الله بما تعملون بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم
حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها والامر بها في تضاعيف
احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى
اي الصلاة المتوسطة بين الصلوات الخمس ثنتان نهاريتان وثنتان ليليتان
وهي صلاة العصر لما روي انه عليه السلام قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم نارا وانما افردت وعطفت على الصلوات
لانفرادها بالفضل لكونها اشق لاشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم قيل معنى
الوسطى الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وقرئ والصلاة الوسطى بالنصب على
المدح والاختصاص وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين له تعالى في قيامكم والقنوت
الذكر في القيام وقال زيد بن ارقم كنا نتكلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يكلم احدنا
صاحبه في الصلاة لحاجته حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي ساكتين فان خفتم
من عدو او غيره فرجالا اي فحافظوا عليها في حال الخوف ايضا ولا تؤخروها وصلوا
رجالا وهو جمع راجل وهو القايم على الرجل او رجل بمعناه ويجوز لهم اداؤها بالجماعة
او ركبانا جمع راكب ولهم ان يصلوا قعودا بالايماء ويسقط عنهم التوجه
الى القبلة ولا يجوز ان يصلوا بالجماعة عندنا ولا في حال المشي والمسابقة ما لم يمكن
الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال اخذا بما في هذه الاية من الاطلاق
فاذا امنتم اي زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلاة الامن والذكر اسم الصلوة كما
علمكم اي صلوا طايفة واحدة من غير انصراف وفي حالة الخوف يصلون جانبين
فتنصرف كل طايفة الى العدو وعند تمام الركعة على ما ياتي بيانه في سورة النساء
باذن الله تعالى ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا قدم تفسيره وصية لازواجهم قرئ وصية بالنصب
على تقدير حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا او كتب الله عليهم وصية
ويؤيده قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم الخ وقرئ بالرفع على تقدير ووصية
الذين يتوفون او حكم الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون منكم اهل وصية

نارا

او كتب متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة
من قرأ متاع لازواجهم لانه بمعنى التمتيع غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا
القول غير ما تقول او بدل من متاع او حال من الازواج اي غير مخرجات
والمعنى يجب على الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركتهم ولا يخرجن من مساكنهن
وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا ٥
ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع او الثمن والناسخة وان كانت متقدمة ٥
في التلاوة لكنها متاخرة في النزول والسكنى لها بعد ثابتة عند الشافعي خلافا
للحنفية فان خرجن من البيت من غير اخراج الورثة او من العدة بانقضاء الحول
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف من التزين لطلب
الزوج على وفق الشرع فهذه الاية متقدمة في النزول وان كانت متاخرة ٥
في الترتيب ولهذا المعروف نكرها هنا وعرفها فيما سبق وفيها دلالة على انها
لا يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه بل هي مخيرة بينها واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها وهذا من تمام ما كان في بدء الاسلام والله عزيز اي ينتقم
ممن عصاه حكيم نصيب فيما حكم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين
عم المطلقات باستحباب المتعة لهن بعد ما خص واحدة منهن به وهي غير المدخول
بها كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد
بانه تعالى يبين لعباده ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا من الاحكام والدلايل
لعلكم تعقلون لتعقلوا اي لتستعملوا عقولكم في تدبرها والتفكر فيها لاستنباط غير
المنصوص من النصوص الم تر كلمة تجري مجرى المثل في التعجيب يخاطب بها من لم ير
ولم يسمع لان تقدمها وهي تعجيب لمن سمع بالقصة من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب
من شانهم والخطاب لكل احد الى الذين خرجوا من ديارهم روي ان اهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا و
ويعلموا انه لا مفر من حكم الله تعالى وقضائه وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف كثيرة
واختلف في عددها لا يجدي وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة
بان الموت اذا لم يندفع بشيء ولم يكن منه بد فاولى ان يكون في سبيل الله والدليل

بعام

عليه الامر بالقتال بعده **وهم الوف** الواو للحال **حذر الموت** مفعول له **فقال**
لهم الله موتوا اي اماتهم الله تعالى بالامر التكويني دفعة واحدة على خلاف العادة
ثم احياهم اي اماتهم موت عقوبة او تنبيه لا موت انقضاء الآجال ثم احياهم
ليستوفوا بقية اعمارهم **ان الله لذو فضل على الناس** حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون من اقتصاص خبرهم كما بصر اولئك بالاماتة والاحياء وحيث احياهم
ليعتبروا ويفوزوا ويتيقنوا بالبعث **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اي لا يشكرونه كما ينبغي
ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وكان مقتضى الظاهر الاضمار وانما اعيد الاسم
الظاهر لما فيه من الايماء الى سبب الغفلة عن النعمة **وقاتلوا في سبيل الله** عطف في المعنى
على الامر لانه في المعنى انظروا وتفكروا وقيل لما بين ان الفرار عن الموت غير نافع وان
المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب ويرد
عليه انه تعالى نهى عن القاء النفس الى التهلكة ولو لم يكن في الاحتراز نفع لما نهى عنه
واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون **عليم** بما يضمرونه فيجازيهم
بحسبه **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره
والذي صفة ذا او بدله واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
قرضا حسنا اقراضا حسنا بخلوص النية وطيب النفس بلا من ولا اذى او مقروضا
حسنا بكونه حلالا طيبا وقيل المراد من قرض الانفاق في سبيل الله تعالى ويؤيده
انها نزلت في ابي الدحداح حين تصدق بحديقة له **فيضاعفه** فيضاعف جزاءه
له اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام حملا
على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرئ فيضعفه بالرفع
والنصب **اضعافا** جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول
الثاني على تضمين يضاعف معنى يصير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر
وجمعه للتنويع **كثيرة** كثرة لا يقدر قدرها الا الله **والله يقبض** لشخص **ويبسط** لآخر
ويقبض في حال ويبسط في اخرى حسبما اقتضته حكمته فيقبض اذا اقتضى حتى لا طاقة
ويبسط اذا انبسط حتى لا فاقة اي لا تخافوا الاقلال بالانفاق ولا تظنوا ان السعة
بالامساك فان الله تعالى هو الموسع والمضيق لا الامساك ولا الانفاق فهو لا يعد اعلمهم
الاقراض **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم وفيه تنبيه على ان الغني يفارق
ماله بالموت فليبادر الفوت **الم تر الى الملإ من بني اسرائيل** الملأ الجماعة

الاشراف يجتمعون للتشاور وقيل هو من الملاء التي هي القدرة فهم قوم لا حاجة
الى الزيادة عليهم فيما اجتمعوا القدرة فيتم عليه لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء **اذ قالوا لنبي لهم** اختلفوا فيه
والاشهر الاظهر انه اشمويل من نسل هرون عليه السلام **ابعث لنا ملكا** انهض
الينا ملكا **نقاتل في سبيل الله** نقاتل بالنون والجزم جواب الامر وقرئ بالرفع حالا
اي ابعث لنا مقدرين القتال او استئنافا كانه قيل كيف تصنعون بالملك فقالوا
نقاتل في سبيل الله وقرئ بالياء والجزم جوابا وبالرفع صفة لملكا **قال هل عسيتم ان**
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا معنى الاستفهام في هل التقرير وتثبيت ان المتوقع
كائن وانه مصيب في ظنه وتوقعه كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان وخبر عسيتم
الا تقاتلوا والشرط اعتراض بينهما وجوابه محذوف يدل عليه بقوله عسيتم
اي ان كتب عليكم القتال خفت ان تجبنوا ولا تقاتلوا اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا
اي اتوقع منكم الجبن عن القتال فادخل هل للتقرير السابق ذكره **قالوا وما لنا ان**
لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا اي داع الينا الى ترك القتال وقد
عرض لنا ما يوجبه من الاخراج عن الديار **وابنائنا** اي منفردين عنهم على تضمين
الاخراج معنى الانفراد والديار ابلغ من الاوطان لان الاخراج عنها من الدلالة على
استيلاء العدو على املاكهم واما ذكر الابناء دون الاولاد المنتظمة للبنات فلعدم
استئناس العرب بهن فلا يشق الانفراد عنهن بل هم ربما يموتون عن انتسابهن اليهم
فلا يرضون لاظهار التعلق بهن ومن لم يتنبه لما ذكرنا ورد في تفسيره الاوطان
بدل الديار والاولاد بدل الابناء ولم يدر ما فيه من سوء الادب حيث اوهم تفضيل البديل
على المبدل ومن احسن من الله قيلا وليس كلام المجيد بلا نقص ما يأتي اخر لا بد من
التنبيه له ايضا وهو انهم عللوا القتال بما يرجع الى حظوظهم بحذو لو او قالوا كيف لا نقاتل
وقد عصوا الله وخربوا بلاده وقهروا عباده لوفقوا روي ان جالوت ومن معه من
العمالقة كانوا يسكنون ساحل البحر بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل
فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم **فلما كتب عليهم القتال تولوا** لما قالوا ذلك دعا نبيهم
الله تعالى وسأل لهم ملكا فاجابه الله تعالى الى ذلك ونصب لهم طالوت ملكا وفرض عليهم
القتال وكان فيهم طاغية هو الذي دعاهم الى ذلك فنافقوا وكانوا يرجون ان يعطى
عليهم فلما سأل الله تعالى عنهم نكصوا على اعقابهم وكرهوا فالفاء في قوله فلما كتب عليهم

امبراع

تلوا

نصيحة والقول الآتي ذكره متقدم وقوعا وان كان موخرا ذكرا الا قليلا منهم
ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم وتسجيل
عليهم بالظلم في القعود عن القتال ولذلك وضع الظاهر موضع المضمر وقال لهم
نبيهم ان الله قد بعث لكم صرح بنسبة البعث الى الله تعالى تعظيما لشأن المبعوث
وردعا لذهاب الوهم الى ان يكون تعيينه عن ميل ونسبة اليه طالوت
علم عجمي كجالوت فامتنع عن الصرف للعلمية والعجمة وقيل انه من الطول لما وصف به
من البسطة في الجسم وامتناعه عن الصرف يابا عن ذلك الا ان يقال اسم عبراني
وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وشيما لاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم
فهو على هذا فعلوت من الطول اصله طولوت كما لو كان عربيا ملكا روي ان نبيهم
دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم
فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا اي بمعنى كيف كما في قوله
انى يؤفكون استبعدوا تملكه عليهم والواو في ونحن احق بالملك منه واو الحال
وفي ولم يؤت سعة من المال عاطفة فانتظمت الجملتان في حكم الحال اي والحال
انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له حتى يتشرف به اذا فاته
نسب الملوك وانما قالوا ذلك لان الملك كان في اولاد يهوذا وكان فيهم من سبط خلق
كثير اغنيا وطالوت كان فقيرا من سبط ابن يامين ولم يكن فيهم الملك ولا النبوة
فانها كانت في اولاد لاوي وذكروا البعد عن استحقاق الملك عليهم وجهين احدهما
في الخارج والاخر في نفسه وقدموا ما كان في الخارج اخذا الطريقة الترقي قال
ان الله اصطفاه اختاره عليكم اصل الاصطفا اخذ صفوة الشي والقا ما سواه
اي انه لم يكن له نسب ولا نشب فله فضيلة ذاتية على ما نبه عليه بقوله وزاده
بسطة في العلم قدمه لكونه اقدم في الاعتبار والجسم طولا وعرضا لما انكروا
تملكه عليهم احتج بالجملة التاكيدية المصدرة بان وتقديم المسند اليه وهو الله
على الفعل للتخصيص وتاكيد النسبة الى ان الله تعالى هو الذي اصطفاه عليكم
دون غيره وهو اعلم بمصالحكم منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر خصلتين كالبرهان
وبيان لحكمته في اختياره هما اولى في باب الملك واولى بالعناية من النسب والمال
وهما العلم والجسامة ليتمكن من معرفة امور السياسة ويكون اعظم خطرا في القلوب
واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب واطلق العلم ووصفه بالبسطة

وفي الجسم ليندرج العلم الذي طلبوه لاجله وهو المعرفة بامر الحروب والله يؤتي
ملكه من يشاء قدم المسند اليه لافادة الاختصاص اي الملك له خاصة غير
منازع فيه فهو يؤتي ملكه من يشاء دون غيره بسبب استصلاحه لذلك
والله واسع اي واسع الفضل والعطا يوسع على من له سعة من المال ويغنيه
عن الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وان لم يكن من نسل الملوك فقوله واسع رد لقولهم
ولم يؤت سعة من المال كما ان قوله ان الله اصطفاه رد لقولهم ونحن احق بالملك منه
يعني انه اصطفى نسل من تنسبون اليه وليس الملك كالمستعير وقوله عليم تكميل لحسن
رد لعلي انا اصطفاه واتاه عن علم وحكم لا عن جهل وسعة وقال لهم نبيهم لما طلبوا
منه حجة على ان الله تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
صندوق التورية فعلوت من التوب بمعنى الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشيا
فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب
غير معروف فلا يترك المعروف اليه ومن قراه بالها فلعله ابدله منه كما ابدله
من تا التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة فيه سكينة ما به تسكنون اليه
من ربكم اي من فضله والضمير للتابوت او للاتيان لقوله وبقية فانها تاتي عنه والبقية
من الشي الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم
في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وذلك لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده
وافضله مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة
هرون والال مقحم لتفخيم شانهما كما في قوله عليه السلام يا ابا موسى لقد اوتيت مزمارا
من مزامير آل داود تحمله الملائكة حال عن التابوت قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عليه
السلام فنزلت به الملائكة وهم ينظرون ان في ذلك اي في اتيان التابوت والملائكة
تحمله لاية عظيمة لكم ان كنتم مؤمنين من تمام كلام النبي عليه السلام لان المقام لا يحتمل
الخطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قيل هنا جمل محذوفة اي فاتاهم
التابوت واقروا لطالوت بالملك وتاهبوا للخروج فالفا فصيحة والبا في بالجنود
للملابسة اي ملتبسا بالجنود سوا كان فصل لازما بمعنى انفصل عن بلده او متعديا
بمعنى فصل نفسه عنه فان الفصل في المتعدي والفصول في اللازم لغتان مثل وقفه
وقفا ووقف وقوفا والجنود جمع الكثرة للجند والاجناد جمع القلة له والجند الجيش
الاشد انه ماخوذ من الجند وهو الارض الغليظة الشديدة وروي انهم لما فارقوا

بلدهم سلكوا مفازة وكان الوقت قيظا فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا قال
طالوت ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه وكان في جند
طالوت المخلص والمنافق فيميز بينهما بالابتلا كالذهب والفضة فيهما الخبث فيميز الخالص
من غيره بالنار والنهر بفتح الهاء وتسكينها المجرى الواسع للماء وكل ثلاثي حشوه حرف
حلق فتسكينه وفتحه لغة كالشعر والنهر والداب فمن شرب منه فليس مني اي
فليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما
ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني الطعم الذوق ويقع
على الاكل والشرب الا من اغترف غرفة بيده الغرف اخذ الماء باليد كالكف والغرفة
بالفتح المرة من هذا الفعل والغرفة بالضم قدر ما يغرف بالكف من الماء واصل الغرف
القطع ومنه الغرفة التي في العلية قطعة من البنا استثنا من الشرب الممنوع هذا
النوع وانما قدمت عليه الجملة الثانية لأن مدلولها مفهوم منه بطريق الدلالة وانما
ذكرت تتميما للجملة الاولى بما فيها من الترغيب الى الانتهاء بالنهي المذكور فحقها ان تذكر
عقيبها قبل الاستثنا المزبور وطالوت اذ كان نبيا فله ان يعرف ذلك بالوحي والا
فبالالهام او باخبار من النبي فشربوا منه اي كرعوا فيه اذ الاصل في الشرب
منه ان لا يكون بواسطة وتعميم الاول ليتصل الاستثنا وقرئ الا قليلا منهم بالنصب
على الاستثنا وبالرفع على انه تابع للمرفوع قبله لان الكلام اذا كان موجبا جاز فيما
بعد الا النصب وهو الافصح والاتباع لما قبله ان كان رفعا فرفع او نصبا فنصب
او جرا فجر وليس هذا من مواضع وليس هذا من مواضع الميل الى المعنى والاعراض
عن اللفظ جانبا والقليل على ما قيل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما جاوزه
هو اي قطع طالوت النهر والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه وفي التعبير
عنهم بما ذكره دلالة على ان المخالفين لم يكونوا مخلصين في دعوى الايمان وانما زاد قوله
معه لافادة معنى المتابعة اياه والموافقة له وكانوا افترقوا فرقتين كل فرقة
ما يليق بشانه وعدم العطف بين القولين لعدم جمعهما مقام واحد ومساق
كلام واحد قالوا اي الذين اخذوا على ما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما كانهم
قالوا انما قالوا اعتذارا في التخلف وتخذيلا للمتدين على القتال لا طاقة لنا اليوم
بجالوت اي بقتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم وفي عبارة الجنود دلالة
على هذا على ما بيناه فيما سبق قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله الظن على

حقيقته ومعنى ملاقوا الله انهم يستشهدون وينتفي ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال
وصدقهم في عزمه او بمعنى الايقان اي يوقنون بالبعث على ان معنى ملاقوا الله انهم
راجعون اليه في القيامة ومجزيون باعمالهم يومئذ وعلى هذا المعنى من الملاقاة
يجوز ان يكون الظن على اصله ويكون القصد الى انه يكفي في هذا العمل فكيف باليقين
كم من فئة قليلة كم خبرية كثير ومن مبينة او مزيدة للتاكيد والفئة الفرقة من الناس
من فاوت راسه اي شققته او من فاء اذا رجع غلبت فئة كثيرة كم مبتدأ خبره غلبت
باذن الله بتيسيره وهذا التحريض على القتال واستشعار بالنصر والله مع الصابرين
بالنصر والاثابة تحريض على الصبر في القتال ولما برزوا لجالوت وجنوده المبارزة
في الحرب ان يظهر المحارب لقرنه بحيث يراه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الافراغ
صب السيال استعير للكمال لذا الاكثار وثبت اقدامنا اي في المعركة كيلا تزل ولا تزول
وانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم واسنهم منا التجاؤا الى الله بالدعاء وفيه
ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم
في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا ثم اشاروا بتوصيف
القوم بالكافرين الى انهم يطلبون النصر لا الانتقام منهم بتطهيرهم بل لانهم كفاره
واعداء الدين فهزموهم باذن الله فضيحة وقتله مصرا اي فاستجاب الله دعاءهم
ونصرهم فالهزيمة دفع الشيء بعنف حتى يدخل بعضه في بعض والانهزام خشية
يخرج بها الجمع ويدفع بعضه على بعض باذن الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت
لم يبين الله تعالى كيفية القتل الا انه اشار في سياقه الى انه كان بسهولة واتاه
الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود عليه السلام على ملك والحكمة
النبوة اذ بها وضع الامور مواضعها فلما مات ملك طالوت ونبوة نبيهم فجمع له كلتيهما
وكان قبله الملك في سبط والنبوة في سبط وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام
الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا ان الله
تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويمنع فسادهم بذلك لفسدت الارض لعم فساد
الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولكن الله يبسط الفضل على العالمين بنصر
المصلحين على المفسدين تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود عليه السلام جالوت نتلوها
عليك بالحق بالصدق واليقين الذي لا ريب فيه لاهل الكتاب الذي في كتبهم كذلك

وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير قراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل
اي المذكورة في السورة كلها او المعلومة بالوحي فضلنا بعضهم على بعض بحسب رتبهم
في الزلفى وتفاوت مراتبهم في الاصطفا منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل اي خاطبه
الله تعالى بكلامه الازلي بلا واسطة وهو موسى عليه السلام لقوله تعالى وكلم الله
موسى تكليما ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب
متباعدة وهو محمد عليه السلام المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوت احدهم والابهام
لتفخيم شانه كانه العلم المعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وتنكير درجات
بعضهم في تعظيم شانه واتينا عيسى بن مريم البينات خصه بالتعيين لافراط
اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها
ايات ظاهرة وبينات باهرة لم يستجمعها غيره وايدناه بروح القدس قد مر
تفسيره ولو شاء الله ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد هولا الرسل
من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتشعب
مذاهبهم وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا اي ما شاء لا اقتضاه حكمه فمنهم
من امن لالتزامه دين الانبياء عليهم السلام بتوفيقه ومنهم من كفر لاعراضه عنه
بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد لكون الامور بمشية الله تعالى ولكن
الله يفعل ما يريد من تخصيص بعضهم بالسعادة والايمان وبعضهم بالشقاوة والكفر
فان قلت الاستدراك لا بعد لاستعمال كلمة لو على قاعدة العربية ان يذكر انتفا
الشرط لثبت انتفاء الجزا اي لكن لم يشا عدم الاقتتال فاقتتلوا وعلى قاعدة
الاستدلال ان يذكر انتفا الجزا ليعلم انتفا الشرط اي لكونهم اقتتلوا افعلم انه لم يشا
عدم الاقتتال فما وجه قوله ولكن الله يفعل ما يريد قلت معناه لكنه لم يشا عدم
الاقتتال بل ثبوته فثبت لانه يثبت ما يريده ايا ما كان فيل يوفق من يشا فضلا ويخذل
من يشا عدلا ويدية عليه انه يكون الخذلان عن باعث فتقتيد ارادته المتعلقة
به وبنا التقسيم المستفاد مما ذكر والاية دليل على ان الانبيا عليهم السلام ولو كانوا
اولي عزم من المرسلين متفاوتة الاقدام كما انه يجوز تفضيل بعضهم
على بعض على التعيين فلا دلالة له عليه في الاية دليل على ان الانبيا عليهم السلام
ولو كانوا اولي العزم من المرسلين متفاوتة الاقدام نعم يجوز ذلك اذا وجد
دليل ناسخ لانه مما يتعلق بالاعتقاد دون العمل حتى يكتفى فيه بالظن وانه انوذ

به ارادة الله تعالى فعلا كان اوتركا خيرا كان او شرا يقع واما ان كل ما يقع انما
يقع بارادة الله تعالى فلا دلالة فيها انما علم ذلك من موضع اخر يا ايها الذين امنوا
انفقوا مما رزقناكم اراد به الواجب من الزكاة لظاهر الامر واتصال الوعيد به من
قبل ان ياتي يوم لا بيع لا كسب فيه لانه يوم جزاء لا يوم عمل وعبر عن كل المكاسب تجليا
ولا خلة لان الاخلاء بعضهم لبعض عدو يومئذ فان قلت الا في زمرة المتقين مستثنا
منهم قلت بلى لكن الوعيد في حق من ترك الانفاق الواجب فالاستثنا المذكور لا يجديه
ولا شفاعة يعني ان تدارك ما فاتكم من الانفاق ابا يا لا اذ ابعد الحصول بطريق
المعاملة والمخالة واما بالاجرا والسبيل الى شي من ذلك اذ لا كسب ولا خلة ولا
شفاعة عن ضو شافي اسقاط حقوق العباد واما ان الشفاعة لا تكون الا في زيادة
الفضل فطريقة الاعتزال الموضح بيانه وما خرج عنه في علم الكلام وانما رفعت ثلاثتها
مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها
من فتحها على الاصل والكافرون اي التاركون للزكاة وانما عبر عنهم بالكافرين تغليظا
عليهم وزجرا لهم كما في اخر اية الحج حيث شبه فعلهم الذي هو ترك الزكاة بالكفر
او جعل مشارفه على الكفر او تعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل ترك الزكوة
في موضع اخر من صفات الكفار ولوازمهم فهو على الاول استعارة تبعية او مجاز
مشارفة وعلى الثاني كناية او مجاز لزوم هم الظالمون لانهم الذين ظلموا انفسهم بترك
الانفاق الواجب وصرف المال الى غير وجهه ووضعه في غير موضعه الله لا اله
الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وقيل خبر الحي القيوم ولا اله
الا هو معترض بينهما والمراد من الحياة في حقه تعالى البقاء الذي لا سبيل اليه للفنا
مجازا وذلك ان الحياة بحسب اللغة عبارة عن قوة مزاجية تقتضي الحس والحركة
ولا صحة لها في حقه تعالى فلا بد من المصير الى المعنى المجازي المناسب له وهو البقا
وانما وصفناه بما ذكر لانه مستند الى ذاته تعالى فلا يمكن زواله واما الذي ذكره
المتكلمون من قولهم الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر فمعناه الاصطلاحي الحادث فلا
يسوغ حمل ما في الكلام القديم عليه حيث لا يعرفه اهل اللسان وقت نزول القران
وقد رد صاحب الكشاف مثل هذا في تفسير قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم
فتحرز هنا والقيوم القائم بذاته المقوم لغيره وقيل الدائم القيام بتدبير
الخلق وحفظه فتعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه الاخذ التناول

ومنه اخذ الشارب قصه وقطع شي من شعره **سنة** السنة تثقل من النعاس وفتور يعتري المزاج قبل النوم وكانت بداخلة في حد النوم على ما دل عليه قول عدي ابن الرقاع
وسنان اقصده النعاس فرنقت ❊ في عينه سنة وليس بنائم ❊ ولا دلالة فيه على ان السنة هي النعاس كما توهم **ولا نوم** النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا اي لا يعتريه ما يعتري المخلوقين من الغفلة والملالة والفتور في حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم والسنة فالجملة بيان للقيوم فانه مهيمن على من يقوم به غير غافل عنه وتاكيد لكونه حيا فان من اخذه سنة او نوم كان مؤوف الحياة ولذلك ترك العاطف فيه وتقديم السنة على النوم على قياس المبالغة والترقي فان سلب السنة وان كان ابلغ من سلب النوم لكن سلب اخذها ليس بابلغ من سلب اخذه لانه من القوة فمن يقدر على دفعها قد لا يقدر على دفعه فمن وهم ان قياس المبالغة عكسه فقد وهم حيث لم يفرق بين سلبهما وسلب احدهما وايضا السنة من دلايل النوم ومقتضيات سببه السابقة عليه فنفي النوم بعد نفيها باعتبار انه يستلزم نفي سببه يكون ابلغ واما نفي السنة فقد حصل بالحي القيوم على المعنى المراد منهما **له ما في السموات وما في الارض** بيان وتقرير لنفي السنة والنوم لان الذي يملكهما وما فيهما يحفظهما وما فيهما بتدبيره فلا يمكن ان يتناوم ولا ان ينام عن النظام ولهذا ترتب على ما قبله من غير حرف عطف ولو كان تقريرا للقيومية كما قيل لاتحد مع ما قبله في هذه الجهة فكان حقه ان يترتب عليه بحرف العطف والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن ولما ذكر ما الكنه للكلام بين ذلك بقوله **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** اي بلغ ملكه وكبرياؤه انه لا يتمكن احد ان يتكلم يوم القيمة الا من اذن له في القول لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ثم بين ذلك بقوله **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** اي ما كان قبلهم وما يكون بعدهم فكيف يجادلهم من احاط علمه باحوال الخلق كلها يعلم المستوجب للشفاعة وغيره والضمير لما في السموات والارض لان فيهما العقلاء او لما دل عليه من ذا من الانبياء عليهم السلام **ولا يحيطون بشي من علمه** اي معلومه فان اسم المصدر يقع على المفعول كما في الدعاء اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بعلم من يستحق الشفاعة وغيره وانما فصل المعطوف عليه

عما قبلهما لما اشرنا اليه من انه مبين لما قبله وانما عطف على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته فلا يظهر وجه الفصل المذكور كما لا يخفى **الا بما شاء** ان يعلمهم به من المعلومات **وسع كرسيه السموات والارض** بيان لشمول علمه واحاطته وسعته وبسطته وانه لم يعزب عن السموات والارض على سبيل التمثيل والتخييل وتصوير لعظمته بالصورة الحسية ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين قيل تصوير لعظمته وتمثيل وعلى هذا لا يظهر وجه الفصل عما قبله وعلى ما ذكرنا قد ترتبت الجمل الخمس متاخية وتمام كل منهما تبين ما ترتبت عليها مقررة لمعناها فلا سبيل للعاطف بينهما لكمال الاتصال بين معانيها وعن الحسن الكرسي هو العرش وقيل انه تعالى خلق كرسيا بين يدي عرشه دون السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شي وعرش الخالق الجالس عليه والكرسي لوضع القدمين عليه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما ان بيت الخالق المسكني فيه والله تعالى جعل الكعبة بيته وتعالى ان يسكنها انما المراد بيان ان ما في السموات والارض لا يغيب عنه كما لا يغيب عمن جلس على السرير ما تحت قدميه واصل الكرسي في اللغة هو المتراكب والكراسة سميت بها لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرسي البعر والبول اذا تلبد بعضه على بعض **ولا يؤده** ولا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** حفظ السموات والارض وانما ثنى مع ان السموات والارض جمع نظرا الى الجنس والاود الاعوجاج الذي يعرض من الاعتماد عليه بالثقل **وهو العلي العظيم** اسمان جامعان لكمال التوحيد فالعلي هو المتعالي عن الصفات التي لا تليق به والعظيم هو الموصوف بكل الصفات التي تليق به قيل تذاكر الصحابة رضي الله عنهم افضل ما في القران فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وفيه نظر لان قوله سيد البشر ادم وسيد العرب محمد يفصح عن تفضيل ادم على محمد عليهما السلام وهو خلاف ما انعقد عليه الاجماع ه وما ورد في الحديث الصحيح من قوله عليه السلام انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ويمكن ان يقال ان ادم عليه السلام سيد البشر في الدنيا ومحمد عليه السلام سيد البشر في الاخرة على ما افصح عنه بقوله انا سيد

ولادام في التيه ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي اخرجه صاحب
المصابيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهم ولا اخفاء في ان السيادة في الاخرة راجحة
على السيادة في الدنيا فالتفضيل لنبينا عليه وعلى سائر الانبيا الصلاة والسلام وانما
فضلت اية الكرسي لاشتمالها على توحيد الله تعالى وصفاته كما فضلت سورة الاخلاص
لاشتمالها على التوحيد الذاتي فان شرف العلم لشرف المعلوم والموضوع ولا معلوم
اجل واعلى من الله تعالى ولا مذكور اعظم واكمل فلا ذكر اشرف ولا افضل منه لا اكراه
في الدين اي لا الزام في الدين الحق وهو الاسلام بما يضطره الى قبوله اذ الاكراه في الحقيقة
انما يكون بحمل الغير على ما لا يرى فيه خيرا فعلا كان او تركا قد تبين الرشد من الغي
استيناف تعليلي فلا وجه لتقدير ولكن اي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت
الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة
السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة
والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين
وهو اما عام منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص
باهل الكتاب لانهم حصنوا انفسهم وادوا الجزية وروي انه كان لانصاري
ابنان تنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الانصاري ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما والغي ضد الرشد
يقول غوى يغوي غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد فمن يكفر بالطاغوت
بكل معبود سوى الله ولا يلزم اطلاق الطاغوت على عزير وعيسى والملايكة عليهم
السلام لانتفاء ذم ما عبد وهم في الحقيقة بل عبدوا الشيطان على ما ياتي
تفصيله في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وبهذا
التفصيل اتضح فساد ما قيل والطاغوت كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم
في نفسه ولا يرد عليه عيسى عليه السلام لانا قيدنا بالذم لعدم الحاجة حينئذ
الى زيادة القيد المذكور بل لا وجه له كما لا يخفى وتبين الخلل فيما قيل بالشيطان
او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله تعالى والطاغوت من
الطغيان وهو مجاوزة الحد في الشر واصله طغيوت مقلوب من طغوت على وزن
فعلوت قلبت ثم جعلت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويؤمن بالله عدي فعل الايمان

بالبا والمقصود التصديق وهو متعد بنفسه لانه نقيض الكفر المتعدي بالبا ومن
دابهم حمل النقيض على النقيض فقد استمسك اي تمسك عن قصد وطلب والفعل
الاختياري اذا كان مسبوقا بذلك يكون حصوله على اوكد وجه ولهذا اوثر هذه
الصيغة في مقام المبالغة ومن لم يتنبه لهذا اتى في تفسيره طلبا الامساك من نفسه
بالعروة الوثقى بما هو اوثق من المتمسكات المحكمة المامونة انقطاعها والظاهر
ان الاستمساك بالعروة الوثقى كالاعتصام بالحبل المتين مثل في كل اعتقاد مطابق
لا يحتمل النقيض فهو تشبيه للمعقول المعلوم بالبرهان بالمحسوس المشاهد
ولا مجاز ولا استعارة في مفرداتها والقول بالاستعارة في المفردة تنزيل
للكلام عن الدرجة العليا الى الدرجة العالية كما لا يخفى عن من له كعب عال في صناعة
البلاغة لا انفصام لها الفصم بالفا القطع بلا ابانة والقصم بالقاف القطع بالابانة
ونفي الاول ابلغ من نفي الثاني كما ان اثبات الثاني ابلغ من اثبات الاول فتامل والله
سميع بالاقوال عليم بالعزايم والعقايد وهو ابلغ وعد ووعيد في غاية الناس وتدرج
تحت التهديد في حق المنافق الله ولي الذين امنوا ناصرهم ومتولي امورهم يخرجهم
بالتوفيق والتاييد من الظلمات من ظلمات الشبه والشك والضلال الى النور
الى نور اليقين والمعرفة والهداية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين
يخرجونهم بالاغوا والوسوسة من النور الى الظلمات من نور البينات الى ظلمات الشك
والشبه او ولي الذين ارادوا الايمان يخرجهم بالهداية والتوفيق من ظلمات الكفر
الى نور الايمان والذين ارادوا الكفر يخليهم مع شياطينهم الذين يغوونهم يخرجونهم
من نور البينات والدلايل الواضحة الى ظلمات الكفر والشبه جمع الظلمات ووحد
النور لان الباطل متعدد والحق واحد اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون
وعيد وتحذير وفيه دلالة على ان في مقابله من الوعيد والتبشير ولهذا اكتفي به
عنه ولعل لم يكن محافظة على الفاصلة الم تر الى الذي حاج ابرهيم تعجيب من
محاجة نمرود في ربه يجوز ان يعود الضمير على ابرهيم عليه السلام الا ان الراجح
ان يعود على الذي حاج لان سياق الكلام فيه على وجه التعجيب عن حاله ولا يتضح
ذلك ان اتاه الله الملك مفعول له اي لان اتاه الله الملك يعني ابطرته النعمة
وحمله الملك على العتو والكفر فحاج لذلك او وضع المحاجة مكان ما وجب عليه
من الشكر فيكون لامر التعجيب على هذا الوجه اقوى او ظرف اي وقت ان اتاه

الله الملك وهو حجة على منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة والجواب بان المراد ايتاء
الاسباب لا يشفي كما لا يخفى على ذوي الالباب وكذا ما قيل ملكه امتحانا اذ ما من قبيح
الا ويمكن ان يكون فيه غرض صحيح مثل الامتحان **اذ قال ابرهيم** نصب على الظرف بحاج
على الاول وبدل من اتاه الله على الثاني **ربي الذي يحيي ويميت** اي يحيي الاموات ويميت الاحياء
قال انا احيي واميت اي اعفو عن القتل واقتل فاعرض ابرهيم عنه عليه السلام وان كان
يتيسر عليه ان يقول له ليس هذا باحياء ولا اماتة لكن كان عند طائفة من الناس لجهلهم
الضعفة فاراد ابرهيم عليه السلام ان ينقضه نقضة ظاهرة لا تخفى على احد فجاء
بما لا يمكنه المعارضة بالتلبيس فيه بهذا التفصيل اندفع ما قيل انه كان ينبغي للنبي ان ينتقل
بل كان عليه ازالة الشبهة دفعا لوهم الافحام واجيب بان ذلك انما يكون اذا كانت
للشبهة قوة والتبس على السامعين واما في الشبهة الواهية فيحسن الاعراض عنها
وعدم الالتفات سيما مع المجادل الاحمق على انه عليه السلام ما اعرض عن الاعتراض
اعراضا كليا بل تعرض له اجمالا **قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق**
فات بها من المغرب حيث اتى بالقاء النصيحة عن كلام منقذ يناسب المقام كانه قال
لا يجديك هذا التلبيس في المادة المذكورة فان استطعت فتزود بفعل لا مجال للتلبيس
في معارضته فيه ولا مجال له لان يقول انه ليس من فعل ربك ايضا كما انه ليس من فعلي
لانه ليس من الدهرية بل معترف بالحاجة في العالم الى الرب ولهذا ادعى الربوبية
فبهت الذي كفر فصار مبهوتا اي تحيره والبهتان على انسان هو الافتراء الذي يحير اي
انقطع في هذه الالزام الظاهر متحيرا قيل انقطاعه في الالزامين جميعا في الاول
عند العقلاء وفي الثاني عند الكل فان قيل لم لا قال نمرود لابرهيم عليه السلام
فليات بها ربك من المغرب قلنا لانه لو قال ذلك فعل الله لما راى منه بعض
الخوارق فان هذه المحاجة كانت بعد خلاصه عليه السلام من النار فعلم اللعين
ان من قدر على ذلك قدر عليه قال الحسن قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاتين بها
من المغرب تصديقا لقول خليلي **والله لا يهدي القوم الظالمين** الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج وفيه انه يوهم ان يكون
لنمرود طريقا الى المعارضة في الثاني الا ان الله تعالى لم يهده اليه كما زعم من قال
ان الله تعالى انساه ذلك نصرة لنبيه **او كالذي مر على قرية** اصله او ارايت مثل
الذي مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كليتهما كلمة تعجب ويجوز ان يكون من الكلام

خاف انه وهي

المحمول على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت الذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية
وانما زيد هنا حرف التشبيه لانه سلك طريقة الترقي في التعجب ولا يخفى ان قولك
هل رايت مثل هذا ابلغ من قولك هل رايت هذا ومن لم يتنبه لهذا التزم زيادة
الكاف وانما قصد التكثير بها فلا يناسب المقام انما المناسب له ما ذكرناه والقرية
في مجمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد هنا ايليا بلد بيت
المقدس وكان بخت نصر لما بالجر بها **وهي خاوية** ساقطة يقال خوي البيت بكسر
الواو يخوي خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدودا اذا خلا فلا
يجوز الجمع بينهما والاول لتعين الارادة لقوله **على عروشها** سقوفها واحدها عرش اي
اي سقطت السقوف ثم وقعت الحيطان عليها كما هو الغالب في خراب البيوت **قال**
قيل ظاهر الكلام ان المار القائل كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك واحد
ولكلمة الاستبعاد وانتظامه مع ابرهيم عليه السلام في مثل حاله وهو طلب معرفة
احياء الموتى ترجح انه كان مؤمنا وقوله **انى يحيي** على هذا الاستعظام لقدرة المحيي اعترافا
بالعجز عن معرفة طريق الاحياء والمشهور انه كان عزيرا وقيل الخضر اراد ان يعاين
احياء الموتى ليزداد بصيرة كما اراد ابرهيم عليه السلام ويؤيده هذا ذكر الله واضافة
الاحياء اليه في قوله **هذه الله** الارض **بعد موتها** فانه لو كان الغرض انكار البعث لكان
حقه ان يقول انى يحيي هؤلاء بعد موتها وانى في محل النصب على الظرف بمعنى متى او على
الحال بمعنى كيف والاشارة الى اهل القرية قال القائل بهذا القول ثم ربط حماره ونام
فنزع الله تعالى الروح منه مائة سنة فالقائل في قوله تعالى **فاماته الله** سببية لا للتعقيب
وحماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى العيون عن رؤيته **مائة عام** اي
فالبثه ميتا مائة عام او فلبث ميتا مائة عام **ثم بعثه** بالاحياء **قال كم لبثت** روي انه
ناداه مناد من السماء وقيل القائل هو الله تعالى وثم للفصل فان حق النظم حينئذ
الوصل بالفاء او بثم **قال لبثت يوما او بعض يوم** انما تردد لان نومه كان اول النهار
وبعثه قبل الغروب ولم يدر انه ذلك اليوم او ما بعده وحمل او على الاضراب بخلاف
ستغني عنه **قال المنادي بل لبثت** مكثت **مائة عام فانظر** لما كان الامر بالنظر للتنبيه
على خارق العادة وكان ذلك مبنيا على ما تقدم صدر باداة الترتيب والتفريع
الى طعامك كان طعامه عنبا او تينا **وشرابك** يعني العصير **لم يتسنه** لم يتغير مع انه
في صدد الاخبار عن الشيئين ردة الضمير الى الاقرب بما ذكر الا انه اشنع تغيرا فاكتفى

بذكر حاله عن ذكر حال قريته والمعنى لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وللسكت ان قدرت واوا **وانظر الى حمارك**
ظاهر بانه براي منه على هيئة الحمار غير متغير كالطعام والشراب ولما كان بقاؤه
حيا بلا ماء ولا علف ابعد واغرب اعاد فيه الامر بالنظر واخره على طريقة الترقي
وقيل والاول على الحال والاوفق لما بعده ان يكون المعنى كيف تفرقت عظامه ونخرت
عليه انه لا دلالة فيه على اللبث مائة سنة فاتى بالزيادة في الدلالة وما بعده
ذو الوجهين فلا ترجيح من تلك الجهة وفي تكرير الامر بالنظر الى الحمار مع الامر بالنظر
الى الطعام والشراب دون الامر بالنظر الى العظام حيث فرق بينهما بقوله تعالى
ولنجعلك اية للناس اي فعلنا ذلك لنبين لك الحال ولنجعلك عبرة للناس ودلالة
لهم على البعث اشارة ظاهرة الى ان الحمار من جملة الباقين كالاول لم يمت مع صاحبه
على ما نقل عن السدي وبه اخذ كثير من المفسرين وانما قلنا ان الواو للعطف على
المقدر لان المقام مقام الفصل للتباين بين الجملتين انشاء واخبارا ومن لم يتنبه
له قال اي فعلنا ذلك لنجعلك اية للناس **فان قلت** لابد للحذف من قرينة
قلت نعم ويكفي قوله فلما تبين له قرينة له روي انه اتى قومه على حمار وقال انا عزير فكذبوه
فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها قبله احد فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل
لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخ فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الموتى الذين تعجبت من احيائهم **كيف ننشزها** بالزاي
المعجمة اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وقرئ
بغير المعجمة من الانشار وهو الاحياء واحياء العظم جعلها عمار الاحياء ولما كان اللحم
فضلة لا يتوقف عليه بنية الحياة نبه عليه بكلمة التراخي بقوله **ثم نكسوها**
لحما وهو مجاز عن سترها وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان العظام متفرقة
متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة وكيف منصوب بننشزها والجملة حال
من العظام اي انظر اليها محياة كذا قيل والاوجه ان يكون في موقع البدل من العظام
والتقدير وانظر الى العظام كيفية انشازها على نمط قول الشاعر
الى الله اشكو بالمدينة حاجة * وبالشام اخرى كيف يلتقيان * اي اشكو هاتين
الحاجتين كيفية التقائهما **فلما تبين له** اي ما دل عليه سياق المقال **قال اعلم**
ان الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره وعلم من قوله اعلم دون علمت انه تعجب

بعضا م

دون منكر ولم يكن علم على الامر والامر مخاطبة **واذ قال ابرهيم رب** استعطاف بين
يدي السؤال **ارني كيف تحيي الموتى** كان مؤمنا به ايمان غيب فاحب ان يوقن برهانا
عيانا **قال اولم تؤمن** الواو للعطف على مقدر اي تقول ذلك ولم تؤمن باني قادر على
احياء الموتى باعادة التركيب والحيوة **قال بلى** امنت **ولكن** سالت **ليطمئن قلبي** ليزيد
سكونا بتظاهر الادلة وتضافرها على الضرورة على الاستدلال فانه لا يخلو عن التشكيك
في الضروريات بخلاف الاستدلال والطمانينة السكون والمطمئن من الارض ما انخفض
منها وحكم خطابه تعالى اياه او ايهام الجواب كيلا يغلطوا به عليه السلام شكا
فيه ولقد اجاد فيما قال الفاضل انه عليه السلام لم يسأل عن كيفية الاحياء عن اثبته وهي غير
معلومة استدلالا ولا ضرورة ثم العلم الاجمالي كاف فيما يجب ان يعتقد ويؤمن به في هذا الباب
وقوله عليه السلام في الجواب ولكن ليطمئن قلبي اشارة الى ان العلم التفصيلي اقوى وفيه
حظوظ خاصة للعارف وان العيان وراء ما يدل عليه البرهان ومن هذا التقرير يلوح
تفاوت ما بين كلمتي الخليل وعزير عليهما السلام **قال فخذ اربعة من الطير** قال في المغرب
الطير اسم جمع مؤنث وتذكيرها لواحد من قطرب وكذا حكاه ثعلب عن ابي عبيدة وجمع
طيور وعليه قول محمد في الحج من ذبح الطير المشترك وانما خص الطير من بين سائر الحيوانات
لان للطاير ما للانسان وله زيادة الطيران ولانه هوائي ومائي وارضي فكانت الاعجوبة
في احيائه اكثر وهذا انا العيسى عليه السلام اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير **فصرهن**
اليك اي املهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرئ ابن عباس رضي الله عنهما فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره اذا
جمعه **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال وعبارة
كل في مثل هذا للمبالغة كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء فلا حاجة الى تقييد الجبال
بالتي بحضرتك **ثم ادعهن** قل لهن تعالين باذن الله تعالى **ياتينك سعيا** اسراعا
في مشيهن على ارجلهن او في طيرانهن ذا لنحو في سعيا معنى المبالغة كما في عدل في رجل
عدل روي انه عليه السلام امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها
ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل كذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر
حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه دلالة على فضل الضراعة في الدعاء
وحسن الادب في السؤال وعلى فضل ابرهيم عليه السلام على عزير عليه السلام حيث اراه
في الحال ما اراد ان يراه على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام **واعلم**

انا دم

بان لا بد له من كيفية حاصلة وقوله
تعالى اولم تؤمن اشارة الى ان العلم
٤٤

ان الله عزيز لا يعجز عن شيء بل يتصرف في كل شيء بالقدرة الغالبة حكيم ذو حكمة بالغة في افعاله فلا يصدر عنه خوارق العادات الا لقدر ربانية تقتضيه الحكمة البالغة مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجه يتوسل به الى رضاه تعالى كمثل حبة اي مثل نفقة الذين كمثل حبة او مثل الذين كمثل باذر حبة واعتبار حذف المضاف وتقديره في جانب المشبه او المشبه به ليحصل ملايمة المثل للمثل وان كان التشبيه من المركب الذي لا عبرة فيه بتشبيه المفردات انبتت الانبات فعل الله تعالى وانما اسند الى الحبة مجازا لكونها من الاسباب سبع سنابل اي اخرج ساقا تشعب منها سبع شعب في موضع تمييز السبع مكان جمع القلة وهو سنبلات قد مر توجيهه في ثلاثة قروء في كل سنبلة مائة حبة يعني يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه على انه قد يكون في الذرة والدخن وغيرهما في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت احوالهم ويضاعف في اعمالهم ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر المنفق الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله نزلت في عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى المن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه والتنكير في الموضعين للتقليل وثم للتراخي في المعطوف باعتبار الاثنين وفايدته الدلالة على لزوم الاستمرار على عدم اتباعهم ما انفق بالمن والاذى في استحقاق الاجر المذكور ومن لم يرتبه لهذه الدقيقة الانيقة قال انما للتفاوت بين المعطوفين لهم اجرهم قيل لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا ومبناه الغفلة عن الفرق بين مناط الثواب والذي يعطي اجرا فات الثاني لا يتصور بدون العمل عند ربهم اي محفوظا لا يعتريه الضياع ولا الاهمال لانتظار تحصيله وقت الحاجة ولا خوف عليهم من العذاب والتنكير للتقليل ولا هم يحزنون لنقصان في الثواب قول معروف اي كلام جميل في رد من التمس منك صدقة ومغفرة اي تجاوز عنه اذا الح في السؤال او ستر عليه حاله فلا يعيره بفقره ولا يفضك ستره عند الناس سال اعرابي قوما بكلام فصيح فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الا

الاكتساب يمنع من الانتساب خير من صدقة يتبعها اذى خبر عن مجموع القول الموصوف والمغفرة والتوصيف مما يصحح الابتدا بالنكرة والعطف على المخصص مخصص والله غني عن كل شيء من صدقة وغيرها وانما امركم بها لينتفع بها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء صنيعكم في معاملتكم مع الفقير خصوصا مع الفقير السائلين وعيد شديد لهم وسخط بليغ لما ورد في الحديث القديم نعوذ بالله من غضب الحليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم لا تحبطوا اجرها وتخصيص الخطاب بالمؤمنين لعدم الاحتمال للابطال في صدقات غيرهم لانه فرع الاستحقاق للاجر وهو مفقود فيها بالمن والاذى اي بالمن والاذى كالذي اي مماثلين الذي ينفق ماله رئاء الناس تشبيه من جهة المعنى فان ما تقدم في معنى لا تضيعوا اموالكم بصدقات بالمن مشوبة وبالاذى مصحوبة وهذا في معنى كالذي ضيع ماله بالانفاق رئاء والمشبه به اقوى لانه ضيع ماله ابتدا في زعمه انه ابطاله الانفاق وهو ذا الريا مصدر راي من الرؤية وهو ان يري الناس ما يفعله من جنس البر حتى يثنوا عليه ويعظموه ويظنوا انه من اهل الخير وممن ينفق لوجه الله تعالى وانتصب رئاء على انه مفعول له او الحال بمعنى مرائيا او مصدر اي انفاقا رئاء ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اي لا يعتقد لا بالمبدا ولا بالمعاد فلا حاجة في زعمه الى الزاد وانما قيد به مع تمام الغرض من التشبيه بما تقدم فانه لا ثواب للانفاق رئاء واذا كان المنفق مؤمنا تنفيطا في الزجر للمنفق المؤذي المنان وايما الى ان تلك الحال لا تليق بمن يعتقد بالمعاد والاحتياج الى الزاد واما تخصيص المراد من المشبه به بالمنافق فلا يقتضيه المقام ولا قرينة له في الكلام فمثله اي فلا كان حال المنفق رئاء كذلك فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب تقديم الجار والمجرور لانه بيان لما له اهم فاصابه وابل اي مطر شديد الوقع كبير القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا استيناف كانه قيل ما بال المنفقين رئاء شبهوا بالصفوان المذكور فقيل لا يقدرون اي لا ينتفعون بشيء منه وعلى هذا لا حاجة الى التاويل بان الذي ينفق في معنى الجمع او بان من والذي يتعاقبان انما الحاجة اليه على تقدير ان يكون لا يقدرون حالا من الذي ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يوفقهم لنيل الهداية حتى يهتدوا فالهداية في حقهم في حكم المعدوم وعلى هذا قوله تعالى هدى للمتقين والا فالهداية الى الخير والرشاد تعم الفريقين لقوله تعالى وهديناه النجدين وقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا

واما كفورا وفيه تعريض بان الريا والمن والاذي على الانفاق من اخلاق اهل الكفر
والنفاق فلابد للمومن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم كلمة من اما للتبعيض كما في قولهم هز من عطفه
اي ليثبتوا بعض انفسهم فان من بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه
لان المال شقيق الروح ومن بذل ماله وروحه معا فقد ثبتها كلها واما للابتدا الغاية كما
في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم اي تثبيتا للايمان صادرا من انفسهم لان الانفاق
اماثة ان الايمان عن اصل النفس ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند
المومنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من
انفسهم وهذا يقتضي على التبعيض والابتدا وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق لتزكية
المتفق نفسه عن البخل وحب المال فانه راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة بموضع مرتفع
من الارض والربوة الزيادة ومنه الربا واصابه ربو اذا زاد نفسه في جوفه على عادته
اي ومثل نفقته هولاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا وقد قري كمثل جنة بربوة بالحركات الثلاث اصابها وابل قد مر تفسيره
فاتت اي اعطت وحذف المفعول لان المقصود ذكر ما يثمر لا لمن يثمر اكلها الاكل بالضم
الطعام الذي يوكل والمراد الثمرة ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل وانتصابه
على الحال اي مضاعفا والضعف يراد به الواحد كما يراد بالزوج قال الله تعالى من كل
زوجين اثنين وقيل اربعة امثال ونسبة الاثمار اليها مجازية والفاسبية فان
لم يصبها وابل فطل اي فيطرها صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ولطافة هوائها
والمعنى ان نفقتهم زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم
الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة
فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى ويبذل فيه
الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون بصير ترهيب
عن الريا وترغيب في الاخلاص وانما قال بصير دون خبير تنزيلا لسرائرهم منزلة
الظواهر لعدم التفاوت بالنظر الى الله تعالى ايود احدكم الهمزة فيه للانكار
ان يكون له جنة من نخيل واعناب النخيل جمع نخل كالمعيز جمع معز كالعبيد جمع
عبد والنخل يكون واحدا فيذكر قال الله تعالى اعجاز نخل منقعر ويكون جمعا

نفقات

لنخلة كالنمل جمعا لنملة فيونث قال الله تعالى اعجاز نخل خاوية والاعناب جمع عنب
تجري من تحتها اي من تحت تلك الاشجار الانهار الجاري في الحقيقة مياهها فلابد من
التجوز في المسند او في الاسناد وبالما نماوها وبقاوها له فيها اي في تلك الاشجار
من كل الثمرات كلمة كل للمبالغة في التكثير لا للتحديد والمراد من الثمرات المنافع وقيل
ضمير فيها للجنة جعلها من النخيل والاعناب مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما
لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع
الاشجار وعلى هذا يكون له فيها صفة اخرى للجنة من قبيل الصفة الاولى ولا ينكر
الفصل بينهما بقوله تجري من تحتها الانهار اما اذا كان الضمير للاشجار فظاهر واما اذا
كان للجنة فلانه صفة من جنس اخر واصابه الكبر اي كبر السن واصابته كناية عن العجز
عن الكسب فان الفاقة والحاجة في زمان العجز عن الكسب اشد والواو للحال او للعطف
حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفا
صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار عطف على اصابه او على تكون على اعتبار
المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء ملتفة في الهوى حاملة للتراب
مستديرة كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة بالنار فصارت ثمرها الى الذهاب واصلها
الى الخراب وكما يبقى هو وذريته في الحسرات لانقطاع الاسباب فكذا الكافر والمنافق والمرائي
والمنان والموذي يتحسرون على صدقاتهم يوم يقوم الحساب حين فاتهم الثواب
وحق عليهم العذاب كذلك يبين الله لكم الايات بضرب الامثال لانه اوضح بيانا واوقع
تبيانا لما فيه من تصوير المعقول بصورة المحسوس المشاهدة عيانا لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها والتفكر فيها كناية عن الاعتبار بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من
طيبات ما كسبتم الطيب ورد الحلال لان الحلال يجامع الكراهة والطيب ما لا حظر فيه لا بسبب
الحرمة ولا بسبب الكراهة وما كسبتم ينتظم انواع ما يملك باسباب الكسب من التجارة
والزراعة وغيرهما ومما اخرجنا لكم من الارض يعني بلا مؤونة كسب منكم ودل على
ذلك اضافة الاخراج الى نفسه تعالى دون المتقين وقد اضاف قرينه السابق اليهم
والمراد منه المباحات التي يملكها بالاحراز ولا حاجة فيه الى قيد الطيب لعدم الحظر
فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال الله تعالى ومما عطفه على الطيبات دون وما عطفا
له على مدخولها ومن لم يتنبه لهذا قال اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر
والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولم يدر ان فتح حقه عدم زيادة من كلمة الخارج

الى التقدير ولا يخفى انه من قبيل التطويل المخل بالبلاغة لا من قبيل الاطناب المفيد ولا
تيمموا الخبيث اي ولا تقصدوه وهو ابلغ من ولا تنفقوا الخبيث ومعناه الردي
وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير لانه ينفي الردي فهو يتناول الحرام المكروه
منه تنفقون في محل النصب على الحال والضمير للخبيث وتقديم الجار والمجرور
للتخصيص اي تخصون بعضا منه بالانفاق لان شح النفس وحب المال يقتضي تخصيص
شيء من الردي وما يشتبه حاله بالانفاق وهو مناف لفضيلة البر لقوله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفيه توبيخ وتعيير وتعريض بما كانوا يفعلون
ويجوز ان يكون الضمير المذكور مجموع المكسوب والخارج كما في قوله تعالى في البحار تولج
البهق وتنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ولستم باخذيه الاخذ كناية عن الاختيار
ضرورة انه ماخوذ حقيقة لما عرفت انه مكسوب او مخرج اي وحالكم انكم لا تاخذونه في
لانفسكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه في محل النصب على الظرف اي الا وقت ان تغمضوا
فيه اي تتسامحوا في اخذه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على
الاغماض وتوجدوا مغمضين روي انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد مستحق للحمد على الامر بذلك
مع استغنائه عنه لينفعكم ذلك في الدارين الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق
والوعد على الاطلاق يستعمل في الخير كالوعيد في الشر ويستعمل في الشر ايضا اذا قيد
بما يدل ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات لغرا الامر للمامور والفاحش
عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم والضمير في منه لله تعالى
وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم في الدنيا او ثوابا في الاخرة والله واسع اي
واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة يوفق العلم والعمل به من يشاء
مفعول اول اخر للاهتمام بالثاني ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود
وقرئ بالكسر اي ومن يؤته الله تعالى فقد اوتي خيرا كثيرا التنكير للتعظيم كانه
قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر اي وما يتعظ بما ذكر من الايات الا اولوا الالباب
ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى الهوى او المراد بها الحث على
العمل بما تضمنت به الاي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة
سرا او علانية في حق رياء او لوجه الله تعالى او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير
شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه وعد ووعيد على ابلغ وجه لان العلم في مثل

هذا المقام كناية عن العمل بموجبه يقال فلان لا يعلم الاحسان اي لا يعمل بمقتضاه
وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم رياء او مع المن والاذى
او لا لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته او يخصون الانفاق بالخبيث الردي او ينفقون
في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي فان الظلم وهو في الاصل وضع
الشيء في غير موضعه المستحق له عبارة جامعة لهذه الاحوال كلها من انصار ينصرهم
من الله تعالى ويمنعهم من عقابه والعدول عن نفي المفرد وهو ابلغ من نفي الجمع بحسب
جلي النظر رعاية لمقابلة الجمع بالجمع والتوزيع اي لا ناصر لظالم قط وهذا ابلغ بحسب
دقيق النظر ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي فنعم
شيئا ابداؤها فانه في موضع ابداؤها اي الصدقات المبداة وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء الفقير هنا القيد مما لم تعتبره فيما سبق اذ لا تاثير له ثمة فان الصدقة
نعما هي سواء كانت للفقير او الغني انما تاثيره في كون اخفائها خيرا من ابدائها وذلك
عند كونها للفقير لما فيه من ستر حاله وصونها عن شوب الرياء فانه لا بد منه اذا
كانت لوجه الله تعالى وذلك اذا كانت للفقير واما اذا كانت للغني فلا تكون لوجه
الله تعالى فلا حاجة الى الصون المذكور ولا الى الستر المزبور فهو اي فالاخفاء اصابة
موضع الاستحقاق خير لكم هذا في المندوبات واما في الواجبات فالاظهار افضل
عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كان اظهار
الفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤها
افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل والاعمال بالنيات ويكفر
عنكم قرئ بالنون مرفوعا عطفا على ما بعد الفاء فيكون جملة فعلية في حكم الجزاء او
على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة فعلية مبتداة ومجزوما
عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله
تعالى او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرئ بالياء والنصب
باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم من سيئاتكم من للتبعيض
اي يكفر بعض سيئاتكم وذلك لان ما هو من حقوق العباد لا يتعلق به المغفرة بدون
ارضاء الخصم قال الامام المطرزي في المغرب الكفر في الاصل الستر يقال كفره وكفره
اذا ستره ومنه الحديث في ذكر الجهاد هل انت مكفر عنه خطاياه يعني هل يكفر الله

في سبيل الله تعالى ذنوبه فقال نعم الا الدين اي الا ذنب الدين فانه لا بد من قضائه
والله بما تعملون خبير فيه اشارة الى الاظهار والاسرار وفيه ترغيب في الاسرار ليس عليك
هديهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى امتثال ما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه
من المن والاذى والرياء والانفاق من الخبيث وغير ذلك مما مر وما عليك الا ان تبلغهم
فحسب ولكن الله يهدي من يشاء استدراك عما يقتضيه الكلام السابق وينتظم به
من تعليله كانه قيل لانك لا تقدر عليه ولكن الله قادر على الهداية المنجية عن الضلالة
يخص بها من يشاء وفيه دلالة على ان الهداية الموصلة الى البغية من الله تعالى وبمشيئته
وانما يخص بها قوما دون قوم فهو اظهر مما لا يخفى والحاجة الى الدلالة فيما نحن
فيه الحال وما تنفقوا من خير فلانفسكم اي فانتم تنتفعون به وانما قال من
خير دون من مال لانه اذا لم يكن طيبا لا ينتفع به المنفق ولا تتصور العبارة المذكورة
ضمنا الاشارة الى النهي عن انفاق المال الخبيث وعن المن على الفقير والاذى له على ابلغ وجه
واما انه لا ينتفع به غيركم فلا يقتضيه المقام ولا هو المناسب لان يقصد بالكلام المذكور
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال كانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير
منفقين الا ابتغاء وجه الله تعالى كطلب ثوابه وما تنفقوا من خير يوف اليكم
ثوابه اضعافا مضاعفة فلا اثر لكون وانفقوا من احسن الاموال على احسن الوجوه فهو
تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لدعوة الملك القائل اللهم اعط
لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود
وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت واختلف في الواجب
فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره وانتم لا تظلمون جملة
حالية اي لا تنقصون شيئا مما وعد من الثواب جزاء لاعمالكم فان نقص الاجر الموعود ظلم
وان لم يكن نقص الثواب مطلقا ظلما للفقراء الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره
اعمدوا للفقراء واجعلوا نفقتكم للفقراء كقوله في تسع آيات اي اذهب في تسع آيات او خبر
مبتدا اي صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد والاحصار منع
النفس عن التصرف لا يستطيعون ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب تقول ضربت
في الارض ضربا اذا سرت فيها اي يكرهون المسير فيها لاجل الكسب لملازمتهم صحبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والخروج في سريته وهذا كقوله تعالى لا يستطيعون سمعا
اي يكرهون سماعه ولهم آلات السماع ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في وصفهم مما قيل

لا يستطيعون لاشتغالهم بالجهاد وقيل هم اهل الصفة وكانوا نحوا من اربعمائة من
فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة
وارفاقهم من فضل الاغنياء وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء وانما قال من التعفف اي من اجل
تعففهم عن السؤال دفعا لاحتمال ان يكون حسبانه من الاغنياء لكونه من الاغنياء
في اطلاق اسم الجاهل عليه على الاطلاق ما لا يخفى من الذم وذلك الاستحقاق
لان الغافل عن حالهم لا يكون من اهل الفطنة والوفاق والتعفف تفعل
من العفة يقال عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه تعرفهم ايها الخطاب
لمن يبتغي التوصيف بعرفانهم من الاصحاب رضي الله عنهم ومن حذي حذوهم في
طريق الصواب بسيماهم بما لاح عليهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال لا اختفاء ان لسان
الحال انطق من لسان المقال وبيان الدلالة اصدق من بيان العبارة فالعارف
يعرف من رثاثة الحال والجاهل يستدل بعدم السؤال ومعنى لا يسألون الناس
الحافا نفي السؤال والالحاف جميعا كقولهم لا ترى الضب بها ينجحر او لا ضب بها ولا
ولا انجحار ولا يخفى ان هذا المعنى داخل في التعفف وفي ان يحسبون اغنياء فيكون
انسب بالمقام واجلب لمزيد حسن في الكلام كيف وفي هذا النوع من التركيب دقيقة
انيقة وهي انه لما جعل نفي الاول تمهيدا لنفي الثاني في جعل الاول سلما لا نزاع فيه
اذ من حق الدليل ان يكون اوضح من المدلول ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما
في تفسيره لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف وقيل ترك غير الالحاف ذكرا للايماء
الى اطلاق السؤال عند الحاجة ورفع الاثم عمن فعله مضطرا والالحاف لزوم
السؤال من الالحاف الذي يلازم المتقنعه والجمل الاربع بعد الصلة مترتبة عليها بمنزلة
البيان لها فلا سبيل للعاطف بينهما لشدة اتصال كل منها بالاخرى وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق لان علم الله تعالى به كناية عن انه يجازي
ولهذا زاد قوله من خير فانه اذا اريد علمه تعالى به في حقيقته تكون تلك الزيادة
خالية عن الافادة الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون
الاحوال والاوقات بالصدقة لحرصهم عليها فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا
قضاءها ولم يؤخروها ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله
عنه وقيل في علي كرم الله وجهه وقيل نزلت في علف الخيل ورباطها في سبيل الله تعالى

فلهم اجرهم عند ربهم اي يومن عن الضياع خبر الذين واذا اريد كون الصلة سببا
لحصول الخبر الموصول ضمنت معنى الشرط وادخل الفاء في الخبر وان لم يقصد ذلك
فلا كقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا
ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم وقيل العطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولهذا
جوز الوقف على قوله وعلانية ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون قدم تفسيره ه
الذين ياكلون الربوا اي يتمتعون به فان التعبير بالاكل عن مطلق التمتع على طريقة
العبارة عن كل وجوه الشيء بجلها شايع في الالسنة وانما كتب الربوا بالواو على لغة من يفخم
كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها لها بواو الجمع لزيادة التفخيم
ومعنا لغة الزيادة المطلقة وشرعا الزيادة في العقد او في الاجل على الوجه المذكور
في كتب الفقه لا يقومون يوم القيمة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما
كقيام الذي يتخبطه المتسد من الجن والخبط الضرب باليد كيف يقع والرمح بالرجل والرز
بالركبة والتخبط تكلف الخبط والمراد الزيادة فيه من المس متعلق بيقوم اي تخبطه
والمس الجنون يقال مس الرجل على ما لم يسم فاعله فهو ممسوس كما يقال جن فهو مجنون ه
والجنون قد يكون بضرب الشياطين من الجن ولذا لا يسمى مجنونا وهو تسليط الله تعالى
اياهم على الناس كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع وله ان يفعل في ملكه ما يشا
اي لا يقوم اكل الربوا عن قبره في يوم القيمة الا كالذي ضربه الجن فخبله فصار كالمصروع
وهو يقوم ويسقط ليس كساير الناس لانهم يخرجون من الاجداث سراعا وهذه عقوبة
لهم بها يعرفون يومئذ وقد اثقل بطونهم ما اكلوا من الربوا ذلك بانهم قالوا انما البيع
مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد وقاسوا ه
احدهما على الاخر يعني ان البيع يكون مثل الربوا في اشتماله على الفضل ولو كان ذلك سببا
للحرمة لحرم البيع لكنه حلال فثبت انه ليس بسبب الحرمة فالربوا ليس بحرام وشبهتهم
ان بيع السلم وغيره قد يكون المشتري فيه بدرهم يساوي درهمين فيكون اذكى من
الربوا ومن لم يتنبه لما قررنا زعم انهم بالغوا في وصف اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه اصلا
في القياس وشبهوا البيع به مع ان الكلام في الربوا والبيع اصل في الحل على طريقة قول الشاعر

ودبلدة مغبرة ارجاؤها * كان لون ارضها سماؤها *

بالغ في وصف السما بالاغبرار حتى شبه الارض بها في التعبير عن اعتقادهم هنا
بالقول لا يخفى من المبالغة في انه لا حقيقة له اصلا ثم انكر تسويتهم بينهما بقوله

واحل الله البيع وحرم الربوا وفيه دلالة على ان القياس يهدم مع النص حيث تلقيتم
ابطاله بمجرد القول المذكور من غير تعرض لفساد القياس من حيث ان الفضل في الربوا
متحقق وفي البيع متوهم وانما قيل هو ابطال القياس لمعارضة النص فيرد عليه
انهم قاسوا قبل ورود النص لا نازل بينهما فلا معارضة وقت اذ فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهي عن الربوا وفي عبارة الرب ايما الى انه
تعالى يربي عبده بفضله بلا توقف على كسبه كيف وقد رباه وهو جنين في بطنه ان
لا يتجاوز في طلب الكسب عن حد الرخصة فانتهى فاتعظ به وتبع النهي فله ما سلف
اي فلا يواخذ بما مضى منه وله ما اخذ لانه قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع
بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتدا ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف
غير معتمد على ما قبله وانما ذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي مع ان فيه فاصلا
فلا حاجة الى التاويل بانها في معنى الوعظ وامره الى الله يحكم في شانه بما شا
يوم القيمة لا الى الحكم فلا تطالبوه بشيء ومن عاد الى الربوا بعد النهي عنه فاولئك اصحاب
النار باصرارهم عليه هم فيها خالدون اذا اعتقد واحله لانه كفر والكفر يوجب
الخلود في النار يمحق الله الربوا المحق نقصان الشيء حالا بعد حال حتى يذهب كله كما
في محاق الشهر وهو حال اكل الربوا فان الله تعالى يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه ويربي الصدقات اي يربي ويزيد ثوابها بان يضاعف عليها الثواب ويزيد المال
الذي اخرجت منه ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط لا يقال الا كلا
في اربابه ما يتصدق به وهذا ليس منه لانا نقول وقوع زيادة المال والبركة فيه
بسبب فضيلة تزيد واربابه لا تضاعف الثواب بسببه والله لا يحب عدم المحبة
كناية شايعة عن البغض كل كفار باستحلال الربوا اثيم باكله بدون الحل الا بمحل في
التعميم بعد السلب حتى يكون سالبة كلية دون العكس اذ ح يكون رفع الايجاب الكلي
ومما يناسب المقام ولا يبعد فيما ذكرنا لان القيد المقدم ذكرا قد يعتبر مؤخرا معنى
وفي صيغة المبالغة تغليظ بليغ في شان المستحل للربوا لما فيه من الايذان بتحقق كفر
في كل ان الذين امنوا بالله ورسله والايمان بالرسل لا يتم الا بالايمان بجميع ما جاء به
منه تعالى وعملوا الصالحات من الفرايض والواجبات والمندوبات واقاموا الصلاة
واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لفضلهما على ساير الاعمال الصالحة لكونهما اتى العبادات
البدنية والمالية لهم اجرهم عند ربهم قدم تفسيره ولا خوف عليهم من ات ه

ولا هم يحزنون على ما فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا واتركوا ما بقي من
الربا بقايا ما شرطتم على الناس منه وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي
وعنه ما بقي بيا ساكنة ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به وفي اطلاق
مؤمنين في الذكر عن القيد المذكور دلالة على ان المؤمن حقيقة من امن بقلبه روي انه
كان لثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت
فان لم تفعلوا المراد مطلق الترك بل اريد الترك في ضمن الاتي فلهذا قيل لم تفعلوا
دون لم تتركوا فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا
اي فاعلموا غيركم من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو
دليل لقتالة العامة والتنكير في حرب للتعظيم من الله ورسوله الحرب يكون من
الرسول صلى الله عليه وسلم بامر من الله تعالى فذكره تعالى للتهديد وحرب منه
ابلغ من حرب له لما في التنكير من التهويل اي بنوع من الحرب لا يقبل التعريف لعظم
شانه وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي
ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان
تبتم من الارباء ومن زاد على هذا قوله واعتقاد حله فكانه غفل عن قوله بان سياق
الكلام لا يقتضي كفره فان قلت اليس يفهم من قوله فلكم رؤس اموالكم اصولها
وانما الارباح فلتطوى عنها لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان
انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رؤس اموالهم قلت ذلك وهم سبق الى فهم من قال لا من حيث
يكون ما لهم فيا للمسلمين وتبعه القايل وهو مندفع بما قلنا اذ المصر على التحليل
مرتد والحق ان الظاهر منه بطريق المفهوم هو انه لم يتوبوا لا تصل ايديهم الى رؤس
اموالهم وذلك لانهم يقاتلون كما يقاتل الباغي وان كان اي وجد غريم ذو عسرة
وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة الى ميسرة بفتح السين وضمها
وهما لغتان بمعنى يسار وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة وان تصدقوا
بالابرا خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه
وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره
الا كان له بكل يوم صدقة قد يحث له على التصدق بالدين كله او بعضه على من اعسر
من غرمايهم او على الامهال الى وقت اليسار ان كنتم تعلمون كني بالعلم عن العمل
لانه اذا كان نافعا قلما يتخلف عن علم معنى الكناية باعتبار منافيها تاكيد

لما تقدم من الخيرية على ابلغ وجه ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره ما فيه الذكر
الجميل والاجر الجزيل ثم انه لم يرد ان الذكر الجميل لا يصلح وجها للحث على التصدق اذا كان
الحث من الله تعالى لان التصدق المرضية عنده تعالى ما لا يشوبها غرض دنيوي واتقوا
يوما يوم القيمة والتنكير للتعظيم وللاشارة الى انه لا يقبل التعريف ترجعون من الرجع
وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم من الرجوع وقرئ بالياء على الالتفات فيه الى الله تعالى الحساب
للجزاء او الامر بالاتقاء كناية عن الامر بموجبه وهو التاهب للمصير اليه ثم توفى التوفية
والايفاء الاكمال كل نفس كاسبة ما كسبت اي جزاء ما كسبت من جزاء الاعمال الموعود فان الكناية
بالكسب عن الاحراز شايع في الالسنة كلها وانما وصفنا الجزاء بالموعود لان الظلم بنتفى
الثواب انما يكون بفوات الاستحقاق وهم لا يظلمون لا بنقص ثواب ولا بزيادة عذاب عن
ابن عباس رضي الله عنهما انها اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في راس
المايتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين
يوما وقيل اقل وقيل اكثر يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال
داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما يقال بايعته اذا بعته او باعك وانما
كونها نسيئة غير معتبر في المداينة واراد بها في المقام لذكر الاجل وانما قال بدين مع
انه مستفاد من التداين للتعميم اي دين كان قليلا او كثيرا او لقطع احتمال معنى اخر فان المداينة
تدين بها المجازاة وانما نوعه الى الوجوه الكل الفهم من قوله الى اجل ومرجع الضمير في
فاكتبوه لا يلزم ان يكون مذكورا بل يكفي ان يكون مفهوما في ضمن الكلام السابق فهذا كله
بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيقه هو انه لا بد من ذكر الدين ليتعلق الجار به فانه
لو لم يذكر يفهم تعلقه بالتداين ولا وجه له فان المبالغة الى اجل غير مشروع مسمى معلوم
موقت بالسنة والشهور والايام المبينة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج ونحو ذلك
مما لا يتعين فاكتبوه بنه على انقسام الدين الى حال ومؤجل وامر بكتابة المؤجل على سبيل
الندب والارشاد لانه اوثق وامن من النسيان وابعد من الجحود وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم وسياق ما يتعلق بصدد
المقام من الكلام وليكتب قيده بقوله بينكم ليكون ابعد عن الاشتباه وقال بينهم والتكلم
في كاتب للتنبيه على ان المعتبر كون الكاتب على وجه المفهوم لا كون الكاتب معهودا وهذا
قيد فهما بقوله بالعدل واطلق الكاتب اي وليكتب بالتسوية والاحتياط ولا يزيد على ما يجب
ولا ينتقص عنه وهذا يدل اقتضاء على ان الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما بالشروط حتى

يكون مكتوب معدلا بالشرع فيحصل ما هو المقصود من الكلام على تقدير تعلق القيد
المذكور بالكاتب واما الذي ذكرناه فيفوت فالراجح تعلقه بالفعل والامر للحقيقة
للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع
ولا يأب اي ولا يمتنع كاتب احد من الكتاب ان يكتب فان تنكير كاتب بعد النهي يفيد
العموم كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما
نفعه الله تعالى بتعليمها كما قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك
الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا وهذا لان الفا تدل على ان الترتيب
على السابق ولان ورود الامر عقيب ذلك النهي تاييدا له يشعر بذلك كل الاشعار
ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها
مقيدة وهذا الوجه احسن من جعل الاول تمهيدا له لما فيه من تدرج وتفخيم
لشان الكتابة على النهج المذكور في تقدم كما علمه الله مبالغة حسنة والاول اظهر
واقرب تناولا وليملل الذي عليه الحق الاملال والاملاء لغتان بمعنى الالقاء على الكاتب والذي
عليه الحق هو الذي عليه الدين وانما كان الاملال اليه لانه المقر المشهود عليه وليتق الله
ربه اي الكاتب او المملي فيما يستقف عليه جمع بين اسم الذات والوصف تذكيرا لكونه
مربيا له مصلحا لحاله ولا يبخس منه شيئا اي ولا ينقص مما املى عليه قليلا ولما كان
الامر بالاتقا تمهيدا للنهي عن النقص المذكور لم يؤت بينهما باداة الترتيب فان كان
الذي عليه الحق وهذا على توجه الامر والنهي الى الكاتب فانهما لو توجها الى المملي لكان
حق الكلام في هذا المقام الاكتفا بالضمير وتصديره بالفا لترتبه على ما تقدم ح
سفيها محجورا عليه لجهله بالتصرف والتبذير او ضعيفا لصغر او كبر والمراد ضعف
القوى لا ضعف النهي لانه من اسباب الحجر فيندرج تحت السفه او لا يستطيع ان يمل
هو او غير مستطيع بنفسه لخرس فليملل وليه اي الذي يلي امره وصيا كان او وليا
او وكيلا او ترجمانا بالعدل فيه دلالة على جواز النيابة في الاقرار بالدين واستشهدوا
شهيدين اي داطلبوا ان يشهد لكم شهيدان من رجالكم اي من المؤمنين البالغين اما
البلوغ فلا بد منه ايضا ان كان المدعون مسلما وان كان كافرا فاعتباره احتياطا
لانه يحتمل ان يسلم فلا دلالة للاية على انه لا تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض ثم
ان المقصود بيان النصاب لاثبات الشرائط فلهذا لم يتعرض لقيد الحرية والعقل
فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل

وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة
فكانه ذهل عن ان الكلام في الاستشهاد على الدين فان قلت اليس كل منهما نصاب الشهادة فلا
تفاوت بينهما ولا توقف لصحة الثاني على عدم الاول قلت نعم لا توقف لصحة الثاني على عدم الاول
ولهذا لم يقل فان لم يوجدا فرجل وامرأتان واما عدم التفاوت بينهما فممنوع فان الاصل
هو الاول وهو الراجح ولهذا صدر بالشرطية المذكورة باداة الترتيب ممن ترضون من
الشهدا اي من العدول المرضيين من الشهود ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
علة لاقامة شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد والضلال بمعنى النسيان مجازا
لانه سببه كما في قوله تعالى فعلتها اذا وانا من الضالين فان قيل كيف قال ان تضل
وانما الاقامة المذكورة للاذكار لا للضلال قلنا اجاب عنه سيبويه بان الضلال سبب
الاذكار فنقدم عليه لانه سبب له لا لانه العلة كما يقال اعددت هذا الحايط ان يميل
فادعمه وانما اعددته للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل لانه سببه والعدول عن الظاهر
للاعتنا بشان التذكير فان افضا الفعل اليه وكونه مقصودا من الفعل بالذات بما احاط
المهروب عنه مطلوبا لاجله من حيث كونه مفضيا اليه واجاب عنه الفراء بانه
بمعنى الجزا فتقديره ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الا انه لما قدم ان تضل اتصل بما
قبله من العامل فانفتح ويؤيده قراءة ان تضل بكسر الالف على الشرط فتذكر بالرفع
وقرئ ان تضل على البنا للمفعول اي ان تجد ضلالة من الاضلال التي هي للوجدان
نحو احمدته بمعنى وجدته محمودا ولا يخفى ما في التعليل المذكور من الدلالة على ضعف
ضبطهن وقلة ضبطهن وليس ذلك الا لنقصان عقلهن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
اي لا يمتنع المدعوون لتحمل الشهادة عن الحضور ليتحملوا الشهادة وكان تسميتهم
شهداء قبل التحمل تنزيلا للمشارف منزلة الكائن او لا يمتنع المتحملون اذا دعوا الى اداء
الشهادة لبيوت وهذا النهي عن الاول تنزيهي وعن الثاني تحريمي ولا تسأموا نهي عن
الضجر والملل من كثرة المداينات ان تكتبوه اي لا تملوا ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب
كذا قالوا ويرد عليه ان الضجر والملل انما يكون بعد الشروع فيه والاكثار منه والمراد
هنا النهي عن السآمة من ان يكتب ابتدا فالوجه ان تكون السامة كناية عن الكسل
والضجر الى الكتابة لا لانه من صفة المنافق او لانه لا يجدي تغيير التعبير بل لان تلك
العبارة كانت دايرة على السنة المنافقين فصارت عن شعارهم ولذلك قال
عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا قدم اهتماما به وانتقالا من الادنى الى

الذي

الاعلي او كبيرا حالا منه اي لا تسأموا اكتابة الحق او الدين في اي حال كان من صغر او كبير
ولا تسأموا ان تكتبوه مختصرا او مشبعا على ان الضمير للكتابة الى اجله الى وقته الذي
بينه المتداينان ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اقسط اكثر
قسطا عند الله اي في حكمه واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها واقسط
مبني من قاسط بمعنى النسب اي ذي قسط واقوم من قويم ويجوز عند سيبويه ان
يبنى افعل التفضيل من غير الثلاثي فيكونا مبنيين من اقسط واقام وادنى ان
لا ترتابوا واقرب لانتفاء الريبة في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك
والمفضل عليه محذوف وحسن حذفه وقوع افعل التفضيل خبرا للمبتدأ الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء مفرغ
اي لا تتركوا الكتابة وقتا ما او بحيلة ما الا وقت كونها تجارة ناجزة تتعاطونها بينكم
يدا بيد او لا تكون تجارة ناجزة على ان تامة بعد الانصب في الظرف او على المفعول له
وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على ان كان التامة او الناقصة واسمها تجارة وخبرها
تديرونها وبالنصب على ان لا ان تكون التجارة تجارة حاضرة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين والمذكور من تفريع نفي الجناح وهو الاثم على الشرط المذكور
في المستثنى ثبوت الاثم في عدم الكتابة على تقدير فقد ذلك الشرط ويوجه ان يكون
الامر بالكتابة فيما تقدم الوجوب فالقائلون بحجية المفهوم لا بد لهم من القول بوجوب
الكتابة ثمة ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول جميعا والدليل
عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر
بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما
وعن التغيير بالزيادة والنقصان او نهي المستكتب والمستشهد عن الضرر
بهما بان يعجلا عن مهم او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يكلف الشهيد مؤنة النقل
من مسافة بعيدة وامثال ذلك وقرئ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اي
وان تضاروا او ان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة
لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله ثلاث مرات متواليات وكان الثاني والثالث
موضع كنايه وهذا الباب قانون يعرف به المستحسن من المستقبح وهو ان تكرير
تكرير على طريق التعظيم الامر او تحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة ٥

بنفسها فذلك غير مستقبح واذا كان ذلك في جملة واحدة او في جمل في معنى واحد ولم
يكن فيه التعظيم او التحقير فذلك مستقبح وهذا ظاهر في الاية فان الجملة الاولى منها
حث على التقوى والثانية تذكير بنعمته والثالثة تعظيم لما تتضمن الوعد والوعيد
شديد وقصد تعظيم كل واحد من هذه الاحكام فاعيد لفظة الله فيها وان كنتم
على سفر لم يقل مسافرين لما بينهما من الفرق الظاهر فان من دخل مدينة ولم ينو الاقامة
مسافر ولكنه ليس على سفر والمناسب لان يذكر تمهيدا لقوله ولم تجدوا كاتبا
هو الثاني دون الاول فرهان خبر مبتدأ محذوف اي فالذي يستوثق به رهان
وهي جمع رهن وهو العين المقبوض بالدين توثيقا له وقرئ فرهن وهو جمع قال
الجوهري كانه جمع رهن على رهان ثم جمع على رهن مثل فراش وفرش ولا يجمع فعال على
فعل الا قليلا شاذا مقبوضة نعت للرهان ودل ذلك على ان حكمه دوام الحبس فانه
لا يصير رهنا الا ما بعد القبض فذكر الرهن ذكر لذلك القبض ثم وصفها بالمقبوضة
بعد ذلك اشتراط لدوام القبض فيها وليس الغرض تخصيص الرهن بالسفر شرطا ٥
في جوازه لكن لما كان السفر مظنة اعواز الكاتب والشهيد ارشد المسافر الى حفظ
المال بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك
انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية وليس بشيء لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم رهن درعه في حضر واما القبض فلا بد من اعتباره على ما نصت عليه الاية
وعليه الجمهور خلافا لمالك يصح الرهن بمجرد الايجاب والقبول بدون القبض فان امن
بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فليؤد الذي
اؤتمن امانته اي فليجب على المديون اداء امانته الذي ائتمنه عليها بان لم يرتهن منه
شيئا سماه على انه يكون عند ظنه به وفي تسمية الدين امانة ايضاح للمديون
على ادائه وان كان مضمونا بخلاف الامانة وقرئ فان اومن اي امنه الناس بان
وصفوه بالامانة والديانة والاستغناء عن الارتهان من مثله وليتق الله ربه نهي
عن الخيانة وانكار الحق على البلع وجه تقدم وجه الجمع بين اسم الذات والوصف ولا
تكتموا الشهادة خطاب الشهود ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبر ان وقلبه فاعل
اثم اي فانه يأثم قلبه او قلبه مبتدأ واثم خبره والجملة خبر ان وقرئ قلبه بالنصب
كقوله سفه نفسه وقرئ واثم قلبه اي جعله اثما اسند الاثم الى القلب لكونه ابلغ
من وجوه احدها ان يعلم انه الذي اضمرها ولم يؤد الى اللسان ليظهرها فالقلب هو

المعترف فيكون صاحبه قاصدا للذنب لا للنسيان فيكون كالنوادر والثاني ان الفعل
اذا اسند الى الجارحة التي عمل بها كان ابلغ واكد كما اذا اريدت التاكيد قلت هذا مما ابصرته
عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي الثالث ان القلب هو الرئيس والاصل في البنية فاسناد
اليه افاد انه تمكن في اصل نفسه وملك اشرف محل فيه ورسخ في ذاته الرابع ان الاثام
المتعلقة بالاعضاء الظاهرة اسهل واخف واسرع زوالا ما دام القلب سليما واثام
القلبيات تكون اشد واغلظ وابعد عن العفو الخامس الايذان بان الكتمان من الكبائر
المتعلقة بالقلب كالكفر والنفاق والشرك واشباهها وعنه اي ابن عباس رضي الله
عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان
الشهادة السادس ان القلب هو الاصل الذي يتقوم به سائر الاعضاء فاعماله هي الاصول
التي يتشعب منها افعال الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر
فهو الذي اذا صلح صلح الكل واذا فسد فسد الكل فاذا اثم القلب تاثم الكل والله بما
تعملون عليم وعيد وتهديد لله ما في السموات وما في الارض ناسب ختم ما في هذه
السورة من الكلام المشتمل للاحكام العديدة والتكاليف الشديدة بذكر انه تعالى
له ما في عالمي الملك والملكوت فهو يكلف بما شاء ولما كانت التكاليف على اعتقادها
الانفس قال وان تبدوا ما في انفسكم من السوء او تخفوه ولا يدخل فيه الوساوس
وحديث النفس اذ ليس في وسعه الخلو منه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولكن
ما اعتقده او عزم عليه يحاسبكم به الله قال الحسن ليس يحاسب الله تعالى عبدا
يوم القيمة استر عملا او اعلنه من حركة في جوارحه او همة في قلبه دون ان يعرفه
اياه يوم القيمة حتى يقرره ثم يغفر ما يشاء لمن يشاء ويعذب من يشاء بما يشاء
فيغفر لمن يشاء من اهل المغفرة ويعذب من يشاء من اهل العقوبة وهذا صريح
في نفي وجوب التعذيب وفي الاية دلالة على وقوع الحساب فيكون حجة على من
انكره من المعتزلة والروافض وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين على جواب الشرط
ومرفوعين على الاستئناف وتقديره فهو يغفر ويعذب وقرئ يغفر ويعذب
وقرئ يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم بدل البعض من الكل او بدل
الاشتمال ومعنى الابدال تفصيل الاجمال الذي في الحساب لان التفصيل ابين واوضح
فكل ما يحتاج الى البيان يجري فيه هذا البدل اسما كان او فعلا اذ الفعل قد يحتاج
اليه كاحتياج الاسم والقراءة اظهار الراء في الكلمة وادغام الباء ومن روى ادغام

الراء في اللام عن ابي عمرو فهو مخطئ مرتين حيث لحن لحنا فاحشا اذ الراء لا تدغم الا في مثلها
ثم نسبه الى اعلم الناس بالعربية والسبب عدم ضبط الرواية لعدم الدراية كذا قيل
وفيه بحث يطلب من تفسير ابي حيان والله على كل شيء قدير فلا يعجز عن الاحياء والمحاسبة
وما يعقبها من المغفرة والتعذيب امن الرسول تنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه
عليه السلام والاعتداد به بما انزل اليه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه
السلام انزل على محمد عليه السلام جميع القران الا هذه الايات الثلاث فان الله تعالى
اوحاها اليه عليه السلام ليلة المعراج وبه قال الحسن ومجاهد وابن سيرين من ربه
في عنوان الرب اشارة الى ان في الانزال المذكور تربية له عليه السلام وهذا كالتدريج
والمؤمنون كل امن بالله وملائكته ان عطف والمؤمنون على الرسول كان التنوين
في كل عوضا عن الضمير الراجع الى الرسول والمؤمنين اي كلهم امن و وحد ضمير كل في امن
تناول كل واحد فيكون ابلغ من الجمع وان جعل مبتدأ كان الضمير للمؤمنين دون الرسول
وباعتباره يصح وقوع كل مع خبره خبر مبتدأ فيكون افراد الرسول عليه السلام بالحكم
اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر وبرهان فكانهما
جنسان وكتبه ورسله ذكر الكتب بين الملائكة والرسل باعتبار انها تتصل منهم اليه
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وكتابه يريد القران او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب
لانه يكثر تناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب فان تناوله وحدان الجمع لا نفرق بين احد
من رسله اي يقولون لا نفرق وقرئ يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على
معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع
في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه وهذا العموم غير العموم
المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي يدل عليه انه لا يستقيم لا نفرق بين رسوله
من الرسل الا انه نقدر عطف اي رسول ورسول والمراد الفرق بالتصديق لا الفرق مطلقا
فان الفرق بالتفضيل والبعثة بالشريعة غير منهي عنه وقالوا سمعنا اي فهمنا
ما في قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي كان اطاعتنا
عن اذعان وقبول لا عن تقليد على العمى او طمع في متاع الدنيا وقيل اي اجبنا وفيه
ان قوله واطعنا يغني عنه والافادة خير من الاعادة ويجوز ان يكون المراد سمعنا
قولك فيما كلفتنا واطعنا امرك في ذلك غفرانك ربنا منصوب باضمار فعله يقال
غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك اي من التقصير في حقك وفي عبادتك

التي انو في حقها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسع فيه طوقها ويتيسر عليها
دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورأفته كقوله تعالى يريد
الله بكم اليسر لانه كان في طاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر
من حجة وفيه دلالة على عدم وقوع التكليف بالمحال واما انه ممتنع فلا دلالة له عليه
بل الظاهر من الاخبار عن عدم وقوعه امكانه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر وتقديم لها وعليها على الكسب والاكتساب للتخصيص اي لا يثاب غيرها ولا
يؤاخذ بشرها غيرها لا لاختصاصهما بها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لا
والاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكان اجد في تحصيله
واعمل بخلاف الخير وفيه التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل حيث يثيب على الخير
كيفما وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه وقوة التصرف ربنا اي يقولون
ربنا كما تقدم وما بينهما اخبار من الله تعالى والاعتراض قبل تمام الكلام كثير
في القران لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا النسيان والخطا مجاز من باب
اطلاق اسم السبب على المسبب ان فرطنا بسبب النسيان او الخطا او من باب اطلاق
اسم المسبب على السبب اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطا من تفريط وقلة
مبالاة ويجوز ان يكون على حقيقتهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا لكنه تعالى وعد
التجاوز عنهما رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان فيه استدامة واعتدادا
بالنعمة فيه ويؤيده قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان يحتمل المعنيين
ايضا لان المرفوع اثرهما لا نفسهما وعلى هذا يصح ان يراد المعنى الاول ربنا تكريرا
للنداء فلا يخل بعطف قوله ولا تحمل علينا على قوله لا تؤاخذنا اصرا الاصر العبء
الذي يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه لا يستقل به لثقله والمراد به التكاليف
الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة في الطلب لان المطلوب انتفاؤه
كما حملته حملا مثل حملك اياه على الذين من قبلنا من الامم او مثل الذي حملته عليهم
فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع
النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بالامم السالفة طلبوا الاعفاء عن التكاليف
الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل بهم من العقوبات لتفريطهم في المحافظة
عليها وقيل هو تأكيد للاول بالتكرير او المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع ٥

من التكاليف وهذا دليل على جواز التكليف بما لا يطاق ولم يتعين هذا المعنى مرادا
من الاية حتى تتم الدلالة فيها على جوازه والتشديد هنا لتعدية الفعل الى المفعول
الثاني واعف عنا قال الازهري كل من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه لفظ
اللازم والمتعدي سواء يقال عفا الله عن العبد عفوا وعفوت الرياح الاثر عفا فعفا
الاثر عفوا واغفر لنا واستر ذنوبنا ولا تفضحنا بكشف عيوبنا والعفو لا يستلزم الستر
فلا تكرار وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا
ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على
الاعداء او فان ذلك من امورنا التي توليها ختمت السورة الكريمة على ما بديت به من
اثبات توحيده وصفات جلاله والنبوات والمعاد والقضا والقدر في ضمن ذكر
المؤمنين الناجين المطيعين وهم المتقون الذين جعل الكتاب هدى لهم وبين شمول
لطفه في شان هذا النوع وخصوصا هذه الامة وجعل ختام ذلك كله ما يدل على
ان كمال المؤمن المطيع ان لا يزال مستمدا من جوده بالسنة الاستعداد والحال
والمقال حتى تتم له ارتقاؤه في مدارج الكمال ومعارج الجلال والحمد لله على التمام والصلاة
على نبيه سيد الانام وعلى اله وصحبه الكرام ما تعاقب الليالي والايام •

سورة ال عمران مكية في قول عكرمة والحسن البصري ومدنية في قول عامة اهل التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الافصح ان يوقف على ميم كما وقف على الف ولام كما هو قراءة ابي بكر
في رواية عن عاصم واطبق سائر القراء على فتح الميم بطرح الهمزة للتخفيف والقاء حركتها
عليها وهي في حكم الوقف والهمزة في حكم الثابت ومن قال ان الحركة لالتقاء الساكنين
لم يرد بالساكنين الياء والميم من الف لام ميم في الوقف بل اراد بهما الميم ولام التعريف
فنظيرهما النون واللام في من الرجل فلا يرد عليه انه غير معهود في باب الوقف ولذلك
لم يحرك في لام لما عرفت انه اعتبر التقاء الساكنين من كلمتين فما ذكر ليس بنظيره لانه
في كلمة واحدة والفرق واضح واما قراءة الكسر فمما جوزها الاخفش ولم ينقل عن احد
من السبعة الحي القيوم اسم الله الاعظم بدلالة ما روي انه عليه السلام قال ان
اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الله لا اله
الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران
نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره ومواعيده او بالبينات المحققة انه من عند

الله تعالى وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية المنزلة على
الانبيا السالفة عليهم السلام الحاضرة عند نزوله وانزل جملة التورية والانجيل
اسمان عبرانيان فلا يدخلهما الاشتقاق عند بعض النحاة ثم تكلفوا فيهما على تقدير كونهما
عربيين فالتورية فوعلة او تفعلة بكسر العين او تفعلة بفتحها من الوري والانجيل
افعيل من النجل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم واختصاص الكتابين
المذكورين ببني اسرائيل من جهة التكليف لا ينافي عمومهما الجنس الانس من جهة الهداية
فان من تعبد بهما قبل الانتساخ فقد اهتدى وان لم يكن من بني اسرائيل على ان كونهما
هداية الى اصول الدين لا يختص ولا يقبل النسخ ولهذا افاد الله تعالى فبهداهم اقتده
وانزل الفرقان رابع الكتب الاربعة وهو الزبور لان الظاهر من العطف خصوصا مع
اعادة لفظ انزل التغاير بالذات وانما خص بعنوان الفرقان جبرا للنقصان المتوهم
من جهة تاخيره ذكرا عن قوله هدى للناس فكانه قيل في الكتب الثلاثة شرايع هي
هداية للناس وفي هذا الكتاب حكم يفرق بها بين الحق والباطل ان الذين كفروا
بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من المعجزات لهم عذاب شديد مخصوص بنوع
لا يعرف كنهه من العذاب الشديد والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
تنكيره دل على قوته كما وقد اقترن بصفة العزة فدل على قوته كيفا حيث لم يتصور
اندفاعه فتفهم من الجملة معنى قوله لا يقدر له انتقام لا يقدر قدره من الشدة
ولا يقدر على مثله احد منتقم والنقمة مطلق العقوبة لا عقوبة المجرم خاصة ولما
جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر
وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء عبر عن العالم
بقطريه وتقديم الارض لان المقصود بالذكر ما اقترف فيها كانه قيل يعذبهم انما ذكر
له كمال القدرة والغلبة والعلم باحوال العباد هو على الانفراد والتعيين الذي
يصوركم في الارحام كيف يشا من الصور المختلفة هو في موضع الظرف اي في اي
صورة وعلى اي هيئة يشا يصوركم وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته
لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز المنيع
في ملكه وحكمه الحكيم في قوله وفعله قيل هذا احتجاج على من زعم ان عيسى عليه السلام
كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة
من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم

هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات في موضع النصب بالحال من الكتاب او كلام
مستانف موضح لحاله محكمات احكمت بظهور دلالتها على المعنى المراد هن ام الكتاب
اي اصله الذي يحمل المتشابهات عليه ويرد عليه وانما افرد الام تجريدا للكلام
للدلالة على ما يساق له واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر
ولا يلزم منه معرفته لان النسا ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف
او عن آخر من متشابهات محتملات اكثر من معنى واحد او غير ظاهر الدلالة وفائدته
بعث النفوس على النظر والتفكر وتحريض القلوب على التامل والتدبر ليتميز
في الاستدلال واستخراج الدقائق وابراز مكنونات الحقايق ويزداد حرصهم على
تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد من المتشابهات والتوفيق بينها
وبين المحكمات فان الانسان بذلك ينال الثواب والدرجات ما لا ينال بالتقلب
في العبادات والمواظبة على ساير القربات ومن وهم انه لو كان كله محكما لتعطل
الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله تعالى الا به فقد وهم لانه لا يلزم من ترك التامل
في معرفة معاني الالفاظ وكذا في ترتيب البعض على البعض واستنباط ما فيها من العلل
والنكات والفروع وغير ذلك وانما المراد من المحكم في قوله احكمت اياته المحفوظ من فساد
المعنى وركاكة اللفظ ومن المتشابه في قوله كتابا متشابها المشتبه بعضه بعضا
في صحة المعنى وجزالة اللفظ فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الصواب وتعرف
الحق تفريع على ما فهم مما تقدم من ان في المتشابهات مجال الصرف عن الحق كان
فيه مجال الرد اليه وانما التفصيل حال الفريقين السالكين مسلكي الصرف عنه والرد
اليه وانما اقتصر على ذكر الاول منهما لظهور حال الثاني فيتبعون ما تشابه منه
فيتعلقون بالمتشابه المحتمل لما يطابق اهواهم ولا يلتفتون الى المحكمات وكان حقهم
ان يتبعوها ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس ويضلوهم عن الحق وابتغاء تاويله
بما يطابق عقيدتهم قدم الاول لانه الغرض وهذا وسيلة اليه وما يعلم تاويله الذي
يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون والذين رسخوا اي ثبتوا وتحققوا في العلم
وتمكنوا منه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله تعالى بعلمه ومعرفة
الحكم فيه من اياته ولم يطلع عليه احدا لا يقال لو لم يكن للراسخين حظ من علم المتشابه
الا ان يقولوا امنا بالله كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال لانهم ايضا يقولون
ذلك لانا نقول ليس الكلام في اثبات الفضيلة لهم بل في بيان اختصاص علم المتشابه

بالله تعالى فالمعنى ان الراسخين مع ما فيهم من المزية والفضل يقفون عند التصديق
الاجمالي ولا يتجاوزون عنه الى حد التفصيل بالتفسير او التاويل فكيف من دونهم
يقولون آمنا كلام مستانف موضح لحال الراسخين او حال منهم وخبر ان جعل الراسخون
مبتدا به بالمتشابه او بالكتاب كل من عند ربنا اي كل من المحكم والمتشابه منزل من
اللوح المحفوظ عنده تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب مسوق على سبيل المدح للراسخين
المتعمقين في العلم وايماء الى انهم جردوا عقولهم من قشر الاوهام والخيالات وشوب
الاهواء والعادات فهم اهل اللب الخالص لا يحوم غيرهم حول التذكر والتفكر ربنا لا تزغ
قلوبنا من مقال الراسخين وما بينهما اعتراض ويحتمل الاستيناف على اضمار قولوا والمعنى
لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى ابتاع المتشابه بتاويل باطل قال عليه السلام قلب ابن آدم
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا
ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق ويندرج فيه الايمان بالقسمين اذ ربما
اولينا بعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان
وهب لنا من لدنك رحمة ترشدنا بها الى كل خير وصلاح وتعصمنا بها عن كل شر
وفساد انك انت الوهاب كثير الهبة وفيه ما ينص على ان النافع بخلقه ولا دلالة فيه على
ما هو الحق في الخلافية المشهورة لان المعتزلة لا ينكرون الانفصال بعد اداء الواجب
ربنا انك جامع الناس ليوم المراد من اليوم واقعة القيامة والتنكير للتهويل لا ريب
فيه في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد اي الداعين بالاجابة والمطيعين بالاثابة
واقامة القيامة كما وضع اولوا الالباب موضع اولئك للمدح والتسجيل بالاتب على
طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة وضع ان الله موضع انك للتعظيم واما
افادة معنى التنافي بين الالوهية وخلف الميعاد فمراد على التعبير بالاسم المذكور
لا على الالتفات فانه وجد التعبير المذكور فيما في ضمنه ان الذين كفروا يعني
رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
من جهة رحمته وطاعته كانه قال لا ينفعهم بدل رحمته او طاعته فيغني عنهم ابتداءها
واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون
متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك
او استيناف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء كدابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر
داب في العمل اذا كدح فيه ثم غلب استعماله في معنى الشان والذين من قبلهم عطف

على آل فرعون او استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او بيانا
لتفسير حالهم وخبر على تقدير الابتداء بالذين والله شديد العقاب تهويل للمواخذة
وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا اي لمشركي مكة وقيل لليهود ستغلبون يوم
بدر او بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم
وتحشرون الى جهنم وقرئ بالياء فيهما على الغيبة الاخبار يعني كلام الله تعالى
وعلى الخطاب بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استينافا اي بئس المهاد جهنم
او ما مهدوا لانفسهم وفي عبارة المهاد تهكم بهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش
او اليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يصح الابتداء بالنكرة لانه في موضع تفصيل وثمة صفة محذوفة تقديره فئة
مؤمنة تقاتل في سبيل الله واخرى معطوفة على فئة تقديره واخرى كافرة تقاتل
في سبيل الطاغوت كما قال تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت حذف عن الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية
ومن الثانية ما اثبت مقابله في الاولى وهذا من الاختصارات البليغة يرونهم
مثليهم اي يرى المشركون المؤمنين مثلي عددهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر او مثلي
المشركين وكانوا قريب الف وهذا لا ينافي قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا ويقللكم في اعينهم لانه يجوز ان يكون التقليل من جهة العدد فلا ينافي التكثير
من جهة العَدد ويكونان في حالة واحدة كيلا يجبنوا كل الجبن فيتحاموا عن القتال ولا يجترؤوا
كل الجراءة فيشتد الامر وهذا اولى من التوفيق بينهما بان التقليل كان في اول الملاقاة
والتكثير بعد ذلك او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين والقراءة بالتاء الفوقانية يؤيد هذا اذا كان الخطاب للمؤمنين ويؤيد المعنى
الاول اذا كان الخطاب لقريش وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وقرئ فئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على المدح واخرى كافرة على الذم
او الحال من فاعل التقتا رأي العين لا بد من صرفه عن ظاهره لان الرؤية بمعنى الابصار
لا يتعدى الى المفعولين ومثليهم مفعول ثان لا حال لعدم ثبوت تلك الحالة في الواقع
او الحس العينين فالمراد معناه المجازي وهو العلم الحاصل بسبب رؤية العين
والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي فيما ذكر من غلبة

ومثليهم

المسلمين على قلتهم وضعفهم الكافرين على كثرتهم وشوكتهم بالكيفية المذكورة لعبرة
لعظة لاولي الابصار لذوي البصاير او لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا
شهواتها وهي توقان النفس الى الشيء والمزين في الحقيقة هو الشيطان لان التزيين
صفة تقوم به فمن قال المزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي فقد
اخطا في المدعى وما اصاب في الدليل على ما سبق تفصيله في تفسير سورة البقرة
وانما سلطه الله تعالى على تزيين ما ذكر لانه من اسباب التعيش وبقا النوع من
النسا والبنين والقناطير المقنطرة القنا طير جمع القنطار وهو المال الكثير والمقنطرة
ماخوذة منه للمبالغة اي من شان العرب ان يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريد
المبالغة في وصفه ما يتبعونه به تاكيدا وتنبيها على تناهيه من ذلك ظل ظليل
وداهية دهيا وبدر مبدر ويحتمل ان يكون من قنطرت الشيء اذا رفعته
ومنه القنطرة لانها تنا مشيد من الذهب والفضة والخيل المسومة والخيل
الافراس سميت خيلا لاختيالها في مشيتها والمسومة المعلمة من الوسمة وهي العلامة
او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة اي تامة الخلق في السومة لانها
كانها علم في الحسن او من السوم في البيع لانها تسام كثيرا والانعام الابل والبقر
والغنم والحرث هو القاء البذر وتهيئة الارض للزرع مراعاته وانباته ولهذا
قال الله تعالى افرايتم ما تحرثون أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاثبت لهم
الحرث ونفى عنهم الزرع ذلك اشارة الى ما ذكر متاع الحياة الدنيا المتاع
ما يستمتع به مدة ثم يفنى والله عنده حسن الماب المرجع في الاشارة بذلك
اشارة الى بعد تلك المشتهيات من الله تعالى وتقديم اسم الله على ما عنده تقرير
لذلك البعد لتخصيص خبره به وذكر الحسن وتقديم الظرف عليه اشارة الى ان
الحسن يختص بالعندية وايما الى ان الشهوات البعيدة والمقصود التحريض على
اثبات ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية على الشهوات الناقصة الفانية قل
اونبيكم بخير من ذلكم تقرير لخيرية ما عند الله من مستلذات الدنيا للذين
اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو
خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها
بدلها من خير وازواج مطهرة قد سبق تفسيره في سورة البقرة ورضوان من الله

جمع بين الكثرة المستفاد من التنكير والتشريف المستفاد من قوله من الله فهو ابلغ
من رضوان الله والله بصير بالعباد اي يثيب ويعاقب على استحقاقهم او بصير
بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات على حسب درجاتهم الذين يقولون
ربنا اننا امنا نصب على المدح او رفع عليه او جر صفة للمتقين او العباد فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار في ترتيب السوال على مجرد الايمان دلالة على انه وسيلة كافية
في طلب المغفرة الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما
توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذايل وحبسها على الفضايل
والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي
هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فهو الاستغفار
لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها الدلالة على انهم جامعون
لها وامادة الالة على استقلال كل من المعطوفين غير مسلمة فان دلالتها على الانفصال
على ما ياتي في تفسير سورة التوبة وتخصيص الاستغفار بالاسحار لانها اصفى اوقات
العبادة فانهم كانوا يتهجدون قايمين بالليل يتقربون الى الله تعالى فيكون طلب
الحاجة بعده احسن واقرب الى الاجابة لتناصر الامرين صفا الوقت والتقرب
الى الله بالطاعة اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه شهد الله انه لا اله
الا هو بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها
والملايكة بالاقرار واولوا العلم من الثقلين بالاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان
والكشف بشهادة الشاهد في الدلالة والاقرار والاحتجاج من افراد معنى مجازي هو
الامر المشبه بالشهادة لا معاني مجازية ليمتنع الجمع بينها في الارادة وانما لم نفسر تقدير
فعل اخر ليكون الاول مجازا والثاني حقيقة لان خلاف الظاهر مع الغنية عنه
بالمجاز المستفيض قايما بالقسط العدل في قسمة الارزاق والاجال والاثابة وتعيين
الشرايع والاحكام بين العباد وانتصابه على الحال من هو وانما لم يمنع الجملة اي تفرد
قايما وهذا الوجه الارجح لانه اقرب واد على المقصود اعني دخول التعديل تحت
الشهادة كالتوحيد وادخل بما عامله غالب الاستعمال من كون الحال المؤكدة عقيب الجملة
الاسمية واما انتصابه على المدح نكرة والمنتصب عنه معرفة فيمنعه النياس ولم
يرد به الاستعمال وقرى القايم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا

مكرر ليؤكد المشهود به على ما هو عليه في نفس الامر ويقرر ان الاصل في الدين
هو التوحيد والعدل لاتزله لزعم الطلل الافات وهذا الكد بقوله العزيز
اي الغالب بوحدته على كل شي لا ينازعه شي فيكون الها الحكيم الذي يوفي كل ذي حق
حقه ولا يعدل عن العدل في افعاله وفيهما صفتان متقررتان لعلها رفعهما على البدل
من الضمير او الصفة لفاعل شهد ان الدين عند الله الاسلام كلام مستانف لانه
لما قرر اصل الدين والاسلام باطنا وظاهرا وهو التوحيد والعدل اتبعه ان يقال
فالدين الذي يجب ان يتدين به بعد هذا الاعتقاد فاجيب بان الذي ينبغي
ان يسمى دينا ويعتد به عند الله ويقبل هو الشرع الذي جا به محمد عليه السلام وقري
بالفتح على انه بدل من انه بدل اشتمال وقري انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما واجرا شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معنيهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى الا من بعد ما جاهم العلم
من بعد ما تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالايات البينات لا ضير في ان المراد اختلافهم
فيما بينهم على ما دل عليه قوله بغيا بينهم حسدا او طلبا للرياسة انقسمت اليهود الى
قراي وربانى وانقسمت النصارى الى ملكي ويعقوبي ونسطوري وكل طايفة تكفر
من خالفها بعد ان كانت اليهود امة واحدة والنصارى كذلك وقد تمكنوا من العلم
بحقيقة الامر بالكتب المنزلة عليهم من التورية والزبور والانجيل ومن يكفر بايات الله
يرشد الى هذا الى ان المراد من جحد العلم بحجج ما يفيد من الايات فان الله سريع الحساب
اي لا يمهل في جزايه ولا يمهل فان الحسنات كناية عن عدم الاهمال في الجزا وسرعته كناية
عن عدم الاهمال في الايصال وهذا اية وعيد شديد في الغاية فان حاجوك ولم يقبلوا
فيما ذكرته من الجواب انه في الدين فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجعلتي
له لا اشرك فيها غيره فالوجه مجاز عن نفس الشي وذاته كما في قوله ويبقى وجه
ربك او عن جملة الشخص تعبيرا عن الكل باشرف الاجزا والمقصود المبالغة بجعل كل
البدن محلا للاخلاص دالقا الترتيب على ما فهم مما تقدم من ان اختلافهم في الدين
لغرض دنيوي لا لاظهار الحق وازالة الشبهة فلا يجدي الجدال لهم ثم والاحتجاج
عليهم ولهذا امر عليه السلام بالجواب المفصح عن الاعراض عن محاجتهم ومن
اتبعني في موضع رفع بالابتدا والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره اسلم
وجهه لله ولا يجوز عطفه على الضمير في اسلمت لاستلزامه المشاركة في المفعول

ولاصحة لها وحمل الواو على معنى مع لا ينفعني الى الان حتى يلزم ان يدخل المتبوع
وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ااسلمتم
استفهام فيه استقصار وتعيير بالمعاندة اي قد جاكم من البينات ما يوجب
الاسلام ولم يبق معه شبهة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وعنادكم فان اسلموا
فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم باخراجها من ظلمة الضلال الى نور الهدى وان
تولوا فلم يضروك فانما عليك البلاغ فان الرسول ما عليه الا البلاغ وقد ابلغت
وبالغت في الحجة والله بصير بالعباد وعد للرسول ووعيد لهم ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق قد مر في سورة البقرة بغير الحق اي بغير
الحق الذي حرم الله تعالى واذن فيه والتكرير ههنا على معنى ان القتل يكون بوجه
من الحق فمعناه يقتلون بغير الحق من تلك الحقوق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو
اسرايل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر
رجلا من عباد بني اسرايل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا
من اخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكر الله تعالى وفاية البيان بقوله من الناس
للتنبيه على انهم قتلوا الامرهم بالقسط لا لخصوصية فيهم ووجه المضارع الدال على
الاستقبال والحال مع ان قتل الانبيا انما كان فيما مضى ان اوايل اهل الكتاب قتلوا الانبيا
واتباعهم الامرين بالقسط والمعاصرين راضون بذلك وقاصدون قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمومنين وذلك في حكم القتل فكانوا استمروا على قتل الانبيا واتباعهم
فصح المضارع الدال على الاستمرار ويكون الحكم بالقتل على المعاصرين بقرينة قوله
فبشرهم بعذاب اليم لا على المجموع ليلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز على ان الماضين
قد انقرضوا والمعاصرين لم يباشروا فالاستمرار على القتل في الكل ايضا انه مجاز
فلا جمع وقد منع سيبويه ادخال الفا في خبر ان كليت ولعل ولهذا قيل الخبر اولئك
الذين حبطت اعمالهم كقولك زيد فانهم رجل صالح والفرق ان ان لا يغير معنى الابتدا
بخلاف ليت ولعل في الدنيا والاخرة اي لا ينالون بها نفعا لا في الدنيا ولا في الاخرة
وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واعتبر مقابلة الجمع بالجمع والافني المفرد
ابلغ الم تر تعجيب من حالهم وتنبيه على سوء صنيعهم الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يريد احبار اليهود فانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية لافادة التنكير

واللام للعهد والمعهود التورية ومن اما للتبعيض لان ما فهموه مع وفوره ليس الا البعض
منها لتعذر احاطة البشر بكنه كلام الله تعالى واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر الذي اوتوه
هو التورية وعلى هذا الانسب ان يفسر الايتا بالانزال عليهم والاطلاع عليها الا بالتحصيل
ويجوز ان يكون اللام للجنس ومن للابتدا او للتبعيض وان تكون للعهد والمعهود اللوح
ومن للابتدا والنصيب للتورية ووصفها بالعظم انسب من وصفها بالكثرة يدعون
الى كتاب الله ليحكم بينهم حال او استيناف وكتاب الله هو التورية وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
فقال عليه السلام على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية
فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة
كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم بعد علمهم ان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
اعتراض او حال لتاكيد تقييد التولي به واذا استقام ان يكون حالا او يكون وقرئ
ليحكم على البنا للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم
من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته
فهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق وهم الذين لم يسلموا وذلك لان
ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا وتعاديا بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع
الفارغ والسبب في الحقيقة زعمهم اياه الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا لمعتقدهم
الفاسد عن منزلة العقائد الفاسدة الى منزلة الاقوال الباطلة التي لا طائل تحتها
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم الانبيا يشفعون لهم والغرور
الاطماع فيما لا ينفع اي غر الضعفا قول الكبرى وانما سماه افترا وهو اختلاق الكذب على
الغير لانهم اضافوا القول الى التورية فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام
لما تعد لهم من العقاب وتهويل لهم اي فكيف تصنعون او كيف يكون حالهم اذا
وقعوا فيها لا حيلة لهم في دفعه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه
دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله
لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص ويرد عليه انا لا نسلم ذلك

فانه يجوز ان يكون فيه تخفيف العذاب وابطاله في بعض الاحوال عند موقف الحساب
والمرور على الصراط وهم لا يظلمون بنقص ما وعد من اجورهم والضمير لكل نفس على
المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولهذا لا يجتمعان وذلك من بعض
خواص هذا الاسم كدخولها التاء في القسم ومع حرف التعريف وقطع همزته مالك الملك
اللام للاستغراق لتقييد العموم وهذا ندا ثان عند سيبويه لان الميم عنده تمنع
الوصفية تؤتي الملك من تشا اللام هنا وفي قوله وتنزع الملك ممن تشا للماهية
التي تحصل بوجود فرد منه فهما خاصا اي تؤتي من تشا النصيب الذي قسمت له منه
وتنزع ممن تشا النصيب الذي اعطيته منه وتعز من تشا وتذل من تشا في الدنيا
بالنصر والادبار وفي الاخرة بالتوفيق والخذلان بيدك الخير انما خص الخير بالذكر لانه
نسبة الشر اليه تعالى على وجه التصريح به في الحديث النبوي حيث قال والخير في يديك
والشر ليس اليك ولما احتمل ان يظن ان الشر خارج عن حيز قدرته دفع بقوله انك على
كل شي قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي وترزق من تشا بغير حساب لما ذكر قدرته في ايتاء الملك والنزع
والاعزاز والاذلال عقب المثبتة بدلالات القدرة الباهرة بذكر الليل والنهار
وزيادة كل منهما بنقص الاخر وذكر الحي والميت واخراج كل منهما من الاخر وذكر سعة فضله
دلالة على ان من قدر على هذه الامور العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان
يرزق من يشا من عباده بغير حساب فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم
ويوتيه العرب ويعزهم ويرزقهم بغير حساب والولوج الدخول يعني [illegible]
هنا الحق قدر من الليل بالنهار وقدر من النهار بالليل بالعشر على وجه يكون
اللاحق من جنس الملحوق والمراد من اخراج الحي من الميت وعكسه انشا النسمة الحية
من النطفة الميتة والنطفة الميتة من النسمة الحية وقيل هو اخراج المومن من الكافر
وعكسه وفيه انه ليس من الايات الباهرة التي تستحق ان يستدل بها على ما ذكر وذكر
من مع ان الرزق غير مخصوص بذوي العقول للتنبيه على ان رزق هذا الجنس وهو
اقل افرادا من الجنس الاخر اذا كان خارجا عن حد العد فالخروج عنه في الجنس الاخر
في الكلام بطريق الاولى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر
الامور الدينية من دون المومنين اي لا تتخذوهم اوليا متجاوزين ولاية المومنين

فان الحصر في موالاتهم منه وحث من موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم بالولاية من دون
المؤمنين اي لا تتخذوهم ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اوليا فليس من الله في شيء
فليس من ولاية الله في شيء يطلق عليه اسم الولاية فان ولاية العدو وعداوة وهم اعدا
الله الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه في محل النصب
على الظرف اي الا وقت ان تتقوا وقيل بمعنى تخافوا وتحذروا فتعديته بمن كان هذا
التقابل على ان خاف وكذا احذر لا يتعدى بنفسه ولم ينصب ويكون تقاة نصبا
على المصدر بمعنى تتقي وقرئ تقية فتقية بمعنى مفعول او تسمية بالمصدر ايضا
ويجوز ان يكونا مصدرين ان جعل مفعولا به ففيه مبالغة شديدة حيث كان الرخصة
معلقته بشدة الخوف حتى ان المحذور من غاية كونه مخوفا كانه نفس الحذر وفيه
التفات ولا يخفى ما فيه من اللطف فانهم لما نهوا عن فعل ما لا يجوز جعلوا كالغائب
غايب فلم يواجهوا بالنهي ولما قيت المسامحة والاذن في بعض ذلك وجهوا به تلذذا
بلطف الله تعالى بهم وتشريفا بخطابه اياهم ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا
لسخطه بموالاة الاعدا وعيد شديد مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر
النفس ليعلم ان المحذور منه عقاب يصدر منه فلا يوبه دونه بما يحذر من الكفرة
والى الله المصير دون غيره فلا تتعرضوا له ولا يمكنك الحذر ايضا ويليغ عند مخالفته
ثم بين قوله ويحذركم الله نفسه بقوله قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله وهو بيان من باب التتميم كاقامة البرهان اي ان تخفوا ما في صدوركم
من ولاية الكفرة وغيره مما لا يرضى الله به او تبدوه يعلمه الله تعالى ويستوي عنده
الاخفا والابدا فذكر قوله او تبدوه بعد قوله ان تخفوا مع انه مغني عنه لتقرير
معنى التسوية المذكورة وهو كقوله وكهلا في قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا ويعلم
اي وكيف لا وهو يعلم ما في السموات وما في الارض فانه مطلع بالذات على الاشيا
كلها سرها وعلنها والله على كل شيء قدير فهو القادر على عقوبتكم وفي اظهار ذكر
الله في المواضع الثلاثة وتقديمه على المصير مع ان الموضع موضع الاضمار ايعاد شديد
وتربية للعلم والقدرة والمهابة بانه هو العالم القادر دون غيره ولا يختص علمه
وقدرته ببعض المعلومات والمقدورات دون بعض فيجب ان يحذر ويتقي يوم
تجد نصب بمضمر نحو اذكر لا بيود اذ ح يضيع توصيف اليوم بوجدان كل نفس ما عملت
من خير محضرا بل على انه لا يصلح منشا لتلك الودادة والاصل في مثل ذلك هو

مثل

المتنابية كل نفس اي كل نفس عاملة الخير وهي النفس المؤمنة لعدم الخير للكافر وحذف
الوصف لدلالة قوله ما عملت من خير محضرا عليه وفيه اشارة بشارة للمؤمنين لانه
ذكر انه يجد الخير محضرا ولم يذكر في حقه احضار الشر لانه مما يغفر ولا يحضر
قال الله تعالى اوليك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سياتهم والاظهار
حضور العمل بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر فلا يجوز
الصرف عنه بلا صارف وما عملت من سوء مبتدا وخبر تود لو ان بينها وبينه
اي تحت منتهيا اي بينها وبين ذلك اليوم بهوله ولا يجوز ان يكون تود حالا من الضمير
في عملت لان عملها ليس في حال الودادة المذكورة وعلى قراءة ودت يجوز ان تكون ما شرطية
وكذا على قراءة ابن مسعود عند المحقق ولا ياباه رفع توده لان الشرط اذا كان ماضيا
والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم لكن الحمل على الجملة الاسمية اوقع في المعنى لانه
حكاية الكائن في ذلك اليوم امدا بعيدا والامد المسافة او الزمان ويحذركم
الله نفسه ذكره فيما سبق للمنع عن موالاة الكافرين وذكره هنا للحث على عمل الخير والمنع
عن عمل السوء فلا تكرار والله رءوف بالعباد يعني ان المبالغة في تحذيرهم وتنبيههم
عن الغفلة وتذكيرهم كمال علمه وقدرته واحاطته بضرب من الرافة العظيمة بالعباد
لانهم اذا انتبهوا وعرفوا حق معرفته حذروا سخطه وطلبوا رضاه فنجوا او يجوز ان يريد
انه مع كونه محذورا لاحاطة علمه وكمال قدرته وعقوبته مرجو لسعة رحمته ورافته
ولطفه كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة امر وجداني لا يمكن تعريفه بحسب الحقيقة كما قيل حقيقة الحب لا تحكي لنا قدرها
والوجدانية تتعسر التعريف بالقيل لا يعرف الشمس الا من يشاهدها الكمه في تعريفها
عن تضليل واثرها الحادث في القلب ميل الى المحبوب لكمال ادرك فيه بحيث يحملها
على ما يقربه اليه فمحبة الله تعالى تقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على طاعته يحببكم الله جواب الامر اي يرضى عنكم ويقربكم من جناب عزه
ويسكنكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة والمشاكلة
ويغفر لكم ذنوبكم ما سلف من ذنوبكم والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته وتبعه
نبيه قل اطيعوا الله والرسول ذكر الله توطية لذكر الرسول تخصيصا له باسمه تعالى
وتعظيما لكون الطاعة مكان المتابعة كانه قال فان لم تتبعوني فاطيعوني وقوله تكو

الرسول والالتفات واكد تعظيمه فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا
بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين قد سبق انفا بيان معنى حب الله اثبت
الكفر لتاركي طاعة الله والرسول لبوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر
وحصر الكفر فيهم بافادة انهم جنس الكفار ليلزم ان تارك المتابعة ليس بكافر ما دام
مطيعا لانها لا تتيسر لكل واحد من احاد المطيعين مومئا الى ان ذلك لم يتيسر له التا...
في سلوك طريقه فعليه بالطاعة كما امروا الا كان كافرا ان الله اصطفى ادم ونوحا
بالرسالة او الخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم
لما اوجب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين انها الجالبة لمحبة الله تعالى عقب ذلك
ببيان مناقبهم تحريضا عليها وال ابرهيم اسماعيل واسحاق عليهما السلام واولادهما
وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وال عمران على العالمين موسى وهرون عليهما
السلام والمراد عمران بن يصهر وقيل عمران بن ماثان واله عيسى ومريم بنت عمران والولد
ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح وادم اي انهم ذرية
واحدة متشعبة بعضها من بعض والذرية لما كانت مشتقة من الذرء وهو الخلق شملت
الكل لان الاب خلق منه الولد والولد خلق من الاب وقيل بعضها من بعض في الدين والله
سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول
امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فتنصب
اذ بسميع ومنع توصيفه عن العمل غير مسلم وقيل نصبه باضمار اذكر محررا نصب على
الحال اي معتقا بخدمته مخلصا للعبادة لا اشغله بشي قيل كان بنو اسرائيل لم يكن لهم
غنايم اعدايهم فلم يكن لهم مماليك يعتقونهم وكانوا يحررون اولادهم تقربا الى
الله تعالى ويقطعون منافعهم عن انفسهم ويفرغونهم لخدمة بيت الله فتقبل مني
ما نذرته والتقبل اخذ الشي على الرضا به انك انت السميع لقولي العليم بنيتي
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى
حتى يكون كقولك وضعت انثى انثى بل نظرا الى الحال او على تاويل النفس والنسمة
وانثى حال من وضعتها وطريق ضميرها في بطني للحال الذي واحد وانما قالته
تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة
والله اعلم بما وضعت اي بالشي الذي وضعته وهو استيناف من الله تعظيما للموضوع
وتجهيلا لها بشانها وقرئ وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله

تعالى فيها سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر الذي
طلبت كالانثى التي وهبت لها بيان لقوله والله اعلم بما وضعت والتعريف فيهما للعهد
قيل ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر كالانثى سيان فيما نذرت فيكون التعريف
للجنس وفيه ان مقصودها تنقيص الانثى بالنسبة الى الذكر والمشهور في مثله ان ينفى
عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها
وما بينهما اعتراض ارادت بذلك التقرب الى الله والعصمة لها لان مريم في لغتهم بمعنى العا[بدة]
فلعل الله يصدق فيها الظن ويجعلها طبقا لاسمها فتقوم مقام ما نذرته الا اما
كيف اتبعته بقوله واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم
المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها والحديث مذكور
في الصحيحين ولا انصراف عن ظاهره فمن تردد في صحته ثم اوله فقد ضل واضل فتقبلها
ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه يقبل منه النذاير وهو اقامتها
مقام الذكر وتسليمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة ويجوز ان يكون مصدرا
على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضي وتعجل اي
فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا اي انشاها
ورباها على احسن وجه خلقا وخلقا وكفلها زكريا وقرئ بتشديد الفاء اي جعل
الله زكريا كافلا لها وضامنا لمصالحها كلما دخل عليها زكريا المحراب قال الاصمعي المحراب
الغرفة اي الشرفة التي بنيت لها وقال الزجاج المحراب اشرف المجالس ومقدمها
وقيل المساجد عندهم تسمى المحاريب وهو مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه
وتنكير رزقا للتنويع اي نوعا غريبا من الرزق وروي انه كان لا يدخل عليها غيره
واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا وهو ات في غير حينه والابواب مغلقة عليك استقيما الاوصاف من اسم
الاشارة المستعمل لكمال العناية بالمشار اليه من الاوصاف العجيبة الثابتة
قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع
ثديا قط ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير

الذكر

عليها

مناسبة وعبارة على ما من جملة كلامها او من كلام الله تعالى هنالك في ذلك المكان
دعا زكريا ربه لما كان المحراب مكان عبادة وكرامة لمريم دعا فيه ان يهب الله تعالى له
ذرية طيبة قال تفسير للدعا رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي تفضل علي باعطا
ولد وابقائه كما وهبت لامراة عمران وهي عجوز عاقر بنيهم هذا من قوله من لدنك فان
فيه اشارة الى ان تلك الهبة على خلاف العادة وقيل لما راي الفواكه في غير اوانها
انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال ولولا انه ان يقال لما شاهد دفع خ
هذا الخارق في كرامة لمريم استدلاله الى خارق يناسبه كرامة والذرية الولد يقع
على الذكر والانثى والواحد والجمع وتانيث الطيبة للفظ الذرية والطيب الذي
هو مستطاب فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب انك سميع الدعا مجيبه فنادته
الملائكة كان الندا من جبريل عليه السلام وحده وانما ذكر جمعا لان الندا
لامر خارق كان يعتمد جماعة من الملائكة تعظيما لذلك الامر وهذا كما يقال حضر زيد
خواص السلطان يدعونه اليه وان كان الذي خاطبه بالدعوة واحدا منهم
وهو قائم يصلي في المحراب اي قايما في الصلاة ويصلي صفة قايم او خبر او حال عن
الضمير في قايم دل على ان المراد ذات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضا
الحاجات ان الله يبشرك قرئ بالفتح لوقوع فعل الندا عليه من جبرائيل عليه السلام
وحده وجعل الندا في معنى الاعلام وبالكسر على ان في الندا معنى القول وقرئ يبشرك
بالتشديد من التبشير وبالتخفيف من البشارة وقد سبق تفسيرها في سورة البقرة
بيحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله
اي بعيسى عليه السلام مؤمنا به سمي بذلك لانه وجد بامر الله تعالى بلا اب فشابه
البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله تعالى سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا الناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
متناهيا من التابع اللذات عليهن والحصر المنع وهو فعول بمعنى فاعل وقيل هو
الحبيل الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا ذكر انه مر في صباه بصبيان فدعوه
الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم لانه كان من
اصلاب الانبيا عليهم السلام او كائنا من الصالحين وفي توصيفه بالصلاح
بعد توصيفه بالنبوة ما لا يخفى من التعظيم الصلاح قال رب انى يكون لي غلام
استعظاما وتعجبا وفي عبارة الغلام دون الولد التقوية له وذكر الغلام

كاف في البشارة على ما ذكر في سورة مريم وترك ههنا اختصارا والاستبعاد بحسب العادة لما
لا يناسب الحال وسياق المقال لا على قوله من لما كان دعاوه عليه السلام قبل بشارته بربعين
سنة فلذلك نسي ما سال ربه حتى قال ما قال والحق ان الاستعظام ينتظم اذا انقضى
المقام واما الاستفهام عن كيفية حدوثه فلا يناسبه تمام الكلام ولا ينتظم الجا
حق الانتظام وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة
ولامراته ثمان وتسعون سنة ولهذا قال وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع
لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك تعظيم اي مثل ذلك الفعل العظيم العجيب الشان
البعيد عن العقل والعادة الله يفعل ما يشاء من الافاعيل العجيبة وهو خلق الولد من
الشيخ الفاني والعجوز العاقر كذلك نصب على المصدر او خبر مبتدأ الله اي على مثل
هذه الصفة الله وقوله يفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة
للعادة قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها الحبة لاستقبله بالبشاشة والشكر
وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك ان لا تكلم الناس ان لا تقدر على تكليم الناس من غير
خرس وما آفة اخرى لقوله في موضع اخر سويا اي سليم الاعضا وانما حبس لسانه
عن مكالمتهم خاصة ليخلص المرة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة لما اطلع الله تعالى
على انه طلب الاية لاداء الشكر جعل الاية نفس الشكر فان اخلاص المرة لذكره دون شيء
لسانه بغيره من احسن انواع الشكر واحسن الجواب ما كان مشتقا من السؤال
كانه قال ايتك ان لا تقدر الا على شكري ثلاثة ايام ذكر الايام ههنا والليالي هناك
ولا تنافي بينهما لان ذكر احداهما جمعا يقتضي دخول الاخرى فيها لغة وعرفا الا رمزا
الرمز الايما بالشفتين وقد يستعمل في الايما بالحاجب والعين واليد والراس والاول
اغلب واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والكلام ينتظم الرمز لان المراد منه ما دل
على الضمير قال حويزة بن نابذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهرير
فالاستثنا متصل وقرئ رمزا كخدم ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه
عليه السلام ومن الناس بمعنى المترامزين واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين الغرض منه وتقييد المامور به لا تقييد الامر فعلى
تقدير دلالة الامر على التكرار فائدته تكرار الذكر الكثير وسبح بالعشي والابكار
في طرفي النهار خصهما بالذكر لانهما مجتمع ملائكة الملوين وقرئ والابكار بفتح الهمزة
جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين اي بكرة واذ قالت الملائكة يا مريم

لما فرغ من قصة زكريا عليه السلام وكان قد استطرد من قصة مريم اليها رجع الى قصتها
والمقصود تنزيهها عما رمتها به اليهود وفي ايراد الملائكة خطابا بها ايناس لها وتوطينها
على الفهم اليها ودفع لاحتمال ان يكون ذلك بطريق الالهام لا على وجه المشافهة بالكلام
ان الله اصطفاك اولا بانعام الكرامة واختصك بتقبلك من امك وتربيتك
ورزق الجنة وفيضها للعبادة وطهرك مما يستقذر ويجتنب من الافعال ويدخل فيه
ما قذفها اليهود دخولا اوليا واصطفاك على نساء العالمين بان وهب لك
عيسى عليه السلام من غير اب كانت تلك المخاطبة كرامة لها للاجماع على انه تعالى
لم يستنبئ امراة واما قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا فلا دلالة فيه على
المطلوب لان الرسول اخص من النبي ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء العام يا مريم
اقنتي اخضعي او ادومي الطاعة لربك واسجدي اي صلي النافلة وحدك واركعي مع
الراكعين اي صلي الفرض مع المصلين في بيت المقدس جماعة وانما خص السجود من بين
اركان الصلاة بالذكر في مقام التعبير عن الكل بالجزء لان تمام الصلاة به ولهذا يجعله
من حلف لا يصلي اذا تم سجوده ولا يحنث قبله وخص الركوع بالذكر في مقام التعبير
عن الصلاة بالجماعة لان شرط صحة الاقتداء ادراك الامام في الركوع ذلك اشارة
الى ما ذكر من نبا زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من انباء الغيب نوحيه اليك
ما نوحي اليك من الغيوب وما كنت لديهم الضمير عايد على ما دل عليه المعنى اي
وما كنت لدى المتنازعين اذ يلقون اقلامهم قداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا
باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا بها والمراد تقرير كونه وحيا
على سبيل التهكم بمنكريه كانه قيل انه عليه السلام يخبركم بما لا سبيل اليه لنظر
العقل وانتم تنكرون الوحي وتعترفون بعدم السماع فلم يبق لنا ما تقتضي
عقولكم ما يحتاج الى النفي سوى المشاهدة التي هي اظهر الامور انتفاء ايهم
يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا ايهم
يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة
بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع
الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه قد سبق تفسيرها اسمه الضمير للكلمة وانما ذكر باعتبار المعنى المسيح
عيسى بن مريم المسيح لقبه اصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك فعوض في لقب

المشرفة كالصديق وعيسى معرب ايشوع وانما قال عيسى بن مريم والخطاب لها
للتنبيه بنسبته الى الام انه يولد من غير اب لان النسبة اليها انما تكون عند فقد
الاب وقد كان في توهمهم بكلمة تمهيد لهذا التنبيه ولما كان الاسم علامة يعرف بها
به المسمى ويتميز من غيره قيل اسمه اي ما يعرف به ويتميز بمجموع هذه الثلثة تعظيما
له وتنويها بذكر اللقب والصفة مع الاسم وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة
من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم
على الناس بالمعجزات وفي الاخرة علو الدرجة والشفاعة ومن المقربين من الله
تعالى حال اخرى وقيل اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس حال
اخرى والعدول الى الفعل لانه صفة متجددة بخلاف السابق واللاحق وذكر الناس
بيانا ان المراد التكلم المعتاد فان الصبي قد يعتاد على التكلم مع ابويه وهو طفل فتكلمه
طفلا في غير تلك الحال ليس بخارق العادة في المهد حال من يكلم وكهلا عطف عليه
اي طفلا وكهلا وانما عدل عنه الى المهد تصويرا لحال الصغر المنافي للقدرة على التكلم
كانه قيل والمعنى يكلمهم في الطفولة والكهولة على السوا وفيه اشارة لامه بعيشته
وبقائه الى الكهولة وهو ما بين الشباب والشيب واستدل به على نزوله من السماء لانه رفع
اليها كان قبل ان يصير كهلا والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه تسمية بالمصدر
ومن الصالحين حال رابع من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت لما نعتت من نسبته
فانه لا والد له رب انى يكون لي ولد تعجب ناش من استبعاد عادي او استفهام عن
ان يكون بتزوج او غيره لان قوله ولم يمسسني بشر ظاهر في ان الطريق عنده
منحصر في التزوج قال جبريل عليه السلام بامر الله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء
قد سبق تفسيره اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون بيان لقوله يخلق ما يشاء وايماء
الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة
من غير ذلك ويعلمه الكتاب كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف
اللوم لما علمت يقينا انها تلد من غير زواج والكتاب الكتبة وقرئ ونعلمه بالنون
على الالتفات من الغيبة الى الخطاب لشدة الاعتناء بامره عليه السلام ويجوز ان
يراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان في قوله والحكمة والتورية والانجيل
لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر اي
ويجعله رسولا او رسولا يتضمن معنى النطق كانه قال ورسولا ناطقا باني قد جئتكم

جائز وجوز ان يكون التقدير ويقول ارسلت رسولا ولا يخفى ضعفه اذ فيه
اضمار شيئين القول ومعموله والعطف على الاحوال المتقدمة يأباه الفصل
بقوله قالت رب انى يكون لي ولد الخ فالوجه ان يؤخر هذا القول عن ذكر
الاوصاف والاحوال والاهتمام بلا علة لا يصلح باعثا التقديم ما حقه التاخير
فانه لا يكون بسلامة الامر وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته عليه السلام
او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين في محل النصب
بدل من انى قد جئتكم او الجر بدل لا بيانية او الرفع على هي انى وقرئ انى بالكسر على
على الاستئناف كهيئة الطير اي اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير اصل الكلام
كالطير في الهيئة واما عدل عنه الى المنزل للاشارة الى انه لم يكن منه عليه السلام
تصرف الا في الهيئة فلا مماثلة بينهما في المادة وانما المماثلة في الصورة فقط
فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثلة فيكون طيرا اي يصير حيا طائرا باذن
الله بين به ان احياءه كان من الله تعالى لا منه وفي عبارة الاذن دون الامر اشارة
الى يقول امر كونه طيرا قيل تواطأ النقل عن المفسرين ان الطائر الذي خلقه
عليه السلام كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط
ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق ومن هنا ظهر وجه زيادة لكم في قوله
انى اخلق لكم ووجه التعبير الذي اشير اليه بعبارة الاذن وابرئ الاكمه والابرص
الاكمه الذي ولد اعمى وقيل الممسوح العين واحيي الموتى باذن الله ذكر فيما لا يدخل
تحت قدرة العباد وقيل في وجهه انه علم انه يعبد ويتخذ الها فنفى عن نفسه
الالوهية قطعا لحجتهم عند الله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك الاشارة
الى المجموع مما ذكر لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم
لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي
من التورية عطف على رسولا او على باية تقديره قد جئتكم باية وجئتكم مصدقا
ولاحل لكم ولا بين الحل واعله معطوف على محذوف تقديره لاخفف عنكم ولاحل
لكم او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك او مردود
على قوله جئتكم باية اي منتظم معه معطوف عليه ظاهرا لكنه في التحقيق
من عطف الجمل اي جئتكم باية لا احل اذ لا وجه لعطف المفعول له على المفعول به

وذلك ان تجعل الكل في معنى الحال فيستقيم العطف اي جئتكم ملتبسا باية ومصدقا
لما بين يدي وكاينا لاحل بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام
كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وذلك لا ينافي كونه مصدقا
للتورية لان النسخ في الحقيقة بيان لانتهاء حكم المنسوخ وجئتكم باية من ربكم
اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم وما اراد كرسمه ولادتي بغير اب ومن كلامي
في المهد وغير ذلك وقرئ بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات
واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربكم اي تلك الايات واسمعوا
ربي و
هذه فانها اعظمها وهو التوحيد الذي يطابق عليه الرسل كلهم وهو مبني على كمال
واسمه فاعبدوه خصصوه بالعبادة وقرئ ان الله بالفتح ومعناه لان الله ربي
وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم
بان تعظيمه ما اعظمها الذي هو ان الله تعالى ربي وربكم وما بينهما اعتراض
للتاكيد هذا صراط مستقيم اشار بقوله ان الله ربي وربكم الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد فالحق الذي غايته التوحيد وبقوله فاعبدوه الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهي
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة فلما احس
عيسى منهم الكفر نزل الكفر منزلة الشيء المحسوس من سبه وطلبه للقتل مبالغة
في قوة تاثيره وشدة ظهوره ثم كنى باحساسه عن التاثر به والخوف منهم ولذلك
طلب الانصار ومن زعم ان الاحساس مستعار للعلم اليقيني الذي لا شبهة فيه فقد
وهم لان فيه تشبيه القوي بالضعيف فان الاحساس كثيرا ما يقع فيه الغلط ثم قيل
شبه الكفر المعقول بالمحسوس في قوة الظهور فاضاف اليه الاحساس على طريق الاستعارة
بالكناية لكان له وجه والفاء فصيحة ترتيبها على محذوف يفهم من سياق الكلام
وسباقه قال من انصاري جمع نصير كالاشراف جمع شريف او جمع ناصر كالاصحاب جمع
صاحب الى الله في محل النصب متعلق بمحذوف اي سائرا الى الله او ملتجئا اليه او متصلة
بانصاري مضمنا معنى فعل متعدي بالى اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله تعالى في نصرتي
كانصر في الله قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته من الحور وهو البياض
الخالص سمى به عليه السلام اصحابه لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم نحن انصار الله
اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون تاكيد لاسلامهم لان الرسل يشهدون

يوم القيمة لقومهم وعليهم **ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**
مع الانبيا الذين يشهدون لاممهم او مع امة محمد عليه السلام لانهم شهدا على الناس
او مع الشاهدين بالوحدانية **ومكروا** اي الذين احس عيسى منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا
به من يقتله غيلة فجأة **ومكر الله** بان رفعه عليه السلام والقى شبهه على من قصد
اغتياله حتى قتل وحقيقة المكر اظهار امر يعتقد فيه الناظر اليه الجاهل حقيقته بضد
ما هو كذلك الاحتيال والخديعة والسخرية ومن قصد شيئا من ذلك لامر قبيحا
يكون ذميما وان قصد به فعلا جميلا يكون به التحميد كذا قال الراغب فلا شيء في اسناده
الى الله تعالى كالاشي في اسناد الكيد اليه ومن وهم انه لا يسند اليه تعالى الا على سبيل
المقابلة والازدواج فقد وهم وكانه غافل عن قوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون **والله خير الماكرين** اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب **اذ قال الله** ظرف لمكر الله لا لخير الماكرين لان تقييد
كونه تعالى خير الماكرين بالظرف ليس بسديد **يا عيسى اني متوفيك** اي مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما وقيل اماته الله ورفعه الى السماء ثم احياه واليه
ذهب النصارى **ورافعك الي** الى محل كرامتي ومقر ملائكتي **ومطهرك من الذين كفروا**
من خبث صحبتهم وسوء جوارهم او قصد جورهم **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا**
يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه
في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود
والنصارى **الى يوم القيمة** الى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم دولة وملك
ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين
على الغايبين بعدما التفت من الغيبة الى الخطاب ليكون الاخبار ابلغ في التهديد به
واشد زجرا **فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** من امر الدين والتفت من الغيبة
الى التكلم فاسند الحكم الى نفسه ليعلم ان الحاكم هنا من لا يخفى عليه خافية **فاما الذين
كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم** تفسير الحكم وتفصيل له وبدأ بذكر الكفار
لان ما تقدم من الجمل انما ذكر على سبيل التهديد والوعيد لهم والاخبار بجزائهم وقوله
وعملوا الصالحات لم يذكر على انه قيد احترازي بل ذكر للتنبيه على ان الايمان الصحيح يستتبع

يتبعه العمل الصالح ان لم يمنعه مانع **والله لا يحب الظالمين** اي يبغضهم فانه من الكنايات
المختصة بالحقيقة في جميع الالسنة **ذلك** اشارة الى ما سبق من نبا عيسى عليه السلام
وغيره وهو مبتدا خبره **نتلوه عليك** وقوله من الايات حال من الضمير او خبر بعد خبر او خبر
مبتدا محذوف ويجوز ان يكون **من الايات** خبرا ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة
وان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه وان يكون بمعنى الذي ونتلوه صلته والخبر
من الايات **والذكر الحكيم** هو القرآن وصفه بصفة من هو له على طريقة قولهم شعر شاعر
ولكن حكمه كانه حكيم ناطق بالحكمة او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه **ان مثل عيسى
عند الله** اي شانه الغريب في ولادته من غير نطفة **كمثل آدم** كشانه الغريب في خلقه
كذلك وتخصيصه بالحال على الخلق قال عند الله وحاصله في ذلك اي في ان وجدا وجودا خارجا
عن العادة بان خلقا من غير نطفة نظيران لا مزية لاحدهما في نفس خلقه المعنى فصح
التشبيه بلا اشتباه واما كون عيسى عليه السلام مخلوقا من غير اب وادم عليه السلام
مخلوقا من غير اب وام فخارج عن مدلول الكلام وان كان مقصودا في تشبيه ما سيق
له ذلك ملحوظا من غرضه بمعونة المقام فان الغرض دفع استغرابهم خلق عيسى عليه
السلام من غير اب فملاحظة من خلق من غير اب وام يتم ذلك الغرض على وجه اقوى
ولهذا انتقض لبيان حاله بقوله **خلقه من تراب** جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له
الشبه اي خلق جسده فانه من عالم الخلق وهو عالم الجسمانيات وعالم الشهادة ثم اوجد
روحه بامر كن وهو عالم الامر وهو عالم الملكوت وعالم الغيب على ما افصح عنه بقوله
ثم قال له كن وفيه دلالة على ان الانسان كاين مرة بعد اخرى على ما صرح به في قوله
ثم انشاناه خلقا اخر وكلمة ثم للتراخي حقيقة **فيكون** حكاية حال ماضية استحضارا
لتلك الحال العجيبة وبيان لسرعة حصول المراد فان الفا الدالة على عدم التراخي
الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق **من ربك** اي ثابتا منه على انه حال موكدة وقيل الحق
مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى وتعريف الحق للعهد الذهني اي ايجاد
عيسى عليه السلام من غير اب هو الحق الذي نعرفه **فلا تكن من الممترين** الخطاب للنبي
عليه السلام وفايدة النهي عن الامتراء هو التثبيت على اليقين والطمانينة والايماء الى
ان الممتري هو الذي لا يعرف الحق اي قدرة الله تعالى على الايجاد من غير اب والاخر فلو كان
النبي صلى الله عليه وسلم الجاهل ان يمتري حتى ينهى عنه **فمن حاجك** من النصارى **فيه**
اي في عيسى عليه السلام **من بعد ما جاءك من العلم** اي البينات الموجبة للعلم **فقل تعالوا**

تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم
نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس
تنبيها على لطف مكانهم وقرب منزلتهم لانهم مقدمون على الانفس فكيف والرجل يخاطر
بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل من البهلة بفتح الباء وضمها وهي اللعنة واصل الابتهال
الالتعان ثم استعمل في كل دعا يجتهد الانسان عليه وان لم يكن التعانا والمباهلة
الملاعنة اي نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذبين منا ومنكم فنجعل لعنة الله
على الكاذبين عطف فيه بيان قد طول المفسرون في قصة المباهلة وحاصلها انه عليه
السلام لما دعاهم اليها وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم الى الميعاد كفوا
عن ذلك ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى عليه السلام وامه لهو القصص الحق بجملتها خبر
ان او هو فصل يفيد ان ما ذكر في شانهما حق دون ما ذكروه وما بعده خبر وحق اللام
ان تدخل المبتدا اخلاء الا ان ازلقت عنه الى الخبر والواسطة لمزيد التاكيد واذا جاز
تاخيرها الى الخبر فلان يجوز الى الواسطة التي هي اقرب الى المبتدا اولى وما من اله
الا الله زيادة من هنا لافادة معنى الاستغراق والتاكيد في النفي كالبنا على الفتح في لا اله
الا الله والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم دخلات
واظهار اسم الله وتوسيط هو الفصل وادخال اللام عليه وتعريف العزيز الحكيم مبالغات
وتاكيدات في التوحيد ونفي الشرك وان العزة اي الغلبة والقهر مخصوصة بالله تعالى
ليس لغيره فيها نصيب وان قهره انما يكون بالحكمة فلا يغتر الا الكافر ثم بالغ في الايعاد
بقوله فان تولوا عن التوحيد فان الله عليم بالمفسدين وادخال الفاء في ان الله ه
اشارة الى ان الوعيد مسبب عن الاعراض ووضع المفسدين موضع ضميرهم تسجيل
عليهم وتنبيه على ان حقيقة الفساد هو التولي عن التوحيد وان الوعيد المذكور
في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون مخصوص بهم قل يا اهل
الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد بني نجران وقيل يهود المدينة تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم اذ لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها
ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ولا نشرك به شيئا لم يرد به الشرك
في العبادة لان الوصل ياباه بل اراد به ما ذكر بقوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله اي لا يتخذ الاتباع الرؤس اربابا من دون الله فيطيعونهم

كطاعة الله تعالى نهي عن طاعتهم الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم من غير الرجوع
الى ما شرع اليه ونهي عن قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله لان مرجعه الى ما تقدم من توحيده
تعالى بالعبادة فان تولوا عن التوحيد الذي هو اصل دين الكل فقد لزمتهم الحجة بانهم ليسوا
على دينهم فقولوا اشهدوا بانا مسلمون دونكم لانكم خالفتم كتابكم ونبيكم ويجوز ان
يكون من باب التعريض اي اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت
عليه الرسل ولا يخفى ما في نظم هذه القصة من المبالغة في الارشاد ولطف التدرج
في الحجاج وحسن المقطع من ظهور الحجاج يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام
وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يعني انكم
معترفون بحدوث اليهودية والنصرانية بنزول التورية والانجيل ونزولهما بعده
عليه السلام فكيف يكون يهوديا او نصرانيا ولا يرد الالزام علينا في قولنا انه عليه السلام
كان على دين الاسلام لانا انما نقول بحدوث دين الاسلام بنزول القران افلا
تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف التنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة
مستانفة مبينة للاولى اي تنبهوا ايها الناس انتم هؤلاء الحمقى على هذه الصفة
التي انتم عليها لا يمكن ذمكم بما هو ابلغ منه فانتم الاشخاص المتصفة المشار اليهم
في الحالة وفي حرف التنبيه مبالغة في غفلتهم وفي هؤلاء الذم بالجهل وحاججتم
كشف جهلهم ومخافة عقولهم اي انكم حاججتم فيما لكم به علم من التورية
والانجيل من حال محمد عليه السلام فلم تحاجون فيما لا ذكر له في كتابكم ولا علم لكم به
من حال ابراهيم عليه السلام والله يعلم ما حاججتم به فيعلمنا وانتم لا تعلمون وانتم
جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرر من البرهان
ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما ثابتا على ملة الاسلام وما نسب
الى بعض الاوهام من الاشتراك في الالزام فقد اندفع بما قررنا من الكلام وما كان
من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به تعالى عزيرا والمسيح ورد ه
لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اي اقرب
الناس منه واخصهم به من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده
وهذا النبي خصوصا والذين امنوا من امته لموافقتهم له في اكثر ما شرع له اصالة

والنبي بالنصب عطفا على الهاء في واتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والذين امنوا على
قراءة النصب عطف على الذين اتبعوه وعلى قراءة الجر يحتمل العطف على النبي وعلى
الذين اتبعوه وهذا الوجه والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة
وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم اي وما يقدرون
على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم اي لا يعود وبال الاضلال
الا عليهم فان الوبال يضاعف عليهم بضلالهم واضلالهم وما يشعرون ذلك يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله بما في التورية والانجيل من الايات الناطقة بنبوة محمد
عليه السلام وانتم تشهدون انها ايات الله تعالى او بالقران وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورة الحق وقرئ تلبسون بفتح الباء اي
تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق
نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب
المراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وكعب بن اسيد قالوا لاصحابهم
لما حولت القبلة امنوا بالذي انزل على الذين امنوا كان حقه ان يقولوا بالذي انزل
على محمد وانما عدل عنه الى المنزل عليهم للمباعدة من باطنه عن التكلم به وجه النهار
اوله قال • من كان مسرورا بمقتل مالك • فليات نسوتنا بوجه نهار •
اي اظهروا الايمان بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار واكفروا
اخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون ظانين بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم وقيل اثنا عشر
من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا
في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في كتابنا لعل اصحابه
يشكون فيه فيرجعون ولا تؤمنوا ولا تقروا عن تصديق قلب الا لمن تبع دينكم
الا لاهل دينكم اي لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم
ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان او يثبته عليه والهدى
اسم ان وهدى الله بدل منه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم خبر واللام في الهدى
للماهية وفايدة الابدال التعظيم الهدى بنسبته الى الله تعالى اي ان حقيقة الهدى
وماهية الهدى الذي هو هداه هدى بل لا هدى الا هو لان ما عداه من هدى الخلق ليس

بهدى وعلى هذا او في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى لان المحاجة تنفيها الا انقطع لذلك
الامر ببسطه بالايتان مرتبة عليه وهدى الله خبر ان وان يؤتى علة لفعل محذوف دل
عليه ما قبله من اظهار ايمانهم ورجوعهم لتفرقن بين اسلامكم اصحابهم اي لان يؤتى
احد كتابا مثل كتابكم تصدقه قالوه منزلا من عند الله او لحاجة اهله اياكم
عند ربكم دبرتم ما دبرتم وقلتم ذلك لا لاصحابكم وانما اوتي باو تنبيها على ان كل واحد
منهما مستقل في اغاظتهم وحملهم على الحسد حتى دبروا ما دبروا ولو اتي بالواو لا وقع
هذا الموقع ابهم بان الثاني يلزم الاول فلم يكن فيه فائدة زائدة واما اذا اتي باو فقد
اشعر بان كلا مستقل في الباعثية على الحسد والاحتشاد في التدبير والحمل على معنى
حتى ليس له موقع يردع السامع وان كان وجها ظاهرا ويؤيد هذا الوجه قراءة
ا ان يؤتى بهمزة الاستفهام اي الان يؤتى احد او لان يحاجوكم فعلتم ذلك ويجوز
ان يتعلق ان يؤتى بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيدوا ثباتهم ولا الى المشركين لئلا
تدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل
وقرئ ان يؤتى بكسر الهمزة على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يؤتى والضمير في للصد على ان المراد به المتزيد عليه وامته قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اي لا بايديكم وبتدبيركم فمن يؤتيه ويوفقه له لم يكن
لاحد دفعه وهو الاسلام فيكون تاكيدا لقوله قل ان الهدى هدى الله ويجوز ان
يكون اعتراضا اخر لتقرير امر الايتان في قوله ان يؤتى احد اي النبوة والوحي
هو الفضل على الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا بايديكم دفعه ولا ينفعكم الحسد والتدبير
والله واسع عليم واسع الرحمة عليم بالمصلحة فمن صلح لذلك من فيكم حتى يؤتيه
متفضلا عليه يختص برحمته من يشاء تاكيد وتاييد لقوله ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيه دفع وهم القصور في افضاله الكثير
الى الغير من اختصاص من يشاء برحمته ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قريشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه
اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قريشي
دينارا فجحده الا ما دمت عليه قائما في محل النصب على الظرف اي الا وقت

وقرئ

محمد

ووائل علتزق بالحي راسه بالمطالبة والتقاضي والتعنيف او بالبينة عليه عند
المرافعة الى الحاكم **ذلك** اشارة الى عدم الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي بتركهم
اداء الحقوق **بانهم قالوا** بسبب قولهم **ليس علينا في الاميين سبيل** اي لا يتطرق
علينا ذم ولا عتاب في شان الاميين اي الذين ليسوا من اهل الكتاب **ويقولون على**
الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم **وهم يعلمون** انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم
من خالفهم وقالوا لم نجعل لهم في التورية حرمة **بلى** اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم
سبيل **من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** جملة مستانفة مقررة للجملة
التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من او الى الله تعالى وتقوية بعهد الله
بعده والضمير الراجع من الجملة الجزائية الى من يقوم مقامه المتقين لعمومه فيشمله
اي كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الخيانة والغدر فان الله يحبه ويستلزم ان يبغض
الخائن الغادر فيلزم العتاب عليهم سبيل في الاميين وفي غيرهم ووضع المتقين
موضع الضمير الراجع للدلالة على ان التقوى توجب غلبة محبة الله تعالى لصاحبها واثبت
الموفي بالعهد هو المتقي فالغادر هو الفاجر بدلالة الفحوى وتعميم الحكم لعموم من
والمتقين يفيد انهم لو وفوا بعهودهم واتقوا الخيانة لوفوا بالعهد الاعظم وهو
ما اخذ الله عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم واتقوا الكذب على الله
وتحريف كلمه فكانوا مشلين محبوبين بمنابة حبيب الله لقوله فاتبعوني يحببكم الله
ثم صرح بما عرض بمعنى تطرق الذم والعتاب الى الخائن بقوله **ان الذين يشترون**
يستبدلون **بعهد الله** بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفا بالامانات **وايمانهم**
بما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه **ثمنا قليلا** متاع الدنيا **اولئك**
لا خلاق لهم في الاخرة قد سبق في تفسير سورة البقرة ما يتعلق به **ولا يكلمهم الله**
اصلا وان الملائكة تسائلهم يوم القيمة ولا ينتفعون بكلمات الله تعالى في الظاهر
انه كناية عن سخطه وشدة غضبه تعالى عليهم او مجاز لان الغاضب لا يكلم المغضوب
عليه **ولا ينظر اليهم يوم القيمة** كناية عن الاستهانة بهم والا لامهم او مجاز عن ترك
احسانه اليهم **ولا يزكيهم** ولا يثني عليهم هذا الغير مقيد بيوم القيمة فيفيد فائدة زائدة
ولهم عذاب اليم على ما فعلوا قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة ٥
وان منهم من المحرفين **لفريقا** هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب

وغيرهم **يلوون السنتهم بالكتاب** يفتلون بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب نعلي هذا الباء للصلة كما تقول لوي لسانه بالشعر اذا قاله مع
تعلق وفيه اضمار او بمعنى بالفتل او على زعمهم **لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب**
الضمير راجع الى شبه الكتاب والعدول في قوله من الكتاب عن الضمير الى المظهر لتفخيمه فان المقا
مقام تعظيم جريمة التحريف وذلك بتفخيمه وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ٥
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ايما ليس هو نازلا من عنده وفيه دفع
احتمال ان يكون من الكتاب ومع ذلك يكون من عند الله كالاحاديث القدسية فهو تاسيس
لا تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتسجيل عليهم بالكذب وتشنيع عليهم باجترائهم على
الله تعالى والعدول عن الضمير الى المظهر في قوله من عند الله لتعظيم هذا الامر وبيان
انهم لفرط دعائهم يصرحون بذلك ولا يوردون **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**
تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه **ما كان لبشر** ما صح له وما استقام
ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ذكر اولا الكتاب وهو جنس وترقى منه الى الحكم
وهو الفصل بين الناس بالكتاب ثم الى النبوة وهو الرتبة العليا فالترتيب في غاية الفصاحة
ثم يقول للناس اي بعثم وهي للمهلة تفيد هذا القول واذا انتفى هذا القول بعد المهلة
كان انتفاؤها بدونها اولى واحرى اي انتفى الاتيان الجامع هذا القول لانه كان بعد
مهلة **كونوا عبادا لي من دون الله** تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان
ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ
الله ان امر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وبيانه قوله بعد
اذ انتم مسلمون وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا
نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد غير الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ويناسب هذا قوله **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب
الى الرب وزيادة الالف والنون للمبالغة كما في اللحياني والرقباني وهو الكامل
والعمل **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فالباء تتعلق بكونوا فالمطلوب هو الربانية المسببة عن العلم وهذا
انما يدل على الربانية والتمسك بطاعة الله اذا لم تكن مسببة عن العلم لا يكون معتدا بها
واتقنه على وفق المامور به لا على العكس وانما كان الامر كذلك في نفس الامر وقرئ
تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى

ودرس كالكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسون
على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا قرئ بالنصب عطفا على ثم
يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر لبعد العهد وتحتمل الا تكون
او غير مزيدة على معنى انه ليس لنبي ان يدعوا العباد الى عبادته وينهاهم عن عبادة
الملائكة والنبيين وبالرفع على الاستئناف وهو اظهر ويؤيده قراءة ولن يأمركم ايأمركم
بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبيا عليهم السلام كان الامم به اولى
وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر
الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى اذ اخذ الله
الميثاق الذي وثقه الانبيا على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف
وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة
من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية مفعول آتيتكم ومن كتاب بيان لما وحمله
على التبعيض يفضي الى اعتبار قيد لا يقتضيه المقام ومثله عند البلغا يعد هجنة
في الكلام وجواب القسم لتؤمنن به وما بعده وجواب الشرط محذوف لدلالة
جواب القسم عليه وقدم الايمان لانه الاصل والنصر لانه من ثمرته ويجوز ان تكون
ما خبرية وقرئ لما بكسر اللام للتعليل على ان ما مصدرية اي لاجل ايتاي اياكم
الكتاب والحكمة ثم لمجي رسول مصدق لما معكم او موصولة لان ما معكم بمعنى آتيتكم
فيجوز عطف جاءكم على الصلة لوجود الراجع اليها اي لاجل الذي آتيتكموه من الكتاب
والحكمة ثم لمجي رسول مصدق له وقرئ لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم الكتاب
والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق وجب عليكم الايمان ونصرته وقيل اصله لمن ما
فاستثقلوا ثلاث ميمات لان النون لما انقلبت ميما للادغام في الميم فحذفت
احديها فصارت لما اي لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به قال أأقررتم واخذتم على
ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد ويعقد وقرئ اصري بالضم وهو
اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد

بعضكم

بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وشاهدكم
شاهد استيناف معناه التوكيد والتحذير وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك
بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون
من الكفار افغير دين الله يبغون الفاء عاطفة الجملة على الجملة اي فاولئك هم الفاسقون
افغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما للانكار ويجوز ان يعطف على محذوف
تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لتوجيه الانكار الى كون
دين غير الله مطلوبا فالمقصود الاهم بالانكار هو المفعول ويجوز ان يكون التقديم
للتخصيص بمعنى ان التخصيص منكر فيلزم جواز طلب دين باطل مع طلب دين الله فعلم
لان المقتضي للانكار مع التشنيع والتوبيخ حيث يخصون بطلب دين باطل الى
دين الله بل يخصون الدين الباطل بالطلب وقرئ تبغون بالتاء على تقدير وقل لهم
وقرئ هو بالياء وترجعون بالتاء لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها بالادلة او بالسيف او بمعاينة ما يلجئ
الى الاسلام كنتق الجبل فوق بني اسرائيل وانتصابهما على المصدرية او على الحال
ومن قال او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
على ان يمتنعوا عما قضي عليهم فكانه ذهب الى مذهب الجبرية واليه ترجعون وقرئ
بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا الخطاب له عليه السلام لفظا
وله ولامته معنى ولهذا افاد في موضع اخر قولوا آمنا او جا الكلام في آمنا وعلينا
بلفظ امر الرسول عليه السلام بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن
وان كان منزلا عليه خاصة لكن نزوله عليه السلام لما كان لتبليغهم اليهم صح نسبته
اليهم ايضا وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم ويجوز ان يكون مامورا
بان يتكلم على طريقة التواضع ارشادا له عليه السلام الى ادب المحاورة وما انزل
على ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط قدم المنزل عليه عليه السلام
على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه والنزول باعتبار انه من فوق
يتعدى بعلى وباعتبار انه ينتهي الى الرسل انه يتعدى بالى فلهذا افاد في موضع اخر وما
انزل الى ابراهيم ووجه التخصيص ان الخطاب هنا للرسول عليه السلام والنزول
من السما كان عليه والخطاب ثمة للمسلمين ولا نزول عليهم حقيقة بل انتهى التبليغ اليهم
ولا تتجه المناقشة بقوله انما انزلنا اليك وانزلنا اليك الكتاب وقولوا آمنا بالذي

لتبليغه

بلغ ٤

اثر في الذين امنوا لان النكتة الزايدة على اصل البلاغة الحاصلة بمطابقة الكلام
لمقتضى المقام لا يلزمها الاطراد ولهذا تتفاوت المكررات في القران بحيث يكون
بعضها انسح من بعض وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم
ابلغ لان امرهما بالاضافة مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما والنبيون من ربهم وفي
موضع اخر وما اوتي النبيون لما تقدم هنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما
اتيتكم من كتاب الخ اكتفي به عن اعادة وما اوتي ولم يتقدم ثمة مثل هذا فلم يكن فيه
ما يغني عن التاكيد باعادته لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له
مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام غير اسلام
الوجه لله اي التوحيد دينا تكون تمييز فلن يقبل منه في الدنيا وهو في الاخرة من
الخاسرين الواقعين في الخسران مطلقا من غير تقييد للتنازع ولا دلالة فيه على ان
الايمان ليس غير الاسلام انما الدلالة على انه ليس دينا غير الاسلام كيف يهدي الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات هم اليهود امنوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وتحققوا انه وحتى كانهم
انه حق ثم كفروا به وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا
بمكة كيف استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحايد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له لما علم من عنادهم ومكابرتهم وامتناع قبولهم
اياه نفيا عليهم ونفي على العموم فلا دلالة فيه على عدم قبول توبة المرتد وشهدوا عطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا
والمراد من ايمانهم تصديقهم بالله تعالى وعلى التقديرين يراد منه التصديق بمحمد والرسول
عليه السلام وان كان يابا عطف وشهدوا على شهادا لان الاية ايضا على ان
الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان المصطلح عليه عند اهل الشرع انما
دلالتها على انها خارج عن الايمان بمعنى التصديق بالله ورسوله وليس هذا مما
يقبل النزاع والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال والنظر
ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله
ومن يعتد بلعنته من خلقه ودلالة منطوقه على عدم استقرار اللعن على غيرهم
لا على عدم جوازه في غيرهم فالمراد من الناس المؤمنون ويجوز ان يراد العموم

لان الكافر ايضا ينكر الحق ولكن لا يعرف بعينه خالدين فيها في اللعنة او في النار
واضمارهما قبل الذكر تفخيما لشانهما وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
اي لا يمهلون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة الا الذين تابوا اي رجعوا عن
الارتداد من بعد ذلك الاشارة الى الكفر لتعظيمه وشدته وغاية بعده عن الصلاح
والعقل واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الاصلاح فان الله غفور يقبل التوبة رحيم
يتفضل عليه ان الذين كفروا بعد ايمانهم كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام ٥
والانجيل بعد الايمان بموسى عليه السلام والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد
عليه السلام والقران او كفروا به عليه السلام بعد ما امنوا قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق والتخريب
بكل ما نزل من الايات او قوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص
بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهار لن تقبل توبتهم قد عرفت
ان التعريف في الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين والا فكل كافر اذا
تاب قبلت توبته وان ازدادوا ذكرا الى الكفر فان اريد بهم المرتدون فالوجه واولئك
هم الضالون انها لا اي تقبل توبتهم في حال كونهم ثابتين على ضلالهم الذي هم ثابتون
عليه لكون توبتهم نفاقا وان اريد بهم اليهود فكذلك وفيه وجهان اخران احدهما
ان يكون اخبارا بالغيب على طريقة توهم الانزي الضب بها ينحجر اي لن يتوبوا فلا
توبة فلا قبول واولئك هم الضالون اعتراض اي والمؤمنون بما ذكر اولئك هم
الثابتون على الضلال المطلق والثاني ان يكون كناية عن موتهم على الكفر اي يموتون
وهم كافرون على ناصح بعده والتاويل فيها التغليظ في شانهم وابراز حالهم
في صورة حال الايسين من الرحمة الى التغليظ الاحوال واشدها ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار لفظ الذين هنا عام فيمن كفروا ماتوا على الكفر فلذلك دخل الفاء في قوله
فلن يقبل من احدهم تضمنا الموصول معنى الشرط على ان الموت على الكفر سبب لامتناع
قبول الفدية وانما ترك الفاء في الكلام السابق لتعذر التسبب ثمة وايراد المسند
اليه موصولا للتحقيق الخبر ملء الارض ذهبا ملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب
على التمييز وقريء بالرفع على البدل من ملء او خبر لمحذوف ومعناه لا يبدو من
تقدير وصف ليحسن البدل ولا دلالة عليه والثاني يحسن اذا جعلت الجملة صفة
ارضا لا او لا يخلو عن ضعف ولو افتدى به اعتراض اي ولو فرض انه افتدى به على ان

الاية انه محال وتقدير حق الكلام ان الذين ماتوا على الكفر فلو افتدى احدهم بملء
الارض ذهبا لم يقبل منه فلما كان المراد الاقناط والبعث على الرجوع عن الكفر الى
الايمان قبل الموت قدم وجعل جزاء الشرط الاول واورد لن للتاكيد وادخل الشرط
فلزم الواو للربط وقيل محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء
الارض ذهبا اولئك لهم عذاب اليم تتميم يعني الاقناط لان من لا يقبل منه
الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر وهو ما يتقرب به الى الله تعالى من اعمال الخير
وقيل لن تنالوا بر الله اي ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون من اموالكم التي تحبونها
او ما يعمها وغيرها كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والمهجة
في سبيله ومن هنا للتبعيض ويدل عليه قراءة حتى تنفقوا بعض ما تحبون وفي قوله
وما تنفقوا من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء طيب تحبونه او خبيث تكرهونه
فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام ماكولا كان او مشروبا والمراد تناوله
كان حلا على شريعة ابرهيم عليه السلام لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به
ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم
اسرائيل يعقوب عليه السلام كلحوم الابل والبانها وكان تحريمه ذلك بالنذر ولذلك
قيل على نفسه ثم انه تعالى حرمه على اولاده في ما دل عليه الاستثناء المذكور فلا
متمسك فيه لمن جوز للنبي ان يجتهد من قبل ان تنزل التورية متعلق بالمستثنى
منه وفايدته بيان ان حل ما عدا لحوم الابل والبانها في شريعة موسى عليه السلام
حين ثبت تحريم بعض ما كان حلا لبني اسرائيل بنزول التورية وبه يحصل الالزام
لليهود ويتم الرد عليهم في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الخ وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم
عليهما السلام ومن بعدهم حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من
قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقته ابرهيم
عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها لا بالمستثنى بيان لكون التحريم
المذكور قبله اذ لا فايدة فيه اصلا قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين في زعمكم ان تحريمها قديم امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان

تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما زعموا روي
انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وفي ذلك برهان قاطع على صدق النبي
عليه السلام وحجة بينة على جواز النسخ فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على
الله تعالى بادعاء ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد
ذلك من بعد ما الزمتهم بالبرهان القاطع فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين
لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البيان قل صدق الله تعريض بكذبهم
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون والغرض بكذبهم لذمهم اتباع محمد
عليه السلام والايمان بالقران فعبر عن ذلك بقوله فاتبعوا ملة ابرهيم
حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم ولما نسب دينه وملته الى ابرهيم
عليه السلام كان اكسر لنخوتهم واقرب الى قبولهم كانه قال فاذا ظهر بالحجة البينة
كذبكم فيما زعمتم وثبت صدق كتاب الله وظهر بطلان دينكم الذي اضطركم الى تحريف
كتاب الله والافتراء على الله لتسوية اغراضكم فاتبعوا الحق الذي هو ملة ابرهيم وهي
ما جاء به محمد ومن تبعه وانتصب حنيفا على الحال وقد سبق تفسيره في سورة
البقرة وما كان من المشركين اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار [illegible] كان مقدم
في الاعتبار وفيه تعريض بشرك اليهود واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين ان اول بيت وضع للناس اي جعله الله متعبدا لهم
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط في النميط وقيل هي موضع المسجد
ومكة البلد من بكه اذا زحمه او دقه فانها تدق اعناق الجبابرة مباركا كثير
الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف
وهدى للعالمين بسبب هدايته لانه قبلتهم فيه ايات بينات حال اخرى مقام
ابرهيم عطف بيان لقوله ايات بينات وحده لقيامه مقام ايات كثيرة ويدل
على هذا قراءة اية بينة ولا يخفى ما فيه من التفخيم لشانه كانه لظهور اعجازه
ووقع دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابرهيم عليه السلام بمنزلة ايات عظام
كثيرة ويؤيد ذلك التعظيم البالغ تنكير ايات ووصفها بالبينات ونحوه في التفخيم
قوله تعالى ان ابرهيم كان امة ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية كان الحرم
امنا في الجاهلية ومفزع كل خائف وملجأ كل جان قال ابن عمر لو وجدنا قاتل ابينا
في الحرم لم نقتله وقيل المراد حرم والامن من العذاب يوم القيمة وفيه ان

مدار هذه الامور على الدين فيه على ما افصح عنه قوله عليه السلام من مات في احد
الحرمين بعث يوم القيمة امنا الا على دخوله **ولله على الناس حج البيت** اكد ما يكون
من الالفاظ الدالة على الالزام كلمة على فانها علم فيه والحج كاخواته من المنقولات
الشرعية وله فرايض وواجبات وسنن وشرايط بعضها للوجوب وبعضها
للاداء ومعناه اللغوي القصد على جهة التعظيم والمراد معناه الشرعي فاضافته
الى البيت للملابسة فان طوافه احد ركنيه او احدهما كانه على الاختلاف في الاحرام
فانه ركن عند الشافعي وشرط عند ابي حنيفة ومن قال لا يفتقر في تفسيره قصده
للزيارة على الوجه المخصوص فقد زاد على معناه اللغوي وقصر عن معناه الشرعي
وقرئ حج بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا** بدل من الناس مخصص
له وفيه ايراد المراد في صورتين مختلفتين على وجه فيه تشويق ووجدان بعد
تشوف وطلب وتنكير سبيلا وتقديم اليه عليه اي سبيلا اي سبيلا ما اي سبيل
تيسر على اي وجه يكون قريبا وبعيدا بشرط اختصاص انتهايه اليه لا الى غيره
وكل ما يأتي الى الشيء فهو سبيله وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة وما فسره عليه السلام استطاعة السبيل الى البيت المذكور
في القران لا استطاعة الحج فانها لا بد فيها من صحة البدن ايضا فلا دلالة فيه
على احد القولين المذكورين في المسألة الخلافية المشهورة **ومن كفر فان الله غني
عن العالمين** وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه وتشديدا
عليه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر
وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى
في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كالايضاح بعد ابهام وتثنية
وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه
في مثل هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عنه لما فيه
من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط
لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن
الشهوات والاقبال على الله تعالى فيه هنا دقيقة انيقة وهي ان اللام في قوله ولله ه
مظنة ان يكون في الحج نفع لله تعالى دفعه ببيان غنايه عن العالمين روي انه

لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله
تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر الاية
قل يا اهل الكتاب تخصيص اهل الكتاب بالخطاب لان كفرهم اقبح واما الدلالة
على الفرد وان زعموا انهم يؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما فلا تاثير فيها
على التخصيص المذكور **لم تكفرون بايات الله** اي باياته السمعية والعقلية الدالة على
صدق محمد عليه السلام فيما اتى به من الاوامر والنواهي ومعنى الاستفهام في لم انكار
كفرهم وتعجب منه مع وجود المانع وهو كون الحق شهيدا على اعمالهم **والله شهيد
على ما تعملون** اي والحال ان الله شهيد اي مطلع على اعمالكم فمجازيكم عليها لا ينفعكم
التحريف والاسرار وهذه الحال توجب الايمان فما صبركم على الكفر باياته واظهار اسم
الله تعالى في المقام مقام الاضمار للتخويف والتربية للمهابة **قل يا اهل الكتاب**
اعيد الخطاب لان الاول في الضالين وهذا في المضلين فلا تكرار وكون كل واحد من
الامرين مستقبحا في نفسه مستقلا في استجلاب العذاب مما لا حاجة الى الاستشهاد
به لعدم الخفاء فيه **لم تصدون** معنى الاستفهام انكار لقصد الصد وطلب العوج
في الطريق المستقيم مع كونهم علماء شهداء بانه ليس فيه عوج وان الصاد عنها ضال مضل
والتوبيخ هنا اشد لمعنى المكابرة فيه **عن سبيل الله** دينه الحق المامور بسلوكه وهو
الاسلام وقدم للاهتمام على المفعول الاول وهو قوله **من امن** كانوا يفتنون المسلمين
ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي
والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول
فيه بجهدهم فعلى الاول يكون التجوز في الصد وعلى الثاني في امن **تبغونها** في محل
النصب بالحال **عوجا** مفعول تبغون والضمير منصوب بنزع الخافض وتعدية الفعل
اي فيها والعوج بكسر العين الميل والانحراف في المعاني وبفتحها في الجثث اي
تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن الاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى توهموا ان فيها
عوجا بقولكم ان شريعة موسى عليه السلام لا تنسخ وبتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحوهما **وانتم شهداء** قايلون انها سبيل الله لا يصد عنها الا ضال كافر او عدول بين
اهل دينكم يتمسكون باقوالكم ويستشهدونكم في عظايم امورهم لكونكم احبارا
وما الله بغافل عما تعملون وعيد بالغ والختم بهذا يناسب المقام لان الكلام ه
في صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه وفيما تقدم في كفرهم

المومنين ٢

وهم يحضرون به فكان المناسب له الختم بقوله والله شهيد على ما تعملون **يا ايها الذين امنوا** خاطبهم الله بنفسه بعد توسيط الرسول عليه السلام في مخاطبة اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم منزلة عند الله تعالى دون اهل الكتاب **ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب** نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عن شاس ومن اعانه فيه بالفريق يناسب قصدهم ايقاع التفرقة بين جمع المومنين **يردوكم** اي عن الهدى الى الضلالة في ما دل عليه قوله **بعد ايمانكم كافرين** رد يتعدى الى مفعولين قال الشاعر ٭ فرد شعورهن السود بيضا ٭ ورد وجوههن البيض سودا ٭ **وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله** معنى الاستفهام الانكار والتعجب من تطرق الكفر اليهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر وانما اخر قوله وفيكم رسوله مع انحطاطه عن المتقدم لان التلاوة المذكورة بواسطته اخراجا له عن حيز الوساطة الى منزلة الاستقلال كما في النسبة كانه قيل والحال ان ايات الله تتلى عليكم معجزة وازعة عن الكفر وفيكم الرسول زاجرا لكم ناهيا عنه **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره **فقد هدي الى صراط مستقيم** انما يورد قد في جواب الشرط عند مضيه معنى والتقدير هنا الى تحقق الوقوع بمعنى فقد حصل له الهدى كانه قد حصل له الهدى فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ان المعتصم بالله متوقع للهدى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته** واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ويدخل فيه الاحتراز عن طاعة اهل الكتاب دخولا اوليا **ولا تموتن الا وانتم مسلمون** اي لا تكونن على حال سوى الاسلام حين الموت فالنهي

كونهم

كونهم على حال غير الاسلام عند موتهم لا موتهم هذا اما عندهم والذي عندي هو ان النهي المذكور للتحذير عن الموت على حال سوى الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز عما يفضي اليه فهو حث على الثبات على الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز عما يفضي اليه في جميع الازمان على ابلغ وجه وعلى هذا لا عدول عن الظاهر بخلاف ما قالوا **واعتصموا بحبل الله** يحتمل التمثيل بان يمثل صورة حالهم في اعتصامهم واستظهارهم ووثوقهم بالله تعالى وحمايته واتكالهم عليه بصورة حال المتدلي من مكان مرتفع متمسكا بحبل وثيق يامن انقطاعه والاستعارة بان يستعير الحبل للعهد او كتابه ويجعل الاعتصام ترشيحا لها بما يناسب الحبل **جميعا** اي اجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به او اجتمعوا على التمسك بعهده اليكم ان تؤمنوا به ولا تعبدوا الا اياه او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين **ولا تفرقوا** ولا تتفرقوا كما كنتم متفرقين في الجاهلية يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او لا تفعلوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة من التودد والتحمل وانما التفرق بالاختلاف في الدين كاليهود والنصارى فهو مفهوم قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا **واذكروا نعمة الله عليكم** اراد نعمة الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل **اذ كنتم اعداء** في الجاهلية متقاتلين **فالف** او اوقع الالفة **بين قلوبكم** بالاسلام **فاصبحتم بنعمته** بسبب تلك النعمة **اخوانا** متحابين مجتمعين على الاخوة في الله واصبح اصله دخل في الصباح ثم اطلق على الصيرورة في اي وقت كان ففيه باعتبار اصله دلالة على خروجهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكنتم على شفا حفرة من النار** مشرفين على الوقوع فيها بالكفر كما اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لصادفتم القعر حفرة من النار وانما قال **فانقذكم منها** وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا منزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها ويجوز ان يكون الضمير للشفا وتانيثه لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها واصلها شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث **كذلك** مثل ذلك التبيين **يبين الله لكم اياته** دلائله **لعلكم تهتدون** ارادة ان تثبتوا على الهدى او تزدادوا هدى **ولتكن منكم امة** من للتبعيض

وكونوا امة كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف لان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات فهو واجب على كل الامة بدليل
انه لو ترك اثم الجميع وان سقط بفعل البعض لحصول المقصود فلا بد من توجيه
الخطاب الى الكل فمن قال من للتبعيض ثم علل بما ذكرناه انما فقد اختار المذهب
المردود وهو ان يكون الوجوب على البعض من غير تعيين واما الاستدلال
على انه لا يجب على الكل بعدم الوجوب على الجاهل فمردود لانه اذا ترك بالكلية
فذلك الجاهل ايضا اثم ولو كان الوجوب عليه لما اثم كمن وجب عليه الصلاة
وهو محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل واما من اختار ان تكون من
للتبعيض معللا بما تقدم ثم قال لخاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه
واجب على الكل فقد خبط حيث خلط بين المذهبين ثم انه لم يدر ان الوجوب
على الكل بمعناه الطلب من الكل لا الخطاب للكل فان الخطاب بدون الطلب
بمعزل عن الدلالة على الوجوب يدعون الى الخير يشير الى ما فيه صلاح ديني
او دنيوي فينتظم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقوله ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر من قبيل عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك
هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على
حسب ما يؤمر به وكذا النهي عن المنكر فانه يكون واجبا ان كان المنهي عنه محرما
او مكروها كراهة تحريم ويكون مندوبا ان كان المنهي عنه مكروها كراهة تنزيه
فمن وهم ان جميع ما انكره الشرع حرام فقد وهم وانما جعل يجب ان ينهى عما يرتكبه
لانه كما يجب عليه تركه يجب عليه انكاره ونهي الغير عنه الا ان الثاني على طريق
الكفاية والانكار في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم
تتلون الكتاب مرجعه الى القيد ولا تكونوا كالذين تفرقوا اي بالعداوة واختلفوا
اي في الديانة وهم اليهود والنصارى وانما قال من بعد ما جاءهم البينات اي
الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه لان الاختلاف في موضع الاجتهاد
ليس بمنكر كيف وقد قال عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولا اختصاص لاحدى
الاختلافين بالاصول او الفروع فان في الاصول ايضا مساغ الاجتهاد كما ان في الفروع
ما لا مساغ له فيه واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على
التشبيه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل وبياض

الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه ويجوز ان يراد بالبياض
والسواد حقيقتهما فاما الذين اسودت وجوههم ابتدا بحالهم في مقام التفصيل للاهتمام
بالتحذير من حالهم والمجاورة قوله وتسود وجوه وليكون الابتداء بالمؤمنين والاختتام
بحكمهم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم قيل الظاهر انهم اهل الكتاب كفروا وكذبوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل بعثته وقيل هم المرتدون وقيل هم جميع اهل الكتاب
لاعراضهم عما اوجبه الاقرار او كفرهم بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم
على ما افصح عنه قوله الست بربكم قالوا بلى فذوقوا العذاب امر اهانة والفاء للسببية
عن الكفر المقدر وايضا تاكيد له بما كنتم تكفرون بسبب كفركم والجمع بين الصيغة الدالة
على التجدد وزيادة الكون الدالة على الاستمرار للمطابقة بين العمل والجزاء المذكور
مفصلا في قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب والله
اعلم بالصواب واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ففي نعمته من الثواب
المخارج للفريق الاول بين التعنيف بالقول والعذاب وههنا جعلهم مستقرين في الرحمة
في ظرف لهم واشارتها الى سابق عنايته بهم وان العبد وان كثرت طاعته لا يدخل
دار الثواب الا برحمة الله تعالى واضافها الى نفسه دون العذاب تفخيما لجانب الثواب
هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستئناف بيانا ان ذلك الاستقرار على سبيل
الخلود لا زوال له ولا انتقال وهو تاكيد لقوله ففي رحمة الله ولم يذكر الخلود
للكافر اكتفاء بذكره في قرينه ولم يعكس اذ لا يفهم من دوام القول دوام الفعل
بخلاف العكس ثم انه لما ذكر العذاب علله بفعلهم ولم يذكر هنا سبب كونهم في الرحمة
اشعارا بانه تعالى لا يحتاج الى السبب تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد
نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين فيأخذ
احدا بغير جرم اي يزيد في عقاب مسيء على ما يستحقه او ينقص من الثواب الموعود
للمحسن وتقديم والله على فعل الارادة بعد النفي يفيد ان الذي يظلم ويريد الظلم
غيره لا هو اي هم الظالمون على انفسهم لا غيرهم ونفي ارادة الظلم تاكيد بليغ في نفي
الظلم اي انتفى الظلم عنه تعالى فضلا عن الظلم وتنكير ظلما وتعميم العالمين معناه
لا يريد شيئا من الظلم احقر ما يكون لاحد من العالمين كائنا من كان ومن قال في تعليل
ما ذكر اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم

رحمتهم

ارادة

بفعله لانه المالك على الاطلاق لما يريد لانه ح اي على تقدير ان يكون الظلم منه مستحيلا
لا يناسب ارادته فضلا عن المبالغة فيه اذ ليس من شانها التعلق بما ليس بمقدور
له بل الظاهر منه هو انه مقدور له الا انه لا يريده لانه لا يليق بشانه والتعليل
المذكور قاصر لانا نعلم قطعا ان النقص من الثواب الموعود لبعض الاعمال من قبيل
الظلم كنقص حق الاجير وهو من جملة المحتملات والله تعالى قادر له الا انه لا يفعله
ولله ما في السموات وما في الارض استيناف في معرض التعليل لما تقدم كانه يقول لك
ارادة الظلم امارة الحاجة والرغبة الى ما ينقصه بالظلم والله تعالى منزه عنهما
لانه تعالى مالك السموات والارض والى الله خاصة ترجع الامور فالملك في داره
الاخرة ايضا له تعالى والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للاشعار بان ما ذكر من
شان الالوهية ولوازمها وانما قال ترجع لانها قد زالت بتملكه ما سواه كنتم
خير امة دل على خيريتهم ولم يدل على انهم لم يكونوا خيرا فصاروا خيرا او انقطع
ذلك عنهم لان كان الناقصة لا دلالة فيها على عدم سابق ولا على عدم الدوام
فلذلك تستعمل فيما هو حادث مثل كان زيد راكبا وفيما هو دائم مثل كان الله غفورا
رحيما ومن قال كانه قيل وجدتم خير امة فكانه زعم انها تامة وان خير امة حال ونريد
عده من قبيل وكان الله غفورا رحيما اخرجت للناس اظهرت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة وتؤمنون بالله يتضمن الايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به تعالى انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان
بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على
انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه
والتعريف في الوصفين للعهد والمعهود المعروف الشرعي والمنكر الشرعي ومن
وهم انه للاستغراق فقد وهم واستدلاله به على حجية الاجماع ليس بتام كما
لا يخفى على ذوي الافهام ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان الايمان
خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم
الفاسقون اراد الكافرين والتعبير عنهم بالفاسقين للتنبيه على ان المؤمنين
المذكورين عادلون لا حظ لهم من الفسق وهذه الجملة والتي بعدها واردتان
على سبيل الاستطراد ولذلك جاءت من غير عاطف لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر

ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ينفي اضرارهم سوى ما يكون بقوله
وقرر ذلك بانهم لو قاتلوا الى الشاد كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم
العجز والخذلان وانما عدل به عن حكم الجزاء والعطف عليه الى الاخبار لئلا يكون
انتفاء النصر مشروطا بالشرط مقيدا بالمقاتلة كتولية الادبار بل مطلقا
اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون بوجه ما قاتلوا او لم يقاتلوا او يبقوا في الخذلان
والذل والعجز لا ينهضون بجناح ولا يرجى اليهم قوة وجناح كما كان من حال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر وثم استبعاد للتراخي في الرتبة
فان الاخبار بالخذلان المطلق وانتفاء النصر بالكلية اعظم من الاخبار بالانهزام
عند المقاتلة ضربت عليهم الذلة قد سبق تفسيره في سورة البقرة اينما ثقفوا
وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس في محل النصب على الحال اي الا معتصمين
او متمسكين بذمة الله وذمة المسلمين والظاهر من تكرار الحبل تعدد المعنى
فالمناسب ان يحمل الاول على الذمي فانه تعالى علله في قوله حتى يعطوا
الجزية والثاني على الذي يراه الامام من اعطاء الامان في مقابلة اخذ مال
او لمصلحة اخرى والاستثناء من اعم الاحوال اي لا عز لهم الا هذا العز وهو على طريقة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم لان التمسك باحدى الذمتين غاية الذل ومن فسر
احدى الذمتين بدين الاسلام والاخرى بسبيل المؤمنين اجرى الاستثناء على
ظاهره فيرد عليه ان سبيل المؤمنين هو دين الاسلام بعينه فلا يناسبه تكرير
ذكر الحبل وباءوا بغضب من الله ورجعوا مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة
لم يقل ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قال في سورة البقرة لانه اراد تفصيل
حال ذلهم بالمبالغة فيها بخلاف حال مسكنتهم فانها باختيارهم في الغالب
فان الاغنياء كثيرة في اليهود الا انهم لا يظهرون غناهم ذلك اشارة الى ما ذكر
من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة بانهم كانوا يكفرون بايات
الله ويقتلون الانبياء بغير حق قد تقدم تفسيره في سورة البقرة ذلك اي الكفر
والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي
الى الكفر وقيل كرر الاشارة والمشار اليه واحد اشارة الى ان كل واحد من الامرين
مستقل بايجاب الاخرة المذكورة من الذلة والمسكنة والبوء بغضب عظيم من الله

لو لم يكن الاخر نكيف والامران متعاضدان واريد بالامرين الكفر ويندرج فيه
قتل الانبيا والاستمرار على عدم الامتثال بالتكاليف ومبنى هذا على انهم مخاطبون
بالفروع ايضا **ليسوا سوا** في المساوي والضمير لاهل الكتاب **من اهل الكتاب امة**
كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سوا كقوله تامرون بالمعروف لبيان كنتم خير
امة **قايمة** مستقيمة عادلة من قولهم اقمت العود فقام اي استقام وهم الذين
اسلموا منهم **يتلون ايات الله** صفة لامة وكذا يؤمنون **اناء الليل وهم يسجدون**
يتلون القران في تهجدهم عبر عنهم بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ في المدح ويجوز ان يكون قايمة احد تفاصيله اي قايمة في حال تلاوة
الايات بالليل وقيل المراد صلوة العشا لان اهل الكتاب لا يصلونها على ما ورد
في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقوله **يؤمنون بالله واليوم الاخر** في عداد
خصايص المؤمنين تعريض اخر بان ايمان اليهود بالامرين ليس بشي لاشراكهم بالله
عزيرا ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته وكذا **ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر** تعريض بانهم مداهنون **ويسارعون في الخيرات** تعريض بانهم متباطئون
عنها لقلة رغبتهم فيها اذ كل من رغب في شي يسارع في توليه والقيام به والمسارعة
المبادرة والخيرات عامة تشمل هذه الاوصاف السابقة واتيانها على صيغة المضارع
للدلالة على التجدد والتكرر **واولئك** اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف **من
الصالحين** حقيقته الصلاح هي انتفا الفساد عنه بالكلية وهو نهاية كمال الوصف
بالحسن وهو مما مدح الله به انبياءه عليهم السلام لما عد الخصايص الذي يستحق بها
الثواب بالغ في تعظيم جزائها للترغيب فيها بقوله **وما تفعلوا من خير** حيث اتى
بالتنكير للتقليل اي وان كان قليلا وجعلها نعما فاستعمل في مقابلتها انتفا الكفران
ليكون من الاستعارة بالكناية ويستلزم كون الله تعالى شاكرا **فلن تكفروه**
فلن يضيع ولا ينتقص ثوابه البتة ضمن الكفران معنى الحرمان فعدي الى مفعولين
وفي هذا التضمين زيادة تنزيه ان ينسب اليه تعالى معنى الكفران لان تقدير
ان يحرموا مكفورين **والله عليم بالمتقين** وعد وبشارة لهم بالفوز والثواب
الجزيل واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل **ان الذين كفروا لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا** من العذاب او من انتقامه فيكون مصدرا
واولئك اصحاب النار اي ملازموها **هم فيها خالدون** دون فساق المؤمنين **مثل**

ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون ريا وخوفا
في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح البارد
كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كما في قولك
برد بارد **اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم** بارتكاب المعاصي **فاهلكته** عقوبة
لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث من
يستحق العقوبة ضربته صر فاستاصله ولم يبق لهم فيه منفعة ما وهو من التشبيه
المركب ولا يلزم فيه ان يكون ما يلي الاداة هو المشبه به الا ان تشبيه المثل
بالمثل يستدعي ان يراعى فيما اضيف اليه المثل في الجانبين المناسبة على ما قرر
في مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ولهذا قيل تقدير الكلام كمثل مهلك ريح
وهو الحرث **وما ظلمهم الله** بعدم قبول نفقاتهم **ولكن انفسهم يظلمون** بخبث
نياتهم او ما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز اعمالها
في ضمير الشان المحذوف على تقدير ولكنه انفسهم يظلمون لان ذلك لا يجوز الا
في الشعر **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة** وليجة وهو الذي يطلعه على باطنه
وسره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله عليه السلام الانصار
شعاري والناس دثاري **من دونكم** من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا
او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كاينة من دونكم **لا يالونكم خبالا** الخبال
الفساد والالو التقصير والاصل ان يعدى باللام ثم عدي الى مفعولين كقولهم
لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع والنقص **ودوا ما عنتم** تمنوا عنتكم وهو شدة
الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضا من افواههم لانهم لا يتمالكون
بالبغض لا يمكنهم ان يخفوا ولا ينفلت من افواههم ما يظهر به بغضهم وعداوتهم
مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها وسعيهم في الاخفا وذكر الافواه دون
الالسنة اشعارا بان ما يلفظون به يملأ افواههم كما يقال كلمة تملأ الفم اذا
تشدق بها **وما تخفي صدورهم اكبر** مما بدا وفي نسبة البدو الى البغضا
والاخفا الى الصدور اشعار بانهم مطبوعون على النفاق فما بدا انما بدا
بلا ابتدا لا بالطبع ولا بالاختيار **قد بينا لكم الايات** الدالة على وجوب
الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين **ان كنتم تعقلون** ما بين لكم والجملة

الاربع مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفات لبطانة
ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ها انتم تنبيه على خطائهم واولاء خبرهم
وتعبير اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاة من يبغضهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء
والجملة خبر انتم او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب
اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا والواو في وتؤمنون بالكتاب كله
واو الحال تقديره وانتم تؤمنون والعامل لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم كله اي بجميع الكتب وفيه توبيخ شديد اي لا يحبونكم مع كونكم تؤمنون بكتابهم
وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم فهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا
امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تلهفا
وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام
الغيظ وزيادته والمراد به زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله المستلزم
لذلهم ودمارهم فهو من كناية بالواسطة عبر بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي
هو دعاء ازدياد غيظهم الى حد الهلاك وبه عن ملزومه الذي هو قوة الاسلام
وعز اهله وذلك لان مجرد الموت بالغيظ وازدياده ليس مما يحسن ان يطلب ويدعى
ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان يكون معنى الامر بالقول طب نفسك وكن مستبشرا
بان الله تعالى يعز الاسلام ويذل الكفر بحيث يزداد الكفار الى حد الهلاك على ما يليق
من طريق الكناية واصل الكلام استعارة تمثيلية شبه طيب النفس والاستبشار
بذلك بتحديثه نفسه واعلامها بذلك ان الله عليم بذات الصدور اي الاسرار
التي لا تنكشف اصلا كنى باللزوم للصدور عن عدم الظهور البتة والظاهر انه تذييل
لجميع ما سبق من قوله ها انتم الى قوله بغيظكم فهو وعيد على اضمارهم تضمينها النهي
وتعين بن لاطلاع الله تعالى على بواطنهم واطلاعه رسوله عليه السلام عليها وتحذير
لهم ايضا كي يرجعوا عن نفاقهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها التنكير في الحسنة للتحقير وفي السيئة للتعظيم والمس منبئ عن
ادنى مراتب الاصابة فالمعنى ان الحسنة اي قدر كان ولو مسا تسوءهم واما الفرح
بالسوء فلا يكون الا بالوصول التام بحيث يعتد به لان مقام مبالغة الحسد والغيظ
ينبغي ذلك فمن وهم ان المس مستعار للاصابة فكان المعنى واحدا فقد وهم وان تصبروا

على عداوتهم وتتقوا موالاتهم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه ان الله بما
تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ
بالياء اي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي اذكر اذ غدوت
من اهلك اذ خرجت غدوة من وطنك منزل عائشة الى احد تبوئ المؤمنين تنزل
لهم وتهيئ ويرشد اليه القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وفيه وعيد للمنافقين اذ همت بدل من اذ غدوت طائفتان
منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان
تفشلا اي قصدت ان تفشلا اي تضعفا من فشل وهو الانصراف وترك القتال وهو
الخطور هنا لا العزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة وكان
ذلك عند انخزال ابن ابي في ثلثمائة من قومه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم
على الله للتخصيص اي فلا يتوكل المؤمنون الا على الله لينصرهم كما نصرهم يوم بدر وانما
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الجملة للاختصاص فالواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان كونه تعالى وليهم سبب التوكل عليه خاصة ووضع
الضمير الى الاسم الظاهر للتفخيم المناسب لمقام الامر بتخصيص التوكل عليه ولقد نصركم
الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل على الله تعالى وبدر ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما اورد اذلة على صيغة
جمع قلة ليدل على انهم مع ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة
المركوب والسلاح والمال فاتقوا الله بالثبات مع رسوله لعلكم تشكرون
بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع
الشكر موضع الانعام لكونه سببا له اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم او بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا
عن الغنائم وخالفوا امر الرسول عليه السلام لم ينزل الملائكة الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة
الاف من الملائكة وتاكيد النفي بلن اشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة
عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر قيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف
ثم صاروا ثلاثة ثم صاروا خمسة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقرئ
منزلين بكسر الزاء اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم

الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر
فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة في العرف فخلت ثم سميت به الحالة التي
لا ريث فيها ولا تضجيع لصاحبها على شيء والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم
الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان
فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرئ مسومين
بكسر الواو وما جعله الله وما جعل الوعد والامداد ومن قال وما جعل الامداد
فكانه غفل عن ان البشارة قد حصل بالوعد والامداد الا بشرى لكم الا بشارة لكم
بالنصر هذا غاية للوعد وقوله ولتطمئن قلوبكم به اي ولتسكن اليه من الخوف
غاية الامداد والتنبيه على انهما غايتان لامرين مختلفين غير الاسلوب وفصل بينهما
بحرف التعليل بعد ما بحسب البلاغة والذي بحسب النحو فلانه لما وجدت شروط المفعول
من احدية اتحاد الزمان والفاعل في الاول دون الثاني دخل عليه اللام ولم يدخل على
الاول وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وفيه تنبيه على انه لا حاجة
في نصره الى عددهم الان بمادته تعالى بان ينصر باعداد الاسباب وامداد الاصحاب
ولو تكثيرا للسواد على ما اشار اليه بقوله العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي يفعل على مقتضى الحكمة بامداد واعداد وفي التنبيه المذكور ادمج الاشارة
الى ان الملائكة ما نزلوا للقتال بل لمجرد تكثير السواد ولذلك احتيج الى الكثرة والا فملك
واحد كان في اهلاك الكل ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بقوله وما النصر
الا من عند الله ليهلك طائفة منهم وينقص بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين من صناديد قريش ورؤسائهم او يكبتهم يخزيهم ويغيظهم
بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمطلوبهم ليس لك من الامر شيء اعتراض
او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله تعالى مالك امرهم
فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من
امرهم شيء وانما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا
على الامر باضمار ان اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم روي ان
عتبة بن ابي وقاص شجه عليه السلام يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم

عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت فانهم ظالمون
قد استحقوا التعذيب بظلمهم تعليل للتعذيب ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب شيء
من المغفرة والتعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي لها له وتقديم المغفرة
للاشارة الى سبق الرحمة على الغضب والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعا
عليهم قيل هم عليه السلام ان يدعو عليهم يوم احد فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن
فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة
والتخصيص بحسب الواقع ولا بد له من نكتة ولعلها التشنيع ما قصد تخصيص الخطاب
بالمؤمنين مع عدم اختصاص النهي بهم من التنبيه على ان المؤمنين بارتكابها الكبيرة
لا يخرج عن الايمان واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا
النار التي اعدت للكافرين تخصيص بعد التعميم فان اتقاء الله تعالى ينتظم اتقاء سخط
في الدارين ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة في التهديد على الربا حيث اخذ لعل
في فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق امكان الفلاح ورجائه بالاجتناب منه يستلزم
امتناع الفلاح لمرادي الربا ان لم يجتنبوه ويتقوه مع ايمانهم ثم اوعدهم بالنار التي اعدت
للكافرين مع كونهم مؤمنين فما اعظمها من معصية توجب عقابا بكفار للمؤمنين وما
اشد من تغليظ عليه ثم اكد التغليظ بالامر بطاعة الله تعالى ورسوله عليه السلام
تعريضا بان اكل الربا منهمك في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين لرحمته بطاعة
الله ورسوله اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فانظر كيف درج
التغليظ في التهديد حتى الحقه بالكفار في الجزاء والعقاب واما ما قيل فيه تنبيه
على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة فمبناه على ان يكون المراد نار جهنم
مطلقا وذلك غير مسلم وقد نبهت فيما تقدم على ان المناسب للمقام حملها على نار مخصوصة
بالكفار واطيعوا الله في نهيه عن الربا مجملا واطيعوا الرسول في بيان ذلك المجمل
لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى
في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا الى مغفرة بادروا
واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة من الاسلام والتوبة والاخلا
ترك الملزوم واتيان اللازم منا سمه التسوية والتحريض على ما يوجبه ويكون سرعة
الاقبال عليه بالنشاط عليه مع خفته على النفس وجنة عرضها السموات والارض

من ١

ومواساة خ

اي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في موضع اخر عرضها كعرض السما والارض قال
ابن عباس والحسن ان السموات والارض اذا ضم بعضها الى بعض فعرض الجنة مثلها فاما
الطول فاكثر من ذلك لان طول كل شي يزيد على عرضه وقيل العرض هو السعة قال الشاعر
كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل * اي واسعة
اعدت للمتقين هيئت لهم صفة اخرى للجنة وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها
خارجة عن هذا العالم فلا دلالة عليه فيه اذ يجوز ان تكون فوق السموات دون
العرش وقد جاء في الحديث سقف الجنة عرش الرحمن **الذين ينفقون** صفة مادحة
للمتقين او مدح منصوب او مرفوع **في السراء والضراء** اي في حال الرخاء واليسر وحال
الضيق والعسر لا يهملون انفاق ما يتيسر لهم او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن
مسرة ومضرة اي لا يخلو في حال ما من انفاق ما قدروا عليه من القليل والكثير وقدم
الانفاق على سائر خصال المتقين لكونه اشق على النفس وادل على الاخلاص والتوكل
ولانه كان اعظم اعمال البر في ذلك الوقت للحاجة اليه في مجاهدة العدو وفقرا
المسلمين **والكاظمين** المتجرعين يقال كظم البعير جرته اذا ردها الى جوفه **الغيظ**
وهو توقد حرارة القلب من الغضب يقال تغيظت الهاجرة اذا اشتد حرها ويجوز ان يكون
من كظمت القربة اذا شددتها على ملئها والاول ابلغ ومن قال في تفسيره الممسكين عليه
الكافين عن امضائه مع القدرة عليه فلم يصب في اعتبار القيد الاخير لانه غير لازم
في كظم الغيظ على ما يفهم من قوله عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملا الله قلبه امنا وايمانا **والعافين** اي المتجاوزين **عن الناس** اي عن الجاني كائنا من كان
والله يحب المحسنين يحتمل الجنس فيدخل المذكورون تحته والعهد فتكون الاشارة اليهم
فيكون تسجيلا عليهم بالاحسان وبشارة لهم بكرامة محبة الله تعالى اياهم **والذين
اذا فعلوا فاحشة** فعلة بالغة في القبح كالزنا **او ظلموا انفسهم** بان اذنبوا اي ذنب
كان وقد قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل الفاحشة ما يتعدى وظلم
النفس ما لا يتعدى **ذكروا الله** تذكروا حقه الموجب للخشية والحيا منه او تذكروا
عقابه او وعيده او نهيه **فاستغفروا لذنوبهم** فتابوا عنها نادمين **ومن يغفر
الذنوب الا الله** اعتراض بين المعطوفين تصويبا للتائبين المستغفرين وتطييبا
لقلوبهم وبشارة لهم بوصفه تعالى بسعة الرحمة والمغفرة وتحريضا لهم على
التوبة وبعثا على الرجاء وردعا عن الياس ونفي الاستفهام تقرير انه تعالى وحده

مخصوص

مخصوص بموجبات المغفرة ومصححاتها من الفضل والكرم والعفو والرحمة الذاتية
ولم يصروا على ما فعلوا اي لم يقيموا على اثامهم الشنيعة غير مستغفرين اي تداركوا
بالاستغفار كما عادوا الى الذنب عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة **وهم يعلمون** حال من فعل الاصرار وحرف النفي منجر
اليهما معا اي لم يصروا على الذنوب وهم يعلمون كونها منهيا عنها لانه قد يعذر
من لا يعلم قبحها او كونها معاصي **اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها** خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة
لما قبلها ان عطفتها على المتقين او على الذين ينفقون ومن ادعى للحق وانصف
وتجنب التعسف نصف علم ان ليس في هذه الايات سوى ان الجنة اعدت للمتقين
او التائبين او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة اما سكوت عن
حكم المصرين او دلالة ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع في ان الجنة ليست معدة
لهم ولا جزاؤهم ولكن من اين البيان القاطع انهم لا يدخلونها البتة وانه لا يجوز
في حقهم التفضل والاحسان على ان الكلام وارد لترهيب اكلة الربا اولا وترغيبهم
في الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد بعدم الاصرار للايلام الغرض فيبقى شرط مفهوم
المخالفة وهو ان لا يظهر فايدة اخرى وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون
مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فرقا
بين الفصلتين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى
وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل اية
هولاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت
على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر
لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره **ونعم اجر العاملين** ذلك يعني المغفرة
والجنات رمز الى دقيقة احد وما نافضهما فقال **قد خلت من قبلكم سنن**
في الامم المكذبين من الوقائع كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل
ويجوز ان يكون اعتراضا للتحريض على الايمان والتصديق بما نصحهم به اي مضت على
هذا المنهاج سنن من الامم السابقين **فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين** عاقبة تكذيبهم حتى تعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم فتنزجروا عن
التكذيب وتصدقوا وانما تضمن الكلام معنى الشرط اي ان شككتم فسيروا

هذا بيان للناس اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي ايضاح لسوء
عاقبة ما هم عليه من التكذيب وهدى وزيادة تثبيت وموعظة للمتقين الذين
اتقوا من المؤمنين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا
ولا تحزنوا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية
لقلوبهم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا عن الجهاد وحزنا على من قتل منكم وانتم
الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم يوم احد او انتم الاعلون شانا لان قتالكم لله تعالى ولاعلاء كلمته وقتالهم
للشيطان واعلاء كلمة الكفر وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون
في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة في العاقبة ان كنتم مؤمنين متعلق
بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فان صحة الايمان توجب الثقة بالله وقوة القلب
وصحة العزيمة والتوكل عليه حذف جوابه لدلالة النهي عليه تقديره ان كنتم مؤمنين
فلا تهنوا او بالاعلون اي انتم الغالبون ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم
به ان يمسسكم قرح قرئ بالضم والفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالضم الجراح وبالفتح ألمها وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم فقد مس القوم
قرح مثله اي ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعفوا ولم
يجبنوا فانتم اولى بذلك فانكم ترجون من الله تعالى ما لا يرجون وقيل كلا المسين
كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام وقوله
مثله لا يناسبه المعنى الاول لقوله وانتم الاعلون لان الاصابة تنتظم الاسر والمماثلة
في مس القرح وما يترتب عليه من القتل فقط وتلك الايام تلك اشارة الى مبهم
تفسيرها الايام وهي الوقائع العظام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديلها
لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
اي فاتية علينا وآتية لنا ووقت نساء ووقت نسر والمداولة كالمعاودة
يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل
الخبر والحال وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون
كيت وكيت وليعلم الله فالواو العاطفة للايذان بان العلة فيه غير واحدة
وانما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلمه وفيه تسلية لهم عما جرى عليهم
وتبصير بان العبد ربما يبغض شيئا ويجري عليه من الحكمة ولا يدري انه خير له

او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف
فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات
المعلوم ونفيه بطريق البرهان ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد
شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على
الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون اعتراض بين
التعليلات ليستخير على ما هو ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان والمجاهدين
في سبيل الله المخلصين من الذنوب بالظلم والتنبيه على ان ظلمهم اوجب ان يبغضهم
الله تعالى والتعريض بانه يحبهم لاجل تلك الصفات وليمحص الله الذين آمنوا
المحص التطهير والتصفية والتخليص وصيغة التفعيل للمبالغة اي وليطهرهم
من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم
والمحق افناء الشيء حالا بعد حال كمحق الهلال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم
ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو للحال تقديره المبتدا او لما كلمة
في نفي الماضي الى الآن فيه معنى التوقع في المستقبل فدل على نفي الجهاد في الماضي مع
توقعه في المستقبل اي منفي ولما يعلم الله ولما جاهدوا الى الآن ووقوع الشيء يستلزم
كونه معلوما لله تعالى ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم فنزل نفي العلم منزلة
نفي الجهاد للتاكيد والمبالغة لان انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم وفيه
اشعار بان علمه تعالى بالاشياء على ما هي عليه ضروري وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم
على ارادة التاكيد بالنون الخفيفة اي ولما يعلمن فحذفت ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان على ان الواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي
لا تجمعوا بين الجهاد والصبر يريد وجوب الجمع بينهما وقرئ بالجزم على العطف وقرئ
يعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما جاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم
تمنون الموت اي لقاء العدو فانه من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا
ليكون لهم يوم كيوم بدر او تمنوا الشهادة فيه لينالوا ما نال شهداء بدر من
الكرامة فالحوا على واحد على الخروج من قبل ان تلقوه اي العدو فانه مخوف وان
يكن ملحوظا فقد رأيتموه حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وانتم تنظرون
معاينين له مشاهدين اي لاجل قتله واشتمال امره ففيه تاكيد وهو توبيخ

لهم على تمنيهم الحرب والحاحهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم قلة مصابرتهم
عليه وعدم ثباتهم له وانهزامهم عنه عند مشاهدته او على تمنيهم الشهادة ثم
توليهم مدبرين ومن فهم ان في تمني الشهادة تمني غلبة الكفر فقد وهم فانه
يقصد الى نيل كرامة الشهادة ولا يخطر بباله غلبة الكفار **وما محمد الا رسول**
قصر الموصوف على الصفة فيستلزم انه نفى سائر الصفات التي توقعتها [illegible]
عنه اي ليس بخالد ولا اله حتى لا يمكن موته وقتله ومعنى **قد خلت من قبله الرسل**
لا ينافي الرسالة المعنى لسبيله فسيمضي كما مضت الرسل من قبله وما كان مضيهم
سببا لانقلاب اتباعهم عما كانوا عليه فسبيلكم ان تتمسكوا بدينه وطريقته
في الجهاد وغيره كما تمسكت اتباع الرسل بعدهم بما كانوا عليه فان المقصود من
الرسالة التبليغ لا البقاء بين الامة وقد بلغ ثم عنفهم ووبخهم على ما كان منهم بقوله
افان مات اي بحتفه ان وقد علم انه يكون تنزيلا للشاك منزلة المتردد لاستعظامه
وذكر القتل بقوله **او قتل** لكونه مجوزا عند المخاطبين والله يعصمك من الناس على
تقدير نزوله قبل يوم احد لا ينافيه اذ ليس كل اية يسمعها كل احد ولا كل سامع يستحضرها
في كل مقام سيما ذلك المقام الهائل **انقلبتم على اعقابكم** فحوى الكلام تفريع الكلام
على ما تقدم اي قد علمتم مضي الرسل وتمسك اممهم بعدهم بدينهم فكيف مع انقلابكم
على اعقابكم بمضيه بالموت او القتل الا انه قدم ما حقه التاخير لاقتضاء اداة
الاستفهام الصدارة في الكلام لانكار التفريع على ما تقدم لان ذلك التفريع
بمعزل عن مذهب الافهام فرده لا يناسب المقام كما لا يخفى على ذوي الافهام **ومن**
ينقلب على عقبيه قد سبق بيانه في صورة التفريع **فلن يضر الله شيئا** بارتداده بل يضر
نفسه **وسيجزي الله الشاكرين** على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس
واضرابه رضي الله عنه **وما كان لنفس** اي وما صح لها **ان تموت الا باذن الله**
حال الموت في قبض روحه لما كان السابق الى الوهم والمتبادر الى الفهم من
اسناد الموت الى الميت في قوله افان مات هو ان يكون الموت الواقع بلا سبب
ظاهري من المرض والقتل بمقتضى طبيعة الموت دفعه ببيان ان الموت مطلقا
لا يكون الا بقبض الروح وهو باذن الله تعالى فليس فيه تحريض وتشجيع على
القتال بناء على ان الاجل المقدر لا يتاخر بالحذر فكيف وهو خلاف المامور به في قوله
تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وانما الوعد للرسول عليه السلام بالحفظ وتاخير

الاجل فلا لانهم منه اصلا **كتابا** مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا **مؤجلا**
صفة له اي موقتا له اجل معين **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** تعريض بالذين
شغلتهم الغنائم يوم احد **ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها** اي من ثوابها **وسنجزي**
الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وحذف المفعول
الثاني في الموضعين لابهام الجزاء تعظيما اي جزاء لا يوصف كنهه **وكاين** اصله اي
دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وقرئ كائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة فصار كيئن ثم حذفت
الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت في طائي **من نبي**
قاتل معه ربيون كثير ربيون ربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على
القياس والكسر والضم من تغيرات النسب وقرئ قتل واسنادا الى ربيون او ضمير
النبي ومعه ربيون حال عنه اي قتل كائنا معه ربيون ويؤيد الاول انه
قرئ بالتشديد **فما وهنوا** فما فتروا ولم ينكسر جدهم **لما اصابهم في سبيل الله**
من الشدة وغلبة العدو وقتل الاخوان او قتل النبي **وما ضعفوا** عن الجهاد بعد
لقوة اليقين والثبات في الدين **وما استكانوا** وما خضعوا للعدو وقيل استكان
افتعل من سكن والالف للاشباع لان معناه خضع وتذلل والخاضع يسكن لصاحبه
ليفعل به ما يريد وقيل استفعل من كان التامة كان الخاضع يطلب من نفسه ان
يكون ويثبت على ما يريد به صاحبه والاول اقوى من حيث المعنى وكذا لا يساعد
وجوه الاشتقاق والتصريف والثاني احسن لفظا واضعف من حيث المعنى
وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام من الوهن والضعف
عن الجهاد والاستكانة للمشركين حتى هموا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله
ابن ابي في طلب الامان من ابي سفيان **والله يحب الصابرين** فينصرهم ويعظم
قدرهم **وما كان قولهم الا ان قالوا** وقراءة العامة قولهم بالنصب والحاصل
خبر الا ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدوث **ربنا اغفر لنا**
ذنوبنا واسرافنا في امرنا الاسراف مجاوزة الحد وذكره بعد ذكر الذنوب
للمبالغة في الاعتراف بالذنب وسوء الظن بانفسهم **وثبت اقدامنا** على [illegible]
الجهاد **وانصرنا على القوم الكافرين** وهو مدح لهم بانهم مع حسن العمل استغفروا
من الذنوب والخلل اي وما كان قولهم الا هذا القول اي الاستغفار عن الذنوب

وقولهم

والاسراف واضافتها الى انفسهم وطلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة
على العدو ليعتقدوا ان الخذلان وتزلزل القدم انما يكون لذنوبهم مقدمين
عليه للاستغفار ليتمنا هضما لانفسهم واستقصارا مع كونهم ربيين ليكون الدعا
مع الخضوع وزكاء النفس فيقرون بالاجابة كما جا بعده فآتاهم الله بسبب
الاستغفار والالتجاء الى الله تعالى ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز
وطيب الذكر وحسن ثواب الآخرة من الجنة وما فيها من النعيم وخص ثوابها
بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين
اي هم محسنون والله يحبهم ويحسن ثوابهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين
عند الارجاف ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان
تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام
في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم
ناصركم دون غيره فلا تميلون الى ولاية غيره ونصرته وقرئ بالنصب على تقدير
بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فهو احق ان يستعان به سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب هو بيان قوله وهو خير الناصرين والرعب الخوف
الذي يملأ القلب يقول وان نالكم الحال بعض الشدة بعصيانكم سنلقي في قلوب
الرعب فتكون العاقبة لكم بايمانكم وقد حقق هذا الوعد فالقى في قلوب ابي سفيان
واصحابه الرعب فلم يعودوا اي بدر الصغرى بعد ان وعدوا ذلك وقيل يريد به
ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال وانهزموا الى مكة من
غير سبب ولهم القوة والغلبة ولا يساعد الخوف عبارة سنلقي بما اشركوا بالله
بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ه
والانزال جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر وذكر الانزال لان اشارة الحجة لالهة
ان ينزلهن الله فيه لقلتهم بالهتهم واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة
اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار اي مرجعهم جهنم في الآخرة وبئس
مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد
صدقكم الله وعده اي وعدهم اياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى كما مر في قوله ان
تصبروا وتتقوا الخ وكان كذلك حتى خالف الرماة اذ تحسونهم تقتلونهم من احسه

اذا ابطل حسه باذنه بتيسيره حتى اذا فشلتم الخطاب للكل والمراد بعضهم على طريقة
العرب في نسبة ما يقع من البعض الى الجميع على سبيل التجوز والفشل الجبن والضعف
وحتى حرف جر بمعنى الى اي الخ على اسم هو اذا وقد عرفت ان معنى نقضا الوعد النصر
والاظفار فلا يتوهم انه لا يصلح غاية لان وعده تعالى لا ينقلب كذبا وانما قدم ذكره
وهو مؤخر وجودا عن التنازع والعصيان للدلالة على ان الموعود لم ينتف بتنازعهم
وعصيانهم لم يجبنوا فالغاية في الحقيقة جبنهم وهذا يرجح الوجه المذكور على ما قيل
ان اذا مجرد عن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه ثم صرفكم اي منعكم نصره
وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون في اول الوهلة ه
فقال بعضهم فما موقفنا هاهنا الغنيمة الغنيمة وقال آخرون لا تخالفوا امر الرسول
فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الغنيمة وفيه تنبيه على ما بعث عصيانهم
وتشنيع لهم حيث آثروا الغنيمة على الجهاد ومن زاد على ما ذكر النظم وانهزام العدو
ففوت النكتة منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز الغنيمة ومنكم
من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عليه السلام ثم صرفكم عنهم
تركهم حتى حالت الحال ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها
ولقد عفا عنكم تفضلا لما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما علم من ندمكم عليه والله ذو فضل على المؤمنين في جميع الاحوال فتارة يتفضل عليهم
بالنصرة والادالة على عدوهم لتقوية امر الدين وتارة يتفضل بالابتلاء والادالة
العدو عليهم لظهور الصفات الكمالية الكامنة فيهم ونيل درجات الشهادة وتارة
يتفضل بالعفو وتخليصهم من الذنوب وكلها رحمة منه عليهم وفضل بحسب اقتضاء
احوالهم ذلك اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد
الابعاد في الضرب في الارض قال صاحب الديوان الاصعاد في الارض والتصعيد في الجبل
والصعود في السلم وقرئ تصعدون بفتح من الصعود وقرئ اذ تصعدون وتنفي الواو
ويحتمل انهم ذهبوا في الوادي ثم صعد بعضهم الى الجبل ملتجيا به ولا تلوون على احد
ولا تلتفتون على احد من الاحادي قولهم لوى جيده اليه اذا التفت اليه وهو اجتياد
عما نخوفهم من العدو والرسول يدعوكم وكان يقول الي عباد الله انا رسول الله ه
من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فأثابكم غما بغم عطف على

صرفكم اي فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل
والجرح وغلبة المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم اي لجازاكم غما
بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم والثواب الجزاء كيف ما كان والاثابة
اعطاؤه وقال عليه السلام ان اقرب الخلق بعطايه مما لم يثبت عنه الا ان الثواب
اذا اطلق يراد به الجزاء في الخير وعلى هذا يكون فاثابكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على تجرع الغموم وتعتادوا الصبر
واحتمال الشدايد فلا تحزنوا فيما بعد على ما فاتكم من الفوايد ولا ما اصابكم من
المكاره وقيل الضمير في اثابكم للرسول اي فاثابكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما
اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما قصدتم بها
وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نصب
على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه او مفعول له او حال
من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم
كانها المرة من الامن اي انزل الله عليكم الامن وازال الغم والخوف حتى نعستم
يغشى طايفة منكم اي النعاس عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان
السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وقرئ تغشى بالتاء ردا على
الامنة والطايفة المومنون حقا وطايفة منهم وهم المنافقون قد اهمتهم
انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهم والحزن لعدم اليقين او ما يهمهم الا هم انفسهم
وطلب خلاصها لا هم الدين ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم وللخبر مستفاد
من المقام يظنون بالله صفة اخرى لطايفة او حال او استيناف على وجه البيان
لما قبله غير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الحق الذي يجوز ان يظن به
ظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها وفي الابدال مبالغة
في كشف خطا الظن واشعار بان ظن الجاهلية علم في البطلان يقولون اي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما
امر الله تعالى ووعد من النصر والظفر نصيب قط قل ان الامر كله لله اعتراض اي
الغلبة الحقيقية لاوليايه الله تعالى فان حزب الله هم الغالبون فلا معنى لنفي الاسناد
بمعنى النصر والاظهار عنهم وقرئ كله بالرفع على الابتدا يخفون في انفسهم ما لا يبدو

لك حال من ضمير يقولون اي وهو بدل من يخفون او استينافا على وجه البيان
له وهو اجوبة اي يظهرون هل لنا من الامر شيء سوال المومنين المسترشدين ويقولون
في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا منكرين
لقولك ان الامر كله لله تعالى اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليايه
وانهم الغالبون ما غلبنا قط وما قتل من قتل من المسلمين في هذه المعركة قل لو كنتم
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم
القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه
احد منهم لا لان العلم الازلي بخروجهم اليه وقتلهم فيه ذلك لان العلم تابع للمعلوم
فلا تاثير له فيه بل لان الله تعالى قدر الامور ودبرها في سابق قضايه لا معقب
لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وليظهر سراير ما فيها من
الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف
اي لبرز لمصالح جمة وللابتلاء وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان
والله عليم بذات الصدور من الظنون والعزايم وفيه وعد ووعيد وتنبيه
على انه تعالى غني عن الامتحان وانما فعل ذلك ليميز المومنين ويظهر حال المنافقين
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
فاطاعوه واقترفوا ذنوبا فلذلك منعهم الله التاييد بالنصر وتقوية القلوب حتى تولوا
وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم
لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم
المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة
وقيل ذكرهم سالف الخطايا فكرهوا لقا الله تعالى معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم
ويجاهدوا على حال مرضية ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور
للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم والمراد بالاخوة الصداقة او الاتفاق
في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة وسائر
المهام واذا بمعنى قالوا المجرد الظرفية على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى
او نفضوا الا ضرا وغزى جمع غاز كعفى جمع عاف لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا

مفعول قالوا اي لو لم يخاطروا والماشوا وهو يدل على ان اخوانهم قد فاتوا بعد ان
غابوا عنهم ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اي قالوا ذلك معتقدين ليكون حسرة
في قلوبهم على ان اللام للعاقبة ويجوز ان يتعلق بالنهي اي لا تكونوا مثل الكفار
في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون
قلوبكم منها ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم اياهم في قولهم واعتقادهم
مما يغيظهم ويغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم وتخطية لمعتقدهم اي الامر بيده
قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد وبالعكس كما يشا والله بما تعملون
بصير تهديد لهم على ان يماثلوهم وعلى القراءة بالياء وعيد للكفار وتصدير الجملتين
بالقسم للتاكيد والتحقيق ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيل الله متعلق
بالمعطوفين كمن قبل في قوله تعالى لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فلا
حاجة الى تقديره بعد قوله او متم وقرئ بكسر الميم من مات يمات وتقديم القتل
لانه الغالب في الجهاد بخلاف غيره وهنا اخر فيما ياتي ثم ان المقتول احق بالمغفرة
واجدر والميت في الاشرا اكثر فقدم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب
القسم وساد جواب الشرط وعدل في الجواب الى الجملة الاسمية للدوام والتاكيد وتنكير
مغفرة للتعظيم وكذا تنكير رحمة كذبا للكافرين او لاغ زعمهم وخطايهم في اعتقادهم
ونهي المسلمين عن ذلك لكونه اعتقادا باطلا مسببا للتقاعد عن الجهاد ثم قال ولئن
وقع ما تحذرونه فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة والثواب العظيم خير مما
تجمعون من منافع الدنيا لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم
لالى الله تحشرون لان معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لاجله لا الى غيره
لا محالة تحشرون فيوفي جزاكم ويعظم ثوابكم ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه
شان لا يخفى لذلك عدل عن الضمير اليه فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيد للتوكيد
وتقديم الظرف للدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله تعالى وتنكير رحمة
للتعظيم اي بعظيم وافر من رحمة الله تعالى انت لهم ولطفت وما عنفتهم
على مخالفة امرك وتركهم اياك بين الكفار بل واسيتهم بالغم واغتممت لاجلهم
والفا للترتيب على ما دل عليه سياق الكلام من انهم كانوا مستحقين العتاب البليغ
وان المرجو منه عليه السلام على ما هو مقتضى الطبع البشري ان يعنف عليهم ويغلظ

في مخاطبتهم ولو كنت فظا الفظ الجافي الخشن الخلق غليظ القلب قاسيه لانفضوا
من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك وكما بين فائدة حسن الخلق وافة الغلظ رتب
عليه الامر بقوله فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما
للرافة بهم وشاورهم في الامر اي امر الحرب وغيره مما لم ينزل عليك فيه وحي لان في مشاورتهم
من الرفع في اقدارهم وتطييب قلوبهم والاستظهار برايهم وعن الحسن قد علم الله تعالى انه
ما به اليهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على
شي بعد الشورى والفا التعقيبية للدلالة على ان حق المشاورة ان ينتهي الى العزم
على احد الامرين ولا ينبغي في التردد بينهما فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو الارشد
الاصلح فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شي وعينته
لك فتوكل على الله ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين اي يرضى عملهم ويهديهم
الى الاصلح وينصرهم ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا يغلبكم احد
وان يخذلكم اي ان يترك نصرتكم كما ترككم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده
اي من بعد خذلانه او من بعد الله اذا جاوزته تعالى من قولهم ليس لك من يحسن
اليك من بعد فلان وهو تنبيه على المقتضي للتوكل عليه تعالى وتحريض على ما يستحق
به النصر وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي لما علموا ان
لا ناصر لهم سواه فليخصوه بالتوكل عليه والتفويض اليه وفي عبارة المؤمنون
اشارة الى وجه يؤيد التخصيص المذكور وهو ان الايمان الحقيقي يقتضي رؤية
فنا القوى والقدر كلها في قوته تعالى وقدرته فلا ناصر سواه وما كان وما صح
لنبي من الانبيا عليهم السلام فكيف لمن هو افضل الرسل ان يغل الغلول اخذ المال
من الغنيمة في خفا فقدت قطيفة حمرا من الغنايم يوم بدر فقال بعض من كان
مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله اخذها فنزلت وقايله ذلك مومن لم يظن
في ذلك حرجا برا الله تعالى من ذلك ونزهه ونبه على عصمته عليه السلام
بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن ظان فيه شيا منه ولا يسترب به احد
وقرئ ان يغل على البنا للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب
الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالشي الذي غله بعينه يفتضح
به على رؤس الخلايق وهذا ما يقتضيه سياق الكلام واما حمله على عنقه كما ورد
في بعض الاحاديث فغير منظور اليه في هذا المقام ثم انه مخصوص بما له ثقل

على ما نفهم من قوله عليه السلام لابي هريرة رضي الله عنه لا اخبأن من امرك شيئا
من الغنايم اذا تخرج يوم القيامة وهو معلق بثيابك ولو كانت ابرة فلا اتجاه
لما نقل عن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال
اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء ما كسبت
وانما كان الظاهر ان يقال ثم توفى ما كسبت ليتصل بقوله يأت بما غل لفظا وانما عدل
عنه ذلك ليدخل تحته دخولا اوليا فيكون ابلغ واثبت بالبرهان لانه لما علم ان الغال
ان كل نفس توفى جزاء ما كسبوا به خيرا كان او شرا علم انه غير متخلص من بينهم مع
عظم ما كسب فاتصل به معنى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد
في عقاب عاصيهم ولما عم كل كاسب خير وشر وكلا المتنافيين من النبي والغال
فقال منكرا افمن اتبع رضوان الله بهمزة الاستفهام مسلطا بما يراد عطفه على الفاء
ما بعدها على مقدر دل عليه ما قبلها مؤكدا انها المنافاة بين النبي والغال كانه
قال ايفعل النبي فمن اتبع رضوان الله بالطاعة يعني النبي ومن تابعه كمن باء
بسخط عظيم من الله ومأواه جهنم بالعصيان كالغال ومن دان بدينه وبئس
المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المرجع هو انقلاب الشيء الى حال كان عليها والمصير
انقلابه الى خلاف الحال التي كان عليها هم درجات تشبيه بليغ اي هم متفاوتون
كما تتفاوت الدرجات وقيل على حذف المضاف اي هم ذوو درجات وانما قال
عند الله تعظيما للتفاوت والله بصير بما يعملون عالم بها عما لهم فيجازيهم على حسبها
لقد من الله على المؤمنين خصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون ببعثته عليه السلام
والمنة هنا الانعام وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثته ويجوز
ان يكون اذ في قوله اذ بعث في محل الرفع بانه مبتدا اي وقت بعثته لمن من الله
لان العرب لم تستعملها متصرفة قال ابو علي الفارسي لم ترد اذ واذا في كلام
العرب الا ظرفين ولا يكونان فاعلين ولا مفعولين ولا مبتدأين وانما قال فيهم
لانهم كانوا عرفوا امره ومنشأه وصدقه وامانته وطهارة اخلاقه فاندفع
بذلك كثير من الخواطر رسولا التنكير للتعظيم من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم
ليسهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه لاتفاقهم في اللسان وقيل من نسبهم يعني من
ولد اسماعيل عليه السلام كما انهم من ولده وكلما كانت الجنسية اكثر كان الحق
اوفر لمناسبتهم اياه وسهولة تقبلهم منه وعلى هذا يكون المراد من امن من قومه

عليه السلام وتخصيصهم بالمن لزيادة انتفاعهم ببعثته عليه السلام وعلى كلا الوجهين
لا اختصاص لمن امن معه عليه السلام وقرئ من انفسهم اي اشرفهم لانه عليه السلام
كان من اشرف شعوب العرب وافخرهم يتلو عليهم اياته من الوحي الحق بعد ما كانوا
اهل الجاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم من دنس الكفر والخبائث وغوائل
الطبيعة والرذائل ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة الشاملة لاقسام
الحكمة وان في قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين هي المخففة من الثقيلة ومن قبل
بني على الغاية واللام هي الفارقة اي وان الشان كانوا من قبل بعثته في ضلال
ظاهر لا شبهة فيه وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم
انه عليه السلام تعلم ذلك من معلم اولما اصابتكم مصيبة ما اصابهم يوم احد من
قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين والهمزة
للتقرير المتولد والتقريع ولما نصب بقلتم في قوله قلتم انى هذا واصابتكم في محل
الجر باضافة لما اليه وتقديره وقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب على انه مفعول
قلتم والواو عاطفة للجملة على قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف
اي افعلتم وقلتم حينئذ انى هذا اي من اين هذا قل هو من عند انفسكم اي استوجبتم لما
اصابكم بسبب ناش من عند انفسكم فانزل الله بكم ذلك فلا ينافي كونه من عند الله
اي السبب العادي انتم لتخليتكم المركز وميلكم الى الغنيمة فان وعد النصر كان
مشروطا بالثبات والمطاوعة واما اختيار الخروج من المدينة فبعيد لان الله تعالى
وعدهم النصر بعد ذلك بشرط الثبات واختيار الفداء يوم بدر ابعد منه ان الله
على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ومنكم اخرى
ولا تأثير للاسباب العادية ففيه دفع وهم العجز عند عدم شرط الثبات وما اصابكم
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد فباذن الله فهو كائن بتخليته
الكفار اياهم اذ نال الانفاس لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على باذن الله وانما ذكر اللام
لاجل السبب وليعلم الذين نافقوا اي وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر
ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة تعالوا قاتلوا
في سبيل الله او ادفعوا قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا لما يقاتل المؤمنون وبين
ان يقاتلوا او يدافعوا عن انفسهم واهليهم واموالهم ان لم يكن لهم هم في الله وفي الاخرة قالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم ابوا الانقياد وجحدوا القدرة عليه راسا اتفاقا منهم على ما روي

ابن عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك ويجوز ان يكون المعنى لو نعلم
ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالنفس
الى التهلكة تسفيها وتخطية لرايهم لان رايه كان في الاقامة بالمدينة او ادفعوا العدو
بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر
قلبه بقي ههنا شي وهو ان مقتضى ترتيب الكلام على الوجه الاول ان يعطف قالوا
لو نعلم قتالا على نافقوا لا على قالوا وانما اخرج مخرج الاستيناف على انه جواب سوال اقتضاه
دعا المومنين اياهم الى القتال فاخر عن الدعا كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
لو نعلم لتنبيه على ظهور امارة النفاق منهم لتثبطهم وتعللهم بعد الدعا الذي كان
يجب عليهم اجابته ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما
مستانفا عطفا على جملة وما اصابكم فباذن الله **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان**
لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم موذنة بكفرهم والظروف
كلها متعلقة باقرب لانها من الاتساع لكن تعلق الكفر باعتبار الزيادة وتعلق
الايمان من حيث المفضولية كانه قيل قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان
وصلة القرب يكون من او الى وتقول القرب يقترب منه واليه ولا تقول له فاللام
بمعنى الى وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذا كان انخزالهم تقوية
للمشركين وتخذيلا للمومنين **يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم** اي يظهرون
خلاف ما يضمرون لا تواطي قلوبهم السنتهم بالايمان والعرب تستعمل القول في غير
الكلام فتقول قال بيده اي اهوى بها وقال براسه اي اشار فقوله بافواههم تخصيص
القول بالكلام وابتدار الافواه على الالسنة لانها اوسع دايرة فان من الحروف ما لا
دخل فيه للسان **والله اعلم بما يكتمون** من النفاق وتجهيل المومنين وتخطية
رايهم وذمهم فيما بينهم والشماتة بهم وغير ذلك وانما قال اعلم لانهم يعلمون بعض
ذلك علما مجملا بامارات والله تعالى يعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته
الذين قالوا بدل من ضمير يكتمون رفع المحل او نصب على الذم او رفع عليه اي هم
الذين قالوا او نصب بدل من الذين نافقوا او جر بدل من الضمير في افواههم
او قلوبهم **لاخوانهم** اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم
وقعدوا حالا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال **لو اطاعونا** في القعود **ما قتلوا**
كما لم نقتل **قل فادرءوا عن انفسكم الموت** جواب شرط مقدر يدل عليه **ان كنتم**

صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
فانه احرى بكم يعني ان القعود غير مغن فان اسبابه شتى والقتال قد يكون سببا
للنجاة والقعود سببا للهلاك **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا** نزلت
في شهدا احد والابلغ ان يحمل الخطاب لكل احد لانه امر خطير يجب ان يتشرب به
كل احد لتتوفر دواعيهم الى الجهاد ويتنبهوا عن العجز او قرئ بالياء اي ولا يحسبن
وقرئ بالتشديد لكثرة المقتولين **بل احياء** اي هم بل احياء وقرئ بالنصب
على بل احسبهم احياء عند الله **ربهم** عندها يعني القرب شرفا ورتبة **يرزقون**
يعني في الجنة وهو تاكيد لكونهم احيا **فرحين** حال من يرزقون **بما اتاهم الله**
من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى
والتمتع بنعيم الجنة معجلا **ويستبشرون** يسرون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا**
بهم اي باخوانهم المومنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم **من خلفهم** اي الذين
من خلفهم زمانا او رتبة **الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل من الذين والمعنى انهم
يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم وهو انهم يلحقون بهم في امن
وفرح ورغد عيش وفيه تحريض لمن بعدهم على الطاعة والجهاد والرغبة في نيل
درجة الشهادة وبشارة للمومنين بالفوز وحسن المآب واحماد لمن يرى نفسه
بخير فتمنى مثله لاخوانه ويستبشر به لهم والاية تدل على ان روح الانسان
جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه
ويويد ذلك قوله تعالى النار يعرضون عليها وما روي ابن عباس رضي الله عنهما
انه عليه السلام قال ارواح الشهدا في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من
ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش **يستبشرون** كرر للتاكيد وليعلق
به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وهو
بنفي الحزن وعدم ضياع اجرهم بنفي الخوف لان الاول على الواقع والثاني على
المتوقع ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم وفي تقديم الاستبشار
بحال اخوانهم ارشاد الى موجب الصدق في الاخوة الدينية وهو ان يكون صلاح
حال اخيه اهم عنده من صلاح نفسه يستبشرون **بنعمة من الله** ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم **وان الله لا يضيع**
اجر المومنين قرئ ان الله بالفتح عطفا على فضل فيكون من جملة المستبشر به وقرئ

بالكسر على ان الجملة ابتدائية على سبيل الاعتراض للاستشعار بان ذلك اجر لهم على
ايمانهم وان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها ويعضده قراءة والله لا يضيع
اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول اجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الله تمهيد لبيان ان دعوته عليه السلام دعوة الله تعالى فكان اجابته
اجابة الله من بعد ما اصابهم القرح اي الجرح في غزوة احد وبهم اثر ذلك ويجوز
ان يكون الذين مخفوضا نعتا للمؤمنين وان يكون منصوبا على المدح وان يكون
مرفوعا بالابتداء وخبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان
والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم
محسنون متقون قيل لما كان اليوم الثاني من غزوة احد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحم الله من انتدب لطلب العدو حتى يعلموا انا لم نستاصل
وان فينا بقية وقال لا يخرج معنا الا من شاهدنا بالامس فانتدبوا وبهم الجراح
حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وقام بها ثلاثة ايام ثم
انصرفوا وقد فاتهم العدو ونزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال
فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من اهل المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه فالاول معرفة وان اعيدت
معرفة فليس الثاني عين الاول فان اللام العهدية اشارة الى ما ذكر صريحا لا الى
ما يعرفه المخاطبون قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند
انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان
شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط
لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم وقد قدم معتمرا فسأله
ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم
اتوكم في دياركم فلم يفلت احد منكم الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم
ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج
في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير
المستكن للمقول اي فزادهم ذلك الكلام او المصدر اي فزادهم قولهم والبارز

للمتدين مع الرسول صلى الله عليه وسلم لا للمقول لهم لما عرفت ان اكثرهم كرهوا
الخروج معه عليه السلام والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به
يقينهم بالله وازدادوا ايمانا واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو
دليل على ان الايمان بمعنى التصديق يزيد وينقص ومن انكره قال ذلك بحسب المتعلق
اعني ما يؤمن به واما الايمان الشرعي فدايرة الخلاف فيه واسعة لان من المخالفين
من قال بدخول الطاعات فيه ومنهم من انكره وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا
من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب قولهم هذا رجل حسبك على الصفة
للنكرة لكون الاضافة غير حقيقية وهي اضافة اسم الفاعل الى معموله ونعم الوكيل
وهو نعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر الصغرى سالمين غانمين وهو
ما ذكره بقوله بنعمة من الله بنعمة عظيمة وهي السلامة وهرب العدو منهم
وفضل وهو الربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم
يمسسهم رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراتهم وخروجهم والله
ذو فضل عظيم بتوفيقهم لما فعلوا والتفضل عليهم بسعادة الدنيا والاخرة من الربح
والرضوان وفيه تحسير للمتخلفين وتخطئة رايه حيث احرم نفسه ما فاز به انما
ذلكم الشيطان ذلكم مبتدا خبره الشيطان اي انما ذلكم المثبط هو الشيطان وما بعده
بيان لشيطنته وصفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول
صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير
للناس الثاني على الاول وللاولياء على الثاني وخافون من مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يرجح خوف الله تعالى على كل خوف ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم المنافقون وقوم من
اليهود والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله
شيئا اي لن يضروا اولياء الله بتلك المسارعة وانما يضرون بها انفسهم وانما اضاف
الضرر الى نفسه تشريفا لاوليائه وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وتنكيره للتحقير
يريد الله الا يجعل لهم حظا نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي
طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى
اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته او بان مسارعتهم في الكفر لانه

سوءا ما يسوءهم من الضرر
بدنيا كان او ماليا والتنكير
للتحقير واتبعوا صح

تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم مكان الثواب ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تعميم للكفرة بعد تخصيص
المنافقين وقوم من اليهود فيتناولهم ويكون كالبرهان على ان وبال كفرهم وضرره
لا يعود الا اليهم وان لهم عذابا مولما مع عظمه ولا تحسبن الذين كفروا الذين كفروا
نصبا على المفعولية على قراءة لا تحسبن بالتاء والخطاب لكل من يحسب وقد تبين فيما
سبق ان هذا ابلغ من تخصيص الخطاب بالرسول صلى الله عليه وسلم وقوله انما نملي لهم
خير لانفسهم بدل منه على الاشتمال وما مصدرية وحقها ان تكتب منفصلة ولكنها
وقعت في خط الامام متصلة فاتبع سننه وانما اقتصر على احد المفعولين مع امتناعه
في افعال القلوب لان الاعتماد على البدل والبدل منه في حكم المنحى ليس بمقصود
فالبدل وهو ان مع اسمه وخبره ينوب عن المفعولين ويجوز ان يقدر مضاف اي
ولا تحسبن حال الذين كفروا او على قراءته بالياء فالذين كفروا رفع على الفاعلية
والاملاء والامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له
الطول ليرعى كيف شا انما نملي لهم ليزدادوا اثما جملة استينافية لتعليل الحكم
السابق وما كافة واللام للتعليل فان القائلين بان الخير والشر بارادة الله تعالى
يجوزون التعليل بمثل هذا اثما لا لانه غرض والغرض لا يلزم ان يكون مطلوبا بل يكفي جعله
غاية للفعل واما لانه مراد مع الفعل تشبيها بالعلة وهم الذين لا يجعلون فعل الله تعالى
معللا بالغرض وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن
الذين كفروا ان املانا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم
خير اعتراض معناه ان املانا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم
عذاب مهين على هذا يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فمعنى كان متقدم في الاعتبار ورد اللام
في ليذر المؤمنين تاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين بالمنافقين
حتى يميز بينهم والخطاب للمؤمنين المخلصين لانهم الممنون عليهم والموصوفون بالطيب
ولقوله ليطلعكم حتى يميز الخبيث من الطيب تسجيل على المنافقين بالخبث وعلى
المؤمنين بالطيب اي حتى يعزل المنافق عن المخلص ليلا يتعدى خبثه اليه والالتفات
الى الخطاب تقريب للمؤمنين وتخصيص والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف

الشاقة التي لا يصبر عليها ولا ينزع عنها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال
والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم
على الغيب من مضمرات القلوب وغيرها فان ذلك مما استاثر الله تعالى به ولكن
الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلم بعض المغيبات بالوحي او بطريق اخر وليس هذه
من قبيل الاطلاع ولذلك قطع الاستثنا فامنوا بالله بان تعرفوه حق معرفته
وتعلموه وحده مطلعا على الغيب ورسله بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا
ما علمهم الله تعالى في شي قيل قال الكافرون ان كان محمد عليه السلام صادقا فليخبرنا
من يومن منا ومن يكفر فنزلت وقيل انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت
من يومن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم من يومن به ومن يكفر
ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تومنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر
عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا
لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي
ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير
الرسول او من يحسب ومن جعل فاعله الذين يبخلون جعل مفعوله الاول ما دل عليه
يبخلون اي بخلهم وسوغ حذفه دلالة ذلك وهو فصل وقرئ بغيرهم بل هو اي البخل
شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله
شر لهم والتطويق يستعار للالزام تشبيها لما لا ينفك عن الرجل بالطوق اي
سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وقيل يجعل ما بخلوا من الزكاة حية
يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول
انا مالك ولله ميراث السموات والارض ما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم
يبخلون عليه بماله من ملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون من المنع والاعطا
خبير فمجازيكم وقرئ يعملون بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا قالت اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وعيد بليغ وقد اكده بالقسم في لقد اي والله لم يخف عليه وانه اعد لهم
العقاب عليه وكذلك سنكتب ما قالوا كما يقول المهدد لمرتكب الجرايم اذا وقف
منه على جريمة جديدة لقد سمعتها وسا كتبها مع صواحبها يريد سنثبت جرايمك
اجمعها والحق احدها بالاخرى محفوظة مكتوبة عندي حتى اخذك بالكل فالكلام على

طريقة الاستعارة التمثيلية ومعنى انه على حقايتها والسين لتاكيد الاثبات كما
ان لن لتاكيد النفي اي بما يكون الوعيد على طريق التاكيد كما في الاخبار بوجوده
السماع لان الجريمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزا بالقران وقتلهم الانبيا
هذا العطف تذكير لهم لما يستحقون به اشد العذاب اظهار الشدة والغضب
وتوبيخ شديد اي هذه عظيمة مثلها ولهم سوابق في ذلك ومن ارتكب قتل الانبيا
لم يستبعد منه الاجترا على مثل هذا القول وفيه احتمال لان يكون قتل الانبيا بحق قوله
بغير حق بان الواقع زيادة في التقبيح ونقول ذوقوا عذاب الحريق تتمة الوعيد
مع تهكم بالغ ينتقم منهم بهذا القول وذق كلمة يقولها المنتقم للمنتقم منه اي
ذوقوا كما اذقتم المسلمين الغصص ذلك اشارة الى ما مر من عذاب الحريق تهويلا
وتعظيما والذوق ادراك الطعم وفي الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات
والحالات وذكره هنا لان سبب العذاب قولهم الناشئ عن البخل او التهالك عن المال وغالب
الحاجة اليه لتحصيل المطاعم ومعظم عله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل
مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتلكم الانبيا وقولكم هذا
وساير معاصيكم ولما كان اكثر الاعمال تزاوله بالايدي جعل كل عمل وان كان بالقلب
او اللسان وساير الجوارح عملا بالايدي على سبيل التغليب ولان اليد مظهرة القدرة
واله المباشرة نسبوا الكسب اليها كانهم ارادوا كسب النفس وحدها بلا مشاركة
احد فيه وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت اي ذلك بسبب كسبكم
بانفسكم وبان الله عادل لا يجازيكم الا بما كسبتم وقضية العدل عقاب المسيء وثواب
المحسن وصيغة المبالغة للتنبيه على ان شانه تعالى البلوغ الى النهاية في كل وصف
يتصف به فلو تعذر اتصافهم بالظلم لزم ان يكون ظلاما الذين قالوا كعب بن
الاشرف واضرابه ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن بان لا نؤمن
لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لبني اسرائيل
وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى
طبعها بالاحراق قد جاءكم اي جاء اسلافكم الذين انتم على ملتهم ورضوان بفعلهم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين الزام لهم بان رسلا جاؤهم
قبلي كزكريا ويحيى عليهم السلام بمعجزات موجبة للتصديق وبهذه الاية التي اقترحوها
فلم قتلتموهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وانما تقبلانه من الاية

ما اوجبت التصديق والايمان الا لكونها اية ومعجزة فهي اذا وساير الايات سوا في ذلك
فلا يجري نسخها في دفع ما قالوا الا انهم ادعوا العهد من الله تعالى فيه ذلك قال السدي
ان الله امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه رسول مني فلا تصدقوه حتى ياتيكم
بالقربان تاكله النار من السما حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما
ياتيان بغير قربان فاذكره ليس من مفتريات اليهود بل من محرفاتهم فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاءو بالبينات تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب
اليهود والزبر والكتاب المنير الزبر جمع زبور وهو مكتوب بمعنى مزبور اي كتبه والجمع
يدل على الكثرة فالمراد منه الصحف وعني بالكتاب المنير التورية والزبور والانجيل
وقرئ بالزبر وبالكتاب باعادة الجار فيهما للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات
وان الكتاب مغاير لها كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وهو
من تمام التسلية اذ بذكر الموت والتفكر يهون ما يصدر من الكفار من التكذيب
وغيره وفيه دلالة على ان النفس غير البدن وانها لا تموت بموته وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين على الاصل وعدمه لالتقاء الساكنين وانما توفون اجوركم
تعطون ثواب اعمالكم تاما وافيا ومن قال جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا فكانه لم يعرف
بين الاجر والجزاء يوم القيمة يعني في دار الاخرة ولفظ التوفية انه لم يشعر بانه قد
يكون في هذه الدار بعض الاجور فلا يدل على عدمه فلا ينافي تعجيل ما يدل على وقوعه
من الاخبار كقوله عليه السلام الصدقة والصلاة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار
وانما ما يعطى في القبر فمما يوفى في الدار الاخرة لان الموت بابها والقبر اول المنازل
فمن زحزح عن النار اي بعد عنها وقد سبق في سورة البقرة وادخل الجنة فقد فاز
بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها
الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغتر حتى يشتري به ثم
يتبين له فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان وانما هذا التشبيه تنفير وتحذير
لمن اشتراها بالاخرة ويؤثرها عليها واما بالنسبة الى من تاجها بالاخرة وعلم سرعة
نفادها واتخذ منها زاده وتركها واختار الباقية فهي متاع الغرور والسرور لا الغرور
والحزن ومقصد رد الامنات للملابسة لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم
بتكليف الانفاق وما يصيبه من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجرح
وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب

رد على البيضاوي

من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول عليه السلام والطعن
في الدين واغراء الكفار على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر
والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها فيفوتهم الصبر والاجر والاكرام
وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من
عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله
ان يكون منكم وقطعه عليكم وبالغ فيه والعزم القطع قال عليه السلام لا صيام لمن
لم يعزم الصيام من الليل اي لم يبيت كالاختصاص له بالراي واذ اخذ الله اي اذكر
وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرئ بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه
قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وما عهد اليهم
وراء ظهورهم تشنيع على اهل الكتاب وبالغ في تشنيعهم بانهم اذا اخذ الله ميثاقهم وعهد
اليهم واكد بالقسم ان يظهروا الكتاب واوجب عليهم بالتاكيد بيان ما فيه ولا كتما
نه فبالغوا مبالغة في ذلك بالمبالغة في اطراحه وتركه فان النبذ وراء
الظهر مثل الطرح بالكلية وترك الاعتداد بالشيء النبذ الرمي والابعاد وفي الحديث
انه مر بقبر منتبذ عن القبور اي منفرد بعيد منها والوراء لا يطلق على الخلف ويطلق على
الامام فاضافته الى الظهر لتعيين معنى الخلف واشتروا به واخذوا بدله ثمنا
قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وقد سبق
ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا
الحق للناس وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب
لنفوسهم واستجلاب لمبارهم او جر منفعة او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة
او بخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن
اهله الجم بلجام من نار ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والفاء للاشعار بان انتفاءهم المذكورة علة لنفي
الحسبان والنهي عنه والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان
الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار

بالصدق

بالصدق بمفازة لنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرئ بالياء وفتح الباء
في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف فان يدل عليهما
مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
وقيل المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول وفيه ان التاكيد للفعل والفاعل فقط اذ ليس المذكور سابقا الا الفعل والفا
فالضمير المنصوب المتصل بالتاكيد هو المفعول الاول ولا حذف ولهم عذاب اليم
بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء في التورية فاخبروه
بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل غير ذلك
والحق انه شامل لكل من اتى بحسنة ففرح بها فرح اعجاب واحب ان يحمده الناس
بما ليس فيه من الفضيلة وبما لم يفعل من انواع البر واوجبه وليس وان كان السبب
خاصا ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على
عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
لدلالات واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول
الخالصة عن شوائب الاوهام والعادات الصافية عن شوب الهوى ولعل الايه الدالة
الحقائق بنظر الاعتبار المتدبرة للمعاني بصواب الافكار وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها والاقتصار على الثلاثة المذكورة لان مناط الاستدلال
هو التغير وانواعه الثلاثة يوجد فيها لانه اما ان يكون في الاحوال الخارجة عن الشيء
كتغير الافلاك او في جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او في ذاته كتغير الليل
والنهار ووجه الترتيب ظاهر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
محله النصب على الحال عطفا على الخبر به اي قائمين وقاعدين ومضطجعين يعني يذكرون
الله تعالى ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع ويتفكرون في
خلق السموات والارض اي في خلق العالم استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات
كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه عمل القلب والمقصود من الخلق وفيه اشعار
بان ذوي الالباب بيانهم وتفسيرهم الذين يذكرون الله دائما على اي حال كانوا ح
المتفكرون في خلقه ربنا ما خلقت هذا باطلا معمول قول مقدر اي يقولون وهي
في موضع الحال بمعنى يتفكرون قائلين وباطلا صفة مصدر محذوف اي ما خلقته
خلقا باطلا بغير حكمة او حال من هذا وهو اشارة الى ما عبر عنه بخلق به وهو عالم

الملك وفيه ضرب من التعجب وظهور امره في العظمة وكما ان ذلك يستعمل في التعظيم
لبعد المرتبة وعلو القدر كذلك هذا يستعمل لظهور امره في ذلك المعنى وتعينه وانفراده
بذلك اي ما خلقت هذا العالم العجيب الشان النير البرهان المتفرد بالعظمة وغرابة
الابداع باطلا وفي السكوت على هذا القدر من البيان دلالة على قصور العبارة عن
بيان فوايده ومنافعه ولو اجمالا سبحانك تنزيها لك من خلق العبث وخلق الباطل
وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وتكون الدلالة
على وجوب الاعتبار به واجتناب الغفلة عنه ماخوذة في ربنا ما خلقت هذا باطلا
حسن تعقيبه بهذا الكلام والفا للسببية اي اذا ذكرناك واقررنا بك فقنا ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء وهذا مستفاد من جعل الجزاء امرا ظاهر
اللزوم للشرط حيث لا فايدة في ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على اخص الخصوص
ليفيد والمراد به تهويل المستفاد منه قال ابن السكيت خزي يخزى خزيا اذا وقع
في بلية فلا انتصار فيه بان العذاب الروحاني افظع وقد تمسك بهذه الاية اصحاب
الوعيد وقالوا ان من دخل النار ينبغي ان لا يكون مؤمنا لقوله فقد اخزيته فان الله تعالى
يقول يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه الاصحاب رضي الله عنهم لا الذين امنوا
مطلقا وما للظالمين من انصار اللام للعهد والاشارة الى من يدخل النار والاعلام بان
من يدخل النار فلا ناصر له ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم
النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان
النصر دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اذا اريد به تخصيص سماع
القول بمن سمع منه اوقع الفعل على من يسمع منه وحذف المسموع ووصف المتكلم
الموقع عليه الفعل بما سمع منه او جعل حالا لانه يفيد الوصف او الحال المسد مسده تقول
سمعت رجلا يتكلم وسمعت زيدا يتكلم وذكر النداء مطلقا ثم قيده بالايمان تعظيما
للمنادي وهو الرسول وتفخيما لشانه والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنهما
معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا اي امنوا او بان امنوا بربكم فامنا فامتثلنا
والفا للعطف على سمعنا او سببه عن امنوا اي تسبب عنه ايماننا ربنا فاغفر لنا
الفا للسببية اي اذا امنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر تجاوز
عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة وفي تخصيص كل من التعديتين بمقامه نوع
اشارة الى ان المراد من الذنوب الكباير كما ينبئ بها معناها وما تعلق بها من الفعل

بحسب معناها واختصاصه بالله تعالى ومن السيئات الصغاير كما ينبئ بها ايضا معناها
وما تعلق بها من الفعل بحسب معناها وجواز استعماله في غيره تعالى وتوفنا مع الابرار
مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم ولا دلالة فيه على طلب التوفي حتى يكون
فيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله تعالى والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا واتنا عطف على الدعوات السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع
بالربوبية وكذا جميع التكرارات في الاية ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك
من الثواب قيل لما ظهر امتثالهم للمرتبة سالوا ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد
بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبته او قصور في امتثاله ويرد عليه انه على
تقدير وقوع ما خافه لا يكون السؤال المذكور مناسبا لحاله وعلى تقدير عدمه لا حاجة
الى السؤال فالوجه ان يقال انه تعبد واستكانة ويجوز ان يكون التقدير منزلا على
رسلك وعلى السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك
لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي فاستجاب لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص
من اجاب ويعدى بنفسه وباللام وفي الاثار من حزبه امر فقرا خمس مرات ربنا
انجاه الله تعالى مما يخاف اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر
على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى
من الذكر او لفرط الاتصال والاتحاد لانهما من اصل واحد وللاجتماع والاتفاق
في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي
ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر
النساء فنزلت فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل
المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الاوطان والعشاير واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله بدا اولا بالخاص وهو الهجرة وهي
اشق شيء على النفس ثم ثنى بما هو اعم منها فان الخروج من الديار لا يستلزم الهجرة الى الله
كخروج من خرج للنجعة والجدل واتى ثالثا بذكر الاذى وهو اعم من ان يكون بالاخراج
من الديار وبغيره وارتقى بعد هذه الاوصاف السنية الى رتبة الجهاد فقال
وقاتلوا الكفار وقتلوا في سبيل الله وقرئ بالعكس ولان الواو لا توجب
الترتيب والثاني افضل لاشعاره بانه قتل بعضهم وقاتل الباقون ولم يضعفوا
وقرئ قتلوا بالتشديد للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم كرامة اي لا محيد من تجاوز

ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي لاثيبنهم بذلك اثابة
من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر
عليه بالغ في جزائهم بالتاكيد القسمي وايراد المصدر الموكد وتقييده بالعندية بعد
الاظهار والالتفات في عند الله واظهار اسمه في الجملة بعده وجعل الجملة الظرفية
خبرا غاية في البلاغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ظاهره النهي للتقلب
وحقيقته للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم تثبيتا له على ما كان عليه
كما في قوله تعالى فلا تطع المكذبين او لكل واحد ليفيد نفي المسبب وهو من باب تنزيل السبب
منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب اي النهي بمستلزم امتناع
المسبب الذي هو الاغترار مبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة
والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف
اي ذلك التقلب متاع قليل وصفه بالقلة بالنسبة الى ما فاتهم من نعيم الآخرة او بالنسبة
الى ثواب المؤمنين او اراد قلته في نفسه وذلك لقصر مدته لسرعة انقضائه وزواله
ثم مأواهم جهنم عطف على محذوف كانه قيل يؤخذون بتبعته يوم القيامة ثم مأواهم
جهنم وثم للتراخي في الرتبة وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم فالمخصوص بالذم محذوف
لكن الذين اتقوا ربهم اي خافوه ولم يخالفوا امره ولا نهيه لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها قابلهم بالجنات وقابل متاعهم بالخلود في النعيم فوقعت
لكن احسن مواقعها لانه الى معنى الجملتين في تعذيب الكفار والى تنعيم المتقين فهي
واقعة بين الضدين نزلا من عند الله النزل بسكون الزاي وضمها ما يقام للنازل
عند نزوله من القرى وفيه تنبيه على ان وراء ذلك ما هو اعظم منه كرامة وانتصابه
على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل الظرف اي حاصلة لهم الجنات نزلا
او على انه في معنى مصدر موكد كقوله ثوابا كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما
عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله
او خبر في بيان حال الذين كفروا بحذف المبتدا او المخصوص بالذم وانتصار الكلام
الغفير والازدراء او عدم الاعتداد بهم وبمتاعهم والطنب في وصف المتقين اظهارا
للعناية بهم وبشانهم وبمالهم او لا بقوله لكن لا يستدرك مالهم المخالف بما لهم

المباين بما لا يوصف بونه ثم بقوله ربهم وتنكير جنات للتعظيم ووصفها للابهام
والتوبيخ وتقوية الاسناد اليهم بتكرير النسبة في لهم والجملة الظرفية والتقييد
بالحال والتاكيد بقوله نزلا من عند الله والجملة اعتراضية اي وما عند الله وان
من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل غير ذلك وانما
دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم وما انزل اليهم
من الكتاب خاشعين خائفين خاضعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه ههنا وفي اليهم
باعتبار المعنى بعد ما افرده باعتبار اللفظ لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا
كما يفعل من يسلم من احبارهم اولئك الموصوفون بما ذكر لهم اجرهم عند ربهم الذي
يختص بهم وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب
لان علمه محيط بكل شيء ولا يشغله شان عن شان والمراد ان الاجر سريع الوصول
فان سرعة الحساب يستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم
في الصبر على شدائد الحرب ولا تكونوا اقل صبرا منهم وتخصيصه بعد الامر بالصبر
مطلقا لشدته وصعوبته ورابطوا اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين
مستعدين للغزو واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه لعلكم تفلحون لكي تفلحوا
والفلاح الامن مما يخاف والوصول الى ما يرام والحمد لله على التمام والصلاة على
نبيه سيد الانام وعلى آله وصحبه الكرام ما تناوب الليالي والايام

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب عام يتناول الموجودين في زمن الخطاب ومن بعده دون
المنقرضين اتقوا ربكم في مخالفة امره ونهيه الذي خلقكم من نفس واحدة
هي آدم عليه السلام ترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة
على قدرته تعالى على اهلاكهم وانشاء خلق آخر على اسهل وجه لما فيها من الدلالة
على القدرة العظيمة والا لكان خلق السموات والارض احق بالذكر وما في ذكر الرب
من الاشارة الى النعمة التربية الموجبة للطاعة لتضمن الترهيب معنى الترغيب
وخلق منها زوجها يعني حواء خلقها من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام بيان
خلقهم من نفس واحدة على وجه الاستيناف كانه قيل انهم خلقوا من ذكر وانثى

لانى ذكر وحوا فاجيب بان تلك الانثى قد خلقت منه فالواو استينافية لا عاطفة
للمعرفة ان مدخولها مقرر وتبين لما تقدم والعاطف لا يتخلل بين الشي ومقرره
وعلى تقدير العطف على محذوف اى خلقها وخلق منها زوجها يندفع المحذور المذكور
الا انه لا دخل للمقدر في تقرير ما ذكر ومن شرايط البلاغة تجريد الكلام عما
لا يقتضيه المقام **وبث منهما** اى نشر من النفسين المذكورين من جهة التناسل
والتوالد اراد بيان كيفية توالدهم ولذلك قال **رجالا كثيرا ونساء** دون
ذكورا كثيرا واناثا ومن لم يتفطن لهذه الدقيقة الانيقة قال في تفسيره بنات وبنين
كثيرة وذكر كثيرا حملا على معنى الجمع وحذف وصف النساء لدلالة وصف قرينها عليه
وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره هو خالق وباث **واتقوا الله الذى**
تساءلون به اى يسال بعضكم بعضا به فيقول اسالك بالله وتسالون غيركم في
تفاعلون موضع يفعلون للكثرة ويعضده قراءة تسالون واصله تتسالون فادغمت
التاء الثانية في السين وقرئ بطرحها **والارحام** بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
وينصره قراءة تسالون به وبالارحام او على الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها
ولا تقطعوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور مما ذهب اليه البصريون من امتناع
العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار والضعف في امثال رده هذه القراءة
الثابتة بالتواتر فانها مما يحتج به لا مما يحتج عليه الا عند من لا اعتقاد له في القرات
الثابتة ولا اعتداد لزعمه الفاسد وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره
والارحام كذلك اى مما يتقى او مما يتسال به وقد نبه تعالى اذ قرن الارحام
باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول
الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا**
حافظا مطلعا **واتوا اليتامى اموالهم** كما بلغوا ان اونس منهم الرشد ولذلك
امر بابتلائهم صغارا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اذا انفردت في صدفها اما على انه لما جرى مجرى الاسما
كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلبت فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى
لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى وحق هذا الاسما
ان يقع على الصغار والكبار لتناسخ الانفراد عن الآبا الا انه قد غلب ان يسموا
به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا بلغوا زال عنهم هذا الاسم وعلى وفق هذا

ورد عرف اسم الشرع قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم اى لا يجرى عليه
احكام اليتيم ولا يحتاج الى الولي والمراد في الاية البلغ على الاتساع لقرب عهدهم
بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم روي
ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه
فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا**
الخبيث بالطيب اى لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح
لكم من المكاسب والتفعل بمعنى الاستفعال كثير قليل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم
وتعطوا الخسيس مكانه ورد بانه تبدل لا تبدل فان في التبدل يكون الى الاستبدال
ما دخلته الباء متروك ومما تعدى اليه الفعل بنفسه ماخوذ وفي التبدل بالعكس
ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى لا تضموها الى اموالكم في الاكل ودل قوله الى
اموالكم على ان الخاطبين اغنياء وذلك لانه اذا كان فقيرا يجوز ان ياكل بالمعروف
وفيه تعريض بانهم كانوا يفعلون كذلك ليكون ازجر لهم ولهذا عدل عن تنفقوا اكالهم
هو نهي الغني عن اكل مال اليتيم مطلقا **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما والحوب
مطلق الاثم قال عليه السلام رب تقبل توبتي واغسل حوبتي اى اثمي ولو اعتبر فيه العظم
لما وصف بالكبر فلا يرد وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وكذا حابا وقد قرئ به ايضا
كقال قولا وقالا **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى** اى وان خفتم ان لا تعدلوا
في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** فتزوجوا ما حل
لكم من غيرهن كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا
بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب
لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ذا وانما عبر عنهن بما ذهابا
الى الصفة وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم اى ان خفتم
ان تجوروا **مثنى وثلاث ورباع** منصوبة على الحال من فاعل طاب معدولة عن
اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة غير منصرفة لوجود العدل
والوصف فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها ومعناها الاذن
في الجمع بان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا
هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افرد كان المعنى تجويز الجمع
بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو عطف باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد

قولا

فان خفتم الا تعدلوا فيما فوقه فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع وقرئ
بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى بين المنكوحة الواحدة وبين الاما مطلقا واحدة كانت
او متعددة بلا حصر ولا تعيين عدد في التسري والترخص لخفة مؤنتهن وعدم شرط
العدل بينهن لا في القسم ولا في العزل ونسبة هذا الملك الى اليمين الفرق والتفاوت
بينه وبين ملك النكاح ذلك اشارة الى اختيار الواحدة او التسري ادنى ان لا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا من قولهم عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وفسر
بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجهه
على تقدير ان تكون الاشارة الى التسري ان العزل يجوز عنهن فيه قلة الولد واتوا
النساء صدقاتهن مهورهن والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور
موالياتهم نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع
عوض ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء وقيل معناه نحلة من الله تعالى اي عطية
من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل ديانة على انه مفعول له او حال من الصدقات
اي دينا من الله شرعه مفروضا فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير في منه
جار مجرى اسم الاشارة في التذكير على ما ذكره رؤبة وقد سبق في تفسير سورة البقرة
كانه قيل عن شيء من ذلك او بما ذكر من الصدقات او يرجع الى ما دل عليه الصدقات من
الصداق ونفسا تمييز لبيان الجنس لذا وحد والمعنى فان اعطين لكم من
الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى
التجافي والتجاوز وفيه دليل على وجوب الاحتياط في ذلك وضيق المسلك في قبول
شيء من الصداق ان مهرهن لا ينبغي الشرط على طيب النفس الذي هو امر خفي يطرق بها
ان تدعي انها ما طابت نفسا ان ندمت ولهذا الدليل فان وهبت او سمحت اشعار بان
الشرط تجافي نفسها عن الموهوب من طيبه لا من ضرورة ثم قال عن شيء منه بعثا لها على
تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا اما صفتان لمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حالان من
ضمير كلوه اي كلوه في حالة كونه هنيئا مريئا والهنيء ما يلذه الاكل والمريء ما تحمد عاقبته وقد
سبق ما في الاكل من الدلالة على نفي الجناح وجوه الانفاق روي كان ناسا يتاثمون ان يقبل احدهم
من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم والخطاب للاوليا

بدلالة السياق والحاق السفهاء هم الذين ينفقون اموالهم فيما لا ينبغي من وجوه
التبذير ولا يمكن اصلاحها بالتمييز والتصرف فيها بالتبذير واضافة الاموال اليهم
لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم او لانه لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل
الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب وهي بهذا المعنى تعم
بالتساوي كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم قصدا الى الجنس النوعي وهو ادخل في قوله
تعالى التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها
التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه
كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم الظرف
متعلق بالمعطوفين كما في قوله تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت وانما قال فيها ولم يقل
منها تنبيها على ما قال عليه السلام ابتغوا في اموال اليتامى التجارة لا تاكلها الزكوة
فعلى هذا يكون الرزق والكسوة من الارباح لا من اصل المال فيا كله الانفاق وقولوا
لهم قولا معروفا كلاما لينا تطيب به نفوسهم ومنه عدة جميلة وكلما سكنت اليه النفس
واحسنته لحسنه عقلا او شرعا او عرفا فهو معروف وكلما انكرت منه وكرهته فهو منكر
وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم بتصرفاتهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح بلوغ
النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان انستم منهم رشدا الايناس الابصار
بالحس فان تبينتم منهم رشدا اي اهتدا الى صالحهم وقرئ احستم بمعنى احسستم
فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن وقت البلوغ وتنكير الرشد معناه نوعا من الرشد
وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد حتى لا ينتظر الى تمامه ونظم الاية
ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء كانه قيل وابتلوا
اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم ويجوز
ان يكون اذا مجرد الظرفية ليست متضمنة لمعنى الشرط اي ابتلوهم الى وقت البلوغ
وفي الاية دلالة على انه لا يدفع اليهم مالهم قبل البلوغ واما عدم دفعها اليهم بعد البلوغ
قبل الايناس فلا دلالة لها عليه اما منطوقا فظاهر واما مفهوما فلان مفهوم قوله
فان انستم منهم رشدا عدم لزوم الدفع على الفور لا عدم الدفع مطلقا ولا تاكلوها اسرافا
اي مجاوزة عن الحد وبدارا اي مبادرة وهي المسارعة ان يكبروا ان يبلغوا اي
لا تاكلوها مسرفين ومبادرين وهو كقولك بادرت مجي زيد اي فعلت قبل مجيئه
والمعنى لا تاكلوها قبل بلوغهم واستردادهم مالهم منكم وليس هذا انقضا التحريم

على الإسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرهما بل هو ذكر غالب الحال كأنه قيل
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا ومن كان غنيا فليستعفف ومن
كان فقيرا فليأكل بالمعروف في تقييد النهي بالإسراف والبدار إيماء إلى أن للأوصياء
حقا فقسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا إذ أمر الغني بالاستعفاف
من الأكل من مال اليتيم أي من ماله وترك الطمع في مال اليتيم والاقتناع بما رزقه الله تعالى
من ماله اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير بالأكل بالمعروف أي بأكله قوتا
مقدرا احتياطا في تقديره على وجه الأجرة لقيامه عليه بحفظه وتثميره وعلى البيع
وبجهد يده وتدبيره وفي الاستعفاف مبالغة كأنه مأمور بطلب زيادة العفة
ولو قال فليعف لم يكن فيه ذلك فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم
تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لئلا تتوجه اليمين عليكم عند التناكر ولتطهر
أمانتكم وتبرء ساحتكم عن التهمة فالأمر بالإشهاد هنا كالأمر به في قوله وأشهدوا
إذا تبايعتم فلا دلالة فيه على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وكفى بالله حسيبا
كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا بالبراءة وعدمها أو بالقبض وعدمه
فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة قيل كان اليونانيون
يعطون جميع المال البنات لأن الرجل لا يعجز عن الكسب والمرأة تعجز وكانت العرب لا تعطي
البنات فرد الله على الفريقين فكان المقام مقام التفصيل والإطناب وفي مبادرة
الرجال الإشارة إلى أن قدرتهم على الكسب غير مانع لاستحقاقهم فإذا كان الرجل
مع قدرته على الكسب مستحقا للنصيب مع عجزه عنه يكون مستحقا له بطريق الأولى
مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بإعادة العامل وتقديم الظرف على المبتدأ في الرجال
والنساء لتخصيص كل واحد من القبيلتين بنصيب مفروض على ما فرض الله ويؤذن
بأن لا بد لكل منهم مما خصه الله به لا يشاركه فيه غيرهم ولا يغلبه عليه ثم أكد بقوله
نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص أي أعني نصيبا مقطوعا واجبا أو على أنه
مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة أو حال إذ المعنى
ثبت لهم مفروضا نصب وإنما ذكر النصيب على الإبهام لأن التبيين خارج عما سيق
له الكلام في هذا المقام وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه وإذا حضر القسمة أي قسمة التركة أولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين

من الحجاب فرقا بين من لا يرث من الأقارب وبين من يرث بقوله فارزقوهم
منه حيث لم يعين لهم نصيبا وندب إلى أن يرضخ لهم بقليل منه إيماء إلى أن لا حق لهم
فيه ألا ترى كيف جعل أموال اليتامى السفهاء مكان رزقهم حيث قال وارزقوهم
فيها لا ابعاضهم وقولوا لهم قولا معروفا وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم
ولا يمنوا عليهم والأمر للندب والمأمور البلغ من الورثة قالوا ولو كان فريضة لضرب له
حد ولو اجبا لا كالمتعة حيث قال ذلك على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم أمر الأوصياء بالخشية متمثلين في اليتيم
مال اليتامى بحال أولادهم على الصفة المذكورة ليخشوا الله في رعايتهم أو أولياءهم
أو متمثلين المتوفى وأبناء حالهم وذرياتهم خلفهم على تلك الصفة فيرقوا لهم
وهذا الوجه هو الأنسب الأليق بنظم الكلام من بين الوجوه المذكورة في التفاسير
ليكون قوله إن الذين يأكلون تتمة له وتصريحا بحال الأوصياء الخائنين المنتفي
الشفقة وأكلوا مال اليتيم وتهديدا لهم على ذلك ولو بما في حيزه صفة الذين أي
وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا خافوا
عليهم الضياع لفقد كافلهم وكاسبهم وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه
والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد الناس ما يحب لأولاده فليتقوا الله
وليقولوا قولا سديدا أي أمرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما أمرهم بها
مراعاة للمبدأ والمنتهى إذ لا ينفع الأول بدون الثاني ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى ما يقولون
لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ظالمين
أو على وجه الظلم إنما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا لما يؤول إليه ومبالغة
في التهديد بجعل بطونهم ظروفا مملوءة نارا ولما أراد تصوير سرعة جرها بأكلون
أنفسهم إلى النار جعلهم يأكلون النار كأنه نار بالحقيقة وتكريرها أي نار تتعاظم عن
الوصف وقرأه بتنكير سعيرا في قوله وسيصلون سعيرا أي سعيرا لا يحتمل سماع
وصفه فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار بمعنى ألهبتها وقرئ سيصلون بضم
الياء وتخفيف اللام وتشديدها يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته
وأصليته وصليته ألقيته فيها يوصيكم الله يأمركم ويعهد إليكم في أولادكم
في شأن ميراثهم وهو إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين التعريف في الحق
للعهد والمعهود الذكر والأنثيين من الأولاد فلا حاجة إلى تقدير منهم وتخصيص

الذكر بالتنصيص على حظه لفضله على الانثى وانما لم يقل مثلي حظ الانثى او مثل حظي
الانثيين لانه لا يدل على عدم نقصان حصة الابن عن تعدد البنت فانها اذا تعددت
ينتقص حصته سائر العصبات فيجوز العقل ان ينتقص حصته ايضا اذا تعددت
واما العكس فغير محتمل فعبارة المنزل علم حد حصة الابن مع البنتين وبدلالته
على حصته مع الواحدة واذا في الاختلاط اذا اجتمع ابن وبنت وللابن الثلثان
فعرف بهذه الاشارة ان للبنتين الثلثين في الجملة وليس ذلك الا حالة انفرادهما
عن الاب ولما كان حكم الاثنتين حالة الانفراد معلوما بهذه الاشارة رتب
عليه بيان حكمها اذا كانت فوق اثنتين **فان كن نساء** كن ضمير الاولاد والنساء خبر
كأنه قوله هذا ربي وعلى تأويل المولودات يعني ان كانت الاولاد نساء خلصا ليس معهن
رجل **فوق اثنتين** خبر ثان لكان او صفة للنساء اي زايدات على اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم يدل عليه المعنى **وان كانت** اي المولودة **واحدة**
فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والنصب اوفق لقوله
فان كن نساء ولا يجوز ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين مفسرين بنساء
وواحدة منصوبين على التفسير على ان كان تامة لان كان ليست من الافعال
التي يكون فاعلها مضمرا يفسره ما بعده بل هذا مختص من الافعال بنعم وبئس
وما حمل عليهما اختلف في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما كما قررناه
فيما سبق وقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين لبيان ان كثرة عددهن
لا تزيد على ما لهن عند التعدد والانفراد عن الذكور فشرط المفهوم منتف
على انه لا يعارض المنطوق والوجه الذي قدمناه من قبيل المنطوق واما ما قيل
ان البنتين امس رحما من الاختين اللتين تحرزان الثلثين فهما اولى بذلك الاحراز
فيرد عليه ان الابن مع كونه امس رحما من ابن الاخ قد لا يحرز ما يحرزه كما اذا كانا
البنت فوق الاربع واذا جاز ذلك في العصبة والمعتبر فيه قوة القرابة فلان
يجوز فيمن لا يعتبر فيه تلك القوة من اصحاب الفرائض بطريق الاولى وكذا ما قيل
ان الاخت اذا كانت مع اخيها وجب لها الثلث فبالاولى ان يجب لها ذلك اذا
كانت مع اخت اخرى مثلها غير تام لان مبناه ايضا على ان من اخذ سهما مع وارث
يأخذ ذلك السهم مع وارث آخر دونه بطريق الاولى وقد عرفت عدم صحة

ذلك المعنى **ولابويه** ولابوي الميت **لكل واحد منهما السدس** بدل منه بتكرير العامل
وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال
تأكيد والسدس مبتدأ ولابويه خبره والبدل متوسط بينهما للبيان **مما ترك** اي
من جملته **ان كان له** اي للميت **ولد** ذكرا او انثى او ولد الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي
عند عدمه بالاجماع غير ان الاب يأخذ مع الانثى ما بقي من الفروض بالعصوبة
بعد اخذه فرضه **فان لم يكن له ولد وورثه ابواه** فحسب **فلامه الثلث** مما
ترك لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيبه اصالة
لفضله لانه يلزم ان يكون هو نصيب صاحب فرض وصاحبته عصبة وهو خلاف
وضع الشرع ومعنى ان تبدأ انه اذا ورث مع ابويه احد الزوجين لم يكن لها الثلث
مما ترك بل ثلث ما بقي بعد فرضه كما هو مذهب الجمهور خلافا لابن عباس رضي الله عنهما
والمعنى ان الابوين اذا انفردا بالارث تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين
ولذلك لزم انهما اذا كانا مع احد الزوجين كان لها ثلث ما بقي والا انقلب
المثل منقوضا لانهما اذا كانا مع الزوج لان فرضه النصف فلو فرض لها الثلث بقي
للاب السدس مع كونه اقوى وكونه ذا فرض وتعصيب **فان كان له** اي للميت والفاء هنا
ايضا لترتيب احد القسمين على الاخر **اخوة فلامه السدس** المراد منها ما يعم الاخوات
على طريقة عموم المجاز لا على طريقة التغليب اذ لا يتناول الاخوات المنفردة وهذا
الجمع لا بد منه عند الجمهور خلافا لابن عباس رضي الله عنهما فاطلاق الاخوة يدل على الجمع
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون كما اذا كانوا مع الاب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فالجمهور على ان الاخوة من
الاخ او من الاخوات او منهما سواء كانوا من الاعيان او من العلات او من الاخياف ستعتبر
او مختلفين محجوبين كانوا او غير محجوبين يردونها من الثلث الى السدس **من بعد وصية**
يوصي بها او دين متعلق بجميع ما تقدم من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء
للورثة من بعد ما كان من وصية يوصي بها او دين وانما قال باو التي للاباحة دون
الواو للدلالة على انهما متساويان في التقدم على القسمة مجموعين ومنفردين وان
يكونا متساويين في التعلق بالتركة فان الدين لا يسقط منه بذهاب بعض المال
بخلاف الوصية وانما قدمت على الدين وهو متأخر عنه في الحكم لانه فيها مظنة التفريط
تقديمها فكان هو احوج الى البيان واما كونها مشبهة بالميراث فيشق اخراجها

على الورثة فلا ينتظم بعض الوصايا كالوصية بالحج ثم اكد امر الوصية ورغب فيها بقوله
آباؤكم وأبناؤكم معترضا اي هم نصحاؤكم واهل شفقتكم ومحبتكم لا يريدون بكم
الاخير باعتنائهم على امضائها ثم بين ذلك المعنى بقوله **لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**
اي الفريقين منهم انفع لكم أهي من اوصى منهم او من لم يوص لان من اوصى عرضكم لثواب
الآخرة بامضاء وصيته وهو وان كان آجلا فهو بالحقيقة اقرب لكم نفعا واوفر جدوى لانه
خير وابقى ومن لم يوص ابقاكم على خير الدنيا وهو وان كان عاجلا لكنه في الحقيقة ابعد
نفعا واقرب ضرا واقل جدوى لانه يسير زائل ويعني آباؤكم وأبناؤكم خبر مبتدا محذوف
اي هم آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون بيان لحالهم او مبتدا خبره لا تدرون ايهم **فريضة**
من الله في موضع المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا او حال مؤكدة بمعنى مفروضة اي لكم
الانصباء المذكورة بيانا ما مفروضة ولما فرض انصباءهم وامر بالوصية وسلب علمهم به
قال **ان الله كان عليما** اي بمصالح دنياكم واخراكم **حكيما** في كل ما فرض وقسم من المواريث
وحكم به من الوصية وغيرها **ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن**
كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي فلد وارث ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم وولد
الابن وان سفل يقوم مقام الصلبي في الحجب المذكور عند عدمه بالاجماع **من بعد وصية**
يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن
مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين تستوي الواحدة والعدد منهن في الربع
والثمن فرض الرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب قيل وهكذا القياس كل
رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
وفي الحصر نظر فان الابوين ايضا من هذه الجملة **وإن كان رجل** اي الميت **يورث** اي
يورث منه من ورث صفة لرجل **كلالة** خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير
فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة
الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من ورث وكلالة من ليس بوالد
ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة
وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني المفعول له وفي الثالث مفعول به وهو في الاصل
مصدر بمعنى الكلال فاستعيرت للقرابة التي لا تقارنها النسبة لانها كلالة ضعيفة
بالنسبة الى التي يقارنها النسبة ثم وصف بها الموروث والوارث بمعنى ذي كلالة كقوله
فلان من قرابتي اي من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كانه من غاية الضعف نفس

الكلال **أو امرأة** عطف على رجل **وله** اي وللواحد منهما فالضمير للرجل على الاختصار كما ذهب
اليه من قال الباي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه **أخ**
أو أخت اي من الام على ما اتفق عليه في قراءة وله اخ او اخت من الام وقد ذكر في اخر السورة
ان للاخت الواحدة النصف اي ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام
وما قدر هاهنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها **فلكل واحد منهما السدس**
فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى لان الادلاء
بمحض الانوثة وقد عرفت ان الكلالة استعيرت لقرابة لا تقارنها النسبة فيشمل
قرابة الام والجدة دون البنت وبنت الابن لان النسب الى الاباء دون الامهات فلا
تخصيص في مفهوم الاية **من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار** اي لورثته وذلك
ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي الثلث فما دونه وصية مضارة ورثته لا لوجه
الله تعالى وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار
واعتبر المضارة في الدين ايضا بناء على ان تاخر الحال عنهما واعتبر الايصاء فيه ايضا بناء
على عطفه على وصية كانه قيل او دين يوصي بها على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به
المعطوف عليه **وصية من الله** مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به
ويؤيده القراءة باضافة مضار الى وصية اي غير مضار وصية من الله وهو الثلث فما
دونه بالزيادة او بوصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب **والله**
عليم بمن جار او من عدل في وصيته **حليم** عن الجائر اذ لا يعاجله بعقوبة وهذا وعيد
بليغ **تلك** اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث **حدود**
الله شرائعه التي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله**
يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حملا على لفظ من في قوله يطع
ويدخله فافرد ثم حمل على المعنى في قوله خالدين فيها فجمع وانتصابه على الحال المقدرة
ويجوز ان يكون صفة لجنات في مذهب الكوفيين وبه اخذ الزجاج هنا ولا احتاج الى
ابراز الضمير عندهم اذ لم يلتبس **وذلك الفوز العظيم** الذي يستحقر دونه الدنيا وما
فيها **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب**
مهين زاد هنا على العصيان تعدي الحدود وهو في الاعمال صرفا للعصيان الى
ما يكون في العقائد وفائدته التنبيه على ان المراد من الاطاعة في قسمته ما يكون
في العقائد وان الموعود من دخول الجنة ليس مشروطا بالعمل الصالح وذلك في شأنه

الاهانة لانه لا يتعداها الا من اغتر فناسبه الاهانة والمراد عاليها وقد استفاد
من توصيف العذاب به فانه ظاهر بحيث لا فائدة في ذكره مادام محمولا على اطلاقه
فيحمل على الكمال ليفيد وافرد هنا خالدا وجمع فيما قبله اشارة الى ان في المطيعين
من لذة روحانية ومن حظ الاستيناس وما في حق العاصين من الم روحاني وهو
عذاب الوحشة واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم يفعلن الفعلة القبيحة
والمراد الزنا لزيادة قبحها في القبح على كثير من القبائح فاستشهدوا عليهن اي فاطلبوا
ايها الائمة الذين اليكم اقامة الحدود اربعة منكم من الرجال المؤمنين ليشهدوا
عليهن بالزنا فان شهدوا عليهن به فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات
في البيوت حتى يتوفاهن يستوفي ارواحهن الموت اي يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان
ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد
المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان ياتيانها يعني الزاني والزانية
وصفا بما يوصف به الذكران تغليبا للذكر على الانثى والظاهر من زيادة منكم
هنا ومن زيادة من نسائكم فيما سبق تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات فآذوهما
بالتوبيخ والتقريع قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب
النزول على خلاف ترتيب التلاوة وقال الضحاك كان الرجل اذا زنى بامراة وكانا بكرين
حبس كل واحد منهما في بيت ثم لا يمرهما ما زال الا اذاهما بالتعيير وعلى هذا يكون الاذى
مع الحبس مشروعين في وقت واحد في حق الرجل والمراة جميعا وقال مجاهد اية الاذى
في الرجلين اي الذكرين ينالان بالذكر وهو اللواطة قال ابو منصور اية الاذى هذا
يكون حجة لابي حنيفة في انه يعزر ولا يحد بالجلد والرجم فان تابا عن المعصية
واصلحا وغيرا الحال الى العفاف فاعرضوا عنهما بالاغماض والستر واقطعوا عنهما
الاذى ان الله كان توابا يقبل توبة التائب رحيما فلا يعذبه وهو علة الامر
بالاعراض وترك المذمة انما التوبة على الله من تاب الله عليه اذا قبل توبته لا من
تاب العبد اذا رجع الى الله للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها وليست هي عدم العلم
بانه ذنب لانه عذر بل هي ترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله ثم يتوبون من قريب
من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده
ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب وفي عبارة ثم اشارة الى انه لم يخرج
من القرب القريب من عمل السوء حقيقة فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد

وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وفائدة اولئك والغاء انهم اذا تابوا
في هذا الزمان نسبت توبتهم للقبول وصيغة الحصر في انما التوبة التي كتب الله على
نفسه توبتها ليست الا هذه فيلزم ان لا يقبل غيرها وهذا افضل الاية بقوله
وكان الله عليما اي بالتوبة الموصوفة بما يقتضي القبول والتي لم تتصف به حكيما
لا يقبل الا الاولى فانه تهديد ووعيد وما يناسب القبول ترغيب ووعد فلو لم
يكن الحصر والنسبة لكان ينبغي ان يقول وكان الله غفورا رحيما ولذلك اي ولفرق
بين التوبتين ضعف المعصية هنا توحيد السوء والتقييد بالجهالة اي الفعلة
وقيد مجال التوبة بالقريب وعظمها في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار
حيث جمع السيات وبعد مجال التوبة بحرف الغاية واضاف الى المحتضر قول التوبة
لا نفسها وزاد قوله الان وسوى بين الذين سوفوا توبتهم الى تلك الامد البعيد الذي هو
حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر مبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة
واكد الوعيد بقوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي الموصوفون باحد الوصفين
التوبة وقت الاحتضار والموت على الكفر استحقوا عذابا اليما بسبب اتصافهم بما ذكر
وفخم وعيدهم بتقديم الظرف وتنكير العذاب ووصفه بالاليم فانهم والاعتاد التهيئة
من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء وانما لم يقل اذا حضروا
وقال اذا حضر احدهم الموت لان المتبادر منه الموت النادر وهو ان يموت جماعة معا
وذلك لا يناسب مقام التغليظ للتقصير يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق
بها فان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء
عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تاخذوها
على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وتقييد
بالكره لتقرير معنى الاخذ على سبيل الارث واظهار ما فيه من القبح فلا دلالة فيه على
جوازه اذا كان طوعا وقرئ كرها وهما لغتان فيه وقيل بالضم المشقة وبالفتح
ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل وهو الحبس والتضييق ومنه عضلت
المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه كان احدهم اذا

تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة معها وشكاسة الخلق حتى تفتدي
منه بمالها وتختلع تمنعوا عنه وقيل لهم ولا تعضلوهن لتأخذوا منها بعض ما آتيتموهن
من الصداق والواو لعطف الجملة على الجملة واما عطفه على ان ترثوا فلان يكون الخطاب
لمن خوطب فيما سبق خيانا باه قوله ببعض ما آتيتموهن فلا ينتظم مع قوله الا ان يأتين
بفاحشة مبينة الاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن
للافتداء الا وقت ان يأتين الفاحشة والمراد بها شكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله
بالبذاء والسلاطة ويدل عليه قراءة الا ان يفحشن عليكم وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قوله فعسى الخ علة الجزاء اقيم مقامه لاستلزامه اياه
اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس وحدها واصبروا عليهن مع الكراهة فعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ونوّن خيرا تعظيما ووصفه بالكثير مبالغة وان
اردتم استبدال زوج مكان زوج اي ان عزمتم على ان تأتوا بزوج مكان زوج
تستبدلون بها اياها وتصوير الكلام في هذه الصورة لتعيين ان يكون التطليق
لرغبة في تجديد الفراش لا لسبب من جهتها فانه حينئذ يجوز اخذ المال في مقابلة الطلاق
وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا
مالا كثيرا من الكلام الاشارة الى المغالات في الصدقات ولهذا تعرض الكثرة
ما المعطى والاشارة الى جواز الاستبدال مع تعددها وهذه التي بينا تنفع
عنه ذكان ينبغي ان تقول وآتيتم اياها فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه
بهتانا واثما مبينا باهتين وآثمين والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتفعلون هذا
مع ظهور قبحه قيل يحتمل انتصابهما على العلة وان لم يكن غرضا لكنهم تعدت عن الحرج جنا
وفيه ان الاثم ليس بعلة الاخذ بل الامر بالعكس وتخصيص البهتان بالذكر لانهم كانوا
اذا ارادوا جديدة بهتوا التي تحتهم بفاحشة حتى يلجئوها الى الافتداء منهم بما اعطوها
ليصرفوه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الفحش الكذب لانه اذا كان عن قصد
يكون افكا والاثم اذا كان على الغير يكون افتراء والافتراء اذا كان بحضرة المقول فيه
يكون بهتانا لانه يدهشه ويتركه متحيرا من بهت اذا دهش وتحير وكيف تأخذونه
انكار لاسترداد المهر وقد افضى بعضكم الى بعض والحال انه وصل كل منكم ما يصرف عنه
والافضاء هو الخلوة من الفضاء وهو المكان الخالي كذا فسره الكلبي وهو حجة اصحابنا

من النظار

في ان المهر يتأكد بالخلوة الصحيحة من غير وطي واخذن منكم ميثاقا غليظا الميثاق العهد
الوثيق والغليظ للمبالغة فيه وهو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان فانه
تعالى اخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن وقيل هو قول الولي عند العقد
انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وكان ذلك معتادا
في السلف ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة
وقيل مصدرية على ارادة المفعول من المصدر فلا يابناء البنات من النساء وزانه
وزان في الارض في قوله وما من دابة في الارض ففائدة تأكيد ما في نكح من العموم الا ما قد
سلف قيل استثناء من المعنى اللازم للنهي كانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم
الا ما قد مضى قبل التحريم او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف
لا مؤاخذة عليه لانه مغفور وتقف على انه هذا الوجه انه كان فاحشة علة للنهي وزيادة
كان للدلالة على انه لم يرخص فيه في شريعة من الشرائع ومقتا ممقوتا والمقت البغض
باستحقار وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله وكانوا ينكحون روابهم وناس من ذوي
مروآتهم يمقتونه وسمي نكاح المقت وكان المولود عليه يسمى المقتي لذلك قيل فاحشة
ومقتا اي في دين الله تعالى بمنزلة القبح منافي المروءة والعرف ولا مزيد على ما يجمع القبيحين
شرعا وعرفا وبه زاد على الزنا فانه تعالى قال فيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت اراد تحريم التمتع بهن لان المفهوم في العرف من حرمت عين حرمة ما هو المقصود
منه ويلزمه حرمة النكاح لانه موضوع لملك المتعة فلا يصح بدونه والام حقيقة هي
الوالدة وفي معناها كل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك
والبنت هي كل انثى ولدتها وفي معناها كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او
درجات باناث او ذكور والاخت كل من جمعك واياها صلب او بطن والعمة كل من يجمع
اباك واياها صلب او بطن وفي معناها من جمع جدك قريبا كان او بعيدا واياها صلب
او بطن والخالة من جمع امك واياها صلب او بطن وفي معناها من جمع جدتك قريبة
كانت او بعيدة واياها صلب او بطن وبنو الاخ والاخت وان بعدت داخلات
في الحكم بالذكور بدليل او بالاناث والاخ من اي جهة كانت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم

وأخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة
اختا فلزم منه ان زوج المرضعة ابوه وابويه جداه واخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة
قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من
ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته
واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم
الرضاع كتحريم النسب الا في مسالتين احدهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب
ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير
موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع
لان المانع في النسب وطي الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع وفي المحصر هو
لا ام النافلة زوجة الابن وجدة الولد ام الزوج ولا يحرمان من الرضاع كمن ارضعت
ولد ولدك وكانت اجنبية او ارضعت ولدك هذا اعجب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه
ان الحرمة في الصور المذكورة بالمصاهرة دون النسب فلا حاجة الى الاستثناء اصلا **وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** ذكر اولا محرمات النسب
ثم الرضاعة لانها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج
والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه كما يربي ولده في غالب الامر
فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما لولد المراة وان لم يربه وقوله في حجوركم
كناية عن كونهن في ولايتهم وحمايتهم وقالوا ان ذكره خرج مخرج العادة لا مخرج الشرط ولهذا
اكتفى في موضع الاحلال بنفي الدخول وهذا ما اعجب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه
هو انه تقوية العلة وتكميلها والمعنى اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او من شانهن
وبصددهن الكون فيه قوي الشبهة بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم
وعلى هذا اي على تقدير ان يكون المعنى على ما قررناه من تعميم المراة التي من شانها ان تكون
في احتضانها كما هو مقتضى كون الوصف المذكور لتقوية العلة يكون ذلك الوصف تقييدا
للحرمة والاكتفاء في موضع الاحلال بنفي الدخول لا يستلزم انتفاءه ومن نسائكم حال من
ربائبكم او صفة او من جملة الصلة اي اللاتي من نسائكم وهو اولى بنظم الكلام والباء في بهن
للتعدية والمعنى ادخلتموهن الستر وهي كناية عن الجماع وعندنا يقوم اللمس مقامه ولا يجوز
ان يكون اللاتي وصفا للنسائكم من قوله وامهات نسائكم لعدم الحاجة في افادة المعنى
المعنى المراد الى قوله من نسائكم والكلام البليغ يجب صونه عن الحشو والوسول فرق بين

ام المراة وبنتها فقال تحل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل
له ان يتزوج امها وهذا الدخول مشروط بالاجماع بخلاف كون الربائب في حجورهم فانه خرج على
الاغلب وليس بشرط عند عامة العلماء **فان لم تكونوا دخلتم بهن** اريد استمرار النفي
لا نفي الاستمرار فمعنى الكون متقدم في الاعتبار **فلا جناح عليكم** اي في نكاح الربائب
وهذا البيان مهم عند من لا يقول بحجية المفهوم وعند من قال بها فائدته دفع القياس
وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت حليلة لحلها للزوج او لحلولها معه في محل **الذين من اصلابكم**
بالذات او بالواسطة احترز به عن المتبنى لانهم كانوا يجعلونه كولد النسب لا عن الابن من
الرضاع **وان تجمعوا بين الاختين** في محل الرفع عطف على ما قبله من المحرمات اي وحرم
عليكم الجمع بين الاختين في التمتع ويلزمه حرمة الجمع بينهما بالنكاح لما قدمناه دون ملك
اليمين فانه يجامع حرمة التمتع كما في الامة المجوسية والاخت رضاعا ولا دلالة في قوله
تعالى او ما ملكت ايمانكم على حل المملوكة على كل حال فلا يعارض هذا القول الدال على
حرمتها في بعض الاحوال حتى يحتاج الى الترجيح **الا ما قد سلف** استثناء منقطع معناه لكن
ما قد سلف منكم مغفور لكم لقوله **ان الله كان غفورا رحيما** وروى هشام عن محمد بن الحسن
انه قال كان اهل الجاهلية لا يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة الاب ونكاح
الاختين معا فلذلك قال هنالك ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقال
هنا وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف **والمحصنات من النساء** بفتح الصاد اي احصنهن
التزوج وبكسرها اي اللاتي احصن فروجهن بالتزوج والاحصان العفة وتحصين
النفس من الوقوع في الحرام **الا ما ملكت ايمانكم** يعني من اللاتي سبين واخرجن بدون
ازواجهن فان الفرقة انما تقع بتباين الدارين لا بالسبي فلا تجب العدة وعلى الائمة نعم
ملك اليمين بعد الاستبراء ولا استيلاء لاحد على حرمته فانها اذا كانت مجوسية او محرمة بسبب
الرضاع او المصاهرة او بسبب اخر او مشتراة وهي ذات زوج لا تحل له كما قال فلا يكون حجة
على ابي حنيفة في قوله لو سبي الزوجان معا لم يرتفع النكاح ولا تحل للسابي **كتاب الله
عليكم** مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وهو تحريم ما حرم واحل لكم عطف
على كتب المقدر والناصب يدل عليه قراءة كتب الله عليكم واحل لكم وقرئ كتب الله بالجمع والرفع
اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء للمفعول عطفه على حرمت **ما وراء
ذلكم** ما سوى المذكور من الاصناف المحرمة بالنسب او الرضاع او المصاهرة او الجمع وما ثبت
حرمتها بالسنة ليست بخارجة عنها لانها الحق والميم في ذلكم خطاب للرجال والذال اشارة

لزوجها

الى المذكور قبله من المحرمات ولو اشار اليها لقال وراء تلكم ان تبتغوا باموالكم مفعول له
اي لان تبتغوا باموالكم ما احل لكم من النسا ويجوز ان يكون بدلا من وراء ذلكم على الاشتمال
والافصح ان لا يتقدر المفعول اي ليقصد منكم الابتغا باموالكم وهو اخراجها في مهور النسا
واشترا الاما محصنين حال غير مسافحين صفة او حال اخرى والمعنى بين لكم ما احل وما
يحرم لكيلا تضيعوا اموالكم فيما لا يحل لكم فتخسروا في دنياكم ودينكم وتجمعوا بين الخسرانين
والسفاح الزنا من السفح وهو صب الماء باطلاق ومنه السفاح وهو المسرف في البذل
وفي الزنا تضييع الماء لعدم ثبوت النسب به وفي الاية دلالة على انه لا نكاح الا بمهر
من جنس المال فما استمتعتم به منهن من جماع ودواعيه والخلوة الصحيحة اقيمت مقامه
والنظر ما تدل على انه سمي التمتع يوجب ايتا الاجر فاتوهن اجورهن مهورهن والاجر
بدل لمنافع العين في الاجارة وبدل منافع البضع في النكاح فريضة حال من الاجور
بمعنى مفروضة او مصدر وضع موضع ايتا لان الايتا مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك
فريضة مفروضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من حط شي منها
او جميعها كالهبة او من زيادة عليها او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل
نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت وهي غير النكاح المؤقت على
ما بين في محله ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم
طولا غنا واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات لان ينكح الحراير المؤمنات
فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم يعني الاما المؤمنات قال الشافعي لا يجوز نكاح الامة
الكتابية بنا على مفهوم الوصف ولا نكاح الامة المسلمة عند القدرة على مهر الحرة ونفقتها
بنا على مفهوم الشرط وكلا المفهومين ليس بحجة عندنا على ان اللازم على تقدير حجية
المفهوم عدم اباحة نكاحهما ويجوز ان يكون ذلك لكراهيته لا لعدم صحته وهي
لا نزاع فيها والله اعلم بايمانكم تانيس بنكاح الاما وازالة للاستنكاف منه اي
اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان فربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة
وايمان المراة ارجح من ايمان الرجل ولا ينبغي للمؤمن ان يطلب الفضل والرجحان الا باعتبار
الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب وقوله بعضكم من بعض تاكيد لذلك المعنى
اي انتم وارقائكم متواصلون ومتناسبون نسبكم من ادم عليه السلام ودينكم الاسلام
فانكحوهن باذن اهلهن اي مواليهن اعتبارا لاذنهم دون مباشرتهم ظاهر في انعقاد النكاح
بعبارتهن اذ لو كانت مباشرتهم او مباشرة وكيلهم شرطا لكان المهم ذكرها لا ذكر الاذن

لان ذكره لا يغني عن ذكرها وهذا ظاهر في الحكم كما ان ذكرها لا يغني عن ذكره وآتوهن اجورهن
اي وادوا اليهن مهورهن وحذف لانهن وما في ايديهن ملك الموالي فكان الادا اليهن ادا الى
الموالي وقال مالك ليس للسيد ان ياخذ مهر امته ويدعها بلا جهاز بالمعروف بغير مطل
وضرر ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات
اخدان اخلا في السر فاذا احصن بالتزوج فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على
المحصنات يعني الحراير من العذاب اي ما على الحراير من الحد وهو الجلد لان الرجم لا يتنصف
والعذاب المعهود ههنا هو الحد قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين كان زناهن
في الجاهلية من وجهين بالسفاح وهو بالاجر بكل من رغب فيه والمخادنة وهي صديق لها
على الخصوص وكان الاول يقع اعلانا والثاني سرا وقوله فاذا احصن ليس لنفي الحد عنهن
اذا لم يتزوجن بل لبيان انهن بالنكاح لا يزداد حدهن ذلك اشارة الى نكاح الاما لمن خشي العنت
منكم خاف الاثم الذي قد يقع فيه من غلبة الشهوة والعنت في الاصل انكسار العظم بعد الجبر
مستعار لكل مشقة فادحة لا تشتد كما في الضرر والالم ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم
بافحش القبايح وقيل المراد الحد اخذ الشافعي بظاهر الاية وقال لا يجوز نكاح الامة الا بثلاث
شرايط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث في المنكوحة وهي ان تكون
مؤمنة وهذه الاشيا عندنا للاحتياط لا للاشتراط وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الامة
خير لكم لان فيه ارقاق الولد وقال عليه السلام الحراير صلاح البيوت والاما هلاك البيوت والله
غفور يغفر ذنبها باقامة الحد اذا احتشمه ذلك رحيم اذ جعل العذاب عليه الحد في الدنيا لا العقوبة
في الاخرة يريد الله ليبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالح دينكم اصله يريد الله ان يبين لكم
فزيدت اللام لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب لا لتاكيد
معنى الاستقبال اللازم للارادة فانه لا ينبغي ان يغلو بالبال في مثل هذا المقام ويهديكم
سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم
ويقبل توبتكم اذا رجعتم اليه بسلوك مناهجهم والله عليم بمصالح عباده حكيم فيما شرع لهم
والله يريد تقديم اسم الله على الفعل للاختصاص مع تقوية الاسناد اي والله خاصة يريد
ارادة تامة ان يتوب عليكم بسلوك طريق الحق الى ما هداكم اليها ويريد الذين
يتبعون الشهوات يعني الفجرة اتباع الشهوة في كل حال مذموم لان ذلك ايثار لها
من حيث ما دعت الشهوة اليه اما اذا كان الاتباع من حيث العقل او الشرع فذلك
هو اتباع لهما لا للشهوة وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب

وبنات الاخ والاخت ان تميلوا الى الباطل عن القصد والحق بموافقتهم على اتباع الشهوات
ميلا التنكير للتكثير عظيما توصيفه بالعظم للمبالغة فانه فوق الكبير وهو المناسب بمقام
التنفير والتحذير ولقوة ارادته تعالى وضعف ارادتهم واستلزامها المراد وتخلف مرادهم
عن ارادتهم قدمه على الفعل واخرهم عنه يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح
الاماء وسائر الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
التكاليف يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الغير المشروع
كالشركة والمضاربة الفاسدتين والربوا والقمار واما السرقة والغصب ونحوهما
فلا يناسبهما قوله بينكم الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن
كون تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه اذا انعقد والكون تجارة وعن تراض صفة تجارة
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وخص التجارة بالذكر لان اكثر اسباب الرزق تتعلق
بها وقرئ تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة
تجارة ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين فانهم كنفس واحدة او
ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده
ما روي ان عمرو بن العاص رضي الله عنه تاوله في التيمم لخوف البرد ولم ينكر عليه النبي
صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال
الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم
الا لرحمته عليكم وقيل معناه ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل
الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى قتل النفس اي من يقدم على قتل النفس
عدوانا وظلما لا اقتصاصا وعدلا والمراد من العدوان التعدي على الغير ومن الظلم
الاتيان بما لا يستحق فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى
وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء على ان الضمير لله تعالى
او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف
عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاجتناب التباعد والكبائر جمع كبيرة وهي
الفعلة العظيمة الاثم وقد اضافها الى جميع المنهيات وقرئ كبير على ارادة الجنس
نكفر عنكم سيئاتكم من الصغائر والكبيرة والصغيرة وضعت كل واحدة منهما بالقياس
الى صاحبتها فانها كانت المخالفة فيها اكثر والنهي عنها اغلظ كان اكبر وبالعكس

نستوجم

والتكفير مبالغة في ستر ما يحملها كان لم تكن حيث لا عقاب عليها وعن امير المؤمنين علي
رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك بالله والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار
من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رضي الله عنهما السحر واستحلال البيت الحرام
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه
لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وفيه ما فيه وقيل اراد بها هاهنا انواع
الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفيه تطويل كان
هذا القائل غافلا عن الفرق بين ذلك وبين نحو ذلك ولم يتنبه لوجه العدول لغة انما
مع كونه اخصر واظهر الى المترتب فانما اضاف السيئات الى المخاطبين لان المراد الذنوب التي
فعلوها ولم يضف الكبائر اليهم لان المراد منها ما اجتنبوا عنها وفي عبارة الاجتناب اشارة
الى ان تلك الكبائر مما يتعرض الانسان في طرق معاشه ومكاسبه ومعاملته فالاحتراز عنها
لا يخلو عن مشقة وكلفة تستحق الكفارة جزاء ولو قيل ان لم تفعلوا الفاحشة لما ينبئ ذلك
وندخلكم مدخلا كريما بضم الميم وهو مصدر او مكان الادخال وهو الجنة وبفتحها وهو مكان
الدخول او مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره فيدخلوا مدخلا حذف لدلالة الفعل
المطاوع عليه ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض نهوا عن تمني ما فضل الله به بعض
الناس على بعض من الجاه والمال والعلم مع قطع النظر عن كونه ذريعة الى التحاسد والتباعد
لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى على ما اقتضته حكمته فليرض كل واحد بما قسم له علما
بانه هو الذي فيه صلاحه ولا يذهب عليك ان موجب هذا ان يكون التمني المذكور منهيا سواء
كان مقارنا للطلب او لم يكن فمن وقف بالتعليل المذكور ثم قال وانه تشهي لحصول الشيء له من غير
طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة
وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع وباطل لم يكن على بصيرة ثم ان قوله معارضة
لحكم القدر ومنشاه الغفول عما بين في موضعه من انه لا حكم للقدر والا يلزم الجبر وسقوط
التكليف للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال
والنساء نصيب مقدر رعي فيه التفضيل الحكمة فلا ينبغي للمفضول ان يتمنى نصيب الفاضل ونسبة
الكسب اليهم وجعل النصيب منه لان جعله سببا للوصول لما قدر اليهم ثم ان الشق
الاخير في معرض المنع اذ يحتمل ان يكون ما قدر له بغير كسبه مشروطا بالتمني فلا يلزم المحذور
المذكور واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا انصبة غيركم من الفضل فانه طلب المحال
ولكن اسألوا الله من خزائن جوده التي لا تنفد ان الله كان بكل شيء عليما وهو يعلم ما يستحقه

كل انسان فيتفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت ونسوة معها ليت الله كتب علينا
الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت **ولكل جعلنا موالي مما**
ترك الوالدان والاقربون مما ترك صفة لكل حذف موصوفه اي ولكل شيء مما ترك الوالدان جعلنا
وراثا يلونه ويحوزونه ولكل احد مفعول اول لجعل او صفة لمحذوف على ان جعلنا موالي صفة
لكل اي ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والراجع محذوف وهو لكل مفعول
جعل والكل خبر مبتدا محذوف وهو نصيب ولا يجوز ان يكون لكل لميت ولكل ميت جعلنا وراثا
مما تركه اذ لا يلزم ان يكون للميت وارث فضلا ان يكون وراثا من الوالدين والاقربين
والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة اذا تعاقدوا على ان يتعاقلا
ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وحمله على الازواج على ان العقد
عقد نكاح يأباه قوله ايمانكم وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره **فآتوهم نصيبهم**
او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله
فآتوهم جملة مسببة عما تقدم والضمير للموالي وقرئ عقدت بمعنى عاقدت عهودهم
ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاولى
ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد لمن خالف الامر **الرجال قوامون على النساء** يقومون
عليهن آمرين ناهين كالولاة وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال **بما فضل الله بعضهم على بعض**
بسبب تفضيل الرجال على النساء والتعبير عنه على وجه الابهام للايهام بان هذا التفضيل
من جملة التفضيلات الواقعة في القسمة الازلية على مقتضى الحكمة المذكور فيما تقدم بقوله
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وفيه دليل على ان الرجال انما يستحقون الولاية
عليهن بالفضل لا بالتغلب والقهر هو كمال العقل وحسن التدبير وقوة العزم والحزم
ومزيد القدرة على الطاعات وسائر الاعمال ولذلك اختصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها **وبما انفقوا** او بسبب ما اخرجوا
في نكاحهن **من اموالهم** في مهورهن ونفقاتهن روي ان سعد بن ربيع نشزت عليه امرأته
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ثم بين ان النساء
نوعان فالثاني قوله **فالصالحات** لتفصيل المجمل المفهوم مما تقدم **قانتات** اي النساء الموصوفات
بالصلاح منهن مطيعات لله تعالى القائمات بحقوق الازواج **حافظات للغيب** اي لغيبة الازواج

او لمواجب الغيبة اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب عليهن حفظه من الفروج والاولاد
والبيوت والاموال وقيل لما غاب عن الحس من اسرارهم والوجه هو الاول لما روي عنه عليه
السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الآية **بما حفظ الله** بحفظ الله اياهن يعني ان حفظهن للغيب ليس من قبل
انفسهن بل ذلك بحفظ الله اياهن لذلك وقيل بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد
والوعيد ويرد عليه انه لا اختصاص بحفظ الله تعالى بهذا المعنى بالنوع الاول منهن ومن رام
الاصلاح بزيادة قوله والتوفيق له لم يرد ان الذي زاده وجه مستقل ومعنى تام وقرئ
بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو
التعفف والتحصن والشفقة على الرجال **واللاتي تخافون نشوزهن** عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعة الازواج من النشز **فعظوهن** قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب
القاسية ويرغب الطبائع النافرة وهو بتذكير العواقب **واهجروهن في المضاجع** اي اذا
لم ينجع الوعظ وظهر النشوز فادبوهن بالهجر وهو القطع والمضاجع جمع مضجع وهو موضع
وضع الجنب للنوم ولم يرد تبعيدها عن مضجعه ولذلك لم يقل عن المضاجع بل اراد ان
يوليها ظهره وهما في مضجع واحد اعلاما بالعتب والمؤاخذة **واضربوهن** يعني اذا لم تنفع
الكفاية بالهجران فادبوهن بالضرب لاصرارهن على النشوز وهو ضرب غير جارح ولا خادش
ولا شاين وما ذكر من الترتيب مع النظم بالواو مستفاد من قرينة المقام وسوق الكلام
الرفق في اصلاحهن وادخالهن تحت الطاعة **فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**
فلا تتعرضوا لهن بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد الرجوع الى الطاعة
وترك النشوز **ان الله كان عليا كبيرا** يعني انكم تعصونه تعالى مع علو شانه وكبرياء
سلطانه ولا يؤاخذكم بالحال ويدعو الى التوبة ويقبل اذا تاب ولا يؤاخذ بما قد كان والعبد
احق بذلك وفي ذكر علوه تعالى وكبريائه تحذير للعبد ومنع عن مجاوزة الحد فيما يفيه عليها
من وجه التأديب **وان خفتم** الخطاب لولاة الامر **شقاق بينهما** خلاف بين المرأة وزوجها
اضمرهما قبل الذكر لذكر ما يدل عليهما واصل الشقاق ان يصير احدهما في شق والآخر في شق
بالمخالفة والمباعدة واضافته الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول كقوله يا سارق الليلة
او الفاعل كقولهم نهاره صائم **فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها** متى اشتبه عليكم حالهما
ليتبين الامر والاصلاح ذات البين رجلا عدلا مرضيا به يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر
من اهلها لان الاقارب من الطرفين اعرف ببواطن الاحوال واطلب للاصلاح وتسكن اليهم

نفوس الزوجين ولا يحتشمان من اظهار ما في ضمايرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة
والفرقة وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج
والزوجات ولا يساعده نظم الكلام كما لا يخفى على ذوي الافهام واختلف في انهما يليان الجمع
والتفريق بينهما بحسب ما رايا اولى الا باذن الزوجين والاصح ان ذلك اليهما وما جعل الحكمين
الا واليهما بيان الامر على ما تقتضيه اجتهادهما وبه استدل على جواز التحكيم **ان يريدا**
اي الحكمان **اصلاحا** اذات البين **يوفق الله بينهما** اي اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق
كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع
الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما تحراه اصلح الله مبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
به انما ذكر ارادة الاصلاح والتوفيق بينهما واهمل ذكر التفريق مع كون الحكمين منصوبين
لما رايا من الامرين جميعا حثا لهما وبعثا للزوجين على الوفاق والجمعية والالفة وردعا
بهما من الخلاف والتشاجر والفرقة وترجيحا للاول على الثاني **واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا** من الاشياء في العبادة او شيئا من الاشراك جليا او خفيا **وبالوالدين احسانا**
اي واحسنوا بهما احسانا **وبذي القربى** بكل من بينكم وبينه قرابة عطف بتكرير الجار ليفيد
ان احسان ذي القربى بالاصالة لا بالتبعية **واليتامى والمساكين والجار ذي القربى**
الذي قرب جواره وليس له اتصال بنسب والا لم فصل بينه وبين ذي القربى بالاجنبي
وقيل الجار ذي القربى تنبيها على الاختصاص تعظيما لحق الجوار **والجار الجنب** الذي بعد
جواره ولا قرابة له قال النبي عليه السلام الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو حق الجوار
وهو الجار المشرك وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وهو الجار المسلم وجار له ثلاثة
حقوق حق الجار وحق الاسلام وحق القرابة وهو الجار المسلم القريب **والصاحب بالجنب**
هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر او شريكا في تعلم علم او حرفة **وابن السبيل**
المسافر والضيف في حكمه **وما ملكت ايمانكم** من الرقيق **ان الله لا يحب من كان مختالا**
تياها يتكبر عن اكرام اقاربه وجيرانه واصحابه وما ملكه فلا يلتفت اليهم وقد سبق ان
عدم المحبة عبارة من البغض **فخورا** يتفاخر عليهم **الذين يبخلون** بما منحوا به **ويامرون
الناس** اي ارشاد **بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله** الغنا والعلم بدل من قوله
من كان او صفته لمن قال فخورا لا جلالنا لتهم من ثم قال الذين حملا على المعنى او نصب على الذم

او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويامرون ويكتمون
احقاء بالمقت والتعذيب **واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** يهانون به في الاخرة غاية الاهانة
وهذا ايضا مستفاد من جعل الوصف امرا لازما كاللازم للموصوف بحيث لا فايدة في ذكره ان
الحمل على المبالغة والمعنى اعتدنا لهم وهم الذين قال الله تعالى شانهم واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه والعدول عن المضمر
الى الظاهر للاشعار بان من هم امثالهم بالبخل واخفاء ما انعم الله تعالى عليهم من المال ونعمة
الحال فانه كفر وفيه تنبيه على ان الكفران لنعمة الله تعالى من خواص الكفر قال المطارزي
البخل هو ان يبخل الانسان بما في يده والشح هو ان يشح بما في ايدي الناس فهم جامعون بين
الشح والبخل **والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس** ليقال ما اسخاهم وما اجودهم
لا ابتغاء وجه الله عطف على الذين يبخلون وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق الى ما لا ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب
الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان **ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر** ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وتعقبه من لا يؤمن لا يكون الا
الله بل يكون لتزيين الشيطان ولذلك ختم الاية بقوله **ومن يكن الشيطان له قرينا
فساء قرينا** وعيد لهم وفي فساء ضمير مبهم قرينا تفسيره وبيانه والمخصوص بالذم محذوف اي
الشيطان **وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله** واي تبعة
ووبال في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وايهام انهم في الاعتياد بالرذايل والشغف
بالكفر والقبايح كانهم يعتقدون انهم مثابون على ذلك ومعاقبون على اضدادها
من الفضايل والايمان والمحاسن وتحريض على الفكر في طلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي
ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع ولما قصد في الاية الاولى ذمهم بالانفاق
رياء لكونهم غير مومنين قدم ذكره وجعل قوله ولا يؤمنون في موضع الحال تنبيها
على ان ذلك منهم لكونهم غير مومنين ولما حثهم في هذه الاية على ما يجب ان يتحروا ابتدا
بذكر الايمان تنبيها على ان انفاقهم غير معتد به الا بعد الايمان **وكان الله بهم عليما**
اي اثابهم على علمه بانهم لا يؤمنون بسبيل الخلايق ان خافتهم اياه لا انقص **ان الله
لا يظلم مثقال ذرة** اي لا ينقص من الثواب الموعود ولا يزيد في العقاب المعهود اصغر شيء

كالذرة وهي النملة الصغيرة ويدل عليه قراءة مثقال نملة والمثقال مفعال من الثقل
وفيه تنبيه على ان الاعمال صور تناليه بما ثقل وخفة وايما الى حكمة الميزان وان
تك مثقال ذرة حسنة وتانيث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى الذرة وحذف
النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرئ حسنة بالرفع على كان التامة ..
يضاعفها يضاعف ثوابها وقرئ يضعفها والمعنى واحد ويؤت اي يعط صاحبها من لدنه
من عنده تفضلا وفيه تنبيه على ان اطلاق الاجر عليه بحسب الوعد لا ينافي كونه
تفضلا في الحقيقة اجرا عظيما ما وصفه الله تعالى بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه
الدنيا وما فيها قليلا وسمي هذا الفضل عظيما فكيف حال هؤلاء الكفرة من اهل الكتاب
وغيرهم اذا جئنا من كل امة من الامم السالفة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو
نبيهم واذا اشارة الى الوقت المجي بالرسل للشهادة والعامل في الظرف مضمون المبتدا
والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اي هذه الامة شهيدا
لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا
بالله وعصوا الرسول اي خالفوا امره وفيه لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ
يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول في ذلك الوقت ويتمنوا ان تسوى بهم الارض
بان يكونوا من جملة الارض ترابا قال الله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وهذا لان
الارض لما تسوى بينهما ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي يودون ذلك ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم بذلك وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي
انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون
ان تسوى بهم الارض يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اي لا تقربوا
الى مواضع الصلاة وهي المساجد حالة السكر لعطف قوله ولا جنبا عليه وهو نهي الجنب
عن قربان المساجد لان الاستثناء بقوله الا عابري سبيل في حق المساجد دون الصلاة
ولا يجوز ان يكون معناه الا في السفر لان السفر ليس برخصة والمصير الى ان المعنى
اذا لم يجد الماء وتيمم تكلف وتعسف ظاهر ثم انه على تقدير اعتبار الشرط المذكور
لا يبقى فرق بين المسافر والمقيم والنهي عن قربان المساجد حالة السكر نهي عن الصلاة
في تلك الحال على ابلغ وجه بطريق الدلالة لان حرمة موضعها لحرمتها ثم ان النهي ليس عن
الصلاة لانها عبادة لا ينهى عنها بل هو نهي عن الافراط في الشرب في وقت يلزمه

اداء الصلاة حالة السكر بما ذكر ينطبق على سبب النزول دلالة وان لم ينطبق عليها عبارة
وهو ما روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجا وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم
ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع
كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكارى وسكرى كحبلى على انه صفة الجماعة والسكر
من السكر وهو السد حتى تعلموا ما تقولون بين ان السكر المانع هو ان يصير حاله لا يعلم
ما يقول ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة مع الواو في موضع النصب
على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد
والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثنا
من اعم الاحوال اي لا تقربوا المسجد في عامة الاحوال الا في حال العبور او صفة
لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل قيل في نزوله ان رجالا من الانصار كانت
ابوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون
ممرا الا في المسجد فانزل الله ولا جنبا الا عابري سبيل واضافة العابر الى السبيل
لتخصيص الرخصة بحال الضرورة بان لا يكون له سبيل الا في المسجد ولهذا قال ابو حنيفة
لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي
عن القربان حالة الجنابة والتيمم بدل عنه فذكر الاغتسال يغني عن ذكره وان كنتم
مرضى مرضا يمنعه عن استعمال الماء حقيقة كما اذا لم يكن عنده ماء ولا يقدر على الحركة
وليس عنده من ياتي به او حكما كما اذا كان مرضه يشتد باستعمال الماء او يمتد او
على سفر اي مسافرين اراد به البعد من العمران ومواضع الماء ولم يرد به كمال مدة السفر
ولا مسافرا لم يجد الماء ولا ثبت ان الحكم لم يتعلق بعين المرض والسفر بل بمعنى فيهما وهو
العجز عن استعمال الماء وانما علق بهما لظهوره لان العجز عنه يقع فيهما غالبا فيثبت
الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز وظهر به صحة قول ابي حنيفة في اجازة التيمم للجنابة
في المصر اذا عدم الماء الحار وخاف ان يضره الاغتسال بالماء البارد او جاء احد منكم
من الغائط الغائط المكان المطمئن من الارض كانوا ياتونه لقضاء الحاجة قبل اتخاذ
الكنيف في البيوت والمجي منه كناية عن الحدث ولما كان الاجتماع في السفر مندوبا
خلاف الغائط فان المندوب فيه الانفراد غير الاسلوب فلم يقل او جئتم من الغائط
واما قوله او لامستم النساء فعلى طريقة الجمع بالجمع فيه ايضا وهي ما هو المندوب

وقرئ لمستم اي جامعتم فاجنبتم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملامسة واللمس
والمباشرة والافضاء كنايات عن الجماع فلم تجدوا ماء حقيقة او حكما كما اذا لم
يكن معه دلو او الاستعمال له مانع او يكون في استعماله نوع حرج لضرر ببدن او ماله
بقي ههنا اشكال وهو ان الجمع بين الامور المذكورة في الشرط المرتب عليه جزاء واحدا
وهو الامر بالتيمم عند فقدان الماء مع ان سببية الاولين انما هي للترخص والثالث لوجوب
الوضوء والرابع لوجوب غسل وليس للامر بالتيمم معنى واحد ايهم الكل ووجه حله هو
ان القصد الى الترخص في التيمم بالتراب لمن وجب عليه التطهير ولم يجد الماء
فقيد عدم الوجدان راجع الى الكل وقيد وجوب التطهير المكني عنه بالمجيء من الغائط
والملامسة اللذين هما من اغلب اسباب وجوب التطهير معتبر في الكل حتى المرضى
والمسافرين وذكرهما تخصيص قبل التعميم بناء على زيادة استحقاقهما للترخيص
بغلبة المرض والسفر على سائر اسباب الرخصة فكانه قيل ان جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء ولم تجدوا ماء خصوصا المرضى والمسافرين فتيمموا ووجه سببية
مضمون الشرط لمضمون الجزاء ظاهر فتيمموا صعيدا طيبا اي تيمم القصد والصعيد
وجه الارض والطيب الطاهر ويجوز التيمم بكل ما كان من جنس الارض عند ابي حنيفة لزق
بالكف او لم يلزق عملا باطلاق النص وعند محمد كذلك لكن اذا التزق بالكف لقوله في المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وعند ابي يوسف الصعيد هو التراب
والرمل وعند الشافعي هو التراب لا غير والطيب المنبت من الارض عنده واللائق
بموضع الطهارة انما هو المعنى الاول ومن شرط من التبعيضية فهو صحة وضع بعض موضعها
منتف ههنا اذ لو قيل فامسحوا بوجوهكم وايديكم بعضه افاد ان المطلوب جعل الصعيد
ممسوحا والمقصود منه آلة وهو فاسد بالاتفاق فامسحوا بوجوهكم وايديكم
الى المرافق لانه بدل عن الوضوء فيتقدر بقدر الاصل ولانه عليه السلام تيمم ومسح
يديه الى مرفقيه ومسح الشيء امرار اليد على الشيء تقول مسحت براسه ومسحت
رأسه بمعنى ان الله كان عفوا غفورا اشارة الى وجه الترخص والتيسير لان
من كانت عادته العفو عن الخاطئين والغفران عن المذنبين فلان يكون ميسرا
غير معسر احرى الم تر الى الذين اوتوا كلمة تعجب عن امر قد بلغ الخاطب فيخرج
مخرج التذكير او لم يبلغه فيخرج مخرج التعليم من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم
او القلب وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء نصيبا حظا وتنكيره يحتمل التعظيم

والتحقير من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان
يشترون الضلالة يستبدلون اليهودية التي هم عليها بالذي هو دين الاسلام لتمكنهم
منه بعدما تبين لهم من علم الكتاب انه الحق ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون
السبيل سبيل الحق وتخبطوا في سلككم والله اعلم منكم باعدائكم اخبركم بعداوتهم
وما يريدون بكم تحذيرا اياكم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا ينصركم
عليهم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء زائدة في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي
بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانه متناول
لليهود والنصارى والجمل الثلاث توسطت بينه وبين المبين على سبيل الاعتراض الاول
للتصريح بما وقع الى من يجيبه لان المخالفة في الدين سبب العداوة والثانيتان لتطمينهم
وتقوية قلوبهم في عدم المبالاة باعدائهم ولذلك كرر وكفى بالله لتقرير معنى كفاية
الله تعالى اياهم في تقويتهم وادل ولاية الله تعالى بالانفراد كافية لهم كما ان نصرة الله
تعالى وحدها كافية اديانه لاعدائهم وما بينهما اعتراض ويجوز ان يكون صلة لنصيرا
اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الظالمين الذين كذبوا او كلاما
مستقلا على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون
الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بازالته عنها واثبات غيره
فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه على ما انزل الله فيه والكلام والكلمة كالتمر
والتمرة على انه اسم جنس فرق بينه وبين واحده بالتاء لا على انه جمع ولهذا ذكر ضمير
وانما جمع المواضع فلتكرره في التورية في مواضع بحسب الجنس وقرئ الكلم بكسر الكاف
وسكون اللام على انه جمع كلمة تخفيف كلمة فتذكير الضمير على هذه القراءة لارادة
جنس الكلم ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك
بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما
ترضاه او اسمع غير مسمع اياك لان اذنك ينبو عنه فيكون مفعولا به واما ما قيل
واسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه فيأباه السياق وكونه
على قصد النفاق لا يحتمله السياق لانهم بقولهم وعصينا اظهروا الخلاف والشقاق
وراعنا انظرنا نكلمك ونفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى
ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها وطعنا في الدين كانوا يقولون له عليه السلام السام عليك ويخرجون

ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان هو على الدين الحق فلما ذا يعذبنا الله
بهذا ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا انهم قالوا فاعل فعل محذوف
دل عليه معنى الثبوت والتحقق في ان يعني لو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوا والضمير
المستكن في لكان يرجع الى هذا القول خيرا لهم واقوم واعدل ولكن لعنهم الله
خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بكفرهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل ويجوز ان يراد
بالقلة العدم لانه ورد بمعناه في الغالب اي لا يؤمنون الا ايمانا معدوما على
طريقة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم
ايمانا فانهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال بكونه ما يعد
الا موافقا لما ابطلها في المعنى ولا يجوز ذلك في الاستثناء وكذا لا يجوز ان يكون
المعنى الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنوا لعدم صحة تشبيه عما تقدم فافهم
يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود والنصارى امنوا بما نزلنا وهو القران
مصدقا لما معكم من الكتاب الذي انزل على نبيكم يعني التورية والانجيل متضمنا
صفة النبي عليه السلام وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني
الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس محو الاثر والازالة
الاعلام وقد يطلق معنى الطمس في ازالة الصورة ويطلق القلب والتغيير ولذلك
قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار
والادبار او نردها حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير
او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن
الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او باللعن المتعارف والضمير لاصحاب
الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه
ان اريد الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ
الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب
او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن بعضهم وكان امر الله بايقاع شيء
مفعولا كائنا انما المنتظر ابدا او بالنظر الى التعدي بتنفيذ شيء لا ابداعه الجود عنه

ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه ثبت الحكم على خلود عذابه ويشاركه في الحكم المذكور
ما في منزلته وهو سائر وجوه الكفر فان الحكم على خلود عذابها ايضا قد ثبت والوجود
هذا القسم دال ويغفر ما دون ذلك ولم يقل يغفر غيره مع انه اخص واظهر دلالة
على المراد على تقدير عدم قسم اخر غيره والله الهادي الى الرشاد وانما قال لمن يشاء
مع انه معلوم ان المغفرة لا تكون الا بمشية الله تعالى للدلالة على انها لا تتم والاشارة
الى ما دون الشرك يخالفه من حيث ان المشية لا تتعلق بمغفرته اصلا ومن يشرك
بالله فقد افترى فقد ارتكب مفتريا اي مفتعلا ما لا يصح كونه اثما عظيما يستحقر
دونه الاثام ويجوز ان يكون المعنى فقد افترى امرا عظيما وذلك الامر لكونه سببا
للاثم عبر عنه بالاثم مبالغة كما عبر بالنار عن موجبها في قوله ما تقوا النار وهذا
ابلغ وفيه اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب الم تر الى الذين
يزكون انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودة
وانا نعلم ابانا الصغار والتورية فنكفر بها ذنوبنا فنصير كانا لا ذنب لنا وفي ذلك
غض على من يزكي نفسه بزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكي بل اضطراب عن
تزكيتهم وانما تقدم الله على الفعل للتخصيص اي لا يزكي احدكم نفسه فلا عبرة فانه غير معتبر
ولا معتد به لانه لا علم لاحد بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح بل الله خاصة يزكي
من يشاء من المخلصين من عباده الذين عرف منهم الزكا واصل التزكية نفي ما يستقبح
فعلا او قولا ولا يظلمون فتيلا اي اقل قليل من الظلم والفتيل هو ما يفتل بين الوسخ
عند دلك الاصبع بالاصبع مثل في القلة اي يثابون على زكاتهم ولا ينقص من ثوابهم
الموعود شيء انظر كيف يفترون على الله الكذب بقولهم نحن عند الله ازكيا وكفى به
بافترائهم هذا اثما مبينا من جملة اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
قد سبق تفسيره في هذه السورة يؤمنون بالجبت والطاغوت الجبت في الاصل
اسم صنم ثم اطلق على كل ما يعبد من دون الله والطاغوت الشيطان وكل راس
في الضلالة نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا
اليه محمد ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين
امنوا حذف المقول لا للاختصار بل احتقارا سبيلا ارشد دينا واقوم طريقا
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بالنفع
والخطاب لكل احد ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار

ان يكون لهم نصيب من الملك والتنكير في نصيب للتحقير ففيه حجة على البلخ وجه وجه
لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا النقير النقرة
في ظهر النواة ومعنى اذا انه لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار
نقير لفرط بخلهم وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك
فما ظنكم بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين واذا اذا وقع بعد الواو والفا لا للتشريك
مفرد جاز فيها الالغا والاعمال ولذلك قرئ لا يؤتوا على النصب ثم انتقل من هذه
الخصلة الذميمة الى خصلة اشد منها وهي الحسد فان البخل منع وصول خير من نفسه
الى الغير والحسد تمني زوال ما اعطى الله تعالى الغير من الخير فقال ام يحسدون
الناس انكار لحسدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ما اتاهم الله تعالى
من النصرة والغلبة وازدياد العز والقوة والتقدم كل يوم واللام في الناس للماهية
كانهم الناس بالحقيقة وما عداهم من اليهود ليس بالناس على ما اتاهم الله من
فضله يعني النبوة والكتاب والنصر والاعزاز فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة
واتيناهم ملكا عظيما الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله تعالى الكتاب والنبوة
والملك العظيم الى ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع
ان يؤتيه الله تعالى مثل ما اوتي اسلافه فمنهم فمن اليهود من امن به بما ذكر من
حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او فمنهم من امن برسول
الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته صلى الله عليه وسلم او من ال ابراهيم
عليه السلام من امن بنبوته ومنهم من كفر فلا تتعجب من قومك فان احوال جميع
الامم هكذا وذلك تسلية له عليه السلام وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة ..
يعذبون بها ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان
الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك وتنكير
نارا للتعظيم قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وقد تراد
في الوعد ايضا كلما نضجت جلودهم اي احترقت الجلد لا يتاثر من الاحراق
بدلناهم جلودا غيرها اي اعدنا تلك الجلود غير محترقة قال ابن عباس رضي
الله عنهما يوم تبدل الارض غير الارض ان الارض تلك الارض لكن تبدلت اكامها
وجبالها وانهارها واشجارها والجملة في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب
في نصليهم ليذوقوا العذاب ليتجدد لهم ذوق العذاب ولما كان تاثير الذائقة

اسوع

اسوع واقوى من التاثر عن العذاب وقيل يخلق مكانه جلد اخر والعذاب في الحقيقة للنفس
العاصية المدركة لا لالة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا حكيما العزيز القادر الغالب
الحكيم الذي لا يفعل الا الصواب انما قال هذا لانه قد يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب
الشخص الضعيف الى هذا الحد العظيم ابد الاباد فقيل ليس هذا بعجب لانه القادر على ذلك
وكما انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضي ذلك والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات الوعد والوعيد متعاقبان في الذكر غالبا وقدم الوعيد ههنا لان الكلام
في الكفار تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد سبق تفسيره لهم فيها ازواج
مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل
ويوم ايوم وهو ما كان منبسطا لا فرجة فيه ودائما لا ينسخ وسجسجا لا حر فيه ولا برد
ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة كان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة
ولهذا جعلوه كناية عن الراحة قال عليه السلام السلطان ظل الله في الارض فلا يتجه
السؤال بان يقال اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان كان سبب النزول خاصا وهو اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة
من سادنها ورده لهم بعد نزول هذه الاية واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل العدل يقابله الجور والانصاف يقابله الظلم ان الله نعما يعظكم به
ما في نعما نكرة موصوفة منصوبة اي نعم شيئا يعظكم او معرفة موصولة مرفوعة اي
نعم الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي ذلك يعني المامور به من اداء الامانات
الى اهلها والحكم بالعدل ان الله كان سميعا باقوالكم واحكامكم بصيرا بما تفعلون
من الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر لفظ اطيعوا
تعظيما لامر الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا لم يذكر مع ان تكريره للتعظيم ترك
اعادته في قوله واولي الامر فرقا بين المطاعين في التعظيم لما امر الولاة باداء
الامانات الى اهلها والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم ويمتثلوا امرهم والمراد
بهم امراء المؤمنين القائمون بالعدل الثابتون على الحق لا امراء الجور على ما سنقف
على وجهه فيه وفي قوله منكم تمهيد للرخصة في المنازعة المفروضة في قوله
فان تنازعتم فلما كان في الامر بالطاعة لاولي الامر اشعار باشتراط العدالة وكونهم
على الحق فيما تقدم من قوله واذا حكمتم الاية فرع تمهيدا لذلك رتب الشرطية

المذكور في ما قبله في شيء من امور الدين وامور الدنيا فردوه فراجعوا الى الله الى كتاب
الله تعالى والرسول الى سنته قولية كانت او فعلية او تقريرية هذا اشترط حال النبي حياته
ومماته ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان بالمبدا والمعاد يوجب ذلك
صدر الامر بطاعة اولي الامر بامرهم بالحكم بالعدل وقيد مجمعهم مع الله ورسوله في العطف
وتخصيصهم بقوله منكم وذنبه بالامر بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل واختلف
فيه اعلاما بان طاعة المتغلبة من امراء الجور الذين هم على خلاف ذلك ليست بواجبة
بل الواجب مخالفتهم وعصيانهم فيما لا يطابق الكتاب والسنة من احكامهم واحتج بالاية
المذكورة منكر والقياس حيث حصر المرجع اليه في الكتاب والسنة ولم يذكر القياس
لكنها حجة عليهم لا لهم لانه تعالى اوجب في كل متنازع فيه الرد اليهما فلا يوجد في كل
حادثة نص ظاهر فعلم انه بالنظر في مودعاته والعمل بمدلولاته ومقتضياته ذلك
خير واحسن تاويلا عاقبة الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق الى
كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض
المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك
قال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال
هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال جبريل عليه
السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن
الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل سمي بذلك لفرط طغيانه ولتشبهه بالشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به وقرئ بها على ان
الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا قيل ظاهر الاية يدل على انه كان الخاصم منافقا من اهل الكتاب
كان يظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون انهم امنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق واما صيغة الجمع فلعلها
لمدح امثاله فيما ذكرنا ثم في صدد ذلك وان لم يظهر منهم واذا قيل لهم تعالوا الى
ما انزل الله والى الرسول للايمان رغبتهم في التحاكم الى الطاغوت بين هنا رغبتهم

عن التحاكم الى رسول الله عليه السلام وقد سبق الكلام في تعالوا في سورة ال عمران
رايت المنافقين يصدون عنك في موقع الحال صدودا اي يعرضون عنك اعراضا
فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر رضي الله عنه المنافق او النقمة من الله
تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاءوك عطف
على اصابتهم اي بعدما اصابتهم جاءوك للاعتذار او على يصدون وما بينهما اعتراض ٥
يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل
بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من
العقاب فاعرض عنهم اي عن عتابهم في الدنيا لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم
وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وهذه المخاطبة لا تنافي الاعراض عن المعاتبة
وقل لهم في انفسهم فيما يحل بهم من العذاب ان لم يرجعوا وما يصل اليهم من الثواب
ان رجعوا قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن معاتبتهم والنظر لهم
والمبالغة فيه بالترهيب والترغيب كما هو مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام
وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها يجوز على اصل الكوفيين خلافا
للبصريين وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بتيسيره وتوفيقه لطاعته
او بسبب اذن الله تعالى في طاعته اي بامره المبعوث اليهم ان يطيعوه لانه مبلغ عن الله
تعالى فمخالفته له فطاعته طاعة الله تعالى ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم بوعظهم والبلاغ
اتبع ذلك امرهم بطاعته فيما امر وانما ظلمهم بالوعظ ولا دلالة فيه على ان من لم يتعظ
ولم يرض بحكمه كان كافرا يستوجب القتل فان الكفر لا يستوجب القتل البتة كيف والذي
والمنافقين كانوا كفارا ولم يجب قتلهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
جاءوك تائبين منه وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله مخلصين له الدين
معتذرين اليك مما ارتكبوه من رد قضائك حتى استغفرت لهم ولما كان تحاكمهم
الى الطاغوت اساءة على الرسول عليه السلام وادخالا للالم في قلبه لزمهم الاعتذار
له عليه السلام وطلب الاستغفار منه وانما قال واستغفر لهم الرسول على
طريقة الالتفات تفخيما لشانه وتعظيما لاستغفار من كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمستغفرين وشفاعته بمكان من الله واما قبول اعتذار التائب فلا دخل فيه

وتنبيها على انهم

لوصفنا لشناعة فلا وجه للتنبيه عليه بالالتفات لوجدوا الله توابا رحيما فقابلا
لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة توابا حال ورحيما بدل منه او حال من الضمير فيه فلا
وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد
ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد وفي اضافته تعالى نفسه اليه عليه السلام
في القسم رفع قدره حتى يحكموك غاية متعلقة بقوله لا يؤمنون فيما شجر بينهم اختلف
بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطهما في الجهات ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت مما حكمت به او من حكمك وانما قال ثم لان الحمل
الغالب وجدان ذلك بعد زمان ويسلموا تسليما وينقادوا انقيادا بظاهرهم
وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا
على بني اسرائيل حتى استتابتهم من عبادة العجل من قتل انفسهم والخروج من ديارهم
ما فعلوه الضمير للمكتوب الذي دل عليه كتبنا الا قليل قوم قليل منهم وهم
المخلصون وهذا توبيخ بليغ لهم لما بين اذ ايمانهم لا يتم الايمان يسلموا حق التسليم
نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم وقرئ بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا
قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته
في اوامره ونواهيه بلا اعتراض في انفسهم لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد
تثبيتا لايمانهم وانفسهم وابعد اضطرابا ونصبه على التمييز وهذه الاية ايضا
نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل غير ذلك واذا لآتيناهم من لدنا
اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر وجزاء محذوف معطوف على الجملة الشرطية
قبلها اي ولو تثبتوا لآتيناهم وفي قوله من لدنا الدال على انه على سبيل التفضل
دفع ان يظن او يتوهم من الاجر الى معناه الحقيقي فان الثواب لكونه موعود الاعمال
نزل منزلة الاجر له ولهديناهم صراطا مستقيما اي وفقناهم لطريق التوحيد
وزيادة الخيرات والاستقامة في الاحوال ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد على مرافقة اكرم الخلايق
واعظمهم قدرا من النبيين بيان للذين او حال منه او من ضميره والصديقين
هم الصادقون في اقوالهم واعمالهم ونياتهم واحوالهم المتقدمون لغاية الصدق
في تصديق الانبيا من افاضل اصحابهم والشهدا الباذلون للارواح لله تعالى

لغاية حضورهم وشهودهم له والصالحين هم اهل الاستقامة الى الله تعالى بالاعمال
المقربة اليه والتخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وليس المراد بالمعية المعية
في الدرجة فان ذلك غير ممكن بل المعنى ان الارواح الناقصة اذا استكملت علاقتها
مع الارواح الكاملة في الدنيا تبقى بعد المفارقة تلك العلاقة فيتمكن استمتاع
من بعضها على بعض فتصير انوارها في غاية القوة وحسن اولئك رفيقا فيه التعجب
كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ورفيقا منصوب على التمييز ولذلك لم يجمع اذ لم
يقصد الانواع ويجوز ان ينتصب على الحال ذلك اشارة قصد به التعظيم
الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة
وفيه تنبيه على ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم فضل
خاص منه تعالى لا لمستعد بازاء طاعتهم بل مزيد عليه من عنده وتفضل به
عليهم تكملة لثوابهم واكراما لهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه اعلمه باحواله
وما يستحقه هذا الفضل بما استعدادهم بحسب العناية الاولى في حقهم فهو يوفقهم
على حسب تلك العناية يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم اي احذروا واحترزوا
من العدو ولا تمكنوه من انفسكم كانهم امروا بان يعملوا الحذر والاتهم التي يقون بها
انفسهم ويعصمون بها ارواحهم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ
حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف فانفروا يقال نفر القوم اذا نهضوا لقتال
عدوهم وخرجوا للحرب ثبات نصب على الحال اي جماعات متفرقة سرية بعد سرية
جمع ثبة من ثبت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه او انفروا
جميعا مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتفرقوا او تتخاذلوا ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة والاية نزلت في الحرب ولكن لا اقتضا لفظها الى وجوب المبادرة الى
الخيرات كلها وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر الرسول صلى الله عليه وسلم
المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد
من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطأ غيره كما فعل ابن ابي يوم احد واللام
الاولى للابتدا دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم
بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن
اقسم بالله ليبطئن وجه التاكيد لتحقيق حال المنافقين وانهم على خلاف ما يظهرون
من الايمان فان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم

الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم واذ لم اكن ظرف ناصبه
انعم بمعني من ولئن اصابكم فضل من الله من الفتح والغنيمة ليقولن ذلك المنافق
اكده لفرط تحسره وقري بضم اللام اعادة للضمير الي معني من لانه في معني الجماعة
كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بينه وبين مقوله وهو يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما حكي الله سرور المنافق عند نكبة المسلمين ثم اراد ان يحكي
حزنه عند دولتهم بسبب فوات الغنيمة فقبل ان يذكر الكلام بتمامه الحق
هذا القول في البين للتعجب كانه يقول انظروا الي ما يقوله هذا المنافق
كان لم يكن بينكم وبينه مودة ومخالطة اصلا والذي حسن موقع الاعتراض
كون ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة او حال من الضمير في ليقولن او داخل
في المقول اي يقول المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا
وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد صلي الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن
بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وكان مخففة من الثقيلة واسمه
ضمير الشان وهو محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمني وقري بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت
او العطف على كنت معهم ليندرج الفوز مع الكون معهم في حكم التمني فيكونا
متمنين جميعا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة
ان جعل يشرون بمعني يبيعون فالامر للمومنين اي ان تبطا هولاء المبطئون عن
القتال فليقاتل الثابتون في الايمان المخلصون الذين يستحبون الاخرة على الدنيا
ويستبدلونها بها وان جعل بمعني يشترون فالامر للمبطئين الذين يشترون
الحيوة الدنيا بالاخرة وعظوا بان يغيروا نياتهم وما بهم من النفاق ويخلصون
الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فالفاء على الاول جواب شرط مقدر
وعلى الثاني للتعقيب يعني ينبغي ان يعقبوا ما صدر عنهم من التثبيط عن القتال
والثبات على النفاق بالتحريض على القتال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب لم يقل فيغلب او يغلب انه يندرج في الاول الفارين من الزحف ولا احد
ولم يقتل فيقتل او يقتل للتنبيه على انه يستحق الاجر بالغلبة قتل او لم يقتل وعلى انه
حقه ان لا يقصد بالقتال الي القتل بل الي اعلاء الحق واعزاز الدين وتقديم الاول
للدلالة على انه ادني فاحق بالاجر والاعتداد عليهما التنبيه على ان حق المجاهد ان يثبت

في المعركة ولا يفر حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة فسوف نؤتيه
اجرا عظيما قتل او غلب وعد له الاجر غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقوله قد انعم
الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وفيه انه لم يرتب في قوله غلب على ما نبهت عليه انفا
وكذا في قوله وتكذيبا لان مراد ذلك المنافق من القول المذكور مطابق للواقع
وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف
من معني الفعل والمستضعفين مجرور عطف على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص
المستضعفين او نصب على الاختصاص واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين
فان سبيل الله تعالى عام في كل خير ومن اعظم الخيرات خلاصهم من ايدي الكفار
وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين
من الرجال والنساء والولدان جعل الولدان من جملة المستضعفين تسجيلا
على الظلمة بافراط الظلم حتى بلغ اذاهم الصبيان ارغاما وايذاء لابائهم وامهاتهم
ومبغضة وايلاما لهم ويجوز ان يكون ذكر الولدان مع المستضعفين
لاشتراكهم الاطفال في الدعا استرحاما من الله تعالى بدعا الصغار الذين
لم يذنبوا ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد
والاماء لان العبد يدعى بالوليد فغلب الذكر واطلق عليهم الولدان كما يقال الاولاد
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اراد بالتوصيف
التنبيه على ان طلبهم الخروج منها لظلم اهلها والاذى في طيهم واشرف البقاع لا يريدون
الخروج منها بلا اضطرار ولما كان المراد من القرية مكة شرفها الله تعالى
تحتوا عن المبالغة في ظلم اهلها بنسبة الظلم الى القرية ولم يسلكوا مسلك
قوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها وكم اهلكنا من قرية بطرت واجعل
لنا من لدنك وليا يتولى لنا من عندك من يتولى كفايتنا واجعل لنا من لدنك
نصيرا من ينصرنا ويمنعنا من عدونا فاستجاب الله تعالى دعاهم جعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم واليهم وعتاب بن اسيد ناصرهم فالعطا فكان ينصف
واحد امنهم وسعته على يدم ترد الى المدينة الذين امنوا يقاتلون
في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما حرضهم ورغبهم على القتال
في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين شجعهم ورغبهم فيه ترغيبا باخبارهم

انهم انما يقاتلون في سبيل الله فالله وليهم وناصرهم والكفار يقاتلون في سبيل
الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** اي كيده للمؤمنين
في جنب كيد الله تعالى الكافرين اضعف شيء واوهنه فلا تخافوا اولياءه **الم تر الى الذين**
قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** واشتغلوا بما امرتم
به **فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس** على ما جبل عليه البشر
من المخافة لا عن المخالفة وذلك ان المسلمين كانوا بمكة مكفوفين عن القتال وكانوا
يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة احجم فريق منهم خوفا من
الموت وضنة بالارواح وجبنا عن الاخطار بها لا ريبة في الدين اذا للمفاجاة
جيء بها في جواب الشرط مع الجملة الاسمية بدل الفاء وفريق مبتدا تخصص بالصفة
ويخشون خبره **كخشية الله** في موضع النصب صفة للمصدر المحذوف
اي خشية مثل ما يخشى الله فهي مضافة الى المفعول او على الحال من ضمير يخشون
اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه **او اشد خشية** نصب عطف على المصدر
اي خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله على ان الخشية
خاشية او جر عطف على خشية الله او على الله على ان الخشية من الفعل المبني للمفعول
اي كخشية الله او خشية هي اشد في كونه مخشيا من الله كما ذكر في اشد ذكرا او نصب
على العطف على محل الكاف والخشية في الاصل الخوف مع تعظيم المخوف منه والمراد
هنا المبالغة في الخوف وكلمة او للدلالة على تفاوته في الخشية فان خشية بعضهم
كان مثل خشية الله تعالى وخشية بعضهم كان اشد منها **وقالوا ربنا لم كتبت**
علينا القتال هذا القتال لا يناسب حال الصحابي الراسخ قدمه في الايمان
المنشرح جنانه بالاسلام الذي يرى الوصول الى الدار الاجلة خيرا من القرار
في الدار العاجلة ولهذا قيل انهم المنافقون والتاويل بانهم ما تفوهوا به ولكنهم
قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم مع انه بعيد لم نجد مثله في القران لا صريحا نصا
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف على القتال حذرا عن الموت
كانهم حسبوا القتال قتلا فتمنوا تاخير الاجل وهذه اية غاية جبنهم **قل متاع**
الدنيا قليل سريع التقضي **والاخرة خير لمن اتقى** اي المعاصي **ولا تظلمون فتيلا**
شيئا يسيرا بالنقص من الثواب الموعود ولا بالزيادة في العقاب المعهود من قصر
في الاول فقد قصر وقد تقدم تفسير الفتيل وفيه ترغيب في التحمل على مشاق

القتال وترهيب عن مخالفة الامتثال لامر الجهاد وقري ولا يظلمون لتقدم الغيبة
اينما تكونوا يدرككم الموت اذ لا خلاص لكم من الموت والجهاد موت يستعقبه
سعادة اخروية فاذا كان لا بد من الموت فالموت في سبيل الله تعالى اولى وقري
يدرككم بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على
انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون وعلى هذا اين ظرف مكان لا اسم شرط وشتان
النظر ينتظم الدارين **ولو كنتم في بروج مشيدة** في قصور او حصون مرتفعة والبرج
في الاصل بيت على طرف القصر واصل البروج الظهور ومنه تبرجت المراة اذا
اظهرت محاسنها وقري مشيدة وصفها بوصف فاعلها كقولهم شعر شاعر
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه **وان تصبهم حسنة** نعمة كخصب **يقولوا**
هذه من عند الله اي نسبوها اليه تعالى نسبة مجردة عن توسط كسب العبد
وان تصبهم سيئة بلية كقحط الحسنة والسيئة كما يقعان على الطاعة والمعصية
كذلك يقعان على النعمة والبلية **يقولوا هذه من عندك** اي اضافوها اليك
وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد صلى الله عليه وسلم المدينة
نقصت ثمارها وغلت اسعارها **قل كل من عند الله** بتقدير الله واقع على حسب
سنته في خلقه قال الله تعالى ونبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ولما كان هذا
تفصيلا لان الجمل المنزل ظهر حسن الموقع في قوله **فمال هؤلاء القوم لا يكادون**
يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران وتنكيره للتعظيم وللتنبيه على انه
لا حاجة الى الاشارة عند الاطلاق ومساعدة المساق تبغي للتبادر وهو
ابلغ من نفي الفعل **ما اصابك** خاطب النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم حال ما اصاب
غيره بطريق الدلالة **من حسنة** من نعمة **فمن الله** تفضلا منه فان كل ما يفعله
الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود وكيف يقتضي غيره **وما اصابك من**
سيئة فمن نفسك يعني هو وان كان من عند الله باعتبار الايجاد والفاعلية لكن لما
كان السبب الفاعل المقتضي لذلك فعلك واستحقاقك فهو من عندك وما كسبت
يداك واستوجبته عملك اياه اترك نفيك بك كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير لما نسبوا النعمة الى الله والبلية الى النبي صلى الله عليه وسلم
رد الله عليهم بان الكل من عند الله لا فاعل لها سواه ولا واسطة في البلايا سوى

انفسهم دون النبي صلى الله عليه وسلم على ما زعموا فتمام الرد عند قوله فمن نفسك
وارسلناك للناس جميعا لا للعرب خاصة كما زعمه بعض المنكرين وهذا المعنى مستفاد
من ذكر اسم الجنس بمساعدة المقام رسولا حال قصد بها التاكيد ويجوز نصبه
على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام ولا يجوز تعلق الجار بها لانه يفهم
اختصاص رسالته صلى الله عليه وسلم بجنس الانس وكفى بالله شهيدا على ذلك
بنصب المعجزة فوجب على الكل طاعتك واتباعك ولهذا قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى لانه لا ينتظم اطاعته في غير
الاحكام الشرعية بل لانه تعالى ارسله وامر بطاعته والعدول عن الضمير
الى المظهر للاشعار بترتب ايجاب الاطاعة على وصف الرسالة وروي انه صلى الله
عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون
انه قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت ومن تولى اي عن طاعته حذف جزاؤه وهو فاعرض عنه واوقع ما هو
سبب له موقعه فقيل فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم
امرا او نهيتهم عن شيء طاعة اي امرنا طاعة اي لك واصلها النصب على المصدر والعدول
الى الرفع للدلالة على الثبات فاذا برزوا خرجوا من عندك اي غابوا عنك والثنا
للدلالة على عدم التراخي بين قولهم الموافق وفعلهم المخالف بيت طائفة منهم اي زورت
وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان
الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر
لانه يسوى ويدبر وقرئ بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب
ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتب في جملة
ما يوحي اليك فيطلعك عليه فلا يخفى عليك اسرارهم فاعرض عنهم ولا تشتغل
بالانتقام منهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا لمن توكل
عليه فهو الدافع كيدهم عنك والمنتقم منهم لك افلا يتدبرون القرآن الهمز للانكار
والفاء للعطف على محذوف اي ايتدبرون في القرآن فلا يتدبرونه لانهم لو تدبروه
حق التدبر لم يكن لهم شبهة في توافق معناه وتناسق نظمه والتدبر اثارة المعاني بتحريك
الافكار واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاعتبار وهو في الاصل النظر في دبر

الامر الى عاقبته ثم استعمل في كل تامل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء واجزائه او سوابقه
واسبابه او لواحقه واعقابه وفيه باعتبار اصله اشارة الى ما في مقاطع الكلام من مظان
الطعن في بادي الراي التي تزول عند التامل وتدقيق النظر والواو في قوله ولو كان
من عند غير الله للحال وغير الله تنتظم الجن والملك وفيه دلالة على انه كلام الله تعالى ذاتا
اعجازه فالثابت به انه ليس من كلام البشر ولا يلزم منه ان يكون كلام الله تعالى لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من جهة فصاحة اللفظ وبلاغة النظم وصحة المعنى لان الخطيب
الفصيح البليغ اذا اكثر كلامه اختل نظامه واختلف اقسامه خصوصا اذا تطاولت
في تعاريق كلامه ايامه لنقصان قدرة غير خالق القوى والقدر ومما يوجد فيه من
الاختلاف في الاحكام لاختلاف الاحوال في الحكم لا التناقض في الحكم واذا جاءهم امر
من الامن او الخوف من البيان وبيان الامر بمجموع الامن والخوف او ما يوجبهما لا باحد
على سبيل البدل فكلمة او للتنويع لا المنع للجمع اذاعوا به فعلوا الاذاعة به وهو ابلغ من
اذاعوه للدلالة على انه توجد نفس الحقيقة كما في نحو يخرج ويمنع ولما فيه من الابهام
والتفسير والاذاعة الاشاعة والافشاء كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا
بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول عليه السلام بما
اوحي اليه من ظفر بالعدو او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكان فيه مفسدة
ولو ردوه اي الامر الى الرسول اي لم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
يحدث به والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او امراء السرايا لعلمه
على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم واصل
الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وقيل كانوا يسمعون
باراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يصح ان يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه
من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بارسال الرسول لكم ايها المومنون بما انزل من الهدى والظفر من كيد الشيطان والمنافقين لاتبعتم
الشيطان ودمتم على الكفر عن الثبات والاصغاء الى المنافقين المتخلفين الا قليلا
هم رسول الله صلوات الله عليهم اجمعين والمستنبطين وفيه تحريك من حمية الضعفة
مع لطف واجمال بحال الاقوياء ثم قال فقاتل في سبيل الله اي فاذا كان الامر كذلك من انك
اوتيت الفضل والرحمة مع ما وجدته من مباينة القوم في التجنب عن اتباع الشيطان

قاتلا في سبيل الله واعلاء كلمة الرحمن ولا تبال بكيد المنافقين واستجرارهم الضعفاء وما يحصل
من مفسدة الاذاعة فانه لا يضرك خذلان خاذل قوي او ضعيف فالله ناصرك لا الجنود
بالجلاد باسه بمن يناديك لا تكلف الا نفسك نصب على الحال من فاعل فقاتل اي فقاتل غير
مكلف الا نفسك وحدها يعني لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم
يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر
الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ
لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلف الا فعل نفسك لا انا لا نكلف
اي انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين على القتال وما عليك في شانهم الا التحريض
تحث بالتشنيع لهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا اي كفار قريش وقد كف
وقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش
واشد تنكيلا تعذيبا منهم وفيه تقريع لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة وهي
التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب بها اليه خير في حد من حدود
الله او حق من حقوقه طلبا لرضى الله تعالى لا لغرض من اغراض الدنيا والسيئة بخلاف
ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانه في معنى الشفاعة الى الله تعالى وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك ومن يشفع شفاعة سيئة يكن
له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا
مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر عليه او شهيدا حافظا من القوت فانه يقوي البدن
ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام
ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله
المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وذلك لاستجماعه اقسام مطالب السلامة عن المضار
وحصول المنافع وثباتها او بردها بان يقول عليك ان بلغ المسلم نهايته لما روي ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك قال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل انقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال
صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فكلمة او للتنويع لا للتخيير

لما عرفت ان كلا من الزيادة ورد المثل مشروط بشرط ينافي شرط الاخر فلا يجتمعان وايضا
التخيير بين امرين احدهما ايسر من الاخر لا يكون على وجه الوجوب على ما تقرر في موضعه
وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران
وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية تفعلة من حيي يحيي تحية وكانت تحية العرب عند
التلاقي حياك الله اي اطال الله حياتك ونقل ذلك في الاسلام الى السلام وبقي الاسم كذلك
ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله مبتدا لا اله الا هو
خبر او اعتراض والخبر ليجمعنكم اخبر بجمعه العالم في يوم القيامة للمجازاة وانما قال الى يوم
القيامة تنبيها على ان جمعهم بطريق الحشر والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام
الناس من قبورهم او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة
للمصدر ولما ذكر الجمع مقسما عليه اردفه بقوله ومن اصدق من الله اي لا احد اصدق من الله
حديثا فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص ينافي الالوهية فما لكم الفاء للترتيب
على ما فهم مما تقدم من ان ما نزل في حق المنافقين وبيان احوالهم حق مطابق للواقع
في المنافقين فئتين اي فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم
الذي نطق به التنزيل وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل غير ذلك وفئتين نصب على الحال من الضمير في ما لكم
والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين
اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين
والله اركسهم ردهم في حكم المشركين واصل الركس رد الشيء مقلوبا بما كسبوا من لحوقهم
بهم واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او ردهم في الكفر بسبب مرض قلوبهم
وسوء عقيدتهم جملة اعتراضية مبينة لوجوب اتفاق المؤمنين على نفاقهم لا اختلافهم
في ذلك متضمن لمعنى الانكار الذي في الاستفهامية او كالمبينة اتريدون ان
تهدوا الى الحق من اضل الله عن طريق الحق ومعنى الهمزة انكار ارادة تقدير هداية من اضله
الله تعالى لكونه مستحيلا ولذلك قال الى الحق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي
الى الاهتداء او لن تجد لهدايته سبيلا لاستحالة وقوع ما اراد الله خلافه تقرير لارادة
انكارهم المتعلقة بالحال ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا راغبين في ان تكفروا
ككفرهم اكد ودادهم لكفرهم بلو وبقوله كما كفروا اي يرضون بما انتابكم الكفر

مالك ح

بل تمنوا الكفر بالنا اضلالا واستحسانا لكفرهم ثم بالغ في ذلك بقوله فتكونون سواء
لا يتوجه كفرهم عطف على تكفرون اي ودوا الكفر كم وكونكم مستوين معهم في الضلال
ويجوز نصبه على جواب التمني فلا تتخذوا منهم اولياء فلا تتولوهم وان اظهروا الايمان
حتى يهاجروا في سبيل الله حتى يظاهروا الايمان بهجرة صحيحة في سبيل الله بنية
صادقة لله ولرسوله لا لغرض من اغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا
فان اعرضوا عن الهجرة المستقيمة التي تصدق ايمانهم فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم اي فحكمهم كحكم سائر المشركين في وجوب قتلهم حيث وجدوا في الحل
والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا
تقبلوا وجانبوهم مجانبة كلية الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم
عاهدوكم ويفارقون محاربتكم فانهم في حكمهم في الميثاق وهم من وادع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة على ان لا يعينوه ولا يعينوا عليه ومن لجأ اليهم
فله من الجوار مثل ما لهم او جاؤكم عطف على صلة الموصول اي والا الذين جاؤكم كافين
عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور بالاخذ والقتل من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين
ومن جا المومنين وكف عن قتال الفريقين لا على صفة قوم لان الاستثناء يدل بان سبب
ترك التعرض لهم امران احدهما الاتصال بالمعاهدين والاخر الاتصال بالكافين عن القتال
ان كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال ان كان العطف على الصلة وقوله
فان اعتزلوكم يرشد الى انه الكف وقرئ بغير العاطف على انه بيان ليصلون او بدل
او استئناف حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد يدل عليه قراءة حصرة
صدورهم وحصرات وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف اي او جاؤكم
قوما حصرت صدورهم وقيل بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
عن ان يقاتلوا او صلة لحصرت او كراهة ان يقاتلوكم مفعول له ولو شاء الله لسلطهم
عليكم اي لو شاء الله ان يبتليكم بهم لابتلاكم بتسليطهم عليكم وهذا بيان القدرة
ولا يلزمه الموافقة للحكمة فانها تستتبع الوقوع دون القدرة فلقاتلوكم ولم يكفوا
عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم اي فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام
والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في قتلهم واخذهم ستجدون

اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار
اتوا المدينة واظهروا الاسلام فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم
قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها رجعوا فيها وقلبوا اخبث قلب واشنعه لضمهم
الى الغدر ونقض العهد فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم الاستسلام
والانقياد ويكفوا ايديهم عن قتالكم بالاجماع معطوفات على يعتزلوكم في حكم الجزم بلم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم لانهم لم يكفوا ايديهم عن
القتال واولئكم اشارة الى الموصوفين بدوام نقض العهد والخيانة مرة بعد
اخرى في جميع الاوقات انما يستحقون تسليط الله تعالى اياكم عليهم والجهاد
بالحجة لهذه الصفات جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم
بالقتل والسبي لظهور حالهم في الكفر والعداوة والغدر او تسليطا ظاهرا
حيث اذن لكم في قتلهم اينما اقتدرتم عليهم وما كان لمؤمن اي ليس من شانه
ولا يليق بوصف الايمان ان يقتل مؤمنا يباشر بقتله من عند نفسه بلا ايجاب الشرع
ولا رخصة منه الا خطأ مفعول له اي لا لعلة ما الا الخطا وحده او حال بمعنى
مخطيا اي لا ينبغي له قتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او صفة مصدر محذوف
اي الا قتلا خطأ وهو ما لا يصاحبه القصد الى الفعل او الشخص فما لا يقصد به
زهوق الروح غالبا من قبيل الاول لانه ما قصد الى القتل بل قصد الى الضرب وما
لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه من قبيل الثاني
لانه ما قصد الى الشخص المسلم في زعمه بل قصد الشخص الكافر والمعتبر في القصد
زعم القاصد واما غير المخطئ فالشرع لم يعتبر قصده فاعطاه حكم الخطا وقرئ
خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة
اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش
فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة
والتحرير جعل الانسان حرا كان الاعتاق جعله عتيقا والحر العتيق والكريم
لان الكرم في الاحرار كان اللؤم في العبيد وحر الوجه اكرم موضع منه والرقبة
يعبر بها عن النسمة كما يعبر عنها بالراس مؤمنة كبيرة كانت او صغيرة ذكرا كان
او انثى ودية عطف على تحرير مسلمة مؤداة الى اهله يصرف الى ما يصرف اليه تركته
فالاهل ينتظم الوصي وامين بيت المال ولم يبين الله تعالى في كتابه ما يعطى في الدية

الكفرج

ولا يبعد فيه ان ايجابها على العاقلة او القاتل وانما اخذ ذلك من السنة الا ان
يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية واصلها على القاتل وتحملها العاقلة تخفيفا عليه
وسمي العفو عنها بالتصدق حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى
اهله الا حال تصدقهم اياها عليه فهو في محل النصب على الحال من القاتل واما
انتصابه على الظرف فقيل انه مخالف لنص النحويين على منع قيام ان وما بعدها
مقام الظرف فانه مما اختص به ما المصدرية فان كان اي ان كان المقتول
من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو اي المقتول مؤمن يعني اذا اسلم الحربي
في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم ولم يعلم بايمانه ولافادة هذا التقييد
صدر الكلام بالفاء المرتبة له على ما تقدم وفيه الكفارة لا غير وهو قوله
فتحرير رقبة قيل دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون
وكان هذا القائل غافل عن العموم المذكور فيما سبق في مصرف الدية والشافعي
حمله على المؤمن المختلط باهل الحرب ويأباه قوله من قوم لانه لا يكون منهم
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ينتظم عهد الامان وعقد الذمة
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي حكمه حكم المسلم في وجوب
الكفارة والدية وتقديم الدية ههنا اهتماما بتاكيد رعاية حكم الميثاق قيل هذا
في مشركي العرب الذين كانوا بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد الى ان يسلموا
او يؤذنوا بالحرب الى اجل معلوم ومن قتل منهم وجبت الدية والكفارة ثم نسخ
بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين واما ما قيل ولعله
فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مثله فلا صحة له اما اولا فلان قوله
وان كان من قوم صريح في كون المقتول معاهدا أفلعله لم يحسب محرره واما ثانيا
فلان دية الذمي تاخذ لبيت المال اذا لم يكن له وارث ودية الحربي انما تعطى
بحكم العهد فقوله او كان له وارث مما لا وجه له فمن لم يجد اي الرقبة المؤمنة
بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها او لم توجد في ديارهم فصيام شهرين فعليه
او فالواجب صيام شهرين متتابعين توبة مصدر مؤكد اي تاب الله عليه توبة
او منقول له اي شرع ذلك توبة منه من الله صفتها وكان الله عليما بالاحوال
ويندرج فيها حال القاتل دخولا اوليا حكيما في الافعال ولعلها مما امر في شانه

ومن يقتل مؤمنا متعمدا عدل هنا عن الماضي الى صيغة المستقبل استبعادا
لوقوع هذا النوع من القتل فجزاؤه جهنم اقتصر ههنا على بيان حكمه الاخروي
لانه بين حكمه الدنيوي في سورة البقرة خالدا فيها المراد بالتخليد المكث الطويل
دون التأبيد ولهذا لم يقل ابدا لان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين
لا يدوم عذابهم وقيل انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب
وآمن ونحوه اما تخصيصه بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره فنفيه انه تخصيص
بلا مخصص فان سبب النزول لا يصلح له وهو ان مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما
قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فاخذ منهم الدية بامره عليه السلام ثم حمل على
مسلم فقتله فرجع الى مكة مرتدا اذ لا تصريح فيه بقتله مستحلا وقد تقرر
في الاصول ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ومراد ابن عباس رضي الله عنهما
من قوله لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا التشديد بدليل انه روي عنه خلافه وغضب
الله عليه ولعنه اي انتقم منه وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما لاجترائه
على الله لما كان قتل النفس المحرمة اكبر الكبائر بعد الشرك بالله بالغ فيه بان جعله منافيا
للايمان حيث قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا اي منافي وصف الايمان قتل المؤمن
ثم تنكير مؤمن اي ليس لاي مؤمن كان ثم عطف الخبر المقدم لشدة العناية بالتصريح
بالكفارة ثم بايجاب الدية والكفارة على قاتل الكافر المعاهد حرمة لها وان كان شكا في
مجرد العهد ثم بالوعيد مع التوبة بقوله وكان الله عليما حكيما لانه اعظم الاثم بطلبه به
والانقياد غفورا رحيما اعتد اذا تاب التوبة وتحملها له فحقر التوبة في جنب الاثم مع كونه
خطا لا عمدا يقع من تفريط فيما يجب عليه من الاحتياط والتحفظ بها ثم بالتهديد
العظيم والابعاد والابراق الشديد والارعاد على قتل العمد العدوان بالوجوه
المذكورة من دخول جهنم والخلود فيها واستحقاق الغضب ثم العذاب العظيم كل ذلك
تغليظ للدلالة على غلظ الامر وعظم الخطيئة يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم
في سبيل الله اذا غزوتم وسرتم الى الجهاد فتبينوا وقرئ فتثبتوا وتفعل بمعنى
استفعل الدال على الطلب اي فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقد تؤكد
الثبات بالعجلة في قوله عليه السلام التبيين من الله والعجلة من الشيطان
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم اي لمن حياكم بتحية الاسلام وقرئ السلم اي
الاستسلام والانقياد وفسر به السلم ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك

عظيما

متعوذا اوقرئ مؤمنا بالفتح من امنه اي لا يؤمنك تبتغون في محل النصب على
الحال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة اي لا تقولوا ذلك مبتغين
عرض الحياة الدنيا الغنيمة التي هي حطام الدنيا سريع النفاد فتتركون التثبت
والتفحص عن حال من تقتلونه لاجله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها
تغنيكم عن مثل هذه الفعلة الشنيعة والفا لتعليل النهي كذلك كنتم من قبل
اول ما دخلتم في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماؤكم واموالكم
من غير انتظار الاطلاع على قلوبكم ومواطاتها لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة
والتصلب في الدين والاشتهار بالايمان والتقدم فيه والفا للعطف على كنتم
فتبينوا فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم
دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكرير
الامر بالتبيين والابعاد بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا للتاكيد لتعظيم
الامر وترتيب الحكم على ما ذكر والمبالغة في التحذير عن مثل ما فعلوا اي كونوا محترزين
محتاطين مجتهدين لاعلاء كلمة الاسلام واعزاز الدين لا لطلب الغنيمة والمال فان
الله مطلع على ما في ضمائركم خبير باعمالكم وما ينبني عليها من نياتكم فيواخذكم بها فلا
تتهاونوا في القتل روي ان سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك
فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله
اسامة رضي الله عنه واستاق غنمه فنزلت ولا دلالة فيه على صحة ايمان المكره
وان ما روي ليس من الاجتهاد المعهود في شيء لا يستوي القاعدون عن الحرب
من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير فيه غير اولي الضرر
بالرفع بدل من القاعدين او صفة لهم لانه لم يقصد به قوم باعيانهم ولانه
غير قد تتعرف اذا وقعت بين متضادين وقرئ بالنصب على الحال او الاستثناء
وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه روي انها نزلت ولم يكن فيها غير
اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فنزل القيد المذكور والضرر
النقصان بدنيا كان كالعمى والعرج او ماليا كعدم الاهبة ولما كان مساق
الكلام للتحريض على الجهاد كان الاستثناء المذكور لبيان انهم غير مرادين بالتحريض
ونفي لكلفتهم بالخروج اليه لا انهم كالمجاهدين لهم في الاثابة والتفضيل

اعمى

والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين القاعدين
عن الجهاد بلا عذر وفيه تذكير بما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد
رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة نصب على المصدر وتنكيرها للتفخيم والمعنى على القاعدين
اولي الضرر نص على ذلك الامام الواحدي في الوسيط ثم قال وذلك ان المجاهدين
مباشرون للطاعة فلهم فضيلة على القاعدين من اهل العذر وان كانوا على نية الجهاد
وقصده وتفصيله ان المراد بقوله لا يستوي الى قوله وانفسهم ان بين المجاهد
والقاعدين لا لضرر بونا بعيدا وان ليس بين المجاهدين والقاعدين للضرر هذا
البون البعيد ولكن بينهم تفاوت ايضا وكان هذا المعنى محتاجا الى البيان
فبينه بقوله فضل الله وبما عطف عليه من قوله وفضل فكلتا الجملتين بيان له
لا الجملة الاولى فقط فتبين بالكلام الاول انهم مفضلون على اهل العذر درجة ثم
قال وكلا يعني المجاهد والقاعد المعذور كما نقل في الوسيط عن مقاتل وعد الله
الحسنى المثوبة الحسنى وهو الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة
العمل المقتضي لمزيد الثواب ثم بين بقوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين ان
المجاهدين مفضلون على القاعدين من غير عذر بدرجات وقوله اجرا عظيما نصب
على المصدر لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل
واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل
واحدة منها بدل من اجرا او ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربت سوطا
او سوطات اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات واجرا حالا عن درجات مقدمة
عليها لكونها نكرة وينتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما اي وغفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة
وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة وكان الله
غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يجوز ان
يكون ماضيا وان يكون مضارعا حذف التاء اي تتوفاهم الملائكة وقرئ توفتهم
بتاء التانيث على الماضي وتوفيهم على المضارع المبني للمفعول من وفيت بمعنى ان الله
تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من
مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة للمتوفين وهو خبر

غيرمع
ولكن

انا اي قالوا لهم فحذف الراجع **فيم كنتم** باي سبب كنتم على ما كنتم عليه من مخالطة
المشركين وموافقتهم ولفظة في هنا كالتي في قوله تحتنى فيه وقيل اي في اي شيء كنتم من
امر دينكم ولا ينتظر الجواب **قالوا كنا مستضعفين في الارض** اي في ارض مكة
اجابوا اعتذارا اما وتجوابه بضعفهم عن مقاومة المشركين وعدم قدرتهم
للمخالفة قبلا وعجزهم عن الهجرة ولا ينتظمه المراد **قالوا** اي تلك الملائكة ردا لهم **الم تكن**
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر فتتخلصوا عن ايدي المشركين كما فعل
المهاجرون الى المدينة والحبشة هذا السؤال الذي سبق يولان فيها هم ماتوا
مسلمين ظالمين لانفسهم في تركهم الهجرة فانهم لو ماتوا كافرين لكان التوبيخ على كفرهم
فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم المشركين وهي جملة معطوفة
على جملة قبلها مستنتجة منها **وساءت مصيرا** مصيرهم او جهنم كان الهجرة من فرائض
الاسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عليه
السلام لا هجرة بعد الفتح وكانه غافل عن هذا من قال وفي الاية دليل على وجوب الهجرة
من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه والاشارة الى قوم المذكورين على العموم
ولهذا استثنى منهم المستضعفين العاجزين حقيقة بقوله **الا المستضعفين من**
الرجال والنساء والولدان قيل لما نزلت الوعيد المذكور قال المسلمون هؤلاء اخواننا
الذين بمكة فنزلت الا المستضعفين الاية وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر
وان اريد به الصبيان فللمبالغة في امر المهاجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها
غير المكلفين لوجب عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة اذا بلغوا حتى كانها
واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وبان العجز ينبغي ان يكون كعجز الولدان وقيل
لتحقيق خروج الرجال والنساء عن الوعيد عند عدم الاستطاعة فانهم ح كالولدان
في عدم الاثم **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا** صفة للمستضعفين
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة
وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم عسى من الله تعالى دليل الوقوع لانه اطماع
والكريم اذا اطمع انجز وفي لفظ العفو ايذان بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر
من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويتعلق بها قلبه **وكان الله عفوا** بالتخفيف
عن العاجزين **غفورا** للقادرين الذين اخروا الهجرة بعد ذهابها الى نزول الوعيد

فبني

فبني الرتبة الثالثة وهم القادرون الذين تركوا الهجرة تحت الوعيد **ومن**
يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا مهاجرا يهاجر اليه على رغم من
يفارقه او طريقا يراغم بسلوكه انوف قومه المفارق هو منهم والرغم الذل والهوان
واصله لصوق الانف الى الرغام وهو التراب **وسعة** في الرزق واظهار الدين
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله قوله الى الله ذكر تمهيدا لذكر الهجرة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتنبيها على قصد اختصاصه بالله تعالى
ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبا[لنصب]
على اضمار ان والجمهور على ان هذا في الواو والفاء في غير جواب الاشياء الثمانية
ضرورة في ثم **فقد وقع اجره على الله** فقد ثبت وتحقق بموجب وعده قال ابن عباس
رضي الله عنهما لما نزلت اية الوعيد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها الى
مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لا اهتدي الطريق وكان شيخا كبيرا فحملوه على سرير متوجها الى المدينة
فمات بالتنعيم فبلغ الاصحاب رضي الله عنهم موته فقالوا لو لحق بنا لاتم الله اجره فانزل
الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا واعلم انه لا يخيب من التمس رضاه **وكان**
الله غفورا يغفر له ما كان من القعود الى ان خرج **رحيما** يرحمه باكمال المهاجرين
له **واذا ضربتم في الارض** سافرتم **فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة**
تنصيف ركعاتها والقصر رخصة عند الشافعي لان نفي الحرج في الرخصة لا في العزيمة
قلنا في الاية بيان حكم حالة الخوف فتوقف حكم حالة الامن على قيام الدليل
وقد ورد ذلك في الحديث بلفظ الصدقة ولو بني فرض الاربعة قابل الصدقة
فمن وهم ان الاية تخالف قول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان
نبيكم وقول عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة ركعتين فاقرت في السفر وزيد
في الحضر فقد وهم وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا
من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش **ان خفتم**
ان يفتنكم الذين كفروا اي خفتم ان يتعرضكم الكفار بما يكره من قتل او جرح او اخذ
والخوف شرط لجواز القصر عند الخوارج اخذا بمفهوم الاية وعند الجمهور ليس
بشرط اما عند من لم يقل بحجية المفهوم فظاهر واما عند من قال بها فلان فيها
مشروطة بعدم معارضة منطوق وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى

فكيف

كراهة ان يفتنكم ان الكافرين لكم عدوا اي اعداء فالعدو يستوي فيه المفرد والجمع
وانما قال مبينا على اللفظ فانه للمفرد في الموضع وفيه اشعار بان وصف الكفر الجامع
لهم الباعث العداوة جهة وحدتهم واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة وهي صلوة
الخوف وتعلق بالشرط المذكور من خصها بحضرة الرسول لما انها على خلاف القياس
فلا يتعدى مورد النص والجمهور على انها غير مختصة به عليه السلام فان الايمة
بعده نوابه لحضورهم حضوره فيتناولهم النص بطريق الدلالة لا بطريق القياس
فلتقم طايفة منهم معك يصلون وتقوم الطايفة الاخرى تجاه العدو واما جعلهم
طايفتين فمفهوم اقتضاء وليأخذوا اي المصلون اسلحتهم ولا يجوز ان يكون الضمير
للطايفة الاخرى لانه يتفرق الضماير فيفوتنا فوايد النظم الذي هو ام اعجاز القران
ومراعاته والتاويل الذي وقع عليه التحدي على طريقة التقدير دون التضمين مما يجب
على المفسر فاذا سجدوا اعتبر بالسجود عن الركعة فليكونوا من ورايكم اي اذا صلت هذه
الطايفة التي معك ركعة تامة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو في ورايكم تغليب المخاطب
على الغايب ولتأت طايفة اخرى هذا الاظهار دليل ظاهر على ان الضمير فيما سبق
للطايفة الاولى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك الركعة الثانية
وليأخذوا حذرهم ما يتحذرون به من العدو ومن الترس والدرع والمغفر
واسلحتهم ما يقاتلون به من السيف والرمح والقوس كذا ذكر الامام ابو منصور والذي
يناسب بلاغة القران هو انه جمع بين الحذر والاسلحة في وجوب الاخذ ايذانا للغازي
بانه يجب عليه ان يجعل التحرز آلة للحرب كالاسلحة فيجعلها ماخوذا بين جمع بينهما في الامر هنا
مبالغة في الاحتياط لانه مظنة هجوم العدو فان تنبههم بكونهم في الصلوة يكون بعد
سجودهم ذكر صلاة طايفة ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة طايفة اخرى ركعة
معه صلى الله عليه وسلم ولم يبين كيفية اتمام الطايفتين واختلف الاخبار في ذلك
واختلف باختلافها العلما فعند ابي حنيفة رضي الله عنه يتم صلاته اذا كانت ركعتين
ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بغير قراءة لانهم لاحقون ويتمون
الصلاة ثم يحرسون وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة لانهم مسبوقون ويتمون الصلاة
كذلك رواه ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم والسجود مجاز عن الركعة في ما نبهت عليه
فيما سبق لا على ظاهره ود الذين كفروا لو تغفلون اي احب الكفار غفلتكم عن
اسلحتكم وامتعتكم متمنيا ذلك فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم

شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى لم يقل او مرضى لعدم دلالته على العموم وهو المراد
ان تضعوا اسلحتكم لما كانت حالة المرض مما يشق حمل السلاح فيها وكالة المرض
مما يثقل العدو ويمنعه من خفة الحركة للقتال رخص لهم فيهما وضع السلاح وفي قوله
ولا جناح دلالة على ان الامر بالاخذ للايجاب دون الاستحباب وخذوا حذركم
امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ولما كان الامر بالحذر موهما لتوقع
غلبة العدو وقوته وان الله وكلهم الى انفسهم ولم يرد بكلامهم ازال ذلك الوهم بقوله
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تقوية لقلوبهم وتشجيعا وتبشيرا بان الله تعالى
مهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه واعلاما بان الامر بالحذر انما هو تعبد لا غلبة
بينهم وبين عدوهم مراعاة لحكم الله وسنته فاذا قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم
منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال وهو
الذكر باللسان والدعاء بالنصر فانه حال ملاقاة العدو وهو كما قال اذا لقيتم فية فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقيل اذا اردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه
وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود بسبب الجرح اي ادوها على
حسب الوسع وهذا عند اشتداد الحرب بقرينة قوله فاذا اطمانتم اي سكنت قلوبكم
من الخوف وعلى هذا التفسير لا دلالة فيه على صحة الصلاة في حال المسابقة فاقيموا
الصلوة فعدلوا وادوها تامة بطايفة واحدة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا مفروضا محدودا باوقات فلا يؤخرها بسبب الخوف فهو كالتعليل لما سبق
واما انه لا يؤخرها بسبب من الاسباب فلا دلالة عليه في الكلام فلا يكون دليلا
على وجوب ادائها في حال المسابقة والاضطراب في المعركة واما عدم دلالته على المراد
بالذكر الصلاة فظاهر وانما قال على المؤمنين لان الكلام في ادائها والايمان شرط صحته
وان لم يكن شرط وجوبها عند القايلين بان الكفار مخاطبون بالعبادات المفروضة
ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون برأي
لا تتوانوا بسبب الالم والجراح تعليل النهي فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا
يرجون فان الالم ليس مختصا بكم بل هو مشترك بينهم وبينكم ثم انهم يصبرون مع ذلك فانتم
اولى بالصبر منهم لانكم ترجون من الله الثواب العظيم في الآخرة باظهار دين الله واعزازه
وهم لا يرجونه فما لكم لا تصبرون وفيه طرف من التوبيخ والتقريع على التواني فيه وقرئ

ان تكونوا بالفتح بمعنى لان تكونوا وكان الله عليما بمصالح العباد حين دعاهم الى الجهاد حكيما
في تدابير امورهم في المبدء والمعاد انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به لتحكم بين
الناس روي ان طعمة بن ابيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان وخبأها
عند يهودي فحلف طعمة ما لي بها علم فاتبعوا اثر الدقيق الى دار اليهودي فقال اليهودي
دفعها الي طعمة واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا اليهود وشهدوا على براءة
اليهودي وجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة وشهدوا بالسرقة على اليهودي فهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان يعاقب اليهودي فنزلت بما اراك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس
من الروية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين لاجلهم والذب
عنهم وهم طعمة وقومه الذين شهدوا زورا على اليهودي خصيما للبرا وهو اليهودي
واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن
الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتها يعود عليها او جعل معصية العاصي
خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما عليها وضمير الجمع وان كان الخائن طعمة وحده ليتناول
كل خائن لعموم الحكم او لان قومه شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركا في الاثم ان الله
لا يحب يعني بعدم المحبة عن البغض في جميع الالسنة من كان خوانا مبالغا في الخيانة
بالاصرار عليها اثيما منهمكا فيه وانما اورد صيغة المبالغة فيهما تعريضا بطعمة وافراطه
في الخيانة حيث سرق ورمى بالسرقة يهوديا وحلف كاذبا فقد كان سارقا في الجاهلية
يستخفون من الناس يستترون منهم خوفا وحياء ولا يستخفون من الله اي لا يقدرون
على الاستخفاء منه تعالى اذ لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ويجوز ان يكون الاستخفا
كناية عن الاستحياء لانه من اسبابه اي لا يستحيون منه تعالى وهو احق بان يستحيى منه
وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون سرا واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول من رمي البريء
والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا اي عالما بكل وجوهه
ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر وفيه مبالغة عظيمة في التوبيخ اي مشار اليكم في الجدال بالباطل
لا يمكن ذمكم بازيد مما انتم عليه فانتم انتم لا تشهير لكم بوصف اظهر في القبح مما عرفتم
به وتعيينكم من بين سائر الناس ثم كني بالتشبيه في الاجمال باسم الاشارة والتفصيل
في بيانه والايذان بان الجدال بالباطل لا يجدي في الآخرة انما هو في الدنيا لكونها موضع
التلبيس والاشتباه ولا يغني عنهم شيئا عند الافتضاح في رؤس الاشهاد وانتفاء ما

العزيز الغفار وان دفع الفضيحة في الدنيا والعقوبة فيها فقوله جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا جملة اعتراضية مبينة لوقوع اولا خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن
يجادل الله عنهم يوم القيمة اي من يكون عليهم وكيلا محاسبا يحميهم من عذاب الله
ومن يعمل سوء قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه ثم
يستغفر الله بالتوبة وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاستغفار لا يكون نافعا الا اذا لم يؤد
الى الاصرار يجد الله غفورا لذنوبه رحيما بقبول توبته وامهاله الى ان يتوب
وفيه حث للمذنبين على الاستغفار ويدخل فيه طعمة وقومه دخولا اوليا ومن
يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اساتم فلها
وكان الله عليما به حكيما في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما فعل طعمة ووحد الضمير لمكان او
فقد احتمل اي بسبب انكار ورميه به بريئا بهتانا برميه البري قدمه لانه افظع
واحتمل ابلغ من حمل لان افتعل فيه التسبب واثما مبينا بتبرئة النفس الخاطئة وليس
فيه التسوية بين الكاسبين بل تشريكهما فيما تحملا بسبب ما فعلاه بعد الكسب
ولولا فضل الله عليك اي عصمته من الخطا ورحمته بما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم
لهمت طائفة منهم من بني ظفر او من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بان الجاني صاحبهم والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل
الى المبالغة في نفي تاثيره بتنزيله منزلة العدم وما يضلون الا انفسهم لانهم
ما ازالوك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله تعالى عاصمك وحائل
بينك وبين الخطا في الحكم وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم
ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب
القران والحكمة السنة المنقسمة الى القولية والفعلية كالحكمة وفيه تنبيه على ان
السنة التي هي احد اركان الشريعة من قبيل الوحي الغير المتلو وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من الرسالة التامة لا خير في كثير من نجواهم من تناجيهم الا من
امر الا نجوى من امر على حذف المضاف وهو في محل الجر على البدل من كثير او في محل
النصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير بصدقة او معروف
فهو عام في كل جميل شرعا او عقلا او عرفا او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين

ومن يفعل ذلك اي يامر بالخير لان الفعل كثيرا ما يطلق على العمل والامر ابتغاء مرضات
الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ويجوز ان يترتب الوعيد على الفعل تحريضا للامر بالخير
على فعله وتنبيها على ان الامر بفعله دون فعله لا يستحسن بل الامر به دليل على
ان فعله اهم وانما يوجب الثواب لافضائه اليه فثوابه تبع لثواب فعله وانما شرط
ان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات فاذا لم يقارنه النية او عرض
لصاحبه الريا والسمعة فلينسخ بل هو الى الشر واستيجاب العقاب اقرب ووصف
الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات من اعراض الدنيا في جنبه ومن يشاقق الرسول
يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين يكون في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين
له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين وغير الذي هو سبيل
الذي اتفقوا على صحته من الدين الحنيفي القيم فيندرج فيه الاجماع والاجتهاد فانه ايضا
مما اتفقوا على صحته وعلى كون الثابت به من الدين وهذا كالبيان لمخالفة الرسول صلى
الله عليه وسلم فان من اتبع الاجماع او اجتهاد مجتهد فهو موافق له عليه السلام في الحقيقة
وان كان مخالفا لظاهر الكتاب والسنة نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها اي نخذله في الدنيا ونعذبه
بالنار في الاخرة وقرئ نصله بفتح النون من الصلا وساءت مصيرا جهنم قيل تدل الاية
على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل
المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح
ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة
ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كانت اتباع غير سبيل المؤمنين لتعزير المخالفة
المذكورة دينا يفاوت به غير مسلم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء كرره لقصة طعمة واتفاقا له بما اذا اشرك بعد الايمان وليبين المشرك
غفران قال انتقال فخرج طعمة من مكة ولحق بحي بني سليم فعبد صنمهم حتى مات على
الشرك فنزل فيه الاية فتبين ان طعمة لو لم يشرك لكان في سعة رحمة الله تعالى
ان يغفر له ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي لا ينفصل تماديه في الضلال
اذ الاجمل الغش من الجهل بالله وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى على الله لانها متصلة
بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم كان افتراؤهم وهو دعوى التبني على الله عليهم
على الله وهذه في شان من ليس من اهل الكتاب ولا علم عنده فناسب وصفه بالضلال

سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم
واجبا دينا على انه لا يكون
قوله ويتبع غير ... ع

واناثا فقد تقدم ذكر الهدى وهو ضد الضلال ان يدعون من دونه الا اناثا يعني
اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويلبسونه انواع الحلي
ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ
انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل
وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون
وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا لانه هو الذي يحثهم على ذلك ودعاهم اليه
فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا عاتيا خارجا عن طاعة الله تعالى ظاهرا
شره كالغلام الامرد والشجرة المرداء التي سقطت اوراقها وظهرت عيدانها
لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
صفة اخرى له والواو للجمع اي جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع والاتخذن
وما بعده من الافعال الدالة على فرط عداوته للناس المحل المفروض المقدر اي
نصيبا فرض لي وقدر من قولهم فرض له في العطا ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم
الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
البتك القطع والتفعيل للتكثير والتكرير اي ليقطعونها لتحريم ما احله وهي عبارة
عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما
خلق كاملا بالفعل او بالقوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة
ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن رخص منه البعض كالختان بالنص ثم الفقهاء رخصوا منه خصاء
البهائم للحاجة بالتناسل واما ما هو من انواع الكفر كعبادة الشمس والقمر وكبائر الفعال
كالمواطة فقد اندرجت تحت قوله ولاضلنهم والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان
نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بمجاوزته عن طاعة
الله تعالى وطاعته وايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله تعالى به فقد خسر خسرانا
مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم
ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا باظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا اسم مكان او مصدر من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لان المصدر

لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون اسم مكان اي معدلا ولا مهربا بالغ في التنفير عن
الشرك بوجوه اولها تحقير معبوداتهم ونقصها بالانوثة وثانيها انه دعاهم وعبادتهم
اياها انما هو دعوة الشيطان وعبادته وثالثها وصف الشيطان بالمرادة واللعن
والتمنية والدعوة الى اتباع دقنون الاغواء والاجبار عن نفسه بذلك على التاكيد
القسمي ورابعها الاخبار بان ولايته توجب الخسران الظاهر خامسها تكرار اسم
الشيطان في ثلاث مواضع وترك اضماره الى اظهار اسمه الدال على البعد والطرد
وسادسها تكرار تمنيه الكاذبة والاخبار بان وعده ليس الا غرورا محضا وقوله
اياه غرورا باطلا وسابعها ان المشركين المطيعين له في الشرك وارتكاب المعاصي
ماواهم جهنم ولا يجدون منها مخلصا ثم قابل ذلك التنفير بالترغيب في الايمان
والتوحيد بقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قد تقدم تفسيره وعد الله حقا مصدران موكدان
الاول لنفسه اي وعده وعدا لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني لغيره اي وحق
ذلك حقا ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه
بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث
على سبيل الاعتراض والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد
الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اسم ليس وعد الله اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال باما نيكم ايها المسلمون
ولا بامانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل الخطاب مع المشركين ويعضده
تقدم ذكرهم ثم قرر ذلك فقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا ويدل على التعميم العاجل
قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا على التعميم جزاء وقوله
عليه السلام في جواب ابي بكر رضي الله عنه اذ قال كيف الصلاح بعد هذه الاية غفر الله
لك يا ابا بكر الست تمرض الست تصيبك اللاواء فهو ما تجزون ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه
ومن يعمل من الصالحات من للتبعيض لان المكلف لا يطيق عمل كل الصالحات والطاعة بحسب
الطاقة من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان وهو مومن حال قيد
به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لانتفاعا ولا دفعا والعمل الصالح لا يكون الا للمومن فزيادته
لبيان ان المراد من عمل صالحا وهو ثابت على الايمان ولا بد من هذا القيد في تحقيق ما اخبر به

بقوله فاولئك يدخلون الجنة ولا عبرة للايمان اقترن بالعمل الصالح ثم زاد ولا يظلمون
نقيرا لا بالنقص عن الثواب الموعود ولا بالزيادة على العقاب لعمومه فهو متعلق بالوعيد ايضا
المذكور بقوله من يعمل سوءا يجز به ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله استفهام معناه
النفي اي لا احد احسن دينا منصوب على التمييز وكنى بالوجه عن الانسان اذ كان اشرف الاعضاء
ومعنى اسلم انقاد لامره وشرعه وهو محسن جملة حالية موكدة وكون الغير احسن دينا منه
لا يستلزم بلوغه منتهى المراتب الشرعية واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على
صحتها فانه عليه السلام بعث على ملة ابراهيم عليه السلام وزيد له اشياء حنيفا مائلا عن سائر
الاديان حال من المستكن في اتبع واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وهي جملة اعتراضية فائدتها تاكيد وجوب اتباع
ملته لانه من بلغ من الزلفى والكرامة عند الله الى ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته
وبان من اتبعه كان من احسن الناس وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه
الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما
يتوافقان في الخصال ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء وقيل
من تتمة ذكر العباد الصالحين والطالحين تقرير لوجوب طاعته عليهم وكمال قدرته على مجازاتهم
على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة ووعد ووعيد ويستفتونك في النساء
في ميراثهن اذ فيه نزلت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى
عليكم في الكتاب في محل الرفع بالعطف على الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى على ان
في يتامى النساء صلة يتلى وجاز ان يكون بدلا من فيهن او ما يتلى مبتدا او في الكتاب خبره والجملة
اعتراضية او في محل الجر على القسم وفي يتامى النساء على الوجهين بدل من فيهن واضافة
يتامى الى النساء بمعنى من والكتاب على الوجه الثاني هو اللوح المحفوظ وفائدة الاعتراض
تعظيم المتلو وخاصة حكم اليتامى اي المتلو عليكم في باب يتامى النساء حكم ثبت عند الله
في اللوح حقه ان يراعى ويحافظ عليه فانه من عظائم الامور عنده كان فائدة العطف
في الوجه الاول تعظيمه بالاختصاص بالله وان حكمه حكم الله فان هذه التوطئة تفخيم شان
الموطا له وكذلك فائدة القسم في الوجه الثالث فان الاقسام بالشيء تنويه باسمه
وتعظيم لشانه اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان
تنكحوهن كان الرجل منهم يضم اليتيمة ومالها الى نفسه فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها
وان كانت ذميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها فيجوز ان يكون المعنى في ان تنكحوهن

لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن والظاهر الثاني لقوله لا تؤتونهن مالهن ولا تنكحوهن
والواو للعطف دون الحال لانه مضارع مثبت فلا يدخله الواو الا بتأويل ولا حاجة لنا به
ههنا وظاهر النص يدل على صحة تزويج الصغيرة لغير الاب والجد ولا ينافيه احتمال ان يكون
المعنى ان تنكحوهن اذا بلغن لان الاصل في المطلق ان يجرى على اطلاقه **والمستضعفين**
من الولدان عطف على يتامى النسا والعرب كانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النسا
وكذا قوله **وان تقوموا لليتامى بالقسط** عطف عليه اي ويفتيكم ان تقوموا هذا اذا
جعلت في يتامى صلة فان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز ان يكون
منصوبا اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم
او للقوام بالنصفة في شأنهم **وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** ذكر العلم بين
بعد العمل الخ وعد ووعيد واعلا اشارة وتهديد **وان امرأة** فاعل فعل يفسره الظاهر
خافت توقعت **من بعلها** لما ظهر لها من المخايل **نشوزا** تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
ومنعا لحقوقها **او اعراضا** بان يقل مجالستها ومحادثتها **فلا جناح عليهما ان يصالحا**
بينهما ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله وقرئ ان يصالحا من اصلح
بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حالا منه او على
المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او محذوف وقرئ يصالحا من اصلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او من الخصومة ومعنى كل خير
فانه ابعث على التوافق والتسالم فانهما اذا تقيدا بخالها او خيرا من الخيرات كما ان الخصومة شر
من الشرور جملة اعتراضية اكدت باعتراضية اخرى وهي قوله **واحضرت الانفس**
الشح اي لا تحاضر لها وعنادا فان النفوس مجبولة على الشح كانها الزمته وجعل حاضرة
له لا تنفك عنه فاذن هي لا تسمح كالمرأة بنفسها او بما حقوقها او بعضها فلا ينبغي
الزوج عليها وليتسامحا فان الشح كالامر الطبيعي للنفوس لما ذكر والتسامح ولا يتسابقا
ويتشاقا **وان تحسنوا** بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن **وتتقوا** النشوز والاعراض
مراعاة لحقوق الصحبة خص الخطاب بالازواج اشارة الى انهم اولى باقامة حقوقهن
والاحسان والتقوى فانهن نواقص العقول **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان
والتقوى **خبيرا** فيجازيكم عليه ويثيبكم به **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا**
حتى لا يقع بينكم زيادة ونقصان فيما يجب لهن البتة **ولو حرصتم** من جهة التكلف
ومراعاة العدالة في الحقوق فان ذلك امر طبيعي غير اختياري فرفع ذلك عنكم تمام

العدل والتسوية في الشيء وما كلفتم الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم
فلا تميلوا كل الميل الى المحبوبة المرغوب فيها عن المرغوب عنها فتمنعوها قسمتها من غير
رضى منها فانه في وسعكم **فتذروها كالمعلقة** وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة
فيه ضرب من التوبيخ **وان تصلحوا** ما كنتم تفسدون من امورهن **وتتقوا** فيما يستقبل
من مثل ذلك **وان تتقوا فان الله كان غفورا رحيما** يغفر الله لكم الماضي ويرحمكم بالتوفيق
بالعدل في المستقبل **وان يتفرقا** اي يفارق كل منهما صاحبه **يغن الله كلا من سعته** من سعة
رحمته **وكان الله واسعا** من جهة الافضال على جميع جهات الفضل والكمال **حكيما** لا يأتي
عبادة الا بما هو مصلحة وحكمة **ولله ما في السموات وما في الارض** تنبيه على كمال سعته وقدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا **واياكم** عطف
على الذين اوتوا **ان اتقوا الله** اي بان اتقوا الله او يكون ان المفسرة لان التوصية في معنى
القول واللام في الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية لان المراد ولقد وصينا الامم
السالفة كلها ووصيناكم اي هذه التوصية قديمة ما زال يوصي الله تعالى به عباده لستم
مخصوصين به فان السعادة في التقوى وفيه تفخيم لاهل التقوى **وان تكفروا فان لله**
ما في السموات وما في الارض جملة معطوفة على ان اتقوا الله لان المعنى امرناهم واياكم
بالتقوى وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان لله الخلق كله ولا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم بين بقوله **وكان الله**
غنيا عن الخلق وعبادته **حميدا** في حد ذاته حمد او لم يحمد وان خلقه العالم ليس
لحاجته ومصلحته فانه كان غنيا قبل خلقه حميدا قبل حمد الحامدين **ولله ما في السموات**
وما في الارض تكرير لبيان عظمته وغنائه وتقرير لوجوب تقواه فتقديمه على
التوصية تمهيد لعظمته ومالكيته وكونه اهلا لان يتقى ويطاع والثاني لبيان غناه
وتأكيد للاول في تقرير معناه والثالث تقوية لما ذكر من كونه حميدا لبيان ان الكل
وكون الاشياء كلها في طاعته وتحت عبادته فلا يضره كفركم **وكفى بالله وكيلا** اعراضه
مؤكد لمالكيته ومربوبيته الكل بيان انه لم يكل امورهم الى غيرهم فعليهم ان يطيعوه
ويتوكلوا عليه وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وفيما بعده تخويف
وتهويل شديد وايعاد وتهديد بليغ لاعدائهم **ان يشأ يذهبكم ايها الناس** اي يفنكم
ويهلككم كما اوجدكم وانشأكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب **ويأت باخرين**
ويوجد قوما اخرين مكانكم بدلا منه عليه السلام ويؤمنون به والخطاب لمن يعاديه

منهما عن صاحبه
وكفا المرء بدونهم

من كفار العرب وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا اذ لا يمتنع شيء على
قدرته وارادته ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر
سلمان وقال انهم قوم هذا اي ابنا فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يطلب الغنيمة
بجهاده فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فلا وجه لارادته فعند الله ثواب الدارين فما له
يطلب الاخس ويترك الاشرف وفي الحديث ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي
الاخرة على نية الدنيا فان الاشرف يستتبع الاخس دون العكس فمن جاهد لوجه الله
لم تفته الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة بجنبه كلا شيء فليطلب خيرهما وكان الله
سميعا باحاديث نفوسكم بصيرا بنياتكم وارادتكم في اعمالكم وفيه وعيد لمن وقف
مع هوى نفسه واختار الاخس الفاني ووعد لمن اخلص وجهه لله تعالى وطلب الاشرف
الباقي يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ملازمين للعدل الذي اي القيام بها
شهداء لله لوجه الله وهو خبر ثان او حال لانهم مامورون بكونهم قوامين بالقسط مطلقا
فلا وجه لتقييده بحال الشهادة ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان
تقروا عليها فان الشهادة بيان الحق سوا كان على نفسه او على غيره او الوالدين والاقربين
اخرى ولو بسلاك طريقة الترقي لكان قوله ان يكن اي المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا
تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا للغناء او ترحما للفقير فالله اولى بهما
اي بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجزا
اقيمت مقامه والضمير في بهما ليس للمذكور اعني احد الجنسين حتى يلزم افراده بل لما دل
عليه المذكور اعني مجموع الجنسين فان في اشتراط احد الامرين دلالة على وجودهما في الجملة
وبهذا القدر من البيان لا يتم الكلام في هذا المقام بل لا بد من بيان وجه العدول عن
الظاهر وجعل الجنس دون المذكور وهو انه للتصدي الى تعميم اولويته وان لا يتوهم انها
بالنسبة الى الواحد فقط وقراة ابي بهم شاهد على ارادة الجنس فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق على ان يكون علة
للنهي وطلب الترك اي انهاكم عن اتباع الهوى ارادة لعدلكم او كراهة لعدولكم وان تلووا
السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا اي وان وليتم احدهما
من اقامة الشهادة والحكومة او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او عن الحكومة بالعدل
فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا امنوا دوموا على
الايمان بالله ورسوله والخطاب للمسلمين او امنوا بقلوبكم كما امنتم بلسانكم والخطاب

للمنافقين او امنوا ايمانا عاما بجميع الكتب والرسل فان الايمان بالبعض مع انكار الباقي
كلا ايمان والخطاب للمومنين من اهل الكتاب ويشهد له انه روي ان ابن سلام واصحابه قالوا
يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
التفصيل في قوله والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القران فانه انزل منجما ولهذا قال
نزل بخلاف سائر الكتب والكتاب الذي انزل من قبل اريد به الجنس وفي ذكر المنزل عليه
في الاول بوصف الرسالة والاضافة الى نفسه تعالى ما لا يخفى من التشريف والتعظيم
له عليه السلام ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن
يكفر بشيء من ذلك وفي التعبير عنه بالوجه المذكور تنبيه على ان الايمان بتلك الجملة
في حكم الايمان بشيء واحد فالكفر ببعضه في حكم الكفر بكله فقد ضل ضلالا بعيدا
عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا
ثم ازدادوا كفرا يعني المنافقين اذهم المتلاعبون بالدين بالكفر مرة بعد اخرى في الافراد
على النفاق وافساد الامر على المومنين ويدل لذلك ما بعده بشر المنافقين اظهارا لحالهم
واخبارا عن مالهم لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس في عادته تعالى ارادة المغفرة لهم ولا
ليهديهم سبيلا لان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق وخبر كان في امثال هذا
محذوف تعلق به اللام اي لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
وضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين
في محل النصب على الذم لا النعت لوجود الفاصل ولا يرتكب حيث لا ضرورة او في محل الرفع على
الذم ايبتغون عندهم العزة الهمزة للانكار اي كيف يطلبون العزة عند من ضربت
عليهم الذلة ثم بين امتناع حصول مطلبهم بحصر العز في اولياء الله تعالى مع التاكيد بان
وجميعا بقوله فان العزة لله جميعا اي فما العزة الا لاولياء الله تعالى الذين امرهم بعزة
وكتب لهم العز كما قال ولله العزة ولرسوله وللمومنين لا يوبه بعزة غيرهم بالاضافة
الى عزتهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القران والخطاب للمومنين والمنزل عليهم ما نزل
بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
وقرئ نزل والقيام مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة من الثقيلة والمعنى
انه اذا سمعتم ايات الله وهذا في الطريقة قولهم سمعت فلانا يقول فالمسموع ههنا
استهزاوهم بايات الله تعالى لا الايات يكفر بها ويستهزا بها حالان من الايات
والاولى تمهيد للثانية تنظيما لامر الاستهزاء بالقران وانما جي به لتقييد النهي في الحالة

في قوله فلا تقعدوا معهم الضمير لما دل عليه قوله يكفر بها من الكفرة حتى يخوضوا
في حديث غيره اي غير ما خاضوا فيه والخوض الشروع وحتى غاية للنهي وانما جعل
غاية الخوض في حديث غيره دون السكوت عنه لانه لا يدل على الفراغة عنه بخلاف
الخوض بحديث اخر انكم اذا مثلهم اي اذا اكتنتم معهم فانتم مثلهم في الوزر لانكم
قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه لان خوض
المنافقين فيه كفر ومكث هولاء معهم معصية اذ عدم انكارهم عليهم لا يدل على الرضى وعلى
تقدير تسليم الدلالة عليه فالرضا بكفر الغير ليس بكفر اذا لم يكن مع استحسان له وتخصيص
الخطاب بالمنافقين لا يناسبه السباق ولا يقتضيه اللحاق على ما ستقف عليه ان شا الله
تعالى واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذا لم يذكر بعدها الفعل وافرد مثلهم
لانه كالمصدر او للاستغنا بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البنا لاضافته الى مبني
قيل لما نزلت هذه الاية وكانوا اذا خاضوا في ذلك قام المخلصون فعلم بذلك المنافقون
فكانوا يكثرون الخوض فيه قصدا الى تفريقهم ومن ههنا ظهر وجه انتظام قوله ان
الله جامع المنافقين والكافرين اي جامع لذينك الفريقين في جهنم وقوله جميعا لاحاطة
افرادهما وسياق الكلام لذم المنافقين وموجب ذلك ان لا يجتمع المذنبون من مخلصي
المومنين مع الكفار فيها وذلك بخروجهم قبل ان يدخلوا الذين يتربصون بكم
ينتظرون تجدد حالكم وهذا بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين خاصة
او ذم مرفوع او منصوب وجوز ان يكون مبتدا والخبر قوله فان كان لكم فتح من الله
وفيه ضعف لنبو المعنى عنه ولزيادة الفا في خبرها لان هذا الموصول غير
ظاهر التشبه باسم الشرط قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة
وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال وانما سمى غلبة المومنين فتحا وغلبة
الكفار نصيبا تعظيما لشان المومنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر اهل الاسلام
امر عظيم تفتح له ابواب السما حتى ينزل النصر على اوليائه واما غلبة الكفار فما هي الا حظ
دني كدار الوقع قالوا الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم
فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلا ولهذا جا بالواو على اصله كما جا استروح واستصوب
ونمنعكم من المومنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا
في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني ان
ما في حقهم من الامن في الدنيا استدراج لهم لا امهال الا رحمهم والفا السببية للدلالة

على ان الحكم الموعود عليهم لا لهم ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا ح او في الدنيا
والمراد بالسبيل الحجة ولا تمسك فيه لاصحاب الشافعي على فساد شرا الكافر المسلم
ولا الحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
سبق الكلام فيه في اوايل سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى بضم الكاف
وفتحها جمع كسلان اي متثاقلين كالمكره على الفعل يراءون الناس ليخالوهم مومنين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله
وهو يريه استحسانه ويراءون منصوبا على الحال من ضمير قاموا ولا يذكرون
الله الا قليلا لاشتغالهم بامور الدنيا وتفاكهم عليها انما عطف على يراءون ولما كان
من ضميره قيل اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله ويا باه العطف
بالواو ودفع حته التعطف بالفا مذبذبين بين ذلك مترددين بين الكفر والايمان
من الذبذبة وهو جعل الشي مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد كالمن ضمير يذكرون
او يراءون او منصوب على الذم وقرئ بكسر الذال اي يذبذبون قلوبهم او دينهم
او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا
تارة في دبة واخرى في دبة وهي الطريقة لا الى هولاء ولا الى هولاء لا منسوبين
الى احد الفريقين بالكلية وفي ذمهم بهذا الوجه دلالة على ان النفاق اخبث من
الكفر الصرف ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب اعتراض لبيان
ان تلك الذبذبة من الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اوليا
من دون المومنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل ظاهر على النفاق
والمراد الانكار والتعريض ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهي الطبقة
التي في قعر جهنم وهي اشد عذابا ولذلك يقول الكافرون ربنا ارنا اللذين اضلانا
من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين والنار سبع دركات سميت
بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وانما كان المنافق اخبث الكفرة حيث
ضموا الى الكفر استهزا بالاسلام وخداعا للمسلمين وكذلك استحقوا اشد العذاب
واما قوله عليه السلام من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم
من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان فمن باب التغليظ وقرئ في الدرك
بسكون الرا وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد

لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من احوالهم واسرارهم
في حال النفاق واعتصموا بالله تمسكوا وثقوا به كما يثق المؤمنون الموقنون واخلصوا
دينهم لله بالبراءة عن الرياء وتخصيص العبادة به تعالى وابتغاء وجهه بالطاعات فاولئك
مع المؤمنين اي اصحابهم ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيساهمونهم فيه ويشاركونهم في الاجر ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم انكار
لانتفاعه تعالى بعذابهم اي منزه عن الاغراض التي انما يعذب الملوك لاجلها لا يتشفى به
من غيظ ولا يدرك به ثارا ولا يستجلب به نفعا ولا يستدفع ضرا كما يفعل الملوك لان الغني
المطلق الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما العذاب بمقتضى حكمته فان شكرتم نعمته
باستعمالها فيما يجب وتوسلتم بها الى معرفته وامنتم به فقد ابعدتم استعدادكم عن استحقاق
العقاب وكان الله شاكرا يثيبكم بابتغاء اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم انما قدم الشكر
على الايمان لان اعظم الشكر هو الاستدلال بالنعمة على المنعم الموصل الى معرفته ثم استعمالها
في طاعته والاستدلال مقدم على الايمان لا يحب الله الجهر بالسوء من القول انما ذكره هذا الكو
مع انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء مطلقا لانطباقه بسبب النزول روي ان رجلا اضاف قوما فلم يطعموه
فاشتكاهم فعوتب في الشكاية فنزلت الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم وذكره
بما فيه من السوء فالاستثناء متصل وقرئ ظلم على البناء للفاعل على انه منقطع اي ولكن الظالم
يجهر بالسوء فاعلا ما لا يحبه الله او على البدل من الفاعل اي لا يحب الظالم على لغة من يقول
ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وكان الله سميعا لقول المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا
طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء خص العفو بالذكر مع انه يلزم
القسمين لكونه المقصود على اي وجه كان وذكر ابداء الخير واخفائه تسبيب له ولذلك
رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا يكثر العفو عن العصاة مع القدرة على الانتقام
فعليكم ان تقتدوا بسنته وتتخلقوا باخلاقه فختم العفو بجملة صفته تعالى وبالحث على
الاتصاف به وتعظيم صاحبه بانه سميه ان الذين يكفرون بالله ورسله قوله بالله توطية
لرسله بدليل قوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بالايمان والكفر بالرسل
والمراد بالتوطية بيان ان الكفر بالرسل كفر بالله فالتفريق خطا ظاهر اذ لا واسطة بين
الكفر والايمان ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر وما في ادل

الاية ان الكفر بالبعض كفر بالكل وصرح به في اخرها بقوله اولئك هم الكافرون على سبيل
الحصر بتوسيط الضمير وتعريف ما بعده اي الكاملون في الكفر وبالتاكيد بالمصدر فان قوله
حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا
محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اراد الاهانة في الغاية والا معلوم وان العذا
لا يكون الا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم وقسما
وقد سبق وجه دخول بين على احد في اخر سورة البقرة اولئك سوف يؤتيهم اجورهم
الموعودة لهم وتصدير بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كاين لا محالة وان تاخر وقرئ
يؤتيهم بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما بتضعيف حسناتهم
يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود اذ قالوا ان كنت صادقا
فاتنا بكتاب من السماء جملة كما قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة
واحدة وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما كانت التورية او كتابا الينا باعياننا
كما قال بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة او كتابا نعاينه حين ينزل كما قالوا لن نؤمن
لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب لشرط محذوف
دل عليه يسالك اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك اي عللك في الابنا
اسوة ولهم في ذلك سابقة وانما قال فقد سالوا والسائلون اسلافهم لانهم على طريقة
واحدة وورثوها كابرا عن كابر فهم واياهم قوم واحد على مذهب واحد في التعنت وغرضهم
راسخ في ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نراه جهرة عيانا او مجاهرين معاينين له
فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
في السؤال والاقدام لاقتراحه على استحالة المسؤول ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية لانها انما اتت بعد ذلك فعفونا عن ذلك اي
تابوا فعفونا فان القضية يرشد اليه قوله في سورة البقرة ثم عفونا عنكم واتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب
اي باب ايليا سجدا متطامنين عند الدخول رؤوسكم وقلنا لهم على لسان داود عليه السلام
ويجوز ان يكون موسى عليه السلام فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ في زمن
داود عليه السلام لا تعدوا في السبت وقرئ لا تعتدوا وتعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت
التاء في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم

متعلق بمحذوف اي بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وكذا فعلنا بهم من تحريم
الطيبات عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم وحذف لدلالة ما بعده عليه واما بقوله
حرمنا والعذر نابع ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وما عطف عليه
وما مزيدة للتاكيد وتحقيق ان تحريم الطيبات عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم لم يكن الا
بنقض العهد وما يتبعه من الكفر بالايات وقتل الانبيا عليهم وغير ذلك والفا فصيحة
عاطفة على محذوف تقديره ثم نقضوا الميثاق فبسبب نقضهم الميثاق فعلنا بهم ما فعلنا
وكفرهم بايات الله بما في كتابهم وقيل بالقران وفيه انه حقه ان يؤخر عن قوله **وقتلهم**
الانبيا بغير حق قد سبق تفسيره في سورة البقرة **وقولهم قلوبنا غلف** جمع اغلف اي مغشاة باغطية
خلقية لا يصل اليها ما يجي من الذكر والموعظة **بل طبع الله عليها بكفرهم** رد لما قالوا اي
لم يخلق قلوبهم غلفا بل طبع الله عليها وختم لكفرهم فابطل استعدادهم **فلا يؤمنون**
الا قليلا ايمانا قليلا لا يعبأ به لنقصانه ويجوز ان تكون القلة كناية عن العدم وقد
سبق وجهها في سورة ال عمران واما ما قيل المعنى الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام فيأباه
التفريع على ما تقدم **وبكفرهم** يعني بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب
الطبع او على فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون
تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى عليهما السلام ثم بمحمد صلى
الله عليه وسلم **وقولهم على مريم** يعني نسبتها الى الزنا والتولد اذا اعتقدي يعطي بكون يعني
الافترا ونصب **بهتانا** على تضمين معنى باهتين وقوله **عظيما** تاكيد لما في تنكير بهتانا
من التفخيم **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله** قالوه استهزا كما قال
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يكون استينافا بان يضع الله
الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما يذكرونه
به وعيسى بدل من المسيح او عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز ان يكون صفة
ايضا واجاز ابو البقا في رسول الله هذه الاوجه الثلاثة الا ان البدل في المشتقات
قليل وقد يقال ان رسول الله جرى مجرى الجوامد **وما قتلوه وما صلبوه** تخصيص
بعد التعميم لكونه محل الاهتمام او نفي لما ظنوه من انهم قتلوه او صلبوه **ولكن**
شبه لهم مسند الى الجار والمجرور كانه قيل وقع لهم التشبيه او الى الضمير المقتول
المدلول عليه بقوله انا قتلنا كانه قيل شبه لهم من قتلوه روي انه دخل رجل من
اليهود بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه

السلام فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق لا يستبعد في زمان النبوة وقيل
ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت
اليهود على قتله فاخبر الله تعالى بانه يرفعه الى السما فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى
عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد
بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم **وان الذين اختلفوا فيه**
في شان عيسى عليه السلام وذلك انه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال
بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان
الله تعالى يرفعني الى السما انه رفع الى السما وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت
لفي شك منه من امره والمراد من الشك التردد ولما احتمل ان يكون الوقوع في الشك
لاكثرهم دفعه بقوله **ما لهم به من علم** شي من جنس العلم **الا اتباع الظن** استثنا
منقطع والمعنى انهم مستمرون على الشك لكن قد يلوح لهم امارة فيحصل لهم ظن ثم يزول
ويعود الشك وهذا ادل على شدة الحيرة من استمرار الشك بلا انقطاع هذا ما يحسب
جليل النظر والذي هو حسب دقيقه ان المراد من الشك ما يلزمه من الحيرة التي لا يحصر
لمنتهاها وعبارة في الدلالة على الثبوت والتقرير انما يساعد هذا **وما قتلوه يقينا**
صفة مصدر محذوف اي وما قتلوه قتلا يقينا او حال اي وما قتلوه متيقنين فيما
ادعوا من قولهم انا قتلنا المسيح او تاكيد لما قتلوه كانه قيل وما قتلوه حقا اي
حق انتفا قتله حقا وهو تاكيد لنفي **بل رفعه الله اليه** رد وانكار لقتله واثبات
لرفعه الى منزلة عالية مما كان فيه **وكان الله عزيزا** لا يغلب على ما يريد **حكيما**
في تدابيره ويدخل فيه دخولا اوليا ما دبر في امر عيسى عليه السلام **وان من اهل**
الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود
اليه الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي ما من يهودي ولا نصراني الا ليؤمنن
قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه بان عيسى عليه السلام
عبد الله ورسوله ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون
لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلتهم الايمان به قبل
ان يضطروا اليه ولا ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه السلام والمعنى

انه اذا انزل من السما امن به اهل الكتاب والملل جميعا فتكون الملة واحدة وهي
ملة الاسلام وهذا يقتضي تخصيص اهل الكتاب بالذين هم يوجدون عند نزوله عليه
السلام وتعميم الحكم لغير الكتابي ايضا فعلى ما ذكر يكون في المنزل تخصيص في موضع
التعميم وتعميم في موضع التخصيص **ويوم القيامة** تقديمه للتخصيص **يكون عليهم شهيدا**
فيشهد على اليهود بالتفريط في حقه وعلى النصارى بالافراط فيه **فبظلم من الذين هادوا**
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الاية
والتنكير في بظلم للتعظيم وتقديمه على ما تعلق به يفيد التخصيص **وبصدهم عن**
سبيل الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا انما اعيدت الباء هنا دون في والخدم
وما بعده للفصل بين المعطوفين بما ليس معمولا للمعطوف عليه بخلاف الفصل
فيما بعده فان الفاصل ثمة بالعموم للمعطوف عليه **واخذهم الربا وقد نهوا عنه**
اي يفيد تحريمه بدلالة السياق فلا دليل فيه على ان النهي المطلق يدل على التحريم **واكلهم**
اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة **واعتدنا للكافرين منهم** دون
من تاب وامن **عذابا اليما** في الغاية **لكن الراسخون في العلم منهم** كعبد الله بن سلام
واصحابه **والمؤمنون** اي منهم والمهاجرين والانصار **يؤمنون بما انزل اليك وما انزل**
من قبلك خبر المبتدا **والمقيمين الصلاة** نصب على المدح لبيان فضيلة الصلوة ٥
او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبيا عليهم السلام اي يؤمنون بالكتب والانبيا
وقري بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك
والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة **والمؤمنون بالله واليوم الاخر** قدم
عليه الايمان بالانبيا والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود من الاية
اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح **انا اوحينا**
اليك كما اوحينا الى نوح بدا به عليه السلام لانه اول من شرعت له الشرايع
وسنت له السنن **والنبيين من بعده** جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم ان ينزل عليهم كتابا من السما
واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبيا **واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق**
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع
اشتمال النبيين عليهم لان ابرهيم عليه السلام اول اولي العزم وعيسى عليه السلام
اخرهم والباقون اشراف الانبيا ومشاهيرهم وانما لم يذكر موسى عليه السلام ههنا
لان له طريقة مخصوصة بالوحي على ما سياتي التصريح بها وايضا قد اوتي كله كتاب

من السما جملة واحدة فلا يناسب ذكره في الرد على ما طلب من مثل ذلك **واتينا داود**
زبورا وقري زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور **ورسلا** منصوب بمضمر دل عليه اوحينا
او بما فسره **قد قصصناهم عليك من قبل** هذه السورة او اليوم **ورسلا لم نقصصهم عليك**
وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى عليه السلام من بينهم
قوله تكليما لدفع المجاز قال الفرا العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل
ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق به لم يكن الا حقيقة الكلام **رسلا مبشرين ومنذرين**
منصوب على المدح او على التكرير للتاكيد او على الحال الموطئة كقوله مررت بزيد رجلا
صالحا **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ومن قال وفيه تنبيه
على ان بعثة الانبيا عليهم السلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح
والاكثر عن ادراك كلياتها فلم يثبته لعدم مساعدة الاقتصار على التبشير والانذار
لذلك فان الاصح ذكر بيان الاحكام كما لا يخفى على ذوي الافهام واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر
حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة **وكان الله عزيزا** ٥
لا يغالب فيما يريد **حكيما** فيما دبر ويدل فيه تدبيره في النبوة وتخصيص كل نبي من
الانبيا المذكورين بما خص به ولا اوليا **لكن الله يشهد** استدراك عما دل سؤالهم
فانه لما احتاج عن انزاله عليهم انزال الكتاب من السما تعنتا واحتج عليهم ان طريق الوحي
المنزل على جميع الانبيا عليهم السلام على هذا الاسلوب دل على انهم لا يشهدون به
والاكثرين لا والوجهه ولم يتعينوا فقال لكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله
يثبته ويقرره **بما انزل اليك** من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا
اوحينا اليك الاية قالوا ما نشهد لك فنزلت **انزله بعلمه** حال اي ملتبسا بعلمه جملة
منتشرة او ورد متينا بالاستشهاد اي بعلمه الخاص وهو العلم بتاليفه على وجه يعجز عنه
كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه
الناس في معاشهم ومعادهم وعلى يكون الحال عن المفعول وعلى الاولين على الفاعل
والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك **وكفى بالله شهيدا** اي وكفى بما اقام من الحجج
على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره **ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**
قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق

في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا بانكار نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وظلموا انفسهم بالضلال وغيرهم بالصد والاضلال لم يكن الله ليغفر لهم
اي ليس في عادته تعالى المغفرة لهم ما داموا على ذلك ولا ليهديهم سبيلا لامتناعهم
عن قبول ذلك الا طريق جهنم لانجذابهم اليها بهواهم او لا يهديهم يوم القيامة الا
طريقها خالدين فيها ابدا اجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات
على الكفر فهو لا يخرج من النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا
لا يستصعبه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق الباء
للتعدية اي بالكتاب او الدين الذي هو الحق او للمصاحبة اي متلبسا بالحق من ربكم
لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس
عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على عدمها فآمنوا خيرا لكم
اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم مما انتم عليه وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض اي فان الله تعالى غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم لان له ما في
العالم كله فحذف الجزاء واقيم تعليله مقامه وعبر عن العالم بسماويه وكان الله عليما
باحوال العالم حكيما فيما دبر له •

سورة الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد باعتبار انه المستجمع
لجميع صفات الكمال وغيره ونعامة نعوت الجلال والجمال ونبه على استحقاقه له باعتقاد
انه مالك العالم واثاره الجسام ايضا احمدا وليحمد لكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السموات دون الارض مع انها مثلها في التعدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة
على ما ورد في الاخبار دون الارض وانما دلالة اثارها وحركاتها على تعددها
فبناؤها على اصول فلسفية باطلة وقدمها لا لتقدمها وجودا لانه على خلاف ما ورد
في الاخبار الصحيحة على ما سرينا انه في تفسير سورة البقرة بل لشرفها وعلو مكانها
وعبر عنهما باعتبار انهما اظهر في العالم من جميع الاجسام لطيفها وكثيفها كما عبر
بالظلمات والنور عن جميع الاعراض محسوسها بالبصر وغايبها عنه وجعل الظلمات
والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل المتعدي الى مفعول واحد ان الخلق فيه
معنى التقدير والتسوية والجعل المذكور فيه معنى التعلق والارتباط بالغير بان يكون
فيه او منه او اليه لا بان يصير اياه • لانه معنى آخر للجعل فانه يتعدى الى مفعولين

ولهذا اي ولكون الارتباط بالغير معتبرا في معناه اثره فيها تحقيقا لما في الظلمة والنور
من معنى القيام بالغير وتضمينا للرد على الثنوية بتقدير عدم صلاحيتهما للقيومية
وجمع الظلمات دون النور لاختلاف اجناس ما غاب عن البصر اختلافا فاحشا بحسب
اختلاف مظاهره من القوى الظاهرة والباطنة بخلاف النور وقدمها لتقدم جنس
الغايب عن البصر ظهورا فانه يظهر للانسان وهو جنين ولا يظهر له ما يدرك بالبصر
ما لم يولد ولرعاية المناسبة لما تقدم ثم الذين كفروا يعني بالاخرة على ما افصح عنه
قوله تعالى والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون عطف على خلق وفي ثم معنى
استبعاد ترك الايمان بعد ان قام عليه البرهان كانه قيل احصل ما اوجب توحيده من خلق
السماء والارض وما بينهما بناء على انه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا بربهم يعدلون
حذف المفعول حفظا على الفواصل تقديره يعدلون غيره اي يشركون به واصل العدل
المساواة اي ساووا بين الله تعالى خالق العالم وبين اصنامهم العاجزين عن الخلق ثم ان
هذا العطف ليس على قصد انه صلة اخرى او بعض الصلة بل على قصد انه من الروادف
لتلك الصلة فهذا احسن كلمة الاستبعاد دون كلمة التشريك وتضمنها انه يحصل انها
للتشبيه في قولنا ما تاتي فاكرمك انقطع عنه علقة التشريك فلم يكن في معنى الحمد
لله الذي عدلوا به ولتضمنه البشارة بالاشارة الخفية لطفه وقضائه حلمه زاد وجه
ذلك الايراد حسنا ولطافة ويجوز عطفه على الحمد لله والمعنى انه تعالى حقيق بالحمد على
ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه فيكفرون نعمته وحذف
صلة يعدلون ايقاعا للانكار على نفس الفعل ووضع المظهر به موضع الراجع الى الموصول
تنبيها على انه خلق هذه الاشيا اسبابا لتكونهم وتعيشهم فحق حقه ان يحمد عليها ولا
يكفر ومعنى ثم على هذا الوجه استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك هو الذي خلقكم
من طين اي خلق اصل مادتكم وهو الاغذية التي تتكون منها النطفة او مادة اصلكم و
هو ادم عليه السلام كاينة من طين والتباعد بين الخلق الصوري والتقدير
المعنوي قال ثم قضى اجلا نوع من الاجل يحتمل التجاوز عنه واجل الحتم لا يحتمل ذلك وعلى
ذلك قوله مسمى اي مثبت معين وقد افصح عن هذا التفصيل قوله تعالى ويؤخركم الى
اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون على ما نقف على ما بين الفاصلتين من
الواصلة المعنوية في تفسير سورة نوح والذي عبر عنه ثمة باضافة الاجل الى الله
تعالى هو المعبر عنه ههنا بقوله عنده اي ثبت تعيينه ثم اخبر بان ذلك التعيين عنده

حسبما يلوح به التنكير وكون ذلك الاجل مبهما نظرا الينا ذكر منكرا وانما قدم وهو
نكرة على خبره فهو ظرف لنا صل بينهما انما هو مخصص له ثم انتم تمترون الامتراء التردد
في المتقابلين ماخوذ من مري الضرع اي مسحه والفرق بينه وبين الريب والشك
قد مر بيانه في تفسير قوله تعالى لا ريب فيه والامتراء فيما ذكر حقيقة الا انهم
لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في الموت وانما ذكر ثم مع زيادة الالتفات في انتم
تنبيها على زيادة الاستبعاد فان دلالة الكلام على دليلي المبدا والمعاد على المراد وان كانت
ظاهرة الا ان ما يؤخذ مباديه من الانفس اقرب الى الناظرين مما يؤخذ مباديه من
الافاق فكانه قيل خلقتم من جماد لا حظ له من الحيوة وعشتم مرة فكيف تشكون مع ذلك
وتترددون في امر البعث باعادة تلك الحيوة الزائلة وهو اهون من الاحداث ابتدا
وهو الله الضمير له تعالى والله خبره في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله تعالى
اي هو المستحق للعبادة فيهما لا غير او هو المتوحد بالالوهية فيهما لا غير ويجوز ان يتعلق
الظرف بقوله يعلم ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم
اذا كنت خارجه والصيد فيه او بالمصدر وهو بمعنى المفعول فليس بمقدر بحرف مصدر
وصلة حتى يلزم تقدم صلته عليه والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويجوز ان يكون
الظرف مستقرا وقع خبرا بمعنى انه تعالى عالم بما فيهما كانه فيهما والجملة الفعلية الواقعة
حالا من ضمير الاستقرار في الظرف بيان وتقرير له سركم باطنكم اي نفوسكم وجهركم
ظاهركم اي ابدانكم وعلى تقدير الظرف بالفعل المذكور يكون المعنى يعلم نفوسكم المفارقة
في السموات ونفوسكم المقارنة لابدانكم في الارض ويعلم ما تكسبون بالقوى
النفسانية والجوارح البدنية لانه تعالى خالق والخلق كاسب ولما كان منتفي العلم
بذلك كونه خالقا له وهو مظنة الاشتباه حتى ضل كثير من الناس اعاد الفعل اهتماما
لتحقق ذلك المنتفي ولما اثبت المبدا مع ما يتوقف عليه البداءة من التوحيد ثم اثبت
المعاد مع ما يتوقف عليه الاعادة من العلم بين ثبوت النبوة بشهادته واوعد
المنكرين بقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق دل عليه
وقوع اية في سياق النفي والثانية للتبعيض كانه قيل وما تاتيهم بعض من الايات
اي بعض كان فلا منافاة بين هذا التبعيض والاستغراق والايات هي المعجزات التي ظهرت
لهم واسنادها الى الرب للتعظيم والتنبيه على انه مبادرة عنه تعالى تصديقا للنبي
صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين تاركين لها غير ملتفتين اليها لكونهم غير

مبالين

مبالين بالعواقب وفي العدول عن صيغة الفعل وزيادة كان دلالة على شدة اعراضهم
وقوة ثباتهم فيه وزيادة تمرنهم عليه فقد كذبوا كلام كاللازم لما قبله اي اذا اعرضوا
عن الايات كلها فلا عجب فقد كذبوا بما هو اعظم الايات كلها او اجلها وهو الحق لما جاءهم
اي القران الذي تحدوا به فعجزوا عن الاتيان بمثله وكانه لوضوحه معلوم عند
الكل ان الحق هو لا يحتاج الى تسميته وعلى هذا اسعف الابهام في انباء ما كانوا لتعظيم
القران وتفخيم شانه اي سيعلمون باي شي استهزؤا او ينكشف لهم انه لم يكن في موضع
استهزا فسوف ياتيهم يعني ان الاتيان كناية عن الاحاطة والاوان تاخرها فبذلك تاكيد
الوعيد وتنبيه لان الاتيان كونه متاخرا انباء ما كانوا به يستهزءون اخبارهم استهزؤا
على تجديد الاستهزاء به حينا فحينا تارة بنسبته الى السحر والكهانة واخرى الى الشعر
واساطير الاولين ان هو الا ذكر وقران مبين وتتعلق نباه بعد حين والمراد من اخبار
ما فيه من الوعد الصادق والوعيد للمنكرين اجلا وعاجلا وهذا افهم غاية العصيان
ونهاية التمادي في الطغيان حيث اعرضوا عما هو اية بينة اولا وكذبوا ثانيا وتمردوا
به ثالثا ومن الرحمن زيادة فضل واحسان اذا اخرهم الى حين ولم يعاجلهم بالعذاب
المهين شد عليهم النكير وهددهم ثم خاطبهم بالموعظة والتذكير بقوله الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون
اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الشمس وهو اعلاها
واول ما يبدو منها وقال الزجاج عندي القرن اهل كل مدة كان فيها نبي او طبقة من العلماء
قلت السنون او كثرت والتقدير موجود قوله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني يعني اصحابي
ثم الذين يلونهم يعني التابعين ثم الذين يلونهم يعني تابعي التابعين مكناهم في الارض
اي اثبتناهم فيها ممكنين ايا هم او ابقيناهم فيها كناية عن طول عمرهم كان تمكينه كناية
عن بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ من مكن له اي جعل له مكانا فكانه
قال اثبتناهم ما لم نوت لكم ما قرب منه والالتفات للتنبيه والتمييز بينهم وبين المحكي عنهم والخطاب
لاهل مكة وارسلنا السماء عليهم مدرارا السماء هو المظلة والمراد او المدرار هو المطر او السحاب
فلا بد من التجوز في المسند اليه او في الاسناد والمدرار المفعال يستوي فيه المذكر والمونث
معناه كثير الدرور وجعلنا الانهار لم يقل واجرينا الانهار جريا على تجري قرينة السابق لان
النهر انما يطلق على الماء حال كونه جاريا فليس له ان يجري وان لا يجري وهو نفس تعلق الماء النازل
من السماء او السحاب فانه قد يحبس وقد يطلق وهو هو وانما صدر بالواو الدالة على الاستقلال

دون القاء لان المقام مقام تعداد النعم العظام وفي ضمنه الاشارة الي ان الانهار اراد بها
لا يلزم ان يكون من الامطار فانهم عند الاعتبار تجري من تحتهم خص هذا الوصف بالذكر
لانه مما يتفاخر به الناس الا يري الي قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فاهلكناهم
بذنوبهم الفاء فصيحة تفصح عن محذوف تقديره بطرت معيشتهم كما ورد في قوله تعالي
وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وانشانا من بعدهم تحقيق لامر الوعيد بتسهيل
شان الاهلاك فان من قدر علي انشاء القرون لا يتعاظم عنده اهلاك بعضهم بذنوبهم
وفي عبارة الانشا الاشارة الي انهم قد لغوا من صلحهم واستوصلوا الطريق احد من نسلهم
ويعضد ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال ان الله تعالي
ليرسل ونشا او يعذب فيها الخير نسلا قرنا اخرين يعمر بهم بلادهم وكما صار الوعيد آية
تعالي كما يقدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشي مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده فقدر ان
يفعل مثل ذلك بكم قيل جماعة من قريش قالوا يا محمد لن نومن لك حتي تاتينا بكتاب من عند الله
ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فنزلت ولو نزلنا
عليك ترك ههنا معني اي تذكير معني اخبر كتابا مكتوبا في قرطاس ورق لم يتعرض علي
رويتهم الكتاب عيانا في قرطاس بل زاد عليه التقييد بقوله فلمسوه تقوية للادراك البصري
بالادراك اللمسي مبالغة في الظهور وليس فيه دفع ما عسي ان يقولوا سكرت ابصارنا
وما نزل من السما يخيل اذ باللمس انما يندفع احتمال كون المري مخيلا واما نزوله من السما فلا يثبت
به ثم ان اللمس ابلغ من المس لان اللمس مس باحساس والمس لصوق فقط ولذا اثر اللمس عليه بايديهم
انما قيد به لان اللصوق بالاحساس يكون بجميع الاعضا ولليد خصوصية في الاحساس ليست
في سايرها واما التجوز باللمس عن الفحص كما في قوله تعالي وانا لمسنا السما فلا يندفع به اذ لا بعد
في ان يكون ذلك بيانا لمباشرتهم للفحص بانفسهم بل يندفع بكون المعني الحقيقي انسب للمقام
ولما سيق له الكلام لقال الذين كفروا اعدل عن الظاهر حيث لم يقل لقالوا تنبيها علي ان
هذا انما هو لكفرهم ويجوز ان يكون تعريف الموصول للعهد والمراد به اشخاص باعيانهم
توغلوا في التعنت والعناد علي وفق ما ذكر في سبب النزول فيكون التوصيف بيانا للسبب
تعنتهم هذا ان هذا الا سحر مبين توصيف السحر بالمبين في مقابلة توصيف المنزل بكونه
ملموسا بايديهم فكانهم عارضوا تاكيده البليغ في الاظهار بتاكيدهم التوغل في الانكار وهذا
دليل غاية عنادهم ونهاية خبثهم وفسادهم وقالوا لولا انزل عليه ملك
يخبرنا انه نبي ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان المانع من انزاله

مقترحهم كالقضا الاتمام والالزام والمعني لم امرهم لوجوب العذاب بعد ذلك وهذا لانهم
لا يومنون ولو نزل عليه الملك كما اخبر الله تعالي به في قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتي وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا وسنة الله تعالي في الكفار قد جرت علي
انه متي اقترحوا اية فاجيبوا فظهرت ثم لم يومنوا استوصلوا بالعذاب كما افصح عن ذلك
انزل المايدة ولكن الله تعالي اراد استبقاهم به تعظيما للنبي كما اخبر به في قوله تعالي وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم ثم لا ينظرون اي لا يمهلون ولا يمهلون قال قتادة لو انزلنا ملكا ثم
لم يومنوا لعجل لهم العذاب ولم يوخروا طرفة عين يعني بعد عدم ايمانهم لا بعد نزول العذاب
وفي لفظ ثم اشارة الي انهم مهل الاقتدار بنا ملوا فيما تردد فيومنوا بالاختيار والاختبار
او بالالجاء والاضطرار فانهم هذا الاعتبار ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه اي لمثلناه
رجلا كما مثل جبريل عليه السلام دحية وذلك لان ابصار عامة البشر لا يقدرون علي النظر
الي صورة الملك للطفه وضعف شعاع ابصارهم جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا
انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شا ربنا لانزل ملايكة واحتمال ان يكون جوابا ثانيا علي ان
الضمير للملك المقترح انزاله بيانا علي ان جعلناه ملكا فان المناسب حينئذ ان يقال ولو انزلنا
ملكا لجعلناه رجلا وانما لم يقل بشرا مع انه المناسب لمقابلة الملك تضمينا للكلام معني
لا بد اعلي اصل المرام وهو الاشارة الي ان شان الرسالة البراة عن النقصان ولا بد من رعايته
علي التقدير المذكور حتي لا يصح ان يكون الرسول المفروض في صورة المراة ولا في صورة صبي
ولما كان تفصيل ما ذكر انه لا ينفع لهم فيما سالوا الا نزاد اذا كان في صورة رجل لا يعلمون انه ملك
ولا يجدي نفعا في دفع شبهتهم اتجه ان يقال يجوز ان يكون له اثار الملك في صورة الرجل
فيندفع الاشتباه بذلك تدورك دفعه بما مرجعه الي انه لا بد من الالتباس والاشتباه
كيلا يفوت حكمة التكليف وقوله وللبسنا من تتمة الجواب وقري بالامين علي تقدير من
شرط الحذو وقري بلام واحدة علي العطف وبالتشديد فيهما للمبالغة عليهم ما يلبسون
اي خلطنا عليهم ما يخلطون علي انفسهم الان فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم ثم ذا التسلية
له صلي الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبيا عليهم السلام اسوة وتنبيها لنا علي
ان قولهم ذلك علي سبيل الاستهزا والاحمق عقلا يعلمون ان رسول قوم لا يكون الا من
جنسهم ولقد استهزي برسل من قبلك فحاق اي احاط بسبب ذلك الاستهزا بالذين
سخروا منهم والمراد بالاهلاك من احاطه العذاب وتحقق لا يستعمل الا في الشر منهم تنبيه
علي ان ضرر سخريتهم لا يتعدي انفسهم وهو ممدود لدود التعود الاتي وان ههنا لكون الا انفسهم

ما كانوا به يستهزءون من العذاب الذي كان الرسل يخوفهم بنزوله فلا يجوز الا في الانشا
ولا في المسند اليه لما ذكر اهلاك المستهزئين المكذبين امر بالسير في الارض للاعتبار بحالهم
من مساكنهم فقال قل سيروا في الارض الى ان تنتهوا ديار قوم نزل بهم العذاب لما اخبروا
واعتبروا ولما كان في هذا السير المامور به من الامتداد جي بكلمة التراخي في قوله
ثم انظروا فان النظر وان لم يكن متراخيا عن السير باعتبار الانتهاء ولكنه متراخ عنه باعتبار
الابتداء واما قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا فالسير المراد من الارض فيه ما هو المشهور
من ارض قوم نزل العذاب بساحتهم فجي بحرف التعقيب تنبيها على ان السير انما امر به
لاجل النظر فحقه ان لا يتاخر عنه وما قيل معناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها
من المنافع وايجاب النظر في اثار الهالكين ونبه في ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب
والمباح يابا سلامة الذوق لان المقام امر اجنبي وهو بيان اباحة امر السير للتجارة
بين الاخبار عن حال المستهزئين وما يناسبه ويتصل به من الامر بالاعتبار باثارهم
مما يخل بالبلاغة اخلالا ظاهرا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى
بعذاب الاستيصال وانما عبر عنهم بالمكذبين دون المستهزئين اشارة الى ان مال الامر كذا
اذ كان كذلك فكيف الحال فيما لا مزج بينه وبين الاستهزاء قل لمن ما في السموات والارض
الزام وتبكيت لانهم لا يقدرون ان يضيفوا خلقهما وملكهما الى غيره تعالى ولذا لا عقبه
بقوله قل لله تقريرا لهم اذ لا خلاف بيني وبينكم في ذلك وفيه انهم مع كونهم معترفين بذلك
على ما افصح عنه قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله تغافلوا في الجواب
فانتفى الالجاء من كونهم محجوجين فنزل ذلك عليهم كتب على نفسه الرحمة في الدارين
اي التزمها تفضلا واحسانا لا لاذ انه اوجبها على نفسه بمقتضى حكمته وهذا استعطاف
منه تعالى للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل في العقوبة
ويقبل الانابة والتوبة ليجمعنكم من الجمع بمعنى الحشر ولذلك قال الى يوم القيمة
اي الى واقعتها في موقفها كيوم بدر استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم كانه قيل وما
تلك الرحمة فقيل هي انه تعالى يجمعكم الى يوم القيمة وذلك لانه لولا خوف الحساب
والعذاب لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط فتقدير العقاب في العقبى
من اعظم اسباب الرحمة في الدنيا فلك ان تقول بين بقوله كتب على نفسه الرحمة كمال
رحمته بالامهال ودفع عذاب الاستيصال بعد ما تقدم بيان كمال قدرته بقوله
قل لمن ما في السموات والارض ليتبين من اول الامر انما له ذلك عن رحمة لا عن عجز

ثم بين بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم انه يمهل ولكن لا يهمل بل يحشرهم
ويحاسبهم على النقير والقطمير لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم نصب على الذم
او رفع عليه او مبتدا خبره فهم لا يؤمنون والفا للسببية فان الخسران بتضييع راس
ماله وهو نور الفطرة يوجب الاصرار على الكفر وله ما سكن في الليل والنهار لما ذكر
ان له ملك ما حوى المكان من السموات والارض ذكر ان له ما حوى الزمان واشتمل عليه
الملوان وكل واحد من الزمان والمكان وان كان مستلزما للاخر لكن التنصيص عليهما
ابلغ في مقام التمدح والبسط وقدم المكان لانه اقرب الى العقول والافهام من
الزمان والظاهر انه استيناف اخبار وليس مندرجا تحت قل وسكن من السكنى وهو
يتعدى بفي كما يتعدى بنفسه يقال سكنوا الدار وسكنوا فيها لا من السكون على الاكتفا
باحد الضدين عن الاخر لانه لا يناسب البسط الظاهر قصده من تفصيل ظرفي المكان
والزمان وهو السميع العليم وعيد للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله
اتخذ وليا انما ادخل همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل لان الانكار يتوجه الى اتخاذ الغير
وليا لا الى اتخاذ الولي مطلقا ولا دخل في ذلك لتقديم المفعول لانه لازم لادخال همزة
الاستفهام فكان ثابتا تبعا له وانما عبر عن المعبود بالولي لان اول درجة العبادة تخص
اتخاذه وليا فكان تنبيه الخ فاطر السموات والارض مبدعهما وجر على الصفة لله فانه
بمعنى الماضي وفي رفعه قراءة فقط ويجوز ان يكون بدلا ويرجحه ان الفصل بين المبدل منه
والبدل اسهل من الفصل بين المنعوت والنعت بناء على ما هو المشهور من ان البدل على تكرار
العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح والجملة تقرير لانكار اتخاذ غير الله تعالى وليا
وتعليل له وكذا قوله وهو يطعم ولا يطعم اي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع
وخصوص الطعم غير ملحوظ بل هو من باب تنزيل الشي منزلة كله وقرئ ولا يطعم بفتح اليا
وعكس الاول على ان الضمير لغير الله تعالى وتغليب اولي النهي لان فيه انكار ان تصلح
الاصنام الالوهية بطريق الاولى والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض
ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية وبناهما الاول على ان الثاني من الطعم بمعنى استطعم
او على انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى اي وهو الباسط القابض بحسب الحكمة والمصلحة
كقولك هو يطعم وهو يعطي ويمنع قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي صلى الله
عليه وسلم سابق امته في الاسلام وهذا على طريق التعريض بالاسلام كما يامر الملك
رعيته بامر ثم يتبعه بقوله انا اول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله ولا تكونن من المشركين

عطف على معنى قوله قل اني امرت فانه بمعنى قيل لي كن اول من اسلم فلا حاجة الى تقدير قيل اي
لا تكونن اي امرت بالمسارعة الى الاسلام ونهيت عن الشرك ولتعلق الامر بالمسارعة
دون نفس الاسلام لم يؤكد تاكيد النهي المتعلق بنفس الشرك وقيل يجوز عطفه على قل
ويرد عليه ان سلامة النظم تابى عن فصل الخطابات التبليغية بعضها عن بعض بخطاب
ليس منها قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم الشرط معترض بين الفعل
والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة والانبيا عليهم السلام وان كانوا معصومين
عن الكفر الا انه قد يفرض اذا تعلق به غرض صحيح من المبالغة في قطع اطماعهم والتعريض
لهم بانهم عصاة مستوجبوا العذاب فلا دلالة في الاية على انه صلى الله عليه وسلم
كان يخاف على نفسه الكفر من يصرف عنه اي العذاب وهذا ابلغ لتضمنه معنى ان
يقال اذ انصراف العذاب رحمة من الله سواء كان الصارف هو او غيره فان فيه تنبيها
على ان الغير كالشفعاء اذا كانوا صارفا العذاب عن العصاة لكن صرفهم ذلك باذن الله
تعالى يومئذ وقرئ يصرف مبنيا للفاعل على ان الضمير فيه له تعالى ويعضده القراءة
بالاظهار ومناسبة والمفعول به محذوف لظهوره مما قبله او يومئذ على ان يراد منه
هوله فلا حاجة الى تقدير المضاف وفي عبارة الصرف تنبيه ونظير هذا قوله صلى
الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه يعني بالاشترا
المذكور ووجه ذلك ان اختلاف العنوان يكفي في صحة الترتيب والتعقيب وذلك ان تعلق
ان الرحمة سبب للصرف سابق عليه على ما لوح اليه حيث اوثرت بصيغة الماضي وصيغته
مستقبل وان الترتيب باعتبار الاخبار عنهما وذلك اي صرف العذاب عنه وهو مستحق له
الفوز المبين ظهور الفوز بنوعه او بازدياد الاستحقاق المعتبر فيمن صرف عنه العذاب
وان يمسسك الله بضر الضر وهو سوء الحال اخص من الشر المقابل للخير وانما خصه
بالذكر لشدة الحاجة فيه الى الكشف فلا كاشف له فلا مزيل له عنك الا هو وان
يمسسك الله بخير حذف جوابه لدلالة جواب مقابله عليه ثم اكد الجوابين بقوله فهو
على كل شيء فقال فهو على كل شيء قدير فلا يقدر غيره على خلافه وهو القاهر فوق عباده
تعني الفوقية ههنا تصوير القهر والعلو بالغلبة والقدرة لا بالجهة وفي القهر معنى
زائد ليس في القدرة لا بالجهة وهو منع غيره عن بلوغ المراد وهو الحكيم في امره وتدبيره
اياهم الخبير باحوالهم وخفاياهم قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا يا محمد
لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد

اشارة الى ان الاية فيمن يستحق
بالعذاب فقد رحمه رحمة
هي ذلك العرف مع

لك

لك انك رسول الله فنزلت والشيء يطلق على كل موجود وقد مر تفصيله في تفسير سورة البقرة
ووضعه موضع شهيد للمبالغة في التعميم قل الله هو الجواب ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم
كرر البين ولم يقل بيننا للايماء الى معنى التفصيل المترتب على الشهادة المقبولة ويجوز ان
يكون الجواب الله شهيد فهو على الاول للتلقي من اثبات التوحيد الى اثبات النبوة بان
هذا الشاهد الذي هو اكبر شهيد لي بايحاء القرآن وعلى الثاني من الاسلوب الحكيم
لان الوهم لا يذهب الى ان هذا الشاهد يحتمل ان يكون غيره تعالى بل الكلام في انه هل يشهد
لنبوته ام لا واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن والخطاب لكفار مكة
والقيف بهم ما يصح ان يشتر واته ولذلك خص الانذار بالذكر ومن بلغ في موضع نصب عطفا
على مفعول لانذركم به اي ومن بلغه هذا القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين
ممن وجد وسيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم كل من بلغه الى يوم
القيامة واما انه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه الى يوم القيمة فلا دلالة فيه عليه الا عند
من قال بحجية المفهوم ويجوز ان يكون في موضع رفع عطفا على الضمير المستكن في لانذركم
وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير اي ولينذر به من بلغه القرآن ائنكم لتشهدون
ان مع الله الهة تقرير لهم مع انكار واستبعاد ولما كان تلك الالهة جمادا وخشبا اجري
مجرى المفرد تحقيرا لها فوصفت بما يوصف به المفرد وقيل اخرى قل لا اشهد شهادتكم بان
معه الهة قل انما هو اله واحد اي قل انما اشهد ان لا اله الا الله وانني بريء مما تشركون امر اولا
بان يخبرهم بانه لا يوافقهم بالشهادة ولا يلزم من ذلك افراد الله تعالى بالالوهية فامر به
ثانيا ثم امر به ثالثا بان يخبرهم بالبراءة من اشراكهم وهو تاكيد لما قبله الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه يعني اليهود والنصارى يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته
الثابت في الكتابين معرفة حقة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من
المشركين واهل الكتاب بتضييعهم ما يكتسب به الايمان من النور الفطري فهم لا يؤمنون
لما عرفت من السببية المستفادة من الفاء انه لا يلزمها السببية بل يكفي ان يكون تماما
لازما للاخرى كما في قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى
وغير ذلك او كذب باياته بالقرآن او بالمعجزات وانما جاء باو مع كونهم جامعين بين
الكذب والتكذيب تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس
لا ظلم فوقه انه لا يفلح الظالمون تحاجهم الشان مع ان الاجمال والتفصيل والتنبيه

حذامع

على ان الظالم اذا لم يفلح فكيف من لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب
بمضمر حذف تهويلا للامر ومبالغة في التخويف تقديره كان ما لا يدخل تحت الوصف والحشر
السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ثم نقول للذين اشركوا وقرئ يحشرهم ثم يقول
بالياء فيهما اين شركاؤكم سؤال توبيخ وانما اضيف الشركاء اليهم لانه لا شركة في الحقيقة
بين الاصنام والمعبود بحق وانما اوقع عليها اسم الشريك بمجرد تسميتهم لها شركا
فاضيف اليهم بهذه النسبة ويعضده التعبير عن اعتقادهم بالزعم فانه كالعلم في
الباطل ولا يخفى ما فيه من التهكم الذين كنتم تزعمون انهم شركاء الله حذف المفعولان لدلالة
سياق الكلام عليه وهذا السؤال ظاهر في غيبة الشركاء وقوله تعالى وما نرى معكم
شفعاءكم الذين الى قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون نص فيها فلا وجه لما قيل يجوز ان يحضروا
ويشاهدوا ولكن لما لم ينفعهم الحضور ولم يكن فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كانهم
غيب عنهم وهو ابلغ من التوبيخ اذ وجودهم اضر من العدم واما ما قيل يجوز ان يحال
بينهم وبينهم ليتفقدوهم في ساعة الشفاعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيرد عليه انه ينكشف
الحال عندهم ويعلمون انه لا منفعة لهم في الهتهم بالمرة فلا احتمال للتفقد ثم لم تكن
فتنتهم جوابهم وانما سمي فتنة لانه معذرتهم التي توهموا ان يخلصهم بها من قولك فتنت الذهب
اذا خلصته وقيل كفرهم والمراد عاقبته الا ان قالوا وقرئ يكن بالياء التحتانية وفتنتهم
بالنصب على ان الاسم ان قالوا وقرئ تكن بالتاء الفوقانية والنصب على تقدير ان قالوا
اي ثم لم تكن فتنتهم الا مقالتهم وهذا احسن من اعتبار التانيث في الخبر وقرئ بالتاء الفوقانية
والرفع على الاسم والله ربنا ما كنا مشركين كذبوا وحلفوا مع علمهم بانه لا ينفع
حيرة ودهشا وقرئ ربنا بالنصب على النداء او المدح انظر كيف كذبوا على انفسهم
بنفي الشرك عنها وضل عنهم يحتمل ان يكون عطفا على كذبوا فيدخل في حيز انظر ويحتمل ان
يكون اخبارا مستانفا فلا يدخل في حيزه ما كانوا يفترون اي غاب عنهم ما كانوا يفترونه
من الشركاء اي يفترون الهيته وشفاعته ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران
روي ان جماعة من كفار قريش استمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول
محمد فقال ما يقول الا اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية وكان صاحب
اخبار وروايات وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو ما يستر الشيء كالغطاء ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه الكلام المذكور اي منعناهم ان
يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا الاكنة في القلوب والوقر في الاذان مثل في نبو قلوبهم

ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ومما قيل لما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى
اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ يرد عليه انهم ما عجزوا عن ادراك
اللفظ المسموع بل عما دل عليه مما هو في سبب النزول انما عجزوا عن ادراك اللفظ المطبوع
الحامل للخواص والمزايا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم ولا بد من
من تخصيص الاية بغير الحجة دفعا للمخالفة بينه وبين قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم من
السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين حتى اذا جاؤك يجادلونك حتى هي التي تقع بعدها
الجمل والجملة بعدها هي الشرطية ويجادلونك في محل الحال وجوابا لشرط يقول الذين
كفروا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والعناد مع وضوح الايات
ويجوز ان يكون حتى هي الجارة واذا جاؤك في موضع الجر فلا يكون له جواب اي
حتى وقت مجيئهم ويقول الذين تفسير ليجادلونك ان هذا الا اساطير الاولين
الاساطير الاباطيل الواحدة الاسطورة بالضم والاسطورة بالكسر وجعل اصدق الحديث
خرافات الاولين غاية التكذيب ويجيء الاساطير جمع اسطار جمع سطر بالتحريك بمعنى
الخط والكتابة وعلى هذا ينطبق ما روي عن النضر فيما سبق واما السطر بالسكون فجمعه
على اسطر وسطور وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول واتباعه والايمان
به وينأون يبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم وان كانوا يظنون
انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ترى اذ وقفوا من وقفه اي حبسه لانه
قال في موضع اخر ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يحبسون والقران
يفسر بعضه بعضا وضمنه معنى الاطلاع ودل على ذلك قوله على النار والمعنى اذ وقفوا
مطلعين على النار وقرئ على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا وانما حذف الجواب تهويلا
اي لو تراهم حين يقفون عليها حتى يعاينوها او يطلعون عليها وهي تحتهم ادير خلوقها
فيعرفوا مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا لا يدخل تحت الوصف فقالوا يا ليتنا نرد
تمنوا الرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين قرئ بنصب
نكذب ونكون باضمار ان بعد الواو لا على جواب التمني لان الواو لا تقع في جواب الشرط ولا
ينعقد ما قبلها وما بعدها شرط وجواب وانما هي واو الجمع تعطف ما بعدها
على المصدر المتوهم قبلها والافعال الثلاثة متمناة على سبيل الجمع بينها لا ان كل
واحد متمنى على حدة اذ التقدير يا ليتنا يكون لنا رد مع انتفاء التكذيب وكوننا من المؤمنين

او واو الحال على ان تدخلها حال من الضمير في نرد اي يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من
المؤمنين وقرئ برفعهما عطفا على نرد فيكونان داخلين في التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع
الى ما تضمنه التمني من الوعد او على الاستئناف ونصب الثاني عطفا على مصدر متوهم مقدر
من الجملة السابقة ويكون ان مضمرة بعد الواو والتقدير يكون منا رد وكون من المؤمنين
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني اي ظهر
لهم في صحفهم وشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم
فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا الى الدنيا لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا
استئنافا وعطف على انهم لكاذبون لا على لعادوا ولا على لما نهوا اذ حق قوله وانهم لكاذبون
ان يؤخر عن المعطوف او يتقدم على المعطوف عليه ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة
وما نحن بمبعوثين الى الحشر والجزاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للتوبيخ والسؤال
كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه ضمن الوقف معنى العرض ولذلك قال على
ربهم والمعنى اذ عرضوا على ربهم موقوفين وقد اتضح عن هذا المعنى قوله تعالى وعرضوا على
ربك صفا وقوله تعالى اذ المجرمون موقوفون عند ربهم وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم
او جزائه او عرفوه حق التعريف وجواب لو محذوف كما مر قال اليس هذا بالحق استئناف
كأنه قال قائل ماذا قال لهم ربهم فقيل قال والهمزة للتقريع والتوبيخ من الله تعالى
على التكذيب وانكار البعث والجزاء الذين سمعوا حديثه وقالوا اما هذا اعني والاشارة الى
البعث والجزاء قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بسبب كفرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله بالبعث وما يتصل به من احوال
الآخرة حتى اذا جاءتهم الساعة القيامة وحتى غاية لكذبوا لا لخسر فان خسرانهم لا غاية
له والكلام فيها وفيما بعدها بين الجملة كما مر في حتى اذا جاؤوك بغتة فجأة وهي مجيء الشيء
بسرعة من غير خطور ببالك حال اي باغتة او مصدر لانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا
تعال فهذا اوانك والحسرة شدة الندم على ما فرطنا قصرنا مع القدرة على عدم التقصير
فيها اي في الحياة الدنيا اضمرت لانها معلومة وان لم يجر ذكرها او في الساعة اي في شأنها
والايمان بها كما في قوله فرطت في جنب الله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم من قال
بالميزان اذا اعتقد وزن الاعمال وادعى حصول الثقل لها يوم الجزاء فليس له ان يقول انه
تمثيل لثقل اوزارهم والمعنى انهم يتأسفوا عذاب ذنوبهم مقاساة من يحمل ثقلا على ظهره

لانه مظنة الانكار كما ذكر والجملة حال من الضمير في قالوا الا ساء ما يزرون اعتراض
والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يزرون وزرهم او الذي يزرونه وساء على
وزن فعل متعمد تقديره ساءهم وما الحياة الدنيا اراد بالحياة الدنيا اعمالها المخصوصة
بها بحيث لا يظهر اثرها في الحياة الاخرى ولذلك قال الا لعب ولهو فان مطلق اعمالها
المخصوصة الشاملة للعبادات ليس كذلك ومن هنا ظهر وجه السلوك الطريق المجاز
شبهت اعمال الدنيا باللعب واللهو لقلة جدواها وسرعة زوال منافعها او لانه يلهي الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا
وللدار الآخرة خير للذين يتقون ايراد لام الابتداء واثبات ما فيها للذين يتقون والتأكيد
بقوله افلا تعقلون اشعار بان ما سوى اعمال المتقين لهو ولعب يشتغل به من لا يعقل
وان العاقل هو الزاهد في الدنيا وقرئ ولدار الآخرة على الاضافة اي دار الآخرة وقرئ
تعقلون بالتاء على الخطاب للمخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه
قد هنا من باب استعمال اللفظ في نقيضه للمبالغة لانه بمعنى تكثير الفعل وزيادته كما
تستعمل ربما لذلك كانه ايماء الى انه كلما يغمهم من وقوع مرات الفعل وزيادته بالنسبة الى
ما يراد منه قليل ويقوى به تفخيم الفعل وكونه ابدا ضمير الشان ولام الابتداء في المعلوم
المفيد للاعتبار به وتحقق وقوعه ليلزم من كثرة وقوع المعلوم كثرة العلم به ومن
دوامه دوام العلم ليحزنك وقرئ بفتح الياء وضمها من احزن الذي يقولون اي كثيرا
ما نعلم حزنك من قولهم ساحر كذاب او كاهن وامثاله فتسل والله عن حزنك فانهم
لا يكذبونك المراد بنفي تكذيبه صلى الله عليه وسلم استعظام تكذيبه بجعله تكذيب الله
تعالى لا نفيه حقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون بل يكذبون الله تعالى ويجحدون آياته
والاستهانة بكتابه فتكذيبك تكذيبه ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالظلم
وان جحودهم متسبب عن تمردهم وافراطهم في الظلم والالتفات في اسم الله تعالى ببيان
لعظم ما ارتكبوه والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب وقرئ لا يكذبونك بالتخفيف من
اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ومعنى كذبه جعله كاذبا في زعمه روي ان
ابا جهل كان يقول لما نكذبك وانك عندنا لصدوق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد
كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التكذيب ومنافع ذوي
التكذيب ودلالة على ان المعنى ما تقدمنا فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم
فتأس بهم واصبر كما صبروا وان مع الصبر النصر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء الى وعد النصر

للصابرين ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
الآيات الثلاث ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي بعض انبائهم وما كابدوا من مصابرة اعدائهم
ويجوز ان يكون الفاعل ضميرا يعود على ما دل عليه المعنى من الجملة السابقة اي ولقد جاءك
هذا الخبر من تكذيب اتباع الرسل للرسل والصبر على الاذى الى ان نصروا ومن نبإ في موضع الحال
وذو الحال ذلك الضمير وان كان كبر شق وثقل عليك اعراضهم عما جئت به فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض فتطلع لهم آية او سلما في السماء فتأتيهم
بآية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وجوابه فان استطعت محذوف اي فافعل
اي انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه وتهالكه على اسلام قومه والشرطية جواب الشرط
الاول وفي الارض صفة نفقا او متعلق بتبتغي وكذا في السماء صفة سلما او متعلق بالفعل ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن لم يشأ فلا تتهالك انت على ايمانهم فلا تكونن من الجاهلين من الذين
يجهلون ذلك ويرومون خلافه اي لا تحرص على ما لا يكون ولا تجزع في مقام فان ذلك من داب
الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون اي لا يستجيب دعوتك الى الايمان الا الذين يسمعون فيفهمون
ويتدبرون دون الموتى وهؤلاء الذين تحرص على ايمانهم موتى كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى والموتى
استعار الموتى للجهال لانهم ابطلوا حياة القلب فالذين لا يسمعون انما لا يسمعون لان قلوبهم موتى
بالحقيقة يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان وانت لا تقدر على اعلامهم ثم اليه يرجعون
للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه مع كثرة ما انزل عليه من الآيات لعدم اعتدادهم
بها عنادا كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات او آية مما اقترحوها قل ان الله قادر على ان ينزل وقرئ
بالتشديد على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية ان جحدوها اخذهم العذاب وهو من
لوازم الآيات الملجئة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله تعالى قادر على انزالها ولكن ينزل على
مقتضى حكمته وما من دابة في الارض اي تستقر فيها وما اريد به تخصيصها لمقابلتها بينها وبين
قرينها المقابل فان بعض الطيور يتحرك في وجه الارض الا انه لا يستقر فيها ولا طائر وقرئ
بالرفع على المحل يطير بجناحيه تصوير لتلك الهيئة الغريبة الدالة على كمال القوة الباهرة والحكمة
مقام بيان كمال قدرته تعالى وقيل انه لقطع مجاز السرعة وقيل للتعميم ويرد عليهما انه لو قيل
ولا طائر في السماء لكان اظهر في افادة ذينك الامرين اظهر مع ما فيه من رعاية المناسبة
بين القرينتين بذكر جهة العلو في احدهما وجهة السفل في الاخرى الا امم امثالكم محفوظة
احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك بيان كمال قدرته وشمول علمه
وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم على المعنى جمع تعويه

للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي مصحوبة بمن التي تفيد الاستغراق ولما دل بهما
على كمال قدرته واحاطة علمه وعدم غفلته عما فرطتم بين الانكار بقوله ما فرطنا وقرئ بالتخفيف
في الكتاب اي ما اغفلنا وما اهملنا في اللوح المحفوظ من شيء مما لم نكتبه ولم نثبته اي شيء كان
فلا بد من كتابة اعمالكم وعقائدكم واحوالكم ثم الى ربهم اي الى ربنا القادر لا الى غيره يحشرون
كلهم فيجازيهم وانما اجريت مجرى العقلاء لاطلاق الامم عليهم او غلب العقلاء لكونهم المقصود
ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر او مفعول به على تضمين فرط معنى اهمل او اغفل والمقصود
ان من يضبط احوال الدواب والطير كلها واعمالها فينصف بعضها من بعض كما روي انه
يأخذ للجماء من القرناء ويجازي كلها كيف يهملكم سدى وقيل حشرها موتها ويرد ان الحشر
بعث من مكان الى آخر وتعديته بالى تخصيص على هذا المعنى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم
في الظلمات خبر ثالث كناية عن عمى البصيرة ناظر الى عمي في قوله تعالى صم بكم عمي وهذا ابلغ اذ
جعلت الظلمات ظرفا لهم وجمعت لاختلاف جهات الضلالة من الكفر والجهل والعناد
والتقليد ولما خفي من الدلائل القاطعة على ربوبيته وقدرته وعظمته ووجوب التفطن
لما وعد عليه والاقرار به وبالحشر فالمكذبون بآياتنا صم لا يسمعون كلام المنبه فيستنبطوا
ويجيبوا دعوتكم ولا ينطقوا بالاقرار بالحق خابطون في ظلمات انواع الضلالة فلا يهتدون لذلك
ولا يتأملون ولا يتفكرون فيه ثم اكد ما ثبت من شدة جهلهم وغيهم والاحتجاج بقوله من يشا
الله يضلله اي اذا اراد ضلالهم من اهل الطبع والختم ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يشا يجعله
على صراط مستقيم كان الظاهر ان يقول ومن يشا هداه وانما عدل عنه لان هدايته تعالى هي
ارشاده الى الهدى غير مختصة ببعض دون بعض بل عامة للكل قل ارايتكم اخبروني لما كان العلم
سبب الاخبار وضع طلب العلم موضع طلب الخبر فصورته استفهام ومعناه الامر المشترك بهما
في الطلب والكاف لخطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل لها من الاعراب والمفعول متعلقا والتو
محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم
او اتتكم الساعة هولها اغير الله تدعون تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام
آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع
وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم
وتنسون ما تشركون اي آلهتكم التي تشركونها به تعالى لما ركز في العقول انه القادر على
كشف الضر دون غيره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم
الشا فيحة اي كذبوا فكفروا الرسل فاخذناهم والاخذ الامساك بقوة وهو المراد مبالغة

العقوبة والملامة بالبأساء اي البؤس والشدة كالقحط والجوع والضراء الضر والآفات وهما
صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن الذنوب فان البلاء
يلين القلوب فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معنى نفي التضرع في ذلك الوقت مع قيام الداعي
وعدم المانع وذلك انه لما جاء بلولا التحضيضية الداخلة على الماضي للندم دلت على انه
لا مانع لهم من التضرع الذي اقتضاه الحال ولما كان التضرع من لين القلب كان المعنى لم يتضرعوا
ولم يلينوا فاستدرك بقوله ولكن قست قلوبهم فالاستدراك عن كلام غير ملفوظ بل مدلول
عليه معنى وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني لا مانع لهم من التضرع الا قسوة قلوبهم
وشدة شكيمتهم في عنادهم واعجابهم باعمالهم التي زينها لهم الشيطان فلما نسوا ما ذكروا به
من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينزجروا فتحنا عليهم ابواب كل شيء الحاصل بكل
شيء للتكثير دون التعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء والفتح المذكور تعبير عن تيسير مطالبهم
الدنيوية اي امتحناهم بالضراء والسراء وابتليناهم بالشدة والرخاء مناقشة وملاطفة
الزاما للحجة وازاحة للعلة ويجوز ان تكون التوسعة عليهم مكرا واستدراجا لما روي
في مسند احمد بن حنبل عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله يعطي
العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نسوا ما ذكروا به الآية فالتوسعة قهر خفي في صورة اللطف كما ان الاخذ بالبلاء
لطف خفي في صورة القهر وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير حتى اذا فرحوا بطروا واعجبوا
بما اوتوا من النعم اخذناهم بغتة اي اهلكناهم فجاءة وهو اشد الاهلاك اذ لم يتقدم عليه
شعور وتوطين النفس على لقائه فاذا هم مبلسون المبلس الشديد الحسرة والآيس
الحزين فقطع دابر القوم الذين ظلموا استؤصلوا ولم يبق منهم احد والدابر التابع للشيء
من خلفه يقال دبر الولد الوالد يدبره دبرا ودبورا اذا تبعه ووضع الذين ظلموا
موضع الضمير للتنبيه اي حق عليهم الدمار والعذاب بسبب تمادي ظلمهم وتناهيه حيث
لم يبق لهم مطمع في صلاحهم والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم وفيه ايذان بان
اهلاك الظلمة من اجل النعم واحقها بان يحمد عليه لان دفع شرهم عن الخلق بلادا وعبادا
وشرهم متعد ونقمة دنيا ودينا فتطهير المؤمنين من شوم اعمالهم وعقابهم
خير عظيم ونعمة سنية قل ارأيتم ان اخذ الله لما كان هذا التهديد اخف من التهديد
السابق اكتفي هنا بخطاب الضمير ولم يؤكد بحرف الخطاب كما اكد ثمة سمعكم وابصاركم
اي اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم غطى عليها بما يذهب فهمكم وعقلكم من اله غير

الله يأتيكم به اي بذلك اجري الضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه او باحد
هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها متنوعة تارة بالمقدمات والنتائج
العقلية وتارة بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال
الامم الماضية ثم هم يصدفون يعرضون وثم لاستبعاد الاعراض عن الآيات بعد تصريفها
وظهورها ولذلك قدم الضمير على الفعل الماضي وصير الجملة اسمية اي هم المكرر عليهم الآيات
متنوعة لا غيرهم يصدفون الاعراض اي مع تجدد التصريف فيما ابعد حالهم عما فعلنا
بهم قل ارأيتكم لما كان التهديد بشديد اجمع بين اداتي الخطاب ان اتاكم عذاب الله
بغتة او جهرة لما كان البغتة هجوم الامر من غير ظهور امارة وشعور به تضمنت معنى
الخفية فصح مقابلتها بالجهرة وبدا بها لانها اردع من الجهرة وانما لم يقل خفية لان
الاخفاء لا يناسب شأنه تعالى وقرئ بواو الجمع هل يهلك بمعنى الاستخبار النفي
اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون بالاعراض عن الآيات
عنادا لاستحقاقهم ذلك بالزام الحجة وازالة العذر وقرئ يهلك من هلك
وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمطيعين بالجنة ومنذرين العاصين بالنار وانتصابهما
على الحالية وفيهما معنى العلية اي ما ارسلناهم للتبشير والانذار لا لان يقترح عليهم
ويستهزئ بهم فمن آمن واصلح اي ما يجب اصلاحه مما شرع لهم فلا خوف عليهم
من العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب
جعل العذاب ماسا كأنه حي يطلب ايلامهم بالوصول اليهم واستغني بالتعريف
عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله جمع خزينة وخزانة وهي ما يخزن اي يحرز ويحفظ
بحيث لا تناله الايدي وخزائن الله تعالى مقدوراته اي لا املك ان افعل ما اريد
مما تقترحونه فليس المراد التبري عن دعوى الالوهية والا لقيل لا اقول لكم اني اله
كما قيل ولا اقول لكم اني ملك واتضاح الكناية عن الالوهية بعندي خزائن الله مما لا
يخفى على البلاغة بل هو جواب عن اقتراحهم عنه صلى الله عليه وسلم ان يوسع عليهم
خيرات الدنيا ولا اعلم الغيب عطف على لا اقول فليس معمولا له بل للامر ولذا احتيج الى
اعادة لا اقول في قوله ولا اقول لكم اني ملك فانه على تقدير العطف على عندي خزائن الله
لا حاجة الى اعادته وانما الزيادة فيه بنفي القول للفرق الدقيق بينه وبين قرينيه وهو ان
مفهومي عندي خزائن الله واني ملك معلومان عند الناس فلا حاجة الى نفيهما انما الحاجة

الى نفي ادعائهما تبريا من الدعوى الباطل بخلاف مفهوم لا اعلم الغيب فانه كان يجهز لا عندهم
بل كان الظاهر من حاله صلى الله عليه وسلم الاطلاع على الغيب فلذلك نسبوه الى الكهانة
فالحاجة هنا الى نفيه ثم ان هذا النفي تضمن الجواب عند قولهم ان كنت رسولا فاخبرنا بما
يقع في المستقبل من المنافع والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه ونفي دعوى الملكية
تضمن الجواب عن قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق **ان اتبع الا ما يوحى**
الي في الدعوى والاحكام والاخبارات فيه تعميم لما تقدم من نفي الامور الثلاثة وبيان
ان منزلة الرسالة التي هي اقصى المنازل البشرية **قل هل يستوي الاعمى والبصير** مثل الضال
والمهتدي او النائم والجاهل او مدعي المحال كالملكية ومدعي الممكن الصحيح كالنبوة **افلا**
تتفكرون فتهتدوا كالبصير ولا تكونوا ضالين كالاعمى او فتعلموا اني ما ادعيت الامر
للبشر وان اتباع الوحي واجب فتكونوا بصرا لا عميانا **وانذر به** اي بما يوحى **الذين يخافون**
ان يحشروا الى ربهم هم المعترفون بالبعث من المؤمنين المقصرين في العمل او من اهل الكتاب
او المترددين فيه كالمشركين المستعدين الذين علم الله تعالى ان ينجع فيهم دون المنكرين الجازمين
بانتفائه **ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع** في موضع النصب على الحال من يحشروا او
يخافون ان يحشروا غير منصورين باحد من دون الله تعالى ولا مشفوعا لهم **لعلهم يتقون**
يحذرون سوء العاقبة فيعملون عمل اهل التقوى او يؤمنون فينتفعون ولما امر بالانذار
غير المتقين ليتقوا امر باكرام المتقين وتقريبهم تكميلا للامر بالتحريض على التقوى بالترهيب
والترغيب فقال **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة** وقرا ابن عامر وحده بضم الغين
واسكان الدال وقلبت الالف واوا بعدها وفيه انها معرفة ولو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة
كما جاز غداة يوم الجمعة وقال ابو علي الفارسي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتعرف
باللام واما غدوة فمعرفة ابدا وهو علم صيغ له وقال ابن خالويه في توجيهه ان العرب
تدخل الالف واللام على المعرفة اذا جاوزوا بما فيه الالف واللام ليزدوج الكلام قال الشاعر
رايت الوليد بن اليزيد مباركا فادخل الالف واللام على اليزيد لما جاور الوليد ومنهم
من قال انها انما تكون معرفة اذا اردت غدا ليومك وههنا لم يرد ذلك وكان التعريف حينئذ
وقال ابو عمرو هي بمنزلة سحر على غير غدوة وغداة وما نون منه هذا نكرة وما لم ينون فهو معرفة
والعشي اي يعبدون الله تعالى في ايامهم فان المراد من الغداة والعشي الدوام على الكثير استعمالا
وقيل يصلون الصبح والعصر وقت دعوتهم بالغدوة والعشي لانها من الاعمال الظاهرة
وهي موقتة والدوام ارادتهم فاستحضرت جميع اوقاتهم لانها من الاحوال الباطنة

وفي توبيخه **يريدون وجهه** لا دنياهم بكرايمها ولا اعتبارهم بعظايمها والوجه يعبر به
عن ذات الشيء وحقيقته والمراد بارادة وجه الله تعالى الاخلاص رتب النهي على مواظبتهم
على عبادة ربهم وعبادته مع الاخلاص اشارة الى انها الموجبة لاكرامهم وان ملاك الامر الاعتبار
الاخلاص فلا تغتر بدونه لما اقتصر لهم لسان المعارضة سكتوا مستضرعين بتلاوتهم بين
يدي الله تعالى داعين له بحسن الابتهال فتولى سبحانه وتعالى خصومتهم فقال ولا تطرد الذين
الخ لا تنظر يا محمد الى حرفتهم على ظواهرهم وانظر الى حرفتهم في سرايرهم كانوا مستورين
فيهم الله تعالى قال الامام ابو منصور ذهب عامة اهل التاويل الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم هم بطرد فقراء المسلمين طمعا في اسلام رؤساء المشركين فنهاه الله تعالى
في ذلك وانزل عليه هذه الآية ولكنه بعيد مع عصمة النبي صلى الله عليه وسلم الى امر
فيكون وامثاله ولا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يقرب الاعداء ويبعد الاولياء
ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعو الناس الى الايمان والتوحيد
والاتباع فاذا اتبعوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم هذا لعمري مدفوع في عقل كل عاقل
ولكن يجوز ان يكون طلب لذلك سنة اولئك فاما ان يفتروا به فلا ويجوز ان يكون هذا
من الله تعالى ابتداء تعليم له في صحبة اصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومعاملتهم
واختيار العزة دونهم عنده **ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء**
كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم وشهد الله تعالى
لهم بالاخلاص وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عليك من حسابهم من شيء كما لا عليهم من
حسابك من شيء اي ليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم بعد اتسامهم بسيرة المتقين
وصلاح ظواهرهم انما ذلك على الله او عليهم اخلصوا او لم يخلصوا لا عليك فالجمع في ذلك
بالنسبة اليك كحالهم بالنسبة اليهم سواء لا يتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تادية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة وقيل
حساب رزقهم اي فقرهم وقيل الضمير للمشركين اي لا تؤاخذون بحسابك ولا انت
بحسابهم حتى يهمك ايمانهم فتطرد المؤمنين لاجلهم **فتطردهم** جواب النفي اي ما عليك شيء
من حسابهم فتطردهم **فتكون من الظالمين** جواب النهي اي ولا تطردهم فتكون من
الظالمين ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب ولا يساعده المعنى فان
الطرد انما يستقيم جوابا للنفي على تقدير ان يكون حسابهم عليه دح ولا يكون سببا
للظلم الا ان يقدر فتطردهم بقول المشركين **وكذلك** اي ومثل ذلك الفتن العظيم

تاديب دح

وهو لاختلاف احوال الناس في الدنيا فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا بعض الناس ببعض فقد سنا فقرا المسلمين على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اي ليقول المركون اللام للعاقبة وان عني فتنا هم معني خذلناهم فالتعليل على اصل القايلين بجعل تعليل افعاله بالاغراض اي خذلناهم مفتونين ليقولوا اخبار انتنا انفسهم نسبيا لهذا القول فانه لا يقوله الا المفتون المخذول اهولا اشارة الى اوليك المومنين واستحقارهم كقولهم اهذا الذي بعث الله رسولا من الله عليهم من بيننا اي انعم الله عليهم من بيننا بالتوفيق لما يسعدهم عنده من الايمان واصابة الحق من دوننا ونحن الرؤسا والمقدمون وهم الضعفا والفقرا وهذا انكار منهم لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم بالخير ونحوهم كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم بالشاكرين والاستفهام للتقرير اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه لذلك وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يومنون باياتنا هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالمواظبة على الطاعة ثم بالايمان بالله واياته من الحجج والبينات بعد النهي عن طردهم ثم امره صلى الله عليه وسلم بقوله فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة بان يبدا بالتسليم عليهم او يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله عليهم كان الله تعالى التزم لهم ذلك ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك وجب اعزازه واكرامه وان يبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوا استيناف تفسير الرحمة وقري بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل او ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده من بعد العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا وخبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك بمثل ذلك التفصيل البين نفصل الايات ايات القران في وصف المطيعين والمجرمين الاوابين منهم والمصرين ولتستبين سبيل المجرمين استيناف يجي لاثنا ومتعديا كتبين وقري بالتا والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتونث وقري بالتا ونصب السبيل على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو اما عطف على علة محذوفة اي ليظهر الحق ولتستبين او علة لمحذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل واكتفى بذكر سبيل المجرمين لتبين سبيل غيرهم منه ولم يعكس لان ذكرهم اهم والنفس الى الترهيب اطوع منها الى الترغيب قل اني نهيت صرفت

وزجرت بنور فطري وصفا عقلي وبما اوحي الي ونصب لي من الدلايل ان اعبد الذين تدعون من دون الله من عبادة ما تعبدون من دون الله تعالى او تدعونها الهة قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واستجهال لهم واشتراك لعقولهم واشارة الى علة النهي ووجوب الامتناع عن متابعتهم وبيان لسبب ضلالتهم وذم لطريقتهم وان ما هم عليه مجرد هوى فارغ من الدليل مخالف لمقتضى العقل ومعنى قد ضللت اذا ان اتبعتكم قد ضللت لانه مركوز في العقل ان كل من اتبع الهوى ضل وفيه تنبيه على ان كل من طلب الحق فليجتنب الهوى وليتمسك بالحجة وبلازم طريق العقل فانه الهدى ثم اكد ذلك بقوله وما انا من المهتدين على الجملة الاسمية الدالة على المنافاة الكلية بين متابعة الهوى والهدى مع المبالغة بنا على ان نفي المهتدين ابلغ من نفي مهتد وهو ابلغ من اهتدى وان التقييد دخل النفي اي وما انا من الهدى في شي اذ دمت انا اتبع انتم كذلك وفيه غاية التشنيع عن طريقتهم وللمبالغة في نفي كون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة البينة الحجة الواضحة التي تفصل الحق عن الباطل فقيد الوضوح معتبر في مفهومها لا مستفاد من التنكير في اعم من ان يكون نقليا او دليلا عقليا او كشفا من ربي متعلق بالظرف او صفة لبينة اي اني من معرفة ربي ووحدانيته على يقين وحجة واضحة وكذبتم به اي بربي حيث اشركتم به غيره او بالبينة على المعنى وهو القران ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تاخير العذاب لا الي والا لعجلته يقص الحق في كل ما يحكم به من التعجيل والتاخير الحق صفة للمصدر اي القضا الحق او مفعول به اي يتبع الحق من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيرجع الى القراة الثانية معنى قال الزجاج هذه كتبت ههنا بغير يا على اللفظ لان اليا سقطت لالتقا الساكنين كما كتبوا سندع الزبانية وقري يقضي الحق اي يتبع ما هو الحق من قص اثره اذا اتبعه لا من قص الخبر لعدم ملايمته ما في السياق والحاق من الحكم والفصل وهو خير الفاصلين اي القاضين والفصل القضا والفصل بين الحق والباطل قل لو ان عندي اي في قدرتي ووسعي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم استعظاما لتكذيبهم اياه لكنه لا قدرة لي ولو كان عندي اشد العذاب لاوقعته معجلا والله اعلم بالظالمين تسجيل عليهم بان الشرك الذي هم عليه اظلم الظلم موجب لاستحقاق العذاب لكن الله اعلم بما يجب من عذابهم وبوقته وعنده مفاتح الغيب المفاتح جمع مفتح بفتح

الميم وهو المخزن الذي يغلق ويفتح اوجمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرا مفاتيح
استعار المفتاح لما اودع فيه الغيب من خزاينه اولما يتوصل به اليه وخصصت بمتقدم
الظرف لانه لا اطلاع عليه ولا يمكنه التوصل اليه **لا يعلمها الا هو** اي هو المطلع على الاماكن غيبه
وحده او هو بما يتوصل اليه كانه في مخزن مغلق ابوابه لا يعلم احد مفاتيحه الا هو اعني اسبابه
التي توجب لحداثه وظهوره في عالم الشهادة اي يعلم اوقاتها وما في تاخيرها وتعجيلها من الحكمة
فيظهرها على ما اقتضته مشيئته حسب حكمته وهذا الوجه انسب لما قبله قيل فيه دليل على علمه
تعالى بالاشيا قبل وقوعها وبني عليه ان علمه تعالى ليس زمانيا فلا قبلية بينه وبين الاشيا الواقعة
في الزمان **ويعلم ما في البر والبحر** كما يعلم ما في الغيب كله يعلم ما في الشهادة كلها **وما تسقط
من ورقة الا يعلمها** اي هو المطلع تاكيد لعلمه بالجزئيات مما في البحر والبر **ولا حبة في ظلمات
الارض** اراد ظلمة بطنها وظلمة داخل البحر وظلمة جوف الحوت القريب بالحبة الموصوفة بصفة
الضعف عما هو في مبدا المرء من جنس النامي وبالورقة الساقطة عما بلغ منتهى شانه منه
ولا رطب ولا يابس معطوف على ورقة وقوله **الا في كتاب مبين** كالتكرير لقوله الا يعلمها لان
معناه ومعنى الا في كتاب مبين واحد اما اذا اريد بالكتاب المبين علم الله تعالى فظاهر واما اذا
اريد به اللوح المحفوظ فلان كونه فيه كناية عن كونه من جملة معلوماته تعالى فهو ابدال في المعنى
وقريت بالرفع على العطف على محل من ورقة او على الابتدا والخبر **الا في كتاب مبين وهو الذي
يتوفاكم بالليل** في وقت النوم وانما عبر عنه بالليل وعن وقت الكسب بالنهار لانهما اغلب الوقتين
او خصهما بالذكر جريا على ما هو المعتاد وقد استعير التوفي من الموت للنوم لمشابهته اياه
في زوال الاحساس والتمييز به واصله قبض الشي بتمامه **ويعلم ما جرحتم بالنهار** وما كسبتم
فيه ومنه اطلاق الجوارح للاعضا الكاسبة والواو حالية ناسقة والاخرت عن قوله
ثم يبعثكم فيه في النهار البعث الاثارة لا الايقاظ غايته بعث النايم يكون بايقاظه فلا
ترجيح فيه للاتي في **ليقضى اجل مسمى** في علم الله تعالى وقضا الاجل فصل مدة العمر من غيرها
ويلزمه البلوغ الى غاية تلك المدة وهو المراد بقوله هنا **ثم اليه مرجعكم** بالبعث بعد
الموت والمراد الرجوع الى موقف حسابه تعالى **ثم ينبئكم** يخبركم **بما كنتم تعملون** من الخير والشر
فهذا وعد ووعيد وقيل الخطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف في الليل وكاسبون
للاثام في النهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به
اعماركم من الغفلة والمناهي في الليل والنهار ليقضي المدة التي ضربها لبعث الموتى
وجزائهم على اعمالكم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم يخبركم باعمالكم بالجزا وعلى هذا يكون

الضمير في فيه عائدا الى مضمون كونهم موفين وكاسبين وتكون في بمعنى لام التعليل والاجل المسمى
مدة الكون ولا يخفى ما فيه من التعسف المستغنى عنه بما قدم من الوجه الظاهر **وهو
القاهر فوق عباده** تقدم تفسيره في هذه السورة وقدمه على ذكر ارسال الحفظة ليعلم ان ارسالهم
لم يكن لحاجة اليه لان المحتاج لا يكون قاهرا بل للحكمة وهي ان يكون العباد على حذر وهذا
ابلغ في الزجر لان من علم ان عليه رقيبا كان اجدر بالحذر فان العبد اذا وثق بلطف مولاه واعتمد
على عفوه لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه **ويرسل عليكم حفظة** الجمهور
على انهم حفظة الاعمال وقيل انهم الذين يحفظون الناس للخلق ويعدونها الى وقت انقضائها
ثم يقبضون الروح يناسبه ما بعده وعليكم متعلق بيرسل كما في قوله تعالى يرسل عليكما
شواظ من نار وهم لتمكنهم منا جعلوا مستولين علينا ويجوز تعلقه بحفظة اي حافظين
عليكم **حتى اذا جاء احدكم الموت** اي اسبابه **توفته** قبضت روحه وقرى بالف ممالة **رسلنا**
جاء جمعا يعني به ملك الموت واعوانه وفي عبارة رسلنا اشارة الى ان ذلك بامره تعالى ولذلك
اسنده الى نفسه في موضع اخر قال الله يتوفى الانفس حين موتها **وهم لا يفرطون** جملة
حالية او استينافية وقري بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والا
فراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه **ثم ردوا الى الله** فيه التفات
من الخطاب الى الغيبة ومعنى التكلم الى الغيبة وذلك لان الرد يناسبه اعتبار الغيبة وان لم يكن حقيقة
فانهم ما غابوا عن قبضته لحظة ولا خرجوا عن حكمه نظرة ولا لحظة فالرد من البرزخ
الى موقف العرض السؤال والجواب **مولاهم** الذي يتولى امرهم والمراد منه في قوله تعالى
لان الكافرين لا مولى لهم معنى المعين والناصر فلا منافاة **الحق** العدل الذي لا يحكم الا بالحق
وقري بالنصب على المدح **الا له الحكم** يومئذ لا حكم لغيره فيه **وهو اسرع الحاسبين**
لا يشغله حساب عن حساب ولا لبث في السؤال والجواب **قل من ينجيكم** استفهام بمعنى
النفي وقري بالتخفيف **من ظلمات البر والبحر** من شدايدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركة
بينهما وبين معنى الظلمة في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ومن
جملة تلك الشدايد الخسف في البر والغرق في البحر **تدعونه تضرعا وخفية** مظهرين
لسان الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة الى الشي ومسرين الطلب على وجه الاخلاص
بالقلب او علانيا واسرارا وقري خفية بالكسر **لئن انجيتنا** وقري انجانا ليوافق قوله
تعالى تدعونه **من هذه** اشارة الى الظلمات **لنكونن من الشاكرين** جواب القسم المحذوف
ولا حاجة الى تقدير القول لدلالة تدعونه عليه **قل الله ينجيكم منها** قري بالتشديد والتخفيف

ومن كل كرب عبارة كل المبالغة في التكثير لمناسبة المقام فان كل نفس عند كل نفس في معرض
الآفات التي لا تعد ولا تحصى الله تعالى ينجيها منها وهي نعمة الدفع قلما يتنبه لها الشاكر والاولى
نعمة الرفع وهي دون نعمة النفع ظاهرتان وتعذر الخروج عن عهدة الشكر على تقدير امكان
الشكر لافراد النوع الاول تفاصيلها الا ان الشكر على النعمة نعمة اخرى ثم ان الكلام المذكور
على طريقة ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف في المذكور على حسب ما يقتضيه لفظه
حتى كان شريكه في اصل الفعل لجز الاخر المتقاربين يجري الاخر كقولك تقلدت السيف والرمح
الكرب الغم الشديد اصله من كرب الارض وهو تقليبها بالحفر فالغم اذا اشتد يثير القلب اثارة
ذلك ثم انتم تشركون اي لا تخلصون حين تخلصون ولا تشكرون بل تشركون وثم لاستبعاد
شرككم مع اقرارهم بانه لا يكشف الضر الا الله تعالى ووضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها
لان من يشرك بالله تعالى فهو في غاية البعد من شكره قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا اي هو الذي عرفتموه انما الكامل في القدرة الذي لا قدرة لاحد سواه ومعنى الآية
الوعيد باحد اصناف العذاب المذكورة من فوقكم كما امطرنا على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل
الحجارة او من تحت ارجلكم كما خسف بقارون واغرق فرعون او من الجهتين معا كما طوفان
نوح عليه السلام وقيد ارجلكم لقطع الجان كاغرق يجري من تحتها الانهار وقال ان تقول اريد
بالاول ظلم السلاطين وبالثاني تسلط السفلة وبالثالث الهرج والمرج ولما كان في هذه
الثلاثة منع الجمع بحسب العادة اتى باداة التفريق او يلبسكم شيعا فرقا بان يخلط
امرهم خلط شقاق لا وفاق فيجعلهم مختلفي الاهوا ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم
بعضا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن انظر كيف نصرف الآيات نحولها من نوع
الحجج من انواع الكلام تقريبا للمعنى وتقريبا الى الفهم وقيل بالوعد والوعيد ولا نسبه
قوله لعلهم يفقهون وكذب به اي بالقرآن قومك وهو الحق كالذي الضمير في به او الى
الخبر بان القرآن الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم عن التكذيب
اجبارا انما انا نذير والله المحيط لكل نبأ خبر وخبر مستقر اي لكل شي ينبأ في القرآن
وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والآخرة وهذا
كقوله والتعلق بنا انه تعالى حين وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالاستهزاء والطعن
فيها والخوض اصله في الماء ثم استعمل بطريق الاستعارة في غمرات الاشياء التي هي مجاهل
تشبيها لها بغمرات الماء فاعرض عنهم امر صلى الله عليه وسلم بعدم التوجه اليهم وترك
الاقبال عليهم ولزمه النهي عن مجالستهم بطريق المبالغة حتى يخوضوا الى ان يخوضوا

مندرج

في حديث غيره غير القرآن ولكن هذا من قبيل عود الضمير على الآيات باعتبار المعنى بل
من قبيل عوده على ما علم من سياق الكلام واما ينسينك بعد ان الشرطية وما الحسن مجي
الشرط الاول باذا التي هي للمحقق او غالب الوقوع ومجي هذا الشرط بان التي هي للمشكوك
ينسينك الشيطان بان شغلك بوسوسة حتى تنسى النهي عن مجالستهم وقرئ ينسينك
بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ما ذكرت مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر
موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضعهم التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون وما على المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم مما يحاسبون عليه من قبيح
واستهزائهم من شيء اي من كان يتقي الذنب عن ارتكاب الآثام كان بمنزلة يوم النشور عن
ملاقات الآثام ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون فيها بالموعظة والنهي
ثم القيام واظهار الكراهة فذكرى نصب على المصدر ويجوز ان يكون مرفوع المحل اي
عليهم ذكرى لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حيا او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير
للذين يتقون اي لعلهم يثبتون على التقوى ويزدادون منها ولا يجوز عطفه على محل من
لان من حسابهم يأباه لانه حال من شيء قدم عليه فصار قيد العامل فاذا عطف ذكرى
عليه كانت جهة القيد معتبرة فيه بحكم الاستعمال في عطف المفرد على المفرد لا سيما بحرف
الاستدراك فيؤول المعنى الى ان عليك من حسابهم ذكرى وذكرى ليس من حسابهم روي
ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او بنوا امر
دينهم على التشهي وتدينوا بما لا تنفع فيه اصلا كعبادة الصنم وتحريم البحاير والسوايب او جعلوا
عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب ولهو والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرهم ياكلوا او يتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون اي كلهم الى اختيارهم وانا اعتقناهم من خفي المكر ما اذا خلاهم كسر بابه فخاد
الغفلة وكشفنا عنهم خمار الغفلة والجهالة ولا ضرورة في جعله منسوخا
باية السيف بحمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا اعتراض
لبيان انهم انما نحوا اثرهم على الآخرة لان الحياة الدنيا غرتهم حتى انكروا البعث وذكر
به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تمنع نفس من النجاة وتسلم الى الهلكة
والعذاب بسبب كسبها وترهن بسوء عملها كقوله كل نفس بما كسبت رهينة او يقبس بسوء
كسبها وعذابه كقوله ومن يوتغ باسرة الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لانه يمنع

ان يبلت في يبنه وتبالا ابسل الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا ابسل **ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع** يدفع عنها العذاب **وان تعدل كل عدل** وان تفد كل فدا والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وكل نصب على المصدر ويوخذ في قوله **لا يوخذ منها** مسند اليهما لا الى ضمير العدل الا على طريق الاستخدام لان العدل هنا مصدر لا يوخذ مفعول لا مطلقا وهو ليس بماخوذ بخلاف قوله ولا يوخذ منها عدل لانه المفدي به **اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا** اي اسلموا الى العذاب بسبب قبايح اعمالهم استعمل الابسال للاسلام الى العذاب لان المسلم اليه يمنع المسلم **لهم شراب من حميم** بما شربوا من الشهوات **وعذاب اليم** بما تناولوا من الشهوات **بما كانوا يكفرون** اي هم بسبب كفرهم بين ما يغلي تجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم **قل اندعوا** انعبد **من دون الله ما لا ينفعنا** ان اطعناه **ولا يضرنا** ان عصيناه **ونرد على اعقابنا** اي نرتد عن ديننا ونرجع الى ورائنا **بعد اذ هدانا الله** فانقذنا منه ورزقنا الاسلام والمعنى انكار الرجوع الى الشرك بعد الاهتدا به الى التوحيد **كالذي استهوته الشياطين** مردة الجن في الارض استهوى استفعل من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هواه وحرصت عليه وزعم ابو علي انه من الهوى اي الفته في هوة ويكون استفعل بمعنى افعل كاستزل وازل ويأباه ما بعده **حيران** نصب على الحال ولم ينصرف لان انثاه حيرى كسكران وسكرى والحيران هو الذي لا يهتدي لجهة حين **له اصحاب** رفقة **يدعونه الى الهدى** الى الطريق المستقيم سمي الطريق بالهدى تسمية بالمصدر للمبالغة **ائتنا** يقولون له ائتنا وقد اعتسف التيه فلا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم **قل ان هدى الله** اي الاسلام **هو الهدى** وحده وما عداه ضلال **وامرنا** في محل النصب عطفا على محل ان هدى الله على انه مقول واللام في **لنسلم لرب العالمين** للتعليل اي وامرنا بذلك لنسلم وزعم الكسائي والفراء ان لام كي تقع في موضع ان في اردت وامرت قال الله تعالى يريد الله ليبين لكم وقيل بمعنى الباء وقيل زائدة ويعضدهما عطف **وان اقيموا الصلوة واتقوه** عليه كانه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا وعلى الاول معناه وامرنا بذلك الاسلام واقامة الصلاة وتقوى الله تعالى فان ان المصدرية اذا دخلت على الامر ينسبك منه مصدر دال على الطلب فيه معنى الامر وقيل موقع الصلة موقع المامور به فعطف على موقعها **وهو الذي اليه تحشرون** يوم القيمة **وهو الذي خلق السموات والارض بالحق** في موضع النصب على الحال اي قائما بالحق والحكمة **ويوم يقول** اي وحين يقول للشي من الاشيا **كن فيكون** ذلك الشي ويوم منصوب بما دل عليه بالحق او خلق اي ويقوم بالحق

يوم يقول او خلق السموات يوم يقول و **قوله الحق** مبتدا وخبر فقدم فيها الخبر للحصر لا انه لا يناسب المقام بل لكونه الشايع في الاستعمال المثل عنده ونعم الشاعة وقيل قوله على هذا الوجه يجوز ان يكون فاعل فيكون الحق صفته اي ويوم يقول بالحق يوم يامر كل شي بقوله كن فيكون قوله الحق ولا يخلو عن تعسف او منصوب بفعل الاستقرار على ان قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبر مقدم كقولك يوم الجمعة القتال او قوله مبتدا والحق خبره ويوم ظرف للقول او الحق **وله الملك يوم ينفخ في الصور** يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم او بدل من يوم يقول على ان كن فيكون بمعنى الاحيا والبعث وقوله الحق وقوله يوم القيمة **عالم الغيب والشهادة** رفع على المدح او هو عالم الغيب او خبر بعد خبر **وهو الحكيم الخبير** كالفذلكة في الاية **واذ قال ابرهيم لابيه ازر** وهو عطف بيان لابيه قال اهل الانساب لا نزاع لهم بين النسابين انه الخلاف في ان اسم الاب ابرهيم عليه السلام تارخ والذي في القران يدل على ان اسمه ازر فكان ازر لقبا له قال ابن الانباري قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به اشهر منه باسمه فيجوز ان يكون ازر لقبا ابطل الاسم لشهرته فخبر الله تعالى به لذلك وقيل نعت مشتق من الازر ومنع صرفه العجمة والعلمية او الوصفية ووزن الفعل وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد ازرا **اتتخذ اصناما الهة** تفسير وتقرير ويعضده قراءة ازرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وسكون الزاي ونصب الرا منونة على انه اسم صنم وتوجيهها على الاول انه لما كان اسم صنم يعبده فلقب به للزومه عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقرئ بالضم على النداء وهو ظاهر في حذف المضاف لما في نداء الابن اباه باسم العلم غالظة واستخفاف لا يليق بشان ابرهيم عليه السلام الموصوف بغاية الحلم المعروف بحسن الادب ورعايته يرشدك الى هذا قوله **اني اريك وقومك في ضلال مبين** ظاهر الضلالة حيث لم يقل انت وقومك في ضلال مبين رعاية لحسن الادب في مخاطبته **وكذلك نري ابرهيم** مثل ذلك التبصير نبصر ابرهيم قد سبق ان اسم الاشارة في مثل هذا المقام انما اتى به لا الى شي اخر يشبه به هذه الجملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ومعنى الاعتراض بيان الارشاد والهداية بطريق الاستدلال الموصل الى مرتبة الايقان الذي انكشف ضلال قومه ولذلك استحضر الماضي حالا فقال نري على الحكاية تصويرا وتعظيما وقرئ بالتا ورفع الملكوت ومعناه نبصره دلايل الربوبية **ملكوت السموات والارض** فعلوت من الملك وزيادة التا للمبالغة ومعناه ما يملك به الشي اي نري ربوبيته تعالى السموات والارض وما يدبرهما وعلمها به من عجايب الملكوت **وليكون**

من الموقنين اي وفعلنا ذلك ليكون من المحققين قيل اي ليستدل وليكون ويأباه اللام
والواو فانهما لا يذكران بين الاستدلال وما يترتب عليه فلما جن عليه الليل اي ستره بظلامه
رأى كوكبا قيل كان الكوكب الزهرة او المشتري قال هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل
على فساد قول يحكيه على ما يقول له الخصم ثم يكر عليه بالافساد وفي تقديم الاعتراف المذكور
تنبيه على هذا فانه لولا ذلك البيان لسبق الى الوهم انه استدلال لنفسه وانما بعد تقدم
فلم يبق ذلك الاحتمال ومن ههنا تبين انه لا احتمال لان يكون قوله فلما جن عليه الليل الخ تفصيلا
وبيانا لذلك لان مآل طريق النظر والاستدلال الشايع الذايع بين احاد الناس للظواهر المحسوسة
نظرهم على عالم الملك فلا يصح بيانا لما لمن يترقى منه الى بهجة الوقوف على سرائر
عالم الملكوت والمشاهدة لاسرار الربوبية فتعين عطفه على قال ابرهيم فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم عن ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق
النظر والاستدلال فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من حال
الى حال المحتجبين بالغروب والانتقال فضلا عن اعتقادهم فالتعبير بالانتقال من مكان الى مكان
من خواص الاجرام المحتاجة الى الرب فلا يصلح للربوبية فلما رأى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع
قال هذا ربي فلما افل كانه غاب عن نظره او لم يكن حين رآه في ابتداء الطلوع بل كان في وراء
الجبل ثم طلع منه او في جانب آخر لا يراه والا فلا احتمال لان يطلع القمر من مطلعه بعد افول
الكواكب ثم يغرب قبل طلوع الشمس قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
تنبيها لقومه على ان من اتخذ الآفل المتغير الها فهو ضال وان الهداية الى الحق انما يكون
من فضل الرب وعطائه وهذا الطريق من تلطف في البحث والارشاد باظهار المناصحة
لنفسه واخفاء النصح حين اراد مناصحة ما اراد لنفسه ويتسبب الذم والتقريع
الى نفسه لا يواجه به الخصم ليكون ابعد من استغاثته وعناده واشد تليينا لعريكته
وكسر [illegible] شكيمته كما قال صاحب يس وما لي لا اعبد الذي فطرني وفيه تعريض
قوي فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر ولانه
لا فرق في غير لغة العرب بين المذكر والمؤنث في الاشارة فاجرى الكلام على قاعدة
تلك اللغة في مقام الحكاية وقاعدة العربية في مقام الاخبار واما ما قيل فكان
اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث فرد عليه ان هذا
الوجوب في الرب الحقيقي مسلم واما الذي فرض ربا للابطال باظهار ما فيه من [illegible]
المنافية للربوبية فالوجوب المذكور فيه ممنوع بل المناسب اظهار علامة التانيث

لما فيه من الاشارة الى ما سبق له [illegible] هذا اكبر من باب مراعاة النصفة ايضا
مع الخصم ويحتمل ان يكون تجريد اسم الاشارة عن علامة التانيث ايضا من هذا الباب كانه
يحترز عما يعرض منه ربا متحاشيا عما يحكي التجنب عنه مما يوهم مما لا يليق بشان الرب فلما
افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المتغيرة المحتاجة الى محدث
ومدبر مغير وهذا صريح في ان الكلام مع القوم وقد دل قوله لئن لم يهدني ربي على انه
كان عارفا بان له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية وان قومه على الضلالة واشعر
بان محاجته كانت مع منكر مبالغ في الانكار حيث احتيج الى القسم فان اللام في لئن موطئة
للقسم وفي لاكونن جواب القسم فلما تم استدلاله وظهر بالحجة ولم يبق شبهة يتمسك بها
الخصم صرح بالمقصود واظهر التبري مما كانوا يشركون به عن آخرها والتوجه الى ما دلت
عليه الممكنات المتغيرة من موجدها ومبدعها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين انما استدل بالافول دون البزوغ مع
دلالته ايضا على التغير والانتقال من حال الى حال لتعدد دلالته من جهة الانتقال
والاختفاء وانتفاء النورية ولانه لا مجال للاستدلال بالبزوغ في الكواكب لانه رآه في وسط
السماء حين فرغ الاستدلال وحاجه قومه خاصموه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه قال
اتحاجوني وقرئ بتخفيف النون في الله في وحدانيته تعالى انكر مخاصمتهم فيها بعد ان تم
عليهم بالبرهان كما اشار اليه بقوله وقد هدان اي الى توحيده وكانوا خوفوه ان معبوداتهم
تصيبه بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به اي ولا اخاف معبوداتكم وقتا ما لانها
لا تضر ولا تنفع الا ان يشاء ربي نصب على الظرف اي الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف
من جهتها مثل ان يصيبني مكروه من جهة الكواكب والشمس والقمر فان كان ذلك فمنه تعالى
لا منها وسع ربي كل شيء علما اعتراضا كالتعليل للاستثناء اي لا اعلم وانه احاط علما بكل شيء
فلا يبعد ان يكون في علمه ان يصيبني مكروه من جهتها افلا تتذكرون ابعد ما حققته
من الدليل لا تتذكرون [illegible] وحوادث لا موثر الا الله تعالى والفا للعطف على مقدر اي
اتعرضون فلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ثم تعجب من
جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تاثير له في شيء ولا تخافون انكم اشركتم بالله
وانتم لا تخافون ما يوجب كل الخوف وهو اشراككم بالله القادر على كل شيء ما لم ينزل به
باشراكه عليكم سلطانا اي حجة بعدم فان اقامة الحجة على الشرك ممتنع والتعريض بوجود
الحجة على نفيه وكما دل الكلام على انهم يخافون المأمون من كل وجه وهم لا يخافون

الخوف من جميع الوجوه قال فاي الفريقين احق بالامن الموحدون ام المشركون
ولم يقل فاينا انا ام انتم حفظا للادب واحترازا عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه ثم استانف جواب الاستفهام بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اي ولم يخلطوه بشرك كنسبة التاثير الى الغير بعد التصديق بالله تعالى لما روي ان الاية
لما نزلت شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه
فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله
فان الشرك لظلم عظيم وقيل بمعصية ويؤيد الاول كونه جوابا للاستفهام من المشرك في
الموحد اولئك الموحدون لهم الامن دون غيرهم وهم المهتدون خاصة وتلك حجتنا
اي ما احتج به ابرهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم
مهتدون حجتنا خبر تلك اتيناها ابرهيم الهمناها اياه ووفقناه لها على قومه متعلق
بحجتنا واتيناها خبر بعد خبر او حال بتقدير قد او حجتنا بدل واتيناها خبر وعلى قومه
متعلق بمحذوف دل عليه مفعول اتيناها اي اتيناها حجة على قومه نرفع درجات
من نشاء في العلم والحكمة وقرئ درجات بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه
عليم بحال المرفوع والمخفوض واستحقاق كل منهما بما فعل به ووهبنا له اسحاق ويعقوب
كلا هدينا اي كلا منهما هدينا ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عليه السلام وقوم
نوح عليه السلام اول قوم عبدوا الاصنام ووحد هو الله تعالى ففي عبارة من قبل اشارة
الى ان فيه اسوة حسنة لابرهيم عليه السلام وانما عد هداه نعمة لابرهيم من حيث انه
ابن وشرف الوالد يتعدى بجعله ان يذكر نوح بعلاقته لابرهيم كما ذكر بعده كذلك ومن
ذريته الضمير لابرهيم عليه السلام لان الكلام فيه ويونس عليه السلام ايضا من ذريته
لما ذكر في جامع الاصول انه كان من الاسباط في زمن شعيب عليه السلام ارسله الله تعالى
الى نينوى من بلد الموصل ولا يبعد في لوط عليه السلام من ذرية ابرهيم عليه السلام
باعتبار انه كان ابن اخيه هاجر معه الى الشام فلا ضرورة داعية الى تخصيص البيان
بالمعدودين في الاية الاولى والثانية وعطف المذكورين في الثالثة على نوح عليه السلام
وقيل لنوح عليه السلام لانه اقرب وفيه انه يلزم خروج اسماعيل عليه السلام عن باقي
ذرية ابرهيم عليه السلام وداود وسليمان وايوب بن اموص من اسباط العيص عليه
السلام ويوسف وموسى وهرون وكذلك ومثل ذلك الجزاء العظيم الذي جزينا
ابرهيم عليه السلام من رفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم نجزي المحسنين الذين

احسنوا في عبادتنا وزكريا ويحيى وعيسى هو المسيح بن مريم عليهما السلام وذكره يدل على تناول
الذرية لاولاد البنت والياس هو من سبط هرون عليه السلام وقيل هو ادريس جد
نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى كل من الصالحين من
الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي وفي توصيف الانبياء عليهم السلام
بالصلاح تنويه بشان تلك الصفة وتنبيه على عظم قدرها كما في وصف الانبياء عليهم
السلام والملائكة بالايمان باوصاف الاشراف لشرف الاوصاف واسمعيل واليسع
هو يسع بن اخطوب وقرئ الليسع كضيغم وعلى القراءتين هو علم اعجمي ادخل عليه اللام
كما ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا لزوم اللام له فالوجه
ما قال ابن مالك ان الاسماء قارنت الى نقل كالنضر والنعمان او ارتجال كاليسع والسموأل فان الاغلب
ثبوت الالف فيه ويونس وهو يونس بن متى عليه السلام ولوطا هو ابن هاران بن اخ ابرهيم عليه
السلام وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة على من ليس من الانبياء ولا بد من هذا القيد
كيلا يلزم تفضيل كل منهم على الاخر او تفضيل كل من المتعاصرين على الاخر ومن اباءهم وذرياتهم
واخوانهم عطف على كلا او نوحا ومن للتبعيض لان منهم من لم يكن نبيا ولا
مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا
اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده فيه دليل على
ان الهداية بمشيئته تعالى وانما انه يتفضل بها فيما يلي عدم لزوم المشيئة لذاته تعالى
وذلك غير ظاهر من الكلام ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وعلو درجاتهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في بطلان اعمالهم بسقوط ثوابها عنهم اولئك الذين اتيناهم
الكتاب اي جنسه والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة فيه في
الفرق بينها وبين الرسالة في سورة الاعراف فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالاخير
منها هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم اهل المدينة قال ابن عباس
رضي الله عنهما ووكلنا بمراعاتها توفيقهم للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم
به ويتعهده ففي معنى المراعاة داخل في مفهوم التوكيل ليسوا بها بكافرين الباء الاولى صلة الكافرين
والثانية تاكيد النفي اولئك الذين هدى الله الاشارة الى الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم
اقتده تقديم بهداهم للتخصيص اي فاختص هديهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم والمراد بهداهم
الايمان والتوحيد واصل الدين مما اشترك الكل فيه دون الفروع من الشرائع المختلفة
والاديان فانها تختلف باختلاف الازمان بنفي قسم اخر وهو الفروع من المتفق عليه

كالصوم والصلاة وحرمة الكذب والزنا فيدخل هذا القسم من الفروع في
الاصول تحت مطلق الهدى من المشترك المضاف الى الكل فيصلح متمسكا في الجملة
لمن قال انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بشرايع من قبله والهاء في اقتده
للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة اجرى الوصل مجرى الوقف ووجه
اشباعها ان تجعل كناية عن المصدر قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ اجرا
جعلا من جهتكم كالانبيا عليهم السلام السابقون قيل وهذا من جملة
ما امر بالاقتدا بهم فيه وفيه اعتراف بعدم اختصاص الهدى المذكور بالاصول
فلا وجه لنفي التمسك المار ذكره ان هو اي التبليغ او القران الا ذكرى للعالمين
تذكير وعظة وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة
في الرحمة على عباده والانعام عليهم ببعثة الرسل وانزال الكتب او في السخط
على الكافرين والبطش بهم حين انكروا الوحي والنبوة واقدموا على تلك
المقالة العظيمة اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء والقايلون هم اليهود
بدليل الزامهم بانزال التورية على موسى عليه السلام وقيل القايلون قريش وانما
الزموا بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا
يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم قل من انزل الكتاب الذي جا
به موسى نورا وهدى للناس نورا وهدى حالان اي جامعا بين كونه نورا يتبين
به الاحكام والشرايع وبين كونه هدى للناس الى التوحيد والمعاد تجعلونه
اعتراض لبيان سوء حملهم للكتاب ونعيهم به ما ينافي كونه نورا وهدى للناس
توبيخا لهم وتعييرا قراطيس ورقات متفرقة ليتمكنوا بتفرقتها على ما قصدوا من
الابدا والاخفا تبدونها وتخفون كثيرا قراة الجمهور يجعلونه قراطيس يبدونها
ويخفون نقضا لكلامهم والزاما لهم وقرا بعضهم بالياء التحتانية حملا على ما قالوا
وما قدروا ولتضمين الالزام توبيخهم على تبعيض التورية وتحريفها وابدا بعض
واخفا بعض على هذا التفت الى الغيبة تبعيدا لهم بسبب فعلهم القبيح ثم التفت
ثانيا الى الخطاب تنبيها على ان المعاتبين هم المخاطبون وما احسن الالتفاتين
حيث اريد نسبة القبيح اليهم اعرض عنهم حتى لا يواجهوا به وحيث نسب اليهم
الحسن وهو علم ما لم يعلموا به خاطبهم به وعلمتم خطاب لليهود اي على لسان نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم مع كونكم حملة الكتاب ولا اباوكم الاقدمون

الذين كانوا اعلم منكم من الحكم والمواعظ والقصص زيادة على ما في التورية وبيانا
لما التبس عليكم لقوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وعلى القول الثاني الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر
اباوهم قل الله امر بالجواب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يلتبس عليهم ولا يناكرون
فيه وهو الله انزله حذف الخبر لدلالة انزل في السؤال عليه او لكونهم بهتوا محجوبين
ملزمين لا يقدرون على الجواب فوقا الفضيحة ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ثم اجتنبا
الكلام بعد الالزام اي لا كلام الا هذا او هذا اسمي كلامهم غير هذا خوضهم الباطل
اي هواه وهذيانا وسماهم لاعبين لان الكلام الذي ليس بنافع ولا معقول لعب
ومعنى ذرهم لا عليك بعد الزام الحجة ان لم يسكتوا فاتركهم يلعبون حالا من
ذرهم وفي خوضهم صلة له او ليلعبون او حالا منه او من خوضهم وهو صلة لذرهم
وهذا اي القران والتنظيم الذي قصد به الى في قوله تعالى ذلك الكتاب حصل من
تنكير كتاب حصل التفاد بين القولين انزلناه مبارك كثير المنافع الثابتة
والفوايد الباقية فان البركة ثبوت الخير على الازدياد مصدق الذي بين يديه من
الانجيل وساير الكتب الالهية المخبرة عن رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم والمبشرة
عن بعثته ومرجعه الى تصديقه عليه السلام في دعوى النبوة وهو من المقاصد
الاصلية من انزال القران ولتنذر عطف على ما دل عليه صفة الكتاب اي
للبركات والتصديق وللانذار اكتفي بذكره عن مقابله وخصه بالذكر لعمومه وقيل
يجوز عطفه على صريح الوصف اي كتاب مبارك وكاين للانذار وعطف الظرف
على المفرد في باب الصفة والخبر كثير او علة لمحذوف اي ولتنذر انزلناه وقرى
بالياء والضمير للكتاب ام القرى اهل مكة وانما سميت به لانها قبلة اهل القرى ومحجهم
ومكان اول بيت وضع للناس ولانها اعظم القرى شانا ومن حولها من العرب
وانما خصهم بالذكر مع ان اصل الانزال للانذار العام لان نزوله عربيا لاجلهم على
ما افصح عنه في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى
ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به لان التصديق بالاخرة يحمل
صاحبه على النظر والتدبر خوف العاقبة حتى يؤمن بالكتاب وبالنبي صلى الله
عليه وسلم ويحافظ على الطاعات وهم على صلاتهم يحافظون المراد بالمحافظة
على الصلوة المحافظة على الطاعات كلها وانما خص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين

فارقة بين الكفر والاسلام ناهية عن الفحشاء والمنكر فمن واظب عليها واظب على
كلها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بانه بعثه تعالى نبيا كمسيلمة كذاب اليمامة
والاسود كذاب صنعاء او اختلف عليه احكاما كعمرو بن لحي وتابعيه او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملي عليه حتى اذا بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر
تعجب عبد الله من تفصيل خلقة الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين
فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فلقد
اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق
بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالنضر بن الحارث
واشباهه حيث قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون اللام للعهد
والاشارة الى المذكورين من اليهود والمتنبئة ويجوز ان يكون للجنس فيدخل
هؤلاء فيه دخولا اوليا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا عظيما اي ما لا
يمكن وصفه لشدته وحذف مفعول ترى لدلالة اذ الظالمون عليه اي ولو
ترى الظالمين في غمرات الموت اصل الغمر ما يغمر به الشيء فاستعير للشدة الغالبة
والملائكة باسطوا ايديهم اليهم قائلين اخرجوا انفسكم على تقدير القول اي
يقولون اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم وقيل باسطوها بالعذاب اخرجوا
انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص تشبيه لهم بالطالب
المعنف والغريم المشدد الذي لا يمهل ولا يخفف بل يلح ويريد تصوير العنفهم
في ازهاق الروح والغلظة في المطالبة والقبض من غير تنفيس او بالمواخذ
الباطش القائل للاسير بعنف خلص نفسك عني يريد تعجيزه وانه لا يقدر على
الخلاص البتة اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا
نهاية له تجزون عذاب الهون اضافة العذاب الى الهون وهو الهوان لافادة الاصالة
فيه والتمكن والعراقة كما تقول رجل سوء بما كنتم تقولون بسبب قولكم على الله غير
الحق كنسبة الولد والشريك ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون
وباستكباركم من الايات فلا تتاملون فيها ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى
منفردين عن اموالكم واولادكم وسائر ما اثرتموه من دنياكم واعوانكم

واوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد او جمع فريد كغرين وقرابي ورديف
ورداف والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا بالتنوين كرخال وفيه انه
بالضم اسم جمع وبالكسر جمع رخل بكسر الخاء وقد يقال الرخال بالضم انه جمع اما تجوزا
وانا لغلبة الكسر منه وقرئ فراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول
مرة صفة للمصدر اي مجيئا مثل ما خلقناكم اول مرة او صفة لفرادى اوحال منه اي
على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية او حال من ضمير في فرادى اي
مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عن لابسا وانتصب اول مرة على الظرف وتركتم ما
خولناكم اعطيناكم وتفضلنا عليكم به في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم
مبالغة في الترك وعدم الانتفاع بحيث لا يمكنه التطلع اليه وما نرى معكم
شفعاءكم صرح في انه كما بينهم وبينهم بتدا والاستفسار عنهم عند ذلك ثم انهم
يجمعون معهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم وقد
ربما يتعلق بهذا في هذه السورة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في ربوبيتكم استحقاق
عبوديتكم شركاء لله لقد تقطع بينكم والمعنى وقع التقطع بينكم اكثر القراء على رفع
بينكم على اسناد الفعل الى الظرف على الاتساع كما يقال قوتل خلفكم وامامكم ومن
نصب جعل تاويلا لاسناد الفعل الى المصدر كما تقول وقع التقطع بينكم كما يقال
جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وقيل ان البين مصدر وهو من الاضداد يجيء بمعنى الفصل والوصل فمعناه تقطع
وصلكم وتشتت جمعكم ولا يناه قراءة النصب اذ لا يكون حركته حركة بنا
لاضافته الى المبني وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلا لتقطع فتستوي القراءتان
وضل غاب عنكم ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم يرشدك الى هذا قوله تعالى وضل
عنهم ما كانوا يفترون ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر اخبر عنه
بشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل
الخلائق على اخراج مثله ما قدروا عليه وقيل المراد به الشقاق الذي في النواة
والحنطة مثلا يخرج الحي من الميت جملة مبينة لما قبلها لان فلق الحب بالنبات
والنواة بالشجر اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الاحياء لقوله تعالى
يحيي الارض بعد موتها الا انه ليكون كالدليل ومخرج الميت ما لا ينمو من
النطفة والحب من الحي من الحيوان والنبات ذكر بلفظ الاسم حملا على فالق الحب

عراة صح

ذلكم الله اي ذلكم القادر على تلك الامور العجيبة هو الذي يحق له العبادة فاني تؤفكون
تصرفون عنه الى غيره وفيه دلالة على ان هناك صارفا لهم عن مقتضى فطرتهم
وانه غير الله تعالى فالق الاصباح شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس في اخر الليل
الذي على الافق عن الصبح او شاق عمود الصبح عن بياض النهار يقال انشق عمود الصبح
وانصدع الفجر وانفلق الفجر فلقا بمعنى منفلق والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل
في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل
الليل سكنا السكن ما يسكن اليه ويستانس به ومنه قيل للنار سكن لانه
يستانس بها والليل يستانس به التعب ويسكن اليه للاستراحة فيه ونصبه
بفعل دل عليه جاعل لا به لانه قصد به معنى المضي ويعضده قراءة وجعل الليل
حملا على المعنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد
منه جعل مستمر في الازمنة وما يقال انه لا يبعد بمعنى المضي عن شبه الفعل
بمعنى الاستمرار اولى ليس بشيء لان شبهه الخاص انما هو بالمضارع وباعتباره يعمل
ولهذا يشترط معنى الحال او الاستقبال الذي هو حقيقة المضارع عند الجمهور ولا
المضارع قد يجيء بمعنى الاستمرار كثيرا فاسم الفاعل بالاستمرار لا يبعد عن شبه
الفعل بخلاف معنى المضي وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون والشمس والقمر
عطفا على محل الليل والاحسن نصبهما على اضمار فعل دل عليه جاعل وقرئ بالجر
عطفا على الليل ولا دلالة فيه على ان نصبهما عطفا على محل الليل حتى يأتي حسن
نصبهما على اضمار فعل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشمس والقمر
مجعولان حسبانا اي جعلهما حسبانا او جعلهما على حسبان لان حسبان الاوقات
يعلم بسيرهما او دورهما يعني على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان على
الحسبان وعلى قراءة الجر نصب حسبانا بفعل مقدر اي جعلهما كما مر في سكنا و
والحسبان كالكفران مصدر حسب بفتح العين واما مصدر حسب بالكسر فالحسبان
كالفقدان ذلك اي جعلهما حسبانا يعني ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير
العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما على الادوار المختلفة
وهو الذي جعل لكم النجوم اي خلقها لاجلكم فان لكم فيها منافع وهو
تعليل اظهار في الكل من فالق الحب وجاعل الليل والشمس والقمر لانه في معرض الامتنان
وتعديد النعم على الانسان لتهتدوا بها تبيين بافراد بعض منافعها بالذكر

اشارة الى انه اكثر منافعها بالذكر واجلها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر
والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة
قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا وانما قال لقوم يعلمون لما علمت ان ذلك التفصيل
في معرض الامتنان وهو لا يكون الا للعالم به لما انتفع به وهو الذي انشاكم
من نفس واحدة هو ادم عليه السلام فمستقر ومستودع فلكم استقرار في الرحم
او فوق الارض واستيداع في الصلب او تحت الارض وقال ابن الحنفية المستقر
الصلب والمستودع الرحم لتقدم ذكره على المستودع او فلكم محل استقرار
واستيداع وعلى قراءة كسر القاف فمنكم مستقر اسم فاعل ومنكم مستودع اسم
مفعول لان الاستقرار منا دون الاستيداع وهو جعل الشيء في الشيء للاحتفاظ به
قال الحسن المستقر من مات والمستودع انتم وانشد

فجع الاحبة بالاحبة قبلنا ۞ فالناس مفجوع به ومفجع
مستودع او مستقر مدخلا ۞ فالمستقر يزور المستودع

وكان يقول يا ابن ادم انت وديعة في اهلك وينشد

وما المال والاهلون الا ودايع ۞ ولابد يوما ان ترد الودايع

قد فصلنا الايات لقوم يفقهون فرق بين الفاصلتين فذكر مع ذكر النجوم والاهتدا
بها يعلمون لظهور امرهما ومع انشاء الخلق من نفس واحدة يفقهون لان تعريفهم
من اطوار واحوال مختلفة يحتاج الى نظر ورؤية وهو الذي انزل من السماء ماء
من جانبها او من السحاب فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء
نبت كل صنف من اصناف النامي وفيه ايماء الى عجيب صنعه وبديع خلقه من كون
السبب واحدا والمسببات اشياء مختلفة كقوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر وهو ما تشعب
من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
ومن النخل من طلعها الطلع اول ما يخرج من النخل في اكمامه قنوان وهو الاعذاق
جمع قنو مبتدا ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصله من طلع النخل
قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجه من طلع النخل
قنوان ومن قرا يخرج حب متراكب عطف قنوان على حب وقرئ بضم القاف وبفتحها
على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة التناول لان النخل

دقتهم

تمر على قصرها او قربه بعضها من بعض ووصف العنوان بالدانية لان النعمة فيها اكثر
وامنا واستغنى بها عن ذكر مقابلها كقوله سرابيل تقيكم الحر **وجنات من اعناب**
بالكسر في محل النصب عطفا على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتدا اي ولكم او وثمة
جنات من الاعناب او مع النخل ويجوز عطفه على قنوان ولا يلزم ان يكون المعنى
ومن النخل جنات من اعناب اذ ح يكون من اعناب عطفا على من النخل فيصير من
عطف مفرد على الابتدا والخبر من جنس وقدم الظرف في المعطوف عليه للتخصيص
واخر في المعطوف لعدم الاختصاص بالجنات غايته ان المعطوف على المبتدا يكون نكرة
غير مخصوصة ولم يعرف منع ذلك كيف وقد قال الشاعر

عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي ❊ فهل باعجب من هذا امرؤ سمعا

والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على المدح لعزة هذين الصنفين
عندهم **مشتبها وغير متشابه** حال وتقديره والزيتون مشتبها وغير متشابه
والرمان كذلك كقوله ❊ كنت منه ووالدي بريا ❊ اي بعضه متشابه وبعضه
غير متشابه في القدر واللون والطعم والشكل وذلك دليل التعدد وقرئ متشابها
والاشتباه والتشابه بمعنى واحد وكثيرا ما يشترك الافتعال والتفاعل بمعنى
انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرئ بضم الثاء جمع ثمرة كخشبة
او ثمار ككتاب وكتب **اذا اثمر** اذا اخرج ثمره نظر استبصار واعتبار واستدلال
على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال كيف يخرج ضئيلا حقيرا لا ينتفع
به **وينعه** والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ
والينع مصدر ينع يعني اتى لليانع لغة اهل الحجاز ومنها في بعض لغة نجد ينعا كينعت
الثمرة اذا ادركت ونضجت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه
وبيانعه **ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون** اي لايات دالة على وجود قادر
حكيم وتوحيده بمعنى انظروا واعتبر ظهور الايات لا ينفع الا لمن قدر الله تعالى له
الايمان فنبه على ذلك بتوصيف القوم بالايمان فهو من قبيل هدى للمتقين
ولما ذكر ما دل على صانع قادر حكيم لا ند له ولا ضد وبخ من اشرك به او استعظم
ذلك فقال **وجعلوا لله شركاء الجن** لله شركا مفعولان لجعلوا والجن منصوب
بمحذوف جوابا عن سؤال كانه قيل من جعلوه شركا لله فقيل الجن او بدل من شركا
او شركا الجن مفعولاه ولله متعلق بجعلوا او حال من شركا وشركا ثاني مفعوليه

وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين
وتقديم لله استعظام ان يكون لله شركا اي شي كان جنيا او انسيا او غيره ولذلك قدم
لله شركا على الجن والظاهر ان المراد به الملايكة وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم
ويجوز ان يراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوهم كما يجب ان يطاع الله تعالى وعبدوا الاوثان
بتحريضهم وتسويلهم ثم عبدوهم في الحقيقة وقيل المراد به الثنوية القائلون بيزدان
واهرمن الذين زعموا ان الله تعالى خالق كل خير ونافع وابليس خالق كل شر وضار **وخلقهم**
اي الجاعلين معناه وقد علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن فكيف يجعلون من لا يخلق
شريك الخالق او الجن يعني وخلق الله الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له وقرئ وخلقهم
بسكون اللام عطفا على شركا على الوجه الاول اي اختلاقهم للافك معناه وجعلوا له اختلاقهم
وهو ما نسبوا قبايحهم الى الله تعالى في قولهم ان الله حرم هذا وقولهم والله امرنا بها
وامثال ذلك **وخرقوا له** افتعلوا افترا في الخلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه
بمعنى ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا
بالتشديد للتكثير **بنين وبنات** على الجمع وقرئ وحرفوا له اي وزوروا له
اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير
عليهما السلام وقول قريش في الملايكة **بغير علم** من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه
حججا له ويتمنوا من غير فكر وتدبر وهو في موضع الحال اي خرقوا ملتبسين بالجهل لان المقصود
في خرقوا بغير علم علماء ذكر اباهم الشركا له تعالى واختلافهم بنسبة ما لا يجوز نسبته
اليه تعالى تنزيهه عن ذلك لا يليق له **سبحانه وتعالى عما يصفون** وهو ان له شريكا او ولدا
بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اي بديعة سمواته وارضه او الى الظرف اي
بديع فيهما بمعنى عديم النظير فيهما كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه وقيل بمعنى المبدع
وقد ثبت ان فعيلا بمعنى المفعل كاليم وحكيم وهو خبر مبتدا محذوف اي هو بديع او مبتدا
خبره **انى يكون له ولد** اي من اين او كيف يكون له ولد والولد فاعل تعالى وقرئ بالجر صفة لله
تعالى او بدلا من ضمير سبحانه وبالنصب على المدح **ولم تكن له صاحبة** يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان **وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم**
لا يخفى عليه خافية وانما قال بكل شيء لم يقل به لان الاول اخص بالجواهرية ونفي الولد استدل
على نفي الولد من وجوه احدها ان الله تعالى مبدع الاجسام كلها ومبدع الاجسام كلها لا يكون جسما
والولادة انما تكون من صفات الاجسام فلم يكن له ولد وثانيها ان الاجسام مبتدعة بالمبدع

هو الذي لا يوجد من مادة والولد لا يكون الا من مادة فتحقق المبدع ليس بوالد ومنها
ان الولد لا يكون الا مجانسا للوالد وهو غير مجانس لشيء فلا يتصور له ولد ومنها
انه تعالى خالق لكل والمخلوق ممكن محتاج الى الخالق والخالق واجب مستغن فلا يشابهه
شيء من خلقه ومنها انه تعالى عالم بكل شيء لذاته ومن عداه ليس كذلك بالاجماع فلا يجانسه
غيره والولد انما هو مجانس للوالد فلم يكن له ولد ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات
وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء ويجوز ان
يكون البعض خبرا والبعض بدلا او صفة فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة اي من استجمع
هذه الصفات وجب عبادته ولا يحق العبادة الا له وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك
الصفات متولي اموركم فكلوا اليه امركم وتوسلوا اليه بعبادته لينجز لكم بها لا تدركه
الابصار اي لا تحيط به فاذا لم تحط به الكل فبعدم احاطة كل واحد منها به بطريق الاولى وهذا
هو الوجه للعدول عن المفرد الى الجمع واذا كان المنفي الادراك الخاص فلا متمسك فيه لمنكري
الرؤية واما الجواب عنه بتخصيص الحكم ببعض الاوقات او ببعض الاشخاص
فلا يتحمله الكلام على الوجه المذكور المناسب للمقام والابصار جمع بصر وهو حاسة العين
اي القوة التي بها تدرك وقد يطلق على العين مجازا وهو يدرك الابصار يحيط بها علما
وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه البصر ويجوز ان يكون الاول ناظرا الى قوله لا تدركه
الابصار والثاني الى قوله وهو يدرك الابصار كانه قيل لا تدركه الابصار لانه اللطيف
وهو يدرك الابصار لانه الخبير بكل خفية وجلية والمراد من اللطيف ما لا يتعلق به حاسة
النظر لعدم حظه من الكثافة بطريق الاستعارة قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة
وهي نور للقلب يدرك به الحق ويستبصر وهي للقلب بمنزلة البصر للعين سميت بها الدلالة
لانها يجلى بها الحق ويبصر بها فمن ابصر اي ابصر الحق بها الدليل وآمن به فلنفسه ابصر اياها
نفع ومن عمي اي عمي عن الحق وانكره فعليها عمي اي وبال عماه وضرره عليها وهذا الكلام
وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ وما انا عليكم برقيب احفظ
اعمالكم واجازيكم بها بل الله هو الحفيظ وما انا الا نذير وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست علة فعل محذوف اي وليقولوا
درست نصرفها واللام للعاقبة كذا قال والظاهر انها لام الامر والفعل مجزوم بها والمعنى
باضلال لان يقولوا ذلك مرة من قرا بتسكين اللام والمعنى عليه متمكن كانه قيل وصل ذلك نصرف
الآيات وليقولوا هم ما يقولون وهو امر معناه الوعيد والتشديد وعدم الاكتراث بهم وقيل

يقولون ما يقولون والدرس استعمل في التلاوة وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست من الدروس فتمحى هذه
الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست
على البناء للمفعول اي قرئت هذه الآيات او عفيت ودارست بمعنى درست وقرئ دارس اي درس محمد
صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان اليهود كانت مشهورة عندهم بالدراسة ويجوز ان يكون
الضمير للآيات والمراد اهلها وهم اهل الكتاب ودرسن اي درس محمد صلى الله عليه وسلم
ودرسن اي عفون ودارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية ولنبينه اللام للتعليل
على الحقيقة او بطريق الاستعارة على اختلاف الاصليين في جواز ان يكون فعل الله تعالى معللا
بالغرض والضمير للضمير مفردا على معنى الآيات وهو القرآن فلما كان المعرف فيما اعتبر فيه وجه
المعنى كان التوحيد للضمير هنا باعتبار المعنى من فحش لقوم يعلمون وجه التحقيق ما ذكر
فيحق له لقوم يؤمنون اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض
اكد به ايجاب اتباع الوحي او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن
المشركين اي لا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت اليهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض
على ما يعم الكف عنهم والاعراض فيه ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا دليل
على ان الله تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده تعالى واجب الوقوع وما جعلناك عليهم
حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله [illegible]
لان يسبوا الله فيه تكرير للخطأ بما العدول عن خطابه صلى الله عليه وسلم ونحوه الى الخطاب
في ضمن الكل لما في مواجهته عليه السلام بما ذكر من خلاف ما كان عليه من الاخلاق الكريمة الى
غير ذلك والانسب بما قال الامام ابو منصور كيف نهانا الله تعالى عن سب من يستحق
السب لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير
حق منكر وكذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحي والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبون
ثم قال في جوابه ان السب لاوليائهم مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان
مباحا قد ينهى عما يتولد منه ويحدث وما كان فرضا لا ينهى عما يتولد منه وعلى هذا يبتنى
الفرق لابي حنيفة فيمن قطع يد قاطع يده قصاصا فمات منه فانه يضمن الدية لان استيفاء
حقه مباح فاخذ بما يتولد منه والامام اذا قطع يد السارق فمات لم يضمن لانه فرض عليه فلم
يؤاخذ بما يتولد منه الى هنا كلامه وعلى هذا لا دلالة في الآية على ان الطاعة الواجبة يجب
ان تترك اذا ادت الى معصية راجحة كالنهي عن المنكر يجيء هنا شيء وهو انهم كانوا مقرين

بالله تعالى وعظمته وان الاصنام انما تعبد ليكونوا شفعاء عند الله تعالى فكيف يسبونه
وأجيب عنه بانهم لا يفعلون ذلك تصريحا لكنه بما يفضي فعلهم الى ذلك كما قالوا
اترك شتم آلهتنا والا شتمنا من يأمرك بذلك ويقصد ذلك قوله عدوا بغير علم اي يتجاوزون
عن الحق الى الباطل عن جهالة بالله حال اي عادين او مفعول له اي لعدوان فيهم او مصدر لانه نوع
اي سبا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين وتشديد الواو بما فسرناه بمعنى الخلل قيل
انه عليه الصلوة والسلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون
فنزلت فان عبادة شجرة تا في عنا لنا وقيل المذكور وقد ذكر في التيسير سبب النزول على وفق
ذلك التأويل كذلك زينا لكل امة عملهم اي مثل ذلك التزيين العظيم وهو تزيين سب
الله تعالى زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم بالخذلان والتخلية بينهم وبين اغوائهم حتى
تزين لهم وقيل هو عام اي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم
عليه توفيقا وخذلانا ويقوي الاول كون الكلام في الكفار والمشبه به تزيين سب الله تعالى
لهم والتهديد بقوله ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمجازاة والمعاقبة واقسموا
بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم جهدا وكانوا اقسموا بالله تعالى
موكدين تحكما على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واقتراحها وعدم الاعتداد
بما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
لا عندي اي هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
استفهام انكاري للتسبب للفقه في المسبب اي لا تدرون ايها المؤمنون ان الآيات المقترحة
اذا جاءتهم لا يؤمنون بها فلا انا اعلم بذلك بل يخفى سبب انزال الآية التي تقترحونها اعلم الله
تعالى بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم ويتمنون مجيئها
ليؤمنوا فحصل لك منه قيل هو كقوله تعالى كما لم يؤمنوا به اول مرة ومنهم من جعل لا مزيدة
في القراءة بالفتح وقرئ لا تؤمنون بالتاء على ان الخطاب للمشركين وما يشعرهم اي وما يعلمهم
ان قلوبهم اذا جاءت كما كانت مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها وقيل انها بمعنى لعلها من قول
العرب ايت السوق انك تشتري لحما ويؤيده قراءة ابي رضي الله عنه لعلها وقرئ بالكسر على
ان وما يشعركم كلام قد تم اي وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فاعلمهم بقوله انها اذا جاءت
لا يؤمنون البتة ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام
وكذا نذرهم اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم اي نطبع على قلوبهم ونعمي ابصارهم كما كانت
ولم يذكرا انهما عمدة لا يا سبيه التقليب وهذا ايضا ان تقبل قلوبهم بدل افئدتهم ويجوز ان يكون

كما في قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة للتشبيه وما مصدرية اي يفعل بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا
به اي بما انزلنا من الآيات اول ما وقعت وجاءهم هدى الله تعالى بسبب هذا المعنى اخر الآية
ونذرهم في طغيانهم يعمهون متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب
ويذرهم على الغيبة وقرئ وتقلب على البناء للمفعول ورفع افئدتهم وابصارهم ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا جمع قبيل جمع قبيلة
اي جماعات او مصدر بمعنى مقابلة وقرئ قبلا بكسر القاف وفتح الباء اي عيانا حال على
القراءات على الوجوه كلها من كل شيء لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر لان
فيه تعليل الحوادث بالقدر الازلي ولا يجيء فساده ليظهر لان استعدادهم وتنبذ نظائرهم
السابقة بسوء اختيارهم الا ان يشاء الله ظرف اي الا وقت ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون
اي لو اتوا بكل آية لا يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل
الى اكثرهم مع ان مفيضهم لان المسلمين بعضهم ولكن اكثرهم يجهلون انهم لا يؤمنون عند
مجيء الآيات فيطمعون في ايمانهم ويتمنون نزولها بين الآيات وان تواترت ووضوح البرهان لان
تعالت فيطمعها العبرة وتركت التسمية لغيره ذلك الاصلاح فلم ينتج لا للتفسق
حالا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا والحكمة
في ذلك الابتلاء والامتحان ليظهر الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر شياطين الانس
والجن مر في التسقيفي بدل من عدوا او هما مفعولا لان عدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او
حال منه يوحي يلقي في خفية بعضهم الى بعض شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض احد
الصنفين الى بعض زخرف القول مزينه ومموهه بالاباطيل غرورا حال اي غارين او
مغرورين او مفعول له للغرور ولو شاء ربك حذفا لمفعول اي لو شاء ربك ما فعلوه اي ارشادك
ان لا يفعلوا ما ذاك لانبياء واتباعهم الزخارف قيل ان الضمير لما ذكرنا فعلوه ولكن شاء لما اقتضته
حكمته ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخارف او الغرور وهو فاعله لعدوه ووهاغتنه تعالى شبيه
فذرهم وما يفترون اي اذا عرفت ان ذلك بمشيئته تعالى ومشيئته تابعة لحكمته فاتركهم وكفرهم
وفيه تهديد ووعيد ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا اي بل
علة او علة لمحذوف اي ولتصغى ليجعلنا لكل نبي عدوا او ان اللام للتعليل او للعاقبة على
الاعتزال يجوز ان يكون فعله تعالى معللا بالغرض وانتبت اهم لامر لا التعليل والتفخيم
حذف الالف ولا لام القسم لان عطفه له ولبرضى يا بابه وهذا يدفع كونه للاقرار بمقاصد القسم

في ليه **وليرضوه** لا له صحيحة فعلوه والمعلول لغرض بينا لا غراض بينا لا لانها لا انا اذا
اسلنه لتجتمع ما فيه وليرضوه لانفسهم **وليقترفوا** وليكتسبوا **ما هم مقترفون** من الاثام
فيعيروا النبي منا لتستعيد ترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة لانه اولا يكون الاصغاء
فيكون الميل فيكون الرضي فيكون فعل الاقتراف فكان كل واحد مسببا عما قبله **افغير
الله ابتغي حكما** على ارادة القول اي قل لهم يا محمد والهمزة للانكار والفا للعطف على ما دل
عليه ما قبله اي اشرك لكم الجاحدين المفترين فغير الله تعالى ابتغي اي اطلب حكما يحكم
بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل روي ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك
بما في كتابهم من امرك فنزلت وغيرَ مفعول ابتغي في تقديمها لي الى وجوب تخصيصه تعالى بالابتغا
والرضي بكونه حكما وحكما حال منه وتحتمل عكسه وجوز ان يكون حكما تمييزا عن غير كقولهم لنا
غيرها ابلا **وهو** ابلغ من الحاكم وقيل ولذلك لا يوصف به الا العادل ومعناه انا بالغة فيه جهة
التكرر ولا دلالة فيه على لو منعه **وهو الذي انزل اليكم** انزل والحال **الكتاب** اي القران **مفصلا**
مبينا فيه الحق والباطل مميزا به الصادق من المفتري فيه تنبيه على ان القران بالجانه وتقرير
مغن عن سائر الايات ثم اكد الدلالة على ان القران حق بعلم اهل الكتاب به حق لتصديقه ما عند
وهم افتضلهم من غير تمرانه صلى الله عليه وسلم لكلهم بحملة استبيا فيه زهوفة له **والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل** قرئ بالتخفيف والتشديد **من ربك بالحق** انما وصف كل ما العلم
ترتيلا لعا هليهم فهم لتمكنهم عنه منزلة العالم وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب **فلا تكونن
من الممترين** انهم لا يعلمون ذلك او انه منزل من ربك بالحق لكثرة جحودهم وكفرهم فهو من باب
التهييج والالهاب وخطاب بكل احد اي لما تعاضدت الادلة فهو يسد ولا ينبغي لاحد ان يرتاب
فيه وقيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد امته **وتمت كلمات ربك** اي تمت كل كلمة من
ربك ومعنى تمت استمرت لانه كلا انها نقض فكلمة وبلغت لغاية **صدقا** في الاخبار والمواعيد
وعدلا في الاحكام و لا تقضية نصبا على الحال او التمييز او المفعول له **لا مبدل لكلماته**
لا احد يبدل وان يحرف شيئا منها شيوعا ذريعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القران
فيكون ضمانا من الله تعالى بحفظه او لا نبي ولا كتاب بعده ينسخه ويبدل احكامه وقرئ
كلمة ربك اي ما تكلم به او القران **وهو السميع** لما يقولون **العليم** بما يضمرون فلا يهملهم ان
امهلهم **وان تطع اكثر من في الارض** اي اكثر الناس **يضلوك عن سبيل الله** لان الاكثر
يتبعون اهواءهم وقيل المراد بالارض مكة **ان يتبعون الا الظن** اي لا الا راء الفاسدة وهو ظنهم

الباطلة وظنهم ان اباءهم كانوا على الحق وهم جهلة فهم فان الظن يطلق على ما يقابل
العلم **وان هم الا يخرصون** اي يقدرون انهم على شي او يكذبون في قولهم الا اقتحم كذا احل
كذا فان الخرص لتقدير والكذب **ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين**
اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة وهي في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به
لان افعل لا يعمل في الظاهر وبشكل هذه القاعدة او في محل الجر لاسقاط حرف الجر وابقاء
عمله لدلالة اعلم بالمهتدين عليه لان مثله لا يجوز الا في ضرورة الشعر بالاضافة اعلم اليه ام
استفهامية في محل الرفع بالابتدا والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر على هذا
صرفه عن وقوف فيه تعجيبا من شان المضلين المتبعين الظن الكاذب والمقادهم وقرئ
من يضل بضم اليا اي يضله الله تعالى فيكون المضلين من قوله من يضلل الله او من يضلله
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي من شان العلم ان يتعلق
بها والدوامه وكونه بالذات لا بالغير **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** مسبب عن انكار اتباع
المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين اتاكلون
ما تقتلونه انتم ولا تاكلون ما قتله الله فقيل لهم كلوا ما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم محقين بالله
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما
ذكر اسم الله عليه هو المذكى باسم الله تعالى **ان كنتم باياته مؤمنين** فان الايمان بها يقتضي ما ذكر
وفي ذلك هذا على شرط محذوف وجوابه فكلوا **وما لكم الا تاكلوا** واي غرض لكم في ان لا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وتتحرجوا من اكله وقيل هو كلام على التغليب اذ المراد ان تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه فتغلب بالغة في سوءهم عن كل ما حرم عليهم وانهم يسالوا بهم وبذلك فيجا فيجعلها
الى التنبيه وانهم لسنة الاحتراز عن الحرام كادوا يتركون ما احل لهم ورعا وهذا ربما
الوعيد على تجاوز الحد **وقد فصل لكم ما حرم عليكم** مما لم يحرم
بيني في هذه السورة لانها على نقل مكية نزلت قبل واحدة والتفصيل الواقع في البقرة
والمائدة متاخر في النزول لانهما مدنيتان وقرئ فصل على البناء وكذا حرم **الا ما اضطررتم
اليه** استثنا متصل اي مما حرم عليكم يجوز ان يكون ما مصدرية ومما فيما اضطررتم في محل
النصب على الظرف والاستثنا منقطع اي ما حرم عليكم في جميع الاوقات الا وقت اضطرار كم اليه
يعني في حال الضرورة فانه حلال **وان كثيرا ليضلون** فيضللون ويحرمون باهوائهم بغير
علم بتشهيهم من غير تمسك بدليل يفيد العلم وقرئ ليضلون بفتح اليا **ان ربك هو
اعلم بالمعتدين** المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام **وذروا ظاهر الاثم وباطنه**

ما يعلن به وما يسر او ما يعمل بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون ما كان من الزنا سرا حلالا فحرم بهذه
الآية ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم المتروك عليه اسم الله تعالى عمدا او نسيانا وعليه احمد وكذا مالك
رواية وخالفه الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله
عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة وبما ذكر اسم غير الله تعالى عليه
لقوله او فسقا اهل لغير الله به وانه لفسق الواو للاستيناف او للعطف على جملة النهي
للتعليل حذفت لدلالة باقي الكلام عليها اي انه حرام وانه لفسق والضمير لمصدر الفعل الذي
دخل عليه النهي اي وان الاكل منه لفسق او للموصول بما عطف اضافي اي وان اكل ما
لم يذكر اسم الله عليه نفس الفسق ويجوز ان يكون الضمير للثاني على تقدير المضاف
لعدم ذكر اسم الله تعالى وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم
بقولهم المتقول فيما سبق وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم
لمشركون لان من ترك طاعة الله تعالى الى غيره في دينه فقد اشرك جوابا للقسم المقدر وقيل الشرط ساد
مسد جوابه اي والله وقيل حذف الفاء لدخول الشرط على الماضي ورد بانه يقع مضارعا ولا
يكون في القرآن او من كان ميتا فاحييناه الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر دل عليه
ما قبله اي هل يكون المهتدي كالضال ومن كان ميتا فاحييناه وقرئ ميتا على الاصل وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس تقوية للنور فان المتحير يعبر عنه بما في نور بصره ضعف
كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات على سبيل الحكاية بمعنى اذا وصف بما له
ذلك والجملة صفة من اي كمن صفته هذه وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في
الظرف والتمثيل بهما لاستقرار الايمان في ... بالفضل وهو مثل لمن بقي في الضلالة
لا يفارقها بحال وقد سبق مثل من هداه الله تعالى وانقذه من الضلال وجعل له نور
البصيرة يميز به بين الحق والباطل بالتأمل في الآيات والبينات وكلاهما من قبيل الاستعارة
التمثيلية اذ لا ذكر للمشبه صريحا ولا دلالة بحيث ينافي الاستعارة وهذا كما تقول
في الاستعارة الادبية ان لكان الاسد كالثعلب اي الشجاع كالجبان كذلك اي مثل ذلك التزيين
والاشارة الى ما في قوله زينا لكل امة عملهم او زين له وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر
او عمار رضي الله عنه وابي جهل وكذلك اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها

جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا بمعنى صيرنا ومفعوله الاول
اكابر مجرميها وفي كل قرية مفعولها الثاني ويجوز ان يكون في كل قرية ظرفا لغوا والمفعول الثاني
ليمكروا على ان الجعل بمعنى التمكين واكابر على هذين الوجهين مضاف الى مجرميها واجاز ابو
البقاء ان يكون مجرميها بدلا من اكابر واجاز ابن عطية ان يكون مجرميها المفعول الاول واكابر
المفعول الثاني والجعل بمعنى التصيير ومعنيا للتمكين على ان يكون الكلام من قبيل [illegible]
خبرا ورد بان افعل التفضيل اذا كان بمن ملفوظا بها او مقدرا او مضافا الى نكرة كان
مفردا مذكرا دائما سواء كان لمذكر او مؤنث مفردا او مثنى او مجموع واذا انث او ثني او جمع
طابق ما هو له في ذلك ولزمه احد الامرين اما الالف واللام او الاضافة الى معرفة وعلى
المذكور يلزم ان يبقى اكابر مجموعا وليس فيه الالف واللام ولا هو مضاف الى معرفة
واللازم باطل وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس في المكر بهم وقرئ اكبر
مجرميها وعلى هذه القراءة يمكن تمشية الوجهين المذكورين على القراءة السابقة وما يمكرون
الا بانفسهم لان وبال المكر يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن اي
بتلك الآية حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله لن نؤمن لرسالة محمد لانهم كانوا في
مقام الانكار لذلك وقيل روي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وقوله كما
يأتيه لا يناسبه النكتة المذكورة وعلى صحته ما روي الجمع في قالوا لان من تبعه من قريش رسول
بقوله فنزلت للقائلين الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان
النبوة ليست بكثرة النشب والمال والجاه وانما هي بخصائص يخص الله بها من يشاء من عباده
ويختص بها من يعلم انه يصلح لها وهو يعلم بالمحل الذي يضعها فيه فانتصب بعلم حيث
محذوفا مدلولا عليه باعلم لا به لان افعل التفضيل لا يعمل في المفعول به وحيث هاهنا
مفعول به لا ظرف لان المعنى انه تعالى يعلم نفس المحل المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا في
المحل وقرئ رسالته سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار هوان وحقارة بعد كبرهم
وعظمتهم مكانا يتشوفون ... النبوة وحسد الرسالة وفيه دلالة على ان الجرم يستحق
الذل والهوان وان الرسل انما فازوا بتلك الدرجة لبراءتهم لعصمتهم عن الجرائم عند الله يوم
القيامة وقيل تقديره من عند الله ... الفصل به بين ... لان كلا منهما
من عند الله تعالى ولكن اذ ... انه من قبيل الفصل بين المعطوف بما له تعلق
بهما وما في نظيره في هذه السورة وعذاب شديد في الدارين بالقتل والاسر وعذاب النار

)

بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء عليه فمن يرد الله ان يهديه يوفقه للايمان
ويعرفه طريق الحق يشرح صدره للاسلام شرح الصدر بتوسيعه كناية عن تنوير الباطن
وتصفيته الاستعداد فعابيا في قبول الحق من غير ان لا تشكك و لا شبه فيصدق الرغبة في
الايمان ومن يرد ان يضله اي يخذله ولا يوفقه يجعل صدره ضيقا قرئ بالتخفيف
والتشديد ضيقا للصدر كناية عما يكدر الباطن ويمنعه عن الاستعداد و يميل النفس الى الشهوات
فينبو عن الحق وينفر عنه فلا يقبله حرجا شديد الضيق وقرئ بفتح الراء وصفا بالمصدر
كانما يصعد في السما مثل المزاول لامر ممتنعا لا يسعه قدرته لان صعودا لا انسان الى السما
او خارج عن طوقه العادي وقيل لمن ينبو عن الحق و يتباعد نبوا لها في الهرب منه والتجافي
واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصعد من صعد ويصاعد من اصاعد و يتصاعد
بمعنى يتصاعد ومعنى في السما في مدارج السما وهذا ابلغ من الى السما كذلك مثل ذلك التضييق
يجعل الله الرجس العذاب او الخذلان او الفعل المؤدي الى العذاب على الذين لا يؤمنون
وضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اي الصراط الاسلام وما ذكرنا من التوفيق والخذلان
صراط ربك طريقه الذي ارتضاه او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه ولا ميل
الى جهة من الجوانب نصبا على المصدر او حالا مؤكدة لانه صراط الله تعالى لا يكون الا مستقيما والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل ما يحدث من
الخير والشر بقضائه وقدره وانه عالم باحوال العباد عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله
اضافها لانه كان الى السلام الذي هو اسم من اسماء الله تعالى تعظيما وترغيبا فيها او الى
انها دار لا تنغيص فيها ولا آفة ولا تعب ولا نصب فيختص السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام
عند ربهم في ضمانه وضيافته ويحتمل ان يكون النعت للمعنى فيما سبق من قوله تعالى صغار
عند الله بهذا المعنى الى الحكم وقيل في علمه لانه كذلك له عند يعني وهو وليهم محبهم وناصرهم
في اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها ويوم يحشرهم جميعا منصوب باضمار
تنول او قال يعني يا معشر الجن وهذا اولى من اضمار اذكر لعدم لا بعلم وجمع على الطرفية والحاجة
الى تقدير القول في ربطها بما قبلها و الضمير لمن يحشر منا الثقلين وقرئ نحشر بالياء والمراد من
الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم
يوم القيامة كما لا تستكثر الاغير الجيش وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض استمتع الانس بالجن لانهم دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها من الحيل واستمتع الجن بالانس
لطاعتهم وساعدتهم على مرادهم وما يشتهون من اغوائهم وقيل استمتاع الانس بهم ما في قوله

تعالى

تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن واستمتاع الجن بهم اعترافهم بالجن بانهم
يقدرون على الدفع عنهم واجابتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو
اعترافهم بما فعلوه من طاعة الشياطين في الدنيا والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم
منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان
جعل مكانا الا ما شاء الله من عصاة المؤمنين واستعمال ما في ذوي العقول لتابعي كما في قوله تعالى
الا ما تحصى وفي قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا او من الاوقات التي يخرجون فيها
من النار وهو ما ذكر في تفسير قوله تعالى يستهزئ بهم من انه يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة
فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وقيل من الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل من الحاجة الى دخول
النار من مقامها العظيم الى منتهاها القصوى وقيل الا ما شاء قبل الدخول و لا وجه له لان حكم
الخلود دار الابد بعد التحول ومن جهة المنتهى لا من جهة المبدأ ان ربك حكيم في افعاله
عليم باعمال عباده واحوالهم وكذلك اي مثل ما فعلنا من تمكين الجن من اغوا الانس نولي بعض
الظالمين بعضا اي نجعل بعض الظالمين اوليا بعض بحيث يتولاهم و يطيعونهم او نجعل بعضهم
يتولى بعضا بالموالاة او نجعل بعضهم اوليا بعض وقرناءهم يوم القيمة كما كانوا في الدنيا بما كانوا
يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس قدم الجن لان الخطاب للتوبيخ
الم يأتكم رسل منكم من جملتكم لكن رسل الانس من الخلق كانت الرسل قبل نبينا صلى الله عليه
وسلم يبعثون الى الانس وهو صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين وقيل من الجن بعث رسل
ولا دلالة في الآية على ذلك اذ لا يبلغ رسل منكم حتى يحتاج الى قول الى الى النار وبل مما ذكر
في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان اقرار واعتراف منهم بعد
وقوعهم على ما نطق به قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من
دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ولذلك قالوا شهدنا بالقطع
الماضي وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم وتخطئة لرأيهم
وتحذير لمن سمع للا تقاطعهم ذلك اشارة الى ما تقدم من ارسال الرسل وانذارهم وهو خبر
مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل وان هي المصدرية والناصبة الاتصال اي لانه لا يكون او المخففة من الثقيلة اي لان الشان والحديث
لم يكن ربك مهلك القرى ويجوز ان يكون بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر

هو لا تستطيع وان يكون خبرا لذلك اي الامر ذلك لانتفا كون ربك مهلك القرى
بظلم والبا للسببية اي بسبب ظلم او بظلم حال اي متلبسين بظلم ينبغي انه لو اهلكهم وهم
غافلون لم ينبهوا برسول ولا كتاب لكان ظلما وهو تعالى منزه عن الظلم ولكل اي ولكل عامل
بطاعة او معصية درجات اي مراتب في الجزاء مما عملوا اي من اجل اعمالهم بحسبها فالمحسن في درج
الثواب يتنعم والمسيء في درك العقاب يتالم وما ربك بغافل عما يعملون فقرئ بيا الغايبة ردا
على الامم التي قبلهما وبالخطاب ردا على قوله يا معشر الجن والانس المعنى وما ربك بغافل
عما تعملون من المعاصي ولكن يؤخر تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون انما يؤخرهم الاية وانه تعالى عالم باعمالهم خلقهم لعن جهل لا انه ضرر اعمالهم
ترجع اليهم لا اليه تعلق ابو يوسف ومحمد رحمه الله بظاهرهما في ان الجن لهم ثواب وابو حنيفة
ذهب الى التخصيص والمراد بالمحاسبة تشهدهما وربك الغني فلا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر
بالمعصية فليس التكليف لمصلحة نفسه بل للخلق ليتم تبليغهم الى الدرجات والكمال ذو الرحمة
فلا يبالي جلالا لعقق باتيل بمهالهم حتى ان يتداركوا ما فاتهم اخبر بالاول عن جلاله وثانيا في حق فضله
ثم في سياع هذه الاية بين احتياج وارتياح وهذا تكلما ما قبله مع ان ارسال الرسل رحمة
عليهم لا لانتفاعه بطاعتهم وتاسيسا لما بعده من قوله ان يشا يذهبكم ايها العصاة اي
لفنا ما مخلكم ويستخلف من بعدكم ما يشا من الخلق المطيع لكنه ابقاكم ترحما عليكم كما انشاكم
من ذرية قوم اخرين اي من نسل قوم كانوا قبلكم وقيل من الابدال كما في الغطيف بن دينار
ثم اي انشاكم منه بدلا انما توعدون من البعث واحواله لات لكاين لا محالة وما انتم بمعجزين
فيا بين ما لكم به اي بدركم حيث كنتم فيا لقصد ففلانا فاعجز في اي يسبقني ففاتني قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم المكانة مصدر مكن مكانة اذا اتمكن ابلغ التمكن وقد يكون بمعنى المكان يقال
مكان ومكانة كالمقام والمقامة اي على غاية تمكنكم واقصى استطاعتكم او على مكانكم وحالكم
التي انتم عليها من كفركم وعداوتكم لي يقال للرجل اثبت على مكانتك اي ابق على ما انت عليه من
حال لا تتحرف عنه وقري مكاناتكم على الجمع اني عامل فاعل على قدري او استطاعتي او على
مكانتي وحالتي في الاسلام والمصابرة حذف للاختصار ولما لغة في الوعيد والاشعار
بالحالة لا تتغير فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة وفيه ايذان على اولا الاظهار
التجلد والتعدد وعدم المبالاة غاية الوثوق بحفظ الله تعالى وعدم الاعتماد على غيره ثم ايذا لا يتعلق
على ما تقدروا وسعكم في عداوتي فاني فاعل بكم ما اقدر عليه وهذا غاية في التهديد وتخيير الخصم
نظيرا الثاني في العلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به واجب عليه

ذلك لا يسعه خلافه والاعراض عنه بالكلية للاشعار بانه لا يستطيع غيره كقوله تعالى اعملوا
ما شئتم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من اما استفهامية معلق عنها العمل ومحلها
الرفع على الابتدا وما بعدها خبرا اي فسوف تعلمون ايا منا تكون له العاقبة المحمودة التي خلق
هذه الدار واما موصولة ومحلها النصب على المفعولية اي فسوف تعرفون الذي تكون له
العاقبة وعيدا وانذار اللطيف لما له مع مراعاة حسن الادب والانصاف الخصم في العنوان حيث
الرفق بحسن عاقبته وحسن عاقبة الموعد كذا قوله انه لا يفلح الظالمون اشعار بظلم
المخاطبين وان ظلمهم سبب لعدم فلاحهم مع حسن العبارة وارخا العنان والمخادعة بايهام
باني ان كنت انا الظالم فلا فلاح لي وهذا اذكر للعقلا دون الكفر ثم بين ظلمهم وكفرهم في
الاية بعدها وجعلوا اي مشركو العرب لله مما ذرا خلق فيه ايما الى انهم رجعون له ما خلق
شيئا ولم يبدد على شي اي من خلق شيئا في شركه عليه بما خلقها وتركا هاجها له وكانا لا يتكلم
وهذا فانما سابحكمون من الحرث والانعام نصيبا لم يذكرهما نصيب للشركا ايجاز او اكتفا بذكر
في التفصيل الاتي وايما الى انهم باتهم جعلوا الله لكل نصيبا باخلفه وان التسوية في
ليلق بالاولي لتكلفيه مراعاة للخشية فقالوا هذا لله بزعمهم وقرئ بضم الزاي وهي
لغة فيه وهو الفن الخطا وقد جا فيها الكسر ايضا كالود وفيه تنبيه على انه ذلك من تجها التهم
ثم نهيهم ما لم ياذن به الله تعالى وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم كانوا يعينون من حرثهم ونتاجهم نصيبا لله تعالى ونصيبا لالهتهم فاذا راوا ما
عينوا لله تعالى ازكى جعلوه لالهتهم واذا راوا ما عين لالهتهم ازكى تركوها متعللين
بان الله تعالى غني وانما ذلك الحب لالهتهم وايثارا لها ساء ما يحكمون ما مصدرية ومنها
متعذيه حذف مفعولها اي لا ذلك المعنى تعذيب ما حكمهم اي حكمهم هذا السو وكذلك ومثل ذلك
التزيين والاشارة الى مضمون قوله وجعلوا لله الاية او الى ما نفس هذا التزيين الذي هو
تزيين قتل الاولاد وعقد مثله هنا زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم
لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وقرى زين على البنا للفاعل وهو شركاؤهم فنصب قتل
وعلى البنا للمفعول وهو قتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه المذكور كانه قيل من زينه فقيل
زينه شركاؤهم واما قراءة ابن عامر زين على البنا للمفعول وهو قتل ونصب الاولاد وجر الشركا
على اضافة القتل اليه والفصل بينهما بغير الظرف فقد رد بانه لا يغير مقبول في مقام
الضرورة كما في قوله ﴿ زج القلوص ابي مزادة ﴾ فكيف به في غيرها لكنه مردود لانه تخلف
منه بالحوتين على ما ذكره ابو حيان وقوعه في قراءة متواترة لاجل الفصل لان العربية تثبت

بالقرآن وتوهم انعكس من عكوف المنهم ثم انه لا ضرورة فيما ليس المذكور كما توهمه لا تساعه لوزن
القافية بجر القلوص ورفع ابي مزادة والتحقيق في مثل تلك القراءة من متقن لا اعتمادا مبناه
عدم الاعتماد على القرآن والطعن في الاسناد ولا يخفي ما فيه من الفساد ليردوهم ليهلكوهم بالاغوا
واللام للتعليل ان كان التزيين من الجن وللعاقبة ان كان من السدنة وليلبسوا
وليخلطوا عليهم دينهم وهو ما كان عليه في الاصل من دين اسمعيل عليه السلام او دينهم الذي
وجب عليهم ان يتدينوا به ولو شاء الله ما فعلوه اي ما فعل المشركون ذلك او ما فعل الشياطين
او السدنة او التزيين او الارداء او اللبس والاولى ان يجري الضمير مجرى اسم الاشارة ويراد
به الجميع فذرهم وما يفترون وافتراءهم او الذي يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى
ما جعل للآلهة انعام وحرث حجر حرام من الحجر وهو المنع فعل بمعنى مفعول كالذبح ويستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير لان حكمه حكم الاسماء لا الصفات وقرئ حجر بالضم وعن ابن
عباس حرج اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم
اي من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم
الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء اصنامهم وقيل لا يحجون ولا يلبون على ظهورها
اي قسموا انعامهم اقساما هذه حجر وهذه محرمة الظهر وهذه لا يذكر عليها اسم الله
تعالى افتراء عليه اي نسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى افتراء عليه نصب على المفعول له او حال اي
مفترين على الله تعالى او مصدر مؤكد لان نسبتهم الى التحليل لا افتراء والجار متعلق بذلك بما قالوا سيجزيهم
بما كانوا يفترون بسببه وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون ما في بطون هذه البحائر من
الاجنة وفي قول ابن عباس والشعبي رضي الله عنهم هي الالبان وبابا قوله وان يكن ميتة خالصة
لذكورنا حلال للذكور خاصة لا يشاركهم فيها الاناث اذ ولدت حيا لقوله وان يكن ميتة وحيث لا
للذكور منهم في المقام لانه قرينه لا ابانة للاناث من الازواج وهو لا يفاد بعبارة المباح فلذلك اورد
عبارة خالصة تطبيقا مع حل لها بالجمع محرم على الاناث فيها خالصة ليست للتانيث بل فيها للمبالغة
كالعلامة او خالصة في التانيث على المعنى لان ما في بطونهم في معنى الاجنة ومحرم
على اللفظ او كانت التاء للمبالغة كرواية الشعر او كان مصدرا كالعاقبة وقعت موقع الخالص
دون خالصة بعني خالص وبدلها قراءة خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او يجوز
ان يكون حالا من الضمير الذي هو فاعل الاستقرار في له في بطون لا من الذي في لذكورنا
لان العامل المعنوي لا يتقدم معمولة عليه ومن اوصل للذكورنا لان المجرور لا يتقدم عليه حاله
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما خالصه على الاضافة وهو بدل منها او مبتدا ثان والخبر في مصحف

عنها شيئا لعدم تحريمها الصا على ازواجنا تنزيلا على ان ما سمع ان الحق دون الازواج الاناث
وهي المناسبة بذكرها في مقابلة الذكور ولان المقصود الاشارة الى وجه تحريمها على الاناث
كونهن ازواج الرجال في الجملة لا بيان تحريمها على الاناث فانها قد فهمت مما تقدم وهذا اصل
باداة الوصل فانه لو اريد به بيان الحرمة على الاناث لكان تحته الفصل لما بينه وبين ما
تقدم كالا لاتصال وان يكن ميتة الضمير لما في بطونها وقرئ بالتا لان التذكير في الافعال
الاجنة وقرا ابن عامر بها ورفع ميتة على كان التامة وتذكير الضمير في فهم فيه لان الميتة
قد تكون ذكرا فغلب وقرئ بالتا المثناة مع رفع ميتة شركا اي الذكور والاناث فيه سواء
سيجزيهم وصفهم الكذب اي جزا وصفهم الكذب على الله تعالى في التحريم والتحليل انه حكيم
عليم بافعالهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين يقتلون
بناتهم احيا فبعضهم يفعل ذلك تخوفا من الفقر وبعضهم خوفا من السبي والعار وقرئ قتلوا
بالتشديد سفها مفعول له والمفعول به لجهالة الى ما لا ينبغي ان يجهل لبيه بغير علم
حال او صفة مصدر اي قتلا بغير علم فيه اشارة الى ان قتلهم لتخيلهم بان الله تعالى هو
الرزاق والمعد بالسبي وغيره وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله
ترويجا للاعتقاد بمثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وزيادة
كان للدلالة على الاستمرار ايا استمروا على عدم الاهتداء على ان القيد المذكور احيل على
في الاعتبار وان كان مدخولا له في الظاهر وهذا ابلغ من نفي الضلال وهو الذي
انشا جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات متروكات على وجه الارض
وقيل لا ولها ما غرسه الناس وعرشوه والثاني ما نبت في الجبال والبراري والنخل
والزرع مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك حال الانشا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة
والكيفية والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه لان الاصل ان يطلق
الاكل على الثمر والجنات بالحقيقة فغلب ضمير الزرع او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع
على تاويل ذلك او كل واحد منهما والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
يتشابه بعضها في الكم والكيفية ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره لتعميم كل واحد
اذا اثمر قيد لاباحة المتناول لانه لا يترك حتى يثمر فغايته الثمر المذكور للتنبيه على ان الحق
الاكل يثبت قبل الادراك والايناع بخلاف وجوب الحق الشرعي المذكور في قوله واتوا حقه يوم
حصاده يعني ما يتصدق به وقت الحصاد وكانوا لذلك الحق واجبا حتى نسخه الزكوة وقيل هو
الزكوة والاية مدنية والقرض فعله ليعلم ان الوجوب وجوبه بالاسلام ان الاية للتنفية لا للايتا

للحاجة الى لشاء ويلزم التوقيت فيها لا وامر جمعه ان يجار فقطع على لقاهم كيلا يشتبه المؤقت بالمطلق
وقد تصدق به بكسر الحاء وهو لغة فيه **ولا تسرفوا** اي في التصدق لا في الاكل ولذلك اقتصر
على نفي المحبة عنهم وقد قيل انهم كانوا يعطون شيئا في المعد ويسرفون فيه فنهوا عنه **انه
لا يحب المسرفين** لرضى فيهم بهذه الصفة فانه يبغضهم لا المتكبرين لا المتكوبين **ومن الانعام**
عطف على جنات وانشاء الانعام **حمولة وفرشا** ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج
من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الاول الكبار التي تصلح للحمل والثاني الصغار كالفصلان
وهي الارض لمستوية التي يتوطاها الناس **كلوا مما رزقكم الله** اي ما احل لكم منه ولا دلالة
فيه على ان كل رزق مأكول لحق ينهض حجة للمعتزلة في ان الحرام ليس برزق **ولا تتبعوا خطوات
الشيطان** اي لا تقتفوا اثاره في التحليل والتحريم من عند انفسكم اعتقادا وقولا وعملا وكان
فيها لا يان بعبارة الجمع اشارة الى هذه الثلاثة **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة **ثمانية
ازواج** بدل من حمولة وفرشا والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع وهو المراد
هنا لما قال **من الضان اثنين** اي زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو مع ما بعده عطف بيان لثمانية
ازواج او من الضان بدل من الانعام واثنين من حمولة وفرشا او من ثمانية ازواج اجزاء البدل
بدلا وقرئ اثنان على الابتداء والضان جمع ضائن كالتجر جمع تاجر وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه
ويجمع على ضئين كالعبيد جمع على عبيد وقرئ بفتح الهمزة وهي لغة فيه **ومن المعز اثنين**
التيس والعنز وهو جمع ماعز وقرئ بالفتح وهو ايضا جمع لماعز كالحارس وحرس وقرئ معزى **قل
آلذكرين** ذكر الضان والمعز والهمزة للانكار **حرم ام الانثيين** ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم وقد تقديرا كنفس الاختصيص **ام ما اشتملت عليه** اي حرمه والنصه عليه ذكرا كان او انثى
ارحام الانثيين الارحام جمع رحم وهو موضع الولد ما كان في الجاهلية عنوا او جملا فالاضافة الى
الانثيين بالجمع كافي قوله تعالى فقد صغت قلوبكما **نبئوني بعلم** خبروني بامر معلوم من جهة
الله تعالى يدل على انه تعالى حرم شيئا من ذلك فعلا لعلم بما لعله للتنبيه على ان ذلك التحريم
لا بد ان يكون تعليميا وهو اعتراض لطيف بين اقسام التفصيل للتأكيد في الاحتجاج على من حرم
ما احل الله لعباده من الغرض المتعلق به فيما فيهما لعله في التحليل **ان كنتم صادقين** في زعمكم ان الله تعالى
حرم هذا **ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين** كما سبق والمراد انكار التحريم بحاله تعالى شيئا من الاجناس المذكورة وذلك انهم كانوا
يحرمون ذكورها تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا تارة ويسندون
تحريمها الى الله تعالى فانكر ذلك عليهم **ام كنتم شهداء** معتبر بل اي ام المنقطعة الاضراب عن طلب

العلم

العلم والدليل العقلي الدال على تحريم من عند الله على سبيل المشاهدة ومعنى الهمزة انكار
المشاهدة وذكرها تهكم بهم وبدينهم لانهم لم يؤمنوا بنبي ولا كتاب وزعموا ان الله تعالى حرم
هذا فلم يبق الا طريق المشاهدة والسماع فقيل لهم اشاهدتم ذلك **اذ وصاكم الله بهذا** حين
وصاكم بهذا التحريم وامركم والوصية هنا مستعملة فيما يفعل او يترك ولما ثبت انه لا علم لهم اصلا
في هذا فلم يبق الا الافتراء وهو قوله **فمن اظلم ممن افترى على الله** فنسب اليه تعالى تحريم
ما لم يحرمه وهو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لتحريم البحائر وتسييب السوائب **كذبا** كاذبا لا دليل عليه في نظمه
وان فيه سنده وغرضه الكذب **ليضل الناس** اي عمل عمل القاصد اضلالهم من اجل دعائهم الى ما فيه
الضلالة وان لم يقصد الاضلال ولذلك قال **بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين** الى طرق
الثواب لانهم يستحقون العقاب **قل لا اجد** كني بعدم الوجدان عن عدم الوجود وبني هذا
الحكاية على النظر التحريم التخصيص من الله تعالى عليه ولا مساغ للراي فيه فيها ثبوت ذلك
المنفي اقتصار ان فيها اشارة الى ان من احكام المنزلة شافيا لتنوير عقلية جاحض الى التقيد
ما لتتبع لكونه بطريق الادلة الحقيقية ونماء قال **في ما اوحي الي** دون ما اثر كل علم ثم قوله
ما اوحي الي بالقران لان النص المحرم لا يلزم من ان يكون من جنس الكتاب **محرما** طعاما ما محرما
على طاعم نكرة مجرد الاعتقاد ما يحتج لتخطئة الطاعم للطالب وغير الطاعم يقول المعنى لانه
ليس من جنس المطعوم من حيث انه مطعوم محرما لا يهمله الا وزنع ولا تحبه لتعقيد من الماكول
طعاما لا ان حرمته من جهة لا من نفسه وفايدة التوصيف بقوله **يطعمه** قطع المجاز كما في طائر يطير
ما ان الطاعم يطلق على المطعم مجازا **الا ان يكون** اي الا ان يكون المطعوم والاستثناء منقطع
وقرئ بالتاء لتانيث الخبر وبرفع **ميتة** على ان كان هي التامة والمراد من الميتة هنا ما فقد حيوته
بلا ذبح اصلا اي شرعيا كان او غير شرعي ولهذا احتيج الى ذكر المحرم الرابع وتقييد الاول على طاعم
يطعمه دال على ان تحليه الميتة قبل البلاغ محرم لانه قد يشتري ويوكل وما ذا زالت خرج عنها بالذكاة
او دما عطف على ميتة او على ان مع ما في حيزه على الاختلاف في القراءتين وانما ذكرها هنا نكرة
وفي سورة البقرة والمائدة معرفتين لان هذه السورة مكية وفيها تمهيد فناسب ان يذكر فيهما
معرفين بتعريف العهد وتعريفهما في سورة النحل مع انها ايضا مكية بناء على انها نزلت بعد هذه
المشتملة عليهما من قبل ما في هذه السورة **مسفوحا** مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال
[illegible] في مفهوم السفح [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] المذكورة [illegible]

بالمعرفة وقد تعذر تخلصه من اللحم ومباح واما الطحال فليس بدم حقيقة وكذلك الكبد
فلا حاجة الى الاحتراز عنهما الى القيد المذكور او لحم خنزير لما زيد عبارة اللحم لان
كله غير ماكول لما لا تناسب زيادتها في الميتة ايضا للاشتراك في العلة المذكورة قيل ليدل
بنسق الى الوهم انه بمنزلة صيد البرجعي لا يبقى محرما بعد ما صار حلالا لان الماكول
المحرم من الخنزير غير منحصر في اللحم تدارك الحكم في الباقي بالتنبيه لا نحيصه على المذكور
بقوله فانه اي فان الخنزير رجس اي قذر تعتبره عنه الطبع السليم لعودة اكل النجاسة
ولا يخفى ما في الاعتراض بين المعطوفين بالتعليل من الدلالة على سلب حرية الا بل الاكل
ويجوز ان يراد باللحم ايضا كله مطلقا على طريقة التعبير عن الكل بالجزء وعلى هذا لا حاجة
الى صرف العبير عن المضاف فان قلت ليس في هذا التعليل غنى عن الحاق
اللحم لا بهام ما ذكرنا قلت لان التعليل الضوي لا يلزم الذكر بالعلية
بل قد يكون بالحكمة التي لا يلزمها الاطراد ولا الانعكاس لما مر ما اختص هذا والذي يليه بالتعليل
عبارة واشارة لان الطبع ينا على التسمع فبالحق يلحق بهما في الاخرى او فسقا نصب عطفا على
لحم خنزير لانه يكل انه منصوب به دل على ذلك قوله تعالى في موضع اخر وانه لفسق سمي بالمصدر
بيانا لغاية فسقه او بعبارة تحديد بينه وباشارته تعليل الحرمة اهل لغير الله به صفة موضحة له
والاهلال للكناية عن ذبحه وهو في الاصل رفع الصوت باسم الله فمن اضطر دعته الضرورة
الى اكل شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة في تناوله فان ربك
غفور لما عسى ان يفرط عنه الحاق الرخصة رحيم بالرخصة فيه وقد استدل الحرمة بالاية على ان
انتساخ الكتاب بالسنة لا تعتبارها ولانها سبقت ما سبق تحريم اخر لكن لا لانها ناطقة بان لا محرم
غير هذه وليس فيها من حيث كلام يحرم اخر بالسنة انتسخ حكم تلك الدلالة وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس رضي الله عنهما جماعة هي ذوات
الظلف كالابل وما لغام مما ليس بين اصابع منفرجة كالبط والاوز ونحوهما واختار الزجاج
وفي من المحرمات تكذيب اليهود في قولهم ان الله تعالى لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على
انفسنا ما حرمه اسرائيل على نفسه ومن البقر والغنم عطف على كل ذي ظفر وقوله حرمنا عليهم
شحومهما تبيين المحرم منهما ولا يتبين لا اضافة للاربط في الاجمال ثم التفصيل زيادة تقرير
وتاكيد ولو لا التقييد لتلك كان الظاهر انما لم يحرم من البقر والغنم وتقييد الجمع البقر
والغنم الى التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى فكان بعض
ذوات الظفر حلالا لهم فتحرم الجميع بسبب ظلمهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم

طيبات احلت لهم وتدعي النصارى ان ذلك انتسخ في شرع عيسى عليه السلام وتشهد له
التفصيل المستفاد من تقديم الجار والمجرور وتقدير قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الا ما حملت
ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا ان قد رودتها فرا على جمع حاوية كزاوية
وزوايا او جمع حاويا كقاصعا وقواصع وان قد رودتها فعايل جمع حوية كطية ومطايا
وهي الدوارة التي تكون في بطون الشاة وقيل هو عطف على شحومهما واو للتفصيل
فصلها ما حرم منا لبقر والغنم اذ لما اختلط بعظم كالالية وما في القوائم والجنوب
والراس من والعيون ونحوها لا ذاذان وانحو ذلك التحريم والحلال جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم
وانا لصادقون فيما اخبرناهم فان كذبوك في ذلك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي
لا تعرض عنهم ولا تؤيسهم عن رحمتي بل كن بانا في مقام الدعوة على تدرجي لا بابا زلا لهما
وذلك ان ما ذكر كلمة جامعة لهما اما الاول فلما انه من العبارة المذكورة حكاية تعالى
يقبل التوبة ويسبل المغفرة فانه رجعوا عن التكذيب الى التصديق فلم يفوتوا النجاة
وان الا ان داره فلما انه من اشاراتها الى انه تعالى لسعة رحمته يمهل فلما كان في الامهال مظنة
الاندفاع تدارك ما يقول له ولا يرد باسه حين يترك عن القوم المجرمين فلا تغتروا
بامهالنا اولوا فان كذبوك في الانذار اي بما اعداد العصاة واعلموا بان الله تعالى واسع الرحمة
فلا يؤاخذنا لتبغي فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فلا يرد
رحمته باسه عليهم بل هو بما اوقع مرة في صورة لطيفة الشديد اتجاه فلا تغتروا سيقول الذين
اشركوا في رد الدعوة وتكذيب الرسول لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا عطف على الضمير
المرفوع في اشركنا بلا تاكيد للفصل بلا ولا حرمنا من شيء اي ما صدر منا ومن ابائنا
ما صدر الا بمشيئته تعالى وارادته اصابوا فيما قالوا على وفق ما مر في هذه السورة
من قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا ولو شاء ربك ما فعلوه ولكنهم اخطئوا في تمسكهم
به في الرد على الرسول صلى الله عليه وسلم وزعمهم انه حجة عليه بناء على ظنهم ان ما اراده
الله تعالى لا يمكن ان ينهى عنه وما لم يرده الله تعالى لا يمكن ان يامر به ولا ساغ للنهي عن
شركهم لوقوعه على انه لم يكن مرادا له تعالى لما تقرر في موضعه انه لا تلازم بين الامر
والارادة بل ينفك كل منهما عن الاخر وكذا بين النهي وعدم الارادة وهو المعنى الذي عبر عنه
خطاهم في القول المذكور بل في احتجاجهم به صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بالتكذيب ونبا الكذب
حيث قال كذلك اي مثل ذلك التكذيب لتعظيم الله كذب الذين من قبلهم الرسل وهذا
دليل على ان مرادهم التكذيب دون ابداء العذر حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب

تكذيبهم وبين ان احتجاجهم ليس من علم ويقين بل عن ظن وتخمين بقوله قل هل عندكم
من علم اي ليس عندكم بذلك علم فتخرجوه فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن الذي لا يغني
من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون وما انتم الا تحدسون وتقدرون ان الامر كما زعمتم وليس
كذلك لما مر من بطلانه حينئذ لذلك الظن فلا مستمسك فيما ذكر لاهل الزيغ والضلال من
الاعتزال لانا حملناه على التوبيخ وتاويله بتقييد المشيئة او لا [?] واجراؤها على
اطلاقها الى ما يتمسكون به في قل فلله الحجة البالغة اما المشيئة والجلد [?]
عماد لعليها لكلام السابق والمعنى اذا ظهر عدم تمام حجتكم فالحجة التامة مختصة به تعالى
فلو شاء لهداكم اجمعين لما قامت مقام ان في تحقيق ما دل عليه الكلام السابق من كونهم مجبورين
وذلك ان فيه اقرار [?] على ان الهداية بل قد صدقتم ولكن كانا كذلك تركتم هداية كلكم
كلكم فيما يشاء علمتم انه لم يشا هداية كلكم حتى اضروا به وهذا مما لا ينبغي ان يكون اشتغالا لكم [?]
بينهم فمنهم من يستمع ويهتدي فيرجع عن الشرك ومنهم من لا يرجع فيه فالاية اخرى وهي تدل ان لا يخطر بالبال
من ابطال احتجاجهم ان يكون الاختلاف في تحقيقهم لو شاء الله ما اشركنا يعتقدون بينهم في ذلك القال
ففيه حجة دامغة لاصحاب الاعتزال قل هلم شهداءكم هلم اسم من اسماء الافعال يجيء متعديا كما
هنا بمعنى هاتوا ولازما كقوله هلم الينا اي تعالوا وانما اضاف الشهداء اليهم لانها لو اطلقت
لكان المعنى هلم من يشهدون وتكلم من يشهد بالحق وذلك قال بعد الذين يشهدون
ان الله حرم هذا يعني من قد اتهم وتقدم امرهم باحضارهم ليلزمهم الحجة وبشكيتهم فيظهر للخصم
لهم عندنا انقطاعهم انهم ليسوا على شيء ولهذا قال فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تصدقهم
ولا تسلم لهم كيف وذلك شهادة منهم بما لا حقيقة لها او لا دليل ان لا دليل لهم نحو [illegible]
فذاك الشهداء بالباطل ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من باب وضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على ان المكذب بايات الله تعالى لا يكون الا متبع هوى اذ لو اتبع الدليل
والعقل لكان مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عدلا اي غيره قل تعالوا امر من التعالي واصله امر من كان في مكان عال لمن هو اسفل
منه ثم اتسع فيه لكثرة الاستعمال اتل ما حرم ربكم ما موصولة منصوبة باتل او استفهامية
منصوبة بحرم والجملة في محل النصب باتل لان التلاوة من باب القول اي اقل اي شيء حرم
ربكم عليكم متعلقة بحرم وان في ان لا تشركوا به شيئا مفسرة ولا للنهي لعطف الاوامر
عليه وبالوالدين احسانا الا ان تقديره احسنوا بالوالدين احسانا وعطف الاوامر على النواهي
الواقعة بعد ان المفسرة للتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دال على ان

التحريم

التحريم راجع الى اضدادها وهذا ارد لذلك انه علق التلاوة بالتحريم اجمالا ثم فسر بالتفصيل
فيجب ان يكون التفاصيل كلها منهيات محرمات لكن عدل في بعضها الى الامر ايماء بالغا
في النهي وتنبيها على ان اضدادها فاحشة فيلزم النهي عنها بابلغ الوجوه ويحتمل ان يكون الاوامر
معطوفة على الناهية لخلة تحت ان التفسيرية ويجعل المصدر معمولا لمعمول وبالوالدين
احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للدلالة على ان ترك
الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما وذلك ان القول انها معطوفة على قوله اتل ما حرم
امرهم ولا بالتربية عليه ذكرناه ثم امرهم ثانيا بالبر وكيفيتها المبالغة في النهي
ولا تقتلوا اولادكم النهي مطلق وانما قال من املاق اظهارا لما يشير صنيعهم فانهم كانوا يفعلون
ذلك من اجله في الاكثر بمعنى املق الرجل [?] ما لحقه فتقرير لما كان لا انفاق باعتبار
بدل ايهما انفاقا وباعتبار بنات به فتقرر لانه استعمل في كل منهما وقد قيل الخطاب هنا للفقراء
ولذا قدم رزقهم فقيل نحن نرزقكم واياهم منعا لموجب ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاجا
عليهم فاسيل [?] الاملاق هنا بالفقر والخطاب في لا تقتلوا اولادكم خشية املاق
للاغنياء ولذا قدم رزقهم والاولاد فقيل نحن نرزقهم واياكم فلب ان يفسر الاملاق ثمه
بالاتفاق ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب ما ظهر منها وما بطن بدل منه والظاهر ما بينك وبين
الخلق والباطن ما بينك وبين الحق ولا تقتلوا النفس لما كان في اطلاق النفس شمول [illegible]
والاصل في قتلها الاباحة فيجب الحكم بحرمة التي حرم الله [illegible] الا بالحق اي
بما يحق به قتلها كالحكم بحد [illegible] ورجم بعد احصان وقتل نفس ظلما ذلكم اشارة الى ما ذكر
تفصيلا وصاكم به لما كان في الوصية معنى الاهتمام والمحافظة زيادة على معنى الطلب
استعيرت للامر المؤكد والموصى به نفس ما ذكر لتحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان غاية
العقل الرشد ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف وفيه مبالغة
الا بالتي اي بالخصلة التي هي احسن بحق اليتيم وانما جيء بصيغة التفضيل رعاية لمال اليتيم
حتى يبلغ اشده غاية من حيث المعنى اي احفظوه عليه حتى يبلغ اوان الحلم مع الرشد فادفعوه
اليه والاشد جمع شدة كانعم ونعمة واوفوا الكيل والميزان الايفاء مخصوص بالكيل والميزان
عطف عليه بطريق [illegible] ويحتمل متعلق المحذوف على المذكور على حسب [illegible] بتنبيه
المقام حتى كانه ترك ذكره وفاصل المفعول الكيل له علقتها بيانا وما يرادف وحقه بالقسط بالعدل
والتسوية متعلق بالفعل المحذوف اي زنوا الميزان بالقسط فانه مظنة النقص بحيث
لا يتفطن لصاحبه بخلاف الكيل لا نكلف نفسا الا وسعها الوسع ما تحمله الطاقة وذكر

عقيب الامر للدلالة على انه لا يؤاخذها بتقصير يقع بعد الاجتهاد في مراعاة العدل
واذا قلتم اريد بها القول هنا ما لا يطلع عليها اولا القول بين امرين حكومة وشهادة وخبر وسعادة
ونحو ذلك فاعدلوا فيه ولو كان المقول له او عليه ذا قربى من ذوي قرابتكم وبعهد الله
اي بما عاهدكم الله من اوامره ونواهيه اوفوا او بما عاهدتم الله عليه من ايمانكم ونذوركم
ذلكم وصاكم به امركم به وتأكيدا للامر لعلكم تذكرون لما كان في هذه الحكم نوع خفاء بالنسبة
الى ما سبق بحيث يحتاج الى الاجتهاد جعل الذكر الكثير حتى يذكرونه وان هذا صراطي مستقيما
الصراط من السبيل لما فيه من الاستواء ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد كما يوصف بالاستقامة
للاحتراز عن الميل الى نحو من الجوانب لا ان يتعلق بالصعود والهبوط ونحوهما الا ان الاحتراز
المذكور حصل هنا بالاضافة فنزل مستقيما حالا مؤكدة والاشارة الى ما ذكر في السورة
فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ انّ بالكسر على الاستيناف
وبالفتح بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرئ ان مخففة من الثقيلة وفيها
ضمير الشأن ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان الطريق كل ما يطرقه
طارق معتادا كان او غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك ان عم من ان يكون
على جهة القصد ولا وهذا التفصيل بين اصابة وجه كل من الصراط والسبيل فتفرق
الفاعل بالنهي والمضارع المحذوف التاء منصوب باضمار ان وفاعله ضمير السبل وفيهم من لم
يحذف التاء بادغامها في التاء لتفعل فقرأها بالتشديد التاء والباء في بكم للتعدية وتعديه
بعن لتضمنه معنى الازالة اي فتفرقكم متفرقين عن سبيله فيه التفات ولطف والتنبيه
على الطريق المنسوب اليه تعالى لا يكون الا صراطا مستقيما ذلكم الاشارة الى مجموع
الامر والنهي وصاكم به لعلكم تتقون ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم
يعقلون ثم يتفطنون ثم يتقون المحارم وقبحها ثم آتينا موسى الكتاب عطف
على ذلكم وصاكم به وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم
وصاكم به قديما ثم آتينا او ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة
على الذي احسن على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على الذين
احسنوا او قراءة اي تماما على المحسنين او على الذي احسن بتبليغه وهو موسى عليه السلام
او تماما على الذي احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي على الذي هو احسن وقيل في وجه النصب انه مخفض لكنه لا
ينصرف ففتح وحسنه يكون بدلا عن الذي لترجمة عنه لكونه المعرفة بالتركيب منك

بالخفض وتفصيلا بيانا في غاية التفصيل عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال
والمصدر لكل شيء يحتاج اليه في الدين وبه دلالة على انه لا اجتهاد في شريعة موسى عليه
السلام لانه فرع الاجمال في بعض الامور الدينية وهدى ورحمة يهون عليهم مشاق
التكليف بما ذكر والتعريف لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم بلقاء ثوابه وعقابه بيوم الجزاء
يؤمنون يصدقون وهذا اي القرآن كتاب عظيم الشأن انزلناه اسناد الى نفسه بنون
التعظيم مبارك كثير النفع لما فرق بينه وبين غيره بانزلنا لان الانتفاع به بعد نزوله
فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بما تعلقها بكلمة الترجي لان حصولها بالحتم على
الايمان وفيه خطر ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لمقدر دل عليه انزلناه فيما قبله وقرئ
بالتاء والياء على التفات فيها التفات من الخطاب في فاتبعوه واتقوا في تقولوا كالتفات
من الغيبة الى الخطاب وكلاهما في محل حيث اعرض عنهم وجعلهم غائبين عند حكاية احوالهم
الردية ثم خاطبهم عند قصد تقريعهم وتبكيتهم انما انزل الكتاب جنس الكتاب المخصوص في
التورية والزبور والانجيل المنزل على من قبلنا واما الصحف فليست من جنس الكتاب في العرف
على طائفتين من قبلنا اي اليهود والنصارى ولعل الاختصاص لهما على ان المجوس لم يكونوا اهل كتاب
ولو كانوا فانهم كانوا لا ينتحلونه وان كنا ان هي المخففة ولذا عليه فصل اللام الفارقة والاصل وانه كنا
اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لانه لا نعرف ما هي لانه لم يكن على لغتنا فلم نفهمه على
قراءته او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى رشدا واسرع اهتداء
منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولهذا تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار والخطب
على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها فتبكيت لهم وازاحة لحجتهم
ايضا ويحذف الشرط اشعارا بتصديقهم في دعوى الذكاء وتحقق الذهن وان من يدعي ذلك
فلينتبه بمثل هذه النكتة وليد رأينا لبينة نعتا لافهامهم تبيحا وزبيانا بان الامهم صون
لجلالة الشرط والحق انه صدقهم في الدعوى جميعا او ان اظهارها صفته وهدى ورحمة لاهل
ارسل اليهم فبكم فمن اظلم الكلام اي لنفسه والغير وقدر في تعبيره قوله تعالى ومن اظلم ممن
استحبا فتحقيق هذا النوع من الاستفهام ممن كذب بآيات الله بعدما عرف صحتها او تمكن
من معرفتها وصدف عنها اعرض من عمل بها او صد منعه الاعراض فحصل التكذيب سنجزي
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب اي العذاب السيء وهو الموصوف بما به الشكر بما كانوا
يصدفون بسبب اعراضهم على تجديد الصدف ولحقا انه جيئا هل ينظرون اي ما ينظرون
يعني الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الجواب الا ان تأتيهم الملائكة

او ياتي ربك هذا ما ذكروه بقولهم او تاتي بالله والملائكة قبيلا **او ياتي بعض آيات ربك** هذا ما ذكروه بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او ما عبر عنه ببعض آيات ربك تعظيما لانه اعظم آيات الطالع قبل قيام الساعة **يوم ياتي بعض آيات ربك** يعني الآية المذكورة انها لا ينفع شرائط الساعة مطلقا الاول الايمان ثم بعدها هي بهاكيف وتنزل عيسى عليه السلام لدعوى الخلق الى دين الحق بعد خروج الدجال **لا ينفع نفسا ايمانها** كالمحتضر اذا امن اذا لا امر ايمانا ان الايمان لا تحول برهانيا كان او تقليديا بكونه بالغيب **لم تكن امنت** صفة نفسا **من قبل** متعلق بالمعطوف **او كسبت** عطف على امنت **في ايمانها خيرا** اريد بالايمان المعرفة بالشرائط التي هذا اخره لا تنفع بالنار ويكسب الخير لا دعاء ولا قبول وتغن معاصرا اهل السنة نقول بما هو موجب النص بان الايمان النافع مجموع الامرين فلا حجة فيه للمخالف لان مبناها على حمل الايمان على المعنى الاصطلاحي المخترع بعد نزول القرآن وتخصيصه بما يكون بالجوارح وكل منهما خلافا لاصل لا لظاهر وقوله فمعنى الايمان النافع لا بد فيه من امرين الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان وقد عبر عن الاول بقوله امنت وعن الثاني بقوله او كسبت فان الكسب يكون بالاعمال البدنية ومنها اللسان فالتعلق لا يفعل وفق مذهبنا والله تعالى اعلم **قل انتظروا** ما تنتظرونه من احدى الثلاثة **انا منتظرون** له وعيد لهم وعدلنا **ان الذين فرقوا دينهم** فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرئ فارقوا **وكانوا شيعا** اي فرقا جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار **لست منهم في شيء** اي ليس اليك شيء من نجاتهم او النسيئة عنهم بما عليك الا تبليغ الوحي اليهم **انما امرهم الى الله** الا شاعلهم بالعقوبة ان اخرهم الى الآخرة وانتظار لقيهم للرجوع عنها فيعفو عنهم **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** اي في الآخرة يجازيهم عليه للكل **من جاء بالحسنة** بعمل من اعمال الحسنة ليعلم ان النظر الى ما ختم به وقد قال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالخواتيم **فله عشر امثالها** اي اقامه مقام الحسنة الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها لم يرد به الحصر بل اراد به التفضيل بالتضعيف وهذا اقل ما وعد بالاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب وقرئ عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها**

بل اجزاه هذا بحكم الوعد لا باقتضاء العدل لكما هو تقرير المعتزلة اذ لا حق للخلق على الخالق **وهم لا يظلمون** بنقص الثواب وعدلهم بان لا اخرويا لعقاب بلا استحقاق **قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم** اي ارشدني ربي بما نصب من الحجج **دينا** بدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما او منصوب بفعل مضمر دل عليه المذكور او حال من صراط لاختصاصه بالصفة او نصب على المدح اي اعني او اخص دينا **قيما** فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة لانه نعت في الاستقامة وقرئ قيما وهو مصدر نعت به للقيام وصف به **ملة ابراهيم** عطف بيان لدينا انما ذكره لترغيبهم على اتباعه لانه دين ابيهم **حنيفا** حال من ابراهيم **وما كان من المشركين** عطف عليه **قل ان صلاتي ونسكي** عبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل وحجي من مناسك الحج وانما خصه بالذكر لان المشركين كانوا يتخللون الشرك في التلبية وكذا تخصيص الذبح بالذكر على المنزل الاول **ومحياي ومماتي** وما انا عليه في حيوتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي باسكان الياء اجراء للوقف مجرى الوصل **لله رب العالمين لا شريك له** خالصة له لا اشرك فيها غيره **وبذلك** القول والاخلاص **امرت** بذلك القول هذا بيان انه يقول لا يمان الا افيها **وانا اول المسلمين** لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته **قل اغير الله ابغي ربا** هذا ابلغ من اغيرا غيرا فاعبد الله لانه على معناه بطريق البرهان وهو جواب عن دعائهم له صلى الله عليه وسلم الى عبادة الاصنام **وهو رب كل شيء** فلا يصلح غيره ان يكون مربوبا اصلا فضلا عن ان يكون شريكا لله تعالى في المعنى يتعهده بل يكون مربوبا وكل شيء جملة حالية في مقام التعليل للانكار والتاكيد **ولا تكسب كل نفس الا عليها** اي لا يكون جناية نفس الا عليها ومعناه السلب الكلي فاداة السور الداخلة على النفي فان كانت مدخولة له فلا نفعا **ولا تزر وازرة وزر اخرى** اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى في تناول لقولهم ابن المغيرة اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فنزلت هذه الآية العقد عن الغير على ذلك المحمل وانما تحمل المستحق بعد وان الله تعالى في آية سالكة عن عن الاستيفاء بحيث ويبين حديثا في حق المذكور في صحيح مسلم وهو قوله يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفر الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى **ثم** متعلق بقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ما اعترضنا كبينا ذكره **الى ربكم** لا الى غيره **مرجعكم** يوم القيامة

فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي
جعلكم خلائف الارض خلائف الامم الماضية في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الخلقة والتمكنة والعلم والعمر ليبلوكم اي ليختبركم فيما آتاكم فيما اعطاكم من النعم
بالشكر وفيما ابتلاكم به من المحن بالصبر ان ربك سريع العقاب اي لاعدائه وانما كان سريعا به
جميعا لانه لا يحتاج الى اشغال الالات ولا يتوقف على استعمال الادوات وانه لغفور رحيم
اي لاوليائه وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف
بالرحمة واتى ببناء المبالغة فيهما واكدهما باللام تنبيها على انه تعالى غفور بالذات
معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها قال الله تعالى ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي استخلفناكم فيها بعدما اهلكناها
من يحشرون لا يلزم من هذا ان يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وكل من جاء بعد خليفة
والجمع الخلائف وجاء على الاصل مثل كريمة وكرائم وقالوا ايضا خلفاء من اجل انه لا يقع الا
على مذكر وفيها الجمع على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء لان فعيلة بالهاء لا يجمع على فعلاء

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

المص قد سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف وقوله انزل اليك صفة والمراد بالكتاب السورة
وهنا اولى ليس التنزيل الكامل ... الكل اولى به فلا
يكن في صدرك حرج اي فلا يكن شك ... على طريقة الكناية فان الشاك ... ضيق
الصدر ... فلا يكن في قلبك شك وخرج على ان الصدر مجاز عن القلب والحرج مجاز عن الشك
او الخوف وتوجيه النهي اليه ... الحرج لو كان مما ينهى عنه لنهينا عنك فانه ابلغ
ولا يخفى ما في هذا الاعتبار اللطيف من تعظيمه شأنه ... للتنبيه اي اذا انزل اليك
من الله تعالى فلا يحرج صدرك لانه سبب لانشراح ... في صدرك ضيق على ان يكون
النهي للتكوين ... لتنذر به متعلق بانزل
من الله تعالى او من تبليغه مخافة ان تكذب ... لتنذر
به علة لانزل ... على انه ينبغي ان يزيل الحرج عن صدره ولا يستعمل في الانذار
او للنهي ... من عند الله تعالى ... وذكرى
نصب باضمار فعلها اي وتذكر ... عطفا على المصدر
المنسبك ... لا على محل لتنذر لانه

محله النصب او رفع عطفا على كتاب او خبر لمحذوف اي هو ذكرى للمؤمنين اطلق ... العموم
... وخص التذكير بالمؤمنين لانهم المنتفعون به اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من القران والسنة
لانه تعالى وما ينطق عن الهوى لانه لا ينتظم ... بل قوله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ... قيل اليكم من ربكم لما تجمعه
عليه السلام ...
ولا تتبعوا من دونه اولياء من شياطين الجن والانس فيضلوكم عن دين الله تعالى
ويحملوكم على عبادة الاوثان واتباع الهوى والبدع او من دون ما انزل اليكم اي من دون
دين الله ... ولا تبتغوا قليلا صفة للمصدر اي تذكرا قليلا او للزمان اي زمانا
قليلا حيث ... دين الله تعالى ... ما مزيدة للتاكيد لقلة تذكرون صفة
... تذكرون على ان الخطاب مع النبي عليه السلام وكم من قرية
... اهلكناها اي وكثير من القرى اهلكناها فجاءها
باسنا ... واجري ... اهلكناها ... الحقيقي
... ان اصل الكلام
... الكلام على اصله بياتا
في موقع الحال اي بائتين او هم قائلون في محل النصب عطفا على بياتا كانه قال بائتين
او قائلين ... لانه ...
... والواو للعطف ...
... للعذاب لانهما وقت دعة وغفلة ...
... فما كان دعواهم دعاؤهم على انفسهم
بالويل اذ جاءهم باسنا ... العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين الاعراف
... اي ... قالوا انا وليينا
انا كنا ظالمين ... حين جعلناهم حصيدا خامدين فلنسألن الذين
... فلنسالن الذين ارسل اليهم ... الرسل ...
ماذا اجبتم المرسلين ... لا ... ولنسألن
... ولنسألن المرسلين عما اجيبوا ... يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم ... المجرمون ... السؤال
... فلنقصن عليهم

كان سؤال الفريق الأول سؤال تعنيف وتعذيب وسؤال الفريق الثاني سؤال تشريف وتقريب
لا لاستغناء ردا لاستنقاص وسكوت عن الجواب بعد تركوا الخطاب بحسب المقام بصدد ما لكلام
بالقاء الفضيحة **عليهم** أي على الفريقين ما كانوا عليه **بعلم** كاملا شاملا لظواهرهم وسرائرهم
وما كنا غائبين حال في مقام التعليل إذ الذي تكن عنهم غائبين لم نزل وما كانوا غائبين
تنبيها على أن لكنا هذه الحال المنافية ثابتة تعالى عن الكمال لا أمر عن جانبهم وعدم الغيبة
بينهم عنهم مجاز مستعمل على الحكاية عن الإحاطة التامة بأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم وفيه
دفع ما عسى أن يخطر بالبال من أن قصد السؤال عنهما الحال العلة تعلق تام لجانبي الكلام مورث
لما للحسن في انتظامه تمام لا لفيا **والوزن** مبتدأ يومئذ ظرفه **الحق** خبره أي والوزن يوم إذ
القا لامر وسؤالهم هو الحق الثابت الواجب الوقوع المحق صفته والخبر يومئذ أي الوزن العدل
كائن يومئذ والأول أولى لأن المقام مقام الإخبار عن الوزن الواقع يومئذ بأنه الحق لا غير
لا عن اليوم المذكور بأن الوزن الحق فيه لا في غيره فقيل يوزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان
ينظر إليه الخلائق إظهارا للعدل وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفوا بها بألسنتهم
وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما أخذ الجمهور ويصدقه ما ورد في الخبر من خبر البطاقة أن الرجل يؤتى
به إلى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا
الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة **فمن ثقلت**
موازينه أي رجحت موزوناته أعماله التي لها وزن وقدر أي الحسنات أو ما
يوزن به أعماله على أن الموازين جمع موزون أو جمع ميزان وتوحيد الضمير باعتبار اللفظ من
لا أن جمعه لمن له **فأولئك هم المفلحون** الفائزون بالنجاة والثواب **ومن خفت موازينه**
عن الحسن وخفة ميزانه توضع فيها الحسنات إذ بثقل رجحة الميزان توضع فيها السيئات أن يجعل هذه
على ما في مفهوما المواردين **فأولئك الذين خسروا أنفسهم** بتضييع الفطرة السليمة التي فطر الناس
عليها **بما كانوا بآياتنا يظلمون** أي يكذبون ظلما **ولقد مكناكم في الأرض** أي جعلنا لكم على
التصرف فيها بالتمكين أو الزرع وغيرهما **وجعلنا لكم فيها معايش** تعيشون بها جمع معيشة
وهي وسيلة من جهة مكسب المطعم والمشرب للإنسان في هذه الحياة وقد يطلق على ما يتعلق
فيه من المطاعم والمشارب وغيرها والوجه تصريح الياء لأنها أصلية وقد شبهها
بما فيه الياء زائدة كصحائف **قليلا ما تشكرون** نصب قليلا بتشكرون وما مزيدة لتأكيد القلة
أي الشكر اعترافا بالنعمة مع ضمنها التعظيم **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** أي خلقنا أباكم
آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة من أجله

عليه السلام وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم لعله **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**
أو بيننا أنا خلقناكم ثم صورناكم بأن خلقنا آدم عليه السلام ثم صورناه ثم قلنا وكان
الظاهر أن يترك ـــــ ثم أمرنا الملائكة بالسجود لآدم لما عدل عنه لأن الأمر بالسجدة
كان قبل خلق آدم عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين والواقع بعد تصويره إنما هو قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم لتعيين
وقت السجدة المأمور بها قبل هذا والأمر السابق لكلمة ثم عن معناها الأصلي وحملها على مجرد التصرف
تحقيقها أن تصرفها إلى معنى التفاوت في الرتبة لا على التراخي في الأخبار **فسجدوا** أي الملائكة
في الامتثال وأتوا بما أمروا به على الاستعجال وما كان في بقعة الاحتمال أن يكون الاستثناء
بقوله **إلا إبليس** عن المبتدر إلى قبله لا إلى أصل الحجيج بقوله **لم يكن من الساجدين**
دفعا لذلك الاحتمال فلا مساغ فيه للاستثناء على الاتصال بناء على أنه لا حاجة في هذا المقال
وكان يكفيه أن يقال ـــــ لم يسجد لأنه تصديع الإخبار عن عدم لا لإشعار
بأنه على تقديره لو ظهر منه السجود لا يكون ساجدا حقيقة لما فيه من إضمار الاستكبار بل
يكون معدودا من الساجدين فيغني لذلك الكل فافهم هذا المعنى **قال** عز وعلا للكلم
أي التعيين بما بعد من إسنادنا القول إلى نفسه ظاهرا أن هذه المخاطبة مع إبليس لم يكن بالذات
وكان الجاني تنبيه لهذا الأمر ما حين قال إن هذه المكالمة كانت على لسان بعض الملائكة **ما منعك**
أن لا تسجد منع نظيره فحمل عليه في التعدية بإلى كأنه قيل ما صرفك عن أن تسجد
إلى أن لا تسجد لا يخفى أن اعتبار الصرف إنما يبلغ في الكلام وأنسب المقام ومن هنا
تبين أنه لا دلالة في قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي على زيادة لا في هذا
القول لا انتظام معنى الصرف على كلا القولين **إذ** معمول للقول أو منعك أي ما منعك
عن السجود في وقت **أمرتك** بالسجود وفيه دلالة على أن مطلق الأمر للفور ولا على أنه
للوجوب أما الأول فلأن الأمر من تعيين وقت نفخ الروح في بدن آدم عليه السلام
بقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فإن فيه دلالة على أن
المأمور به السجدة في الحال وفي تعاقب أمثال تلويح إلى أنها كانت للتعظيم إذ النفخ وما
يظهر عنده من آثار القدرة الباهرة في الحقيقة وإن كانت في الظاهر لتعظيم آدم عليه
السلام وأما الثاني فلأن مبناه على أن يكون مسوقا لاستفهام التوبيخ وأن يكون التوبيخ
على عدم الإتيان بكل ما في معرض المنع أما الأول فلأن الظاهر من قوله استكبرت أم كنت من
العالين الاستفسار لا الاستخبار عن سبب المنع وأما الثاني فلاحتمال أن يكون التوبيخ على عناده

لم يمنعك عليه منه وترك منا بعثه إياهم كما هو الظاهر من قوله أبى أن يكون مع الساجدين أي
أبى عن متابعتهم في الأمر بالسجود وفي قوله أمرتك دلالة على أن المطيعين كانوا مأمورين بالسجود
لآدم عليه السلام بقوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم وعلى أن صيغة الأمر للوجوب لأنه لولا الأمر لما
من قوله تعالى أستكبرت أم كنت من العالين هو السؤال عن المانع على ما نعقد عليه في موضعه قال أنا
خير منه لما كان هذا الكلام جوابا من حيث المعنى عن السؤال عن السؤال على وجه التفصيل عن المانع
المذكور في قوله تعالى يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين
فيه باختيار الشق الثاني من الترديد المذكور أي كنت من الذين لهم تفوق وعلو لا من الذين لا علو
لهم وشأنهم كما بيناه لهم عبارة ذكرها هنا في معرض الجواب عن السؤال الحالي وجه الإجمال عن المانع
ومن غفل عن هذا قال إنه جواب من حيث المعنى متنا نت فيه استبعادا بينة لأنه يرى الفاضل
يسجد للمفضول فهو الذي قاله بالحسن والقبح لعاليتها قولا خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك الخبيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون
باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتوحيد أي بغير واسطة
وباعتبار الصورة كما أشار إليه بقوله ونفخت فيه من روحي وباعتبار الغاية كما أشار إليه
بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتشديد أي بعد ... المتصرف في عالمي الشهادة والغيب
ولذلك ... وكونه ذا حظ من عالمي الملك والملكوت صار أفضل ممن له حظ من أحدهما فقط
واستحق أن يسجد له الملك واللعين في تعليله ... فيه حيث ... وما استعمله أيضا
وقيل لعل نسبة خلق الإنسان إلى الطين وخلقه إلى النار باعتبار الجزء الغالب ويرد
عليه أن المناسب لهذا الاعتبار أن يقال خلقته من تراب والله أعلم بالصواب •
قال فاهبط تفريع على الجواب الخارج على حد الأدب بل على نهج السفاهة وافتخار اللعين بما في
عنصره من شرف الصعود فجوزي بذل الهبوط وهو التنزل من جهة العلو إلى جهة السفل
فصح عود الضمير في قوله منها إلى الجهة العلوية وإنما النزول من السماء أو الخروج من الجنة
فلهذا ذهب إلى كل منهما ذاهب فلا مانع أن يعود الضمير إلى واحد منهما بخصوصه مع عدم ذكرهما
قبل الذكر فما يكون لك يصح لك تعليل للأمر المذكور أن تتكبر فيها لأنها مكان المطيعين
المتواضعين ... التكبر في وصف المخلوق ... الكبرياء تكلف بالإنسان من الحال ... في
ومقام الخالق ... على ... الغضب ... في الأول ... في الثاني فاخرج
منها ... الملائكة ... لما ... على عدم ... لأن يكون في جهة
العلو إنك من الصاغرين من الذليلين ... تعليل للأمر بالخروج من ... [illegible]

للعزة في ولاية كل من تعاطيها لا غير يقصد ما ظهر منها ... قال أنظرني من الإنظار
بمعنى الإمهال إلى ... المنظور له ... إلى يوم يبعثون أي الإنظار
الذي طلبه والضمير في يبعثون عائد إلى المفهوم من ... للمقام ... الأحوال
وفيه دليل على اعتقاد اللعين بالبعث وهو في الأصل الإطلاق في الأمر استعمل مجازا
في الإخراج من العدم والمراد باليوم المذكور يوم النشور ... بإيقاع اليوم للفناء ... أفصح
عنه في قوله لئن أخرتن إلى يوم القيامة قال إنك من المنظرين أي إنك من جملة من قد ...
لم ... إلى السؤال وفيه ... أنه ليس من قبيل إجابة الدعوة ... لطف
هذا الاعتبار ... الإخبار عن حصول ... الإنظار ... العباد ...
بها لكنه ... إلى المقصود ... المفهوم ... خوف ...
... قال إلى يوم الوقت المعلوم لله تعالى وهو وقت ... أجل
المنظرين ... النفخة الأولى ... الله تعالى كيلا ... في كل
حين ... بزيادة في الإبهام ... قال فبما أغويتني الباء
تعلقت بفعل القسم ... فبعزتك لأغوينهم أجمعين لأقعدن لهم الأم
تقعد ... لغة ... العرب • عوى الفصيل إذا بشم
... اللبن في البطن ... أي فيه ... يمكنني
بسبب ... كما فسدت بسببهم لأقعدن لهم القعود كناية
عن الترصد ... الصراط المستقيم الديني الذي ... لا ينصب ...
للفعل الحقيقي صراطك المستقيم نصبه على تضمين معنى اللزوم أي لألزمن صراطك مترصدا كما ينصب
قطاع الطريق السابلة وهذا أولى من انتصابه على الظرف وأما انتصابه على إسقاط على كما
قال الزجاج ... ضرب زيد الظهر والبطن ... إسقاط حرف الجر في مثل
هذا لا ينقاس ثم ... التفصيل ...
لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ... إتيانه إياهم بقصد
... الاستيعاب ... الجهات الأربع بالذكر ... من جميع الجهات
وإنما قال من بين أيديهم ... إلى ... تلك الجهة ...
... بين يديه ...
من لأن فيها معنى طلب النهاية ... ولا تجد

أكثرهم شاكرين لم يقل فلا يجد لانه اراد بيان انه حال ابهما على مقتضى جبلتهم لا بسبب تسويل
واضلال ولا تعلق له بمن لهو ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لان ظنونه بقرينة تمام ذلك
الكلام وهو قوله ثم لآتينهم من بين ما ذكره بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا
عبادك منهم المخلصين فان انطباقه عليه لا يقتضي صحة هذا الكلام قال اخرج منها الا من باصل
الخروج من زمرة الملائكة المقربين قد كان ذلك منصرف الى مبدع الذكور مذءوما من
ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما وقيل الذام
والذيم اشد العيب كاللوم مدحورا مطرودا الدحر الدفع والطرد على وجه الهوان والاذلال لمن تبعك
منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
بكسر اللام اي لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم على ان لاملأن جهنم في محل
الابتداء ولمن تبعك خبره او على انه علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف على الوجهين منكم
اجمعين اي منك وممن تبعك لقوله تعالى في موضع اخر لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
فغلب هنا المخاطب ويا ادم اي وقلنا يا ادم على ما ذكر في سورة البقرة لا ساغ ان يعطف
على قوله اخرج لانه في معرض الاستيناف في جواب ابليس وهذا ليس من تتمته ولا من تتمة الاستيناف
نعم العطف عليها بتقدير قلنا بعده اسكن انت وزوجك قد سبق ما يتعلق به من اللطائف
الجنة فكلا من حيث شئتما في سورة البقرة وكلا عبر ثمة بالاستقلال في امر الاكل تعظيما
لشان تلك النعمة الجليلة واعتبر هنا ترتبه على الامر الاول وفيه زيادة تفخيم لتلك الا[illegible]
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي على الاصل لتصغيرهم ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا فتصيرا يحتمل
الجزم بالعطف والنصب بالجواب من الظالمين اي بصيغة الفاعل لانه ابلغ من الذي يظلم لطلبه
لينتظم الظلم غيرهم [illegible] فوسوس اي تكلم كلاما خفيا مكررا اصل الوسوسة الصوت الخفي
ومنه وسواس الحلي وهو غير متعد كولولة المرأة وعوعوة الذئب فلا بد من اللام المعدية وهنا
قيل لهما الشيطان واللام للترتيب على ما تقدم من النهي ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما
[illegible] العورة [illegible] لانه [illegible] ظهورها وكان
لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر واللام للتعليل [illegible]
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة بيان لوسوسته [illegible] والاستيناف الا ان تكونا الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين من الذين يخلدون في الجنة ولا يموتون [illegible] الكمالات
الفطرية [illegible] لا الاطعمة ولا الاشربة [illegible] على فضل الملك
على ادم وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اقسم لهما بالنصيحة واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة

لاجتهاده

لاجتهاده فيه اجتهاد المقاسم وقيل اقسما له بالقبول [illegible] انك لمن الناصحين فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه دلالة على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى منزلة سافلة فان
التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم بالله وكانا لا يظنان
ان احدا يحلف بالله كاذبا او متلبسين بغرور [illegible] النصح مع ابطان
الغش واصل الغرور [illegible]
فلما ذاقا الشجرة اي الاكل من ثمرتها دل هذا على ان المراد بالنهي عن الاكل في قوله [illegible]
[illegible] على ان المراد من الذوق هنا نهايته [illegible] بدت لهما سوآتهما
المغترة بشؤم المعصية وتساقط عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما وطفقا عطف على مقدر
اي فاقبلا واخذا يخصفان عليهما اي على عوراتهما ورقة فوق ورقة ليستراها كما يخصف
النعل بان يجعل طرقه فوق طرقه من ورق الجنة قيل كان ورق التين وناداهما ربهما الم انهكما
عن تلكما الشجرة انما قال تلكما لانه خطاب لاثنين واشار الى الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما
عدو مبين توبيخ من الله تعالى لهما على الاغترار بقول العدو وبعد التحذير ونعيا بمخالفة
النهي الارشادي [illegible] قالا ربنا ظلمنا انفسنا بتفويت
حظنا من الجنة [illegible] وان لم تغفر لنا [illegible] ان لم تغفر لنا [illegible] الى
المغفرة والرحمة [illegible] من زمرة الخاسرين [illegible] من النقص والتعريض
بان ذلك امر [illegible] ذكر لنكونن من الخاسرين هذا على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات [illegible] لا تكليفي
[illegible] على ان الصغيرة [illegible] ان لم تغفر قال اهبطوا خطاب لهما
ولذريتهما [illegible] ولابليس كرر الامر [illegible] اهبطوا بعضكم
لبعض عدو في موضع الحال ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين
انقضاء اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون [illegible] انهم لا يعودون
الى الجنة الى ان يحشروا من قبورهم ثم يصير السعداء الى الجنة والاشقياء الى النار يا بني ادم
[illegible] والتعبير به [illegible] بلادا [illegible] التذكير بخلقهم عريانا فانه
المناسب لمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس قد انزلنا عليكم لباسا جعلناه في الارض
منزلا [illegible] كقوله
وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها اي يسترها [illegible]
من الجسد [illegible] وريشا [illegible] الريش [illegible] واللباس

الزينة والجمال استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا
يواري سوآتكم ولباسا يجملكم ويزينكم لان الزينة غرض صحيح في الشرع كما قال لتركبوها وزينة ولكم
فيها جمال ولباس التقوى هو الاكتفاء بالصوف والخشن من الثياب ورفعه بالابتداء خبره ذلك خير
وذ للتفخيم الاول وساطها او خبره خير وذ صفته معدل به عن النصب للتفخيم بالاشارة اليه
وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا قيل هو ما يلبس في الحروب ولا يناسبه الترجيح
فالتخصيص فانه ذكر وجه الرجحان انما يناسب الاول وقيل هو لباس الورع والايمان ذلك
من آيات الله اي تحصيل اللباس من مواد ارضية حاصلة باسباب سماوية وانقسامها الى ما يختص بها
بالاخرى مع بعد ما بينهما دليل على كمال قدرته سبحانه وحكمة مدبرها لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمه او يعترفون بقدرته ويحترزون عن مخالفته او يتعظون فيتورعون عن القبائح روي ان
العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل
هذا ذكر قصة آدم عليه السلام مقدمة لذلك تنبيها على ان انكشاف العورة اول سوء
اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وان الفطرة السليمة
اقتضت سترها بخصفهما الورق عليها ليستترا بها يا بني آدم لا يخفى على المتفطن ما في هذا
التعبير من الاشارة الى انهم مظنة الافتتان لكونهم ذرية من افتتن لا يفتننكم لا يمتحننكم الشيطان
بحيث لا تدخلوا الجنة بالافتتان اي لا يغوينكم كما اخرج اي افتتن ابويكم بما ادى الى اخراجهما من الجنة والنهي
نهي للشيطان لفظا لمعنى في نهيهم عن متابعته والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه مجاز للتسبب والعدول عن صيغة الماضي
لاستحضار الصورة الفظيعة والنزع قلع الشيء عن موضعه الذي هو ملابس له انه اي
ان الشيطان يراكم تعليل النهي على سبيل الاستئناف وتأكيد للتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو
المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون هو ونظراؤه ليصح عطف قوله وقبيله اي جنوده من حيث
لا ترونهم اي من مكان لا ترونهم فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله جعلهم
له تمكن ويجري منه مجرى الدم في المتخيل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم تيسر
رؤيتهم لنا مطلقا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب بينهم ولانه
[illegible] واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة
في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا اعتذروا بتقليدها لآبائهم واما ما فيه من الضعف
ابدوه بقولهم والله امرنا بها قيل لما جاءوا باسناد الى سنة نبي كانه قيل لما فعلوها لم تعلمهم
قالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل من اين اخذها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق التقليد

والله

والله امرهم بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث
على مكارم الخصال اقتصر تخييره الثاني لما عرفت ان الاول لا يعول عليه بدونه في الاية وطالبه
على ان يفعل الافعال بتحا بينه العقل مع قطع النظر عن السمع وان لم يدل على ترتيب الذم عليه
اجلا قبل النهي عنه اتقولون على الله انكار يتضمن النهي كما قال ما لا تعلمون اهمالا
لا اخبار عنهم بزيادة فتح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل امر ربي بالقسط بالعدل الذي هو
الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط في كل شيء واقيموا وجوهكم معطوف على ما يحل اليه المصدر
الذي هو القسط اي بان اقسطوا واقيموا وكما يحل المصدر الى ان والفعل الماضي نحو عجبت
من قيام زيد يخرج كذلك يحل الى ان مع الفعل المضارع نحو اشتهاه وتفرغ عنه الى ان
المسهاة تفرغ عنه عند كل مسجد موضع سجود اي لا تسجدوا كما يسجد اليهود على انصاف
الوجوه وقد مر وجه ذلك في تفسير سورة البقرة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة مبتغين بها وجه الله تعالى فانه تعالى كما بدأكم سيبعثكم لن يجزيكم على اعمالكم فحذف
للتخييل وذكر ما بدأكم لعل لغته اكتفاء بالعبارة عن الاشارة كما بدأكم اي كما ابدأكم
تعودون باعادته اي فيسهل لاعادته بالابتداء فلا تنكروها لانها اهون منها فريقا هدى بان
وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بالخذلان لاستعداد الاصلي لقابلية الفطرة
لا لاقتضاء القضاء الازلي كما نعت الجبرية لان القضاء تابع للمعلوم لا متبوع له وانتصابه بفعل
مضمر يفسره ما بعده اي اضل لكون ذلك ولكن رتب به انهم اي ان الذي حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله اطاعوهم تعليل الخذلان وتحقيق الضلال ويحسبون انهم
مهتدون ولو لا حسبانهم هذا لكان فيهم تائب لا يدل الا على التحليل او التضييق
وتنبيه على ان الضلال الاحق على من ضل وزعم انه اهتدى ومن هنا ظهر ان المكلفين غير
مخصوصين في الفريقين المذكورين فان الضال المعترف بالخطأ لم يعد يا بني آدم اعاد النداء
بعد تذكيرا لنسبة ابيهم آدم عليه السلام في ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم المواري
للعورة ذكر الزينة فعلة بين الزين وهو ما يتجمل به من ثياب وغيرها والمامور به هنا
ما يستر العورة عند كل مسجد اي عند كل صلاة او طواف سبب النزول انهم كانوا يطوفون
ثيابهم ورأى المسجد هنا الطواف والصلاة فان ستر العورة فيهما واجب والسنة ان يأخذ
الرجل احسن هيئته للصلاة لعين الظاهر عبارة الزينة وكلوا واشربوا اي لا تضيقوا على انفسكم
فيما وسعه الله تعالى من الاكل والشرب روي انهم كانوا لا يطوفون في ثيابهم ويقولون لا نطوف
في ثياب اذنبنا فيها ولا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم يعظمون

بذلك تحججهم فقال المسلمون يا رسول الله فنحن أحق بذلك أن نفعل فنزلت الآية ولما كان حفظ الفضل في الموضعين مظنة التعيين والتوسيع للبادرة الرخصة في الأكل والشرب كما وكيفا تحدث دفعه بين لهم **ولا تسرفوا** أي في التعدي أي بالتعدي من الحلال إلى المحظور بل من الطيبات إلى المحذور **إنه** أي أن الله تعالى والإضمار قبل الذكر للتفخيم **لا يحب المسرفين** لا يرتضيهم لإسرافهم وهذا أبلغ من ذم الإسراف وصيغة الجمع للتعميم لأنواعه فإنه مذموم في كل مرتجي في التصدق على ما مر في سورة الأنعام **قل من حرم** نفي للاستفهام إنكاري تحريمهم الأشياء من بين محرميها والاستفهام إذا تضمن الإنكار تجب له **زينة الله** الإضافة إليه تعالى تعظيما لنعمه الزينة بالدلالة على عدم التحريم منه تعالى **التي أخرج** من الحيوان كالحرير والصوف والنبات كالقطن والكتان والمعدن كالحلي وسائر الأجناس **لعباده** في عبارة العباد إشارة إلى أن الإخراج المذكور لمصلحة العبادة فلهذا أثرها على الناس **والطيبات** أي المحللات فإن المحرم ليس بطيب وإن كان مستلذا **من الرزق** من المأكل والمشارب ووصفها بالطيب هنا في مقابلة الإضافة إلى الله تعالى في تقريب فائدة المعنى المهم في المقام وهو كونها غير محرمين في الشرع ولا وجها للنفي في الآية على أن الأصل في المطاعم والمشارب والملابس وأنواع التجملات الإباحة **قل هي** أي جملة ما ذكر من الزينة والطيبات **للذين آمنوا في الحياة الدنيا** غير خالصة لهم لكونه كفارهم شركاؤهم فيها وإنما قيل للذين آمنوا ولم يقل لهم تنبيها على أنها خلقت لهم بالأصالة والكفار تبع لهم فيها والحقيق للأشياء على وجه التشريك بأنها لهم الحاجة إليها في الجوع **خالصة يوم القيامة** لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال لما في المقيل المستكن في الجار والمجرور الواقع خبرا فهي تعريفها بالرفع على أنها خبر بعد خبر **كذلك نفصل الآيات** أي كتفصيلنا لكم هذه الأحكام في الحلال والحرام نفصل لكم جميع ما لكم حاجة إليه من شرائع الإسلام وإنما قال **لقوم يعلمون** تنبيها للمفضل عليهم بتفصيل التفصيل لهم وتغليبا للذكور على الإناث لأنهم المنتهي في أهلية الخطاب بأعلام الأحكام ولما فهم الحلال والحرام **قل إنما حرم ربي الفواحش** أي لم يحرم الزينة والطيبات وإنما حرم القبائح التي زاد قبحها والتحريم المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الإطلاق في الفعل بيانا لجواز تناوله **ما ظهر منها وما بطن** قال ابن عباس رضي الله عنهما الأولى الإعلان بالزنا سرا جاهليا وكانوا يستقبحون به علانية فنهوا عنها جميعا وتخصيصها بالذكر مع اشتمالها في سلك ما ذكر للاهتمام **والإثم** أريد به ما يوجب العقوبة تعالى من الذنب **والبغي** أريد به ما بغير

وبين المغير وهو التعدي مستعليا كالتطاول ومتصرا وعدوا **بغير الحق** زيادة بيان لأنه كان يحتمل أن يكون بغيا **وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا** تهكم بهم إذ معلوم أنه لا برهان عليه حتى ينزل من قبيل ولا ترى الضب بها ينجحر وإنما لم يجز أن يرد البرهان بالإشراك كان ذكر ذلك انتهى ثم إن في السلطان تنبيه على البرهان من حيث أن البرهان أظهرها وحجته المعنى وفساد نقيضه والسلطان أظهرها ما يتسلط به على نقيض المعنى بالإبطال وله معنى ما في اعتبار حكمة المزية والإشراك لمعول تكمول ومن تعظيم الشرك **وأن تقولوا على الله** وأن تفتروا عليه **ما لا تعلمون** إنما ذكر الظهار لزيادة قبح ما فعلوه وإلا فالافتراء لا يكون عن علم **ولكل أمة أجل** الأمة الجماعة التي على مقصد واحد والأجل الوقت المضروب لانقضاء المهل فيه إشارة إلى أنه تعالى ربما أمهل المصر لواحد ثم أوعيد ففيه على أنه يكون المراد منه الأجل مدة نزول العذاب لا الإشارة إلى هذا الكلية على ظاهرها **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** أي لا يتقدمون ولا يتأخرون وإنما قال ساعة لأنها أقصر الأوقات في العرف يعني المستعمل لصاحبه في الساعة أي أقصر وقت وإنما قال فإذا جاء أجلهم لأنه قبل المجيء يقبل التقدم والتأخر خلاف ما بعده على ما أفصح عنه في قوله ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر والمراد من مجيء الأجل مجيء قربه على ما دل عليه من أنهم لا يستقدمون وهذا كما يقال جاء الشتاء جاء الصيف إذا قرب وقته **يا بني آدم** ثم أورد هذا النفي لما فيه من التذكير لأول الرسل فيهم **إما يأتينكم** هي إن الشرطية زيدت عليها ما التأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وجزاء الشرط الجملة الشرطية الآتية **رسل منكم** إنما جاء في بيان الرسل عرفي الشك تنبيها على أنه غير واجب كما زعم أهل التعليم **يقصون عليكم آياتي** المقصص نقل الحديث بالحديث أصل اتباع الشيء بالشيء **فمن اتقى** الشرك والمعاصي **وأصلح** العمل والإسلام **فلا خوف عليهم** من الوقوع في العقوبات وهذا عم الأنفال **ولا هم يحزنون** بفوات الثواب وهذا عم للأملاح وليس فيه إبطال المخافات البينة لأن المراد به العاقبة فهو كقول الطبيب لا بأس عليك والأمر وإن كان في وجع وضعف **والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها** أي تعظموا عن قبولها والمعنى استمروا على التكذيب فإن الاستكبار لا يستمر إلا بالاستمرار على خلاف ما يتقي ويصلح **أولئك أصحاب النار** الملازمون لها لتكذيبهم بآياتنا **هم فيها خالدون** لاستمرارهم عليه وإنما أورد في جواب هنا يعني الفاء في الجواب الأول للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد **فمن أظلم** الخطاب للفاء للترتيب لما فهمه مما تقدم من عظم شأن الافتراء حيث قرن بالشرك بالله

وشأن التكذيب بحقيقة أخبر بأن جزاءهم الخلود في النار رووا لا يستعقبها الا استعظام وتقريرا لما
تم ايضه في سورة تفسير سورة الانعام ممن افترى على الله أي فعل اختراع امرا لا أصل له
في حق من لشيئه وهذا يتعدى بعلى قوله كذبا تصريح بما علم التزاما ... لما فيه
الافتراء من مزيد قبح حيث جمع بين القبيحين أو كذب بآياته تنزيل أو كذبه لان من كذب
كلام الله تعالى أنما كذبه يشكل لكونه كلامه وأما فالنبأ بآياته ليتناول المعجزات الفعلية أولئك
ينالهم لينالهم وصولا ينتهي إلى الغير ان اطلق فيدل على القرب لان اصله الوصول
إلى الشيء نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار أي هو لا يمنع أنه
ظلمهم لا يحرمهم في الدنيا بل يصل إليهم حظهم في الدنيا مما كتب لهم في الكتاب ... حتى إذا
جاءتهم غاية لنيلهم نصيبهم ... التي تنتهي بعدها الحالة رسلنا أي ملك الموت
وأعوانه يتوفونهم يستوفون أرواحهم ... قالوا جواب إذا أين ما كنتم حق ما أن
تتصل لأنها موصولة ولكن وقعت موصولة في خط المصحف ... تدعون من دون
الله أي تعبدونه ... قالوا ضلوا عنا غابوا عنا ...
وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين أي اعترفوا بكفرهم ... الشهادة التي هي تحقيق الخبر
ولا يخالف هذا ما تقدم في سورة الانعام ... والله ربنا ما كنا مشركين ...
ذلك عند ... هذا ... عما
تعالى ... الذين أشركوا ... ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
قال الذي يقول الله تعالى لهم على لسنة الملائكة يوم القيامة ادخلوا ويجوز أن يكون
... له تعالى ... فيكون دخولهم في النار ... رتبتهم كما هو الظاهر من قوله
تعالى ... في أمم أي كائنين في عداد جملة ومصاحبين لهم ...
مع قد خلت من قبلكم أي مضت ...
أنه قلب ... من الجن والإنس قدم الجن على الإنس لأن المقام مقام التحقير في النار
متعلق بادخلوا ... المشركين
بالكون ... كلما دخلت أمة أي في النار ... من تلك الأمم
لعنت أختها ... عليه ...
حينئذ أن تكون ... في النار ... حتى إذا اداركوا ...
تداركوا أي تلاحقوا ... فيها جميعا قالت
أخراهم ... لأولاهم لأجل أولاهم لأن الخطاب مع الله تعالى ...

وهم الرؤساء والقادة ربنا هؤلاء أضلونا بأن دعونا إلى ذلك وأمرونا بذلك قال
الله تعالى إخبارا عنهم إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ولا حاجة إلى التصريح من
الظاهر المبادر فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لأنهم ضلوا وأضلوا قال لكل أي لكل منكم
ومنهم ضعف ... لأن كلا من الفريقين ضال ومضل وهذا في حق القادة ظاهر
وأما في حق الأتباع فلأنهم بالاتباع لهم وتقليدهم ... فقطعيا ... على الضلال وقوتهم على الإضلال وقد ... عن هذا ... تعالى ... كان رجال
... ولكن لا تعلمون ذلك لكل
... يحصل لهم نوع سلوة ... كل منهما ...
... ولكن ... لأولاهم ربنا ...
لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا ... وأياكم
متساوون في الضلال والإضلال واستحقاق العذاب ... فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون ... تشبيها كيف ... الاحتمال
... إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ... لا تفتح
لهم أي ... لا يفتح للمؤمنين ...
... أبواب السماء ...
...
...
على أنه تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل ...
التعبير بالذكر لأنه أكبر ... من الناقة في سم الخياط في ثقبة الإبرة وهو من باب التعليق
بالمحال ... في عظم ...
ضيقا ... الجمل ...
والجمل ... الحبل الغليظ وقيل حبل السفينة
بالضم ... وهو ... كذلك أي ومثل ذلك
الجزاء ... نجزي المجرمين أي الكافرين الموصوفين ...
...
العذاب ... لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم

وهو الوطا الذي يفترش ومنه مهد الصبي وتمهيدا الامور تسويتها واصلاحها فمن على طريقة قوله
تعالى فبشرهم بعذاب اليم وهذا اي زمانه لفظ المهاد من التهكم اثر على لفظ الفراش مع قرب
من صنعة التخييل غير الجانب الموجود ترجيحا للمزية المعنوية على اللفظية **ومن فوقهم غواش**
جمع غاشية وهي لباس مجلل والتنكير فيها وفيما قبلها للتعظيم والتنوين عوض كما في المهاد
اختصاص بجهة الفوق ثم ان الغاشية فيها اخلو من الاختصاص بجهة وكان المراد التنظير من
جانب الفوق والاجر احتيج الى نص له من فوقهم مع ان من تحتهم وقد ذكر في قوله تعالى
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل للقيام الحاجة الى تعيين الجهة في كل من الموضعين
ولو من تحتهم ظلل بعد الارادة معنى الجمع من المهاد **وكذلك نجزي الظالمين** لانفسهم
بالاصرار على عدم الايمان والاستكبار عن الاذعان **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف**
نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للاشارة الى ان المذكور في معرض الشرط
للاعمال التكليفية ... غير معتبر فيحق غير المكلفين والحذر عن **اولئك اصحاب**
الجنة هم فيها خالدون على عادته تعالى في ان يتبع الوعيد بالوعد واولئك اشارة الى الذين
استحقاق الخلود في النعيم سببا ما تصفهم بالايمان والاعمال الصالحة مع سهولتهما وتعظيم
شانها **ونزعنا ما في صدورهم من غل** النزع نزع الشيء عن مكانه المتمكن فيه اما بعض ... او
باعدامه والمراد هو الثاني والغل هو الحقد الذي يجعل الطبع الى صنيع الغلية منه الغلول
وهو الوصول بالحيلة الى دقائق الجنايات والصدر ما يصدق من جهة التدبير والراي وبه
قيل الاولى بالصدر **تجري من تحتهم الانهار** زيادة في سرورهم وسرورهم والمراد الجري
الرابع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والجنة اذا اخذ المنابع **وقالوا الحمد لله الذي**
هدانا لهذا بالدلالة الى ما يوصلنا اليه من الايمان والعمل الصالح **وما كنا لنهتدي لولا ان**
هدانا الله زيادة اللام لتاكيد النفي وما كان يصح ويستقيم لنا ان نكون من المهتدين الى
ذلك مع سعينا لولا هداية الله تعالى وتوفيقه وجوابها محذوف لدلالة ما قبله وقرئ
بغير واو على انها جملة مبنية للاولى وعلى القراءة المشهورة اعتراضية **لقد جاءت رسل ربنا**
بالحق فاهتدينا الى هذا بارشادهم وهو كلام ... سبيل الاغتباط ... التبجح بما نالوا
بحاجة هذا **ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها** النداء للدعا على طريقة يا فلان كانه قيل لهم
ايها المؤمنون وان هي المخففة من الثقيلة ... لضمير ... او المفسرة لان الذي
في معنى القول والجنة صفة تلكم ومن بعده اخبر او اورثتموها او الجنة ... وتمتعها حال
او الفاعل وفيها الاشارة في تلكم ... بلد ... للتعظيم وانما ...

لانها ليست مما يستحق بالعمل بل هو محض فضل الله وعد على الطاعة كالميراث من الميت لا يكون
عوضا مستحقا عن شيء بل هو عطية خالصة ففيه حفظ الشارع عن المبادلة والتي لعلهم من لبا
التشبيه في ... **بما كنتم تعملون** من ان يكون ذلك الاعمال سببا حقيقيا لما يعطى
لهم في الاخرة فان سببيتها انما هي بحكم الوعد وهذه طريقة بليغة حققناها في بعض رسائلنا
المعمولة في اسرار البلاغة بالتقدم بالحفظ وهي ابلغ من طريقة النداء ... وقد عمل عنها
المشهور **ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار** ... نادى معناه وهي ... في الكتاب المنعم ...
ورفعه وتبين ... الدعا لانه قد يكون بعلامة ... بغير صوت ولا كلام ...
هو المقارن على ... والصحة والمقارنة ... الا ان في الصيغة الارادة **ان قد وجدنا**
ما وعدنا ربنا حقا اذ في المواضع لا تحتمله الوجهين كما لغير ربنا ... ووجدنا من الاجر
وحقا مفعول الثاني ... **فهل وجدتم ما وعد** المر...
... **ربكم حقا** انما قالوا تبجحا بحالهم وتحسيرا
لاصحاب النار ... ذكر مفعول وعد في الاول وترك في الثانية ... اهل الجنة يستبشرون
بحصول موعودهم ... ما وعدهم الله ... سألوا اهل النار
ليشمل كل موعود من البعث والحساب والثواب والعقاب ... احوال القيامة من الاهوال
... ليست مخصوصة بهم ... وتكون ... تصديقا بجميع
ما وعدنا الله ... في الاخرة للمنقلبين ... المؤمنين ... وعلى
ما فاتهم من نعيم ... بنعيم اهل الجنة ... **قالوا نعم** وقرئ نعم بكسر العين
وهما لغتان ... **فاذن مؤذن بينهم** التنكير
وتكرير للتعظيم ... ينادي بامر الله تعالى نداء يسمعه اهل النار زيادة في تحسيرهم
بينهم بين الفريقين ... **ان لعنة**
الله على الظالمين ... وهم بالآخرة
كافرون وقرئ ان بالتشديد ... وقرئ ان بالكسر على ارادة القول ...
الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين ... رفع ... والصد الصرف
من الخير خاصة **ويبغونها** اي يبغون لها ... **عوجا** العوج بالكسر
في المعاني ... كالحائط والرمح اي يطلبون لها زيغا
وميلا الى الباطل **وهم بالآخرة كافرون** اي ... لما كان ... الفريقين
من القرب ... اهل الجنة الى اهل النار ... اهل الجنة ...

بقوله **وبينهما** أي وبين الفريقين لا بين الدارين لانه قال في موضع آخر فبينهم **حجاب** الحجاب
الحاجز المانع عن الادراك والمراد ههنا هو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور **وعلى**
الأعراف أي أعراف الحجاب وهو أعاليه جمع عرف وهو ما ارتفع من الشيء فانه بارتفاعه وظهوره
أعرف من غيره ومنه عرف الديك **رجال** قوم علت درجاتهم كالأنبياء عليهم السلام والشهداء
أو خيار المؤمنين أو ملائكة يرون في صورة الرجال وقيل جمع قصروا في العمل فتساوت
حسناتهم وسيئاتهم وربما عبارة الرجال لأن الأنثى المذكور لا يختص بالذكور **يعرفون كلا**
من أهل الجنة والنار **بسيماهم** بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلى من سام إبله إذا أرسلها في المرعى معلمة أو على من وسم على القلب كالجاه من الوجه وقد
دل الآية على أنهم يعرفونهم بها لا بأمارات الظاهرة فلا وجه لما قيل وعرفانهم ذلك يجوز
أن يكون إلهاما من الله تعالى أو بتعريف الملائكة **ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم**
أي إذا نظروا أهل الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وقد دل على هذا تمام الكلام فلا حاجة
إلى تقدير **لم يدخلوها** استئناف وصفة لأصحاب أي لم يدخلوها بعد وفيه دفع ما يتبادر
إلى الفهم من عبارة أصحاب الجنة ودفع مخالفته لما يأتي من قوله ادخلوا الجنة **وهم يطمعون** حال
يعني أن الطمع توقع المحبوب ونقيضه اليأس وهو انقطع بعد حصوله **وإذا صرفت أبصارهم** الصرف
إمالة الشيء من جهة إلى أخرى **تلقاء أصحاب النار** أي جانبهم وجهتهم والتلقاء تفعال
استعمل ظرفا ولا يجيء على أن نظرهم إلى أهل الجنة نظر رغبة وإن نظرهم إلى
أهل النار ليس كذلك بل لا ينظرون إليهم لكن همتهم رغبتهم فيهم لا ينافي ذلك النظر إليهم
طوعا ولعلهم لكراهة ما رأوا صرف نظرهم إليهم كرها ليتعلقوا قدر ما هم فيه ولهذا كان الأول مقابلا
بالتسليم والثاني بالاستعاذة **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** متعوذين بالله تعالى
من مصاحبتهم صريحا وفي ضمنها الاستعاذة من النار لا يخفى ما في هذا الإعياء من تشديد
الفرار منهم ومن صحبة الفجار وعلى أن المراد من عذاب النار ربما على أن الأول روحاني والثاني جسماني
والروحاني في النشأة الأولى **ونادى أصحاب الأعراف رجالا** من رؤوس الكفرة وأعيان الفجرة **يعرفونهم** في
الدنيا **بسيماهم** المعهودة عندهم قبل تعرفهم بأسمائهم ومما سبق معرفتهم من حيث أنهم من أهل
الجنة أو من أهل النار **قالوا ما أغنى عنكم** استئناف لبيان ما نودي به **جمعكم** كثرتكم
وأعوانكم أو جمعكم المال وما في ما أغنى استفهامية للتوبيخ والتقريع ويجوز أن تكون نافية
وما كنتم تستكبرون مصدرية أي واستكباركم عن الحق أو على الخلق وقرئ بالثاء
المثلثة **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة** من تتمة قول الرجال والإشارة إلى ضعفاء أهل

الجنة والخطاب لرؤساء الكفرة الذين كانوا يستضعفونهم ويحتقرونهم لفقرهم ويقسمون أن
الله لا يدخلهم الجنة وقد مر تفسير النيل **ادخلوا الجنة** من كلام أهل الأعراف لفقراء أهل الجنة
بما قال لهم الله تعالى أي دخولا إليهم هو مع تعيين ذكر رؤساء الكفرة قالوا لهم أخبارا عن الله تعالى في
الجنة وقرئ أدخلوا على البناء للمفعول وقرئ دخلوا على الاستئناف والتقدير ادخلوا أو دخلوا
مقولا لهم **لا خوف عليكم** فيما يأتي **ولا أنتم تحزنون** على ما فات وفيه تعريض بهم لأصحاب النار
أنهم يحزنون **ونادى أصحاب النار** أي الكفار على ما استحقت عليها **أصحاب الجنة أن** تلك
كيفية النداء وبينهما حجاب تلك الأرض في الجنة كرسي يتطلع أهلها منها إلى أهل النار **أن**
أفيضوا من الفيض وهو السيلان عن الأعلى وفيه من معنى الاحتقار **علينا** أي أنزلوا
علينا فيما أرادوا **من الماء** فلا وجه للتوجيه إلى أن الجنة فوق النار **أو من** فضلة **مما رزقكم الله**
الله تعالى أي من أنواع أخر من جنس الطعام والشراب وعبروا عما خصهم بالطلب لما هم من غلبة العطش وشدة
الحرارة ولهذا أمروا بالإفاضة ولو كان المراد الطعام لما عدلوا عن العطف بإعادة الفعل ولا
طلبهم لما طلبوا لما كان في سؤالهم ما دل على التماسهم من الفضلة وما لا حاجة لهم به وكان
الامتناع عن الإجابة في مثل هذا الفعل أجابوا بما يندفع به هذا لوهمهم أنهم يقبلوا غرض
الجواب بالمنع الصريح إلى ذكر سببه محافظة لجانب الكرم بما أمكن وقطعا لأطماعهم على وجه
أحسن **قالوا إن الله حرمهما على الكافرين** لم يقل عليكم تصريحا للمعنى المشعر بالتعليل وتعميما للجواب بغير الأولى
من جنسهم والمراد بالتحريم المنع وتعديته بعلى كتعديته للشهادة بها كما في قوله تعالى وحرمنا
عليه المراضع من قبل وإنما في أن المنع المعنوي أبلغ من التحريم الشرعي فلا وجه لما قيل
منع ما عندهم يمنع المحرم على المكلف **الذين اتخذوا دينهم** الاتخاذ أخذ الشيء أعدادا للأمر ولا أمر
ولا يخفى لطف موقعه هنا من حيث تضمنه للإشارة إلى أن حق الدين الجد والاهتمام به ونحو
الهزل واللعب فكان بينهم لتتبع مشتهياتهم **لهوا ولعبا** كتحريم البحيرة والتصدية حول
البيت واشتغال اللهو الانصراف عن الشيء والمراد بما يصرف إليه مما لا يحتاج إليه الطالب المرتاح والمحض
أن يتعلق به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير الاستواء **وغرتهم الحياة الدنيا** النعيم
تزيين الباطل للوقوع فيه **فاليوم ننساهم** نفعل بهم فعل الناسي بتركهم في النار المعنى
كما نسوا لقاء يومهم هذا أي كما فعلوا به فلم يخطروا بيانهم ولم يستعدوا له فالتشبيه والمراد
بما لزمهم فاستعير هذا إضافة إليهم **وما كانوا بآياتنا يجحدون** معطوف على كما نسوا وما فيهما مصدرية
والكاف في كما للتعليل أي لنسيانهم لقاء ربهم وجحدهم بآيات الله **ولقد جئناهم بكتاب** التنكير للتعظيم
وفي التعبير بجئنا به زيادة تعظيم له **فصلناه** أي جعلناه فصولا أي مبينا أصول العقائد والأحكام
والحكم

على علم عالمين كيف يجب ان يفصل حتى جاء حكيما وقرئ فضلناه اي رجحناه على سائر الكتب
عالمين بوجه رجحانه تحقيقا بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء او مفعول له
اي لاجل الهدى هل ينظرون اي ما ينتظرون اي لا انتظار لهم الا قبالا لحق علينا اي بالتوقع له
فانا قيل لهم ينتظرون فان كانوا جاحدين لانهم نزلوا منزلة المنتظرين في اتيانه لانها لانبيان
المنتظر الا تأويله الا ما يؤول اليه امره حال البيان يوم يأتي تأويله اي تبين صدقه
بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل
ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق ونظيرها اخبروا عنه فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم
حذف النون للنصب لانه جواب الاستفهام او نرد او هل نرد الى الدنيا وجوابه فنعمل وقرئ او نرد
بالنصب عطفا على فيشفعوا اي فيشفعوا لنا او نرد وحالا او على معنى الى ان فيشفعوا حتى
نرد ورفع فنعمل اي فنحن نعمل فالمعنى على الرفع تمنيا للشفاعة او الرد على الاول وتمني النصب تمني
التشفيع بالشفاعة بدون الرد او الامرين على انه بمعنى التشفيع للشفاعة متضمنا الى الرد
وسيلة اليه غير الذي كنا نعمل من الكفر والمعاصي قد خسروا انفسهم في الدنيا بابطال
استعدادهم ولا يجدي الرد على ما افصح عنه في قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
لبيان حالهم على وجه يتضمن الحكمة في عدم استجابتهم وضل اي وغاب عنهم في الآخرة
ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه من الهتهم ان ربكم الله اي ليس ربكم ومدبركم وحافظكم
ما تعبدونه من الاصنام والكواكب والملائكة والجن بل كلها من المخلوق ومربوب ومحتاج الى
مدبر وحافظ بل ربكم وحافظكم الله وحافظكم الذي خلق السموات والارض وما بينهما على ما بينه
في موضع اخر جعل الخبر موصولا لانبائه على كون ذلك معهودا لما قبله التابع وتصريحا بتحقيق النسبة
والعلم به في ستة ايام في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ بيدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق
الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب
يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة
فيما بين العصر الى الليل والمراد من الليل هنا مقدار دورة العرش من الزمان ثم استوى على العرش
استوى عليه بالتدبير في اجراء الاشياء بانتظام امرها عليه وقصد المستوى من غير ان يلوي
الى شيء آخر فتربيته الذي عليه كل يوم ولما ذكر الاستواء على العرش وهو اعظم من ما ارتكز
ملكه واطلق وتدبيره بين ذلك في بيان فقال يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر عكسه
لان اللفظ يحتملهما اذ لا يفهم من افادة احدهما على التعيين بل الاعراب يطلبه حثيثا من الحث

وهو الحمل على السرعة حال من الليل بتقدير حاثا او من النهار بتقدير محثوثا ويجوز ان
ينتصب نعتا لمصدر محذوف اي طلبا حثيثا اي حاثا او محثوثا والمراد من طلب الليل
النهار تعاقبه الا انه لما كان لا يتخلف عنه صار كأنه يطلبه بل هو في اثره بحيث يكاد يدركه والشمس والقمر
والنجوم عطف على السموات مسخرات حال منها بامره متعلق بمسخرات وقرئ كلها بالرفع على
الابتداء والخبر الا له الخلق والامر اي هو الذي اوجد الاشياء وصرفها بارادته كيف يشاء الجملة
اعتراضية مبنية لما ذكر من التوحيد المقصود منه ولذلك تصدرت بحرف التنبيه وتقديم
الظرف للحصر يعني بيان ان امر الاشياء انما هو للتوحيد في الخلق والتدبير تبارك الله
رب العالمين اي فذلك هو الرب للجميع لا رب سواه فليجب تعظيمه لعظمة اخلينا للتعظيم
بالوحدانية فالالوهية والربوبية للكل اذ تعالى هو الواحد الموجد للكل المتصرف فيه بالرزق
والتربية ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وقصد الآية بان
لا كيد لهم فقال ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو الله الموجد للكل على الترتيب المحكم
المتقن الدال على كمال العلم والحكمة والقدرة الذي استملكه على ما تشاهد ثم عمد الى تدبيره كالملك
المتمكن في مملكته لينبئ بملكه وتصرفه تم على ما نرى من تصريف الملوين وتسخير الاجرام السماوية
بامره ونفاذ امره بقضائه وقدره ثم صرح بما هو فذلكة الغرض في بيان ان التوحيد بالجملة الاعتراضية
الاولى وافصح عن المقصود من التركيب كالنتيجة بالجملة الاعتراضية الثانية ثم امرهم بتخصيصه
بالعبادة والدعوة متضرعين متذللين ذوي خفية بين لهم ادعوا ربكم تضرعا التضرع
التذلل وهو التكلف في اظهار الذل الذي في النفس وخفية كيلا يشوب الدعاء شيئا من الرياء
اعماق النفس بحيث لا يطلع عليها احد لان ذلك في التعبير عن خفية الدعاء خفية بما ذكر ان الجنان
الدعاء اي انما يصلح ما يتقرب به اذا كان مأمورا بالاستكانة للذلل انه لا يحب المعتدين
استئناف لتعليل ما تقدمه عبارة واشارة والاعتداء التجاوز في الدعاء الذي لا ينبغي بجانب الحق
ان الله تعالى لا يحب المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وفيه تنبيه على انه لا ينبغي
الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وطلب ما لا يليق ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي
بعد اصلاحها ببعث الانبياء عليهم السلام وشرع الاحكام والاحكام وادعوه خوفا وطمعا خائفين
من عقابه طامعين في ثوابه والخوف الانزعاج مما لا يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب
وانما قدم الخوف لانه اهم ان رحمة الله قريب من المحسنين استئناف لتعليل ما تقدم من
الترغيب عبارة واشارة اما الاول فظاهر واما الثاني فلانه كيدي من قرب رحمته تعالى
للطمع واما الثاني فلانه شرط الاحسان وهو رأس الايمان والاسلام بشرط الخوف للعاشر

المحسنين وقد قال كثير من العلما ينبغي ان يغلب الخوف على الرجا طول الحيوة فاذا جا
الموت غلب الرجا ومن هنا الفتح تجد اكثر اشتباههم الخوف على الطمع وتذكير قريب لان تاويل الرحمة
بالرحم او الترحم او لاكتسابها التذكير من المضاف اليه كما ذكروا في قراءة ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل بمعنى مفعول او بفعيل
الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره واما التذكير لكون
التانيث غير حقيقي فوهم لوجوب التانيث في ضمير المؤنث مطلقا وقد ذكره ناقصه وهو الذي
يرسل الرياح وقرى الريح على الوحدة وما لا قلة لان الغالب استعمالها للجمع في الرحمة وتشتتها
المفرد في العذاب بحقه ان في دعائه عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا نشرا بضمتين
جمع نشور بمعنى ناشر ونشرا بالتخفيف حيث وقع ونشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول
ونشرا بفتح النون على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان النشر
والارسال متقاربان وبشرا جمع بشير وبشرا الحقيقة وبشرا بفتح الباء مصدرا بمعنى مبشرات
بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اعظم النعم واعمها نفعا وقد سبق بيان ما في
عبارة بين يديه من المجاز لدلالته على القرب ولهذا اوثر على عبارة امام والقدام قيل ان الصبا
تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت ورفعتها
واشتقاقه من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا بالما وجمعه لان السحاب جمع
سحابة سقناه الضمير للسحاب على لفظه وفي الالتفات الى التكلم بنون العظمة اشعار بما فيه من
تعظيم المنة وتجليل النعمة لبلد ميت اي لاجله او لاحيائه او لسقيه ويجوز ان يكون بمعنى الى
اليه لتعلقه بسقنا السوق الى الجبال والاودية ومن هنا جعله مشبها للانسان في ميت تشبيه
المتعلق به وعدمه بانه لا نبات فيه من حيث لا انتفاع به كالجسد الذي لا روح فيه فانزلنا به
بالبلد او بالسوق او بالسحاب والباء للسببية وعلى الاول تحتمل الظرفية والالصاق الما
المعهود وهو ما نزل من السحاب فاخرجنا به اي بالما لانه اقرب لفظا ومعنى او الى البلد على
ان الباء للظرفية لمن كل الثمرات اي جميع انواعها لا يخرج في البلد دفعة وهو الذي
انزل من السما ما فاخرجنا به نبات كل شي صريح في المعنى الاول والقران يفسر بعضه بعضا كذلك
ايمثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى من الاجداث وكيف الخلق
قد قال اذا مات الناس كلهم مطرت السما اربعين يوما كمني الرجال فينبتون في قبورهم بذلك
المطر كما ينبتون في بطون امهاتهم ثم يخرجون في النفخة الاخرة وبينهما اربعون سنة لعلكم
تذكرون فتعلمون ان من قدر على هذا قدر على ذلك والبلد الطيب الارض الكريمة التربة وتخصيص

البلد بالذكر لانه اصلح شيئا على ما نبه عليه في الخبر الماثور وهو قول الرجال من العرب
وهذا استغنى به عن مقابله يخرج نباته باذن ربه بتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه لانه
اوقعه في مقابلة والذي خبث كالسبخة التي لا تنبت ما ينتفع به لا يخرج الا نكدا النكد الذي
لا خير فيه ونصبه على الحال تقديره لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه وهو الضمير المجرور فصار مرفوعا مستترا لوقوعه موقع الفاعل وتقديره
ونبات الذي خبث وقرى يخرج من اخرج فيكون نكدا مفعولا وقرى نكدا بفتح الكاف على المصدر
اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كذلك مثل ذلك التصريف والترديد نصرف الايات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر
الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف
ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لان الجملة القسمية مظنة للتوقع ونوح عليه السلام اول
من شرعت له الشرايع وسنت له السنن ولبث بينه وبين ادريس عليه السلام ولما قال الى
قومه لان بعثته كانت مخصوصة لقومه كبعثة سائر الانبيا عليهم السلام غير نبينا عليه السلام
فان بعثته عامة شاملة ولا ينافي هذا قول نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا لان من لم يجب دعوته لا يدخل تحت هذا الدعا فقال يا قوم ايضا بالفا للدلالة على
التعقيب وانما اتى بها الدلالة لا استعمال في الامتثال اعبدوا الله اي وحدوه وافردوه
بالعبادة لتفرده بالالوهية ما لكم من اله غيره بيان لوجه اختصاصه بالعبادة وقرى غيره
بالجر على اللفظ والرفع على المحل كما تقول ما لكم من اله الا الله والنصب على الاستثنا اي ما لكم من اله
الا اياه اني اخاف عليكم وعيد وبيان للداعي الى عبادته تعالى وموقعها الاعتراض عذاب اليم
الالم الجاري على الاستمرار يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم نزول العذاب وهو الطوفان
قال الملا الملا الجماعة الشريفة لانهم يملئون العيون بجلالهم وجاههم في انفسهم وهو ماخوذ
من الملا ويحتمل ان يكون ماخوذا من تمالوا القوم على امر اي توافقوا فيه ومنه قول علي رضي الله
عنه ما قتلت عثمان ولا مالات في دمه والملا صفة غالبة وجمعه املا وليس من باب رهط
وان كانا اسمين للجمع لان رهطا لا واحد له من لفظه والملا له واحد من لفظه
احد بن ما في يحيى الملا الرجل الجليل الذي يملا العين بهيئته فهو كما ذكره جمعا
عذب وغضب من قومه القوم الجمع الذي يقوم بالامر لا امرا فيهم وقابله النفيس
تجريد المسند اليه عن مقتضات العقول كلا ليتوهم الدفع الفعل لصدوره عن جمع
في العقل والراي فاسند الى الكل اسناد فعل الى الجماعة انا لنراك استعارة الروية

للعلم بلا شبهة تمهيد لما لا تعرض له الظهور في الحكم في ضلال متعلقا والضلال الذهاب
عن صوب الصواب والتنكير للتعظيم مبين بالغ فيه كيفا بعد ما بالغ كما قال يا قوم اضافة الى
نفسهم تمهيدا لما يأتي من دعوى الاخلاص والاختصاص ليس بي ضلالة تقدم الجار والمجرور للتعريض
لهم به وزيادة الباء للتأكيد اي ليس بي شيء قل او قليل من الضلال فضلا عن الضلال العظيم المقابل
ونفيها ابلغ من ان نفي الماهية ابلغ لان نفي اللازم مع قيد الوحدة قد يكون باثبات الوحدة مع محل
بان الوحدة ليست جهة نفيها بل اللفظ موضوع للجزء الاقل المحقق مع الكثرة ولكني رسول
استدراك لما يلزمه من الكناية كانه قال لكني على هدى كامل في الغاية لاني رسول قابل لعين مقصودهم
بالتعريض الذي هو في البلاغة وبالكناية لفظي اقوى في الكناية واداة ظرفية باداة
الملابسة لانها اوسع دائرة وفي النفي يكون اقطع لاحتمال الضلال واداة تعظيمي في التعليل
باداة التعظيم والتعليل ولا يخفى ما في هذه المقابلة على وجه المبالغة من المبالغة في الذم
من رب العالمين فيه اشارة الى ان رسالته لمصلحة تربيتهم فبنية اظهار مكابرتهم وفرط
عنادهم حيث وصفوا من هو على الهدى الباهر بالضلال المبين الظاهر ابلغكم
بيان لكونه رسولا والابلاغ ايصال ما فيه بيان لا فهم منه والابلاغ ايصال المعنى
الى الغير باحسن صورة من اللفظ رسالات ربي لم يجعله من بيان لنحوها القائم بها لينفي بها
الغير وانما جمعها باعتبار تعددها بحسب الاوقات او باعتبار تنوعها بحسب المعاني وفي قوله
ربي بعد قوله من رب العالمين اشارة الى ان في الرسالة تربية لهم وهي للمرسل اليهم وكذا
وهي المرسل وانصح لكم النصيحة الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد ويشير له
صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة والنصح كذلك ضد الغش وفي زيادة اللام تاكيد
في امحاض النصح لهم وبيان ان فيها خالصة للمنصوح له مقصود بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع
بها الناصح واعلم من الله ما لا تعلمون وعيد لهم بما في قوله عليكم عذاب يوم عظيم اي
اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره اكذبتم وعجبتم والعجب تغير النفس مما خفي سببه وخرج عن
العادة مثله ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم كلام بالغ من الله تعالى فله حكم التنزيل فكان
جاءكم معناه نزل عليكم معه انه نبه على رجل ولا حاجة الى تقدير لسان منكم من جنسكم فانهم
كانوا يتعجبون من ارسال البشر يقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
اي ارسال البشر وانما لا يتعجب على البشر كما ... الاطناب في الوجه المذكور وانما الباب الانكار تعجبهم
ان يبعث نبيا الرسالة على مقتضى الحكمة وهو ان يكون الرسول من جنسهم ولا يكون الا نبي ولا متبعا

لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي اكتفى باحد المرتبتين عن الاخرى لما ان ما حصل الانذار
بالذكر دون الابشار لانه انسب لاهتمام واهم ولتتقوا ما يوجب التقوى بتيسير سببية الانذار
لذلك لا ليتم فتتقوا ولعلكم ترحمون بتقواكم والعطف بالواو في الفعل للتنبيه على ان الرحم
من الله تعالى تفضل لا ترجيه التقوى بعضها لا امكان وكلمة الترجي لحجج جانب الوقوع
حتى يزداد الرغبة في تحصيل التقوى ولا يعتمد عليه كل الاعتماد فكذبوه وذلك ان نقول في الرسل
بينهما باداة التعقيب تنزيل التكذيب منزلة العذاب الذي يترتب عليه ولا يخفى ما فيه من
التهويل والتعظيم لامر التكذيب فانجيناه الفاء فصيحة وقد ذكر ما حذف هنا في موضع اخر والذين
معه من البشر وسائر انواع الحيوان وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان نجاتهم بسبب ما معهم
ببركة مصاحبتهم متعلقه في الفلك متعلق بمعه اي الذين صحبوه في الفلك والاشتقاق من الفلك
تدور ... لانها السفينة فلك لانها تدور على الماء كيف ما دارت واغرقنا الاغراق
الغوص المتلف في الماء الذين كذبوا باياتنا كان اغراقهم بسبب تكذيبهم على ما يشير اليه واغرا
سائر انواع الحيوان بشؤم معاصيهم انهم كانوا قوما عمين استئناف على سبيل التعليل ولما قال
قوما على تغليب الذكور على الاناث نبه على تبعيتهن للرجال في الضلال لما الحاصل بسبب
كونهم عمي القلوب غير مستبصرين وعمي عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم
عطف على نوحا الجعفي وهم قوم سموا باسم ابيهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
عليه السلام ... لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في
اقتفائه هودا عطف بيان لاخاهم قال يا قوم استئناف على تقدير سؤال السائل كانه قال
فما قال لهم فقيل قال يا قوم وكذا جاء هنا فان قلت ما وجه اختصاص قوله قال يا قوم في قصة نوح عليه
السلام بالعطف بالربط اللفظي وفي قصة هود عليه السلام بالاستئناف والربط المعنوي قلنا
قصة نوح عليه السلام بدء الكلام فليس متعلقة بقول السابق وقصة هود عليه السلام فانها معطوفة
على قصة نوح عليه السلام فكانت متعلقة لان يقال افاد هود مثل ما قال نوح عليهما السلام اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره تقدم تفسيره افلا تتقون ... فيه الهمزة للانكار
لترتيبه على ما تقدم من موجبا التوحيد ... على الهمزة ... عليها
على حوصلة ... كانهم كانوا واقفين على نزول العذاب على قوم نوح لقرب عهدهم
بهم فهذا الذكر عليهم بطريق الصيغة قال الملأ الذين كفروا من قومه لقيد بالذين كفروا لان
على لزوم ... اسلم مرثد بن سعد الذي اسلم وكتم اسلامه ...
النبيه في قصة نوح عليه السلام ولهذا لم يذكر ذلك البقية وما ذكروا فيها في قصة الكون

للكلام والتمييز كأن ذلك في معرض الرد ولا كذلك الرأي إنا لنراك في سفاهة متمكنا في
خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك ولما كان هذا تخطئة له عليه السلام
في فعله وقالوا إنا لنراك على سبيل القطع واليقين وعقبوه بقولهم وإنا لنظنك من الكاذبين تخطئة في قوله
ولا علم عندهم بحقيقة الحال وإنما تمسكهم فيها تقليد آبائهم قالوا وإنا لنظنك قال يا قوم ليس
بي سفاهة أي شيء من السفاهة أبلغ في أن لا أقدام على الكذب في مثل هذا الأمر الخطير لأجل
عن نوع منه فنفيه نفي لما يتفرع عن نفي الكذب ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات
ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم قد سبق
تفسيره وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام أممهم المكذبين على كلامهم الجافي بما أجابوا به من الإعراض عن
مقابلتهم كما لا يخفى وهضم النفس وحسن المجادلة وكرم الخلق ليقتدي بهم المؤمنون في آداب
المناظرة والمعاشرة مع الخلق وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه على أنه مشهور بذلك بينهم بالنصح
والأمانة واذكروا لحذرهم من انتقام الله ثم ذكرهم بإنعامه إذ جعلكم متعلق به لا ظرف أي اذكروا
ذلك الوقت خلفاء من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في مساكنهم أو في الأرض وجعلكم ملوكا فإن
منهم شداد بن عاد وزادكم في الخلق بسطة الغالبة في العظم والقوة والبدانة وهو تعميم بعد تخصيص
فاذكروا آلاء الله أي فاشكروا على نعم الله تعالى وفي الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على أن هذه
النعم بحيث يستتبع ذكرها الشكر عليها ففي تذكيرها غنية عن الحث على الشكر عليها لعلكم تفلحون
لعل الشكر عليها يفضي إلى الفلاح قالوا أجئتنا كأنه عليه السلام كان يتحنث فيه معتزلا
عن قومه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم ويحتمل أن لا
يراد حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني لا يراد حقيقة الذهاب كأنهم
قالوا قصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك ونذر ما كان يعبد آباؤنا أنكروا
واستبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والإعراض عن الأصنام التي عكف عليها آباؤهم حبا
لما نشأوا عليه وألفوا ما نقلوا أسلافهم يتمسكون به فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين استعجال
منهم للعذاب تكذيبا قال قد وقع قد حق ووجب عليكم أو جعل المتوقع
الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب أراد
انتقاما أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي في أشياء بلا مسميات لأنكم سميتموها آلهة
وليس فيها معنى الألوهية ما نزل الله بها من سلطان تهكم بهم لأن المستحق للعبادة بالذات
ولا ... فانتظروا لما أوضح لهم الحق وأنتم مصرون
على العناد انتظروا العذاب إني معكم من المنتظرين هنا غاية في التهديد والوعيد ...

في الوثوق مما يحل بهم وإنما كان لأهلكهم فأنجيناه أي هودا ومما خلفه ما ذكر في موضع آخر
وأن الإنجاء التخليص من الهلاك بما أصابهم من النجاة والذين معه أي في الدين
التبعية برحمة منا عليهم لا بشيء وتعذيبهم بسبب ذلك فإن هودا عليه السلام مع رتبته في النبوة
ورجحه في الرسالة إنما نجا برحمة من الله ليعلم أن النجاة لا تكون بالاستحقاق ولا باستيجاب الصدق
من العمل وإنما يكون لفضل من الله ورحمته ابتداء وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا قطع
دابرهم استيصالهم وإهلاكهم لأن الدابر الذي يدبر القوم فإذا انتهى القطع إلى ذلك
لم يبق أحد وفي قوله بآياتنا دلالة على أنه كانت لهود عليه السلام معجزات ولكن لم يذكرها لعدم
وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم كمرثد وتنبيه على أن الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان
وأن النجاة مرتبة عليه كما أن الهلاك مسبب عن التكذيب كأنه قيل قطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
ولم يكونوا ممن آمن وإلى ثمود منع الصرف لأنه اسم القبيلة وقرئ مصروفا باعتبار
الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر أخاهم صالحا قد سبق وجه الاستئناف فيه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي
من ربكم هذه ناقة الله استئناف فيه بيان الناقة إلى الله تعالى
للتعظيم ولأنها جاءت معجزة من عند الله تعالى من غير أسباب معهودة
لكم آية نصب على الحال من ناقة الله والعامل فيها معنى الإشارة
فإن هودا عليه السلام كانت مخصوصة بهم معجزة
خاصة لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها
كافية بعينها هذه وهو ... ناقة بدل من هذه أو عطف بيان والخبر لكم والعامل
ما فيه من معنى الاستقرار فذروها تأكل في أرض الله أي الناقة ناقة الله والأرض أرض الله
قد ... الأكل فيها من العشب ... لا ... ولا تمسوها
بسوء ... على ...
... الإثابة ...
قالوا ... فيأخذكم عذاب أليم جواب للنهي واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
... وبوأكم في الأرض ... في الأرض تتخذون
من سهولها السهل ... قصورا ...
الكبيرة ...
وتنحتون الجبال بيوتا ...

وتنحتون من الجبال أي الصخر والحجر لتتخذوا البيوت الصلبة بالحجر فاذكروا أمر بالذكر
الثاني وهذا من الذكر التفصيلي آلاء الله التي من جملتها ما ذكر من التمكين في الأرض والتنعم حتى تبوء
القصور وتشيدوا المنازل والدور مع طول الأعمار وتبليغ الآجال والمراد الأمر بالشكر على تلك
النعم بطريق الكناية وفيها إيماء إلى أنها من النعم الجسام التي لا مانع عن القيام بشكرها إلا الغفلة
عنها ولا تعثوا في الأرض مفسدين قد سبق تفسيره في سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا عن متابعته
هو عليه السلام أي لا استكبارا وطلبا للكبر فرقا لغدرهم يؤدي إلى الانكار بما على اليقين
الحق أنفة من اتباع الداعي إلى الحق من قومه للذين استضعفوا أي استضعفوا وطلبوا التضعف
بالمحل الذي يبعد مما يحتاجونه مما يمكن تغييره من القيام بالتمرد بالجهول لأنهم غير مقصورين على
من استضعفهم بتلك الملأ واستذلهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بتكرير العامل
بدلا لبعض من الكل إن كان الضمير للذين أو لقومه لأن من المستضعفين من لم يؤمن وأما إن
اختلافا لمرجع من حيث أنه على الأول لا يكون الاستضعاف مقصورا عليهم بحكم ذا اللفظ
بخلافه الثاني أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية كما ينبئ عن الجمهور
التعلمون أن الله فوقنا لم هو هذا لم يتعلق لا نعمل أجابوا بما نقل عنهم في قوله قالوا إنا بما أرسل
به مؤمنون أي لما أنا رأينا للظاهر من أن ذلك فيما ريحي على أحد يحتاج إلى السؤال عنه لعالم يجب
وأنا بن برهانه إنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا
بالذي آمنتم به كافرون كان الجواب المطابق إنا بما أرسل به كافرون إلا أنهما عدلوا عن
الظاهر بأن جعلوا ما رسا السعد ما مر لئلا يقبل رأيهما كرد وأن يعقوا كالجمل
الكفرة أيضا مقدرا لا بحيث الظاهر أي ليس بحالهم معلوما مسلما به لئلا القبيل وأيضا
لم يريدوا أن يخفوا بإثبات الرسالة له فعقروا الناقة أسند العقر إلى الجميع لأنه كان برضاهم وأمرهم
فتعاطى فعقر على ما يأتي تفصيله في سورة القمر من نقل عن هذا زعما أن الإسناد إليهم للإبانة
والعقر الجرح الذي يأتي على أصل النفس وهو من عقر الحوض وهو أصله وعتوا عن أمر ربهم
وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها تأكل في أرض الله على وجه التأكيد أي استكبروا
عن تنفيذه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب والإبهام لعله الاهتمام ذريعة إلى التحقير
في أمثال هذا المقام لوعيد ذكرنا الخبر والتعريض بالمرية عندنا لعله الآن إن كنت من
المرسلين استعجالا منهم للعذاب لما لم يجزموا بكذبهم فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة المحركة فأصبحوا في
دارهم أي في بلدهم بذلك وحدها جاثمين باركين على ركبهم غير قادرين على الحركة لشدة
في سورة الزمر ايات فما استطاعوا من قيام ميتا وان التمثيل المنظر هنا المذكور في سورة القمر

فتولى صالح عليه السلام عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية والظاهر أنه كان توليه عنهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وتوليه أنها
عنه منكرا لإصرارهم ولوطا أي وأرسلنا لوطا إذ قال لقومه فتحقق لهم أتأتون الفاحشة من
إلى المرأة إذا غشيها إنكارا وتقريعا لهم وتشنيعا على تلك الفعلة المتمادية في القبح واللام
الفاحشة للجنس كأنها الفاحشة على الحقيقة وما عداها بالنسبة إلى جنسها نظرا إلى فحش الفاحشة
بينها وبين ذلك المعنى ما سبقكم بها من أحد من العالمين الباء للتعدية ومن الأولى زائدة لتأكيد
النفي والاستغراق والثانية للتبعيض أي ما عملها أحد قبلكم قط وهو جملة استئنافية مقررة
للانكار ومؤكدة له ولا بيان أن الفاحشة تم اختراعها فإنه أسوأ وأفحش لعدم المجال للاعتذار بالتقليد
إنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة فيه مثلها للانكار وقيل للاستفهام كررت
للتأكيد للانكار تفصيلا وإجمالا والمعنى مع أنه أبلغ في الانكار وتقريعا يحكم على الاختيار المسألة
وفي التنقيد بقوله شهوة وهي مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة زيادة استهجان وقد وصف
بهم بالبهيمة الصرفة ولا أعظم من ذلك لا حامل لهم عليها إلا مجرد الشهوة لا طلب النسل ونحوا
النوع الذي هو مقتضى الفعل فهو منصوب له أو مصدر في موقع الحال أي مشتهين تابعين الشهوة
من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن محل الاشتهاء والمعنى تطؤون الرجال لمجرد الشهوة
البهيمية وتتركون ما يدل عليه تذكيرها وزعم المعاد المطبوع المشروع وإطفاء الكلمة الطغيان
الداعية إلى ذلك الفعل الشنيع وفي ذكر الرجال دون الذكور المقابل الإناث زيادة تقبيح وتشنيع
التشنيع بإطلاقها أنهم يفعلونه بأمثالهم في الرجولية فذلك لا يخلو عن الإيماء إلى أنهم يفعلونه
كرها لأن مقتضى الرجولية الامتناع عنه بل أنتم قوم مسرفون أنكر عليهم محاولة الفعل
ثم أضرب عن الإنكار إلى الإخبار بحالهم التي هي محل الرذائل برمتها وهي اتباع جميع القبائح أي
فليس هذا بغريبة عن عادتهم حتى تنكر عليهم وهي انهماكهم عادتهم لا تزالون تتجاوزون الحد في
كل شيء فمن ثمة أسرفتم في باب الشهوة أيضا وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من
قريتكم أي وما جاءوا بما هو جواب لكلامه بل لما كلمهم به ونصح لهم فيه من الإنكار للفاحشة واستعظامها
إلا ما صدر عنهم من قولهم فأخرجوا وعظه بالأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين
من قريتهم وهي سدوم القرية وهو الجمع تسمية لها بما فيه من الأبنية لأنها مجمع الناس في الخاتمة
لا أنها عن الفرج عبارة عن مجمع الناس في منازل متجاورة تعرف بجملته ويؤويها إلى اللائي أنهم
أناس يتطهرون استئناف بطريق الاستهزاء كأنه قيل لم تخرجونهم من قريتكم فقالوا إنهم قوم
يتنزهون بالتباعد من الأفعال التي نحن عليها فلا وجه لاختلاطهم بالخبائث

فهذا اجابة المتضرعين بينهم وهذا ليس بجواب عن انكاره وتوبيخه لكنهم قالوا تعجبا بشدة غضب
انكاره وتوبيخه وفي اطلاق الجواب عليه اشارة الى انهم كانوا ملزمين بحيث لم يقدروا
على ان يتكلموا في معرض الجواب بشيء سوى هذا فان هذا قريب من اسلوب الشاعر

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

ولما كان ما الجأهم الضعفاء انهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك الى الطريق المذكور للمبالغة
في عكس مقصودهم اذ فيه اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا
بعذاب الله وبين قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين لان القول فيهما ايضا
ليس بجواب حقيقة وان كان مذكورا في معرض الجواب والله اعلم بالصواب فانجيناه اى فنجيناه
والحقه وفعلنا ما ذكر في موضع آخر وانما امرنا لانجائه اخراجه من بينهم قبل نزول العذاب
واهله اهل بيته او من يتبعه في الدين لشرفها الا امرأته فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم يقال في العذاب
امطرت وفي الرحمة مطرت وتنكيره بعكس لما فيه من معنى الارسال مطرا نوعا من المطر عجيبا
غير مفهوم اذ كان المطر عليهم الحجارة على ما بين في موضع آخر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
من قوم نوح وهود وصالح ولوط والمراد نظر التفكر او نظر البصر فيه بحيث لما اثار صار لاعظ
وفيه اتعاظ وازدجار لمن تساله عبرة لا سيما لك المطيع والى مدين اخاهم شعيبا
اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال
له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بنبوتي ولم يذكر في القرآن فانما ذكر فيه وفي
التفاسير متاخر عن هذه المقاولة فاوفوا الكيل والميزان اى آلة الكيل لانه المتبادر من الميزان لانه
يجيء بمعنى الموزون بل المتبادر في سورة هود والمكيال ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد
والميلاد والمراد الايفاء بالكيل والوزن او يراد بالكيل ووزن الميزان على الاضمار او اطلاق
الكيل على المكيال كالعيش على المعاش هذا ما عندنا من الذي هو عندي ولعله هذا وقد والمتبادر
الحق هذا سبق في تفسير سورة الانعام والمراد ايفاء الكيل والميزان انما يكال ويوزن فنسب
الى الفعل مجازا او الى الآلة للملابسة كانوا اهل بخس للمكاييل والموازين عادتهم الايفاء
ولما كان المطلوب بالامر المذكور التعديل لجانب النقصان لا الى جانب الزيادة بنيه على ذلك
بقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم لانهم كانوا
يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه

ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح فيها الانبياء بالايمان والعدل
ذلكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه خير لكم مطلقا ان كنتم مؤمنين بزعمكم لان فيه
الايمان العدالة او خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وفيما تطلبونه من التكسب والتربح
وزيادة المال لان الناس اذا عرفوا منكم الامانة والعدالة رغبوا في متاجرتكم ان كنتم مصدقين
لي فيما اقول لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك
المستقيم فتقعدوا بكل منهج من مناهج الدين تقيد به توعدون وتصدون عن سبيل الله من
آمن به وتبغونها عوجا وطريق الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وجمعه فنفسه
واخلاق جميلة وحدود واحكام كثيرة فكانوا اذا رأوا احدا يسلك طريقا منها او يتكلم فيها
منعوه واوعدوه وصدوه وقيل كانوا يقعدون بالمراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه
كذاب لا يفتننك عن دينك كما كان يفعل قريش بمكة وتوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون
الطريق ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اى لا تقعدوا موعدين وصادين وباغيها
عوجا ومتعلق توعدون وتصدون على اعمال الاقرب ومفعول توعدون محذوف لدلالة ما عليه
ولو كان معمول توعدون لقال وتصدونهم الا ان يجعل تصدون بمعنى تعرضون لان المعرضين
في به الله اى توعدون وتصدون من آمن بالله عن سبيله وتبغونها اى تطلبون لسبيل الله عوجا
تصفونها للناس بانها معوجة وغير مستقيمة لا تسلكوها او بالقاء الشبه وفي الضمير
المذكور راجع الى كل صراط اى توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل
الله موضع الضمير تقبيحا لما كانوا عليه ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتبغونها عوجا تهكم
بهم اى تطلبون له ما هو محال واذكروا اذ كنتم قليلا عددا او عددا فكثركم بالبركة
في النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من قوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا
قريبا لعهد بما اصابهم الموتفكة والمراد منه النظر الاعتبار بهم وان كان طائفة منكم
… صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف … الاجتماع على الطواف آمنوا بالذي ارسلت
به وطائفة لم يؤمنوا اطلق هنا اشارة الى ان عدم الايمان بما ارسل به نبي يستلزم عدم الايمان
بما ارسل به سائر الانبياء عليهم السلام لان كلا منهم يصدق الآخرين فاصبروا الصبر حبس النفس
عما تنازع اليه من الجزع حتى يحكم الله بيننا اى فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا
بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير
الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه حيف ولا ميلا والحاكم المنع من الخروج عن الحق
قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك اى آمنوا بما ارسلت به

تابعين لك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية
واما عودكم في الكفر والعود حقيقة الرجوع الى الحالة التي كان عليها لما شركوا شعيبا عليه السلام
في الاخراج مع الذين معه شركوهم في العود تغليبا للجماعة على الواحد وان لم يكن عليه السلام
في ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر مطلقا وكذلك اجري شعيب عليه السلام
جوابه على التغليب ويجوز ان يكون قولهم على زعمهم انه عليه السلام [illegible] ويجوز ان
يكون العود بمعنى الصيرورة كما في قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وانما لم يقنعوا
من البلد لانه على الاستقلال والتمكن كانهم لم يرضوا بان ينتظروا انهم من نقل ملتهم قال اولو
كنا كارهين الواو للحال والهمزة للاستفهام الانكاري اي انعود فيها ونحن كارهون لها
انا نعيد فيها على كراهتنا اياها قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وهو بمعنى المستقبل
لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان
ان هممنا بالعود في ملتكم بعد ان نجانا الله تعالى من الاعتقاد بتوحيده وعلمنا انه لا
شريك له فان زعمنا ان له ندا فلا افترى اعظم من افترائنا وقد سبق تحقيق الافتراء وتفسيره
[illegible] على الله كذبا ان عدنا في ملتكم شرط جوابه محذوف دل عليه قد افترينا وهو استئناف
في معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا لانا تحققنا التوحيد وتيقناه [illegible]
المذهب اعتقادا بالتوحيد افترى علينا بالفتح وقيل جواب قسم على تقدير حذف اللام اي
لقد افترينا على هذا التقدير بعد اذ نجانا الله منها اي خلصنا منها فان النجاة الحقيقية
انما تكون بعد الابتلاء وههنا فلا بد من المصير الى اقرب المجازين وما يكون لنا وما يصح
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا عودنا هذا هو الذي يقتضيه المساق [illegible]
الحذف [illegible] لان التقدير وسع ربنا كل شيء علما لم يقل قد رتقوا زيادة لان الاخبار
عن سعة قدرتنا او زيادة لكل شيء مما يناسب المقام اذ كان مساق الكلام الاستثناء [illegible] وقوع
المستثنى واما اذا كان مساقه للاستثناء بعلمه وفرعه فلا يناسب ذلك انما المناسب
الاخبار عن سعة علمه [illegible] هذا الاستثناء [illegible] في العود بالتعليق على ما لا
يكون [illegible] زيادة [illegible] تمام الكلام [illegible] الاستثناء المذكور [illegible]
المنقول [illegible] في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا على
الله خاصة توكلنا ان يثبتنا على الايمان ويحفظنا عن الشرك والعدوان ربنا افتح بيننا
وبين قومنا احكم بيننا وبينهم بالحق والفتاح الحكومة والفتاح القاضي او اظهر امرنا [illegible]
ما بيننا وبينهم [illegible] ليبطل [illegible] العذاب عليهم [illegible] المحق [illegible] المشكلات

بينه واستجبر الفاتحين على المعتدين وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي قال بعضهم
لبعض لئن اتبعتم شعيبا فيما امركم به ونهاكم عنه في معاملاتكم انكم اذا [illegible] اسم ان
لخاسرون [illegible] وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة اي
الزلزلة الحادثة من الصيحة المذكورة في سورة هود عليه السلام فاصبحوا في دارهم جاثمين
قد سبق تفسيره الذين كذبوا شعيبا مبتدا كان لم يغنوا فيها خبره وكذا ما بعده اي كانهم لم
يقيموا فيها من غني بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين بالنفي تنديد بمقالتهم [illegible] بالاستيناف والابراد الموصول كانه قال الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بالاستيصال [illegible] كانهم لم يغنوا فيها اي ما [illegible]
بينهم كانهم لم يكونوا قط وبالتكرير على الوجه الاول وبكونهما استيناف وتعريف الخاسرين
[illegible] بالملاقاة اي الخاسرين في الدارين [illegible] التابعين هم المخصوصون
بالخسران المطلق لا الذين صدقوه وابتعوه كما زعموا فانهم الرابحون فيهما ولذلك رد المقالة
الملا فيما بينهم وتسفيهها لرأيهم واستهزاء بهم [illegible] فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد هلاكهم تاسفا وتحزنا عليهم ثم انكر على نفسه
التاسف [illegible] حزنه عليهم فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا باهل للحزن عليهم
لاستحقاقهم ما حل بهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم اي لقد اعذرت
اليكم وبالغت في الابلاغ وبذلت وسعي في النصح لكم والتحذير [illegible] فلم تصدقوا قولي
فكيف آسى عليكم اي فلا احزن عليكم بعد [illegible] لكفرهم وكونهم غير مستحقين للت[illegible]
وما ارسلنا في قرية من نبي تعديد [illegible] اي بنبي من الانبياء [illegible] استعمال
تدل على الاستمرار [illegible] وبعد ذلك [illegible] بالاخذ الا اخذنا
الا اخذنا اهلها اي لا [illegible] بالبأساء بالبؤس والفقر
والضراء والضر والمرض [illegible] اتباع النبي [illegible] البلاء [illegible]
النفسية [illegible] الطاغية [illegible] لعلهم يتضرعون لكي يتذللوا ويخضعوا [illegible]
الغرور [illegible] ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة [illegible] وتلك الحالة
[illegible] الحالة السيئة الحالة
الحسنة [illegible] الاخرى [illegible] الا [illegible] الله تعالى [illegible]
بالحسنات والسيئات والحكمة [illegible] العافية [illegible] بالبلاء
والنفوس اللطيفة [illegible] بالسعة والنعمة حتى عفوا اكثروا وعددا [illegible]

وامرالهم من عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقالوا قد مس اباءنا
الضراء والسراء بطرا واشرا بالنعمة ونسيانا للاخرة واعتقادا ان هذه عادة الدهر يعقب تارة
بنوع واخرى بنوع اخر فيتعاقب فيه المحنة والمنحة كما عليه حال اباءنا فلم يرعوا لذلك امثالا من الله تعالى
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون فلما لم يتنبهوا من غفلتهم باحدى الحالتين فلم يبق الا ان ناخذهم
اشد الاخذ بالعذاب بعضهم الاخذ فجاة من غير شعور لانه اعظم حسرة ولو ان اهل القرى اللام
للعهد والاشارة الى القرى التي دل عليها وما ارسلنا في قرية امنوا وصدقوا بدل كفرهم
وتكذيبهم واتقوا بدل عصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم
الخير في كل شيء ومن كل جهة تيسرنا لهم وقيل الاتيان المطر والنبات ولكن كذبوا الرسل
فاخذناهم بما كانوا يكسبون بسوء كسبهم المتمادي من التكذيب والعصيان افامن اهل القرى لما
للعطف على فاخذناهم وكذا الواو في اوامن وما بينهما اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه والهمزة للانكار اي ابعد اخذنا اياهم بتكذيبهم امن اهل هذه القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا ليلا ان كان بمعنى البيتوتة فظرفها اي وقت بيات وان كان بمعنى
التبييت فحال اي مبيتا او مبيتين او مصدر لان التبييت نوع من الاتيان كانه قال ان
يبيتهم باسنا تبييتا وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا ضحى نصب على الظرف والضحى بين البكرة والضحو وهم يلعبون يشتغلون
بلهو الدنيا فانها قال الله تعالى انما الحيوة الدنيا لهو ولعب والعدول في صيغة المضارع للدلالة
على التجدد والتناسب للعب افامنوا مكر الله تكرير للتاكيد وتقرير للحاقي على سبيل التعميم
باستعارة لطيفة وهي استعارة المكر لاخذ العبد بغتة بلا استشعار منه بما اسند اليه فلا يامن مكر
الله الا القوم الخاسرون اي اذا كان اسند رجحه واحق على هذا الوجه فلا يامن مكر الله الا
الذين خسروا انفسهم بالكفر وترك النظر والاعتبار وقيل مكر الله هو ايلاء وترتيبه للاعبد
اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي يهد بالياء
ان فعله ان لو نشاء فاعله وقرئ بالنون على انه مفعول وان مخففة من الثقيلة معنى لضمير الشان
وتعدية فعل الهداية باللام لانه في معنى التبيين اي او لم يهد
ويتبين للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونها اشانهم هذا الشان وهو ان لو
نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين وانا
نتبع لهم ذلك ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه او لم يهد اي يغفلون عن الهداية
ونطبع او كلام مبتدا عطف الجملة على الجملة اي ونحن نطبع ولا يستقيم عطفه على

اصبناهم بمعنى وطبعنا لانه في سياق لو فيؤدي الى نفي الطبع وانهم مطبوع على قلوبهم
واما عطفه على يرثون فيلزمه الفصل بين ابعاض الصلة بالاجنبي لان المعطوف على
الصلة صلة ولا تعلق لقوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم بشيء من الصلة فهم لا يسمعون
سماع تفهم واعتبار تلك القرى اي قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها
حالها كقوله هذا بعلي شيخا او خبر ان كان القرى صفة لتلك ونقص خبره ومن للتبعيض
اي نقص عليك بعض انبائها لان لهم انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء البينات بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل
بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين مجيء
الرسل اي استمروا على التكذيب مع تكرر المواعظ وتتابع البينات ولم يكن قبلهم حتى
ماتوا وتاكيد النفي باللام للدلالة على ان الايمان كان منافيا لحالهم في تصميمهم على الكفر وطبع
قلوبهم ونتائج تكذيبهم في عنادهم كذلك مثل ذلك الطبع العظيم يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وفيه ايذان بان سبب الطبع كفرهم الاصلي وما وجدنا لاكثرهم
اي لاكثر الامم المذكورين لان لا اقل من كل منهم امنوا او للناس على الاطلاق والجملة
اعتراضية من عهد اي ادنى وفاء بعهد نفي لوفاء بعهد على سبيل المبالغة يقال ما له عهد
بنكث العهد والمراد من العهد اما ميثاق الفطرة في الايمان او ما عهدوا الله عند
الضر والمخافة لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين او عهدهم مع الانبياء عليهم السلام
كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي علمناهم
من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة فيه وذلك لا يجوز الا في
المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا
ثم بعثنا اي بعثنا الرسل وهي الاصل لفعل بعثنا دخيلا لا نزاع الى التي من
بعدهم للتعبير بالرسل ان الامم موسى باياتنا بالمعجزات الى فرعون وملائه اي الاشراف
من قومه وفرعون كان لقبا لمن ملك مصر من العمالقة فظلموا بها الظلم وضع الشيء في
غير موضعه وتعديته بالباء لتضمينه معنى الجحد والمراد من ظلمهم اياها بهم الكفر بدل الايمان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين التعبير بعاقبة العلى الى العين لادراكه من قبيل
فانظر بعين القلب كيف كان عاقبتهم بسبب فسادهم وموضع كيف نصب لانه خبر كان
وتقديره انظر اي شيء كان اخر امر الذين افسدوا وقال موسى يا فرعون خطاب لائق بحسن
ما يدعى به واجبها لما عرفت انه من الالقاب المخصوصة بملوك العمالقة فيه يماد

بالأمور الواردة في قوله تعالى فقولا له قولا لينا **إني رسول من رب العالمين** لم يقل إليك
لعدم اختصاص رسالته عليه السلام به ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى
عليه السلام بما يفيد عليه أنه مبطل في الوصف الذي ادعاه **حقيق على أن لا أقول**
جواب لتكذيبه إياه في دعوى الرسالة المفهومة من قوله فظلموا بها وقرئ على بالتشديد
أي واجب علي وعلى قراءة التخفيف حقيق بمعنى جدير وحقيق إلا أنه ضمن معنى الحريص ولذلك
عدي بعلى أي مجبول على التجرد بما بعده إشارة إلى أنه هو في مقام الرسالة لا يكون
في غاية العصمة عن وصمة الكذب حتى لو رخص لا يقدر عليه **على الله إلا الحق** كما قال على الله
ذو في الرسالة تحميل العهدة على الرسول الذي نقل عنه الرسالة **قد جئتكم ببينة من ربكم** أي بما
يبين أني رسول من رب العالمين ادعى الرسالة ثم أردفها بما يدل على صحتها ولما قرر رسالته
فرع عليها تبليغ الحكم بقوله **فأرسل** فأطلق **معي بني إسرائيل** أي يرجعوا معي إلى الأرض
المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال تغلبا
منذ توفي يوسف عليه السلام وانقرضت الأسباط **قال إن كنت جئت بآية** من عند من أرسلك
فأت بها فأظهرها وأحضرها عندي ليثبت بها صدقك **إن كنت من الصادقين** في الدعوى
فألقى عصاه فامتثل التي من اللقاء الذي هو الاتصال فألقى عصاه إثر انقضائها ما كان وعصا
من يابس وأصله الامتناع ليبسه بها لعصا إذا امتنع ومنه العصا المتحقق **فإذا هي**
إذا للمفاجأة والفاء للتعقيب **ثعبان** حية عظيمة بها إذا انتفخا لما إذا جرى باتساع وأصل الثعب
هو المجرى الواسع ومنه الثعبان لأنه يجري باتساع لعظمه **مبين** أي ظاهر أمره أنه
ثعبان حقيقة لا شيء يشبه الثعبان كما يكون من الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر **ونزع يده**
أي أخرجها من جيبه لقوله تعالى وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء والنزع إخراج الشيء
كان متصلا به وملابسا له **فإذا هي بيضاء** لها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق
وفي قوله **للناظرين** دلالة على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه
عن العادة وقيل بيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء حقيقة ويرده قوله تعالى في موضع
آخر تخرج بيضاء من غير سوء لأنه صريح في أن بياضها لأن معناه من غير برص عند ذلك **قال الملأ**
من قوم فرعون وفي موضع آخر قال للملأ حوله وذلك أن قال هو وأشرافهم على سبيل التشاور
في أمره فحكيت تارة عنه وأخرى عنهم وفي عبارة الملأ نوع إشارة إلى هذا من حيث أن الملأ جماعة
يجتمعون للتشاور **إن هذا لساحر عليم** فائق في علم السحر ماهر فيه حقيقة في إظهار العجوبة
توهم خرق العادة بها ثم بينه **يريد أن يخرجكم من أرضكم** بأن يأخذ الحكم ويتولاه

بينكم ويستميل بعضكم يحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم **فماذا تأمرون** ماذا في محل
نصب أنه مفعول ثان لتأمرون على سبيل التوسع فيه بأن حذف منه حرف الجر والمفعول الأول محذوف أي
بأي شيء تأمرونني بشيء ما أمره فأمر فيكم إذا أشار وقد قلنا نعليك برأي يجيبه عند غلبته
سلطان المعجزة نسي دعوى الألوهية والربوبية وكونه أسرار قهوبا حتى خاطبهم خطاب ما دهاه
المتفهم من المأمور **قالوا أرجه** أي أخره وهو التأخير أي أخرهما وهذا يدل على أنه
شهر عن أن يتمثله على ما دل عليه قوله تعالى وقال فرعون ذروني أقتل موسى فقالوا
أخر قتله واقلبه بالحجة كيلا يدخل على الناس الشبهة من قوى أنهم الناجون وتعديا للتدبير
ونبذ للجدل لتشهير عجزهم وبذلك تنبأ من التقديم **وأخاه** يعني هارون وكان معه على
ما ذكر في موضع آخر **وأرسل في المدائن حاشرين** الحشر للتفرق من جهات مختلفة إلى مكان
واحد أي اشتراء وتعديتها رسلا بالين وإنما أي بجي نصبا بعضه الأمثل بلغنا الاهتمام
في أمر الحشر ولأن المقصود إتيان مهرة السحرة من جميع الطبعة العليمية لك الجنس وهو
لا يكون إلا بالتتبع والتفحص ولا يتم ذلك في نظائرهم المتناهين **يأتوك بكل ساحر عليم** مثله
في السحر وعلمه ويزيد سحار وهو أبلغ لأن أعيانا المبالغة في وصف من يوقي المعارضة لنا
وفي نقل الكلمة على العموم دلالة على أن كل واحد منهم منفرد عن الآخرين مطلوب بالإتيان
ومنفصل عما دلوا الداب **وجاء السحرة فرعون** أي فأرسل الحاشرين فجاء السحرة فالوا
بتعقيبه كالعادة في قوله فجمع السحرة **قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين** استئنافا في جواب
سؤال لما قالوا إذا جاءوه فأجيب بقولهم قالوا أئن لنا لأجرا للمستفهما عادلا هرلة
بالإيجاب مع الدقة لأنه تعالى إنا يجابهم عليه بأجر عظيما كأنهم قالوا لابد لنا من أجر كبير وشكل
هذا التنكير في إفادة التعظيم والتكثير عند من أثبت الأبدال وأنه لتعظيم الأجر والأجر
فإن الجزاء قد يكون بالخير والشر بحسب العمل ويجب تقتضيه العدل لا الغلبة إظهار الاتفاق
بالنوع **قال نعم** مجيبا لهم عما سألوا **وإنكم** أي وأنا مع العطف كأنه قال إنكم لكم ذلك وإنكم **لمن**
المقربين أي من أرباب الجلالة التي يكون فيها الحاجة لا يحتاج إليها إلا المستحق أثبتهم ذلك
على ذلك ما له ينفصون مع النيل المتدرب إلا لا أعلى لا اقتصر على الثواب العظيم كان تكرمه
الثواب بما لم يقل معه الثواب وهو القرب من العظيم تحريضا لهم **قالوا يا موسى إما أن**
تلقي وإما أن نكون نحن الملقين لما لنا الأرزاق العمل أي جهة التقبل ومنه الإساك وأما
للتخيير والتقدير إما أن تلقي أنت أولا وإما أن نلقي نحن أولا كما يدل عليه ما في موضع آخر وأما
أن نكون أول من ألقى التخييل أظهر والأفضل بدلا لو أن الذي بدأت أنت أو بدأنا فلا أخرى علينا

ن لاحقاً وقيل بل احترموا وتبركوا بذلك الأسلوب وما كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها
بتغيير النظم إلى ما فيه رجحان طرفهم في الإلقاء من الجملة الاسمية والتأكيد بتوسيط
الضمير وتعريف الخبر قال ألقوا لما كانوا طلبوا التقدم كرمهم موسى عليه السلام وسوغ
لهم ما تراغبوا فيه إظهاراً للتقليل وتحقيراً لهم وازدراء بشأنهم وثقة بالله تعالى في ما اختص
به من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً فلما ألقوا سحروا أعين الناس خيلوا
إليهم ما الحقيقة بخلافه وزعموا بالحبال والخشبة ما لا وجه له وقد ظهر أنها تتحرك
بتقلب عيناً أنها من باب التخييل واسترهبوهم أي أرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم استدعوا
رهبتهم وقيل استعمل هنا بمعنى فعل كاستبل واستبان والرهبة الخوف مع الفزع وجاءوا
بسحر عظيم وصفه بالعظيم لبعد تمام الحيلة فيه روي أن الوادي امتلأ حتى أوجس موسى عليه السلام في
نفسه خيفة وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك أن مصدرية ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في
الوحي معنى القول فإذا هي إذا فجائية والفاء فصيحة أي فألقاها فإذا هي ويكثر الحذف في مثل
هذا قد ترتيبها في تسبيبه تعالى فإنه عزت منه ... البرع تلقف تبتلع تناولاً
بسرعة فيها منها ويؤيده قراءة تلقم أي تبتلع كاللقمة ما يأفكون لا فك قلب الشيء عن
وجهه وما موصولة أي ما يأفكونه أو مصدرية أي إفكهم تسمية للمأفوك إفكاً مبالغة فوقع
الحق أي ثبت ظهوره ليتحقق بوضوحه الحق كذا الذي يمنعه الذي اقتضته
الحكمة وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك أي عند ذلك المجمع وانقلبوا
صاغرين أي رجعوا إلى المدينة أذلاء مبهوتين والضمير لفرعون وقومه ثم قال وألقي
السحرة ساجدين دون أن يخروا سجداً البالغة كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم لأن الحق
بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو ألقاهم الله تعالى إلى ذلك بما
ألهمهم ليكسر فرعون وقومه بالذين أرادوا بهم كسر موسى عليه السلام قالوا آمنا برب العالمين
لما استشعروا أن يوهم أنهم أرادوا فرعون لأنه ادعى الربوبية بقولهم رب موسى وهارون إبدالاً
منه قال فرعون آمنتم استفهام على سبيل الإنكار والتوبيخ أي أفعلتم هذا الفعل الشنيع
وقرئ بالإخبار وهو أيضاً تقريع وتشنيع به لا إيماناً بعلمه به أي بموسى عليه السلام أو بالله
تعالى لا لتخلد في سورة الشعراء إنه لكبيركم الذي علمكم السحر لا بمنطقه قبل أن آذن
لكم فيه إيذان بوقاحته حيث جعل ذنبهم تقديم إيمانهم على إذنه كأن الإيمان به إن هذا لمكر
مكرتموه في المدينة أي صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى
الميعاد وتواطأتم عليها لتخرجوا منها أهلها القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل الملك فيها

على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وعيد مجمل
تفصيله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف من كل شق طرفاً وذلك للتشديد في العذاب
والتغليظ فإن الإنسان لا يعيش بيد واحدة ورجل واحدة إذا كانا من جنس واحد بخلاف ما إذا
كانا من جانبين ولهذا يقطع رجل السارق في المرة الثانية من خلاف وإذا كان القطع من
وفاق يأس من الانتفاع بالحياة الباقية فيكون الموت بعده أحسن بخلاف ما إذا كان القطع
من خلاف فإن في الموت بعده إذا كان متراخياً الاحتياج إليها فأراد فرعون أن يعيشوا ويصير
التشديد بتجديد العذاب بالقتل بعد ما ذاقوا ألم القطع وغادة لذة الحياة على ما دل عليه
كلمة ثم في قوله ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم قيل أول من قطع وصلب
قالوا إنا إلى ربنا منقلبون أي إنا لا نبالي بوعيدك لأنا لو متنا إلى ربنا فرحمته كما يهمنا سلطانه
شفعنا إلى لقاء الله تعالى أو إنا جميعاً إلى الله نرجع يا فرعون فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر
وما تعيب علينا تعديته بمن لتضمنه معنى تنال وعلى هذا يكون قوله إلا أن آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا مفعولاً من أجله استثناء مفرغاً أي ما تنال منا العذاب إلا لأجل الإيمان الذي
ما أنا اليد عظماً في تعنيبهم حيث قال أي ما تعيب علينا ذنب تعذبنا عليه إلا أنا آمنا ثم فزعوا
إلى الله تعالى بقولهم ربنا أفرغ علينا صبراً أي على وعيد فرعون لعلمهم أن الصبر مطهر
لهم استعارة بالكناية شبه الصبر بالماء في الإفراغ أي أفض علينا من الصبر ما يغمرنا ويفيض
علينا كما يفرغ الماء إفراغاً والتنوين للتعظيم أي صبراً واسعاً كثيراً أو ما يطهرنا من وضر
الآثام كما يطهر الماء الأبدان لأنه ادر وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام قيل إنه فعل بهم
ما أوعدهم وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون وفيه نظر لأن
المراد من اتبعهما قبل غلبتهما فلا يتناول السحرة وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الأرض بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا
في الأرض بدون أو أن والعلة الناصبة بمعنى بالحاشية فضلاً بذلك تحيطه على موسى عليه
السلام وقومه ليكون ذلك أبقى عليهما لأنهما زعم الإشراف وبترك موسى عليه السلام لإفسادهم
بعض يذهب ملكهم ويشرفهم لأنهم أبوا العبادة إلى الجميع والترك إلى موسى خاصة لأن الترك
المذكور راجع إلى أمر التنبيه عنه مما يعوق له عنه فذكر تركه كاف بخلاف الفساد لأنه من
جهة الدنيا فإن الملك عرضهم مشغول بالفرعية وجواب الاستفهام بالواو وعلى معنى أن يكون منكراً
بترك موسى عليه السلام وقومه ويكون تركهما إياك وآلهتك وقرئ بالرفع عطفاً على أتذر أي
أتذره أي وهو يذرك معنى يطيق لذلك وآلهتك أو حالاً أي وهو يذرك وآلهتك وقرئ

بالجزم كأنه قيل يفسدوا ويذرك جزما بالاستفهام كقوله تعالى فأصدق وأكن **وآلهتك**
قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه ولذلك قال
أنا ربكم الأعلى وقرئ وإلاهتك أي عبادتك **قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم** كما كنا نفعل بهم
ما كنا نفعله بهم من قبل ليعلموا **وإنا فوقهم قاهرون** أي وإنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة
عليهم وأن لا أثر لغلبة موسى عليه السلام في ملكنا وأن لا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه **قال موسى لقومه** لما جزع قوم موسى عليه السلام من
قول فرعون سنقتل أبناءهم وتضجروا منه تسلية لهم بقوله **استعينوا بالله واصبروا إن الأرض**
لله يورثها من يشاء من عباده ذكرهم ما وعدهم الله تعالى من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم
واللام في الأرض للعهد أو للجنس فيتناول المعهود وهو أرض مصر تناولا أوليا
وعلق الإيراث بالمشيئة فأجمل ثم بينه **والعاقبة للمتقين** للبشارة بعد الإبهام بأن العاقبة التي
تستأهل أن تسمى عاقبة أي العاقبة المحمودة كأن ما عداها ليست بعاقبة مخصوصة بالمتقين
منكم وفيه إشعار بأنهم المتقون وأن القبط ليسوا منهم وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على
اسم إن **قالوا** أي بنو إسرائيل **أوذينا** بقتل الأبناء والاستعباد وإلحاق أنواع الخسف وأنواع
التعذيب والأذى [illegible] **من قبل أن تأتينا** بالرسالة [illegible]
[illegible] **ومن بعد ما جئتنا** بإعادته علينا **قال عسى ربكم أن**
يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض تصريح بما أشار إليه من البشارة وهو إهلاك فرعون وقومه
واستخلافهم في الأرض **فينظر كيف تعملون** شكرا أو كفرانا طاعة أو معصية فيجازيكم بحسبه
ولقد أخذنا آل فرعون [illegible] عبارة عن الآل [illegible] القوم [illegible] حقيقة [illegible]
[illegible]
فرعون في الحكم المذكور [illegible] **بالسنين** بالجدوب [illegible] الأمطار [illegible] والنبات والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به [illegible] ثم اشتق منها فقالوا
أسنت القوم أي قحطوا [illegible] **ونقص من الثمرات** قال ابن عباس رضي الله عنهما
أما السنون فكانت لباديتهم وأما نقص الثمرات فكانت في أمصارهم **لعلهم يذكرون** لكي يتنبهوا
على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم أو يتعظوا فتلين قلوبهم وترق بالشدائد فيفزعوا إلى الله تعالى
ويرغبوا **فإذا جاءتهم** الفاء فصيحة [illegible] على مقدر [illegible] الكلام [illegible]
تنبههم [illegible] ذكر وتفصيل لذلك **الحسنة** الخصب والرخاء [illegible] **قالوا لنا هذه** أي لأجلنا
واستحقاقنا لها **وإن تصبهم سيئة** جدب وبلاء وضيق **يطيروا بموسى ومن معه** فقالوا هذا بشؤمهم

ولولا مكانهم لما أصابنا [illegible] التطير والتشاؤم وأصله التفاؤل بالطير [illegible] الطائر الذي
هو سبب الخير والشر فغلب في التطير [illegible] وأصل يطيروا يتطيروا فأدغم وإنما عرفت الحسنة
[illegible] إذ الإرادة [illegible] على الوقوع [illegible] الذي [illegible]
الوقوع [illegible] ونكر السيئة مع حرف الشك [illegible] وصيغة المضارع [illegible]
ويجد [illegible] أسباب الابتلاء [illegible] والحسنة لا يخلو عنها أحد [illegible] الأشرار وهذا
إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة [illegible] فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل
العرائك وتزيل التماسك [illegible] إلا أنهم كانوا في الغي
وغلوا في الكفر ولذلك [illegible] التطير بموسى عليه السلام ومن معه [illegible]
إلى الله تعالى [illegible] **ألا إنما طائرهم**
[illegible] **عند الله** أي كل ما يصيبهم [illegible] وهو الذي [illegible]
به [illegible] لا بشؤم [illegible] **ولكن أكثرهم لا يعلمون** أن ما يصيبهم من
الله تعالى أو من شؤم أعمالهم **وقالوا مهما** أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد
ثم قلبت ألفها هاء [illegible] التكرير [illegible] ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب
بفعل يفسره **تأتنا به** أي [illegible] **من آية** بيان لمهما وإنما سموها آية
[illegible] قالوا **لتسحرنا بها** أي لتسحر بها أعيننا [illegible] باعتبار اللفظ [illegible]
باعتبار المعنى [illegible] في الجملة [illegible] تأكيد [illegible]
الجزاء [illegible] قالوا **فما نحن لك بمؤمنين** أي فلا [illegible] فما نحن لك
بمصدقين [illegible] عند الله تعالى [illegible] لما ذكر [illegible] الآيات به بعد
[illegible] مصرون [illegible] **فأرسلنا عليهم الطوفان**
[illegible] ابن عباس رضي الله عنهما الطوفان [illegible] جماعة
هو المطر المتتابع [illegible] وهو في اللغة ما طاف بالقوم وغلبهم من مطر أو غيره **والجراد**
والقمل [illegible] كبار القردان **والضفادع** جمع ضفدع **والدم** روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة
لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه
إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخلها قطرة وفاض الماء على وجه
أرضهم فمنعهم من الحرث والتصرف فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فلم يؤمنوا فبعث الله تعالى
الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب [illegible]

بني إسرائيل بل منها شيء ففزعوا إلى موسى عليه السلام ووعدوا التوبة فرفع عنهم فلم يؤمنوا فسلط
الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها
ففزعوا إليه عليه السلام فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم
وهي تغلي وإلى أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه عليه السلام وتضرعوا فأخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فأرسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم
دماً حتى كان يجتمع القبطي مع السبطي على إناء فيكون ما يليه دماً وما يلي السبطي ماء ويمص
الماء من فم السبطي فيصير دماً في فمه آيات نصب على الحال مفصلات مميزات بعضها من بعض
بين كل آيتين فصل ومدة ليتأمل في كل واحدة تحقق الرسالة فإنهم ... أوقات
عليهم أسبوعا ثم تنقلع عنهم شهرا ثم تأتيهم أخرى تأكيدا للحجة عليهم كأنه ... قالوا
مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين لكنا نعاهدوا لا يؤمن لم تنقطع عنهم
الدواهي بما ظهر من الجهالات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فعتوا عن الانقياد
إلى الحق والإيمان بموسى عليه السلام وكانوا قد اعتادوا الآثام والإجرام كيف لا يعمهم
العذاب اللازم ولما وقع عليهم الرجز أي الطاعون فإنه مات من القبط سبعون ألف إنسان وقيل
هذا العذاب المفصل وفيه أن المناسب تعقيبا لكلام بما قالوا يا موسى ادع لنا ربك لتعليق
عنهم ... قالوا ربك دون ربنا إظهارا للاختصاص على أنه لا كما يقتضي مقام الغرض والحط
بما عهد عندك أي بعهده لك وبذلك إليه فمن نجح جميع الوسائل بين الله تعالى وبينه عليه
السلام من طاعة منه ونعمة من الله تعالى وهو صلة لادع أي ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب
بحق ما عندك من عهده أو ... بمعنى الحال أي متوسلا إليه بعهده عندك أو قسم جوابه لنؤمنن
أي بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ويجوز أن يكون ... إلى الله
عهد إليك أن تدعو به فيجيبك ... إسناد الكشف إليه عليه السلام مع إسناده إلى
الله تعالى لتقدم إقرارهم به ولنرسلن معك بني إسرائيل أنا نرد له معك لأنه عليه السلام
كان طالبا لإرسالهم معه حيث قال أن أرسل معنا بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الفاء
فصيحة عاطفة على المقدر كأنه قيل فدعا موسى ربه فكشفنا عنهم الرجز فلما إلى آخره إلى أجل إلى
حد من الزمان هم بالغوه ... لا محالة فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت ... فإن منهم من مات
قبل الغرق ومنهم من بقي ... لأن لحاق الكلام يدفعه قطعا كما ستقف عليه ... في وصف
الأجل بالجملة الاسمية مع تجريد الخبر عن شائبة الحدوث إشارة إلى ضرورة بلوغهم إياه

المقدر

المقدر لهلاكهم ولم يؤمنوا إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم الرجز فاجأوا بالنكث
وبادروا من غير توقف فانتقمنا منهم أي أحللنا بهم النقمة وهي ضد النعمة فأغرقناهم الفاء تفسيرية
كما في قوله رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء في اليم وهو البحر الذي
لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه وهذا صريح في أن الساكنين كلهم هلكوا بالغرق
بأنهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا والآيات هي المعجزات التي ظهرت على يد موسى عليه السلام
وكانوا عنها أي عن آياتنا غافلين غفلتهم من جهة دلالتها على صدق موسى عليه السلام في
دعوى الرسالة لا غفلة عن تلك الآيات في الحقيقة لأنها بعد ... المذكورة لا ينبغي
آيات وعدها الغفلة هي سبب التكذيب وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد
وهم بنو إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ملكهما الله تعالى بعد الفراعنة
والعمالقة نواحيها الشرقية والغربية وتصرفوا فيها كيف شاؤوا وصيغة الجمع ...
في وصفها من جهة الخصب والبركة التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وهذا ظاهر
في أن المراد أرض الشام وأن المراد بالقوم المستضعفين لم يعودوا إلى بلاد
مصر بل ماتوا في الأرض المقدسة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل مضت عليهم واتصلت عدته
الحسنى بالتمكين في الأرض وتعرضت بالإنجاز وهي قوله ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا
يحذرون وتعري كلمات ربك لأنها كانت مواعيد بما صبروا بسبب صبرهم وكفى به حاثا
على الصبر ودمرنا خربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور وما كانوا يعرشون
من الجنات أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وأصل التعريش الرفع وجاوزنا
ببني إسرائيل البحر أي البحر الذي يغرق فيه فرعون وقومه وهو بحر القلزم ...
بنو إسرائيل البحر تنبيها على أن جاوزته ... كان خارقا للعادة خارجا عن طوق البشر ثم
أنجاوزتهم البحر ... أذهب به الجمع ... بعدها إلا لعدم
نجاتهم من الأهوال الشنيعة عقيبها ورأوا من الآيات العظام والنعم الجسام تسلية لرسول
الله عليه السلام مما رأى منهم بالمدينة وإيقاظا للمؤمنين لئلا يغفلوا عن سياسة نفوسهم
ومحاسبتها ومراقبة أحوالهم ... فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على
أصنام على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل ... لهم تنبيها
... حيث ... قالوا يا موسى اجعل لنا إلها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة
أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ... مصدرية
... قال إنكم قوم تجهلون تعجب من قولهم

يعد ما رأوا الآية العظمى والمعجزة الكبرى تجهلهم وأكد جهلهم بالإطلاق وتكرير النسبة
وتعريفها بإن وإيراد الفعل المضارع الدال على التجدد الدائم إشعارا بأن ذلك منهم كالطبع
والغريزة لا ينفعلون عنه في حال إن هؤلاء أي عبدة تلك التماثيل متبّر مكسّر مدمّر ما هم فيه
أي يتبر الذي هم عليه على يدي ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا
يعملون من عبادتها بالغ في عدم وتنفيرهم عما طلبوا إليه بإيراد هؤلاء اسما لإن وتقديم
الخبر في الجملتين بعده وإيقاع كانوا أي إن هؤلاء الذين عبدوا الأصنام هم المعروفون المرسومون
بوسم عبادتها وأنها لا تبيد وهم لبثة وأنه لهم ضربة لازب وجميع ما هم فيه
وما عملوا من شيء في عبادتها فيما سلف من الزمان إلا وهو باطل مضمحل وإن كان في زعمهم
أنه تقرب إلى الله تعالى ثم أنكر عليهم ما طلبوا وتعجب من طلبهم عبادة غير الله تعالى مع كونهم
مغمورين في نعمه بالصنع وتعديد المنعم فقال قال أغير الله أي أغير المستحق للعبادة
أبغيكم أطلب لكم إلها معبودا وهو فضلكم على العالمين وهو الذي فعل بكم ما فعل دون
غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم ينعم بها على أحد من العالمين وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم
حيث قابلوا تخصيص الله تعالى إياهم من أمثالهم بما لا يستحق تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا
به أخس شيء من مخلوقاته والمراد من العالمين عالمي زمانهم وأغير منصوب بمفعول أبغيكم وإلها
تمييز من غير أو حال أو على الحال وإلها المفعول فكان غير صفة فلما تقدم انتصب حالا ثم ذكر
نعمة الإنجاء وما يتبعه وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت
يسومونكم يبغونكم استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما
سوء العذاب شدته يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين والمعنى مبين فيما سبق وفي
ذلكم إشارة إلى الإنجاء والعذاب بلاء نعمة أو محنة من ربكم عظيم وزيادة عن لدنكم
يرجع المعنى للأول وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها الضمير للمواعدة المفهومة
بواعدنا بعشر من ذي الحجة وحذفت الهاء من عشر لأن العدد غير مؤنث فتم ميقات ربه
الميقات وقت قد رتبه عمل من الأعمال الذي في عبادة ربه إشارة إلى أنه لمصلحته عليه السلام
وترتيبه أربعين ليلة منقول به لتم لأن معناه بلغ ويجوز أن يكون تمييزا منقولا من الفاعل
وأصله فتم أربعون ميقات ربه أي كملت ثم أسند التمام إلى الميقات وانتصب أربعون على
التمييز وذلك الآية على أن التاريخ بالليالي دون الأيام وهكذا لأن الليالي أوائل الشهور
وروي أنه عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد هلاك فرعون بكتاب من الله
تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمر بصوم ثلاثين

أثر

الكرحلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمر
الله تعالى أن يزيد عليها عشرا وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح
ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا فيهم ولا تتبع سبيل المفسدين أي لا تتبع المفسدين
في سبيلهم وكرر له لا يهتدي كيد الخائنين في كيدهم وهو شأن بعد يحتمل أن يتبعه لذا الناظر
في كلام الله تعالى ويحتمل أن يكون على طريقة التضمين أي ولا تسلك سبيل المفسدين
سببا ألمهم ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددناه واللام للاختصاص أي
اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه بغير واسطة كما يكلم الملائكة وروي أنه عليه السلام كان
يسمع الكلام من كل جهة وذلك لأن الله تعالى ليس في جهة وكلامه ليس من جنس كلام المحدث
والعدول عن الظاهر هو وكلامه إلى ما ذكرنا لعله عن ميقاتنا إلى ميقات ربه
والنكتة مشتركة بينهما قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك
وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل على الأنبياء عليهم السلام
محال وخصوصا ما يقتضي معرفة الله تعالى فيقتضي الجهل به ولذلك رده بقوله لن تراني ليس
لاستحالة رؤيته تعالى في نفس الأمر ولا لقال لن أرى بل لمنصور الطالب عن رؤيته لبقية
الحجاب فيه موقوفة على ارتفاعه وجعل السؤال للتبكيت من الذين قالوا أرنا الله جهرة
بيّن خطأ لا تحسبه عليها السلام في أن يجعلهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل
لنا إلها والاستدلال على استحالتها بالجواب بأن يدل على أن السائل مطالب إذ لا دلالة فيه على أن لا
براءة عليها السلام بدا ولا على أن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى
الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني أي لن تطيق أن تراني
ولكن انظر إلى الجبل استدراك يريد أن يبين به أن لا يطيقه فإن الجبل مع شدته وصلابته
إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بأن لا يستقر هنا تسكين لقلب موسى عليه
السلام وتخفيف عنه ثقل أعباء المنع ولا يذهب على من نظر بعين الإنصاف وتجنب
عن التعصب والاعتساف أنه ليس بجواب عن سؤال المحال وقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام
فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فلو سأل موسى عليه السلام
محالا لكان في الجواب زجرا ما فإن استقر مكانه فسوف تراني بعد رفع الموانع وهنا لبيني
علق رؤيته بالاستقرار وهو أمر ممكن في نفسه لا أنه ممكن في نفسه لكن الكلام
من جهته على ما دل عليه قوله تعالى ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
حيث قال ما كان لبشر ولم يقل ما كان له تعالى أي بالتعليق بها التشريف بالغد في

لتعذر المطلب أما التعليق فلبيان أن الطاقة البشرية لا تحتمل رؤيته تعالى وأما التسويف
فلبيان أنه على تقدير التحمل لا بد من انقطاع موانع زوالها تدريجي يقتضي مهلة ومدة
فلما تجلى ربه للجبل أي ظهر له ظهورا لمرئي للرائي بأن خلق الله تعالى فيه حياة ورؤية حتى رآه وهذا المعنى
هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو الموافق لسياق الكلام المطابق لأصل أهل السنة
والجماعة ومن صرفه عن الظاهر فقد دس فيه مذهب الاعتزال جعله دكا الدك والدق أخوان
كالشك والشق وأما قال دكا أنها لغة كرجل عدل أو قالجبا نعتيا في جر فتح بالمدكوك على أنه
مصدر بمعنى مفعول أو بمجاز لغوي فقد أخرجه إلى معنى معقول على طريقة كلام عامي
فإن قلت إلى صحة المرام وصدقا للكلام تقتضي عين المذكور قلت
لا نزاع فيه إنما الخلاف في طريق إفادته وكيفية إرادته من عبارة الدك ونحوي دكا أي أرضا
مستوية ومجرى دكا أي قطعا جعلها ترابا وخر موسى صعقا مغشيا عليه كحال
من يصيبه الصعقة للهول مما رأى من تلاشي الجبل ولولا كل نحو النظم لعطف بالفا
ولما عطفا بالواو وعلم أنه إيضاح يسبب على التجلي للجبل فلما أفاق أي من غشيته قال سبحانك تبت
إليك قال الإمام أبو منصور خرج هذا الكلام منه عليه السلام مخرج العادة عند
رؤية الأفزاع حسبما يجري على ألسنة الناس عند الأخطار لا عن ذنب يتذكره فيتوب
عنه ونظيره ما التسبيح ما في قول عيسى عليه السلام سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس
لي بحق ونظير التوبة ما أخبر به في قول النبي عليه الصلاة والسلام إني في كل يوم مائة
مرة استغفر الله وأتوب إليه وأنا أول المؤمنين أي بما أخبرت به في حق الرؤية من أنه لا يطيقها
هذه البنية البشرية مما اخفي عليه السلام إلى تلك الوقت أنه لا يعطي الخلق رؤيته في الدنيا
مع جوازها المعتقد منه عليه السلام سؤال الرؤية بناء على تحري جوازها ليتحقق جواز
الرؤية بسؤاله عليه السلام ذلك فيكون حجة قاطعة لأهل الحق على المنكرين من أهل
البدعة قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس أي المراد من في زمانك وهارون عليه
السلام وإن كان نبيا وأكبر منه سنا لكنه كان وزيرا له مأمورا باتباعه ولا كليما ولا صاحب
شرع برسالاتي ترى على الجمع إذا لم يكن نحو مضروب على الأخرى إن محل المصدر
الذي هو الإرسال أسبق زمانا أو للاشتغال بما لتشريفها إلى الأشرف فخذ ما آتيتك أي أعطيتك
من الرسالة والحكمة وكن من الشاكرين من المعترفين بالشكر وهذا أبلغ من الأمر بالشكر
على النعمة بوجوه روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر وكتبنا
له في الألواح من كل شيء لفظ كل هنا للتكثير والتفخيم لا للإحاطة والتعميم كما في

قوله تعالى وأوتيت من كل شيء والألواح جمع لوح وهو الصحيفة المهيأة للكتابة فيها
وأما قال له لأن الموقوف بالمكتوب فيها بل تفصيل كل شيء كان مخصوصا به عليه السلام
موعظة تحذيرا بما يزجر عن القبيح وتقبيحا لما وقع الخوف والحذر وهي متعول لما له
من الجار والمجرور ولأن المعنى الذي ذكرناه مقتضى الإضافة بالإفادة في المقام وتفصيلا
لكل شيء من المصالح الدينية والدنيوية فخذها عطف على كتبنا على إرادة القول أي
فقلنا خذها والضمير للألواح بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها بما حسنا
فإنها أحسن من غيرها أو بما هو واجب وندب فإنه أحسن من المباح أو بأحسن ما فيها
ما هو أحسن وأحسن كالعبرة بالتشبيه أي لا ينضبط إلى مرتبهم احتياطا لا لأنفسهم على
طريقة الندب سأريكم من رؤية العين ولهذا تعدت إلى اثنين دار الفاسقين الذين
أهلكهم الله تعالى إلى بعثتهم فينتظم دار فرعون وقومه وديار العمالقة ومنازل
عاد وثمود وموعظة بليغة تجري مجرى الوعيد على ترك الطاعة أي دار فوق سلطان
يأخذوا بأحسنها يتحققوا ولأن يمتلوها ولا يتشبهوا فإن ركبكم دار من فوق منعوا بها
ليعتبروا ويزجروا وعلمتها أي سأرينكم الكم وبين لتزيد وهي لغة فاشية بالحجاز وقرئ
سأورثكم تقويه تعالى وأورثنا القوم سأصرف عن آياتي فلا فوقي لا يتفكروا
فيتخلقوا ولا يعتبروا بما فيها لا تتجلى لا يعرفوا ولا يحلوا بها الذين يتكبرون
يتعلقون عن الانقياد للأنبياء عليهم السلام طالبين العلو والرياسة وأما قال في
الأرض لأنه أي يكبرهم على العالم لسلف الذي لا يليق الرفيع ما هو كذا له فيه
لقوله بغير الحق أي بلا استحقاق حال ما قيل يتكبرون أو صلة أي يتكبرون
بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط بنزعهم عن الطاعة
بسبب شامة التكبر فلا يتفكروا في آيات الله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي لا يعتبروا
بها لغفلة وأنهم ما كانوا فيه يشغلهم عنها من شهواتهم وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرئ الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وهي لغة فيه وإن
يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا أي يختارونه لأنفسهم مسلكا
ورأوه مما قاربوا الغي على الرشد قال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم
عنها ... ما صرفهم لذلك الصرف بسببهما ويجوز أن يكون ... وكانوا عنها
غافلين استئناف أخبار منه تعالى عنهم بأنهم كانوا عنها غافلين عن الآيات وتدبيرها

وأوردتهم الغفلة التكذيب بها هذا ما قيل والوجه عندي أن يكون ذلك إشارة إلى التكبر
لأن سبب الصرف قد علم من قوله الذين يتكبرون لما تقرر في الأصول أن ترتيب الحكم على الوصف
يدل على علية الوصف له وإنما الاحتياج إلى البيان بسبب ذلك التكبر فالكلام على ما ذكرنا
يكون على أحسن وجوه الانتظام حيث بين أولاً أن سبب الصرف هو التكبر عن الانقياد
للأنبياء عليهم السلام ثم صرح بأن سبب التكبر تكذيب المعجزات الدالة على صدقهم ثم بينه
على أن سبب التكذيب ما ذكر من أسباب الغفلة عن جهة دلالة الآيات المذكورة
على صدقهم في دعوى النبوة وإعراضهم عن النظر فيها ولا بد من صرف القول المذكور عن ظاهره
وتأويله بالوجه المرجح كيلا يكون مظنة الاعتذار من جهتهم والذين كذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة من باب إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة أو إلى الظرف أي ولقاء
ما وعد الله في الآخرة حبطت أي بطلت ... أعمالهم فلا ينتفعون بها واحتمال
عدم الأعمال للسيئات أيضاً فلا تدفع بقوله هل يجزون إلا ما كانوا يعملون استفهام
بمعنى النفي أي لا يجزون الأجزاء ما عملوا من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده
أي من بعد مفارقته عليه السلام إياهم إلى الطور للميقات من حليهم الذي استعاروا
من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها إليهم للملابسة لأنها كانت في أيديهم وأما
ما قيل إنهم قد ملكوها بعد المهلكين فلا صحة له لفظاً ولا معنى أما الأول فلأن التدافع
بين الوجهين يأبى عنه عبارة العلاوة وأما الثاني فلأن المهلكين هم الرجال والحلي كانت
لنسائهم وقيل هذا الحلي ما أخذ بنو إسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق وعلى هذا يصح
الوجه الثاني والحلي جمع حلي كثدي وثدي وهو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة
وقرئ من حليهم بكسرها بالاتباع كدلي وعصي وبالإفراد عجلاً لما كان المتبادر منه أن
يكون عجلاً حقيقة جسداً لا روح فيه لم يقل بدنا لأن الرأس وسائر الأطراف خارج عنه
له خوار صوت البقر قيل إن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل
عليه السلام فصار حياً وقيل صاغ بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه فيصوت ونسبة
الاتخاذ إليهم لأنهم رضوا بفعله بل لأن المراد اتخاذهم إياه إلهاً على ما دل عليه
التشنيع الآتي ذكره وإنما حذف ... الكلام عليه ورمزاً إلى أنه مما يستبشع
أمر منكر مع قطع النظر عن عبادته وعن كونه إلهاً ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلاً تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر أي ألم يروا حين اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر
على التكلم ولا على الإرشاد كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر

ولما كان الإرشاد إلى السبيل مكان الإشارة كان نفيه أبلغ فالغرض على طريقة الترقي اتخذوه
تكرير للذم أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر الشنيع وكانوا ظالمين في ذلك عادتهم وضع
الأشياء في غير مواضعها فلم يكن هذا بدعاً منهم ولا أول مناكيرهم ولما سقط في أيديهم
كناية عن اشتداد ندمهم وحسرتهم لأن من شأن النادم المتحسر أن يعض يده غماً
فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاه وقع فيها بلا اختيار وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى
أي وقع العض فيها وقال الزجاج إنه تشبيه بما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل
في اليد فمعناه سقط الندم في أنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه ورأوا أنهم قد ضلوا وعلموا أنهم
قد ضلوا باتخاذه قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وقرئ ربنا بالنصب على النداء انقطاع إلى
الله تعالى واعتراف بعظم ما أقدموا عليه ولما كان ذنبهم أعظم الذنوب بدأوا بالرحمة التي
وسعت كل شيء ومن نتائجها غفران الذنب ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
في الدنيا والآخرة ولما رجع موسى إلى قومه غضبان شديد الغضب أسفاً أي
الحزن على ما كان منهم في غيبته عليه السلام قال بئسما خلفتموني أي قمتم مقامي وكنتم خلفاً
أي حيث لم تمنعوا من عبادة العجل والخطاب لهارون عليه السلام والمؤمنين معه أو بئسما
خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تعالى والخطاب لعبدة العجل من بعدي من بعد
ذهابي عنكم أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والدعوة إلى عبادة الله تعالى والكف عن عبادة
غيره ومعنى الخلفة أن ضمير بئس المستخلف نكرة موصوفة مفسر المستكن في بئس والمخصوص
المحذوف خلفتموني صفته والمخصوص بالذم محذوف أي بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام استعجالاً ... العجل عن الأمر أن تركه غير تام إلا أنه
ضمن معنى سبق فعدي تعديته يعني لم تنتظروا وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين فتركتم
الميعاد غير تام ليس لله تعالى في موضع آخر ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أي أنهم عدوا
عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا بعدها قال لهم السامري
إن موسى عليه السلام لن يرجع وإنه قد مات فغيروا ما غيرت الأمم بعد موت أنبيائهم وألقى
الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين قيل إن التوراة كانت سبعة أسباع
في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفعت ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان
فيها المواعظ والأحكام ... لم يأخذ الألواح لأن الظاهر أن المأخوذ هو الملقى
بعينه وأخذ برأس أخيه ولحيته على ما نص في موضع آخر يجره إليه توهماً منه ... الأمر
الذي استغرقه ظناً بأخيه أنه قصر في الكف قال ابن أم إنما ذكر الأم مع أنهما كانا أخوين لأب

وأيّاً ما كان فهو استعطاف واسترحام لتذكير انهما من بطن واحد لا اشتباه فيه وان من عادة حقها
الحنو والحدب فانما خص لانها هي التي قاست المخاوف والشدائد لاجله وقرئ بكسر الميم وطرح
يا الاضافة اكتفاء بالكسرة وبالفتح لانها اخف وتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني
اي قهروني ولم يستمعوا مني وكادوا يقتلونني اي بذلت وسعي في كفهم حتى هموا وقربوا
قتلي قاله ازاحة لتوهم التقصير في حقه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم
من الاستهانة بي وما يشمتون بي لاجله والشماتة فرح العدو بمصائب عدوه ولا تجعلني مع
القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت
باخي ولاخي ضم اليه اخاه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة
عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا على انفسنا
والواو للعطف على مقدر كانه قيل فانت الغفور وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل
سينالهم غضب هو ما امرهم به من قتل انفسهم كما قال من ربهم اشارة الى ما في ضمنه
من اثار الرحمة حيث كان فيه قبول توبتهم ولهذا قدمه على قوله وذلة اخراجا لها عن حيز
الدنيوية لهم في الحيوة الدنيا هي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك مثله الا الجعل
نجزي المفترين على الله سبحانه ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر
مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من
بعد السيئات وعبارة ثم للدلالة على ان التمادي فيها لا يضر بعد ما تاب عنها وامنوا اي
اخلصوا الايمان لانه لا اصل للايمان تقدم ذكره فيما سبق ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم
لغفور لهم وان كانت مثل عبادة العجل وكثرت جرائم بني اسرائيل رحيم بالانعام وترك
الاستعجال في الاخذ بالنكال فكان في عبارة ثم تمهيد لهذا وتكرير من بعدها مع ان الالم
مبالغة في قبول الاعتذار وسعة رحمته عظم جريمتهم اولا ثم عقبها بتعظيم مغفرته ورحمته
تعظيما لا كتعظيمها بل ازيد ليعلم ان الذنوب وان جلت فان عفوه وفضله
وكرمه واحسانه اذا تاب صاحبها واخلص اجل واعظم وفيه حث على التوبة وحث على
الاخلاص ولما سكت صفته معنى زال تعدي بعن اي زال عن موسى الغضب ساكنا وهو كلام
في غاية البلاغة لان فيه تشبيه الغضب بشخص كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك
كذا والق الالواح وخذ برأس اخيك على طريقة الاستعارة بالكناية فكون السكوت على
حقيقته غير مجاز عن السكون ابلغ او طريقة الاستعارة التمثيلية على تشبيه الحال
بسكون الغضب بالسكوت الناطق الامر الناهي وشرطها ان تكون اجزاء الكلام على معانيها

الاصلية وقال الزجاج مصدر سكت الغضب سكتا ومصدر سكت الرجل سكوتا
وهذا يقتضي انه فعل على حدة وليس من سكوت الناس وقرئ قول يونس بن حبيب تقول
العرب سال الوادي يوما ثم سكت فعلى هذا سكت بمعنى سكن وقد قرئ به وقرئ سكت
واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه باعتذاره او توبة قومه وفيه اشارة الى ان
انها الا الله تعالى العبد اذا تغير عن حاله وغلب عليه ما لا يطيق ولذا كان اولوا العزم من
الرسل يغلبه ما يصرفه عن الاختيار فكيف الظن بمن دونه اخذ الالواح التي القاها وفي
نسختها التي فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وهي المكتوب اي فيما نسخ فيها يعني كتب
والنسخ النقل فيقتضي نقل مكتوب من اصل اخر وقد يطلق على الكتابة وان لم يكن نقل
من اخر ويجوز ان يكون المعنى وفيما انتسخ بنوا اسرائيل من الالواح والواو في نسختها للحال
هدى بيان للحق ورحمة وارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون للذين يخشون
رهبتهم بالله تعالى وادخال الرهبة حرف تعدي لعرا اضطراب واللام في لربهم دخلت لتأخر
الفعل كما ضعف الفعل بسبب تاخره عن المفعول واختار موسى قومه اي اختار موسى من قومه فحذف
الجار واوصل الفعل اليه وفيه انها مرتبة من حال قومه لكلامه سبعين رجلا اي القوم فيكونوا
الا رجالا فائدة ذكره رجلا دفع احتمال ان التغليب لتعيين مستفاد من التنكير لميقاتنا
روي انه تعالى امره عليه السلام ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط
من الاسباط الاثني عشر ستة فزاد رجلان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال
ان لمن تخلف منكم مثل اجر من خرج فتخلف كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه
غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى عليه السلام
يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتهم الرجفة فصعقوا اي ماتوا فلما اخذتهم الرجفة لاقتراحهم الرؤية الامر العظيم
وقيل هي رجفة الجبل قال موسى عليه السلام رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اي لو
شئت اهلاكهم واهلاكي قبل ان ترى ما رأى كانه لما بلي ببلية لو شاء الله لاهلكهم قبل هذا
واستجار الله تعالى فقال اللهم قد ترى ان هلكنا بسببهم فقد وقعوا علينا واما غرق
بالبحر وتعبيرهما ان رحمتك علينا فان رحمت فمن بعد الخزي لما يبعد من عميم احسانك اتهلكنا
جميعا بما فعل السفهاء منا من العناد على طلب الرؤية وكان القائل بعضهم فنسبهم
وقيل المراد به عبادة العجل واختيار موسى عليه السلام السبعين لما كان لتلقي التوبة
فغشيتهم هيبة الرجفة واخذتهم حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم

موسى عليه السلام فبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك
حين أسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك أو أحدثت في العجل خوارا فضلوا به والضمير للفتنة
تضل بها بالفتنة من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدي من تشاء هدايته
فيقوى بها إيمانه وكذا كل ابتلاء أنت ولينا متولي القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا بدفع العذاب عنا لأن ذلك هو الأحق عليه السلام من المقصود من نفي الذنوب في بين
سؤال المغفرة لأن الأخير لم يؤكد المغفرة بل قال وأنت أرحم الراحمين ولما كان قوله تدرج
ترتيبه في قوله أنت ولينا في سؤال المغفرة والرحمة وكان قومه أصحاب الذنوب كما استعطف
ربه تعالى في غفران تلك الذنوب فقال وأنت خير الغافرين تغفر الذنب الكبير بالعذر
اليسير بجوده بالعطاء الجزيل الكثير واكتب لنا أي أثبت لنا الكتب يستعمل في كل ما يعد
في هذه الدنيا زيادة هذه لتبين أن الدنيا عن الآخرة حسنة عافية وعيشة
طيبة وحسن سيرة وتوفيقا للطاعة وفي الآخرة أي وفيها حسنة ما يعنيها وهي الجنة
وما فيها إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ هدنا إليك بكسر الهاء من
هاده يهيده إذا حركه وأماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا أنفسنا
أو أملنا إليك ويجوز أن يكون الضمير أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض
قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه بمقتضى عدل ورحمتي وسعت كل شيء أدخل
بها مسلم وكافر وذي شيء من الأشياء ولا اختصاص لأحد بالآخرة يسلم على ما بيناه في تفسير
سورة الفاتحة فسأكتبها فسأثبتها والضمير للرحمة للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون
الزكاة خصها بالذكر لأنها فيها الحق الصلوة لأنها من الدين بل لأنها كانت أشق
عليهم لحبهم الدنيا والذين هم بآياتنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون مبتدأ
صفة للذين يتقون أو بدل منه بدل الكل من الكل أو أراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
أو لبعض منصوب على المدح أو رفع عليه أي هم الذين يتبعون أو مبتدأ خبره يأمرهم
الرسول النبي الأمي وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ الأحكام من الله تعالى وبالنبوة لأنه أعلم
حيث يوصف به الملك ثم بالنبوة باعتبار أنه يخبر عنه الى قومه أو أخبار من الغيوب
وأحوال الآخرة وفيها جهة هو المراد اعتبار الرسالة فيه ثم فلا عبرة بهذه الجهة بكون
تقديم الرسالة للنظر إلى أنه أرسله الله تعالى إلى الخلق فأنبأهم عنه تعالى ثم بكونه أميا
تنبيها على أن كمال علمه مع أنه لم يقرأ شيئا ولم يكتب أصلا ليس له اختصاص من عند الله تعالى
واصطفاء من لدنه وإعجاز وإلا فالأمي الذي هو على صفة أمة العرب قال عليه الصلوة والسلام

إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب كأنه نسب إلى الأم أي أنه على ما ولدته أمه غير كاتب ولا قاري
والخطاب الذي يجدونه أي يجدون اسمه ونعته مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل رفع لذكره
وإشارة بأنه مذكور في كتاب الله تعالى المنزل على الأنبياء السابقين وأقوى بينة وتنبيه
لمن له عند هذا فإنه أنه وجد في الكتابين المذكورين حال كونهما محفوظين عندهم
فلا احتمال لأن يكون ذلك ملحقا من خارج يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر المعروف
ما عرف بالشرع جهة حسنه والمنكر ما عرف به جهة قبحه ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم
كالشحوم ونحوها ويحرم عليهم الخبائث كالخمر ولحم الخنزير ونحوهما أو نسبة الحل والحرمة
إليه عليه السلام لأنه مظهرهما والاختلاف في أداء التعدية لما في الثاني من معنى التكليف
دون الأول ويضع عنهم أي يحط عنهم إصرهم ثقلهم وقرئ آصارهم لأنه جنس فيصلح للجمع والأغلال
التي كانت عليهم لا ضرر للأغلال استعارة للتكاليف الثقيل الذي كان عليهم من التكاليف
الشاقة المانعة عن حركاتهم بمقتضى الهوى والعقول التي تمنعهم عن اختيارهم والأمر في قوله
الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحركة أي يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة
كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة والعين المتعبة وقرض موضع
النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وأن
تعيين القصاص في العمد والخطأ فمن تعين ما فيه فتذكر ولا تخفى في أن ما أريد بالأصل الثقيل
ما أريد بالأغلال والعقوبة فلذلك ذكرها بالإضافة إليهم دون الأغلال فالذين آمنوا به
أي بمحمد صلى الله عليه وسلم تكرير للتأكيد مدحهم وتعظيمهم بالصفات المذكورة والأغلال
بأنها هي الموجبة لاختصاصها بالفلاح لهم وللمرتب على ما تقدم وعزروه منعوه عن العدو
حتى لا يقوى عليه وقرئ وعزروه بالتشديد لما يتعلق بالتعزير ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل معه أي مع نبوته أي القرآن وإنما سمي نورا لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر
غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهرها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أي واتبعوا
القرآن أي مع اتباع النبي عليه السلام فيكون إشارة إلى اتباع السنة أولئك هم
المفلحون الإشارة بأولئك إلى الموصوفين بالصفات المذكورة وإياه استحقاقهم الفلاح
إنما هو بسببها وتوسيطهم وتعريف الفلاح فيه تنبيه على ما يتعلق بها من عتبره وتتعلق بالآية
جواب لدعاء موسى عليه السلام متضمن لتوبيخ بني إسرائيل على ما صدر منهم من أنواع الكفر والمعصية
والتعريض بهم في تكذيبهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى عليه السلام بقوله
والذين هم بآياتنا يؤمنون وترغيبهم في الإخلاص بالعمل الصالح ببيان أن الفلاح للذين

يبعث النبي المبعوث في آخر الزمان وتحريضهم على التصديق بما في التوراة والإنجيل
ليوطنوا انفسهم على الايمان بهما جميعا اي الرحمة التي خصصها بهم في قوله فسأكتبها فيخبر
منهم كعبد الله بن سلام واضرابه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام كان كل
نبي مبعوثا الى قومه خاصة ورسولنا عليه السلام الى الناس كافة بل الى الانس والجن
عامة جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة الله او بدل منه ولا يمنعه
الفصل بما هو في حكم المتقدم او نصب على المدح او رفع عليه او مبتدأ خبره لا اله الا هو
وهو على الوجه الاول لبيان الجملة التي هي الصلة لان من ملك العالم كله لا يكون الا الها
وكذلك يحيي ويميت بيان لما قبله لانه تقرير لاختصاصه بالالوهية اذ لا يقدر على الاحياء
والاماتة غيره فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي لما ذكر ان رسول الله امرهم بالايمان به عليه
السلام ورتبه على الايمان بالله تعالى لانه اصل يتفرع الايمان بارسال عليهم السلام والتفت
عن التكلم الى الغيبة تعظيما للذكر وذكر الرسول واجراء صفات المدح وتنبيها على ان الذي
وجب الايمان به واتباعه هو الموصوف بهذه الصفات لاجلها كائنا من كان وابطالا للتوهم
لئلا يغفل عنه فيشكك وقعه في نفسه الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل الله عليه
وعلى جميع الرسل من كتبه ووحيه وقرئ كلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عليه السلام
تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به عليه السلام لم يعتبر ايمانه وقيل كلمته التي وجد
بها الكل وهي قوله كن واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على
ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني
اسرائيل امة التنكير للتكثير يهدون بالحق يرشدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه
يعدلون في الحكم بينهم لا يجورون هم الثابتون في الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع
ذكرهم ذكر عبدة العجل كما هو عادة القرآن في الجمع بين المتقابلات في الذكر تنبيها
على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وفيه دفع ما اوهم تخصيص
الرحمة في جواب دعاء موسى عليه السلام بالذين يتبعون الرسول في آخر الزمان من حرمان غيرهم
كلهم اهل الضلالة وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع لتضمن
قطعنا معنى صيرنا او تمييزه على او بدل القطعة او الفرقة اسباطا بدل منه ولذلك جمع
او تمييز له على ان المراد اثنتي عشرة قبيلة كل قبيلة اسباط موضع قبيلة للدلالة
على ان كل واحد منها اسباط تحقيقا فحينئذ هذا اسباط اقيم مقام المفرد امما بدل من اثنتي عشرة

او من

او من اسباطا او نعت لها وفيه اشارة الى ان كل واحد من الاسباط كان امة كثيرة العدد وكل
واحدة منهم تخالف الاخرى لا تكاد تأتلف وتتفق بالبارئ قد مر تفسيره في سورة
البقرة واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب
فانبجست وحذفه للتفصيل المتعلق بكثيرا للتنبيه وهو ابلغ وجوه الايجاز وللدلالة على ان
الانبجاس سبب لا يحاشيه عليه وان الضرب لا تأثير له بذاته وكذا ان موسى عليه السلام
لم يتوقف في الامتثال فلولا دلالة عليه فيجعل له فضرب محذوفا كان او مذكورا والانبجاس
خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان الماء يقل ثم يكثر بالاتساع منه اثنتا
عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط اسم جمع كرجال ... جمع تكسير وجمع اناس اصله كسر الهمزة
كثيف ... فابدلنا الكسرة ضمة مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم الحر وانزلنا
عليهم المن والسلوى اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون قد مر تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر
والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في سورة
البقرة غير ان هناك ادخلوا وهنا اسكنوا والسكنى يعقب الدخول فامر لهم اولا بالمبدأ
وهنا بما يتبعه وهناك فكلوا بالفاء وهنا بالواو وذلك لان الدخول حالة مقتضية
لحدوث ذكر التعقيب بخلاف السكنى حال استمرار يحصل الامر بالاكل معه لا بعده وانت
خبير ان هذا بعد الامر بالدخول لانه حال قد ذكر فالاكل فيها الذي لا يحال لتكثير المذكور
هناك بما لا استقر ... لتكثير الاكل فيها كالاكل عند الدخول واما تقديم العطف
على الدخول وتأخرها عنه فلا تفاوت فيه لان الواو للجمع لا للترتيب ... فقيل في
سعادا قلنا على حذف القائل للعلم به وما امرنا وكذا ارسلنا ويمسوا ويظلمون
في واحد نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة
ليبلونا الخروج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا
به ومثبات المتقولة الجامعة بينهما في سورة البقرة الا انه على التشريك في مقابلة
المذكور فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا
يظلمون مر تفسيره في سورة البقرة واسألهم المراد من سؤالهم التقريع بتقديم كفرهم واعتدائهم
حدود الله تعالى ... اليهود ... التي لا تعلم الا بتعليم او وحي
فلم يتعلم ... عليه السلام قط ... لانه معجزة عن القرية عن خبرها وما جرى لاهلها ... التي
كانت حاضرة البحر قريبة منه على شاطئه بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي

المدينة قريبة **إذ يعدون في السبت** إذ يتجاوزون حدود الله في تعظيم السبت بالاصطياد
وإذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف ولا يجوز أن تكون بدلاً منه بدل الاشتمال لأن
إذ من الظروف التي لا تتصرف فلا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلاً يجوز دخول الجار عليها لأن البدل
على نية تكرير العامل وإنما يتصرف فيها بأن أضيف إليها بعض الظروف الزمانية نحو يومئذ وكان
كذا وقرئ يعدّون وأصله يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويعدون
من الإعداد أي يعدون آلات الصيد في حال تعظيمها السبت أي يوم السبت وقد نهوا عنه وأمروا
بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة **إذ تأتيهم حيتانهم** ظرف ليعدون ولاحتمال البدل ايضا وجه
بطلانه **يوم سبتهم شرعاً** يوم تعظيمهم السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد
للعبادة وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه ويرجح الأول قراءة يوم إسباتهم
وقوله **ويوم لا يسبتون لا تأتيهم** وقرئ لا يُسبِتون من أسبت ولا يُسبَتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعاً حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع
علينا إذا دنا وأشرف وقيل أي متتابعة إليهم مصطفة كأنها شرعت الرماح إذا امتدت مصطفة
والحيتان جمع حوت وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة واختلف في إطلاق اسم السمك
على ما هو في الحوت من الحيوانات البحرية والذي نص الشافعي في الأم والمختصر إطلاقه على
الجميع ... لصاحب الروضة وهو الصحيح **كذلك** أي مثل ذلك البلاء الشديد العظيم
أن لا تأتي ... بأنها تأتي الحيتان في يوم السبت وعدم إتيانها في سائر الأيام **نبلوهم بما
كانوا يفسقون** بسبب استمرارهم على الفسق **وإذ قالت** عطف على إذ قبلها **أمة منهم**
جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين بالغوا في وعظهم وبذلوا الجهد فيهم حتى ملوا
ويئسوا من قبولهم وتعرضوا عنهم لعلمهم أن الوعظ لا يؤثر فيهم فتركوا الآخرين منهم ممن لم يتركوا
من عظتهم **لم تعظون قوماً الله مهلكهم** أي قد أشرفوا على أن يهلكهم الله تعالى بمعصيتهم
أو معذبهم عذاباً شديداً لعتوهم مصطلم **قالوا معذرة إلى ربكم** أي موعظتنا معذرة إلى
الله تعالى لئلا ننسب إلى التقصير في النهي عن المنكر وقرئ معذرة بالنصب أي نعظهم معذرة
على أنه مفعول له أو نعتذر معذرة على المصدر **ولعلهم يتقون** ولطمعنا في أن يتقوا
بعض الاتقاء **فلما نسوا** تركوا **ما ذكروا به** ما ذكرهم به الصلحاء ترك الناسي ناسيا لغفلة
إذ لا يحصل الترك إلا ... للمتروك **أنجينا الذين ينهون عن السوء** ... عاندوا فيها كالعاصي
ويتحيل فيها صيد الحوت نحو ... **وأخذنا الذين ظلموا** بالارتكاب للمنكر وفيه تنبيه على أن
العلة للاعتداء الظلم **بعذاب بئيس** شديد فعيل من بؤس يبؤس بأساً إذا اشتد وقرئ بيئس كضيغم

وبيس كطير على تسكين العين للتخفيف ونقل حركتها إليها ككبد في كبد وقرئ بيئس على
قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب وبئس على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسماً وقرئ بيس كريس على
قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كميت في ميت **بما كانوا يفسقون**
بسبب استمرارهم على الفسق **فلما عتوا عما نهوا عنه** تعظموا وتكبروا عما نهوا عنه وزادوا عصياناً
وتمرداً **قلنا لهم** على طريق الأمر التكويني **كونوا قردة** أي مسخناهم دفعة **خاسئين** أذلاء
مبعدين عن الناس وقد مر ما يتعلق بهذا في تفسير سورة البقرة والظاهر من المعنى أن
الله تعالى عذبهم أولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير
وتقرير لقوله فلما نسوا والعذاب الشديد هو المسخ وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم
وإذ تأذن ربك تأذن عزم وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يؤذن
نفسه به ويحدثها وشاع في التفعيل بمعنى الإفعال كتوعد بمعنى أوعد وأجري مجرى القسم
كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو **ليبعثن عليهم** أي عزم
ربك وأوجب على نفسه ليسلطن على اليهود **إلى يوم القيمة من يسومهم** يكلفهم **سوء العذاب**
كالإذلال وضرب الجزية فبعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم
وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس
إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر إلى نزول عيسى
عليه السلام لأنه بعد نزوله من السماء يضع عنهم الجزية على ما ورد في الحديث المرفوع
وعند ذلك ينقلب تكليفهم ... وهو تكليفهم بالإسلام أو القتل وسوء العذاب ...
أن يكون المراد من يوم القيمة ... بعض أشراطها ... لا حاجة إلى تعميم سوء العذاب
والقتال بالعقل **إن ربك لسريع العقاب** لا يحتاج إلى إعداد الآلات وإحضار الأسباب
وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن **وقطعناهم في الأرض** وفرقناهم في أقطارها بحيث لا يخلو
قطر منهم تتميماً لإدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة بالاجتماع **أمماً** مفعول ثان أو حال **منهم
الصالحون** الذين آمنوا بالمدينة ... والصالحون فاعل الظرف لاعتماده على الموصوف
أو مبتدأ ومنهم خبره والجملة صفة لأمماً **ومنهم دون ذلك** ...
ناس دون ذلك ... منحطون عن درجة الصلاح وهم الفسقة والكفار **وبلوناهم
بالحسنات والسيئات** بالنعم والنقم **لعلهم يرجعون** عما كانوا عليه من الآثام **فخلف من
بعدهم** من بعد المذكورين **خلف** بدل سوء وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد
والكثير وقيل جمع ... خلف صدق للصالح وخلف سوء للطالح ...

ما قيل عن قول حسان في المدح

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ٭ لأولنا في طاعة الله تابع

والمراد بهم الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة من
اسلافهم يقرءونها ويقفون على ما فيها ولا يعملون وفي عبارة وورثوا اشارة الى انها جاءت
اليهم بلا استحقاق منهم كما يصل المال الموروث من المورث الصالح الى الوارث الطالح يأخذون
عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى وهو ما يأخذونه من الرشا في الأحكام
وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة والأدنى اما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب
التناول او قريب المأخذ واما من الدناءة بمعنى الخسة والمراد به الدنيا وما يتمتع به منها والأولى
بهذا المزيد التحقير والجملة حال من ضمير ورثوا وصفة لخلف ويقولون سيغفر لنا أي
اذا عوتبوا على تلك المعذرة بما يرجون من سعة رحمة الله تعالى ويقولون لا يؤاخذنا
الله تعالى بما أخذنا رجاء وتمنيا وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور
أو الى مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في يقولون أي
يرجون المغفرة حالة ما بهم مصرون على ذنوبهم لا يتوبون عنها ألم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب أي العهد الذي في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق عطف بيان للميثاق
أو متعلق به أي بأن لا يقولوا أي لا يفتروا على الله تعالى وهو القطع بالمغفرة مع الإصرار
على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا يقولوا نهيا كأنه قيل
ألم يقل لهم أن لا يقولوا الى آخره والمراد بالميثاق ما يقتضيه وهو أن من ارتكب ذنبا عظيما
لا يغفر إلا بالتوبة كأنه لا يقولوا نفعل لأنه أخبر لئلا يقولوا ودرسوا ما فيه الظاهر أنه
عطف على ورثوا وقوله ألم يؤخذ اعتراض وقد قيل عطف على ألم يؤخذ من
حيث المعنى لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ومعنى الضمير
في ألم يؤخذ تقريع وتوبيخ على أخذ الرشوة والقطع بالمغفرة ولذا قبح فعلهم بوجوه أولها
أنه خلاف ميثاق الكتاب ثانيها أنه افتراء على الله تعالى ثالثها التأكيد بقوله وقد درسوا
ما فيه أي من اشتراط التوبة في غفران الذنب الرابع قوله والدار الآخرة خير أي من
ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا وهو تعريض بأنهم يحبون الدنيا على الآخرة
ويستبدلونها بها ثم التأكيد بقوله أفلا يعقلون أي يأخذون العرض الخسيس فلا يعقلون
أن الدار الآخرة خير فلا يبيعون الشريف الباقي بالخسيس الفاني وقرئ تعقلون بالتاء
على الالتفات وفي الإبهام بعد لو لم يقل المتنبه على عظمها بتكرير والذين يمسكون

الكتاب

الكتاب وأقاموا الصلاة تعريض بأنهم لا يتمسكون بالكتاب إذ تحا لون عنه وأنهم لا يصلون وتخصيص
بالذكر لأنها عماد الدين وأم العبادات والجملة عطف على الذين يتقون وأفلا يعقلون اعتراض
بينهما وإنا لا نضيع أجر المصلحين اعتراض آخر أو مبتدأ وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين
بينهما على وضع الظاهر موضع الضمير تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وإيماء إلى
أنهم مستحقون بما يفعلون أو استئنافا لتعليل الخبر المحذوف كأنه قيل إن يؤتيهم أجورهم لأنا
لا نضيع أجر المحسنين وإذ نتقنا الجبل أي قلعناه من الأصل ورفعناه فوقهم بيان
نتقت المائدة بصاحبها حين تعدو بها أي بحركته ورفعته كأنه ظلة في موضع الحال من الجبل
والظلة كل ما أظل من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء المهملة من أطل إذا أشرف وظنوا أنه
واقع بهم ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى الطور
فوقهم وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم وهذا لا يقتضي تيقنهم بوقوع الجبل
بهم وكذا عدم ثبوت الجبل في الجو لا يقتضيه لأنه على خرق العادة وأما على تقدير خرقه
فلا بعد فيه وعدم وقوع المعلق لا يصحح وجها لإطلاق الظن بدل الاعتقاد الجازم لغلبة
الفرق بينهما إلى عدم الاتصاف بوقوعه والأوجه أن يكون الظن هنا على حقيقته خذوا على
إضمار القول أي وقلنا خذوا أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على
احتمال تكاليفه ومشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي
لعلكم تتقون ما أنتم عليه من قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق وإذ أخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذرياتهم أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن
ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض والضمير لآدم عليهما السلام للبنية خاصة ولا يلزم
إخراج أولاده من حيث الإرادة وما عليهم عليهما السلام لخارج من ظهرهم بواسطة إمساكهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم
إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم ونزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم
منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا بلى
في سؤال المنفي إثبات فكان إقرارا والإقرار بسبب الاعتقاد لا يكون شهادة وهذا رد الله
تعالى قول المنافقين قالوا نشهد إنك لرسول الله هنا للتصديق ثبت بمضمون قولهم شهدنا
أن يقولوا كراهة أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو
يقولوا عطف على أن يقولوا وقرئ كلاهما بالياء بناء على أن أول الكلام من الغيبة إنما
أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن

من العلم به لا يصلح عذرا {أفتهلكنا بما فعل المبطلون} اي ابعد تاسيس اباءنا بناء الشرك
المبطلين وجعلهم اياه سنة لنا تهلكنا بما فعلوا وقيل لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام
اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه
عمر رضي الله عنه والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام
بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية ومنعهم عن التقليد
وحملهم على النظر والاستدلال كما قال {وكذلك} ومثل ذلك التفصيل البليغ {نفصل}
{الآيات} تعلقا لعذرهم {ولعلهم يرجعون} اي يميز بعضها على بعض ليكمل من الاسنة لا لـ
بها ويرجعون عن التقليد واتباع الباطل والا للاحظين لعهد نهما عليه {واتل عليهم}
اي على اليهود {نبأ الذي آتيناه آياتنا} هو احد علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه
بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله تعالى {فانسلخ منها} بان كفر بها وخرج عن حكمها {فأتبعه}
{الشيطان} خطواته اي حمله تابعا له وقيل استتبعه او اتبعه ليضله فادركه ولحقه وصار
قرينا له {فكان من الغاوين} فصار من الضالين وقيل هو امية بن ابي الصلت كان قد قرأ
الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به {ولو شئنا لرفعناه بها} الى منازل الابرار من العلماء
مراد الله تعالى لا يتخلف ولكن حكمته اقتضت ان يتبع ارادته اختيار العبد واشار الى هذا
حيث قال في موقع ولكن لم نشأ {ولكنه أخلد إلى الأرض} فذكر فعل العبد لا فعله اي مال الى
الدنيا والى السفالة {واتبع هواه} في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات
من الآيات الى الله تعالى وخرجه عن حكمها اليه اشار بان كان لما يكون بحسب فعل
العبد فاعطى اسباب الكمال ولكنه بحسب استعداده الى الجهة السفلية فخرج عن حكمها فاتبعه
الشيطان اذ اغواه فغوى بها وعلق رفعه بمشيئة الله تعالى واسند ولعنه بفعل العبد
تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها لاستلزام انتفاء
المسبب انتفاء السبب وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان الاسباب وسائط في حصول المسبب
اذا تعلقت المشيئة به كذلك ووضع قوله اخلد الى الارض واتبع هواه موضع اعرض عنها
اقامة للسبب مقام المسبب لبيان القدرة وتنبيها على ان موجب اعراضه هوى النفس وحب الدنيا
وانه راس كل خطيئة وكان مقتضى الظاهر ان يقول ولكنه اخلد الى الارض فحططناه في
سفالة رتبته فوضع قوله {فمثله كمثل الكلب} موضع فحططناه ابلغ حط وادلها
اي صفته كصفة الكلب الذي هو مثل في الخسة في اخس احواله وهو دوام اللهث

سو حمل عليه وتهج او ترك ولم يتهج على ما ذكر يعني له {إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث} فانه
ان حمل عليه لضعفه عليه وحرارته بخلاف سائر الحيوان فانه انما يلهث عند التعب والاعياء
ولا يلهث عند الترويح والاستراحة والشاهد والاولى ان الحال من الفعل المشروط الذي يحق
الانسان وغيرها من بنية الاعيان وهو في الحال لا يطيع وقد يكون من العطش يحمل لجهله
الشرطية التنبيه على الحال اي كمثل الكلب لاهثا في الحالين والمراد من التمثيل ان الاخس
الخبيث لا يوجد للشقي من اسباب الكمال او السعادة لا يزيد لهما او اخطأ طاو شقاق
ولا تنفعه الآيات بل ان الله زجه الى رجسه وتوجه التمثيل ان ينا الآيات والاسباب
السعادات كالترويح والاحكام وحلاوة واستعداده كلهث الكلب وطبيعته ولهذا قيل
معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال {ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا}
يعني ان اختصاص التمثيل المذكور بالذي ورد فيه بل يعمه والمثل المكذبين بآياتنا
كان اختصاص الاحكام النازلة باسباب نزولها وهو هنا بمعنى وجه التفريع في قوله
{فاقصص القصص} المذكورة المشتملة على التمثيلات المشبهة لمن حاله كحالهم {لعلهم يتفكرون}
فيه فيتعظون به ويجد روعة مثل عاقبتهم {ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا} بمعنى بئس
واصلها التعدية تقول ساءني الشيء في ثم استعملت استعمال بئس بنيت على فعل وجرت
عليها احكام بئس ومثلا تمييز الضمير المستكن في ساء وهو مفسر لذلك التمييز وهو من
الضمائر التي تفسر بما بعدها ولا بد ان يكون المخصوص بالذم من جنس التمييز فاحتيج الى
تقدير مضاف اما في التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم واما في المخصوص اي ساء مثل القوم
وهذه الجملة تاكيد للجملة السابقة {وأنفسهم كانوا يظلمون} بتكذيبها الحجة وعلمهم
بها اما معطوف على كذبوا فيكون من حيز الصلة اي الذين جمعوا بين التكذيب والظلم على
انفسهم واما كلام منقطع عن الصلة اعتراضا للبيان اي وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان
وباله لا يتعدى الا اليها وهذا التخصيص بتقديم المفعول وهذا الاخير احسن {من يهد الله}
{فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون} لما تقدم ذكر المهتدين والضالين اخبر تعالى
انه المتصرف فيهم بانشاء هدايتهم وضلالهم وفيه تصريح بانه لا اختصاص لمن يهتدي
الله تعالى وتمييز بالهداية التي لم يترتب عليها الاهتداء منزلة العدم واما اختصاص
هداية الله تعالى ببعض دون بعض واستلزامها للاهتداء فقرينة قوله تعالى واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وفي الافراد في الاول والجمع في الثاني اعتبار
اللفظ في الاول والمعنى في الثاني والتعبير عن لفظ الضال تنبيه على ان المهتدي ينفي

واحدة لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين فانهم طرق لا تنحصر وان اجتماعهم لا يجدي نفعا
في دفع الخسران اللازم لضلالتهم وفي الاقتصار في الاخبار عما هداه الله تعالى بالمهتدي
تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال لو لم يكن غيره لكفى به اجرا ونجاحا
وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم
لمصلحتها فانه مظهر جلاله تعالى اي خلقنا فلانا بسبب الحكم بتعطيله وفيه تنبيه على سبب
خلقهم لانحطاطهم لانقيادنا كثيرا من الجن والانس قدم الجن على الانس لانه الاكمل في
مقام التحقير والاذلال وهم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا تنفعهم الدعوة
الى الحق والآيات لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقون افهامهم الى التفكر في الدلائل
ولا اذهانهم الى طلب الحق ومعرفته ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا يبصرون بها نظر اعتبار
الى ما خلق الله تعالى ولهم آذان لا يسمعون بها اي آيات الله تعالى سماع تدبر وتأمل
فكانه لا ادراك لقلوبهم ومشاعرهم اولئك كالانعام لانهم لم ينتفعوا بعقولهم ومشاعرهم
جعلها مسلوبة الفهم والادراك ثم شبههم بالانعام في عدم تفهمهم الاعتبار ولانهم
اي في ان مشاعرهم لا تتوجه الا الى اللذات الحسية وامور المعاش لا يطمح ابصارهم
ولا تلتفت بصائرهم الى امور المعاد بل هم اضل لانها مع عدم تعقلها تجتنب المضار وتجلب
اسباب المنافع بخلاف الكفار فانهم على عكسها كيف وهم يصرون على الكفر والانكار ولاعمال
يؤثرون الاضرار في هذه الدار وكذا المآل اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة بحيث به
سبب كونهم اضل من الانعام وهو الغفلة عما اعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه
من العقاب وفي الآية تعريض للمؤمنين ببيان ما هو صورة حالهم ولله الاسماء الحسنى
التي هي احسن الاسماء لدلالتها على المعاني التي هي اشرف المعاني فادعوه بها اي سموه بها
ولا تدعوا غيره بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون في
اسمائه عن الحق الى الباطل فيسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقول
اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او الذين يعدلون في اشتقاقه فيطلقونها
على غيره تعالى كتسميتهم مسيلمة رحمن اليمامة فلا تبالوا بانكارهم وانكارهم
وامالهم فقد نزعهم والحادهم في اطلاقها على اصنامهم لتسميتهم آلهة او اشتقاقهم
اسماءها منها كاللات من الله والعزى من العزيز فلا توافقوهم فيها واعرضوا عنهم
فان الله تعالى يجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون والتركيب على هذا الوجه
ادل وقرئ يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ولما قال ذرأنا لجهنم

كثيرا

كثيرا كاف لبيانه اي ما خلق للنار من الملحدين قفاه بما دل على انه خلق للجنة كثيرا وهو قوله
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون في الحكم اي في كل قرن طائفة بهذه
الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من امتي على الحق الى ان ياتي امر
الله وفيه دلالة على صحة الاجماع والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم اي بآيات الله تعالى
التي تضمنها القرآن لقوله تعالى ذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم والكلام
في الاستدراج الاستدناء الى الهلاك قليلا قليلا واصله الدرج الكتاب اي طيه شيئا
بعد شيء كـــــ الخليل اي سنطوي عمرهم في اعمالنا بهم ومن الدرج بمعنى اللف
ومنه ادرج الميت في اكفانه وقيل من الدرجة بمعنى الاصل التقريب من المقصود درجة
درجة بالاصعاد او الانحطاط ثم اتسع فاطلق على التقريب منه قليلا قليلا ومنه درج
الصبي اذا قارب بين خطاه والفرق بين المعنيين واضح واذا اشتبه على من ذكر المعنى الثاني
قال ومنه درج الكتاب من حيث لا يعلمون انه استدراج حيث جددنا لهم نعمة كلما جددوا
ما يستحقون به النقمة فاغتروا بها حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واملي لهم
عطف اي امهلهم من الملي تمليه الى انقضى عليه ملي من الدهر وملاوة بفتح الميم وضمها وكسرها
اي تطاول منه عطف على سنستدرجهم لانه داخل معه في حكمه
السين فان الاملاء لازم للاستدراج المذكور لزوما بينا فتاكيده يغني عن تاكيد هذا
فمن قال عطف على سنستدرجهم ثم قال وهو داخل في حكم السين فقد اخطأ من حيث وما
يميل على الفعل ومن نستدرجهم للفرق بينهما فان الاستدراج بالتدبير لعادي الله
توسط فيه المدبرات الملائكة والاملاء بالتقدير الالهي الذي لا مدخل فيه لاحد ان كيدي الكيد
الاخذ على خفاء طلاقها هنا على الحيلة لا على التشبيه كانه من كاد كما سماه كيدا
لانه على صورته ولا يشعر فيه ظاهرها خلاف ما باطنه وفيه بيان المكر فانه بشارة الكيد
في الاخذ المذكور ذريعة بالاضافة الى الملاء المذكور متين شديد قوي اصله من المتن وهو
اللحم الغليظ الذي على جانب الصلب وفيما شأن اولم يتفكروا الاستفهام للتعجب
والواو للعطف على محذوف تقديره اغفلوا ولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم من جنة اي جنون روي انه صلى الله عليه وسلم كان على الصفا يدعوهم فخذا فخذا يحذرهم
بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت في حقه التعليل
عليه السلام يمكن المفهوم الجنة وزيادة من للدلالة على ما يتحاشى منها ايضا فانه لم
يكن منها حقيقة وفي تعبيره بصاحبهم تعريض انه بتلك الصحبة ما عبادة الصاحب لهم اشارة الى انه

لو كان به عليه السلام تلك الحال لما خفيت عليكم لما بينكم من المصاحبة والطف ان هو
الا نذير مبين عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا
يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح
فنزلت والمعنى ما هو عليه السلام في تلك الحال الا منذر مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على احد
اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما يدل عليه من عظم ملكه فيها
يملك فيها السموات والارض ومن ملكوتها ما الملكوت الملك العظيم والملائكة اي جنس
الملائكة المدبرة لهما بأمره تعالى ثم انه لم يقتصر على الحث على النظر في الملكوت بل نبه
على ان كل فرد من الموجودات محل للنظر والاعتبار والاستدلال على وجود الصانع ووحدته
كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد فقال وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله تعالى
من كل ما يقع عليه اسم الشيء مما لا يمكن حصر ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها
وعظم شأن مالكها ومدبرها فيعلمون صحة ما يدعوهم اليه وفي امكان اقتراب اجلهم
فلعلهم يموتون عن قريب فيسارعون الى النظر فيما يهديهم الى الحق ويبادرون من العمل
الى ما ينجيهم من العذاب قبل فوت الاجل وحلول العقاب على ما ذكر بقوله وان
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على الملكوت وان مخففة من الثقيلة واصله انه والضمير
فيها ويجوز ان يكون ضمير الشأن والحديث اي وفي ان الشأن عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
ولا يجوز ان تكون مصدرية لانهم نصوا انها توصل بفعل متصرف وعسى فعل جامد فلا يجوز
ان تكون صلة لانه يجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة فبأي حديث بعده
اي بعد القرآن يؤمنون متعلق بعسى ان يكون اي لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون
الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوحه ولزوم الحجة عليهم فان قوله
ما هو الا لكونهم مطبوعا على قلوبهم لما ارشدهم الى الاستدلال وحرضهم على النظر في
امكان اقتراب الاجل ذكر عليهم التسلط من الايمان ثم قرر معنى الانكار تعقيبا بما يلزمه ويعلل ذلك
بقوله من يضلل الله فلا هادي له يعني نبيا عاما ان يكون هاديا له ما اضله الله تعالى في
فتضعيف الياس من ايمانهم والمنت لهم ويذرهم بالرفع على الاستئناف اي وهو يذرهم وقرئ
ونذرهم بالياء لانه من يضلل الله وقرئ به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل
لا يهديه احد غيره ويذرهم في طغيانهم في افراط طغيانهم يعمهون حال منهم يسألونك عن
الساعة اي عن يوم القيامة لقوله تعالى يسألونك ايان مرساها يوم الدين وهو من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليه لان قيامها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها

كساعة

كساعة عند الله تعالى او لان اصلها ساعة في ايام الناس والاضافة فلما غلبت تعينت واستغنت
عن الاضافة وعلى هذا لا حاجة الى وجه التسمية ايان مرساها اي متى يكون مرساها اي ارساؤها
من ارساه اذا اثبته لان المرسى الى الكل ويكون ان يكون تركيبها من اي مع الان قربا
له لان معناه اي وقت ترسيها مصدر او في ارسائها او اسم زمان والارساء الاثبات بل الكون
وهو بناء تجميل وتهويل ومنه رسا الجبل ولا تسأل عن الساعة كان النبي صلى الله عليه
وسلم يدعوهم الى الايمان والطاعة وينهاهم عن الكفر والمعصية ويحذرهم قيام الساعة
فقالوا ان كنت نبيا قل انما علمها عند ربي استأثر به ولم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا ولما كان السؤال عن الساعة عموما ثم خصص بالسؤال عن وقتها الجواب عنها عموما
بقوله قل انما علمها عند ربي ثم خصص بحيث الوقت فقال لا يجليها لوقتها الا هو
اي لا يبينها ولا يكشف سترها للناس في الاوقات كما في اقم الصلاة لدلوك الشمس
والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها ولا يظهرها الا في ذلك الوقت الذي
يتم فيه بغتة بتمثيل لوقوعها لا بالاخبار عنها ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما
اخفى الاجل الخاص الذي هو وقت الموت ثقلت في السموات والارض اي ثقلت وكبرت على اهلها
من الملائكة والثقلين لشدة هولها وعظمها كأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها اي لا يطيقون
حمل اخبارها او ثقل اخفاؤها عليهم فان ما خفي امره ثقل على النفوس لا تأتيكم الا بغتة
فجأة على غفلة منكم كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون وقد ورد
في الحديث ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم
سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك اي عن الساعة كأنك حفي عنها
حفي عن الشيء اذا بالغ في السؤال عنه والتركيب للمبالغة ومنه احفاء الشارب واحفاء النعل
استيصالها والمبالغة في المسألة اذا الحفي العالم بها عالم لان من بالغ في المسألة
عن الشيء استحكم علمه ولذا تعدى بعن اي كأنك بليغ في السؤال عنها حتى احكمت
علمها وقيل حفي بها اي عليم بليغ في العلم بها قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك
لما نيط به من زيادة قوله كأنك حفي عنها للتأكيد ولما نيط ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان علمها عند الله تعالى لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية وتبرؤ عما يختص بالربوبية من علم الغيب في كأنه
انما الملك والعبيد لا املك لنفسي شيئا الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني
له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم الغيب لتحال

ما هي عليه من استكثار الخير باجتلاب المنافع والاستحلال من عنا حتى باجتناب المضار كما
هو طبع البشر وفيه دلالة على انه لا اثابة للتدبير والا لما امكن التعبير المذكور على
تقدير العلم باسباب النفع والضر فقدره فانه موضع النظر عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال اهل مكة الا تخبرنا بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري فنربح وبالارض التي
تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما اخصب فنزلت ان انا الا نذير وبشير الا عبد ارسلت
نذيرا وبشيرا لقوم يؤمنون متعلق بالبشير ومتعلق النذير محذوف للتعميم لقوله
تعالى اي انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان القوم مختص بالرجال فالبشارة بما تخص
بهم وهذا لا تعم النساء حيث علقت بالايمان فان ترتيبه بموصوف يدل على علية الوصف
له وفيه تحريض الكفار على الايمان هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها
من جسدها لقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها ليسكن اليها ليكون اليها يحنيه
فيانس بها ويطمئن اليها وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب ان المراد بها آدم وبركة
معنى الانس وبريك لان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويميل اليها ليناسب قوله فلما تغشاها الغشيان
كناية عن الجماع حملت حملا الحمل بالفتح ما كان في البطن او بالكسر ما كان على ظهر خفيفا
لكونه نطفة او خفت عليها ولم تلق منها ما يلقى الحبالى غالبا من الكرب والاذى فمرت به
فقامت به وقعدت اي ترددت به لخفته كما لم تكن حملا وتستمرت به كما هو قراءة ابن عباس
رضي الله عنهما اي استمرت به ولم تسقط ولم تجزع وقرئ بالتخفيف اي فشككت فيما اصابها
هل هو حمل او مرض وفي تمارا وقرئ فارت به من الفوران وذهبت وتفرقت كما تقول مارت
الريح مورا فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها اي حان وقت وضعه وقرئ
اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما لعلمهما لا آدم وحواء ربهما مالك امرهما
ومتعلق الدعاء محذوف يدل عليه جملة جوابا لقسم لئن آتيتنا صالحا اي دعوا الله ربهما
اليه في امرهما ولدا سويا قد صلح بدنه وكمل خلقه لنكونن من الشاكرين لك على
نعمائك ويدخل فيه نعمة الولد اوليا الشكر على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا
اي حملا ولادتهما جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون
لكون الخطاب لغير آدم عليهما السلام باباه قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها
وقرئ شركا اي شركة او ذوي شركا فيه غيره او ذو شرك اي شركا ايشركون
معنى للتوبيخ ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام جمع بمعنى تسميتها باسماء الهة

ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنهم ما يعتريها
وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقيل الخطاب للمشركين
وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله تعالى وقرئ لا يتبعوكم بالتخفيف سواء عليكم ادعوتموهم فقد ترتبا بمعنى
بهم في تغيير حرمة البغي ام انتم صامتون انما لم يقل ام صمتم لان المراد انات
ثبات الاحداث ثم للدعاء ام انتم على ما انتم عليه من عادة الصمت عن دعائهم فانهم
جمادات وهو حسب حالهم لانهم اذا همهم امر دعوا الله دون الاصنام كقوله واذا
مس الناس ضر دعوا ربهم وفيه مبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث هو سوى بدوام
الثبات على الصمات ان الذين تدعون من دون الله تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد
امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة وانما سميت الاصنام عبادا لانهم كانوا يعتقدون
انها تضر وتنفع فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها قادرة على النفع والضر
وقيل ذلك استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد
امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم فقال لاثبات انهم اعجز منهم
الهم ارجل يمشون بها وما بعده تفصيل له فادعوهم الى اجرائها فان انتظامه مع
سياق الكلام والتباسه بالمقام على الوجه الاول كما لا يخفى على ذوي الافهام وقرئ
ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية فرفعت الاسم ونصبت
الخبر وفيه خلاف لجوازه الكسائي واكثر الكوفيين ومنعه البصريين ابن السراج والفارسي وابن
جني ومنعه المبرد واكثر البصريين واختلفوا في النقل عن سيبويه والمبرد والصحيح انه لغة
ثبتت في النظم والنثر ام لهم ايد يبطشون بها وقرئ بكسر الطاء وضمها وهما لغتان
والبطش الاخذ بقوة والعدول عن على الاستثناء ثم هذه الزيادة ليكون المأخذ من خواص
اليدين بينيا للاعضاء او لان المشي مما فيه من الزيادة على مطلق الحركة يكون من خواص
الرجل واعادة اداة الاستفهام على وجه الانكار دون اداة الجمع للاشعار باستقلال
كل منها في الابطال والاثبات المذكور في اتقال ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم
آذان يسمعون بها ام منقطعة فيقدر ببل والهمزة وهو اضراب على معنى الانتقال
لا على معنى الابطال وانما هو تنزيه على نفي كل واحد من هذه الجملة وتوجه النفي الى الكل
لانهم كانوا يصورون هذه الاعضاء للاصنام قل ادعوا شركاءكم من باب وضع الظاهر
موضع المضمر للتهكم واثبات عجزهم اي استعينوا بهم على اضراري ثم كيدون ايها

فيما تقدرون عليه من مكر وهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فانى لا ابالي
بكم وهذا غاية الوثوق على ولاية الله تعالى وحفظه ولهذا قال بعد على سبيل التاكيد
بان ان وليي الله ولعلها كان بلوغهم الى الغاية في سبل الجهل متراخيا عن الاستعانة
المذكورة عطف عليها باداة التراخي وكان عدم الاهتمام المترتب عليه صدر بادارة
التعجيب ان وليي الله الذي نزل الكتاب اي ناصري وحافظي الله الذي اكرمني بانزال
القرآن علي لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون الا انهم عاجزون عن نصرة
انفسهم فضلا وهو يتولى الصالحين ومن عادته انه يتولى الصالحين من عباده والذين
تدعون من دونه اي تدعونهم من دون الله تعالى لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اي
انهم عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا عن نصرة غيرهم اعادة لبيان عجزهم لان الاول للتقريع
والثاني لتتميم التعليل لعدم مبالاتهم فلا تكرار وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لانها
جماد لا تعقل وليس هذا الموضع اشتباه بخلاف ابدا لتنظر فانهم صوروها بصورة من ينظر الى
من يواجهه ولهذا قال وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون على الحال لانه لا قدرة فيهم على
الابصار ويحتمل ان يراد على الحقيقة انما انكر الكل في هذا وترددت الايات فيه لان امر
الاصنام وتعظيمها كان متمكنا من نفوس العرب في تلك الازمان ومتسولا على عقولهم
فاطنب الكلام في ذلك قال الله تعالى خذ العفو اي السهل وما يتيسر من افعال الناس
واخلاقهم من غير كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم من التكليف لئلا ينفروا العفو
الذي هو ضد الجهد او الفضل من صدقاتهم وما يسهل عليهم ويتيسر لهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وامر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال او الاقوال او الاحوال واعرض عن الجاهلين
ولا تكافئهم لتسفههم بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واعرض عن المذنبين وهذه الاية
جامعة لمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت سأل جبريل عليه السلام عن معنى هذه
الاية فقال اعط من حرمك وصل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك
ويحتمل ان لما نزلت الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رب كيف والغضب فنزل
قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اما كلمتان ان التي هي الشرط وما التي هي صلة
نائية والنون للتاكيد والنزغ الانزعاج بالتحريك الى الشر اي اعترض لك الشيطان
باعتراض يحملك على خلاف ما امرت به من هذه الاخلاق التي مر ذكرها فاستعذ بالله فاستعصم به من
الشيطان الرجيم انه سميع لكلامك عليم بما يدعوك لا يفوته شيء ان الذين اتقوا
ان المؤمنين الذين اتقوا الله اذا مسهم طائف من الشيطان اذا اتاهم وسوسة وتلك كانه طاف

بهم وقد ارتجحت لهم لم يتقدم بان يوثر ويتنبأ العقول عن ملالة المس على انه ابن كثير وقرئ
طيف والطيف والطائف ما الم بالانسان من خواطر الشيطان وقرئ طيف بالتشديد
البائي قال الزجاج طاف الخيال يطيف اذا الم به وطاف عليهم يطوف اي دار وتلبس
جعل هذا من الطوف لتواريه فالطيفة مثله طيفا بالتشديد ثم خفف كالهين والهين والمراد
من الشيطان الجنس ولذا الجمع ضمير تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب
التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تقرير لما قبله
وما فيه من وجوب الاستعاذة عند نزغ الشيطان وتعريض بان المتقين عادتهم اذا اصابهم ادنى
نزغ والمام بوسوسة ان يستعيذوا ويتذكروا قبل ان يصير خاطرا حالما استقر فيه النفس بالتفكر
واخوانهم يمدونهم اي اخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل
عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم وهذا اشد من الاول
ولهذا عطف عليه بثم المستعارة للتراخي في الرتبة ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير
المسند اليه للجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة
الذين اتقوا واذا لم تأتهم باية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها افتراء
وتقولا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منتحلة
من حياة او اجعة او منحها اليها وهو اجتباه اي اخذه قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق
للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك
الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقد سبق تحقيقه واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
لما ذكر ان القرآن بصائر وهدى ورحمة امر باستماعه اذا شرع في قراءته وبالانصات وهو
السكوت مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل على تلك الامور حري بان يصغى اليه حتى يحصل منه الفوز
المستحق بالنتائج العظيمة فيستبصر من العمى ويهتدي من الضلال ويرحم بها وقيل نزلت
في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة القرآن والانصات له واطلاقها لا
يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة وما
الاصح يلزم الجمع بين حقيقة ومجازه ويمكن ان يقال انه جار مجرى المنع الخلاف على ما
ذهب اليه العراقيون من اصحابنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه خلفه فنزلت هذه الاية ومن هنا اتضح وجه احتجاج من لا يرى
القراءة على المأموم بها واما قول من قال انها في الخطبة فضعيف لان الاية مكية والخطبة لم تكن

الا بعد الهجوم بقي هنا ابيقه دقيقة لابد من التنبيه عليها وهو ان الانصات معلق
الاستماع يحققه ان يقدم في الذكر وانما اخر هنا اهتماما بشانه واخراجا له عن حيز
الاتباع الى حد الاستقلال وتنبيها على انه مقصود بالذات وما مور به اصالة حتى لو
كان في مجلس القراءة مانعا عن القاري بحقيقة الاستماع او ينقص وان لم يتيسر له الاستماع تعظيما
لشان القرآن واحرازا لاحدى الفضيلتين ولو قدم الانصات لتبادر الى الفهم ان الامر
به لمصلحة الاستماع فلا يجب بفوتها **واذكر ربك في نفسك** عام في جميع الاذكار من
القراءة والدعاء والتهليل والتسبيح وغيرها لان الاخفاء في العمل ادخل في الاخلاص والخشوع
تضرعا بالتذلل **وخيفة** منزلة لما اجلها في التضرع وخيفة او مصدران منصوبان
على الحال اي متضرعا وخائفا **ودون الجهر** معطوف على قوله في نفسك اي ذكرا في نفسك
وذكرا دون الجهر او على تضرعا اي وقايلا قولا دون الجهر ولهذا جعل قوله **من القول**
بيانا للجهر **بالغدو والآصال** باوقات الغدو والعشيات لما انهما لا صالة وهي جمع اصيل
كاليمين والايمان وقيل جمعه اصل وجمع الاصل الاصال وقري بالايصال من اصل اذا دخل
في الاصيل وهما عبارة عن الليل والنهار والمراد به الذكر على الدوام لما امر الله تعالى بالذكر
اكد ذلك بالنهي عن ضده فقال **ولا تكن من الغافلين** عن ذكر الله تعالى خاطبه عليه السلام
والمراد نهي امته عنها ابلغ وجه اي لا تقتدوا بالغافلين بالملايكة الذين لا يغفلون
وذلك قوله تعالى **ان الذين عند ربك** هم الملايكة المقربون وعند بيان قرب الكرامة دون
المكان فان الله تعالى يتعالى عن ذلك **لا يستكبرون عن عبادته** كما ان الاستكبار مقدمة
العصيان كذلك عدمه مقدمة الطاعة ثم ذكر الطاعة القلبية وهو التنزيه والتطهير عن
جميع ما لا يليق به انما المقدسة بقوله **ويسبحونه** والطاعة القالبية وهي الحالة التي
يكون العبد فيها اقرب الى الله تعالى بقوله **وله يسجدون** وتقديم له للاختصاص اي
ويخصونه بالعبادة لا يشركون به وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود
لقراءته

سورة الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال جمع نفل وهو الغنيمة واصله الزيادة ومنه نوافل العبادات
وانما سميت الغنيمة نفلا لانها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة والدعاء الى الله تعالى
وعبارة عن حكمها في ان السؤال سوال الاستيناف فالمطلوب بيان حكمها وقري يسئلونك عن
فيكون السؤال سؤال استعطاف وما يشترط الامام لمن يفتح خطرا زائدا على سهمه فيما ينبغي

نفلا

نفلا فالمعنى يسالونك المعطون للخطر ما شرطت لهم وقري علنفال بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وادغام نون عن فيها **قل الانفال لله والرسول** اي حكمها مختص
بالله ورسوله يامر الله تعالى الرسول عليه السلام بقسمتها على مقتضى حكمته وقيل الرسول
صلى الله عليه وسلم امره تعالى فيها فيقسمها على حسب المصلحة وليس لاحد فيها حكم وسبب نزوله
اختلاف المسلمين في غنايم بدر انها كيف تقسم ومن يقسمها المهاجرون منهم او الانصار
وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غنا ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين
كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفية تحازون اليها فنزلت وعلى هذا يكون ناسخا بآية
منسوخا بالكتاب قبل العمل به ولا تمسك فيه للشافعي في انه لا يلزم الامام ان يفي بما وعد
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت اولا فصارت الانفال للرسول صلى
الله عليه وسلم ثم نزلت واعلموا انما غنمتم من شيء الاية فنسخ الله تعالى ذلك الحكم لرسوله وكل
شيء فيها ويوافق هذا ما روي عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه قال نزلت فيّ هذه
الاية وذلك انه لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه
فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك فاطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا
حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه
قد صار لي فاذهب فخذه وعلى هذا يكون المعنى الانفال للرسول ويكون ذكر الله تمهيدا لتعظيم
شانه عليه السلام والتنبيه على انه عليه السلام يتصرف فيها على ما يرضيه تعالى
فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين متناصحين في الله **واصلحوا** بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وتسليم امره الى الله تعالى والرسول
ذات بينكم ذات البين هي الاحوال التي تقع بينكم اي ما بينكم من الاحوال ولما كانت
ملابسة للبين قيل لها ذات البين بالاضافة كقوله عليم بذات الصدور لما اشتغل بها الكرام
واطيعوا الله ورسوله في تعريض لكم اليهما والتسليم لحكمهما **ان كنتم مؤمنين** ايمانا
يعتد به فان مقتضى الايمان التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين فعلم ان الايمان لا يرتبط به
ايمانا بان كمال الايمان موقوف عليها حتى اذا فقدت كان كلا ايمان كما يقول ان كنت رجلا
فافعل كذا يحمله ذلك تنبيها الى النفع لو قيل بالاجرائية والالزام في قوله **انما المؤمنون** اشارة اليهم
والمراد الكاملون في الايمان والذي لا يخلو عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا كما يخبر عنهم قريبا

بتزيين حقيقته الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا
من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصيته فيقال له اتق الله فينزع عنه
خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة فيه وفرقت أي خافت وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيمانا أي يقينا وطمأنينة تشرفا لأن للإيمان مراتب في القوة والضعف
اليقين إنما هو بتظاهر الأدلة وقيل لزيادة المؤمن به على تحقيقهم للآيات النازلة
أو هو قيل بالعمل ترجيحها على من لم يدخل العمل في الإيمان ويلزمه تخصيصها بالتي
يتعلق بالأعمال زيادة على التصديق لأن التناسل وعلى ربهم يتوكلون في تقديم الجار
والمجرور على الفعل إشارة إلى أن المؤمنين بالإيمان الكامل هم الذين لا يفوضوا أمرهم إلا إليه
ويكلوا تبليغا الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في أول سورة
البقرة أولئك هم المؤمنون فقد جمع في الآية بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص
والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والزكاة لأنها ظاهرة ... باطنها
الظاهرة وكأن الثلاثة الأول أصول الأعمال القلبية ... الأخيران أصول الأعمال
القالبية وعبادتها التي تستتبعها لسائرها حقا مصدر مؤكد لما تقدم أي حق ذلك حقا
أو صفة مصدر محذوف أي إيمانا حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة ومغفرة
لما فرط منهم ورزق كريم أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي ... ثلاث
صفات قلبية وقالبية ومالية يترتب عليها ثلاثة أشياء فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات
والقالبية بالمغفرة ... والمالية بالرزق الكريم ... متعلق بالمعطوف ... قبل
... من قبل وكسبه ... في تفسير سورة الأنعام كما أخرجك ربك
في محل الرفع خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال كحال إخراجك ... في كراهتهم إياها أو في
محل النصب صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله تعالى قل الأنفال لله والرسول أي الأنفال ثبتت لله والرسول
مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك من بيتك يعني المدينة أو المدينة نفسها لأنها في اختصا
صها به من حيث إنها مسكنه ومهاجره كاختصاص البيت بصاحبه مع كراهتهم إياه بالحق ...
أي إخراجا ملتبسا بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون حال أي أخرجك في حال كراهتهم
وذلك لأن ... كراهة الإخراج إنما كانت من بعضهم وسببه أن عير قريش أقبلت
من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر
المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة العدو فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى
أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها

محمد لن تفلحوا بعدها أبدا فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في
العير ولا في النفير فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة
فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ببدر فيتسامع جميع العرب
بخروجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وهو ماء كانت العرب
تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دفران
فنزل جبريل عليه السلام بالوعد إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير فاستشار
فيه أصحابه رضي الله عنهم فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا
للعير وهم المرادون بالفريق المذكور وتمام القصة يطلب من كتاب السير يجادلونك في الحق
يحتمل أن يكون في موضع الحال من الضمير في لكارهون ويحتمل أن يكون استئنافا أخبارهم
أي ... كما تخرجنا إلا للعير ولم تعرفنا لنستعد للقتال والحق هنا نصرة دين الإسلام
بالجهاد بعدما تبين أي بعد تبينه بإعلام الرسول أنهم ينصرون وهنا أبلغ في الإنكار
عليهم كأنما يساقون إلى الموت حال أي يجادلونك مشبهين بمن يساق إلى الموت وهم ينظرون
حال من ضمير يساقون أي شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم لقلة عددهم وعدم أهبتهم
بحال من يساق للقتل ... إلى القتل المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها وإذ يعدكم
الله إحدى الطائفتين على إضمار اذكر وإحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد أبدل عنها أنها لكم بدل
الاشتمال وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا
وكانوا يكرهون النفير لشوكتهم بكثرة العدد ... العدد والشوكة الحدة مستعيرة من واحد
الشوك ... في كل قوة وحدة ومنه شاكي السلاح ويريد الله أن يحق الحق أي
يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة أو بأمره للملائكة بالنزول
لنصرتهم ... ويقطع دابر الكافرين
يستأصلهم والدابر الآخر من دبر إذا أدبر وإذا قطع آخرهم لم يبق منهم أحد والمعنى أنكم تريدون
أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد معالي الأمور وما يرجع إلى علو الدين وإظهار
الحق ... ليحق الحق ويبطل الباطل متعلق بمحذوف
أي فعل ذلك ويجوز أن يكون متعلقا بيقطع ويجب أن يقدر الفعل مؤخرا ليفيد الاختصاص
وأنه ما فعل إلا لذلك وليس بتكرير لأن الأول لبيان المراد وبيان ما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون
ذلك الجملة في موضع الحال إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم أو نصب بإضمار اذكر ...

ان يكون متعلقا بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال اخذوا
يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا فاستجاب لكم
اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب وقرئ اني بالكسر على اجرا
ء استجاب مجرى القول بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال من ردفه اذا تبعه اي متبعين
بعضهم بعضا او المؤمنين يحفظونهم وتبعهم المؤمنون او يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم من اردفته
اذا جئت بعده اي متبعين بعضهم بعضا او متبعين المؤمنين وقرئ بفتح الدال بمعنى متبعين
اي كانوا مقدمة الجيش ومتبعين اي كانوا ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت
الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه
القراءة على التوحيد اذا لم يتصل الا ترادف باتباع ملائكة اخرين ان المراد بالالف الذين كانوا
على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف
في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها والظاهر من قوله وما جعله الله اي الامداد
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم
عدتكم انهم لم يكونوا ليكفي الكفار لا الحاجة للقتال اذ يقول ان الصيحة في حصلة ولقوله لبرهنكم
لا ينافي ان يكونوا ترددهم للقتال وانشا على حقيقة الحال قوله ولتطمئن عطف على بشرى
من جهة المعنى والمراد به مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتباع كما في قوله •
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه • فالمعنى لا لاستبشاركم واطمئنان قلوبكم وما النصر الا من عند
الله لا من الملائكة ولا من المقاتلة او ما النصر بالملائكة وسائر الاسباب الا من عند الله والمنصور
من نصره الله تعالى ان الله عزيز منيع لا يغالب حكيم فيما قدره وما خلقه اذ يغشيكم النعاس
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل
او بما جعله او باضمار اذكر وقرئ بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل هو الله
تعالى وقرئ يغشاكم بفتح الياء ورفع النعاس من غشي والنعاس فتور يتقدم النوم قبل الاستثقال
امنة مفعول له من جهة المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم
بمعناه والامنة فعل لفاعله منه صفة لامنة اي امنا كائنا منه تعالى ويجوز ان يراد
بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت لهم امنة
من الله تعالى لولاها لم يغشهم كقوله •

• يهاب النوم ان يغشى عيونا • تهابك فهو نفار شرود •

والمعنى تنعسون في وقت كان ما بكم من الخوف ما يغاير النوم فامنكم الله فتحتم ليسكنكم
وقرئ امنة كرحمة وهي لغة فيه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب
عنكم رجز الشيطان اي الجنابة فانها من تخيله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش
والجنابة وذلك ان الشيطان تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في
كثيب احمر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون
انكم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش
اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا فانزل الله المطر فسال
الوادي حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم الحياض
على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو
حتى ثبتت فيه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم اي يشدها ويقويها بالثقة
وحسن الظن وزوال الاضطراب والارتياب ويثبت به الاقدام اي في مواقعها لا لتساقط
والضمير في به للربط فان القلب اذا قوي باليقين والوثوق بالله تعالى يثبت القدم في المعركة
ويجوز ان يكون الثبوت من لوازم الربط ويظهر وجه عدم الفصل بينهما باعادة اداة التعليل كما في
الفصل بين التطهير واذهاب المذكورين قبل هذا وقيل المطر فانه بجريه يتلبد الرمل فلا يسوخ
القدم فيه ويرد عليه انه ح لا يكون الثبوت من لوازم الربط فحقه ان يعاد فيه اداة التعليل
اذ يوحي ربك الى الملائكة بدل ثالث او متعلق بيثبت اني معكم في تثبيت المؤمنين وهو
مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على اجراء الوحي مجرى القول فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او
بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير
لقوله اني معكم فثبتوا اذ لا اعانة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء ولا نوع اعظم من الاعانة
والرعب الخوف الذي يملأ القلب من رعبت السيل الوادي اذا ملأه او يقطع القلب من
ترعيب السنام وهو تقطيعه فاضربوا فوق الاعناق اي اعاليها اي المذابح او الرؤوس فاما
واضربوا منهم كل بنان اي اصابع الاطراف اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ونا
عبارة كل المفصل وفي الاطراف والمراد استيفاؤهم بالقطع امر الملائكة بان يقتلوهم على وجه
لا يستطيعون الى قصد الخصم دفعه وهو دليل على انهم قاتلوا ومن انكره قال الخطاب للمؤمنين قوله
كل بان تلقين لهم معنى التثبيت كانه قال لهم قولوا للمؤمنين قولي هذا او تغيير الخطاب
بان يكون فثبتوا الذين امنوا خطابا للملائكة وما بعده خطابا للمؤمنين ذلك بانهم شاقوا الله

ورسوله إشارة إلى ما أصاب الكفار من القتل والعقاب بسبب مشاقتهم الله تعالى ورسوله
عليه السلام والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل أحد وهو أبلغ لدلالته على فظاعة الأمر لا أن
مشتقة من الشق لأن كل واحد من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم فإن كلا منهما في جانب **ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب** تقرير للتعليل أو وعيد
لهم بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا بسبب المشاقة ومن شاق فلا يقتصر لهم على هذا
فإن الله شديد العقاب في الآخرة والخطاب في قوله **ذلكم** للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع
بالابتداء أو الخبر أي ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم أو نصب بفعل يفسره قوله **فذوقوه**
الفاء عاطفة أي ذوقوا ذلكم فذوقوه أو باشروا ذلكم أو عليكم ذلكم ولا وجه له لأن عليكم
من أسماء الأفعال لا تضمر وهذه الجملة تأكيد وتقرير لما سبق أن الأولى دالة على استحقاقهم
العذاب العاجل مع العذاب الآجل ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة يسيرا سمى
ما أصابهم فيه ذوقا لأن الذوق تعرف به الطعم وهو يسير **وأن للكافرين عذاب النار** عطف
على ذلكم رفعا ونصبا ويجوز أن يكون منصوبا معه على أن الواو بمعنى مع أي ذوقوا هذا
العذاب العاجل مع العذاب الآجل الذي لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة
على أن الكفر سبب العذاب الآجل والجمع بينهما وقرئ وإن بالكسر على الاستئناف ولما كانت النار
أعدادها للكفار على ما نطق به قوله تعالى أعدت للكافرين صح تقديم الجار والمجرور
المفيد لاختصاص عذابها المعد لهم **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا**
حال من الذين كفروا أو الزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب من زحف الصبي
إذا دب على استه قليلا سمي بالمصدر **فلا تولوهم الأدبار** كناية عن الفرار أي لا تنهزموا
على ما أفصح عنه الاستثناء الآتي ذكره أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفروا
فضلا أن تدانوهم في العدد أو العدد دونكم وهم **ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال**
هو الكر بعد الفر بتغرير العدو وهو من باب خدع الحرب ومكايدها يخيل للعدو أنه منهزم
ثم يعطف عليه **أو متحيزا** منضما **إلى فئة** أي جماعة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم لما روي
ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان في سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا
البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانتصاب
متحرفا ومتحيزا على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أي إلا رجلا متحرفا أو متحيزا
ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه من حاز يحوز بمعنى ... البناء
منه وجمعه والحيز مجمع الشيء فيعل من الحوز والقياس لا ... في جمعهم

وهو تفعيل من الحيز والفئة الجماعة المنقطعة عن غيرها من الفاء وهو قطع الرأس بالسيف
ولا تجعل رخصة حالا لأهل المؤمنين يكون استعمالا لهم مما يشكون منهم يوم حنين وخيبر بقتله
يمنع المدبرين وهم أنفي عن القتال ومن يولهم يومئذ دبره أمارة عليه **فقد باء بغضب
من الله** أي استوجبه **ومأواه جهنم** هذا إذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى
الآن خفف الله عنكم الآية وقيل هذه الآية مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معه في الحرب
وبئس المصير هي أي جهنم **فلم تقتلوهم** بقوتكم **ولكن الله قتلهم** بنصركم وإمدادكم الملائكة
وإلقاء الرعب في قلوبهم وتقوية قلوبكم وهو كالتعليل لما تقدم من النهي عن الانهزام بسبب
كثرة العدو وروي أنه لما طلعت قريش يوم بدر تناول الرسول كفا من الحصى فرمى بها في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول القائل قتلت وأسرت فنزلت الآية
لهم عن الإعجاب وتنبيها على أن الله تعالى هو الذي يعطيها بهذه الأسباب وكذا الحال في الخطاب
إلا في ذكره وقيل الفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم بإياه عطف قوله **وما رميت** تلك الرمية العجيبة بالحصا **إذ رميت**
لأنك لو رميتها لما أدنى بلغها على تأثير عجيب للبشر **ولكن الله رمى** حيث أثرت تلك الأثر
العظيم أثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه
لأن أثرها الذي لا يقدر عليه البشر فعل الله تعالى فكان الله فاعلها على الحقيقة لأن الرسول
والفعل قد يطلق ويراد به مسماه وقد يطلق ويراد به كماله والمقصود منه ابداعا بنجاة
وليبلي المؤمنين وليعطيهم **منه بلاء حسنا** أنعاما جميلا أي ولإنعامه على المؤمنين فعل ذلك
لا لغيره لعظيم بالنصرة والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل إلا ذلك **إن الله
سميع** لدعائهم واستغاثتهم **عليم** بأحوالهم ونياتهم **ذلكم** إشارة إلى البلاء الحسن ومحله
الرفع أي المقصود ذلكم أو الأمر ذلكم **وأن الله موهن كيد الكافرين** معطوف على ذلكم
أي المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ بالفتح أي ولأن الله معين المؤمنين
كان ذلك **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين
أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين
وأكرم الحزبين **وإن تنتهوا** عن الكفر ومعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم **فهو خير لكم** لتضمنه
سلامة الدارين وخير المنزلين **وإن تعودوا** لمحاربته **نعد** لنصرته عليكم **ولن تغني** ولن تدفع
عنكم فئتكم جماعتكم **شيئا** من الإغناء أو المضار **ولو كثرت فئتكم وأن الله مع المؤمنين** بالنصر والمعونة

كما قالوا وقيل هذا يوم احد فانهم عادوا فيه للمحاربة وكانت الغلبة لهم وقيل
الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التثاقل في
القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار
ولن تغني عنكم كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فان الله مع الكاملين في ايمانهم
ويؤيد هذا حسن الاتساق بما بعده من قوله يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته عليه السلام والنهي عن الاعراض
وذكر الله تمهيدا لاختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم به تعالى كقوله والله ورسوله احق
ان يرضوه وفيه تنبيه على ان طاعة الله وطاعة الرسول شيء واحد من يطع الرسول فقد
اطاع الله ويجوز ان يرجع الضمير في عنه الى الامر بالطاعة اي ولا تتولوا عن هذا الامر
وانتم تسمعون اي تسمعونه او تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا مصدقين
فكأنهم غير سامعين اصلا والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الامور كقسمة الغنائم كان تصديقكم كلا تصديق ويشبه
سماعكم سماع من لا يؤمن ان شر الدواب عند الله شر من يدب على وجه الارض او شر البهائم الصم
البكم الذين لا يعقلون قد مر تفسيرهما في سورة البقرة جعلهم كالبهائم في عدم انتفاعهم
بالمشاعر والجوارح ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به عنها وفضلوا به عنها ولو علم الله
فيهم خيرا اي شيئا من جنس الخير لاسمعهم سماع تفهم اي لا يسمعهم لانه لا يجدي فيه
نفعا فقوله ولو اسمعهم لتولوا اي لم ينتفعوا به تقريرا وتأكيدا وهو من قبيل العطف على
ما قبله باعتبار المعنى فان الشرطي فيه يكون للترديد والتدبر فقوله وهم معرضون تأسيس
للتأكيد يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير لان دعوة
الله تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم وقصدا لتنبيه اياه اعادة الصلاة لما يحييكم
من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته الجاهل ميت وان لم يدفن في بيته قبر وثوبه
كفن وقيل الجهاد بالكفار لانهم لو تركوه لغلبوهم وقتلوهم بسبب حيوتهم كقوله ولكم في القصاص
حيوة وقيل الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم المراد بالاستجابة الطاعة والامتثال والدعوة
البعث والتحريض واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تحذير عن تأخير الاستجابة وزيادة
والعلم المرء بالتأكيد اي ان الله تعالى يحول بينه وبين قلبه كيف يشاء فتعجلوا بالاستجابة قبل
ان يحدث الله تعالى في قلوبكم ما يشغلها عنها ويمنعكم من الامتثال بالامر وقرئ بين المر

بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة
من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم على النقير والقطمير بحسب اعمالكم واحوالكم قالبية
كانت او قلبية وفيه زيادة تحذير عن التقصير بالتأخير واشارة الى هذا في قوله عليه
السلام عجلوا بالصلوة قبل الفوت وعجلوا بالتوبة قبل الموت واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم اي ذنبا تعم عقوبته الظالم الفاحش بجريمته الذي يجلبها والتنكير الدال على التكثير
لا تصيبن جواب الامر اي ان اصابتكم لا تصيب الظالمين خاصة بل تعمكم الطالح والصالح
ثم يكون الظالم معاقبا بجريمته كما ان والنون لتضمنه معنى النهي والتأكيد بها انما تغني
في النهي ومن للتبعيض وكان ابن عباس رضي الله عنهما هذا في ترك الامر
بالمعروف وعند غلبة المنكر فيصيب الفتنة بشؤمهم وغيرهم لعقوبة بتركهم الامر بالمعروف
وهذه الفرقة ايضا ان كانوا مذنبين لكنهم ليسوا من الذين ظلموا التي باشروا الظلم وقيل
نهي بعد امر كانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرض للظلم فيصيب العقاب او وبال
الذنب من ظلم منكم خاصة او صفة لفتنة على ارادة القول اي فتنة مقولا عندها لا تصيبن
كقوله جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط • ومن على هذين الوجهين للتبيين
ويعضد الاخير قراءة لتصيبن على جواب قسم محذوف وفي تعيينا للظالمين منكم في الوجهين
الاخيرين تنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
وعيد شديد فيه زيادة الغلو امر بلغ التهديد واذكروا ايها المؤمنون او ايها الكفار اذ انتم
قليل قليلو في اول الاسلام قبل ان تكثروا او بعده وقيل قبل الهجرة والخطاب للمهاجرين
مستضعفون في الارض تستضعفكم قريش في ارض مكة لم يقل بالبلاغ ما فيه من حسن
الازدواج بقليل تفاديا عما لا لائق وعلى من هو عزيز الاسلام وقيل الخطاب لكافة
العرب لانهم كانوا متذللين لاهل فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس
لانهم كانوا جميعا لهم اعداء والخطف الاخذ والانتزاع بسرعة فآواكم الى المدينة
وجعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار
بامداد الملائكة يوم بدر وعلى تقدير ان يكون الخطاب لقريش يكون المعنى فآواكم
الى الحرم وهو تلميح قوله تعالى او لم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من
حولهم ورزقكم من الطيبات الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه
النعم وعلى المعنى الاخر يكون المراد من الطيبات الثمرات لقوله وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الخون النقص كما ان

الزوقا الثمار مرضية بحونة اذا نقصته ثم استعمل في مقابلة الامانة لانها لا تخلو وفاءً لانك اذا خنت
الرجل فقد ادخلت عليه النقصان ذكر الله تعالى لا تمهيد وحيا نتكم للرسول صلى الله عليه
وسلم بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم روي انها نزلت في ابي لبابة
رضي الله عنه وقصته مذكورة في كتب التفاسير وتخونوا اماناتكم فيما بينكم اي لا تخونوا
منكم خلاف ما هو من حكم الابانة نجزم داخل في حكم النهي او نصب باضمار ان كقوله
وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم تخونون اي وانتم علما تميزون الحسن من القبيح واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانها سبب الوقوع في الفتنة
وهي الاثم والعذاب او محنة وبلاء ليختبركم فيه على الخيانة كابي لبابة رضي الله عنه
وعليكم ان تحافظوا فيهم على حدود الله تعالى وهي من جملة ما ترك فيه وان الله عنده
اجر عظيم ان توثروا حب الله على حبهم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال
والولد وفي عنده تشريف للاجر المذكور وبيان انه مصون عن الضياع يا ايها الذين
آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية ونورا في قلوبكم وتوفيقا وشرحا لصدوركم
تفرقون به بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز الاسلام واهله
واذلال الكفر وحزبه ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او مظهرا تشتهر امركم وينشر صيتكم
في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان • اي الصبح ويكفر عنكم
سيئاتكم صغايرها من ذنوبكم ماذا بالكفارة الاداء لذلك قال عنكم وهي بالحسنات لقوله
ان الحسنات يذهبن السيئات ويغفر لكم ذنوبكم كبايرها والغفران ستر معنى الرحمة
ولذلك قال لكم وكيفيه عن العفو والتجاوز عنها وذلك انما يستحق بالشفاعة والله
ذو الفضل العظيم باللطف والتوفيق في الدنيا والاحسان اليه في دار القرار لما عرفت ان
العبد لا غني على جزاء حسناته بازالة سيئاته فكان ما وصل اليه من اللطف والاحسان فضلا منه
تعالى ووعاه على التقوى ايضا تفضل فاطلاق الاجر على ما وعاه في مقابلته بطريق
الاستعارة واذ يمكر بك الذين كفروا ذكر عليه السلام ما مكر به حين كان بمكة
ليشكر نعمة الله تعالى عليه في اتقائه من مكرهم وتسليطه عليهم اي واذكر وقت مكرهم
بك وتسليطه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير ليثبتوك ليحبسوك او يوثقوك ويثخنوك
بالضرب والجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك من البيات
او يقتلوك او يخرجوك من مكة ويمكرون بك حا المكايد لك ويمكر الله بلخفا ما اعده
لهم حتى يأتيهم بغتة او برد مكرهم عليهم او يعامل الماكرين معهم حيث اخرجهم الى بدر

وقلل

وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ مكروا نعد
من مكر غيره وابلغ تاثيرا وجل ولشا دالمكر الى الله تعالى الا وجه والمشاكلة ولا يجوز ان
اطلاقها عليه تعالى ابتداء لما فيه من ايهام الذم وكان نعتا الغافل عن قوله تعالى
افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك لما
منعهم ان يشاء وقد تحداهم وفرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة
مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان قيل هو قول النضر بن
الحارث وهو كان يحسو ما يتيمهما لنبل العظمة كانه اذا قال لفاله لكتيبتهم فاتبعوا عليه
كما يتمثل لنا اسفل قيد ابطالهم ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون
من القصص فلسبق ما يتعلق بالاساطير واذ قالوا اي واذكر اذ قالوا وهذا ايضا من كلام
ذلك القائل ابلغ في الحق روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي
عليه السلام ويلك انه كلام الله تعالى فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء اي ان كان القرآن حقا منزلا فامطر علينا حجارة خاصية
عقوبة لنا على انكاره والمراد التهكم واظهار اليقين والجزم التام بكونه باطلا اغراقا
في الانكار واظهار الجراة فيحمل القرآن اولا بان نجعله مثل كلامهم وسماه اساطير الاولين
ثم بالغ في الجحود بشبهة جعلها دليلا على بطلانه زاعما انه برهان وهو لو كان حقا
لاستحق منكره العقاب لكنا لم نعاقب بانكاره فلم يكن حقا وقرئ الحق بالرفع على انه مبتدأ
لا فصل وفائدة التعريف انه كان المراد الحق الذي يدعيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من انه كلام الله تعالى منزل عليه لانه لم ينكروا كونه نظا يعال الواقع كالاساطير في
التعيين بكونه من السماء مع ان الامطار لا يكون الا منها كونها حجارة مسومة للعذاب
وهي السجيل فوضعت حجارة من السماء موضعه ولهذا قال او ائتنا بعذاب اليم اي
بنوع من عذاب اليم سوى الاشارة اي انا نجعل نوع البيد من العذاب وما كان الله ليعذبهم
اي ليس في عادته تعالى وانت فيهم ليعذبهم وانت فيهم بيان سبب امهالهم والتوقف في
اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم حال كون النبي عليه السلام
فيهم غير جار في الحكمة لان سنة الله تعالى جارية ان لا يستاصل قوما بالعذاب ما دام
نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدلالة لا ترفع له
وما لهم الى الخروج على نبابتا لتعذيب كالامر قيل وما كان الله معذبهم وانت فيهم وهو

تعذيبهم إذا فارقتهم **وما كان الله معذبهم** لما كانت كينونته عليه السلام فيهم
سببا لانتفاء تعذيبهم أكد خبر كان باللام على رأي الكوفيين أو جعل خبر كان الإرادة
المنتفية على رأي البصريين وانتفاء الإرادة للعذاب أبلغ من نفي العذاب ولما كان
استغفارهم [illegible] بتلك الكينونة الشريفة لم يؤكد باللام فخالف بين ما بين استغفارهم
وكينونته عليه السلام فيهم **وهم يستغفرون** حال كقوله وأنت فيهم والمراد باستغفارهم
إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا
لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون **وما لهم ألا يعذبهم
الله** وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون **وهم يصدون عن المسجد
الحرام** وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى الهجرة
وإحصارهم عام الحديبية فقد كان بعد خروج الحضرة نظرا به فلا انتظام له مع ما سبق
الكلام في هذا المقام **وما كانوا أولياءه** مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما
كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء **إن أولياؤه إلا
المتقون** الذين لا يعبدون فيه غيره أي إنما استحقوا الولاية البيت وما خصهم ها هنا لأنها
مخصوصة بالمتقين من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فكيف بالمشركين من أهل الدين
ولكن أكثرهم لا يعلمون أن لا ولاية لهم عليه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ولكن
يعاند لما بقي عليهم أن يكونوا أولياء البيت كم من فعلهم القبيح ما يؤكد ذلك وإن من كان
صلاتهم ما يذكره لا يستأهل أن يكونوا أولياءه وما ذكر يسوله **وما كان صلاتهم عند البيت**
من جملة موانع استحقاقهم للولاية وموجبات استحقاقهم للعذاب كما ذكر بقوله وهم
يصدون والمراد بصلاتهم ما يصنعونه موضعها ويسمونه صلاة وفيه تهكم بما
لا يخفى وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم **إلا مكاء** صفيرا فعال من مكا يمكو إذا
صفر وقرئ بالقصر كالبكا **وتصدية** تصفيقا تفعلة من الصدى أو من الصد على إبدال أحد
حرفي التضعيف ياء يعني أنهم يضعون الصفير والتصفيق موضع الصلاة وهذا أورد بقوله
فذوقوا العذاب بما التنبيه أي بسبب هذا الكفر قولا وفعلا في الدنيا والمراد عذاب
القتل والأسر يوم بدر بعد الظاهر أن تكون اللام للعهد والمعهود ما ذكر في قوله أو
ائتنا بعذاب أليم ووضعهم المكاء والتصدية موضع الصلاة أنهم كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون
نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه ويرون أنهم

يصلون أيضا **بما كنتم تكفرون** أي بسببه المضايع وزاد عليها عبارة كنتم الدالة
على الاستمرار والتجدد والمراد ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية مكان
الصلاة ويجوز أن يكون المراد من العذاب عذاب الآخرة لأن الفاء يأباه وذلك لأن
السببية للعذاب مطلقا فاستفيدت منها والفاء إنما تفيد إذا كان ذلك العذاب
المسبب بما ذكر متصلا **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله**
عن دينه واتباع رسوله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقيل في أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش
سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية وقيل في أصحاب العير فإنه لما أصيب
قريش ببدر قالوا لكل من له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك
منه ثأرنا ففعلوا **فسينفقونها** فائدة تكرار ذكر الإنفاق أن مساق الأول لبيان الغرض منه
والثاني لبيان عاقبته ومآل أمره وأن غرضهم لا يحصل منه ويعقب الخيبة هذا ما قالوا
وبيانه زيادة السين في الثاني وترتيبه بالفاء على الأول ولو كانا في هذا الأخير
حمل الأول على ما كان في يوم بدر والثاني على ما كان في يوم أحد أو يحمل الأول على عزم
على الإنفاق والثاني على وقوعه عن قريب مفرعا على ذلك العزم **ثم تكون عليهم
حسرة** لاستيلاء إنفاقهم لأموال الله ندامة وحسرة عند تقلبها لأنها كالذاهبة تصير ندامة
بالغمة والحسرة ثم بما انكشف من فوت استيلاء الخطية وذكر الغم تتميما لما تتوا أصلها الكمد
من قول الحسرة عن ذراعيه والحاسر ضد الدارع **ثم يغلبون** ثم لا ينجحا لهم على الندم
والحسرة فقط لا مال لهم فقدوا أن الغرض حتى يصير آخر الأمر إلى المغلوبية التي هي ضد الغالبية
التي قصدوها فيرجعوا خلفا وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين قبل ذلك سجالا وفي
ثم في الموضعين تنبيه بعد ما بين عزمهم في الإنفاق وبين ما يحصل منه ويقع بعد **والذين
كفروا** أي ثبتوا على الكفر إذ أسلم بعضهم وحسن إسلامه **إلى جهنم** خاصة **يحشرون**
يجمعون بالسوق من جهات متعددة وفائدة تقديمها ردا للجر وردع وهم
الفرار في مجمع العرب **ليميز الله الخبيث من الطيب** أي الفريق الكافر من الفريق
المؤمن **ويجعل الخبيث** أي الكافر **بعضه على بعض فيركمه جميعا** أي يجمعهم
ويضمهم حتى يتراكموا كمن له كادوا يكونون عليه لبدا أي لفرط ازدحامهم **فيجعله
في جهنم** جعل الكلام في الانتظام والازدحام والاجتماع في الدنيا مركوما كالحطب
مركب بعضه على بعض مجموع ملقى في جهنم ما تقدم أو المال الخبيث الذي أنفقه

المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه
المسلمون في نصرته فيجعل الخبيث الذي أنفقه المشركون بجملته في جهنم من جملة ما يعذب
به كالكافرين واللام في هذا على الأول متعلق بيحشرون أو يغلبون وعلى
الثاني بتكون وقرئ ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز أولئك إشارة إلى الفريق الخبيث
على الأول وإلى الذين كفروا على الثاني ومن قال أو إلى المنفقين فكأنه غفل عن أن منهم
من أسلم وحسن إسلامه هم الخاسرون الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم
وأموالهم قل للذين كفروا المعبر عنهم كفار قريش بعنوان كفرهم يتدرون اللام للتبليغ
إن ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الإسلام يغفر
لهم ما قد سلف من ذنوبهم لأن الإسلام يجب ما قبله وقرئ بالتاء والكاف على الخطاب
وإن يعودوا إلى قتاله فقد مضت سنة الأولين تعليل للجواب أي فيقيم معاملته والتقدير
وإن يعودوا انتقمنا منهم كما أهلكناهم بتكذيبهم أنبياءهم عليهم السلام وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة إلى أن لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الأديان
الباطلة كلها وتجتمع فيهم على دين الإسلام وحده فإن انتهوا عما يجب الانتهاء عنه والفاء
للترتيب على ما تقدم فإن الله بما يعملون بصير تعليل لما تضمنه الجواب من عدم
التقصير في المجازاة تقديره فيجازيهم على الامتثال لأنه لا يضيع نفعه وحظهم من المتروك
والأعمال وقرئ تعملون بالتاء على معنى فإن الله تعالى بما تعملون من الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر بصير يجازيكم عليه ويكون تعليقه بانتهائهم على الغيبة للتغليب أنه بصير بعملكم
وعملهم فيثيبكم جميعاً ويجازي كلاً بحسب عمله ومن وهم أن إثابتهم للتسبب فقد وهم وإن تولوا
عن الامتثال وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم فتوكلوا على نصره فلا تبالوا بمعاداتهم وثقوا
به لأنه تعالى وفي زيادة اعلموا تضمنه الدلالة على تنزيلهم منزلة الجاهل لنكتة خطابية
تناسب المقام وتزيد في البلاغة درجة الكلام مزيد تبليغ على ذلك نعم المولى فلا
يضيع من تولاه ونعم النصير فلا يغلب من نصره واعلموا أنما غنمتم أي الذي
أخذتموه من الكفار قهراً من شيء أي مما قل مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط وتقدير
الكلام فيه لما اعلموا لزيادة الاهتمام فأن لله خمسه مبتدأ خبره محذوف أي فحق أن لله
الخمس الذي دل عليه ما في معنى الشرط وأن الله في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف تقديره فالحكم أن لله خمسه والجمهور على أن ذكر الله تعالى تمهيد لذكر الرسول وما
عطف عليه تعظيماً وتخصيصاً للمعطوف عليه كما في قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه

وأن لما ذكر من الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل كأنه قال فأن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به تفضلاً لهم على غيرهم ومن
المال الذي من قوله اعلموا مجراه العلم يستوي فيه المؤمنون كافة فربما العلم المستلزم للعمل فإن
المقصود بالذات من العلم ههنا إنما هو العمل والعلم مستلزم له والجزاء وهو متعلق بمحذوف
دل عليه واعلموا إلى آخره أي اعلموا الخمس لله واجباً به التقرب إليه فاقطعوا أطماعكم عنه
واقنعوا بالأخماس الأربعة الباقية وما يخص بهم واقنعوا بالأخماس الأربعة والحكم بعده باق إلا أن
سهم الرسول يصرف إلى ما كان يصرفه من مصالح المسلمين كما كان يفعله الشيخان وقيل إلى
الإمام وقيل إلى الأصناف الأربعة الباقية وعند أبي حنيفة سقط سهمه عليه السلام بوفاته
وسهم ذوي القربى لأنهم استحقوه بالنصرة والمظاهرة وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة
الباقية وعند مالك يفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وما أنزلنا على
عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر معطوف على بالله وقرئ عبدنا بضمتين أي
الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان
المسلمون والكفار واليوم الأول يعني الوقعة والثاني يعني الوقت والله على كل شيء قدير
حيث نصر القلة لأنه تعالى أزال المؤمنين على قلتهم على الكافرين على كثرتهم والتأييد
إذ أنتم إذ بدل من يوم التقى الجمعان بالعدوة الدنيا القربى يعني من المدينة والعدوة
بالحركات الثلاث شط الوادي وقرئ بهما والمشهور الضم والكسر وهم بالعدوة القصوى
البعدى تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا وكذا كل من فعلى من بنات
الواو تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالاً من القصيا والركب
أي العير أو قوادها أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل نصب على الظرف
وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ والجملة حال من الظرف قبله وفائدة التقييد به توضيح
مراكز الفريقين وبيان الحالة الدالة على شوكة الكفار وعدة عليهم واستظهارهم بالركب وحرصهم
على القتال بالدفع عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا جهدهم وضعف شأن المسلمين
والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وأن غلبتهم بالعدوة وتشبثهم في سبيل الله
لا تنبت إلا بصنع الله تعالى ونصره ليعلموا أن الحق والنصر والقدرة كله لله تعالى وأن ذلك
كان صنعاً إلهياً بخوارق العادات فيزدادوا إيماناً وثقة وذلك أن العدوة التي نزلها المؤمنون كانت
أيضاً رخوة تسوخ فيها الأقدام لا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكثرة عددهم به
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالهم

إن كنتم آمنتم بالله

في الكثرة والقوة والشوكة وبهذا العدد وحالكم في القلة والضعف وعدم أسباب الظفر
لاختلفتم أنتم هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم وغلبتها المغلوبية ولكن دبر الله تعالى ذلك
حيث عقد لإحدى الطائفتين بغتة وأخرجكم راغبين في العير وأخرجهم لينقذوا عيرهم وسبب
الأسباب حتى جمع بينكم وبينهم على هذه الحالة ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا
بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل
منه أو متعلق بقوله مفعولا إذا استعير الهلاك للكفر والحياة للإسلام كما يستعار الموت والحياة
للجهل والعلم أي ليكفر من كفر عن وضوح بينة حتى لا يبقى عند الله تعالى معذرة ويصدر
إسلام من أسلم أيضا عن يقين بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن
وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ
حيي بالإظهار والتضعيف وتشديد مستقبله وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه
وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد إذ يريكهم
الله في منامك قليلا بدل ثان من يوم الفرقان أو نصب بإضمار اذكر أو متعلق بعليم أي يعلم
بأحاديث نفوسكم في كراهة القتال عليهم تدبير أمركم وتثبيته مصالحكم إذ يريكهم في نومك
قليلا أراهم الله تعالى إياه في رؤياه قليلا فأخبر أصحابه فثبتهم ذلك وجرأهم على عدوهم
ولو أراكهم كثيرا لفشلتم الفشل ضعف مع الوجل أي لجبنتم لأنه عليه السلام وإن كان
معصوما من الخطأ يصح أسند الفشل إليه عليه السلام على طريقة التغليب رعاية لمحاسن
الكلام والكفار ولتنازعتم في الأمر أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار
لاختلافها الذي يحاوله كل واحد منهما نزع الآخر إلى ما هو عليه ولكن الله سلم أنعم
بالسلامة من الفشل والتنازع وعصمكم منهما إنه عليم بذات الصدور بما سيكون فيها
من الجبن والجراءة والصبر والجزع ولما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم
قليلا حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن في جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم
مائة تثبيتا لهم وقيل تصديقا لرؤيا الرسول عليه السلام وتطرق الضمير لمتعلق يرى وقليلا
بنصب إلى الحال ويقللكم في أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور
قللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم تعالى حتى
رأوهم مثليهم رأي العين ليفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر حدتهم وشوكتهم وذلك من عظائم
آيات تلك الوقعة وليس هذا التفاوت في الإبصار مع تساوي الشروط إلا بخرق
العادة ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد

بالأمر

بالأمر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وحزبه
وإلى الله ترجع الأمور فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم
أي حاربتم لأن اللقاء مما غلب في القتال فئة والانقطاع معتبر في مفهوم الفئة أصله
من فاوت رأسه بالسيف إذا قطعته أي جماعة المنقطعة عن المؤمنين كفارا أو بغاة ولم
يقف على هذه الدقيقة الأنيقة قال ولم يصفهم لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له تعالى مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن المؤمن يجب أن
يداوم على ذكر الله تعالى خصوصا عند الشدائد لتجتمع همته ولا يتوزع باله وينشرح قلبه
ويطمئن إلى الوجه ويستمد منه فتثبتوا ويستظهر بقوته وحوله وأطيعوا الله ورسوله
باتفاق الكلمة ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما تنازعتم بأحد فتفشلوا انتصب بإضمار أن أو جزم
داخل في حكم النهي وقرئ بكسر الشين وتذهب ريحكم بالنصب عطفا على الأول وبالجزم
على الثاني أي تذهب دولتكم على أن الريح مستعارة للدولة شبهت في تمشي أمرها ونفاذه
بالريح في تجريها وهبوبها يقال هبت رياح فلان إذا آلت إليه الدولة ونفذ أمره ومنه قول علي
ربي الصعقة • والخير في وقد أمري مثلوها أن الريح مالت حيث يميل وقيل ذهاب
الريح على ظاهره وأنه لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تعالى كما قال عليه السلام نصرت
بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله مع الصابرين بالكلاءة والنصرة
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني قريشا حين خرجوا لحماية العير بطرا البطر
فخرا بالغنى ومن آثار الفخر والأشر ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
نزلت في أبي جهل وأصحابه خرجوا من مكة لنصرة العير بالقينات والمعازف فنهى الله تعالى
المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم ويلزم منه الأمر بالتقوى والإخلاص
بناء على أن النهي عن الشيء يستلزم الأمر بضده وأما ما قيل من ذلك أنهم لما بلغوا جحفة أتاهم
رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب
بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا
وناحت عليهم النوائح فلا يصلح توجيها لخروجهم من مكة بطرا وإن ما بطرا ورئاء نصب على
الحال أو المفعول له ويصدون عن سبيل الله عطف عليهما حالا كان أو مطلقا ومفعولا
لهما على تأويل المصدر أي وصدوا عن سبيل الله والله بما يعملون محيط أي عالم به
فيجازيكم عليه وعيد وتهديد لمن يتخذ من الكفار وإذ زين لهم الشيطان منصوب باذكر

أعمالهم التي عملوها في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لا غالب لكم خبر لا غالب
أي كائن لكم أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا
زيدا عندنا اليوم من الناس وإني جار لكم فالجار هو المجير الذي يعطي الخائف الأمان
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين خافوا من بني بكر بن كنانة وكانوا قتلوا
منهم قتيلا فلم يأمنوا أن يخرجوا حتى بدا أن يأتوهم من ورائهم فتصور لهم إبليس بصورة
سراقة بن مالك وهو من بني بكر وقال أنا جار لكم من بني بكر عن كنانة أي من [illegible]
وهو معهم جيشا إذا التقى المسلمون وكانا رأى الملائكة نزلت بهم نكص على عقبيه
فقال الحارث بن هشام ببدر فقال أعلى هذه الحالة تخذلنا قال إني أرى ما لا ترون قال
الحارث والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب قال إني أخاف الله فقال الحارث فهلا كان هذا أمس
فدفع في صدر الحارث وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك
فقال بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فقالوا أما أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان وذهب بعضهم إلى
أن التزين في هذه الآية وما بعده من الأحوال الصورية بالوسوسة والمحادثة في النفوس ولا
يخفى ضعفه فإن قوله وإني جار لكم ليس مما يلقى بالوسوسة وكذا النكوص على عقبيه
وما بعده من الأقوال والأفعال مما يلقى بها فلما تراءت الفئتان نكص على تراءت تلاقت
من الرؤية أي بدا كل من الفريقين للأخرى وهذه الحال قبل الالتقاء نكص على
عقبيه نكص الشيطان رجع القهقرى خوفا مما يرى زيادة ونحو على عقبيه لبيان
أنه انهزم على أسوأ الحال وقال إني بريء منكم أي رجعت عما ضمنت لكم من الأمان
إني أرى ما لا ترون تعليل لما تقدم أي إني أرى أمداد المسلمين بالملائكة كأنه
يقول إني كنت مجيركم من الناس وضمنت لكم الغلبة عليهم ولا أرى بما ليس من جنسكم جاؤوا
لمحاربتكم إني أخاف الله أي أخاف عقابه على يدي من رآهم ولا آمن أنه يكون الوقت
وأن الكلبي أن هذه معذرة كاذبة ولم يخف قط مخافة وقال الزجاج وغيره
بل خاف مما رأى من الأمر وهوله أن يكون يومه الذي أنظره الله تعالى إليه والله شديد العقاب
لمن عقابه شيء ولا يطاق ومن الظاهر أنه من كلامه إذ على تقدير كونه مستأنفا يكون
تقريرا للمعذرة ولا يقتضيه المقام فيكون لا محله في الكلام إذ يقول المنافقون بالمدينة
والذين في قلوبهم مرض والذين ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام بل كانوا على
حرف وعن الحسن هم المشركون ويحتمل أن يكون صفة للمنافقين والواو والجمع بين الصفتين

أي الجاهلون بين النفاق والشك غر هؤلاء أي المسلمين دينهم حيث تعرضوا بعددهم
لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم
فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل ويسلط بذلة على الكثير القوي حكيم
يفعل بحكمته ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع
ماضيا كما أن إن تجعل الماضي مضارعا وإنما عدل عن الماضي إلى المستقبل لتصوير الحال الماضية
باستحضار واستفظاعها إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول
محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حالهم والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة تتوفى بالتاء
ولا ضمير في القراءتين التوفيق بينهما ممكن فلا وجه لما قيل ويجوز أن يكون الفاعل ضمير
الله تعالى وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيها بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين
وأدبارهم ظهورهم وأستاههم تخصيصهما بالضرب لكون الخزي والنكال في ضربهما أشد
ويجوز أن يكون المراد تعميم الضرب لما أقبل منهم وما أدبر وجواب لو محذوف للتهويل
أي لرأيت أمرا عظيما لا يكاد يوصف وذوقوا عذاب الحريق أي ويقولون ذوقوا عذاب النار
والحريق مقدم النار وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار ذلك
الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك
ويحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون من كلام الله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد
عطف عليه لتقرير ما فهم مما سبق من أن يفعل بهم إنما يفعل جزاء ما كسبوا فيكون عدلا لا
محضا ولو قيل ليس بظالم لكان أبلغ والعدول عنه إلى صيغة المبالغة للتنبيه على أنه
شأنه تعالى يقتضي أن يكون كل وصف ثبت له بالغا إلى حد الكمال ومن لم يتنبه لهذه
الدقيقة الأنيقة زعم أنه لأجل العبيد ولم يتنبه أن ما يقال إن الله تعالى ليس بظلام
أصلا فإن نفي المبالغة لا يستلزم نفي أصل الفعل مما يتجه ما قيل إن تبديل الخطاب يرجع
النفي إلى القيد لا يندفع بما ذكره المصنف في نظيره تعالى عن الكمال لأنه بل لازمه نفيه عن كل
واحد فإن رفع الإيجاب الكلي لا ينافي الإيجاب الجزئي وقيل إن الله تعالى عطف على ما قدمت
أي ذلك العذاب بسببين بسبب ما كسبوا وبسبب أن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب
الكفار من العدل ورده على ما سلف ذلك لكن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم بل
فضل فلا ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وقيل إن العطف المذكور للدلالة على أن سببيته
مقيدة بانضمامه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم وفيه أن المحتاج إلى ما ذكر

لانحصار التسبيب فيما كسبوا حيث لا يكون التعذيب بسبب آخر محالة لكن غير مستفاد
من الكلام وليس بمقتضى المقام ﴿كدأب آل فرعون﴾ الكاف في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل
دأب آل فرعون نعم الدأب العادة والعمل الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه ﴿والذين من قبلهم﴾
من قبل آل فرعون ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأبهم ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ كما أخذ هؤلاء
﴿إن الله قوي﴾ لا يغلبه شيء ﴿شديد العقاب﴾ لا يطاق عقابه ولا يدرك شيء ﴿ذلك﴾ إشارة
إلى ما حل بهم ﴿بأن الله﴾ بسبب أن الله تعالى ﴿لم يك مغيرا﴾ مبدلا ﴿نعمة أنعمها على قوم﴾
بالنعمة ﴿حتى يغيروا﴾ يبدلوا ﴿ما بأنفسهم﴾ ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منها كما بدلت قريش
حالهم في صلة الرحم وعدم التعرض للآيات والرسل وإن كانوا كفرة لأن الكفر لا يمنع النعم
الدنيوية بقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلا بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن
تابعه وإيذائهم والسعي في قتلهم والاستهزاء بالآيات إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد البعث
فبدل الله تعالى ما أنعم به عليهم من الإمهال وحسن الحال في العاجل وعاجلهم بالعذاب
إذ سنة الله تعالى جارية بأن يغير نعمته التي أنعم عليهم عند تغييرهم حالهم الحسنة إلى السيئة ممن
ما ذكر لا مطلقا وأصل يك يكون فلما دخلها الجازم سكنت فالتقى ساكنان فحذفت الواو فبقي لم
يكن ثم لما كثر استعماله حذفت النون تخفيفا فإذا تحركت ثبتت كما في قوله لم يكن الذين كفروا كذا قال
الجوهري والذي ذكره ابن جني أن النون قد تثبت عند التحرك كما في قوله تعالى وإن تك
حسنة وقد لم يكن لا تحذف ﴿وأن الله سميع﴾ لأقوالهم ﴿عليم﴾ بأفعالهم وأحوالهم ﴿كدأب
آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم﴾ تكرير للتأكيد وفي تفسير تغيير زيادة
كالدال على كفرانهم النعم وجحودهم الحق لما في لفظ الرب المضاف إليهم من الإشعار بكونه منعما
عليهم وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعم بسبب تغييرهم
ما بأنفسهم وفيه أنه لا مساغ للتخصيص المذكور لا من جهة المقام ولا من جهة نظم
الكلام ﴿فأهلكناهم﴾ أي عاجلناهم ﴿بذنوبهم﴾ على العموم دالا على التسمية المطلقة
والتشبيه للعذاب العاجل لما تستفاد من الفاء ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ على الخصوص
بيانا لأخذنا بالذنوب وفي قوله ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ إشارة إلى أن سبب الأخذ
ظلمهم وفيه تعريض بمعنى قوله وأن الله ليس بظلام للعبيد أي المشبهون الذين هم قبل قريش
والمشبه بهم الذين هم آل فرعون والذين من قبلهم كلهم كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي
فكما أن ظلمهم لم يكن عقابا منا لهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿إن شر الدواب عند
الله الذين كفروا﴾ أي أصروا على الكفر ورسخوا فيه لأن مجرد الكفر لا يفيد الأخبار

عنهم بعدم الإيمان ﴿فهم لا يؤمنون﴾ فلا يتوقع منهم الإيمان لكونهم مطبوعا على قلوبهم
وأتى بالفاء السببية للتنبيه على أن كفرهم في الرسوخ بحيث يرتجي منها صدود الإيمان منهم
﴿الذين عاهدت منهم﴾ بدل من الذين كفروا بدل الكل أو البعض للبيان والتخصيص
وهم يهود بني قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فعاونوا
المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب
كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم وإنما قال منهم لتضمن المعاهدة معنى أخذ الميثاق
والمراد من المرح قريش له ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ من مرات المعاهدة أو المحاربة
وإنما كانوا شر الدواب لأن نقض العهد خروج عن المروءة والإنسانية فحالهم مقتضي فظاعة
بالكفر ونقض العهد لأن النقض إنما يعظم إذا جبلوا عليه ثم أصروا على ذلك ثم نكثوا
العهد الظاهر فكانوا شر الدواب لكونهم على ما جبلت عليه ﴿وهم لا يتقون﴾ عاقبة الغدر
ولا يبالون بما فيها من محانيها في الدنيا والآخرة من العار والنار ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ تظفر
بهم أو تجدنهم شر ثقافة والثقف الإدراك بسرعة ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي فنكل
بهم تنكيلا يكون سببا لتشريد من وراءهم من الكفرة والتشريد التفريق على اضطراب
وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر وقرئ من خلفهم والمعنى واحد فإنه
إذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء ﴿لعلهم﴾ لعل المشردين ﴿يذكرون﴾
يتعظون ﴿وإما تخافن من قوم﴾ معاهدين ﴿خيانة﴾ بأمارة تلوح لك بنقض عهد
فيما يتعين عليه ﴿فانبذ إليهم﴾ النبذ إلقاء الخبر إلى من لا يعلمه ﴿على سواء﴾
استواء الحال الذي يستوي فيه ... أي أعلمهم الخبر أنك نقضت العهد الذي بينك وبينهم
ليكونوا أنتم وهم في العلم بالنقض على السواء أي ... ولا تناجزهم الحرب قبل الإعلام
فإنه خيانة ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول
عليه بالحال على طريقة الاستئناف ﴿ولا يحسبن﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله
﴿الذين كفروا سبقوا﴾ مفعولاه وقرئ ولا يحسبن بالياء على أن الفاعل ضمير يعود على الرسول
عليه السلام أو على أنه ... مفعوله الأول الذين والثاني سبقوا وقيل أصله أن سبقوا
فحذفت أن كما في قوله ... ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أنهم
سبقوا ... القراءة لم يقتصر بها ... بل وافقه ابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه
﴿إنهم لا يعجزون﴾ تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفاتوا لأنهم لا يعجزون الله ولا
يجدونه طالبهم عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالكسر على أنه تعليل على سبيل الاستئناف

والمراد الاولى لحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وعن الزهري انها نزلت فيمن
افلت من فل المشركين **واعدوا** ايها المؤمنين **لهم** لناقضي العهد او الكفار **ما استطعتم**
من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه سمعته عليه السلام
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا والمراد انه اقواها **ومن رباط الخيل**
الرباط شاذ بين التعدية ل ربطه يربطه ربطا ورباطا او مصدر ما اسم المربوط الا انه
لا يستعمل الا في الخيل والاضافة باعتبار عموم المفهوم الاصلي ويحتمل ان يكون جمع ربيط
كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على قوة كعطف جبريل
وميكائيل على الملائكة عليهم السلام **ترهبون** الارهاب انزعاج النفس بالخوف **به** اي
بما استطعتم او بالاعداد **عدو الله وعدوكم** يعني كفار مكة **وآخرين من دونهم** من
غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس **لا تعلمونهم** لا تعرفونهم
باعيانهم **الله يعلمهم** يعرفهم **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم** جزاؤه وفي
عبارة يوف تعذيب ليعني يتوفر من شيء اشارة الى انه وان كان قليلا فجزاؤه جليل
وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب ومبناه على استحقاق العبد بالعمل
للثواب وقد عرفت ما فيه في تفسير والله ذو الفضل العظيم **وان جنحوا** مالوا ومنه
الجناح وقد يعدى باللام والى **للسلم** للصلح او للاستسلام **فاجنح لها** وعاهد معهم
وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها وهو الحرب **وتوكل على الله** ولا تخف من ابطانهم
خداعا فيه فان الله تعالى يعصمك منه ويحيقه بهم **انه هو السميع** لاقوالهم **العليم**
باقوالهم ولعلهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية
السيف **وان يريدوا ان يخدعوك** بالصلح **فان حسبك الله** حسبك يعني محسبك
وكافيك قال جرير • اني وجدت من المكارم حسبكم • ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين اي بجماعة المؤمنين او باتفاق كلمتهم على ما دل عليه
قوله **والف** اي اوقع التاليف **بين قلوبهم** حتى صاروا كنفس واحدة بعد ما كان فيهم
من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان
كما بينه بقوله **لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم** اي تناهي
عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على
الالفة والاصلاح **ولكن الله الف بينهم** بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء **انه عزيز** تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده **حكيم** يعلم انه

كيف

كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج وكان بينهم من الحروب
والوقائع ما اهلك سادتهم ودق رقابهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور
الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد وكان كل من الطائفتين يحب ان تنثر الاخرى ويكبتها
ما احبها فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الاسلام والطاعة وتصادقوا وتصافوا
وتحابوا وصاروا انصارا والله يريد ذلك من المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة **يا ايها النبي**
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي كفاك الله تعالى وكفى اتباعك من المؤمنين ناصرا
وكفاك الله تعالى وكفاك المؤمنون على ان من اتبعك في محل النصب على المفعول معه
كقوله حسبك وزيدا درهم او الرفع عطفا على اسم الله نزلت في البيداء في غزوة بدر
وقيل نزلت عند اسلام عمر رضي الله عنه **يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال** التحريض
المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشرف على الموت وقرئ وحرص
بالصاد المهملة **ان يكن منكم عشرون صابرون** على القتال **يغلبوا مائتين وان يكن منكم**
مائة صابرة عليه **يغلبوا الفا من الذين كفروا** تكرار المعنى الواحد بالاعداد الكثيرة
في المقاومة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد وشرط في معنى الوعد والبشارة بغلبة
الجماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم من الكفار بالصبر حيث يعينهم بعون من عنده ثم قال **بانهم**
قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يتقون الله تعالى ولا يثبتون ثبات
المؤمنين الذين يقاتلون بالقتال رضا الله تعالى فلا يستحقون النصر والمعونة لكون
دواعيهم منبعثة عن الهوى والشيطنة فاستحقوا الهوان والخذلان لتوليهم الشيطان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا كان في اول الامر حين كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم زيادة ما استبعدا لوقوع قلب حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا ابا جهل
في ثلاثمائة ولكن لما اختلطتهم سائر الناس بعدهم ممن يكون يصحب الاهل والولد والمال ولهذا
يضعف قلبه عن مقاومة الكثير من الكفار خفف عنهم ضعفا ونفى الواحد للاثنين **فان تكن**
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بتقديره
وتيسيره **والله مع الصابرين** بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون وصح الآية بيان الحكمة فيه
المطلوبة وكونها اهم وانتبت في اولى جملتي الخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة
عليه **وما كان لنبي** اي ما صح له وما استقام وقرئ للنبي على العهد **ان يكون له**
اسرى وقرئ تكون بالتاء وقرئ اسارى **حتى يثخن في الارض** باشاعة القتل اي
يضعف الكفر ويذله ويعز الاسلام باهله الضعفة بتجويزه للاسرى بغلبة تلك فهلا اكثر المسلمين

ويعز به الاسلام ويستولي اهله فاما منا بعد واما فداء من اثخنه المرض اذا اثقله واصله
الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء
والله يريد الآخرة لكم ثواب الآخرة او سبب نيله من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله ◦ اكل امرئ تحسبين امرأ ◦ ونار توقد بالليل نارا ◦
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر
بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال
وصارت الغلبة للمؤمنين وروي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس
وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب
عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة
الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب
اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون
الين من اللبن وان الله تعالى ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه رضي الله تعالى عنهم فاخذوا
الفداء فنزلت قيل فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه ولعلهم ما اخذوا الفداء
الا بعد تخييرهم من جانب الشرع فلا يستحقون العذاب وفيما ذكر ما يفصح عن استحقاقهم
اياه ثم ان المذكور في سبب النزول صريح في انه عليه السلام استشار بعض اصحابه رضي
الله تعالى عنهم واخذ برأي ابي بكر في القضية المذكورة فلا دلالة في الآية المذكورة على ان
الانبياء عليهم السلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب حكم
قضاء من الله سبق اثباته في اللوح اني لا اعذب الا بعد النهي لعذبتكم فيما صنعتم ولم
يكن نهاهم او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم وعن الحسن ان الله تعالى اطعم
هذه الامة الغنيمة وانهم اخذوا الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤمروا به فعاب الله تعالى
ذلك عليهم ثم احله لهم او ان لا يعذب اهل بدر لمسكم لنالكم واصابكم فيما
اخذتم بسبب ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لما نزلت هذه الآية امسكوا عن مد ايديهم الى
شيء من الغنائم فنزلت فكلوا مما غنمتم لما التبس والتبس حظ وقعت من حلالكم

الغنائم بحظوا ان في قوله مما غنمتم يدخل الفدية لانها من جملة الغنائم وان كان بعيد بحسب
الكلام ما ذكر لا يكاد ينفصل لكن نعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا
حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم بسبب الحظر
لذلك او صفة بقوله طيبا لبيان انه لا تبعة فيه فان الحلال قد يكون تبعة او صفا
وصفا لطيب لا ينبغي هذا الاحتمال لان ما للاباحة لا يجامع الكراهة فالمباح اخص من
الحلال ومن ههنا تبين ان حق المقدر اذ يكون انه اطلقه فوق انما يجوز ان يكون القائل
ما وقع في نفوسهم بسبب حرمة الغنائم على الاولين ومنه انه عليه السلام بعد ما خص
وخير بين القتل والفداء لا وجه لان يبقى في نفوسهم احتمال الحرمة خصوصا بعد ما اقدموا
على اخذ الفداء او على ان هناك لرخصة واتقوا الله في الاقدام على ما لم يعهد اليكم فيه
حكم ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم ولا يخفى لطف موقع هذا الكلام
وحسن انطباقه بمقتضى المقام فان في الامر بالاتقاء ما يشير الى الاوهام من بقاء التبعة
وشيء من الاثام حتما اشد وحسم من الاقدام الى الاثام يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
في ملككم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى امر النبي صلى الله عليه
وسلم باستمالة الاسارى الذين اخذ منهم الفداء وترغيبهم في الاسلام ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا اخلاصا في الايمان وصدقا في النية يؤتكم الله خيرا مما اخذ منكم من
الفداء اما في الدنيا فظاهرا واما في الآخرة فالآية روي انها نزلت في العباس رضي الله
عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال ما يدريك فقال اخبرني
ربي قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا
الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم
وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله من قبل
بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم فامكنك منهم اي فاقدرك
عليهم يعني يوم بدر لدنهم وروسائهم فكيف تعددها بها لقتل فان عادوا الى الخيانة يمكنك منهم

والله عليم بالاحوال **حكيم** في الافعال **ان الذين آمنوا وهاجروا** الخ وهم المهاجرون هجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله **وجاهدوا باموالهم** بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج **وانفسهم في سبيل الله** بما شرع القتال والدنيا **والذين آووا** المهاجرين الى ديارهم **ونصروا** على اعدائهم وهم الانصار **اولئك بعضهم اولياء بعض** في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل بالنصرة والمظاهرة **والذين آمنوا** في ذكرهم هنا اشعار بان الثاني لا ... **ولم يهاجروا** بل اقاموا بمكة **ما لكم من ولايتهم من شيء** اي من توليهم في الميراث **حتى يهاجروا** وقرئ ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا **وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر** فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين **الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** عهد فانه لا يجوز ان ينقض عهدهم بنصرهم عليهم **والله بما تعملون بصير** تحذير عن تعدي حد الشرع في الموالاة وتركها **والذين كفروا بعضهم اولياء بعض** ظاهره اثبات الموالاة بين الكفار والمراد نهي المسلمين عن موالاتهم وموازرتهم لان الموالاة بينهم مرتبة على التناسب في الكفر كما ان بين المؤمنين على التناسب في الايمان فالمفهوم عدم الموالاة حيث لا تناسب فيلزم انتفاء الموالاة المؤمن والكافر فيتنافر في التوارث وجوب مفارقتهم ومباعدتهم وان كانوا اقارب **الا تفعلوه** وان لم تفعلوا ما امرتكم به من ترك موالاة الكفار ولم تفصلوا نسبة الايمان على نسبة القرابة ... الاسلام على اتصال المحبة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا القرابة دينية فقط **تكن فتنة** تحصل فتنة **في الارض** عظيمة هي ضعف الاسلام وقوة الكفر **وفساد كبير** في الدين لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الكفرة لم يتم الدين وازداد الفساد وكبر وقرئ كثير بالثاء المثلثة والتنكير في موصوفه لعله للتكثير للتنبيه على انه لا يفي بها التعبير **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا** لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان القسمين الاولين المتواصلين هم الكاملون في الايمان الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق وانثنى عليهم ووعدهم الموعد الكريم بخصوصهم حيث قال **لهم مغفرة ورزق كريم** اي مغفرة عظيمة ونوع من الرزق كريم لا تبعة فيه ولا منة والتخصيص مستفاد من تقديم الجار والمجرور والآية الاولى للامر بالتواصل بينهم والموالاة وهذه لبيان فضلهم فلا تكرار **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا**

معكم فاولئك منكم من جملتكم ايها المهاجرون والانصار اي حكموا للاحقين بهم التسمية بينهم حكم السابقين الى الهجرة وكمال الايمان والموعد تبعا لهم وتكريما **واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض** في التوارث من الاجانب **في كتاب الله** في حكمه او في اللوح المحفوظ او في القرآن وهو آية المواريث واستدل بها على توريث ذوي الارحام **ان الله بكل شيء عليم** فيعلم الحكمة في التوريث بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا ثم بنسبة القرابة ثانيا

سورة براءة

في آخرها نزلت ولها اسماء اخر منها سورة التوبة وعن حذيفة رضي الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه آية او سورة بين موضعها وتوفي ولم يبين موضع هذه السورة وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي البراءة نبذها فقرنت بينهما وانما لم تنضم اليها فلان الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في انها سورة واحدة وهي سابعة السبع الطول او سورتان فتركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله تحقيقا للاحتمالين وعن ابن عباس قال لعلي لم تركتم التسمية بينهما قال لانها نزلت لدفع الامان وبسم الله امان وقيل عناية انها توقيفية لا دخل للرأي في اثباتها وتركها **براءة** مبتدأ لانها موصوفة بقوله **من الله ورسوله** اي حاصلة منهما واصلة **الى الذين عاهدتم** اي واصلة اليهم ويجوز ان يكون براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ... الى تعلقه حاصلة بل تخصيص بتعلق واصلة اي من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والعهد الذي يتعقد به لتوثيق الامر وربطه كما ذكرنا في سورة الانفال وهو في الحقيقة للباري تعالى بما دلت عليه ... الاسلام الى الايمان ... وقد ذكر الله تعالى في تمهيدها ... الى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تعظيما لشأنه عليه الصلاة والسلام وانما من الله كان ... وانما نسبت البراءة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعاهدة الى المسلمين لشركتهم في الثانية دون الاولى **من المشركين** من اهل مكة وغيرهم من العرب فانهم نكثوا العهد الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامر الله تعالى المسلمين بنبذ العهد الى الناكثين منهم **فسيحوا** السيح السير على مهل والجري على انبساط ولا يخفى حسن موقعه هنا وهو تلوين الخطاب بصرفه عن العبارة الى الامر الظاهر ونقله من مخاطب الى آخر ... فصل بينهما بالفاء اذ البناء ... عند ... الاشياء كما في قوله ... ما ستعمر ... لا حاجة الى تقدير القول ولا بعد في ترتيب الثاني على الاول كما في قوله ... الحاجة ● ولا تقربوا في الارض محرمين ● عليكم ولكن اربعة اشهر ●

وأما زيد قوله في الأرض تعميماً للإذن ولما أفاد أن التسيح لا يكون إلا في الأرض
أربعة أشهر أمهلهم أربعة أشهر ليسيروا فيها على سبيل السياحة أين شاؤوا وهي الأشهر المرادة
بقوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم على ما يأتي بيانه بإذن الله تعالى وقيل هي شوال وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال والمستدبع من المجموع كأنه سمّى الأشهر الحرم من الشرك [illegible]
فيها وأجبر ما فيها النزول وقيل عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر
من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر وكأنه سمّاها لأنهم يؤمنون فيها وحرم قتلهم وقتالهم
أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها وبه عليه لا دلالة في كون التبليغ العام على
رؤوس الأنام يوم النحر على ما ذكر ويجوز أن يكون النزول قبله وحصل فائدة التبليغ
بالإعلان والإشاعة يعني أنه لا ضرب مهلة وإلا ينتج فيما المدة على أمان ثم يجتال بعد ذلك
فقد العهد واعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وزيادة اعلموا
للتشديد وأن الله مخزي الكافرين الخزي الذل المرتبط بالفضيحة والعار أي مذلهم
بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة ووضع الظاهر موضع الضمير في الموضعين
أما في الأول فلتعظيم المخزي وأما في الثاني فللدلالة على أن الكفر هو الموجب له وكذا في
قوله الذين كفروا وأذان من الله ورسوله الأذان اسم بمعنى الإيذان كالأمان والعطاء
بمعنى الإيمان والإعطاء وقيل معناه النداء بالأمر الذي يسمعه الأذن ورفعه كرفع براءة على الوجهين
والواو عاطفة للجملة على الجملة إلى الناس لما كانت البراءة مخصوصة بالمعاهدين والأذان
بها للعموم على الإخبار بالبراءة بالمعاهدين والإخبار بالإيذان بذلك الناس يوم الحج الأكبر
يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن التبليغ كان فيه ولما روي أن النبي صلى
الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف
بالأكبر لأن العمرة حج أصغر أو لأن المراد من الحج ما يقع فيه أكبر [illegible] من باقي الأعمال
أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين وما لم يوافقه لأعياد سائر الملل فلا ينبغي
أن يعتنى به في تعظيمها ثم إن الوصف المذكور قد ورد في حجة الوداع أيضاً لأنه وافقه
عيد أن الله أي بأن الله وحذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفاً وقرئ إن الله بالكسر
لأن الأذان بمعنى القول بريء من المشركين أي من عهودهم وأفعالهم وأحوالهم ويندرج
فيها عهودهم مع تدرجها أو كلها ورسوله عطف على المستكن في بريء من غير تأكيد للفصل
أو على محل إن المكسورة واسمها إلا فتح بإذنه وقرئ بالنصب عطفاً على اسم أن أو على أنه
الواو بمعنى مع ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أي ورسوله كذلك فإن تبتم

على ما فهم مما تقدم من كون المشركين وآثار سبباً للبراءة المذكورة وفي هذا التفريع [illegible]
عن ذكر متعلق التوبة فهو أي فالتوب خير لكم في الدنيا خيراً لكم في الدنيا والآخرة
وإن توليتم أي أعرضتم عما دعيتم إليه فاعلموا أنكم قد تقدم أن الحاصل إعلموا في مثل هذا
المقام للمبالغة في الوعيد غير معجزي الله لا تفوتونه طلباً ولا تخلصون منه هرباً
وبشر الذين كفروا الأمر بالبشارة تهكم لكل من يبعد عليها وفيه تلوين الخطاب بعذاب
أليم في الآخرة إلا الذين عاهدتم استدراك بالبينة وعن لبراءة من الله ورسوله في الحرمة بحسب
المفهوم كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين للعهد فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم
لا تجعلوهم في حكم الناكثين الذين لا رخصة فيما بعد المدة المذكورة ولا يضر تخلل
الفاصل الأجنبي قوله فإذا [illegible] استثناء من قوله براءة [illegible] الأجنبي بالكلية لكونه أمراً بالإعلام بعين
كأنه قيل واعلموا أن الله بريء منهم وقيل استثناء من [illegible] على تقدير المنقول [illegible]
ومدخول له وقد عرفت أنه تكلف مستغنى عنه وقيل استثناء من المشركين في قوله فإنه يلزم حينئذ
تخلل الفاصل الأجنبي معنا فإنه لعموم المشركين في قوله أن الله بريء من المشركين والعهد
في قوله من المشركين بيان للمقصود في الظاهر لطول العهد والتنبيه على أن المشترك [illegible]
الوفاء بالعهد لا يؤثر في التبديد ولا يخفى ما فيه بل للتنبيه على أن الوفاء ثم لم ينقصوكم
من شرائط العهد شيئاً [illegible] ثم إشارة إلى أنهم لم يفعلوا ذلك مع تمادي العهد ولم يظاهروا
أي ولم يعاونوا عليكم أحداً من أعدائكم فأتموا إليهم تفريع على ما تقدم وبيان لكل
من عدم جعلهم في حكم الناكثين وأتموا إليهم تضمينه معنى الأداء [illegible] فأدوا عهدهم
إلى مدتهم [illegible] إليهم [illegible] الأيام [illegible] اعتبار الإعلام في قرينة السابق ذكره كان
المناسب اعتبارها هنا أيضاً وفيه دفع وهم تحريم حكم النبذ إليهم أيضاً وأما [illegible] دواعيه
التزام للجمع بين [illegible] عهدهم إلى مدتهم المدة زمان طويل الفسحة
والتسعة [illegible] الأجل المهلة والمراد [illegible]
حاجة إلى تقديرها المضاف إن الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على أن قضية التقوى إتمام
العهد والتسوية بين الوفي والغادر [illegible] كان الأول مشتركاً وفيه
تعميماً [illegible] من المشركين [illegible] فإذا انسلخ الأشهر الانسلاخ
الانفصال [illegible] من سلخ الشاة وإذا كان الانفصال قابلاً [illegible]
مجاز [illegible] الظاهر [illegible] ثم الخلع والسلخ مشترك
في التعلق [illegible] فإنه يتعلق [illegible]

المسافرة لانها دخلته وانسلخت وانما قيل لا اخر لشهر يوم انسلخ استعارة لتبان الشئ
لازالة النور الاشهر الحرم وهي خمسة اشهر لبني كنانة واربعة اشهر لسائر المعاهدين
المذكورة في قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر ومن قال انها التي ابيح للناكثين ان يسيحوا
فكانه غفل عن عموم الحكم لبني كنانة وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وبانباه
ترتيبا الكلام على ما تقدم بالفاء واما زعم انه مخالف للاجماع لانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر
الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها فليس بشيء لان ناسخ الكتاب لا يلزم ان يكون من الكتاب
وعلى تقدير لزومه كما هو مذهب الشافعي يحتمل ان يكون ناسخه من الكتاب بمنسوخ التلاوة
فاقتلوا المشركين الناكثين عهدهم حيث وجدتموهم في حل او حرم ولما كانت
التعريف في الموضعين للعهد لم يكن فيه دلالة على جواز قتال المشركين في الاشهر الحرم وتعليق هذا
المقام كما يشق الى بعض الاوهام وخذوهم الاخذ الاسر ومنه الاخيذ للاسير وليس صحيح
للاسترقاق لانه لا يجوز في حق المشركين وهذا امر بالحبس والمراد منها لا امهال في تخييرهم
بين السيف والاسلام هذا في حق الحاضر والذي في حق الغائب ما ذكر بقوله ما بعده الى
اخره واحصروهم اي واحبسوهم ويجوز ان يكون المراد من الحصر المنع من التبسط في
البلاد ويدخل فيه منعهم من دخول المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في
الطرق كما قال النابغة اعاذل ان الجهل من لذة الفتى * وان المنايا للنفوس بمرصد *
وهي كل ممر ومجتاز يرصدونهم كيلا يتبسطوا في البلاد وعلى هذا يكون من قبيل التاسيس والتاكيد
خير منه وانتصابه على الظرفية فان تابوا اي عن المعاصي وتدخل فيها دخولا اوليا الرجوع
عن الكفر فهي متضمنة للايمان ثم قرن بها اقامة الصلوة وايتاء الزكوة تنبيها على مكانهما من الشرع
ويجوز ان يكون من قبيل الاكتفاء بذكرهما عن العبادات البدنية والمالية عن جميع العبادات الواجبة
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي التزموا لسائر العبادات البدنية والمالية وذلك
يتضمن التصديق بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو المقصود الاصلي فتضمن الكلام الذكر
منطوق كلمتي الشهادة فخلوا سبيلهم ناسبين لهم اي فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من
ذلك وفيه دلالة على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله لما عرفت ان الشرط
التزامها كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية ان الله غفور تعليل لما تقدم اي لان الله
غفور لهم ما سلف رحيم لا يكلفهم الشاق ولا يخفى حسن نظامه مع ما قبله من
الاشارة الى وجه الاكتفاء بالالتزام للامر به وان احد فاعل فعل مضمر يفسره
ما بعده لا مبتدأ لحرف الشرط وانما قال احد لعدم الحصة لاجارة الجماعة لانها نظرا الى

ولا يتوقف عليها تمام المقصود من المشركين لم يتعرض لهم لعدم اختصاص الحكم بهم
على ما يأتي بيانه استجارك سألك ان تؤمنه وتكون في جوارك ليسمع كلام الله تعالى ويتدبر
ما يدعو اليه فاجره فآمنه الى ذلك حتى يسمع كلام الله تعالى خاصة اي يتدبره
ويتدبر فيعلم انه من عند الله تعالى وذلك يقتضي تمكينه ولهذا قال ثم ابلغه مأمنه
يعني ان لم يؤمن وطلب الرجوع الى موضع يأمن فيه عن الشبهة بالسمع لانهم من اهل الكتاب
فيفهمون المعنى كما يفهمون اللفظ ذلك الحكم بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون اسما
الى الطاف الفاسد معهم في الاجارة وتبليغ المأمن اي لا يعلمون حقيقة ما تدعوهم اليه
فلا بد من الامان ريثما يسمعوا ويتدبروا الحق فيتبعوه ويجوز ان يكون لا يعلمون
منزل منزلة اللازم اي ليسوا من اهل العلم والمعرفة وهذا الحكم عام ثابت ابدا كيف
يكون للمشركين استفهام على جهة التعجب والاستبعاد ومرجعه الى الانكار على
وجه الابلغ عهد عند الله يأمنون به من عذاب الاخرة وعند رسوله يأمنون
به من عذاب الدنيا بالقتل والاسر وتكرير عند للتنبيه على اختلاف المراد وفيه تنبيه
التمهيد وقيل انكار واستبعاد لان يكون لهم عهد ولا يتكلمون ونقض عهدهم اولا
او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه ولا يذهب عليك ان ما ذكر ينتقض لما كيف
يكون لله ورسوله عهد عند المشركين لا يقتضي ما ذكر فقط انهم يكونون مقدمة للاسم
والمشركين خبرا ويكون عند الله صفة للعهد او ظرفا ليكون والخبر مقدم والمشركين حال
او عند الله خبرا الا الذين عاهدتم نصب على الاستثناء او جر على البدل او رفع على انه
كلام مستدرك يعني لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل
فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم عليه وما في الاولى على الوجهين الاولين
عاطفة للجملة على مقدر اي فتربصوا امرهم فما استقاموا لكم وعلى الثالث للجمل
لتضمين الموصول معنى الشرط وما شرطية وجزاء الشرط فاستقيموا او مصدرية على
معنى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم والثانية مكررة للتأكيد ان الله يحب
المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان اتمام عهد المعاهدين من لوازم التقوى
كيف اعادة للاستبعاد المذكور على وجه الاختصار على طريقة الاقتصار على ذكر
او الكلام عند انفهام المراد بمعونة المقام ولما التنبيه على علة تحاسن بدون اعادة
كيف والمعنى كيف يكون لهم عهد عند الله ورسوله لا عهد لله ولرسوله عندهم
فقد عبر عن هذا على طريقة اقامة دليل النفي مقام فيقوله وان يظهروا عليكم

اي حالهم انهم ان يظفروا بكم اصل الظهور العلو بالغلبة **لا يرقبوا** لا يراعوا **فيكم**
اصلا لان ترقب ما يبصر بمنزلة الرقيب ثم قيل لكل من حافظ على شيء وراعاه رقب وقيل
الا حلفا وقيل قرابة **ولا ذمة** عهدا او حقا يعاب على اغفاله **يرضونكم بافواههم**
كلام مستانف لبيان حالهم المنافية للثبات على العهد ونقضه بعقد مراعاتهم حق الميثاق
بالحلف والقرابة اي لا يرضونكم بالافواه بما زعموا من مراعاتهم كما يدينون ويعيدونهم بالباطلة
ولقد ذكر الافواه لانها المظاهر **وتابى قلوبهم** عن الارضا حقيقية بما فيها من العزايم
على خلاف ما قالوا وانما قال **واكثرهم فاسقون** لما في بعضهم من التفادي عن الغدر
والنقض عما يجري الى احدوثة السوء وتوصيفهما بالتوقي مع ان المشرك لا يتخلفهم لرفع
شان الايمان في الذم فلا حاجة الى التكليف بتصرف الفسق عن ظاهره **اشتروا بايات**
الله ثمنا قليلا استيناف لبيان اختيتهم وقد سبق تفسيره في سورة البقرة **فصدوا**
اي اعرضوا من صد عنه يصد صدودا او منعوا من صال عنه يستقصدا **عن سبيله** الدال
بالسبيل الذي للحق والاضافة للتصعاني للتشريف **انهم ساء ما كانوا يعملون**
المخصوص بالذم محذوف وما دل عليه قوله **لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة** تفسير
لما كانوا يعملون لا تكرير **واولئك هم المعتدون** المجاوزون الغاية في الظلم والشر
والواو للعطف بجهة المعنى على ما تقدم من الجملة الانشائية **فان تابوا** اي
بعد هذا كله ان رجعوا عن الكفر الى الايمان **واقاموا الصلوة واتوا الزكوة**
تنتم تفسيره **فاخوانكم** فهم اخوانكم **في الدين** لهم مالكم وعليهم ما عليكم **ونفصل**
الايات اعتراض التحريض على تدبيرها فصل من الايات وما بين من احكام المشركين المعاقد
ما الثابتين والحث على المحافظة عليه **لقوم يعلمون** فيه اشعار بان المفهوم من تلك
تفصيلها والواو للعطف على مقدر اي نبين القران ونفصل الايات **وان نكثوا ايمانهم**
النكث النقض واصله في ما يفتل ثم يحل فجعل في الايمان في العهود استعارة وانما قال
من بعد عهدهم اظهارا للتعجب حال الناكثين حيث عاهدوا وانهم اكدوا عهدهم بالايمان
وافرد العهد وجمع الايمان لان ذا آكد للاكتفاء بالتابعة ثم نقضوها كانت عهدا لهم
دون التابع فلا بد من صدوره لجنسي من كل واحد منهم **وطعنوا** الطعن هو الاغتياب
واصله الاعتماد بالرمح **في دينكم** بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام اي اظهروا النقض
المذكور بالقول من لا بترك اظهاره فيا باحة القتال وتخصيص لاظهار لاذن فيا بالذكر
يفعل الحكم في الاظهار الاعلى نحو ما يكون بالفعل بالطريق الاولى ولما كان ذكر

الطعن

الطعن في صدد بيان ان نقض العهد مما يبيح القتل والقتال اذا كان ظاهرا معلنا
لوحظ في الاية دلالة على ان الذمي اذا طعن في الدين يكون نقضا فيباح قتله
فقاتلوا ائمة الكفر وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان سياق الكلام في رؤسائهم
بناء على ان المعاهدة انما تكون بينهم بحسب العادة فقوله من بعد عهدهم مقيد ولك
ان تقول ان الحال في الحقيقة فاقتلوهم ولما كان قتلهم مسبوقا بما ذكر سعد بينهم ثم
منه فقد رؤساهم من البين لها منزلة الجناية على طريقة الكناية بذكر الملزوم عن اللازم
وقرئ ايمة بتحقيق الهمزتين والافصح جعل الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن صريح
انهم لا ايمان لهم تعليل لما ذكر على طريقة نفي بالتبول الخالي على الثابت بمنزلة العدم
اي لا اثر لعهودهم في المنع عن قتالهم بعد النكث فلا دلالة فيه على ان يمين الكافر
ليس بيمين وقرئ لا ايمان بالكسر بمعنى الامانع عن قتالهم لنقض العهد وقد نقضوا
ولا ايمان ولا وجود له **لعلهم ينتهون** متعلق بقوله فقاتلوا اي ليكن غرضكم
في قتالهم انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر والنقض لا ايصال الاذية بهم
كما هو طريقة المؤذين **الا تقاتلون** تحضيض للدلالة على نفي القتال الانكار للتوبيخ
فيفيد المبالغة في الحث والتحريض عليه وتحديد بالصفات الموجبة لمن نكث الايمان والهم
باخراجه عليه السلام والبدء بالقتال لتقويته وتاكيده بدل **قوما نكثوا ايمانهم**
التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر
على خزاعة **وهموا باخراج الرسول** حين تشاوروا في اخراجه من مكة حيث قال الله تعالى
فتولى عليه السلام في الهجرة **وهم بدءوكم اول مرة** بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام
بداهم بالدعوة وتحداهم بالكتاب والزمهم بالحجة فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها
الى المقاتلة فهم البادون بالقتال **اتخشونهم** اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم
منهم مكروه والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر وادخال الهمزة هنا انكار
للخشية وايماء الى ان ما قاتلهم الا لايمان على ما صرح به بعده بقوله **فالله احق ان**
تخشوه ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم تخصيص الخشية بالله تعالى وعدم
المبالاة لغيره وفيه جمع بين التقريع والتشجيع وهو ابلغ في التحريك ولما بالغ في التوبيخ
على ترك القتال وبين ما يرجحه امر بقتالهم وعدهم النصر والغلبة وتعذيب
الكفار بايديهم ليكون اوقع في تحقق بهم واشد تثبيتا لقلوبهم وتقوية لعزائمهم فقال
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا **ويخزهم** الله الخزي بالذل والتعجيز منه **وينصركم**

عليهم النصر الموعود بدفع القرين لتعذيبه بعيلي لنصفته معنى التغليب **ويشف** الشفا
ملازمة للتشفي عادة بل غنها الاذى **صدور قوم مؤمنين** وهم خزاعة غدرتهم تحضيضهم
اهلي الذين نقض فيهم العهد وكانا لهم الحرب وكان فيهم مؤمنون كثير وتحضيض للمؤمنين منهم
بالذكر لانا المقصود اصالة تشفا صدورهم **ويذهب غيظ قلوبهم** لما لقوا منهم من المكاره
الغيظ امرهم بالقتال لوعد عليه قتل الانبيا والخزيا وعد كان الخبار بالذي بين
المعجزات **ويتوب الله على من يشاء** كلام مبتدا واخبار بان بعض اهل مكة يتوب ويقبل
الله توبته لعبد تهاوكان ذلك ايضا منفصلا عما قبله لفظا ولكنه متصل به معنى
اي ومن قوابا القتال انه يتوب بسببه بعض من تامل فيه وجرى ورحمة الله بالنصب على
اضمار اذ وعلى دخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من حيث المعنى **والله** العدول
عن التعبير لانجعيم **عليم** لا يكون عليه يخفا **حكيم** لا يفعل خطا **ام حسبتم** ام منقطعة
تتضمن اضرابا عن الكلام الاول لا عن معناه والنفها ما ينبئ تسكيت بل والانكار
والاستفهام هنا للتوبيخ على حسبانهم **ان تتركوا** اعيانهم خطابهم في ظنكم ان
تتركون على ما انتم عليه دون اختيار واستخلاف لحالكم لا تتركون حتى يتبين الخالص الذين
جاهدوا منكم في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا بطانة من الذين يعادون رسول الله
والمؤمنون بل الموهم ويفشون اسرارهم من غيرهم **ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم** ولما فيها من معنى التوقع منبئ على ان تبين ذلك متوقع كائن لا يتبين الخالص منكم وهم
الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم مع التوقع والمراد به المبالغة في نفي المعلوم
على طريق البرهان لانه لو وقع لكان معلوما له فلما لم يعلم لزم عدم وقوعه **ولم يتخذوا**
عطف على جاهدوا وداخل في الصلة **من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة**
بطانة من الولوج وهو الدخول والبطانة صديقك الذي تطلعه على ما في داخل قلبك
والله خبير بما تعملون فيعلم عمل المجاهدين المخلصين قبل وقوعه فهو كالمرجح لاتباع
في الوهم من انه ينبغي له ولما يعلم الله **ما كان للمشركين** ما صح لهم **ان
يعمروا مساجد الله** شيئا منها فضلا عن المسجد الحرام والمراد هو وانما جمع لانه
قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر الجميع وقرائتها بالتوحيد في الموضعين يراعى
المعنيين لان حقيقيه بجعل المجهد لجنسها **شاهدين على انفسهم بالكفر** حال
من الواو وفيه اشارة الى حالهم لما فيها من استقامتهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره **اولئك حبطت اعمالهم** التي يفتخرون بها من العمارة

والحجا

والحجابة والسقاية وفك العناة لان الكفر الطارئ يحبط الاعمال فكيف بالمقارن **وفي
النار هم خالدون** لكفرهم دون المعاصي من المؤمنين **انما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة** اي لا يستقيم ولا يصح عمارتها
الا لمن جمع بين الكمالات العلمية والعملية والايمان باليوم الآخر المتضمن للتصديق
بالمعاد الجسماني لا يكون الا بطريق السمع ومن هذا الاعتبار يحتمل الايمان بنبينا عليه
السلام لان المعاد الجسماني لم يذكر في غير القرآن من الكتب بتمامه هذا هو الرجل لعدم
ذكر الايمان به عليه الصلوة والسلام واما قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة فلم يتعين
لانهما يجوز ان يؤخذا من سائر الشرايع والعمارة تتناول رم ما استرم منها وتنظيفها
وتنويرها بالمصابيح وتهيئة الفرش وادامة الصلوة واقامة الذكر وتلاوة القرآن ودرس
العلوم ونفيا ما لم تبن له كحديث الدنيا وسائر الفضول **ولم يخش الا الله** الخشية
من الخشية هو الرهبة والهيبة ولا امتناع الا لا عمن تصور عظمة الله تعالى لا الامتثال
الجبلي الذي هو الخوف فانه ليس بارادي وانها هية فانه من لوازم التقوى لمعظمه
الخالق في قلب المؤمن يصغر المخلوق في عينه فلا يخشاه لدين غيره **فعسى اولئك
ان يكونوا من المهتدين** في ذكره بصيغة الترجي قطع لاطماع المشركين في الاهتداء وتبعيد
لهم عن نظائره لان الموحدين المخلصين في الاعمال اذا كان اهتداؤهم دايرا بين عسى ولعل
فكيف يطمع فيه المشركون باعمالهم لجنسية على اختيارها الرياء والمباهاة والتقرب بها
الى الحجر والمناة وسمع المؤمنين ان يغتروا باحوالهم فيتكلوا عليها **اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله** السقاية
والعمارة مصدران والجملة لا يتيه بالجثة فلابد من مضمر يدل عليه بترتيب القبيل حذف
للايجاز تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن ويعضده قراءة
سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او سقايتكم كايمان من آمن والمعنى انكار ان يشبه المشركون
واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة مقرر لقوله **لا يستوون عند الله** تعالى ثم قرر ذلك
وبالي علة عدم تساويهم بقوله **والله لا يهدي القوم الظالمين** اي الكفرة ظلمة بالكفر
ومعاداة الرسول عليه الصلوة والسلام منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين
هداهم الله تعالى ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم
وبين المؤمنين واما قال لا يهدي تنبيها الى الهداية الواقعة في حقهم مثل العدم لعدم
ترتيب الثمرة عليها **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم**

درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم أو ممن ليس كذلك فيندرج فيه
أهلهما اندراجاً أولياً لكونهم مشركين وأولئك هم الفائزون المختصون بالفوز دونكم
أو دون من عداهم والفوز بلوغ البغية إما في نيل مرغوب أو نجاة عن مكروه والمراد ههنا
الفوز الكامل فينتظمهما يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات
نعيم التنعيم لين العيش ورغده مقيم دائم وتنكير المبشر به للتعظيم وكونه فوق وصف
الواصف وتعريف المعرف وفي إسناد البشارة إلى ربهم زيادة تعظيم للمبشر به وتكريم للمبشر
وبيان كون الرحمة منه تعالى مع كونه معلوماً لا يخلو عن قصد لتعظيمها وأما إطلاق
الرضوان لينتظم نوعيه المذكورين في قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه خالدين فيها
أبداً أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر
عظيم يستحقر دونه الأجور الدنيوية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
وإخوانكم أولياء عن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من
آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فلم يذكر
الأبناء في هذه الآية إذ الأغلب في البشر أن الأبناء هم التبع للآباء والمعنى لا تتخذوهم
أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر أي
اختاروه وأصروا على الإيمان فتعديته بعلى لتضمينه معنى الاختيار والإيثار ومن
يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون لوضعهم الموالاة غير موضعها على خلاف أمر الله تعالى ولما ورد
التشديد في أمر المهاجرة قالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا
آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ذكر الأبناء في هذه الآية لما جلبت ذكرهم المحبة
والأبناء أصدر في المحبة وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة
وقيل من العشر فإنها جماعة ترجع إلى عقد واحد كعقد العشر وأموال اقترفتموها
اكتسبتموها وأصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره وتجارة تخشون
كسادها يعني ما اشتريتموه طلباً للربح تخافون فوتها وتحسرون فيها بفوات وقت نفاقها
ومساكن ترضونها منازل تعجبكم الإقامة فيها أحب إليكم أراد الحب الاختياري
دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فيه دلالة ظاهرة على أن سياق الكلام في الحض على الهجرة فتربصوا جواب ووعيد
والتربص التوقف على الانتظار حتى يأتي الله بأمره وهي عقوبة عاجلة أو آجلة

وفي العاجل أو عن مجيء بأمر الله إلى ما ذكر تهييج للأمر والله لا يهدي القوم الفاسقين
فيه تنزيل الوجود الهداية في حقهم منزلة العدم لعدم الأثر فيما أريد به تشديد بليغ
وقلما يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة المواطن جمع موطن وهو موضع الإقامة ومواطن
الحروب ومقاماتها وهي المرادة ههنا ويوم حنين عطف على محل في مواطن أي وموطن يوم حنين
أو لفظاً بتقدير في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين لتناسب لا تكذبوا ولا رأيته فيقتحم حرف السبق
من حمد وتخصيصه بالذكر لأنه المواطن الذي كفل الحسني إذ أعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين
ولا يمنع إبداله منه عطفه على محل في مواطن إذ لا يقتضي العطف تشريكهما فيما أضيف إليه
المعطوف عليه فلا يلزم أن يكون إعجابها إياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
قيل إنهم لما التقوا يومئذ وهم اثنا عشر ألفاً وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مركزه
ليس معه إلا عمه العباس وابن عمه أبو سفيان رضي الله عنه وناهيك به شهادة قيل قالوا لتابع
معه عليه السلام كانوا عشرة رجال ولذا افتخر عنه العباس رضي الله عنه في قوله

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنهم وأقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... بما مسه في الله لا يتوجع

وذلك العاشر أيمن بن أم أيمن رضي الله عنه قال البراء بن عازب رضي الله عنه لقد
رأيته عليه الصلاة والسلام وأنه على بغلته البيضاء وأبا سفيان آخذ بلجامها والنبي عليه
السلام يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وفي قوله تثبيتاً للمسلمين على الثبات وتحريض
تثبيت عمه وابن عمه خاصة فإن في ذكر جده إشعاراً بأن من كان من نسل عبد المطلب لا يكون
الفرار وهذا آية غاية الشجاعة حيث لم يخف في تلك الحالة ولم يعنف لكمال رغبته على نفسه
فلم تغن عنكم أي تلك الكثرة شيئاً فلم تدفع عنكم أمر العدو وضاقت عليكم
الأرض بما رحبت برحبها أي مع رحبها كما قال الشاعر

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع فالباء والمجرور في محل الحال أي ملتبسة برحبها
ومعنى ضيق الأرض عليهم مع سعتها أنهم لا يجدون فيها مفراً لأنهم لا يطمئن بها نفوسهم لكن
كأنها ضاقت عليهم أو لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم
مدبرين منهزمين لا تلوون على أحد بالذهاب في خلاف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل الذين
ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وتكرير على للتنبيه على اختلاف حالهما

وانزل جنودا لم تروها باعينكم والجنود الجموع التي تصلح للحرب من الملائكة
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل
بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك الجرية العظيمة على من يشاء
بالتوفيق للاسلام وهم ناس منهم والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم
يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس مصدر ولا يقنع ان يجعل نجس خبرا على
انهم النجاسة بعينها والمعنى انه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن النجاسة الا انه بولغ
في وصفهم بها فجعلوا عينها للتشنيع وبيان وجوب تبعيدهم عن المسجد وقرئ نجس بكسر
النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس نحو كتف واكثر ما جاء تابعا لرجس وعلى هذه القراءة
لا بد من تقدير موصوف اي جنس نجس او ضرب نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الفاء للتسبيب اي فلا
يقربوه بسبب انهم عين النجاسة والنهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو
مذهب عطاء والمراد من نهيهم نهي المسلمين عن تمكينهم منه وهذا اسناد الكلام الخطاب
لهم فلا دلالة فيه على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة
وعليه ابو حنيفة ويؤيده بعد عامهم هذا فانه لولا هذه الارادة لكان مقتضى
التفريع المذكور تسلط النهي بنفسه اياهم هذا العام ايضا والاشارة الى سنة عشر وقيل
الى سنة تسع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم وذلك ان المكيين حين منعوا المشركين
من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من
الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله تعالى ان يغنيهم من فضله وقال الضحاك
فتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآية وقرئ عائلة وهو مصدر كالعاقبة او نعت لمحذوف اي حالا عائلة فسوف يغنيكم
الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان فتح عليهم باب اخذ
الجزية من اهل الذمة واخذ الغنيمة من اهل دار الحرب او وفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ان شاء قيده بالمشيئة لا لتبيين انه متفضل في ذلك لان قوله من فضله
صريح في ذلك بل لينقطع الآمال الى الله وينبه على تخلف الاغنياء الاحوال والاعوام ولا
والاقوام ان الله عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على وجه صحيح ويجعل على ما مر بيانه
في اوائل سورة البقرة وانما قال قاتلوا كما قال فاقتلوا المشركين للاشارة الى اختصاص الجزية التي
ينتهي عندها القتال بمن يحمل بنية الحراب فلا جزية على المرأة والصبي والشيخ الفاني ولا

يحرمون

يحرمون ما حرم الله ورسوله قيل او رسوله لانه عليه السلام لم يحرم شيئا الا بالوحي
على الدين الصحيح فليس المعنى ما حرم الله بالكتاب ورسوله بالسنة لما في هذا التوزيع
عليه السلام في التحريم ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون فنا كيد الصفة التي لا بد من تقدمها على
القتال لانهم كانوا يجدونه عليه السلام في التورية والانجيل فلا دلالة فيه من جهة المفهوم
على اختصاص قبول الجزية باهل الكتاب كما لا دلالة فيه على اختصاص وجوب القتال بهم
بين في الآية السابقة قتال المشركين وبين في هذه الآية قتال اليهود والنصارى وقوله
الذين اوتوا الكتاب كما اطنب بذكر هذه الاوصاف الذميمة تحريضا للمؤمنين على
قتالهم لانها صفات توجب القتال منهم والعداوة لهم حتى يعطوا الجزية الى ان يقبلوها
وهي عطية مخصوصة جزاء على الكفر على ما قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل الذمة
وهي على وزن جلسة موضوعة لنوع من الجزاء وقيل هي من جزى يجزي اذا كافأ عما اسدي اليه كانهم
اعطوها جزاء ما منحوا من الامن ومن هذا المعنى قول الشاعر

يجزيك او يثني عليك وان من * اثنى عليك بما فعلت كمن جزى

مدخولة القتال الى هذه الغاية وهذا حكم اهل الكتاب بالنص وحكم المجوس كذلك بالخبر
وهو قوله عليه السلام سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ولا
يجوز هنا في مشركي العرب لقوله عليه السلام لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ويجوز في غيرهم
ولا عندنا خلافا للشافعي وعندنا تؤخذ من اليهود والنصارى والمجوس كل سنة كما اقر الا المرتد عن يد
حال من الضمير واليد مجاز عن الغنى والقدرة والمراد يد المعطي وفائدته الاشارة الى
انه لا يجب على الفقير العاجز عن الكسب اذ كان بنية الطلب وهذه الاشارة من مقتضيات
المقام فلا وجه لتفويتها بجعل الغنى المذكور على معنى آخر كمعنى الانعام عليهم ومعنى الطاعة
والانقياد ومعنى التسليم بنفسه على ان هذين المعنيين الاخيرين من لوازم الغنى الآتي
ذكره فالاحالة لافادة الى زيادة فيه ومن هنا تبين انه لا وجه لان يكون المراد
القدرة على نقد الحق عليها قدرة الاخذ واما ما يعتني بعدما سلف عن يد على انه حال
من الجزية فلا يناسب المقام لما عرفت ان الغاية حقيقة هي القبول لا التمام دون الاعطاء
بالفعل وهم صاغرون الصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه اي وهم اذلاء
بان يأتوا بها بانفسهم مشاة لا ركبانا ويسلمونها وهم قيام والآخذ قاعد ويؤخذ بلحيته عند الاداء
ويقال له ادّ الجزية يا يهودي او يا نصراني والجزية عندنا على الاشخاص على المعنى الثاني

عشرون درهماً وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهماً وعلى كامل الحال ثمانية واربعون
درهماً كذلك وظفها عمر رضي الله عنه وهي الجزية اعاذنا الله تعالى عن التعلية وهو
نحجه ان الحال الحق لا به بالاولية **وقالت اليهود** وقائله بعضهم من متقدميهم او من
كان بالمدينة **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر وسقط التنوين لمنع الصرف للعجمة والعلمية
ومن نونه جعل الاسم عربياً او لان ابن صفة له وعلى هذا يكون الخبر مستتراً او غير ملفوظ
ولا ملحوظ بل نقل النقل على هذا القدر من كلامهم الظاهر انه لا لانكار الموصوف المذكور بعينه ابهام
التنقيص لكلامهم عن جزء الكلام وتمييز المقصود من زيادة من لهم افراطهم على احد الوجهين الاتي
ذكرهما **وقالت النصارى المسيح ابن الله** وهو ايضاً قول بعضهم **ذلك قولهم بافواههم**
يعني انهم يذكرونه صريحاً لانه يتبعهم طريق الاسناد الى من تحقق فعالهم تقول لرفع التجوز فيه
فانه اهم من دفع التجوز في الاسناد ونسبة القول الى الافواه ونسبة الالسنة لانها لانها ادل على
اشتمال ما كل قائل من الاقوال ما لا يحاجه في التلفظ بها الى اللسان ويجوز ان يكون المراد انه
قول لا حقيقة له ولا معنى كالمهملات الملفوظة التي تخرج من الافواه ولا تحقيق لها في العقول
يضاهئون قول الذين كفروا تقديره يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعاً هذا ما قال الراغب ... لا يهتدي كيف
الكلاب ... في الكيد ... المضاهاة المشابهة وقرئ بالهمزة
من قولهم امرأة ضهيأ ... المضاهاة الرجال في انها لا تحيض **من قبل** من قبلهم والمراد
المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله **قاتلهم الله** دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله
الله هلك ... التعجب من الشناعة فانه كلمة لا ... في موضع التعجب من شناعة فعل
قوم ... اعتقادهم ... التنبيه **انى يؤفكون**
اي يصرفون عن الحق الى الباطل فلا مانع عن الجمع بينهما قصداً **اتخذوا احبارهم**
ورهبانهم اربابا من دون الله اي اتخذوا علماء اليهود وعباد النصارى كالارباب حيث احلوا
لهم الحرام فاستحلوا وحرموا عليهم الحلال فحرموه فصاروا لهم كالارباب في قوله تعالى
حتى اذا جعله ناراً ... الكثير العلم ... الراهب
ماخوذ من الرهبة وهو الذي يحمله خوف الله تعالى على ان يخلص له النية دون الناس **والمسيح**
ابن مريم اي اتخذوه رباً معبوداً فالرب هنا على الحقيقة ولهذا فصله عما قبله ...
لعل ... الا بالاجلال عنه ... الى ... العدم صلاحية
للربوبية وفي التنبيه على ... الربوبية ... المقصود ولا يخفى ما فيه

من النبي عليهم **وما امروا** اي وما امر المتخذون من قبل بعد ان يكون المتخذين وما
امر الى المتخذون اربابا فيكون تنكيلاً للبرهان على بطلان الاتخاذ وكان هذا الفاعل
عاقل عن ان الرب في غير المسيح عليه السلام لم يحتج على الحقيقة **الا ليعبدوا الها**
واحدا وهو الله تعالى وان اتخاذ الى ضرورة الهيئة عن معناها الى معنى لا طاعة
حتى تحتاج الى ان نقول الطاعة الرسول عليه السلام مساوية لامر الله تعالى بطاعته
من طاعة الله تعالى في الحقيقة **لا اله الا هو** صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك به **يريدون ان يطفئوا** الاطفاء انطفاء
نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور وفي سورة الصف يريدون ليطفئوا اي يريدون
لذلك الاطفاء ... اذا آمرنا ... مثلها ... تماثلها فكذا ... والبيان مدوس
عبارة عن ... **نور الله بافواههم** اطفاء نور الله بافواههم تكذيبهم في
ارادتهم ابطال الاسلام بتكذيبهم في القرآن هذا تمثيل لحالهم بحال من ينفخ في نور الشمس
بفيه ليطفئه ويجوز ان يكون المراد من نور الله القرآن والاسلام والحجج الدالة على
حقيته ويكون المراد بالنفخ بافواههم اقوالهم التي لا صحة لها فانها لا تمضي ولا تقع الا في افواههم
الى ... السامع وعلى هذا يكون الاطفاء ترشيحاً للاستعارة النورية **ويابى الله الا ان يتم**
نوره باعلاء كلمة التوحيد واعلاء الاستثناء المفرغ من الكلام الموجب لانه
في معنى يابى الله ... كيف قابل قوله يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ... يابى الله الا ان يتم نوره **ولو كره الكافرون** حذف جواب لو لدلالة
ما قبله عليه اي ولو كره الكافرون اتمام نور الله ابى الا اتمامه **هو الذي ارسل**
رسوله اي محمد عليه السلام **بالهدى** بالقرآن كما في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين **ودين الحق** اي الاسلام **ليظهره** اي دين الحق او الرسول **على الدين كله**
كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر قوله **ولو كره المشركون** وضع
المشركين موضع الكافرين للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله تعالى فكلمة
الدين للجنس في الظهور على الجنس انما يكون بالظهور على جميع افراده وجميع افراده
... عليه السلام انما هو ... لا ... تظهر على الدين انما يكون ...
... الرسول عليه السلام يكون المراد ظهوره عليه
السلام على اهل ... **يا ايها الذين آمنوا** المراد بهذا
... في ... عن تلك ... ذكر الله تعالى

ثم اتخذ الأحبار ورهبانهم أربابا من دون الله ذكرنا ما هو عليه كثير منهم تنقيصا في
شأنهم وتحقيرا لهم وأن مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم أربابا إن كثيرا من
الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى وبالتخفيف في الشرائع
وإطلاق الأكل على أخذ المال مجازا لأنه معظم الغرض منه أو لكونه سببا للأكل ويصدون
صد يستعمل لازما ومتعديا وكذا المعنى يصدون أو يمنعون غيرهم عن سبيل الله أي عن دين الإسلام
وشريعة محمد عليه السلام أو يصدون عن نعته في كتبهم لأجل الباطل أي لا تغتروا في كثير
من الأحبار والرهبان لصلاحهم ولا تغتروا بظاهر زيهم ونسكهم فإن ذلك كله مصايد للطمع
واستجلاب الرياسة ومكائد للصد عن سبيل الله والجر إلى الضلال ولذا قال عبد الله بن المبارك
وهل أفسد الناس إلا الملوك ● وأحبار سوء ورهبانها والذين يكنزون الذهب والفضة
أي يجمعونها ويحفظونها في الأوعية [illegible] لم يحل تكنز أي يجتمع اللحم وليس من شرط
الكنز الدفن ولكن كنز في حفظ المال [illegible] اسم الكنز في القرآن وأما خص الذكر
بهما لأن الفقر [illegible] إليهما [illegible] للناس كثيرا ولا يجوز زكاتهما
ومنع الناس [illegible] أنهم [illegible] ولذلك دخلت
الفاء في خبره في قوله فبشرهم بعذاب أليم [illegible] والذين معطوفا على الصفة في
[illegible] مقاما [illegible] أن يكون محل الموصول منصوبا عطفا على
اسم إن في قوله إن كثيرا وهو إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع
خصلتين مذمومتين فيهم أخذ الرشا وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير وأورد
عليه أنه لو أريد أهل الكتاب خاصة [illegible] وإلى الذين فقد
[illegible] معنى آخر بأنه عطف جملة على جملة وأما تسويته المسلمين الكانزين غير المنفقين
بالمرتشين من أهل الكتاب فإنه من بينهم في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم تغليظا ودينا
عن الكنز وحثا على الإنفاق ويدل على هذا أنه لما كبر على المسلمين ذكر عمر رضي الله
عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم
فعلم أن المراد بهذا الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة وقوله عليه السلام ما أدي زكاته فليس
بكنز وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا ومعناه ليس بكنز
أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله تعالى أن ينفق فيه وأما
[illegible] ولا ينفقونها في سبيل الله والضمير للفضة وخصها لأنها أكثر في عرف بيعها
على الدلالة [illegible] التذكير [illegible] الذهب وعلى هذه

الطريقة مسلك في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا أيضا ولما
قوله عليه السلام من ترك صفرا أو بيضاء كوي بها أو نحوها فالمراد منها ما لم يؤد حقها
لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب أليم
هو الكي بها يوم يحمى عليها الحمل يحمى لنا ر عليها أي توقد ذات النار حمى شديد من
قوله نار حامية فخففنا لنا ر لقوله في نار جهنم وأسند الفعل إلى الجار والمجرور
فلزم تذكيره كما يقال رفعت القصة إلى فلان فإذا لم تذكر قيل رفع إلى فلان وفي جعل الإحماء
للنار بعد إبهامه بإسناد الفعل إلى الظرف ثم التفصيل وجعل نار جهنم مكانا للإحماء من المبالغة
ما ليس في قولك تحمى النار وأما الاكتفاء بضمير الفضة فقد تقدم وجهه فتكوى بها الكي
الصاق الشيء الحار بما تحصيه بالعضو جباههم وجنوبهم وظهورهم إنما خصصت
هذه المواضع بالكي لأنه في الجبهة أشنع وفي الجنب والظهر أوجع لوصول الحر إلى الجوف
بخلاف اليد والرجل وقيل لأن الغني البخيل المانع للزكاة إذا رأى الفقير انقبض وجهه وإذا اجتمعا
في المجلس [illegible] جنبه وإذا أمله قيام ولاه ظهره هذا ما كنزتم
على إرادة القول أي لا نفسكم توبيخ لهم وتهكم بهم أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ بها
فكانت عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون أي وبال ما كنزتم
أو ما تكنزونه إن عدة الشهور مبلغ عددها عند الله ظرف عدة لأنها مصدر اثنا عشر
شهرا هي أشهر السنة شمسية كانت أو قمرية وكذلك إلا أن المراد هنا الشهور القمرية
في كتاب الله في اللوح المحفوظ أو فيما أثبته وأوجبه في حكمه صفة لاثني عشر أي مثبتة
فيه وقوله يوم خلق السموات والأرض أي أمر ثابت من قبل الأمر منذ خلق الله تعالى الأجرام
والأزمنة متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا منها أربعة حرم
واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك أي
تحريم الأشهر الأربعة الدين القيم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكانت
العرب ورثوا منهما فلا تظلموا فيهن أنفسكم [illegible] ذا القعدة عكسه بالإشارة
تقول العرب [illegible] لأنه جمع كثرة والاجتماع [illegible] لأنه جمع قلة أنفسكم
بهتك حرمتها وعن عطاء ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا
وما نسخ والجمهور على أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهن فإنه أعظم وزرا كان تكاليفها في الحرم وحالة الإحرام واحتجوا بما روي أنه عليه

الثلاث لاشتغاله بهوازن بحنين وحاصر الطائف في شوال وبقي في القعدة وفيه نظر لأن غزاة هوازن
بحنين كان في شوال ولا يبعد فيه معاً ما محاصرة الطائف فقيل إنه عليه السلام حاصرهم بقية
الشهر المذكور فلما دخل ذو القعدة انصرف عنه وأتى الجعرانة فأحرم منها للعمرة **وقاتلوا**
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعاً من الكف بمعنى المنع كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد
باجتماعهم فوقع موقع الحال **واعلموا** أي كونوا على ثقة ويقين **أن الله مع المتقين** بنصره
لهم فقيدا بالنصر وبيان أن تقواهم سبب لنصرهم **إنما النسيء** مصدر نسأه إذا أخره
أي تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء شهر حرام
وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد
وذلك قوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله وربما زادوا في عدة الشهور فيجعلونها
ثلاثة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً أي
من غير زيادة زادوها **زيادة في الكفر** لأنهم أحلوا ما حرمه الله وحرموا ما أحله
فازدادوا كفراً على كفرهم **يضل به الذين كفروا** ضلالاً زائداً **يحلونه عاماً** الشهر المنسوء
الدال عليه النسيء **ويحرمونه عاماً** أي إذا أحلوا منها شهراً حرموا مكانه في العام
القابل والجملتان تفسير للضلال أو في موقع الحال **ليواطئوا عدة ما حرم الله** أي
ليوافقوا عدة الأربعة واللام متعلقة بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين **فيحلوا**
ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة وقت **زين لهم سوء أعمالهم** خذلهم
الله وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً **والله لا يهدي** على طريقة [illegible] وما لا
يترتب عليه آثاره بمنزلة العدم **القوم الكافرين** من باب ووضع الظاهر موضع الضمير
للدلالة على أن كفرهم مانع من حصول الهداية وترتبها لا نزول **يا أيها الذين آمنوا ما لكم**
هو حرف استفهام جيء به للتوبيخ **إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله** النفر التنقل في سبيل
الله بسرعة من مكان إلى مكان لأمر يحدث وسبيل الله طريق طلب رضا الله تعالى **اثاقلتم**
إلى الأرض تباطأتم وتقاعدتم وقرئ تثاقلتم على الأصل وقرئ أثاقلتم على الاستفهام
ومعناه الإنكار والتوبيخ ولما تضمن معنى الميل والإخلاد عدي بإلى أي ملتم إلى الدنيا ولذاتها
أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وكرهتم مشاق السفر والجهاد وهو العامل في إذا
إذا لم يستفهم به وإذا استفهم به منع الاستفهام عمله فيما قبله فالعامل حينئذ ما دل
عليه أو معنى الفعل في ما لكم كما يعمل في الحال إذا قيل ما لك قائماً كأنه قيل ما تصنعون
وما ذكر عبارة عن تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الغزو واختيارهم سكنى

ديارهم زمن الحر خلفهم وقطع الأثمار وكان ذلك في غزوة تبوك سنة تسع بعد رجوعهم من
الطائف في وقت عسرة وقحط وبعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم **أرضيتم بالحياة**
الدنيا وغرورها **من الآخرة** بدل الآخرة ونعيمها **فما متاع الحياة الدنيا** فما
التمتع بها **في الآخرة** في جنب الآخرة **إلا قليل** مستحقر **إلا تنفروا** أي إن لا تنفروا إلى
ما استنفرتم إليه **يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم** أطوعهم بحظ عظيم
على تلك التغرير لشأن قد يخشى أو عدهم عليه بعذاب مطلق متناول لعذاب الدنيا والآخرة
وتكرير وصفه بالإيلام لأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوماً خيراً منهم وأطوع كأهل اليمن وأبناء
فارس **ولا تضروه شيئاً** أي أنه غني عنهم في نصرة دينه وفي كل أمر لا يقدح تثاقلهم فيها شيئاً
وقيل الضمير للرسول عليه السلام أي ولا تضروه لأن الله تعالى وعده بالعصمة والنصرة
ووعده حق **والله على كل شيء قدير** فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة
كما قال **إلا تنصروه فقد نصره الله** أي إن لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم
يكن معه إلا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله في الماضي على أنه ينصره في المستقبل كما نصره
في ذلك الوقت وإقامة مقامه أو فقد أوجب الله له النصرة وأوجبه على نفسه حين نصره في ذلك
الوقت فلم يكن ليخذله في غيره **إذ أخرجه الذين كفروا** إسناداً مجازياً لأن همهم
الكفرة بإخراجه أو قتله سبب لإذن الله تعالى بالخروج فكأنهم أخرجوه **ثاني اثنين**
نصب على الحال أي معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ولا يخفى ما في التعبير
المذكور من التعظيم للصديق رضي الله عنه إذ المعنى أحد اثنين ولعل الإيثار لما ذكر لإشعار
بأنه عليه السلام كان ثانياً له في دخولهما الغار وقد كان كذلك **إذ هما** بدل من إذ أخرجه
بدل البعض إذ المراد به زمان متسع **في الغار** وهو نقب عظيم في الجبل
في جبل مكة يقال له ثور مكثا فيه ثلاثاً إذ دخل في [illegible] **إذ يقول** بدل ثان أو ظرف لثاني
لصاحبه وهو أبو بكر رضي الله عنه **لا تحزن** الحزن الغم الذي يغلظ على النفس ومنه
الحزن للأرض الغليظة **إن الله معنا** بالحفظ والعون **فأنزل الله سكينته** أمنته التي
تسكن عندها القلوب [illegible] وضع الكلام على أن توكله عليه السلام
على الله كان سبباً للنزول المذكور **عليه** أي على أبي بكر رضي الله عنه فكأنه هو الخائف المحتاج
إلى الأمن فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان آمناً ساكناً [illegible] **وأيده بجنود**
لم تروها عطف على قوله فقد نصره الله والمراد من الجنود الملائكة عليهم السلام الذين
أنهم كانوا في حرب بدر وحنين **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** أي دعوتهم إلى الكفر **السفلى**

وكلمة الله أي دعوته إلى الإسلام هي العليا وتغيير الأسلوب للدلالة على
الأولوية في التغيير والتبديل بخلاف الثانية فإنها المستمرة الثابتة وقرئ كلمة الله بالنصب
عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه على وفق ما قدمناه من الإشعار بأن كلمة الله تعالى
عالية في نفسها فاقت غيرها فلا ثبات للتفرقة ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل
والله عزيز في انتقامه حكيم في تدبيره وأحكامه انفروا خفافا وثقالا أي الخف
والثقل سنا والذي يمكنه الشخوص بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وما ذكر في تفسيرهما من
المعاني فلا وجه لتخصيصهما ببعضها دون بعض إذ الزيادة بل هي معاني متفقة والحق أنهم
أمروا بالخفة وبالثقل الأموال إنما هي على وجه المثال للثقل والخفة وجاهدوا بأموالكم
وأنفسكم في سبيل الله ذكر لكل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى وقدمت الأموال
في الذكر لأنها أول مصروف وقت التجهيز ما في تفسيره ذلكم خير لكم من
الجهاد بالجهتين وممن قال ومن تركه فلم يصب إن كنتم تعلمون الخير علمتم أنه خير لو كان
عرضا العرض خلاف العدم وقد عبر به عن الغنيمة لأنه إنما لا يبقيها التي لو كان ما دعوا
إليه غنما قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا بين قصدا لأنه مما يقصد لاتبعوك
فيما قصدنا له ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وهي القطعة
من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها وسيحلفون بالله أي المتخلفون عند رجوعك
من غزوة تبوك معتذرين لو استطعنا لو كان لنا استطاعة الخروج من جهة البدن أو
والشرطية محكية على أن الحلف بمعنى القول فلا حاجة إلى تقدير لأن التعدية باعتبار
المضي من خارج ... باعتبار ... الطريق الأولى لخرجنا معكم ساد
مسد جوابي القسم والشرط وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله
اشتروا الضلالة يهلكون أنفسهم بدل من يحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس
في العذاب أو حال ... مهلكين ... لاخبارهم بما سيقع قبل وقوعه وقد كان من المعجزات والله يعلم
إنهم لكاذبون في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك الإخبار عن
العفو مقصود بالإفادة فلا يكون كناية عن الخطأ ... بزجرهم ... الخطاب بطريق
الاقتصار ... لطيفة المعاتبة ولو لم يصح باب المخاطبة بالعفو لما كان عليه السلام يتحمل
من الله تعالى في لم أذنت لهم ولا يخفى ما في تقديم العفو على ما ذكر ما ... العتاب من تعظيم
عليه السلام والتنبيه على لطف مكانه ومن لم ينتبه لذلك قال إنه كناية عن الجناية ومعناه
أخطأت وبئس ما فعلت ثم إنه لا ريب بأن الإذن المذكور من قبيل الخطأ في الاجتهاد وهو منقبة

الثواب لا العقاب والله تعالى أعلم بالصواب والإذن رفع التبعة في الفعل حتى يتبين
لك الذين صدقوا في الاعتذار متعلق بما تقدم باعتبار المفهوم لا باعتبار المنطوق
فإنه استفهام إنكاري في معنى هلا توقفت في حاصل المعنى إذ نبه على لغو ترجع الإنكار
إلى كيفية الإذن لا إلى نفسه وتعلم الكاذبين فيه قيل إنما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذ الفداء وإذنه للمنافقين فعاتبه الله تعالى
عليهما وقد كان هذا الفعل ما ... وهو يجري عليه السلام ما أحل الله تعالى
ابتغاء مرضاة أزواجه ثم إن العتاب ليس على الإذن لما عرفت أنه بالاجتهاد والخطأ فيه
لا يتعلق به العتاب بل على عدم التوقف إلى نزول الوحي في بيان ما هم عليه ما نبهت
عليه آنفا لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فضلا أن يستأذنوك في التخلف
عنه وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجهاد فلنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا أو كراهة أن يجاهدوا والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه إنما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر تخصيص الإيمان بالله واليوم الآخر بالذكر في الموضعين إشعار
بأنهما الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال لله تعالى هو الإيمان بهما والرادع عنه عدمه
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو أرادوا الخروج أي معك إلى الغزو
لأعدوا له أي للخروج عدة العدة ما يعد للأمر ويهيأ له وقرئ عده بكسر العين ...
جاعة من الآلات ولكن كره الله انبعاثهم انطلاقهم للخروج استدراك عن مفهوم
قوله ولو أرادوا الخروج لأن معناه نفي إرادة الخروج كأنه قيل ما أرادوا الخروج
ولكن بل العلة التي ... المعنى ولكن ... استطاعة لأن الله تعالى كره انبعاثهم فهذا
ما قيل في توجيه ما ذكر وفيه ... لكن ... من جهة المعنى فالوجه أن يكون ذلك
من قبيل ... الكلام ... كقوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان
علما وقالا الحمد لله الآية وذلك أنه لما ... إن عدم خروجهم للغزو لعدم
تنبههم ... قيل ... ليس هذا
من تقصيرك في تنبيههم للخروج ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم فكسلهم وثبطهم عن
الخروج بالتخذيل فيه وقيل اقعدوا تمثيل لإلقاء الله تعالى في قلوبهم كراهة
الانبعاث أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود عنه أو حكاية قول بعضهم لبعض أو إذن الرسول

علينا السلام لهم وقوله مع القاعدين ذم لهم وإلحاق بالذين شأنهم القعود ولزوم
البيوت البيت لا يجري عنا لقبائح مصالح الغزو من النساء والصبيان والزمنى لو خرجوا
فيكم لم يبق معكم لأن أمرهم على تقدير خروجهم مختلطين معهم لا منفردين عنهم
ما زادوكم شيئا إلا خبالا الخبال الفساد في الأشياء المؤتلفة الملتحمة والزيادة لما كانت
باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء لم يلزم أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا فيهم
زادوه ولأوضعوا خلالكم الإيضاع تسييج المركوب على الإسراع أي لسعوا بينكم
بالنميمة والإفساد لقطات البين وهو مجاز تبعي لما تقرر في السعي بالنمائم أدنى الراكب أسرع
من الماشي ... مستعمل في التعميم متزايدة إلى القدر بقيد بل تابع كلما شاء
من المراكب كأنه قيل لأوضعوا كلما وجد من الركاب يبغونكم الفتنة حال من ضمير
أوضعوا أي يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم وإلقاء الرعب في قلوبكم وفيكم
سماعون لهم أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو ضعفة يسمعون قولهم
يسمعون ما يأمرونهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتون منهم وعيد لهم
عن باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم وإيجاب الظالم الوعيد لقد ابتغوا
الفتنة بالسعي في تشتيت أمرك وتفريق أصحابك من قبل يعني يوم أحد حين انصرف
عبد الله بن أبي بمن معه وقلبوا لك الأمور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء
في إبطال أمرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الإلهي وظهر أمر الله علا دينه وهم كارهون
أي على رغم منهم وشرعه على رغم منهم والآيات لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين على
تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لأجله وكره انبعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم
وإزاحة اعتذارهم تدارك لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة إلى الإذن
ومنهم من يقول ائذن لي أي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي
المعصية والإثم بأن لا تأذن لي فيتخلف بغير إذنك أو لا يكفي الخروج معك
فلا بد لي من التخلف أذنت أو لم تأذن أو لا تلقني في الهلكة فإني إن خرجت معك هلك
ما لي وعيالي إذ لا كافل لهم أو لا تفتني ببنات الأصفر إذ روي أن الجد بن قيس قال قد علمت
الأنصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر يعني الروم ولكني أعينك بمالي فاتركني
ألا في الفتنة سقطوا تقديم الظرف يدل على التنبيه أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وتخصيص
له أي ما الفتنة إلا التي سقطوا فيها وهي التخلف أو ما احترزوا عنه وهلا سقطوا إلا فيها
زعموا أنهم محترزون عنه وفي سياقه سقطوا إشارة إلى أنهم وقعوا فيها وقعوا فيه وتخلفوا

وعلامة تدارك وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم من باب وضع الظاهر موضع
الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والإشارة إلى سبب الإحاطة بهم والمراد إحاطة أسبابها
بهم فوضع المسبب موضع السبب إشعارا بالشدة إيجابا بحاله كقوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم
نارا إن تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وإن تصبك
في بعضها مصيبة وطأتهم في القتل والأهل أو المال والواصل الضرب وهو الجري إلى الشيء
ومنه صوب الأثار وإلا أو الإصابة وقوع الشيء فيما قصد به والاتصال بإصابة الملتقى يقولوا
قد أخذنا أمرنا الذي نحن متسمون به من التيقظ والحذر والعمل بالحزم من قبل أي من قبل
ما وقع أي يتبجحون بانصرافهم واستحسنون رأيهم في التخلف ويتولوا عن مقام التحدث
إلى أهليهم وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فرحون مسرورون قل لن
يصيبنا إلا ما كتب الله لنا يعني في اللوح المحفوظ أمرا قصه الله إلى نبينا عليه السلام أنه
يرد على ما يصيبنا لتعلمهم أن الشيء الذي يقبلونه مصيبة ليس كما اعتقدوا بل الجميع
مما كتب الله تعالى للمؤمنين فإما أن يكون ظفرا أو سرورا في الدنيا وإما أن يكون ذخرا للآخرة
ويرشد إلى هذا قوله هو مولانا إلى الذي يتولى أمرنا لنا كيف ما سبق من الاختصاص ولما
قيل إنا لنعتقد إلا ما كتب الله في اللوح المحفوظ وتحقيقه العلم فلا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم
ولا يناسب المقام لأنه لا يصح ردا لهم ثم إنما ذكر على وفق ما قاله الحق وقرئ هل يصيبنا
بتشديد الياء وهو تفعيل من فيعل من حل لأنه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب وعلى الله
لا على غيره فليتوكل المؤمنون لأن حقهم أن لا يتوكلوا إلا عليه جمع بين الحرفين في عطف الجملة على
الجملة لتقدم الحلية للاختصاص كما أن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب والتوكل يعني
الأمر إلى الله تعالى والرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره قل هل تربصون بنا تتربص
لنا مما ينتظر مجيئه إلا إحدى الحسنيين إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة
منهما حسنى العواقب النصر والشهادة ونحن نتربص بكم إحدى السوأيين من العواقب
أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أي قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود أو بأيدينا
وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
قل أنفقوا طوعا أو كرها نصب على الحال أي طائعين أو كارهين لن يتقبل منكم أمر
في معنى الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحو المبالغة في تساوي
الأمرين في عدم القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فيتحققوا في الحالين ونظر وأهل تقبل
منهم وهو جواب قول الجد بن قيس وأعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أنه لا يقبل الرسول عليه السلام

ولا يأخذ منهم وان لم يتقبل الله تعالى منهم ولا يثيب عليها وكرها يحتمل الالزام لا الاكراه بخلاف
الثاني فانكرا هيهنا للمنفقين فاذ برح احدهما فالتحري انهم لا ينفقون الا كرها كما اخبر
عنهم في الاية التي بعدها وانما التطوع نوع على سبيل الفرض لما قاله الكره في علامة التسوية وان
يطيعوا من غير الزام واكراه وفي انفسهم كراهة **انكم كنتم قوما فاسقين** تعليل لرد انفاقهم
على سبيل الاستئناف والفسق هيهنا هو التمرد والعتو في الكفر فيحبط كل عمل وفيه تنفير
للمسلمين عن الفسق بما يعلم بيانا لعظم خبره **وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم** لا يخفى ما
في هذا التعبير من حسن التصوير لتصوير النفقة بصورة امر مرغوب مطلوب كانهم طالبوا تقبلها
فان كرام العرب يجولون على حب الانفاق ومنعهم اياها ما بهم من الكفر والنفاق **الا انهم**
كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم واعادة الجار للتنبيه
على ان كفرهم به عليه السلام اصالة لا تبعا لكفرهم بالله تعالى **ولا يأتون الصلوة الا**
وهم كسالى متثاقلين ذمهم على الكسل وصحة الايمان الذي يحمل في الصلوة مرغبا على النفاق
الذي يبعث على الكسل وفقد الايمان الذي يبعث على النشاط **ولا ينفقون الا وهم**
كارهون لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا **فلا تعجبك اموالهم**
الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه راغب فيه والتفريع على ما تقدم باعتبار ان
كون المال مرغوبا مؤديا الى كراهة الانفاق ايضا لانتهاء الكلام فيه ذمها **ولا اولادهم** اي لا
يسرك اموالهم ولا اولادهم مستحسنا اياهما متعجبا بهما فان ذلك استدراج لهم ووبال لهم كما قال
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اي بسبب ما يكابدون فيها من كلف
الجمع والحفظ وما يرونه من الشدائد والمصائب وآفات المبتغى الشتى وما كلفهم الله تعالى
من الانفاق في سبيل الخير على كراهتهم اياه ومفعول يريد محذوف تقديره يريد بما اعطاهم
من الاموال والاولاد **وتزهق انفسهم** الزهوق الخروج بصعوبة وقوله **وهم كافرون**
حال اي فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع بها عن النظر في العاقبة فما تفي بالنفاق بها وجحدها
متعذبين بفراقها لما قطع رجاءهم عن جميع منافع الاخرة يعني ان الاشياء التي يطلبونها من باب
منافع الدنيا جعلها الله تعالى اسبابا لتعذيبهم بها في الدنيا والاخرة **ويحلفون بالله**
عطف على مقدر تقديره يخافون ويحلفون **انهم لمنكم** لمن جملة المسلمين سبقوا بحلف
لنفعهم سبقا للفوز **وما هم منكم** لكفرهم الباطن **ولكنهم قوم يفرقون** اي يخافونكم على
انفسهم ان يظهروا الكفر في قلوبهم فلهذا يحلفون انهم منكم تقية وانما هم جنة والفرق
في الاصل انزعاج النفس بتوقع الضرر ولا يستعمل الا في الخوف الشديد **لو يجدون ملجأ** حصنا

يلجئون

يلجئون اليه **او مغارات** جمع مغارة من غار يغير وقال ابن عباس رضي الله عنهما المغار
الغيران والسراديب وهي المواضع التي يستتر فيها **او مدخلا** مفتعل من الدخول اي مسلكا
يندسون بالدخول فيه **لولوا** وجوههم **اليه** اي لاقبلوا نحوه والضمير لاحد الثلاثة
وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يرده شيء من جمح الفرس اذا لم يرده اللجام **ومنهم من**
يلمزك يعيبك قال الزجاج اللمز التعييب سرا والهمز التعييب جهرة **في**
الصدقات في قسمتها ويقولون بحسبها ليس التسوية كما يحق له المنتمي اليه **فان اعطوا منها**
رضوا ذكروه بالجميل **وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون** اذا للمفاجاة نائب مناب فاء الجزاء
وما احسن مجيء جواب هذين الشرطين لان الاول لا يلزمها ان يقارنه ولا ان يتعقبه بل قد
يجوز ان يتاخر عنه اذا سخط الجد وان جواب الشرط الثاني فانما جيء باذا الفجائية ليدل
على انه ان لم يعطوا فاجاهم سخطهم ولم يمكن تاخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشره في
تحصيلها **ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله** ذكر الله تعالى تمهيد للتنبيه على ان
اعطاءه عليه السلام بامره تعالى فهو المعطي في الحقيقة كما قال عليه السلام والله المعطي
وانا القاسم ومفعول رضوا محذوف اي رضوا ما اعطاهم الرسول عليه السلام وطابت به
انفسهم وان قل نصيبهم وليس المعنى رضوا عن الرسول عليه السلام لانهم منافقون ولان رضاهم
وسخطهم لم يكن الا لاجل الدنيا **وقالوا** عطف على رضوا في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره
لكان خيرا لهم **حسبنا الله** اي لكان كافينا ورازقنا من حيث يشاء فيعطينا كما اعطانا وان تاخر
سيؤتينا الله من صدقة ما تاخر وغنائم **من فضله** لان ما اتاه الله تفضل منه سواء كان
للعبد او بدل له **ورسوله** اي ويؤتينا رسوله عليه السلام بامره **انا الى الله** اي الى
رضائه تعالى **راغبون** لا نرغب الى زخارف الدنيا فتقديم الجار والمجرور للتخصيص
انما الصدقات للفقراء قصر جنس الصدقات المشتمل على الانواع المختلفة المراد بجميعه
الجمع على الاصناف المعدودة تصويبا لما فعله الرسول عليه السلام ودفعا لايراد المنافقين
وردا لمقالهم على الذين حسنها اطماعهم باثبات الاستحقاق لغيرهم لما ادعوه وانهم ليسوا منها في
شيء فما لهم وللتكلم فيها وفي قاسمها فلو ارادها استحقاقا لنبه الكلام في ما هو ذا بهم
وطعنهم بالتمرد ومنعاه الرسول عليه السلام والمؤمنين من فلتات لسانهم وهذا مرتبط
بين ذكر المنافقين وما بديهم ومعناه انما يلقيهم لا بعينهم وهو دليل على ان المراد قسمة
الزكاة لا في الغنائم والنص المذكور يفيد اختصاصها بالاصناف الثمانية وعدم تجاوزها الى
غيرهم لاتحاد بعض لها لهم وقسمتها على جميعهم فيحمل استيعابا بالجمع العرفي بعضهم فاجوز جنسه

اختيار الشافعي وعن عمر وابن عباس وحذيفة وكثير من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
جواز صرفها الى واحد منهم وانما فيما اختاره وجوب الصرف الى كل واحد منهم والتسوية بينهم
على قضية الاشتراك **والمساكين** المسكين من له مال او كسب لا يكفيه والفقير من ليس له
واحد منهما ولهذا قدمه وروي انه عليه السلام سال المسكنة وتعوذ من الفقر **والعاملين**
السعاة في جمع الصدقات وقبضها وانما قال **عليها** لتضمين معنى الولاية وكانه قيل القائمين
على جميع مصالحها وكل من يبعث معهم من عون فيستغني عنه فهو منهم لانه يشتغل للناس عليهم
والمؤلفة قلوبهم وهم كانوا اصنافا ثلاثة صنف كان النبي عليه السلام يتالفهم ليسلموا
وصنف يعطيهم لدفع شرهم وصنف كانوا اسلموا وفي اسلامهم ضعف فيزيد بعطيته لهم تقريرا على
السلام كل ذلك كان جهادا منه عليه السلام لاعلاء كلمة الله تعالى لان الجهاد تارة يكون بالسنان
وتارة بالبيان وتارة بالاحسان واختلف في انقطاع هذا الصنف بعزة الاسلام وظهوره **وفي
الرقاب** اي وللصرف في الرقاب بان يعان المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب
فيعتق وقيل بان يفدي الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق في الجهة
لا في الرقاب وللايذان بانهم احق بها واقوى استحقاقا لان في للظرفية فانهم مواضعها التي ينبغي
فيها لما فيها من الصلاح لا يعطيها لانقاذ من الرق والغرم والاسر وحفظ بيضة الاسلام وتخليص من
الاشراف على الهلاك **والغارمين** الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
ذات البين بتحمل الحمالات وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في
سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها **وفي سبيل الله** اي وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع
الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع واعادة اللام لانه من نوع اخر **وابن السبيل**
اخره عن سبيل الله تعالى مع انه من قبيل ما سبق رعاية للفواصل الكلام فان ابن السبيل يلتبس به ان
يذكر بعد السبيل والمراد منه المسافر المنقطع عن ماله وابن السبيل كالعلم فلذلك لم يجمع **فريضة
من الله** مصدر مؤكد لان معنى قوله تعالى انما الصدقات للفقراء فرض الله الصدقات لهم وقرئ
بين الفقير في قوله للفقراء وقرئ فريضة بالرفع اي تلك الفريضة **والله عليم** بمواضع الاستحقاق
حكيم يضع الاشياء مواضعها **ومنهم** اي ومن المنافقين **الذين يؤذون النبي** روي ان جماعة
منهم ذموه عليه السلام بما لا ينبغي فاشتغلوا بما لا ينبغي فقال بعضهم لا عليكم انما هو اذن
سامع نقول ما شئنا ثم ناتيه فنعتذر فيقبل منا اعتذارنا فيرضى وهذا ذكره
بقوله **ويقولون هو اذن** لانه من اذنا قيل لمن سمع كل ما قيل يصدق بحكم فانما الاذن الذي

هو جارحة السماع كذلك اي ليس فيه من الاستماع تمييز الحق من الباطل وان ذلك ذمه
عليه السلام فانما ذكره من قبيل التشبيه والغرض المبالغة في الذم وانما اطلق العين على الجاسوس
من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل كاطلاق العدل على العادل والمرحمة المبالغة في المدح فان من هذا
من ذلك انه كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الى كلام كل من يحدثه بحسن كرمه وحسن خلقه ويقطن
ان ليس انه لسلامة قلبه وغفلته وهذا احسن من قال غاية الجهل لما هو الا بغاية كرمه
وسلامة حسن همته عليه السلام ما قالوه من غير تكذيب للمنافق حيث بينهم **قل اذن خير لكم**
اضاف الاذن الى الخير اي لا تصدقون لان رجل اصدق يريد ويعينه بالخير والصلاح كانه يستطيع
منه ولا يبين لا يسمعونه ما فيه ضرر ويخص به ذلك المعنى الذي اراد الوصف بالخير كانه قيل نعم هو اذن
ولكن نعم الاذن او اذن في الخير فيما يجب سماعه وقبوله لا في كل شيء على الوجه الذي ذكروه
به والدليل عليه قراءة ورحمة بالجر اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن
خير لكم برفعهما منونين على ان خيرا صفة له او خبر ثان اي كلاهما خبر لمبتدأ محذوف اي هو اذن
هو خير لكم وعلى هذه القراءة معناه اذن كما تقولون الا انه خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا
يكافيكم على سوء ظنكم ثم فسر بقوله **يؤمن بالله** اي يصدق به لما قام عنده من الادلة **ويؤمن
للمؤمنين** يصدقهم لما يعلم من خلوصهم واللام مزيدة للتعدية للاختلاف في المعنى **ورحمة** اي هو
رحمة ارسله الله في نجاتهم وضلالتهم ... **للذين امنوا** اي اظهروا الايمان
منكم حيث يقبله ولا يكشف سرهم وفيه تنبيه على انه عليه السلام ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم
بل يقبل رفقا بهم وترحما عليهم وقرئ ورحمة بالنصب تعليلا لما تقدم من جهة المعنى فان اذن
خير لكم في معنى يؤذن لكم رحمة **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم** اي الذين يؤذون ذكر
رسول الله تعظيم وفائدة الاخبار بان الذي هذا شأنه يوجب استحقاقهم العذاب الاليم **يحلفون
بالله لكم** الخطاب للمؤمنين **ليرضوكم** اي يحلفون على معاذيرهم عند الاعتذار للتخلف في
التخلف عن الجهاد او التكلم فيما الطاعن وكلاميا يعتذرون ويرضوا عنهم **والله ورسوله
احق ان يرضوه** ذكر الله تمهيد لتعظيم الرسول عليه السلام وبيانا لان ارضاءه ارضاء
الله تعالى اي ورسول الله احق بالارضاء بالطاعة والموافقة **ان كانوا مؤمنين** كما يزعمون
لان الايمان يقتضي ابتغاء رضاء الله تعالى ولا يحفظ من سورة **الم يعلموا** استفهام يعني
التوبيخ **انه** اي الشان **من يحادد الله ورسوله** المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق لان لكل من المتخاصمين حدا وشقا وذكر الله تعالى هاهنا ايضا تمهيدا **فان له نار جهنم
خالدا فيها** على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا

على أنه ويكون الجواب محذوفاً تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك فيكون فأن له
نار جهنم في موضع نصب وهذا الذي قرره لا يصح لأنهم نصوا على أنه إذا استغنى الجواب لدلالة
الكلام عليه كان فعل الشرط ماضياً في اللفظ أو مضارعاً مجزوماً بلم فمن كلامهم أنت ظالم
إن فعلت ولا يجوز أن تفعل وههنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضياً في اللفظ ولا
مضارعاً مقروناً بلم وذلك إن جاء في كلامهم مخصوص بالضرورة وأيضاً فتجد الكلام تاماً
بدون تقدير هذا الجواب ذلك الهلاك الدائم الخزي العظيم الخزي الهوان بما يستحيى
من مثله يحذر المنافقون خبر عن حذرهم وقيل هو بمعنى الأمر أي ليحذر المنافقون
أن تنزل عليهم على المنافقين وإن لم تنزل إليهم لأنها كالنازل عليهم من حيث أنه مقرو ومحتج به
عليهم سورة تنبئهم تخبرهم بما في قلوبهم لكن ذلك الإخبار للإعلام المخبر به بل إعلام
أنه لا يخفى على الله تعالى ولا يخفيه عن رسوله عليه السلام ووجه هتك أستارهم وإظهار
أسرارهم للمؤمنين ولا يخفى ما في هذا المعنى من شدة الانتباه من إجراء الكلام واعتبار
لطيف يناسب المقام بل التمام لا يتبينا والضمائر على ما ذكر على تقدير الشرط ظاهر وأما
على تقدير الخبر فتعين الكثرة ما كان يطلع الله تعالى رسوله عليه السلام كانوا يحذرون
ذلك ويخشبا طويتهم تبدع كفرهم كانوا يؤذونه عليه السلام ويستهزؤن به وذلك قوله
تعالى قل استهزؤا صيغته أمر وهو للتهديد وكذلك إن الله مخرج مبين مكون الخيالي
ما تحذرون أي ما تحذرونه من نزول السورة وإظهار أسراركم وهتك أستاركم أو من
إظهار مساويكم ولئن سألتهم ليقولن روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام
وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه عليه السلام فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا
فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر فنزلت فما ذكرنا سؤال لهذا الجواب كأن سمع بعضهم إلا أنه أسند إلى الكل
لأنهم في المعنى إنما كنا نخوض ونلعب الخوض في الأصل الدخول في الماء ثم استعمل فيما كان
ما يتعاطونه من الباطل ثم كان وكثر حتى صار في كل باطل وفيه أذى وتوبيخ قل أبالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخ على الاستهزاء بمن لا يجب تعظيمه
ولا يصح الاستهزاء به لأن إيلاء المستهزأ به حرف الاستفهام إنما يصح بعد وقوع الاستهزاء أقل بعضاً
باعتقادهم العلم بكذبهم في ذلك وذكر الله تمهيد لتعظيم بأنه والتنبيه على استهزائهم راجع إلى
ذكر الله تعالى لا تعتذروا أي لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب لا ينفعكم بعد ظهوره

أسراركم قد كفرتم باستهزائكم بالنبي بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة
منكم لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عما كانوا يفعلونه من الإيذاء والاستهزاء نعذب
طائفة بأنهم كانوا مجرمين بكونهم مجرمين مصرين على النفاق وما كانوا عليه المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض أي متجانسون وكأبعاض الشيء الواحد مما يل الجنس المؤمنين
تعريض بأنهم ليسوا من المؤمنين وتكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما
هم منكم وما بعده كالدليل عليه بياناً لما ذكر لمخالفة حالهم حال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر
بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعة ويقبضون أيديهم فقبض اليد
عبارة عن الشح أي يمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله نسوا الله فنسيهم النسيان في
الأول كناية عن الترك والمراد تركوا طاعته وفي الثاني مجاز مرسل على الكناية وقيل تركهم من
رحمتهم وإنما عبر بالنسيان عن الترك لأن النسيان يلزمه الترك فهو للترك الذي يعقبه
به النسيان إن المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والخروج عن دائرة الخير
وإلباس المنافقين بالفسق وجعل غاية في التمرد والفسق الذي هو وقع لا عقل بينهم وبين المسلمين
تنفير للمسلمين عنه وعد الله المنافقين والمنافقات التفصيل بين الجنسين لتمام الاهتمام
بشأنهم لأن الكلام في ذمهم والكفار أي المجاهرين بالكفر هنا للمقابلة وهي لا تخلو عن نوع
الدلالة إلى أنهم جنس آخر نار جهنم خالدين فيها حال مقدرة متعلقة به كناية عن
العذاب وقيل يعذبهم الله بنار جهنم خالدين فيها هي حسبهم إشارة إلى عظم عذابها
وأنه لا مزيد عليه أي حسبهم عقاباً وجزاء ولا مزيد منه ولعنهم الله طردهم وأهانهم
مع التعذيب وقرنهم بالشياطين الملاعين في التبعيد وحقيقة بيان تعذيبهم الروحاني ولهم
عذاب أي ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار كالذين
أي أنتم مثل الذين من قبلكم أو فعلتم مثل الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر
منكم بطشاً وأكثر أموالاً وأولاداً أي لما كانوا أشد منكم قوة ولقد تعالى كنتم في سوء المعاملة
مثلهم وفي النعم والتمتع دونهم فأبو شكراه يصيبكم من العقوبة مثل ما أصابهم وفيه إشارة
بيان للتشبيه بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد وهم فإنهم فاستمتعوا بخلاقهم الخلاق
النصيب من الخلاق بمعنى التقدير وهو ما خلق للإنسان أي قدر له من خير كما سمي نصيباً لأنه
نصب له والنبت وتقديره على التشبيه المذكور بقوله فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم تمهيد لذمهم بذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا واشتغا
لهم بلذاتها الفانية عن التفكر في أمر الآخرة والنظر في العاقبة وطلب الفلاح

وتحصيل اللذات الباقية ليقص توبيخا لهم وسماجة فعلهم في انفسهم ثم يسقطوا او يعطل
لقبح ما هم فيه بتشبيههم واقتفاء آثارهم والاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة
من الماكل والمشارب والمناكح وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذي
خاضوا الذي انما يقص تعبيره عن الواحد والجمع اولئك الذين رضوا بما اخترناه بما هم
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الآخرة فلانه لا ثواب لهم وانهم
من العذاب واما في الدنيا فلانهم قصدوا فيه بلاك نزهيتها لاسالا يعود لهم اهله وخلوا انفسهم
وابطل الله تعالى كيدهم وخيب املهم واولئك هم الخاسرون ذهبت اموالهم فيما امرهم ولم
ينفعهم فلو ذهبت فيما لا يبصرهم ولا ينفعهم كان اهون فكيف وقد ذهبت فيما يضرهم ولا
ينفعهم اشارة الى الاولين المتعين ليعلم المشبهون بهم ان اسماءهم مثلهم سبب لحبط
اعمالهم في الدنيا والآخرة وخسرانهم مطلقا فيرتدعوا الم ياتهم نبأ الذين من
قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير اي قد اتاهم الخبر الذي له شان قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض
وكذا اصحابه واصحاب مدين اهلكوا بالرجفة ما صرح في سورة الاعراف والذين اهلكوا
بالنار يوم الظلة هم اصحاب الايكة من قوم شعيب عليه السلام ولم يتعرض لهم واصحاب شعيب لذكرهم
منهم اسوة الدولة لسلام كما مر هذا اعدل فيما سبق من قوم هود وقوم صالح عليهما السلام الخ
والمؤتفكات الا يتعالا على الاخبار والمراد كل ما هل التي من بلاد بين الشمس كان ففعل الانقلب
عليها الدنيا فيدخل فيهم خسوا اوليا قوم لوط ولو اريد بها قومه عليه السلام خاصة كان
حقها ان يذكر قبل اصحاب مدين اتتهم رسلهم بالبينات القمية الى ما تقدم ذكره من
الامم فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشبه الظلم فيما بين هذا مما نعده
صدق بادوات التنويع وهو كما يكون باعتبار الوجود يكون باعتبار الظهور ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بايقاعها فيما يوجب العقوبة وتقديما لمفعول ليفيد التخصيص ۞
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ذكر في مقابلة المنافقين والمنافقات
والمراد المخلصون والمخلصات وفي العبارة المذكورة اشارة الى التحقق الايمان بالاخلاص
وان المنافقين ليسوا من جنس المؤمنين والمتقين الا كونهم وان تهم من الدال على الدين ويد
ويتعاونون حيانا الرجل يخرج الى الجهاد وما من سلمهم اسبابه فيخرج النساء الى الحال
ايضا فيداوين الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الماء وغيره لك بين الهمات
واختيار كلمة التبعيض لبيان الارتباط فيما بينهم وقت تعاقبهم الى الكرى التعاقد فيما

عبارة الولاية هنا للاشارة الى انحا الاخرة لانما يبتلونها في المصالح الدنيوية كان
مماداة في المصالح الدنيوية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر النهي في المؤمنين
لجنس ويقيمون الصلوة فهم يذكرون الله تعالى ويؤتون الزكوة فلا يقبضون ايديهم
والتعريض انما هنا للعهد ولو حمل على الجنس نظرا الى ان المدح بالتوافل ابلغ او من يقيم النافلة
احرى باقامة الفرض لكان له وجه ويطيعون الله ورسوله في الاوامر والنواهي اولئك
سيرحمهم الله السين مؤكدة للوعد مفيدة لوقوع الرحمة لا محالة هنا بحسب حال النظ
والذي هو بحسب حقيقته انها مما خلاف في الوعد مثلة لتكون اللقوس يتنعم يرجابه ويفعله
تعالى نعيم الاخبار ان الله عزيز اي قوي غالب على ما يعاد على امر اعتابه واعزازيا
بجميع الوجوه حكيم يضع الاشياء مواضعها فيفضل النية بالمنافقين والكفار الرحمة بالعمل
على حسب استحقاقها ثم استخدموا بكلا الامرين ويومن تمة وعيد المنافقين على وجه التفصيل
وعد المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات فيه اتفقا من التنقيص الى الاشارة الى
التصريح اتيانا بالامر البنات جنات اي المتكرر والعرائف بها تجري من تحتها الانهار
ما كان الموعود بحراهم فيها اصح انكون قوله خالدين فيها حال الاسف بالاقامة ومساكن
طيبة يستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر في جنات عدن مقام وخلد لما روى ابو الدرداء رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء وهذا لا ينافي تعميم الوعد لسائر المؤمنين
فان الموعود لهم الدخول من الخانات كما قال ابن مسعود رضي الله عنه عدن هي بطنان
الجنة وسرتها ولا يجوز ان يراد به معناه اللغوي وهو الاقامة والخلود لما فيه من
التكرار في اعتبار وصفوا الوعد على انه اولا بالرحمة المطلقة اجمالا ثم فصلها ونشرها
تاهو في الاعمال كنا المنجز ونحوها بجنات تجري من تحتها الانهار وذكرها بالتعظيم لجلالها
جنا عينهم او كلما ابتغى عظامهم ثم زاد عليها ونعمهم المنغص الا يعيش وهو زوال تلك النعمة
ثم وصفها بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عنها اماكن
الدنيا وفيها زيادة في قوله في جنات عدن فلا تقع وهم انفكاك تلك الاماكن عنها ورجعوا عن الجنة
ويكون تكون المرء يبقى فيها قبل الدخول في الجنة ثم وعدهم بما اكبر مما تقدم ذكره فقال
ورضوان من الله اكبر افرده بالذكر وتنوينه تعظيما في شانه اي وشيء من رضوان الله
تعالى اكبر من ذلك كله لان رضاه تعالى سبب كل فوز وسعادة وموجب كل قرب وكرامة

روي ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك
قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى جميع ما وعدهم وقيل الى
الرضوان خاصة للتعظيم وفيه اخراج ما عدا الرضوان المذكور عن حد الفوز العظيم وياباه
ما يأتي من قوله تعالى اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
فانه صريح في دخوله في حد الفوز المذكور هو الفوز العظيم لا ما يعده الناس في الدنيا فوزا
لانه بين حقير وبتغيره دونه وينغص بشائبة زوالها فيه يا ايها النبي جاهد الكفار بالحجاهدة بالسيف
والسبي والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود وتقديم الكفار لان جهاد من اهم والمهم
لكونه بالسنان او لانه لسابقته ما يناسبها بالمنافقين بالثاني فقط واغلظ عليهم في الجهادين
ولا تعط الشفقة عليهم لانه كل شيء من التعنيف والقصر ومأواهم جهنم عطفه بالواو ولا الرتي
ان المذكور بعض ما استحقوا من العقوبة ثم عطف عليه ما ذكر ولا يخفى ما فيه من التهويل
وبئس المصير هو يحلفون بالله ما قالوا روي انه اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول
محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله
ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر هي كل لفظة ترجع
الى الطعن في الدين او في الرسول صلى الله عليه وسلم وكفروا بعد اسلامهم اي
اظهروا الكفر بعدما اظهروا الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى
الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث
نقمتهم الا ان اغناهم الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل والعلل وعلى الاخير يكون
الكلام على طريقة قوله   النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

اي ما نقموا الا وجها لا يتنكر وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم ورسوله
من فضله الضمير لله تعالى وتوسيط ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة في وصول
الفضل المذكور منه تعالى اليهم فان يتوبوا يك خيرا لهم والضمير في يك للتوب وهذا
امتنان منه تعالى ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ما ارتكبوا تلك الجرائم العظيمة وهذا
هو الذي حمل الجلاس على التوبة وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما
في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب
باللطف او بالعنف وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا لما هو محتمل بالنفي وهذا ابلغ من ذكر
السماء معها والتصريح بنفي الولي والنصير فيه ايضا ومنهم اي ومن المنافقين من عاهد
الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين قال الضحاك هم نبتل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب
بن قشير وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الآية روي انه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه
الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني
ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك امرتك فلم تطعني فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي
الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عثمان رضي الله عنه فلم يقبلها وهلك في خلافته
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج ليلا يبعد المعطوف
عليه اعني لنصدقن فيه اشارة الى الزكاة اعني التصدق فيه اشارة الى الزكاة فيخص بغيرها على
ان المال المشار اليه بقوله لئن آتانا من فضله ومن فسر قالوا الصلاح في المال بعد الصلاة
في الحج والغزو فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن
طاعة الله تعالى وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم اي فجعل الله لهم
من البخل والتولي نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه والظاهر ان الضمير لله تعالى
اي جعل عاقبة فعلهم ذلك نفاقا ثابتا في قلوبهم الى يوم يلقونه دل على موتهم على النفاق
ولذلك لم يقبل الخلفاء زكوة ثعلبة والضمير لله تعالى ويوم القيامة يوم الجزاء وابتداؤه من
وقت الموت او للبخل وقيل الاعمال تجسم ويحصل اللقاء حقيقة على ما ورد في الاحاديث
الصحيحة واما ما قيل الى ان يموتوا تنبيها على ان يوم الجزاء ابتداؤه من وقت الموت ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب

اخلافهم ما وعدوا الله تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين
فيه فان تخلف الوعد تضمن الكذب يجوز استعارة اسمه له فيه فيعذبها العذاب ويعذبها النفاق
مشقته تاكيدا للوعيد بقوله الم يعلموا اي المنافقون وقرئ بالتا على الالتفات
ان الله يعلم سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف الوعد وما يتناجون
به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام
الغيوب فلا يخفى عليه شي من ذلك الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم او الجر
على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بالضم المطوعين المتطوعين من
المؤمنين في الصدقات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجا عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه باربعة الاف درهم وامسك مثلها فبارك له الرسول صلى
الله عليه وسلم فيما اعطاه وفيما امسك وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجا ابو عقيل
الانصاري بصاع تمر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريا وما تصدق ابو عقيل الا ليذكر مع
الاكابر او ليذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والله غني عن صاعه فنزلت والذين لا يجدون
الا جهدهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وحمل على بذل النفقة فيه
وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم اي يهزؤون بهم سخر الله منهم
قد مر بيانه في تفسير الله يستهزئ بهم بمنزلة النفع ولهم عذاب اليم تنكير العذاب للتعظيم
ومعلوم ان العذاب لا يخلو عن الالم لو وصفه بالالم يفيد ان افضل الالم العذر وتقديم الجار
والمجرور لمحافظة الفاصلة استغفر لهم او لا تستغفر لهم اراد الخبر عن تسوية الاستغفار
وتركه في امتناع الغفران كما نص عليه في قوله تعالى فلن يغفر الله لهم وفايدة الامر به وتركه
ان يعلم يقينا انه لا يتفاوت في الحال به عدم الغفران ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم روي انه سال عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رجلا مخلصا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على
السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه
عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم
ما وراه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد
باسره ذلك اشارة الى امتناع الغفران وعدم قبول الاستغفار لهم بانهم كفروا بالله

ورسوله

ورسوله يعني ان ذلك لعدم قبولهم له بسبب كفرهم وتمردهم في الفسق والعصيان ولا
بمعنى لا لتقصير منك والله لا يهدي قد مر انه من قبيل تنزيل الموجود منزلة المعدوم وحكم
اي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهذا كالتدليل على الحكم السابق فان مقتضى الكفر
الانقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي
والتنبيه على عذر النبي عليه السلام في استغفاره وهو عدم يأسه عليه السلام عن ايمانهم
ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى غزوة تبوك المخلف من خلف بمعنى خلفه والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة بمقعدهم
اي بقعودهم عن الغزو وفي المدينة بعد خروجه عليه السلام خلاف رسول الله نصب
على الظرف اي خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويعضده قراة ابي حيوة خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المصدر لان تخلفهم خلاف لرسول الله خلافا نحو قوله تعالى
فضرب الرقاب اي اضربوا الرقاب ضربا وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه عليه السلام
ويجوز ان يكون حالا او مفعولا له اي مخالفين له او للمخالفة وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
ايثارا للموجود الفاني على الموجود الباقي وانفسهم ترجيحا للدعة على طاعة الله تعالى
في سبيل الله اي في طريق الغزو والاضافة الى الله تعالى للتشريف والتنبيه على ان الغزو
الحق ما كان خالصا لله تعالى وفي ذكرها لهم هنا في معرض القدح تعريض لحال الباذلين
اموالهم وانفسهم في سبيل الله المتحملين المشاق لوجه الله تعالى بالمدح وقالوا [illegible]
له للتثبيط اي قالوا الكل من لا يقع فعدد ركن على اغرائه واضلاله لا تنفروا في الحر
في وقته اي لا تخرجوا للغزو فانه يقع في شدة الحر لا يؤمن معها قلة الماء وهلاك الظهر
والضعف عن الشي فقال الله تعالى هذا من قولهم وهددهم على ما ابدوه بقوله قل نار جهنم
اشد حرا فيتقونها ... كنتم تخرجون من حر لتتقوا نار جهنم فان حرها
فاحرى ان يجتنبوا منها وذكره في سياق الوعيد لهم يتضمن للدلالة على انه لهم هداية وحجة
للعذاب بنار جهنم لو كانوا يفقهون لتفقهوا لفهموا بالفطنة اي لو كان لهم فهم
وفطنة لما رجعوا عن طاعة الله تعالى لما فيها من التعب وهو سبب للرغبة فيها لانها لاجر
للعمل بقدر المشقة فيه كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها واما ما قيل
انه للحر لانه ... عن مشقة ساعة فوقع بسببها لك التوق في مشقة الابد كان

اجهل من جاهل ما لو تأملوا شيئا ينعمون على تخلفهم **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا**
الفاء للسببية والضحك حال الفرح والانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء
حال يظهر في الوجه عن غم مع جري الدموع على الخدين لا امر في الموضعين بالضحك والبكاء وتحبيسه على
صيغة المضارع لان يكون ذلك الحال في الاستقبال او ما قيل اخبار عما يؤول اليه حالهم في
الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ومبناه على ان يكون الاخراج
المذكور اقوى من ابقاء الاخبار على صيغته ولا يخفى منعه كيف وما عليه الجمهور وهو
المشهور ان الاخراج الامر على صيغة الاخبار اقوى من ابقائه على حاله ويجوز ان يكون الكلام
من الضحك والبكاء فرط السرور والغم من قلة العدم ومن كثرة الابد **جزاء بما كانوا**
يكسبون من انواع المعاصي ويندرج فيه معصيتهم السابقة ذكرها اندراجا اوليا وفيه
ثم جمع تعيين لما دل عليه الفاء السببية والكسب اختياري خطا بما يكون له من الاسباب فلا
يستعملون الواجب المفهوم مما يعتبر اذ المعارضة منطوق فضل اخروا الجمع بينهما كان هو صيغة
المضارع للدلالة على استمرار التجدد والاعتبار لما سبب الاخبار عن الحال الدائم **فان رجعك**
الله الى طائفة الفاء للتفريع على ما تقدم ورجع متعد من الرجع بمعنى الرد والطائفة
الجماعة التي من شانها ان تطوف وهذا الفنا في جماعة الحجارة طائفة والمراد الجماعة المتخلفون
وانما قال **منهم** لان كلهم لم يكونوا منافقين او لان فيهم من تاب ومات كانوا مع الرسول
صلى الله عليه وسلم الى الطيبة بطيب الخاطر وحسن الاختيار والما وصوله الى زمرة المنافقين
فلذلك ذكرهم والمتطرف وقد صيغة المتعدي على الانزام للاشعار بتلك الدقيقة المبنية
فاستاذنوك الاستيذان طلب الاذن وهو رفع التعصب في الفعل او الترك والاصل ان يكون
بقول التسمع بالاذن والفاء فصيحة عاطفة على مقدر يتعلق به فلما اراد الخروج الى غزوة اخرى
للخروج اي معك والخروج في الاصل الانتقال عن محيط **فقل** جواب شرط **لن تخرجوا**
معي ابدا ... على صيغة الاخبار للدلالة على وقوع الامتناع
منهم الاصطلاح وعقد قدرتهم على المخالفة **ابدا** الابد الزمان المستقبل من غير انتهاء
الى حد وتطيره في الماضي قط **ولن تقاتلوا معي عدوا** الاول لاسقاطهم عن ديوان
الغزاة خاصة وهذا لاسقاطهم عن ديوان المجاهدين مطلقا **انكم رضيتم بالقعود**
تعليل للنهي المذكور وكان اسقاطهم عن الديوانين المذكورين انما هو عقوبة لهم عن التخلف الاختيار
بالذكر والاضطرار على المخالفة مطلقا والاشارة الى هذا في عبارة الرضا **اول مرة** هي
الخرجة الى غزوة تبوك **فاقعدوا مع الخالفين** من النساء والصبيان ونحو ذلك من الخوالف

من اصحاب الصفة ... **ولا تصل على احد منهم مات** صلاة حقيقية لهم بعد الوفاة وما ذكر قبلها
خزي لهم في حال الحياة قال قتادة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله
ابن ابي بن سلول في مرض موته وكان يتقاه فقال له ان تصلي عليه وتقوم على قبره وكفنه في
قميصه ففعل ذلك فنزلت الاية وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما توفي عبد الله بن ابي بن
سلول ووضعناه لتصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو
الله القائل يوم كذا كذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى
عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على احد
منهم الاية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره الا قال
مات والمراد الاستقبال لانه كان من المحال ان يحيى له **ابدا** منصوب بتصل وفيه ان الاية
حكمه لايمانه كما توهمه منه لانه حيا الكافر المعذب لا دون المتنعم فكانه لم يجي ولم يحي
انه على التعليل المذكور نيضا لاحا جا في التوجيه المربون بل لا وجه له لان الحبوة في البرزخ
لانا في استمرار الموت الواقع في الدنيا **ولا تقم على قبره** القبر حفرة يدفن فيها الميت
والمراد من القيام عليه معناه الحقيقي وهو نوع اكرام وقيل التاديه المباشرة باسباب تجهيزه
وتوليه وعلى هذا المراد بالقبر معناه المصدري ويندرج فيه التكفين فلا يحتاج ما قيل
انما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلا بالكرم
ولانه كان مكافاة لالباسه العباس رضي الله عنه قميصه حين اسر ببدر على ان ما ذكر لا يصلح
تعليلا لعدم النهي عنه لما عرفت ان نزول الاية المذكورة بعد الصلوة والتكفين فيكون النهي
الى تقديره رجوعه عن الموعد ايتله وفي بعض الروايات قيل له عليه السلام لم وجهت تدفنه
قميصك ثم قال ان الا حين ادعى حسبي فينتفع يلقى من في الخزرج وكان كذلك **انهم كفروا بالله و**
رسوله تعليل للنهي على الاستيناف **وماتوا وهم فاسقون** اي كفروا واصروا عليه
حتى ماتوا على الفسق اي الخروج عن الطاعة قال الامام ابو منصور رحمه الله هنا لكفا
والمنافقين فاسقين في ايات وان كان اسم الكافر والنافق ابلغ من الذم من اسم الفاسق لان اسم
الفاسق يا تعيينه كل ذي دين فانه خروج عما تدين به واخبر الله تعالى انهم مع تدينهم بالباطل
فاسقون في معاملاتهم خارجون عن دينا وانهم مستوجبون للذم من قبل الجهة ايضا **ولا**
تعجبك اموالهم واولادهم فان تعجيبها ونعيمها التكرير لما نفر في الاكبد والفنس من
وانتفع به وانما ادنيا تطاعها في الاحوال والاوقات والقلوب تتعلق بها والنفوس
منبسطة عليها وان عطفت هنا بالواو دون الفاء ... النفريع على ما تقدم حال ...

ما سبق فان التقريع ثمة متوجهة على ما بني هنا ك انما يريد الله ان يعذبهم بها في
الدنيا لا تعجبن ان تكونا اهل الغنا فمن تنغيص مرادهم ونكد اموالهم واولادهم لاسك
مترفون لله تعالى اليهم او اشباع نعامت الله عليهم انما ذلك نكوسهم واستدراج لهم
واهال لما ان له والله قد يمنعنا لو تزهق انفسهم وهم كافرون فيعذبون
بالنار في دار القرار ايضا واذا انزلت سورة بتمامها على الحقيقة او بعضها على المجاز
لانه علم المجموع المعين بخلاف القرآن والكتاب فانه يقع كل منهما على الكل والبعض على الحقيقة
ان آمنوا ان هي المفسرة بالله وجاهدوا مع رسوله اي جاهدوا الكفار مصاحبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك اولوا الطول منهم والفضل والتعرض
طال عليه مطوع وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا عن الجهاد بعذر
رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء جمع خالفة وقيل معناه مع الجبان منهم فلا
خالفة في مهمة لا كانت دونهم في الفعل وهذا تعييرهم وذم وطبع على قلوبهم
اي ختم عليها اما عطفه على كل ما تقدم بالواو وقوله الغا تنبيها على ان الطبع المذكور ليس
اثر الرضا المذكور بلا اثر العكس فهم لا يفقهون فضل ما في الجهاد من السعادة الاجلة على
ما في تركه من الراحة العاجلة ورجحان ما في التخلف عنه للفوائد الباقية عليها في عدمه من
المنفعة الزايلة وعلى هذا يظهر وجه ايثار لا يفقهون على لا يعلمون وايضا فيه تنبيه
على ان الطبع انما هو لعلة ان لا انهم لا يتمعنوا في بعضا التكليف لكن الرسول
استدراك عما تقدم من جهة المعنى فانه لما نفى لهم الرضا الى اخره في معنى لم يجاهدوا
اشار والذين آمنوا معه اي المخلصين من المؤمنين وانما قال معه افادة لمعنى التبعية له عليه
السلام جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من
هو خير منهم واخلص نية كقوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون صرح
هنا بما قدمه تعريضا واولئك لهم الخيرات اما في بالزاء عطفا على مضمر كانه قيل
فاولئك لهم النصر والغلبة والمراد من الخيرات انواع الغنايم فانها جمع خيرة تخفيف خيرة
وهو المستحسن من كل شيء وكثر استعمالها في النساء ومنه ما في قوله تعالى فيهن خيرات حسان
ولهذا قيل اريد هنا الحور واولئك هم المفلحون الذين ادركوا بغيتهم في الآخرة
والحصر في المواضع الثلاثة اضافي اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار بيان
لما لهم من الخيرات الاخروية خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قد تم ما يتعلق به من التفسير
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يقال اعذر فلان في امر اي تكلف بالعذر

اعتذر اي جاء بعذر وعذر قد يكون بالعذر الصحيح على امره وعذرت
بالتشديد اي اتيت بما هو في صورة العذر ولا عذر لي فيه حقيقة والآية قرئت
بالتخفيف وهو قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وبالتشديد وهو قراءة سائر القراء فالتخفيف
من اعذر والتشديد من اعتذر على ادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين اخبار
عن قوم اتوا بالعذر الصحيح فعذروا والتشديد يحتمل الوجهين عن اعراب تكلفوا العذر
ولا عذر لهم فلم يعذروا وفي الآية ذم لهم وجعلهم ان نزول السورة في الجهاد بيان لكل
على انصاف من اضعف اهل المدينة وذكرهم فيها له استاذنك اولوا الطول منهم والخلص
وذكرهم في قوله ولا للذين آمنوا وهاجروا الآية والاعراب اهل البادية ممن لهم عذر حقيقة
او لا عذر لهم وذكرهم الله تعالى في هذه الآية على الفريقين باخره وان من الاعراب يتخلفوا
بغير استيذان وذكرهم في قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان
ودليله قراءة ابي رضي الله عنه كذبوا على الله بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم
من الاعراب وانما قال الذين كفروا منهم لان منهم من اعتذر لكسالة لا لكفر عذاب اليم
في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وقوم آخرون من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عذر فخافوا
واستأذنوا وذكرهم في قوله ليس على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب كبر سن او زمانة
عرج او عمى وغير ذلك ولا على المرضى الذين بهم علة من نحو حمى او اذا ما لا طاقة به
في الحال ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله
ورسوله النصح لله تعالى ولرسوله عليه السلام الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن والنفيا
بما يقول بالي الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا كما يفعله الناصح لمن ينصحه ويندرج
فيه انه لا يجاوز ما قيل اي لم يجتهدوا غيرهم من المؤمنين ولا يضاعفوا عن الخروج ولم يرتفعوا
ان يعوقهم كما يجرا المتخلف كل منهم اذاه بل يجتهدوا بسبب تخلفهم ومعنى الفايدين عليه
وقاموا باسبابهم عند الحرب وجهم والتسابقوا من تخلفهم بالمعونة ما على المحسنين من سبيل
اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على
انهم موصوفون بصفة تنافي العتاب فيفيد المدح والتعليل والله غفور رحيم
للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء اي ولا
حرج ايضا على الاصحاب الذين لا يستطيعون المشي ويجاوزون الى المركب فجاءوا يسالونك
مركبا يحملهم عليها لغلا لا شيء فلانا اذا اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم عليه
حال من الكاف في اتوك باضمار قد وكذا حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك

قائلا لا أجد **تولوا** جواب اذا ويجوز ان يكون جوابا لسؤال مقدر كانه قيل فما حالهم اذا ا
الرسول قيل تولوا ويكون الجواب ناقص لذلك **واعينهم تفيض** الفيض هو السيلان عن
الامتلاء **من الدمع** من للبيان كما في قولك افديك من رجل قيل محل الجار والمجرور النصب
على التمييز ورد بان التمييز الذي اصله فاعل لا يجوز جره بمن والاصل الكلام تفيض دموعها
فعدل الى ما ذكر ليكون ابلغ كان العين كلها دمع فياض **حزنا** مفعول له او حال او مصدر
لفعل دل عليه ما قبله **الا يجدوا** اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض **ما ينفقون** في مغزاهم
فيه دلالة على انهم مستحقون لحث من الذين لا يجدون ما ينفقون لحرج ويجوز
ان يكونوا احق لذلك الاعلى الذين سبقوا على الخصوص عطف الخاص على العام ويجيء هذا قوله
انما السبيل معرفا باللام للعهد لان الاول ذكر على النكرة وكلمة انما ليست للحصر بل هي للمبالغة
فيما يريد تقريره كما في قولك انما الشجاع عمرو **على الذين** السبيل قد يوصل بعلى وربما في غيره ان
وصلها بعلى بمقتضى جعفة لتوصل اليه وفاء معنه فلذلك حسنت جهته لانه **يستاذنونك**
وهم اغنياء واجدون الاهبة **رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم** استئناف
كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالضعة والدناءة والانتظام في سلك الخوالف
ايثارا للقعود فايده بيان سبب الاستئذان مع الغنى وهو لم ان رضوا فهم بالدناءة واطبع على
قلوبهم الخذلان حتى غفلوا وجهلوا وخابت عاقبتهم **فهم لا يعلمون** معناه فانحصر المعذورون في
المتخلفين في ثلاثة اقسام الذين تحققوا مع الاستطاعة البدنية والذين عدموا الاستطاعة المالية
والذين استحملوا فلم يجدوا ما يحملهم عليه **يعتذرون اليكم** في التخلف خطاب للصحابة
بعد اقتعتهم **اذا رجعتم اليهم** من هذا السفر **قل لا تعتذروا** بالمعاذير الكاذبة **لن
نؤمن لكم** علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فلا يأتيهم بما
يعتذر فيه ثلث لا لاعتذار **قد نبانا الله من اخباركم** علة لانتفاء التصديق اي اعلمنا
بالوحي الى نبيه عليه السلام بعض اخباركم وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد **وسيرى
الله عملكم** رؤية العلم في مثل هذا المقام يكون كناية عن فعل الرائي ما يستحقه الداخل
بسببه اي سيرى الله تعالى اتتوبون اليه وتتوبون ام تثبتون على الكفر ونتوعدكم عليه
ففيه وعيد بالاساءة في الدنيا ووعد بالاحسان فيها وتقدير عملكم على قوله **ورسوله**
للفصل بين الرؤيتين تنبيها على ان الثانية على حقيقتها والاولى موجبها وهو المفاضحة على
الثبات على الكفر لا يخفى انه في غاية الايجاز والمفاضحة ثم انه في عبارة التوبيخ
الاهمال للتنبيه الا انه يقتضي الكلام استنابه على العطف وحجة وانما قلنا ان ما ذكر من الوعد

والوعيد في الدنيا لان قوله **ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة** وعد ووعيد في الاخرة
وفيه تذكار لنا على ان يتصف ليتم الرهبة بتحويل هيبته الى ما لا يبلغ بيانه تعالى
من الحاجة الى الرد يخرج عليه بشغل الدنيا بالغفلة عنه ولهذا وضع عالم الغيب والشهادة
موضع الضمير اي لا يخفى عليه شيء فيجازيكم في قلوبكم ولا بادرة مما يظهر على السنتكم وجوارحكم
فيجازيكم عليه **فينبئكم** على رؤوس الاشهاد **بما كنتم تعملون** تشهيرا لحالهم
وتقريرا لوبالهم وتذكيرا لما ذهب عنهم من حسابهم على الاصح عنه اي موضع خربتهم
فيجيبهم بما عملوا احصاه الله ونسوه فيتمنون عملا لما رجعهم الى الدنيا ليلحقهم به من
الخزي والعار **سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم** لما ذكر انه
يصدر منهم الاعتذار الاخبار انهم يؤكدون ذلك الاعتذار الا كاذب بالحلف بالله وان
سبيل الحلف طلبهم ان يعرضوا عنهم اعراض صفح فلا يلومونهم ولا يوبخونهم **فاعرضوا عنهم**
اي واجيبوا الى طلبتهم وفي تعليل الاعراض عنهم بقوله **انهم رجس** دلالة على ان المراد
مقت اي تتقذرون بما اطلعوا عليه من النفاق فيجب مباعدتهم واجتنابهم كما قال في
الآية الاخرى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وهذا اولى مما قيل لا ينفع فيهم التأنيب فان
المقصود منها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير لان قوله **وماواهم
جهنم** يفيد هذا المعنى اي انهم ارجاس من اهل النار لا يجدي فيهم التوبيخ والا فادة جيء
من الاعادة المقصد لا اذ يقال انه تعليل اخر اي وكفتهم جهنم عقابا وتوبيخا فلا تتكلفوا
في عقابهم **جزاء بما كانوا يكسبون** مصدر مؤكد او مفعول له او حال من جهنم **يحلفون لكم**
حذف هنا المحلوف به واثبت فيما تقدم اكتفاء بذكره مرة كما في قوله تعالى واقسموا بالله
وقوله تعالى **لترضوا عنهم** اي غرضهم من الحلف استطلاب رضاكم لينفعهم في دنياهم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم عنهم لا ينفعهم اذا كان
الله تعالى ساخطا عليهم لان سخط الله تعالى يوجب لهم عقوبة الدنيا والاخرة ورضاكم
لا يستلزم رضاه والمراد النهي عن الرضى الى الظاهر المشتمل عليهم بالفسق والدلالة على
ان سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم فلا يحصل رضاه ما داموا فاسقين وعلى ان الحكم
عام وان كان سبب الورود خاصا اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب والمراد نهي عن
الرضا عنهم والاعتراض لما ذكر حلفهم فيما سبق لاجل الاعراض جاء الامر بالاعراض
هنا لانها تنوع بحسب الاعراض فيكون المعنى في مقتضى الحكم ولا كذلك الرضا وقد
ذكر هنا الحلف لاجل الرضا وابرز النهي عنه في صورة الشرطية اخراجا له مخرج المردد

فيه لانه من المأمول لعلمه بخلافه لا عاقبة انه مخصوص بمن شاهد وجعل جزائه انتفاء رضا
الله تعالى عنهم عوضا عن رضا المؤمنين لقصد تحذير الموقع ادنى لا لا يليق بهم ان لا يرضوا عمن
لا يرضى عنهم الاعراب سكان البوادي اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجهلهم كما نزل في
البوادي من الاهمال والاخوف فهم بهذا اقل من خوف ساكني المدينة لبسهم كذلك اهل
ونفاقهم اشق لان الذي ينافق قبلهم واجدر ان لا يعلموا حدود اي احق بان لا يعلموا
لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغيبهم عن مجالسه وقلة ما يتلى عليهم من مواعظ
القران ما انزل الله على رسوله من الاوامر والنواهي لقوله تعالى تلك حدود الله
فلا تعتدوها وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والله عليم يعلم حال كل واحد
من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ذكر العلم
بعدا لعله ابلغ وعدو وعيد والكل بشارة وتهديد ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق يصرفه
في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ يحمله متصلا ولا يرجى فيه غير
ذلك اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء وتقية واصل الغرم الذي
ومنه تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم ولكن كثر استعماله فيما يؤديه
الانسان مما لا يلزمه بحق وفي لفظه معنى الدفع ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما
ويتربص بكم الدوائر الدائرة في الاصل مصدر بمعنى العاقبة او اسم فاعل من دار يدور
سمي به عقبة الزمان التي لا مخلص عنها اي محيط الشيء كما تحيط الدائرة ويحتمل ان يؤخذ من
الزمان اي ينتظر بكم ما تأتي به الايام وتدور به من النوائب لينقلب الامر عليكم فيتخلصوا من
الانفاق عليهم دائرة السوء دعا عليهم بنحو ما يتربصونه معترض كقوله تعالى
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر ثم اطلق صفة للمبالغة
رجل سوء لان من دارت عليه ذمها والسوء بضم السين جمل بالفتح المصدر ثم غلب الاسم
وقال ابو علي معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قال
شمس النهار ولحيا رأسه ولا يقال رجل سوء الا مفتوح السين ولهذا لم يختلف القراء في فتح التي
في قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء والله سميع لما يقولونه عند الانفاق عليم بما
يضمرونه من النفاق ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر لما ذكر من يتخذ ما ينفق
مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغنما فذكرها هنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق
المال في القربات وهو الايمان بالله تعالى واليوم الاخر احترازا ما ينفق انما يظهر ثمرته الدائم
في الاخرة وقدما كيفية ثم عبد بذكر محبة الكفر وهو اتخاذ ما ينفق مغرما قاله بعض المؤمنين

ويتخذ اي يجعل متفضلا ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهو ثاني مفعولي يتخذ
وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول سبب صلواته لانه عليه السلام كان
يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ
صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه
فله ان يتفضل به على غيره اقيم كسب مقام السبب في الموضعين لمنع الاستلزام وشرط التشرف
الى اللازم الا انها قربة لهم شهادة من الله تعالى للمتصدق بصحة ما اعتقد على ابلغ
الوجوه من التأكيد بالاستئناف فعلا وان المفيد للتحقيق وثباتا لامر وتمكنه وتنكير قربة
للتعظيم الضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته تصديقا لرجائهم على نهج التبيين
من تحقيق الوعد لعله احاطة الرحمة عليهم وما اقوى دلالة هذا الكلام على رضا الله تعالى
عن المتصدق وقبوله الصدقة من الله تعالى لكل ذا اخلصت النية من صاحبها ان الله غفور
رحيم استئناف لتقريرها وعد لهم والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى
القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بدرا والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة
نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن
عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم اللاحقون بالسابقين من
القبيلتين والذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة باحسان باخلاص لله
تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن رضي الله عنهم لطاعته وقبول اعمالهم ورضوا عنه لما افاض
عليهم نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قد مر تفسيره وممن حولكم اي حول بلدكم وهي المدينة
من الاعراب منافقون وهي جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار ومن اهل المدينة عطف
على ممن حولكم والخبر لحذف صفته مردوا على النفاق اي دربوا فيه ومرنوا عليه
وتحذقوا فيه وهو يستعمل فيها الشر الا في الخير وتطبيق في تحادا لموصوف واقامة الصفة مقامه
قوله * انا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول لصفة المنافقين فصل بينها وبينه
بالمعطوف على الخبر وكلام مستأنف مسوق لبيان تمرنهم مؤكد لنفاقهم لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم
بيان لتمرنهم على النفاق اي بلغوا فيه الى ان خفي حالهم عليك مع كمال
فطنتك وصدق فراستك لتوقيهم في مواقع التهم نحن نعلمهم تأكيد البيان وتقادم
تعنيد الضمير بالتخصيص لا يعلمهم الا الله وحده ولا يطلع على سرهم غيره لتبطنهم ابطانهم
الكفر واظهارهم الاخلاص ومحل مردوا على الاستئناف بلغ وانسب لهذه المبالغة سنعذبهم

وتحقيق لعذابهم بموجب علمه مرتين بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر
أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان ويحتمل أن لا يراد بها شفع الواحد بل يكون المعنى على
التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي مرة بعد مرة ثم يردون إلى عذاب عظيم إلى عذاب
النار في دار القرار وآخرون اعترفوا بذنوبهم أي لم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة
عن تخلفهم واعترفوا بتقصيرهم وبمخالفتهم ونقلوا أنفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل
في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم
فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى
أومر فيهم فنزلت فأطلقهم خلطوا عملا صالحا هو إظهار الندم والاعتراف بالذنب
وآخر سيئا هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو في الخلط أبلغ من الباء لدلالتها
على كون كل منهما خالطا ومخلوطا به بخلاف الباء لإفادتها أن يكون أحدهما مخلوطا به
ويجوز أن يكون بمعنى الباء والمفعول محذوف وعملا بدل منه من قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما عسى الله أن يتوب عليهم أي يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا
بذنوبهم وأتى بكلمة عسى من الله تعالى واجب أي هو إطماع وإطماع الكريم إيجاب
إن الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه وفي ... نقلها المشير إلى
تخلف إذا الخائف لم يخلصه من ذلك الأشياء إلا الاعتراف والإقرار والنبي في حق الله تعالى في
لا يحصيه الإنسان إلا الإقرار والندامة قال بعضهم

أقر بذنبك ثم اطلب تجاوزه • وأعلم بأن جحود الذنب ذنبان

خذ من أموالهم صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا
عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت تطهرهم
عن الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى مثله وقيل الصدقة هي الزكاة والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث
وقرئ تطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكيهم بها إلا بإثبات الياء والتزكية مبالغة في
التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال بها أي بالصدقة وصل عليهم واعطف
عليهم وترحم بالدعاء والاستغفار لهم إن صلاتك سكن لهم تسكن إليها نفوسهم
وتطمئن قلوبهم بأن الله تعالى قبل توبتهم وجمعها لتعدد المدعو لهم والله سميع يسمع
اعترافهم بذنوبهم عليم بما في ضمائرهم من الغم والندم وصدق التوبة ألم يعلموا الضمير
إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم
والمراد التحضيض عليهما أن الله هو يقبل التوبة إذا صحت لا رسوله ولا غيره

عن عباده تعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات إذا صدرت عن
خلوص النية وأخذها مجاز عن قبولها وقبولها كناية عن إعطاء الثواب عليها بأتم ما هو
شأن الكريم وأن الله هو التواب الرحيم وأن من شأنه قبول توبة التائبين مرة بعد أخرى
والتفضل عليهم أيضا وجمع بين التوابين لكثرة التائبين والعطف على مقدر كأنه قيل أن
الله هو البر الكريم بتعليل الكتابة المذكورة وحذف تارة للتعليل مع أنه قياس في تعديته
على ما ذكر في تعليل قبول التوبة للتقريب بين التعليل والمعلل مما أمكننا مثل وقل اعملوا
ما شئتم لظاهر أمر وباطنه وعد ووعيد والخطاب للجميع فسيرى الله عملكم خيرا كان
أو شرا وقد مر بيانه ورسوله والمؤمنون وفي الخبر لو أن رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا
كوة لخرج عمله إلى الناس كائنا ما كان وستردون إلى عالم الغيب والشهادة قد مر بيانه وأولها
أي هنا بدل ثم حرفا للتقريب لأن الكلام قريب ولأن الرجعة إلى الموت وهو محتمل في كل آن
والمقام مقام الحث بعمل التائب به إذ هو التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد
في حق الخير ووعيد في حق المسيء وآخرون من المتخلفين مرجون قرئ بالهمز من أرجأته
وبغير الهمز من أرجيته بمعنى أخرته أي موقوف أمرهم لأمر الله أي إلى أمر الله
تعالى في شأنهم إما يعذبهم أي إن أصروا ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم أي إن تابوا
والترديد لنا وللنفع وهم لا يكون لله تعالى في حال والله عليم بأحوالهم حكيم فيما
يفعل بهم ويتحقق فيه أمر التائبين ... وقرئ ... والمراد بهم كعب بن مالك
وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم
أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله تعالى
والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون أو نصب على الذم أو رفع بتقدير المحذوف وتقديره
وفيهم الذين أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو والواو عاطفة الجملة
على الجملة وقرئ بغير واو ويحتمل أن يكون بدلا من وآخرون وأن يكون خبر مبتدأ
محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر واتخذ هاهنا تعدى إلى واحد كما في قولك اتخذت بيتا
أي عملته ضرارا أي مضارة منصوب على أنه مفعول له وكذا ما بعده لأنها من أفعال المنافقين
ذكر أنهم بنوا بالغ في التشنيع بتسميته مسجدا للمنافقين يريدون ضرار أهله من الضرر وتمحيق
مسجدا وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن
عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وتفريقا

بين المؤمنين المجتمعين على الصلوة في مسجد قبا لانهم ارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف
كلمتهم وارصادا وترقبا لمن حارب الله لاجل من حارب الله يعني الراهب فانه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين فلما انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا ورسوله ذكر الله تعالى تمهيد لتعظيم
امر محاربته عليه السلام من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان
ينافقوا او لا لتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل
كرر عليه فنزلت فدعا بجماعة منهم الوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة
على المصلين فانهم قد قالوا لما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اتموا بناءه انا
قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية والله يشهد انهم
لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة كما في قوله عليه السلام
من قام رمضان وقامه لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اسس لاحياء دين الله تعالى واظهار شريعته التي لا يقوم بها الا من اتقى
الله تعالى كما قال ابو سعيد الخدري وابي بن كعب رضي الله عنه قال النبي عليه
السلام هو مسجدي هذا من اول يوم من ايام وجوده وقيل هو مسجد قبا لانه اول
للنصبة والاول اوفق للوجه لانه لا يطرد مع ظرف لانه اوفق لقوله احق ان تقوم فيه
اولى بان تصلي فيه فيه رجال التنكير للتعظيم يحبون ان يتطهروا من المعاصي
والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها
تعليل يتضمن الثناء اي انه اصلح جماعة من اصحابه تحبب الصلوة في مسجدهم والله
يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادنا المحب حبيبه روي انه عليه السلام
قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون عند الغايط
قالوا نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون ان
يتطهروا افمن اسس بنيانه اي بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان
على قاعدة محكمة هي التقوى من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة خير ام من اسس

بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها الشفا الحرف
والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يحفر اصله السيول وتحفر بالما فيبقى واهيا من
الجرف وهو انقلاع الشي من اصله والهار الهاير وهو المتصدع الذي اشفى على الهدم
والسقوط لما استعار الجرف الهار لمقابل التقوى من الباطل الذي هو الضحى ولما
والاصرار على انه شبه الحق الذي هو التقوى بساعدة محكمة قوية على طريق الاستعارة
بالكناية ولهذا نكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله تعالى ثم رشح الاستعارة
بقوله فانهار به في نار جهنم فان الجرف الهار يسهل الانهيار لحزونه وقلة ثباته
واستمساكه وهو تصوير لما عقاد الباطل بهوى صاحبه في قعر جهنم كانه بنى على
جرف واد من اودية جهنم جرفه مآلة السيل ويفهم منه ان تاسيس الذي يقابله على امر
يحفظه عن النار ويوصله الى الرضوان الذي اقصى مقتضيات الجنة ولذلك عطف الرضوان
على التقوى وجعلا كانهما امران متلازمان ونكر كالتقوى اشعارا بان ناله منهما نجا
كل ما يلزم احدهما يلزم الاخر ولا ترى ابلغ من هذا الكلام وادل على ما هو المقصود
من الفخامة منه وانما لم يقل وقع في نار جهنم لانه ما دام حيا امكنه ان يتخلص فيتخلص
وانه يتم فيها والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم من حيث هبطا الموت الى
ما فيه صلاح ونجاة وقد مر ان نفي الهداية في مثل هذا على طريقة تنزيل ما لا اثر له منزلة
العدم وان لطف الله هادي الكل الى مصالحهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم
الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وقيل هو جمع واحده بنيانة وليس بقوي لان الذي يعني
الذي والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن النفاق لمحذوف اي بناء بنيانهم الذي بنوا
سبب ريبة فانه حملهم على الثبات لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في
قلوبهم وازدادوا نفاقا بحيث لا يزول وسمه في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا
بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار فلا تستطيع نضوة من الامتناع نوال التكرير عن
القلوب بعد تنابيها فاذ نظما او يكون الاعراب وهو في غاية الجبا لغدو والاستثنا من
اعم الازمنة اي وقت ان تقطع وهو في محل النصب على الظرف ويجوز ان يكون المراد حقيقة
التقطيع بالقتل او في القبر او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها
قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقرى يقطع على خطابه تقطع وقرى يقطع
بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب وقرى
ولو قطعت على البناء والله عليم بعزائمهم حكيم في الامر بهدم بنيان اهل الضلال

وأهل الفساد فيدخل في الاول بناؤهم وفي الثانية الامر الوارد في حقهم جعلا اوليا
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة استعارة لاثابتهم الجنة على
بذل الاموال والانفس في سبيل الله تعالى ولم يقل بالجنة مدحا لهم باعتبار انهم بذلوا انفسهم
واموالهم بمجرد الوعد وجبه كمال ثقتهم بوعده تعالى وايضا تمام الاستعارة المذكورة
بها اذ لا تتم بها بدون قرينة ما تعين زيادة الحقيقية ولو قيل بالجنة لم توجد تلك القرينة
لان الجنة صالحة لان يكون احد العوضين بخلاف الوعد بها يقاتلون في سبيل الله
استئناف لبيان الاشترا لا لبيان ما لاجله الشرا وقيل خبر بمعنى الامر كقوله تجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم اطلقها اذ لانقيادهم بالمامور به كانهم سارعوا الى الامتثال
فاخبر عنه فعلى هذا يكون الاشترا تمهيدا له فيقتلون ويقتلون تفصيل للقتال
وبيان لاحرازهم فضيلة الجهاد وقرئ بتقديم المبني للمفعول ومبناه على اسناد فعل
البعض الى الكل وفيه دلالة على ثبات قلوبهم وجرأتهم على العدو حيث لم ينكسروا بان
قتل بعضهم كما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا وقيل في توجيهه
ان الواو لا توجب الترتيب ولا هو مجدي لان تقييد بمساعدة التاخير لا يكون بدا الامر
وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه قوله بان لهم الجنة حقا صفته في التوراة
والانجيل والقرآن اي اوحى به الى انبيائه عليهم السلام واثبته في كتبه ومن اوفى بعهده
من الله مبالغة في انجاز الوعد على تقرير لكن لا خلف فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق وتاخذون ثمنا من شرى مبيع هو ملكه
وحق مساطهم في سبيل الانفاق كثر بها لهم فاسلوب فعل حافيه استفعل بمعنى فعل وليس
هذا من معنى الطلب بل كهو في استعجب وذلك البيع هو الفوز العظيم لانه الوصول
الى الحظ الاعظم بحط الذنوب ودخول الجنة بلا حساب التائبون رفع على المدح اي
هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون والدليل عليه قراءة التائبين بالياء الى قوله
والحافظين نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف اي
التائبون الموصوفون بهذه الصفات من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد
الله الحسنى وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الصفات العابدون الذين عبدوا الله تعالى وحده مخلصين له
الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون اي الصائمون لقوله
عليه السلام سياحة امتي الصيام شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة

نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائرون للجهاد
وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انهما بمنزلة خصلة
واحدة كانه قال الجامعون بينهما في قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه
من الحقائق والشرائع لانه من تمام تلك الفضيلة فان من لم يصدق فعله قوله ولم يوافق حاله
مقاله لا يجد بكلامه نفعا ولا يفيد تنبيهه وعظا ومن لم يتنبه لهذا قال انه للتنبيه على ان
ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وليس بشيء ما صحة لذكر العاطف على هذا
وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وضعفه بان الله تعالى ذكر في آية
في موضعه وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع
ضميرهم اشعارا بان الايمان هو الباعث على هذه الخصال وانها كالمتمم في الايمان حتى كان
على الصفات المذكورة وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن الوصف
وتحاط الافهام عن التعبير عنه بالكلام ما كان للنبي ما يصح له وكان انما العذر في
نفي الفعل الداخل هي عليه بتبعية جهة نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتبار
المستغفر ونضلا والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين اي يطلبوا المغفرة لهم ولو كانوا
اولي قربى روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج بها عند الله
فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وفيه ان موت ابي طالب
كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزلت بالمدينة لا يقال ــــ ما ذكر انما يتم ان لو كان نزول الآية
عقيب موت ابي طالب وليس كذلك اذ يجوز ان يكون النبي عليه السلام يستغفر له الى وقت نزول
الآية لانا نقول ــــ الظاهر يتوقف لا الا وفي قربت انما هو التعقيب لا من آخر ما قال
المشركين دون الكافرين لان منهم من هو معتد وكالذي لم تبلغه الدعوة فلا يمنع من الاستغفار
لهم وذكر الطيبي ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة في اف قام في قبر وهو يريد ان يستغفر لها فلما
لا نعتد عتبرها قادا هو بجنبها عليه السلام قد نمع يدل على صدره وناداه هذه الآية فبكى
النبي صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون فما روي يوم اشد باكيا من يومئذ من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم لا بموتهم على الشرك خاصة بل به وبنزول الوحي به فلا يخفى
انهم بالذين ماتوا على الشرك لانا نقول من بعد ما تبين يقتضي المنع عن الاستغفار قبل الله
لانه طلب التوفيق للايمان ايضا وهو مقال لحجية المفهوم المخالف ودليل على جواز الاستغفار

للاحياء من الكفار مطلقا وكما ورد النهي عن الاستغفار للمشركين قال الناس ان ابراهيم
عليه السلام استغفر لابيه المشرك فنزلت هذه الاية وما كان استغفار ابراهيم لابيه يعني
بعد موته على الشرك لان الاستغفار له قبل الموت لا يصلح متمسكا للقائلين المذكورين للتعليل
فلا يتعلق بسبب النزول الا عن موعدة وعدها اياه وقرئ اباه اي وعدها ابراهيم عليه
السلام بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي فانجز وعده فانما انجاز الوعد وليس ولكن موته
على الشرك ظاهرا عنده عليه السلام كما هو الظاهر من قوله تعالى فلما تبين له انه عدو
لله وهذا التبين عنده عليه السلام كان يوم القيامة على ما ورد في الحديث الصحيح تبرأ
منه لم يطلب مغفرته بعد ذلك ان ابراهيم شبيها في حياته ما حمله عليه السلام على الاستغفا
لابيه لاواه كثير التاوه وهو الذي يكثر التاوه اي الترحم والتعطف وكثرته ناوهيكا يتعطف
لابيه المشرك حليم صبور على الاذى ولذلك كان يحلم عن ابيه ويتحمل اذاه ويستغفر
له مع شكاسة خلقه وما كان الله قدر وجه زيادة كان في مثل هذا المقام ليضل قوما
يطلق عليهم الضلال ومن قال يسميهم ضلالا فقد ذهب مذهب الاعتزال بعد اذ هداهم
للاسلام حتى يبين لهم بالنهي عبارة او دلالة ما يتقون ما يجب اتقاؤه اي ليس من شانه
تعالى تكليف الغافل فالمهتدي للاسلام اذا قدم على بعض محظورات الشرع اما يكون ضالا
اذا كان قدامه عليه تعديا لحظ وكانه عذر للرسول صلى الله عليه وسلم في الاقدام
على استغفاره لامه وعمه وتدليل على ان تكليف الغافل غير واقع في شرائع الانبياء عليهم السلام
ان الله بكل شيء عليم فيعلم حاجة الغافل الى البيان بعده وهو تتميم للبيان المذكور
ان الله له خاصة ملك السموات والارض لا شريك له يحيي ويميت يهدي ويضل
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي
قربى وما كان يتعلق به من امانيه الى وجوب التبري منهم بعدما تبين حالهم بين ان الملك
والحول والقوة كلها لله تعالى وانه الهادي والمضل والولاية ولا نصر لهم الا منه ليتوكلوا
ويتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون
سواه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس هو العفو عن اذنه للمنافقين
بالتخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق ثلاث تسعة منهم يوم احد وحنين قال
الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفيه بعث للمؤمنين
على التوبة والمعصية من الخطأ لا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي عليه السلام والمهاجرين
والانصار رضي الله عنهم لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ لا احد الا وله مقام يستنقص

ما فيه

ما فيه هو بالنسبة اليها فالترقية اليها ترقية من تلك النقيصة وفيه بيان لفضلها
وشرفها بانها مقام الانبياء عليهم السلام والصالحين رحمهم الله تعالى قال ابن
عباس رضي الله عنهما كانت السورة تدعى الفاضحة فلما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة
الذين اتبعوه اي اتبعوا امره عليه السلام في ساعة العسرة في وقتها فان الساعة
في اللغة بمعنى مطلق الزمان والعسرة الضيق والشدة والمراد بها حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان
تمرة والماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها في شدة زمان من حرارة القيظ من بعد ما
كاد تزيغ قلوب فريق اي من بعدما قارب ان تميل عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
في تلك الغزوة وانما اسند اليهم الى لتلبسها لكونه معنى قبيل العقلي بمعنى
الاعتراف القال بين منهم اي من المتبعين له عليه السلام وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
والعائد عليه الضمير في منهم لم يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل قلوبهم بل قال
قلوب فريق منهم تنبيها على شركة كلهم في العزيمة على قدم الثبات في مثل تلك الحال وانما زاغ
من لم يبق من الثبات وفيه اشارة الى الجهة التي ضعفا فيهم لان يتوب الله تعالى عليهم
وما في قوله منهم من الابهام لابهام انهم ليسوا من المهاجرين والانصار بل هم اعضاد المتبعين
له عليه السلام فيهما ما لا يخفى من التعظيم لشانهما والترفيع لمكانهما من منطقة التشنيع
ثم تاب عليهم على الفريق الذي كاد تزيغ قلوبهم لكنه وتهم على قراءة عبد الله من بعد
ما زاغت قلوبهم وما تقدم في حق ثلاث سبقت من المهاجرين والانصار في يوم احد وحنين
لا يغني عن هذا فلا تكرير وفي عبارة التراخي اشارة الى تاخر قبولهم الى تحلل الكفر بينه
وبين جريمتهم انه بهم استيناف تعليلي رؤف رحيم والجمع بين الاسمين لبيان العفو والكف
وعلى الثلاثة الذين هم الذين تقدم فيهم وآخرون مرجون معطوف على قوله والانصار
خلفوا اخروا وتركنا امرهم بحالهم لم تقبل منهم معذرة ولا ردت عليهم فكانهم خلفوا عن المعذرة
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس
ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه بالتوبة والاستغفا
ر بحات هذه الجملة في كيفنا ان في غاية الحسن والترتيب حيث ذكر اولا ما هو كناية عن ضيق
الحال فتكون النفس لضجرة ثم ما هو كناية عن الياس من الناس والانقطاع الى الله تعالى
وحيث اذا كلمة غاية تتدرج وتلتفق الى هذه الغاية ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة ليتوبوا

او انزل قبول توبتهم بقرينة الاستيناف ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة الاستيناف للتعليل بقوله **ان الله
هو التواب** لمن تاب ولو عاد في يوم الف مرة **الرحيم** المتفضل عليهم باصناف النعم وهم
المستحقون بانواع النعم **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** فيما لا يرضاه **وكونوا مع الصادقين**
الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او في ايمانهم ومعاهدتهم لله تعالى ورسوله
عليه السلام على الطاعة او في توبتهم وانابتهم فيكون المراد هؤلاء الثلاثة واضرابهم
وقرئ من الصادقين ونسبة القراءتين الى المعاني المذكورة على السوا **ما كان لاهل المدينة**
اي ما صح وما جاز لهم **ومن حولهم من الاعراب** كمزينة واشجع وجهينة وغفار **ان يتخلفوا
عن رسول الله** معاتبة للمؤمنين من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ونهيهم عنها الامر على ابلغ وجه بملازمته عليه
السلام ايثما توجه غازيا وبذل النفس دونه **ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه** اي ولا
ان يرغبوا عطفا على المحال ان رغب اذا تعدى بفي او الباء يفيد معنى الطلب واذا تعدى
بعن يفيد معنى الترك والاعراض وما له التحقيق ولا يرضوا ان يكونوا في خفض ودعة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في شق وتعب روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسنا
فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام
فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر
له وفي امر تخلفه ايذان بالعصب والجزم **ذلك** اشارة الى وجوب مشايعته عليه السلام
الدال عليه بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا **بانهم** بسبب انهم **لا يصيبهم ظما** عطش **ولا
نصب** تعب **ولا مخمصة** مجاعة مشتقة من خمص البطن وهو ضموره وكنى بذلك عن الجوع
لانه ملازم لها والتنكير فيها للدلالة على التقليل **في سبيل الله** في طريق الجهاد **ولا يطؤن
موطئا** باقدامهم او بحوافر خيولهم او باخفاف ابلهم يجوز ان يكون مصدرا وان يكون موضعا **يغيظ الكفار** وطؤهم اياه **ولا ينالون من عدو** من قتل منهم او اخراجهم من ديارهم او بهزيمة
ما يغيظهم وهو انقباض الطبع مما يكرهه ويسوء بتعظيمهم **نيلا** شيئا من قتل او جرح او ضرب او
اسر او تشريد او اخذ مال **الا كتب لهم به عمل صالح** اي حصل لهم بكل واحد من هذه
الا ثواب حسنة مقبول لانه كناية عن حصول لذة الاثم مما يوجب المشايعة تعددا مما قال به

مع ذكر اشياء اجمالا لانه لما ادخل بين كل شيئين منها لا تاكيدا صار كل واحد منها منفردا بالذكر
مقصودا بالوعد ولهذا قالوا من حلف لا ياكل خبزا ولا لحما حنث بكل واحد منهما ولو قال
لا ياكل خبزا ولحما لا يحنث الا بهما جميعا **ان الله لا يضيع اجر المحسنين** على احسانهم
فيه ايذان بان الجهاد احسان وان الاحسان موجب للاجر ويكون تعليلا لكتب اما كونه
احسانا بالنسبة الى المؤمنين فلما فيه من صيانة حوزة الاسلام عن استيلا الكفار واما
بالنسبة الى الكفار فلانه سعي في استخلاصهم وارشادهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي
المجنون ليشرب الدوا النافع **ولا ينفقون نفقة صغيرة** ولو تمرة او علاقة سوط **ولا
كبيرة** مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وتقديم النفقة الصغيرة
مع انحطاطها التاخير للاهتمام بشانها لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها **ولا يقطعون
واديا** في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال
فشاع في معنى الارض **الا كتب لهم** اثبت لهم ذلك **ليجزيهم الله به احسن ما كانوا
يعملون** احسن مصدر او مفعول ثان اي جزا احسن اعمالهم او احسن جزا اعمالهم فيلحق
ما دونه به بشكل الجنس تنويها لجزائهم **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** اللام
لتاكيد النفي اي وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم
لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش وهو مقيد بالوجوب لتعين طلب العلم لانه فهم
منه انه لو امكن نفر الكل وافريقه الى مقصد لوجب هذا الوجوب للتفقه على كل مسلم لقوله
عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** اي
فاذا لم يكن نفير الكل لما فاته المصلحة فهلا نفر من كل فرقة كثيرة منهم كقبيلة واهل بلدة
طائفة قليلة **ليتفقهوا في الدين** كله **ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون** اي ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها وليجعلوا غرضهم في ذلك
ونهاية سعيهم ارشاد القوم وانذارهم ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه في الجنايات
والاوامر والنواهي وتخصيص الانذار بالذكر ومحله عرض التفقه وان كان العمل به
ايضا منها لانه اشرف واعلى لان التفقه لا يكون نفقها الا من اجل العمل به فمن لم يعمل بما
علم فليس بفقيه ولانه لا التكميل بعد الكمال فكان العمل داخلا في التفقه ويجعل الكمال
بالعلم والعمل لا يكون الغرض منه الا التكميل وفيه دليل على ان التفقه في الدين والتذكير
به فرض كفاية وان خبر الاحاد حجة لعموم كل فرقة فلولا تنفر فقد في فرقة لوجب خروج بعضهم
للتفقه وانذارهم ولوجب على الباقين باخبارهم ولولا لم يسوا ... ولذا فيه وفي الاية

ووجه آخر وهو أن المؤمنين بعد ما سمعوا ما أنزل الله تعالى في المتخلفين عن غزوة
تبوك تسابقوا في الجهاد فكانوا إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا نفروا عن
آخرهم وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة ليتفقه
الباقون في الدين ولا ينقطع التفقه الذي هو الغرض من البعثة والجهاد الأكبر فإن
الجدال بالحجة أعظم شأنا من الجدال بالسيف ولينذروا قومهم أي النافرين إلى الجهاد إذا رجعوا
إليهم وعلى هذا الوجه فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا قومهم وإليهم للفرقة الباقين وفي
رجعوا ولعلهم للطائفة النافرين وفيه تشتيت للضمائر بعضها عن بعض وإن لم يكن مخلا بالفصاحة
عند انتظام المعنى والسياق فلذلك لم يكن عندهم أولى فالراجح هو الوجه الأول يا أيها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب
قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا بما يجاور دياره أولا فأولا لا الأبعد ليكون أمن
أنه لا يأمن أن يخاف من تركه فنزلت الآية تعليما للمؤمنين أمر الحرب كما علمهم ذلك في آيات
أخر من الأمر بأخذ الحذر وإعداد ما استطاعوا من قوة وقيل إن الذين يلونهم من الأعداء يوم
نزول هذه الآية هم الروم الذين هم ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فكان
الكلام متصلا بما تقدم من ذكر غزوة تبوك وليجدوا فيكم غلظة خشونة وشدة
وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهي لغات الثلاث واعلموا قدم وجه زيادة اعلموا في مثل
هذا المقام أن الله مع المتقين ينصرهم تعالى ويمن بتيسير لهم النصر وإذا ما أنزلت سورة
فمنهم أي فمن المنافقين من يقول لبعضهم أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا
واستهزاء بالمؤمنين وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته فأما الذين آمنوا
أي فأما الذين المخلصون فأما لترتيب الإخبار عنهم وتفصيل أحوالهم على التوزيع والتفصيل
على ما تقدم فزادتهم إيمانا بزيادة اليقين الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها
وبما فيها إلى إيمانهم وهم يستبشرون بنزولها لأنه سبب لزيادة أعمالهم وارتفاع
درجاتهم حتى يتبين ذلك في وجوههم وبشرتهم وأما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم
رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم
حتى ماتوا عليها أولا يرون أن القرآن لقوم شفاء ولقوم شقاء أولا يرون يعني المنافقين والهمزة
الواو لأنها عاطفة دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ فالكلام مستأنف من وجه متصل من
وجه وقرئ بالتاء على الخطاب للمؤمنين والاستفهام حينئذ للتعجب أي تعجبوا منهم كيف قست
قلوبهم وعميت أبصارهم عما يتتابع عليهم من أنواع المحن والمصائب لعلهم أنهم يفتنون في كل

بأنواع البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من
الآيات في كل عام العام هنا ليس على عمومه بل مخصص بما يناسب المقام مرة أو مرتين وقيل
عرفوا الفتنة بهتك أستارهم وظهور أسرارهم ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم
يذكرون ولا يتعظون بما يصيبهم حتى ينتهوا عما هم عليه من زيادة هم لأن غيرهم يتعظون
باختيارهم إن شاء الله تعالى أن لا يخلو أرباب التكليف عن دلائل الترغيب والترهيب أنهم في
كل وقت بنوع من البيان والترغيب في كل أوان بضرب من الامتحان فتهم من الآية أداء إيضاح
البرهان الأمر بزيادة الحذر لأن الحجة عن قريب لقبل البيان وإذا ما أنزلت سورة ذكر فيما سبق
ما يحدث منهم من القول على سبيل الاستهزاء وذكر هنا ما يحدث منهم من الفعل استهزاء نظر
بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم هل
يراكم أي قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين بعد أن تنصرفوا فإن لم ينصرفوا صبروا على
الاستماع ليطلبوا الفرصة ولذا تغامزوا ينسلون ويدورون في تدبير الخروج ولا يسأل الغلبة الغيظ
فإن لم يرهم أحد قاموا وإن رأوهم ماكثوا تماما فأتوا ثم انصرفوا عن حضرته عليه السلام مخافة
الفضيحة على التقديرين صرف الله قلوبهم الظاهر أنه خبر بأنهم بسبب أنهم قوم
لا يفقهون لسوء فهمهم أو عدم تدبرهم لما كان الكلام في معرض ذكر الذنب بدأ بالفعل المنسوب
إليهم حين لهم ثم انصرفوا ثم ذكر فعله بهم على سبيل المجازاة لهم في فعلهم كقوله فلما زاغوا أزاغ
الله قلوبهم ومن بلاغة القرآن وبديع نظمه أنه إذا كان القول في نعت الذنب بدأ فيه بالجهة
من الجهة التي هي عن المنيب كما في الذين المذكورين ليكون هذا أشد تعزيرا للذنب والإعلام
وإذا كان في تعدد نعمه تعالى بدأ فيها بالجهة التي هي منه تعالى كما في قوله ثم تاب عليهم
ليتوبوا ليكون ذلك تنبيها على تعداد النعمة من عنده لقد جاءكم رسول مخاطبة للعرب على جهة
تعديد النعمة عليهم في ذلك إذ جاءهم بلسانهم وبما يفهمونه من الأغراض والفصاحة
وشرفوا به غابر الأيام على سائر الأنام وقرئ من أنفسكم أي أشرفكم من أكرمنا يتبع المجانسة
والمناسبة يقول له عزيز عليه ما عنتم أي شديد وشاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه
من سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم على إيمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين
خاصة منكم تعميم الرحمة وتخصيص من وجه رؤوف رحيم الرأفة أشد الرحمة والرحمة
أعم منها لأن الرحمة تستعمل في كل نفع من المطر والسعة والعافية وغيرها لكن المعنى في الرؤوف
الشفيق العطوف وفي الرحيم النافع المفضل فلكل منهما رحمة تتقدم على الآخر وقيل قدم الرأفة
على الرحمة لأن الرأفة إنما تكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الآفات والنقائص التي تحق

بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة الكمالات والسعادات التي يستحق بها الثواب فالاولى
من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا تكون التحلية الا بعد التزكية ونسبتها الى الثاني
نسبة حريص اليه عزيز عليه فان تولوا اي فان اعرضوا عن الايمان بك فقل لهم وفيه
تلوين للخطاب وتوجيه التفريع لان مقتضى الرحمة والرافة ان لا يبقوا عليهم لا يجازيهم
بالقتل الذي يؤديهم اليه فاقتصر على القول الجامع للترغيب والترهيب حسبي الله اي
فاستعن بالله تعالى وتوكل اليه امرك فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو
كالدليل على التسليم والتوكل عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش
العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وعن ابي رضي
الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وقال البراء بن عازب رضي الله عنه آخر سورة نزلت
كاملة براءة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا
سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فكانه عنى ما
من قوله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة معها سبعون
الف ملك الحديث والله اعلم بالصواب سورة يونس عليه الصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قرئ بتفخيم الالف على التفخيم وبكسرها على الامالة وقرئ بين الفتح والكسر والاصل ترك
الامالة لان الفها ليست منقلبة من الياء ومن امال فقصد التنبيه على انها اسم لاحرف تلك آيات
الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن والمراد من الكتاب احدهما والاول
ابلغ من حيث ان البعض اذا اشتمل على صفة الكمال كان الكل اولى والحكيم ذو الحكمة وصف به الكتاب
لاشتماله عليها ويجوز ان يكون من قبيل توصيف الكلام بصفة المتكلم كشعر شاعر ... كانه في
نسبة حكيم لكثرة حكمه وان يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته فيكون استعارة
مكنية عن ثبات الحكمة قرينة أكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجب الكفار ولا يكون
وللتعجيب السامعين من تعجبهم لكونه عجبا في غير محله وعجبا خبر كان وقدم على اسمه وهو ان اوحينا
لكونه مدار الانكار والتعجيب احقا ناليه وقرئ بجيب فضل اهتمام مع كون اسمه نكرة مخصصة بتقدير
للناس عليه لانه في المعنى صفة له فلما تقدم انتصب حالا ولا استقبحها حصول الانكار
في حكم النفي وان اوحينا خبر على عكس ما تقدم لا على القلب لانه لا يستعمل في الاصل لانه لا يعتبر
بالفصاحة البلاغة بل لا لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة او اعتبار كان تامة وعجبا
ذا حالها والمتعلق احدث للناس عجب لان اوحينا وما قيل ان اوحينا بدل من عجبا فلا وجه

سد اذ المعنى الا امر في الناس متعلقة بعجبا على طريقة البيان يعني ان هذا العجب لهم كانه نبت
بيت لك بحيث هذا الخطاب لك اي انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون بها ونصبوه لهم علما في
تكارهم واشتهارهم به ولو قيل عند الناس لم يفد هذا المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس
للتحقير كما في قوله ومن الناس من يقول كذا فكانه قصد تهكما بهم فيما قصدوا بتعجبهم
الى رجل منهم تعجبوا من ان يوحى الى رجل من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد
كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وذكر من
رجالاتهم وقصور نظرهم عن معرفتنا لا اوصاف المقتضية لاختيار الله تعالى في الرسالة لذات
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ينقص من عظمائهم في النسب والحسب والشرف كل
ما يعتبر في الرياسة من اكرم الخصال الا المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك
كان اكثر الانبياء عليهم السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق
ذكره في سورة الانعام ثم خلط بين الوجهين لم يصب كما لا يخفى على ذوي الافهام ان انذر
الناس ان هي المفسرة لان في الايحاء معنى القول ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على ان
الاصل انه انذر المعنى انا ان الشأن قولنا انذر الناس فموقعه النصب فحينئذ فيه حذف
لا تمهل الخبر وفيها لا ولد خلاف الكوفيين فالاولى ان تكون مصدرية تقديره بانذار الناس
وذكر اسم الجنس للتعميم للقرينتين كانه قال اذا انذر الناس مؤمنا كان او كافرا وبشر الذين
آمنوا خاصة لان البشرية مشروطة بالايمان فما بشارة بشر مستقبلا بانذار في حق الكفار
لا الاستغراق كما ذهب اليه ومتعلقا الختم لانذاره دقلا من احد ليس فيه ما ينبغي ان يندر ومنهي
لان تبليغ الانذار ولهذا بان الخبر الى كل من في عصره ليس في وسعه عليه السلام واطلاق
المرسلين للتعميم من امر بين التقليين وبذلك يحفظ بمضمون الكتاب الى الواهم بتخصيص
الانذار بالحديث الامكانية فيه الى البعثة لان المفهوم انما يجيء اذا لم يعارضه المنطوق
وهذا الشرط مفقود هاهنا لان البيانات قادر كما تشاركته في العموم لكن لما كان الانذار طليعة
بترتيبه ما في قرينته من التعميم وانما قدم الانذار على التبشير لانه اهم ولان التخلية بعد
التحلية اتم ان لهم في محل النصب على حذف الباء قدم صدق سابقة ومنزلة
الجليلة قدما لان السعي والسبق يكونان بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقد
الى الصدق للدلالة على زيادة فضل وانها محققة او ان صاحبها قد نالها بصدق القول
والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة معنوية او صورية فيكون كقوله في مقعد صدق عند
مليك مقتدر ويفضله قوله عند ربهم ومن قال اي سابقة وفضيلة ومنزلة رفيعة

لا يعجب في الجمع بين وجهي الحجاز بل بين وجوههم قال الكافرون ان هذا فيه دلالة
على انهم يقولون انه عند حضرته عليه السلام لساحر مبين وقري لسحر والاشارة الى القران
وسائر ما اتى به من الخوارق العادات وكيف ما كان ففيه اعتراف بعجزهم عن المعارضة
وتسليم لاعجاز معنى فانه كانوا يطلقون عليه لفظ السحر عنادا ومكابرة لا لفظ التعجيز وكا
نوا لتكلمنا هو معلوم لا نفسا قطعا احتجوا عند نفي المعارض من باب العاجز ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش دل به على عظمة شانه وكمال
سلطانه فان القدرة على خلق اصول الممكنات كلها مع بعضها وبسطها في وقت يسير وعلى عظم
ملكه فالاستواء على العرش ثم قررها واكدها بقوله يدبر الامر لان تدبيرا مر الخلائق
كلها بهيئة اسبابها وترتيبها على النظام الحكمي يبينها امر العظمة ويعرب والتدبير في
الادبار الامور ليقع على ما ينبغي من الوجه الاتم الاصوب ثم اكد في تم بمعنى العظمة والكبريا
والعز والجلال بقوله ما من شفيع الا من بعد اذنه كقوله يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ورد
الرد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى فانهم لانهم يدعون ان الله تعالى
ياذن لهم في الشفاعة ولا لذلك في الاية على عدم الاذن لهم ذلكم الله اشارة الى المعلوم
الموصوف بتلك العظمة والكبريا الموجبة لاستحقاق العبادة ثم احد بكم الموصوف بما وصف هو
ربكم لا غيره اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا من شيء
الموجودات فضلا عن الجماد افلا تذكرون انعدام النظر في تعربه تعالى في هذه الاو
الموجبة لتخصيصه بالعبادة لا تذكرون فتنبهون بادنى تفكر على خطا ما انتم فيه
اليه لا الى غيره مرجعكم جميعا بالبعث للبعث يوم التشوق نظاره احبار على المال
وباطنه اذا تعارضه من الحال الدائر على وجه الامتناع لا استعداد لوم الشاد وعد الله
مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى حقا مصدر اخر مؤكد
لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه
استئناف كالدليل لما تقدم وذلك انه تعالى لما اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعده
ما يدل على كونه ممكن الوقوع في نفسه بقوله انه يبدؤ الخلق لان امكان الوجود اولا يدل
على امكانه ثانيا ثم ذكر ما يدل على وقوعه فيقول له ثم يعيده وقيل هو كالتعليل لقوله
اليه مرجعكم جميعا لانه لما كان المقصود من الابدا والاعادة مجازاة المكلفين على
اعمالهم وجب ان يكون مرجع الجميع اليه ويؤيده قراءة انه بالفتح اي لانه وبعد حذف الا

يكون منصوبا بالظرف اعني اليه ويجوز ان يكون من غير اعتبار اللام منصوبا بهذا المحذوف
متعلقا به باعتبار المعطوف اعني ثم يعيده لان الموعود هو الاعادة لا البدو وقري
حقا بالحذف وفعل مقدر وقري وعد الله على لفظ الفعل وحقا انه يبدؤ الخلق كقولك حقا
ان زيدا منطلقا ثم يعيده بعد بدئ الخلق بلا ابتدا ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
متعلق بيجزي اي يجزيهم بعدله او بعدلهم وبما عدلوا بايمانهم وعملهم ولم يظلموا بالشرك
لان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون والذين كفروا لهم
شراب من حميم من ماء حار يتصلى فيه نيخ حره وهو في جهنم وعذاب اليم اي عذاب يخلص
وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون غير المنقطع ولم يحتمل ويجزي الذين كفروا بشراب من
حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم فكانه قال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
ولله نعمة في استحقاقهم العقاب ولحوقا لعذابهم وجعل ثواب الايمان دون العمل الصالح
غرضا دون عقاب الكفر للتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدا والاعادة هو الاثابة
وان الله تعالى هو الذي يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه
واما العقاب فانه واقع بالعرض وكانه داء ساقه الى الكفرة سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم
هو الذي جعل الشمس ضياء اذ كان جعل بمعنى صير يكون ضياء مفعولا ثانيا وان
كان بمعنى خلق يكون حالا والضياء مصدر او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة
عن الواو وقري بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا جعل الشمس
ضياء وعين القمر نورا لعدم وكانت الشمس اعظم جرما خصت بالضياء لانه هو
النور الساطع وللمعاته هو اقوى من النور وقيل ما هو بالذات ضوء وما هو بالعرض
نور فكانه قصد بما ذكر التنبيه على ان نور القمر مستفاد من الشمس وقدره
قدر المسير منازل اي صيره منازل او قدره ذا منازل او قدر له منازل
والمراد المنازل للبروج اذ بها يعلم بقطعها عدد الشهور والسنين وخصص القمر بالذكر لان
المعتبر في الشرع السنة القمرية والشهر الهلالي فيما يتعلق باحكام الشرع ولذلك علله
بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب يعني حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي
في معاملاتكم وعباداتكم ما خلق الله ذلك اشارة الى ما ذكر الا بالحق حال من فاعله
اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة في
الصواب يفصل الايات نبين الدلالات التي يستدل بها على الحق لقوم يعلمون خصهم
بالذكر لانهم المنتفعون بها ان في اختلاف الليل والنهار اختلافهما تعاقبهما

ويكون احدهما خلفا للآخر وتفاوتهما ويكون احدهما يزيد بنقصان الآخر وما خلق الله
في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون خصهم بذلك لان الباعث على النظر والتدبر انما هو التقوى لله والحذر
عن العاقبة ثم الذين يعقلون بها آيات وينتفعون بها دون غيرهم ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يخافونه لانكارهم البعث لانه لا ينتظم مع تعليل قرينه بل لاعتمادهم على
شفعائهم او لاستعمال الرجاء في معنى الخوف شائع كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
وقال الهذلي ٥ اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ٥ والمراد من لقاء الله تعالى
سوء الحساب عنده تعالى وما يترتب عليه من اصابة المكروه وهذا صريح في عدم تأثير الخوف
والترهيب فيهم ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها ولا تشبيه لهذا التعليل
بنحو المكرر من لفاصر عن انه الانكار لا يجامع الغفلة عنه ووصفهم هذا كناية عن ان
الترغيب لا يجدي نفعا في حقهم كما احتمل ان يقال لهم لا يجدي الدنيا لغفلتهم بالتنبيه
والاستدلال لا نفعه بمنزلة واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فانظر الى
حسن انتظام هذا المقال حيث قال في تعيين الوصف الاول لا يرجون لانكارهم البعث وقوفهم
بالمحسوسات عما وراءها كما اخطأ في التعليل لترغيب في المقابل لانه احتمل بحق الترهيب ثم
ان قوله وقوفهم بالمحسوسات عما وراءها انما يناسب تعيين الرجاء بالامل على ما هو حقيقته
وحمل القلب على ميل النفس الى زخارف الدنيا لا يقتضيها يوجب الذهول لا بأس بالمقام ٥
والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهما كالمتضادين لا يجتمعان والعطف لتغاير الوصفين
الجمع بين الوصفين المتغايرين والتنبيه على ان الوعيد له او الذابين وهما الفرقة العابثة
عن احوال الآخرة والاخرى الراضية بالحيوة الدنيا والمطمئنة بها من حب العاجل ٥ عن التأمل
في الآجل ٥ والاعداد لها اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا
به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك
السبيل المؤدي الى الجنة ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا وتفسيرا له او يهديهم
في الآخرة بسبب نور ايمانهم الى الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ولما يبقى بعد في الجنة وعلى هذا يكون تجري خبرا ثانيا لان وحالا
من الضمير المنصوب في يهديهم وجعل التمسك سببا لسعادته نفسه او للوصول اليها فان هدايتهم
الى الطريق هدايتهم الى المقصد ليس هذا الا اذا الى في جنات النعيم متعلق بتجري او
بيهدي او خبر او حال آخر من الضمير المذكور او من الانهار او يعني على ان متعلقا بالضمير

تعيين نصف ان الجمع بين الايمان والعمل الصالح ظاهر في انه السبب لا سيما في مقام
الترغيب في اكتسابه ثبات بحصول الجزاء ثم التصريح بسببية الايمان المضاف الى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالتنصيص على انه ترك الايمان لم يكن لمدخل العمل الصالح لا مطلق الايمان غاية
ما انه ذكر لفظ النعوت بانحصار سببه ولا يكون ذكر مستدركا ولذا الا على اشتراط الايمان
بهذا التفصيل اندفع ما قيل من مفهوم الترتيب ولانه لعل ان سبب الهداية هو الايمان والعمل
الصالح لكنه لم ينطق قوله تعالى بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح
الحسنة والترتيب قبل ولا فضل لعلة لما ذكر من اهل السنة والجماعة لان العصاة غير مهتدين
الى ان كل من لم يكن مهتديا الى هو خط الدين التاريخ ممنوع ودعوى ذلك غاية المكابرة ولذا قد
ان الكلام في الهداية بسبب الايمان الى سلوك السبيل المؤدي الى الجنة وعصاة المؤمنين
مهتدين بهذه الهداية بعض الاخلاق في ان كل من لا يكون مهتديا بهذه الهداية لا يدخل الجنة
والتراب في الجواب عن تمسك المحال في هذه الآية انها معارضة بمثل قوله تعالى وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فان فيه دلالة على ان الايمان
وحده كاف في استحقاقها ما اعد له والاصل في النصوص التوفيق وهو هنا بحمل النعيم على
ما هو اعلى منها حق الحمل الجنان على ما تحتمله في تعيين سورة البقرة والمراد من
الجنات المضافة الى ما فيه من النبا تبين تعليق قوله تعالى فلهم جنات المأوى فيجوز
ان يكون الهداية الى جنات النعيم مشروطة بالعمل الصالح فلم يكن الايمان وحده كافيا
في الهداية الى مطلق الجنة دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اي اللهم انا
نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها اي تحية بعضهم لبعض وتحية الملائكة اياهم سلام وآخر
دعواهم خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك وان هي المخففة
من الثقيلة واصله انه الحمد لله والضمير للشأن وقرئ ان الحمد بالتشديد ونصب الحمد ولعل
اهل الجنة يشتغلون عن طلب الزوال لحصول كل ما يشتهونه فيقال لهم اصدق عن احتمال
الانقطاع والزوال ٥ فلا جرم تبقى دعواهم وما دعاهم مقصورة على تحميد الحميد ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير حين استعجلوه
بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير وحذف ما حذف منه لدلالة الباقي عليه
ايماء الى ان ذلك الوضع للاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به نفس
تعجيله لهم وبأن المراد بالشر الذي استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء لقضي
اليهم اجلهم اي ولو يعجل الله لاهلكهم الشر الذي دعوا به واستعجلوه كما يعجل لهم الخير

ولمحو بنيانهم لما قالوا لعذبنا بل أهلكوا وأبيدوا لأن تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك
فقضي على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا التفاتا وهذه الآية متصلة بقوله إن
الذين لا يرجون لقاءنا إلا أنه على أسلوب آخر وفيه إشعار بأن الله تعالى يمهلهم استدراجا
وجيء بالناس بدل ضميرهم تعظيما للأمر ثم قيل **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم**
يعمهون مصرحا باسمهم ذكرا لموصولهم بما وقع فيما ليس تعيينا ومقابلة فليس بالحسن ومن
هنا ظهر أنه لا حاجة إلى أن يجعل فنذر جواب شرط محذوف **وإذا مس الإنسان الضر دعانا**
لأن الله في جميع أحواله لا يغيب عنه في حال من أحواله **لجنبه** ملقيا لجنبه في موضع الحال
لعطفها على ما عليه أي دعانا مضطجعا **أو قاعدا أو قائما** فالترديد للتعميم لجميع
الأحوال أو لجميع أصناف أحوال الضر فإن الجنب به عاجز عن القعود أو قاعدا لا يقدر على القيام
أو قائما لا يقدر على المشي أي لا يستغني عن الدعاء في نوع من أنواعهم **فلما كشفنا عنه**
ضره مر مضى على طريقته الأولى قبل الضر ولم يشكر تضرعا ونسي الجهد أو مر عن موقف الدعاء
لا يرجع إليه **كأن لم يدعنا** أصله كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله
وعرش شقا اللون كان ثدياه حقان **إلى ضر مسه** أي كشف ضر **كذلك** مثل ذلك
التزيين **زين للمسرفين ما كانوا يعملون** عملهم من الإعراض عن الذكر والدعاء والانهماك
في الشهوات **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم** الخطاب لأهل مكة **لما ظلموا** حين ظلموا
بالتكذيب **وجاءتهم رسلهم بالبينات** الواو للحال ولا حاجة إلى تقدير قد لأنها لم تدخل على
جاءتهم رسلهم بالبينات بل على جملة ذلك القول الذي يليها كأنه قيل لما ظلموا وقصتهم
هذه وقد بين نظير هذا في قوله تعالى في تفسير قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم
الآية أو تعطف على ظلموا لأن معناه أحدثوا التكذيب وهذا معنى الإصرار عليه بحيث لا
في أنهم **وما كانوا ليؤمنوا** وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم والله
لما كتبوا لتعنتهم ما علمه تعالى بأنهم يموتون على الكفر فلو تأتى له في علمه إيمانهم لأن العلم
تابع للمعلوم ولا يؤثر فيه ويجوز أن يكون عطفا على ظلموا ويكون ظلموا مؤخرا عن مجيء
رسلهم بالبينات معنى وإن قدم عليه لفظا للاهتمام كما قدم ورفع أبويه على العرش وخروا
له سجدا والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعدم الإيمان بهم فإنهم
بعد إلزام الحجة ببعثة الرسل ويجوز أن يكون وجاءتهم رسلهم بالبينات اعتراضا بين
ما يتخلل هو بينه **كذلك** مثل ذلك الجزاء الإهلاك على وجه الاستئصال **نجزي القوم**
المجرمين أراد المجرمين بالجرم المعهود وهو تكذيب الرسل والإصرار عليه وإغفال المجرد

النوم

النوم لأن الكلام في عذاب الاستئصال ولم يتنبه له من قال إن في تعبير نجزي كل مجرم
والتقييد وعيد لأهل مكة وتهديد لهم مبناه على أنه أجرم فيه أو أدرجا أو لبيانه وهذا
أبلغ من الخطاب أتم ومن لم يتنبه له جوز أن يكون المعنى نجزيكم على وضع المظهر موضع المضمر
ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم من بعد القرون التي أهلكناهم خلفا هم جميل مختبر
لننظر كيف تعملون خيرا أم شرا فنعاملكم عليه على حسب أعمالكم استعيرتم للتراخي
في الرتبة فلا ينبغي عنه قوله من بعدهم وكيف في محل النصب بتعملون لأنه مستفهم المعنى
لتي فيكون نصبه على المفعولية ويجوز أن يكون نصبه على الحالية أي لننظر على أي
حال تعملون على حال الخير أم على حال الشر ولا يجوز انتصابه بننظر لأن الاستفهام
لا يتقدمه عامله وفائدته التنبيه على أن المعتبر في الجزاء جهات الأعمال وكيفياتها
لا من حيث ذواتها ولهذا يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى والنظر على حقيقته لأن الكلام
على طريق الاستعارة التمثيلية كقوله تعالى وقد أشار إلى ما يحمل على ما نبهت عليه أنفا
ومن لم يتنبه لذلك قال هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا ولزمه
الالتزام بأن يكون علمه تعالى بالحوادث متجددا ولا وجه له لأنه صفة كمال لا يجوز تخلفه
تعالى عنه ومنشأ وهم المحقق أن ما من شيء من شأنه أن لا يتوقف علمه بالحوادث على وجود الزمان
وحصول تلك الحوادث في أوقاتها كما هو شأن علم مخلوقاته **وإذا تتلى عليهم آياتنا**
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون تعيينا لهم من بين المشركين ذكرهم
ابن عباس رضي الله عنهما **ائت بقرآن غير هذا** بكتاب آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم
الأوثان والوعيد على عبادتها نتبعك **أو بدله** بأن تجعل مكان آية منه تتبدل لك آية أخرى وإنما
اقترحوا ذلك تمكرا وطمعا في إجابته إليه فيلزموه ونحوه وعليه ولما كان الإتيان بقرآن آخر
هذا ليس مقدورا للإنسان لم يخرج إلى نفيه ونفى ما هو مقدور له وإن كان غير جائز فيقيد به
ليدل أن لا دم فقيل له **قل ما يكون لي** ما يصح لي **أن أبدله من تلقاء نفسي** متعديا
مستعملا من قبلها هذا ما يجب تخليل النظر والذي هو بحسب حقيقته أن يجيء لنا في مجال لا قول
لا النقل الاقتصار في النفي على ذا اكتفاء ببعض الجواب به والتصريح إلا على الصواب **إن أتبع**
إلا ما يوحى إلي تعليل لنفي له ما يكون لي لأن المتبع لغيره في أمر يتيمه الوحي لا يستبق النفي
فيه بوجه جواب النقص بما أخر وكلا وصل به فيقصد الحق أن بأنا لقرآن كلام منه عليه
السلام وتفتراه وإلا لك قيد التبديل في الجواب بقوله تلقاء نفسي وسماه عصيانا
بين له **إني أخاف إن عصيت ربي** أي بالتبديل **عذاب يوم عظيم** فيه إيماء بأنهم

استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم
به ولا اعلمكم به على لساني اي ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتي حتى اجعله
على نحو ما تشتهونه وقرئ ولأدراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم الله
به على لسان غيري ولكنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ
ولا ادراتكم على لغة من يقول اعطيته وارضيته في اعطيته وارضيته ويعضده قراءة ابن
عباس رضي الله عنهما ولا انذرتكم به وقرئ ولا ادراكم به بالهمزة على لغة من يقلب الالف المبدلة
من الياء همزة لانهما من واد واحد او على انه من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته داريا اي
ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا مقدار
اربعين سنة من قبله من قبل هذا القران لا اتلوه ولا اعلم شيئا وهو تعليل لكونه بمحض اعلام
الله تعالى ومشيئته فان من نشأ بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم يتعلم شيئا ولم يجالس قط
عالما ولم يمارس علما ولم ينشئ خطبة ولا قريضا ثم اتى بكلام بهرت فصاحته فصاحة كل بليغ
وعلا نظمه كل منظوم ومنثور خارقا للعادة اعجز من تصدى له من البلغاء بأجمعهم يحتوي على فنون
العلوم والحكم الحقيقية بحيث لا يعلمها الا الله مشتمل على اصول الاحكام وفروعها معرب عن
اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من عند الله تعالى
افلا تعقلون فلا تستعملون عقولكم بالتامل فيه فتعلمون انه ليس الا من الله تعالى لا من قبلي
فلا تتهمونني بالافتراء على الله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته تذكار له
منه عليه السلام وبهم اي من اظلم مني ان افتريت على الله كذبا بتبديل ما انزل الله تعالى علي
ومنكم بتكذيبكم بايات الله تعالى وقد سبق في تفسير سورة الانعام وجه هذه الطريقة الاستفهامية
في مقام النفي ولعل ما قيل تطييب للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم انه ذو شريك وذو
ولد فيأباه التصدير بالفاء الداخلة على ترتيب الكلام على ما سبق وان لا دخل لذكره مع ان الافتراء
لا يكون الا كذلك اظهار الاجرام من جهتي المتبع انه لا يفلح المجرمون لا يظفرون
بمطلوب ولا ينجون من محذور ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم اي الاوثان لانها جمادات لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها ومن
خواص المعبود ان يكون قادرا على النفع والضر مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية
ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا في الاخرة وعن النضر بن الحارث
اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى ومن زاد على هذا فله ان لم يبعث وكأنهم
كانوا شاكين فيه فقد اتي بشي عجاب * كما لا يخفى على ذوي الالباب قل اتنبئون الله

بما لا يعلم اي بما لا وجود له اصلا وهو ان له شريكا او بان لهم شفعاء عنده تعالى تهكما بهم وتقريع
لهم باخبارهم علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود الشركاء وشفاعتهم عند الله
تعالى واعلام ببطلانه ثم واشعار بان ما لا يتعلق علمه به لا يكون شيئا اصلا لان علمه تعالى
محيط بجميع الاشياء لا حاجة الى غيبيته هذا الكلام الى تنبيه الحق بما يعلم ويخبر عنه
في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد
فيهما فهو منتف لعدم تحققه بل ما يجري به العرف من انه يقال عندنا تاكيد النفي ليس هذا في
السماء ولا في الارض من انه يقال العدم تاكيد النفي لاعتقاد العامة ان كل ما يوجد فهو اما في السماء
واما في الارض فلا حاجة الى التزام ان يكون الكلام الزاما وردا على زعم ان لا يكون ذلك في زعم
المخاطبين سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم
به وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة من غير اختلاف بينهم وذلك في
عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر من الكافرين
ديارا ومبنى هذا على عموم افراد الطوفان وما فيه من وقوع على ان يكون نوح عليه السلام
مبعوثا لكافة الناس حتى يلزم الكفر لمن لم يتبعه ولا يخفى ما فيه من الكلام فاختلفوا باتباع
الهوى فبعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين على ما سبق في سورة البقرة فرقهم الى الخلاف
بسنته الرحيل فاوهمهم انه مخالف لبعض القران ولولا كلمة سبقت من ربك قضاء جرى
في الازل بتاخير الفصل والحكم بينهم الى يوم القيامة فان الدار دار التكليف لقضي
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل ويقولون
عدل عن صيغة الماضي الى صيغة المضارع حكاية للحال الماضية وقصدا الى الاستمرار
لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا بها آية من الايات التي كانوا يقترحونها غير معتدين بما
نزل عليه عليه السلام من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها على احد من الانبياء عليهم السلام
لا سيما خصوصا القران المعجز الباقي الى آخر الدهر وغير متفكرين به عنادا ومكابرة بل جعلوا
نزوله كلا نزول فكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه بتنكيرية للضمير ايذانا
واحدة وهي تنجيز لاية فذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما
الغيب لله اي انه اعلم المانع من انزالها غيب ولا يعلم الغيب الا الله وما قيل فلعله
يعلم في انزاله مفاسد تصرف عنه لا ينتظم مع قوله فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم
من المنتظرين لما يفعل الله بكم من العذاب بجحودكم الايات العظام واقتراحكم غيرها تعنتا واذا
اذقنا الناس رحمة كخصب وامن وصحة من بعد ضراء من القحط والجدب والمرض مستهم

خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها اذا لهم مكر في آياتنا قد سبق في تفسير سورة الاعراف
بيان معنى المكر وما به يفارق الكيد واذا الاولى شرطية والثانية للمفاجاة وقعت
جوابا للشرط قيل سلط الله تعالى القحط على اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم
بالحيوة فطفقوا يقدحون في آيات الله تعالى ويكيدون رسوله عليه السلام قل الله اسرع
مكرا انما قال اسرع مكرا اي منكم لان معنى المفاجاة قد دل على سرعتهم فتفضل عليها اي
فاجاؤا في وقت اذاقة الرحمة المكر وسارعوا اليه قبل ان ينفضوا عن رؤوسهم غبار الضر ومعناه
انه قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا وكيدكم في اطفاء نور الاسلام والمكر منه تعالى
جزاء مكرهم واخذهم بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما دبروا في
اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عما ان يخفى على الله تعالى وايعاد لهم
بالانتقام وتحقيق له وقرئ يمكرون ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في البر يمكنكم من السير
فيه بان جعل لكم الارض ذلولا تمشون في مناكبها وقرئ ينشركم من النشر والبحر ولما كان
السير فيه اغرب واقعا في ظهور اثار القدرة والرحمة قرنه بخصيصة بالتفصيل فقال حتى اذا كنتم
في الفلك في السفن ومجيئها في القراءة الثانية لبيان ان غاية السير مضمون الجملة الشرطية الكائنة
في وجرين بهم اي بمن فيها الفلك في جري الغالب بما معهم كانه ركوبها ووقوعهم في الغيبة
معا لسرعة الجري وفي تقبيح حالهم بحيث لما انهم الى المتكلم عن المخاطبة تحكي لغيرهم سوء صنيعهم
وقلة حيائهم كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح وذلك ان نزول
في وجه الالتفات ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار
نعمة المخاطبين والسائرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك
ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع ولما ذكر ما آل اليه الامر في آخرها
الى ان المتلبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون
يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح
جاءتها جواب اذا والضمير للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب
وجوز ان يكون الضمير للفلك ولا يلائمه قوله وجاءهم الموج لما فيه من تخصيص مجيء الريح
بالسفينة ومجيء الموج بمن فيها الا ان كلمة تقتضيها بل معنى مجيء الموج من جهات متقابلة بل
ان يكون الضمير للريح الطيبة حتى يتبين معنى التقابل والتدافع بين الريحين فيحصل المبالغة
في اضطراب البحر واضطراب امواجها المفضية الى ما يفهم من كل مكان وان عبارة كل في مثل
هذا المقام للمبالغة في التعميم • اذ لا احاطة ولا تعميم • ومن غفل عنه قيد المكان بما يجيء

الموج

الموج منه وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو
مثل في الهلاك فاستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
مخلصين له الدين من غير اشراك لتصفا الفطرة بزوال المانع من شدة الخوف لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول دعوا لانه من جملة القول فلا حاجة الى تقدير
واللام في لئن موطئة للقسم فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق احترز به عن البغي بالحق كتخريب المسلمين
ديار الكفار وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فانه افساد بحق يا ايها الناس توجيه الخطاب
في ثنا الكلام الى اولئك التفات آخر لبيان الاعتناء بزجرهم عن البغي المبالغة في النهي والتقريع عنه انما بغيكم
على انفسكم بغيكم مبتدأ على انفسكم صلته متاع الحيوة الدنيا خبر اي بغيكم على من هو
من جنسكم ونظرائكم يعني بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها بقي عقابها او على
انفسكم خبر اي انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي هو متاع
الحيوة الدنيا وقرئ متاع بالنصب على انه مصدر مؤكد على انفسكم خبر اي انما بغيكم وبال على
انفسكم تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم
تعملون وقد سبق تفسيره في سورة التوبة انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة
في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا لكثرته وتكاثفه مما يأكل
الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها
استوعبت بتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظها الزخرف وهو الذهب كانت
من الاشياء البهية المتلالية كالعروس وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة
وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت
بمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها وتحصيل ثمرتها والانتفاع بها اتاها امرنا بالتلاف زرعها وافساده
ببعض العاهات بعد امنهم منها فاتاها ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها على
تقدير حذف المضاف حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن
بالامس اي كان لم ينبت ذلك الزرع ولم تحاجها الى تقدير المضاف وقرئ بالياء على
الاصل فيما لغني بالمكان غنى مثل عني عيي وغنيا ذا اقام وقرئ لم تغن بالامس فيما قبله مثل
في الوقت القريب للماضي كانه قيل كان لم تغن آنفا والمراد انه ليس متاع الحيوة الدنيا عقبه يجيء

الحيوة الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها مع بهجتها الى نبات الارض النابت
بما المطر في سرعة تهيجها ويبوسها بعد ما يصطفا تنابعد اخضراره وغضاضته قبل انتفاع الناس
به لتغير الحال عنه والمثل به مضمون الحكاية لا الماء وان دخل عليه حرف التشبيه لانه من التشبيه
المركب وقوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تمثيل لغاية في تزيينها لا، رض
وتبهجها في اثناء التمثيل بتشبيهها في جعلها اخذة زخرفها بالعروس اذا اخذت الثياب
الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بانواع الزين والحلي على طريق الاستعارة بالكناية
كذلك نفصل الآيات نبينها ونميز بعضها عن بعض لقوم يتفكرون انما خصها بهم
لانهم المنتفعون بها والله يدعوا الى دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعالى تعظيما لها
او دار السلامة من التغير والآفة لسلامة اهلها من كل مكروه وقيل دار السلام لتسلم
الله وملائكته عليهم او تسليم الملائكة عليهم ويهدي من يشاء هدايته بالتوفيق الى صراط
مستقيم طريقها وهو الاسلام او التقوى وحيث كان الدعاء عاما لم يقيد بالمشيئة بخلاف
الهداية فانها خاصة فتقيدت بها وفيه ايذان بان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة
لم يرد الله تعالى ارشاده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة عليها وهي
ما يتفضل به عليهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى
سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة الرضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء
ومن غلاة اصحاب الضلال من قال زعمت جهمية والجبرية ان الزيادة النظر الى وجهه
تعالى وجانب بحثه مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا يا اهل الجنة فيكشف
الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا هو احب اليهم منه قوله مرفوع مع بالقا
بلا ومعناه مرفوع معتزلي واما عند اهل الحق فقد صح بالقرآن ورواه ابو بكر الصديق
وابو موسى الاشعري وحذيفة وابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك وابن ابي ليلى
ومقاتل اورده مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يورده البخاري في صحيحه بالاسناد وصححه احمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه والمتفق
على صحته ولذلك التعصب طعن في الحديث الصحيح • والخبر الحق الصريح • ترويجا
لاعتقاده الفاسد • وتصحيحا لمذهبه الباطل • وصحف المرفوع جعله موضوعا ليروج به
مذهبه المخروق هيهات اتسع الخرق على الراقع • وللحق الواقع ما له من دافع • ولا يرهق
وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان يعني لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يعقبهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال وكسوف بال اولئك اصحاب الجنة

هم

هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقطاع لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
والذين كسبوا السيئات عطف على للذين احسنوا كقولهم في الدار زيد والحجرة عمرو وجاز
العطف على عاملين مختلفين ان تقدم المجرور او مبتدأ خبره جزاء سيئة بمثلها على تقدير
جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة بسيئة واحدة مثلها وفيه دليل على ان
الزيادة هي الفضل لانه جزاء السيئة بمثلها هو العدل وترهقهم ذلة ذكرها بما تقدم
منه برحمته ما لهم من الله من عاصم اي من سخط الله تعالى وعقابه او من جهة الله
من عاصم كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما حال من الليل
سوادها وظلمتها والعامل فيها اغشيت لانه العامل في قطعا من الليل صفة له والعامل
في الموصوف عامل فيها الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بالسكون من قوله
بقطع من الليل فيكون مظلما صفة لقطعا او حالا منه لاختصاصه بالوصف وتحصل
قراءة كانما يغشي وجوههم قطع من الليل مظلم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ومما يتمسك به الوعيدية لان سياق الكلام في الكفار لقوله تعالى وجوه يومئذ عليها
غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم واما التعليل باشتمالها لسيئات على الشرك والكفر ففيه تخصيص لحكم
المذكور بالمشركين ولا وجه له والتعليل بتبيانا قبل الذين احسنوا اصحاب الكبيرة من المؤمنين
فلا بد ان تكون فيه مغلبين بتوقي لانهم من المحسنين على الاطلاق غير ظاهر ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا
ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسد الزموا
وشركاؤكم عطف عليه وقرئ شركاءكم بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم
وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل فباعدنا بينهم بعد الجمع في المحشر وتبري
شركاءهم منهم وعن عبادتهم لقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وربما
ترتيب قوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون بالفاء الاصلية بلا تراخ يعني انما
تقدم تجاوز عن براءة وما عبدوهم من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها
الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به والمراد من الشركاء الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم
من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فيكلمهم مكان الشفاعة التي يتوقعون
منها وقيل الشيطان او الشياطين وبراءته فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم
بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم كانت باغوائهم اذ هي الحقيقة

من التنكيلة واللام في الابتداء (؟) هنالك في ذلك المكان تبلوا كل نفس ما أسلفت
تختبر ما قدمت من العمل اي تعارف ضره ونفعه وقرئ نبلوا بالنون والتلاوة اي تقرا في صحيفتها ما قدمت
من الخير والشر وقرئ تتلوا اي تتبع لان عملها هو الذي يقودها الى الجنة او النار وقرئ نبلو
بالنون ونصب كل اي نصيب كل نفس بالابتلاء وهو العذاب بسبب ما تقدمت من الشر فيكون نا
بالنزع الخافض وتعبيرها بالاختبار التمثيل بما نفعل بها فعل المختبر لها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بمعرفة عملها في الصلاح والفساد والقبول والرد فيكون ما بدلا
من كل نفس بدل الاشتمال وردوا الى الله اي الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم
اي المتولي امورهم الحق لا الباطل الذي اتخذوه مولى وهو لاهم على الحقيقة لا الذي ليس
لولايته حقيقة او العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد
لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وضل عنهم ما كانوا
يفترون من انهم الهتهم تشفع لهم وما كانوا يدعون الهة قل من يرزقكم من السماء
والارض منهما جميعا فانه لا يحصل الا من الاسباب سماوية وارضية معا او من كل
واحدة توسعة عليكم وقيل من لبيان على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
امن يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما او حفظهما وكلاءتهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة تأديهما وبطلانهما بادنى شيء ولما كان الوصول الى الرزق
بواسطتهما كان خلقهما وحفظهما من تمام الترزيق ولهذا قال امن يملك ولم يقل ومن كما قال
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي يحيي ويميت او ينشئ الحيوان من النطفة وعكسه ومن يدبر
الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله تعميم بعد التخصيص تنبيها على ان تفاصيل الكون والنعم
والاسباب الايجادية الربانية اكثر من ان تحصى كما نقول وبالجملة فمن يدبر امر العالم كله
فسيقولون الله اذ لا يقدرون بحسبه ذلك الى غيره مكابرة لفرط وضوحه فالتي
لسنا كيدا والفاء جزائية للترتيب على شرط محذوف تقديره ان سألتهم عن ذلك فسيقولون لا بد
لنا لينة فقل تفريع على الشرطية المذكورة افلا تتقون الله في اشراككم به ما لا
يشيء من ذلك الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء للترتيب الانكاري على الاعتراف المذكور
التي معتمدة معتبرة ان تحرت لفظا حفظا لصدارة الهمزة فذلكم الله ربكم اشارة الى ان
من هذه افعاله وقدرته ربكم الحق الثابت بذاته او الواجب وجوده لانه الذي انشأكم
واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكاري
اي ليس بعد الحق الذي هو التوحيد وتخصيص العبادة به تعالى الا الضلال فاني تصرفون

عن الحق الى الضلال ومن التوحيد الى الشرك كذلك مثل ذلك الحق اي كما حقت الربوبية
لله تعالى اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمت ربك
حكمه على الذين فسقوا تمردوا في الكفر وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة لانها في معنى الحكم اي حكمه بانهم لا يؤمنون او بدل منهما اي حق وثبت عليهم انتفاء الايمان
او تعليل على ان الكلمة كلمة العذاب وعدته اي لانهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من
يبدأ الخلق ثم يعيده الزمهم بانه الخالق والمعيد وان لم يكونوا معترفين بها
لجعلها على وضوح برهانها واقامة الادلة عليها اذ من انكرها كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي
لا يعترف به العقلاء وكان عندهم من المسلمات فقد اوحى اليه الجهم عنادهم وشدة تكبرهم
امر النبي صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب عنهم في قوله قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده اي لا يمنعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم فانى تؤفكون تصرفون
عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للاعتبار على النظر والتوفيق للتفكر والتدبر والهام الحق والصواب وهدى كما يعدى بالي يعدى
باللام ايضا لمعنى يهديه باللام الدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك عدى بها ما اسند الى الله تعالى في قوله قل الله يهدي للحق اي الله تعالى
وحده يهدي الذي يهتدي للحق دون غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي
الا ان يهدى اي افمن يهدي هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهتدي بنفسه الا ان يهديه الله
تعالى وهذا حال اشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل معناه لا يهتدي بمن
هو اشرف الى مكان الا ان ينقل اليه او لا يهتدي الا ان ينقل وقرئ لا يهدي بفتح الياء وكسر الهاء
وتشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وقرئ الا ان يهدي من هداه الله لغة بمعنى يهتدي
فما لكم كيف تحكمون بالباطل اذ تزعمون انهم
انداد الله تعالى وما يتبع اكثرهم في معتقداتهم الا ظنا غير مستند الى برهان بل مستند
الى خيالات واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة
موهومة والمراد بالاكثر من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن
لا يغني من الحق في معرفة الله تعالى من الحق اي العلم والاعتقاد شيئا مفعول
به ومن الحق حال منه او نصب على المصدر اي لا يغني بدل الحق شيئا من الاغناء وقيل وما يتبع اكثرهم
في اتخاذ الاصنام الهة وانها شفعاء الا ظنا وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب
والتقليد والاكتفاء بالظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على ما يفعلون

مما اتباع الظن وتقليد الآباء دون البرهان وما كان هذا القرآن أن يفترى من
دون الله وما صح أن يكون مثل هذا القرآن في الإعجاز افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي
بين يديه ولكن كان تصديق ما تقدمه من الكتب المنزلة السابقة وتصديق الصادق
صادق وهو بكونه معجزا دليل على صدقها وشاهد لصحتها تصديق خبر كان المقدر أو علة
لفعل محذوف تقديره لكن أنزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
الذي وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وما فرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله
عليكم وقرئ وتفصيل بالرفع عطفا على تصديق على قراءة الرفع لا ريب فيه خبر ثالث داخل
في حكم الاستدراك أي منتفيا عنه الريب لا ينبغي أن يرتاب العاقل فيه ويجوز أن يكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا شك
فيه كريم أو بالفعل المعلل بهما أو حالا من الكتاب أو الضمير في فيه لأنه مفعول في المعنى
ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان على كونه من عند
الله أم يقولون بل أيقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة الإنكار لقولهم واستبعاد دعوى
الافتراء مع كونه حجة عليهم بالإعجاز قل فأتوا بسورة مثله أي إن كان افتراء كما زعمتم
فأتوا أنتم بسورة مفتراة مثله في البلاغة وحسن النظم فإنكم مثلي في البلاغة والفصاحة
بل أشد تمرنا بها مني وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن
تستعينوا به من دون الله من خلقه أي لا تدعوا الله فإنه وحده قادر على الإتيان
عليه إن كنتم صادقين أنه افتراه بل كذبوا بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن
بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن في أول وهلة سماعه قبل أن يفهموه ويعلموا معانيه
أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم لفرط اقتحامهم الشبه
ونفورهم عما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله
ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم إنهم فاجؤوا تكذيبه قبل
أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه
لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر
به طبقا لإخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب
الذين من قبلهم أنبياءهم قبل النظر في معجزاتهم تقليدا وتعنتا وعنادا أو حسدا فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يؤمن به

يصدق به في نفسه ولكن يعاند ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه ولا يصدق أو منهم
من سيؤمن به ومنهم من سيصر ولا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين والمصرين
وإن كذبوك أي أصروا وداموا على تكذيبك بعد إلزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا أنتم
بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من
إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل إنه منسوخ بآية السيف والوجه أنه لا نسخ إذ إنما
نسخا لو صح قيامه للتعارض قطعا والإيهام بمعزل عنه ومنهم من يستمعون إليك
إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون ولا يصغون كالأصم الذي لا يسمع أصلا
أفأنت تسمع الصم بعد التبليغ تقدر على إسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم إلى
صممهم عدم تعقلهم ومنهم من ينظر إليك ويعاين دلائل صدقك ونبوتك ولكن لا يصدق
أفأنت تهدي العمي أي بعدما أظهرنا المعجزات ودلائل النبوة تقدر على هدايتهم ولو كانوا
لا يبصرون ولو انضم إلى عماهم عدم بصيرتهم أفأنت تنكر أن يكون هو الذي يقدر على إسماع
الذي لا يعقل وهداية الأعمى الذي لا بصيرة له وفيه تنبيه على أن حقيقة الاستماع هو فهم
المعنى وحقيقة الإبصار هو الاستبصار والاعتبار وهما إنما يكونان بالعقل والبصيرة ولذا
ولذلك لا يوصفان بالأول البهائم ويحدس الأعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير
الأحمق فإنه لا يقدر على موهبة العقل والبصيرة والتوفيق للفهم والاستبصار إلا الله تعالى
وحاصله أن الأصم والأعمى لا يتوقع فهما إلا أن يقدر على ذلك وفي تشبيههم بالصم والعمي [?]
السمع والبصر للفهم والاستبصار فإذا لم يحصلا لأحدهما لم يكونا فإن ضم سلب العقل والبصيرة
إلى الصمم والعمى لهم إلى أن تأتى أن يفهموا ويستبصروا وإذا سلب العقل فلا فائدة في سلب
النظر في التأتي لأن بالبصر بدون العقل يوصل إلى أفهام الطرق والسلوك فيها ألا ترى
أن البهائم تبصر الطرق وتسلك فيها وتهتدي بها المسالك ولا عقل لها بخلاف السمع فإنه
لا ينتفع بها بدون العقل فظاهر البصر بدون العقل يتصل بالأشياء وبظاهر السمع بدون العقل
لا تعرف الأشياء والآية كالتعليل للأمر بالتبري والإعراض عنهم إن الله لا يظلم الناس
شيئا بالإخلال بشيء من أسباب كمالهم ووسائل اهتدائهم كنفخ حواسهم وسلب عقولهم ونصب براهينهم
كما أنعم عليهم بلا تنبيه ببعثة الرسل وإنزال الكتب ولكن الناس أنفسهم يظلمون
بترك استعمال مشاعرهم وعدم التفكر في أنفسهم بجحودهم النظر والاعتبار [?]
فإنه هو تعالى الرحيم ولا أسباب إلا [?] في سهل [?] ولا يعلمهم بالتعذيب بتكبرهم وعنادهم

يوم القيمة ولكن الناس انفسهم يظلمون باقترافهم اسبابه واستيجابه لعل هذا الوجه هو
تعييد لهم على الاول تنبيه على ان كونهم بمنزلة الصم والعمي بعدم استعمالهم لادراكاتهم
فيما خلقت له لا لان اسباب الهداية مفقودة وعلى الوجهين تذييل لما سبقه ويوم يحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة استقصار منهم لمدة لبثهم في الدنيا او في البرزخ لهول
ما يرون وفي بيانها بقوله من النهار تاكيد للاستقصار لان ساعاته تكون زمان الانس
بالاشغال لا يشعر لطولها كساعات الليل والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف اي يوما كان لم يلبثوا قبله
او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا
كان لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم
فهو بيان لقوله كان لم يلبثوا لان طول مدة اللبث موجب للتناكر والتعارف انما يبقى مع
قلتها قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله استئناف للشهادة من الله تعالى على خسرانهم
في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين اي الى طريق التجارة او فيه معنى
التعجب كانه قيل ما اخسرهم ووضع الذين كفروا موضع ضميرهم اشعارا بان سبب الخسران
انما هو تكذيبهم لقاء الله تعالى وعدم هدايتهم لانتفاعهم بما اوتوا من المشاعر والعقول والنظر
في تحصيل المعارف واكبابهم بها على ... توديهم الى الحساب والهلاك
او العذاب واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه
يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة قيل هو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ولا حاجة الى تقدير الجواب المذكور لان قوله فالينا مرجعهم
صالح ان يكون جوابا للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى ... كلا انا نعذبهم
تعذبهم في الآخرة وان الذي نريكه في الدنيا لا يكون شيئا لتخفيف عذابهم في الآخرة وهذا
هو المناسب للمقام ... والعدول عنه بما لا تكاد تحذف في الكلام ثم الله شهيد
على ما يفعلون اي بعد رجوعهم الينا الله سبحانه مجازيهم على افعالهم والله مؤد شهادته
على افعالهم حين تنطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم والمراد من الشهادة
مقتضاها ونتيجتها اي العقاب لانها دالة الذي احاط بجميع افعالهم الشنيعة القبيحة ولكن
توجيه العقاب لتشديد لانه محصل لما سوى ولا التفات من التكلم الى الغيبة واظهار اسم
الله تعالى لايقاع ثم واما الجملة الاسمية للتنبيه على ان المعاقب هو الله تعالى الذي لا يخفى
عليه شيء منه وترتيبه المهابة والتهديد والتهويل بان مضمونه الوعيد في غاية البعد عن ضرورة

عند الرجوع ودوام العقاب وفيه انواع من المبالغات في تشديد الوعيد وتاكيده وقرئ ثم بالفتح
اي هنالك ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم
بالبينات فكذبوه قضي بينهم بالقسط بالعدل فانجي الرسول ومن آمن به واهلك المكذبين
... ذلك لالزام الحجة كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون بالعقاب
في الآخرة بعد العذاب في الدنيا لانه جزاؤهم والتعذيب في الدنيا لا يكون مكفرا في حق
الكافر وعلى هذا ما سبق لانا كيدا لما قبله فانما ... بخلاف ما قيل معناه لكل امة
يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي
بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم فانه ... يتعين
... كيدا لما عطف ... لتنجيز الحالة ويقولون متى هذا الوعد استعجالا
من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعادا له واستهزاء ان كنتم صادقين خطاب
للرسول عليه السلام والمؤمنين به قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك
لكم فاعجل لكم العذاب وتقديم الضر لما ان ... الكلام من جنسه الا ما شاء الله استثناء
متصل اي الا ما شاء الله ان املكه او منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل
مضروب لهلاكهم عند الله تعالى ... في الزمان اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اذا جاء ذلك الاجل ... لا يستعجلون فسيحين وقته ...
... ما يتعلق به في تفسير سورة الاعراف قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به
بياتا نصب على الظرفية اي وقت بيات ... بالنوم او نهارا اي وقت اشتغالكم
بطلب المعاش والكسب والمعنى جواب الشرط محذوف ... الاستعجال والعرض
المخاطبة وقوله ماذا يستعجل منه المجرمون متعلق بارايتم اي اخبروني ماذا
يستعجلون منه والشرطية اعتراض ... ان يكون ماذا جواب الشرط ... ان اعجل
ماذا اطلبوني والشرطية متعلقة بارايتم والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفار
ان يستعاذ منه لا ان يستعجل فاي شيء تستعجلون منه على ان الضمير في منه للعذاب
او لله تعالى ويجوز ان يكون معنى الاستفهام في ماذا هو التعجب من العذاب مع الانكار
اي اي شيء هائل شديد يستعجلون منه ... ووضع المجرمين
موضع ضمير المخاطبين ... الالتفات ... في الاستفهام من معنى الانكار والتعجب
... الدلالة على موجب ترك الاستعجال الذي هو الاجرام فان المجرم من حقه ان يخاف التعذيب
... فضلا عن ان يستعجل ويجوز ان يكون ... اثم اذا ما وقع امنتم به

جواباً للشرط وماذا يستعجل اعتراض اي اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان ودخول الهمزة على ثم لانكار التاخير للايمان الى وقت لا ينفع وهو
وقت العذاب وادخالها على المعطوف لانه محط الانكار والاستبعاد والمجي بحرف التراخي
للدلالة على الاستبعاد ثم زيادة اداة الشرط الدالة على اسبقية الاتيان بالاستبعاد وعلى
ان الاول كالتمهيد له وتوجيه الانكار الى ترتيبهما بمعنى الوقوع والتحقيق وزيادة التجهيل
وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم البتة آلآن على ارادة القول اي قيل لهم
اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وقد كنتم به تستعجلون تكذيباً وانكاراً
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل الآن ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام
هل تجزون وتصيبون ذلك الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك
ويستخبرونك احق هو الضمير للعذاب الموعود واحق خبر والضمير مبتدأ او المبتدأ والضمير
مرتفع به ساد مسد الخبر كقولهم أقائم زيد والجملة في محل النصب بيستنبئونك والهمزة
للاستفهام على سبيل الانكار والاستهزاء وقرئ الحق هو على ان اللام للجنس كأنه قيل أهو
الحق لا الباطل وهو الذي سميتموه الحق وهو اظهر في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه
باطل قل اي وربي انه اي العذاب لحق واي من حروف الايجاب بمعنى نعم وتختص
بالقسم كما ان هل بمعنى قد تختص بالاستفهام فيقولون اي والله ولا ينطقون به وحده
لحق وما انتم بمعجزين فائتين العذاب الذي هو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس
ظلمت بظلم ما يستحق به العذاب ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها
وجميع منافعها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم فداه فافتدى بمعنى فداه
والمعنى كل النعيم الحكم لكل واحد من النفوس الظالمة واسروا الندامة لما راوا العذاب
حين رؤيتهم العذاب لانهم بهتوا لما عاينوا ما لم يخطر ببالهم ولم يحتسبوه وسلبت شدته
وفظاعته قواهم فلم يطيقوا اظهار الجزع والبكاء والتحسر والبكاء لا الاخفاء اذ ليس هناك
فما ملأت قلوبهم ندماً وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من اتباعهم الذين اضلوهم حياء منهم
وخوفاً من توبيخهم وقيل اسروا الندامة اخلصوها وجعلوها سرهم اي اخلصوا وبطنوا حيث
لم يكن فيها تجملاً ومن قولهم سر الشيء لخالصه لانها تخفى ويضن بها وعلى هذا يكون فيه تهكم
بهم وقيل اظهروها من قولهم اسر الشيء اذا اظهره وهو من الاضداد وقضي بينهم بالقسط
اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم وهم لا يظلمون ليس تكريراً لان الاول
قضاء الحكومة والثاني مجازاتهم على الشرك وسائر المعاصي الا ان لله ما في السموات

والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده
من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه وايراد كلمتي التنبيه والتحقيق وجمع بينهما في جملتي اختصاص
الملك واثبات الوعد تقرير لما وعدوه وتنبيهاً على ان ما ذكر من صحة واجب الوقوع لا محالة
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك لما بهم من الغفلة هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما
في العقبى ايضاً لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت
باقية ابداً واليه ترجعون بالبعث بعد الموت تخويف وترهيب والاطماع وترغيب
وترجي يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد من الحكمة العملية المبينة لمحاسن الاعمال ومقابحها
والترغيب في الاولى والتحذير عن الثانية والحكمة النظرية من العقائد والمعارف والحقائق التي هي
شفاء لما في الصدور من الامراض القلبية كالجهل والشك والنفاق والشرك والهداية الى
الحق والتوحيد والرحمة لمن آمن به منا لعلهم ما يحيهم من ظلمات الضلال والكفر الى نور
الهدى والايمان ومن دركات النيران الى درجات الجنان وتنكير موعظة وما عطف
عليها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف يدل عليه ما بعده تقديره
فليفرحوا بفضل الله وبرحمته يعني بانزال القرآن والهداية الى الايمان فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
يعني مضمونه وما ذكره معنى بفضل الله وبرحمته فليعتنوا الجملة الاولى الدال الثاني عليه وذلك
اشارة الى الفضل والرحمة بتأويلهما مذكوراً وتقديمه للتاكيد والبيان بعد الابهام وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا وكذا تكرير الفاء للتاكيد وهي جواب
شرط مقدر تقديره ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز
ان تكون الفاء للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح
ويجوز ان يتعلق بفضل الله وبرحمته بقوله قد جاءتكم اي قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته
فبذلك الاشارة الى مصدر جاء فليفرحوا وقرئ بالتاء فلتفرحوا على الاصل المرفوض وقد
قيل انه قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعاً وانما اثر عليها الاسلام لان ما ذكر
الامر بالفرح واستغفر بجامعه بمن راجع الى ذلك هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا
لسرعة زوالها وقرئ تجمعون بالتاء على الخطاب ولم يرد حسن هذا الالتفات في
التعليل والتزييد لانه اقوى في الوصلية قال على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون
فانهم احق بمقام الوصل بالتعليلية ولا يخفى ما فيه من سوء الادب قل ارأيتم ما
انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها

من المطر والشمس والقمر في الإنبات والإنضاج والتلوين وما في محل النصب بأنزل أو بأرأيتم
لأنه بمعنى أخبروني وفي ذكر لكم دلالة على أن المراد بالرزق ما حل ولذلك وبخهم على التبعيض بقوله
فجعلتم منه حراما وحلالا مثل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما جعلوا لله من
الحرث والأنعام وتقديم حراما لأنه مصب الإنكار وفي إسناد التحريم والتحليل إليهم إشارة
إلى أنهم هم المبعضون [illegible] وتمهيد الإثبات لتعليلهما فيما فصل في قوله **قل آلله**
أذن لكم أم على الله تفترون أي أخبروني آلله أذن لكم في التحريم والتحليل فتفعلون
ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبته إليه [illegible] ويتعلق
به التأكيد والاستفهام للتبكيت والإشارة إلى أن نسبة ذلك إلى الله تعالى في تنكيره بلا
حجة فلزم الافتراء وكان الأصل أذن أم غيره فحملنا إلى المنزل لا الذي [illegible] على أن الثابت هو الشق
الثاني وهو نسبة إلى الله تعالى [illegible] وفيه زجر وتهديد بتغليظ وإن
جعلت أم منقطعة بمعنى بل والهمزة فالاستفهام للإنكار ومعنى بل الإضراب عن أن يكون بإذن
الله تعالى ومعنى الهمزة تقرير لافترائهم والتوبيخ عليه وتقديم على الله تتبيع لتخصيصه
بالافتراء عليه فإنه بهاية في قبح الكذب [illegible] الإثم [illegible] تصحيحا زيادة
إطلاقها على القبيح الافتراء **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب** في إبهام متعلق
الظن [illegible] والسؤال عنه وعيد بليغ وتهديد عظيم أي أي شيء ظنهم **يوم القيامة** وهو يوم
الجزاء يحسبون أنهم لا يجازون على الافتراء [illegible] الفعل على جعل المحقق الوقوع
واقعا [illegible] على المصدر أي [illegible] **إن الله لذو فضل على الناس** كافة
بما أنعم عليهم من العقل [illegible] إلى الحق بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتأخير
عنهم العذاب [illegible] ذلك **ولكن أكثرهم لا يشكرون** هذه
النعم الجليلة لجهلهم بمواقعها **وما تكون في شأن** الشأن الأمر وأصله القصد [illegible]
الهمز من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في قوله **وما تتلو منه** راجع إلى
الشأن لأن تلاوة القرآن شأن معظم من شؤون النبي صلى الله عليه وسلم أو لأن القراءة تكون شأنا
فيكون التعظيم [illegible] ومفعول تتلو **من قرآن** على أن من تبعيضية أو مزيدة لتأكيد
النفي والقرآن [illegible] قبل الذكر ثم بيانه تفخيما له أو لله **ولا تعملون من عمل** تعميم
[illegible] أي عمل كان ولا تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه [illegible]
[illegible] والخطير والحقير المناسبة **إلا كنا**
عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه أي استثناء مفرغ من أعم الأحوال [illegible]

الأوقات أي وقت كنا **إذ تفيضون فيه** وقت أخذكم فيه ظرف لشهودا وعلى [illegible]
حال لكونه [illegible] الوقت المقتدر **وما يعزب عن ربك** وقرئ يعزب بكسر الزاي وهما
[illegible] معناه البعد والغيبة يقال عزب الرجل عن أهله **من مثقال ذرة** من زائدة
[illegible] **في الأرض ولا في السماء** [illegible] والمراد الإحاطة بعلمه بجميع
ما في الوجود [illegible] التنزيل [illegible] على لسانهم [illegible]
[illegible] وقدم الأرض على السماء هنا بخلاف ما في سورة سبأ لأن الكلام هنا في
حال أهل الأرض [illegible] **ولا أصغر**
من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين جملة برأسها ولا لنفي الجنس وأصغر مبني على الفتح
[illegible] خبرها ولا أكبر عطف عليه بالنصب [illegible] لا مزيدة للتأكيد [illegible]
[illegible] على أن الأول مبتدأ خبره في كتاب والثاني عطف عليه ومن جعل رفعهما عطفا على
محل من مثقال [illegible] على لفظ مثقال [illegible] غير منصرفين [illegible]
[illegible] في كتاب مبين والمراد من الكتاب اللوح المحفوظ فيصير
[illegible] عن ربك كأنه قيل كيف [illegible] في كتاب مبين [illegible]
[illegible] إذا فسر الكتاب المبين بعلم الله تعالى كما مر في سورة الأنعام [illegible]
[illegible] الشيء في العلم [illegible] قد سلف
وإن فسر باللوح [illegible] أيضا لأنه محل [illegible] معلوماته تعالى وكان مقتضى البلاغة
بحسب [illegible] تقديم الأكبر على الأصغر ليكون الكلام على طريقة الترقي [illegible] الترتيب
[illegible] على مقتضى [illegible] في كل [illegible] جري الكلام [illegible] الاهتمام
[illegible] التقديم [illegible] والثاني باهتمام التصريح بنفي العلم
[illegible] **ألا إن أولياء الله** الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة **لا خوف عليهم**
[illegible] من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات مطلوب [illegible] **الذين**
آمنوا وكانوا يتقون نصب أو رفع على المدح أو على وصف الأولياء فيكون بيانا لتوليهم
[illegible] أو رفع على الابتداء والخبر **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**
بيان لتوليه تعالى إياهم والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به المؤمنين المتقين في غير موضع
من كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام [illegible] في الرؤيا الصالحة [illegible]
وبشرى الملائكة عند النزع وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لأقواله وأحكامه ولا خلاف [illegible]

ذلك اشارة الى تخصيصهم لبشارة بهم في الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل
جميع ما يرجى والامن من كل ما يخشى وهذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم
شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم
وتشاورهم في تدبير هلاكك وتخرجي ولا يحزنك من احزنه ان العزة لله جميعا
استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة اي الغلبة والقدرة كلها
لله تعالى لا يملك احد غيره شيئا منها فيغلبهم وينصرك عليهم وقرئ ان العزة بالفتح
العزة تعريضا بالتعليل وخبره لحاضا اهل العزة تسلية لاهل العزة هو السميع لاقوالهم العليم
بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض تمهيدا لبعد بيان
ان يكون له شركاء لانه تخصيص العقلاء بملكيته بتخذ بحرمة وارباب من دونه ما مع التاكيد
بتقديم الجملة تجري في التنبيه والتحقيق فالعقلاء من الملائكة والثقلين اذا كانوا عبيدا
عبيدا مملوكين مع كونهم اشرف المخلوقات ولا يصح كونهم شركا فكيف يصح ان يكون الجماد
له ندا فهو كالدليل على بطلان اعتقاد المشركين وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركا شركاء حقيقة تخفيفا احدهما لدلالة الثاني عليه ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون
يتبعون محذوف دال عليه ان يتبعون اي ما يتبعون الا الظن يقينا وانما يتبعون ظنهم
انهم شركاء وان جعلت ما استفهامية فهي مفعول يتبع وشركاء مفعول يدعون وان جعلت موصولة
منصوبة المحل عطفا على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء
من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده
مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون اي يكذبون فيما
ينسبون الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون انها شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على انه تعالى هو المتفرد بكمال القدرة
ونعمة النعمة الشاملة لكنهم ان يتبعوا بها لدلهم على انه هو المتوحد باستحقاق العبادة
فخصصوا بها وجعل مسندا الى مفعول واحد بمعنى خلق والمبصر حالا ولا يجوز ان يكون مسندا
الى مفعول ليبين انه في الحكم وتسكنوا اي جعله محلا لسكونكم وقيل مظلما والنهار مبصرا
عطف على المفعول ذكر علة خلق الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا من تعب التردد في طلب المعاش
وما يكدحون فيه في النهار ولعلها في النهار ذكر ومنة النهار وحذف من الاول ذكر من

يحدثونه

يحدث وفيه دليل عليه المذكور في سابقه بلفظ لتبصروا لتسكنوا فيه والنهار
لتبصر لتحركوا فيه في مكاسبكم وتهتدوا الى مأربكم والنشأ ما لنفعل الانسان الى النهار مجازا
الى طريقة قبيله فاتم معها المصابيح وما عدل عنه قاله لتبصروا فيه مناسبا لتسكنوا فيه
تنبيها على انه مع كونه ظرفا للابصار بسببه بخلاف ما يرا الليل ان في ذلك لآيات لقوم
يسمعون سماع اعتبار ونذكار وقالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه
له تعالى عن التبني وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه عنه فانه سبب الحاجة
له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لما عندهم لعدم الدليل
لان قولهم تحقيقا لبطلان قولهم ومبالغة في تجهيلهم اي ما عندكم من حجة بهذا القول مع انه
حجة ذا الدال على خلافه وبالبا في بهذا متعلق بسلطان او نعت له ان عندكم بمعنى الظرفية اي
ما عندكم في القول حجة فكيف لك ما عندكم دليل وتنكرون اتقولون على الله ما لا تعلمون
انكار البرهان نفيهم بجعلهم جاهلين وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهل وان
العقائد لا بد ان تكون برهانية لا تقليدية والمنع التوبيخ ما تفرع لهم على اختلافهم
جهلهم قل ان الذين يفترون على الله الكذب بنسبة الولد اليه تعالى لا يفلحون
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع خبر مبتدأ محذوف والتنكير للتقليل تقديره
افتراؤهم متاع قليل اي منفعة يسيرة في الدنيا اي يتمتعون به في الدنيا رياستهم في
الكفر وتحصيلهم وتقلبهم فيها متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا
مرجعهم بالبعث بعد الموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بعد جهنم
بما كانوا يكفرون بسبب استمرارهم على الكفر واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم شق وثقل عليكم قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين
مقامي نفسي اي كوني ووجودي بين اظهركم فقلت كذا المكان كذا فلان او اقامتي ومكثي بينكم
اظهركم مدة طويلة او قيامي على الدعوة لاحقا على التذكير لان حق له وتذكيري يعني عنه
والناس بين خير بتذكيرهم او تكذيبهم بآيات الله فعلى الله توكلت اي حصنت الله تعالى
بالتوكل عليه وما لم اتوق به فانه جواب الشرط اي فلا ابالي وعلى جواب الشرط فاجمعوا
امركم وما تقدم اعتراض بين الشرط وجوابه كما تقول ان كنت انكرت علي شيئا فالله حسبي
فاعل ما تريد واجمعوا قرئ بالوصل من الجمع وبالقطع من الاجماع وهما العزم في اسناد الجمع
والاجماع على الشركاء تهكم بهم واشعار بانهم كما في قوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
وشركاءكم معطوف على امركم على حذف مضاف تقديره وامر شركائكم او منصوب بفعل محذوف

تتدبروا ما تعملون شركاءكم وتحدثوا فيه وقيل اجمعوا بمعنى اعدوا فيقع على المعطوف فيه تجوزاً
وقال الزجاج هو مفعول معه والواو بمعنى مع أي مع شركائكم ولا يساعده
قراءة الوصل كما قال الحريري في درة الغواص لأنه يقال اجتمع فلان مع فلان وإنما يقال اجتمع
فلان وفلان وقرئ بالرفع عطفاً على الضمير المتصل وجاز للفاصل كما في المنفصل **ثم لا يكن أمركم**
في قصدي **عليكم غمة** مستوراً عليكم وليكن مكشوفاً مجاهراً به من غمه إذا ستره وقيل ثم لا يكن أمركم
أي ما كنتم فيه من شأن الحال والكراهة وثقل مقامي بينكم وتشقق عليكم غماً وكرباً
عليكم الغم والغمة كالكرب والكربة معنى وصيغة أي لا تشتغلوا بإهلاكي وتدبيره لئلا
يكون عليكم بسبب مقامي بينكم ومجيئه عليكم **ثم اقضوا** أدوا **إلي** ذلك الأمر الذي
تريدون بي من إهلاكي وقطعه وتحقيقه إليكم وقرعتنا إليه ذلك الأمر وأدوا إلي ما هو
حق عليكم من وجوب إهلاكي كما يقضي الرجل غريمه وقرئ ثم افضوا بالفاء أي ثم انتهوا إلي بشركم
وقيل هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إلي وأبرزوه لي **ولا تنظرون**
ولا تمهلون **فإن توليتم** أي أعرضتم عن تذكيري **فما سألتكم من أجر** يوجب إعراضكم في
لثقله عليكم وإنما كذا أي الإجابة من طمع في أموالكم **إن أجري** في نصحكم وعظكم
إلا على الله هو الذي يثيبني عليه أي ما نصحتكم إلا لوجه الله تعالى لا لغرض من أغراض
الدنيا **وأمرت أن أكون من المسلمين** المنقادين لأمر الله وقضيته الإسلام ألا أطلب على
تعليم الدين شيئاً ولا أبتغي بالدعوة والموعظة إلا وجه الله تعالى وعن مقاتل حقيقته
ما معنى أنطلب الأجر على إجابة في إجابة على الطاعات والمراد الحجة لهم وتبرئة ساحته
عما يوجب الإعراض **فكذبوه** فأصروا على تكذيبه بعدما وعظهم كما تعبدوا طول مدة الدعوة وإلزام
الحجة **فنجيناه** من الغرق وذلك عليهم وله **ومن معه في الفلك** من الإنسان
والحيوان وفهما قال ومن دون ما تغليباً للعقلاء على غيرهم للتنبيه على النجاة غيرهم
كان تبعاً لهم **وجعلناهم خلائف** من الهالكين **وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا** بالطوفان
والجبل من حرق الإغراق فإن اختلفنا للإغراقهم به **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**
تعظيماً لما جرى عليهم من العذاب وتحذيراً لمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له
والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو المكذبين إلى المنذرين للتنبيه على أن التكذيب
إنما يستوجب نزول العذاب إذا كان بعد الإنذار واعتبر هذا الإطفاء في لطف هذا
الأنباء **ثم بعثنا** للمتراخي من الإمهال فإن كل شيء أرسله فقد بعثه ومنه قوله
تعالى ومن بعثنا من بعدنا والذي أمر بتبليغ الرسالة إلى قوم وصيغة هم إنما تنبيه بما

البعث فإن الإرسال **من بعده** من بعد نوح عليهما السلام **رسلاً** التنكير للتفخيم
إلى قومهم إلى أقوامهم كل رسول إلى قومه وإنما لم يجمع لأنه في الأصل مصدر **فجاؤهم**
بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم **فما كانوا ليؤمنوا** عبارة كان للدلالة على
الاستمرار منعقد على أداة النفي للاعتناء أي لم يؤمنوا بهم وأصروا على الإنكار وزيادة
زيادة لام الجحود لتأكيد هذا النفي ودلالة على أن إيمانهم في حيز الامتناع **بما كذبوا به**
من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه من قبل بعثة الرسل أي ما تفاوتت في
حالهم قبل البعثة وبعدها لاعتيادهم بالعناد وإنكار الحق **كذلك** مثل ذلك الطبع المحكم
نطبع على قلوب المعتدين لأن الاعتياد والانهماك في التمادي عن الحق يوجب الخذلان حتى
يصيبه ثم بنا وطبعاً فالكلام على الحقيقة دون الكناية **ثم بعثنا من بعدهم** من بعد
تلك الرسل **موسى وهارون إلى فرعون وملائه** خصوا أشرافهم بالذكر لكفاية
تحقق غيرهم **بآياتنا** بالآيات التسع أضافها إلى نفسه تنبيهاً على خروجها عن حيز استطاعة
العبد وتعلق كسبه بها وكونها من خوارق العادات **فاستكبروا** عن قبول الحق وإتباع
من أرسل إليهم والاستكبار تطلب الكبر من غير استحقاق وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة الرب
ربه بعد تبينه بالبينات **وكانوا قوماً مجرمين** معتادين بالآثام العظام فلذلك استكبروا
عنها واجترؤوا على ردها أما توصيفاً لأنه آثام العظام فلأن الجرم مؤذن بعظم الذنب ثم إن
سبيل الكلام سبيل الاعتراض للتذييل ويدل على تمردهم واعتيادهم الجحود لذلك على أن
الكافر إذا وصف بالجرم والنفي دل على شر وأما السبب فعلى نفي الاعتراض والحمل على العطف
لتسامح الإمام بلاغة القرآن **فلما جاءهم الحق من عندنا** فلما عرفوا أنه الحق وأنه من
عند الله تعالى لا من قبل موسى وهارون عليهما السلام **قالوا** من فرط تمردهم **إن هذا**
لسحر مبين ظاهر أنه سحر في قبحه وواضح من بين فتونه والدليل على أن المذكور من
التعليل بيان الحق من منع صحة الآيات والتناقض إليه ومن ظهر أن هذا لسحر مبين كما
في منة وأنزل لهم ولا للتعليل الأعلى كأنهم لمحض **قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم**
تعيبونه وتطعنون فيه من فوتهم ولا تحافظ لما لم يكن له سمعنا فيه إذ ذكرهم مستغني
عن المقول وقيل حذف مفعول لا تقول لدلالة ما قبله عليه وهو أنه لسحر والمعنى أتقولون
أو التعبير سحر لا يجوز أن يكون **أسحر هذا** إلا أنهم بتو القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه
إلا الكافرون الاستفهام فيه التعبير والمحكي مفهوم من قولهم وهذا الحق الواضح إلا وإنما
إلى وضوح حقيقته وكونه مثالاً في الضبط عن الباطل بحلول الحقيقة بحيث لا يشك فيه شأن

إليه في ذلك وعلى الثاني تحقير واستبعاد وكونه نتيجة للفلاح ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحراً لاضمحل ولم يبطل
سحر السحرة ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكياً
كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ويأباه قوله ائتوني
بكل ساحر عليم لأنه مظنة طلب الفوز بهم وصيغة الجمع للدلالة على أن اجتماعهم لا يجدي
نفعاً في طلب الفوز قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان عما وجدنا
عليه آباءنا من عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء في الأرض الملك فيها فإن
الملوك يتصفون بالكبر ويجوزان بعضه به ذمهما بأنهما يريدان أن يتكبرا أو تجبرا في
الأرض باستتباع الناس وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى
ألقوا [illegible] وعدم مبالاة بهم ووثوقاً بالله ما أنتم ملقون تحقيراً لهم
وتقليلاً وإعلاماً بأنه لا يبالي بهم فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر
ما موصولة مبتدأ خبره السحر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي جئت به من آيات الله تعالى
وقرئ السحر على الاستفهام أي على أن ما استفهامية مبتدأة وجئتم به خبرها أي أي شيء جئتم به
الخبر والسحر بدل من ما أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف تقديره
السحر هو ويجوز أن ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره أي شيء أتيتم السحر أصلاً وتحقيره
لا حقيقة له إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق ويثبته
بكلماته بأوامره ولو كره المجرمون فما آمن لموسى في أول أمره إلا ذرية من قومه
إلا طائفة من ذراري قومه أي أولاد من بني إسرائيل دعا آباءهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون
وكفره وأجابته طائفة من أبنائهم بإيمانهم وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية طائفة
من شبان قومه منهم مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة الخازن وماشطتها
لمناسبة قوله على خوف من فرعون فإن حق الكلام الظاهر أن يقال من فرعون ثمة وإضماره
هنا وملئهم الضمير يرجع إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال مضر وربيعة أو لأنه ذو
أصحاب [illegible] في يا أيها النبي إذا طلقتم النساء
ولا يجوز أن يكون جمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء لأنه يكون حينئذ قصد التعظيم وهذا
لا يناسب المقام أو إلى الذرية أو قومه أي على خوف من فرعون ومن أشراف بني إسرائيل
لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم بدليل قوله تعالى

أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول لخوف وعلى الوجه الأول أفرده
بالضمير يحتاج إلى التأويل بأن يقال الخوف من الملأ كان بسببه وأما قال على خوف بالذرية لكنه
على أنه بمثل خوفهم لا يبعد مع ما أفاده على أن المخصوص بين كالمركوب وإن فرعون لعال
في الأرض لغالب فيها وأما السياق لبيان السبب في كون أولئك المؤمنين خائفين وإنه لمن
أن يكون المراد بالإسراف فيحق له وإنه لمن المسرفين تجاوز عن الحد المعتاد في الكبر
والقتل من يخالفه في أمر من الأمور وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم إن كنتم
آمنتم بالله صدقتم به تعالى وبآياته [illegible] إنما قال الصادقة
الصادق في الإيمان أن لا يثق به تعالى فعليه توكلوا فخصوه بالتوكل عليه وتوكلوا به في العصمة
من فرعون ثم شرط في حصول التوكل وجعل الإسلام شرطاً له إن كنتم مسلمين كما شرط في وجوبه
الإيمان لأن من حقيقة الإيمان أن يجزم بالتوكل على الله تعالى ولا يصح التوكل إلا مع تسليم النفس
لله تعالى إخلاصاً له ليس للغير فيها حظ ولا خليط فيه [illegible]
إليه إن قدرت فقالوا على الله توكلنا لأنهم كانوا مخلصين ولذلك قبل توكلهم وأجاب
دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافون عذابه وبلاءه وجعلهم خلفاء في أرضه ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم أي عذاباً يعذبوننا به أو يفتنوننا عن ديننا أو فتنة
يفتنون بنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين من مجاهدة استبعادهم وسوء صنيعهم وإنما قدموا التوكل على الدعاء لأن الداعي
ينبغي أن يتوكل أولاً لتجاب دعوته وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا أن اتخذا مباءة أي مرجع
تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً تسكنون وترجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتما
وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وأقيموا الصلاة فيها قال ابن عباس رضي
الله عنهما إن فرعون لما أتاه موسى عليه السلام بالرسالة أمر بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها
وكانت مساجدهم ظاهرة فأمرهم الله تعالى أن يجعلوا في بيوتهم مساجد فيخفونها في البيوت ولا
يظهروها وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثني الضمير أولاً لأن التبوء
للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة
مما ينبغي أن يفعله كل أحد ثم وحده لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى
ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من لباس وحلي وفرش ونحوها وأموالاً
أنواعاً من الأموال في الحياة الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم من مصر إلى أرض
الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ربنا ليضلوا عن

سبيلك دعا عليهم بما هم فيه بلفظ الامر لا بما يبين عن حقوقهم الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم
على الكفر كقولك لعن الله ابليس وقيل ان اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون
للعلة لان ايتا النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال
فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون تكريرا للاول لا تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق قال ابن
عباس رضي الله عنهما بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم
والدنانير واشدد على قلوبهم اشدد على القلوب لاستيثاقها وقسها حتى لا يدخلها
الايمان واطبع عليها حتى لا تنشرح لقبول الحق فلا يؤمنوا جواب لدعائه الذي هو اشدد
او دعا بلفظ النهي وقيل انه عطف على ليضلوا واللام في ليضلوا للعاقبة اما للتعليل ومعطوف عليه وقوله
ربنا اطمس واشدد دعا معترض بين المعطوف والمعطوف عليه واعترض عليه بان الاعتراض
بالدعا لا يكون له حسن موقع وهذا عيب على الناظر في قوله • لعل زيادة الا الا للتعاقب
حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوا ذلك ويحتمل الغاية اي الى ان يروا العذاب
الاليم وكان ذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى
وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته روي انه مكث بعد الدعا اربعين
سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق
بوعد الله تعالى او عدم الوثوق بوعد الله تعالى قال الزجاج قوله ولا تتبعان
موضعه جزم والتقدير ولا تتبعا الا ان النون الشديدة دخلت على النهي مؤكدة وكسرت
لسكونها وسكون النون الشديدة دخلت على النهي مؤكدة التي قبلها فاختير لها الكسر
لانها بعد الالف تشبه نون التثنية واستضعفه ابن الحاجب وحمل على انه نفي بمعنى
النهي فجاز العطف والحال والحال والفصل المضارع المنفي يمتنع من دخول الواو عليه
اي استقيما غير متبعين وهذا انما لا يتم وقرئ ولا تتبعان بتخفيف التاء وتتبعان
من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا
وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فرعون وجنوده اي ادركهم
فرعون وجنوده ولما لم يدركوا الا بعد الحاق بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو
حتى اذا ادركه الغرق لحقه بالعنف لقرب من الهلاك لسبق العرق الما والغرق تشبيه
الهلاك فيها قال آمنت انه قرئ بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وبالكسر

على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا
من المسلمين على الاول بتكرير المعنى الواحد بعبارات مختلفة وعلى الثاني بثلاث عبارات حرصا
على القبول لكن لما لم يبق وقت التكليف لم يقبل ولم ينفع وقته كقنت مرة واحدة وكان موسى
قرر حصول التصديق القلبي ولم يكن ينفع لان الاسلام تسليم النفس الى الله تعالى فانما
ين وقت خرجت نفس من يد لم يقبل تسليمه اليه تعالى اذ ليس نفسه في يده حينئذ
فسلمها وذلك ويجعلها اختيارا المقابل للادعاء دون الكفر المقابل للتصديق حيث
آلآن اي اتؤمن الآن وقد يئست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل
قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان روي الترمذي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال
آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل فلو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه
مخافة ان تدركه الرحمة انا ادرك ان الرحمة في الدنيا كما اذ رضي قوم بقبض حظوظهم من الحلة
فليس فيه ما يدل على كراهة ايمان الكافر والرضا بكفره فان الرضا بالشقي لا يستلزم
الرضا بسببه الا ترى ان المريض يشرب الدوا للشفا كارها اياه راضيا لما يترتب عليه
من منفعة للشفا في وهم اذ يحق له مخافة ان تدركه الرحمة بها لنا لاحد بها ان الايمان
نصحا للقلب كما ان الآخرة فالا لعضو لا ينفع لاخرى ان من كره ايمانا لكافر واحب
بقاه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر وزعم بنا على ذلك انه من زيادات الباطنيين
لله تعالى وما ذكرته فصد وهم تراه على تقدير بدنيا انه لا بأس فيه لله تعالى فاليوم ننجيك
ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك
بنو اسرائيل ببدنك في موضع الحال اي بدنك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ
بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كانه كان شطا هو بيتها ويخرج منه اذا تطول على جميع
ما عليه من جسم مثل انه لحري وقيل اي ببدنك عاريا عن الروح لو كاملا سويا
او عريانا من غير لباس بيانا لبيان انها تقتضي وجوديها آخرة البدن ويخرج غير جزء
على انه فرق بين البدن والجسد ان الاطراف خارج عن الاول داخل في الثاني فحق التقدير
ان يذكر الجسد بدل البدن لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل
علامة اذ كان في نفوسهم من عظمة ما خيل اليهم انه لا يموت حتى روي ان بني اسرائيل قالوا
لموسى عليه السلام في اخبار غرقه حتى عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي
بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان

الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك والسلطان مملوك مقهور
بعيد عن مظان الربوبية وقرئ ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية وهو للتبعيد
ببدنك على انه تنبيه لمن خلفك بالقاف اي لخالقك فتكون كسائر الآيات بما كسبت يداه الذين
المصنوع لكون من خلفك او لخالقه فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه
قصد بكشف تزويرك واماطة الشبهة عن امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا
الوجه محتمل على المشهورة ايضا ومن قال في تقريره على القراءة الاخيرة اي لنلقيك بناحية
الساحل فقد غفل عن ان من قرأه بالحاء قرئ ببدنك بالياء فوقع فيها وغلط **وان كثيرا
من الناس عن آياتنا لغافلون** لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **ولقد بوأنا
بني اسرائيل مبوأ صدق** منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام **ورزقناهم من
الطيبات** من اسباب المعيشة المستطابة **فما اختلفوا** اي كانوا على ملة واحدة وطريقة
من موسى عليه السلام في اول الحال **حتى جاءهم العلم** بتعلم التوراة فاختلفوا وهذا
من موضعه ان العلم سبب الاتفاق فصار عندهم سبب الاختلاف حتى تشعبوا شعبا بعد
ما قرأوا التوراة وفيه تعريض لك ان الاختلاف الذي لا يجوز من نوع كفران على نعمة
عليهم المنازل البهية والمطاعم الشهية والعلم بالاحكام ... التي هي بلطفهم كفران
الشكر وقيل المراد من اختلافهم الاختلاف في امر محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما علموا
صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته **ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**
فيميز المحق من المبطل ويجزي كلا منهم على استحقاقه وفيه تسلية له عليه السلام وحكم وعد
ووعيد **فان كنت في شك مما انزلنا اليك** كالقصص التي من جملتها قصة فرعون كما هو
ديدنه على سبيل التهييج وزيادة التثبيت لا انه يلزم تجويز الريب والا فيما ولا التكذيب
ولا امكانها لكن ذلك من باب فرض المحال وتنبيه الكلام عليه اي من هو في الناس
يقينا واشد جهة ... تعالى على ... فابتدأ لهم الحجة
... بها الموقع في الحسن الى المطلق وكان ذلك في زيادة التثبيت والعصمة له على
نحو ما الكتب فيه من بني اسرائيل **فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك** من بني
اسرائيل الذين آتيناهم الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا
اليك والمراد اثبات نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار وذلك انه لما ذكر بني اسرائيل
ووصفهم بالعلم اراد ان يقرر عليهم صحة نبوته عليه السلام مما انزل الله تعالى اليه
لا ايمانا لشك وامكانه للرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام لا اشك

ولا اسأل بل اشهد انه الحق ومن هذا التقرير يتبين وجه تصديرهما لكلام بالفاء الترتيب على
قبله ومن قيل الخطاب للكل ممن يسمع اي ان كنت في شك ايها السامع مما انزلنا على لسان
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالطه شبهة فعليه بمراجعة العلماء **لقد جاءك الحق من
ربك** اي ثبت عندك بالبراهين القاطعة والمعجزات الواضحة ان الذي جاءك
هو الحق الذي لا تتخلل الشبهة فيه **فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله فتكون من الخاسرين** فاثبت على ما انت عليه من الجزم واليقين وانتفاء الريب عنك
وهذا ايضا من باب التهييج ولما لها بكثير له فلا تكونن ظهيرا للكافرين **ان الذين حقت
عليهم** ثبتت عليهم **كلمة ربك** حكمه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب **لا يؤمنون**
اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه **ولو جاءتهم كل آية** لان السبب الاصلي لايمانهم تعالى
بهم فانه لا بد منه في وجود كل ممكن **حتى يروا العذاب الاليم** وحينئذ لا ينفعهم كما لم
ينفع فرعون **فلولا كانت قرية آمنت** فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها
آمنت قبل معاينة العذاب ضيق الخناق ولم يؤخر اليه كما اخر فرعون **فنفعها ايمانها**
بان يقبلها الله تعالى منها بان وقعها في وقت الاختيار ويكشف عنها العذاب **الا قوم يونس**
استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو متصل والجملة في معنى النفي لتضمن التحضيض معناه
كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة فنفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصابه على الاستثناء
والدليل عليه قراءة الرفع على البدل او منقطع اي لكن قوم يونس عليه السلام **لما آمنوا**
اول ما رأوا امارات العذاب ولم يؤخروه الى حلوله آمنوا **كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا** والخزي الذي يفضح صاحبه الهوان الذي يفضح صاحبه **ومتعناهم الى حين** الى
وقت انقضاء آجالهم **ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم** بحيث لا يشذ منهم احد **جميعا**
مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وفيه دلالة على ان من شاء الله ايمانه يؤمن لا محالة
افانت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حتى ان ما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى
الايمان هو الله تعالى لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه لكن
الشأن في المكره من هو وما هو الا الله وحده لا يشاركه فيه احد لانه هو القادر على ان
يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وهذا التأكيد
لذلك وتعلق المشيئة المذكورة على المشيئة الالجائية **حتى يكونوا مؤمنين** مرتبة الاكراه على
المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل
يعني اذا لم يشأ الله تعالى ايمانهم لم تعتد عليه ذات ولا غيرك بالاكراه فضلا عن مجرد

للحث والتحريض روي انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فنزلت ولذلك قرره
بقوله **وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله** الا بارادته وتوفيقه وتيسيره فلا تجهد نفسك
في هداها فانه الى الله **ويجعل الرجس** العذاب وقرئ الرجز بالزاي **على الذين
لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والبينات فيؤمنوا ولعله في مقابلة الايمان
عكس العقل في مقابلة الاذن له اذ الرجس لان الايمان انما يكون بصحة العقل والنظر في الدلائل
العقلية والسمعية والاصرار على الكفر المقابل للايمان مسبب عن عدمه كما قال صم بكم عمي
فهم لا يعقلون فاومى الى ان العاقل هو المؤمن ومن لم يوفقه الله تعالى للايمان لعدم
عقله لزم كفره الموجب للعذاب فرتب لازم الكفر الذي هو الرجس على ملزومه الذي هو
عدم العقل الحصري لتهديده لمحو الترجيح **قل انظروا** تفكروا **ماذا في السموات والارض**
من عجائب الصنائع الدالة على توحيده وكمال قدرته وحكمته وماذا استفهامية علق فعل
النظر عن العمل وما في **وما تغني الآيات** نافية او استفهامية في محل النصب يعني **والنذر
عن قوم لا يؤمنون** في علم الله وحكمه **فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم**
مثل وقائعهم ونزول باس الله تعالى بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين
هلاككم **ثم ننجي رسلنا** عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبل كانه قيل
نهلك الامم ثم ننجي رسلنا **والذين آمنوا** معهم على حكاية الحال الماضية **كذلك** مثل
ذلك الانجاء **حقا علينا** اعتراض ونحو ذلك حقا علينا او بدل من كذلك **ننجي المؤمنين**
منكم حين نهلك المشركين **قل يا ايها الناس** خطاب لاهل مكة **ان كنتم في شك من ديني** صحته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا ديني اعتقادا
وعملا فاعرضوا على العقل الصحيح وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني
لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ثم يتوفيكم وانما خص
التوفي بالذكر للتهديد بيانا انه حقيق بان يخاف ويتقى فيعبد لا الجماد الذي لا يقدر على شيء
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجمع
فيه الوجهان والقياس وهو انحذفه مع ان وان يطرد في سائر الافعال والشائع ومحتمل
بعد فعل الامر **وان اقم وجهك للدين** استقم عليه ولا تلتفت الى غيره عطف على ان اكون
نحاذ مع كونه الفعل اشارة الى انه لا يخو ان تكون مع الفعل في تاويل المصدر والامر
والخبر في تصفل المصدر سوا **حنيفا** حال من الدين او الوجه **ولا تكونن من المشركين**

ولا

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اي لا يقدر على نفع وضر **فان فعلت** اي فان
دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكني عنه بالفعل ايجازا **فانك اذا من الظالمين**
لان الشرك من اعظم الظلم لقوله ان الشرك لظلم عظيم **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله** لما اشار الى علة النهي بايراد الحاجز العقلا
مسلبا للنفع والضر عن اصنامهم واثبات الظلم لمن عبدها اتبعه بايراد الجلة الموجبة
لتخصيص العبادة بالله تعالى ورجحانه هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يكشفه
الا هو وحاله بدون كل قادر غيره فضلا عن الجماد الذي لا حس له وان اراد بك
خيرا لم يرده احد منا اراده بل يمن فضله واحسانه فكيف بالاوثان لتدل على انه هو الحقيق
بالعبادة دون ما عداه وفي ذكر المس مع الضر والارادة مع الخير مع تلازمهما ايماء الى ان
المراد بالذات هو الخير وهذا لا يحل احد منه وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول وفي منع
الفعل من جمع الضمير ما دل على انه متعديا بالاستئناف والمتصل لا بالاستحقاق والاستيجاب
كاشر اكذلك بقوله **يصيب به** بالخير **من يشاء من عباده** وتقديم الضمير للتهديد ولا
الى ان عبادة الخير تجب الستر والضر وعرض العقاب لكونه ظلما ودرج جانب الترغيب فيه
على جانب الترهيب لان المقصود الحث على الحا الله تعالى وحده والاعتصام به والاستدادي
الطفائف والتوسل الكرمية اليه ما يليها او ذكر في الاول لفظ المس الدال على ملاصقة الظاهر
دون تعودتم في عدم التصريح بالارادة زيادة لطف وكذلك في قوله فلا كاشف له الا هو
وكانه فيه منحصا انه يكشفه ولا حاجة له الى الملتبس به وفي الثاني لفظ الارادة يجعل الحاجز مرادا
والخير ما يعاله ودفعه ابلغ اللطف ثم فاطلاق الارادة وما فيه من شمول الظاهر والباطن
زيادة تنويه له ثم انه عقب سامعه اولا يمكن دفعه مرة ثانيا بكونه فضلا ...... الكلام تكيد
الرجا بالتعقيب الاستئناف ...... ما قيل ولم يستثن يعني في الثاني
لان مراد الله تعالى لا يمكن رده انما يصلح وجها لعدم الاستثناء على طريقة ما في قرينته
وطريقة غير مخصصة ذلك الوجه من لم يتنبه لكون كل واحد من لفظي الارادة والمس
استعماله من الاخر فال كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد
من الضر والخير وانه لا راد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر
المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك ثم انه لم يجب في
الفرق بين المس والاصابة وقد اوضحنا الفرق بينهما في تفسير سورة البقرة **وهو الغفور
الرحيم** تحريض وتنبيه على الفوز بمن لا يشترك اي لا يا... من نعمه وموتوا اليه ... عطاياهم

وتعرضوا الرحمة بتوحيدهم وتخصيصهم بالعبادة قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق
أيها الرسول بالدين المتين والقرآن المبين من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة
فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه فمن اختار الهدى واتباع الحق فإنما ينفع إيمانه ومن ضل
فإنما يضل عليها ومن اختار الضلال فما وبال ذلك إلا عليها وفيه حث على إيثار الهدى
والإعراض عن الضلال وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلى أمركم وإنما أنا بشير ونذير
واتبع ودم على ما أنت عليه من اتباع ما يوحى إليك بالامتثال والتبليغ واصبر على مشقة
دعوتهم وتحمل أذاهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين
إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر

سورة هود عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب خبر مبتدأ محذوف أو خبر الر أحكمت آياته صفة له أي أحكمت من جهة اللفظ
والمعنى والنظم عن تطرق الخلل فصارت في غاية الإحكام ثم فصلت أي ميزت بعضها عن
بعض في التنزيل كيلا يختل أمر الاستدلال على الأحكام فالتراخي على الحقيقة وقيل المراد
آيات السورة وليس فيها منسوخ فتعين إحكامها بمنعها من النسخ وأحكمت بالحجج والدلائل أو
جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم إذا صار حكيما لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية
ومعنى فصلت أنها فصلت بالفوائد كما يفصل القلائد بالفرائد من العقائد والأحكام والمواعظ
والأخبار أو جعلت فصولا فصولا آية آية أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بين ولخص والترا
خي رتبي وقرئ فصلت من الثلاثي المجرد أي فرقت بين الحق والباطل وقرئ أحكمت آياته ثم
فصلت على البناء للمتكلم من لدن حكيم خبير صفة تعلقه بأحكمت ثم فصلت طباق حسن
لأن معناه أحكمها حكيم وفصلها أو بينها خبير بالأشياء وأحوالها فضلا على أكمل ما ينبغي
باعتبار ما ظهر وما خفي ألا تعبدوا مفعول له أي لأن لا تعبدوا أو نهي وأن مفسرة
لأن في تفصيل الآيات معنى القول أو أمر لأن فيه معنى الأمر أي أمر بأن لا تعبدوا إلا الله
ويجوز أن يكون كلاما مستقلا منقطعا عما قبله على لسان النبي عليه السلام بعد ما يقول [illegible]
على التخصيص لله تعالى بالعبادة وأمره به ويدل عليه قوله إنني لكم منه من جهته نذير
وبشير أي لأن لا تعبدوا إلا الله إنما أنذركم من عبادة غير الله تعالى على أن [illegible]
ولا نافية وإنما قدم نذير على بشير لأن الإنذار أهم وأن استغفروا ربكم
عطف على ألا تعبدوا ثم توبوا إليه أي استغفروا من الكفر والمعصية ثم توبوا إلى

الله تعالى بالطاعة فالتراخي على الحقيقة ويجوز أن يراد التراخي في الرتبة لأن التخلية أول
من التحلية والاستغفار يتعلق بالندم على ما سلف وإحسان العمل في المستقبل يكون راجعا
عملا في رتبة ولهذا قدم ذكر الاستغفار على التوبة أي اطلبوا مغفرة ربكم بالإسلام
عن سائر الإجرام والثبات على الطاعة في باقي الأيام وارجعوا إلى الله تعالى بالإخلاص
والاستسلام على الثبات والدوام يمتعكم متاعا حسنا في خفض عيش وسعة
أمن ورغبة إلى أجل مسمى معين عند الله تعالى هو آخر أعماركم المقدرة إذ لا يهلككم
الله بالاستئصال ويؤت كل ذي فضل في العمل والطاعة فضله جزاء فضله في الآخرة
أو كل ذي فضل في الدين فضله في الدرجات والثواب فإن الدرجات تتفاضل في الجنة
بتفاضل الأعمال وإن تولوا وإن تتولوا وقرئ تولوا من ولي فإني أخاف عليكم عذاب
يوم كبير أي يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل إلى الله مرجعكم
جميعا رجوعكم في ذلك اليوم وهو على كل شيء قدير بيانا لتوجيه كبره لأن اليوم بأن
مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء إلى عظيم أمره وقادر على أشد ما يريد من العذاب ولا
يمكنهم التفصي عنه ألا إنهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه
لأن من ازور عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه كما أن من توجه إليه استقبله بصدره
أو يعطفون صدورهم على الكفر وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يضمرونها
وقرئ تثنوني صدورهم بالتاء والياء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهي
بناء مبالغة وقرئ تثنون بالتاء والياء وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف
من الكلأ أي تطاوع صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات أو تضعف قلوبهم كما أنهم
وتثنئن من اثنأن فعالة ثم همز كما قيل ابياض وتثنوي كترعوي ليستخفوا منه
أي يريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ولا [illegible]
في الصدور ويخفون الإعراض إظهارا للنفاق فلا يصح تعليله بالاستخفاء ونظيره إضمار يريدون
بعد الثني إلى الإضمار في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى أي فضرب
فحيي كذلك يحيي الله الموتى فالمعنى يظهرون النفاق ويريدون مع ذلك أن يستخفوا
هذا على الوجه الأول من التفسير وأما على الثاني فلا حاجة إلى الإضمار ألا حين يستغشون
ثيابهم يتغطون بها يريدون الاستخفاء أيضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح
عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم أي الآن حين يريدون في إظهار
نفاقهم يتغطون [illegible] عليه من أنبياء الصدق وقال ابن عباس رضي الله

نحو ما انها نزلت في الاخنس بن شريف وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله
منطق حلو وحسن سياق الحديث بحيث كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجالسته
ومحادثته ويضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين جميعا وكون النفاق في المدينة
غير مسلم لظهوره ولا سيما ان نزلت طوائف كالاخنس بها **يعلم ما يسرون** في قلوبهم **وما
يعلنون** بافواههم بلا تسوية بينهما ولهذا عدل عن اسلوب الترقي الظاهر فحاصله
اي يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يضمرونه **انه عليم بذات الصدور**
بسرائرها وضمائرها تعليل على سبيل الاستيناف للتفريع المذكور فيتحقق له يعلم الى اخره
والا فان للتنبيه على جهلهم وتضليلهم عما هم من الاستغشاء وتحتمل للتعليل **وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها** اسباب معاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى
بلفظ الوجوب بتحقيق الوصول له وحثا على التوكل فيه **ويعلم مستقرها ومستودعها** اماكنها
في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها في الارض حين وجدت بالفعل ومودعها
من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة **كل** واحد من الدواب واحوالها **في كتاب مبين**
ثبت في اللوح المحفوظ بيان دون كثيره لكونه تعالى عالما بجميع المعلومات وبالاية التي بعدها
بيان لكونه قادرا على كل شيء تقريرا لما سبق من التوحيد والوعد والوعيد **وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام** مر تبيينه في سورة الاعراف ووجه الجمع في الاولى والافراد
في الثانية مر في سورة الانعام **وكان عرشه على الماء** عرشه عبارة عن قيوميته تعالى ولا
اشارة الى صفة القيوم اذ من الملك كل شيء حي وفي على بيان الاولى على الثانية اي وكان حتى
قيوما فلا حائل دونه على امكان الخلاء ولا على ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا
العالم وليت شعري من اين لنا الدلالة على انه خلق الماء بعد خلق العرش **ليبلوكم** علة الخلق
اي خلق ذلك ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد
لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون
منها ولما كان الابتلاء اي الاختبار للحكم في العلم ونتيجتها وانجعها استعير للعلم لانه
ملازم لذلك التعلق فعل لعلنا تطرقها لا يجوز وانما قال **ايكم احسن عملا** وهم
المتفاوتون في المخاطبين من عمله قبيح والقبح لا مرتبة بعدهما انا المقصود من الخلق بالقصد
الاول بالذات هو الايمان والعمل الصالح والنظر تعالى الى ما هو الاحسن منه لا الى
القبيح والاقبح ولذا في التحريض والحث على الحسن العمل والترغيب فيه وهو اعم من الاعمال
البدنية كالطاعات والحركات القلبية كالاعتقادات والنيات فكأنه قال ليظهر ... كل

علما وعملا وتمييز من هو على خلاف ذلك ولهذا قال النبي عليه السلام ليبلوكم ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وفيه تعظيم لمحبي المتقين وتشريف لهم واشارة
الى انهم من الله تعالى بمكان **ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت** للجزاء على ما تكشف
ذكره الابتلاء **ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** اشارة الى القول بالبعث
اي انه باطل كالسحر الظاهر البطلان في الخديعة او الى القرآن لانه ناطق بالبعث والجملة
ظاهر البطلان كالسحر لهم بطلان ما فيه من البعث وغيره من الوعد والوعيد وقرئ الا ساحر
اشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم اي كاذب مبطل كالساحر وقرئ انكم بفتح الهمزة
على تضمين قلت معنى ذكرت او على انه بمعنى لعل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى
توقعوا بعثكم ولا تجزموا بانكاره لعدم قوم من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره والانكار
على علية القسم في الايات الاربع والجواب له ساد مسد جواب الشرط **ولئن اخرنا عنهم العذاب**
الموعود **الى امة معدودة** الى جماعة من الاوقات قليلة **ليقولن ما يحبسه** ما يمنعه من الوقوع
استهزاء **الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم** ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر
ليس مقدم عليه فيه دليل على جواز تقديم خبرها عليها اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل
ولا يخفى ان الحاجة تمنع ... لا يلزم تقدم المعمول على تقديم العامل ولا نقصان الظرف والمجرور
يتوسع فيهما ما لا يتوسع في غيرهما ولا يتقدم حيث لا يقع العامل فيه وكأنه ذكر استيعابا
جهتهم البعد وعلى وجه التكذيب والاستهزاء ولذلك **وحاق بهم** اي احاط بهم **ما كانوا
به يستهزؤون** وضعا يستهزؤون موضع يستعجلون كان تفصيل الاستهزاء وكون عذابهم يحقق
الوقوع عما قريبا او نحو ماضي موضع مستقبل على عادته تعالى في اخباره فكأنه قد وقع مبالغة في
التهديد **ولئن اذقنا الانسان منا رحمة** نعمة من صحة وامن وخصب وحال عجيب بحيث يجد
لذتها ولذلك **ثم نزعناها منه** سلبناها منه وفي عبارة النزع اشارة الى ما في القلب
المذكور ... **انه ليئوس** شديد الياس من عودها اليه قاطع رجاءه من فضل الله
تعالى لانعدام ... الاستتر... **كفور** عظيم الكفران بما سلف
من النعم **ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته** كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي
ذكر الاذاقة مع النعم والمس مع الضراء اشارة الى ان النعمة ... يجد الانسان ذوقها
وتلذذه بها بخلاف الضر فان مسه كاف للوصول ... فلا يصبر هنا كما هم يجزع
جزعا وكفروا النعم لطول الزمان **ليقولن ذهب السيئات عني** اي البليات
التي ساءتني **انه لفرح** اشر بطر **فخور** على الناس بما اذاقه الله تعالى من نعمائه وقد شغله

الفخر والفرح عن الشكر إلا الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها
ولاحقها فانه نقيض له صبروا اطلاقا على هذا لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
اي المؤمنين الذين عادتهم الصبر عند نزول المحنة ووقوع الضراء والشكر عند النعماء استثناء
عن الانسان لان الكلام لاستغراق الجنس كما في قوله ان الانسان لفي خسر ومن خص الانسان بالكافر
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير ثواب عقيبه
فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك هذا على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وهو
ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به وهو كما يقول الرجل لآخر لعلك تريد
ان تفعل كذا او تعرض بها عنه وما كان ينبغي هذا النهي على الصبر على اذى المشركين واستهزائهم
صح ترتيبه على الكلام بتضمن الحث والتحريض على الصبر ومن وهم ان لعل للترجي فقد وهم
وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك وانما اتى بضائق على ضيق للدلالة
البلغ وهو لمناسب لفظ تارك أن يقولوا بأن يقولوا وقيل الضمير في به مبهم وان يقولوا
تبيين اي يضيق صدرك بسبب قولهم هذا لولا أنزل عليه كنز ينفقه في استتباع الاتباع
كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه إنما أنت نذير ما عليك الا الانذار لا ما عليك
ان يقترحوا ولا يضيق صدرك بما يقترحونها وتهتم به والله على كل شيء وكيل
فكل اليه امرك فانه حافظ عليهم ما يقولون ويفعلون وقادر عليهم ما يجب ان يفعل من جزائهم
أم يقولون افتراه أم منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله
في البلاغة وزانا وتحليلا تحداهم بمثله وهو كل القرآن وفي ذلك الوقت فلما ظهر عجزهم
عنه تحداهم بعشر سور مثله العجز ولعله ليفضل تسهيلا عليهم وتحداهم بسورة ولعله كلما
عادة المعارضين وتوحيد المثل لان المراد مماثلة كل واحد منها له في البلاغة والاخلاق ببين
السور فيها فاصبوا بل كلها مثل ما سابقها فيه تنبيه على أن المراد مماثلته في حسن البيان
لا في بدائع المعاني مفتريات من باب المساهلة وارخاء العنان لما قالوا افتراه بين
عنه ما يأتون به على دعوى لهم فيبين لهم الى افترائه فأتوا أنتم بكلام مثله في حسن
النظم والبيان مفترى بأن نعدكم فصحاء بلغاء وادعوا من استطعتم من دون الله
إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين في أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم
اي للنبي والمؤمنين باتيان مثله فاعلموا ايضا كما نعلم لجعلهم كما نبا الرسول عليه السلام
نساء لهم منه بأنه يجب عليهم تبلغه في كل امر لاساحة الدلائل والتنبيه على ان اخذ
ما يجب فيه في النجيب ايمانهم ورسوخ يقينهم فلا يغفلوا عنه ولذلك رتب عليه الامر

ويجوز

ويجوز ان يكون الجمع في الخطاب لتعظيم الرسول عليه السلام ويجوز ان يكون الخطاب
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن في من استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون
الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بأنهم عاجزون عن ذلك فاعلموا انما انزل ملتبسا
بعلم الله اي بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق وان لا اله الا هو واعلموا عند عجز كل الكل
الا الله وحده القادر على ما لا يقدر عليه احد وانا اشركه به ظلم وان ما تعبدونه ليس من
الالوهية في شيء فهل انتم مسلمون بعد هذه الحجة القاطعة ويجوز ان يكون الخطاب
للمسلمين ومعناه واثبتوا على العلم بالتوحيد وازدادوا يقينا فهل انتم ثابتون على الاسلام
مخلصون فيه تعالى بأن تتبعوا ما ينبغي وتتركوا الفتنة والطاعة وفي تعقيبه مقتضى لتعقيبه
بالعدول الفعل في الجملة نبتنا المسلمون من يطلب الاستدلال ايقاد القلب قوام الاسلام
وقوة الثبات في الدين فانهم مطالبون بذلك لزوال العذر بوضوح الدليل وعرفته
وفي خطاب المشركين اشارة الى ان قوة الخطاب بنفس الشرك وقيام حجة التوحيد تقتضي
انتحالهم الشرك والمواظبة على الاسلام فان المجد للحكم عن ذلك يوجب التهديد بليغ وقطعا
من ان يجيب بهم ربنا الى الله تعالى في شركائه وفيهم لان ثبوت التوحيد على نفي العبادة والالوهية
عن الغير وخضوعهم لا ذكر له من كان يريد الحياة الدنيا باحسانه وبره وعد بانه كان
الدنيا لا لغيره من الشهوات لا يبتغيه في مرتبة ما يأتي ذكره وزينتها الزينة يختص بما
يتزين به من لبسه وحليه وغيرها ذلك نوف إليهم نوصل اليهم يعطي اي يوفي الله تعالى في
الى غير المعقول وقرئ بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض نوف إليهم أعمالهم جزاء اعمالهم من
الصحة والامن وسعة الرزق وكثرة الاولاد والرياسة والوجاهة ما يتبع الحق على تمام فيها
في الحياة الدنيا وهم فيها اي في الحياة الاعمال ولا يجوز عود الضمير الى الحياة الدنيا لانها فيهم
ما تعدون اداة لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم في الآخرة العالم
في الدنيا لا يعدون ثوابها في دار الآخرة فلا ذكرها ما يشير الا انما كتبنا لا لاعمالهم في الكفرة
منهم أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا لوحظ فاتهم ثوابها بما فعلوا لعدم كون اعمالهم
خالصة لله الا النار وما فيها من انواع العذاب والاقتصار على ذكر
النار من قبيل الاكتفاء بذكر شيء مع حصول ذلك لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة
وبقيت عليهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها في مقابلة الآخرة من وجوه البر
مع ما التكليف على خلاف ما تقتضيه الطبع وهو كالعشق والمقصود عنه بالمصنع فانما
وباطل لانه ليس باطلا في حد نفسه ترتيبه الا في ذكر اما انه لا يجدي في الآخرة لانه لم ينتفع

شرط القبول وهو الاخلاص ونعم باطل في نفسه ما كانوا يعملون ما اعتادوا عمله في مصالح
الحياة الدنيا واسباب زينتها للدلالة على الاستمرار التجددي بجمع بين كان وصيغة
المضارع كما في قوله من كان يريد الحياة الدنيا ومجموع الجملتين علة لما قبلهما وقرئ بطل
على الفعل وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله •
ولا خارجا من في زور كلام • افمن كان على بينة من ربه برهان من الله تعالى يدل على ان
دين الاسلام حق وهو القرآن ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره افمن كان على بينة من ربه كمن كان
يريد الحياة الدنيا في المنزلة والرتبة يعني ان بينهما تفاوتا لا يكاد يخفى بين المخلصين وبين اولئك
المقصرين بونا عظيما بعيدا وتفاوتا عظيما والهمزة لانكار ما ثالثه بينهما والفاء للتفريع هذا
الانكار ترتيبه على ما قبله من بيان حال اولئك الذين في سعيهم معنى وان
اخرجه عن الهمزة لفظا لا تضايقها الصدارة في الكلام ومن ذهب الى ان الفاء عاطفة بالتعقيب
مثنى على تقدير ما يعطف عليه فالتقدير امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة من ربه
فالخبر محذوف ودلالة الفاء عليها اي يعقبونهم في الرتبة ولا يسبقها لانكار هذا التعقيب
فقد تكلف ولا بأس لحذف التقدير لا قول ونعم ان الهمزة لانكار التعقيب ثم يعني على صيغة
جنس حلف بين الوجهين نخبط ويتلوه اي يتبع ذلك البرهان الذي يتضمن الدليل العقلي
لكونه معجزا شاهد هو عيسى عليه السلام حيث بشر بمبعثه نبينا عليهما السلام وهو
البشارة فتسمية شهادة بحقيته بالاسلام والتنكير للتفخيم وكذا قوله منه اي من الله
تعالى ومن قبله اي من قبل ذلك الشاهد كتاب موسى يعني التوراة فانه ايضا يتلوه
في التصديق وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه والضمير في قبله للقرآن الذي عبر
عنه بالبينة والحق ان الشاهد المذكور يتبع الكتابين القرآن والتوراة اماما كتابا يؤتم به
في الدين فتقتدي به ورحمة على المنزل اليهم لانه الوصلة الى نيل الخير الدارين
اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به اي بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
من اصناف الكفار ومشركا كان او كتابيا فالنار موعده يردها لا محالة لانه تعالى لا يخلف
وعده فلا تك في مرية منه من القرآن وقيل من الوعد وقد قدم له انه الحق من ربك ظاهر
في الاول ونحو يجري في بعث الشدة كما لتقاد وتقدمه في اول السورة ايضا بعض الفرق بينهما وبين
الريب والشك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بكونه من عند الله تعالى لقلة نظرهم وقصور
تدبرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باسناد ما لم ينزله اليه او نفي ما انزله عنه
وقد مر ما يتعلق به في تفسير سورة الانعام اولئك يعرضون على ربهم يحشرون في الموقف

للعرض على اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف
وسفههم بذلك لانهم يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل الخلق كما قال وعرضوا
على ربك صفا بل ان اذا انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد وجه عن منهم هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم بنسبة الولد والشريك اليه ونفي ما انزل عنه الا لعنة الله على الظالمين
من قول الاشهاد وما نقل لله تعالى اي قطعوا ولعنوا بسبب ظلمهم بالكذب على الله تعالى في وجه
الفظيع ما يحيق بهم الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها
بالاعوجاج او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد والعوج الانحراف والميل المؤدي الى الفساد
الطريق بسبب تخير ارسل اي طلبت لك وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون
بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين اي ما كانوا معجزين
الله تعالى في الدنيا ان يعاقبهم ومنعوا معجزين معلقين لا يقدر عليهم كما قال في الارض
لان الطرف ابن آدم وتنمته ان ما هو فيها اي فصارت لا يستطيع الجا وزنها وما كان لهم
من دون الله اليك ذكر الله هنا واسقط فيما سبق وكان مقتضى الظا بل ابانه ثمة والاكتفا
بالتقرير هنا ولا تاما عدل الى ما نقع لخيرا الاعن اضافة النعم اليها صريحا من اولياء يمنعونهم
من العقاب ولكن اخرهم الى هذا اليوم ليتضاعف عذابهم فقوله يضاعف لهم العذاب استئناف
في مقام التنازل بالجواب للسؤال عن وجه تاخير العقاب • وان تضاعف بالعذاب • ما كانوا
يستطيعون السمع لفرط تصاممهم كراهة استماع الحق كانهم لا يقدرون على استماعه وما كانوا
يبصرون لفرط تعاميهم كراهة اتباعه وكانه العلة لمضاعفة العذاب اولئك الذين خسروا
انفسهم باشتراء عبادة الاوثان بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة
وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الندامة لا جرم
مذهب الخليل وسيبويه انه مركب من لا وجرم وبني على الفتح ونا ما فعلا رفع على الفاعلية وقال
الكسائي معناه لا صدو لا منع فيكون جرم اسم لا وهو مبني على الفتح انهم في الآخرة هم
الاخسرون لما كان خسرانا لا تترك لغظم الخسار الحكم عليهم بانهم الزايدون في الخسران في كلامه
مرامهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه بالخشوع من الخبث
وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن وقد قدم ذكر الكافرين اعتبارا للسياق كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق
الكافرين في عدم انتفاعهم المشاعر بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالسميع والبصير والتشبيه
تشبيه تحليل النظر من حيل المركب وجعلت فيه من جبل المركب لانه تعيين التغيير الذي الشبه لي

ان المقام يحتمل تشبيه الفريقين بالجامع بين العمى والصمم والجامع بين السمع والبصر على
اللف وفي ذلك اقتصار لتعبير الجمع بين الصفتين كما في قوله الصابح فالغانم فالآيب وتشبيه الحال
بكل واحد من الاعمى والاصم والآخر بكل واحد من السميع والبصير فيكون لكل منهما تشبيهان كما في
قوله • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي •
وهو من باب اللف والطباق والوجه هو الاول لانه تشبيه الكفار الى تشبيه الاول وتشبيه
وكذلك المؤمنون بغير متعدد في الآية بخلاف البيت المذكور والمراد تشبيه حال الفريق الكفرة
العارفين الموصوفين بالتصامم عن آيات الله بحال من خلى العمى والصمم لا تنفعه اشارة ولا عبارة وحال
فوج الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا باسماعهم وابصارهم هنا الى الجنة والكفار كما
كانوا حابطين فيه من ضلال الكفر والرحمة بحال من هو بصير سميع يستضيء بالانوار في الظلام
ويستضيء [illegible] لا تنار [illegible] بالمرام هل يستويان اي الفريقان والاستفهام انكاري
مثلا صفة او تشبيها افلا تذكرون بالتامل فيما ضربنا من المثل فالفاء للترتيب والاستفهام
للتعريض على ما تقدم [illegible] والاستفهام [illegible] في الكلام ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير قرئ اني بالكسر على ارادة القول [illegible] وبالفتح على
باني اي ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام [illegible] بالفتح والمعنى الى الفتح الكسر كما في [illegible]
انه [illegible] مبين ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص منه ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم على قراءة الفتح وعلى
قراءة الكسر ان مفسرة متعلقة بنذير او بارسلنا ويجوز ان يكون المعنى بان لا تعبدوا الا الله على
ان الباء صلة ارسلنا كانه قيل ارسلناه [illegible] اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم [illegible] اليوم بالاليم من الاسناد المجازي [illegible] فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا [illegible] البرهان [illegible]
زعمهم ان الرسول يجب ان يكون ملكا [illegible] بالنبوة [illegible]
[illegible] وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا [illegible] ان لا يكون الرسول [illegible]
[illegible]
بادي الرأي قرئ بالهمز من بدأ [illegible] وبغير همز من بدا [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] فانهم لما لم يجعلوا الا الظاهر من الحياة الدنيا كان الاخط بها اشرف والمحروم منها
ارذل وما نرى لكم علينا من فضل [illegible] فتغلب المخاطب على الغائبين [illegible]
[illegible] هذا القول لانهم يتجهلون بان دعوى النبوة باطلة لا دخل له [illegible] الا ان ذلك
[illegible] على [illegible] بل نظنكم
كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك [illegible]
[illegible] على [illegible] لنفي دعوى [illegible]
[illegible] قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي
[illegible] وآتاني رحمة من عنده [illegible] فعميت عليكم فخفيت عليكم
[illegible] النبوة [illegible] البينة [illegible]
[illegible]
[illegible] وقرئ فعميت بالتشديد اي اخفيت [illegible]
[illegible] الله تعالى انلزمكموها [illegible]
[illegible] الثاني
[illegible] وانتم لها كارهون
[illegible] ويا قوم لا اسألكم عليه [illegible]
[illegible] ان لا تعبدوا الا الله [illegible]
[illegible]
الا اجرا [illegible]
[illegible] ان اجري الا على الله [illegible]
[illegible] وما انا بطارد الذين آمنوا [illegible]
[illegible]
انهم ملاقوا ربهم [illegible]
[illegible] بادي الرأي [illegible]
[illegible] ولكني اراكم قوما
تجهلون [illegible]
[illegible]
الناس [illegible]

وبما قررناه تبين وجه ادراج قومنا في الكلام • وادماج دقيقة انيقة فيما نحن بصدده

المرام • ويا قوم تلطف نوح عليه السلام بندائهم بقوله يا قوم استدعاء لهم في قبول

كلامه كما تلطف من الفرعون بقوله يا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان

طردتهم وهم بتلك المثابة من الزلفى والكرامة عند الله تعالى افلا تذكرون لتعرفوا

ان ما قيل تماما على طردهم ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله خزائن

رزقه وقسمه اي كما لا املك مالا فكذلك لا ادعي في املك مالا ادعي فضلا تابعي فلا تعرض

لي في المال لا دعوي ولا دعاء ولا اعلم الغيب حتى اطلع الي ما اريد لنفسي ولتابعي

عطف علي ما قبله اي لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا ان اعلم الغيب فيه بتعين لتوسل الفريق الذي سبق

بينه وبين ما في نفسه بوحده ما نذكر في تفسير سورة الانعام ما قاله تكررها لما

انا اكتب بالاحتمال العيبة في النفي فعقد ان يات في الكلام محق باق علي اليقين

بعيد عن السهو والغفلة ولا اقول اني ملك بحيث جوابا عن قولهم ما نراك الا

بشرا مثلنا وبانا رتبت جوابهم فيه عليه السلام لما لطف الغفر اي لا اتعاظم بذلك

عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع ومن كان شانه وطريقته كذلك لا يستنكف عن مجالسة

الفقراء والمساكين • ولا يطلب مجالسة الاغنياء والسلاطين • فلما كانت طريقتي مجالسة

الفقراء فكيف جعلتم ذلك سببا لما تركتم عني ولا اقول للذين تزدري

اعينكم اي في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم • الازدراء افتعال من زرى عليه اذا عاب

وازري به قصد به وابدال تائه دالا اي احتقرته واسناده الي الاعين مجاز للمبالغة

وللتنبيه علي انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم

وقلة منالهم من غير تامل في معانيهم وكمالاتهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما

اعد الله لهم في الاخرة او في الدنيا والاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما في

انفسهم من الايمان وتعنته اني اذا ان فعلت او قلت شيئا من ذلك لمن ه

الظالمين لنفسهم بطردهم اوانت يقولوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا بيان

جادله اذا خاصمه ليرجعه عما عليه واصل الجدل هو الفتل فاكثرت جدالنا فاطلته اولئك

بانواعهم فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين في الوعيد فان مناظرتك

لا تؤثر فينا ولا نبنيه قال انما ياتيكم به الله ان شاء اي ليس الاتيان به الي

انما هو الي الذي عصيتموه وكفرتم به فيفعله ان شاء عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين

بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي النصح تحري ارادة الخير في الدلالة تنفعه

النفس وقيل هو اعلام بموضع الغي ليتقي والرشد ليتبع ان اردت ان انصح لكم شرط

دليل جوابه ما قبله دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير

الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما

اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وانما قال ان اردت ان انصح مع وقوع النصح استظهارا

في الحجة لانهم ذهبوا الي انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع ان لم يشأ الله وفيه

دلالة علي ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده تعالى غير واقع

هو ربكم خالقكم ومتبعكم في الدنيا الي وقت اجالكم واليه ترجعون فيجازيكم على

اعمالكم ام يقولون افتراه قل سئل هذا الكلام في شان محمد صلى الله

عليه وسلم اعترض في قصة نوح عليه السلام وهذا الظهر وانسب بالسياق لانه كالمعترض

لقوله ام يقولون افتراه دلالة على كمال العناد فان مثله بعد ما اتيان بالقصة على هذا

الاسلوب المعجز لا ينبغي ان ينسب الي افتراء به فجازيا ذة الكلام له وقيل تمام هذا الباب

ايضا بين لان افتراه وهو نظير اعتراض قوله وان يكذبوك فقد كذب امم من قبلكم بين

قصة ابراهيم عليه السلام على احد الوجهين قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان

ثبت افترائي فعلي عقوبة اجرامي وكان صحيحا ان تعرضوا عني وتعادوني وانا بريء مما

تجرمون اي ولم يثبت ذلك بل هو فرض محال وانا بريء من افترائكم اي نسبتكم اياي

الي الافتراء اما عدل الي ما هو عليه طريقة المشاكلة او مما جابكم بجرمي بين وانا [illegible]

محكوكة واوحي الي نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن هذا الاستثناء

علي طريقة الا ما قد سلف علي ما قيل انه استثناء منقطع للمبالغة في النفي فلا تبتئس

بما كانوا يفعلون اقنطه الله تعالى من ايمانهم علي وجه بلغ ثم نهاه ان يغتم بما

استمروا عليه من تكذيبه وايذائه والاستهزاء والابتئاس حزن في استكانة واصنع

الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا وملكا ان العين الة الحس التي بها يحفظ الشيء عبر بكثرتها

عن المبالغة في الحفظ والرعاية عن الاختلال والزيغ عن صنعته وعن اتخاذ العدد ولمزيد

في النبي من عمله علي طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين

ظلموا نهي عن التكلم فيهم بالشفاعة في النهي عن الدعاء في استدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون

محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الي كفه ويصنع الفلك حكاية لحال ماضية وكلما مر عليه

ملا من قومه سخروا منه من عمله السفينة وكان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته

فكانوا يتضاحكون منه ويقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا والسخرية استجهال

مع الاستهزاء او مستأنف وتحري بعضها بين والمعتد بين للتجري بحري بكثيرها قال ان تسخروا
منا فيه تنزيل الحقوق منزلة المتكلم تمهيدا لما قصدوه من تجهيلهم فيما فعلوا فانا نسخر منكم
كما تسخرون المراد من تحريم عليه السلام مجازاة لا بحملها والاطلاق التسخر عليه بطريق
المشاكلة ايضا انا نجهلكم في استجهالكم ايانا بناء على ظاهر الحال لجهلكم بحقيقة الامر
كما هو عادة الجهال والحرق في الآخرة والتجريد بهذا المعنى منه عليه السلام في الحال ومتى قال
انا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة فتعلمها على الحقيقة وكانه لم يرد الا الاخبار
لا بما يليه عليه السلام فسوف تعلمون تهديد بليغ من يأتيه عذاب يخزيه يعني
من يأتيه اياهم وبعذاب يخزيهم الغرق في الدنيا ويحل عليه حلول الدين اللازم الذي
لا انفكاك له عنه في الآخرة عذاب مقيم دائم هو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية
لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حجة حتى التي يبتدأ بعدها الكلام
وفار التنور كما يفور القدر بالغليان اي نبع الماء وارتفع من الارض بشدة الانبعاع والتنور
تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة قلنا احمل فيها اي في السفينة وكانت
ذات بطون والمحمولون كانوا في بطونها على طبقاتهم ولهذا قال فيها دون عليها من
كل من كل نوع لا بد منه زوجين الزوج واحد له شكل فالذكر زوج والانثى زوج وقد
يطلق الزوج على مجموعهما والمقصود هذا الاحتمال قال اثنين وانما لم يقل من كل نوع
اثنين احترازا عن اخراج النمل عن حيز الامر بالحمل لعدم الحاجة اليه وقرئ من كل زوجين
بالاضافة على معنى احمل اثنين من كل زوجين واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد
امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين ولما كان
القول السابق ضارا لهم قال عليه دون فيه استثناء من المعنى اللازم للامر وكانه قيل
انهم لا يغرقون الا من سبق عليه القول يعني ابنه كنعان وامراته واعلة فانهما كانا كافرين
فاندفع السؤال بانه لا يخلو من ان يكون المستثنى متعلقا بنوح عليه السلام فلا وجه لقوله
رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق ولا يقال ثم استثنى المجهول من الذين امر عليه السلام
بحملهم على السفينة ولا وجه له ومن آمن اي والذين آمنوا من غيرهم وافردهم بالذكر
مع انهم من الذين آمنوا المعطوف الاستثناء المذكور المتضمن للايمان اذ لا انتساب بالنبيه
عليه السلام لا يجدي نفعا في دفع العذاب المذكور انما المنجي منه هو الاتباع له عليه السلام
وما آمن معه الا قليل اختلفوا في عددهم ولا فائدة في تعيينه وكلمة مع
هنا كالتي في قوله واسلمت مع سليمان وقال اي وقال نوح عليه السلام لمن آمن معه

اركبوا فيها والركوب بالعلو على ظهر الشيء وهو يتعدى بنفسه فيقال ركبنا السفينة
وزيادة في لانه عليه السلام امرهم ان يكونوا في جوفها لا على فوقها بسم الله متعلق
باركبوا حال من فاعل اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجراها ومرساها
نصب على الظرف اي وقت ارسائها او اجرائها لانهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء
بحذف الوقت كخفوق النجم ويجوز ان يكونا اسمي مكان ولا ينتصبان بما في بسم الله
من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من
مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير
كون له نحو لها حال الدنيا وجملة مقتضية على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها
ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بسم الله تعالى فيكون كلامين له عليه السلام روي
انه اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو فرست ويجوز ان يكون
الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وبسم الله اجراها وارساها اي بعقد
وابن وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جري ورسي مصدرين او زمانين او مكانين
وقرئ مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورين على الحال صفتين لله تعالى ان ربي لغفور
رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل
عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري بهم والباء في بهم كالتي في قوله ودخلت عليه
بثياب السفر والجري بسرعة والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار تلك الحالة
العجيبة في موج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير عند اضطرابه
كالجبال شبه كل موجة بجبل في تراكمها وارتفاعها وفي قوله في موج رد لما قيل ان
الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت اذ لا مجال للموج ولا
على انه في ابتداء الحال بناء على المقام لانه مقام لبيان التفهم بيان تلك الاهوال ولا حاجة
الا كتفاء بذكر اوائلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بفتح الهاء اكتفاء
بالفتحة عن الالف والضمير لامراته على انه كان ربيبه وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف الحرف وكان في معزل المعزل موضع منقطع عن غيره وكان كنعان في ناحية
منفصلة عن موضع نوح عليه السلام يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة
وبالفتح اقتصارا عليه بالالف المبدلة من ياء الاضافة في قوله او سقطت الالف والياء لالتقاء
الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب اي اركب السفينة معنا فنجوا وقرئ بادغام
الباء في الميم لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين فتهلك معهم اذ كانت مشتبهة عليه عليه السلام

لانه كان يناقفه وهذا ينبغي في حالة صم بعد العلم بان الكفار كلهم مغرقون واما السؤال
بانه كيف ساغ له الامن كذبه في السفينة بعد العلم بانه من جملة المستثنين من اهله المامور بحملهم
فقد مر وجه اندفاعه **قال ساوي الى جبل** عظيم **يعصمني من الما** يمنعني بارتفاعه
قال لا عاصم اليوم من امر الله انما قال اليوم لان في سائر الايام يوجد عاصم من
امر الله على ما نطق به قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله
والمراد بامر الله الآفات التي وقعت على خلاف العادة **الا من رحم** الله اي الا الله الذي
قد رحمهما اما استثناء من الحذف في العدول من الضمير الى الموصول بيانه تفخيم وتحقيق
لرحمته فانه رحمه هي المتصلة بالجبل وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله
وحال بينهما الموج بين نوح عليه السلام وابنه او بين ابنه والجبل لكان المتفرع فيه قوله
فكان من المغرقين اذ لا دخل للحيلولة بينه وبين الجبل في صيرورته من المهلكين
بالماء اما انه ليس بعاصم **وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي** البلع الازدراد
والمراد به نشف الماء على طريقة الاستعارة لا غور الماء في الارض لان فعل الارض هو النشف
دون الغور فانه فعل الماء نفسه والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حيثما ينبغي له ان يقال
اقلعت السما اذا انقطع مطرها حيث لا ينبغي تحت نهاية شبهتا السما والارض في سرعة
انقيادهما لامره تعالى وانفعالهما بما يفعل فيهما بالامور فعقيل ما يريد بينهما مع تعلق
الارادة به من غير امتناع بالمامور المطيع للامر المطاع القادر على ما شاء الذي اذا امر
سارع الى الامتثال من غير ترتب وبادر الى الطاعة بلا لبث خشية وهيبة من عظمته
وجلاله فخوطبتا بما خوطب به العاقل المميز المطلوب فيما له ولما امر به مما يؤمر به المدرك
المنقطع لامره تنبيها على كمال قدرته وتعالى اثره وشانه في الكل **وغيض الما** اي
نقص اذا انتقصه **وقضي الامر** تم ما وعدنا من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين
واستوت واستقرت السفينة **على الجودي** جبل بالموصل **وقيل بعدا للقوم الظالمين**
هلاكا لهم فيقال البعد بعد اذا اصابه بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص
بدعاء السوء وايراد الاخبار على الفعل المبني للمفعول للدلالة على عظمة الفاعل وجلاله وتفرده
ظلو تعالى انه لا يمكن ان تكون تلك الافعال والآثار الا من الواحد القهار • القادر
الذي ما قبلنا ونجينا فانه متعين عندنا للفعل بدليل بجموع اللفظ الدبيحيل انما ركب
فيها عليهم ولا يذهب الوهم الى ان غيره يقول يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي ولا ان
يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستقر السفينة بعد ما مخرت بها الا بامره

وتعذيبهم • ولان يهلك الظلمة لتطهير الارض من تدنسها • وقد جمعت
الآية من فخامة المعنى وجزالة اللفظ وحسن النظم وصياغة التركيب ووضوح الدلالة
على كنه الحال • مع الايجاز الخالي من الاخلال • ما تاهت الافهام في مجاريه • واستغلت
الالباب من كثرة النكات ولطائف المعاني التي عجزت بدائع العقل عن الوقوف على ما فيه • لانها
وان كانت تحت ظاهر الكلام • وترى بعد بناجزا لنظام لكنها بالنسبة الى اللطائف
المعنوية كالقشر من اللباب • وكالدردي من صفو الشراب • **ونادى نوح ربه**
اي اراد النداء في نفسه ولذلك ادخل الفاء في عطف قوله **فقال** على تقديرها لا الارادة فانه من
قبيل عطف المفصل على المجمل لا يتسول لا وجه لتقديرهما لان الاخبار عنه بالحلول عنه
الحيلولة لانه **رب ان ابني من اهلي** الذي وعدتني انجاءهم بالركوب في السفينة
هذا الوعد غير مذكور في القرآن صريحا بل المفهوم من الامر بحملهم في السفينة **وان وعدك**
الحق فان كل وعد تعد لا يتطرق اليه الخلف **وانت احكم الحاكمين** لانك اعلمهم
واعدلهم ولا يتشرب بحكمك ذلك ولا دخل فيه رحم وهذا النداء يتعدم عنا الركوب في السفينة
بعد غرقه في السفينة لكن ان على يعلم بذلك قلبي ومبنى هذا على زعمه ان ابنه ليس بكافر
لانه كان يناقفه على ما تقدم بيانه وهذا النداء منه عليه السلام وان كان بعد ما تبين
مع ابنه لكن قوله ساوي الى جبل الى اخره لا يدل على كفره لجواز ان يكون قد ظن ان الصعود
على الجبل الشامخ يجري مجرى الركوب السفينة وانه يصونه عن الغرق وبعد اخباره بيانه
لا عاصم اليوم من امر الله حال الموج بينه وبين ابنه فلم يبق له مجال الركوب واما قلنا
انه بعد الهلاك لانه لو كان قبله لما ساغ له عليه السلام ان يقول يا بني اركب معنا
وحينئذ يكون سؤالا له عليه السلام انه من الذين نجوا عن حملهم في السفينة **قال**
يا نوح انه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بين المؤمن والكافر وانا انا اليه
بينا لو **انه عمل غير صالح** فانه تعليل لنفي كونه من اهله وبعد الغاية بيانه صالح
تصريحا بالمنافاة بين وصفيهما الوجيه لا ينفعا القرابة بينهما وانما انما الاوجيا لنجاة متكرما
من اهله وايماء الى ان من نجا من اهله انما نجا بالصلاح لا بانه ابنه وقرئ انه عمل غير صالح اي
عمل عملا غير صالح وجعل ذاته نفس العمل للمبالغة في ذمه واصله ذو عمل فابدل فحذف **فلا**
تسالني وقرئ بتشديد النون بغير يا وباليا **ما ليس لك به**
علم اي لا تطلب مني ما لا تعلم اصلا بعنوان ليس تعلق بحق يتبين لك وجه كونه
صوابا وانما سماه سؤالا لتضمن كلامه بسبب كيفية النداء طلبا لا بد للاستجابة في حق ولده

وهذا لأنه عليه السلام لم يكن عالماً بحال ابنه ولا دالاً له على ما ذكر في حيلولة
الموج بينهما وما ظهر من كلامه عليه السلام وهو سؤال الاستثناء تحت الأمر بكونه محمولاً
في السفينة مع كونه من أهل الذين قد ورد الاستثناء في حقهم بذلك فلا يناسبه النهي
عنه بحصر مانع التقييد بقوله ما ليس لك به فإنه باعث للاستفسار دونه لا نهي
عنه **إني أعظك** أي أعظك الزجر عنه لتنتج بما يدعو إلى الجهل على وجه الترغيب والترهيب
أن تكون من الجاهلين إنما سماه جهلاً ونهاه عنه لأنه لما استثنى عند الوعد بنجاة أهله
إلا من سبق عليه القول فقد نبهه أن من أهلك من يهلك فكان الواجب عليه أن يوطن
نفسه على أن من أهله من يستوجب العذاب وقد دل الحال أنه منهم فلا رخصة في خير
سؤال الاستنجاء بعد أن تبين ذلك لغفوتبت على ذلك وأما سؤال الاستفسار وقد كان
يختلف أيضاً هذا القول لكن التقيد المفهوم ذكره لا بحمله على ما نبه عليه لنا نكا وما قيل
أن استثناء من سبق عليه القول من أهله يقيده له على الحال واستعداه عن السؤال لكن شغله
حب الولد عنه حيث اشتبه عليه الأمر فبناه على أن يكون الاستثناء المذكور من لفظ أهله
وقد عرفت ما فيه من الإشكال فإنه بعد علمه عليه السلام أنه مستثنى من الذين امن
بحالهم في السفينة يكون قوله يا بني اركب معنا عصياناً وأعتداء مما ذكر لا يجدي
نفعاً **قال رب إني أعوذ بك** أي ألتجئ لأعتصم بما يمنع من الأسف **أن أسألك**
أي أطلب منك **ما ليس لي به علم** بحاله لاحتمال الخطا وهذا تبرئة منه عليه
السلام عن أن يعود إلى مثله في المستقبل تأدباً بأدب الله تعالى في **وإلا تغفر لي**
ما فرط مني **وترحمني** بالتفضل علي بقبول توبتي **أكن من الخاسرين** أعمالاً إلا طلب المغفرة
والرحمة بهذه الطريقة للكناية أبلغ وأكد من قوله اللهم اغفر لي وارحمني لما فيه من قطع
الرجاء عن غيره تعالى واحتجاجاً لأنه لا يملك أحد ذلك لغيره بخلاف ما صرح فيه بالطلب
قيل يا نوح اهبط أي انزل من الجبل إلى قرار الأرض فاهبط أي انتقل من أعلى مكان
إلى دونه **بسلام منا** أي بتحية كما قال سلام على نوح في العالمين وقيل أي سالماً من
الآفات **وبركات عليك** جمع مكثر وهي ثبوت الخير ونماءه وهي في حقه عليه السلام بتكثير
ذريته وأتباعه وتتابع المنافع لما كان الطوفان عاماً فعند ما خرج نوح عليه السلام من
السفينة علم أنه ليس في الأرض ما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخائف في أنه كيف
يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب فلما قال الله تعالى ذلك
الخوف عنه بالبشارة بحصول السلامة عن الآفات وعموم الرزق والمهمات **وعلى أمم**

ممن

ممن معك من لابتداء الغاية أي أمم ناشئة ممن معك في السفينة إلى آخر الدهر
ويجوز أن تكون للبيان ويراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات
أو لأنها لأمم يتشعب منه **وأمم** مبتدأ **سنمتعهم** صفته والخبر محذوف دل عليه
ممن معك أي وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لما أنه ممن معه بالسلامة والبركات
وهم المؤمنون إشارة إلى أنهم إنما متمتعين في الدنيا معذبين في الآخرة وهم الكافرون
من ذرية من معك هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب المذكور في قوله **ثم
يمسهم منا عذاب أليم** ما نال بهم **تلك** إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها
الرفع بالابتداء وخبره **من أنباء الغيب** أي بعضها **نوحيها إليك** خبر ثان والضمير لها
أي موحاة إليك أو حال من الأنباء أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء
ما كنت تعلمها أنت ولا قومك خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك **من قبل هذا**
من قبل إيحائنا إليك أو حال من الهاء في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلاً أنت وقومك
بها وذكر الغاية في قوله ولا قومك أن قومك مع كثرتهم لم يسمع عنهم علم القصص والأخبار
ومن خالطهم فلم يكن تعلمك منهم ولم تخالط غيرهم فعلمت إلا بالوحي **فاصبر** على أذى
الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح عليه السلام وتوقع في العاقبة لك ولمن تبعك مثل ما قيض
له ولمن تبعه **إن العاقبة** بالظفر في الدنيا والفوز في الآخرة **للمتقين** عن الكفر والمعاصي **وإلى
عاد أخاهم** أي واحداً منهم عطف على نوحاً إلى قومه **هوداً** عطف بيان **قال يا قوم اعبدوا
الله** أي وحده **ما لكم من إله غيره** وذلك يدل على أن
المقصود من هذا منعهم عن عبادة الأصنام وغيره صفة لإله وقرئ بالرفع حملاً على محله وبالجر
على لفظه **إن أنتم إلا مفترون** على الله تعالى في قولكم إنه أمرنا بعبادة الأصنام أو
ما قيل باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء فتبينت عدم الفرق بين الكذب والافتراء
يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه إزاحة
هذا القول لإزاحة التهمة وتمحيضاً للنصيحة فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع لا تنجع
أفلا تعقلون تمييزون بين الحق والباطل وتعلمون أن الدعوة لا غرض له فيها إلا النصيحة
نصيحته **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه** ثم قدم الاستغفار على التوبة لأنه
طلب المغفرة التي هي الغرض ثم ما يتوسل به إليها بالتوبة فعبارة ثم كما في قوله
ثم لم ين الذي يخلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها **يرسل السماء عليكم مدراراً**
مدراراً كثير الدرور والمراد من السماء المطر **ويزدكم قوة إلى قوتكم** وتضاعفها

وانما رغبهم بذلك لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس عنهم المطر وعقمت ارحام نسائهم
ثلاث سنين فالمراد بالقوة كثرة الاولاد **ولا تتولوا** لا تعرضوا عما ادعوكم اليه **مجرمين**
مصرين على اجرامكم **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة** بحجة تدل على صحة دعواك قالوا
ذلك عنادا وجحودا مع كثرة معجزاته كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه
آية من ربه مع فوت آياته الحصر **وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك** حال من الضمير
في تاركي اي صادرين عن قولك كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ونسبتها اسم الفاعل من زيادة الباء
في الخبر في قوله **وما نحن لك بمؤمنين** اي وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك
والكياسة ان يصدقوا بمثلك اقناطا له عليه السلام من الاجابة والتصديق على وجه
ابلغ لغنه والتأكيد **ان نقول الا اعتراك** اعنا لا نقول قولا الا قولنا اعتراك
شرع اي ما نقول الا قولنا اعتراك من عراه اعتراه اي قصده عراه وهو القصد والكلام
والمراد الاصابة والتعبير بالكناية **بعض آلهتنا بسوء** بجنون لسبك اياها وصدك
عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والمعنى انهم كانوا جاحدين للبينة **قال اني اشهد الله**
واشهدوا اني بريء مما تشركون ما مصدرية او موصولة واشهاده تعالى حقيق كلام جار على منهاج
جميل لكنهما ذكر في البراءة عن شركهم وشركائهم واما اشهاده اياهم على البراءة فلا ولا يقول
احد من تمادي بها اشهدك اني بريء منه وهو بعد عدم المبالاة والاستهانة بعد وبعد
كان كذلك لزم التخالف بين الصيغتين ايذانا بما بينهما وطلبا لمجازاتهم **من دونه**
اي انتم تجعلونها شركاء ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا وتسمية بكلمتهم
الحمقاء منبئ بتجهيل الاضرار وتحقيق التوحيد الذي يعاهم اليه والارشاد الذي يصحبهم
يوم خبطا ولم يعتدوا ببينات وخوف من الطغيهم واشتبه من الايمان بما جاء به
بالبراءة عن آلهتهم ومقابلتهم بعد ما جاء لهم والهتهم بما اشعر اكيد البراءة ودفعها
بينهما ذو الله وبينها ذو العباد على مجرى العادة ومبالغ في ذلك ان قال اني اشهد الله
تعالى بيني وبينها واشهدهم بان بنفي الادلة كالحيات تثبيتا للتوحيد واحكام
لمعاقد نعدل عن الخبر الى الامر في الثاني لا انهم ولديهم والهتهم واستهانته
بما نعوا واعتقدوا من نفعهم بعقبة بالله ونعوذ اعتماده عليه وصحة توكله وكذا على ذلك
ان امرهم بالاجتماع على الكيد في هلاكه والاجتماع فيه وعدم الانتظار لتوقفهم
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون كقول نوح عليه السلام ثم اقضوا الي ولا تنظرون
وذلك من اعظم المعجزات فانه كان رجلا وحيدا بين الجم الغفير والعدد الوفير من اولي

بلا واسطة ابتداء وخاطبهم بما يخاطب به حضرتهم والهتهم بما حضر معهم على نفيه وقلة مبالاته
بالاضرار وانه لا يجسروا على بطشه وما ذاك الا لعصمة الله تعالى ونحن كلاءته وقد اكد ذلك
بقوله **اني توكلت على الله ربي وربكم** تقريرا له اي انكم ان اجتمعتم ونفعا ونحن اشتد
آلهتكم على وبذلتم وسعكم في قصدي بالسوء لم تضروني ولم تقدروا على اهلاكي فاني
توكلت على الله مالكي ومالككم لم يمكنكم اصابتي بما لم يرده ثم برهن على ذلك بقوله
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قاهر عليها على مقتضى مشيئته
اي في قبضته وملكه وتحت قهره وسلطنته والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك كما في الاخذ
بالناصية عرفا في العادة وكانت العرب يجزون ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر
عليه وقبض ناصيته **ان ربي على صراط مستقيم** على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته
ظالم ولا يسلط على من توكل عليه ظالما ولا يضيع عنده معتصم ولا يغلب احدا الا باذنه وفي
ذكر ربي من غير اعادة ربكم كما في الاول نكتة من تبيينها الاختصاص والتفنن عن الحسن
بيانه على زيادة اختصاصه به واستحقاقه لكل استحقاق وبه دونهم تشريفا **فان تولوا**
اي فان تتولوا وجواب الشرط ماض صريح فلذلك جاء بالفاء وقد **فقد ابلغتكم ما ارسلت**
به اليكم اي فان تعرضوا فلا حجة عليكم لم اعاتب فان ما فرطت في الابلاغ وما ارسلت
به اليكم وانتم ما اردتم الا التكذيب للرسالة ومكافاة الرسول بالعناد **ويستخلف ربي**
قوما غيركم كلام مستأنف بالوعيد لهم اي يهلككم ربي ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في
دياركم واموالكم **ولا تضرونه شيئا** من الضرر بتوليكم لاستحالة ذلك عليه وقرئ ويستخلف
بالجزم وكذلك ولا تضروه بحذف النون عطفا على محل فقد ابلغتكم اي ان تتولوا يعذبكم
ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه الا انفسكم **ان ربي على كل شيء حفيظ** رقيب
مهيمن يحفظ اعمالكم ويؤاخذكم بها او يحافظ على الاشياء كلها فان لكل ما يحتاج الى حفظه لم
ومن كان كذلك لا يمكن ان يضره شيء **ولما جاء امرنا** في التعبير بمجيء الامر عن نزول العذاب
الاستئصال على عاد ما لا يخفى من الدلالة على العظمة والجلال **نجينا هودا والذين**
آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف **برحمة منا** عن شؤم معاصي العاصين فانه لو لم تداركهم
الرحمة من الرحمن لما نجا من العذاب النازل على ما دل عليه قوله تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة **ونجيناهم من عذاب غليظ** الغلظة كناية عن الشدة
والتكرير في هذا بعد ذكر التعظيم خبرا والالهام بان الذي وقع له صار سببا
لنجاتهم ثم اخبر بانه ذلك الانجاء كان من عذاب اي عذاب دلالة على كمال الامتنان وتحقيقا

على الايمان اي انهما متغايران فان الاول انجاء الدنيا والثاني انجاء الآخرة والا قيل ان فوق
لتقتضي المقام وعلى الوجه الاول يقتضي الا تكرير وتثنية غير عطف قال كانه قيل وكان بيان ما نجاهم
منه **وتلك عاد** اشارة الى مصارعهم وآثارهم تنبيها على الاعتبار بهم وتحضيرا لهم كأنهم
مشاهدون بما يعاين من الآثار وفي الاتيان باسم الاشارة ومما يدل على البعد تهويل
وتحقيق لما اصابهم لا تعظيم لشأنهم او تحقير **جحدوا بآيات ربهم** استئناف لبيان
الوصف الذي استحقوا به العذاب وانما قال **وعصوا رسله** ولم يرسل اليهم غير هود عليه
السلام لان الانبياء كلهم دعوا الى التوحيد والاسلام متوافقين وصدق بعضهم بعضا فاذا عصى
واحدا منهم فقد عصى كلهم **واتبعوا امر كل جبار عنيد** اي رؤساءهم وكبراءهم الطاغين
وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى واتباع امرهم طاعتهم اي عصوا من دعاهم الى الايمان
وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم **واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم**
القيامة لما اتبعوا الجبابرة الطغاة جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم
في عذاب الله **الا ان عادا كفروا ربهم** جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به وانما
عدي بالذات حملا على نقيضه **الا بعدا لعاد** دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة
على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وتكرير حرف التنبيه مع اسمهم في
الموضعين وادخال حرف التحقيق مع وصفهم الموجب للهلاك والعذاب تهويل وتعظيم لامرهم
وحث على الحذر من مثل حالهم والاعتبار بهم لما الى انهم في التيقن والاستحقاق لا فرق بينهم
بسبب كفرهم كالعلم بحيثما صاروا مثلا سائرا لكل **قوم هود** عطف بيان لعاد وكأن فائدته التمييز
بينهم وبين عاد الثانية وقيل اشار الى ان استئصالهم بالعذاب والهلاك بسبب ما جرى بينهم
وبين هود عليه السلام **والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**
قد مر تفسيره **هو انشأكم من الارض** اي لم ينشئكم منها الا هو وذلك لان الانسان خلق آدم
او تخلق من ذرة النطفة التي خلقت من الاغذية من التراب **واستعمركم فيها** وجعلكم فيها عمارا سكانا
من العمر وافقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها وورثها منكم
بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم
فاستغفروه ثم توبوا اليه قد مر تفسيره فان الفاء فصيحة عاطفة على مقدر معناه
وقابلوا النعمتين بالاحسان **ان ربي قريب** اي الى الخلق **مجيب** لداعيه استئناف
للتعجب في الاستدلال بالامر **قالوا يا صالح قد كنت فينا** فيما بيننا **مرجوا قبل**
هذا اي كانت تلوح منك مخايل الرشد وامارات الصلاح فرجونا ان تكون فينا سيدا

مستشارا او مرشدا او مسترشدا في التدابير وتعد ساقيين فلما تكلمت بهذا القول انقطع
رجاؤنا عنك **أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا** حكاية حال ماضية **واننا لفي شك مما تدعونا**
اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان **مريب** اسم فاعل من ارابه يعدى الى مفعول اذا اوقعه
في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة
والاسناد الى الشك مجازي على الوجهين **قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة** اتى
بحرف الشك باعتبار المخاطبين الجاحدين اي قدروا اني على برهان **من ربي وآتاني منه**
رحمة نبوة **فمن ينصرني من الله** فمن يمنعني من عذاب الله والعدول من الاضمار الى الاسم
للاظهار للتفخيم **ان عصيته** في تبليغ الرسالة والنهي عن الاشراك به وفي هذا النقل
فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي **غير تخسير** غير ان تخسروني بابطال اعمالي والتعرض
لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران **ويا قوم**
هذه ناقة الله الاضافة للتعظيم **لكم آية** حال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم
حال من آية متقدمة عليها ولو تأخرت عنها كانت صفة لها **فذروها**
تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها وما اضاف الارض اليه تعالى الا لانها لا وجه
للمنع حيث ان الارض ارض الله والناقة ناقته فذروها تأكل في ارض صاحبها
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا
وهو ثلاثة ايام **فعقروها** العقر قطع العضو الذي له تأثير في بقاء النفس **فقال تمتعوا**
تلذذوا بما تريدون من اسباب العيش **في داركم** في بلدكم تسمى البلاد الديار لانه يدار فيها
اي يتصرف من عرب البلد وقيل في دنياكم **ثلاثة ايام** قيل عقروها
يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت **ذلك وعد غير مكذوب** اي غير مكذوب فيه
فاتسع في الظرف بحذف حرف الجر واجرائه مجرى المفعول به كقوله يوم شهدناه او وعد
غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول او كالمصدوق بمعنى الصدق ويجوز
ان يكون من باب الاسناد المجازي كأنه قيل للوعد وفي بك فاذا اوفي به فقد صدق
ولم يكذب **فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا** قد مر تفسيره
ومن خزي يومئذ متعلق بمحذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ على وفق ما تقدم في قصة
هود عليه السلام والمراد من الخزي هلاكهم بالذل والفضيحة وقرئ ومن خزي بالتنوين
ونصب يومئذ على الظرف معمولا لخزي وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين فيه اذ تنوين
عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة بالذكر اي ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم **ان ربك**

هو القوي العزيز القادر على كل شيء الغالب عليه وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا
في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الأعراف كأن لم يغنوا فيها أي
كأنهم لم يوجدوا والمغني المقام الذي يقوم به الحي ألا إن ثمود كفروا ربهم قرئ
ثمود بفتح الدال من غير تنوين وقرئ بالتنوين وبخفض الدال في قوله ألا بعدا لثمود أي
نسبا إلى الحي وللأب الأكبر ولقد جاءت اللام لتأكيد الخبر وقد للتوقع لأن السامع يتوقع
الأنبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة رسلنا إبراهيم أي الملائكة بالبشرى أي
بالبشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط بيانا ما في والذاريات من قوله وبشروه بغلام
عليم ثم بعد قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه
بما في قالوا من معنى ذكروا قال سلام أي عليكم سلام أو سلام عليكم حياهم بأحسن
من تحيتهم والتنكير للدلالة على التعظيم أبلغ من التنوين وقرئ سلم بمعنى السلام كحرم
وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث فما تأخر إذ كان يعدم طعاما معد للأضياف كل حين
والفاء للتعقيب على ما ظهر من الدالة نهجاه بالخبر دون الشر أن جاء بعجل أما في
محل الجر على تقدير فما لبث في المجيء به وما تأخر عن المجيء به أو النصب على حذف الجار أو
على الفاعلية أي فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة سمي به لتعجيل أمره بقرب ميلاده والمجيء
لطف موقعه بعدما فهم من قوله فما لبث من معنى العجلة حنيذ والحنيذ هو الذي
يقطر دسمه من حنذت الفرس إذا ألقيت عليه الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه قوله تعالى في
موضع آخر بعجل سمين وقيل المشوي بالرضف في أخدود وهو فعل أهل البادية لأنهم ظهار
في المقام ما بعده بحجة فيا لها فلما رأى أيديهم لا تصل إليه روي أنهم كانوا ينكتون
بعواج كانت في أيديهم في اللحم ولا تصل أيديهم إليه وعلى هذا لا يظهر وجه الإيتان
بالنصيحة والعدول عن لا يمدون إليه أيديهم ومن زعم أن المذكور كناية عن الترك فقد
وهم نكرهم هذا صريح في أنه عليه السلام بأنهم كان بعدما رأى أنهم لم يمدوا
أيديهم إلى الطعام والظاهر من قوله الملائكة قوم منكرون أنه كان قبل ذلك في تحية
المجيء والتوفيق أنكرهم بعينه حين كانهم أنكرهم بقلبه بعدما رأى منهم أمارة الخوف
أي ما فعل البتة فلما ذكر بعين كيف بما أنكره بعينه وأوجس منهم خيفة أي أحس
وذلك لأنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير وقيل أحس
بمعنى أضمر في سره وقوله تعالى في سورة الحجر قال إنا منكم وجلون كذا يرده ما قيل أنها
قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو لأن

عرفوا أنهم ملائكة من حيث الخوف لأنهم كانوا لا يبتلون إلا بعد ما يخاف منهم هذا إنما
يقول عن أنه عليه السلام أفصح عن خوفه بأوضح عبارة فقالوا له عليه السلام لا تخف إنا
أرسلنا إلى قوم لوط تعليل للخطاب على ما أفصح عنه في موضع آخر بقوله لنرسل عليهم حجارة
وقيل إنما قالوا هذا لم نعرفهم ولم يرهم فيما أرسلنا به أيضا المعقول عن التفصيل
الواقع في سورة الحجر أن هذا القول لهم بعد البشارة له عليه السلام بالغلام واستماع
منه لقوله فما خطبكم أيها المرسلون ولكنا سبق ما قيل أن هذا إنما … أرسلنا إليهم
بالعذاب وإنما لم نمد أيدينا إليه لأنا لا نأكل … المعقول كما ذكر وامرأته قائمة يعني في الخدمة
وكانت تسمع محاورتهم لأعلى رؤوسهم كما قيل لأنه مرفوع … في موضع آخر فقبلت امرأته
في صرة فضحكت سرورا بالأمن وبهلاك أهل الفساد أو تعجبا … وأنهما …
يقول لإبراهيم عليه السلام اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم
… عليه … أي على تقدير … المعنى فضحكت … بجوار كلام
… وقيل فضحكت بمعنى حاضت … بأن التعجب يجعل … لا تعجب
من الولادة قبل الحيض … التعجب … والحيض فبشرناها
بإسحاق … البشارة أيضا على لسان الملائكة … التعجيب في فبشرناها بالولد …
الولد عقيبما … وهو لا يشعان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما
في الحكاية ومن وراء إسحاق يعقوب رفع بالابتداء خبره الظرف أي ومن بعد إسحاق
يعقوب مولود وقرئ بالنصب بفعل دل عليه فبشرناها أي ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب
قالت يا ويلتا يا عجبا وأصله في الشر فأطلق في كل أمر فظيع والألف فيها مبدلة من ياء
الإضافة وقرئ بالياء على الأصل أألد وأنا عجوز أي مسنة قيل كانت في تسع وتسعين
ولم يلحقها التاء لأنها وصف للأنثى خاصة وهذا بعلي زوجي وأصله القائم بالأمر شيخا
حال والعامل فيه معنى الإشارة في هذا وقرئ شيخ على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا بعلي
هو شيخ أو خبر بعد الخبر … أو بعلي بدل … أو خبر بعد خبر إن هذا لشيء عجيب يعني
الولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة ولذا أنكرت الملائكة تعجبها بقولهم قالوا
أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت الآيات والمعجزات وخوارق العادات فكان
حقها أن لا تستبعد … وتنكر … ولا تتعجب منه …
… قالت الملائكة رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت كلام مستأنف علل به إنكار
التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن الله تعالى …

الكرامات واكرمها اهل بيت النبوة ونصبه على المدح او على النداء لقصد التخصيص
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء كانوا فيهم كثيرا انه حميد
فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كريم يستحق التمجيد لما بكثرة الاحسان والانعام
على عباده فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الارتياع لما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
تعرفا ان سبب مجيئهم والفا لترتيب بعض ما يتعلق بابراهيم عليه السلام من الكلام على
بعض وقد تخلل بينهما ما يتعلق بامراته ولذا ينبغي ان يدخل في ذهاب روعه عليها السلام
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته
اياهم قوله ان فيها لوطا وجواب لما محذوف ونحو يجادلنا كلام مستانف وقيل الا انه
تقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا ونحو ذلك وقيل الجواب يجادلنا على حكاية الحال
الماضية وقيل لما يرد المضارع الى معنى الماضي كما يرد ان الماضي الى المستقبل معنى وقيل معناه
اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا او في معناه ان ابراهيم لحليم متحمل جهل لسفيها غير عجول
على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع
الى الله تعالى بما يحب ويرضى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على الجدال وهو الرافة والرحمة
والرقة على ابناء الجنس يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة له يا ابراهيم اعرض
عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك لانه قد تم علم الله بهم بما يستوجبونه انه قد جاء
امر ربك اي قضاؤه وحكمه وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك لان ابراهيم عند الله تعالى فلا دعاء به في حال ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
ساءه وغمه مجيئهم لانهم جاؤوا في صورة غلمان حسان فحسبهم اناسا فخاف عليهم ان يقصدهم قومه
فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض عن مدافعة المكروه كانه
ضاق بهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه
قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل
ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا عليها ولم يستحيوا منها
فلذلك جاؤوا يهرعون اليه مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن فدى
بهن اضيافه كرما وفتوة وحمية وكان ذلك اذ ذاك تزويج المسلمات من الكفار جائزا او من زاد على
هذا انه كانوا يخطبون من قبل ذلك ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لكفرهم كي
يرقوا له ولا منافاة بين هذا وبين قوله عليه السلام لا بالاية حق قوله فكانه لم يقل من قولهم لقد علمت
ما لنا في بناتك من حق فانه ظاهر في عدم رغبتهم فيهن وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان

كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وفيه بعد يأباه قوله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ولما قيل كانتا لدي عليه
السلام بنتا لعنة في بنات نحيث ما يريدونه حيث ان ذلك اهون منه واظهارا لشدة
امتعاضه فلا ريبة فيه قوله هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا لطهارة لا تعتبر فيها
على من امتهنه كقولك الميتة اطيب من المغصوب حيث ما يريدونه مما قدر الله فيه واجل فيما به
قول ابي سفيان اعل هبل وقرئ اطهر بالنصب على تقدير هن بناتي هن اطهر لكم وقرئ
على الحال منه تعليلا الا انه ضعيف لان هو لا يقع بين الحال وصاحبها كانه قيل هؤلاء بناتي
اطهر لكن ان بناتي هن وانه تتعلق طهارة في قطعها بناتي ويجوز ان يكون مبتدا
مبتدا او بناتي خبرا وهن تاكيد للمستكن في بناتي لانه وصف مشتق والطهر حال فاتقوا
الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء
في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاء له وهذا بناء على الحذف ولا على المذكور
على ما اقتصر عنه في موضع اخر حيث قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون
وقد علم منه ان المراد من الخزي هو الفضاحة اليس منكم رجل رشيد يهتدي
الى الحق ويرعوي عن القبيح فيرشدكم او يرشد اصحابه لتمنعهم عنه وما لم نفعل ذلك قال انكم
دونه منكم لعلمه بهم لاجتنبي وكانه لا يرى بنا بنيه كلام الذي بينهم قالوا لقد علمت ما لنا في
بناتك من حق من حاجة لان الحق في ما معنى حق لنا بمن تحدث بالحلال فلا فيها باتت
عليه لا فيك انك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران قال لو ان لي بكم
قوة لكان له فيه معنى الفعل عطفه عليه قوله او اوي الى ركن شديد اي لو قويت عليكم
بنفسي او اويت الى قوي استند اليه وامتنع به فيحميني منكم شبه القوي العزيز الذي يحتمي به
اليه فيحميه بالركن من الجبل في شدته ومنعته وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروي
انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما راى الملائكة ما بلوط
لوطا عليه السلام من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك فلم يصلوا اليك
ولما احتمل ان يصير وسيلة لنا لايصال الضرر عليك لحسم طمعهم منه بقوله لن يصلوا اليك
بسوء اصابتنا فانه ابلغ لما نحن فيه في الكلام الذي لا تقتضي هو بالا في اخرك فاسر بالقطع من الاسراء
فانه لم يرد ان نحن الكلام خبيثا لو صلها وقرئ التصل فاسر باهلك بقطع من الاسرا
وقرئ بالوصل من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر

الى درايته والنهي عام له عليه السلام ولاهله والخصوص به انما هو بتبليغه اليهم
وتوهم انه قيد للفظ لاحد فيفيد المعنى للوط عليه السلام فقد وهم **الا امرأتك**
استثنا من قوله فاسر باهلك ويدل عليه قراءة فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك
قيل وذلك انما يصح على تاويل الالتفات لا بمعنى النظر الى الخلف لكن في قراءة من
قرأها بالرفع بدلا من احد والا لزم على القراءتين ان يكون امراته سري بها وغير سري
بها وفيه نظر لان الاستثناء لا يقتضي ان لا يكون لوط عليه السلام مامورا
بالاسراء بها فانه مع انها سرت بنفسها ولكن صحة الاستثنا من هذا المقدار كيف ولم ينه
عن اخراجها لكنه امر باخراج غيرها فيمكن ان يدفع ايضا ما قيل انه اما ان اسرى بها
فلا استثنا من قوله لاحد منكم ولا فيصح من قوله فاسر باهلك والقصة واحدة
فاحد التاويلين باطل قطعا والقرائتان ثابتتان قطعا لا يجب حملهما على ما يوجب
بطلان مقتضى احدهما واما ما قيل في اخراجها مع اهله وروي انه اخرجها
معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر
واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فاعترض عليه بانه لا يجوز لانا لا نطلع حملها على
المعاني المتناقضة واجيب بان معناه اختلاف القراءتين جاء بسبب اختلاف
الروايتين كما تقول للنافع الغزوي اداء ومصالح له وانه اختلاف القراءتين
قد حصل ورد عليه انه خبث انقلب الرواية دليلا اخذها من ظاهر القراءة وايضا
فيه الزام باستلزام اختلاف الروايتين المحذور وهو الجمع بين المتناقضين ولا
جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت منكم احد فيكون الا قليل
والا قليل اولى بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح فان التصحيف وان كان البدل
افصح **انه مصيبها ما اصابهم** استينافا للتعليل استثناها من اهله ولا يلزم من
ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علل الاستثنا مستقلا
على قراءة الرفع **ان موعدهم الصبح** كانه علة الامر بالاسراء **اليس الصبح بقريب** جواب
لاستعجال لوط عليه السلام واستبطائه العذاب او تاجيل الصبح سببا للهلاك لانه
لان النفوس فيه اودع والراحة فيها اجمع فيكون العذاب فيه افظع **فلما جاء امرنا**
وقت امرنا او الامر نفسه فقد ورد قبل هذا وان المامور به قد تقدم ما ذكر في قوله
جعلنا عاليها سافلها جواب لما وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا اي الملائكة المامور

به واسنادا الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر **وامطرنا عليها** على المدن **حجارة**
روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السما ثم قلبها عليهم
واتبعوا الحجارة من خوف فيهم والتنكير في حجارة للتعظيم **من سجيل** من طين متحجر لقوله
حجارة من طين كلمة معربة من سنك كل وقيل هو من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين
او من ارسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لغلالات
منضود في الارسال يرسل بعضها اثر بعض كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض
في الصقوية او نضد معدا لعذابهم **مسومة** معلمة للعذاب وقيل بسيما تتميز به من حجارة
الارض او باسم من يرمى به **عند ربك** في خزائنه التي لا يتصرف فيها الا هو **وما هي من**
الظالمين ببعيد لانهم ظلموا فيهم لذلك وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك وقيل الضمير
للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسيرهم فقوله ببعيد يجيء بعيد
او بمكان بعيد كذا قيل ولا حاجة الى التاويل لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل
والمصادر يستوي في الوصف بها المؤنث والمذكر **والى مدين اخاهم شعيبا** قد
مر ان مدين مدينة بناها مدين بن ابراهيم عليه السلام فسميت باسمه والمراد اهلها
واولاده **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** قد سبق تفسيره **ولا تنقصوا**
المكيال امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل
المخل بحكمة التعاوض **اني اراكم بخير** بسعة وثروة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة حقها ان
تقابل بالشكر لا بما تفعلون او بخير فلا تزيلوه بما تفعلون وهو في كل الوجوه علة
للنهي **واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط** لا يشذ منه احد او مهلك من قوله واحيط بثمره
والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة من باب الاسناد
المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب بها لانه يشتمل على حوادث ومع اشتماله على العذاب فاذا
كان مهلكا فما اشتمل عليه من الحوادث كان مجتمعا على المعذب في اهلاكه **ويا قوم اوفوا المكيال**
والميزان امر بالايفاء بعد النهي عن ضده قصدا الى تقبيح ما هم عليه وتعيينه لان التصريح بالنهي
عنه توبيخ بالمنهي وتعجيل له سكر ليرجعوا الى القبول فاذا ورد الامر بعد ذلك مصرحا به كان
اوقع في نفسه واسرع الى القبول والاصل لانه تعجيب وحث بعد ما صيغة زجر
عن ضده فكانه ابلغ **بالقسط** بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فانما قيدهما به
تنبيها على ما هو الواجب وتعليقا على ان المطلوب من الايفاء القسط ولهذا قد يكون الفضل

والميزان

محرما كما في الربويات **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** تعميم بعد تخصيص لأن نقص الحقوق
مطلقا أعم من النقص في الكيل والوزن وكذا **ولا تعثوا في الأرض** لأنه
التمادي في أنواع الفساد وقد دخلهم فيما نهوا عما غلب عليهم إلى سائر القبائح ويجوز أن
يراد بالعثو البخس مطلقا تعريضا بأنه شر أنواع الفساد وإنما قال **مفسدين** احترازا عما
يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر **بقية الله** ما يبقي عليكم من الحلال بعد التنزه عما حرم
عليكم **خير لكم** مما تجمعون بالتطفيف ونقص الحقوق **إن كنتم مؤمنين** بشرط أن تؤمنوا فإنما
قيد به لظهور فائدتها معه فإن مع الكفر يحجب عن نفعها ولذلك لا تحصل الثواب
بها مشروط بالإيمان ولا يظهر على الكفار أن النجاة من تبعة البخس لانهماكهم في غمرات الكفر وفي
ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة قدره وإيما إلى أنه لا فائدة للحسنات بدونه أو
إن كنتم مصدقين لي في نصحي إياكم وقيل البقية الطاعة أي ما يبقي لكم عند الله تعالى من
الطاعات خير مما يبقي لكم والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وإضافتها إلى الله
تعالى تعظيم لها وتشريف نسبتها إليه وقرئ تقية بالتاء وهي تقواه التي تكف
عن المعاصي والتباع **وما أنا عليكم بحفيظ** تعريضا لظرف وبالأكل حرف النفي
وتعبد بليغ أي الله حفيظ عليكم ومجازيكم عليها لا أنا إنما أنا نذير مبلغ وقد أنذرت وبلغت
ونصحت وأعذرت **قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** من
الأصنام أجابوا به أمرهم بعبادة الله تعالى وترك عبادة الأوثان واتباع الحق
على طريق التجربة والاستهزاء وإسناد الأمر إلى الصلاة استهزاء بالمأمور بها المأمور
لعقلاء أنها وسوسة وجنون أو أمر خلقه أو عمل لا عقل فيه وإسناد إليها
لأنه عليه السلام كان يصلي وكانوا يقولون له إنما تستبعدها فيقولوا إنها تأمر بالمحاسن
وتنهى عن المساوي كما عرفت الله تعالى في عبادته بقوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إلا
لأعلى وجه التهكم به أصلواتك تأمرك إلى آخره فيه استهزاء منهم وجرأة ما أجهلها فلأنه
عليه السلام كان كثير الصلاة وكانوا إذا رأوه يصلي يتغامزون ويضحكون والاستبعاد
منهم أن يفعل مثل ذلك الأفعال التي بيانها على صيغة الجمع إشارة إلى نوع آخر من الاستهزاء
له فإنهم جعلوه عليه السلام مأمورا بفعل الغير مما لا يعنيه فإن طبعي ذلك كان نفعها
بعد ذلك أن في الأمر بفعل الغير كما لا يخفى مع أنه نبي وهو عليه السلام قد واظب
عليه لذلك فهم لو نزلة المأمور بأنه التزم الترك الواجب على الغير وهذا أيضا نوع من الاستهزاء
منهم تنبيها على أنه لا يعني وهذا أعقل عند التأمل في هذا المقام حتى نجعل الحذف

المضاف أي تأمرك بتكليف أن نترك فإذ هو أخصر الكلام • وقيل لأعيان لما سبق لغا
وأن نفعل في أموالنا ما نشاء عطف على ما أي أو أن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا والعطف
على دون الواو للأشعار بأن الأمر بأحدهما أيهما سبيل البدل يكفي في التسفيه والنسبة
إلى الضلال فكيفما إذا أمرهما معا ولا يخفى ما فيه من الدلالة على أنهم كانوا أيضا في الجهالة
قد بلغوا غاية الضلالة • وقرئ بالتاء في تفعل وتشاء على أن العطف على أن نترك **إنك**
لأنت الحليم الرشيد تكرير وقيل لأنهم أرادوا وصفه بما ينافي لستة ولا تعني إلى الشفيه
الشاق والأليا وعكسه كما كني لخزنة جهنم ذق إنك أنت العزيز الكريم وأما ما قيل
من أنهم كانوا سمعوا منه واستبعادهم ما يعتقدونه بالحكمة الرشد لما يقتضي عن المبادرة إلى
ما أبدلت فيما أتاه مما في سياق الكلام من الإقدام على التحريم والاستهزاء وجوه شتى
قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي إشارة إلى ما آتاه من العلم والنبوة **ورزقني**
منه رزقا حسنا إشارة إلى ما آتاه من المال الحلال والتقييد بحسنا للاحتراز
عن رزقا للتبيع وفيه إشارة إلى أن الحرام رزق وجواب الشرط محذوف تقديره فهل
يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه
وأخالفه في أمره ونهيه وهو أعيذ أنما أنكروا عليه من الإقدام على تغيير ما ألفوه والنهي
عن دين الآباء لا يخفى ما فيه من لطف المراجعة وحسن الاستنزال والرفق والاستمالة
قاله عليه السلام للتخصيص لا تبيا والضمير في منه لله تعالى أي من عنده وبإعانته
بلا كد مني في تحصيله فقد أدرج فيه الجواب عن قولهم أن نفعل في أموالنا ما نشاء على الغراية
في أموالنا فيما **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** وما أريد أن أقصدكم إلى ما أنهاكم
عنه من المعاصي والملاذ لأستبد بها دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا
عما نهيتكم فيما لجا لغيني في كذا إذا قصدك وأنت مول عنه ورحا لتحصيه إذا وليته وأنت
قاصد **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي
ما أمكنني فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه وهذه الأجوبة الثلاثة على
هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب عليه أن يراعي فيما يباشره لحقه الأحسن
حقوق أولها وأعلاها حق الله تعالى وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس وكل ذلك
يقتضي أن أمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية وأقع
موقع الظرف أي مدة استطاعتي وخبرية بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعت
بناء على تقدير حذف المضاف أي إلا الإصلاح صلاح ما استطعنا وتفعل الذي الآن

أصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم وفيه أن اعمال المصدر المعرف قليل **وما توفيقي إلا**
بالله أي وما توفيقي لإصابة الحق والصواب فيما آتي وما أذر إلا بتأييده تعالى ومعونته
عليه توكلت لا على غيره فإنه القادر على ما يشاء دون غيره فإن من عداه عاجز بل فاقد عن
درجة الاعتبار في الوجود فضلا عن القدرة **وإليه أنيب** لا إلى غيره وفي الآية طلب التوفيق
من الله تعالى لإصابة الحق فيما يأتيه ويذره على أبلغ وجه وحسم لأطماعهم وعدم المبالاة بهم
ومعاداتهم بتوكله على الله تعالى وتهديد للكفار بالرجوع إليه تعالى للجزاء **ويا قوم لا يجرمنكم**
لا يكسبنكم **شقاقي** معاداتي **أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح** من الغرق **أو قوم هود**
من الريح **أو قوم صالح** من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فإنه مثل كسب في معناه
وفي تعديته إلى مفعول واحد وإلى مفعولين وقرئ لا يجرمنكم بضم الياء من أجرمته إذا جعلته
جارما وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال
إلا أن جرم أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلى المبني
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن إهلاكهم أقرب الإهلاكات التي عرفتموها أو ليسوا ببعيد
منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق به العقاب فاحذروا أحوالهم وإفراد البعيد وقد مر
وجهه فتذكر **واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه** قد سبق ما يتعلق به آنفا **إن ربي**
رحيم عظيم الرحمة للتائبين **ودود** بعباده يفعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل
البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار لتحمل الأول
واحد الحبل بطرفيه **قالوا يا شعيب ما نفقه** الفقه فهم الكلام على ما تضمن من المعاني
وفي نفيه دون نفي الفهم دلالة على أنهم لم يفهموا فحوى أداء الكلام • كما يتوهم من
الانهام • حيث قال في وجه ما ذكر أنه عليه السلام كان ألثغ وما قالوا ذلك استهانة
بكلامه حيث كانوا يعدونه فيه سفاهة فالمعنى علمهم بأنه في معنى صحيح فتركوه منزلة الهذيان
والتخليط وفيه التنبيه على أنه **مما تقول كثيرا** إظهار للتبرم عن المكالمة وهذا أبلغ في النداء
عن الكلام العالي من ذلك القيد من هذا القبيل قولهم في وصف سيفا أنه أغمد
دما دون أن يسيل فكانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه فلا بد من
التقييد لتنزيلها أيما مناسب اعتبار أن ... في الحكاية دون المحكي **وإنا لنراك**
فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا ولا تعصب لك فيما نوع تقوية لما أرادوا من باب
العجز عن المدافعة كأنهم يقولون إنك لست بخارج عن أيدينا لا تصل إليك الأيدي بالأذى
فتغني في نفسك فلا مانع ولا دافع لا من جهة ذاتك ولا من جهة مكانك ولذلك قالوا

من يحجبك جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة وإنما قالوا
ولولا رهطك لرجمناك احتراما لهم لكونهم على ملتنا لا خوفا منهم فإن رفع هذا الوهم عنهم
عنه يا رهط دون العشرة ولقبيله ونحو ذلك والرجم الرمي بالحجارة وأما دخلت
به يعني قتلناك شر قتلة بأصعب وجه وهذا يبدو التعبية المحوج بينا بالحج والآيات
بالسب والتهديد **وما أنت علينا بعزيز** أي لست علينا بممتنع ولا تعد تغلب رجمك
وهذا هو المناسب لسياق الكلام وعلى هذا لا شبهة فيه ومن ثم نبه المفهوم قائلا
كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا فقد حمل العز على الكرامة
على ما صرح به حيث قال أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك عن الرجم فقد غفل عن أن
المناسب أن يقول لما عندنا يدل عليه منطوق قولهم ولولا رهطك لرجمناك أغنى عن
اعتبار المفهوم المذكور لما عرفت أن معناهما ولاحترام رهطك وعزهم عندنا لرجمناك
فاعتباره بعد هذا كالاستصباح بالمصباح • بعد طلوع الصباح • وإيلاء الضمير حرف
النفي لتقوية الحكم وتأكيده كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وتقديم علينا للمحافظة
الفاصلة وزيادة الباء في بعزيز لتأكيد النفي وتنكيره للتقليل أي ليس لك علينا شيء
من جنس العز وأما ما قيل وقد دل إيلاء الضمير حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في
الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم
أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فيرد عليه أن دلالة
له في مفهوم قوله وما أنت علينا بعزيز على أن رهطه هم الأعزة إنما دلالته على أنهم هم
العزيزون لأن المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه بطريق المنطوق إنما هو أصل العز لا زيادته
وأن قوله لو قيل وما عززت الخ فقد عرفت ما يظهر أنه ليس بصواب **قال يا قوم**
أرهطي أعز عليكم من الله لما كان نبيا مبعوثا من عند الله تعالى كان الاستهانة
بجانبه استهانة بالله تعالى لا ترى أنه من يطع الرسول فقد أطاع الله فجعل كون رهطه أعز عليهم منه كونه
أعز من الله لا أنه أمر الله فتحمل الإنكار المتوجه على أن المعنى أرهطي أعز عليكم من الله
في نظركم واعتباركم والإنكار لا لإبطال على أن المعنى أنهم أعز عليكم منه تعالى في الواقع
على الأول يدخل قوله **واتخذتموه وراءكم ظهريا** أيضا في حيز الإنكار والاتخاذ
إما بمعنى الأخذ لا يتعدى إلى المفعولين كاتخاذ البيت واتخاذ المركوب فدلالته على المعنى المقصود
أو إلى من دلالة الحمل عليه والظهري منسوب إلى الظهر كالأمسي منسوب إلى الأمس والكسر في
مثل هذا من تغييرات النسب والكناية عن النبذ وعدم الاعتداد به فقد شبهوا واتخذتموه

وتاكيد الا انها راو غير بنسبته الى الظهر لما ما الحق المبالغة وافادة لمعنى الاعراض عنه
بالكلية ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها فيجازيكم
عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون سبق مثله في سورة الانعام
والفاء في فسوف ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا
للاستيناف كانه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون
وهو ابلغ من الوصل بالفاء من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب قياس الكلام ومن هو صادق
بدل قوله ومن هو كاذب ليكونا قسمين يتصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا
يدعونه كاذبا اجرى الكلام على مقتضى زعمهم فما لو ومن هو كاذب اي على زعمكم وتعني
انا وسوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب مني ومنكم لانهم كذبوه واوعدوه وارتقبوا
وانتظروا ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريم او المراقب كالعشير
او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكر
ساقي قصة عاد وقصة مدين بالواو وساقي قصة ثمود ولوط بالفاء لانه لم يسبق فيهما
وعد يقتضي التسبيب وهو قوله في الاولى في ذلك وعد غير مكذوب وفي الثانية ان موعدهم
الصبح فجيء بما كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واخذ الذين ظلموا
الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام وقال لا ام صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
هلكوا الجيث لم يبرح كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم مترددين بنحو
تصرفات الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود انما شبههم بهم في هلاكهم لانهما ايضا اهلكوا
بالصيحة الا ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت
بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد
مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين
على صدق نبوته يجوز ان يكون المراد بالايات المعجزات وسلطان مبين هو العصا وافراده
بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحدا ولعمدا انسلناه بالجامع بين كونها ايات
وكونها سلطانا له على صحة نبوته والفرق بينهما ان الايات تعم الامارات والدلايل
الظنية والسلطان يختص بالقاطع المبين ما فيه خلاف من وهم ان المراد من الايات
التورية فقد وهم وما فهمه ان قوله الى فرعون وملائه يابائه لان التورية نزلت انما كان
بعد هلاك فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون بالكفر بموسى وقيل فاتبعوا موسى الهادي الى
الحق المويد بالمعجزات الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان لفرط جهلهم

وعنادهم فانه ادعى ما لا يخفى على من له ادنى تمييز وفطنة اصلا لفرط جهلهم مع كونه
بشرا حادثا مثلهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي صريح وضلال
لا رشد فيه يقدم قومه يوم القيمة يتقدمهم الى النار كما كان يتقدمهم في الدنيا الى الضلال
يقال قدم بمعنى تقدم ومنه قادمة الرحل كابيات القدمة بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش
فيه بيان لعدم كون امر فرعون برشيد بصواب وتمهيد العاقبة وعدل الى الماضي
فيما عطف عليه وقيل فاوردهم النار مبالغة في تحقق وقوعه ونزله في جرهم الى النار
منزلة الذي يتقدم الواردة واتباعه بالواردة الحراص على الماء ونزل النار لهم منزلة
الماضي تنبيها على انها لو رد ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه
فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد واتبعوا في هذه اي في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود المخصوص
بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين وهو الذي يعين به على المطلوب كان
قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة وكل شيء جعلته
عونا لشيء فقد رفدته به ذلك مبتدا من انباء القرى خبره اي ذلك النبا بعض
انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر اي مقصوص عليك منها قائم وحصيد
جملة مستانفة لا محل لها اي بعضها باق على امكنتها كالزرع القائم على ساقه وبعضها
باد عافي الاثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب
الشرك والمعاصي التي اهلكوا بها فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت ان تدفع
عنهم باس الله تعالى الهتهم التي يدعون حكاية حال ماضية اي التي كانوا يعبدونها
من دون الله اي اصنامهم التي اعتقدوها الهة معبودة من شيء شيئا قليلا لما جاء امر
ربك حين جاء عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير وكذلك ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب على المصدر اذا
اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على الماضي وهي ظالمة حال من القرى
وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم
اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد
من باب الاسناد المجازي لان الاخذ هو الذي يكون مولما وجيعا ومعناه صعب على الماخوذ
حتى كان لا اخذ الا من صعوبته ولا يخفى ما فيه من المبالغة في التهديد والتحذير ان
في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى لاية لعبرة لمن خاف عذاب

الآخرة لأنه يتعظ بما نزل بهم بسبب ذنوبهم فيعتبر به حال الآخرة ويعلم من شدته
شدة العذاب الموعود وعظمه فينزجر عما أدى إليه بخلاف الذي ينكر الآخرة أو لا يخطر بباله أهوالها فلا
حظ له من ذلك الاعتبار به ذلك إشارة إلى يوم القيامة لدلالة عذاب الآخرة عليه يوم
مجموع له الناس للحساب والجزاء والناس نائب فاعل مجموع كأنه قيل يوم يجمع له الناس والعدول
من لفظ الفعل إلى لفظ اسم المفعول للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه موصوف به
صفة لازمة لا محالة وأنه أثبت لإسناد الجمع إلى الناس لأنه يفيد أنهم لا ينفكون عن
الموصوف الذي هو ظرف لهم فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك يوم مشهود
أي مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به أي يشهد فيه الخلائق الموقف
لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه كما يقال لفلان مجلس مشهود وطعام
محضور يريدون الكثرة ولم يجعل اليوم مشهودا في نفسه لفوات الغرض وهو التعظيم لليوم
وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك فلا يتميز به الحاصل من عدم ذكر المشهود وما نؤخره أي اليوم
إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة قليلة على حذف المضاف وإرادة مدة
التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود يوم يأت وقرئ بكسر التاء والاكتفاء
بالكسر عن الياء والفاعل هو الله تعالى كقوله أو يأتي ربك ويدل عليه قراءة وما يؤخره بالياء
وقوله بإذنه أو اليوم [illegible] إلا أن تأتيهم الساعة بغتة والمراد بإتيان اليوم إتيان أهواله وشدائده
فلا يلزم أن يكون للزمان زمان ظرفا له والعامل في الظرف لا تكلم أو الانتهاء المحذوف
أي ينتهي الأجل يوم يأتي أو اذكر المقدر لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من
جواب أو شفاعة إلا بإذنه إلا بإذن الله تعالى كقوله إلا من أذن له الرحمن وهذا في موقف
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر وقوله يجادل عن
نفسها في موقف آخر وقوله الختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم في موقف آخر فلما كان القول
بتعدد المواقف مما لا بد منه توفيقا بين الآيات المذكورة فلا حاجة إلى تخصيص الممنوع عنه
بالأعذار الباطلة والمأذون فيه بالجوابات الحقة بل لا وجه له لأن الشفاعة أيضا
مأذون فيها فليست تخص الجواب فمنهم الضمير لأهل الموقف المدلول
عليه بقوله لا تكلم نفس شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد تفصيل لما فهم من قوله
لا تكلم نفس الآية من انقسامهم إلى قسمين إجمالا وتقديم الشقي على السعيد لأن المفهوم
في مرتبة الإجمال وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والأصل ومنهم سعيد فحذف منهم
اختصارا أو التنكير للتوزيع فأما الذين شقوا ففي النار شرع في تفصيل أحوال الصنفين

المذكورين

المذكورين بعد تفصيلهما لهم فيها تقديم الظرفين للتخصيص زفير وشهيق
الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره ومما بين أصوات
المكروبين تشبيه حالهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه للدلالة
على شدة كربهم وغمهم خالدين فيها ما دامت السموات والأرض نصب على الحال
المقدرة وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام السموات والأرض والمراد بهذا التوقيت التأبيد
على طريقة العرب في قولهم ما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مما يذكرونه في مقام
التأبيد ونفي الانقطاع ولا يبقى في أفهامهم منها إلا التأبيد لا تعليق مدتها بغاية
ويجوز أن يراد التعليق على أن المراد سموات وأرض الآخرة وأرضها فإنه
لا بد لأهل الآخرة من مقل ومظلة ولا يلزم في التعليق بهما علمنا بكيفيتهما بل يكفي تعلق
من مقلة ومظلة وهو معلوم من النص كقوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات
وقوله تعالى وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وليس فيه تشبيه ما يعرف به الأبد
كأنهم إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود في عذاب النار لأن الكفار ينقلون من حر
النار إلى برد الزمهرير [illegible] بأن النار عبارة عن دار العقاب غير واردة لأن الانتقال
النار فيها تغليبا أو ادعوى التغليب خلاف الأصل كلام الأبرى إلى قوله تعالى فإنه يذكر
التغليب أن يعودوا في النار والحجارة تكرر كما قيل لأن بعضهم وهو فساق الموحد
يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض
وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فإن التأبيد من مبدأ معين
ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء فيه أن وجه ذلك أن اندراج الفساق
في الشقي فيفوت ما قصد بالتنكير من التوزيع والتمييز بينهما بحيث لا يندرج أحدهما في
حكم الآخر والتقابل والتنافي بينهما المفهوم من قوله عليه الصلاة والسلام السعيد
سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه يأبى عن الجمع بينهما باعتبارين فإن الزفير
والشهيق من خواص الكفار لعلى ما ذكر يلزم تشريك الفساق معهم فيهما وأما ما ذكر
ثانيا ففيه أنه لا دلالة في اللفظ على المبدأ المعين ولو سلم فالاستثناء ينتقض لإخراجهم عن حكم
الخلود وهو محال لأنه بعد الدخول لا يجوز أن يكون الاستثناء من خلودهم فيها زفيرهم
لا دخول المطرح أن يعتقد من الخالدين فيها ما دامت السموات والأرض على من بالمعلم فيها مفيد
ومفيهق إن ربك فعال لما يريد فلا يمنعه مانع عما أراد في تعذيبه بعضهم وقيل المعنى
بالتنويع العذاب وتخصيصها بنوع الآخر وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت

السموات والارض وقرئ سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده الا ما شاء
ربك قال الزجاج هذا من نحو ما يجيء بلغ الجمل في سم الخياط اي لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى وقيل اهل الجنة يتنعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس
والفوز برضوان الله تعالى ولقائه وقد نبه بانه ما ذكر يحصل وهم في الجنة فيما في الاستثنا
عطا نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطا او الحال من الجنة غير مجذوذ غير مقطوع وهو
تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثنا ههنا الانقطاع وتعليله
في الاستثنا ان ربك فعال لما يريد فيفعا بلزم هذا القول من في العذاب يرجح نقل الاستثنا
الى ما هو اغلظ من عذاب النار من عقوبات يقتضيها سخط الله فما يجعلها الا هو فلا تك
في مرية المرية التردد الحاصل مع الشك لما قص عليه السلام قصص عبدة الاوثان وما حل
بهم من انواع العذاب ... قبل عليه تسلية بعد ... اي فلا تك في تردد بعدما انزل
عليك في سوء عاقبة قومك ... بالعبادتهم الاصنام والاوثان مما يعبد هولاء من عبادة
هولاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم او من حال ما يعبدون فانه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف
لتعليل النهي عن المرية اي حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت وقد بلغك
ما نزل بابائهم بسببه فسينزل عليهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسبب
ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من
العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع
قيام موجبه غير منقوص نصب حالا من النصيب لتقييد التوفية لدفع احتمال ان يكون منقوصا
في حق بعضه ... هذا الاحتمال ... التوفية
التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا واما من قال لا يجوز ان
يوفي وهو ناقص ويبقى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه
كاملا وناقصا فلم يصب في الشق الاول لانه قد يجيء اعلم تاكيدا للكلام فالجزم ليس تاما كما لا يخفى
على ذوي الافهام ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
هولاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك اي قضاء سبق بتاخيرهم الى يوم القيمة
لقضي بينهم بين قوم موسى عليه السلام او بين قومك وميز بين المحق والمبطل وانهم
وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع في الريبة والقلق وهذه الاية
من جملة التسلية له عليه السلام وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي جميع المختلفين

في المؤمنين والكافرين وقرئ بالتخفيف على اعمال المخففة اعتبارا للاصل لما ليوفينهم
ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما
للفصل وقرئ لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث
ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي
جميعا وقرئ وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير
فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة
واطنب في الوعد والوعيد امر نبيه عليه السلام بالاستقامة كما امر بها في العقائد والاعمال
من وظائف العبادات والتبليغ كما انزل اليه من بيان الشرائع جامعا بين التنزيه والتشبيه
في التوحيد محترزا عن الافراط والتفريط في الاعمال محتاطا في التبليغ والتشريع والعلانية
اي اذا كان يجري الكل عليه ولا علمن استقم استقامة فيما امرت به وكاف في محل النصب
صفة للمصدر اي استقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها ومن تاب معك عطف على
المستتر في فاستقم وحسن من غير تاكيد الفصل اي فليستقم من تاب معك من الكفر وامن
واستقامه في العقائد والاعمال لما يكن قابلا للامر من دون ما هو مخصوص به عليه السلام
وما فيه من التقية عن تبليغ ذلك الامر العسير في غاية المشقة قال النبي عليه
الصلوة والسلام شيبتني سورة هود لحفصة هذه السورة بالذكر ... الامر بالاستقامة
ورد في سورة الشورى ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم فتعتدوا انه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص
من غير تصرف وانحراف بمجرد الراي واما التصرف بمقتضى الاجتهاد فيما يحتاج اليه
فهو عينه بل هو مامور به على ما ورد في النصوص والتصرف بالقياس ولا نص ... المجتهد
من هذا القبيل ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون الميل اليسير اي ولا تميلوا
ادنى ميل الى من وجد منه ظلم ... الى الظالمين ... ابلغ في النهي ... لا بمن وجد
... في ... الى من صدر منه وقتا ما ظلم ... فالميل الكثير الى الذين عادتهم
الظلم فكيف بالظلم نفسه وفي ... مصاحبتهم ومداهنتهم في اعمالهم والاختلاط اليهم
... النظر اليهم والتزيي بزيهم وتعظيمهم كما قال الى الذين ظلموا اي ... الى
الذي ظلم لان كونهم جاء ... في مداهنتهم فالنهي عن ركونهم ابلغ والاية
ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه فتمسكم النار بالركون اليهم وخطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل وابعادهم بالنار

مع سلب الولاية والنصرة عنهم عنادا في اعراضهم عن جادة العدل الى من وجد منه ضلال
مع كونه عليه السلام احب الخلائق اليه زيادة تأكيد في المبالغة في الميل الى احد طرفي
الافراط والتفريط ظلم في نفسه سواء كان على نفس الظالم او غيره **وما لكم من دون الله**
من اولياء من انصار يمنعون عنكم من عذابه حال من قوله فتمسكم النار وانما في جميع للجميع
مكان تكونوا لا فيحتاج الى ذلك **ثم لا تنصرون** ثم لا ينصركم الله اذ سبق حكمه بتعذيبكم ولا يبقي عليكم
وثم لاستبعاد نصره تعالى بعد الحكم باستيجابهم العذاب **واقم الصلوة طرفي النهار**
غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لاضافته الى الوقت **وزلفا من الليل** وساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة عطف على طرفي النهار وكان
في معنى الظرف والوجه ان يعطف على الصلوة اي واقم صلوات يتقرب بها الى الله تعالى في
بعض الليل وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلوة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر في بسرة **ان الحسنات**
يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب
الكبائر او يمنعنها لنيات بمعنى بان استعدادا لتكاليفها ثقل لان الصلوة تنهى عن الفحشا
والمنكر **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم وما بعده **ذكرى للذاكرين** عظة للمتعظين **واصبر**
على الطاعة لما تقدم ما جاء به مما تقدم للتذكير الدال على فضيلة الصبر ونبه الى
علو شانه فكانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرته واحق بالوصية في بابه
وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء الا به **فان الله لا يضيع**
اجر المحسنين تعليل كالتعليل للبرهان للاوامر والنواهي المذكورة من قوله فاستقم
الى هنا واضعا مما عدل عن الضمير اي ان الصلوة والصبر احسان وايماء الى انه لا يعتد
بها دون الاخلاص فيه **فلولا كان** لولا هنا للتحضيض ضمنها معنى التوبيخ والتاسف
الذي ينبغي ان يقع من البشر على هذه الامم الذين لم يهتدوا **من القرون من قبلكم**
اولو بقية ذوو فضل وخير وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله
فصار مثلا في الجودة والفضل بينة قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وقوله
عليه السلام في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي ويجوز ان يكون مصدرا كالبقية
اي ذوو بقيا على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر
بقاه يبقيه اذا راقبه **ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم**
اي ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد واكثرهم تاركون للنهي على ان من

للبيان

للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون
عن السوء ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا لان الظاهر فساد المعنى لانه يكون تحضيضا
لاولي البقية على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين منهم كما تقول استثني من النفي
اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية ينهون عن
الفساد الا قليلا لانه كان الافصح ان يرفع على البدل **واتبع الذين ظلموا** تركوا النهي
عن المنكرات **ما اترفوا فيه** ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا
عما وراء ذلك **وكانوا مجرمين** كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم
السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم الهوى مع الكفر واتبع عطف على مضمر دل عليه
الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اترفوا
فتأويله التمادي في الاجرام او على اتبع والاعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه
فالواو للحال ويجوز ان يفسر به المتروك ويعضده تقدم الانجا **وما كان ربك ليهلك**
القرى اللام لتاكيد النفي **بظلم** حال من الفاعل والتنكير للتعظيم والاشارة الى
ان المراد به الشرك ظلم عظيم ولذلك اكد النفي باللام وكذلك ان فسر الظلم بالشرك
والباء للسببية اي لا يهلكهم بسبب ظلم الا وظلم اعظم منه **واهلها مصلحون** حال لكن منهم مصلحون
فيما بينهم بالعدل الكامل والالفة وتحاببهم العباد ومسامحته في حقه ومن ثم قدم الفقها
عند تزاحم الحقوق حقوق العباد اي ما صح ان يهلك ربك القرى الظالم اهلها بتركها
لا يهلكها بسبب شرك اهلها ما لم يضموا اليه فسادا وتباغيا فيما بينهم وكذلك
قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة** على
ملة الاسلام كلهم وهو دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وانه تعالى قادر على اتفاق
الارادة في الخصوص المذكور وان ما اراده يجب وقوعه ولا دلالة فيما ذكر عليه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كما نرى **الا من رحم ربك**
الا من هداهم الله تعالى من فضله فاتفقوا على دين الحق وملة التوحيد **ولذلك خلقهم**
الضمير للعموم والاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة اي ولما هم عليه من الاختلاف
خلقهم ليتميز المحق من المبطل ويترتب الثواب والعقاب على الطاعة والاعمال **وتمت**
كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة **لاملأن جهنم من الجنة والناس** اي من عصاتهما
اجمعين لا من احدهما فقط وفيه دفع احتمال ان يكون الامتلاء من احدهما ايضا فانهما كما في
قولنا يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد استيعاب الصنفين لا استيعاب

اراد هما **وكلا** مفعول نقص في **نقص عليك** والتنوين بدل من المضاف اليه اي كل نبا
من انباء الرسل بيان لكلا اي نخبرك به **ما نثبت به فؤادك** بدل منه او كلا مصدر اي
وكل اقتصاص نقص على معنى كل نوع واسلوب من انواع القصص وما ليبه نقص عليك
وما نثبت مفعول لنقص ومعنى تثبيت فؤاده عليه السلام طمانينة قلبه وزيادة يقينه
والتاسي بهم في الثبات والصبر على تبليغ الرسالة وتحمل الاذى كما قال فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل وذلك لان المشاركة في الامور الصعبة تهون ما يلقى لا سيما من الاذى
والاعلام بما جرى على المكذبين من العقوبات المستاصلة بانواع العذاب من غرق وريح
ورجفة وخسف يبسط نية النفس ويثبت **وجاءك في هذه** السورة او الانباء المقصوصة
عليك **الحق** ما هو حق **وموعظة وذكرى** اشارة الى سائر فوائده العامة وقال **للمؤمنين**
لانه لا ينتفع بها الا المؤمنون **وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون**
تهديد تقدم في سورة الانعام **وانتظروا** بنا الدوائر **انا منتظرون** ان ينزل بكم ما نزل
على امثالكم **ولله غيب السموات والارض** خاصة لا يخفى عليه خافية فيهما فلا
تخفى عليه اعمالكم **واليه** خاصة لا الى غيره **يرجع الامر كله** فلا بد ان يرجع اليه امرك
وامرهم فينتقم لك منهم **فاعبده وتوكل عليه** فانه كافيك وتقديم العبادة على التوكل
للتنبيه على ان التوكل انما ينفع العابد تخصيصه بالعبادة ولا انفع عن افعال لعبد الا
به **وما ربك بغافل عما تعملون** انت وهم فيجازيك بما تستحق من الثواب
ويجازيهم بما يستحقون من العقاب والله اعلم بالصواب

سورة يوسف عليه الصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الر تلك اشارة الى السورة **آيات الكتاب** القرآن **المبين** الظاهر من بان بمعنى
بان والمراد ظهور اعجازه وهو هنا بمنزلة قوله لا ريب فيه في قوله ذلك الكتاب لا ريب
فيه ويجوز ان يكون من ابان بمعنى بيّن اي المبين لما سأله اليهود من سبب انتقال
آل يعقوب عليهم السلام من الشام الى مصر وعلى هذا يكون تلك اشارة الى آيات
السورة وهو المراد بالكتاب **انا انزلناه** انا للتعظيم والضمير للكتاب المذكور باسناد انزاله
الى نفسه **قرآنا** اي حال كونه مقروا وليس فيه اطلاق اسم الكل على الجزء لان مبناه
على كون القرآن علما بالغلبة وذلك بعد النزول فلا وجه لاعتباره مع هذه **عربيا**
اي كائنا بلغة العرب وهو كالتعليل لكونه مبينا على المعنى الاول **لعلكم**

تعقلون

تعقلون ارادة ان تفهموا حقائق معانيه ودقائق مبانيه فيتبين ما في عبارته من الاسرار
والاشارات انبيا لتقبلوا كما انزلنا التوراة على اهلها بلغتها العبرية والانجيل بالسرياني
لذلك وفيه اشارة الى ان الحقيقة كلام الله تعالى في نزاهتها كلماتها عن كسوة الحروف
واللغات ولكن الخلق محتاجون في تعقل معانيها اليه **نحن** زيادة تاكيد لان **نقص**
دال على معنى يجمع **احسن القصص** اي قصصا اي احسن القصص هو مصدر
بمعنى الاقتصاص ويجوز ان يجاز به المفعول ومفعول نقص وهو في الاصل تتبع الشيء
ومنه قالت لاخته قصيه اي تتبعي اثره والقاص يتتبع الاثار فيخبرها والحسن ما يدل الى
القصص هنا لدلالته حسن الاقتصاص بحديث يأتي الينا قبله انما هي القصة فانها اتم
القصص المذكورة في القرآن لاشتمالها لانواع العبر ولطائف الحكم ويجوز ان يكون المعنى
احكم تعقلون انه منزل من الله تعالى ومن ذلك ان الدليل على اعجازه لغاية بلاغته ونهاية
فصاحته وبلاغته الينا لكونه على لسان العرب لا انه قصص لا يسمع بلغتها وعلى هذا
يكون منتهيا الى ذكر يعتبر به **بما اوحينا** اي بايحائنا **اليك** بواسطة جبرئيل عليه السلام
وانما اسقط الواسطة تشريفا للموحى والموحى اليه **هذا** يجوز ان يكون مفعول نقص على
ان احسن نصب على المصدر ولا الاشارة المتضمنة للتقرير بذكر القصص المذكور **القرآن**
نعت لهذا او بدل منه او عطف بيان واجاز الزجاج الرفع على اضمار مبتدا كانه لما قال
ما اوحي فقيل هو هذا القرآن واجاز الفراء الخفض على التكرير ومعناه عند البصريين
على البدل من ما على احد التقديرين يجوز ان يكون ما موصولة والعائد محذوف
والباقي على هذا يجوز ان يكون نصب هذا القرآن على الاختصاص والمراد بالقرآن السورة
وان كنت ان هي مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة **من قبله** الضمير راجع الى ما او
الى الموحى وانا اثنان كنت من قبل ايحائنا اليك **لمن الغافلين** عن هذه القصة لم يخطر
ببالك وهو تعليل لكونه موحى كانه نهى الغفلة عن عدم العلم بالكلية اجلالا لشأنه عليه
السلام فان في التصريح بكونه من الجاهلين ما لا يخفى ومن الغافلين عما في هذا الكلام
من الاحكام من قال في تفسيره اي من الجاهلين **اذ قال** بدل من احسن القصص بدل
الاشتمال او على انه مفعول له او نصب باضمار اذكر **يوسف** اسم عبراني ولو كان عربيا لصرف
عن سبب لحرجه عن التعريف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني
للفاعل او المفعول من اسف لان المراد المشهورة شهدت بعجمته **لابيه** يعقوب عليه السلام
يا ابت اصله يا ابي فعوض عنها التاء لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت هاء في الوقف

ها وقرئ بالفتح لأنها حركة أصلها وقد تسكن كأصلها لأنها حرف صحيح نزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها ككاف الخطاب أو لأنه كان يا أبتا فحذفت الألف واكتفي بالفتحة وإنما جاز يا أبتا
ولم يجز يا أبتي لأنه جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الأسماء
المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض لكن للتنبيه ابدا **إني رأيت** من الرؤيا لا من الرؤية
لأنه لو كانت في اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى
الناس لأنه يجوز أن يكون إرهاصا ليوسف والكرامة لا يلزمها أن يطلع عليها صاحبها
وأما اطلاع الناس عليه فإنما يلزم أن لو كان بمحضر من مجتمعين في الأرض ولا دلالة عليه
فيما ذكر بل الأدلة قوله لا تقصص رؤياك الخ وقوله هذا تأويل رؤياي بحجر عجاله بنيه **أحد عشر**
وقرئ بسكون العين لاجتماع ستة متحركات وهي بسكون العين لطول الاسم وكثرة
الحركات **كوكبا** نصب على التمييز **والشمس والقمر** إنما أخرهما عن الكواكب ليعطفهما عليها إيذانا
بفضلهما واستبدادهما بالمزية على سائر الطوالع **رأيتهم لي ساجدين** استئناف لبيان
حالهم التي رآها عليها وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ويجوز أن يكون الأول
لبيان مشاهدتهم في المنام على وجه التفصيل والثاني لبيان مشاهدتهم جملة مجتمعين في
السجود له فلا إعادة للإفادة وتقديم الظرف للاهتمام مع العناية بما هو الأهم وفي ضمنه
رعاية الفاصلة **قال يا بني** تصغير ابن للإشفاق أو لصغر السن **لا تقصص رؤياك** الرؤيا
في المنام والرؤية في العين والرأي في القلب والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة
بما يكون في النوم والأخرى بما يكون في اليقظة وفرق بينهما بحرفي التأنيث كالقربى
والقربة **على إخوتك فيكيدوا لك كيدا** منصوب بإضمار أن جوابا للنهي والمعنى لا تقصصها
عليهم كي لا يحتالوا لك بغية خفية لا تتأتى بالعقول كيدا في الضد بعد ذلك
اللام بالمصدر والكيد الاحتيال للإخفاء وإنما أتى باللام مع أنه يتعدى بنفسه فيكيدوك كما قيل فكيدوني
لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام لأنهم يحتالون لك وفيها فيجتهدون في هلاكك **كيدا**
مكرا عظيما لا تقدر على دفعه وهو مع تأكيدها وإبهامها والمفعول زيادة بالغة في التحقيق
ولذلك استأنف قوله **إن الشيطان للإنسان عدو مبين** على تقدير سؤال كأنه قيل كيف يصدر
عليهما السلام استبعد وقوع الكيد من جهتهم قال إن الشيطان استبعاده بيانا لمنشائه
يعني أن الشيطان ظاهر العداوة للإنسان كما فعل بآدم وحواء فهو يحمل على الكيد والمكر
وكل شر ليوطنهم فلا يؤمن أن يحملهم على مثله **وكذلك** محله النصب على المصدر أي مثل
ذلك الاجتباء الذي اجتباك للرؤيا **يجتبيك ربك** يصطفيك من سائر الخلق أو تفضلا

بمنامه أو بأنك لما هو أعظم منها وأصل الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء ثم استأنف بقوله
ويعلمك كلاما يكون داخلا في حكم التشبيه أي وهو يعلمك **من تأويل الأحاديث** أي تعبير
الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة
وإنما سمي التعبير تأويلا لأنه يؤول أمرها إلى ما ذكر وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس
للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث تبيين معاني كتب الله تعالى وسنن
الأنبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها وسميت أحاديث
لأنها يحدث بها عن الله تعالى ورسله عليهم السلام والأحاديث مبني على واحد المستعمل
وهو الحديث كأنهم جمعوا حديثا على أحدثة ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة
وأقاطيع والقول بأنه اسم جمع للحديث مردود بأن أبنية اسم الجمع على هذا الوزن وأما
الأباطيل فجمع لا واحد له كعباديد وشماطيط **ويتم نعمته عليك** بالنبوة أو بوصل نعم
الدنيا بنعم الآخرة **وعلى آل يعقوب** سائر بنيه قيل استدل على شرفهم وبنوتهم بضوء الكواكب
ونسله **كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق** تذكير لكونه من حقه الأنبياء
الكرام عليهم السلام وتلويح إلى معنى الولد سر أبيه ليطمئن قلبه بما أخبر به ومن ههنا
تبين وجه تخصيص إضافة الأبوين إليه دون يعقوب عليه السلام وأيضا في إضافتهما إلى
يعقوب عليه السلام تغليب إسحاق على إبراهيم عليهما السلام بخلاف ما إذا أضيفا إلى يوسف
عليه السلام والمراد بالأبوين الجد وأب الجد لأنهما في الأصالة في حكم الأب ومن ثمة يقولون
ابن فلان لمن بينه وبينه عدة آباء وإتمام النعمة عليهما بالنبوة وقيل بالدنيا ونجاته
في الآخرة وقيل على إبراهيم عليه السلام بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحاق عليه السلام بإنجائه
من الذبح والفداء بذبح عظيم **إن ربك عليم** بمن يستحق الاجتباء **حكيم** يفعل الأشياء
على ما ينبغي أو بتمام نعمته الأعلى من يستحقه **لقد كان في يوسف وإخوته** أي في
قصتهم **آيات** دلائل على قدرة الله تعالى وحكمته **للسائلين** الطالبين لها أو دلائل
على نبوته عليه السلام للذين سألوا من اليهود عنهم فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد
ولا قراءة كتاب وإنما جمع لتعدد جهة الإعجاز لفظا ومعنى والمراد بإخوته بنو علاته
العشرة **إذ قالوا ليوسف وأخوه** بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه
بالأخوة من الطرفين وأشاروا بهذه الإضافة إلى أنه سبب حظوته عند أبيهم خصه مع
يوسف عليه السلام فذكرهم زيادة محبة أبيه له ليتمحض ذنبهم عليه بل لحسدا على يوسف
عليه السلام لأنه حسبه يرجع إلى زيادة محبته له ولهذا خصوا التعرض له ومقابلة الأبناء

في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده اي ان زيادة محبته لهما امر محقق لا شبهة فيه
احب الي ابينا منا انما وحد الخبر مع كونهما اثنين لان افعل من كذا لا يتغير عن صيغته
الواحد المذكر لان تمامه بمن ولا يثني ولا يجمع ولا يؤنث قبل تمامه ولا بد في المعرف
باللام من المطابقة وفي المضاف يجوز الامران ونحن عصبة اي يفضلهما في المحبة علينا
والحال انا جماعة كفاة اقويا نقوم بمصالحه ومنافعه وهما صغيران لا كفاية بهما ولا منفعة
فضلا عن زيادة المحبة والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لانهم جماعة
تعصب بهم الامور وتستكفي النوائب ان ابانا لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن وجه
الصواب في رايه هذا بايثار اثنين من الصغار علي عشرة من الاقويا مع استواءهم في الانتساب
بالغوا في الاسناد بزيادة اللام في التاكيد وفي المسند بوصف الضلال بالظهور وجعله
ظرفا له عليه السلام ولعل زيادة تاثرهم من التفضيل المذكور روي انه كان عليه السلام
احب الي ابيه لما يري فيه من المخايل وكانت اخوته يحسدونه فلما راي الرويا تضاعف
له المحبة بحيث لم يصبر عنه فبالغ حسدهم حتي حملهم علي التعرض له اقتلوا يوسف من
جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا علي ذلك الا من قال لا تقتلوا او اطرحوه
ارضا منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معني تنكيرها وابهامها ولذلك انتصب نصب الظروف المبهمة
والمعنية فيهما ان لا يكون محدودا بالحدود ومحصورا بالاقطار ولعلها صفة للتقييد
من البين يخل جزم لانه جواب الامر ومعناه يخلص ويصفو لكم وجه ابيكم فيقبل
عليكم بكليته لا يلتفت عنكم الي غيركم وذكر الوجه لتصوير اقباله عليهم لان من اقبل
علي الشي يكون وجهه في جانبه ويجوز ان يكون المراد بالوجه الذات كما في قوله ويبقي
وجه ربك لانه اذا اصفت محبته لهم يكون لهم وحدهم غير مشترك فيه وتكونوا جزم عطفا
علي يخل او نصب باضمار ان والواو بمعني مع من بعده من بعد يوسف او من بعد قتله
او طرحه او الفراغ من امره قوما صالحين تائبين الي الله تعالي عما جنيتم عليه
او ذوي صلاح في امر دنياكم لانتظامه بخلو وجه ابيكم لكم او يصلح ما بينكم وبين
ابيكم بعذر تمهدونه له قال قائل منهم ابهمه سترا علي القائل من يشنع عليه السلام
حذرا عن نسبة الظلم الي شخص معين بخصوصه وهم انبيا عليهم السلام ومن لم يتنبه لهذا
قال يعني يهوذا كان هذا القائل احسنهم رايا حيث ذكر كلاما ليس من الذين عزموا
علي ان يفعلوا احد شيئين لما لا يجي في احدهما افراطا وفي الاخر تفريطا نظرا الي عزمهم
لعله قدر منهم في يوم واحد علي تبعيد يوسف عليه السلام عن دار حضرة لا تقتلوا

يوسف فان القتل عظيم والغرض يحصل بدونه ولم يصرح بالنهي عن المكر الاخر حالة
الدعي بدلا لما ما اختاره عليه كانه قال ما تقدرون الذي يتم به غرضكم هو هذا والقوه
في غيابة الجب الغيابة ما غاب عن عين الناظر واظلم والجب البير الذي لم يطو بنا سمي
جبا لانه لم يبن فيه غير جب الارض اي قطعها وجعلها بيرا لما الذي بعينه فيه وقري
غيابات علي الجمع كانه لتلك الجب غيابات يلتقطه الالتقاط اخذ الشي من
حيث لا يحتسب اي لا اخذ عطفا ولهذا حسن موقعه ههنا وفي قوله تعالي فالتقطه
ال فرعون بعض السيارة اي بعض المسافرين فيذهب بها الي ناحية بعيدة فتستريحوا
منه والسيارة جمع سائر وهو كثير السير في الارض وانما اختار وصيفا لما لعله لانها
انسب لما قصدوه من اذهابه الي بلاد بعيدة وفيما ذكر تنبيه علي انه لا يليق به في غيابة
الجب اي بير يعرفونها قريبة ديارهم ولذلك عرفها وقري تلتقطه بالتاء علي
المعني لان بعض السيارة سيارة ان كنتم فاعلين ما يفرق بينه وبين ابيه فهذا هو الراي
لان هذا القدر يكفيكم ولما كان اولا هذا القائل علي نحو كلمته اي في حزمكما
حين قال ان كنتم قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا علي يوسف لم تخافنا عليه وانا له
لناصحون نحن نشفق عليه ونريد له الخير وما حملنا في نجده الا النصح والمحبة ارادوا
استنزاله عن رايه في تحفظه منهم لما احس بالحسد ارسله معنا غدا في الفصل او في لفظة
ارسله دليل علي ان يعقوب عليه السلام كان يبعث يوسف عليه الصلاة والسلام يصحب
دائما يرتع الرتع الاتساع في الملاذ والذهاب في جهات من التمتع والانتفاع وقيل اصل
الرتع التصرف في الشهوات تبعا اي رتع فلان من المتعة والمال وقيل اصل الرتع التصرف
في الشهوات تبعا اي رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته ويلعب المراد من اللعب
ههنا الاستباق والانتضال يتمرنون بذلك لقتال العدو وانما سموه لعبا لانه
بصورة اللعب ولم يكن يريدوا به اللهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان مرادهم
اللهو لما اقرهم عليه يعقوب عليه الصلاة والسلام وقري نرتع بالنون وسكون العين
من رتع يرتع وقري بالكسر علي انه من الرعي ويلعب بالياء ويكون علي اسناد
الفعل الي يوسف عليه الصلاة والسلام لصغره وما يعبر عنه باللعب يناسب اسناده الي
التغيير فان يعقوب عليه السلام علي يوسف عليه السلام الحقيقة مرجحة للرجوع فاستدع
منه ذلك نرتع اي نخصب في اكل الفواكه ونحوها ونحافظ كثيرا ان يلعب امر ابنه علي
ويلعب فاستدع بقبا عنه ذلك يعظم ويلعب لانه ليس في اللعب شي ولا اثم ونحافظ عليه

المتيقنة بتركهم حفظه فما سوغ عن ذلك ايضا بقوله وانا له لحافظون اذ بينا لا يذكرون
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به ذهابكم به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
علي واخاف ان ياكله الذئب واخاف عليه عدو الذئب وكانت الارض مذأبة والحزن
الم القلب لفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه كانه يقول لا اصبر عن
رؤيته ولا طاقة لي بمفارقته هذا اذا كانت الحالة الحال السالمة فكيف ومع هذا الخاف ان
ياكله الذئب وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام وكان
يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وقيل اشتقاقه
من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة لانه يختلط في مشيه ويضطرب وقال
الاصمعي ان اشتقاق تذاءبت من الذئب لان الذئب يفعله في عدوه وهذا اظهر لفظا ومعنى
وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن
اكله الذئب اعتذر لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام بشيئين احدهما عاجل في الحال
وهو ما يلحقه من الحزن بمفارقته وكان لا يصبر عليه والثاني خوفه عليه السلام من ان
ان يغفلوا عنه برتعهم ولعبهم وعلل الخوف من يوسف عنا لان الغرض منه القرار بانهم
يرجعون به اليه من قريب واجابوا عن الثاني لانه السبب القوي في منعه عن الذهاب به
واللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب والواو في ونحن
عصبة اي فرقة مجتمعين مقتدرين على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم
مجزي عن جزاء الشرط مغبونون ضعفا لا عناية لهم او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والدمار
او نفيا لحسنهم الله يحبنا كل بعضهم الذئب وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا
فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فلما ذهبوا به متصل بمحذوف تقديره فاذن لهم
وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه اي عزموا عليه ولا بد من الجمع الا اذا
قربت الدواعي الى الفعل من غير صارف عنه الاجماع فكانه ماخوذ من اجتماع الدواعي
لم يكن لهم بد من التلقي في البئر اهلاكه كما كان التعبير عنه بالجعل اصح في غيابة الجب قيل
هو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وقيل بئر ارض الاردن
او كنعان او ناحية من نواحي الاردن ويوسف عليه السلام كان فيها وكذا القول بانها
كانت بين مصر والشام مدين لان مدين ايضا كان من ارض الاردن في جوار كنعان
واما القول بانها بئر بيت المقدس فلو صح لكانهم جاؤا الى منزلهم عشاء ذلك
اليوم وبينه وبين بيت المقدس مراحل وقرئ في غيابات وهي لا تحتمل البئر تطويه

تطويه ايثار الجب على البئر وجواب لما محذوف لما ظهر من الاتيان اي فعلوا به من الاذى
ما فعلوا مما لا يمكن وصفه او لا يحتمل سماعه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير واوحينا
اليه في البئر هو معطوف على المحذوف تقديره والقوه في غيابة الجب الا ويجيء وحي
الى يوسف في الصغر كما اوحي الى عيسى ويحيى عليهم السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا
لتنبئنهم بامرهم هذا بالتوبيخ وذلك قوله عليه السلام لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وتبشير بخلاصه لما في الحال وعلوه البئر من علو شانه ورفعه مكانه لاشارة تطييبا
لنفسه وهم لا يشعرون انك يوسف لطول العهد المغير للهيئات والاشكال وبعد الحال
عن اوهامهم على ما دل عليه قوله فعرفهم وهم له منكرون ومن وهم انه اشارة الى
هذا القول فقد وهم وما فهم من التوبيخ فانما للاحلام • وهو لما ثبت
بالتجدد كما لا يخفى على ذوي الافهام • ويروى الاشارة الى الامر المذكور هنا لتضمنها
الدلالة على ما فيه من الدلالة على الفاحشة وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم
تقول للحرب من يتوعد لها انا سوف اخلد لا يخفيك ولا اعرضنك يغني لاجابتك وهذا
شائع فيما بين الالسنة ايضا وهم لا يشعرون على هذه القراءة متعلق باوحينا اي انسا
بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاءوا اباهم عشاء وقرئ عشيا وهو تصغير عشا
وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء وفيه ضعف لانه قد يكون في ذلك
اليوم لا يبتلى به الانسان والعشاء آخر النهار اي نصف الليل ومنه اشتق الاعشى لانه
يمشي ببصر ضعيف يجاءوا في الظلام لذلك ليكونوا اقدر على الاعتذار في ظلمة ولهذا
قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج
في الاعتذار يبكون حال من ضمير جاؤا اي متباكين لانهم باكين لا ان البكاء جبلة لانه قد العين
مضطرب الحزن ولا حزن لهم لانهم اظهروا صورة البكاء ليوهموا انهم صادقين روي
انه عليه السلام لما سمع صوت بكائهم فزع وقال ما لكم يا بني اين يوسف قالوا يا ابانا
انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو والرمي والافتعال والتفاعل بمعنى كالانتضال
كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وتركنا يوسف عند متاعنا اي تركناه
عند الرحل ليحفظه فاكله الذئب الفاء للتعقيب بلا تراخ ولا بد من عبارة في المدة
عند عدم الذا ادل وما انت بمؤمن لنا قد مر ان الايمان اذا كان بمعنى التسليم
يتعدى باللام واذا كان بمعنى التصديق يتعدى بالباء او اليا ولعل بجداثت ولا
خوف النجلاد اي انهم غير مصدق لنا الا انا متهمون بالصدق وموثوق بقولنا

عندنا الكل وما انت فلسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف فلا تصدقنا ولذلك اكد
بزيادة الباء والتقييد بقوله ولو كنا صادقين اي ولو كنا عندك من اهل الصدق
والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وانما حذف الظرف لان ذكره
مقدما يفسد المعنى لافادته الاختصاص الذي لا يناسب المقام وذكره مؤخرا يبعد
اللفظ لانجلائه تفوت محافظة رؤوس الآي وتضييع رعاية الفواصل التي هي من شرائط
حسن نظام الكلام وفصل لفصل وجاؤا على قميصه بدم في محل النصب على الحال من الدم قدم
عليه لانه نكرة تقدمها على صاحبها المجرور وقيل على الظرف حيث نصبه بمعنى فوق ورد عليه بان
العامل حينئذ جاؤا وليس فوق القميص ظرفا لهم على ان فوق الحال اي فوق الدم وعلى
جعلها حالا لو تبناه ان تكون الباء للمصاحبة كما في ذهب الله بنورهم واما اذا كانت
للتعدية كما في قولك جئت بزيد مقدما فلا يلزم الحذف المذكور ولا وجه للحمل على الاول
ليتوافق الاخبار عن مجيئهم بكذب وصف بالمصدر مبالغة او مصدر اريد به المفعول اي مكذوب
فيه كالخلق يراد به المخلوق به وتعديه في مثل هذا المقام ينزل الكلام عن مرتبة
البلاغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي كاذبين وكدب بالدال المهملة اي كدر
او طري روي انه عليه السلام لما رأى قميصه غير ممزق قال ما رأيت ذئبا احلم من هذا
اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم كذا في الرواية
عندي انه امارة الكذب فلذا لم يفهم من التنكير ومن التعبير بكونه على القميص
ولكنه لما رأى عدم تمزق القميص كان هو الغرض حتى بالاضراب عن مقدر يقتضيه
المقام ويدل عليه سياق الكلام بتمام الانتظام فهو كما لعل النصيحة والتسويل
تحسين النفس وتحبيبها الى الانسان ليفعله او يقوله امرا اي امرا مشكلا لا يحمل الكنه
والتوصيف فصبر اي فأمري صبر [illegible] فعلته جميل في الحديث
المرفوع الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا حاجة الى تخصيص الشكوى بالتي تكون الى الغير
الله تعالى اذ ليس في كلامه عليه السلام وعدا بالصبر الجميل والله المستعان على
ما تصفون اي المطلوب منه العون على كشف ما تلبس من امركم هذا هو المناسب للنظم
فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انما قيل على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف
عليه السلام كما لا يخفى وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة
يسيرون وفي صيغة المبالغة دلالة على كثرتهم [illegible] الى قرب بئر
بدلالة السياق والحاق الظاهر من فوقهم بالنقطة بعض السيارة انها كانت [illegible]

الطريق العام قيل كان ذلك بعد ثلاث من القائه فيها فارسلوا اي الى البئر واردهم
هو الذي يرد الماء ليستقي منه فادلى دلوه تقول ادليت الدلو اذا ارسلتها لتملأ
ملأها فتدلى بها يوسف فلما اخرج فاذا هو غلام احسن ما يكون قال يا بشراي هذا غلام
بشر اصحابه بانه وجد عبدا او شيئا لهذا التنبيه اي احضري فهذا اوانك وقيل نادى
رجلا اسمه بشرى فانه لو كان اسما لم يكن مضافا الى ضمير المتكلم واسروه اي الوارد
واصحابه عن سائر الرفقة بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة
ما بضع من المال اي قطع منه للتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة
يوسف عليه السلام وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من الاختلال لحسن نظم المقال والاشكال من
جهة ان التعبير المذكور لا يناسب الحال والله عليم بما يعملون وعيد لهم حيث
استبضعوا ما ليس لهم وشروه باعوه بثمن التنكير للتقليل بخس زيف ناقص العيار
دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
وفيه تصريح بما قصد بالتنكير وتنبيه على انه لم يقصد به المبالغة وكانوا فيه في يوسف
عليه السلام من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة يقال زهد في الشيء وعن الشيء وذلك
لانهم كانوا التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه من يده مستعجل في بيعه
وفيه متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وان
معنا الحال لا يعمل فيما قبله وكانه قيل وكانوا زهدوا فيه فحذف لدلالة من الزاهدين
عليه وقال الذي اشتراه منهم وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ
ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وروي انه اشتراه
العزيز وهو ابن سبعة عشر سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان
وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفاه
الغفلة عن لبثه في السجن بضع سنين وكون السجن في منزل العزيز يأباه قوله تعالى
ودخل معه السجن فتيان وانما قال من مصر تنبيها على ترغيبه المشتري لاقتداره
لامرأته راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اي اجعلي
محله ومقامه عندنا حسنا مرضيا والاكرام والاحسان على جهة الاعظام ولا يلزم منه الاكرام
وانما اضاف الى مثواه دون نفسه مبالغة في احسان تعهده لان من اكرم غيره لاجله
كان اعظم منزلة ممن اكرمه في نفسه عسى ان ينفعنا نفع علو اذ مستقبلا لكم او نتخذه

ولدا فينتفع بنا قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولاجله لا ذكره بناء على انه كان عقيما لا يولد
له وكذلك اي مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حتى عطف عليه وامر امرأته باكرام
مثواه مكنا ليوسف في الارض مكناه في ارض مصر اي جعلنا له منزلة فيها كناية
عن حكومته فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث عطف على علة محذوفة اي مكنا له
في الارض ليتصرف فيها بالعدل والحكمة ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل
الرؤيا فيعبرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فيبني تدبير الامور عليها كما دبر الامر
لنبي مصر او علة تعلقها المحذوف اي ولنعلمه فعلنا ذلك والله غالب على امره لا يرده
شيء ولا ينازعه منازع فيما يشاء ويريد هذا على عمومه ويدخل فيه امر يوسف
عليه السلام فان اخوته ارادوا به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراده تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او حسن كلاءته وعصمته • وخفايا
لطفه وعنايته ولما بلغ اشده الانتهاء منتهى اشتداد الجسم وقوته وكان ذلك للنبيه
وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل وعلما بتأويل الاحاديث
او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى آتاه الحكم
والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه في العمل واتقائه في عنفوان الامر وراودته التي
هو في بيتها عن نفسه المراودة المطالبة من راد يرود اذا ذهب وجاء لطلب
الشيء ومنه الرائد ويجوز ان يكون من الرويد وهو التمهل والرفق فالمراودة هي الملاطفة
على الرفق والتمهل وهي مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وتعديته بعن لتضمين
معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه من الاحتيال في اخراج ما في يده
وهو يحفظه ويكره اخراجه فمن للمجاوزة اي راودته وخادعته عن نفسه لانه
يقف عندها بان لا يطاوعها ولذا قال التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها او لطول
الغير سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فتقول ربة البيت كما
• يا ربة البيت قومي غير صاغرة • وفي ذكرها بالموصول توصل الى زيادة تقرير
معنى الخبر ليفيد براءة يوسف عليه السلام فان كونها في بيته يقرر معنى المراودة
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتضعيف للطباق بما بعده وتحليله والتشديد للاشعار
لان غلقت الباب غلقا للعزة فيه ستره وكذا ذكره الجوهري فمن توهم انه للتكثير او
لبيان المبالغة في الاستيثاق فقد وهم وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر واقبل

واللام للبيان اي لك اقول هذا وقرئ هيت لك على لفظ الفعل بمعنى تهيأت
وعلى هذا فاللام صلة قال معاذ الله مصدر اي اعوذ بالله معاذا انه ربي اي
ان الشأن سيدي ومالكي احسن مثواي حين امرك باحساني فكيف اخونه في
اهله وهو نوع من الايجاز البليغ حيث اكتفى بذكر المقتضي والتهديد بمثل هذا
والذهاب الى نوع من المجاز من حيث المعنى لا يخفى على ذي بال الفطن انه لا يفلح
الظالمون ويدخل فيهم المجازي الحسن بالسيء وخونه او الزناة وصيغة الجمع
لبيان ان جمعهم لا يفلح ولقد همت به اي قصدا مخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان وهم بها
اي قصد مخالطتها وقيل وقصدها بالمخالطة لكان اخصر • فكان نبا عن الجواب المقدر
الظاهر • الا انه فصل بينهما ليتبين بذكر كل على حياله دلالة على افتراقهما حكما ثم مدحا
وذما فالجمع بينهما ابطال لما هو المقصود من الكلام وهو التنبيه على انهما وان كانا
مشتركين في الميل المخصوص لان احد مما يميل عنه بمقتضى طبعها العقل فانه دأب
مشتركا منها ونتيجة بمتقاصرة والثاني ميل عن شهوة قاصرة • ومعها العقل فاحكمت
زاجرة • واذا كان كذلك فالفرق بينهما عن طباق المقام من احوال الاخلاق فان
همها كانت معصية لانها كانت مصرة واما همه فمن قبيل ما يخطر في النفس ولا يثبت في
القلب بل هو الذي نفع الله تعالى فيها لو اخذ عن الخالق اذ لا قدرة للمكلف على نفيه
فلا يلزم فيه منع اذا ان الانبياء عليهم السلام احكم زيادة الرجل • ومدح الحياء بالتجمل
والفضل عن تحميل العمل • والثلاث بسبب الصغر بعد الاسلام • ويكون مسلماتها في الرجا لاهل
الزلل • لولا ان رأى برهان ربه اي رؤيته في موضع رفع وجوابه محذوف لعلم الجامع
به اي لولا رؤيته برهان ربه لامضى ما هم به ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا
فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها وذلك وقطا من يدلا على نجاته
امرا صرفه عما قصده حتى قيل انه رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عليه
السلام عاضا على انامله وقيل نحو ذلك وهذا الذي ذكره غير صحيح لان ذلك
يقتضي الالجاء وزوال التكليف ولو كان كذلك لما استحق يوسف عليه السلام مدحا
وثوابا على امتناعه عما هم به وقد مدحه بقوله انه من عبادنا المخلصين فالوجه ان يكون
المراد به تعريفا للعصمة والبرهان ما اراد الله ليوسف عليه السلام على تحريم ما هم به
كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة
السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته

وقرئ بالكسر اي الذين اخلصهم الله تعالى **واستبقا الباب** اي تسابقا الى الباب
للخروج والهرب وكيف لم يمنعه واصل استبق ان يتعدى بالى فحذف الجار واوصل الفعل
ولقد حسن موقعه حيث كان في التعبير عن المراد بالسبق اشارة الى المقصود وانما وحد
الباب ههنا لان بيان تعدده فيما سلف في هذا المقام بخلاف ما سبق والاستباق الى الباب
ينتظم الاستباق الى الكل وقيل تعدد بتعدد الذات باعتبار تعيين السابق يعني بالباب
طالبين السبق فتبعتها يوسف عليه السلام على ما دل عليه قوله **وقدت قميصه من دبر**
عطف على محذوف تقديره فادركته وقدت ولعل ذلك للتشبث بالذيل ادركته قبل الخروج
فتشبثت في اعلى قميصه فتخرق القميص عند خروجه ونزل التخريق الى اسفل القميص فهو قد
قدت دون تحرقت بيانا انها جذبته من اعلى القميص في فعله ولولا ذلك لكان
المتبادر الى الفهم خلاف ما هو الواقع وهو الجذب من الذيل فالقد المعتبر في القد
اصابة المحز **والفيا سيدها** اي صادفا بعلها تقول المرأة لبعلها سيدي **لدى الباب**
لدى مخصوص بالحضور ولا يتضمن معنى الاستحفاظ بخلاف عند فانه قد يتضمنه ويستعمل
في الغيبة ايضا ولهذا ذكر عند في قوله عند معاصها ولدى فكل منهما صادف محز
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا
السجن او التعذيب او استفهامية اي اي شيء جزاؤه الا السجن او التعذيب كقولك من في
الدار الا زيد وما عنت يوسف عليه السلام بل ابهمت تحفظا قالت من اراد اي كل من اراد باهلك
سوءا فجزاؤه الا السجن او التعذيب ليكون ذلك ابلغ فيما هو مرادها من تخويف يوسف عليه
السلام وانما كان ابلغ لانه كالدليل على استحقاقه للعقاب فعالت بعلها لما رآها على
تلك الهيئة المريبة بهما انها فرت منه تبرية لساحتها واغراء له بيوسف عليه السلام وايذانا
مغالطة عليه ان ربما يهمها فارادت تخويفه عنى ان يقضي وطرها خوفا من مكرها حيث
لم ينقض حاجتها حاطا كونها قبلين لم يفعل ما امرت ليسجنن بعد كيد تبدي وحمل
العذاب الاليم الضرب بالسياط والتعذيب تكبيتا وتقديم السجن يدل على عظيم موقع السجن
من ذوي الاقدار حيث شر منه بالعذاب الاليم فلما اغرت بيوسف عليه السلام واظهرت
نفسه احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه فلذلك **قال هي راودتني عن نفسي** طالبتني
بالمواقعة في بعض الحيثية اذ كان عليه السلام ان يستر عليها ويغضيها الا انه لان في
المواجهة بالمنبع ما ليس في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه
اناة ونصفة طلب الشاهد ليقف على الواقع **وشهد شاهد من اهلها** عاطفة على

مقدر

مقدر قيل كان ابن عم لها وكان صبيا في المهد وقيل انه كان رجلا حكيما يرده ما رق
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين
وانما القى الله الشهادة على لسان من اهلها ليكون الزم للحجة عليها **ان كان قميصه قد من
قبل فصدقت وهو من الكاذبين** من قبل المجاحد فدخولها الكلام لتعين الاخر عند
القائل بتقييد الحمل بمنزلة الظاهر لان الشق الجذب في هذا الشق ايضا محمول على فعل
هذا فانه يدل على انها قصدته فدفعته عن نفسها فقدت قميصه او انه اسرع خلفها
فتعثر بذيلها فانقد من قدامه **وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين**
لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت قميصه فقدته حكيا لشرطيه بعد فعل الشهادة
لانها نوع من القول لا على اضمار اي اراد القول من الخارج وقيل استعارة الشهادة الشرطية
المذكورة لادائها مؤدى الشهادة في اثبات قول يوسف عليه السلام وابطال قولها ومقتضى
القول لغا ان القول المذكور منطوقة على مقدر به ينتظم الكلام وهو امر الشهادة على
حقيقته وجواب الشرط فصدقت وكذبت وهو على اضمار قد لمنع الجمع بين الاستقبال الذي
المتحقق في الشرط والجزاء على تأويل ان يعلم انه كان قميصه وكقولك ان من علي بالاحسان
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل اي تمتن علي باحسانك امتن عليك بالاحسان في
السابق وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا
علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين **فلما رأى قميصه قد من دبر** وعلم
صدقه وكذبها **قال انه** اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر
من كيدكن من حيلتكن ايها النسوة فالخطاب لها ولجواريها او لها وللنساء فانهن
قد اشتهرن بنتج الحيل **ان كيدكن عظيم** لان كيد النساء الطف واعلق بالقلب
واشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء اني اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان
وهذا لانهن يواجهن الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة **يوسف** حذف منه حرف النداء
لقربه وكمال تفطنه وسرعة فهمه للحديث الذي كان به وقيل فيه تقريب له وتلطيف لمحله وفيه
نظر لان ذلك انما يظهر على تقديره فيطرق المعاني لا في الغيبة **اعرض عن هذا** اي عن
هذا الامر واذكره بالاعراض عنه وكتمه وعدم التحدث به ثم اقبل اليها فقال **واستغفري**
انت ثم ذكر سبب الاستغفار بقوله **لذنبك** ثم اكد ذلك بقوله **انك كنت من الخاطئين**
من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير تغليبا للذكر

التعلقات البينات في النسوة اذ غالب وقال نسوة النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه
غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث وضم النون لغة فيه في المدينة
ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر ويفهم منه كونهن فيها بخلاف ما اذا كان صفة
لنسوة فانه لا يفهم منه معنى الاشاعة فيها وان لم يجر كونه ظرفا دون صفة امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك
والفتى الغلام وعرفه في المملوك وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي ولا امتي وليقل فتاي
وفتاتي واصله فتي لقولهم فتيان والفتو والفتوة شاذة يعنين انهن شنعن هذا الامر
من حيث راعيل ليوسف عليه السلام وصرحن باضافتها الى العزيز مبالغة في التشنيع لان
النفوس اميل لسماع اخبار ذوي الاخطار وما يجري عليهم واخترن صيغة المضارع الدالة على
ان ذلك سجية لها تخادعه دائما عن نفسه ثم نبهوا على علة دوام تلك المراودة وهي كونها
والهة في حبه بقولهن قد شغفها حبا اي خرق حبه شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل
الى فؤادها وانتصب حبا على التمييز المنقول عن الفاعل وقرئ بها لغة بالمهملة في العشق بذكر
الشغاف لانهما والسبب كانه من اشياء احتبه على قلبها قد شق شغاف قلبها وتمكن حبه
في قلبها وسويدائه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران ثم نقل ذلك
عليها فقلن انا لنراها في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب مبين واضح للناس فلما
سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره لما عرفت ان
سياق الكلام ينطق عن الاشاعة لانهن قلن ذلك ليرين يوسف عليه السلام ارسلت اليهن
تدعوهن واعتدت لهن متكأ اي هيأت وهيأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق
والوسائد وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب كعادة
المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا فالمراد بها مناسبة المقام لما فيه من معنى المكر
بالمكر كانها قصدت بقعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يقطعن ايديهن على ايديهن فيقطعن
اذا هبتن ويشغلن عن نفوسهن من الدهش والحيرة عند رؤيته لان المتكئ اذا دهش مال عن متكئه
فوقعت يده على يده وقرئ متكا مفعلا من تكأ يتكأ اذا اتكأ ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من
متك يمتك بمعنى بتكه اذا قطعه وآتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت سكينا
يتناولن بها ما يحتاج الى تقطيعه مما قدم من اللحوم والفواكه وقالت ليوسف اخرج عليهن
وذلك في حال ما كن يعالجن بالسكين فلما رأينه عطف على محذوف تقديره فخرج
فلما رأينه وحذفه هنا للحذف وضرب في قوله تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه

على سرعة امتثاله الامر فيما اذا كان بالمعروف اكبرنه اعظمنه واعجبن بما رأين من الجمال
الرائع المعقول للذهن المغلوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء
عليها وقيل معنى اكبرن حضن فيهما لاكبرت المرأة اذا حاضت واصله دخلت في الكبر لانها
بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر والهاء للسكت او ضمير المصدر او ضمير يوسف عليه
السلام على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق ومنه قول
ابي الطيب ✱ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ✱ فان لحت حاضت في الخدور العواتق ✱
وقطعن ايديهن اي جرحنها بالسكاكين لفرط الدهش والضعف المذكور كان الجرح وقع
على اليد الواحدة وصاحبتها الاخرى لما ذهلتها ما رأينا من جمال يوسف عليه السلام
كانها غابت عن حسها الاثرت رؤيته عليها السلام فيهن بعد ما لم تؤثر في امرأة العزيز لطول الصحبة
والاعتياد والتنبيه عند اهل النهاية وقلن حاش لله تنزيها له تعالى من صفات العجز
وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى
التنزيه والتبرئة وهو من يذهب هذا المذهب في باب الاستثناء فقد خبطا وعرفت انه يفيد المعنى
المذكور في غير مقام الاستثناء الا انه في ذلك الباب لا يفيد الا معنى الاستثناء اذ لا فرق بين
قولك قام القوم الا زيدا وقولك قام القوم حاشا زيدا لمن له شك في ان الحاشا التنزيه حاشا
زيد لم يرد ان يعني التنزيه انما استفيد الا لان الكلام على براءة زيد من الاساءة لان حاشا
في مقام الاستثناء يقتضي ذلك قطعا الاترى انه لو ذكر بدل حاشا فعلا آخر لافاد المعنى المذكور
واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله
بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف عليه السلام اي صار في ناحية الله مما يتوهم ما هذا بشرا لان مثل هذا
الجمال غير معهود للبشر واعمالها بمعنى ليس لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال العربي
وقرئ على لغة تميم ما هذا بشرى اي بعبد مشترى لئيم شريف مثله لا يباع
قولة ان هذا الا ملك كريم لان هذه المثابة الرائقة بالحسن والهيبة في الجمال
لا تكون الا للملك وقد ركز في الطباع ان لا احسن من الملك ولا اقبح من الشيطان وقيل
كلما في الحسن والقبح بهما او لان الجمع بين الجمال الرائق والعصمة البالغة لا تكون الا
للملائكة قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي به واللوم الوصف بالقبيح على وجه
التوبيخ والتشنيع وذا اسم اشارة واللام لبعد المشار اليه والكاف خطاب لتلك النسوة

لا لعمري ان هذا الذي صدر منكن الاكبار مع تقطيع الايدي ونفيها البشرية عنه واثبات
الملكية له ذلك انما هذا الكنعاني الممثل بسببه لا فتتانه به قبل ان تتصورنه حق تصوره
ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتني اذ هذا الذي تشنيع به وانما قيل ذلك وهو حاضر
تعظيما لذلك رفعا لمنزلته في الحسن واستبعادا لمحله عن العرض لذبت له استحقاق ان يحب
ويفتتن به **ولقد راودته عن نفسه** الاخبار بذلك المراودة المذكورة مؤكدا بالقسم لا
بد لكاينه لم يحطن عنها قبل هذا فا قيل في تفسير فلما سمعت بمكرهن انما سماه مكرا لانها
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ليس بذلك **فاستعصم** فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن عذرنها كي لفاونها علما لانه عرينه لا استعصم بنا مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمته وهو مجتهد في الاستزادة منها ونحوه استجمع
الراي واستعجل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه من برهان انه
انور برهان على انه معصوم عنها يحطها نبه في الفا التعقيبية بل الدالة على ان ما صدر من
عليه السلام ✦ بعد المراودة والاستعصام ✦ فحل لم يفصل عنها فهذا بتبين ان الواقع من جانبه
عليه السلام مجرد هم غير اختياري فان يدلك على ذلك وذكر في كتب التفاسير والقصص من
بنقل الكذاب ✦ فانه والله الهادي الى الصواب ✦ **ولئن لم يفعل ما آمره** اي ما امر به
فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير او امري اياه ومعناه موجب امري ومقتضاه فيكون
الضمير له عليه السلام واللام في لئن موطئة للقسم وقوله جوابه **ليسجنن** وحانا لنون
المشددة لانها اكدت الحقيقة ثم عطف عليه **وليكونا** بالنون الخفيفة لان الفعل الحق
بالسجن وقري بالنون المشددة والاول اولى لانها في مقابلة الفعل ولانها لان النون كتب في
المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة **من الصاغرين** الاذلاء من صغر
بكسر العين يصغر صغرا وصغارا واما الصغير في القدر فمن باب الضم يصغر صغرا **قال رب السجن**
وقري بالفتح على المصدر **احب الي مما يدعونني اليه** بشهوده الغيبة وهي مجهة
الاخبار لدعوة الدنيا والاخرة لا تفريقا لها تهوي ما يدعون اليه ادليلية قوله اصب اليهن ولكن
الاية على انها لتسوق راودته عن نفسه ولذلك قال انا راودته عن نفسه ويجوز
ان يكون اسناد الدعوة والمراودة اليهن لانهن يضحكن له وبين لها وكذا وغيرها وقيل انهن
والعامة نصحنه في السجن والعصيان وقيل انما ابتلي يوسف عليه السلام بالسجن لانه تعالى قلبه
نعاس في نصيبه بقول السجن احب الي ولو حسبه العافية لعافاه ولذلك رد رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر **والا تصرف عني** وان لم تصرف عني **كيدهن**

ان يجيب لك الي وتحسينه عندي بالثبت على العصمة **اصب اليهن** اميل الى اجابتهن
الى انفسهن بطبعي ومقتضى هواي والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس
تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقري اصب من الصبابة **واكن من الجاهلين** من الذين
لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم
لا يفعل القبيح **فاستجاب له ربه** فاجاب الله تعالى دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف
فان فيه تعرضا لطلب الصرف والدعاء باللطف **فصرف عنه كيدهن** بتثبيته على العصمة
تنبيه للاستجابة **انه هو السميع** لدعوات الملتجئين اليه **العليم** باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم ظهر للعزيز واهله **من بعد ما راوا الآيات** هي الشواهد على براءته
كشهادة الصبي وقد القميص وما قطع النسا ايديهن فليس بينها كما لا يخفى وفاعل بدا مضمر
لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا اي ظهر لهم راي هو ليسجننه
وهو جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره قائلين والله لنسجننه
الا ان المراة ارادت زوجها وفتلته في الذروة والغارب وكان مطواعا لها حقيق
اظهار ذلك بعد ما عاين من الآيات وعمل برايها في سجنه الحاق الصغار به كما اوعدته
به وذلك لما ايست من طاعته او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وقري بالتاء
على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه والعزيز وحده على وجه التعظيم **حتى حين**
الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وينقطع قالة الناس فلبث في
السجن بضع سنين وقري عتى بلغة هذيل **ودخل معه السجن فتيان** اي عبدان
للملك قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا والواو للعطف
على محذوف تقديره ادخلوا في السجن فسجن ودخل معه اي في صحبته السجن فان مع حقيقته
فيها فلا تصرف عنها الى المجاز لا الصارف فكانه قيل واستتبع سليمان والعني انه عليه السلام
دخل السجن واتفق ان دخل آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما قصدا ان
يسماه **قال احدهما** وهو الشرابي **اني اراني** اي ارى في المنام وهي حكاية حال ماضية
استحضارا للصورة الماضية لشابع الطها للاهتمام بما وليها **اعصر خمرا** وفي قراءة ابي
عنبا واطلاق الخمر على العنب لما انه من باب تسمية الشي بما يؤول اليه ونكتة المجاز بكذا
فيهن كانه للتخيير لا امر آخر على وجه الايجاز **وقال الآخر** وهو الخباز **اني اراني احمل
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه** تنهش منه **نبئنا بتاويله** شيئه الاخبار
من الامور المغيبة بتفسيرنا المشكل والافصاح عن معناه لا ابهامه فيهما التاويل في العقيدة

فقصا عليه ما رأيا يجري اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نراك من المحسنين
الذين يحسنون تاويل الرؤيا قالا ذلك لانهما رأياه يعبر رؤيا بعض اهل السجن او من المحسنين
الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه
لما استعبراه اراد ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد فقدم لذلك مقدمة
باعتماد اياهما على نبوته لدعوى الاخبار عن المغيبات كما هو طريقة الانبياء عليهم السلام في
الترغيب في الدعوة الى الحق تعالى فقال لا يأتيكما من عند ملككما او من اهاليكما او من غيرهم
ما تحتاجون اليه من الطعام في السجن الا نبأتكما بتاويله اي بيان ماهيته وكيفيته
قبل ان يأتيكما فصل بينهما كل يوم بما على الجماعتين من الطعام قبل ان يأتيهما ثم يقول اليوم يأتيكما
كذا وكذا من الطعام صفته كيت وكيت فيكون كما اخبر ويجوز ان يكون الضمير في
تاويله راجعا الى ما استعبراه عنه اي سانبئكما بتاويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما
الطعام الذي ترزقانه فكانهما قالا له عليه السلام كيف تعلم ذلك ولست بمنجم فقال ذلكما
اشارة الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي بالالهام
والوحي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله تعليل لما قبله وتشويق لهما الى الايمان
اي لاني تركت ملة قوم اشار بهم الى اهل مصر وكانوا مشركين وليس هو تركا بعد الكون
فيها بل هو الامتناع عنها اصلا وهم بالاخرة هم كافرون لما اراد ان يحملهما
بالايمان والتوحيد عرض بكفرهما المتوقع فقال لا هؤلاء الكفار ممتنعين عنه
ليتنبها من الايمان بالتحقيق ولا من الايمان بالاخرة وعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية وكرر
وقدم الاخرة الدلالة على انهم خصوصا عادتهم الكفر وهم كالطبيعة لا امرا عارضيا وانهم
خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابراهيم عليه السلام
والتخصيص كفرهم بالاخرة والجزاء فان علمي التوحيد والمعاد مما اساس الدين والانغماس بان
ما هم عليه من الظلم والكفر بل ان في تركه الا انه كان فيه ذكر الجزاء واتبعت ملة اباءي
فيه اطلاق الاب على الجد وقدم وجهه ابراهيم واسحق ويعقوب اي واتبعت ملة
اباءي الانبياء عليهم السلام ويجوز ان يكون اعني قوله اني تركت الى اخره ابتداء الكلام
تمهيدا للدعوة بعد اظهار المعجزة وبيان انه من بيت النبوة والشرف ليكمل الوثوق
ليتقوى رغبتهما في قبول كلامه واتباعه والوثوق بما به وهذا يجوز للعالم الخامل ان
يصف نفسه ليعرف فيقتبس منه ويقصد بهداه ما كان اي ما صح لنا معاشر الانبياء
ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان وتعميم مفعول نشرك وتاكيد للعموم بزيادة من ليكون

كليهما في اتباع اشراك الاصنام به تعالى على ابلغ الوجوه فانه اذا لم يجز الاشراك
بشيء ما فيه ولو كان اشرف الاشياء فكيف باخسها وهي الجمادات ذلك التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي والاختصاص بالنبوة وعلى الناس بارسالنا اليهم لنهديهم ليهوّن تعلمهم
تزكيتهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم لا يشكرون فضل الله تعالى عليهم ولا يعرفون
قدر الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله تعالى علينا وعليهم بنصب الادلة وانزال الكتب
ولكن اكثرهم لا ينظرون في الادلة نظرا تاما لاهمالهم ولا يستدلون بها ولا يتنبهون لذلك
الفضل فلا يشكرونه بذلك التعبير التثنية يا صاحبي السجن ناداهما باسم الصحبة في مكان
الشاق الذي يخلص فيه المودة وتخص فيها النصيحة والمعنى يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على
الاتساع كما في قوله يا سارقا الليلة اهل الدار ثم اورد لهما الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله
ءارباب متكاثرون في العدد متفرقون بتفرق العين المقهورون تحت قدرته خير
ام الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يماثله غيره من شأن ضربه لعبادة الله
وحده وعبادة الاصنام بما قدمناه بين وجه اصابة التوصيف بالقهار بحيث وكان
الخطاب مقابلة الله بالالهة وانما عدل عنه للتنبيه على ان التعدد ينافي الالوهية ثم اسقط
نتيجة هذا الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما تعبدون فقال ما تعبدون من دونه اي
ما تعبدون شيئا من دون الله تعالى والخطاب لهما ولمن على دينهما الا اسماء سميتموها الاسماء
اشياء لا حقائق لها اي سميتموها انتم واباؤكم اي سميتم اشياء ليس فيها معنى الالوهية الهة
فعبدتموها باعتبار تلك الاسماء فكانكم تعبدون تلك الاسماء الخالية من المسميات
ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان من حجة تدل على صحة تسميتها ان الحكم في امر
العبادة والدين الا لله لانه المستحق للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك للامر ثم بين ما حكم به فقال امر اي على لسان انبيائه عليهم السلام
ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة هو
الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيخطئون في جهلهم انه تدرج في الدعوة فبدأ بتقبيح ملتهم في ما عبدهم وابطالها ثم يجيء
بملة التوحيد ثم بتزيينها عليهم وبيان انه من فضل الله تعالى تنفيرا وترغيبا ثم برهن رجحان
التوحيد على اتخاذ الالهة بالتمثيل على طريق الخطابة ثم ابطل الشرك بانه لا حجة عليه اصلا
لا عقلا ولا نقلا وانه عبادة العدم البحت ثم صرح بان الحق هو التوحيد فانه الحق الذي
الثابت بالبرهان العقلي والسلطان النقلي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ومن لا يعرف ذلك نزّل الجاهل منزلته يا صاحبي السجن لما ألقى إليهما ما كان أهم وهو أمر
الدين ونجا فيما عنّ لهما ناداهما ثانياً ليجتمع نفسهما لسماع الجواب أما أحدكما يريد الشرابي
إنما لم يعينه صريحاً إبهاماً لأمر الآخر بهما أمكن وتحرّزاً عن المخاطبة بالقبيح كالتصدير
بأما للشروع في تفصيل ما قصده من الجواب عما استفتياه فيسقي ربه سيده ومربي
ربه أي يسقي ما يرويه به خمراً كما كان يسقيه قبل أي يعود إلى ما كان عليه قيل يقول
وأما الغصنان بعينه العنقود الذي عليها أكثر أهل الغصنان يعني سقاه ثلاثة أيام والاخر بدر
إلا في حلقه ومعنى سقاها جعل له سقياً قال تعالى وأسقيناكم ماء فراتاً وأما الآخر يريد
الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي تمّ ما
تستفتيان فيه مما يؤول إليه أمركما وهو ما أنبأتكما به وصحّا لأجله وفرغ عنه من طال
ما رأياه في معنى ما تؤول إليه ما استفتياه فيه ما قاله من قيل جحدا وقالا ما رأينا شيئاً كذبنا
ما رأينا شيئاً وتحالمنا لنجربك فقال أو ذلك كان منكما سواء كان ذلك منكما أو تحالما والاستفتاء
طلب الفتيا والفتيا جواب الحكم المعين وهو هنا الجواب عليه ومعنى الاستفتاء لا يقتضي
ما لم يفض المعنى الوطري في الفتيا ولهذا قال تستفتيان دون استفتيتما وقال ليوسف عليه
الصلاة والسلام للذي ظن أنه ناج منهما الظان أيضاً هو عليه السلام إن كان
تأويله عن اجتهاد والشرابي إن كان عن وحي إلا أن يكون الظن بمعنى اليقين كما في قوله
إني ظننت أني ملاق حسابيه والجملة الخالص عن التوسط بلا انه اذكرني عند ربك
اذكرني عند الملك عسى أن يخلصني فأنساه الضمير للشرابي الشيطان إلا أن احقيته
من الله تعالى وإنما نسب إلى الشيطان لأنه كان يوسوس إليه من الاشتغال لما يبعد عن الذكر
ولما للتسبب كان توصيته عليه السلام بالمنقبة للاستعانة بغير الله تعالى كان سبباً
للإنساء الذي ترتب عليه مكثه في السجن مدة مديدة ذكر ربه أي ذكر يوسف عليه
السلام للملك والإضافة ملابسة ويجوز أن يكون المعنى أنسى يوسف عليه السلام ذكر
الله تعالى حتى استعان بغيره ويؤيده ما روي أنه الناجي أن تذكر على قال لو ذكر جلية
لحسبانه لانا نبيد لما ذكره في قوله عليه السلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس إنما يليق لما ذكرناه فلبث في السجن بضع سنين البضع
ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الأقاويل على أنه عليه السلام لبث فيه
سبع سنين وقال الملك إني أرى حكاية حال فلذلك جاء بلفظ المضارع سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه عليه السلام رأى ملك مصر في المنام سبع بقرات سمان

تخرج من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات وسبعاً أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فاستفتى عن تأويلها فقص من حالها لعرابه وسمان
جمع سمين وسمينة لكن صفة أجريت على المميز بدل المميز للقصد إلى التمييز بنوع من الجنس
المعتبر عليه الهزال والعجاف جمع عجفاء قياسه عجف لأن فعلاء أفعل لا يجمع على فعال لكنه حمل
على سمان فهو من عادة العرب حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير وإنما أجريت
عجاف على سبع للاستغناء عن التمييز بالمميز الأول الذي هو الجنس والتمييز إنما يكون بالجنس
لا جعل عجاف مميزاً بدون ذكر الجنس لا يجوز كما لا يجوز ثلاثة علاط وإذا بعد ضخام لعدم
دلالتها على الجنس وإذا أجريت على السبع للوصف بالنوع بعد تعيين الجنس تقديراً فرجع إلى
الأولى وأخر عطف على سبع يابسات منصوب الحال صفة على قياس عجاف والاول يا أيها
الملأ خطاب للأعيان والأشراف من العلماء والحكماء أفتوني في رؤياي عبروها إن كنتم
للرؤيا أراد الجنس فلذلك عدل عن الضمير واللام للبيان أو لتقوية العامل لأنه
إذا تأخر عن معموله ضعف فانجبر فقوي باللام كاسم الفاعل ويجوز أن يكون للرؤيا
خبر كان كما تقول فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً فيه وتعبرون حال وخبر
آخر أن تنص تعبرون وهي فعل تحدى بالآية قيل إن كنتم تستدعون لها
عبارة المجاوزة وعبرت الرؤيا جاوزتها إلى تجاوز من صورتها المخيلة المرئية إلى الصورة
المشبهة في نفس الأمر التي انقلبت المتخيلة منها إلى المرئية وكذا أولتها أي ذكرت مآلها ما
يرجع إليه من الصورة الواقعة في نفس الأمر وعبرت ابتدعنا أهل العبرة وعبرت بالتشديد
أيضاً كقطعت وقطّعت قالوا أضغاث أحلام هذه أضغاث أحلام وما الرؤيا إلا أضغاث
الأحلام أي تخاليطها جمع ضغث وهو ما جمع من أخلاط النبات وحزم شبهها بما يحيله المخيلة
من أحاديث النفس ووسوسة الشيطان فاستعير للرؤيا الكاذبة والأحلام جمع حلم بالضم
وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها وفي الخبر الرؤيا من الله والحلم من الشيطان أخرجه
الرؤيا الصادقة ثم أنه عليه الإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام وإنما جمع وهي رؤيا
واحدة لتضمنها أشياء مختلفة وقيل إنما لعدم في الوصف بالبطلان كقولهم
الحيل والملبس الخرق لا تركيب لا عرها ثم واحد فما له إلا ما شه واحدة من بنوكر
في نعتها بما شأنه يكون الجمع على ظاهره وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين
بعالمين لما أنما بنوهم أضغاث أحلام عن سؤال التعبير وأسقطوا احتمال السؤال بطلب

التأويل لأنه إن ثمّ ما يرتبط بالتعبير عند ذكره باطلها لا العجز عن تأويل الأباطيل وفيه
دليل على أنهم سألوا ما رآه ليتضح المنامات فإنه أرجاف ولا كانت تحكمهم أن يقولوا وما نحن
بتأويل الحلم بعالمين وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي واكذ بحلة دخال
وادكر بالدال المهملة وهو الفصيح عن الحسن والذكر بالذال المعجمة أي تذكر بعد أمة بعد
جماعة من الزمان لطول به حين استفتى الملك في رؤياه واعتذر على الملأ بجهلها وقرئ
إمة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة من القتل وقرئ بعد أمه بالها
أي بعد نسيان أنا أنبئكم بتأويله عمن عنده علمه فأرسلون إليه لأنه لا نفعه والجي
فأرسلوه إلى يوسف عليه السلام فأتاه فقال يوسف حذف نداء أيها الصديق أيها
المصدق وهو المبالغ في الصدق لأنه عليه السلام صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا
صاحبه وأخبر حاله في السجن أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر وأخر يابسات أي في رؤيا ذلك لعلي أرجع إلى الناس إلى الملك ومن عنده
وإنما تجافي الكلام على الظن لأنه ما دب بصحبة يوسف عليه السلام يعلم بحرمة في الرجوع إليه
فربما اخترم دونه ولا في علمهم فربما لم يعلموا أو قيل لم يكن السجن في المدينة لعلهم
يعلمون فضلك ومكانتك فيخلصوك من محنتك قال تزرعون خبر في معنى الأمر كقوله
تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وفائدة إخراج الأمر في صورة الخبر المبالغة في
إيجاب المأمور به وإلا يعتنى بما يحصل كأنه قد يوجد فيخبر عنه والدليل ما في معنى الأمر
قوله فذروه سبع سنين دأبا بسكون الهمزة وتحريكها مصدر دأب في العمل إذا واظب
أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون
دأبا وتكون الجملة حالا فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس إلا قليلا مما
تأكلون في تلك السنين نصيحة خارجة عن التعبير دالة برأي نافع بحسب علم بعض
ويحفظها التي لا يبقى عاما من الأعوام إلا بقاها في سنبل ثم يأتي من بعد ذلك سبع
أي سبع سنين شداد صعاب على الناس لمسبع سنين عليه شداد يأكلن ما قدمتم
أسند الأكل إليهن على سبيل المجاز من حيث إنه يؤكل فيها كما قال والنهار مبصرا تطبيقا
بين المعبر والمعبر به إلا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي
من بعد ذلك عام قيل سنة لغلبتها في عام القحط فيه يغاث الناس يمطرون من
الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث بمعنى الأول يعني من الأول وفي الثاني من الثاني
تقول غاثنا الله من الغيث وأغاثنا من الغوث والغيث المطر الذي يجيء في وقت الحاجة

وباعيا

وباعيا بهذا العيد لحسن موقعه من قلوبهم لغيث لا يخلو عن العبث والغوث الذي يأتي
على بعد ما حاجتهم إلى المطر وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون والسمسم
لكثرة ما يعصرون من الثمار كرمه وغيرها وقيل يحلبون الضروع وقرئ تعصرون بالتاء
على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل
منه أي يغيثهم الله أو يغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع
الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان
والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف
السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ينفعهم وعلمهم إلى التدبير فيها
ترك بشرهم بأن العام الثامن يجيء خصبا وذلك إما بالوحي أو بالعلم بأن انتهاء الجدب في
الخصب أو بأن السنة الإلهية جارية بالتوسيع على العباد بعد التضييق عليهم وقال الملك
بعدما جاءه بالتعبير ائتوني به أي بالمعبر وفي الكلام حذف فلما جاءه الرسول يوسف عليه
السلام ليخرجه من السجن قال يوسف عليه السلام ارجع إلى ربك إنما تأنى وتثبت في إجابة
الملك وقدم سؤال النسوة لتظهر براءة ساحته عما قذف به وفيه دليل على أن السعي في نفي
التهم واجب يجب نفي الوقوف في مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه لبثت
في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وفيه تنبيه على ما ذكر قوله ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد
أن يتوسل إلى تقبيح أمره لا يقال لأن التعجيل أعون على دفع الوهم المذكور فإن في التأخير
إلقاء وحالا لا تزال لا تختلف لكونه في داخل السجن وخارجه ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لأسرعت الإجابة وفي بعض الروايات ما أخبرهم بشيء عن تعبير الرؤيا حتى شرط
أن يخرجوني ولما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولم يقل فاسأله أن
يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال لأن الإنسان إذا سئل عن شيء جد في طلبه
وتحقيقه بخلاف ما إذا التمس منه التفحص وإنما لم يتعرض لامرأة العزيز صريحا وفضلا مع ما
صنعت به كرما ومراعاة للأدب وإنما قلنا صريحا وفضلا لأن التعريض بالمتعطفات أيضا يشمل
التعريض بها وإنما السؤال عن النسوة يتعدى إلى السؤال عنها إن ربي بكيدهن عليم حين قلن
لي أطع مولاتك تعظيم كيدهن بأنه كيد بعيد الغور لا يعلم كنهه إلا الله تعالى واستشهاد
بعلم الله تعالى عليه وعلى أنه بريء مما اتهم به والوعيد لهن بأن الله تعالى عالم بكيدهن فمجازيهن
عليه قال أي الملك للنسوة بعد إحضارهن وفي الكلام حذف ما خطبكن ما شأنكن والخطب
أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه لعظمه إذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن ميلا إليه

ما دعونه اليه قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن
نزاهته عنها ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه عليه السلام بالتنكير
وزيادة من وانما قلن عليه لان مرادهن نفي ما نسبوه اليه او ما نسبن اليه قالت امرأة العزيز
فصلها عما قبله ولا يقبل وقالت لانه مبني الوصل على نحوها في الخطاب بينه لهم ما نطقن
والنسا بداخله فيه الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه
للناخ او ظهر من حصحص شيء اذا استأصله بحيث ظهرت رايته لما شهدت النسوة ببراءته
يوسف عليه السلام اقرت باعظم ما قرفته به اذ كان شيء فيما جرى من المراودة
ومن بحثه ولا ينبغي اجلي من اعترافهن على انفسهن تستهله بالبراءة والنزاهة وهن
حضورهن لفصل ما شهدت به الاعداء انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم من كلام يوسف عليه السلام لما جاءه الرسول
واخبره بكلامهن فحفف ما حكت الطائفة كلام عليه يكفي له تعالى وقال الملا من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون
يستشيرهم بذلك مخاطبا اياهم اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب
بظهر الغيب في حرمه وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو
غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله اي وليعلم ان الله
لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهديهم في كيدهم كيف لم يهده ولا ينبغ سبيل المفسد
اي لا ينبغ المفسدين في تسبيلهم كقوله يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئون الذين
كفروا في قولهم وهذه طريقة دقيقة لا يسلكها الا من له التليقة وفيه تعريض بامرأة
العزيز في خيانتها امانته وزوجها وتوكيد لامانته ولذلك تعقيبه بقوله وما ابرئ
نفسي نفيا للتزكية بنفسه وهضما لها وتحرزا عن اعجابها بالنزاهة وتعظيمها واخبار
بان ذلك بتوفيق الله وحسن عصمته تندبا وعصمته لانبيائه فما ابرئ نفسي من الزلل ولا
واشهد لها بالبراءة وهي اعم في التزكية والتنزيه اما مخصصة بهذه الواقعة وارادة
الهم المذكور الذي هو ميل النفس لا القصد الاختياري وما عاشر في جميع الاحوال
ان النفس لامارة بالسوء تعليل وتاكيد لذلك التلويح والمراد بالنفس الجنس اي ان هذا الجنس
كله دائم الامر بالسوء حامل عليه بما فيه من الشهوات بالميل الى الهوى والجوارح عليه الا ما رحم
ربي الا ما عصمه الله تعالى الى رحمته نصبا على الظرف من اعم الاوقات اي الا وقت رحمة ربي
وعصمته او على الاستثناء المنقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء والاثم في النفس

الاستغراق

الاستغراق في جميع الاستثناء ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي
هي التي تصرف السوء كقوله لا هم ينقذون الا رحمة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اي
ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه اي لم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق
فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا
رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام وفيه تكلف من حيث الخيانة عن معنا ما
في معنى الكذب ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفوس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر
للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه وقال الملك ائتوني به لما اخبره الرسول بما
اخبره قال الملك بمصر حينئذ ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي لما ظهر من علمه
وعلمه وصلاحه فلما كلمه معطوف على محذوف تقديره فاتوا به فاستخلصه اي الملك
والفاعل الكلام ضمير يوسف عليه السلام فلما كلم يوسف الملك وراى حسن منطقه لما صدق
الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه قال انك
اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء قيل كان في
الخبر في تلك الليالي خصبة متصلة وتاج منه ونحته فوجعها عدلا وقوله لاسنها
فانه غيثا قيل قال اجعلني على خزائن الارض اي ولني امرها والارض ارض مصر
ولما وصفه الملك بالتمكن عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب تحقيق الوصفين اني
حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ووصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين
هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله تعالى واقامة
الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء عليهم السلام ولعله علم ان احدا غيره
لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا
وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه
لا سبيل الى اقامة الحق الا بالاستظهار به وعن مجاهد انه قد اسلم على يده عليه السلام
وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث
يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى بعد الضيق لجعلها تحت ملكه وسلطانه نصيب برحمتنا بعطائنا
من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا
ولا ننقص اجرهم في الآخرة بسبب ما اعطيناهم من الملك والغنى شيئا ولاجر
الآخرة خير لانه دائم لا انقطاع له للذين آمنوا وكانوا يتقون اي داوموا على التقوى

من نشاء ووضع الظاهر موضع الضمير تنويهاً بذكر الايمان والتقوى وتنبيهاً على انهما الاحسان
واصله بالمعنى الايمان والتقوى اي العلم والعمل واما ايذان بان اجر الآخرة انما يستحق بهما وان
غير المؤمن المتقي ممن يتبع الشرك لا نصيب له في الآخرة كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله
المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة
من خلاق وتلا هذه الآية وفيه شهادة من الله تعالى ليوسف عليه السلام بالاحسان وان ما
اعد له في الآخرة خير مما خوله من المملكة العظيمة في الدنيا وايذان بان الاحسان هو الذي
لا يضيع الله تعالى اجره **وجاء اخوة يوسف** اي من كنعان من ارض فلسطين من نواحي
الشام الى مصر ليمتاروا منها فوصلوا الى يوسف عليه السلام الميرة روي انه اصاب
بلاد الشام وارض كنعان نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب عليه السلام بنيه ليمتاروا
واحتبس بنيامين عنده **فدخلوا عليه فعرفهم** لانه فارقهم وهم رجال ورأى
زيهم قريباً مما كان من قبل **وهم له منكرون** لانهم فارقوه في سن الحداثة غير ملتحي وحسبوا
انه هلك وبعد عهدهم به وتغيرت حاله الجميلة بلبسها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها وبعد
رؤيتهم له وما كانوا يهتمون بالتنبه للاستعظام مما يشككه الفراق وغيره **ولما جهزهم بجهازهم**
اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم والجهاز بالفتح
والكسر عدة المسافر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وقيل هو فاخر المتاع الذي يحمل
من بلد الى بلد آخر ... **قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم** لا بد من مقدمة
تقتضي هذا الامر روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ
الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من انبياء الله تعالى اسمه يعقوب قال كم انتم
قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال
فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا
من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطي كل نفر حملاً فسألوا حملاً زائداً لاخ لهم
من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم ثم ذكر ما يحرضهم على الاتيان به
الا ترون اني اوفي الكيل اتمه **وانا خير المنزلين** للضيف اي المضيفين ... في طوع
وقت مآبهم وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ... بذلك ... ان لم
يأتوا به بحرمانهم من الميرة في المستقبل بقوله **فان لم تأتوني به فلا كيل لكم**
عندي ولا تقربون يحتمل ان يكون نهياً وان يكون نفياً مستقبلاً معناه النهي وحذف

النون

النون وهو مرفوع كما حذفت في قوله فبم تبشرون وان يكون نفياً داخلاً في الجزاء معطوفاً
على محل فلا كيل لكم عندي فيكون مجزوماً ولما لطفهم استعطاهم ليأتوا به بين الترغيب والترهيب
قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ثم اكدوا ذلك الوعد
بقولهم **وانا لفاعلون** ذلك لا نتوانى فيه ولا نقصر او لقادرون على ذلك
وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله **اجعلوا**
بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحداً يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكا
نت نعالاً وادماً وانما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم وترفعاً من ان يأخذ ثمن الطعام منهم
وخوفاً من ان لا يكون عندهم ما يرجعون به والرحال اسم لما يستصحب من متاع ومركب **لعلهم**
يعرفونها ... الطعام يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها **اذا انقلبوا الى اهلهم** وفتحوا اوعيتهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا**
منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين **فارسل معنا اخانا نكتل** نرفع المانع
من الطعام بوجود الشرط ورفع المانع وقرئ يكتل بالياء اي يكتل اخونا فيضم كيله
الى اكيالنا ويجوز ان يكون المعنى يكن سبباً للاكتيال على الاسناد المجازي لان ...
... وان ارسل معهم كان سبباً للاكتيال على الاسناد المجازي لا كيالهم
انه هو الكيال **وانا له لحافظون** عن ان يناله مكروه **قال هل آمنكم عليه الا كما**
امنتكم على اخيه من قبل استفهام بمعنى النفي وهذا تعريض بانه يتوقع ان لا ...
بنيامين ولم يصرح ... اي في تلك من المصلحة وشبه هذا الايمان في
ايمانه في ابنه هذا بايمانه اياهم في حق يوسف عليه السلام كانه يقول لقد قلتم في يوسف وانا له
لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف ان تكيدوا له كما كدتم بذلك لكنه لم يخف عليه كما خاف على
يوسف عليه السلام واستسلم لله تعالى فقال **فالله خير حافظا** فاتوكل عليه واعتمد
على حفظه وكلاءته ... وقرئ حافظاً وانتصابه على التمييز ... حافظاً
على التمييز ويكون ... حالاً ليس بجيد لان فيه تقييد خيريته بهذه الحالة **وهو ارحم الراحمين**
فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم**
ردت اليهم اي وضعت في رحالهم وقرئ ردت بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة نقلت
الى الراء كما قيل في بيع **قالوا يا ابانا ما نبغي** ماذا نطلب استفهام ... متعرضاً للحال اي
شيء نطلب وراء هذا هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا ورد علينا متاعنا ... فيه
اي ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك ... ما نبغي بالباطل ...

اي اي شيء نطلب وراء هذا من الاحسان او لشاهد على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا
جملة استينافية سيقت بيانا لما ينبي عنه ما نبغي ونمير اهلنا عطف على محذوف اي هذه بضاعتنا
ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا اذا فسر النفي بالطلب واذا فسر بالكذب او التزيد في القول
جاز ان يعطف على ما نبغي ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ اي وينبغي ان نمير اهلنا
كقولك سعيت في حاجة فلان ويجب علي ان اسعى له ونحفظ اخانا عن المخاوف في الذهاب
والاياب ونزداد كيل بعير اي وسق بعير باستصحاب اخينا لزيادة وسعة على اوساق
اباعرنا فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي ذلك اي الذي جئنا به كيل يسير لا يكفينا
فلا بد ان نرجع اليه ونضاعفه او ذلك اي الذي يزاد لاخينا بكيل وكيل لا يضايقنا فيه الملك ولا
يتعاظمه او ذلك الذي يريد بكالنا شيء يسير زاده علينا ما يكال لاخينا وقيل هو من كلام
يعقوب عليه السلام اي ذلك المراد وهو حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر بمثله بالولد كقوله
ذلك ليعلم وياباه الا بخير قال لما ينفعه فانحجج اذ تتقدمه عليهم قال لن ارسله معكم البتة
بعدما رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله ما اتوثق به من عند الله بيمين الحلف
بالله تعالى او ما جعله موثقا من الله تعالى لان الحلف بالله مما يؤكد به العهود وقد اذن الله
تعالى فيه فهو اذن منه تعالى لتأتنني به جواب للقسم لان المعنى حتى تؤتوني موثقا حتى
تحلفوا لي الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا او الا ان تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به وهو
لتأتنني به في تاويل النفي اي لا تمتنعوا لعلة من العلل الا لعلة الاحاطة بكم لانه استثناء مفرغ من
اعم العلل ولا يكون الا في النفي كقولك اقسمت عليك الا فعلت اي ما اطلب منك الا فعلك
او ظرف مستثنى من اعم الظروف اي لا تمتنعون من الاتيان به وقتا من الاوقات الا وقت الاحاطة
بكم فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل اي
مطلع رقيب وقال حين اعتدا اخاهم معهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة متفرقين بحدهم الحسد بعض اصابة العين لانهم كانوا جماعة ذوي ابهة وكانوا
حسنة تشهي من بني ما اهل مصر لهم بها هيبة وكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كركبة واحدة
فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدر وقد عرف كونهم اخوة ونعين متسانح تاثير الى شيئهم
لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ بين الناس وكان له
لذا في الوصية بحقوقه على بنيامين ما لا يتيقن الا في العين بما لا ينكر وقد ورد في الخبر عن خير
البشر العين حق وفي خبر اخر ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وكان عليه السلام
يعوذ الحسنين رضي الله عنهما فقال اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

وشهدت

شهدت به التجربة ولا ينافي ذلك انه لا مؤثر الا الله تعالى لان حقيقة التاثير واصله
من الله تعالى وانه قد يظهر على مظاهر الاسباب حسب جري العادة وليس هذا محل الامتحان
والابتلاء لانه ليس من خوارق العادات وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما
امرت به ليكم اي لا انفع ولا ادفع ان اراد الله تعالى بكم شيئا سيئا ولم يرد به ابطال الحذر
من القدر الفصل لمحل الخطر بيان عدم التاثير للتدبير في تغيير ما في القدر لا انه
لا يناسب شان النبي عليه السلام ان يوصي به على وجه الاهتمام ببنيه الكرام ثم يبطله
بنظر انه من خطرات الاوهام بل انه اراد دفع ما يخطر بالبال عند سماع هذا المقال
من معارضة القدر بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الى الافهام ثم رجع الى الحذر
فيغني من القدر ونحو هذا الاية لابطال قول من قال الحذر عن ظاهر القدر وكذلك امرنا
في قوله تعالى خذوا حذركم مع انه نهى عن خلافه في حق اليه وقال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
ان الحكم الا لله اي ليس لفصل نفي الامور على ما تقتضيه الحكمة الا لله تعالى فانه لما كان
في وصيته مظنة التوسل بالاسباب العادية قدر تعلقه عليه توكلت اي فوضت امري
الى الله تعالى ليحمي كيف يشاء وتقديم الصلة لتخصيص التوكل بالله تعالى وعليه فليتوكل
المتوكلون جمع بين الحرفين في العطف مع تقديم الصلة مراد بالواو العطف على فعله من تخصيص
التوكل بالله تعالى في حفظهم ولما التشبيب المتفرعه من فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى
به اي وعليه خاصة اختصصته بالتوكل عليه فليتوكل المتوكلون في جميع امورهم او وعليه
ان توكل متوكل فليتوكل المتوكلون عليه توكلت ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم في ابواب
متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم من الله من شيء اي ما كان دخولهم في البلد متفرقين
على راي يعقوب عليه السلام مغنيا عنهم من قضاء الله فيهم شيئا الا حاجة في نفس
يعقوب قضاها اي لكن حاجة اضطرب بها في قلبه ودفعها في خاطره الا ان الذي لبنيه بوصيته
وانما قيل فرقوا فاخذوا بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب
عليه السلام فلا يناسب المقام لان مساق الكلام في عدم تاثير تدبيره فيما قضاه من
الحذر عن مظنة الضرر من جهة اصابة العين باعتبار جهة اخرى وانه اي وان يعقوب
عليه السلام لذو علم عظيم وفي التنكير للتعظيم واطلاق قوله لما علمناه من
كمال التحصيل الحاصل من افادة التعظيم في تعينه تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون
سر ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه
بنيامين على الطعام او في المنزل [illegible]

الذي يصير اليه صاحبه للراحة منه وروي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال
لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف
عليه السلام وقام اليه فعانقه وقال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن
افتعال من البؤس بما كانوا يعملون بما استمر عليه عادتهم من الجفا في حقنا وقد ذكر بعض
[illegible] عند ما يلطفه لك وكانه قصد الاشارة الى ما هم بصدده ان يعلقوا في حقهم من
السرقة بتوطينه ان يسرق فعله سرق اخ له من قبل ولذا لم يات بصيغة المضارع وكان ذلك
معلوما لهم [illegible] فلما جهزهم بجهازهم الفا فصيحة عاطفة على محذوف تقديره
[illegible] تقدير تجهيز الجهاز جعل السقاية المشربة في رحل اخيه بنيامين قيل كانت
مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقيل مرصعة بالجواهر [illegible] ثم اذن مؤذن
نادى مناد لان اذن [illegible] الاعلام وقيل اذن بمعنى اعلم واذن كثر الاعلام ومنه
المؤذن لكثرة ذلك منه ايتها العير الجمع القافلة ومنه المثل لا في العير ولا في النفير
وهي في الاصل اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد والتسمية بالعير
بالابل بالحمل نص عليه الازهري ثم قيل لاصحابها كالخيل [illegible] يا خيل الله
اركبي انكم لسارقون من قبيل نسبة الفعل الى جماعة كلهم مع ان الصادر عن واحد منهم
او السرقة اخذ الشيء من حرز في خفية [illegible] لم يامرهم يوسف عليه السلام بذلك ولا
علمه [illegible] بجعل السقاية في رحل اخيه على ما امر الله تعالى [illegible]
تفقدها الموكلون بها اتهموهم بسرقتها قالوا اي اخوة يوسف عليه السلام واقبلوا
جملة حالية اي وقد اقبلوا عليهم اي على طالبي السقاية وفيه تنبيه على [illegible] في قوله
[illegible] ان الايجاب الحذف والاقبال بالجهة المقابلة بوجهه [illegible]
ماذا تفقدون يحتمل ان يكون ماذا استفهاما منصوبا بتفقدون ويحتمل
ان تكون ما وحدها استفهامية مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذي خبر عن ما وتفقدون
صلة [illegible] تفقدونه وهذا الذي طلب [illegible] عن الحس [illegible]
[illegible] الجوهري فقدت الشيء افقده فقدا وفقدانا [illegible] عند غيبته
[illegible] لطلبه [illegible] تفقدونه [illegible] الغيبة [illegible] عن الطلب لكان

خيتهم اذ يبيعوا لو ماذا افقدتم وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد
صواع الملك هو المكيال وهو السقاية المذكورة سماها تارة كذلك باعتبار وتارة باخرى
بالثانية وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن
جاء به حمل بعير اي وقر بعير من طعام جعلا لمن حصله وتمام الكلام فيه هذا المقام
[illegible] وعد [illegible] وليس [illegible] الا انه اختصر واكتفى بجزء الثاني
[illegible] الا الذي [illegible] وانا به زعيم
اي كفيل اؤديه الى من رده [illegible] قالوا نفقد [illegible]
الجعل قبل تمام العمل [illegible] على لزوم الضمان [illegible] لالتزام
[illegible] الى الدليل عليه قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم
[illegible] قال السهيلي انها اصل [illegible]
[illegible] الرب [illegible] الكعبة [illegible] لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض اي في ارضكم [illegible] بعلمهم [illegible]
[illegible] في كرة المجيء [illegible] ولا تهم دخلوا مصر [illegible]
[illegible] اولا لانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في
رحالهم وما كنا سارقين [illegible] ان يكونوا [illegible]
[illegible] الا [illegible] على [illegible] السرقة [illegible]
[illegible] قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه اي جزاء سرقته من وجد في رحله اي اخذه
واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام فهو جزاؤه [illegible] الحكم
[illegible] الشرط [illegible] الجملة [illegible]
[illegible] وهو كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله
[illegible] كذلك [illegible] الجزاء [illegible] نجزي الظالمين بالسرقة وهذا الكلام من
[illegible] الحكم على وجدان الصاع على سرقته
فبدا باوعيتهم اي فتشها [illegible] قد تقدم ان المتصدي للتفتيش
[illegible] يوسف عليه السلام [illegible] الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا
للتهمة ثم استخرجها اي السقاية وتذكير الضمير فيما سبق لان الصواع يذكر ويؤنث
[illegible] من وعاء اخيه [illegible] الا اقتصر

ثم كذلك أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف أي علمناه إياه وأوحينا إليه
ما كان ليأخذ أخاه بالسرقة في دين الملك أي ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم
ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو تفسير للكيد وبيان له إلا أن يشاء الله نصب على الظرف
أي المنصوب له أي ما كان ليأخذ أخاه في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئة الله تعالى وإذنه فيه
أو إلا حال مشيئة الله تعالى أو إلا بسبب مشيئة الله نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا
درجته عليه السلام فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم
أرفع درجة منه في العلم إذ العلم في علمهما أنهما مراتب العلم في الخلق ودرجات
تعدد ما بينها المعلومات وعلم الله تعالى في شأن يوسف ما يدل على أن تعالى شأنه ذو
علم وعاقبة منتهاه [illegible] العالم أي ذي علم قالوا إن يسرق يعنون
بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف عليه السلام قيل ورثت عمة له من
أبيها منطقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد
يعقوب عليه السلام انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت محزما بتلك المنطقة على وسطه فصار أحق به في حكمهم وبقي عندها
حتى ماتت فأسرها يوسف في نفسه الضمير لما يفهم من سياق الكلام أي أكن كراهة
ذلك القول في نفسه والفاء للعطف على محذوف تقديره فسمع يوسف كلامهم فأسرها
وحق له ولم يبدها لهم تأكيد للسابق وبيان أن المراد من الإسرار عدم [illegible]
قال في نفسه أنتم شر مكانا أي منزلة في السرق لسرقتكم أخاكم من أبيكم والله أعلم بما تصفون
أي يعلم أنه لا أمر كما تصفون من نسبة السرقة إلينا وصيغة أفعل للمبالغة لا للتفضيل
على معنى والله أعلم منكم بما تصفون إذ لا علم لهم به فإن ما قالوه ناشئ عن الجهل غير مطابق
للواقع قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا ذكروا له حاله استعطافا له في كونه شيخا كبير
العدد استعطافا له عليه وكانوا قد أخبروه بأنه كان له ولد قد هلك وهذا شقيقه يستأنس
به وهو أحب إليه منهم فخذ أحدنا مكانه بدله على وجه الاستعباد والاسترقاق
إنا نراك من المحسنين إلينا وهذا لا تعامل بالتمام [illegible] بنا أو من المحسنين [illegible]
فلا تغير عادتك قال معاذ الله مصدر يقوم مقام الفعل أي نعوذ بالله معاذا أن نأخذ
غير من أخذنا صنيع لا يعقل به وحجتنا إلا من وجدنا متاعنا عنده أي إذ نعلم
فإن أخذ السارق على فتواكم واجب فلئن أخذنا غيره إنا إذا لظالمون في مذهبكم
ودينكم فلم تطلبون منا ما هو ظلم عندكم كلام ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه في

من عند الله تعالى بأخذ بنيامين فإنه لعله كنت ظالما [illegible] لو رجع مستغيثا
وإنما قال إلا من وجدنا متاعنا عنده لأجل الكلام على مجرى ما قالوا لو قال عند من سرق الجرأ
واجتناب عن التصريح بإسناد السرقة إلى أخيه ولأن الأخصر لفظا والأظهر معنى أن
يقول إلا من سرق فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف عليه السلام أي من إجابته إياهم
وزيادة السين والتاء للمبالغة كما ذكر في استعصم خلصوا انفردوا عن الناس خالصين
لا يخالطهم غيرهم نجيا ذوي نجوى أو فوجا نجيا حال ومعمول له أي متناجيا والمتناجي
بعضهم بعضا وكان تناجيهم في تدبير أمرهم والنجي قد يجيء بمعنى المناجي كالعشير بمعنى
المعاشر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وقد يكون بمعنى المصدر بمعنى التناجي كالنجوى
ومنه قيل قوم نجي كما قيل وإذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الوصف ويجوز أن يجيء
كما يقال هم صديق لأنه على زنة المصادر قال كبيرهم في السن وهو روبيل أو يهوذا
وهو شمعون أو كبيرهم في الرأي والعقل وهو يهوذا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم
موثقا من الله عهدا وثيقا وإنما جعل حلفهم بالله تعالى موثقا منه لأنه بإذن منه وتأكيد
من جهته وإنما قال عليكم لما في الحلف من التكليف والإيجاب ومن قبل أي ومن قبل هذا ما فرطتم
في يوسف قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه وما مزيدة أو مصدرية ومحل المصدر
النصب بالعطف على مفعول تعلموا كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقا وتفريطكم من قبل
في يوسف ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف عليه بالظرف وأما الرفع على الابتداء
وخبره الظرف وهو من قبل أي وقع من قبل تفريطكم في يوسف فرد بأن قبل إذا كان خبرا
وصلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص وموصولة أي ومن قبل هذا ما فرطتموه في حق يوسف
أي ما قدمتموه من الجناية العظيمة ومحله النصب أو الرفع على الوجهين فلن أبرح الأرض
فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه أو يحكم الله لي بالتوفي
أو بالخروج منها أو بتخليص أخي من يده بسبب من الأسباب أو بالمقاتلة معهم وهو
خير الحاكمين لأنه لا يحكم إلا بالحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق على
ما شاهدنا من ظاهر الأمر وقرئ سُرِّق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه إلا بما علمنا
ما رأينا أن الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب للباطن الحال حافظين أعطيناك
حين ما أعطيناك الموثق أي ليس من شأننا حفظه لا لغيبة فإنا كأصحابنا التحفظ
ما يمكننا التحفظ عنه من الآفات في الطريق وأما السرقة فما لم يكن لنا إلى حفظه منها سبيل
قيل ما لقطامن الكلام المتبادر في الأفهام [illegible] المقام [illegible]

صرفا الحفظ عن معناه الى معنى العلم كما سبق الى بعض الاوهام واسأل القرية التي كنا
فيها يعني مصر اي ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها
وقوم اذ العير يطلق على القافلة وهم كانوا من كنعان جيران يعقوب عليه الصلاة والسلام
وقيل من صنعا وانا لصادقون تاكيد في محل القسم وفي الكلام اضمار معناه فلما رجعوا
الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا
اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم فصبر جميل قد
مر تفسيره عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والكبير الموقف هناك انه هو
العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرهم ولا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة وتولى عنهم واعرض
عنهم كراهية لما اخبروه به وقال يا اسفا على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك
والاسف شدة الحزن على الغائب وهو اشد الغضب ايضا ويجوز ان يكون اجتمع له المعنيان
الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوته وعلى نفسه بعثه معهم وتأسيه مما في طباق
الكلام من الغرض فهان انما تاسف على يوسف عليه السلام لان الحادث مصيبة اخيه لان
رزيته اشد المصائب عنده وكان واثقا بحياتهم لا احتجاج مع قلبه الا بيوسف ولانه كان واثقا
بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة
الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا ذي
مضافا الى يا المتكلم بقلب اليا الفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن
فان العبرة اذا كثرت محت سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل لا يبيض
بالحزن ما هو من البكا المتوالي لانه ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشأ منه البكا والحزن
الهم الغليظ على النفس من الحزن بمعنى الخشونة اي الغليظة والظاهر انه عليه السلام
كان اعمى لقوله تعالى فارتد بصيرا وفرح من الحزن وجيه دليل على جواز التاسف
والبكا عند التفجع ومثل ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ
على اولاده ممسك به في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم من كظم
السقا اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه
واصله من كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه والكظم بفتح الظاء مجرى النفس قالوا
جوابا لقسمه تالله حذفت منه لا ووجد فيها جايز لانها لا تلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا لم

بد القسم باللام والنون اذ لا بد في الاثبات من اللام والنون فقرينة النفي خلوه
عن علامة الاثبات والمعنى لا تزال وانما حذف الخطاب وتذكير خبر تفتؤ في لا تزال تذكر
متفجعا عليه تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض الذي
اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والنعت بالكسر كدنف ودنق وقد قرئ بضمتين كجنب او تكون من الهالكين
الهلاك ذهاب الشيء بحيث لا يدري الطالب اين هو وقد يستعمل للعطب المعنوي ويطلق
على الزوال الحقيقي وهو المراد ههنا ولهذا اخرجانه لو اريد المعنى الاول لكان تحصيلا للحاصل
قال انما اشكو بثي البث صعب الهم الذي لا يقدر صاحبه ان يكتمه فيبثه اي ينشره
وحزني الى الله اي لا اشكو الى احد منكم ولا من غيركم انما اشكو الى الله تعالى ملتجأ اليه
خلوا فيعني شكايتي وهو معنى تولية عنهم الى الله تعالى واعلم من الله اي اعلم من
لطفه ورحمته انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب او اعلم من جهة الله تعالى بالوحي
ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام وقيل انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل
قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقيل علم من منام يوسف انه لا يموت حتى
يسجد له ابوه واخوته يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا
عن حالهما والتحسس الاستقصاء وهو الطلب بالحواس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب
ومنه الجاسوس امرهم بطلب يوسف بالبصر لعلهم يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون
ذكره ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي
من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمة الله في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه
اي على يوسف عليه السلام بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية قالوا يا ايها العزيز
مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل
تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب
قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل غير ذلك فاوف لنا الكيل
الذي هو حقنا ايفاء الكيل بعدما قلعوا باعثا لتنقيقه وموجبا للرحمة ولذلك صدق
باداة التفريج وتصدق علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على
حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة تمسكا وتواضعا له فلا دلالة فيه
على عدم اختصاص حرمة الصدقة بنبينا عليه الصلاة والسلام ولا على وضع ...

قالوا ان لم نستوجب بمعاملة البيع والشرا فقد استوجبنا ببذل العطا وعلى الله تعالى المكافاة
والجزا ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزا والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه
الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص
عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه سوال العزم للتذ
وارادة اللازم اي الفعل بتبعته لك فتبتم الى الله تعالى فهو شفقة عليهم وتنصيحهم
في الدين كما هو عادة الانبيا عليهم السلام لا معاتبة وتثريب ايثارا لحق الله تعالى على
حق نفسه ولذلك قال لا تثريب عليكم اليوم فلا يناسب تقدير القبح على ان يكون المعنى
هل علمتم قبح ما فعلتم لانه لا يخلو عن نوع توبيخ وتثريب والمراد من فعلهم باخيه افرادهم
اياه عنه واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون عاقبته
فلذلك اقدمتم عليه وانما قال ذلك ابتدا لابن جانبيهم اظهارا للشفقة في حقهم
حتى يؤثر تنصيحه لهم وتحريضه اياهم على التوبة وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في
تخليص بنيامين وذكروا له ما فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما
جهلهم لانهم لا يتهجسون كانوا صبيانا لانه لا يطابق الواقع فيما قيل ما تقدم من قولهم ونحن
عصبة بل لان فعلهم فعل الجهال قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق
بان واللام ويدل عليه قراءة ابن كثير على الايجاب وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو
تكرير للاستفهام بقرن دليل بروايته وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه
وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضا وكانت لسارة ويعقوب
عليهما السلام مثلها قال انا يوسف انما قال وهذا اخي حين سالوا عن نفسه بيانا لما سالوا
عنه اي هذا اخي من ابي وامي تعجيبا له وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة
والكرامة والاجتماع بعدما تفرقنا والانس بعدما استوحشنا ثم ذكر ان السبب هو التقوى
والصبر فقال بطريقة الاستئناف للتعليل انه من يتق الله في امره ويصبر على
البلايا او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين موضع هم
للتنبيه على ان المتقي الصابر هو المحسن والتفضل عليهم لاحسانهم قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة اهل الاحسان وان كنا
لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا متعمدين للاثم فلذلك اعزك بالملك واذلنا
بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد ضرب مثلا للتقريع الذي يمزق

العرض ويذهبه ذهاب الوجه تبريا ثم لا تثريب عليكم للخبر واليوم متعلق بالعامل في الخبر
اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم لا يجوز تعلقه بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه
وبين معموله ولا يجوز ذلك لان معمول المصدر من تمامه والمعنى لا اذكر ذنبكم اليوم الذي
هو مظنة ذكره فالظن بسائر الايام ثم دعا لهم بالمغفرة بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعلق
الظرف بيغفر اي اخبركم بغفران الله تعالى عاجلا لما تجدد اليوم من توبتكم وندمكم على
خطيئتكم ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله تعالى بالصفة التي هي سبب الغفران بقوله
وهو ارحم الراحمين لانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب فمن جهته قبول توبته
من المذنب وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي
الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاول
ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم
حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان
عليه وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل عليه السلام ان يرسله اليه فان فيه ريح
الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي يرجع بصيرا
كقولك جا البنا محكما اي صار محكما ويدل عليه فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير ويشهد
واتوني باهلكم اجمعين اي بابي واله جميعا ولاخا جرا التغليب على ان يكون المعنى
وائتوني بابي وانتم لانه ابا هم لما كان شيخا كبيرا عاجزا عن الكسب كان داخلا في اهلهم ولما
فصلت العير يقال فصل من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم
وفصل الشيء فصلا فرق وهو متعد والمعنى لما انفصلت العير من عريش مصر ... على الفصل
المذكور ان اصله فصل نفسه فحذف المفعول فصار كاللازم قال ابوهم لمن
حضر اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ما عبق بقميصه من ريح يوسف عليه السلام
حين اقبل به يهودا ابنه من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند
وهو نقصان عقل يحدث من الهرم يقال شيخ مفند اي قد فسد رايه ولا يقال عجوز
مفندة لان المراة لم يكن لها قط راي اصيل فيدخله التفنيد وجواب لولا محذوف اي
لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي في ذهاب
عن الصواب بتفريط الافراط في يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جا البشير
وهو يهودا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم افرحه بحمل هذا اليه
القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه يعقوب عليه السلام او طرح يعقوب عليه

السلام بنفسه فارتد بصيراً عاد بصيراً لما انتعش فيه من القوة قال ألم أقل لكم إني أعلم
من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام وإنزال الفرج وقيل إني أعلم كلام
مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف قالوا يا أبانا استغفر
لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال
سوف أستغفر لكم ربي أخره إلى أن يستحل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم أنه عفا
عنهم لأن عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائماً يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام
فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو إن
صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم وأما ما قيل أخره إلى
السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة الجمعة تحرياً لوقت الإجابة فيأباه سوف لأنها أبلغ
في التنفيس من السين وخفي ما ذكره لعله أراد أن يكون بالسين ولما وعدهم بالاستغفار
رجاهم بحصول المغفرة بقوله إنه هو الغفور يغفر المعاصي الرحيم يرحم العاصي
إذا تاب واستغفر فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف إلى أبيه أموالاً ليتجهز إليه بمن معه
واستقبله يوسف عليه السلام والملك وأهل مصر بأجمعهم وكان أولاده الذين دخلوا معه
مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة آوى إليه أبويه ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب في قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
أو لأن يعقوب عليه السلام تزوجها بعد أمه والرابة تدعى أماً وقال الحسن
وابن إسحاق كانت أمه بالحياة وعلى هذا لا حاجة إلى التأويل وقال ادخلوا مصر والدخول
الأول كان في موضع خارج البلد لأنه خرج من مصر حين استقبلهم في الطريق
فدخلوا إليه إن شاء الله آمنين من القحط وأصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول
المكيف بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم ورفع أبويه على العرش أي
رفعهما على السرير وخصهما بذلك تكرمة لهما دون إخوته وخروا له سجداً تحية وتكرمة
له فإن السجود كان عندهم يجري مجراها والواو لأبويه وإخوته والرفع مؤخر عن الخرور
وإن قدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما وإنما لم يقدم تنبيهاً للترتيب وقيل معناه خروا لأجله
سجداً لله وقيل الضمير لله وهو بعيد وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل
التي رأيتها أيام الصبا قد جعلها ربي حقاً صدقاً إذ الانطباق بين الرؤيا والواقع وقد
أحسن بي جعله على التطفل على التنظير فتعدى بالباء لا لأن أحسن أصله أن يتعدى

بإلى أو باللام أما التضمين فلا يناسب المقام لأن أحدهما يغني عن الآخر ولا فائدة في الجمع
بينهما إذ أخرجني من السجن لم يذكر الجب اكتفاء بما ذكر التزاماً لا في ذكره عليه
عن ذكرنا تعلق بفعل إخوته لئلا يكون تثريباً عليهم لأنه على تقدير ما يكون خطابه
عليه السلام لأبيه بمسمع منهم ولا دلالة فيها الكلام عليه وجاء بكم من البدو من البادية
لأنهم كانوا أصحاب المواشي وأهل عمد تنقلهم من لبنة ونعمة أخرى وفي الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً ينقله من البادية إلى الحاضرة أي أصلح حالهم
من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد بيننا وأغرى من نزغ بمعنى نخس من
حث للراكب الدابة وحملها على الجري وإنما ذكره هذا لأن تمام النعمة لأن النعمة إنما
تتم بلا ... وكانت حصول ... ليتم بشرى العدم ذكر الجب لا الاختصار لئلا تثريب
عليهم ما يتعلق في ذكر الفساد الواقع بينه وبينهم والعجب أنه قال في تفسير حيث لم يعلم
يوسف فتح ما فعلتم بيعوا للتثريب عليهم وأظهر منه في ذكر الجب إن ربي لطيف لما يشاء
أي لطيف التدبير لما يشاء من الأمور ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها إنه
هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء على وجه تقتضيه
الحكمة رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر ... أو بعض
ملك مصر فكأنه غفل عن قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء
وعلمتني من تأويل الأحاديث بعضها وبعضها لأنه عليه السلام لم يعلم تأويل جميع الكتب
والرؤيا فاطر السماوات والأرض مبدعهما وانتصابه على الصفة أو على النداء أنت
وليي ناصري أو متولي أمري في الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما
توفني مسلماً لما عدد نعم الله تعالى تشوق إلى لقاء ربه ولحوقه بصالحي سلفه ورأى
أن الدنيا كلها فانية فتمنى الموت وقيل لما رأى أمره إلى الكمال علم أنه على الزوال فسأل
سعادة الانتقال • وليس فيه سؤال التوفي في الحال • بل سؤال الختم على الإسلام يحيى كان دعوه
الله تعالى عليه ... يعني بمصر ... إلى
علي بينا ابنه بين يوسف وأبيه عليه السلام • إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام وألحقني
بالصالحين من آبائي أو عامة الصالحين في الرتبة والكرامة أو لا يعني أن الصلاح أول درجات المؤمنين
ويوسف عليه السلام من أكابر الأنبياء فكيف يليق بمثله أن يطلب لنفسه ... ليتقوى
المقال بعدما إذا أشرقت بالأنوار الإلهية وكانت متناسبة انعكس النور من كل واحدة إلى الأخرى
ومن يجيء ... وتكمل السعادة ومن لم ... لهذا قال في الرتبة ... فالكلام كالمرآة الصقيلة

اذا اجتمعت انعكست الصورة من كل واحد الى الاخرى وح تتوفى الصور وتكمل الاستعداد و
ذ بتبعه هنا قال الى الرتبة الكمال في المراتب بما عند ذكرها على الاطلاق الانبيا عليهم
السلام لكمال حالهم في استجماع خصال الكمال الخيرة ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف
عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران او نجعلنا اسم الاشارة بمعنى الموصول فيما نبا الغيب صلته ونوحيه الخبر اي
الذي من انبا الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل عليهما
والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على
ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل وبابيه ليرسله
معهم مجالة خالية وتفصيل ذلك ان اخباره عليه السلام بهذه القصة لا يكون الا عن مشاهدة
او نقل او وحي ولم يخف على احد من المكذبين انه عليه السلام لم يكن من حملة هذا الحديث ولا
اشار العشرين مدة سمعتهم من ذكر القصص فكان انتفا ... ينفا المشاهدة وجمع من التلقي
في انه لا يسمعها من احد ولا ذكر ... في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاذا انتفت المشاهدة لم يبق الا الوحي ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ
قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اهل
مكة ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه اي على ما تحدثهم به من اجر من
جعل كما يفعله حملة الاخبار وحفظة الآثار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين
عامة وكاين اي وكم عدد شيء من آية دالة على وجود الصانع وتوحيده وكمال علمه وقدرته
وحكمته في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها ... ولا دقايق
اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والدلائل وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها فلا عرفوا ان يرتضوا حق الايات التي تبينهم بها وقرئ والارض بالرفع
على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون الارض وقرئ
والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون شواهدها الكثيرة وآثار الامم المهلكين
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون
بعبادتهم غيره معها لا وثان او باتخاذ الاحبار اربابا او بالقول باتخاذه الولد او بالقول
بالنور والظلمة وانما له الجملة حالية اي انما يؤمنون ملتبسين بالشرك وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله تعالى بخلقه افأمنوا انكار فيه معنى

التوبيخ والتهديد ولما للترتيب على ما تقدم وهو مقدم في الاعتبار ان تأتيهم
غاشية من عذاب الله تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة اي يوم القيامة بغتة فجأة
من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها تأكيد لقوله بغتة قل
هذه سبيلي اي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي ادعو الى
الله على بصيرة اي ادعو الى دينه حال كوني على حجة واضحة غير عمياء والجملة في
محل النصب على انها حال من الياء والاشارة في هذه او بيان وتفسير لسبيلي على بصيرة حال من الضمير
في ادعو انا تأكيد له ومن اتبعني عطف عليه اي ادعو الى الله انا ويدعو اليه من اتبعني
او مرفوع على الابتداء ... معنى الفعل على الفاعلية اي كائنا انا وتابعي على بصيرة او انا ومن
تبعني او مبتدا خبره على بصيرة والجملة بدل اخبار بانه ومن تبعه على حجة وبرهان
لا على هوى كغيرهم وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركاء وما انا من المشركين
فيه تعريض بانهم هم المشركون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا رد لقولهم لو شاء ربنا
لانزل ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما
يوحى اليك وتميزوا بذلك عن غيرهم وقرئ نوحي بالنون من اهل القرى لانهم اعلم
واحلم من اهل البدو لما في اهل البدو من الجهل والجفاء والقسوة ولا دلالة في قوله وجاء بكم من
البدو على ان يعقوب عليه السلام من اهل البدو لما ان ماله عليه السلام كان في
البدو لما كان يصلح من مواشيه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين
عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة اي ولدار الساعة او الحال الآخرة خير
للذين اتقوا الشرك والمعاصي يحض على العمل للدار الآخرة والاستعداد لها افلا تعقلون
يستعملون عقولهم ليعلموا انها خير وقرئ بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي فقل
لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا ابلاغ يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة فتراخى نصرهم حتى اذا
استيأسوا عن النصر وعن ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم رجاؤهم بوعد الايمان اي لا يؤمن قريشا تمادي ابائهم
لان الرسل قبلك قد تطاول عليهم مدة التكذيب ومعاداة الكفار وانتظار النصر
حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في

وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم من النصر وقال كانوا بشرا وتلا
قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله وقد رواه
البخاري في صحيحه مفصلا في تفسيره أراد بالظن ما يهجس في القلب على سبيل الوسوسة وحديث
النفس بحكم البشرية لا الظن بمعنى الاعتقاد الراجح فإنه غير جائز على آحاد المسلمين فكيف
بالرسل ويجوز أن يراد به المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل وقيل ظن المرسل
إليهم أن الرسل قد كذبوا أي أخلفوا وقيل الضمير للمرسل إليهم أي ظن المرسل إليهم أنهم
قد كذبوا من جهة الرسل أي كذبهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم وقرئ بالتشديد أي ظن
الرسل أنهم قد كذبهم قومهم فيما أوعدوهم من العذاب والنصر عليهم وقرئ كذبوا
بالتخفيف على البناء للفاعل أي وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما أوعدوا به قومهم من النصر
عليهم إما على تأويل ابن عباس رضي الله عنهما وإما على أنهم كذبوا لحقهم لأنهم إذا لم
ينصروا لم يعتقدهم أو قالوا أي الرسل قد كذبوا فيكونون كاذبين عند قومهم أي وظن المرسل
إليهم أن الرسل قد كذبوا **جاءهم نصرنا** بغتة **فنجي** على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ
فننجي بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وقرئ فنجا **من نشاء** الرسل والمؤمنين وإنما
لم يعينهم تعظيما لهم وتنبيها على أنهم الذين يستأهلون أن ينجيهم الله تعالى لا يشاركهم فيه
غيرهم ثم بين ذلك بقوله **ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** إيذانا بأن العذاب مخصوص
بالمجرمين لا يتخطاهم قبلا منجاة أضدادهم من الرسل وأتباعهم ومعقول بيانا لحال محمد
تنا تحقيقه **لقد كان في قصصهم** في قصص الأنبياء عليهم السلام وأممهم أو في قصة
يوسف عليه السلام وإخوته **عبرة لأولي الألباب** لذوي العقول المبرأة من شوائب الإلف
والركون إلى الحس **ما كان حديثا يفترى** أي القصص أو القرآن المعلوم لديه **ولكن تصديق الذي
بين يديه** من الكتب الإلهية والنصب لتصديق على أنه خبر كان المحذوف وقد علم جعله
نفس التصديق لما قدر فيكون مصدقا لما بين يديه **وتفصيل كل شيء** أي بيان كل
لا بالتكثير والتعميم لا للإحاطة والتنبيه كما في قوله تعالى وأوتيت من كل شيء وكقوله
فتحنا عليهم أبواب كل شيء ومن لم يتنبه لهذا احتاج إلى تخصيص الشيء بالذي يتعلق بالدين
ثم تكلف في بيانه فقال إذ ما من أمر ديني إلا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط ولم
يدر بأن عبارة التفصيل لا تتحمل هذا التأويل **وهدى** من الضلالة **ورحمة** ينال بها خير
الدارين ونصب الجميع بتصديق وتفصيل وهدى ورحمة كلها بالرفع أي ولكن هو تصديق ولكن
على هذه القراءة مخالف فيها النفع جملة **لقوم يؤمنون** يصدقون به حق تصديقه بالإلمام

هم

هم الذين ينتفعون به كما قال هدى للمتقين

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قد مر في تفسيرها أقاويل وقيل معناه أنا الله أعلم وأرى **تلك** إشارة إلى آيات
السورة وفيها تعظيمها **آيات الكتاب** اللام للعهد والمراد به السورة أي تلك
الآيات العظام آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها **والذي أنزل إليك من ربك**
يعني القرآن كله ومحله الرفع على الابتداء وخبره هو **الحق** أي هو الحق الذي لا مزيد عليه
لا هذه السورة وحدها وفي إيقاع الموصول مسندا إليه تفخيم المنزل في توسيطهم
تعريض بأنه هو الذي إذا انقضت الحق وما هيته فهو هو لا غير والمراد الإخبار
بأحقيته حيث بلغت على من الظهور لم يتطرق إليه التحريف والتغيير وثبت تلاوته
بخلاف سائر الكتب الإلهية ولا دلالة فيه على أن غير المنزل إليه ليس بحق أصلا فإن
حاجة إلى تعميم المنزل حتما بل لا وجه له بعد التصريح بأن المراد به القرآن كله على أنه
التحدي ليس في نفي القصص بحقيقة ما أنزل إلى سائر الأنبياء عليهم السلام وفي درج في
الذي أنزل إليه عليه السلام معتنيا باعتبار أنه نطق بحسن اتباعه ما لا يخفى من التعسف
وهو بعد الثنا على التحقيق يؤدي إلى أن يكون ترك مثل الثناء الآخر منزلة كونه الجملة الثانية
كالحجة على الجملة الأولى وتعريفهما طريقة الأعارية في الكلام ونبئي عنهم كما خلقه
الغرض ليدري ابن طرفاها أي كما أنها نعت للتفاضل اخترا بأن يثاب الكمال للكل واحد منهما
على أن لكل واحد لا يحيط به الوصف وهو إجمال بعد التفصيل لهذا الغرض كذلك الثنا
لتلك هذه السورة خصوصا كما أشرت بأن كل المنزل كذلك لا يختص بسورة دون
أخرى الدالة لذا المذكورة **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** أي لا يصدقون بأنه منزل
من الله تعالى لإعراضهم عن التدبر فيه وإنما لم يجعل التأمل في وجوه الحجة **الله الذي**
مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون صفة للموصول والخبر يدبر الأمر والأول أولى لأن قوله وهو
الذي مد الأرض عطف عليه على سبيل التقابل بين العلويات والسفليات وفي المقابل
تعيين الخبرية لكذلك فيه لتوافقا ولدلالته على كونه كذلك هو المقصود بالحكم لأنه
ترتيب على تحقيق الخبر وتعظيمه كما هو مقتضى الأحر **رفع السموات** أي خلقها
مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها **بغير عمد** جمع عماد كأهاب وأهب وعمود كأديم وأدم
نعت أي بمد كرسل والعمود ما يعمد به سقف الجبل وبيت الأعماد والأسطوانة غير مناخلة

ترونها استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وقيل هي صفة لعمد وفيه
ايهام ان يكون لها عمد غير مرئية ومقتضى المقام نفي العماد اصلا وذكر بصيغة الجمع
للتعدد دفعا لما يجري ترونه اي ترون نفسها بغير عمد قيل وهو دليل على وجود الصانع
الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على
بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكرنا من الايات ولا يخفى ان مبنى ذلك الاستدلال
على ثبوت المساواة المذكورة ولا دليل عليه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم
استوى على العرش بالحفظ والتدبير ولفظة ثم مستعارة للتراخي في الرتبة وسخر
الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما طائعين له غير ممتنعين عليه وقصرهما على سنن واحد لمنافع
عباده ومصالح بلاده لما يوجد بهما من الاثار في الحيوان والنبات كل يجري لاجل مسمى
اي كل منهما يجري لمدة معينة يتم فيها دوره فالقمر يقطع فلكه في شهر والشمس في سنة
لا يختلف جري واحد منهما كما قال والشمس تجري لمستقر لها والقمر قدرناه منازل وقال
الشمس والقمر بحسبان اي بحساب معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبيرات
لمنافع العباد ومصالح البلاد خلافا لما قيل يجري لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير
ثم ان غايتهما المذكورة متحدة والتعبير بكل يجري صريح في التعدد وما للغاية الى دون
اللام يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته في الايجاد والتصريف على المراد يفصل
الايات اي ياتي بالايات الدالة على القدرة والتدبير تفصيلا للتمكن من تدبر كل اية
على حدة لعلكم بلقاء ربكم توقنون فان من تدبر هذه الايات وتفكر فيها
تيقن ان من قدر على خلق هذه الاشيا وتدبيرها قدر على الاعادة والجزا فلا بد من
الرجوع اليه بمقتضى عدله والجملتان حالان من الضمير في قوله ثم استوى على
العرش وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى من تتمته لانه تقرير لمعنى التسخير
وتبيين له ولما اشتملتا عليه ذكر في تعقيب لا قابليتهما للايقان وللتفكر في قوله ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون فصل السوابق لافادتها التعيين والتوحيد الراجع الى حصول بلا
التفكر الاشارة الى تقديم الثاني بالنسبة اليها مع التاخير رتبة وكل ذلك ثابت
على تقدير جعل الموصول صفة لما قرر للدلائل السماوية اردفها بقوله الدلائل
الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا ليثبت فيها الاقدام ويتقلب

عليها الحيوان ولما كان مظنة ان يقال لولا ما فيها من الجبال لكان الثبات عليها ابعد
من ان يصلح للتقلب كثيرا دفعه ببيان ان الفائدة في خلقها ما اشار اليه بقوله وجعل فيها رواسي
من الرسو وهو ثبات الجسم الثقيل وقراره ومنه ارسيت السفينة والمراد ان الارض مضطربة
ثقلها الله تعالى بالجبال في احيازها ولولا ذلك لاضطربت كما قيل ولما غلب على الجبال الوصف
بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحائط وحوائط وكاهل وكواهل
والصحيح ان فاعلا يجمع على فواعل اذا كان لغير العاقل سوا نص عليه الجوهري حيث قال
ان فواعل جمع فاعلة نحو ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة للمؤنث مثل حائض
وحوائض او ما اذا كان لغير الادمي مثل جمل بازل وجمال بوازل وحائط وحوائط فما
ذكرنا يحتمل قوله يجمع عليها لا لما ذهب اليه ولذا كثر فبهذا التفصيل يتبين فساد
ما قيل رواسي جمع راسية والتا للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة ههنا وانهارا
لانها المجاري الواسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي ضمها الى الجبال وتعليق
فعل الواحد بهما ايماء الى ان الجبال اسباب لتولدها ولهذا كثر اذ ذكرهما الذكر معا في
القران ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين اثنين اي
الزوج قد يكون اسما للمجموع وقد يكون اسما للفرد المقارن لشبهه او بعده ايضا نبين
انه لا يريد بهما المجموع اي جعل من انواع الثمرات فيها صنفين صنفا بلونه كالابيض والاسود
والحلو والحامض والكبير والصغير واما ما قيل جعل فيها من جميع انواع الثمرات زوجين
اثنين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ففيه انه دعوى بلا دليل مع ان الظاهر
خلافه فان النوع الناطق المحتاج الى الزوجين خلق ذكره اولا وكيف في النمو بعد تكوين
واحد من كل ولا كافي في التولد وعبارة كل للتكثير لا للاحاطة حتى يلزم ان يوجد في
الارض صنفين من انواع الثمرات التي في حيز الامكان يغشي الليل النهار استعارة
تبعية فانه شبه اخفاء نور الجو بظلمة الليل بالتغشية اي يغطي الليل النهار بعد
ضوئه ويغشي النهار الليل فيصير مظلما بعدما كان مضيئا في الذكر اكتفى بذكر احد المتقابلين
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه
دليل على وجود صانع حكيم وفي الارض قطع عدل عن الضمير الى الظاهر لان المتبادر
الظرفية كما في قوله وجعل فيها والمراد ان تكون في نفسها مكونة من اجزا في الارض قطع وفي
بعض المصاحف قطعا عطفا على وجعل ولا يكون الاحتياج الى وجه العدول لاظهار
متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة

ورخوة أو صلبة بعضها يصلح للزرع والضرع دون الشجر والثمار وبعضها بالعكس
وذلك من الدلائل الناطقة بأنه القادر على ما يشاء من تخصيص كل واحدة بخاصية منافية
ما للأخرى مع اتحادها في الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من
الأسباب السماوية من حيث إنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع وكذا الكروم
والزروع والنخيل النابتة في قطعة واحدة من تلك القطع مختلفة الأجناس والأنواع
متفاوتة الثمرات في ألوانها وأشكالها وطعومها وروائحها متفاضلة فيها وهي تسقى بماء
واحد في قطعة واحدة **وجنات من أعناب وزرع ونخيل** وبساتين فيها أنواع الأشجار
والزروع وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله ولعل الفصل به بين نوع جنس واحد وهو
من جنس آخر لما فيه من الفصل حيث كان به قوام المعايش وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا
على جنات وقرئ وجنات بالنصب عطفا على رواسي وبالجر عطفا على كل الثمرات **صنوان**
جمع صنو وهي نخلات متفرعات من أصل واحد **وغير صنوان** وغير متفرقات
مختلفة الأصول وقرئ بالضم كقنوان في جمع قنو **تسقى بماء واحد** وقرئ بيسقى
بالياء على تأويل ما ذكر وإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة **ونفضل بعضها على بعض في الأكل**
وقرئ بضم الكاف وسكونها وقرئ يفضل بالتحتانية على البناء للمفعول وللبناء للفاعل
بطريق البديع وتخصيص التفضيل في الأكل بالذكر مع وجود التفاضل في غيره لأنه غالب
وجوه الانتفاع من الثمرات **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** يستعملون عقولهم
بالتفكر فيه أسند الآيات إلى العاقل إذ لم يستعمل عقله بالحق له فكأنه لا يعقل **وإن
تعجب** يا محمد أو يا أيها السامع الموحد من قولهم في إنكارهم البعث **فعجب** حقيق
بأن يتعجب منه **قولهم** وتقديم الخبر للقصد إلى ما قولهم إلا عجب أو أعجب منه
لأن من تقديم الخبر قد دل على إنشاء ما عدد من الفطر العجيبة كان على الإعادة أقدر
إذ الإعادة أهون من الابتداء أو يسرفا نكارهم أعجب من عجب لا أعجب **أئذا كنا
ترابا** في محل الرفع بدلا من قولهم أو في محل النصب بالقول وإذا نصب بما دل عليه
قوله **أئنا لفي خلق جديد** أي أنبعث بعد ذلك بعدما كنا ترابا وهذا أبلغ في
الإنكار **أولئك** المذكورون **الذين كفروا بربهم** المتمادون في الكفر بربهم لأنهم كفروا
بقدرته على البعث **وأولئك الأغلال في أعناقهم** أي المصرون الذين لا يمكنهم
التخلص لا سيما رفع الرأس إلى ما دعوا إليه ولعل الأعناق تمثيل كقوله إنا جعلنا
في أعناقهم أغلالا أو يحشرون كذلك وتعبيد الأغلال **وأولئك أصحاب النار** في تكرير أولئك

تعظيم

تعظيم لإنكارهم وتأكيد في تقبيحه وبيان لاستيجابهم العذاب الأبدي كذلك إنكارهم
إذ أنكروا ما تثبت به هذه الدلائل الدالة على قدرة المبدئ على الإعادة دلالتها على الإمكان
بل أقوى وإن فتح إنكارهم اشتدادهم وما اختصهم بالخلود في النار **هم فيها خالدون**
لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار دون غيرهم وإن كان تحقيق
بصفتهم وهم المذكورون لا يشاركهم فيه لأن تم سائر الأصناف **ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة** بالعقوبة قبل العافية وذلك أنهم استعجلوا ما هدد به من عذاب
الدنيا استهزاء وإنكارا **وقد خلت من قبلهم المثلات** عقوبات أمثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها بهم والمثلة بوزن السمرة العقوبة لأنها مثل
المعاقب عليه وقرئ المثلات بالتخفيف جمع مثلة كركبة وركبات وهي العقوبة المستأصلة كقطع
الأنف والأذن ونحوهما **وإن ربك لذو مغفرة للناس** اللام للعهد والمعهود
هم المستعجلون المذكورون والمراد من المغفرة الستر والإمهال **على ظلمهم** في محل
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة أي ظالمين أنفسهم أي ظالمين فإنما لا يكون إلا مع
وإن ربك لشديد العقاب للكافرين فلا يغتر فإن كان يمهل ولا يهمل والأدلة في الآية على جواز
العفو قبل التوبة لأن تعليقا هنا على حمل المغفرة على التوبة وهو غير متعين عندنا إنما **ويقول
الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه** لعنادهم وعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكابرتهم لمعجزته بمثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام
إنما أنت منذر مرسل للإنذار والتخويف من سوء العاقبة كغيرك من الرسل لا بإتيان
ما اقترحوا عليك وما عليك إلا الإتيان بما يصح به نبوتك من الآيات لا بالآيات كلها سواء في الدلالة
ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويجيز لهم
أو لكل قوم هاد قادر على هدايتهم وهو الله تعالى أي ما عليك إلا الإنذار ولا يهمك عنادهم
وإنكارهم للآيات المنزلة عليك فليس إليك هدايتهم ولست بقادر عليها إنما القادر على
ذلك هو الله تعالى لكنه لا يهدي إلا من يشاء من عباده بما يشاء من آياته حسبما تقتضي
كمال علمه وتقديره للأشياء على مقتضى حكمته يشير إلى أنه عالم بأحوال الأنبياء عليهم السلام
والأمم وقادر على إتيان المقترحات بهم ولكن الأمر منوط على ما يجب أن يكون عليه من حكمته
من تخصيص كل نبي بما اختص به من الآيات وأما ما قيل وأنه عالم بهم قادر على هدايتهم لكن لم يهدهم
لسبق قضائه عليهم بالكفر فخارج على التصحيح مبني على مذهب الجبرية **الله يعلم ما تحمل كل أنثى**
إما استئناف لبيان أنه سبحانه لا يستأخر من أن المقترحة لأولي تنبيه لهادي

أي هو أنه والثانية ابتداء الكلام لبيان كون الكل بعلمه وتقديره ويجوز أن يكون الجلالة خبر
الله يعلم مقدرة ويكون ... بيانا لما قبلها كأنه قيل هو يعلم ذلك الله
ما تحمل كل أنثى وحملها أنه على أي حال من الأحوال الحاضرة والمترقبة **وما تغيض الأرحام**
وما تزداد ما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وقيل المراد نقصان دم الحيض
وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فإن جعلتهما
لازمين تعين ما أن تكون مصدرية وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز فإنهما لله تعالى أو لما
فيها **وكل شيء عنده بمقدار** بقدر واحد من جهة الكم والكيف والزمان لا يجاوزه ولا
ينقص عنه فالمراد من العندية الحضور العلمي ... كل شيء بكيفيته ...
في ... أسبابا مسوقة إليه تقتضي ذلك ... [illegible] ... في الأفعال
كما في ... **عالم الغيب** الغائب عن الحس **والشهادة**
الحاضر له **الكبير** العظيم الشأن ... **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته ...
شيء عن حكمه كما لا يعزب عن علمه **سواء منكم من أسر القول** أي أخفاه في نفسه **ومن جهر به**
أظهره لغيره **ومن هو مستخف بالليل** طالب للخفاء بالليل في مختبأ بالليل
وسارب بالنهار بارز يراه كل أحد من سرب سروبا إذا برز عطف على من أو مستخف على أن من في معنى
الاثنين كما في قول الفرزدق ٭ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان ٭ كأنه قيل سواء اثنان
مستخف بالليل وسارب بالنهار والنكتة في زيادة هو في الأول أنه الدال على كمال العلم فناسب
زيادة تحقيق وهو النكتة أيضا في تقديم السر ... في صريح القول على الجهر ...
في ... [illegible] ... **له** لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب **معقبات**
ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه إذا جاء على عقبه لأن بعضهم
يعقب بعضا على الدوام أو لأنهم يعقبون ما يفعل ويتكلم به فيكتبونه أو لأن ...
لأنها جماعات ... من توهم أن أصله معتقبات ... التاء في القاف ...
المعتقدون ... [illegible] ...
في ... [illegible] ... المعذرون لا ينبغي أن يكون أصله المعتذرون ...
معا فيجمع معقبات ومعقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير **من بين يديه**
ومن خلفه من جوانبه **يحفظونه من أمر الله** أي من الآفات التي لا يمكن دفعها بأسباب عادية
والإنسان ليس في وسعه الاحتراز عنها فإن الله تعالى بلطفه وعنايته يحفظونه من هذا
النوع من الآفات قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه

كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وأما تخصيص هذا النوع من الآفات بالذكر ... مع أن الكل بأمر الله ... في التقدير ...
أسبابها العادية هذا ما عندي ... ذكره ... أنه صفة لمعقبات ... يحفظونه أي له
معقبات من أمر الله يحفظونه ... متعلق بيحفظونه أي يحفظونه من أجل أمر الله تعالى
يعني من أجل أن الله أمرهم بحفظه ... ويؤيده قراءة بأمر الله ...
... من بأسه متى أذنب بالاستمهال أو الاستغفار له ...
وقيل المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله
... **إن الله لا يغير ما بقوم** من العافية والنعمة ... **حتى يغيروا**
ما بأنفسهم من الشكر والطاعة إلى الكفران والمعصية **وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد**
له فلا راد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب **وما لهم من دونه من وال** ممن
يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء ... لا دافع ولا نافع ولا مانع ...
... على أن خلاف مراد الله تعالى محال ... **هو الذي يريكم**
البرق خوفا من ... **وطمعا** في نفعه إذا لمع البرق ... ويطمع في الغيث كما قال
أبو الطيب ٭ فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ٭ يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق ٭ ...
... الغيث ...
... الخاطبين ... البرق كأنه ...
يطمع ... الخوف والطمع ... مفعول لها ...
... الخوف والطمع ... الفعل المعلل
... [illegible] ...
... خوف وطمع ... خائفة وطامعة **وينشئ السحاب** الغيم
المنسحب في الهواء **الثقال** جمع ثقيلة وإنما وصف به لأن السحاب اسم جنس في معنى الجمع **ويسبح**
الرعد عن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي عليه السلام عن الرعد فقال ملك موكل
بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب **بحمده** متلبسا به ويجوز أن يكون إسناد
التسبيح والحمد إلى الرعد مجازا ... الفاعل ... أي يسبح سامعوا الرعد
من العباد الراجين للمطر حامدين لله يصيحون سبحان الله والحمد لله ... الرعد ...
لتسبيحهم ... وهذا الوجه أولى لأن الرعد ... على الصوت
المخصوص وهو الذي يقترن بالذكر مع البرق والسحاب والكلام في ... الآيات ...

القدرة الباهرة في ايجادها وتسبيح ملك الرعد لا يلائم ذلك اما حمل الصوت الحاصل
المتتابعين على التسبيح والحمد فشديد الملائمة اذا حمل على الاسناد حقيقة فالوجدان يكذبه
اعتراضا مؤكدا لدلالته على اعتراف الملك الموكل بالسحاب وسائر الملائكة بكمال قدرته تعالى ونحو
لا انه لذلك **والملائكة** اي ويسبح الملائكة **من خيفته** اي من خوفه تعالى واجلاله
وقيل الضمير للرعد **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** فيهلكه **وهم يجادلون في**
الله اي والذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون فيما وصفه به من كمال العلم
والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الجزاء حيث شاهدوا الايات المذكورة التي منها
الحكيم العظام وهي ... غافلون لانها موضحة لهم وكذا انه فالواو لعطف الجملة على الجملة
المعطوفة التي هو تعوذ الذين كفروا المعطوفة على ويستعجلونك والعدول الى التذييل
في الاسمية وطرح تعارفها للتناسب الدلالة على انهم ما ازدادوا بعد الايات الا عنادا
زادتهم تجبرا الى رجسهم ويجوز ان يعطف على ... الذي يريكم على معنى هو الذي
يريكم هذه الايات الكواشف الدالة على القدرة والرحمة وانتم تجادلون فيه وهذا اقرب
تاما والاول مما لا شاهد له وقيل الحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وهو
لشدة في الخصومة من الجدل وهو الفتل وعن الحسن ان اربد اخا لبيد العامري وفد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة
ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم
اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات
في بيت سلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت الآية
ان في الكلام التفاتا لان قوله ... الذي يريكم فيه التفات من الغيبة الى
الخطاب وان حيث الاستئناف فالتفات ... الكبير المتعال
ثم التفت من الخطاب الى الغيبة وحسنوا فيهما اما الاول فانه من تخصيص الوعيد
المدمج في سواءٌ منكم وهذا ذلك فيتوجه اليهم ان الله لا يعزب عليه قوله من قال وفيه من التهديد
ما لا يخفى على ذي بصيرة ومن الحث على طلب النجاة ودفع التفريع فخوف الذي
يريكم ونحو ... عن الذي بعد بين كم بعد ما ان الله يفعل هكذا اين حقه التحرز
ولا لاق لمعتقد له ان الله فكلم مع زيادة الادماج المذكور تحقيقا للعلم والثاني
...امن ... على القدرة فيعتقد ان كل شيء عنده بمقدار مع ما ينطق النعمة
على سلوكهم الحق علم لو ان مما يحل لالباب ومظهر المناقب في وجه الاعجاز التشريع

العجاب

العجاب واما الثاني فانه فيه من لطف لا يخفى على من تمرن مع وضوح الالباب وتلاوة ما عليهم
والتنبيه البالغ ترغيبا وترهيبا لما ليس فيها لم يفكروا في ذلك ... مجادلتهم الى من يستحق
الخطاب ويكون يجعلهم في بغيهم اي اصنعهم وافعل كيف يستحق ان يكون سوى ما يحق
ان يوقعه بهم **وهو شديد المحال** ذي الكيد لاعدائه باتيانهم بالهلاك من حيث لا يحتسبون
المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف له استعمال الحيلة
واجتهد فيه وجوز ... على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول
من ذئب اي اشد حيلة منه وقيل فعال من المحل بمعنى القوة اي شديد القوة والمتانة وقيل اشتقاقه
من القدرة كما جاء فعل الله اشد وهو ساعد وقيل المحال جمع محالة وهي الفقارة فيكون
مثلا في شدة القوة والعفو لانه اذا اشتد الفقار كان منعوتا بشدة القوة **له دعوة الحق**
الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يتعبد به فيجاب يدعو لا غيره او له الدعوة المجابة
من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه
للملابسة بينهما او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه
دعوة الحق والجملتان اعني الى وجه الاول لعبيد الكفرة على مجادلتهم الرسول صلى الله عليه وسلم
محال الهلاك بهم وتهديد لهم باجابة دعوته عليه السلام عليهم وبيان ان دعوته عليه
السلام الى التوحيد حق وعلى قصة اربد تقريرا لا لان فيهما فهما ان اصابتهما
انما نسبت بالمحالة من الله تعالى ومكره بها من حيث لا يشعران دعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت من دعوة الحق او ان دعوتهم للآلهة
تخصيص دعوة الحق به **والذين يدعون من دونه** اي والالهة الذين يدعونهم
من دون الله تعالى **لا يستجيبون لهم بشيء** من طلباتهم **الا كباسط كفيه** الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه **الى الماء ليبلغ فاه** اي كاستجابة من بسط كفيه اليه يطلب منه
ان يبلغه فاه **وما هو ببالغه** لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته ولا يعلم بسطه
اجابته فكذلك الهتهم لانها جمادات لا تنفعهم في شيء من ذلك حيث دعاءهم لالهتهم
من بسط كفيه الى الماء من بعيد الى ما لا يعرفه اي يقتضي عملك كفاه شايبه ولم يبلغ
من شربه لانه لا يحصل المقتضى عليه لقرب البسط اليه فهو على الاول من تشبيه المركب بالمركب
التمثيلي في الاصل من تغيير حزئي الهلاك حيث ان استجاب لان زيادة في التعمية والتخييل
وعلى الثاني من تشبيه المفرد بالمقيد بحاله كمن لكل لا يحصل بما يجعله كالادهم
فكمن الماء لان ... التي لا يبلغ شيء من ذلك وتشبيه له بما لا يحصل

بكونه على الماء تمكن تمكنه فيما يعنى فيه وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع
لا فائدة له اما ضياع دعائهم لآلهتهم فظاهر واما ضياع دعائهم الله تعالى فلانه لا يجيبهم
لكفرهم وبعدهم عن حيز الاجابة ولله يسجد من في السموات والارض لظاهر ان
السجود على حقيقته وهذا اخص الذكر من المخصوص بالعقلاء وكيف لا وقوله طوعا وكرها
الساجدون له طوعا هم الملائكة والمؤمنون حتى المنافقين والساجدون له كرها من هو
السيف في الاسلام تبعا لهما على الحال وظلالهم اي ويسجد ظلالهم والسجود حقها
بمعنى الانقياد لامره تعالى وهذا آخر من نوى له طوعا وكرها وانقيادهما لتصريفه تعالى
من جانب الى آخر على ما افصح عنه في قوله تعالى او لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله [illegible] المراد الظل متعدد يعني في الاصل ثم اطلق
على الخيال الذي يظهر للجرم [illegible] بالغدو والآصال ظرف ليسجد المقدر
وخيالهم الظلال وقد مر تفسيرهما في سورة الاعراف والمراد انهما تمام النهار قل من رب
السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد عليهم
اي لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله [illegible] في الجواب [illegible] البين الذي لا امر
فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهو
قول المناظر لصاحبه اهكذا اقول لك فاذا اعترف به حكاه تقريرا له واستئنافا قائلا
يقول له يلزمك كذا وكذا فيبكته بالحجة او تلقين اي ان تلعثموا في الجواب يعلمهم بما
يلزمهم من الحجة بناء على اقرارهم فانهم يلقونه ولا يمكنهم ان ينكروه قل افاتخذتم
من دونه اولياء [illegible] بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم
من دونه اولياء تجعلونهم [illegible] بسبب [illegible]
والتقريع دخلت الهمزة عليه [illegible] لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا اي لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع
الغير ودفاع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء
ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل المشرك الجاهل الذي لا يهتدي
والموحد العالم المهتدي الهادي ام هل تستوي الظلمات والنور مثل الشرك والضلال
والتوحيد والهداية ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله تعالى
خلقوا كخلقه صفة للشركاء داخلة في حكم الانكار بمعنى انهم لم يتخذوا شركاء [illegible]
لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة [illegible] ذلك داخل في ذمهم [illegible] فتشابه

الخلق

الخلق عليهم خلق الله وخلقهم اي انهم ما اتخذوا لله تعالى شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها لكنهم
اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق
[illegible] على مكان الشبهة نافيا ناعيا عليهم [illegible] وليس من [illegible]
في شيء قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة [illegible] المخلوق
[illegible] لانهم [illegible] وهو الواحد المتوحد بالالوهية
والربوبية القهار لكل شيء فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستحق ان يكون له شريك
انزل من السماء من جهتها ماء التنكير للتكثير وباعتباره صح التفريع في قوله فسالت
اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري
وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع فيسيل في بعض الاودية دون بعض وكذا
في المسالة [illegible] منها دون بعض بقدرها بمقدارها الذي علم الله
تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل اي احتمل بمجيئه حمل
جانيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر وعرف السيل لانه عني به ما فهم من الفعل والذي
كدر الجوهر للسيل [illegible] الحركة والخضخضة والغليان زبدا منتفخا مرتفعا
على وجه الماء ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز
على وجه التهاون بها حيث لم يذكر الانواع باسمائها كما فعل بذكر وصفها في احسن الاحوال
[illegible] هو عادة الملوك [illegible] الكبرياء زبد مثله مرفوع بالابتداء خبره
مما توقدون وقرئ يوقدون بالياء اي الناس واضمار للعلم به ونصب ابتغاء على انه
مفعول له والحلية ما يتحلى النساء ويتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد
والنحاس ونحوهما من الآلات التي هي قوام العيش كالاواني والمساحي وآلات الحرب والحرث
وغير ذلك والمقصود منه بيان منافعها ومن لابتداء الغاية او للتبعيض اي [illegible]
او بعضه زبد مثله مثل زبد الماء [illegible] في كونهما يعلوان [illegible]
كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل [illegible]
وكذلك يضرب الله الامثال تأكيد له وتعميم فاما الزبد من السيل والفلز المذاب
فيذهب جفاء مجفوا اي مرميا به [illegible]
[illegible] وجفاه السيل رمى به واجفا السيل واجفل وقرئ جفالا والمعنى واحد ونصبه
على الحال واما ما ينفع الناس من الماء [illegible] فيمكث في الارض [illegible]

بها انتفاعها كذلك يضرب الله الأمثال لإيضاح المشتبهات وعندما في تكثير الأمثال
في الكتب الإلهية وكلمات الحكماء من الفوائد لا يعقلها ضرب الطلاب ولا اغبياهم مثلا للباطل وأهله
والنور بعد التبصير مثلا للحق وأهله اكد التمثيل الأخير وهو نحو لدام هل تستوي الظلمات
والنور بهذا المثل لأن الغرض ثبات الحق وابطال الباطل فمثل الحق بالعلم النازل إلى
الرسول صلى الله عليه وسلم بالماء الذي ينزل من السماء والقلوب الصافية والفهوم الصائبة
بالأودية وتحملها له بقدر استعدادها سيلا انها بعد رسوخها والباطل من الجهالات
والشكوك والشبهات التي ينفيها العلم بالزبد الذي يجيء به السيل وكذلك مثل الحق من العمل
الصالح الصحيح بالفلز الذي ينتفع به الناس بحلية الحلي والآنية واستعدهم من العمل
الفاسد والباطل في اضمحلاله وسرعة زواله بزبده واثبات الشكوك والشبه والأعمال
الفاسدة فكونها هباء في الآخرة وبقاء الحق من العلم والعمل فحصول سعادة الدارين بهما والبقاء
الأبدي والنعيم السرمدي بانتفاع الزبد في انجلائه ثم اسرعها وبقاء ما ينفع الناس من
الماء للسقي والحرث والزرع وسريانه في عروق الأرض إلى منابعه وتنوع العيون والعيون
من الفلز بصنوع الحلي واتخاذ الأمتعة وآلات الحرث والحرب منه للذين استجابوا لربهم
الحسنى كلام مستأنف لبيان ضرب الأمثال لإتمام الكلام منه والحسنى مبتدأ أخبر الذين كي
للذين استجابوا المثوبة الحسنى والذين لم يستجيبوا له مبتدأ خبره لو مع ما في حيز
أي الجملة الشرطية ولو وعاطفة بجملة على الجملة وقيل اللام في للذين متعلقة بيضرب
والحسنى صفة لمصدر استجابوا أي الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا عطف على الذين
استجابوا ولو وجوابه لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدأ في ذكر
ما أعد لغير المستجيبين والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين والكافرين أي مثلا
مثال الفريقين يعني شيء سبيلهما وديهما أولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه
وعن النخعي أن يحاسب المذنب بذنبه كله لا يغفر منه شيء ومأواهم جهنم مرجعهم بعد
الحساب وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف وفي المهاد ذكرهم على ما تقدم
بيانه في تفسير سورة الأعراف أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو أعمى
عمي القلب لا يستبصر فيستجيب لما ذكر حال المؤمنين والكافر وذكر ما للمؤمنين والكافرين من
الثواب والعقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وأنكر ذلك متفرعا على ما تقدم فالفاء
للعطف على وجه التفريع وما قدم همزة الاستفهام وهي مؤخرة معنى لأن لها صدر الكلام
إنما يتذكر أولوا الألباب ذووا العقول المبرأة عن مشابهة الإلف ومعارضة الوهم

الذين يوفون بعهد الله مبتدأ خبره أولئك لهم عقبى الدار وصفة لأولي الألباب
ويحتمل أن يكون أولئك لهم الباقي أعني أولئك بصفات من استوضعهم أي أولئك الموصوفون
بتلك الصفات دلالة على استحقاقهم عقبى الدار إنما كان بسبب تلك الصفات والأول أوجه
الوجه لأن عطف أولئك لهم اللعنة يشهد بذلك وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وما بينهم وبين العباد وهو تعميم
بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصلة
قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواصلة المؤمنين كلهم بالأخوة الإيمانية ومراعاة
حقوقهم بالإحسان والشفقة والنصيحة ويخشون ربهم فلا يعصونه هيبة ومحبة
ورهبة ولا يجاوزون إلى ما نهى عنه ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم
قبل أن يحاسبوا والذين صبروا عما تحبه النفس بالهوى وعلى ما تكرهه ابتغاء وجه
ربهم طلبا لرضاه خالصة لا نظرا إلى الخلق رياء وسمعة أو إلى النفس تزينا وعجبا جاء
الصلة هنا بالماضي وفي الموصولين قبله وما عطف عليها بالمضارع لأنه قصد
بها الاستحضار والاستمرار أيضا والمراد هذه الصلة تقدمها لتقدمها على تينك الصلتين وما
عطف عليها لأن حصولهما مترتب على حصول الصبر وتقدمه عليها ولكونه مما لا بد منه
في حصول التكاليف فرعيات صلة في القرآن الصيغة الماضي وأقاموا الصلاة المفروضة
وأنفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرا لمن منعه المروءة أن يلحظ
حالا وعلانية لمن لا تمنعه وقيل مما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل
والفرائض لأنها بالجهر أفضل نفيا للتهمة ورياء التفضيل بحسب الأغراض المتعلقة بالجهر
في الخبر ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها أي يجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون
السيئة بالحسنة فتمحوها أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل
أهلها وما يصلح أن يكون عاقبة وهي الجنة جنات عدن بدل من عقبى الدار والعدن
في الأصل الإقامة ثم صار علما للجنة من الجنان السبع على ما مر تفصيله في تفسير سورة التوبة
يدخلونها ومن صلح عطف على الضمير المرفوع في يدخلونها وحسن بلا تأكيد للفصل بالضمير
المنصوب ومفعول معه من آبائهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قال من آبائهم وأمهاتهم
وأزواجهم وذرياتهم ما جعلوا فيها تبعا لهم ليتم لهم النعمة بزيادة الأنس والصحبة
مع تقييدها بالصلاح دلالة على أن مجرد النسب والقرابة لا يكفي في الجمع بينهم بل لا بد من

شرط الصلاح والاحتياط لأنه يلحق بهم من صلح من أهليهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا
لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو تحقيقا لما إذا كان من
صلح منهم لا معه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب المنازل أو من أبواب
الفتوح والتحف سلام عليكم في محل الحال أي قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بمحذوف والباء للسببية أو البدلية أي هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل
ما احتملتم من الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم ويجوز أن يتعلق بالظرف أي سلام
عليكم بسبب صبركم ولا يجوز أن يتعلق بسلام لأن الخبر فاصل فنعم عقبى الدار المخصوص
بالمدح محذوف أي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فخفف بكسر
النون فنقل كسرة العين إليها ومن فتحها فسكن العين تخفيفا للاستثقال والذين ينقضون
عهد الله يعني مقابل الأولين من بعد ميثاقه من بعدما أوثقوه به من الاعتراف والقبول
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن أولئك
لهم اللعنة الإبعاد من رحمة الله تعالى ولهم سوء الدار عذاب النار أو سوء عاقبة الدنيا
لأنها في مقابلة عقبى الدار وقد لم يتعرض لعاقبة الدنيا لأنها تجعلها عاقبة حتى تجعل
العاقبة المطلقة هي الجنة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لما كان كثير من الأشقياء قد فتح
عليهم أبواب نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه ولا
والإيمان لا تعلق لها بالرزق وقد يقدر على المؤمن ليعظم أجره ويبسط للكافر إملاء لا ازديادا
له وفرحوا أي أهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله تعالى
عليهم وإنعامه به ولم يشكروا ما أنعم الله تعالى عليهم ولم يصرفوه فيما يستوجبون به
نعيم الآخرة وما الحيوة الدنيا في الآخرة فيجب ما أعد لأهلها فيها إلا متاع إلا شيء
نذر حقير يتمتع به ولا يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي ويقول الذين كفروا مقتضى
الظاهر أن يقال ويقولون إذ لم يجر لكفار مكة ذكر وإنما ذكر على نهج الحديث عنهم تكريرها فأخرج
على خلاف الظاهر لزيادة التمكين في ذهن السامع بالإبهام والتوضيح أو إظهار الكفر
في الأول والذم لتسجيل الكفر فيما فيه لولا أنزل عليه آية من ربه عنادا وجحودا
للآيات المنزلة عليه عليه السلام واعتدادا بها وإعراضا عنها وهذا أمر في الجواب
قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب أي قبل الحق ورجع عن العناد وحقيقته الدخول
في نوبة الخير وهو كلام جار مجرى التعجب من قولهم كأنه قيل قل لهم ما أعظم عنادكم حيث
لم تعتدوا بهذه الآيات الباهرة التي لم يؤت نبي مثلها وكفى بالقرآن وحده آية من آياته

يضل من يشاء من كان على صفتكم من المحجوج والتصميم على الكفر فلا سبيل إلى اهتدائه
وإن أتي بكل آية ويهدي من يشاء ممن كان على خلاف صفتكم من التصميم في تنزيل آية من
أناب منزلة من يشاء تنبيها على أن مشيئة الهدى مخصوصة بغير المعاند الذين آمنوا بدل من
من وتطمئن قلوبهم بذكر الله أنسا به أو بالقرآن وبذكر رحمته بعد القلق من خشيته
ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن إليه وجملة اعتراضية تفيد كيف لا تطمئن قلوبهم به ولا
اطمئنان للقلب بغيره الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على تقدير المضاف
أي قلوب الذين آمنوا أو مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب كبشرى وزلفى
قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرئ طيبى بكسر الطاء في من الصاد
المنصوبة المعتد لها الرفع أي طيب لهم وطيب لهم كقولك سلاما لك وسلام
لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدل على محلها واللام في لهم
للبيان مثلها في سقيا لك وتكون الجملة دعاء أو خبرا على التأويل كذلك أي مثل
ذلك الإرسال العظيم الشأن الذي المفضل ومزيته على سائر الإرسالات وكل رسالة
الرسل قبلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم قد تقدمتها أمم أرسلوا إليهم
فليس ببدع إرسالك إليها لتتلو لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك من الكتاب العظيم
وهم يكفرون وحالهم أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء فكفروا بنعمه خصوصا ما أنعم به عليهم بإرسالك إليهم وإنزال هذا القرآن
المعجز المصدق لسائر الكتب الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية وقيل نزلت
في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي أي الرحمن
خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو المستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي
عليكم وإليه متاب مرجعي ومرجعكم فيحكم بيننا قوله ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال دال على أن اسم الإشارة والموصول فيما تقدم لتعظيم المراد وتفخيمه أنا أو
قطعت به الأرض أو كلم به الموتى جوابه محذوف أي ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها
وزعزعت أو قطعت به الأرض حتى تتصدع قطعا قطعا من خشية الله تعالى أو كلم به
الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإعجاز
التخويف والإنذار كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية
الله وقيل ما أدوا إليها لعدم اعتداد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة

الآية قيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع
لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا
قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الجبال قطعها
بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير
كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي **بل لله الامر جميعا** اضراب عما تضمنه لو من
معنى النفي اي بل الله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما اقترحوا من الآيات
الا انه لم يتعلق ارادته بذلك لعلمه بانهم لا يؤمنون ويزدادون العناد والجحود
ويؤيد قوله **افلم ييأس الذين آمنوا** اي عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وما كابدوه
والاكثر على ان معنى افلم ييأس افلم يعلم روي ان عليا وابن عباس رضي الله عنهم
وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل ييأس بمعنى
افلم يعلم وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون وقيل هو
لغة قوم من النخع ولذلك علقه بقوله **ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا** لان معناه
نفي هداية بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وتعلقه على الاول بآمنوا اي ولم
ييأسوا من ايمانهم لو كان الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا والمحذوف
تقديره افلم ييأس الذين آمنوا علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا **ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** من الكفر وسوء الاعمال **قارعة** داهية تقرعهم
وتقلقهم **او تحل** اي القارعة **قريبا من دارهم** فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها ويتطاير
اليهم شررها **حتى يأتي وعد الله** اي الموت او القيامة وقيل الآية في الكفار مكة تصيبهم
بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتصيبهم مواشيهم او تحل
انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان
الله قد وعده ذلك **ان الله لا يخلف الميعاد** لان الخلف نقص لا يليق به لان ما تعلق به الوعد
كان ممكنا بعد تعلقه لم ينقلب ممتنعا لانهما لا تنقلب وكل ممكن داخل تحت قدرته تعالى
بل لان الخلف لا يليق بشأنه تعالى **ولقد استهزئ برسل من قبلك** تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ووعيد المستهزئين المقترحين عليه **فامليت للذين كفروا** الاملاء ان
يترك مدة من الزمان في دعة وامن **ثم اخذتهم فكيف كان عقاب** اي كان عقابي اياهم
استفهام معناه التعجب مما حل بهم لتقرير فيه تضمنه وعيد من في عصره عليه السلام

افمن هو قائم على كل نفس افاقتصا الذي هو قائم رقيب على كل نفس **بما كسبت** من
خير وشر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره
كمن ليس كذلك تحلل الهمزة على الفاء لانكار ان يستوي من من مطلع على سرهم وعلنهم
قادر على مجازاتهم بمن هو على خلافه وبعد علمهم نما حل بالمنكر بمن لا اخلص الا من الباطل
لذلك **وجعلوا لله شركاء** استيناف وعطف على مقدر اي لم يوحدوه وجعلوا فيه اظهار
في موضع الاضمار للتهيئ بل للتوبيخ والتفضيح في معرض الاحتجاج والتبكيت وتوبيخ
تعالى اسلوب بديع ضمنه للترقي في الانكار ولا يخفى انه نحو من انكار بعض ادعيائه
الباء مع ظهوره انما العجب كل العجب جعلهم لتلك دونه على ما اشار اليه بحمل على اصراهم
عن عد من يحاسبهم والتسليم بعرضهم ودلالة مختار ونحو ذلك تعليقها على عمن يراهم
بهم في دار اليوار بما لا يملك لانفسهم نفعا ولا ضرا بعدها فاستحق عناده ربنا
وتوبيخه حيلتها او رفعا مدح فيه تسليتي انابي في العدول عن صريح الاسم الى ما لا قبل
هو الخبر الحقيقي بواسطة الابهام للتعظيم في ابداء منعه لا مع تحقيق انه القيام كابن الرحم
عقب بما يا هوله الاولى الالباب عن يستيقظ من بدائع ابداعها العجب العجاب وفي قوله وجعلوا
لله بنعمه مقام المضمر الراجع الى من دلالة على انه المستحق للعبادة وان الشركاء الاشركاء
له الذي لا يملك على ذلك لا اهل الالوهية فهو تعالى في حيز الخبر تعظيما للقائل وتجهيل لمن زعم ذلك
ما لا يخفى من الجزالة **قل سموهم** كان قوله افمن هو قائم كان في هذه قاعدة الاشراك
للتفرع الثاني والتحقيق بالوصف اللاحق وهو ابطال المنطوق بحق تدليلا لابطال التعرف
التعيين الى الملغ وجه اي الرسهم بذلك فانهم ان سموهم اللات والعزى ومناة وحسب
او نحو ذلك فافتضحوا باشراكهم ما لا يستحق العبادة الا هو وهذا ثم ذلك محيطا به لا اسم
لشرك فضلا عن التسمي على الكتابة او عمامية ثم تلا فيه بيانه لا يشاء اهل السؤال الى ما هو
تعلقهم وفسادهم وسلك فيه مسلك الكتابة التلويحية من بحث العلم عن نفي المعلوم بترتيبه على
عدم الاشتهار **ام تنبئونه** بل تنبئونه **بما لا يعلم في الارض** بشركاء لا يعلمهم في الارض
يعني ما ليس بشيء لا انما لا يعلمه عالم لا تعلق العلم والشهادة لا وجود له كانه قيل اتنبئون
الله بما لا يعلمه في السماوات ولا في الارض والهمزة المقتصة فيهما تدل على التوبيخ وتكرير لهم
على ما يزعمون ان يعتنوا عالم السر والخفيات بما لا يعلم وهذا اعلى مجال انما ظهر بعد ذلك
وقال الذي يفنى النفس الذي على التي وما ملك النسبة الا تبطل من المقول بغير ان يكون
تحته طائل وما هو الا محض تصنع **ام بظاهر من القول** اي بل اتسمونهم شركاء

بمجرد ظاهر القول أي بإطلاق لفظة الشركاء على الآلهة من غير أن يكون لذلك معنى حق
بها الالوهية والمشاركة كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج
وأساليبه العجيبة التي ورد عليها نادٍ على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام
البشر لمن عرف وانصف من نفسه ومن نادى على هذا قول له فتبارك الله احسن الخالقين
تعالى في كلمة حق يريد بها باطل تريدون بها ما هو عين حيلة لانها فاعاطل **بل زين**
للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا الاباطيل ثم خالوها حقا واخداعهم المصفقة **وصدوا**
عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وصدا بالتنوين
عطفا على مكرهم **ومن يضلل الله** بالخذلان **فما له من هاد** قاله من احد يقدر على
هدايته بوجه من الوجوه **لهم عذاب في الحيوة الدنيا** بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم
من المصيبات **ولعذاب الآخرة أشق** لدوامه وشدته بالإضافة **وما لهم من الله** من عذاب الله تعالى
في الدارين قبلا ومن بعد ولا باسناد الشاق والافراد فيه عبارة واق **من واق**
من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم عنه لا واق لعله واق قدمته عليه والتنابيه من ترك
التاكيد ولما ذكر ما اعد للكفار في الدار الآخرة ذكر ما اعد للمؤمنين فيها فقال **مثل الجنة**
التي وعد المتقون صفتها التي في غرابة المثل من مثلت الشي اذا وصفته وقربته للفهم
وارتفع مثل على الابتداء في مذهب سيبويه والخبر محذوف اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة
تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل اي في غاية النزهة وذلك ان الكفرة
كانوا يجعلون ما لا يكون مما لا يتعلق بهذا اعظم نزهة وحالية لها اي المحل وغيره العلة
وقيل هو خبر على طريقة قولك صفة زيد اسمر على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة
تجري فعلى هذا اللفظ المثل الى حقيقته فضل به تمثيل الغائب بما في الشاهد ثم استعير
للقول الثاني للصفة الغريبة **اكلها دائم** لا ينقطع والاكل ما يؤكل فيها **وظلها** اي
وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس **تلك** اي الجنة الموصوفة **عقبى الذين**
اتقوا عن الكفر مآلهم ومنتهى امرهم **وعقبى الكافرين النار** لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع
للمتقين واقناط للكافرين **والذين آتيناهم الكتاب** اي من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام
واضرابه ومن النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان
وثلاثون بالحبشة **يفرحون بما انزل اليك** اذ هو منتهى اهتمامهم كانوا يفرحون بما نزل
من قبل ما في كتبهم **ومن الاحزاب** اي كفارهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والعاقب والسيد اسقفي نجران واشياعهما **من ينكر**

بعضه

بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها دون الاقاصيص ونحوها مما فيهما **قل إنما**
أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي
بان اعبد الله ولا اشرك به وهو العمدة في الاسلام ولا سبيل لكم الى انكاره لا انكر فيما
يخرج عبادته ومن تحيله ما يخالف بعضه شرائعكم من جزئيات الاحكام فليس ذلك من اختلاف
ذلك يبدع في الكتب الالهية وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف **اليه ادعو** لا الى
غيره **واليه مآب** مرجعي للجزاء لا الى غيره فلا معنى لانكاركم له فان هذا هو القدر المتفق
عليه بين الانبياء كلهم واما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف باختلاف الاعصار والامم
فلا معنى لانكاركم المخالفة في بعضه **وكذلك** اي مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات
المجمع عليها **انزلناه** اصل الكلام انزلناه هذا الانزال الذي يشاهدونه شاملا على اصول
الدعوة النبوية فاشرف لك نعمتها مجيء بالمثل انها ذو الدولة امرا اكثر في كتابه الكريم من
انواع الاسلوب **حكما** محكما في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة **عربيا** مترجما
بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وقيل نصبا على الحال **ولئن اتبعت اهواءهم** التي
يدعونك اليها من الامور المخالفة لما انزل اليك خصوصا الصلوة الى قبلتهم بعدما حولت عنها
بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك **ما لك من الله من ولي ولا واق** ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة للقسم
وما لك جواب سد مسد جواب الشرط **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك** بشرا امثالك والتنكير
للتكثير **وجعلنا لهم** تغليب للاكثر على الاقل والا فمنهم من لا زوج له ولا ذرية كيحيى
عليه السلام **ازواجا وذرية** نساء واولادا كما هي لك كانوا يعيبونه عليه السلام بالزواج
والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات
وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله كذلك ذوي ازواج وذريات **وما كان لرسول** صالح
ذلك لم يكن في وسعهم **ان ياتي بآية** مما اقترح عليه من معجزة الا ما اقتضاه رايه **الا باذن**
الله القادر على ذلك الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة **لكل اجل كتاب** اي لكل
وقت ومدة حكم يكتب على العباد حسبما تقتضيه استصلاحهم فان الشرائع مصالح الاحوال
ومصالح الاحوال للعباد لا تستبدال ذات تختلف في الاوقات والازمان فتختلف الشرائع
بحسب ذلك **يمحو الله ما يشاء** ينسخ ما يكون الصلاح في نسخه **ويثبت** بدله ما هو صالح
او لا ينسخ في وقت لعباده او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت بدلها الحسنات
وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به الجزاء ويترك ما يتعلق به شيئا وقيل يمحو قرنا ويثبت

آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات **وعنده ام الكتاب** اي اصل كل كتاب وهو
اللوح المحفوظ اذ لا كائن الا وهو مكتوب فيه **وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك** اي
وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب النازل بهم او توفيناك قبل
فإنما عليك البلاغ فما عليك الا تبليغ الوعيد بالعقوبة لا تعجيلها **وعلينا** لا عليك
الحساب حسابهم أي مراعاة أجلها المعلوم والإيقاع بهم عند الوقت المعلوم فلا يهمنك
عليهم الناشئ عن الإضمار غير التبليغ والتصبر لتأخر النصر عقيبه بالتسلية وتطييب
نفسه وتنبيه عنها بذكر طلائع ما وعد بقوله **أولم يروا أنا نأتي الأرض** أرض الكفرة
ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها فننقص من دار الحرب ونزيد في دار
الإسلام **والله يحكم لا معقب لحكمه** اعتراض لا محل لها او حال كأنه قيل نافذاً حكمه
كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه أي حاسراً والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله
وحقيقته الذي يعقبه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفي
غريمه بالتقاضي والطلب والمعنى لا راد لحكمه ولا مبطل وقد حكم للإسلام بالظهور
والإقبال وعلى الكفر بالتراجع والإدبار وذلك كائن لا يمكن لأحد تغييره وهذا من تتميم
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة ويجازيهم بأشد العذاب بالقتل
والإجلاء **وقد مكر الذين من قبلهم** بأنبيائهم والمؤمنين منهم **فلله المكر جميعا** جملة
تعليلية أقيم مقام المحذوف وهو المعطوف على ما ذكر قبلها تقديره ولا عبرة
بمكرهم فلله المكر جميعا وصفهم بالمكر جعل مكرهم بالنسبة الى مكره كلا مكر عند
مكره تعالى لأنه القادر على إيقاع المراد من المكر بهم دونهم فلا مكر الا مكره تعالى
يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها لإيصاله لكل مكر عند مكره تعالى لأنه اذا علم
كل ما كسبوا وأعد لهم جزاءه فيأتيهم به بغتة من حيث لا يعلمون كان المكر كل المكر
له تعالى **وسيعلم الكافر** ويعلمهم **لمن عقبى الدار** لمن حسن العاقبة من الفريقين
والسين لوجوب وقوع ذلك وتعلمهم به حال الوقوع واللام في لمن دلت على ان المراد
بالعقبى العاقبة الى الدار لعاقبة الحيوة وقرئ سيعلم الكفار اي اهله وسيعلم
من اعلم اذا اخبر **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** قيل المراد بهم رؤساء اليهود **قل
كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** حيث اظهر من الدلائل الواضحة والحجج البينة على رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها **ومن عنده علم الكتاب** والذي عنده علم القرآن
وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر او لسن نبيه والإنجيل من علماء الكتاب

الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأضرابه لأنهم يشهدون بنعته عليه الصلوة والسلام
في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق
العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وقرئ
ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول مرتفع بالظرف لأنه معتمد على الموصول او
مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني وقرئ ومن عنده علم على الحرف وبناء الفعل
للمفعول ورفع الكتاب والله أعلم بالصواب

سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب **أنزلناه إليك** حجة على رسالتك بالإعجاز **لتخرج الناس** كافة
كلهم بأمرهم الى الدين الحق **من الظلمات** من أنواع الضلال **الى النور** الى الهدى
بإذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج
او حال من فاعله او مفعوله **الى صراط العزيز الحميد** بدل من قوله الى النور
بتكرير العامل او استئناف كأنه قيل الى أي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وإضافة
الصراط الى الله لأنه مقصده او المبين له وتخصيص الاسمين بالذكر يدل على انه يعز
سالكه ويحمد نهجه **الله الذي له ما في السموات وما في الأرض** عطف بيان للعزيز
الحميد لأنه يجري مجرى أسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الحق وقرئ
بالرفع على هو الله **وويل للكافرين** وعيد لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة واصله النصب
لأنه مصدر وعدل الى الرفع لإفادة معنى الثبات كما في سلام عليك واتصال الحق له
من عذاب شديد لهذا المعنى المذكور نظايره فلا حاجة الى صرفه للتلفظ بكلمة التلهف
من شدة العذاب **الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة** اي على الحيوة الآخرة
والاستحباب استفعال من المحبة لأن المختار للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون
أحب اليها من الآخر وتعديته بعلى لتضمنه معنى الإيثار لا الاختيار **ويصدون
عن سبيل الله** بتعويق الناس عن الإيمان وقرئ ويصدون من أصده وهو منقول من صد
صدودا اذا تنكب وليس بفصيح كأوقفه لأن في صده مندوحة عن تكلف
التعدية بالهمزة **ويبغونها عوجا** أصله يبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل اي يطلبون
لها زيغا او اعوجاجا بأن يقولوا لمن يريدون صده عنها انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستقيمة
والموصول بصلته يحتمل النصب على الذم والرفع عليه لا الجر صفة للكافرين لأن

بينها الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي بينهما وهو قوله من عذاب شديد بل لما عرفت
أن انتصابها أو الذم على الرفع يجوز أن يكون مبتدأ خبره **أولئك في ضلال بعيد**
عن طريق الحق أي ضلال بعيد لأن الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد
يضل مكانا بعيدا أو لا فتح أن وصف الضلال بالبعد من باب الإسناد المجازي لأن البعد
في الحقيقة للضال المتباعد عن الطريق فوصف به فعله كقولهم جد جده والبنا للعقد وتنكيره
للتكثير وفي جعلهم مظروفا له ما لا يخفى من تمكنهم فيه تمكن المظروف في الظرف ووصف بالاشتمال
الضلال عليهم اشتمال المحيط على المحاط ويكون كناية عن المبالغة في إثبات الوصف المذكور لهم
على الوجه الأبلغ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** متلبسا بلغتهم الذي بعث فيهم كأنبياء بني
إسرائيل أو أرسل إليهم كلوط ويونس عليهما السلام فمن قال إن الذي هو منهم وبعث فيهم
لم يصب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع
كعمد **ليبين لهم** ما أمروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فإنهم
الحق بعبارة تخاطبهم سواء كان مبعوثا فيهم أو مرسلا إليهم ومن قال أي ليفقهوا عنه
ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فكأنه غفل
عن أن المحذور المذكور يندفع بترجمة أهل اللسان لغير العرب من الأمم أن يحتج بما ذكر
على نبينا صلى الله عليه وسلم لا حاجة إلى الإيماء قلنا والأدلة في قوله تعالى ولو
جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته على أن يكون لهم مجال الاحتجاج بالآية
المذكورة على تقدير تعدد بلغة أخرى وأما ما قيل ولم ينزل على من بعث إلى أمم مختلفة
كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الإعجاز لكن أدى إلى اختلاف الكلمة وإضاعة فضل
الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في إتعاب القرائح
وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب فمبناه الغفول عن أن ما ذكر من النوائب يحول
على تقدير الترجمة بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عرفت أن مدار الكلام ومقام المرام
عليها على تقدير عموم الرسالة وخصوص اللسان **فيضل الله من يشاء** بالخذلان **ويهدي
من يشاء** بالتوفيق وجه دفع ما سبق إلى الوهم من أن البيان البالغ في تسهيل الفهم أن
يكون ذلك كافيا في تمام أمر الهداية فبين أن الضلالة والهداية بيد الله في الترتيب بالواو
التسبيبي ثم أشار إلى أن ما ذكر من الإرسال مع كونه على وجه الكمال كان في حق قوم
سببا للضلال **وهو العزيز** فلا يغلب على مشيئته **الحكيم** فلا يهدي ولا يضل إلا لحكمة
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا التسع كاليد والعصا وسائر معجزاته **أن أخرج قومك**

من الظلمات إلى النور أن مفسرة بمعنى أي لأن في الإرسال معنى القول أي أرسلناه
وقلنا له أخرج أو مصدرية أي أرسلناه بأن أخرج لأن صيغ الأفعال في الدلالة على
المصدر سواء فيصح وصلها بالأمر كوصلها بالخبر والذي وصلت بها أن الناصبة **وذكرهم بأيام
الله** بنعمائه وبلائه كما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما الموافق لقوله تعالى إذ قال لعل المجرى في
التحريض بنعمة الله لكن بأيامه أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وقرأه بجمعه ببعض
إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور على بلاء الله تعالى شكور على نعمائه فإنه
يسمع بما نزل الله تعالى على الأمم من البلاء وما أفاض عليهم من النعم عرف ذلك وتنبه على ما يجب
عليه من الصبر والشكر وقيل لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وتقديم
الصبر على الشكر لأنه أسبق منه وجودا لا لاهتمام الحق لعد وأما الصبر وهو ما سببه
الشكر لأنه في مقام الخشية والصبر يعم ما يبلغ صيغتي المبالغة **وإذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون** أي اذكروا نعمته وقت إنجائه إياكم ويجوز
أن ينتصب بعليكم إن جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك إذا أريد بها العطية دون الإنعام
ويجوز أن يكون بدل اشتمال من نعمة الله **يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم
ويستحيون نساءكم** أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين وعطف قوله ويذبحون على
يسومونكم يفيد فائدة زائدة على حمل وتفسير له كما سبق في تفسير سورة البقرة وهو
أن العذاب جنس يتناول الذبح والاستحياء والاستعمال بالأعمال الشاقة
يفعل الذبح كأنه جنس آخر زائد عليه أو في جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة **وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم** ما كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم لأن الله تعالى بلاهم
لكنه ما أقدرهم عليه وأمهلهم فيه ويجوز أن يكون الإشارة إلى الإنجاء لأن البلاء كما
يكون بالنقمة يكون بالنعمة كما قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهذا أنسب للجمل
وذكرهم على الأول يكون بعبارة الرب للإشارة إلى أن ذلك المؤمن من تربيته لهم **وإذ تأذن
ربكم** من جملة ما قال موسى عليه السلام لقومه مكسوب بالمحل العطف على نعمة الله كأنه قيل
وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم لئن شكرتم لأعطي زيادة
نعمتي على معنى تأذن ربكم فقال لعدم الحاجة إلى التقدير على إجرائه ذكر مجرى قال
فإنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم لئن شكرتم وتأذن بمعنى أذن
وأعد غير أنه أبلغ لما في التفعل من معنى التكلف المبالغة **لئن شكرتم** يا بني إسرائيل
ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها بالإيمان والعمل الصالح **لأزيدنكم** نعمة إلى نعمة **ولئن كفرتم**

عظمتم ما أنعمت به عليكم وقد صرح الوعد على الشكر بقوله لأزيدنكم وعرض بالوعيد
على الكفران حيث قال إن عذابي لشديد أي عسى عذابي أن ينالكم بالكفران ومن عادة
من هو أكرم الأكرمين التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد وقال موسى إن تكفروا أنتم
يا بني إسرائيل ومن في الأرض من الثقلين جميعا فإن الله لغني عن شكركم وعن شكر
كلها كرم وما ضررتم بكفركم إلا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الإنعام وعرضتموها للعذاب
الشديد حميد مستوجب للحمد في ذاته محمود يحمده من في السموات من الملائكة بل كل ذرة
من ذرات المخلوقات الناطقة بنعمه وفضله ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من جملة كلام موسى عليه السلام أو ابتداء كلام من الله تعالى والخطاب لهم في الأمر للتقرير
والتوبيخ والذين من بعدهم عطف على قوم نوح وقوله لا يعلمهم إلا الله اعتراض
أو مبتدأ خبره لا يعلمهم والجملة اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله
كأنه يقول لا أرى التفصيل فإنه لا مطمع في الحصر قيل ولهذا كان ابن مسعود إذا قرأها
قال كذب النسابون أي في دعوى علم الأنساب لأن الله تعالى قد نفى علمها عن العباد
وفيه نظر لأن الكلام لا دلالة فيه على نفي علم الأنساب مطلقا إنما دلالته على نفي علم الأنساب
ولم يكن يقطع بصحة ما يقولون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا
إنا كفرنا بما أرسلتم به أشاروا بأيديهم إلى أفواههم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا
بما أرسلتم به على عمد أي هذا جوابنا لا غير إقناطا لهم من التصديق وقيل عضوها غيظا
وتعجبا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها على أفواههم
ضحكا واستهزاء كمن غلب عليه الضحك فوضع يده على فيه أو إسكاتا للأنبياء عليهم السلام
وإشارة عليهم بالسكوت أو ردوها في أفواه الأنبياء عليهم السلام لذلك أو وضعوها على
أفواههم لا يدعونهم يتكلمون أو الأيدي جمع يد بمعنى النعمة أي ردوا أياديهم من الوحي
والمعارف والشرائع والنصائح التي هي أجل النعم في أفواههم لأنهم إذا لم يقبلوها وكذبوها
فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه على طريق التمثيل ولا يذهب عليك أن الأول لا يطابقه
المقام فإنه يحكي أول ما جاءتهم بالبينات إلى آخر ما يتوقع ليحكى فيه ذكر التكذيب في
الرد بجميع ما ذكر ... الرابع والخامس ما ذكر ... لا ... الأصل ...
والسادس لا يناسب ... في الثالث لأنا في الخامس والسادس ظاهر الدلالة ...
من نوع تعقيدا لأن الأيدي بمعنى النعمة قليل الاستعمال وذكر الرد والأفواه لا يطابق ... وإنا لفي
شك مما تدعوننا إليه التأكيد فيها ... والمبالغة في الرد وأكد بكلمة

بما أرسلتم به الكتب والشرائع ومما تدعوننا إليه التوحيد فيرد فيما في الثاني لأنه في قطعهم
في الأول مريب موقع في الريبة أي في قلق ... أو ذا ريبة وهي قلق النفس
وأن لا تطمئن إلى شيء وعلى الثاني يكون وصف الشك به من باب الإسناد المجازي قالت رسلهم
أفي الله شك أي في وحدانيته شك وفي حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيه على أن
الله تعالى لا يكون إلا واحدا فالشك في وحدانيته شك في ذاته ومن ثم تمتع بالظرف وتخلل
همزة الإنكار عليه مع تقديمه لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي إنما ندعوكم إلى
الإيمان بالله وحده وهو لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادة وجود السموات والأرض
عليه ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي أن لا يقع فيه شك البتة بقوله فاطر السموات والأرض
وهو صفة لا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدأ وقيل يدعوكم إلى الإيمان
بعثه إيانا ليغفر لكم وقيل لأجل أن الكافر إذا آمن غفر له قبل البعثة وأن لم يكن
... الكلام في الفعل الصحيح ليغفر لكم ... المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو الكفر لما عرفت أنهم لا يؤاخذون بما قبل البعثة فيجوز ... ليغفر لكم ما
توطئة لهذا التبعيض إلى تقديم مغفرته ما سلف ... أن يكون المعنى يدعوكم إلى
المغفرة ... في مقام المفعول به كما في قولك دعوتك لتنصرني ...
الوطنية ... وقيل في وجه التبعيض أن المغفرة حيثما ... حالة الكفر
وإنما يتعلق بهذا الإسلام ... وما ... الوجهين يظهر السر في إتيان من في
الخطاب للكفرة دون المؤمنين في مواضع من القرآن وفي الأخيرة آية أخرى وهو أنها للتبعيض
على الخطابين ليكون على الآيات ... وهذا ... وأما ما قيل إنما أريد به أن يتميز
بها بينهم وبين الله تعالى لأن الإسلام يجب ما قبله دون المظالم ولا يتسع وجها للتخصيص ...
الذي فيه والتوجيه أن المغفرة حيثما جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على الإيمان وحيثما جاءت
في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج
من المظالم ... لأن تمام ... مرتبة على الإيمان
... قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ... ما قدمه ... الأفراد
... في خطاب الكفرة المغفرة ... قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف ... إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط
... التبعيض لإخراج المظالم ... عما قدمه

ويؤخركم إلى أجل مسمى قد سماه الله تعالى وبين مقداره فيبلغكم إياه إن
آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله تعالى أن يبعث إلى البشر رسلا لبعث من جنس
أفضل تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان
مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية أو على صحة دعواكم وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
والحجج فلم يعتدوا بها مكابرة وعنادا واقترحوا عليهم غيرها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم
إن نحن إلا بشر مثلكم تسليم للمماثلة في البشرية ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده إثبات للمزية بتحقق الامتنان والعناية لا بالفضل الذي يقتضي ذلك تواضعا منهم وهضما
لأنفسهم لا لدلالة فيه على عدم التفاوت بين آحاد البشر في الاستعداد لاستحقاق الامتنان
وقدره قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته لا لأنه لا تفاوت فيه ولا لإعجاب بجبلته بمزايا في
الاجتباء وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله لا بتسببنا أي ليس
إلينا الإتيان بما اقترحتموه وإنما هو أمر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات
وعلى الله فليتوكل المؤمنون تعميم قصدوا به تخصيص أنفسهم على وجه الأولوية والأولية
واشتغالا بالتفصيله لا بأنه وجوب التوكل على الله تعالى فأمروا المؤمنين كافة بما فعلوا وأمرهم
أنفسهم فيه بالعدول عن حقيقتهم قد اضطروا وقصدا لأنفسهم حيث تنزلوا إلى اتباع المؤمنين كما
في تأخيره عليهم كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم فإن
ذلك حق كل مؤمن فكيف بالأنبياء الأثر كلا في قوله وما لنا ألا نتوكل على الله أي
وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو
التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين وحرفه وعلمنا أن الأمر كله بيده
ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم على الله تعالى وعدم مبالاتهم بما يجري
عليهم من قبل الكفار وعدة أيما لاقوه به على سبيل الإعراض وعلى الله فليتوكل المتوكلون
تكرير للأمر بالتوكل للتأكيد وتحريض لثبات عليه بعدما استحدثوا به ما للعلا التسبب في الموضعين
لأنه مسبب عن الإيمان بأحدها وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في
ملتنا حلفوا ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم من ديارنا أو عودكم في ملتنا وقد مر تحقيقه في تفسير
سورة الأعراف ما يتعلق بهذا فأوحى إليهم ربهم أي إلى الرسل عليهم السلام لنهلكن
الظالمين أي لا يجرى القول لأنه ضرب منه فلا حاجة إلى إضمار القول أو يجري به لكن
ولنسكننكم الأرض أي أرضهم وديارهم إليها اعتبارا لا وجه كقوله تعالى وأورثنا

من بعدهم من بعد إهلاكهم كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الأرض ومغاربها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ذلك إشارة
إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر محقق لمن خاف
مقامي أي موقفي الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة لأنه موقف الله تعالى أو قيامي
عليه وحفظي لأعماله أو على إقحام المقام وخاف وعيد أي وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود
للكفار واستفتحوا أي طلبوا الفتح واستنصروا الله على أعدائهم أو سألوا الفتح بينهم من الفتاحة
وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى إليهم ربهم
وقرئ واستفتحوا على لفظ الأمر عطفا على لنهلكن أي أوحى إليهم ربهم وقال لهم ليستفتحوا
والضمير للأنبياء عليهم السلام أو قبل للمرسلين فإنهم سألوا الله أن ينصر الحق ويهلك المبطل
وخاب كل جبار عنيد أي خسر المستفتحين معطوف على محذوف تقديره فنصروا أو فظفروا
وأفلح المؤمنون وخاب كل جبار عنيد متكبر على الله تعالى معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة إذا كان
ما قدره من المستفتحين ومقابلة النجاح وهو إذا كان الطلبة والعنيد هو المعاند إلا أن فيه
والعناد الامتناع من الحق مع العلم ومعنى الخيبة إذا كان الاستفتاح من الكفرة من الفشل
كان أوقع من ورائه جهنم أي من بين يديه فإنه واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في
الآخرة وقيل من ورائه يطلق على الخلف كما في قوله من الجهات التي يواريها الشخص من خلف
وأمامه من لا يبصرها أي ورائي ويطلق على القدام كما في قوله

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائي

وكأنه من الأضداد ويسقى عطف على محذوف تقديره يلقى فيها ويسقى من ماء للتكثير
التهويل أي نوع من الماء غير معهود يسقيه قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من
أجساد أهل النار صديد هو قيح أو دم مختلط بماء يسيل من الجرح عطف بيان لماء أبهم
أبهما ثم بينه بالصديد وتخصيصه من بين أنواع العذاب بالذكر إيذانا بأنه أشد أنواعها
قال يتجرعه ولا يكاد يسيغه للمبالغة أي يتكلف جرعه ولا يقارب أن يسيغه فكيف
بالإساغة بل يغص به فيطول عذابه وإساغة الشراب جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس
والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار وما يلزمه من التكلف فيه ما في الحديث
محمول على ذلك وقيل لا يجرعه بعد المشقة إلا بعد الظمأ في يسيغه ويأتيه الموت أي أسبابه
مع الشدائد من كل مكان فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل الأماكن في الجسد تنبيها
على أن المراد أسباب العذاب الجسماني أي أسباب العذاب المرغوب عنه فيه وذلك من الجهة

قربها وسعتها ايضا بما يلاقي المكان وقيل من كل مكان في جسده حتى من اصول شعره وابهام
رجله وما هو بميت اي ليس من فاقد الحس والشعور حتى لا يتالم بل الحي يعذب بالمصيب
سائغ شائع في كلام الفصحاء وقد حسنها هنا توقعه لما قبلها من الابهام الى ان موجب
ما ذكر من مجي اسباب الموت من جميع الجهات من ان يكون ميتا وتحمل الاية على حقيقته فقد
نزل الكلام عن منتهى المناسب لارادة الحقيقة لامانه بسبقه المضارع كما في قوله ثم
لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ في كل وقت يستقبله
اي يتلقى عذابا اغلظ مما كان قبله ففيه دفع ما يتبادر الى الوهم من انه يخفف عنه
بالاعتياد كما هو المعهود من عذاب اهل الدنيا مثل الذين كفروا بربهم مبتدا الخبر
محذوف اي فيما يتلى عليكم مثلهم الصفة التي فيها غرابة اعمالهم كرماد
جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل على تقدير مثل اعمالهم والخبر كرماد
ويجوز ان يكون الخبر هذه الجملة كما ذكر في قوله مثل الجنة اي صفة الذين كفروا اعمالهم
كرماد ذلك صفة … تعرضه محصل وما لا يتبدد ولا … هذا الكلام اشتدت به الريح
اي حملته واسرعت في الذهاب به لانه … الاسراع بالحركة على عظم الخفوق …
به الريح لانه اسرع اليه … في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه
للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفك
الاسارى واكرام الضيفان واغاثة الملهوفين واجارة المستجير في حبوطها وكونها
منثورا لعدم بنائها على اساس صحيح من المعرفة والتوحيد والايمان بالله تعالى وبرسله
عليهم السلام وباليوم الاخر برماد تذروه الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما
كسبوا باعمالهم على شيء التنكير للتقليل والتعبير بالوجه الاخير اي لا يرى له اثرا من
الثواب ولا تخفيف العذاب بحبوطه وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم وهو بناء
اعمالهم على غير اساس … هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب
والخلاص عن العقاب الم تر خطاب لكل واحد من الكفرة على التلوين لقوله تعالى ان يشا
يذهبكم او لكل مخاطب على العموم وفيه تعجيب ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
فيما يجب ويحق ان يكون الامر عليه ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد اي هو قادر
على خلق السموات والارض فهو قادر على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا اخر … على
… وان القدرة على خلق الاصول … على … خلقهم … الطبايع …
… على ان اعدامهم وانشاء خلق اخر غيرهم … بقوله

وما

وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر بل هو هين عليه يسير لانه قادر لذاته
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يتقى ويخاف عقابه
ولا يعبد الا هو وحده وبرزوا لله جميعا اي يبرزون له تعالى يوم القيامة من قبورهم
لحساب الله تعالى وحكمه او يظهرون له تعالى باعمالهم وما اكتسبوا على خلاف ما حسبوا
لانهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك يخفى على الله
تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله وعلموا ان الله لا يخفى عليه … شيء
في الارض ولا في السماء ولا يبقى عنه مستورا …
… بعد ما اعتقدوا خلافه وكون الانكشاف على … اليوم حديد لانهم كانوا في
… في ذلك اليوم لا يخفى عليه … في صيغة …
لتحقق وقوعه كانه وقع واخبر عنه فقال الضعفاء اي الاتباع والعوام جمع ضعيف يريد
به ضعاف الراي … في الكلام … كتب بالواو على لفظ
من يفخم الالف قبل الهمزة … الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم
واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع
كخدم وخادم او مصدر نعت به للمبالغة واضمار المضاف في مثله لا يناسب البلاغة …
ان هذه المحاورة كمحاورة ال فرعون المذكورة في قوله تعالى واذ يتحاجون في النار فيقول
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا الى اخره في النار لا في المحشر … فقال
على الحقيقة لا على الذكر فهل انتم مغنون عنا استفهام معناه توبيخهم …
وقد علموا انهم لن يغنوا عنهم شيئا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان وقعت موقع
الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول به اي بعض شيء هو عذاب الله …
كلاهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله … بعض شيء …
الاعراب … قالوا اي
المستكبرون لما بكتهم اتباعهم … انهم لا يقدرون على شيء من الاغناء …
معتذرين اليهم عما كان منهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا
فاضللنا اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا سبيل الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر … والهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله سواء
عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم ولما كان عتاب الاتباع من جزعهم مما هم فيه قالوا ذلك …

الجزع إنا اشتركوا في العذاب كما اشتركوا في الضلال لذلك لا ينفعنا الجزع كما لا ينفعنا
الصبر والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال الشاعر

إن تصبرا فالصبر خير مغبة ۞ وإن تجزعا فالأمر ما تريان ۞

ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو
اسم مكان كالمبيت والمصيف ومصدر كالمغيب والمشيب وقال الشيطان خطيبا في الأشقيا
من الثقلين لما قضي الأمر قطع وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار
النار إن الله وعدكم وعد الحق وعدا حقا لا خلف فيه فوفى لكم وأنجز وهو البعث
والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا حساب وإن كانا فالأصنام تشفع لهم
فأخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه وعدهم خلافا استحقوا من الجلالة الأولى ما انتهت مقابلة في
الأولى وهذا من لطائف الإيجاز التي بها يرتقي الكلام إلى ذروة الإعجاز وما كان لي عليكم
من سلطان تسلط فألجئكم إلى الكفر والمعاصي إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم
إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وهذا الاستثناء على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
لأن الدعاء ليس من جنس السلطان بل المراد نفي السلطان على كل الوجوه كأنه قال إن كان
الدعاء سلطانا كان لي عليكم سلطان فاستجبتم لي أسرعتم إجابتي فلا تلوموني بوسوستي
وإضلالي فلا تلوموني على طريقته لا لنهاك لم تكن لذلك فاكتسبتم في الفلك وجربتم
ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم بي حين دعوتكم بلا حجة ودليل فأطعتموني ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم
على حجج وبينات وليس فيه أنه لا يستحق الملامة بل يقول لو لم تكونوا لي بكم إذا نسخرها كثيرا
انتسكوا بما تكذبوا طوعا ولا دلالة فيه على استقلال العبد في أفعاله وتكليفه في استحقاق اللائمة
أن يكون للعبد ربما كان سببه متحالا فيه ومن قال وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار
الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله تعالى إلا التمكين ولا من الشيطان إلا
التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم
الكفر وأجبركم عليه فتعقل في كلامه وتخطى في تمشية مرامه فإن ما ذكراه لا ينافي عن مذهب
أهل الحق وما ذكره ثانيا وهو مذهب الباطل لا يناسب كلام الشيطان أيضا وقد نبهت فيما
سبق على أنه لا دلالة في كلامه عليه وما ذكره أخيرا إنما يتجه على الجبرية لا على أهل الحق
القائلين بالجبر والاختيار بلا مرية في ذلك ما أنا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما أنتم
بمصرخي بمغيثي وقرئ بكسر الياء وقد طعن ما بين فيه ولا ينبغي أن يلتفت إليه لأنها قراءة
متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم الخلف وقد نص قطرب على أنه لغة بني يربوع إني

كفرت

كفرت بما أشركتمون من قبل ما مصدرية ومن قبل متعلق بما أشركتموني أي كفرت اليوم
بإشراككم إياي بالله من قبل هذا اليوم في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة
يكفرون بشرككم أو موصولة ومن قبل متعلق بكفرت وما بمعنى من كالتي في سبحان ما سخركن
لنا أي كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم فيما دعوتكم إليه من عبادة الأصنام
وغيرها من قبل إشراككم حين أبيت السجود لآدم وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية إلى
مفعول ثان إن الظالمين لهم عذاب أليم تتمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى وفي
حكاية قول الشيطان لطف للسامعين وتنبيه لهم على ما يؤول إليه أمرهم
ليعتبروا اليوم من مكائده ويتعوذوا بالله تعالى من نزغ الشيطان بحيله فيتخلصوا من تسليطه
وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم
متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله تعالى وأمره وقرئ وأدخل الذين وعلى هذا معنى
على قراءة وأدخل على التكلم فلعله في سورة الرعد تعلق بما بعده تحيتهم فيها سلام
أي تحية بعضهم بعضا كما قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني في الجنة سلام وأما تحية
الملائكة فالأنسب بها التحية يقول لهم فيها لو قولها من خزنة الجنة وهم من الملائكة قبل الدخول
فيها قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ألم تر كيف ضرب الله
مثلا قد تقدم الكلام فيه في أوائل سورة البقرة كلمة طيبة بدل من مثلا كشجرة طيبة
صفتها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة أو منصوب بفعل مقدر أي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة والجملة مفسرة لقوله ضرب الله مثلا أو مفعول أول لضرب ومثلا ثانيا بتقدير الجار
أي ضرب بجعل وجرى كلمة الرفع على الابتداء أصلها ثابت في الأرض ضارب بعروقها
فيها وفرعها أي أعلاها ورأسها أو فروعها أي أفنانها على الاكتفاء بالجنس لكسبه الجمع
من الإضافة في السماء أي صاعد في جهة العلو ويحتمل الحركة الأولى ما أثبت مقابلة في الجملة
الثانية ومن الثانية ما أثبت مقابلة في الأولى وهذا نوع من البديع أن الشجرة إذا كانت أبلغ
في الانتفاع ويحتمل ثابت أصلها والأول أولى لأصل مقابلة لذلك قيل إنه أقوى لأن الخبر عند الفصل
من الأصل لا التجزيء وإذا أجريت الصفة على الشجرة كان الفصل في ثبوت الشجرة بأصلها
فلم يثبت منها حين كان تبعا له وأفضل منها ولكن على الثاني فهو كالتي ما هو له في الثاني كذلك
أي لم يستعمل له وهو ظاهر إذ كان المقصود إثبات الوصف على سبيل النوع كما نحن فيه تؤتي أكلها
تعطي ثمرها كل حين كل وقت وقته الله تعالى لإثمارها عن ابن عباس أن المراد من الشجرة النخلة
لكنها الطلع والبسر والرطب والتمر ثم دالا لا ينقطع وكذا حال المؤمن لا يخلو عن الطاعة وقت

بتحين ومن لم يجتنب معلنا فالكل وقت وقته الله لاثمارها **باذن ربها** بتيسير خالقها
وتدبيرها **ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** لان في ضربها زيادة افهام وتصوير
للمعاني في صورة المشاهدة وادنا المعقول من المحسوس **ومثل كلمة خبيثة كشجرة** كمثل
شجرة **خبيثة** اي صفتها كصفتها **اجتثت** استؤصلت لان اجتثاث اخذ الجثة بالكلية **من**
فوق الارض لان عروقها قريبة منه **ما لها من قرار** استقرار واختلف في
الكلمة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة
بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق والاولى ان يفسر كل منهما بما يعم الكل
فيعم الكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف
ذلك وقد مر تفسير الشجرة الطيبة وفسرت الشجرة الخبيثة بالحنظلة **يثبت الله الذين آمنوا**
بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم واعتقدوه اعتقادا
يمتنع زواله **في الحيوة الدنيا** وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا افتتنوا في الدين لم يزلوا
كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود **وفي الآخرة** وتثبيتهم
فيها انهم اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف لم يتلعثموا او لم يدهشهم الاهوال وقيل
معناه الثبات عند سؤال القبر روي في الخبر المرفوع **ويضل الله الظالمين** الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن **ويفعل الله ما يشاء**
من تثبيت بعض بالهداية واضلال آخرين بالاضلال من غير اعتراض عليه **الم تر** الم تنظر
الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله **كفرا** بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس
نعمة الله كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة
خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلة
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر **واحلوا قومهم** الذين تابعوهم في الكفر **دار البوار** دار
الهلاك بحملهم على الكفر **جهنم** عطف بيان لها **وبئس القرار** المخصوص بالذم محذوف تقديره
وبئس القرار هي جهنم **وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله** الذي هو التوحيد
وقرئ ليضلوا بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم من اتخاذ الانداد لكن على سبيل التشبيه
والتقريب لانه لازمه ونتيجته كالاكرام الذي هو نتيجة المجيء في قولك جئتك لتكرمني فادخل
عليها اللام لاعداده لم يكن غرضا في الحقيقة **قل تمتعوا** بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من
قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفيه تهديد بليغ جعل انهماكهم في الشهوات وثباتهم على الشرك

والذات كانما مأمور مستطيع لامر آمر مطاع لا يسعه ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا
دونه لانغماسهم في التنعم بها واتخاذهم ايها بحيث لا يرجعون عنه ولا يريدون بدله
ولا يرغبون واشار الى ما عداه فقيل تمتعوا على لفظ الامر **فان مصيركم الى**
النار ايذانا بان المهدد به كالمطلوب لهم حتى جعل المهدد كعلة لما كان المطلوب
منهم الجد فيه فكانه قيل جدوا ولا تقتصروا فيه فانكم ان داوموا عليه فان المطلوب
حاصل ولا يخفى ما فيه من التهكم مع شدة الوعيد **قل لعبادي الذين آمنوا** خصهم
بالاضافة الى نفسه تنويها لهم وتنبيها على انهم القائمون بحقوق العبودية ولهذا رتب
اقامتهم الصلوة وانفاقهم على الامر جوابا له فقال **يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم**
ايذانا بان فعلهم لا ينفك عن امر الرسول المتحقق لانقيادهم وتحقق جودتهم لله تعالى
كالسبب الموجب لفعلهم ومقول القول محذوف دل عليه جوابه اي قل لعبادي اقيموا الصلوة
وانفقوا وقيل هو القول ليقيموا وينفقوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الدالة عليه **سرا وعلانية**
نصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية
او على المصدر اي انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفتدي به
نفسه **ولا خلال** ولا مخالة فيشفع له خليل ومن قبل انيا في يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ومخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرئ بالفتح فيهما على النفي العام **الله**
الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر **وانزل من السماء ماء فاخرج** اي بالماء والفاء للتسبيب
الاخراج بالانزال **به من الثمرات رزقا لكم** تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه او بالعكس ويجوز ان يكون رزقا نصبا على المصدر من
اخرج لانه في معناه او على المفعول له **وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره**
بمشيئته الى حيث توجهتم **وسخر لكم الانهار** فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل
تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وقوله بامره متعلق بالخط فيمكن قيل في قوله
تعالى لم تكن امنت من قبل او كسبت **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** يدأبان في سيرهما
وانارتهما واصلاح ما يصلحان من المكونات **وسخر لكم الليل والنهار** يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم
ذكر انواع النعم بعد ذكرها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على عظم مكانها **وآتاكم**
من كل ما سألتموه من كل شيء سألتموه بلسان الحال او المقال لاحتياج ما يصلح به معاشكم ومعادكم
على ان من للتبعيض ويجوز ان يكون السؤال طايعا على انه كل للتكثير والتفخيم

لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء وحمل من على التبعيض يغني
اي اخلاء لفظ كل عن فائدة زائدة لان ما نص في العموم بل يوهم ايتاء البعض من كل فرد يتعلق به
السؤال ولا وجه له ومن قال اي بعض جميع ما سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف
بعض ما قدره الله تعالى فقد ابعد في تحليل ما لا يناسب المقام لان الكلام في ان الحصول
بعض المسؤل فكونه بعض المقدر لا يجدي نفعا في بيانه وقرئ من كل بالتنوين فما في محل
النصب المفعولية او نافية ومحل ما سألتموه نصب على الحال اي اتاكم من كل شيء غير سائليه **وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها** لا تحصروا عددها كما قال من احصاها دخل الجنة يعني انها
غير قابلة للاحصاء لعدم تناهيها فان نعمة النفع وان كانت افرادها متناهية لدخولها تحت
الوجود كذا نعمة الدفع اي دفع الضر ما لياكل [illegible] ولكن نعمة الدفع غير متناهية **ان
الانسان لظلوم** يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان بسيما فاذا
ينبغي ولا ينبغي يستحق به حرمانه تعالى **كفار** شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع
كفار في النعمة يجمع ويمنع **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد** بلد مكة **امنا** ذا امن
لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا انه سال ثمة ان يجعله من جملة البلاد
الامن اهلها وهمنا ان يزيل الخوف عنه ويصيره امنا فكانه لا تحيط القايل فهو المنتقل
الثاني فيكا [illegible] منزلة الغير **واجنبني وبني** بعدني واياهم **ان نعبد الاصنام** واجعلنا
منها في جانب عري واجنبني من [illegible] ما اهل الحجاز يقولون جنبني شره **رب
انهن اضللن كثيرا من الناس** فلذلك سألتك ان تعصمني وبني منها والاضلال الى الاصنام
مجازي لانهن السبب فيه اذ لهم كثرة عن الحياة الدنيا وما ترجا اذ فيما الا تخصص طلب
العصمة عن الضلال تداركه بدفع هذا السؤال بقوله **فمن تبعني** بالسلوك في الصراط المستقيم
والتمسك بالدين القويم **فانه مني** اي بمنزلة بعضي لشمول الطلب للعصمة فكانه قال ولا
اخصص طلب العصمة بهم فان من تبعني فهو في حكمهم فكما ان انبيا لا شبهة فيها التعليلية
للعطف في محذوف يقتضيه المقام فخشيت ان يخطر الكلام في نظر الجنس نظم هذا الله
ولطف طلب الامهال لسائرنا لاتباع دعاه الا ويعلق لهم **ومن عصاني** فيما طلبا قد ممتوى
لان للتبعيض ما احقا **فانك غفور** تستر عليه ذنبه **رحيم** تمهله ولا تعاجله بالعذاب
وهذا على وفق ما اخبر به تعالى بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ولا دلالة فيه
على ان الله تعالى ان يغفر الشرك كما زعم من قال لم يجب تعيين يقدر ان يغفر له ويرحمه بان
او بعد التوفيق توجيه بدليل على ان كل ما بغفلة ان يعفو ثم الشرك الا اذا الوعيد فرق بينه

وبني غير ترجمة لما ينبغي ان هنا لما تراه بدا المذكور بعد هذه بينه بكلمات الله لا لا له **ربنا** كرر الندا
رغبة في الاجابة بتوالي اظهار التذلل والافتقار بحضرة الجمال لانه تقدم ذكره وذكر بنيه **اني اسكنت
من ذريتي** بعض اولادي وهم اسماعيل عليه السلام ومن ولد منه فان اسكانه متضمن
لاسكانهم **بواد غير ذي زرع** يعني وادي مكة شرفها الله تعالى فانها حجرية لا تنبت
شيئا الجبل ومن ذلك قيل للاتهام لحطا لم قويه لا زرع فيها كالجبال التي لا زرع كل نبات
يثمر شيئا من غير ساق **عند بيتك المحرم** هو الكعبة شرفها الله تعالى والاضافة الى الله تعالى
للتشريف وتوصيفه بالمحرم لان يحرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه
من لدن واد غير ذي زرع اخبار منه صلوات الله عليه وعلق تفويضه ووقع عنده بيتا لبيان ان تردى
الرزق في الحوار [illegible] فيما ابار **ربنا ليقيموا الصلاة** اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم وقيل في لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلاة كانه لما انه اسكنهم هنا لك طلب منهم ان اقامة الصلوة وسال الله تعالى ان
يوفقهم لها وتكرار الندا وتوسيطه للاشعار بانها المقصود بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود
من الدعاء فيوفقهم لها **فاجعل افئدة** ذوي افئدة **من الناس** من للتبعيض ولذلك لم
يقل من الناس لدخل عليها فادخلها الروم وفارس والهند ولا يبتدأ الغاية كقولك القلب
مني سقيم اي قلبي وقرئ افئدة وهي متعلق بافئدة كالمسفا دون سوا ما اشرقا على ارشدت
الرجل اذا علما اي جماعة يعجلون تحوهم ويقرى افلي اما ما بينا فليدن بتحفيف وتحقيق
اقله يطرح الهمزة وان كان الوجه اخراجها بين بين **تهوي اليهم** تسرع اليهم نظير لحوق
شوقا واصل الهوي كان يكون من علو يكرمه الشرعة وقرئ تهوي على البنا للمفعول من هوى
اليه واهوا غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى تعديتها
وارزقهم من الثمرات مع سكانهم في واد لا نبات فيه **لعلهم يشكرون** تلك النعم فاجاب
الله تعالى دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعل اليه من كل ناحية حتى يجتمع
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد **ربنا** كرر تعميما
لالتجا الى الله تعالى واظهارا للافتقار اليه واستيلا دا ودعا منه الاجابة **انك تعلم
ما نخفي وما نعلن** قدم ما نخفي على ما نعلن تحقيقا لعلمه سلوك طريق الترقي لان مبناه على التفاوت
في علمهما وهو منتف في حق الخالق اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت بينهما في علمك
فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا فلا حاجة بنا الى الدعاء كما ننفعل لطلبها
لنبتو بتدلل التذلل للحضرت فاشفا لا لا [illegible] قضاء الدين الى وجه انتفا لا

قبلنا عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء **وما يخفى على الله**
من شيء لعله اندرج في كلام ابراهيم عليه السلام بطريقة الالتفات تأكيدا لما لديه بينا له
بالبرهان وتعظيما لله تعالى باظهار اسمه وتربية للمهابة فكأنه قال وكيف لا تعلم ذلك
وانت العالم بالغيب كله لا يخفى عليه شيء ما فيه ومن للاستغراق فهو ان جعل من كلام الله تعالى
كان تصديقا منه لابراهيم عليه السلام على طريقة الاعتراض بين كلاميه كما في قوله تعالى
وكذلك يفعلون **في الارض ولا في السماء** عبر عن العالم بقطريه **الحمد لله الذي وهب لي**
على الكبر في محل النصب على الحال اي وهب لي وانا كبير حتى كانت الهبة في حال الكبر بعد
استمرار عدم الولد فلذلك لا ادل على النعمة لو لم تنل الولد فيما بعد اذ حصل في سن الكبر بل
كانت بعد ما استمر زمن من الزمان عليها الذي كلفه على ما روي عن سعيد بن جبير رضي الله
عنه انه لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وتعليق الهبة بحال الكبر تعظيما
للنعمة واظهارا لما فيها من العبرة وتذكيرا لما هو … من الكرامات … الى العظم
واجلى ولانها في ذلك كانت اجابة لدعائه عليه السلام **اسمعيل واسحق** كان اسمعيل عليه
السلام اكبر من اسحق عليه السلام فلذلك قدم عليه **ان ربي لسميع الدعاء** لمجيبه من قولك
سمع الملك كلامه اذا اعتد به وجعله فيه سمع الله لمن حمده كان عليه السلام قد دعا
ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فحين تحقق الشكر حمد الله تعالى على ما وهبه
الولد واثنى عليه في قبول دعائه … الحمد لله وتذييل … موقع الاعتراض
تأكيدا لما قدمه من الطلب بتذكير ما عهده من الاجابة يتوسل اليه تعالى بسابق نعمه … به
والسميع من ابنية المبالغة … الى مفعوله … فعله لكن … بالنداء ويجوز
ان يكون من اضافة الصفة الى فاعلها على ان يجعل دعاء الله سميعا مجازا عقليا والمراد سماع
الله تعالى **رب اجعلني مقيم الصلوة** معدلا لها مواظبا عليها **ومن ذريتي** عطف على الضمير
في اجعلني اي بعض ذريتي وانما خصصها لانه علم باعلام الله تعالى اياه ان في ذريته
كفارا … لا ينال عهدي الظالمين **ربنا** تكرير النداء … عطف … **وتقبل**
دعائي واستجب دعائي او تقبل عبادتي **ربنا اغفر لي ولوالدي** … فقد
استغفاره لابويه … عليهما السلام **وللمؤمنين** دعا
بالمغفرة لجميع المؤمنين … الامة … الصلوة …
تعالى … **يوم يقوم الحساب** اي يثبت
من قيام القائم على الرجل … على ساق … بالاسناد المجازي

وهو ادخل في … على حذف المضاف … يكون للاسناد مجازيا في الكلام مالا يخفى من الايهام
… او يقوم اليه اهله بحذف المضاف واسناد … مجازا … الاسناد
وحده **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
النهي عن … الحسبان المذكور … اي لا تحسبن … انه تعالى مطلع على احوال
واعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك فان تأخير العذاب عنهم … عليهم في العقوبة …
… ولكل احد من يستعجل عذاب الظالمين او يتوهم … انه يجب ان يحله تعالى فيهم
عليهم فيتسلى … فان المجازي … المتضرر
الظالم الظلوم … قال ابن عيينة انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم **انما يؤخرهم** اي
تأخير … عذابهم … على سبيل المجاز … العذاب في ذلك اليوم يكون
… بحسب **ليوم تشخص فيه الابصار** اي تبقى منفتحة لا تطرف
… ذلك اليوم … الحالة … هذا … الابصار …
… وهذا ابلغ في التهويل … المعنى تشخص ابصارهم فقد
… الجوهري … التخصيص
… **مهطعين** … المهطع الرجل اذا اقبل
ببصره على الشيء لا يقلع عنه وبه فسر ابن عباس … المهطع الذي
… **مقنعي**
رؤسهم … **لا يرتد اليهم طرفهم**
اي تبقى عيونهم … لا تتحرك اجفانهم …
اليهم … الابصار …
بالشخوص … **وافئدتهم هواء** اخلاء …
بالهواء … الخلاء …
… اي … فالهواء …
… عن … المنزلة …
وقيل … الخوف والفزع الذي … في الاعراف
… **وانذر الناس** خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم **يوم ياتيهم العذاب** يعني
يوم القيامة … الموت … **فيقول الذين**
ظلموا … التكذيب **ربنا اخرنا الى اجل قريب** اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد

وحدثني الى امد قريب او اخرا جالنا وامهلنا ما نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك
واتباع رسلك فقوله **نجب دعوتك ونتبع الرسل** جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل
قريب فاصدق واكن من الصالحين **او لم تكونوا اقسمتم من قبل** على ارادة القول
وجواب القسم **ما لكم من زوال** واقسامهم على نفي الزوال عن الدنيا اما لغاية الغفلة
او لانهماك في الجهل وغلبة البطر او لاشعارها بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا
كانهم اقسموا على انهم لا يموتون فيها وانما قيل ما لكم على المطابقة لاقسمتم ولو حكي قول
المقسمين لقيل ما لنا من زوال اي اقسمتم انكم لا تزولون عن الدنيا وقيل معناه لا ينتقلون
الى دار اخرى كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اي اقسمتم
على انكار البعث **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصي كعاد
وثمود ساير بين بيوتهم واصل سكن ان يتعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجري مجراه كقوله اسكن انت وزوجك الجنة ولكن سكن هنا خاص فتركه على الاصل
ويجوز ان يكون بمعنى السكون اي لبثتم فيها واقمتم **وتبين لكم كيف فعلنا بهم**
بما شاهدتم من اثار ما نزل بهم في مساكنهم وتواتر اخبارهم عليكم فلم تعتبروا ولم ترتدعوا ولم تحذروا
انفسكم مما نزل من عذاب الله **وضربنا لكم الامثال** اي صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي
امثال الاسابق بين الناس في غاية الغرابة تستحضر وتبين لكل ظالم وبينا انكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب **وقد مكروا مكرهم** الذي استفرغوا فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وهو
المكر المخصوص بهم ليس لاحد مكر فيختص به **وعند الله مكرهم** الذي يمكر بهم وهو العذاب
الذي ياتيهم بغتة من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون لاستحقاقهم ذلك بمكرهم
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وزوال الجبال اصل لعظم مكرهم وشدته اي ولو
كان مكرهم لشدته وعظمه مسوى معدا لزوال الجبال منه كانوا اذا اعظموا الشيء وصفوه
بمثله قال الشاعر: الما اخبر الزبير تضعضعت ° سور المدينة والجبال الخشع °
اي وان تعظم مكرهم فعند الله المكر الذي يبطله والمكر الاول مضاف الى الفاعل والثاني
مضاف الى المفعول ويجوز ان يكون الثاني ايضا مضافا الى الفاعل اي وعند الله مكرهم
الذين يمكرون الرسل به يعني مكتوب عنده فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وان كان
مكرهم مما يضرب به المثل في العظم وقيل ان نافية وان كان مكرهم باقية واللام لتاكيد النفي
كقوله وما كان الله ليعذبهم وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو
كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقرئ بالفتح والرفع على انها الفارقة

ومعناه

ومعناه لتعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم
والجمهور على انها ان الشرطية وجواب الشرط محذوف وقد دل عليه وعند الله مكرهم **فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله** مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف
رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله **ان الله عزيز** غالب لا يماكر قادر لا يدافع
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالنهي
عن الحسبان المذكور الامر بعلمه على ابلغ وجه وهو الجزم بنصر المؤمنين واهلاك الذين
اي فكن على ثقة بقضيتي لا تعجيزه وعدنا كذبنا الاعزاز للاسلام واهله والاذلال
للكفر والانتقام من اهله **يوم تبدل الارض غير الارض** بدل من يوم ياتيهم العذاب
او ظرف للانتقام ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده **والسموات**
عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات اي تبدل الارض المعهودة ارضا اخرى
والسموات المعهودة سموات اخرى والتبديل هو التغيير اما في الذات كقولك بدلت الدراهم
دنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها واما في الصفات كقولك بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وجعلتها خاتما بتغيير شكلها ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات والاية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخط عليها احد خطيئة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد
° وما الناس بالناس الذين عهدتهم ° ولا الدار بالدار التي كنت تعلم °
ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض
فتبسط فتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم
على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني
ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب
الفجار لفي سجين وقوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين **وبرزوا** من اجداثهم
لله الواحد القهار لان البروز مسوقا للوعيد كان الوصفان المذكوران ترجيحا
له بيانا لشانه الامر فيه ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الامر
والملك اذا كان لواحد لا شريك له فيه ولا مغالب لا مستغاث لاحد لا
مستجار كان الامر في غاية الصعوبة **وترى المجرمين يومئذ مقرنين** بعضهم مع بعض

لاشتراكهم في العقائد والأعمال كقوله وإذا النفوس زوجت أو مع الشياطين الذين أضلوهم
على الاجرام أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ويجوز أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم
بما اقترفته أيديهم وأرجلهم فكأن أيديهم غلا إلى أرجلهم **في الأصفاد** متعلق بمقرنين
أو حال من ضميره قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه أصفاد وفي الصحاح
الصفاد ما يوثق به من قيد وقد يعلا أي يوثق وقول الشاعر وذا الاقي صفادا يعني
بما علقه بعطيتها فقطابه في الأصفاد واحدا لجمعهما فكأنه نوع من الغل يجمع فيها الرجل واليد
وقيل إنه على العنق **سرابيلهم** أي قمصهم جمع سربال **من قطران** فيه ثلاث لغات قطران
لغات فتح القاف مع كسر الطاء وسكونها وكسر القاف مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من
شجر الابهل فيطبخ فيهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن يشتعل
فيه النار بسرعة يطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع
القطران ووحشة لونه ونتن ريحه وسرعة اشتعال النار بهم على أن التفاوت بين القطران
كالتفاوت بين النارين ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بنفوسهم من تلك الهيئات الردية
والملكات الفاسدة الوحشية فتجلب إليها أنواعا من الآلام والآلام العذاب وعن يعقوب
قطرآن أي نحاس مذاب بالغ حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير
في مقرنين وإنما جيء بالجملة اسمية لأن سرابيل القطران لما يتحقق الأنواع الأربعة
المذكورة أقطع من الصفد وإنما يسوى بالجرباء لاستحضار المقصود في مقدور ترى لأن الثاني
أهول والأول في بيان حالهم في الموقف إلى أن يكبكبوا في النار والأخرى بيان حالهم
بعد دخولها وكان الأول أحرى من السامع أن يقول فإذا كان هذا شأنهم وهم في الموقف
فكيف بهم وهم في جهنم خالدون فأجيب بعرض السرابيل من قطران وأوثر لفعل المضارع
في قوله **وتغشى وجوههم النار** لاستحضار الحال العجيبة لغشيانها الأعضاء الأكرم
تغشاها الآن لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا مشاعرهم التي خلقت فيها في تدبر الحق
كما تطلع على أفئدتهم لأنها خالية عن المعرفة مملوءة بالجهالة **ليجزي الله كل نفس** أيما
أن يتعلق بمحذوف تقديره يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة **ما كسبت** أو بقوله برزوا
أي ليجزي الله كل نفس مجرمة أو مطيعة ما كسبت واكتفى بذكر عقاب المجرمين ليستدل به على ثواب
المطيعين **إن الله سريع الحساب** لأنه لا يشغله تأمل ولا تتبع ولا يمنعه حساب عن حساب
حتى يستجمع بعضهم عند الاستعجال لمحاسبة الآخرين فيتأخر عنهم العذاب بهذا التعليل
يثبتني وجزاء وما بيان للذيل المذكور بحرة **هذا** إشارة إلى السورة أو إلى ما وصفه من قوله

ولا تحسبن الله إلى قوله سريع الحساب أي هذا الكلام وهذا الكتاب **بلاغ** أي كفاية
للناس في الموعظة والتذكير والإشارة إلى جميع ما في السورة من العظة والتذكير أو في
ليكون كالقلب لكثرة خاتمة على مثال الفاتحة **ولينذروا به** عطف على محذوف أي
لينصحوا ولينذروا بها اللام متعلقة بالبلاغ أو متعلقة بمحذوف أي ولينذروا
بها أنزل أو تلي ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له **وليعلموا أنما هو إله**
واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة على التوحيد والمنبهة على ما يدل عليه
وليذكر أولو الألباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أن الفوايد الثلاث
التي ذكرها هنا البلاغ هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب وهي تكميل الرسل الناس واستكمال
القوة النظرية التي غايتها كمال التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما تم الكلام والحمد لله على التمام

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الإشارة إلى آيات السورة والكتاب والقرآن
السورة وهذا أبلغ على ما قدمنا بيانه في تفسير سورة … واللام في الكتاب
والتنكير في القرآن للتفخيم أي تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وقرآن أي قرآن مبين
مبين لرشد من الغي بيانا غريبا يعني الجامع للكمال الغريب في البيان والإعجاز وما كان في
الشرف من الفخامة وفي التنكير نوع آخر منها لما كان الغرض الجمع عرف الكتاب ونكر القرآن
وعكس في سورة النمل وقد يقدم المعرف في الموضعين لزيادة التنويه **ربما يود الذين كفروا لو**
كانوا مسلمين تمادي بقولهم هذا الكتاب وهذا النبي حين يخرج الله تعالى عصاة المؤمنين
من النار بعد رؤية حسبه فيقع وقيل إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين حين البعث والحساب
أو عند الموت إذا دنا العذاب وقيل في كل الأحوال التي يظهر بها لهم بطلان ما كانوا
عليه من الضلال وهذا أنسب لما قصد بها من معنى التكثير على رأي وإن قل لذلك كانوا
سلف بحكايته وما دخل على لفظ المضي يحكي لك تخلف بأنها لا تدخل إلا على
الماضي لأن ما تحقق للتقليل لكن لما كان المراد من الماضي عقيب من المرتب في أخبار
الله تعالى منزلة الماضي في تحقق وقوعه أجرى مجراه ومعنى التقليل فيه وارد على
طريق العرب في قولهم في موضع التنفع وإن تكاثب الخاطبين لأسباغهم في التندم لعلك
تستدرك بتمام لا تندم على ما فعل ولو وأما التقليل لكل المراد إلا الندم

لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع فما تفعل لكان حقا عليك ان لا تفعل لان قضية العقل
التحرز عن الضرر المظنون والقليل فكيف والاستيقان فلعل التمني للندم الكبير محقق اي لو
كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة
وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وربما بالتاء ربتما وما كافة تكفه عن العمل فيجوز دخولها على الفعل
وقيل نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر **ذرهم** اتركهم **يأكلوا**
تخصيصه بالذكر مع انه داخل فيما بعده لانه **ويتمتعوا** وتهديد عليه بالتنبيه على تخلقهم من
الحيوان الدنيا حظا لبهائم يأكلون ويتمتعون والاقتصار على الاكل لان الاكل يستتبع
الشرب عادة فذكره يغني عن ذكره ويتمتعوا بدنياهم ويشتغلوا فيها بلذاتهم **ويلههم الامل**
ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار وتمنيهم بان امورهم واحوالهم على وفق هواهم عن الاستعداد
للمعاد **فسوف يعلمون** وخامة عاقبتهم وسوء منقلبهم اذا عاينوا جزاءهم فيه تهديد وتبعيد
وتعيير بايثار التنعيم وطول الامل لا الامر بالقتال لان الامر بالقتال لا يكون الا بعد تكرار
الانذار بعد ثبوت العجز وكذلك ما ترتب عليه من قطع الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم وايذانه
بانهم من اهل الخذلان لا يتركون التمتع والتجبر فيهم الا هنا **وما اهلكنا من قرية**
اهلاكها كناية عن اهلاك اهلها باقامتهم مقامها بعلاقة المجاورة في القرية فلا ما تقدير المضاف
فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة **الا ولها كتاب معلوم** اجل مكتوب
في اللوح معلوم عند الله تعالى لا يتغير ولهذا قال **ما تسبق من امة اجلها** اي كتابها
اي لا يتقدم انتهاء عمرها عن وقته **وما يستأخرون** اي عنه فحذف للعلم به وحيث قال تسبق
بالنظر الى كلمة امة جمع في قوله يستأخرون بالنظر الى المعنى والكلام متصل بقوله
فسوف يعلمون اي العذاب عيانا بالنسبة الى معنى الذي جعلناه اجلا له اخرناها اليه
لما كان في علمنا ايمان من يخرج من اصلابهم فاذا بلغ الكتاب اجله حق كلمة العذاب على
كافرهم ولم يتأخر عنهم وجملة المستثنى واقعة صفة لقرية لانها في معنى العموم
قريبة من المعرفة اذ المراد فرد مبهم من القرى وهذه الواو هي التي تتخطى الحال لذا التي تعد
في اللفظ صفة لها في المعنى ومنه قوله تعالى وجعلوا بها ونحوها
على الصفة المذكورة لكون القرية نكرة فرقا بين الحال بان لا تتوسط الواو بين الصفة والموصوف
وانما جي بها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في الحال نحو جاءني زيد عليه ثوب
وعليه ثوب فهو نعت لان الواو انما جي بها اليه يتنبه الحال بالصفة لنفي الحال
النكرة الا نرى انه لو قلت جاءني رجل وعليه درع كيف انحرف الى ما في الباب ان الواو ودفعا

للاشتباه بالمذكور وكذا اهمنا ثم ان فيما اختاره فصلا بين الصفة والموصوف بالاجنبي
غير جائز نص عليه الاخفش وابو علي الفارسي **وقالوا** يعني مشركي مكة على وجه التهكم
يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم الا ترى
الى ما نودي له من قولهم **انك لمجنون** والتعكيس في الكلام للاستهزاء والتهكم طريقي
واسع وتطبيق قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك تدعي انه نزل
الذكر عليك فقول المجانين والمراد من الذكر القرآن **لو ما تأتينا** اي هلا تأتينا ركب لو مع
ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض والفرق بينهما ان التحضيضية
لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسم لفظا او تقديرا عند
البصريين **بالملائكة** ليصدقوك ويشهدوا لك ويعضدوك على الانذار كقوله لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او ليعاقبونا على تكذيبنا اياك كما في الامم المكذبين قبل **ان كنت**
من الصادقين في دعواك اي ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين في دعواهم
ما ننزل الملائكة بالنون مسندا الى ضمير اسم الله تعالى وقرئ بالتاء وهي بالياء
تنزلهم وما تأخر من الفاعل للتعظيم وقرئ بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ
تنزل بمعنى تتنزل **الا بالحق** متعلق بمحذوف قبله او بمحذوف في محل حال من الفاعل او المفعول
اي متلبسين بالحق فتستحقه تحذف فلا استثناء الا متلبسا بالحق بالحكمة والنول
والحكمة في الدنيا بتكذيب مصدق تسناهم عنها ويشهدون بصدقه فانه لا ينتهون كما لا تنتهي
كنه لو لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا في معاجلتكم بالعقاب
فان منكم ومن ذراريكم من سبق له الحكم بالايمان وقيل الحق الوحي وقيل العذاب **وما**
كانوا اذا منظرين جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو انزلنا الملائكة ما كانوا
منظرين **انا نحن نزلنا الذكر** رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقررنا
النزل عليه وقرره بقوله **وانا له لحافظون** اي من الطعن والتحريف والزيادة
والنقصان بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر كما لا يخفى على اهل البلاغة اعجازه وتغيير
نظمه او تغيير بخلاف الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتول حفظها واستحفظها الربانيون
والاحبار ولم يجعل لفظها ونظمها معجزا لا يمكن تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا وغيروا
وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس **ولقد ارسلنا**
من قبلك في شيع الاولين اي ارسلنا رسلا من قبلك بحذف المفعول وقوله في شيع متعلق بارسلنا
او يتعلق بالمحذوف على انه نعت له والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب

من شاعه إذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد بها الحطب الكبار والمعنى
نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قيل وما يأتيهم حكاية حال ماضية لأن ما
لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال ورد عليه بأن
ما يكثر دخوله على المضارع مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا به الاستقبال كقوله تعالى
قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي وأنشد هذا الدخول قول أبي ذؤيب

أودى بني وأودعوني حسرة • عند الرقاد وعبرة لا تقلع

وقول الأعشى في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

له نافلات ما تغب نوالها • وليس عطاء اليوم مانعه غدا

وقيل إنها لا تجوز أن يكون نفيا للأمر المتعلق بإتيانهم ويجوز أن يكون نفيا لحصول فيه
ومعناه الحصر باعتبار الانتظار لرفع باعتبار الحال وإذا كان نفيا لا يفيد حال مقدرة كذلك
نسلك ذلك السلك نسلكه في قلوب المجرمين والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط
في المخيط والرمح في المطعون والضمير للذكر أي ندخله في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول
كالضمير المجرور في قوله لا يؤمنون به وهو حال من هذا الضمير ولا يأبى كونه مفسر
للمعنى الأول ليدل عليه ويعاقب الضمائر بعد أن لم يشكل مع توافقها في المرجع إليه لكنه مخصص
لا يحتمله غير المستهزأ المعني به وقد خلت سنة الأولين استئناف أي وقد مضت طريقتهم
التي سنها الله تعالى في إهلاكهم حين كذبوا الرسل وكذبوا الذكر المنزل إليهم وهو وعيد
لأهل مكة على تكذيبهم وتحقيق هذا الكلام موقع الغاية في سورة الشعراء عند قوله حتى يروا العذاب
الأليم ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
أي يسرنا لهم معراجا يصعدون فيه إليها طول نهارهم ويشاهدون ما هنالك وذكر
الظلول ليكون عروجهم بالنهار مستوضحين لما يرون لقالوا من غلوهم في العناد
وتشككهم في الحق إنما سكرت أبصارنا حيرت من السكر وقيل أصله سكرت أي حبست
كما يحبس بالسكر أي حبست من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أي حبست ومنعت من الإبصار
كما يحبس النهر من الجري بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم بذلك
كما قالوا عند ظهور غيره من الآيات أي هذا أمر تخييلي لا حقيقة له قد سكرت أبصارنا بل سحرنا
به وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار وهذا معنى الأمر
في بل وإنما دلالة على الجزم وقد سحرنا بالآيات إذا قرئ معه ولقد جعلنا في السماء

بروجا اثني عشر المعروفة مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة
مع بساطتها على هذا القول لمخالفة بساطتها متحدة ما دون إثباته خرط القتاد وزيناها بالأشكال
والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها
وحفظناها الضمير للسماء وكذا في زيناها إذ لا وجه لتخصيص تزيين البروج من كل شيطان
رجيم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرف في أمرها ويطلع على أحوالها
رجيم بالنجوم أي مرمي بها إلا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء المتصل
واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة التي للشياطين من سكان السموات
ليسترقوا الغيب لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها بالأثر
في السمع هذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الشياطين غير محجوبين عن السموات فلما بعث
عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا منها جميعا بالشهب
ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر ويجوز أن تكون من في محل
الرفع بالابتداء وخبره فأتبعه أي طلب لحوقه وإنما دخلت الفاء لأن من شرطية أو موصولة
تضمنت معنى الشرط والاستثناء منقطع وقيل إنه بدل من كل شيطان فيكون محل الجر وقيل إن الكلام
موجب فيحتاج إلى تأويله بالنفي لضرورة عدم تمامية الكلام ولأن معناه حفظناها إلا قليل منهم
فإنه ضرورة على قراءة الرفع ومن قال أي تبعه ولحقه وكأنه لم يفرق بين تبعه
وأتبعه والفرق قائم فإن الإتباع إنما إذا الطلب الثاني الأول ليلحقه تبعه تبعا إذا مر
به فقضى معه وكذلك اتبعه اتباعا بالتشديد والحاصل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
يقذفون بها جميعا فإنهم من أحد بين استراق السمع لا يرمى بها فيحرقه فإن أصابه
أحرقه وإن أخطأه خبله فصار غولا يضل الناس في البوادي صريح في عدم اعتبار الأحرق
في الاتباع شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكوكب
والسنان لما فيهما من البريق والأرض مددناها بسطناها هل يحصل
بها الانتفاع لمن حلها وقيل المقصود البسط إلى ما لا يدرك منتهاه ولما كان معطوفا على الجملة
الفعلية قبلها بالجملة الفعلية كان النصب أولى لأن الرجحان للنصب على الابتداء فلذلك نصب الأرض
وألقينا فيها رواسي كما قال فيها على ما يتبادر إلى الفهم من لفظ الجبال الثوابت
في الأرض من الخارج وبيان أن المراد بكونها فيها على وجه يحيط بها كأنها ملقاة عليها رواسي
جبالا ثوابت وتقدم ما يتعلق به في تفسير سورة الرعد وأنبتنا فيها أي في الأرض ولا نبات
في الجبال يندرج فيها لا نبات في الأرض بدون الجبال فلا حاجة إلى جعل ولا وجه لعود الضمير

أي الجبال الشامخة من كل شيء لفظة كل للتكثير أو للتفخيم لا للإحاطة والتعميم ومعد
من نظائرها موزون بميزان الحكمة مقدر بمقدار تقتضيه أو مستحسن متناسب كقولهم
كلام موزون أي ذو قدر ووقع في باب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش قد
مر تفسيره في سورة الأعراف ومن لستم له برازقين نصب عطفا على لكم لا على الضمير
المجرور فإنه لا يجب إعادة الجار أي جعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين من العيال
والخدم والمماليك والأنعام والدواب التي تظنون أنكم رازقوهم ظنا كاذبا والله يرزقكم
وإياهم أو على معايش أي وجعلنا فيها من لستم له برازقين مما ذكرنا من معايشكم وتلك
الآية الاستدلال بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة
فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز أن لا يكون كذلك على كمال قدرته
تعالى وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك
ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه من شيء في محل الرفع
مبتدأ خبره عندنا خزائنه ومن زائدة لتأكيد العموم الخزائن جمع خزانة وهي اسم المكان الذي
يخزن أي يحفظ فيه نفائس الأموال شبه مقدوراته تعالى الممكنة إيجادها إذا تعلقت الإرادة
بما خلقت بعد بنفائس الأشياء المخزونة في الخزائن في أنها تقع وقيل ضربه الله مثلا لاقتداره
على كل مقدور وإيجاده وتكوينه بحسب الإرادة أي ما من شيء من الأشياء الممكنة إلا ونحن قادرون
على إيجاد أضعاف ما وجد منه وما ننزله أي نكونه ونخرجه في عالم الشهود إلا بقدر معلوم
أي بمقدار معين تحد عينته الحكمة واقتضته المشيئة فإن تخصيص كل منها بصفة دون أخرى
وشكل معين ووقت معين دون ما يقابلها لا بد له من مخصص حكيم وأرسلنا الرياح فيه
إشارة إلى أن مقتضى طبع الريح الهبوب وما ذكر بالنسبة إلى الإرسال في هبوبها إلى ما يقتضيه
الحاجة نعمة عظيمة لواقح حوامل أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى
المطاوح جمع مطيحة كقوله ومختبط مما تطيح الطوائح أي المطيحات شبه الريح التي جاءت
بخير كإنشاء السحاب الماطر وإنبات زرع وعشب بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم
وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس فأنزلنا من السماء ماء قد مر تفصيله في تفسير
سورة البقرة فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم له بخازنين نفى عنهم ما أثبته لنفسه
في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه عنهم كأنه قال نحن الخازنون للماء لا أنتم أي نحن القادرون
على خزنه في السحاب وإنزاله وما أنتم عليه بقادرين دلالة باهرة على عظيم قدرته وإظهارا
لعجزهم وقيل معناه ما أنتم له بحافظين في الغدران والعيون والآبار وإنا لنحن نحيي

ونميت

ونميت تقديم الضمير للاختصاص أو تكرير وتأكيد بأن الحصر والتقوية أي لا قادر على
الإحياء والإماتة إلا الله ويجوز أن يراد بالحياة ما يعم الحيوان والنبات وبالموت ما يقابله
ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق كلهم استعير الوارث للباقي بعد فناء الميت لأنه يبقى
متفردا به ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا
ومن تأخر من الأول والآخر أي فيهما أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم
في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة ومن تأخر لا يخفى علينا أحوالكم شيء وهو بيان لكمال علمه
تعالى بعد الاحتجاج على كمال قدرته وقد دل على علمه أيضا ما دل على قدرته وقيل رغب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الأول في الصلاة فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة
حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا
ينظر إليها وتأخر بعضهم ليبصرها فنزلت وما تقدم من الوجوه هو الذي يليق
بالمقام بحسب النظم والوجه الأحق وإن ربك هو يحشرهم الحشر جمع الخلق ثم إرجاعهم إلى
مكان أي هو وحده يقدر على حشرهم وحضرهم مع تبدد أجزائهم وتفرقهم ومتعذر من الجملة
ما يتحقق على هذا التنبيه على أن ما سبق من الدليل على كمال قدرته تعالى وعلمه يدل على صحة
هذا الحكم كما صرح به في قوله إنه حكيم عليم أي باهر الحكمة متقن في أفعاله عليم وسع علمه
كل شيء ولقد خلقنا الإنسان من صلصال الآية تعالى على مبدأ الخلق وهو الحجة
النقية أي ما يستغرق تنبيها على مبدأ أصلهم والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل
مثل الأسنية وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار وقيل إنه اسم من صوت فيه
وإذا سمع ترجيع فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن من حمإ صفة لصلصال أي كائنا
من حمإ ويجوز أن يكون بدلا من صلصال بإعادة الجار والحمأ الطين الأسود المتغير من طول المجاورة
مسنون مصبوب من سن الماء إذا صبه أي أفرغ صورة إنسان كما يفرغ الصور
من الجواهر المذابة كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل
ثم غيره ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه والجان أبو الجن كما أن آدم عليه
السلام أبو الإنس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان
من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره
خلقناه من قبل من قبل خلق الإنسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
ولهذا باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا
يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري

فانها اقبل لها من الغاية فيها الحر لا يرضى به سائر ما فيه كما هو اللائق لا لانه على كمال قدرة
الله تعالى وبيان لتحقق التغاير بين الثقلين على حقيقته المختصة التي يتوقف عليها امكان
الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك اذكر وقت قوله للملائكة اني خالق
بشرا من صلصال من حمإ مسنون انما قال لهم ذلك لان المراد الجسد الخالي عن
الروح والمراد فيما سبق جنس الانس لم يتمحض خلوه عن الروح فلذلك عبر عنه ثمة بالانسان
فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي اي احييته
وهو تمثيل لتفعيل ما يحيى به محله فيه وما ثمة نفخ ولا منفوخ لكن لما كان ظهور الروح
الانساني الخصوص باضافته تعالى اليه انما هو بتعيينه لانتشار الحياة بين على البخار اللطيف المتولد
في القلب الساري بحكمه في الشرايين الى سائر اعضاء البدن عبر عن احيائه بنفخ الروح فان
النفخ انما هو اجراء الريح في تجويف جسم اخر واضافة الروح اليه تعالى لانه صادر منه بلا
واسطة فقعوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم تعلقه الامر
تفصيل مذكور في مواضع اخر وقد قررناه في تفسير سورة الاعراف اذ لا تعلق مذكور ههنا
الفاء الفصيحة العاطفة على محذوف يقتضيه المقام عطفا على الامر التكويني اجمعون
اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص هذا على قول سيبويه وعند المبرد اكد كل
للاحاطة واجمعين للدلالة على انهم سجدوا دفعة واحدة ورده الزجاج بان اجمعين معرفة
فلا يكون حالا الا ابليس استثناء متصل وتحقيقه في سورة البقرة والاعراف ابى
استيناف كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل ابى ان يكون مع الساجدين وفي عبارة مع اشارة
الى انه ابليس كان في حيز الساجدين في امر السجود ومع ذلك استكبر ولا يخفى لطف
موقع هذه الاشارة حيث كان الكلام في تفسيره له قال يا ابليس ما لك ان لا تكون
اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي
اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا روحاني لطيف خلقته
من صلصال من حمإ مسنون اي خلقته من اخس العناصر وانا مخلوق من اشرفها استعظم
عليه السلام باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه قال فاخرج منها من السماء او
من الجنة فانك رجيم مطرود من رحمة الله وكرامته لان المطرود يرجم بالحجارة والرجم
في الاصل هو الرمي بالحجارة وقيل الرجم الطرد لان من يطرد يرجم بالحجارة وقيل من الشياطين
الرجم بالشهب وهذا ليس جوابا عن الشبهة على سبيل التصريح بل هو جواب على سبيل التنبيه
وذلك لان الذي قاله تعالى نص والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس

كان

كان رجيما ملعونا فهو الاتباع لهواه وان عليك اللعنة هذا الابعاد والطرد الى يوم الدين
جعله منتهى امد اللعن لا يقتضي انه ينقطع حينئذ بل يقتضي ان لا عن الموجب اللعن على لسان
المكلفين ينقضي بانقضاء التكليف وحين الجزاء فينقطع ذلك اللعن فيجازي بما ينبغي معه
اللعن ويصير من انواع العذاب وان اريد اللعن في الجملة منصوصا عليه في مواضع من كلامه تعالى
مثل قوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا كلما دخلت امة لعنت اختها فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقيل حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس في
كلامهم لذا ذامت السموات والارض قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف
دل عليه سياق الكلام من قضيتي فانا جعلتني رجيما الى يوم القيامة فانظرني الى يوم يبعثون
انما قال لا انظار تطلبا للامهال الى المنقرض قيل اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن
الموت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني فيما ذكرنا وهو مستلزم
لما ذكر من اوله اذا ذكره ثانيا بناه عليه ليستسقف عليه قال فانك من
المنظرين الفاء العاطفة على محذوف تعديه لا حاجة الى السؤال الجا الى الذين فقضى حكمته
التكليف انظار فكان فيها تنبيها على انه لا اجابة له ولا كرامة بل منحة الاستدراج لبعض
سؤاله الى يوم الوقت المعلوم هذا اليوم الذي يوم يبعثون واحدا الا انه خولف في
العبارات تعلق البلاغة في الكلام خبر عنه او لا بيوم الجزاء ثم ثانيا بيوم البعث
لانه المناسب لغرض اللعين وثالثا بيوم الوقت المعلوم لوقوعه في الكلامين وتنبيها على
للتنبيه على ان التاخير الى ذلك اليوم لا يقتضي بجائزة لانه زمان محتوم للتشفي بجعل رعاية
يجوزان تعرف في ولده يستسم سائر الخلائق في وقت البعث وهي الحالية وان لا يكون
ربط لقصد العلى كما تبعتنا هذه تعالى لانه على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما
اغويتني الباء للسببية وما مصدرية اي بعد اذا امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يكفي
بسبب اغوائك اياي بواسطتهم وقيل الباء للقسم وجعله قوله تعالى في موضع اخر فبعزتك
لاغوينهم اجمعين والقصة واحدة وهو صريح في ان القسم بصفة الذات فان قلت المعنى
اقسم باغوائك اياي يشدد لك في انعقاد القسم بافعال الله تعالى في خلاف فحقه الخطأ في الاول
والترتيب في الثاني لان الخلاف لانعقادها وتراعهم في انه تعتبر عليها احكامها من الكفارة
وغيرة لك لا في لغتها المتعارفة فان لا خلاف في ان القسم بها العلة في عرف العرب يتبع عليه
وهو متعارف عندهم ولهذا وردا النهي عن الحلف بالاباء عن الاصحاب بكرامتها فالكلام ثمة
لا متاع له الاهانة المقام لازينن لهم في الارض اي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي

بحذا ذلك لهم وتكثر لهم الخلد الى الارض وقيل معنى لازيننّ لهم في الارض اي قدرت
على تزيين الاكل من الشجرة لآدم عليه السلام في السما فلأن اقدر على تزيين المعاصي للذرية
في الارض اولى **ولاغوينهم اجمعين** ولاحملنهم على الغواية **الا عبادك منهم المخلصين**
اي الذين اخلصتهم لله تعالى لطاعتك وطهرتهم من الشوائب وقرئ بكسر اللام اي الذين
اخلصوا نفوسهم لك بحيث لهم بغيتهم وتعالى وكان يكفيه ان يقول الا المخلصين لكن زاد قوله عبادك
اشارة الى وجه خلاصهم من اغوائه وهو اختصاصهم بالله تعالى من جهة العبودية وتوطئة
لوصفهم بالوصف المذكور **قال هذا** اشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين
من اغوائه او الى الاخلاص **صراط علي** اي تخلصهم من اغوائك او انتفاء سلطانك عليهم
حق علي ان اراعيه او الاخلاص طريق علي يعني يؤدي الى الوصول الي والتخلي علي واثبات
حرف الاستعلاء على حرف الانتهاء للتأكيد لاستعمال شدة قوتها ذهابا استعلاء من ثبت على شيء
ادل على التمكن من الوصول فيه تمثيل اذ لا استعلاء لشيء عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
مستقيم لا عوج فيه او هذا القرار حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان
على عبادي بقوله **ان عبادي ليس لك عليهم سلطان** تغيير الاسلوب للمبالغة في هذا
على طريقة الاستئناف وقرئ علي من علو الشرف والكائنة وفي التعرض لعنوان المذكور لما اوهم العين
من انه انما استثنى المخلصين رعاية لشرف تقربهم من الله تعالى والى الاضافة في عبادي للتشريف
يعني ان المخلصين بعبادي التشريفيين لا انتسابا اي لا قدرة لك على اغوائهم وفي الاستثناء
في قوله **الا من اتبعك من الغاوين** منقطع اي لكن من اتبعك من الغاوين فلك عليهم
سلطان والاول في قوله **وان جهنم لموعدهم** اي موعد المتبعين العطف على الجزء وعلى ذلك
واما ما قيل انه تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فانه منتهى اسم
التحريض وان الشيطان كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
فلا يخفى بعده لانه ان اريد بالسلطان القدرة على الاغواء والاضلال فلا وجه للتكذيب
له فانه اذا اريد به ما اراده في القول المنقول عنه من القدرة على القهر فكلامه صادق
ثم ان مبناه على انقطاع الاستثناء صح الشمول في المستثنى منه للمستثنى ولا يخفى ما فيه
فان حق الاستثناء تقديرا بالعموم في المستثنى الاتصال كما ذهب اليه من قال ان التصديق
لا يلبسها استثني ولا يذهب عليك الخطأ بمعنى التصديق فيما قال لاغوينهم اجمعين مع
اختلال الدليل فلا يناسب مقام الامتنان ولا بد لاول **اجمعين** تأكيد للضمير او حال والعامل
فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان

فانه لا يعمل **لها سبعة ابواب** بحسب طبقاتها استئناف او خبر ثان ومن قال يدخلون
فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة في ولعلهم ما في الثاني فظاهره
لان الابواب مداخل تلك الطبقات لا نفسها واما في الاول فلان مبناه على ان يكون
التعدد في المدخل فقط وليس كذلك قال علي رضي الله عنه ان الله تعالى وضع
الجنان على العرض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها
لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية
ولعل تلك تفصيل للترتيب صعودا **لكل باب منهم** من الاتباع **جزء مقسوم** افرز له فاعلاها
للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى وروي ان الثانية للنصارى
والثالثة لليهود والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة
للمنافقين قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولعل هذا صريح في
انها دركات بعضها فوق بعض كما فسرناه ظهر ان تخصيصها لعدد دلالة ان اهلها
سبع فرق لا غير لجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوانية
والغضبية وقرئ جزّ بالتشديد وقرئ جزء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم
الوقف عليها بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال من المستكن في الظرف
لا في المقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم على موصوفها **ان المتقين** من اتباعه من
الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فكأنه غفل عن ... الاجتناب عن
الكبائر **في جنات** قد سبق تفسيره في سورة البقرة ان الجنان اربع وفي كل واحد منها
مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال **وعيون** يحتمل ان يكون
المراد بها الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وان يكون منابع مغايرة
لتلك الانهار **ادخلوها** على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض
لا دخال **بسلام** سالمين او مسلما عليكم اي يسلم عليكم الملائكة **آمنين** من الآفات والعاهات
او الزوال والانتقال الآن وعند ما يعلم من قوله وما هم منها بمخرجين ولا وجه لما قيل الآن
المراد هنا **ونزعنا ما في صدورهم من غل** كان لبعضهم في الدنيا على اخرى نزع الله تعالى ذلك
من قلوبهم بعد دخولهم الجنة وطيب نفوسهم وروي ان ما مر عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا اهل الجنة يحبسون على ... في صدورهم ... الغل ...
... ولما بين ان الله تعالى ... ونزعنا ما في صدورهم

من غل [illegible] تلك التي في الدنيا فلذا نهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم والغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل
فلا وجه لما قيل من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب **اخوانا** حال من الضمير المجرور
في صدورهم فان ذلك لان المضاف جزء من المضاف اليه او من فاعل ادخلوها او من
الضمير في امنين او من الضمير في جنات وكذا قوله **على سرر متقابلين** ويجوز ان
يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين ويكون متقابلين
حالا من المستتر في على سرر **لا يمسهم فيها نصب** استئناف او حال بعد حال او حال من
الضمير في متقابلين والنصب التعب اي ما يلحق من التعب في العمل **وما هم منها بمخرجين**
نص في الخلود وفيه تمام النعمة ولما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه قوله **نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم** تقريرا لما ذكر وتمكينا له في
النفوس وفي ذكر المغفرة ايماء الى انه ليس المراد بالمتقين المتقين من الذنوب
باسرها كبيرها وصغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما غفور للتائب وعذابه لمن لم يتب
وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب مع التاكيد بالضمير ترجيح [illegible]
وترجيح لجانب الوعد وفي عطف **ونبئهم عن ضيف ابراهيم** تحقيقا لما يعتبرون به مما
نزل بقوم لوط عليه السلام من العذاب ونجاة لوط واله **اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما** اي
نسلم عليك او سلمنا سلاما او سلمت سلاما **قال انا منكم وجلون** والوجل اضطراب النفس
لتوقع مكروه كان ذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقيل لامتناعهم من الاكل
قالوا لا توجل وقرئ لا توجل بضم التاء من اوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله **انا نبشرك** استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك في
محل الامن والبشارة فان المبشر لا يخاف منه وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر
بغلام هو اسحاق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحاق **عليم** اي اذا بلغ وفيه اشارة
الى بنوته كما ضمنت له بغلام البشارة بكون الولد ذكرا **قال ابشرتموني على ان مسني الكبر**
مع الكبر كانه بمعنى تعجيبي اياه عن الحالة التي يطمع في الولد في حال الياس منه ومعنى على
التعجب والاستبعاد اي البشارة بالولد مع الكبر امر عجيب مستنكر في العادة ولذلك
اكده بقوله **فبم تبشرون** اي فباي اعجوبة تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
في العادة كلا بشارة او بشارة بغير شيء وقرئ تبشرون بكسر النون والتشديد على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية وبكسرها والتخفيف على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني

قالوا

قالوا بشرناك بالحق اي بما هو محقق الوقوع او باليقين الذي لا لبس فيه ويجوز ان
يكون قوله فبم تبشرون سؤالا عن وجه البشارة وطريقتها اي باي طريقة تبشرونني بالولد
ولا طريق الى هذه البشارة في العادة وعلى هذا يكون معنى قوله بالحق بطريقة هي حق
وهو امر الله تعالى ووعده **فلا تكن من القانطين** من الايسين من ذلك فانه تعالى قادر
على ايجاد بشر من غير ابوين فكيف من شيخ هرم وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك **قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون**
اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون كمال قدرته وسعة رحمته كما في قوله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون اي لم استبعد ذلك قنوطا من رحمته تعالى واستبعادا
من قدرته بل استبعدته استعجابا باعتبار العادة وقرئ يقنط بالحركات الثلاث وقرئ
من القنطين من قنط يقنط **قال فما خطبكم ايها المرسلون** اي فما الامر الجليل الذي
بعثتم له تفريع على انه علم مما تقدم من ان كل المقصد من ارسالهم ليس البشارة لانهم
[illegible] لو كان المقصود البشارة لاكتفي بالواحد كما اكتفي به في بشارة زكريا
ومريم او لانهم بشروه في اثناء الكلام ولو كان المقصود وحدها لابتدأوا بها
او لان نزول الملائكة يكون غالبا للعذاب **قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين** اريد
بهم قوم لوط [illegible] انا ارسلنا الى قوم مجرمين وانما نكر
هاهنا على سبيل [illegible]
[illegible] في توصيفهم بالمجرمين [illegible] بالعذاب [illegible]
[illegible] عليهم حجارة من طين الواقع في موضع اخر قالوا انا ارسلنا بالعذاب
الى قوم مجرمين اي المجرمين المنقطعين عن الحق الى الباطل **الا ال لوط** استثناء متصل من الضمير في
مجرمين اي قوم اجرموا كلهم الا ال لوط [illegible] باعتبار الغالب
وعلى كلا التقديرين [illegible] المجرمين وال لوط المؤمنين به عليه السلام
انا ارسلنا الى قوم لوط لنهلكهم [illegible] الا امرأته **انا لمنجوهم اجمعين** اي مما يعذب
به القوم **اجمعين** استئناف [illegible] ابراهيم عليه السلام [illegible]
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته [illegible]
في اسلوب الكلام [illegible] **الا امرأته** استثناء
من الضمير المجرور في منجوهم [illegible] **قدرنا انها لمن
الغابرين** انها كسرت لاجل اللام في خبرها [illegible] معلقة لما قبلها [illegible]

التقدير بتعلقه اجرى مجرى القول لان التقدير بمعنى القضاء قول او مجرى العلم ما لكونه
بمعناه او لكونه مترتبا عليه واما تضمينه معنى العلم فلا يجدي نفعا لما ان معنى التعليق
واصل التقدير جعل الشيء على مقدار غيره والغابر الباقي والمراد الباقين في العقوبة وهذه
الجملة من كلام الله تعالى ذكرت تقريرا للاستثناء الواقع في كلام الملائكة لا انه تعالى في حقهم
واهله للامر ثم قدرنا انها من الغابرين صريح حينئذ في القصة ولاجاجة فلا مساغ لان يكون
من كلام الملائكة فالذين تصدوا في توجيه اسنادهم التقدير الى انفسهم بما لا يخ عن نوع
تعسف لم يكن نصب اعينهم ذلك فلما جاء آل لوط المرسلون الفاء فصيحة للعطف على محذوف
تقديره فلما بحرتب المقام وتبادر في الكلام قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي واخاف
ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله
وتخافه بل جئناك بما يسرك ويشفيك من اعدائك وهو العذاب الذي تتوعدهم به ولم يجدوا
فيه تكذيبا لك ولعل ما ذكر في سورة هود عليه السلام قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فلعله هذه المقالة لما لا يجعل هود عليه السلام ههنا
على نصو بالحال او التغيير بها وحملنا نقل عنهم على ما نقل بالمعنى وحاصل الكلام وآتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرنا به فاسر باهلك فاذهب بهم في
الليل والسرى والاسراء السير بالليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل
بطائفة منه وقيل من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم لئلا يتخلف منهم احد فيصيبه العذاب ولتكون مطلعا
عليهم وعلى احوالهم ولا تشتغل بك ولا يلتفت بهم خلفك ولا يبعد من احدهم فيقع في تلك الحالة
الهولة احتسابا منه ولا يلتفت منكم احد فيرى ما وراءه من العذاب يرقهم ويرى
ما لا يطيقه من الهول فيبقي على انه دهشا فيهلك او ينصرف فيصيبه العذاب وقيل
نهوا عن الالتفات الى الاوطان والمالوفات تحسرا عليها ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة
ويجوز ان يكون النهي عن الالتفات كما يقتضي الامر بما مر لسير وتماله وترك التواني
والتوقف فان الملتفت لا بد له من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون اي حيث
امركم الله تعالى بالمضي وهو الشام او مصر وعدي امضوا الى حيث بنفسه لانه ظرف مبهم وكذا
وكذا الى ما حيث الى ضمير الحذف على الاتساع وقضينا اليه عدي قضينا معنى اوحينا
تعديه بالى كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا ذلك الامر يفسره ان دابر هؤلاء
مقطوع ومحله النصب على البدل منه اي يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد في

إبهامه اولا للاشارة اليه بذلك ثم تفسيره تفخيما لامره وتعظيما له وقرئ انا بالكسر على الاستئناف
كان قائلا قال ما ذلك الامر فقال ان دابر الخ مصبحين داخلين في الصبح حال من
هؤلاء او من الضمير في مقطوع وانما جمع حملا على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء
وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء
ضيفي الضيف في الاصل مصدر اضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى وهو اسم يقع على
الواحد والجمع والذكر والمؤنث واطلاق الضيف على الملائكة لكونهم في صورته فلا تفضحون
بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر
من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من
الخزي وهو الهوان او لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهي الحياء ولعل هذا القول منه عليه السلام بعد
ان تجيء اهل المدينة وما قال لهم تعنتا في شأن الاضياف قبل العلم بانهم ملائكة رسل الله كما
في تعليق وجاء اهل المدينة يستبشرون فانه بحسب نظمهم عقيب نزول الملائكة في بيت
لوط عليه السلام قبل مجاورته معهم علمه بانهم ملائكة كما في قوله فلما جاء آل لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون اخبار عن مجاورته عليه السلام مع الملائكة بعد تمامها وتقدم اهل
المدينة ولا دلالة في الواو على الترتيب قالوا اولم ننهك عن العالمين الاستفهام للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره الم نتقدم اليك الا تجير احدا بالانزال في بيتك ولم ننهك عن العالمين
اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط عليه السلام ينهاهم عنه
بقدر وسعه قال هؤلاء بناتي فيه وجوه تقدم بيانها في تفسير سورة هود عليه السلام ان
كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان تفعلوا ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون
وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله تعالى دون ما حرم لعمرك قسم بحياة
المخاطب وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك واللام
لام الابتداء وعمرك مبتدأ خبره محذوف تقديره لعمرك قسمي والعمر بالفتح لغة في العمر
يختص به القسم ايثارا للاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم وهو مع ذلك اقترن باللام الابتداء
يلزم حذف الخبر لسد جواب القسم مسده انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم او شدة
غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير اليهم به يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون النصح فاخذتهم الصيحة اللام للجنس والمراد به الفرد الكامل
في معناه وهو صيحة جبريل عليه السلام فان اسم الجنس كما يستعمل بمسماه مطلقا يستعمل لما
يستجمع المعاني المقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان وان الصيحة صوت

يخرج منها لعمرك بشارة واخذتهم الصيحة قهرها اياهم وتمكنها منهم ومنه الاخيذ بمعنى الاسير
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس يقال شرقت الشمس شروقا اذا طلعت واشرق الرجل
اذا دخل في شروق الشمس كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا فلما انتهت قراهم
ثم بين قراهم من عليها الصيحة جعلنا عاليها عالي المدينة وعالي قراهم سافلها فقلبت عليهم
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر عليه كتاب من السجل بين له حجارة من طين من
اي مسجلة بكتاب قيل قذفوا بالحجارة اولا ثم قلبوا وقيل بقلب كان الخارجين منها الامطار منها
منهم ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين اي الناظرين المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
بسمته يقال توسمت في فلان كذا اذا عرفت وسمه فيه وانها وان المدينة او القرى لبسبيل
مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها لم تندرس بعد وهو تنبيه لقريش لما يرون به
وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسوله لانهم المختصون بالانتفاع بها مخصوصين بهم وان كان ان هي المخففة واللام
فارقة اصحاب الايكة هم قوم بعث اليهم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة والايكة
الشجر الملتف واحدة الايك لظالمين لانهم كذبوا شعيبا عليه السلام فاهلكوا بالظلة فانتقمنا
منهم بعذاب الانتقام لانهم اهلكوا بعذاب شديد وانهما اي مدينة قوم لوط عليه السلام
وقراها والايكة وقيل الايكة ومدين لانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فدل ذكر الايكة
على مدين فاتى في تصغيرها لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق
واللوح ومطمر البناء لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا
عليه السلام ومن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الجميع لان سائرهم يصدقونه فلا حاجة الى
التاويل بحمل المرسلين على صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة
والشام كانوا يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل
على نبيهم او معجزاته وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين لا يخشون ان تنهدم ونقب اللصوص وتخريب
الاعداء لوثاقتها او من عذاب الله لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين اي صيحة العذاب اخذتهم وقت الصبح وهو المذكور في سورة الاعراف
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة بالعدل والحكمة لا عبثا
باطلا ولا لعبث فلا يليق بحكمته ان يتركهم على فسادهم وظلمهم لا يؤاخذهم بالعذاب بما تقتضيه في
الحكمة والعدل وان الساعة لآتية فينتقم لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل

فاصفح عنهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم بالخلق معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ
بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم
العليم بحالك وحالهم ولا يخفى عليه ما يجري بينك وبينهم فهو يحكم بينكم ويجازي كلا منكم
على عمله او هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان اليوم بالصفح لعلمه بان الاصلح
الى ان يكون السيف اصلح ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة على ما نص عليه
النبي صلى الله عليه وسلم وتعدد بها اي في تثنيتها وقيل سبع سور وهي الطول السبع وسابعتها
الانفال والتوبة لانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل
هذه السورة فصل ... وما ترى من السبع الطول التي ... عن الظاهر بآياته ... الاثنا
من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة او من الثناء
لاشتمالها على الثناء على الله تعالى اي موضع التثنية وان التنكير في سبعا للتعظيم والابهام الذي فيه
والترجيح بين له من المثاني للتمكين في نفوس السامعين وقوله والقرآن العظيم من باب
عطف الكل على البعض للتفخيم وتكثير الاثنين وتخصيص البعض المعطوف عليه كانه
المقصود بالذكر والاصل السابع لا البعض والمراد به كل مجموع ما نزل وقت نزول هذه الآية
او مجموع القرآن تنزيلا للمحذوف منزلة المذكور لا تمدن عينيك لا تطمحن ببصرك طموح راغب
الناظر انما يكون لما دام عينيه الى الشيء اذا اقام النظر اليه والتماسه النظر الى الشيء يدل
على استحسانه ووقوع الرغبة فيه الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار يعني انك
اوتيت من القرآن العظيم ما هو اعظم منها لانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
ما اوتيه مستحقر بالنسبة اليه اقل من لا شيء ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم
الاسلام وانهم المتمتعون به دون المؤمنين واخفض جناحك للمؤمنين لمن معك من فقراء
المؤمنين وتواضع لهم وخفض الجناح مجاز مرسل عن التعطف والرفق ثم يعلق الكناية واصله ان
الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا او بما وصفه بالبيان
لاني انا عليه السلام ابين من انذر من سائر الانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام ...
الساعة فهو منذر بلسان الحال ولانه منذر بلسان المقال ولانه عليه السلام حقيق بهذا الحقيق
حيث قال انا النذير العريان كما انزلنا على المقتسمين في محل النصب صفة مصدر
لآتيناك لانه في معنى انزلنا عليك كانه قال ولقد انزلنا عليك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم كما انزلنا على اهل الكتاب المقتسمين الذين اقتسموا القرآن الى حق وباطل حيث قالوا

بغضه حتى موافق للتوراة والانجيل وتعنته بما طل يخالف لهما او فنسبوا الى شعر وسحر
وكهانة واساطير الاولين فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ولا
تمدن الى آخره اعتراض ممتد له او صفة مفعول النذير اي مقاله اي انذركم قريشا عذابا
مثل ما انزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة للتنفير عن الرسول
والصد عن الايمان الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة بمعنى عضو واصلها عضوة
فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه
بلسان قريش السحر يقولون للساحرة العاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة
والمستعضهة ونقصانهما على الاول واو وعلى الثاني هاء وانما جمع جمع السلامة جبرا لما
حذف منه كعزين وثبين والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم والنسبة الى السحر فنجازيهم عليه
وقيل عام اي عن كل ما عملوا من المعاصي فيشا ولهما دهن وعيدهم من قيل ايها المرسول العزيز
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا وقيل افرق به بين الحق والباطل واصل الصدع في الابانة
شق في الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ويلزمه الابانة والتمييز وما موصولة اي بما
تؤمر به من الشرائع محذوف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او مصدرية اي بامرك
كقوله الى ما ليس فاصدع بامرنا ما عليك عاصيه وهو مصدر من الفعل المبني للمفعول
قيل فيه خلاف والصحيح انه لا يجوز ورد بان الخلاف هو في المصدر المصرح به واما المأول
بالمصدر فليس محل النزاع واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تكترث
كناية عن عدم الالتفات انا كفيناك اي بتكفيك وذكره على صيغة الماضي للدلالة على تحققه
المستهزئين بك باهلاكهم وتدميرهم وهم كانوا خمسة نفر من اشراف قريش وقصصهم مذكورة في
كتب التفاسير الذين يجعلون مع الله الها آخر صفة المستهزئين فسوف
يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بضيق الصدر كناية
عن انقباض القلب كما ان انشراحه كناية عن انبساطه بما يقولون من اقاويل الطاعنين
فيك وفيما انزل اليك من المستهزئين فيك فسبح بحمد ربك فتوسل به عن الغم
والانتقام منهم وتعميمهم مترتب على ما تقدم باعتبار انه كما بعد الوعيد فالذي هو
السبب لضيق صدره عليه السلام ومن لم يقف على هذا قدم بعده فنزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق واما ما قيل فافزع الى الله فيما نابك يكفك ويكشف الغم عنك
بفضله والفزع الى الله تعالى هو الذكر الدائم وتكثير التعبد لا سيما الصلاة بما ذكر امامه

متعين

يضيق من له وكن من الساجدين اي المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر
فزع الى الصلاة واعبد ربك اي دم على عبادته من خلقك وربك حتى يأتيك اليقين
اي الموت فانه متيقن اللحوق لكل حي مخلوق اي ولا تخل بالعبادة ما دمت حيا وفيه اشارة
وبشارة اما الاشارة فالى انه عليه السلام يموت كما يموت سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام
كما في قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل واما البشارة فبانه عليه السلام
من المقامات انما نعمة التكليف بالعبادة الى ان يقضي نحبه تم الكلام في هذا المقام والحمد
لله على التمام

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم الله ولي التوفيق

أتى أمر الله اي دنى وقرب مما لا شك فيه لانه لا خلف لاخباره وقرب حصوله جاء الموت والمراد
من امر الله ما وعدهم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم وعلى هذا وجه اصابة
الماضي فلا تستعجلوه الضمير للامر وما على هذا المعنى ان الامر الموعود بمنزلة
الاتي المحقق من جنابه فاحسن التوقع والاستعجال للطلب المبني على حسنه كانوا يستعجلونه على
الاستهزاء والتكذيب بالمخبر وقيل لما كان المستهزئين المستعجل بامر الله تعالى غير القدرة على ما في
وجنه تشبيه بالخلق في ذلك سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزه ان يجوز العجز عليه
كبريائه وجل عن ان يكون له شريك في المعبودية فيدفع ما اراد بهم كانوا يقولون ان صح
يا محمد فالاصنام تخلصنا منه فنزلت وقرئ تشركون بالتاء على وفق فلا تستعجلوه وبالياء على
تلوين الخطاب واما ما قيل الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو
كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا
ينزل الملائكة بالروح استعار الروح للوحي والقرآن لانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل
حياة الجسد بالروح وذكره عقيب ما وعد به اشارة الى طريق العلم به وانه لا ينبغي
اختصاصه عليه السلام بالعلم به وقرئ بيننا وتنزل بمعنى تتنزل وتنزل على
المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجل امره على من يشاء من عباده
ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي انذروا ان الشأن وفيه تخويف وتلك
الخصوصية مناسبة للمقام من حيث ان المنزل اذا ابرم بينهم لا يناسبها التسيف بالاعراض عن
التوحيد اعلام يقتضي التخويف بالقتل ويجوز ان تكون ان مفسرة لان في الوحي معنى القول
او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او مخففة من الثقيلة انه لا اله الا انا اي
ان الشأن لا اله الا انا الخوف اهل الشرك بانه لا اله الا انا فاتقون رجوع الى مخاطبتهم

بما هو المقصود دنا لاية تدل على ان نزول الروح بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد
الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية
وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الكل
لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم
التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات
مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون لانه موجد العالم كله وكل ما سواه
مفتقر اليه فهو المتعالي عن نسبة الكل وللتحقيق النظر لذلك اثر اتبعه تنبيه وايقاظ بتكرار ما عم
بعد عمكنا في سنتنا حاضرة ملقنة اليه وهو تمهيد لما ابتدأ به لان التوحيد دعى لدين الملائكة
بالروح تفصيل لما اجمل في قوله سبحانه وتعالى ابتداء لا شريك عليهما امر فيه من الشرك
ثم ازدفه بما لا يل السمع والعقل وقدم السمعي لانه صاحبه هو العالم بحجر العقل وهذا به
انبئنا فلينا النقل في كل السمع بل العقل قام بعض الملائكة والرسل عليهم السلام خلق
الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك بها لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو عطف
على ما تقدم باعتبار ان المراد من خلق الانسان ايجاده وتربيته الى ان يبلغ حد النطق والادراك
فاذا انما للتعقيب والمفاجاة اصابنا الحر خصيم منطيق مجادل عن نفسه في الخصام مبين
للحجة على خصمه مميز الحق عن الباطل فهو صفة مدح اي انتقل من تلك الحالة الخسيسة الجمادية
الحالة الشريفة وهي حالة النطق والادراك ويقع التعقيب بذكر ما انتقل به تقليبه في اطوار
معيشته وقيل منازعا [illegible] لخالقه لدلالته على تحيا العظام وهي رميم فهو صفة ذم ويابأه
التوصيف بالفا [illegible] ولا يناسب سياقه لكلامه [illegible] خالقه [illegible] الدلالة على كمال القدرة
والارادة والانعام ذكرا لانها اكثر منفعة والمرجح انه لذكر الفرق بالمنعم وقد تقدم
شرح الانعام في سورة الانعام وانتصابها بمضمر يفسره قوله خلقها والاكثر في قوله
لكم فيها دفء خبر مقدم لدفء وفيها حال منه والجملة بيان لما خلق لاجله والاحسن في
به الا يسخن فيتقي البرد ومنافع نسلها وذكرها وظهورها وما خير عنها بالمنافع اولا بالعطف
على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وحذف مبتدأ الخبر فيها والجملة ثم بعدها
تفصيل لما خلق لاجله لذلك [illegible] ما يدفأ به اي يسخن فيتقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها
وما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي ما تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم
والالبان وتقديم الظرف للاختصاص اشارة الى ان الاصل المعتد به في الاكل منها
واما الاكل من غيرها فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه [illegible] فعلا للفاصلة

الرعي عن مسارحها الفاصلة ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تزين
بها وتجاوب بها الرعاة فيعظم فيها من اهلها وتفرح اربابها وتجلهم في اعين الناظرين اليها
وتركيبها الجاه والحرمة وتقديم الاراحة على التسرح لان الجمال فيها اظهر اذا اقبلت ملأى
البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها يانسون بها يبتهجون وقرئ
حينا على ان تريحون وتسرحون وصفا له بمعنى حينا تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل
اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي لم تكونوا بالغيه بانفسكم فضلا عن اثقالكم
الا بشق الانفس الا بجهدها ومشقتها فكيف اذا احملتم اثقالكم على ان تحملوها او لم تكونوا
بالغيه بها الا بشق وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وهي لغتان في المعنى المذكور
وقيل بينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي
هو الصدع واما الشق بالكسر فهو النصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد ان ربكم
لرؤوف رحيم يرؤف بكم بتيسير هذا لكم فعليكم ان تشكروه ومن رحمته خلق هذه المنافع والحوامل
والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام وهو اسم جنس للخيل لا واحد له من لفظه وقيل الواحد
له لتركبوها وزينة ذكرهما منفعة الركوب بعبارة وصفة الزينة منفعة عطف على الدلالة وعكس فيما تقدم
اعتبارا باعتبار كل منهما لاصالة وزينة النصب عطفا على محل لتركبوها لانه مفعول له وتخلف
بينهما لان الركوب فعل المخاطبين فقد شرط نصبه واما الزينة فعل الخالق لانه لا يتحقق
فقط الثاني في سلالة الاول بل لان الاول مقصود بالذات والثاني بالعرض وقرئ زينة بغير
واو فيجوز ان يكون حالا من الضمير او علة لتركبوها واستدل به على حرمة
لحوم الخيل ووجهه الاستدلال ان المقام مقام الامتنان فلو كان من المنافع الكلام تشتمل على المقصود
اشتباها فلما تركها كان الحالان لا تكون واحد بالنوع من الاشياء واكل لحمها مجوز وكانت
حلالا وفيه ان الاية في معرض الترجيح لا الامتنان به لا يكون الحكم ويخلق ما لا تعلمون لا
فصل الحيوانات للمنافع اليها من اليها احتياجا ضروريا او غير ضروري اجل غيرها مما لا يعلم كنهه
وتفاصيلها يعني يحكم وكلكم على سبيل الاستيثار او ما لم يحص ولم يذكر به من علم الكفرة بالدلالة
على مزيد قدرته وحكمته وتفصيل ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم احد ولا خطر على
قلبه وعظم النظر في الصنائع المحققة والاحتجاج بما لم يحط به علما لانه تبيان للمفصل ولا لا
على قدرته تذكيرا للنعمة وتعجيبا وتقريعا للادلة العقلية وتخيير الاسباب الركوب به من الاعضاء
وعلى الله قصد السبيل اي عليه تعالى بحكم وعده وفضله بيان الطريق المستقيم الذي يوصل اليه

من يسلكه لا محالة كما تقول هذا الطريق على موضع كذا اذا انجرت السبيل لقصد مصدر
بمعنى اسم الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
والمراد بالسبيل الجنس لاضافة القصد اليها وقال ومنها جائر لا يوصل الى الحق [illegible]
وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد وتغيير الاسلوب لانه ليس على الله تعالى بيان الهداية الى الطرق
الجائرة عن القصد لا يوصل الى الله سالكها او لان المقصود بيان سبيله
وذكر قسيمه جاء بالعرض ولو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء الله هدايتكم اجمعين الى قصد
السبيل هداكم اليه هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او
من جانب السماء لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوان تبعه بذكر الاستدلال
عليه بعجائب احوال النبات ماء تنكيره لانه على خلاف المعهود [illegible] لا يسيل بل ينزل
قطرات [illegible] لكم متعلق بانزل او خبر شراب قدم عليه منه شراب اي مشروب
ومنه على الاول خبر شراب وعلى الثاني تبعيضية وفي حصر المشروب [illegible]
دلالة على ان مياه الارض منه ومنه شجر ومنه يكون شجر والمراد بالشجر ما ترعاه المواشي وقيل
كل ما ينبت على الارض يطلق عليه الشجر كما قال الشاعر يعلفها اللحم اذا عز الشجر
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية اذا رعت [illegible] واسامها صاحبها واصلها من
السومة التي هي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع والزيتون
وقرئ بالنون على التفخيم والنخيل والاعناب تقديم الزرع لانه الاصل في
الغذاء وتخصيص الاجناس الثلاثة من الثمرات وتقديمها لانها افضلها [illegible]
ولعل تقديم ما يسام فيه على [illegible] غذاء الحيوانات [illegible]
يكون الى اللبن واللحم ومن كل الثمرات اي وبعض كلها اذ لم كل ما يمكن من الثمرات لا يكون
في الارض ان في ذلك لآية لدلالة واضحة لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون بها على
وجود الصانع وحكمته وقد [illegible] الاستدلال بالآيات [illegible] كثرة
انواع النبات [illegible] صيغة الافراد وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم بان هيأها لما ينفعكم مسخرات بامره نصب على الحال اي نفعكم بها حال كونها مسخرة
بامره [illegible] على المصدر جمع للتنويع جمع مسخر [illegible] تسخيرا اي سخرها انواعا
من التسخير كانه قيل سخرها التسخيرات وقرئ برفع الشمس والقمر [illegible] على الابتداء
والخبر مسخرات [illegible] برفع النجوم [illegible] ونصب ما قبله ومسخرات خبره [illegible] انها
مسخرات حقيقة لله تعالى [illegible] مسخرات لكم [illegible] تسخيرها عائد

الكم

ليكون من توهم ان المعنى مسخرات لما خلقن له فقد وهم اذ ح يكون التاكيد بالاضافة بلا فائدة ان في
ذلك لآيات لقوم يعقلون اي هنا بصيغة الجمع لان وجه الدلالات في السموات متعددة
وذكر الاحتياج الى العقل لان الاحتياج الى تجربة العقل المتصرف في الاستدلال بها اشد
فان النوع [illegible] في الاستدلال بما قبلها من احوال النبات فتحتاج الى تدبر واختلاف
شكله [illegible] واما احوال العلويات [illegible] فيها [illegible] العقل ومعرفة العلم الطبيعي والهيئة
والهندسة ومن زعم ان وجه الدلالة [illegible] ما ظهر من وجهها [illegible] فقد
كابر مقتضى العقل الصريح وما ذرأ لكم في الارض من انواع الحيوان والنبات والمعادن
في موضع نصب [illegible] اي وخلق ما بث كذا [illegible]
[illegible] لكم [illegible] سخر لكم
خلق لكم فيها مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآية لقوم
يذكرون اي يتعظون فان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع
حكيم [illegible] الآية [illegible] وهو الذي سخر البحر بان مكنكم من
الانتفاع به بالركوب [illegible] والغوص وغيره لتاكلوا منه لحما طريا
هو السمك [illegible] عبر عنه باللحم وهو ما يؤكل من الحيوان [illegible]
عن سائر الحيوانات [illegible] لا يكون لحما الا بعد الذبح والسلخ [illegible]
[illegible] هذا التنبيه [illegible] من حيث [illegible]
اكله من البحر [illegible] في تخصيص [illegible]
[illegible] الى اكله [illegible]
[illegible] لكنايات التي [illegible]
[illegible] لا بد من الحمل [illegible] بيانا للواقع
خاليا عن فائدة [illegible] ان ابا حنيفة رضي الله عنه [illegible] لو حلف لا يأكل
لحما فاكل لحم السمك لا يحنث لان لحم السمك ليس بلحم [illegible] سفيان الثوري [illegible]
[illegible] عليه [illegible] ابو حنيفة [illegible] لو حلف لا يصلي
على البساط فصلى على الارض هل يحنث [illegible] سفيان لا يحنث [illegible]
ان الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا [illegible] سفيان [illegible] ابي حنيفة
وقيل في وجه قوله ان مبنى الايمان على العادة وعادة الناس [illegible] اللحم على الاطلاق
[illegible] السمك [illegible] بالسمك

كان حقيقا بالانكار وهذا معارض بانه اذا ثبت العلم استمر بعد الدهر [illegible]
المعقول لا يستحق الانكار لابتناء مع ان الحنث باكل اللحم لمعصوم من حلف لا ياكل اللحم
لما خرج من البحر الملح لذعاق الحيوان الذي يخلق في غاية العذوبة ونهاية اللطافة
علم انه حادث لا بحسب الطبيعة بل بقدرة الله تعالى وحكمته حين اظهر الضد من الضد ه
وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان فان الحلية اسم لما يتحلى به وفي زيادة حرف
التنفيس هنا الدلالة على ان اخراجها متفرقة يقتضي المهلة تلبسونها تلبسها النساء من
قبيل اسناد فعل البعض الى الجملة كترتيبه الثاني وترى الفلك مواخر فيه جواري فيه
لتشق بحيزومها صوت الماء من المخر وهو شق الماء بصوت ولتبتغوا عطف على محذوف تقديره
لتركبوا فيها ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون
الله على هذه النعمة الجليلة حيث يقطع بها المسافة البعيدة في المدة القليلة مع ما فيها من حمل
الاثقال بلا مشقة في الرفع والوضع فان السير كما هو المعتاد في شاقة البر هذا هو الوجه
بتخصيص هذه النعمة بتعقيب الشكر وما جعلها الله سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
فلانتساب مقام الامتنان بالاحسان الى انتساب مقام اظهار القدرة والقى في الارض
رواسي عطف على محذوف تقديره والارض مددناها والقينا فيها رواسي لما جنح الحذف المعلوم
عليه عدل عن الغيبة الى التكلم وقد مر تفسيره في سورة الحجر ان تميد بكم كراهة ان تميد
بكم اي تتحرك وتميل والميد الاضطراب وذلك ان الارض لو نبتت على بساطتها كانت كرة
حقيقية التحرك بادنى سبب محركة [illegible] فلما خلقت الجبال [illegible] فيها [illegible] وتجاذبها
وتوجهت الجبال نحو المركز [illegible] كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة والميل من جانب
الى جانب وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون
لتهتدوا بها في اسفاركم الى مقاصدكم واتماما لعلكم [illegible] بالاهتداء الاول
[illegible] للاهتداء الى المقاصد وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة في النهار من
الجبال والانهار ونحو ذلك وبالنجم المراد به الجنس والثريا والفرقدان وبنات النعش
والجدي ونحوها وقرئ بضمتين وبضم وسكون على الجمع هم يهتدون بالليل في البراري
والبحار وتقديم النجم وتوسيط الضمير للتخصيص [illegible] واخراج الكلام عن سنن الخطاب الى الغيبة
للدلالة على ان هؤلاء المذكورين هم قريش خاصة مخصوصا [illegible] كانوا كثيري
الاسفار للتجارة مشهورين بانهم اعلم الناس بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم فكان الاعتبار
بذلك الزم لهم والشكر لله به اوجب عليهم ولذلك خصص افمن يخلق كمن لا يخلق انكار

الانكار [illegible] الدلائل المتكاثرة الواضحة الدالة على كمال
قدرة الله تعالى وحكمته وتفرده بخلق ما عدده من مبدعاته لبيان انه [illegible] الخالق المطلق
لا يخلق شيئا [illegible] الجمادات [illegible] الاصنام [illegible] اعتقاداتهم وتسميتهم
آلهة وعبادتهم لها وفيه ضرب من التهكم [illegible] لا ان المراد كمن لا يخلق [illegible] فكيف بالجماد
فما تقدم كان مقتضى الكلام ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق لانه الذي لعبدة الاوثان
لكنه عكس تنبيها على انهم باشراكهم بالله سبحانه ما سموها باسمه وعبدوها كعبادته وسووا بينه وبينها فقد جعلوا
الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر ذلك عليهم [illegible] يخلق لان المراد
[illegible] الخالق شيئا بغير الخالق او التعميم اي افمن يخلق كل شيء
كمن لا يخلق شيئا منها او [illegible] ما عدد من المخلوقات [illegible] اي افمن يخلق ما عدد من الاشياء
العظيمة العجيبة كمن لا يخلق شيئا منها افلا تذكرون بعد هذه التنبيهات فتعرفوا فساد ذلك
فانه لجلائه ووضوحه كالبديهي المغفول عنه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تبلغوا طاقة
ضبط عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده
باستحقاق العبادة تنبيها على ان [illegible] النعم لا يحصى وان القيام بحقوق عبادته وشكره
غير مقدور لاحد ان الله لغفور حيث يستر تقصيركم في اداء شكرها ويتجاوز عنه رحيم
لا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وفيه ايذان بانه تعالى ما كلفكم
حق الشكر [illegible] والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون ما يشعر بانهم [illegible] فتستحق العقاب اي يعلم ما تسرون
من عقائدكم [illegible] وما تعلنون من اعمالكم [illegible] وهو وعيد على [illegible] باعتبار العلم
والعمل وتقصيرهم في الشكر والعبادة [illegible] فيما تسرون لان الوعيد من جهة العقائد
[illegible] والذين تدعون من دون الله اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دونه
تعالى او يعبدونهم لا يخلقون شيئا لما نفي [illegible] بين من يخلق وبين من لا يخلق
بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يساوونه [illegible] ثم اثبت لهم صفات تنافي
الالوهية [illegible] وهم يخلقون اي وهم ممكنات تفتقر الى الخالق فكيف
يكون الخالق الا واجب ان يكون واجب الوجود غنيا عن الكل اموات هم اموات [illegible]
[illegible] غير احياء
[illegible] لا يعرض لها الحياة [illegible] التي
يحييها الله تعالى [illegible] ذلك

الصرف في كونها امواتا او يكون ان يكون المعبود امواتا حالا او مآلا غير احيا بالذات ليتناول
كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون
اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم فكيف يجازونهم فان المعبود يجب ان يعلم بما دعاها
وقت بعثه ويجازيهم بما يستحقونه وفيه تنبيه على ان البعث والجزاء من لوازم التكليف
والعبادة وفيه تهكم بهم لان الجمادات لا تشعر بشيء فكيف بما لا يشعر به غير
الله تعالى الهكم اله واحد تلخيص للنتيجة وتكرير للمطلوب بعد ما اقام الحجة عليه على الابلغ
الوجوه فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة تعكيس للمقصود من النتيجة ببيان الموجب
انكارهم اي انه قد ثبت وتحقق بالبراهين المذكورة ان الالوهية تمتنع ان تكون الا لله
تعالى وحده وانه لا شريك له فيها فما نتج لهم ذلك اصروا واستمروا على شركهم وانكار قلوبهم
للوحدانية بعد ذلك لعدم ايمانهم بالآخرة فان الذي لا يؤمن بها لا ينظر في الدلائل ولا يتأمل
بخلاف المؤمن بها وهم مستكبرون وهم قوم عادتهم الاستكبار عن التوحيد وعن الاعتراف به
لما ترسخ في قلوبهم من تقليد آبائهم لا جرم قد سبق تفسيره في تفسير سورة هود ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ذلك وعيد على ما ذكر على ابلغ وجه وهو في موضع الرفع
على الفاعلية لان جرم فعل وقد مر انه لا يحب المستكبرين تعليل للوعيد اي لا يحب
كل مستكبر فكيف بالذي استكبر عن توحيده وعن اتباع رسوله وفي اطلاق المستكبرين تعميم
بوجه ما واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم
او المسلمون قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم فقدر
الجواب ما يدعون نزوله اساطير الاولين او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزله ربكم
وتقدير الجواب هو اساطير الاولين او المنزل اساطير الاولين على السخرية او التهكم والمجيبون
المقتسمون هم الذين كانوا يصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم
القيامة متعلق بما قالوا على التعليل في نحو لا يدل على الغرض واللام لام العاقبة اي قالوا
ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال
ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان
انما حصل بالتسبب اضلالا هذا وهذا فيه ... لا انه وزر بغير علم حال من المفعول
اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدته التنبيه على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم
ان يبحثوا ويتميزوا فيعرفوا من يتبعونه ويميزوا بين الحق والمبطل الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله

فاتى

فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت
فخر عليهم السقف قال ابن الاعرابي العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا
حائط اذا كان يملكه وان لم يكن عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج بهذا عن الذي من
كلام العرب اي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهذا تمثيل اي قد دبروا حيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم
في تلك المكائد والحيل واستيصالهم بها كحال قوم بنوا بنيانا واحكموا اعلامه فاتى الله بنيانهم
من جهة الاساس فسقط عليهم السقف فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم ويعذبهم بالنار
لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي لانه
قيل من جهة النار المضاف في تعيين الشركا حكاية لاضافتهم ويحاجهم بها وتهكما بهم الذين
كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرئ بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبيا والعلما الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ان الخزي اليوم متعلق بالخزي او السوء والذلة
والعذاب على الكافرين تعزيرا لما كانوا يعظونهم به وتحقيقا لما اوعدوهم واظهارا
للشماتة بهم وحكى الله تعالى قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل المراد من القائل الملائكة
ويأباه قوله الذين تتوفاهم الملائكة بحمل الحقيقة للكافرين فيكون خارجا عن القول
والنصب والرفع على الذم ظالمي انفسهم بان عرضوها على العذاب المخلد ونصب على الحال
فالقوا السلم فسالموا واخبتوا او عدلوا عما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والتكبر
قيل حين عاينوا الموت ويأباه السباق واللحاق ما كنا نعمل من سوء من كفر وعدوان
اي قالوا ذلك ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
لما جحدوا ما كانوا عليه من الكفر والعداوة رد عليهم اولو العلم بقولهم بلى ان الله
عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من باب الشماتة وكذا قوله فادخلوا
ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين اي جهنم والوصف بالتكبر للاشعار باستحقاق صاحبه
النار ومن لم يمنعهم الكذب يومئذ او لعلمهم ذلك بانا لم نكن في شيء عاملين سوء ولا
ينافيه الآية المذكورة لا يخفيه وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين عطف على قيل لهم
في قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وما رفع
الاول ونصب الثاني فرقا بين جواب الجاحد وجواب المقر اي انهم لم يتلعثموا في الجواب

الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً والمشركون عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير
الأولين وليس من الإنزال في شيء للذين أحسنوا في هذه الدنيا كلام مدح الله تعالى به القائلين
خيراً وجعل قولهم ذلك من جملة إحسانهم ووعدهم عليه ووعدهم به فهو كلام مبتدأ لا محل
له من الإعراب ويجوز أن يكون تفسيراً لقوله خيراً على أنه من كلام المتقين أي قالوا خيراً
ثم فسروا الخير بهذه الجملة بعينها أي هذا الكلام بعينه ما بعده ونحو خيراً حسنة مكافأة
بإحسانهم في الدنيا من العصمة والتوفيق والنجاة من العذاب العاجل ولدار الآخرة والثواب
في الآخرة خير مما لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين اللام للقسم ونعمة كلمة مدح أي الأخرى
فيها فلا فرح حزن ونعيمها مقيم وكلها دائم وصاحبها فيها خالد وحذف المخصوص بالمدح
ونعم دار الآخرة لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص
بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون تقديم الظرف للتخصيص
أي لهم خاصة دون غيرهم وعموم ما مع تقديم فيها ينبئ أن الإنسان لا يجد جميع ما يشاء من
المشتهيات إلا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين ذلك لأجل التأكيد مع تعظيم الجزاء وفيه
تنزيه للوجه الأول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر
والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم أو فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين
بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس يقولون سلام
عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على الأعمال
الصالحة وإنما قال ادخلوا الجنة لأن القبر روضة من رياض الجنة في حقهم ومن عقل عن
هذا نصب إلى ما ذهب وإن لم يكن له محل حسن الانتظام في الكلام هل ينظرون أي الكفار
المار ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر ربك العذاب
المستأصل أو القيامة فجأة وتخصيص وجه التعبير عن ذلك بأمر الله تعالى وتهويل الأمر بالمعية
[illegible] أو لأنها تنتظرونه بجامع انتظار الملائكة كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع
القبيح من الشرك والتكذيب من قبلهم فأصابهم ما أصابهم فكأنه عقل عن الأخبار عنه
بعد هذا صريحاً في نظم القرآن بأنه عن اعتباره هذا تغييراً فعل الذين من قبلهم وما
ظلمهم الله بتدميرهم أو تعذيبهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما استوجبوه
ذلك فأصابهم سيئات ما عملوا أجزية سيئات أعمالهم لا على حذف المضاف بل على تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وأحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل
إلا في الشر وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا

من دونه من شيء من البحائر والسوائب وغيرها مما أحل الله تعالى وإنما قالوا ذلك
تعنتاً وإنكاراً للتوحيد مبنياً على زعمهم ونفي لهم أن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ومنعاً
للبعثة وإنكاراً للتكليف لعدم الفائدة فيهما أو إنكاراً لقبح ما أنكر عليهم من الشرك
والتحريم وغيرهما متمسكين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه
ملجئاً إليه اعتذاراً أو لم يعتقدوا قبح أعمالهم كذلك فعل الذين من قبلهم أي مثل ذلك
الفعل الشنيع من الاستهزاء بالرسل وإنكار البعثة والتكليف والجدال بالباطل فعل أسلافهم
ولما فهم منه أن هذا للرسل وأنهم ما هم لم يجدوا سبيلاً في هدى الضالين المعاندين بأجل السؤال
بأن بينا ـــــ فإنا المرسلين حيث أن ليس شغلهم إلا إرشاداً وأجاب عنه بما
حقق وأقيم تعليله مقامه لاستلزامه لعلة الفعل لعن له فهل على الرسل إلا البلاغ المبين
أي لا ينبغي فهل عليهم إلا الإبلاغ الموضح للحق إلى من ليس لهم عليهم هداية ولكن سبحانه في
سبيل الأسباب بحكمه وجعل تبليغ الرسل سبباً لطلب [illegible] عليهم عليه
السلام إنما كلفهم بالتبليغ والإبانة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم
بين أن بعثة الرسل والدعوة إلى الحق والتكليف أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها سبباً
لهدى من أراد اهتداءه وأمره بالضلال لمن أراد ضلاله كالغذاء الصالح الذي ينفع من اعتدل
مزاجه ويضر من انحرف مزاجه بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا التنكير للتعظيم
أن اعبدوا الله يجوز أن تكون تفسيرية أي بعثناه بأن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
قد سبق تفسيره في سورة البقرة فمنهم من هدى الله وفقهم للإيمان بإرشادهم
ومنهم من حقت عليه الضلالة لتغيير الأسلوب بالعدول عن هو إلى ومنهم من أضله للتنبيه
على أن الثاني أي الضلالة استعلاء أشبه عليها أقطع عنه قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله
وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومن لم يتنبه لذلك قال إذا لم يوقعهم ولكنهم فعلوا
فسيروا في الأرض ترتيبه على موجب ما تقدم من تنزل العذاب عليهم فكأنه أخبر عنهم
عنه وأحاطهم في تعرف ذلك على السير في الأرض ولا اختصاص للأمر المذكور بتحقيقه فانظروا
المعطوف بالفاء لأن الدليل على أن الغرض من الأمر بالسير هو النظر المذكور الذي تسبب عنه من الأرض
هذا الأمر وأجعلوه غاية سيركم فالبيان أن ترتب أحد الأمرين على الآخر يكون الأول
وسيلة للثاني لا للتعقيب لسيرها النظر فتدبروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود
وغيرهم لعلكم تعتبرون إن تحرص الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على هداهم فإن
الله لا يهدي من يضل من حقه أن يضل تحليل الجزاء وقيمة مقامه لاستلزامه لعلة الفعل لـ

أي تهون على نفسك ولا تتبعها وتسل عنهم فان هداهم ممتنع وقرئ لا يهدي على البناء
للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ينصرونهم وينجونهم مما اعد لهم الله تعالى او يدفعون العذاب
عنهم اذ عندهم وانما جمع لان الاجتماع مظنة زيادة النفع والقدرة على النصرة واقسموا
بالله جهد ايمانهم سننا ومجتهدين فيها بالغين طاقتها واقصى وسعها ايمانا لتقوى
اليمين وبلوغ غاية غلظتها واقصى مدارجها وهو في حكم الحال لان اصله واقسموا بالله
يجهدون ايمانهم فحذف الفعل ووضع المصدر مكانه مضافا الى المفعول لا يبعث الله من
يموت ارادوا به نفي قدرته تعالى على بعث الموتى والجملة عطف على وقال الذين اشركوا
تصريحا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولا
بانهما كذبا وعظيمتا تخصيصهما بان يحكما وتمهيدا لينصبهما ويحتجوا بهما فرد الله
تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان
يبعث موعد من الله تعالى عليه صفة لوعدا حقا صفة اخرى له اي وعدا ثابتا عليه انجازه
لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مقتضى حكمته او عدم العلم به لا يستلزم العلم بالعدم
فضلا عن العلم بالامتناع وانما هي الى التعليل لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه فيحق
النظر ليبين لهم تعليل لما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين
كلهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في
قولهم لا يبعث الله من يموت وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي من حيث
الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدأ وان نقول خبره واذا ظرف لقولنا
اي وقت ارادتنا له او شرطية حذف جوابها لدلالة الجملة الاسمية عليها اي اذا
اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك بلا توقف تمثيل لسرعة تأتي
المقدورات على قدرته تعالى وهو ان كل ما تعلق به ارادته من الاشياء لا يمتنع عليه ولا
يتوقف بل يكون كالمأمور المطيع اذا امر المطاع فلم يلبث ان يمتثل والبعث احد الاشياء الممكنة
فكيف يمتنع عليه ولا قول ولا امر فيكون النصب عطفا على نقول او جوابا للامر والذين
هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون رضي الله عنهم هجروا وطنهم
في الله في حقه ولوجهه فان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها حكم وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد
تقول له تعالى من بعد ما ظلموا على انهم كانوا مظلومين في ايدي الكفار والمشركين الذين

بمكة

بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة او
تبوئة حسنة ولأجر الآخرة أكبر مما نعجل لهم في الدنيا لو كانوا يعلمون الضمير للمهاجرين
اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم او للكفار اي لو كانوا يعلمون ان
الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لرغبوا في دينهم الذين صبروا على اذى
الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول
قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة الا
بشرا يوحي اليه والوحي اليه يلزم ان يكون بواسطة الملك حصلا لان يكون على لسانه
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب ليعلموا الاحبار
ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون ليجيبوا بجدد وتعديل عليه ما قبله وفي الآية دليل على انه
لم يرسل ملكا ولا امرأة ولا صبيا للدعوة العامة واما ما قيل عيسى عليه السلام وهو
في المهد لانها اخص من الرسالة الكلية وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر بالمعجزات والكتب متعلق بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام من حيث
ان عدم علمهم بسبيل الجاهل الذي خلا عن الالزام ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا
تحت حكم الاستثناء اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات وان يكون صفة لرجالا اي رجالا
متلبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقامه اعني اليهم على ان قوله
فاسألوا اعتراض او يتعلق بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر وفي
على هذا كلام آخر سنا له وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه تذكير وتنبيه
للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله عليك من الاحكام والوعد
والتبيين اعم من ان يكون بالنص او بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم
يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق والرأي العطف على محذوف تقديره
ارادة ان يصغوا اليه أفأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين
احتالوا لهلاك الانبياء عليهم السلام او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا
صد اصحابه عن الايمان وتخلل المفضي للتعقيب لكن الانسب لما قبله عموما عاقبة
المكذبين من الامم ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اي في حال غفلتهم ما بين ولا
يلزم ان يكون من جانب السماء ولا ان يكون بغتة ولهذا جمع بينهما في قوله من قبلكم

العذاب بغتة وانتم لا تشعرون **او يأخذهم** الاخذ هنا كأنه يدعى الاهلاك كما في قوله
وكلا اخذنا بذنبه **في تقلبهم** في تصرفاتهم في امورهم وهذا ايقاظ من غفلتهم عن نظر
الآيات لتوغلهم في تحصيل المهمات لا الذي هم فيه مشغول به وهذا تفصيل لما اجمل الضحاك
يتركه بالليل قد اشتغلوا **فما هم بمعجزين** بفائتين والله لا لله على ثبات الاخذ بحيث
لا ينفلت الماخوذ ولوا انا نسبه الكلمة المذكورة اتفاقا **او يأخذهم على تخوف** على مخافة
بان يهلك قوما قبلهم فيتوقعوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون وهو خلاف الاتيان والاخذ
المذكورين سابقا لانه اخذ على توقع فيكون التعرض للتعميم وقيل هو من تخوفته اذا تنقصته
اي يأخذهم على تنقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا **فان ربكم لرءوف**
رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم لها وهذا كالتعليل للاخذ على التخوف لان فيه
مهلة [illegible] اذ وقعت فيمكن فيها التلافي **اولم يروا الى ما خلق الله** استفهام انكاري
قدر وانما لهم في الصنايع فما لهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وصنع فيها فلولا
منه وانما هو **من شيء** لان المخلوقات تتعلق بعينه ما خلق من شيء كما في الاجسام وما خلق
من غير شيء كعالم الامر وهو عالم الملائكة والارواح كما قال تعالى الا له الخلق والامر فالاشياء
عالم الارواح لانه لا يخلق بالامر كن من غير شيء والظل من خواص ما في عالم الخلق وبهذا
اندفع ما قيل ان بيان ما خلق بشيء بيان المبهم بما هو ابهم فافهم **يتفيؤا ظلاله** اي تميل
من جانب الى جانب رجع واختلف في التفيؤ فقيل هو مطلق الظل سوا كان قبل الزوال او بعده وهو
الموافق لمعنى الآية وقيل الفيء الذي هو بعد الزوال **عن اليمين والشمائل** اي عن الجوانب
كلها استعير اليمين والشمال من جانبي الانسان لجانبي الشيء [illegible] بالشمائل الخلف
والقدام على طريق التغليب لان الظل يفيء من الجهات كلها **سجدا لله وهم داخرون**
حالان من الضمير في ظلاله باعتبار المعنى لانه يرجع الى ما وحدا باعتبار اللفظ وجمع الحرة
بالواو للتغليب للعقلاء على سائر ما خلق الله تعالى ولان السجود والدخور من وصف العقلاء
ويجوز ان يكون حالا من الظلال اما الاول منها والثاني من الضمير وهذا اولى لما
فيه من وصف الظلال بالسجود ووصف اصحابها بالدخور الذي هو ابلغ لانه انقياد [illegible]
مع صغر المقام [illegible] حسن المعنى [illegible] الظل [illegible] واستعير
السجود والدخور للانقياد والاستسلام والتسخير لما يريد من المخلوقات او ضلالها
سوا كان بالاضطرار او بالاختيار [illegible]
اذ الظلال [illegible]

وباختلاف

وباختلاف مشارقها ومغاربها بمقدار [illegible] من جانب الى جانب سجدا [illegible] من الشرق
وانقيادها على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد للاجرام في نفسها فاخرج اي صاغرة منقادة
لامر الله تعالى فيها **ولله يسجد** ينقاد لارادته وقدرته انقيادا يعم الاختياري
والاضطراري ومن ذكر بدل الاول سواء يكون تطوعا وبدل الثاني فيما يكون طبعا لا تعقيب
في واحد منهما **ما في السموات وما في الارض** بيان لما في الارض لان الدابة ما تدب
في الارض ولا يلزم ان يكون على وجهها ان السكوت عن بيان ما في السموات للاشعار
بكثرة ما فيها اجناسا وانواعا ومن زعم تخصيص البيان اجماعا ان الدبيب هي الحركة الجسمانية
سواء كانت في جسمها [illegible] عما في قوله تعالى ويخلق كل دابة من ما
من انه لا دليل على اختصاصه [illegible] ما في الارض لان ما في السماء اعلى بطريق الدلالة **والملائكة**
خصت بالذكر معطوفة على ما في السموات للتعظيم عطف جبريل على الملائكة اي والملائكة
خصوصا من الساجدين لانهم اطوع خلق الله واعبدهم **وهم لا يستكبرون** عن عبادته جلت
استثنا فيه [illegible] بعض التصديق **يخافون ربهم** خوفا اجلال وهيبة وتعظيما حال
من ضمير لا يستكبرون او بيان لنفي الاستكبار وتأكيد له لان من خاف الله تعالى لم
يستكبر عن عبادته **من فوقهم** حال من ربهم [illegible] والعلو [illegible] عليهم بالقهر
ويفعلون ما يؤمرون خوفا له وطلبا لمعرفته وفيه دليل على ان الملائكة
مكلفون بالتكليف الشرعي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب **وقال الله لا تتخذوا الهين**
اثنين [illegible] بالوصف اثنين وان كانا للتثنية عليه للدلالة على ان [illegible]
[illegible] الآلهة وانا لا اثنينية [illegible] لا للتوحيد في قوله **انما هو**
اله واحد [illegible] اثبات الوحدانية [illegible] **فاياي**
فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم [illegible] في القلوب [illegible]
[illegible] الترهيب [illegible] التنبيه [illegible]
اي ان كنتم [illegible]
بكل شيء **وله ما في السموات والارض** [illegible]
به [illegible] ولله يسجد [illegible] فكيف لا يعبدونه
له [illegible] الاختصاص [illegible]
وكذا قوله **وله الدين** اي الطاعة والانقياد **واصبا** اي واجبا ثابتا اي وله الجزاء
دائما [illegible] ولا يزول وهو تأكيد [illegible] تعليل [illegible] للانقياد والرهبة [illegible]

على الوجه الثاني وكذا أفغير الله تتقون تأكيدا آخر بتقديم المفعول لتبع أن الهمزة للإنكار
والجملة على الفاء التعقيبية أي أبعد العلم بالتوحيد وتخصيص الكل به خلقا وملكا
تخصون غيره بالاتقاء فيه توبيخ بليغ وما بكم أي شيء استقر واتصل بكم من نعمة فمن
الله أو الذي اتصل بكم فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار
الإخبار لا الحصول لأن استقرار النعمة بهم سبب للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه
ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون الجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة أي فما تتضرعون
في كشفه إلا إليه وفي فرق بين حصول النعم ووقوع الضر بعموم ما وإيراد إذا الأولى إشارة
في الجملة الاسمية أي كل ما استقر بكم من النعم المستمرة فهو من الله يجب عليكم شكره لا أنا
لا تعلمون في حال ما من أحوالكم كثيرة وبإيراد ثم المفيد لتراخي المس الذي هو أدنى إصابة
ونحو الضر الذي يكفي في إطلاقه أقل ما يطلق عليه الاسم في الجملة الفعلية أي إذا تجدد
إصابة أدنى شيء من جنس الضر بعد ما تطول لا تجأرون إلا إليه علما بأنا دونه
لأن وقوع هذا القدر من الضر في بعض الأحايين محقق ثم إذا كشف الضر عنكم
تنبيها لا سيما بالتراخي بعد كشف الضر عند تخصيصه تعالى بالتضرع إليه في طلب كشفه
وللعلم بحصول الخير الخيرات منه إذا فريق منكم بربهم يشركون إذا فجائية والخطاب
عام والفريق هم الكفرة أو خاص بالمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض أي إذا فريق وهم
أنتم بربهم يشركون والتعظيم على أن نعمتهم من غيره أو بحركتهم له فيما عاهم إلى الغير
فتهم مقصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم بيان لرسوخ الكفر الذي هو كالمشبه
على طباعهم حتى كأنهم جعلوا غرضهم من الشرك كفران النعمة فتمتعوا وقرئ فيمتعوا مبنيا
مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على أن اللام للتعليل ويجوز أن يكون لام الأمر الوارد
للتهديد والفاء للجمل بـ فسوف تعلمون عاقبة فهو وعيد بليغ ويكون ليكفروا أيضا واردا
على سبيل الخذلان والتخلية ويجعلون لما لا يعلمون أي لآلهتهم التي لا يعلمون حقيقتها
فيعتقدون أنها تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله تعالى وهي جمادات لا تضر ولا
تنفع على أن العائد إلى ما محذوف وفي جهلهم على أن ما مصدرية والمعمول له محذوف
للعلم به أو لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جمادات فيكون الضمير لما نصيبا مما رزقناهم
من الحرث والأنعام وغيرهما تقربا إليها تالله لتسألن عما كنتم تفترون من أنها
آلهة حقيقة بالتقرب إليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة
يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن قولهم أو تعجب منه ولهم ما يشتهون

نصب

نصب عطفا على البنات أي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين أي يختارون لهم ذلك أو
رفع على الابتداء ولهم خبره والجملة اعتراض وإذا بشر أحدهم بالأنثى أخبر بولادتها
ظل وجهه أي صار أو دام النهار كله مسودا من الكآبة والسواد أو الوجه مجاز عن الاغتمام
من الحياء من الناس وهو كظيم مملوء غيظا أي على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء
ما بشر به من أجل سوء المبشر به أيمسكه محدثا نفسه متفكرا في أن يتركه على هون ذل أم يدسه
أم يخفيه في التراب أي يئده وتذكير الضمير للفظ ما ألا ساء ما
يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد ما هذا محله عندهم ولأنفسهم من هو على عكسه
هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء من الحاجة إلى الولد ليقوم
مقامهم وإرادة الذكور استظهارا بهم وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق المنادي
على أنفسهم بالشح البالغ ولله المثل الأعلى من الغنى المطلق والجود الذاتي
الكامل والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة والقوة على بطشهم
وأخذهم بذنوبهم الحكيم الذي يؤخرهم إلى أجل مسمى بمقتضى الحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الأرض وجاز الإضمار بها من غير ذكر
لدلالة الناس والدابة عليها لما عرفت أنها ما يدب فيها قط من دابة لأن غير الإنسان من الدواب
إنما خلقت لأجل الإنسان لقوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا ولو أخذ الظالم بظلمه لانقطع
نسل الإنسان إذ ما من خصل لا وفي آبائه ظالم ولا لأنه على أن يكون الناس
كلهم ظالمين لما عرفت أن لا يدب فيها قط من دابة لأن غيره لا خلاف من الدواب إنما خلقت
لأجله لقوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا والمراد من الظلم المضاف إليهم ما هو
ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى سماه لأعمارهم ولعذابهم كي يتوالدوا فإذا جاء أجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قد سبق تفسيره في سورة الأعراف ويجعلون لله ما يكرهون
أي ما يكرهونه لأنفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وأرذال
الأموال وتصف ألسنتهم مع ذلك الكذب وهو أن لهم الحسنى أي عند الله تعالى
كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى بدل من الكذب أو على إسقاط الخافض أي
بأن لهم وقرئ الكذب على أنه جمع كذوب صفة للألسنة لا جرم قد سبق تفسيره أي
حقا أن لهم النار رد لكلامهم وإثبات لضده وأنهم مفرطون بالفتح
معجلون إلى النار من أفرطته إلى كذا إذا قدمته في طلب الماء
قدمته وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفي إذا خلفته ونسيته وقرئ بالكسر

مفرطين من الافراط في المعاصي ومشدداً من التفريط في الطاعات وما يجب عليهم
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم تسلية للرسول صلى الله عليه
وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم ووعيد لاهل مكة فهو وليهم اليوم
حكاية الحال الماضية التي كانت يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك
الوقت فاذا استحضرنا صورة التي يتبعن وقصه للسامعين عسى ان يعتبروا بها فيحترزوا عن
مثلها ويخرجوا عن ولاية اللعين او الى يعني قريشا الذي يتولونه وحكاية الحال الاتية
وهي حال كونهم معذبين في النار بعدا لها للاستحضار المذكور في اذهان المخاطبين والولي
بالمعنى المذكور او بمعنى الناصر اي هو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره فيكون نفيا للناصر
على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في الاخرة النار وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد من البعث والجزاء واحكام
الافعال من التحليل والتحريم ونحوهما وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عطفا على محل لتبين
نصبا على التعليل لكونهما فعلي فاعل الانزال بخلاف التبيين فجيء به باللام لفقد
شرط نصبه والله انزل من السماء ماء قد سبق وجه تنكيره فاحيا به الارض انبت
فيها انواع النبات بعد موتها بعد يبسها والتعقيب الذي دل عليه الفاء لا ينافي المهلة
الواقعة بين المعطوفين لان ذلك مما يكون على حسب تعارف الناس متعقبا لا حاجة بعد
الانزال بعد منتظرا لامر اخر الا مجرد تلك المدة وذلك فعلة له اذا لم يكن الا
مهلة الحمل ان في ذلك لاية لقوم يسمعون اراد بالسمع القبول كما في سمع الله
لمن حمده اي لقوم يتاملون فيها ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها وانما خص كونه
اية لهم لان غيرهم لا ينتفعون بها ويحتمل ان يكون المعنى لقوم يسمعون من الغير كيف
الذين يبصرونه اية للاية للاعمى فكيف البصير وهذا التخصيص كالتخصيص في قوله
هدى ورحمة لقوم يؤمنون ربنا فرناه بين حجة الله ولمن يبصرونه الى يسمعون
وان لكم في الانعام لعبرة دلالة على قدرة الله تعالى وحكمته والتنكير للتعظيم والتفخيم
نسقيكم استئناف لبيان العبرة مما في بطونه ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه في
سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية
على افعال ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده
او له على المعنى فان المراد به الجنس من بين فرث ودم لبنا الفرث فضلات ما يبقى من
العلف في الكرش وكيف ما بقي من الاكل في الامعاء الاولى بتبعيضية لان اللبن بعض

ما في

ما في بطونها والثانية ابتدائية لان الاسقاء يبتدي من مادة مبدأها الدم ومنتهاها
الفضلة التي لا حاجة اليها بل يجب ان يدفع كالفرث نفعا للضرع لا للبدن او من مادة
بين الفرث الذي هو الفضلة المحضة والدم الذي هو الاصول المحضة تقريبا للنسبة الى الفرث
اصل لانه لا بد منه في بقاء النسل وبالنسبة الى الدم فضل لانه لا حاجة اليه في بقاء
الشخص وعلى هذا يجوز ان يكون من الثانية ايضا ابتدائية تبعيضية لان بدل ان الاول
غير مخصوصة في اللبن فان الدم الذي يصير غذاء الجنين منهما او كذا تمام الممزوج يكون اللبن
المذكور الا اي كائنا من بين فرث ودم وانما قدم على اللبن وهو صفة له في المعنى لانه
موضع العبرة فهو معنى به جدير بالتقديم لكونه خالصا من جنسين وهو في معرض ان ينقلب
اليه لانه اذا شيء يخرج من مخرج فضلات الهضم الرابع وذلك ان العلف يهضم فيجذب
صفاوته الى الكبد فيصير دما ثم الدم ينجذب الفرث في الكرش ويشتغل في توزيع الدم
على الاعضاء ليتغذى بها ويفضل من غذايه فضل صالح يرتقي الى الضرع الذي هو لحم غددي
رخو ابيض فينقلب الدم عنده فيصير الى اللبن هذا هو القول الصحيح فيتولد اللبن
من وهو محله بين الفرث والدم مقعد وهم خالصا صفيا مما يصحبه من الاجزاء الكثيفة
بتضييق مخرجه وبهذا صار لبنا سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم واما ما قيل ما في الاستصحاب
ان الدم ولا يجر العرق فمعناه الوهم الغالب المذكور تماما لا فائدة منه من اللبن من
محل الفرث ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما في لا بتقاد من معنى الاطعام اي
نطعمكم منها فينتظم الماكول منها والمشروب المتخذ من عصيرها ولا حاجة الى تقدير يحذف
وتعلقه بتسقيكم يؤدي الى اخراج الثمر والزبيب من الرزق الحسن ولا وجه له تتخذون
منه سكرا استئناف لبيان الاطعام وتذكير الضمير باعتبار رجوعه للثمر ولما كان اللبن لا يحتاج
الى صنعة اخبر عن نعمه تعالى به بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج في
صنعه الى الجهد قال تتخذون واما قال الاية لا دلالة على الاباحة لان السكر مصدر سمي به
الخمر وقيل السكر النبيذ ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل ونحوها وقيل
على شكر تعريض بكراهة الخمر وانه ليس بحسن ولذا قيل ان السكر ان كان مباحا متوهما
يحسن اجتنابه وهذا على ما قالوا اذا الاية نزلت قبل تحريم الخمر وقيل المراد بالسكر من الرزق
الحسن لان اكثر الصحابة رضي الله عنهم كان فيها خيرا لم تتميز من الرزق الحسن فاستغنى
عن شربها ونزلت الاية قبل تحريمها لانها في كونها جامعة بين المنافع في الدنيا الذي حرمه
النبي الاجتهادي ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل

في الآيات ولما كان في بدء الكلام هو من ذاك سبحانه يعقلون لأنه لا يختبر إلا ذو العقل
وأوحى ربك إلى النحل الإيحاء إلى النحل إلهامها وإبداعها دل عليه حذاقتها في صنعتها
وتدبيرها أمرها وترتيب مراتب عملها أن اتخذي من الجبال بيوتا بأن اتخذي ويجوز
أن تكون مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول وذكر بيت العسل لأن النحل تجمع عسله ومن الشجر
ومما يعرشون ما يعرش الناس ويرفعونه من سقوف البيوت وأما ذكر حرف التبعيض لأنها
لا تتخذ في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون ولا في كل مكان منها وذكر المراد من بيتها ما
تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها بالذي أبنية الإنسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا تقوى عليها حذاق المهندسين إلا بالآلات رقيقة وأنظار دقيقة ولعل ذكر التبعيض
على ذلك بأنها تحتاج في الجبال أوكارها وتجتمع في الأشجار فيما يعرشون تأدبا من الشقوق
ثم كلي فيه إرشاد إلى أن النحل فإنها تبني البيوت أولا ثم تأخذ في الجرس والعسل من كل
الثمرات كل للتكثير كما في قوله وأوتيت من كل شيء أو لابتداء الغاية فاسلكي سبل ربك
التي ألهمك لعملها في بيوتك لا تضلي عنها فإنها ربما بعدت في طلب نجعتها إلى مواضع بعيدة
وتعود بيوتها راجعة ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل أي مذللة ذللها الله وسهلها لك
يخرج من بطونها التفات من خطاب النحل إلى الغيبة لتعين الخطاب للذي لما بين الأغراض
الإنسان بالنعمة الجسمية بين الغذائية والدوائية والذوق ولسلم عليهم والإعجاب بأفعال
العجيبة ولطف صنعها التي يهتز النفوس لها أشد الإعجاب على قدرة الصانع وكمال علمه
وحكمته شراب يعني العسل لأنه مما يشرب وعبر عنه لأنه على ما هو الحق عند المحققين
من أن النحل يأكل الأزهار والأوراق العطرة فيستحيل في بطنها ثم يقيئه ادخارا للشتاء ومن
زعم أن النحل يأتي بخصوصه بأنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على
الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادخارا ثم إذا اجتمع لزمه أن يجعل البطون مستعارة للأفواه
النحل ويكون الأكل ترشيحا لها مختلف ألوانه أبيض وأحمر وأصفر وأسود بحسب لون النور
أو سن النحل فيه شفاء للناس إذ منه ما لا غذاء به الأدوية فهو معجون لم يبق فيه ولعله
نكره لأن فيه شفاء بعض الأمراض لا كلها أو لتعظيم الشفاء الذي فيه إن في ذلك لآية
لقوم يتفكرون فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة
حق التدبر علم قطعا أنه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم
يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد عطف على محذوف تقديره فمنكم من يعجل وفاته
ومنكم من يرد قال أي شيخا إلى أرذل العمر أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقص

العقل

العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحالة الطفولية في
النسيان وسوء الفهم كي مصدرية ناصبة بنفسها الفعل بعدها أي ومعضوبها في تأويل
المصدر مجرور باللام التعليلية المتعلقة بيرد إن الله عليم بمقادير أعمالكم قدير على ما
العمر ويبقي الشيخ الضعيف وفيه دليل على أن تفاوت آجال الناس بتقدير قادر حكيم
وأما أنه لا دخل فيه للاستعداد واقتضاء الطبع وسوء التدبير فلا دلالة عليه والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق تنبيها بأنه تعالى بالتفضيل أي الله تعالى فضل بعضكم
على بعض بأن جعلكم متفاوتين في الرزق فما الذين فضلوا أي جعل رزقهم فضل من رزق
غيرهم برادي رزقهم بمعطيه رزقهم على ما ملكت أيمانهم على مماليكهم فنسوي بعض
بأنفسهم في المأكل والملبس فهم فيه سواء أي هم واحد لهم ومماليكهم فحقهم أن يساووهم
في ذلك والجملة لازمة للجملة المنفية ومقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب
كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا في الرزق على أنه
رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون
أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه أفبنعمة الله يجحدون أي بتلك
النعم يشركون بنعمة الله إذا أنسوهم بالشكر أي لما قد لقي فمن كفر أنعم الله وفي شأنه
المفضلين في الرزق برادي رزقهم عليهم فإن رزقهم بالكلية بل هم رزقوا
المماليك كما لا يستوي الموالي مع المماليك في الرزق فلا تحسبن الموالي أنهم رزقوا
فإنما رزقهم في أيديهم فبنعمة الله يجحدون حيث ينسبون رزقهم إلى أنفسهم
لا إلى الله ويجحدون أنه من عند الله والباء في بنعمة الله لحمل الجحود على الكفر حمل النظير على
النظير وعلى الوجه الأول فالذي فضل الجملة توبيخية والهمزة للإنكار على التنبيه
وتقديم بنعمة الله يجري للتوبيخ وإنما التعظيم أي بعد علمهم بأنها من الله وقرئ
تجحدون بالتاء لأن ذلك بنعمة الله خاصة يكون على الوجه الثاني فالتوبيخ والإنكار
إنما يكون في الجملة الأخيرة وأما الجملة فيما قبلها والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا
أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وجعل لكم من أزواجكم
تبيينا بالاختصاص إلا بالنفس بنين وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة
والطاعة قيل المراد بهم البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين وقيل هم البنات فإنهن
أي في التعبير عنهن بالحفدة دون البنات تعريض على العجم الاستنكاف من البنات ووجه
يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد أي أولاد البنات

من حيث انهن مثلها لا تجانب بمجانبة وقيل هم الربائب جمع حفيد بظهر وجه الاحتياج
اليهن كما بينا ازواجكم واما الحمل على الاول فظاهر لانه تخصيص للبنين بالذكر فانه ح خدمته
التعظيم ولا ايضا ورزقكم من الطيبات بعضها لان كلها انما يكون في الجنة والمراد الاطعمة
الشهية افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما حرم عليهم
كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوها الى غيره تعالى او حرموا
ما احل الله لهم وتقديم الصلتين في قوله بنعمة الله ويكفرون للنعوت الفاصلة للتوبيخ والانكار
بالمضرة الواردة على الفاء التعقيب اي ابعد وضوح دلائل بطلان ما يعتقدونه يؤمنون
بذلك الباطل ويجوز ان يكون لاهتمام التخصيص بما لعنة وكذا تقديم الباطل ونعمة
الله على ما تعلقا به ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا من مطر ونبات وهو مفعول له رزقا ان كان بمعنى المصدر وبدل منه ان كان بمعنى
المرزوق ويجوز ان يكون لنعدد ليملك اي ما لا يملك رزقا شيئا من الملك ومن السموات
والارض صلة للرزق ان كان مصدرا وصفة له ان كان اسما او التنوين في رزقا وشيئا للتحقير
والتقليل وفي ابدال شيئا منه رزقا تقليل آخر وفي ايراد ما دون من تحقير آخر وفي التقييد
بقوله في السموات والارض مبالغة في نفي ملك الرزق عنها اي ما لا يملك لهم رزقا ما
في جهة من جهات العالم ولا في شيء ما نحو قطرة منه ولا يستطيعون الضمير لما لانه في معنى
الالهة وهو من الافعال التي لا يبتدأ بها مفعول ويجعل مطلقا كالفعل اللازم والمراد نفي
الاستطاعة المطلقة اي لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة لهم اصلا لانهم اموات وان
قدر المفعول له لانه رزقهم فهي مفعول يملك عليه فالمراد بالجمع بين نفي الاستطاعة
والملك جميعا التركيب او نفي الوقوع والامكان اي لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه
ويجوز ان يكون الضمير للكفار اي ولا يستطيع هؤلاء الكفرة مع انهم احياء متصرفون ان يملكوا
شيئا من الرزق فكيف بالجماد الذي لا حراك به يصح ان يحس فلا تضربوا لله الامثال نهي عن المثل
بالله في التشبيه على طريق التمثيل لان من يضرب المثل يشبه حالا بحال وقصة بقصة فجعل ضرب
المثل مثالا للاشراك لانه التشبيه كانه قيل ولا تشركوا بالله وعدل الى التعبير به لانه ادل على النهي
في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا وفي لفظ الامثال الجمع لا مثال له اصلا نعي عظيم عليهم
على سوء فعلهم وفيه دلالة على ان الاسماء توقيفية وهذا هو الظاهر لا لان العامة ذكر
ضرب المثل منهما سابقا ان الله يعلم تعليل للنهي عن الشرك ووعيد عليه اي ان الله يعلم
قبح ما تفعلون لكنه يمهله فيؤخر جزاءه فيحكم عليه بما يليق به في العظم وانتم لا تعلمون كنه

ذلك

ذلك وكنه عقابه فلذلك اجترأتم عليه ويجوز ان يراد به فلا تضربوا الى آخره ما يم
من النهي عن ضرب الامثال لله تعالى ويكون تحقيق التعليل ان الله يعلم كيف يضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ذلك وكانه اريد بالنهي ان لا يخوضوا في اسمائه تعالى
وصفاته فاذا لم يحسن ضرب المثل والاستعارة يكفي مناسبة تامة والاطلاق يليق بالعلامة
كان فتعلم جواز الاطلاق الاسماء من غير سبق تعليم منه تعالى واثبات الصفات اولى والاولى
ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا كلفته ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء عبدا بدل من مثلا ومن رزقناه منا رزقا حسنا من موصوفة معطوفة
على عبدا او موصولة فهو ينفق منه سرا وجهرا مثل ما اشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف
مطلقا ومثل ذاته تعالى بالحر الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف
يشاء وخص العبد بالمملوك لان اسم العبد يطلق على الحر ايضا لانه عبد الله تعالى
وبقوله لا يقدر على شيء ليخرج عنه المكاتب والمأذون فانهما يقدران على شيء كأنه قيل ولا
تشركوا بالله شيئا لان فيه مثلا ان المملوك لا يملك لانه لو جعل شيئا ما لكان لا يبعد النفي
بقوله لا يقدر على شيء والاصل في النفي الاخبار قبل النهي لعل كالك عليا ما قيل ان يمسك به
ما على هذا الاصل هل يستوون اي هل يستوي الاحرار والعبيد فما كان صنفان لا يستوي
مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف تشركون بالله تعالى وتسوون
به من هو مخلوق له مقهور بقدرته الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها
وكلمة بل رد على ما توهم من استحقاق الاصنام العبادة والشكر وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم اي لا ينتفع فيه من جهة القول وقد سبق بيان معنى الابكم والفرق بينه وبين الاخرس
لا يقدر على شيء فلا ينتفع فيه من جهة العمل ايضا وهو كل على مولاه مع ذلك هو ثقل
وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر لا يأت بخير
بنجح وختم والتنكير للتقليل هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل من هو منطيق فهم
ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الكامل لمجامع الفضائل كلها وهو على صراط وذو حج
في نفسه على طريق مستقيم وادين قويم اي كامل مكمل كرر التمثيل لزيادة الكشف وليعم
نقيضين بما يتاح الاشتراك في التشبيه في صورة بين عكسين ليتمكن في نفس السامعين
واحتج في كل واحد من المثلين بما يتاح الاشتراك والتسوية بين عكسين فيما يليق مع
اشتراكهما في الجنسية والعلو فيه على بيان الاشتراك والتسوية بين الاصنام التي

بين أحسن المخلوقات وأعجزها وبين الله تعالى الواجب بذاته القادر على الإطلاق ولله
غيب السموات والأرض يختص به تعالى علم ما غاب فيهما عن العباد وقيل يوم القيمة
فان علمه غائب عن أهل السموات والأرض وعلى هذا يكون العدول عن التعبير في قوله
وما أمر الساعة أي أمر قيامها في سرعته وسهولته إلى الاسم لتضمن ما فيه من التسوية للخبر
إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها قيل لأن الساعة في الوقوع غيرها في
بأقل ما يمكن أن يدرك من الزمان ولهذا قال أو هو أقرب أي أسرع وأقصر زمانا
بأن يكون في معتاد يصفه تلك الحركة في آن ابتداء تلك الحركة فإن الله تعالى يحيي
الخلائق دفعة واحدة وما هو شيء لوجوده يكون الحدوث في آن ويحتمل أو بل إن الله
على كل شيء قدير فيقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق في أسرع وقت كما قدر على
احيائهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله أخرجكم من بطون أمهاتكم بيان للنحر
في الابتداء يعني لم تكونوا قادرين بأنفسكم على الخروج فأخرجكم كما أن قوله لا تعلمون
شيئا بيان لجهلكم به في موضع الحال أي غير عالمين وفيه دلالة على أن حركة الجنين غير
ارادية وجعل لكم السمع والأبصار خصهما بالذكر والمراد جميع الحواس لأنهما أشرفها
والاعتبار والاستدلال بذكرهما أكثر كما خص الصلوة والزكوة في مواضع من القرآن بالذكر
والمراد جميع العبادات لأنهما أصلها وتقديم السمع لأنه أعم نفعا وأنه حينئذ يحصل العلوم
النقلية التي لا يتطرق فيها الغلط والأفئدة أي أنعم عليكم هذه الآلات والقوى
لتدركوا بالحواس والمشاعر الجزئيات وتنتبهوا بالأفئدة لكلياتها فتحصل لكم العلوم البديهية
وتقدروا على اكتساب النظريات بهما والأفئدة من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة
إذ لم يرد في السماع غيرها لعلكم تشكرون أراد أن تشكروا نعمه الظاهرة والباطنة
بالعمل بتلك العلوم فتورثكم العلوم الكشفية كما قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما
تعلم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم فتكملوا وتسعدوا وأما ذكرت الآلات لجعلها في مقام
الامتنان والحث على أن تشكروا الله لتدرك تعظيما للعلم وتنبيها على أن المقصود من خلق
ابن آدم بل من إيجاد العالم هو العلم على ما أشار إليه قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون أي ليعرفون ومن قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف الحديث
ألم يروا إلى الطير جمع طائر مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة
وهيئ لها من الأسباب المؤدية لذلك في جو السماء في الهواء المتباعد من الأرض في
إضافته إلى السماء إظهارا للجهة لطافته تقريبا لمعنى التسخير ما يمسكهن فيه إلا الله فان

ثقل

ثقل أجسادها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها فلا يمسك إلا
الله تعالى بقدرته إن في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بأن تخلقها خلقة يمكن معها
الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وإمساكها مع ما فيها من الثقل في الهوا مع
غاية لطافته على خلاف طبعها لقوم يؤمنون خصهم بتلك الآيات لأنهم هم المنتفعون
بها والله جعل لكم من بيوتكم التي تبنونها من الحجر والمدر سكنا فعل بمعنى مفعول وهو
ما يسكن فيه أو إليه من بيت أو من ألف وجعل لكم إنما أعاده لأن الامتنان هنا بنوع آخر
من النعمة من جلود الأنعام بيوتا التنكير للتنويع أي نوعا غريبا منها وهي القباب
المتخذة من الأدم ولا حاجة إلى أن يتكلف في تعميمها المتخذة من الوبر والصوف والشعر
لأن ذلك جعلها فيها يأبى تعميمه هذا تستخفونها تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها ونقلها يوم
ظعنكم الظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال ويوم إقامتكم وقت نزولكم وإقامتكم
في مساكنكم لا يثقل عليكم ضربها ونقضها أو يوم قراركم في منازلكم وأوان نقلها في أول
ظهور التعب في حفظها في السفر والحضر ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها الصوف
للضأن والوبر للإبل والشعر للمعز والكنايات راجعة إلى الأنعام والفصل بين الإبل وبين
الضأن والمعز لأنه أكثر استعمالا في السفر والحضر أثاثا أي متاعا بيتيا مما يصلح
للحضر والسفر منها ما يلبس ومنها ما يفرش ومنها ما ينصب كأخبية الشعر واللبد ومتاعا
المتاع ما ينتفع به ويتجر إلى حين أي إلى أن تبلى وتمتحق أو إلى أن تنفصل منها أوطانكم
والتنوين للتعظيم والإشارة إلى أنها تبقى مدة مديدة أو للإبهام لأنه غير معين أي
مدة تأتي إليها غير معلومة والله جعل لكم شرع في الامتنان بنعمة تصون عن شوب
الكسب ولهذا أعاد الإسناد إلى ظاهر اسم الله تعالى مما خلق في السماء كالسحاب المظل
على ما ذكر في قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وفي الأرض كالجبل والشجر ظلالا ما يظل
به ولما كانت بلاد العرب غالبا عليها الحر المفرط امتن عليهم بما يتقون به من حر الشمس وفيه
نوع تمهيد لتخصيص الحر بالذكر فيما يأتي وجعل لكم من الجبال أكنانا مواضع تكنون
بها من الكهوف والغيران لأن الإنسان إما مقيم أو مسافر والمسافر إما غني يستصحب معه ما يظل
به ويكون فيه أو فقير لا يقدر عليهما فنبه على الأول بقوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وعلى
الثاني بقوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا وعلى الثالث بقوله جعل لكم مما خلق ظلالا
وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل ثياب القطن والكتان والصوف جمع سربال قال
الزجاج كل ما لبسته فهو سربال تقيكم الحر اقتصر عليه لكون البرد في بلادهم يسيرا

تحملا او اكتفي باحد الضدين عن الاخر وتخصيص الحر بالذكر لما ان ما به من كون وقايته
اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن كذلك كاتمام هذه
النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون في نعمه الفائضة عليكم
فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون بفتح التاء واللام اي تشكرون نعمه فتسلمون
من عقابه او تسلم قلوبكم من الشرك او تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا يحتمل ان يكون
ماضيا على الالتفات اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان تتولوا
وحذفت التاء فيكون جاريا على الخطاب السابق فانما عليك البلاغ المبين اي فلا يضرك فانما
عليك البلاغ المبين وقد بلغت فهو من باب اقامة السبب مقام المسبب فان البلاغ سبب
العذر لكونه معذورا كناية عن عدم الضرر من جهة الرسالة يعرفون نعمة الله اي
المشركون نعمة الله التي عددناها وغيرها حيث يعترفون بها وانها من الله تعالى
ثم ينكرونها بعبادة غير المنعم بها وقولهم هي من الله لكن بشفاعة الهتنا او بنسبتها الى
من اجراها الله تعالى على يديه وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات
ثم انكروها عنادا وانما قال اكثرهم لان بعضهم وثم مستعار لاستبعاد الانكار بعد
المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وانما قال اكثرهم لان فيهم من لم يكن
معاندا بل جاهلا لم يعرف الحق لنقصان عقله او تفريطه في النظر او لان فيهم من لم تقم
عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف وعلى هذا يكون الكافر على اطلاقه وعلى كلا التقديرين
لا ساغ الحمل الاكثر على معنى الكل ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم وعليهم
بالايمان والكفر وهو نبيهم ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اي لا اعتذار
لهم فدل بانتفاء الاذن على انتفاء العذر وثم مستعار لغاية البعد بين محنتهم بشهادة
الرسل عليهم السلام وبين بليتهم بانتفاء الاذن في الكلام فيهما من الاقناط الكلي عن
العفو والغفران بالمنع من الاعتذار والادلاء بحجة او شبهة ولا هم يستعتبون الاستعتاب
طلب الرضا وان لا تفسير العتب وهو الرضا اي لا يطلب منهم ارضاء الرب لان الاخرة
دار الجزاء لا دار العمل ويوم منصوب بمحذوف اي وخوفهم يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه او كان
ما لا يدخل تحت الوصف او اذكر يوم نبعث وكذا واذا رأى الذين ظلموا العذاب
اي شاهدوا ما حاق او نحو عليهم دعوة ذلك فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون
اي يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من

دونك نعبدهم ونطيعهم وهو اعتراف بكونهم مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم
فالقوا اليهم القول اي اجابوهم بقولهم انكم لكاذبون في انا شركاء الله او في دعوى
عبادتنا لا ينطق الله الاصنام حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه
كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا اي والقى الذين
ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم ضاع
عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم شركاء الله وانهم يشفعون لهم ويصرفون حين كذبوهم
وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بمنعهم عن الاسلام وحملوا على الكفر
زدناهم عذابا فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا يعني نبيهم عليهم من انفسهم من جنسهم
ومن رهطهم ان نبي كل امة كان منهم فهذا العبيد الذي ذكر فيما سبق الا انه
عليه وجئنا بك يا محمد شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء المحققين بعقائدهم واستجماع
شرائط جامع قواعدهم وما كانوا عليه ... ونزلنا
عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بليغا لكل شيء عبارة كل للتكثير
والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تدمر كل شيء بامر ربها وما قيل من الامور الدينية على
التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة والقياس فيأباه ما في التبيان من المبالغة في البيان
انه تخصيص من الامور الدينية تخصيص لا يساعده الكلام ولا يقتضيه المقام وهدى ورحمة
وبشرى وبشارة للمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة ايضا
فلعل المقام في هذا بما يسره من الحكمة وهدى ورحمة للذين يؤمنون ان الله يأمر بالعدل بمراعاة
التوسط بين الاطراف وسلوك الطريق الوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها
فاصل الحكمة المتوسطة بين البلاهة والدهاء والشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور والعفة
المتوسطة بين الشره والخمود فالحكمة العقائدية كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعلى الاعمال التعبد باداء الواجبات المتوسطة
بين البطالة والترهب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المتوسط بين المداهنة والعنف
في الاخلاق الدينية والخلقية كالتواضع المتوسط بين الضعة والتكبر والجود المتوسط بين البخل
والتبذير وفي المعاشرة المتوسطة بين الحرص والتقصير وطلب الضروري من المعاش فلما كانت
مراعاة العدل في غاية الصعوبة شفعه بقوله والاحسان ليتدارك به ما فات من العدالة
احسانا فان العدل هو القيام بالواجب في كل شيء والاحسان هو الندب والاعراض عن

بمنزلة العدل الذي هو الطريق المستقيم لاحد الجانبين فقد يكون الى جانب التفريط احسن
والى جانب الافراط فالاحسان هو الاتيان بالحسن والمحافظة على جانب كالميل الى التنزيه
في الاعتقاد والتطوع بالنوافل في الاعمال باعتبار الكمية والزيادة في الاخلاص باعتبار
باعتبار الكيفية والميل الى الصلة التي هي اكمل الحيل الدينية في التجاوز والى العفو والصفح
مرتبة الانتقام فيما يتعلق بحق نفسه فيهما اي الافراط في الجود والى التفريط في كل ما سواه من
خصال العفة ولهذا نهى عن الافراط في متابعة الشهوة وهي الفحشاء وايتاء ذي القربى واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد التعميم للاهتمام به تنبيها على فضيلة هذه
الخصلة من بين خصال العدل والاحسان وكذا الرذايل الثلاث المذكورة بعدها فان النهي
عنها داخل في الامر بالعدل وخصت بالذكر والنهي عنها بالانفراد تنبيها على قبحها وكونها في
غاية الرذالة الاخرى اذا البغي هو الظلم المنافي لصريح العدل فلا يفيد ذكره الا التاكيد
والمبالغة في الحفظ عنه وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا والخمر
والمنكر اي ما ينكر شرعا او عقلا من افراط القوة الغضبية والبغي اي الاستعلاء والتجبر
على الناس بالاستيلاء ومن تسلط القوة الوهمية على العاقلة التي يتولد منها الشيطنة فانه
يطلب الغضب ويحدث الاستكبار وتارة ميلا الى الافراط بابطال الحكمة فتحدث الجربزة والمكر
والنزغ وتارة تطلب الشهوة فتورث النهب وسلب الاموال وغصب حقوق الناس وكلها
منافي للعدل ولا يوجد من الانسان شر الا وهو داخل في هذه الاقسام الثلاثة متوسط
العدل هذه الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن
للخير والشر وصارت سببا لاسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولو لم يكن في القرآن الا
هذه الاية لكفى به تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ولعل ما عقبه من قوله نزلنا
الكتاب لها يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر حال من فاعلها باذكرا ومن مفعول
او منهما جميعا او خبر ثان لان لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله هي البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فيحق للايمان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا
عاهدتم اي التزمتم على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله لا تبطلوا الذي عاهدتموه
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي لا تنكثوها الحنث بعد احكامها بعقدها على اسم
ذكر الله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل شاهد لحال المكفول
به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود وعيد ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي

نقضت

نقضت غزلها بعد ما ابرمته واحكمته انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث وهو ما ينقض
فتله وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت لتضمنه معنى صيرت ولا
يجوز انتصابه على المصدرية لان النكث اسم لا مصدر والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه
وهي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت حمقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا
بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا ودخلا ثاني مفعولي تتخذ اي مفسدة ودخلا اي مفسدة
وغدرا واصله ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون بسبب ان تكون امة اي جماعة
قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة اي جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به
الضمير له ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر
اترجعون بعهد الله وما عقدتم على انفسكم من ايمانكم للبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وتخافون من قلة المؤمنين وفقرهم فتنقضون كانت
قريش اذا رأت شوكة وقوة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم فنهي المؤمنون عن مثلهم
في الغدر وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب
والعقاب بالنار وهو تحريف وتخويف من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن
عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد
له تاكيدا عليهم واظهارا لعظم المنهي عنه ومبالغة في قبحه وتخفيفا وحلف بحقكم اي في قوله فتزل
قدم والمراد فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها تنبيها على ان زل قدم واحد
عظيم من العظايم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل
الله بسبب صدودكم عن الوفا او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة
لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا وقد سبق تفسيره
في سورة البقرة والمراد هنا بالثمن القليل ما يعدهم قريش من عطيتها للمكيين ويشرطون لهم على
ارتدادهم انما عند الله من نصركم وتغنيمكم في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد وينقضي وما عند الله من الثواب الموعود المذخر خير لكم باق
لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق ولنجزين الذين صبروا
اجرهم على اذى الكفار ومشاق التكاليف ومرارة الفاقة باحسن ما كانوا يعملون
بما ترجح فعله على تركه كالواجبات والمندوبات وما ترجح تركه على فعله مما تركوا مما فعلوا

كالمحرمات والمكروهات والتعبير بالعمل عنها لكل التنبيه على ان الترك انما يثاب عليه اذا
كان عمل القلب وهو النية والقصد في الامتثال لا لانها مقتضى طبعه وفي عبارة الصبر نوع
اشارة اليه وفي الاية دلالة على ان المباح حسن وانه لا يثاب عليه وبيانه كان للكل لانه
على ان المباح لا يستحق الاجر وان جنيا لا انتظر رغبته فكيف اذا وجدنا ذكرا من عمل صالحا
من ذكر او انثى بين من لابهامه لتكون نصا في الذكر والانثى ليكون متناولا لهما ليعم الوعد
وانما قال وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما في تخفيف
العقاب لانه يجعل هباء منثورا ابدا لا لذنب الكلاب • هذا ما عندي والله اعلم بالصواب •
ثم العمل الصالح لا يكون الا للمؤمن فزيادة القيد المذكور لبيان ان المعتبر من عمل صالحا في
الحال • وهو مؤمن في المال • لا ناعيا بعضا الحالة في المال • ولا نعوذ بحاله فلنحيينه
حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا لان المؤمن الصالح ان كان موسرا فلا يدعه الحرص
وخوف العواقب ان يتهنا بعيشه وانما قلنا في الدنيا لا لدلالة قوله ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون يعني في الاخرة عليه وليس بتكرار لانا لا نقول في حق الذين عملوا
رسول الله فنقول وهذا في كل من امن وعمل صالحا فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته
واطلاق الفعل على ارادته قبل اطلاق المسبب على السبب مجازا الا تنبيه له ولزومه اياه
غالبا ودليل المجاز السنة المستفيضة واما الفاء فلان الدلالة فيها على التعقيب دلالتها على الجزء
المراد بتحصيلها عقيب المراد اجماعهم على حمل هذا المجاز ونعتقد على ان وجه القرينة
المانعة عن ارادة الحقيقة ليس بشرط فيها فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسئل الله
ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب بعد ان لانه فيه
على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة بناء على ان الحكم المترتب على الشرط يتكرر بتكرره او زيادة
في خلال الصلوة منها القراءة في حكم قراءة واحدة ولهذا لا يستحب الحلال والبسملة عند الركوع
لكل فعل من افعال الصلوة قبل تعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة
عند القراءة من هذا القبيل ولا يذهب عليك ان الامر الاستحباب يا غني عن هذا الايذان
والاولى ان يقول استعيذ بالله لما في القرآن ويقرب منه اعوذ بالله كذا قالوا ويرده
ما روي عن ابن مسعود انه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال اعوذ بالله
هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون فانهم لا يطيعونه اوامره ولا يقبلون وساوسه

الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة ولما ذكرنا عقبها بسبب
سلطانه لئلا يتوهم ان له سلطنة عليهم انما سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه
ويطيعونه غيرهم والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون لانه هو الذي
حملهم على الاشراك باتبعوا واذا بدلنا اية مكان اية بنسخها باية اخرى فجعلنا الناسخة مكان المنسوخة
لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل في باب المصالح فان الشرع مصالح العباد بحسب اختلاف الاوقات فلعل ما
وما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة في وقت اخر وبالعكس والله اعلم بمصالح الجمع [illegible]
فيترك في كل وقت ما هو مصالح ذلك الوقت ويشرع فيه ما كان صالحا في الوقت الماضي وقد يغير
في الوقت الاتي الى مفسدة فوجد ان مقتضى الطعن جهلهم بحكمة النسخ قالوا اي الكفرة انما انت
مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه فنسبوا النبي عليه السلام الى الافتراء
بانواع من البلاغة والتأكيد في الحصر والخطاب واسم الفاعل الدال على الثبوت والاستمرار
وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم
ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون بل اضراب عن الافتراء الذي تبرئة [illegible]
بناء تأكيد الاعتراض والتوبيخ بانهم جاهلون بحكمة الاحكام لا يميزون بين الخطأ والصواب
وانما قال اكثرهم لان منهم من يعلمها لكن ينكرها عنادا قل نزله روح القدس يعني
جبريل اي الروح المطهر من لوثات البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة
حاتم الى الجود في قولهم حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه [illegible]
من ميتي للتدريج في الانزال على حسب المصالح ما يشعر بان التبديل ايضا من عنده [illegible]
فان لو انزلت دفعة من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا باعتقادهم انه
الحق من ربهم فانهم اذا لم يخلوا من اعتقادهم بالنسخ ويتقنوا انه يقتضي حكمة علموا ان الناسخ
هو الذي فيه صلاح الحال دون المنسوخ ثبتت اقدامهم ورسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا
لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضدادها لغيرهم من الكفار ولقد
نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر انا ذو اجر غلام رومي وقيل جبر ويسار لسان الذي
يلحدون اليه لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه [illegible]
وعن القصد اعجمي غير بين وهذا وهذا القران لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لرد قولهم وابطال طعنهم وتقريره ان القران معجز
بلفظه كما هو معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا الكلام الذي [illegible]

عربي في البيان والفصاحة وهو أعجمي فطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة
دليل على غاية عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله أي الذين يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون
بها أي لا يصدقون أنها من عند الله تعالى لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى طريق النجاة في
الدنيا ولهم عذاب أليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما أماط شبهتهم ورد
طعنهم فيه ثم قلب الأمر عليهم فقال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه وأولئك إشارة إلى الذين كفروا أو إلى قريش هم
الكاذبون بالحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله هو أعظم الكذب أو
الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يصدهم عنه مروءة ولا دين أو الكاذبون في قولهم
إنما أنت مفتر إلى آخره من كفر بالله من بعد إيمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض
أو من أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب أو منتصب
بالذم أو مرتفع على الخبر بمبتدأ مضمر على الذم أو من شرطية محذوف الجواب دل عليه إلا من
أكره على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر يعم القول والعقد كالإيمان
وقلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته بل على حاله ولا ذنب عليه وفيه دليل على انحصار الإيمان في
التصديق القلبي ولكن من شرح بالكفر صدرا أي فتحه ووسعه بقبول الكفر جازما عن الرضا وطيب
الخاطر فعليهم غضب التنكير للتعظيم وقوله من الله زينته لأن الغضب من العظيم عظيم
ولهم عذاب عظيم إذ لا أعظم من جرمه روي أن قريشا أكرهوا عمارا رضي الله عنه فأعطاهم
بلسانه ما أرادوا مكرها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما لك إن عادوا لك
فعد لهم وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه وإن كان الأفضل التجنب عنه إعزازا
للدين ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان والوعيد بأنهم بسبب أنهم استحبوا الحياة
الدنيا على الآخرة آثروها عليها وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أي بأن الله لا يهدي إلى
الإيمان من تحتم عليه الضلالة وعلم منهم الكفر فإن هذا هو السبب الحقيقي والأول هو السبب
العادي أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فلا تستبين تمييز وفوق
النفع وأولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن غاية الغفلة
ومنتهاها الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم فلا يسبق تفسير إنهم في الآخرة هم الخاسرون
البالغون في الخسران إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد ثم إن ربك
للذين هاجروا أي بالولاية والنصر من بعد ما فتنوا أي عذبوا كعمار رضي الله عنه
ثم فتنوا لينا عليهم الحق لا عن خلوص أولئك ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما أصابهم

علي

على المشاق إن ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم
ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم أو باذكر تجادل عن
نفسها عن ذاتها أي كل شخص يسعى في خلاص نفسه لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي
والمراد بالمجادلة الاعتذار عنها بقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس
ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون بغير ذنب ولا تنقص الأجور ولا احتمال
له بعد التوفية وضرب الله مثلا قرية جعل الله قرية هذه صفتها مثلا لكل قوم أنعم الله
عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة خاصة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج
أهلها خوف يأتيها رزقها أقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها وكلمة كل للتكثير
فكفرت بأنعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس
واختيار جمع القلة للتنبيه بالأدنى على الأعلى يعني إذا كفروا بالنعم القليلة كان أقبح الكفر
كفرانا بالنعم الكثيرة أولى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الأمن والإتيان
بالرزق قابلهما بالجوع لأنه ينشأ من انقطاع الرزق والخوف فقدم الجوع ليلي المتأخر وهو
إتيان الرزق كأنه قال ليذوقوا الجوع فتبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم
والإذاقة استعيرت للإصابة وأما أوثرت عليها لأن الإذاقة على النار الأثير المحسوس لكن
استعملت للإصابة والعلاقة التشابه بين الإدراك بمماسة الضر بالفم والمشموم
واللباس استعير لما غشي الإنسان من أثر الجوع والخوف وهو من ... والغاشي هو الضر
والخوف ولا يكاد لباس الجوع والخوف تشبيها على حد لجين الماء يبتنى وجه ابتناع
الإذاقة على اللباس إذ الحقيقي فإذا قيل فأذاقهم الله ضرر الجوع والخوف فهذا التجريد
ظهر وجه إيثار التجريد على الترشيح لأن الإذاقة تفيد ما لا يفيد الكسوة من زيادة الألم
الوجداني لمن الأذواق وأما إيثار اللباس على الطعم فلأن الدال على الشمول وهذا أولى من
حمل اللباس على تغير اللون ورثاثة الهيئة اللازم من الجوع والخوف ... تكون الإصابة
بلغ من فتعاقرني والخوف بالنصب عطفا على اللباس أو على حذف المضاف وإقامة المضاف
إليه مقامه أي ولباس الخوف بما كانوا يصنعون بصنيعهم الذي استمروا عليه جريا
هاهنا على ما هو المراد من القرية تقريبا تقدم على ظاهر المجاز ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه يعني محمدا عليه السلام والضمير لأهل مكة عاد إلى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم
فأخذهم العذاب ما أصابهم من الجدب الشديد وضرب الحديد في حرب بدر وهم ظالمون
في حال التباسهم بالظلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أمرهم بأكل ما أحل لهم

وشكرها النعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب
الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء في فكلوا التسبب
أي إذا انتهيتم عن سوء صنيع أهل القرية وعرفتم ما نزل بهم وقد ذكر بعدها التمثيل فاعتبروا الحاكم
وعدوا بما يصدر مما أنتم عليه من طريق الجاهلية كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم وجعل هذا الوصل
ذريعة إلى ما رتب عليه من بعد أدرج أخرى من قبائحهم وقد سبق في تفسير سورة البقرة
ما يتعلق بهذا الكلام من وجوه الإعراب ما في قوله حلالا طيبا من الفائدة الزائدة **واشكروا
نعمة الله** أضاف النعمة إليه تعالى للتشريف فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر على نعمه فلا جرم
لما قيل إنهم زعموا أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته لأن مبناه على اعتبار التخصيص
في الشرط المذكور **إن كنتم إياه تعبدون** وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة إذ لا دخل
لمعنى التخصيص في التعليق **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير
الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم** قد سبق تفسيره في سورة البقرة
وسورة الأنعام لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلموا أن ما عداها حل
لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام** كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى
سياق الكلام وتصدير الجملة بإنما حصر المحرمات في الأجناس الأربعة إلا ما ضم إليه دليل كالسباع
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه أو متعلق بتصف على إرادة
القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حرام وهذا حلال أو مفعول
لا تقولوا وما الكذب منتصب بتصف وما مصدرية أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام
لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل
وفي جعل الكذب بوصف الألسنة نوع من المبالغة بديع وعجيب من الفصاحة جليل وبالغ
في وصف كلامهم بالكذب عظيمة وهو أن يجعل قولهم كأنه عين الكذب وحقيقته وكأن الجهول
عرفه ألسنتهم بوصفها وتحليتها وتبينه بكلامهم هذا كنظرهم ٭ وجهها يصف الجمال وعينها
تصف السحر ٭ وقد قرئ الكذب بالجر نعتا على أنه مصدر بمعنى الكذبات
ولتقل لا تنعت إنما لا تعجبنا أن يخرج التصريح ولا فرق بين هذا وباقي الحروف ٭
المصدر به وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب وكذاب بالرفع صفة للألسنة
وبالنصب على الذم أو نعتا للكلم الكذب **لتفتروا على الله الكذب** تعليل لا يتضمن
الغرض إلا أن المفتري يفتري غرضا منطلبا ينتج عنهم لغير تنبيه له **إن الذين يفترون**

على

على الله الكذب لا يفلحون لا يجدي عليهم افتراؤهم شيئا لأن ما يفترون له **متاع قليل** أي
منفعتهم فيما هم فيه من أفعال الجاهلية والتحريم والتحليل منفعة قليلة تنقطع عن قريب
ولهم عذاب أليم في الآخرة **وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك** أي في سورة
الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية **من قبل** متعلق بقصصنا أو
بحرمنا **وما ظلمناهم** بالتحريم **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** فحرمنا عليهم ما حرمنا عقوبة لهم
بظلمهم فإنه يدل على أن تحريم ما حرم على الذين هادوا إنما حرم عليهم للطيبات وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم
في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة **ثم إن ربك للذين عملوا السوء** أي الافتراء
على الله تعالى وغيره **بجهالة** بسببها أو ملتبسين بها وتعريفها للإيذان باشتمال علم
بالله تعالى وقضيتها مرتفعا به وترتيب عدم التدبر في العواقب بسبب الغفلة اللازمة
لانهماكهم في الشهوات ٭ ومتابعة الهوى في طلب اللذات **ثم تابوا** تقديم التراخي
إلى ما قد تضمن التراخي في الرتبة وهذا ما دعا له **من بعد ذلك** أي بعد ما عملوا السوء **وأصلحوا** أي ثابروا
عنه وندموا عليه وعزموا أن لا يعودوا إليه وأصلحوا العمل في المستقبل **إن ربك من بعدها**
من بعد التوبة بعد الإصلاح فهو تأكيد التوبة لأنها تشمل كل خير وهذا لم يذكر في قوله تعالى إنما
التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم
وإنما ذكر هنا أن ربك على سبيل التأكيد لطول الكلام وتقديم الفضل **لغفور** لذلك السوء **رحيم**
يثيب على الإنابة المستتبعة للعمل الصالح **إن إبراهيم كان أمة** أي كان وحده أمة
حصل له كمالات وفضائل التي لا تكاد توجد إلا متفرقة في أمة كثيرة يجمعها في وليس من
الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق
المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة لذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب
المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى أو لأنه عليه السلام
كان وحده مؤمنا وسائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة
من أمه إذا قصده واقتدى به فإن الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته
كقوله إني جاعلك للناس إماما **قانتا** مطيعا لله قائما بأمره **حنيفا** مائلا عن كل دين باطل
مائلا إلى الدين الإسلام غير زائل عنه تعالى ولكن كان حنيفا مسلما **ولم يك من المشركين** أي
لم يك من عدادهم وهذا في سياق أبلغ من لم يشرك وإنما المراد أصل النفي لا نفي الصدق
فلهذا كان مقدما على مفهوم الزيادة والإعتبار لما نفى عنه عليه السلام الشرك دخل بلغ
ضمنا تكذيبا للكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام وترغيبا لهم

إلى التوحيد ودعا إلى الإسلام **شاكراً** يجوز أن يكون خبراً ثالثاً وأن يكون حالاً من أحد الضميرين في
قانتاً وحنيفاً **لأنعمه** إنما جاء بلفظ القلة للتنبيه على أنه عليه السلام كان لا يخل بشكر
النعم القليلة فكيف بالكثيرة هذا وجه جليل للتطرق الذي يجب فيه أنه للتنبيه على
سمو رتبة مقام الشكر لكنها بالإشارة إلى عجز البشر وذلك أنه عليه السلام مع جلالة قدره
لما كان قاصراً عن شكر النعم الكثيرة فغيره أولى بالقصور عنه وإنما قلنا إنه لما كان قاصراً
لأن المقام مقام مدحه بما كان فيه من الأوصاف الكاملة فلو أريد القصور عنه لكان المذكور
على صيغة جمع الكثرة **اجتباه** اختاره واختصه لنفسه والاجتباء هو أن يأخذ الشيء بالكلية
وأصله الجمع إلا في الحوض ونحوه لجاء بيت حالاً وخبراً آخر لأن **وهداه إلى صراط مستقيم**
ارشاده إلى طريق الحق **وآتيناه في الدنيا حسنة** أي اسماً جامعاً مع كل حال الرحمة فيتناول كل
خصائصه المذكورة فالتصوص من الرسالة والخلة والإمامة والصدق وغير ذلك والعدول
من الغيبة إلى التكلم لإظهار تعظيم شأنه والتحبب لما أعطاه **وإنه في الآخرة لمن الصالحين**
المستحقين لكل منزلة رفيعة حسبما يعطيه جزاء لمن في الجنة لمزيد وجعلنا في الآخرة من الصالحين
تنبيهاً على أنه أثر لذلك لا نيلنا إلى مراحل عند رب **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم**
الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى أن من أجل ما أوتي خليل الله صلوات
الله عليه وأشرفها أفضلية النعمة والكرامة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته
من جهة أن ثم دالة على تباعد هذا النعت في المرتبة عن سائر النعوت التي أثنى الله بها عليه
وفيها من تعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله ما لا يخفى على الفطن
وفي لفظ أوحينا أمر الأمر باتباع الملة لا اتباع إبراهيم عليه السلام تأييد لعلي أنه عليه
السلام ليس بتابع له بل هو مستقل بالأخذ عن أحد إبراهيم عليه السلام عنه من جهة
ليساً له أنه يتقدم عليها إذ رتبة دالة على أنه ربهم من أنه عليه السلام كما دعوى أن إبراهيم عليه السلام
ولذلك أمرنا باتباعه واتفق ثبات عهدهم أقل على جبهتهم قيل لهم قتلهم قتادة والمراد
من الاتباع الاتباع في أصول الدين لا في فروعه لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجاً والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه عليهم السلام من أملك
الكتاب إذا أمليته **حنيفاً** ولما كان التوصيف بالحنيفية مقام التعليل للأمر بالاتباع
كان في معنى فإنه مال عن الأديان الباطلة فعطف عليه قوله **وما كان من المشركين**
بل كان قدوة الموحدين **إنما جعل السبت** فرض عليهم تعظيمه والتخلي فيه للعبادة
وترك الصيد في السبت مصدر سبت اليهود إذا عظمت سبتها **على الذين اختلفوا فيه** على

نبيهم

نبيهم وذلك أن عيسى عليه السلام أمرهم أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا
نريد يومهم السبت الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والأرض لا يريد منه
منهم قد رضوا بالجمعة فذلك اختلافهم في السبت لأنهم اشتغلوا في السبت وقد شدد
الأمر عليهم وذكرهم ها هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بأنعم الله تعالى
وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي يحكم للصفين بالثواب
والمبطلين بالعقاب بمجازاة بينهم وفصلاً لخصومتهم في محل الاختلاف وهذا ظاهر
في أن الاختلاف إنما كان بين العاصين والمطيعين ويشهد لذلك ما في سورة الأعراف
من قوله تعالى وإذ قالت أمة منهم الآية فلا وجه لما قيل معناه إنما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فأحلوا الصيد تارة وحرموه أخرى واحتالوا لحله **ادع**
خطاباً للرسول للتخصيص وفيها الإشارة إلى بعثته العامة وللتنبيه على فضله عليه السلام
على من تقدمه من الرسل وفيه تأييد للتأكيد لما تقدم ذكره **إلى سبيل ربك** الإسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة وهي الدليل القاطع الموضح للحق المزيل للشبهة **والموعظة الحسنة**
بالخطابيات الإقناعية والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد
ما ينفعهم فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم جادل معانديهم **بالتي هي** بالطريقة التي هي **أحسن** طرق المجادلة من الرفق واللين
واختيار الوجه الأيسر والطريق الأشهر فإنه أبلغ لتسكين لهبهم وتليينا لشكيمتهم **إن ربك**
هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي ما عليك إلا الدعوة بهذه الطرق
وأما الهداية والمجازاة فليستا إليك وإنما الله أعلم بهم فمن هدى شكره العند والتكبر من
الحكمة أن كان مستعداً لها والموعظة إن كان قابلاً غير متكبر والجدل الحسن الدقيق إن كان ممن
منصفاً فلا حيلة في هدايته وإن كان معانداً فكل أمره إلى من هو أعلم به فإنه يجازيه
وإنما قدم الضال لأن الكلام وارد فيهم والخطاب إذ أرشدهم فذكرهم بصيغة
الفاعل لأنه الدوام والثبات تناسب حال **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**
لما أمر عليه السلام بالدعوة وبين له طرقها أشار إليه وإلى من تابعه بعدم الإخلال
مع الخلق وطلب نمط طريقاً لهداية الرجوع من أصحابهم لأن الدعوة لا تخلو عن المناداة
والمناصبة من حيث إنها ترفع العادات وتبعث على رفع المألوفات وتفتح في الأديان
والمعتقدات وتحكم على أهلها بالكفر والضلال روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم
أحد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة رضي الله عنه وقد مثل به فقال

الله والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه
وفيه ان رخصة في المثلة بواحد ثم نسخت المثلة وفيه حث على العفو تعريضا بقوله
وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير
للصابرين اي لا انتقام للمنتقمين ويجوز ان يرجع الضمير الى صبرهم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله تعالى
عليهم بانهم صابرون في الشدائد وفيه ارشاد الى انه ان صبر نحو شيمتكم المعروفة
وفيه ترغيب في الصبر بالغ وجهه ثم صرح الامر به لرسوله عليه الصلاة والسلام
لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله تعالى ووثوقه عليه فقال واصبر ولما كان الصبر
في هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال وما صبرك الا بالله الا
بتوفيقه ومعونته ولما ذكر هذا السبب الكلي الاصلي في حصول جميع الطاعات ذكر بعده
ما هو السبب الجزئي القريب فقال ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وهو انما تولد نعم
كانت ما لا فات في الماضي واليه الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم على قتل احدائهم والاعراض
بغوائل اولئك الاصدقاء او على اعراض الكافرين عنك واما لتوقع ضرر في المستقبل واليه
الاشارة بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون اي في ضيق صدر من مكرهم ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي وتدخل فيها دخولا اوليا الشفقة الزيادة والذين هم محسنون
في اعمالهم بالاتيان بالفضل ويدخل فيها دخولا اوليا ترك الانتقام كما ترى كأن
ان دنتنا اياك من ملك بالفضل والحق لمن يتمكن من المتقين المحسنين وقيل الاول
اشارة الى التعظيم لامر الله والثاني الى الشفقة على خلق الله تعالى

سورة الاسرا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق من السبح
وهو الذهاب والابعاد في الارض ثم نقل الى التنزيه والتعليل علما للمصدر اي الى الاسم الموضوع
له خاصة والعامل فيه الفعل الذي من معناه لا من لفظه اذ لم يجي من لفظه الفعل
والتقدير انزه الله تنزيها ولما كان حديث الاسرا مظنة ان ينكره عدوهم الى انه تعالى
تماليا ومكانا في صدده مما هو علم في تبعيد تعالى عما لا يليق بشأنه ويجوز ان يكون
كلمة سبحان للتعجب بها اشير الى عجائب جرت بينه وبين افضل خلقه الذي اسرى بعبده

الاسرا

الاسرا سير الليل خاصة فقوله ليلا للقطع بمجاز السير بجعلية كما انقول له يطيه بجناحيه بعد
قوله ولا طائر للقطع بمجاز الطير السريع والتنكير لتقليل مدة الاسرا فانه كما يدل على البعضية
في الافراد كذلك يدل على البعضية في الاجزاء على ذلك قول الشيخ عبد القاهر
في دلايل الاعجاز ان التنكير في حيوة في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة للدلالة على ان
تلك الحيوة تخص جنس المفهوم بتلك وان الثاني هو المراد ويشهد لذلك قراءة من الليل اي بعضه
وهذا الاسرا كان جسمانيا ولذلك كذبت قريش به وفي عبارة العبد اشارة الى ذلك
من المسجد الحرام بعينه او من الحرم فانه مسجد كله الى المسجد الاقصى بيت المقدس سمي اقصى
لانه لم يكن وقتئذ مسجد وراءه الذي باركنا حوله البركة ذو الخير ثبوته وهي دينية
ودنياوية وكلاهما مراد هاهنا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا عليهم السلام ومحفوف بالانهار
والاشجار والالتفات من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات لنريه من اياتنا
اياتنا كقطعه مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس في برهة من الزمان وتمثل الانبيا عليهم
السلام له ووقوفه على مقاماتهم واما البراق ومسير غيره فليسا منها لانه عليه السلام راى
الاول قبل السير والثاني قبل الوصول الى المسجد الاقصى فلا ترتب لرؤيتهما على السير اليه
انه هو السميع بلا اذن والبصير بلا بصيرة لم يحل ذلك صورة الحصر لا احتياج الى تقريب الممنوع
وحصول البصر ولا يختص بمكان دون مكان فلم يكن الاسرا لاجله بل لاجل تشريفه ببدايع
التي تعدبه وختم بالسانه فضارب طرفا الكلام واتينا موسى الكتاب التورية وجعلناه
هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا اي قلنا لهم لا تتخذوا قايلا لنا على ان لا تتخذوا كما قال
كتبنا ان فعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب
على الاختصاص او النداء اذ يجري بالنداء الفرقان يشتغل التهي وعلى انه احد مفعولي لا تتخذوا
ومن دوني حال من وكيلا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف او بدل من واو تتخذوا
وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجا ابائهم من الغرق وايماء الى ان لكونهم
اتباع نوح عليه السلام ثم قال في تعليل تلك الفضيلة الجليلة الثابتة له عليه السلام
انه كان عبدا شكورا وفيه حث للذرية على الاقتداء به وقضينا اوصل القضاء المحكم
والاخذ ولما قال الى بني اسرائيل لتضمينه معنى الانزال اي اعلمناهم او حكمنا
متنزلا اليهم في التورية وتفسير القضا بالوحي بابه في الكتاب كما لا يخفى على ذوي
الالباب لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى
القسم كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيب

عليه السلام وثانيهما قتل يحيى وزكريا عليهما السلام ولا حاجة لما قيل ان المفسد في الاولى
زكريا وفي الثانية يحيى لان الكرة الاولى ذكرها لم تتخلل بينهما **ولتعلن علوا كبيرا**
هو غلبة المتسببين منهم على المصطفين او لطا بجا وزا عن العدد يروا لعلو لعتو من الغلبة بحق
كان او بباطل **فاذا جاء وعد اولىهما** اي وقته والوعد بمعنى الموعود وهو العقاب فلا حاجة
الى تقدير **بعثنا عليكم** هذا البعث مثل تولية بعض الظالمين على بعض وكان
على مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تعالى الى نفسه دون قصه الجريمة الا في ذكر فلا حاجة
الى صرفه عن معناه اي التخلية **عبادا لنا** سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وقيل جالوت
تعظيما فنهم عن تعبه لعدم استعفا فهم لشرف العبدها وتعظيما في التنكير من التهويل
يناسب المقام **اولي باس شديد** ذوي قوة وبطش في الحرب شديد **فجاسوا خلال الديار** وترددوا
خلال الديار بين قوم واجل الخلال الجبل وحيا لم يحبوا ان يكون الخلال بيتا واحدا اي ترددوا
وتخللوا بين الدور يطلبونكم للقتل والسبي وقرئ بالحاء المهملة وهما اخوان **وكان وعدا مفعولا** اي
لابد ان يفعل **ثم رددنا لكم الكرة** اي الدولة والغلبة **عليهم** اي على الذين بعثوا عليكم
وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل والا يلزم ان
يكون من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو **ان احسنتم**
احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها **وان اساتم فلها** اي فالاساءة لها لان ... لها في
كما في قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا ولا وجه لحمله على الاختصاص لان نفع الاحسان
ومضرة الاساءة قد يتعديان الى الغير على ما دل عليه الاخبار وشهدت له الاثار واما الاول
فانما يفيدانه عند تعذر المعنى الحقيقي **فاذا جاء وعد الآخرة** وقت موعد المرة الآخرة
وجواب اذا محذوف دل عليه جواب الاولى اي بعثناهم وانما عطف بالفاء اذ من تعقيل الجمل
والفاء في الاولى المنعطف بالواو للدلالة على ان مجيء وعد الآخرة لم يتراخ عن كثرتهم وذلك
وذلك انهم كلما ازدادوا عددا وعددا ازدادوا عتوا وطغيانا الى ان قتلوا اسباب الغرو
فسلطهم الله تعالى على الفرس **ليسوءوا وجوهكم** بيان الغاية على الجمع اي ليسوءوا وجوهكم
ولا تعدي المساءة الى الوجوه وان كانت عليهم لان اثار الاعراض النفسانية تظهر بها في الوجه
وقرئ ليسوء بالافراد على ان الضمير للعباد او للوعد او للبعث وقرئ لنسوء بالنون
بالنون وبفتح الواو **وليدخلوا المسجد** بيت المقدس ويخربوه **كما دخلوه اول مرة** وخربوه
وليتبروا اي ليدمروا ويهلكوا **ما علوا** ما غلبوه واستولوا عليه او مادام علوهم **تتبيرا** تتبيرا وتدميرا
لا يتناهى **عسى ربكم ان يرحمكم** وعد من الله تعالى ان يكشفهم بعد المرة

الاخرة **وان عدتم** للفساد مرة اخرى **عدنا** مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا فبعث الله تعالى عليهم
نبينا عليه السلام هذا ما لهم في الدنيا ثم ذكر ما لهم في الاخرة بقوله **وجعلنا جهنم للكافرين**
حصيرا محبسا ضيقا كانه ... تغيير ... للذي يخبر شيء حصيرا لحصر بعضه على بعضه
بالنسج **ان هذا القرآن يهدي للتي** للطريقة التي **هي اقوم** الطرق **ويبشر المؤمنين الذين**
يعملون الصالحات اي بان **لهم اجرا كبيرا** لتنصيص على ان الايمان ولا العمل الصالح ولا اخرج
للتنصيص بالحال المذكورين فلا حاجة الى المكابرة بان فيما ذكر ان المانع اماهو من
واما اشتراك واما احد الغايتين تعدد ذلك **وان الذين لا يؤمنون بالآخرة** عطف على انهم
تحلية للتنقية بانه يبشر المؤمنين ببشارتين ثواب وعقاب عدائهم **اعتدنا لهم عذابا اليما**
في يادة عندنا فهمنا ايضا من بيان لتعظيمه خيبتهم **ويدع الانسان** حذفت الواو في يدع
لفظا لا استغنا الا للام الساكنة كما في قوله تعالى سندع الزبانية وحذفت في الخط ايضا
كتابة غير محذوفة يعني **بالشر** هو عادة على نفسه واهله وما له عند الغضب لا بحيث
يستجاب له **دعاءه بالخير** مثل دعائه بالخير يعني ان القرآن يدعوهم الى ما فيه الثلاثة وهم يدعون
لا دنيا لهم لا قول ما فيه الثلاثة ثم ذكر انه ذلك بين عدم تنبيه وقلة صبر فقال **وكان الانسان**
عجولا العجلة يتطلب الشيء قبل وقته الذي ينبغي ان يتم فيه ولا تسرع طلب الشيء في اول وقته
وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان في الفساد بالحكمة بتعاقبهما على نسق يترتب عليه امور
غريبة واحكام عجيبة **فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة** الفاء تصحيحه كانه قيل
فمحونا بعين الايتين فجعلنا الاية التي هي الليل محو اي عديمة النور ولا الاية التي هي النهار
مبصرة اي مضية اهل مبصرة للناس او ابصر فيصحفا الابصار لان الابصار على ان
الاضافة في الايتين للتبيين وقيل اية الليل القمر ومحو الخلاق عن التوحيد فان ما يرى فيه
نور الشمس واية النهار الشمس وابصارها نورها الذي يقع به الابصار **لتبتغوا** تعليل لجعل اية
النهار مبصرة **فضلا من ربكم** ولا تبتغوا الطلب والعمق لتعددوا في بيان النهار على
تحصيل اسباب المعايش وفي عبارة الفضل اشارة الى انه لا يجب على الله تعالى الرزق فعبادة
واعاذ ذلك تعليل وتنبيه ورد على المعتزلة **ولتعلموا عدد السنين والحساب** تعليل لجعل الاية الليل
اي لتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب بما يحتاجون اليه منه الحساب
المتعلق بالاوقات على ان التعريف للعهد بقرينة عدد السنين او بعض الحساب ثم الاول
في اشتغالنا السنة التعريف المعتبر عند العرب بذلك **وكل شيء** كلمه كل للتكثير او للتفصيل للعموم
والا حاطة كما سبق الى وهم من غال من تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم **فصلناه تفصيلا**

يناديه بيانا كافيا والعام مقام الامتنان باتمام الاحسان لا مقام الامر والاحكام كما سبق
الى ىنقل الافهام وكل انسان الزمناه طائره اي ما طار له من الخير والشر كانه
طير اليه من عش الغيب وذكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه
استعير لما هو سبب للفرح والترح من قدر الله تعالى في عنقه حتى العنق بالاضافة اليه
من بين سائر الاعضاء لانه يكون الزاين من القلائد والاطواق والشاين من الاغلال
والادهان فاستعير لمحل الخير والشر ونخرج له اللام للاختصاص يوم القيامة يعني
وقت الموت فانه القيامة الصغرى كما قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته
كتابا هي كتابا مسجلا فيه اعماله يلقاه منشورا لظهور تلك الخفيات فيه بالفعل وتنقلب
لاسطورية كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه بالقوة ويمحا صفتان الكتاب والاول صفة او
حال من مفعوله معرب يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول
فقرءه قاريا كان او غير قاري لان الاعمال هناك تمثل بصورها وهيئتها يعرفها كل احد
لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الا من يقرء وهذا وجه ما روي عن قتادة يقرء ذلك
اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا كفى بنفسك الباء مزيدة للاشارة الى تعرف ذلك الوصف
ولزومه لها اليوم قيد للكفاية لتخصيص الحكم المذكور بذلك الوقت عليك حسيبا حاكما
او كافيا نصب على التمييز وتعديته بعلى لتضمنه معنى الشهادة وتذكيره على ان الحساب والشهادة
مما يتولاه الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وتقدير الصلة للاشارة الى ان كل
امرء يشد ذعيبه متعين لا التفات الى غيره من اهتدى فانما يهتدي لنفسه لخروج اهتدائه
له ومن ضل فانما يضل عليها فوبال ضلاله عليها واما ان الغير لا ينتفع ولا يتضرر بضلاله
ولا ضلالة فيما ذكر عليه ولا عجة له ايضا لا قد شاه في تفسير قوله تعالى ولو يواخذ
الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولا تزر وازرة وزر اخرى مما مر تفسيره في
سورة الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الجمهور على ان هذا في حكم الاخرة خاصة
وقال فرقة انه في حكم الدنيا والاخرة ذكره القرطبي وعلى كلا التقديرين لا دلالة فيه
على انه لا وجوب قبل الشرع اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلانه لا يلزم من تعليق
مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل منهما عليها واما ايضا لكنه غير مثبت التعذيب لان المراد
الاخبار عن عادته تعالى لا الاعلام بحكم العذاب مقطوع بها الى وقت البعثة وكلمة حتى لبيان
غاية عدم العذاب حتى يتحقق العذاب عند البعثة وكما ذكر تعالى انه لا يعذب احدا حتى
يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم بعد البعثة وهي مخالفتهم امر المبعوث اليهم

فقال

فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اي اذا تعلق ارادتنا باهلاك قوم لانزال لاهلاك قرية بما فيها
في وقت مخصوص امرنا اي وجهنا الامر قبل مجيء ذلك الوقت مترفيها متنعميها وخصهم
بالذكر مع عدم اختصاص الامر بهم لان الكلام في بيان سبب استحقاق اهل القرية للعذاب
لاستتباعهم لانهم رؤساء المتبوعون ولانهم مامورون بنوعي العبادة البدنية والمالية
ففسقوا او وجدوا الفسق وهو الخروج عن الطاعة بقبحهم اي من اهل القرية كلهم لا نبهت
على ان غير المترفين ايضا مامورون لكنه استغنى بذكر المترفين عن غيرهم كما اكتفى بذكر
الملائكة عن ذكر الجن في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا على ما مر تحقيقه في تفسير
سورة البقرة وقرئ امرنا بمعنى كثرنا والقول للعقوبة للعدد وكسر الميم يكثر ما سمعهم الله
بالفتح اي كثرهم نماء وثمر لعلمهم بصيره الفعل متعديا كما في شتر عين الرجل وكسر
ان الراشد ها الله بعتهما ويؤيد قراءة امرنا بالمد وامرنا بالتشديد فيها فيه دلالة على ان
هلاك نفس القرية ايضا والخير عنا المد ولا مجاز في ذكر القرية كما لا مجاز في الارادة وثاني
فحق عليها اي على القرية بما فيها القول وهو وعيد الله تعالى الذي قاله رسولهم عليهم السلام
فدمرناها التدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء اهلاكها اهلها تدميرا ذكر المصدر
للمبالغة في العذاب الواقع بهم وكم اهلكنا كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم
وتمييز له اي كثيرا من القرون اهلكنا من بعد نوح خصه بالذكر لانه اول من حلت بقومه
عقوبة الاستيصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها
فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقديم متعلقه من المتعلقات للبيان بما قدم على الاعمال
الظاهرة التي هي متعلقات البصر والعقاب عليها اشد لعموم عقابها اقل من كان يريد
العاجلة نشيم على ارادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها الى الاجل زيادة كان هنا تؤذن
فيه وانما اعتبار قصر الارادة عليها بحسب المقابلة فيرده عدم صحة اعتبارها في المقابل
ولا وجه للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل
والمعجل له بالمشية والارادة على اختلاف العبارة لانه لا يجد كل مريد ما اراده ولا كل
واحد جميع مراده ومدار الكلام ان حصول المرام موقوف على مشية الله تعالى وما اليه
لا دخل فيه للارادة فلا قادر له عليه فيه فانه يجوز ان يكون ذلك من الاسباب العادية
ومشية الله تعالى انما تتعلق بشيء بعد تمام الاسباب العادية الا في خوارق العادات
لمن نريد بدل البعض من الكل وفي شأن التعظيم فيه لله تعالى ليقابل الشهوة ثم
جعلنا مصيرنا له جهنم يصلاها حال من الضمير في له او من جهنم مذموما مدحورا

مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهي بالجد قال الراغب السعي المشي السريع وهو دون
العدو ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص
وهو مؤمن هو الشرط الاعظم فلا ينفع السعي لا به فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه
الاوصاف كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه كلا كل من الفريقين
والتنوين بدل من المضاف اليه نمد الامداد المواصلة بالشيء هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا
بدل تفصيل من عطاء ربك متعلق بنمد والعطاء بمعنى المعطى وما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا عن عباده مؤمنا كان او كافرا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في العطاء وانتصاب
كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات من درجات الدنيا فان درجات متفضلة على
القيمة واكبر تفضيلا اي التفاوت فيها اكبر لان تفاوتها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها
لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للانسان او للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
والفعل بمعنى التصيير لا الخلق فتقعد فتصير عاجزا فان القعود مما يكنى به عن العجز مذموما
مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وقضى ربك
امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية
قال الزمخشري في مصحف عبد الله ووصى ربك وذكر ابو حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما
ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين بالصاد فقرئت وقضى ربك اذ لو كان على القضاء ما عصى
الله احد وقال الضحاك مثل ذلك ثم قال ابو حاتم لم يكن ابن عباس يقول ذلك وقد
قلنا هذا لعله لنا ابدا في مصحفنا واما التعليل الذي يشير اليه فتوهم الخلل فيه من
انه ليس قضاء حكم بل هو قضاء امر وبالوالدين وبان تحسنوا بالوالدين احسانا ويجوز ان يتعلق
الباء بالاحسان وتقديمه في تنبيه سرعة الانقياد يحتمل وجوازه تقديم صلة المصدر اما
يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك
صح دخول النون المؤكدة في الفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل من الالف الراجع الى الوالدين على
قراءة يبلغان وكلاهما عطف على احدهما على الاحتمالين لا احتمال ان يكون تأكيدا للضمير
يبلغان لانه لا يمكن عطفه على البدل لانه يقتضي ان يكون بدلا فان عطف التأكيد على البدل
شائع بل لان فيه دلالة على ان التأكيد غير مراد في المقام لانه يلزم تأكيد التثنية الشمول
وان التأكيد لو قصد تلك الفائدة قيل احدهما فالمرجح ذكره لا عطفه على البدل وانما
قد يكون عندك لان رعاية الادب مع طول المصاحبة اشق فكانت مظنة التقصير فندرك

بهم او ان احدهما الكبر لانه من بلغها يحتاج الى حفظه تكون فيه تسوية لما ذكر انفا من الحفظة وما يساوي
حاله من حالة حاذفها الحين للخطيب لحاله عليهما بالضعف فلا تقل لهما اف تعليم النهي لكل ضررهما
وتنبيه بحالة الاجتماع العدم محلا اخلا النقد من فوق اف صوت يدل على التضجر وقيل اسم
الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص
للتنكير وقرئ بالفتح على التخفيف وقرئ منونا وبالضم للاتباع والنهي عن هذه اللفظة
الدالة على التضجر لم يقطع عن النهي عن سائر انواع الايذاء بطريق الدلالة قال
الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار ثم كثر استعماله حتى ذكر في كل ما يتأذى به ولعل
هنا كون النهي عن الكل بطريق الحيادة ولا تنهرهما النهر الزجر بالاغلاظ وقل لهما قولا
كريما وهو السالم عن كل عيب واخفض لهما جناح الذل قال القفال لا كريما بدلا النول اللئيم
وضرار والعمل هنا الفعل اللطيف بدل الفعل العنيف وهو النهي بينهما عن قول وفعل وضرب
وفعل به لا عليهما رفيقا تعززا بالتأني وجعلها الخدمة الطائر اذا اراد الطيران لا ارتفاع
نشر جناحه واذا اراد ترك ذلك خفض جناحه فصار خفض الجناح مجازا مرسلا على
الكناية عن فعل التواضع والتأني في اذا الطير اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض
الجناح فيه كناية عن حسن التدبير فكأنه قيل للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك
كما فعلا ذلك بك في حال صغرك وارشد الى هذا قوله كما ربياني صغيرا ويجري الاول فاضافته
الجناح الى الذل بطريق الاستعارة التخييلية ويجري الذل الكثير وهو الانقياد من الرحمة
من فرط رحمتك اليهما احتياجهما الى من هو افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى
ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لا يمتنع عن ذلك لان ما حاصل
لان الهداية الى الايمان من جملة الرحمة بل من معظمها وصحة التشبيه في قوله كما ربياني
صغيرا باعتبار ان التربية لا تكون الا عن رحمة فذكر تلك التربية ذكر للرحمة ايضا فكأنه
قال كما رحماني في تربيتهما صغيرا وبالجملة المذكورة تنبيه على العلة الموجبة للاحسان اليهما
والاسترحام لهما تعالى في قبلهما في تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة التي قال بها اشفاقهما ورحمتهما
الذي تذكر بها الحالة التي بها لا يعقبه ان لا يبقى على الاحسان لنفسه ربكم اعلم بما في نفوسكم
من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب عليكم من التوقير فكأنه تهديد على ان يضمرهما كراهة او
استثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين الاواب الراجع
عن ذنبه بالتوبة غفورا ما فرط منكم مما يخرج الصدر منه اذ يبدو فيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته

اندادا جيا او ليا لو رويه على اثره وآت ذا القربى حقه لما امر ببر الوالدين امر بصلة
القرابة والحق هنا ما يقتضيه له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والعون
بكل وجه والمسكين وابن السبيل قد مر تفسيرهما ولا تبذر تبذيرا اصل التبذير التفريق
ومنه البذر لانه يلقي [illegible] هو تفريق بجانبه والفرق بينه وبين الاسراف ان الاسراف
تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير تجاوز عن موضع الحق وهو جهل بمواقعها
وكلاهما مذموم وان الثاني ادخل في الذم ويفصح عن التفاوت بينهما قوله ان الله لا يحب
المسرفين وقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي اتباعهم الملازمين لهم فان العرب
تسمي الملازم للشيء اخا له فتقول اخو الكرم اذا كان مواظبا عليها وكان الشيطان لربه كفورا
كثير الكفران لنعمه جحودا لحقوقه وتدخل لكان فيه ليدل على عادته ومذهبه في التبذير واما
تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي ان اعرضت لاحاجة حوجتك الى
الاعراض عنهم لا الحاجين بضيق يد انتظارا لرزق ترجو من الله تعالى فقل لهم قولا
ميسورا فلا تدع تعهدهم بالقول الجميل والميسور من يسر الامر مثل سعد وكان النبي عليه
السلام اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطيه سكت انتظارا للرزق ياتي من الله تعالى كراهة
الرد فنزلت هذه الآية فكان يقول بعد ذلك اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي يرزقنا الله واياكم
من فضله وذلك قوله فقل لهم قولا ميسورا اي لا تسكت فيكون ايحاشا لهم ولا تردهم
فيكون ايلاما لهم ولا يجوز ان يتعلق ابتغاء رحمة بالجواب لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما
قبلها في غير باب اما وما يلحق بها في المذهب المنصور الا اذا اريد التعلق المعنوي فينص
ما يقتضيه ويجعل المذكور جاريا مجرى التفسير ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهي عنهما امرا بالاقتصاد الذي هو
بينهما التبذير لا لانشائه [illegible] الكرم فلا اختصاص له بيدك [illegible] بل يعم ما بين الخلال
فتقعد فتبقى عاجزا ملوما يلومك الناس على الشح وهذا اثر النهي الاول محسورا منقطعا
عن النفقة والتصرف بسبب التبذير وهذا اثر النهي الثاني او الاوجران يكون ملوما راجعا
الى الثاني واما الاول فهذا كافيه بهما فهم من تمثيله على اقبح وجه في النصين ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه لمن يشاء لا لعجز ولا لبخل انه كان بعباده
خبيرا بصيرا عالما بخفيات امورهم بصيرا بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لآخرين على
مقتضى علمه وحكمته ويجوز ان يكون المعنى ان البسط والقبض يكون له تعالى العالم بالمصالح
فالقول بين ذلك اما الينا وحكمتهم ان تقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا

بسنته ولا تفرطوا ولا تفرطوا وعلى كلا التقديرين يكون جاريا مجرى الاستيناف بالتعليل
ويجوز ان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفقر وكان هذا نهيا
عن واد البنات وكانوا يفعلونه نحن نرزقهم لا انتم فلا وجه لقتلهم بسبب الرزق فهو بادة
قوله واياكم بيان ان رزقنا لاباء ايضا على الله تعالى فكيف يتولى رزق الغير من عجز عن
رزق نفسه ان قتلهم كان خطأ كبيرا لانه يتضمن قطع التناسل وانقطاع النوع وقرا
الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمز والقصر وقرا ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء
والهمز والقصر وقرا ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والهمز والمد وقال النحاس
لا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا وقال ابو علي مصدر
خاطا يخاطي وان كنا لا نجد خاطا ولكن وجدنا تخاطا وهو مطاوع خاطا فدلنا عليه والخطا
والخطا مصدر خطي يخطي كحذر يحذر والخطي اذا اثم واخطا ضد تعمد والخطا بالكسر
لا يكون الا تعمدا والخطا بالفتح قد يكون عمدا وقد يكون خطا ولا تقربوا الزنا
[illegible] وهذا نهي عنه بابلغ وجه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة في القبح
متناهية فيه وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه لا لانه غصب على الابضاع لانه لا يتعين الاثم له
بل لانه يؤدي الى النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها وحقن دمها
بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا بحق يوجب قتلها كالرجم وبحده كالقصاص قبلا ولا
بالحدي الا بكفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وفيه نظر ذكرنا
في تفسير سورة الانعام ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل ولا يبيح له ما كان متاولا
او مخطئا فان القتل غير مشروط بالعمد لكن الاثم مشروط الاول في التهديد دون الثاني
فقد جعلنا لوليه هو من له حق الطلب بدمه سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه فلا يسرف في القتل نهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد
قرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب جزما والخطاب للولي [illegible]
جزما والغيبة ترجع الى الولي ومرجعه الى القاتل [illegible] الخطاب [illegible]
الاستيناف فان حقه النهي عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل للنهي على الاستيناف
والضمير للولي لنا سوغ القصاص [illegible] بتسليط الله تعالى اياه على القاتل وامر الولاة بمعاونته
ووجه التعليل ان الولي اذا اسرف في القتل وجاوز عن حد المشروع ينقلب عليه الامر
وينتقل عنه الى القاتل ولا تقربوا مال اليتيم [illegible] الكلام في [illegible] النفس [illegible] الى
المال والمباشرة دون القتل [illegible] النهي عن القربان [illegible] الا بالتي الا بالطريقة

التي هي احسن الطريقة حتى يبلغ اشده قد مر في سورة الانعام واوفوا بالعهد عاما لما
عقده الانسان بينه وبين ربه وما عقده بينه وبين ادمي في غير معصية ان العهد كان
مسؤلا اي مسؤلا عنه فحذف الجار واوصل مسؤلا الى الضمير كما في قوله لا يفعلون ما
يؤمرون اي به وقيل ان العهد يسأل تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما يسأل الرحم عن
وصلها وقطعها قيل ويجوز ان يراد صاحب العهد فكان مسؤلا وعلى هذا يظهر تجرده
عن الضمير اي لا اثم لكنه [illegible] اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به وفيه
تعسف لفظا ومعنى اما الاول فظاهر اذ ح يكون المسؤل لعدم تضييعه لانه واما
الثاني فلان ظهوره لا ترتب له على معنى واوفوا بالعهد وقد ذكر في مقام التعليل لا على
الاستيناف واوفوا الكيل اي لا تبخسوا فيه وقت [illegible] له اذا كلتم اي وقت كيلكم تعميم النهي
عن الكيل بنقصان تام تكميله [illegible] وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس الميزان
صغيرا كان او كبيرا وقيل هو القبان لفظ رومي معرب ولا يقدح على قانون لغة العرب
بشرط في التعريب على ما حققناه في رسالتنا المعمولة فيه والمستقيم السوي ذلك خير في
الدنيا لانه انما يوجب المحمدة والرغبة في معاملته واحسن تاويلا عاقبة اذ لا يبقى تبعته
في الاخرة تفعيل من آل اذا رجع فيه نفع للدارين ولا تقف ما ليس لك به علم لا تتبع ما لا علم لك
به من قول او فعل نهي اذ [illegible] لا يبلغ ويدخل فيه التقليد على
[illegible] اذا تبعته ومنه القافية لتتبعها لاثار وعاقبة كل بيت ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الثلاثة المذكورة ولا اختصاص لها بالعقلاء لـ
الزجاج موافقة الطبري ان العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل باولئك وانشد قول
الشاعر والعيش بعد اولئك الايام ۞ وان نظر الى [illegible] في العقلاء فمعنى لما
كانت تلك الاعضاء مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها اجريت مجرى العقلاء كان عنه
مسؤلا عنه في موضع نصب والضمير عائد على معنى اولئك عن كل واحد بما تقدم ومسؤلا
فيه ضمير يعود على كل من حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله ويجوز ان
يكون مسؤلا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمجرور بالحرف لا يلتبس [illegible]
ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه كان لذلك ولا دلالة في الاية على ان العبد يؤاخذ
بالعزيمة اذ يجوز ان يكون مسؤلا عنه المراد الظن والعقائد ولا تمش في الارض مرحا
يكون في الارض [illegible] التقييد به [illegible] فيه كما في الذهاب مرحا نصب على الحال اي
ذا مرح ولا بد من التقدير لان المبالغة المستفادة من الوصف بالمصدر لا يناسب المقام لان

المراد النهي عن اصل المرح لا عن المبالغة فيه وقرئ مرحا بالكسر والمرح هو الخيلاء والكبر وقد
ورد قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور على ان المرح هو [illegible]
[illegible] انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك
[illegible] وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه قرئ بالرفع والاضافة الى الذي نهي عنه لانه سيق
ذكر المامور به والمنهي عنه فكان القبيح بعضه وقرئ سيئة على انها خبر كان مضاف
[illegible] والاشارة الى المنهيات من الخصال المذكورة عند ربك مكروها
[illegible] الحكم الصفات [illegible]
[illegible] لانها في حكم الصفات [illegible]
سيئة ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كان [illegible]
المقابل للوحي لا لانها بل المراد ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك
من الحكمة [illegible] الموضوعة في مواضعها [illegible]
[illegible] ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد
[illegible] ومنتهاه [illegible] في الدنيا [illegible]
فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مطرودا مبعدا [illegible]
والاستخفاف به افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى
والهمزة للانكار [illegible] فضل الاولاد وهم البنون
[illegible] واتخذ من الملائكة اناثا بنات [illegible] هذا خلاف المعقول
[illegible] انكم لتقولون قولا عظيما
والمعروف [illegible] البنات بالاناث [illegible]
عظيما [illegible] الاجسام [illegible]
[illegible] الملائكة الذين هم [illegible]
ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى [illegible] لانه معلوم في هذا القرآن
في مواضع [illegible] البنات اليه تعالى لا انه [illegible] صرفه
[illegible] في هذا المعنى [illegible]
صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ [illegible] اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا
[illegible] وما يزيدهم [illegible] الا نفورا عن الحق [illegible]
[illegible] قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون والكاف في موضع نصب
اي [illegible] الكلام مع الرسول عليه السلام اذا لابتغوا اي طلبوا [illegible]
الى ذي العرش اي [illegible] بالتعبير عنه تعالى بذي العرش

سبيلا لانهم شركاء على الفرض المذكور كما يفعل الملوك بعضهم بعضا وهذا على وفق قوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا سبحانه تنزيه له وتعالى عما يقولون علوا تعاليا
كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء
الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان ولواحق الحدوث بدلالته على الصانع القديم
الواجب لذاته قطعا بلسان الحال ولكن لا تفقهون ايها القاصرون عن النظر الصحيح
تسبيحهم في عبارة لو لم تفقهون دلالة على ان تسبيحهم من جنس ما يفهم بحث النظر لا من جنس
ما يدرك بالسمع فيتعين حمله على معنى الدلالة لا لفظ التسبيح وجه الحمل على المشترك بينهما
وبين اللفظ انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على الغفلة والشرك غفورا لمن تاب
منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبك عنهم
عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل
بنت حرب وفي يدها فهر والنبي عليه السلام قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه
فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله لقد اقبلت واخاف ان تراك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن وهم ان الحجاب لكنه كانه ما فيها انه بينهم وبين القرآن لا بينهم وبين النبي عليه السلام
مستورا عن اعين الناس اي ليس من جنس الحجب الظاهرة وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية
جمع كنان وانما لم يقل وجعلنا قلوبهم في اكنة مع انه ابلغ في نفي المعنى المقصود للاشعار
بانه امر عارض كسبي لا ذاتي في خلقتهم ذكر كونه دليلا على الفطرة السليمة ان يفقهوه كراهة ان
يفقهوه او الضمير لما يعود اليه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم
اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقيلا ان يسمعوه كناية بما فهم بقرينة وهذه
حكاية لما كانوا يقولونه مثلا لما دل عليه قوله وقالوا قلوبنا وقالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فهو لانهم لا يسمعون صريح
في ان عدم سماعهم بسبب اعراضهم لا لمانع فيهم اذا انهم غفروا ما في آذاننا وقر اشارة الى ذكرها مقدم
لا اجابة عن ما نضربهم ومن غفل عن هذا قال ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى
اثبت لمكذبيه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ويريد ان الاول لم يرتفع على الثاني في
ما لحمل الثاني على تقدير كونه حقيقة كان في الامرين وايضا مبني ما ذكره على ان يكون الضمير
في يفقهوه للقرآن وبابه قوله واذا ذكرت ربك في القرآن اذ لا وجه للعدول عن الضمير
الى الاسم الظاهر وايضا ما في هذه الآية الاخرى من قوله مما تدعونا اليه بدل ان يفقهوه فافهم

في

في خلافه وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم قال سيبويه وحده اسم موضوع موضع
المصدر وهو ايضا عاد الموضوع موضع الحال وهو موحد ولوا على ادبارهم نفورا هاربين من
استماع التوحيد على ان النفور جمع نافر كشهود في جمع شاهد ويجوز ان يكون مصدرا على غير
المصدر او كانت مصدر الفعل ولوا على ادبارهم نفورا بمعنى تنفرا وهذا بيان انهم قادرون على
الاستماع لا وقر في آذانهم حقيقة نحن اعلم بما يستمعون به بسببه الباعث لهم على الاستماع من
الهزء بك وبالقرآن ومنا للغو اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى يتناجون
بالطعن في القرآن اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع في حالتي الاصغاء والاعراض بالتناجي ونجوى
مصدر ويجوز ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا بدل من
اذ هم يجري على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور
من سحر فاختل بعقله انظر كيف ضربوا لك الامثال في الحذر والتعجيد ولذلك قوله تعالى
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم او ممن نبههم على ما قالوا هنا لا اشكال لانهم
ضربوا بعيدا تاثير شيء نحو مشعلة وقيل مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون
وسرقة انهم ما شاع عليهم السلام بما ذكر بل قالوا تارة انه ساحر واخرى انه شاعر الى
غير ذلك وايضا لو كان المعنى ما ذكر لقيل عليك لا الك لانه عليه السلام لا يكون مضروب
فيه الامثال فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى طعن وقالوا ائذا كنا عظاما بيانا للاصر فيه
ولذا الفصل بينه وبين المبين بالحال التفريعية كما نحا المصنف بالفاء التفصيلية
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون تقديره انبعث اذا كنا عظاما لا الاستفهام للانكار
ورفاتا مصدر بالاطلاق اخراجا لمخرج الاستقلال في كونه منشأ الاستبعاد ورفاتا
الاجزاء المفتتة من كل شيء مكسر ولما فيه من زيادة معنى لفتت اثر على الحطام ولم يلتفت
الى ما فيه من مقتضى الجناس ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين
غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم
كونوا حجارة او حديدا ثم لم يكونوا على غيرهم كما انه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا
عظاما فانه يقدر على احيائكم كذا وفي الحجارة صيغة الجمع رعاية لانه مناسبة بكونوا لعدوله في
الحديد الى صيغة الافراد ما في صدره مسند الجار مع الحديد او خلقا مما يكبر في صدوركم
اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة
بالحياة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فيه ولذلك قيل لا لان ذلك استعظام

البديع يظهر فيها فان القلب يضطرب عند ذلك لما يعتريه من الخشية فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحي فسينغضون اليك رؤسهم
تعجبا لا تنغضن ناسه اي تحركه كالمتعجب من الشيء وكل حركة في ارتجاف نغض والعدول من التعدية
الى الى لتضمنه التوجه والالتفات ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
انتصابه على الخبر او الظرف وان يكون اسما وخبره لانه منصوب بهم قريب وعودها لان
كل ات قريب بل لانه مضى اكثر الزمان ولم يحيهم بتعيين وقته لان العلم انما
الله تعالى بجله ولم يرد في بيان الاسئلة استهزاء نابيا عادة وانسبها وقد اخرجت حجتهم
ببلوغ الحد في التحقيق وعدم المبالاة باستهزائهم وفيه نوع تمهيد للامر بحسن المجادلة الاتي
ذكره يوم يدعوكم بدل من قريبا والدعا النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق وقد
عليه السلام انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم فتستجيبون
الاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الفعل لاجل دعائه بحمده حال منهم اي حامدين
لله تعالى على الاحيا او على كمال القدرة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ينفضون التراب
عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا تعلق معلقة
عن العمل والجملة بعد اذ فيه رفع نصبه وقد ذكر الضمير في ذا التعليق ان النافية وانما
قليلا حالية نعت لزمان محذوف وفي الا زمانا قليلا وكونه قال الي لبثنا يوما او بعض يوم
ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف وفي لبثا قليلا وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا
التي هي احسن اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم
يلقي بينهم الفساد والوسوسة ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشادة والمنافرة وقد
مر في اخر الاعراف تحقيق معنى النزغ ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر
العداوة امروا بحسن المجادلة وتنبيه على انه قد يكون من الشيطان اغراء والاغراء وذكروا
بعداوته القديمة لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للاسلام وان يشأ يعذبكم
بالاماتة على الكفر وكلمة او للدلالة لا لانفصال الحقيقي بين السببين والجملة تفسير
للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم
من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وفيه ان
الظاهر عموم النهي للتصريح بما ذكر وان كان ... ولا بمعنى ان علمهم من اهل النار
القطعية لا تصلح علة له وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان
به وانما انت عليهم ... اليهم افادة لنفي القسر لا الاجبار وربك اعلم بمن في السموات

والأرض

والارض فيختار منهم لنبوته وولايته من يليق بها وهو رد لاستبعادهم قريشا ان يكون يتيم
ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
بالرسالة ويكون صاحب شريعة ويكون مبعوثا الى العرب ويكون خاتم الانبيا عليهم السلام
وآتينا داود زبورا يعني الدال على ... لان لم يكن نبيا ولي العزم ولا صاحب
شريعة لكنه من جملة المفضلين بالرسالة بحيث اوتي كتابا وفيه ... يتعلق بالزبور
الكلام في اخر سورة النسا قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه تعالى كالملائكة
وعزير والمسيح عليهم السلام فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض
والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
اي يدعونهم الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو
يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها بالموت
قبل يوم القيمة عن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسير هذه الاية اما مكة فتخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
ثم ذكرها بلدا بلدا او معذبوها اي معذبوا اهلها على ان المجاز في الاسناد دون المسند
او الابتلا ومعذبوهم عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح
المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات المقترحة استعير المنع للترك لانه لا يعني
ولا يجوز استعماله للصرف لانه انما يستعمل فيمن ... تعالى وانما للتعدية فان ارسل يتعدى
بنفسه وبالباء كقوله ... ثم ارسلنا رسلنا
الا ان كذب بها الاولون الا التكذيب الذين هم امثالهم في الطبع من الامم السالفة كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك الامم واستوجبوا الاستئصال على مقتضى سنتنا
وهو خلاف مقتضى الحكمة لان فيهم من يؤمن لانه ... لا نستأصل الامة التي يبعث منها
ما وقع في قوم نوح عليه السلام بل لان فيهم من يلد من يؤمن ثم ذكر بعض من كذب بالايات
المقترحة فاستوصل بسببه وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة نصب على الحال وفي
قراءة الجمهور وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدأ اي هي مبصرة اضيفا الابصار اليها مجازا لما
كانت تبصرها الناس وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول فظلموا بها اي جحدوا بها
وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل

وإذ قلنا لك واذكر إذ أوحينا إليك إن ربك أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته فأحاط
بقريش أي أهلكهم يعني في وقعة بدر وإنما عبر بالماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا
الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج وكانت رؤية عين إلا أنها لما كانت بالليل رؤيا كما يقال
بات يفعل كذا إذا فعل ليلا فيسمى ما يفعل بيتوتة وإن لم يكن نوما فلا تمسك فيه لمن زعم
أنها كانت في المنام بل نقول إن تمسك به يكون حجة عليه لأنه لا فتنة في رؤيا المنام ولا فتنة فيها
وما كان أحد ينكرها وقد كانت تلك الرؤيا فتنة على ما نطق به قوله إلا فتنة للناس
فإنه ارتد قوم ممن أسلموا حين أخبرهم النبي عليه السلام أسري به والشجرة الملعونة
عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم واللعن لطاعمها وإنما وصفت به على المجاز للمبالغة أو
قيل لها لأنها في أبعد مكان من الرحمة وهي أصل الجحيم أو لأنها مكروهة وكل ما يكره ملعون
في القرآن قال أبو جهل ومن معه هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها
تنبت الشجر والنار تحرق الشجر وما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ثم أمر أبو جهل جارية له
فأحضرت تمرا وزبدا فقال لأصحابه تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفاء وما يعلموا
أن من قدر أن يحمي وبر السمندل من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر قدر
أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها وتقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي والشجرة
الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا عتوا
كبيرا متجاوزا عن الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قد مر تفسيره
قال أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب على نزع الخافض ويجوز أن يكون
حالا من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو كان تعليلا على ما صرح به في قوله أنا
خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وفي الموصول أي أأسجد له وأصله طين فيرد عليه
أنه لا يصلح لخلقته قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل
له من الإعراب على ما مر تحقيقه في سورة الأنعام وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول
الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود
له لم كرمته علي أي الإكرام من جامع لكل ما يجد عليه وتعديته بعلى لتضمنه معنى التفضيل
لئن أخرتن إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن
ذريته لأقودنهم حيث شئت من قولهم حنكت الفرس إذا جعلت في فيه الرسن وكذلك احتنك
إلا قليلا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله إن عبادي
ليس لك عليهم سلطان قال الحسن ظن ذلك لأنه وسوس إلى آدم عليه السلام فلم يجد

له عزما قال اذهب امض لما اخترته أمر إهانة وعقبه بذكر ما جر إليه سوء
فعله من جزائه وجزاء أتباعه فقال فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم
تغليب المخاطب على الغائب جزاء نصب على المصدر بإضمار فعله أو بما في جزاؤكم من معنى
تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا مكملا لا انتقاص فيه عن قدر الاستحقاق من قولهم
وفر لصاحبك عرضه واستفزز واستخفف أصله القطع ومنه تفزز الثوب إذا انقطع والمعنى
استخف من استطعت إزالته عن الحق من استطعت منهم أن تستفزه بصوتك بدعائك إلى الفساد
وأجلب عليهم واجلب السوق بجلبه من السائق وهو الصياح بخيلك ورجلك بأعوانك من
راكب وراجل والرجل اسم للراجل كالركب اسم جمع لراكب وصاحب وقرئ بكسر الجيم
وهي صفة مثل حذر بمعنى راجل وشاركهم في الأموال بحملهم على جمعها من غير وجهها وإنفاقها
في غير حقها والأولاد بالحث على تحصيلهم بالوجه الحرام والإشراك فيهم بتسميتهم بعبد
العزى ونحو ذلك والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة
والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا
اعتراض لبيان مواعيده والغرور هو ما اغتر به إن عبادي يعني المخلصين والإضافة للتشريف
ليس لك عليهم سلطان أي على إغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة
منك ربكم الذي يزجي أي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر
لتبتغوا من فضله من رزقه إنه كان بكم رحيما حيث سهل لكم ما يعسر من أسبابه
وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم
إلا إياه وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه إلا إياه أو ضل كل من
تدعونه من آلهة عن إغاثتكم إلا إياه وفيه أن هذا المعنى لا اختصاص له بوقت الغرق فلما نجاكم
خلصكم عن هول البحر فأخرجكم إلى البر أعرضتم عن الإخلاص في العبادة وكان الإنسان
كفورا كالتعليل للإعراض وإنما لم يخاطبهم بذلك بل أسنده إلى الجنس لطفا بهم أفأمنتم
الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض
أن يخسف بكم جانب البر الخسف أن تنهار الأرض بالشيء وتعديته بنفسه وتذكيره لأي بحكم
بكم قال الجوهري يخسف به الأرض أي غاب به فيها وجانب البر ناحية الأرض
وسماه جانبا لأنه يصير بعد الخسف جانبا أو يرسل عليكم حاصبا ريحا عاصفا ترمي بالحصباء
ريحا تنشأ بها ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك وفي عبارة ثم إشارة إلى أنه تعالى
يحفظهم مرة ولا يعود إليه بعد الكفران وإن لم يعودوا إلى الشرك أم أمنتم أن يعيدكم فيه

في البحر لم يبق إليه إذ لا يلزم من الحمل إلى البر انتفاء التعلق به تارة أخرى بخلق الدواعي الملجئة إلى ذلك
فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء إلا قصفته أي كسرته بفتح فيغرقكم وقرئ بالتاء على
استنادا إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم نعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به بسبب
ما فعلنا تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار ـــــ المراد التبيع طالب الثار ولقد كرمنا
بني آدم تكريما مشتركا فيما بينهم بحيث لا يختص ببعض دون آخر وهذا أي بصيغة الجمع المراد
الكرامة البدنية ولهذا عبر عنهم ببني آدم بوصفنا البنوة وعبارته وإن كانت لم تثبت لآدم عليه السلام
لكن دلالة شأنها ولذلك عليها الانسبة لذلك إذ ترتيب التكريم على وصفها لبنوة المفاد فيه إليه
لا تحل عنه لا دلالة على التخلية السلام منشأ التكريم جوهر مبدأه فلا حاجة إلى تأويل بني آدم
بنوع الإنسان بل لا وجه له إذ ح تنبت الدلالة على التكريم المشترك ولما أنهم في جهة التكريم
للتعظيم وإلى بالتعظيم بجانب المكرم حيث ذكر بصيغة الجمع الصرفي التكثيري دون الجنس
المحتمل للتقليل والتكثير بتعلق قول الكلام وخرج الجمل المختص كما حري أن يقصد نظير الكلام
بحرف التأكيد معنى بعد تأخيري قيل ومن جملة كرامته أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا
الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وفيه نظر لأن القردة مع أنها من الحيوانات الخسيسة تأكل
فيما ذكر فلا يصلح كرامة ولا أن يعد خاصة له وحملناهم في البر والبحر أي جعلنا لهم
فيهما أن الحمل بحفظ الحفظ عادتهم لم تخسف بهم الأرض ولم نغرقهم الماء وحملناهم على
الدواب والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه ورزقناهم من الطيبات من ضروب المستلذات
وقول النعم ما لم يجعله الحيوان بالحيلات لا مرمع من تفضيل بعضهم وجوه تكريمهم وأحد
الذي شرع في الإخبار عن تكريمهم لمنشأ في ذا جمل فيه إشارة إلى بعض الحيا ومن تفضيله
وفضلناهم تفضيلا شتى كذلك على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف والكرامة
بالتأكيدهما أهمية الكون يعني يا علاقة تلك الأحوال الثلاثة ولأن الأحكام المذكورة
من شواهد هذا الحكم وكان شهادتها ما كتب بعضها ببعض فظهر أثر تلك الشهادات في
الدعوى ولما كان سياق الكلام في النعم المشتركة بين أفراد الإنسان شريفها وخسيسها
على ما نبهت عليه نصا ظهر وجه تخصيص الحكم المذكور بالكثير فإن كل فرد من أفراد الإنسان
غير مفضل على جميع ما عداه ذلك الأفضل بعد الدلالة فيه على عدم تفضيل جنسه على جنس
الملائكة لأن تفضيل جنس على جنس آخر لا حاجة إلى تفضيل جميع أفراد الثاني بل يكفي تفضيل
فرد منه الأول على جميع أفراد الثاني يوم ندعو نصب على إضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه
ولا يظلمون وقيل هو على الأعراب أي أحد ذلا يوم ندعو على قلب الألف واوا في لغة من

يقول

يقول أفعو في أفعى أو على أن الواو علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضمير
وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وهو قد يقدر كما
في يدعى كل أناس كل جماعة من الإنس والأناس أصل الناس وهو اسم جمع وتحقيقه بأنه في دلائل
سورة البقرة بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب
أعمالهم أي بما يرجع إليه في معرفة الأعمال التي بيده أن الذي يدعو إلى كتاب الأعمال الكل واحد
من الإنس لا لكل جماعة منه لعدم الاشتراك بين الاثنين في كتاب واحد وقيل بأمهاتهم جمع
أم كخفاف في خف والحكمة في ذلك إجلال عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسنين وأن
لا يفتضح أولاد الزنا وفيه ما فيه إذ لا يناسب ما قبله لكل أم نسبها يشترك فيها جماعة من الإنس
إن أتى لما ذكر من وجه الحكمة مردود بما ذكر في الصحيحين من الحديث الدال على أن الناس
يدعون في الآخرة بأسماء آبائهم وأسماء آبائهم فمن أوتي من المدعوين كتابه بيمينه أي كتاب
عمله فأولئك أو رفعهما على معنى من وحمل على اللفظ والإفراد في قوله كتابه ومن في
قوله بيمينه يقرؤون كتابهم لكمال فرحهم وعظم غبطتهم والذين يؤتون كتابهم بشمالهم
فإنهم لخجلهم وشدة دهشتهم لا يقرؤون كتابهم كما يشير إليه في قوله تعالى وأما من أوتي كتابه
بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه حيث لم يذكر القراءة فيه ونفي قوله يا ليتني الآية دلالة
ظاهرة على أنه لا يحتمل إشفاقهم عن التكلم وتعليق القراءة على إيتاء الكتاب باليمين لا يخلو
عن الدلالة على ما أشير إليه بعدهم كل القراءة في مقابله ولا يظلمون فتيلا أي لا ينقصون
ما يستحقونه من الجزاء أدنى شيء وقد مر شرح الفتيل في سورة النساء ومن كان في هذه أعمى
فهو في الآخرة أعمى أي من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله تعالى وعبره
فهو في الآخرة أعمى فلا تدل هذه الآية على أن عبد الله بن أم مكتوم مؤذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى فأكون في الآخرة أعمى فأنزل الله
تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولعله لما فيها ذكر
على من أوتي كتابه بشماله لا يهتدي إلى القراءة لعدم بصيرة وقد مر في تفسير قوله تعالى
اقرأ كتابك ما يتعلق بهذا ووجه أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ويعضده قوله
تعالى فما هو أعظم عليه من قوله وأضل سبيلا ومن ثمة قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما
لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام وأما الأول فلم
يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة لأنه منقوص بالإمالة في
قوله تعالى الذي هو أدنى بل لأنه أراد أبو عمرو أن يفرق بينهما لما اختلف معناهما

وتجتمعا في اية واحدة فقرا بما لسالا الا بدون الثاني لما ذكرنا انه يصلح للاحتجاج وان لم
يصلح للغلبة واضل سبيلا منه لبطلان الاستعداد وتعذر الالة والمهلة ونزل في ثقيف وان كادوا ليفتنونك
ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يفتنوك اي يخدعوك
فاتنين بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا
اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك
فقل ان الله امرني به وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا
وتمسها بيدك واذا اي لو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا وخليلهم بري من خلة الله
تعالى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت قاربت تركن اليهم شيئا قليلا
ميلا يسيرا لا يقتضي اذا كان شيئا اشتاعه لرجوعنا قبله فقاربتها الميل القليل من الركون
وهو الميل اليسير لم يتم منه عليه السلام فضلا عن وقوع ذلك الميل القليل بل الميل اليسير
وهذا غاية الميل الذي تروجهه عليها السلام عن الميل الى هواهم ولا يكون في فعله فيه
دلالة ظاهرة على ان قوله تعالى ليفتنونك بما قصدهم لا فعله عليه السلام اي لو قاربت
اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الضعف بمعنى المضاعف وكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحياة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات والمعنى
لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر
الكيدودة وتقليل الميل مع بعد الخير مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف
في الدارين دليل بين على ان من كانت درجته ارفع ونعمة الله تعالى عليه اسبغ كان وعيد
الله تعالى في جنحته ابلغ ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك عذابنا بالغلبة علينا وان
كادوا الضمير لاهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك
منها متعلق بما مر واذا اي لو اخرجوك منها لا يلبثون خلفك بعدك وقرئ خلافك
وهو لغة فيه اي لم يمهلوا الا قليلا قدر ما يتعلل بهم العذاب وما اخرجوه عليه السلام منها
بل خرج بنفسه ايضا لا لاجل الخروج ثم انا نرجع عليها السلام لكن التعليق على الاخراج
لا على الازعاج وقيل الضمير لليهود بالمدينة الارض ارضها وذلك انهم ارادوا المكر برسول
الله صلى الله عليه وسلم لكنك تحاذا الدعم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله تعالى يحميك

كما حمى سائر الانبياء عليهم السلام فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل من المدينة مرحلة
فانزل الله تعالى هذه الاية وعلى هذا ايضا لم يوجد اخراجه عليه السلام كما هو الظاهر من
حرف لو واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة
وان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا ما قبلها على ما بعدها سنة من قد
ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجت رسولها
من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم دل على ذلك قوله
ولا تجد لسنتنا تحويلا تبديلا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها او لغروبها واصله الميل وهو
ينتظم المعنيين قال ابن عطية الدلوك هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال
واخره هو الغروب ومن وقت الزوال الى الغروب يسمى دلوكا لانها في حالة ميل فاولها لا تثبت
بذلك عينيه ليتبينها حالة الغيب ومن جعله اسما لزوالها فلانه يدلك عينيه لشدة شعاعها
عند ذلك واللام للتوقيت لانها انما تجب بزوال الشمس الى غسق الليل هو اجتماع الليل
وظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة وقيل المراد بها الصلاة صلاة المغرب ووقف له الدلوك
الشمس الى غسق الليل تحديد الوقت ومنتهاه على ان الدلوك هو الغروب واستدل به على
امتداد الوقت الى غروب الشفق وقرآن الفجر صلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا اذ الله لك وتكون لا دلالة فيه على ذلك لا دلالة في تسميتها قرآنا على ان القرآءة
ركنها ولكن الاولى لا دلالة فيه على وجوب القراءة فيها لجواز ان يكون التجوز بها لكونها مندوبة
في الصلاة نعم لو كان التجاوز في المعنى بان يكون المراد به الصلاة في ذلك الوقت
لدل الامر بها نصا على الوجوب فيها عبارة وفي غيرها دلالة ولذلك نصب قرآنا عطفا على الصلاة
او نصب قرآن على الاغراء اي فعليك بقراءة الفجر قاله الزجاج وقراءة الى
البصريين ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار بدلالة الترمذي
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا حديث حسن صحيح والاية
جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل فقط ان فسر بالغروب
ومن الليل فتهجد من للتبعيض والفاء عاطفة على مضمر اي قم فتهجد به اي بالقرآن
والتهجد التيقظ من النوم لان اصل التيقظ طلقا قال الحجاج بن عمرو رضي الله عنه
صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ايحسب احدكم اذا قام من الليل كله انه قد تهجد انما التهجد الصلاة
بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة كذلك كانت صلاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو من الصفات الغالبة يقال تهجد اذا القى الهجود وهو النوم عن نفسه وهذا الفعل

جار مجرى يجرب ويخرج تهجد وتحنث اذا القى الهجود عن نفسه نافلة لك زايدة على الصلوات
الفرايض المذكورة في الاية السابقة والزايد حقه ان يكون من جنس المزيد عليه فالتهجد
من الفرايض في حقه فاما لك لانه فريضة في حقه امته عليه السلام وقد روي عنه لانه
علي فريضة ولامتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك ومن زعم انه تطوع في حقه ايضا
فسر النافلة بالزيادة اي زيادة لك في الدرجات وذلك لانه عليه السلام مغفور له فهو
اذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة في درجاته وغيره من الامة تطوعهم كفارات
للذنوب وتدارك الخلل يقع في الفرايض عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما
نصب على الظرفية على تقدير العامل او تضمينه اذ لا يصلح العامل في مثل هذا الظرف الا فعل
فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا اي ذات مقام محمود روى الترمذي عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود الذي يقوم لامته
فيه للامور الجليلة ويستحق ان يكون محمودا انه تعالى يحييه عليه السلام فيه فيشفع في فصل الخلق
وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق المدخل والمخرج بضم الميم بمعنى
الادخال والاخراج والصدق بمعنى المرضي اي ادخلني مدخلا صدقا اي مرضيا للخلق وقرئ
مدخل ومخرج بفتح الميم بمعنى الدخول والخروج على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني
فاخرج خروجا وقيل المراد ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله المدينة واخراجه من مكة وفيه ان المناسب حينئذ
تقديم الاخراج على الادخال وقيل ادخلني فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه والا
انه عام في جميع موارده عليه السلام ومصادره دنياوية واخروية وقيل المراد الادخال
في القبر والاخراج منه لينتظم بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا واجعل لي من لدنك
من تيسيرك الذي في العزل سلطانا نصيرا حجة تنصرني على المخالفين ملكا ينصر الاسلام
على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون والنصر التمكين منه لا انتقاضه من
العدو وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل اي ذهب الكفر يقال زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا اي لا يبقى مضمحلا وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد
من القران من للتبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقدم عليه مبهما اي كل ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين يستشفون به في دينهم ويتعلقون به في دنياهم وقوعهم منهم موقع الشفاء
وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله والتبعيض ليس معناه انه بعضه
الى ما فوقها والى ما ليس شفاء بل المعنى انه ينزل شيئا فشيئا فالنازل في كل وقت بعض ما هو

شفا كله ورحمة للمؤمنين بتفريج الكروب وتطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل به
تعالى من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم به
قال قتادة ما جالس احد القران الا قام بزيادة او نقصان واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض
عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ويجوز
ان يكون كناية عن الاستكبار لانه عادة المتكبرين وقرئ ناء على القلب او على انه بمعنى نهض
واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله تعالى قل كل يعمل
على شاكلته على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة اللائقة بحاله وشاكلته الطرق
التي تتشعب منه وتشهد له الشق له فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد
مذهبا وابين طريقة ويسالونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح
من امر ربي من الابداعيات الكائنة بامر كن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده
او انه يجاني الروح مما لا يمكن معرفته الا بالوحي عن تمييز من يستتبع وقال للدلالة اقتصر على
هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وهذا
القدر من البيان لا ينافي الابهام المذكور فيما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح لان السؤال كان عن حقيقته وهي
باقية على ابهامها وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل خلق اعظم من الملك وما اوتيتم من
العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العلوم النظرية انما هو من
اكتسابه من الحس غالبا ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما واكثر الاشياء لا يدركه الحس
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء
الشرط واللام الاولى للتوطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور
والمصاحف ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي لا تجد بعد الذهاب من يتوكل علينا
باسترداده ويعيده محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك لكن لانا ذلك رحمة من
ربك وقيل الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد وهذا امتنان
من الله تعالى ببقاء القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا
كان يجعلك سيد ولد ادم واعطاك المقام المحمود وانزل عليك هذا الكتاب وابقاه محفوظا قل
لئن اجتمعت الانس والجن لم يذكر الملك معهما الا لانه قادر على الاتيان بمثله لانه مرود

بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بل لانا لنعلل المذكور
بما لا يليق بشأنه ولا يجوز ان ينسب اليه لانهم معصومون لا يفعلون الا ما يؤمرون به
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في كمال بلاغته وحسن نظمه وجزالة معانيه لا يأتون
بمثله جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم
لكون الشرط ماضيا او العدول عن الضمير الى الاسم الظاهر لتفخيم انما عجز عنه الثقلان
ولما كان الاجتماع على امر قد يوجد بدون التظاهر فيما بينهم كاجتماع المجتهدين على حكم
شرعي قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على ما اتفقوا عليه من المعارضة
بالاتيان بمثله ولا يصلح هذا ان يكون تقريرا لما نفى له قوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا لان
المقدرة على الاتيان بمثله اصعب من المقدرة على استرداده بعينه [illegible] او
لا ما فيه ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن تعبير في هذه السورة من كل مثل من
كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسن موقعه فأبى اكثر الناس الى [illegible] الا بالنفي اي فلم
يرضوا الا كفورا الا جحودا وقالوا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات لن نؤمن لك حتى تفجر لنا قرئ بالتخفيف والتشديد من الارض
ينبوعا اسم [illegible] هو عين لا ينضب ماؤها [illegible] الكعبة [illegible] الارض او ارض
او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار هذا بالتشديد بالاجماع لكثرة الانهار
خلالها وسطها تفجيرا اي يكون لك بستان مشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا يعنون قول الله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقرئ
كسفا بالسكون وهو فعل بمعنى مفعول كالطحن او مخفف من المفتوح كسدر وسدر او تأتي بالله
والملائكة قبيلا عيانا او القبيل بمعنى [illegible] المناسب للمقام [illegible] منكرون
في الصحاح او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى
في السماء في معارجها يقال رقي في السلم اذا صعد اليها ولن نؤمن لرقيك ولن نصدق
لرقيك فاللام للتعليل [illegible] ما في سورة يوسف عليه السلام حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه من السماء فيه تصديقك نقرؤه فلا تحتاج الى سؤالك اياه [illegible]
لتفيد [illegible] النبي عليه السلام في تبليغ القرآن قل وقرئ قال اي قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه او تنزيها لله تعالى من ان
يأتي او يتحكم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكانوا لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله تعالى عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله تعالى فما بالكم

تتخيرون

تتخيرون علي وما منع الناس من تعيين المنع في هذه السورة ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
وما منعهم عن الايمان بعد نزول الوحي ومجيء القرآن الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
الا قولهم هذا وكان المانع اعتقادهم به موجبا قالوا منه ان الله تعالى اجل من ان يكون رسوله
من جنس البشر لا انه عبر عنه بالقول [illegible] الاعتقاد قل في جوابهم
لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين ساكنين فيها قاطنين فيها ويسيرهم قدرة
الصعود الى السماء فيسمعون من اهلها ويعلمون ما يجب علمه لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا ليكون من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون اليه واما انتم فبشر فيجب ان يبعث الله اليكم بشرا
مثلكم ليكون [illegible] تسكنوا اليه [illegible] كلامه وافهموا ان مقتضى الحكمة ان يكون الرسول من
جنس المرسل اليهم [illegible] حال من رسولا ويحتمل ان يكون موصوفا به وكذا الحال في بشرا قل
جوابا لهم حين قالوا من يشهد لك بانك رسول الله كفى بالله شهيدا بيني وبينكم نصب تمييزا
على التمييز اي حسبي الله تعالى من الشهداء او على الحال اي يكفي الله تعالى في حال شهادته بيننا
على ما ادعيت [illegible] انه كان بعباده خبيرا [illegible]
بصيرا محيطا على ما يظهر من افعالهم واقوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم
[illegible] الجمع [illegible] نسبة الضالين الى المهتدين [illegible] الواحد
لذلك قال اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم يسحبون عليها او يمشون عليها روي في الصحيحين انه قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما انهم يحشرون على هيئة الحقيقة ثم يخلق لهم ذلك قبل
دخولهم في النار فيبصرون لقوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا
لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقيل
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم كقوله
تعالى اليوم نختم على افواههم [illegible] على [illegible] التكلم عنهم [illegible] له
تعالى وتكلمنا ايديهم [illegible] النار [illegible]
احتمال ان يكون ذلك بعد [illegible] مأواهم جهنم كلما خبت
سكن لهيبها [illegible] جلودهم ولحومهم [illegible] فقوله
تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لانه صريح في [illegible] في تعذيبهم

عن حد الانضاج الى حد الاحراق و الافناء زدناهم سعيرا توقدا و انما قال زدناهم
دون زدناها عذابا عليهم لانهم هم وقودها على ما نطق به قوله تعالى وقودها الناس والحجارة ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
مر تفسيره في هذه السورة اولم يروا اي اولم يعلموا للتعليل اليهم نظام العيان فيحق الانقياد
ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانه قادر على خلق ما هو
قدر على اعادتهم خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او البعث فابى
الظالمون الا كفورا جحودا قل لو انتم تملكون انتم فاعل الفعل محذوف يفسره ما بعده
تقديره لو تملكون فحذف تملكون بدلا من الضمير المتصل الذي هو الواو وفصل منفصل
وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ كقوله • وان هو لم يحل على النفس همها • وفيه
دلالة على اختصاصهم بما هو الاستئناف مع الحياة خزائن رحمة ربي اي خزائن نعمه
اذا لامسكتم خشية الانفاق لاجل خوفكم الفقر وكان الانسان قتورا
بخيلا للمنفعة وزيادة كان لبيان ان الانسان مجبول على الشح والعسر ومن يوق شح نفسه
الا من عصمه الله تعالى اياه وما ذكر جوابه لئلا يتوهم الانحصار لما بينا لا دخل فيه
حيث يتوسع في المعيشة اي لو تمتعتم بطلتم ايضا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
قد مر تفسيرها في سورة الاعراف وليس انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور منها بدلالة
ان الخطاب في قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض لفرعون ولعل
الآيات جميعها بعده فلا كيف يجعلها منها فاسال بني اسرائيل اي فاسال علماء بني اسرائيل
اذ جاءهم اي جاء اباءهم والقائل فيه محذوف تقديره فاسال عن حديثنا وقصة
بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي ساحرا قاله
الفراء وابن عباس فوضع المفعول موضع الفاعل كما قيل مشؤوم وميمون اي شائم ويامن
ويشهد لذلك قوله قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
فانه ظاهر في ان تكون تلك الآيات سحرا وقرأ الكسائي علمت بالضم على انه من جملة ما
وقرأ الباقون بالفتح اي علمت انت يا فرعون لانه عاند مع علمه بقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم بين ان ما الحصر عنادك وسلامة حسك تعلم ان ما جئت به من الآيات
ليس بسحر بل هي حجة الله تعالى بينة لها المستبصر فيها اي يتبين بها من عنده تعالى
وانتصب بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره انزلها بصائر واني لاظنك يا فرعون
مثبورا هالكا خاسرا او قيل مصروفا عن الخير وكان موسى عليه السلام قابل ذلك بقوله

قال اهل اطلها ان التعريض في تقريرها ادعاه وقابلته دنه وهما لغة فيه وهو من
تلقفها لا فراط القول فاراد فرعون ان يستفزهم ان يخرج موسى عليه السلام وقومه من الحياة
المسلوك قدمر في هذه السورة ما يتعلق بحيلنا لاستفزاز من الارض ارض مصر او الارض
مطلقا فاغرقناه ومن معه جميعا حاق به مكره وقلنا من بعده من بعد فرعون او اغراقه
لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها هذا على تقدير ان يخاطب موسى عليه
السلام ومن معه من بني اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون ظاهرا واما على تقدير عدم ذلك
على ما ذهب اليه بعضهم فلا بد من تعيين المراد في الارض فقيل اي الارض المقدسة لان الامر المذكور
لان ادخل موسى عليه السلام لا يبهم فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم
لفيفا مختلطين الى ما اجتمع من الناس من قبائل شتى وقال الاصمعي اللفيف جمع
ليس له واحد من لفظه الجميع وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي ما انزلنا القرآن الى
الدنيا الا محفوظا عن اعتراء البطلان وما انزل على الرسول الا كذلك وتكرير الحق بالحق
انظار له التحقيق وما ارسلناك الا مبشرا بالثواب للمطيعين ونذيرا بالعقاب للعاصين
فليس لك شيء وراء ذلك وقرآنا فرقناه نزلناه منجما وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه
لتقرأه على الناس على مكث على تؤدة وترسل فانه ايسر للحفظ وقرئ بالفتح وهو
لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب ومقتضى الحكمة قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم لا ينفعنا
الاعراض عنهم واحتقارهم وعدم الاكتراث بهم فانه اعطاهم القرآن لا يزيدهم فضلا وانتفاء
عنه لا يورثه نقصا ولذلك ان الذين اوتوا العلم وهم مؤمنو اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
واضرابه تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم من قبله من قبل نزول القرآن
اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز
وعده في الكتب السابقة ببعثة محمد عليه السلام والخرور السقوط بسرعة وانما ذكر الاذقان
لان الذقن اول ما يلقى الارض من وجه الساجد على الجبهة واللام للاختصاص كانه يلصق الذقن بالارض واللام بمعنى على وقيل
للاختصاص وفيه ما فيه وانتصاب سجدا على الحال ويقولون اي في سجودهم سبحان
ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للاذقان كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر
فيهم من مواعظ القرآن يبكون اي حال كونهم باكين انتفاء للحجة ودفعا للبكاء للشكر
لما يجدونه من النصح ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله
وقد مر تفسير الخشوع في سورة ... قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت

حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان
نعبد الها اخر وهو يدعو والمراد التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان
اختلفا في اعتبار الاطلاق فهما عبارتان لشيء واحد وكل الى ذات الجمال يشير
والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير وقيل
نزلت حين قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة والمعنى
انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو قوله **ايا ما تدعوا** اصله
ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه **فله الاسماء الحسنى** للمبالغة والدلالة على ما هو
الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام والتنوين في ايا عوض عن المضاف
اليه وما صلة لتاكيد ما في ايا من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم
ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف حتى يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على
السب واللغو فيها **ولا تخافت بها** حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين والمخافتة خفض
الصوت **وابتغ بين ذلك** بين الجهر والمخافتة **سبيلا** وسطا فان خير الامور اوساطها وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا
والجهر ليلا **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا** فيه رد على من قال عزير ابن الله والمسيح ابن
الله ومن قال الملائكة بنات الله **ولم يكن له شريك في الملك** في الالوهية وفيه رد
للثنوية القائلين بتعدد الالهة **ولم يكن له ولي من الذل** من اليهود لانهم اذل الناس
فيه رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسن بن الفضل يعني لم يذل فيحتاج الى
ولي وناصر فيجيء من الذل العزة وكثرتها به وهذا قول الحسن بن الفضل عن له **وكبره تكبيرا**
التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والاجلال واكد بالمصدر تحقيقا له وبلاغا
في معناه ولما كان اعادة الولي قد يكون للانتصار والاعتداد به والاحتماء من الذل وقد
يكون بالتفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن يكتنصر به من اجل الذل
وكان من ولاية يحتمل على الوجهين فنفى الجهة التي لاجل النقص بخلاف الولي الذي
فانها نفيا على الاطلاق لعدم احتمالها الوجهين في شانه تعالى وانما رتب الحمد على وصفه
بنفي الولد والشريك والذل لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي
يستحق كل الحمد وهذه السورة الكريمة ابتدأ ان نبتدئ بها الله تعالى واختتمت به

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم وهي ١١٠ آية

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب في ترتيب استحقاق الحمد على انزال القران تنبيه على
عظم شانه ومن تبين النعم الجسام وذلك لهدايته الى ما فيه كمال العباد • ودعوته الى ما فيه
انتظام صلاح المعاش والفلاح في المعاد **ولم يجعل له عوجا** من تتمة الصلة على انه عطف
بيان ان انزل على عبده الكتاب الكامل في بابه قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط
والعود فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش وما قيل انه
بالكسر في المعاني فمردود بقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتنكيره لتعميم النفي
انواع الاعراض عن سنن الاستقامة من جهة الاختلال في التركيب والاختلاف في النظم
والتنافي في المعنى **قيما** على الكتب السابقة في التشبيه والتقرير او بمصالح العباد فيكون
تاكيدا لنفي العوج ووصفه بالكمال وقيل المراد اثباتا لاستقامة والاعتدال فائدة عليها السؤال
عن فائدة الجمع بينه وبين نفي العوج فان المفهوم من احدهما عين ما فهم من الاخر واجيب
بان فائدته التاكيد لغرابة مستقيم مشهود له بالاستقامة لا يخلو عن ادنى عوج عند التتبع
والتصفح وقيل عليه بعد الاغماض عن ان ما ذكر فيما نهد له العباد ان ذلك انما يصح لو كان النفي
عقيب الاثبات فوجدنا العكس والاولى ان التاسيس خير من التاكيد لان الافادة اولى
من الاعادة وانتصابه على الحال من الكتاب لا من الضمير في له لما فيه من الركاكة التي يجب تنزيه
كلام الله تعالى عنها ولا حاجة الى تقديره بعضهم لان مبناه ان يتعين عطفه ولم يجعل على انزل
وقد عرفت فساد ذلك **لينذر** اطلقه لعموم الخبر وعدم اختصاصه باحد الفريقين
على ما افصح عنه قوله تعالى الا انه للناس وبشر الذين امنوا وفي اطلاقه هنا دفع وهم
الاختصاص لما تقدم في الفهم من قوله ويبشر الذين قالوا **باسا** عذابا **شديدا من لدنه**
صادرا من عنده وقد مر الكلام عليه في سورة هود للتلاوم **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات**
ان لهم بان لهم وان ممن يبشر حقيقة بنبيه لم يحتج الى البا **اجرا حسنا** ثوابا جميلا في الجنة
وانما تفضل الجنة فهو التبشير بها يكفي الايمان ولا حاجة الى العمل الصالح عند اهل الحق **ماكثين**
فيه ابدا في الاجر في محله **ابدا** لا الى غاية **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** خصهم
بالانذار بعد ما عم الجنس لما يتعين تشنيعهم ترتبه على القول باثبات الولد لانهم اتصفوا بالانذار
بوضع وقطع النظر عن الاعتقاد دلالة على المتقدم فيه فبالولد كل ما ذهب اليه ما لا يخفى من الهول
به **ما لهم به** اي بالولد او باتخاذه **من علم** شيء من العلم لانه الذي لا يستقل العلم والجملة في موضع الحال اي
قالوا جاهلين به **ولا لابائهم** اي الذين قلدوهم فيه انا هم بشانهم في الجهل **كبرت كلمة تخرج**
عظمت مقالتهم هذه في الاقتراء على الله تعالى قراءة الجمهور بالنصب على التمييز وقرئ بالرفع

الناعلية ولا والا ولي وانما ملامنه من الابهام والتبيين وفيه معنى التعجب والمرجع الي
تعظيم الامر في قلوب السامعين كانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة ووصفها
بذلك يفيد ان الجرم الصادر [illegible] تحسها ذلك فلا بد من فائدة وهي الاشعار
بانه لا يتجاوز نفث هذه الكلمة بيقصد قلب لوضوح بطلانها فكانه قيل تخرج بنفسها بلا
اخراج منهم [illegible] ان يقولون الا كذبا الا قولا كذبا
فلعلك باخع نفسك قاتل [illegible] والاشفاق في الحذر وهو الغم والجزع الاهلاك
من شدة الوجد على آثارهم غبة عن ادبارهم وتباعدهم عن التصديق بالقرآن على وجه شبهه
واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم بمن فارقه احبته فهو
يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع على نفسه وجدا عليهم فالاستعارة تمثيلية [illegible] الي الاضافة
وهو الاستقبال اذ قرئ ان لم يؤمنوا بالكسرة والعطف [illegible] بالفتح يعني لان لا يؤمنوا فلا يجوز
اعمال باخع الا اذا جعل حكاية بحال ماضية لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع ولاستحضارها
بهذا الحديث القرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا انا جعلنا ما على
الارض من الزخارف يرشدك الى هذا قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا ويحتمل الحال على انه بمعنى خلقنا لنبلوهم ايهم
احسن عملا في تعاطيه وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهده في الميل بقوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا لا نبات فيه والجرز الارض التي قطع نباتها
من الجرز بمعنى القطع فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزية للمؤمنين فانه [illegible] ايدي
المترفين من زينتها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الكهف النقب المتسع
في الجبل فما لا يتسع منه فهو غار ذكره القرطبي والرقيم اسم الجبل او الوادي او القرية او الكلب
او اللوح رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم
فذكر كل واحد منهم اصلح عمله وفي هذا خبر معروف خرج في الصحيحين وقال قوم اخبر الله عن
اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشيء كانوا في بقائهم احياء مدة مديدة بلا غذاء من آياتنا
عجبا اي احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فليس كذلك بل كل آياتنا
عجب وفي آياتنا ما هو اعجب منهم قال القشيري [illegible]
حين اضافه الى نفسه [illegible] اذ اوى الفتية الى
الكهف حين التجؤا اليه [illegible]
على [illegible] الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة [illegible]

الموجبة للمغفرة والرزق والامن وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا نصير بسببه مهتدين او اجعل امرنا كله هدى والرشد والرشاد [illegible]
وكذا الرشد والرشاد واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي انمناهم انامة
[illegible] فضرب هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم عن الفساد
وضرب السيد على يد عبده الماذون اذا منعه من التصرف وتخصيص الآذان بالذكر لان النوم
فلا ينقطع الا من جهتها ولا يستحكم الا مع تعطلها انظر الى ذلك في قوله عليه السلام
ذاك رجل بال الشيطان في اذنه وقال [illegible] ان المعنى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع
[illegible] ان الحجاب لا يناسب الا السمع ولذلك اذا دخل السمع في قوله ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة [illegible]
سنين في الكهف سنين ظرف لضربنا عددا قال الزجاج اي يعد عددا لكثرتها لان
القليل يعرف مقداره من غير عدد فاذا كثر عد واما قوله دراهم معدودة فهو على القلة
لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم ايقظناهم [illegible]
من نومه سمي بعثا لانه كان ممتنعا [illegible] والتصرف لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء
الى الوجود [illegible] على نحو كلام العرب والا فقد كان الله علم ذلك ذكره القرطبي قال
[illegible] اي الحزبين المختلفين منهم او من
غيرهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان [illegible]
الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره [illegible]
حال منه او مفعول له [illegible] احصى اسم
تفضيل من الاحصاء [illegible]
اسم التفضيل من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس [illegible] لا ينصب بافعل لانه لا يعمل
[illegible] احصى كما في قوله
واضرب [illegible] فقد ابعدنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وأما ثانياً فلأنه يجوز أن يكون نصب أمداً على نزع الخافض تقديره لما لبثوا من أمد على أن الأمد
بمعنى المدة ولعل هذا مراد الطبري حيث ذهب إلى نصبه تمييزاً بلبثوا وأما ثالثاً فلأن امتناع العمل
بنصب المفعول به في مذهب الكوفيين فلا اشتغال إلى تقديره بفعل أو امتناع ذلك على تقدير ثبوت نزول
القرآن على مذهب البصريين وأياً ما كان نحن نقص قد مر تفسيره في سورة يوسف عليه السلام عليك
نبأهم النبأ الخبر ذو شأن بالحق بالصدق إنهم فتية جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم
الرب [illegible] الناطق [illegible] للاهتداء [illegible] وزدناهم هدى بالتثبيت
وربطنا على قلوبهم من المجاز ربط الله على قلبه صبراً ومنه رابط الجأش لما كان الخوف والقلق
يزعج القلوب عن مقارها الأصلية إلى قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر قيل في مقابلة
ربط قلبه إذا تمكن وثبت وهو تمثيل والمعنى [illegible] يخرج في كلامهم
للإيمان إذ قاموا على قدم الثبات مجانبين دقيانوس في أمركما إذا عزم عليهم بعبادة الجد
فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لم يقل رباً للإيذان بجهة [illegible]
إلى الوهية لا ربوبية لقد قلنا إذاً شططاً والله لقد قلنا إذاً قولاً شططاً والشطط الخروج
عن الحد بالغلو فيه [illegible] إذا جاوزنا الحد [illegible] وصف به للمبالغة
هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبر وهو إخبار في معنى الإنكار
لولا يأتون لولا حرف تحضيض بمعنى هلا [illegible] عليهم على ألوهيتهم بسلطان
بين بحجة ظاهرة [illegible] دليل على فساد التقليد في أصول الدين فمن أظلم ممن افترى على
الله كذباً بنسبة الشريك إليه تعالى وإذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض [illegible]
الجسماني والقلبي [illegible] وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير
المنصوب [illegible] ما موصولة أو مصدرية والاستثناء متصل إن كانوا يعبدون الله تعالى
مع آلهتهم ومنقطع إن لم يعبدوه تعالى ويجوز أن تكون ما نافية على أنه إخبار من الله تعالى
عن الفتية بالتوحيد معترض [illegible] فأووا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من أمركم
مرفقاً ما ترتفقون به أي تنتفعون قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى [illegible]
وقرئ مرفقاً بفتح الميم وكسر الفاء قال الجوهري من قرأ مرفقاً جعله مثل مطلع ومن
قرأ مرفقاً جعله اسماً مثل مسجد ويجوز مرفقاً أي رفقاً مثل مطلع ولم يقرأ به وترى الشمس
إذا طلعت الخطاب للنبي عليه السلام أو لكل أحد والمعنى أنك لو رأيتهم لرأيتهم كذا
لا أن المخاطب رآهم على التحقيق تزاور عن كهفهم تتمايل فلا يقع شعاعها عليهم

فيؤذيهم

فيؤذيهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وقرئ بحذفها وقرئ تزور كتحمر وتزاور كتحمار
وكلاهما من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين وإذا غربت
تقرضهم قال الخليل [illegible] كما في العين إذا عدلت عن شيء في سيرك قلت قرضته [illegible]
يسرة في تعديتها إلى ضميرهم دون الكهف على خلاف تعدية تزاور [illegible] دلالة على أن الشمس
كانت تدخل الكهف إذا غربت إلا أنه لا يقع شعاعها عليهم كيلا ينتبهوا فإن لشعاع الشمس
تأثيراً في الانتباه وهذا من تتمة ما قصد بالضرب على آذانهم ذات الشمال يعني يمين الكهف
وشماله [illegible] وهم في فجوة منه أي هم في متسع داخل الكهف بحيث لا يراهم من كان بباب
[illegible] نفح الهواء [illegible] كرب الكهف وهذا أيضاً من تتمة ما ذكر قيل وذلك لأن باب
الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان
ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي
المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا
يقع عليهم فيؤذي أجسامهم ويبلي ثيابهم ومبناه القول [illegible] الدلالة على كون
[illegible] الكهف [illegible] لا يفعلها سبباً [illegible] ذلك من آيات الله قالوا
ذلك ليس بإشارة إلى الإيواء ولا إلى [illegible] ولا التعرض بل إلى حفظ الله تعالى إياهم في ذلك
الكهف تلك المدة الطويلة [illegible] وصدق رجوعهم إلى الله تعالى [illegible]
ولم [illegible] بغير الله [illegible] إلى كهف [illegible] من كان [illegible] وهيأ له مخلاً
يتقي فيه [illegible] من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي أصاب
الفلاح [illegible] أنهم جاهدوا في الله تعالى وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأرشدهم إلى نيل
تلك الكرامة ومن يضلل الإضلال [illegible] الله تعالى بخلق دواعي الإضلال وعند المعتزلة [illegible]
الخذلان فلن تجد له ولياً مرشداً من يليه ويرشده والخطاب للنبي عليه السلام أو لكل أحد
كما في السابق واللاحق وتحسبهم أيقاظاً لانفتاح أعينهم [illegible] تنفسهم وإنما [illegible]
يقع أحياناً [illegible] الحسبان [illegible] أيقاظ جمع يقظ بضم القاف وكسرها وهو
ضد اليقظان وهم رقود نيام ونقلبهم إضافة التقليب إلى نفسه لأنه [illegible]
العادية [illegible] ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس رضي الله عنهما لئلا
تأكل الأرض لحومهم [illegible] حقيقتها الجهة [illegible]
بالياء [illegible] وكلبهم
الأكثر من المفسرين على أنه كلب حقيقة وكان [illegible] ذكر القرطبي

فلا تأبيد في قراءة وكالبهم اي صاحب كلبهم بما قيل انه كلب راع مر بهم فتبعهم وتبعه الكلب
بل التأبيد بخلافه اذ الظاهر منها ان يكون الكالب من الفتية وقالت فرقة لم يكن كلبا
حقيقة وانما كان احدهم وقد كان قعد عند باب الكهف طليعة لهم كما سمي النجم التابع للجوزاء كلبا
وقد حكي ابو عمر المطرزي في اليواقيت وكالبهم محمول على هذا الرجل اذا بسط الذراعين
واللصق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هيئة الريبة المستحيي بنفسه ويحتمل ان يراد
بالكالب الكلب **باسط ذراعيه** اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ماضية
ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين كونه
بمعنى المضي غير مانع من العمل والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى **بالوصيد**
بالباب ولم يكن للكهف باب فالمراد به موضع الباب ولذلك [illegible] وقيل [illegible]
لو اطلعت عليهم لو شاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالنظر اليه ويكنى به عن المشاهدة
الكاملة والخطاب [illegible] وقرأ ابن كثير بالتشديد للمبالغة وقرئ بضم الواو
لوليت منهم فرارا لاعرضت بوجهك عنهم وانتصب فرارا على المصدر [illegible]
واما التولية لانه بمعنى [illegible] او على الحال **ولملئت منهم رعبا** خوفا يملأ صدرك
بما البسهم الله تعالى من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم واجرامهم وقيل لوحشة
مكانهم [illegible] الصحيح [illegible] على ما قاله ابن عطية ان الله تعالى حفظهم
الحالة التي ناموا عليها ليكون لهم ولغيرهم فيهم آية ولم [illegible] في الدنيا الا سالم
الارض وابنائها ولو كان في نفسه حالة ينكرها لكان عليه اهم وايضا لما قال بعضهم
لبثنا يوما او بعض يوم وقيل لانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وبالجملة كان الناس
محجوبين عنهم بالرعب لئلا يصلوا اليهم وقرئ لملئت بالتشديد للمبالغة ورعبا بضم العين ثاني
[illegible] **وكذلك بعثناهم** [illegible] ان اي انقاظهم
من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم لم يتغير شيء من ابدانهم وثيابهم **ليتساءلوا بينهم**
ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم
قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم ويستبصروا [illegible]
قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم لانهم دخلوا
الكهف في اول النهار وانتبهوا حين استيقظوا في آخره فقالوا لبثنا يوما ثم لما رأوا
بقية الشمس قالوا او بعض يوم وكان قد نفذ [illegible] فيه بالكذب
به **قالوا ربكم اعلم بما لبثتم** انكارا عليهم من بعضهم استدلالا ابن عباس رضي الله عنهما

من الآية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لانا على ان قال العجم ثلاثة قيل انهم
دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك وجيه [illegible] وجهه وكان احدهم [illegible]
[illegible] الى الطعام قالوا **فابعثوا احدكم** كانه قال الواحد فابعثوا احدكم وكان على اس
[illegible] الى الله تعالى **بورقكم** وقرئ بكسر الراء وسكونها وبالتثقيل وادغام القاف في الكاف
وبالتخفيف تكون الواو مدغما [illegible] على غير حد والورق
الفضة المضروبة وغير المضروبة في الصحاح والقاموس وكانهم قد استصحبوها حين خرجوا لعلهم [illegible]
وكان [illegible] عندهم فلذا اشاروا اليها بقولهم **هذه الى المدينة** هي طرسوس
فلينظر ايها الفتية المدينة المراد اهلها [illegible] لاستحالة [illegible] في امثال هذا
الى الحذف [illegible] **ازكى طعاما** اكثر بركة قال ابن عباس وعلى [illegible]
[illegible] الا رزقا [illegible] بالطبخ [illegible] قليل البضاعة [illegible] قبل انهم
[illegible] ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلاثة لئلا يطلع عليهم [illegible]
[illegible] الطعام الاثر **فليأتكم برزق منه وليتلطف** وليتكلف في استعمال
[illegible] في دخول المدينة وشراء الطعام فلا يعلم به [illegible] **ولا يشعرن**
بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور [illegible] فانهم [illegible] عليه
المعنى من اهل تلك المدينة **انهم ان يظهروا عليكم** ان يطلعوا عليكم وان يظفروا بكم **يرجموكم**
يقتلوكم برمي الحجارة **او يعيدوكم في ملتهم** يصيروكم فيها وقيل العود على معناه الاصلي
لانهم كانوا اولا على دينهم ثم اسلموا [illegible] لا يلزم من العود الى [illegible] التلبس
به **ولن تفلحوا اذا ابدا** ولن تفوزوا بخير ابدا اذا ان دخلتم **وكذلك اعثرنا عليهم** المفعول
محذوف المقدر [illegible] عليهم اي كما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا
عليهم واصله ان من عثر برجله على شيء وهو غافل نظر اليه حتى يعلمه فاستعير للعثور
للظهور **ليعلموا** اي ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم **ان وعد الله** بالبعث او الموعود الذي
هو البعث **حق** لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم
يبعث **وان الساعة لا ريب فيها** وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى انفسهم
وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان
يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها **اذ يتنازعون**
ظرف لاعثرنا **بينهم امرهم** امر الفتية حين اماتهم الله تعالى ثانيا فقال بعضهم

ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة فقالوا ابنوا عليهم أي على باب كهفهم
بنيانا لئلا يتطرق إليهم الناس والدواب ولا يتعرض لهم السباع ربهم أعلم بهم بحالهم
أنهم ماتوا أو ناموا قاله الله وقيل قالوه لأنه لم يذكر في معرض المنازعة قال الذين غلبوا على
أمرهم أي قال العظماء منهم بعد الاتفاق على البناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلي فيه
ويتبرك بمكانهم سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم هم ثلاثة رجال رابعهم كلبهم
يجعلهم أربعة بانضمامه إليهم قيل هو قول اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله
النصارى وإنما لم يذكر الواو اكتفاء بعطفه على ما هو فيه رجما بالغيب يرمون رميا
بالخبر الخفي الذي لا اطلاع لهم عليه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قاله المسلمون بإخبار
الرسول عليه السلام عن وحي جبريل على ما أنبأ عنه إخراج هذا القول عن خبر الرجم بالغيب
وإتباعه قوله قل ربي أعلم بعدتهم ولا مدخل له في الأنباء المذكورة ولا دلالة في قوله
ما يعلمهم إلا قليل أن ذلك القليل من قبيل الأنبياء يعني نبينا لإثبات علمهم لطائفة بعد
ما حصر أحوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فإن عدم إيراد الرابع في نحو هذا المحل دليل العدم
مع أن الأصل ينفيه ثم رد الأولين بأن أتبعهما الرجم ليتعين الثالث وأما إلحاق الواو
بناء على أنها داخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت فضعيف لأنها من المحكي لا من
الحكاية عنه لأنها على التثبت عند القائل لا عند الله تعالى نعم لو قيل إنها تدل على تصديق
القائلين بأنهم سبعة لأنها عاطفة على كلام مصدق عنه بل نعم وثامنهم كلبهم كأنا قال
قائل بذلك تعرف وقيل فيها إيضاحا أنه نعم وعقبه أيضا في الجدل النبي صلى الله عليه
وسلم سميتها أما أفضلت الحمر وأما أفضلت السباع وقال جماعة منهم الإمام السهيلي
ربيعهم فيها أفضلت السباع وقال جماعة فيهم الإمام ابن منصور الماتريدي
لم يبين الله تعالى ذلك لأهل الكتاب لا لنبيه عليه السلام ولهذا لا علم لنا به
ولا تستفت فيهم أحدا منهم لأن علمه بغيبه بعد السؤال عنهم فلا تمار فيهم إلا مراء
ظاهرا فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو أن تقص ما أوحي إليك من غير تجهيل لهم ولا تعنيف لهم في الرد عليهم
ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تستفتهم من حجتهم قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة رضي الله عنهم روي أنه عليه السلام سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال

ذكره

ذكره القرطبي ولا تقولن لشيء لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء فإنا الفاعل له
بالتنوين دون الإضافة لكنه نقول غدا وبنى ذلك على فاعل فقد ذكرنا هذا في تعبيرا في
جاعل في الأرض خليفة إلا أن يشاء الله إلا بأن يشاء الله أي إلا متلبسا بمشيئة الله قائلا
إن شاء الله وهذا نهي تأديب من الله تعالى لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش
سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم
يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش فنزل غدا بمعناه الحقيقي أي في
ما يستقبل من الزمان وعدم اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة عبارته
واذكر ربك أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله كما روي أنه لما نزلت قال عليه السلام إن شاء
الله إذا نسيت إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو
بعد سنة ما لم يحنث قال القرطبي هذا في تدارك التبرك بالاستثناء للتخلص عن
الإثم وأما الاستثناء المغير حكما فلا يصح إلا متصلا ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه وقل عسى أن يهدين
ربي يدلني لأقرب من هذا رشدا لأقرب رشدا وأظهر دلالة على أني نبي من نبأ أصحاب
الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من
ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه بأن تقول
عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا
أو أدنى خيرا ومنفعة منه ولعل النسيان كان خيرا لقوله تعالى أو ننسها نأت بخير
منها أو مثلها ولبثوا في كهفهم يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم ثلاثمائة
سنين قرأ حمزة والكسائي بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين
أعمالا وحسن قال الطيبي وضع الجمع موضع الواحد وحسنه هنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف في
الواحد وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع فقد تداركنا كلامه لأن يجيء
قوله على وضع الجمع موضع الواحد قد يكون الأصل الإضافة إلى الواحد وقرأ الجمهور بالتنوين
ما بين نصب سنين على أنه عطف بيان وحمله على البدل ضعيف لأنه يلزم أن لا يكون العدد
مقصودا وازدادوا تسعا قيل إنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية بحساب الأيام وكانت زيادة
هنا لأجل ذكر التسع زيادة القمرية عند من يحسب بالسنين القمرية ما بين
الحسابين لما أجمل تعالى قبل وقيل إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا
في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة

وتسع سنين وتسعا قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا لبثوا وقل لهم تعالى قل الله
أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلهما وانه وحده
هو العالم به أبصر به وأسمع أي ما أبصره وما أسمعه هذا التعجب والهاء في به لله محله الرفع على
الفاعلية عند سيبويه لأن أصله أبصر أي صار ذا بصر كأغد البعير صار ذا غدة ثم نقل الى التعجب
وغير الى صيغة الأمر لأنه إنشاء والتعجب إنشاء فبرز الضمير لأن صيغة الخطاب لا يستتر
في اسم المخاطب وزيدت الباء فيه تأكيدا للتعجب ولذا لزم الضم لم يختلف صيغته بحسب
اختلاف المخاطب إفرادا وتثنية وجمعا وعند الأخفش منصوب على المفعولية والفاعل
ضمير المخاطب وهو كل أحد والهمزة للصيرورة والباء للتعدية وإنما أتى بصيغة التعجب
للدلالة على أن أمره تعالى في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين
إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي ما لهم لأهل السموات
والأرض من دونه من ولي يتولى أمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحدا منهم
ولا يجعل له مدخلا فيه وقرئ بالتاء والجزم على النهي واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك
من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل لا مبدل لكلماته أي لا يقدر أحد
غيره على تبديلها ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل إليه إن هممت به واصبر
نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قد
مر تفسيره في سورة الأنعام ولا تعد عيناك عنهم أي لا تصرف عيناك النظر عنهم
الى غيرهم من عدوته عن الأمر صرفته عنه وما تصرفه العين ليس إلا النظر فحذف
لظهوره وقيل ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وفيه
أن عدا بمعنى جاوز يتعدى بنفسه لا بعن كما ـــــ الجوهري عداه جاوزه وما لي
عن فلان معدى أي مجاوز الى غيره ثم إن معنى الصرف أنسب للمقام من معنى التجاوز وقرئ
ولا تعد من أعداه وعداه تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف على المشهور
ومن الضمير المستتر في الفعل على غيره والعامل على الأول أيضا الفعل لما سبق في
في قوله فاتبع ملة ابراهيم حنيفا ويجوز أن يكون حالا من الأعين الفاعل وتوحيد الضمير لأنهما
عضو واحد في الحقيقة أو لأعادة الأحكام الاحتياط لا لكيفيا ما اختصا عن الأخرى استتباع
إسناد الإرادة الى العين مندفع بأنها كناية عن إرادة صاحبها كما يقال بسلاك العين
أو لتسمع وأما المسند الجمع ولا تطع من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن ذكرنا وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن

ذكرنا

عن ذكرنا إياه بالمؤاخذة واتبع هواه قيل نزلت في أمية بن خلف وذلك لأنه دعا النبي
عليه السلام الى تبعيد الفقراء عنه وتقريب صناديد قريش وكان أمره فرطا أي
مجاوزا فيه الحد ذكره الجوهري وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم
حال أو خبر بعد خبر أي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم
ما يشيئكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر
وإنما هو وعيد وتهديد وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه
مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين وقيل هو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فإنه وإن كان
بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته فكأنه زعم أن الأمر بالإيمان والكفر يكون أمرا بعملهما وإيجادهما
حتى قال ما قال والحق كون العبد مأمورا بالكسب فقط وماذا بعد الحق إلا الضلال
إنا أعتدنا هيأنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها هو ما عقد فوق صحن الدار
ذكره الجوهري فارسي معرب أصله سراطاق لا سرادار كما توهم وما في حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه مثل ما أخرجه الترمذي وما فيه من حديث صحيح عن قوله عليه السلام
لسرادق النار أربعة جدر يعضد ما ذكرناه وما قيل انه الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وما قيل انه الحائط وإن يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل أي يؤتوا بماء كالمهل
وإنما قال يغاثوا على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع تهكما والمهل ما عليه كدر دردي
الزيت ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ويوافقه ما في حديث الترمذي عن النبي عليه السلام
أنه قال كعكر الزيت يشوي الوجوه منه إذا أدناه فم يشرب فهو صفة ثانية للماء أو حال
منه لأنه قد وصف أو من بئس الحال أو من المهل أو الضمير في الكاف بئس الشراب المخصوص
بالذم محذوف وتقديره بئس الشراب هو أي الماء الذي يغاثون به وساءت النار مرتفقا
متكأ وأصله الاتكاء على المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا اتكاء لأهل
النار لا أنكالا إلا أن يكون للكناية عن عدم الراحة كما في قوله ما للخلي ربا الليل من تقفا
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا التنكير للتقليل أولئك لهم
جنات عدن إقامة أي هم وسط الجنان وإنما جيء بلفظ الجمع لسعتها بحيث كان كل بقعة منها
صالحة لأن تكون جنة ويجوز أن يراد بالجنات ما تحت الجنان وإضافتها الى عدن لأنه علم
للجنة خبر إن وما بينهما اعتراض أو هو أيضا خبر على قياس من أحسن مقام الضمير لأن من
أحسن عملا هو الذين آمنوا وعملوا الصالحات فبإبانة التعليل المستفاد من التنكير في عملا
أو على أن الضمير مستغنى عنه بعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى عنه في نحو قولك نعم الرجل

زيد وإنما حذفه على أن المعنى من أحسن عملا منهم فنبه بأنه يريد أن نوع الذين آمنوا وعملوا
الصالحات إلى من أحسن عملا وإنما لم يخصه لا لصحة لدلالة الخبر عنه وأولئك كلام مستأنف
لبيان الأجر المبهم ويجوز أن يكون الثاني بدلا عن الأول والخبر الأول الجملة كما في
قول الشاعر • إن الخليفة إن الله سربله • سربال ملك به ترجى الخواتيم •
تجري من تحتهم الأنهار وقد مر تفسيره في سورة البقرة يحلون يجعل لهم حليا جنى الحلية
للعقود أشعارا بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطونه بأنفسهم فيها من أساور من ذهب
من الأولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور وتنكيرها لإبهام أمرها في
الحسن وهي جمع أسورة والأسورة جمع سوار بالكسر ثم تلبس في الترديد من اليد وقال
الجوهري وواحد الأساور والأسوار بالضم وهو بمعنى المتسول بالأعجمي ويلبسون ثيابا أسند فعل
اللبس إليهم لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا إذا كان بادي العورة ثيابا
خضرا لأنها أحسن الألوان وأكثرها طراوة وقد روي فيها في كلام أنها تزيد في ضوء
البصر من سندس رقيق من الديباج وإستبرق ما غلظ منه معرب فارسية استبرك
جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين متكئين فيها على
الأرائك جمع أريكة وهي السرير في الحجال الحضل لا اتكاء لأنه هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة
ونعيمها وحسنت الأرائك مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافرين والمؤمنين مثلا
رجلين حال رجلين مقدرين أو موجودين جعلنا لأحدهما وهو الكافر جنتين
بستانين من أعناب من كروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة الرجلين فلا محل له
من الإعراب وحففناهما بنخل يجعلنه منطقة بهما وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم يجعلونها
مؤزرة بالأشجار المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلناها أرضا جامعة للأقوات والفواكه
ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل
الحسن والترتيب الأنيق كلتا الجنتين آتت أكلها ثمرها وإفراد الضمير لإفراد كلتا
ولم يقل آتتا على المعنى لجوازه وأحسنها رعي الأول ولم تظلم منه أي لم تنقص من أكلها
شيئا يعهد في سائر البساتين وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد
بهاؤهما وكان له ثمر أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثر فقال لصاحبه المؤمن
منه إنما لبساتين وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار إذا رجع
أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا أي أعوانا وحشما دل على ذلك قول صاحبه إن ترن أنا
أقل منك مالا وولدا والمراد النفر الأولاد لأنهم ينفرون معه دون الإناث ودخل جنته بصاحبه

مطلب الثياب الخضر تزيد في نور البصر

يريهما فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك من المال دونه وإفراد الجنة تجريدا للكلام لما هي
من الفرض وعموما له عما يحتمل أمرا آخر والغرض ها هنا بيان ما قاله عند دخول جنته
والغرض لتقدم ما فعله في ذلك وهذا كما تقول إذا رأيت لباسا ساطعا على امرأة
قصيرة للباسطين إلى اللابس قصير ولو قلت اللابسة قصيرة جئت بما هو لنكتة وقع
فيه لأن الكلام لم يقع في ذكر اللابس والمشبه وإنما وقع في غرض فكذلك وهو ظالم
لنفسه بتعريضها لسخط الله تعالى بعجبه وكفره وهو أفحش الظلم قال ما أظن أن تبيد
أن تهلك هذه الجنة أبدا وهذا الاغترار بانتظار حاله وإطراح النظر في عواقب ما له
وما أظن الساعة قائمة كما يقول ولئن رددت إلى ربي إقسام منه لا عقيدة دوامه تعالى أعطاه
ذلك ولا ينبغي لها لو لم يكن مستحقا وإباه لذاته وهو معه إيمانا بلقائه على أنه إن رد إلى ربه
على سبيل الفرض لأجدن خيرا منها من جنته وقرئ منهما أي من الجنتين منقلبا مرجعا
وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية وانتصابه على التمييز قال له صاحبه وهو يحاوره
أكفرت بالذي خلقك من تراب لأنه أصل مادتك أو مادة أصلك آدم عليه السلام أو أصل ما تولد منه ذلك أن ما
الرجل من الدين الأغذية يتحصل منها تراب فيه أو لأنها تتولد منه بالنبات فقال ثم من
نطفة فإنها مادته القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره
بالبعث كفرا بالله تعالى لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الإنكار على خلقه
إياه من تراب فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه ولا يبعد كذلك
خلقه تعالى إياه من التراب لا يكون عادة فإنها أهون منه ولا تكون يا لكافر لإنجاح
الاعتراف بالأول لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا أصله لكن أنا فحذفت الهمزة
لأنه استفهام إنكار وتعريض بأنه في الحقيقة إخبار عن كفره وأصله لكن أنا فحذفت
الهمزة فتلاقت النونان فكان الإدغام وقرئ بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو لإجراء
الوصل مجرى الوقف وقرئ لكننا على الوصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له
خبر أنا وضميرا لله والله بدل وربي خبره والجملة خبر أنا وقرئ لكن هو الله ربي ولكن أنا
لا إله إلا الله ربي ولولا إذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء
الله ما موصولة مرفوعة المحل على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله أو مبتدأ
خبره محذوف تقديره ما شاء الله كائن أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شيء
شاء الله كان إقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها لا قوة إلا
بالله وقلت لا قوة إلا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وأن ما تيسر لك

والعقاب لصاحبها الكافر

ولصاحبها الكافر

بن تعييرها وتدبير امرها فبعض تشبه وقرئ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا مبتدأ والجملة مفعولا ثانيا لترني ومن نصبه جعل
انا فصلا او تأكيدا للمفعول الاول فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من
السماء مرامي واحدها حسبانة قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي الصواعق فتصبح
دل على انه الحسبان بالليل صعيدا زلقا ارضا اصطلم جميع ما عليها من النبات كالرأس
الحلق لا ينبت عليه شعر فهذا يعني المعنى من زلق رأسه ولما انحلقه او يصبح عطف
على يرسل دون تصبح لا ترجع الى الاخر سماء يتعلق قدر الارضية ماؤها غورا اي غائرا مصدر
بمعنى الفاعل فيما لاعاد الماء غورا ما استغل في الارض فلن تستطيع له اي للماء الغائر طلبا لن
تقدر على طلبه فضلا عن رده الا شربة واحيط بثمره الخ وتفجيعه ما لعقه الى ما تقدم وهو
عطف على مقدر من امواله واحاط به عبارة عن اهلاكه بالكلية واصله من احاط به العدو فانه
اذا احاطه هلك لعدوه فيما يجوخص ثم استعمل في كل هلاك فاصبح يقلب كفيه كناية
عن التحسر والندم فان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كانه قيل فاصبح يتندم على ما انفق فيها اي
عمارتها من متعلق بيقلب لتجوز ان يكون حالا اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية
ساقطة على عروشها بان سقط عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف
على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي
من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله تعالى امواله ويحتمل ان يكون
توبة عن الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن بالتاء والياء له فئة قد تقدم ما يتعلق باسقا
فئة في العدد وكذا الضمير يرجع الخبر تعالى اي لم يكن له جماعة يجعلونه بدفعه وحال
ينصرونه يعني المعنى دون اللفظ اي يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او
الاتيان بمثله فليس من النصرة لان المعونة بالقهر والغلبة لاستلزام المعونة من دون الله
اي هو القادر وحده على ذلك وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه هنالك في
ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا
لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وقرئ بالكسر ومعناه السلطان والملك
اي هنالك السلطان والملك لله تعالى لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحالة الشديدة
يتولى الله تعالى ويؤمن به كل مضطر ويكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا
كان عن اضطرار وجزع مما دهاه ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون الخ

هنالك

هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة ويغنيهم وينتقم لهم ويشفي صدورهم
من اعدائهم تنبيها انه نصر فيما فعل بالكافر صاحبه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي الاية
وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله تعالى لقوله لمن الملك
اليوم ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا وقرئ الحق بالرفع والجر صفة
للولاية ولله وقرئ بالنصب على المصدر وقرئ عقبا بالسكون وبالضم وقرئ عقبى
على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم ومثل لهم من قوله هذه الاشياء على ضرب
واحد اي بين لهم مثل الحياة الدنيا صفتها الغريبة في سرعة تقضيها وتقلب نعيمها
بعد اقبالها واعراض الناس عنها كماء هو ماء انزلناه من السماء فاختلط به اي بالماء
نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه
المعدنية اي نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا الباء ان تدخل في اقل المختلطين
وسلك هنا مسلك الغلبة للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما اي ابيس الله تعالى على ما اصبح
عنه في سورة يونس عليه السلام ثم لما ضيعه نكبتها لانها تبرئ من عمره الزوال هشيما
مكسورا منه ليبس تفتتا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به قيل الهيئة المنتزعة
من حال الدنيا بالهيئة المنتزعة من احوال النبات الا ان ايلاء اداة التشبيه بالماء لا يخلو عن
نوع اشارة بشبهة الدنيا بالماء في ان قليله يروي وكثيره يهلك كما ورد في الخبر قال عليه السلام
ذر الدنيا وخذ منها كما ان القليل بها يكفي والكثير منها يطغي وكان الله على كل شيء
من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا لان في المال جمالا
ونفعا وفي البنين قوة ودفعا والباقيات الصالحات اعمال الخيرات التي تبقى ثمرتها للانسان
ابد الاباد اي نوع كان يدخل فيه انواع الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل هي الكلمات
الطيبات خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا لان صاحبها ينال بها
في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم اي اذكر يوم نسير الجبال من سيرت وقرئ تسير
من سيرنا ونسير من سيرت اي نسيرها في الجو كما تسير السحاب كما قال وهي تمر مر السحاب
وهذا بعد كونها كالعهن المنفوش ومن ذهب الى انها تسير سير السحاب ذهب الى ان يكون المعنى
نذهب بها بان نجعلها هباء منبثا فتذهب عن وجه الارض وترى الارض بارزة ظاهرة
ليس عليها ما يسترها من جبل ولا من شجر والدنيا بعد على ان المفعول وحشرناهم
الحشر الجمع من جهات مختلفة الى مكان واحد ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او
للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا ما هو لهم وما وعد لهم كانه قيل

وحشرناهم قبل ذلك فلا حاجة الى جعل الواو للحال باضمار قد تعديل لا وجه له ويرده ما دل
على انه لك قبل الحشر من الايات كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة فلم نغادر منهم احدا لم نترك والايثار بالمغادرة اذا تركه
ومنه الغدر لانه ترك الوفا والغدير لما غادره السيل وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان ولا حاجة الى ما قيل لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم انما الحاجة اليه
اذا شبهت حالهم بحال السلطان المعروض عليه الجند صفا مصطفين لا تستتر الجمع الجمع
لما ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا ومن نقل عن هذا
قال مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على قول القائل محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا
يجوز ان يكون عاملا في يوم نسير لما عرفت انه قبل الحشر وهذا القول بعده كما خلقناكم نعت
لمصدر محذوف اي مجيئا مثل مجيء خلقكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا كما ورد في الحديث قيل
عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة بل للاضراب
يعني لا نفيا لا انتقال من كلام الى كلام ليس نفيا لا ابطال زعمتم ان لن ان المخففة من الثقيلة والفصل
بينها وبين الفعل بحرف النفي كالفصل بقد اي ان الشأن لن نجعل لكم موعدا مكان وعد
وزمان وعد للاعادة وزمانا وعدتم على السنة الانبياء عليهم السلام من البعث والنشور ووضع
الكتاب صحائف الاعمال في الايمان او في ايدي العباد واحد اريد به الجمع لانه جنس فترى المجرمين
مشفقين لانتفاء الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ان لا يقع مما فيه من السيئات ويقولون
الى قال الحال يا ويلتنا هلكتنا التي وقعت في شأنهم الويل الهلاك والنداء للهلكة كأنهم
قالوا يا هلكتنا احضري فهذا اوان حضورك مال هذا الكتاب ما استفهامية مبتدأ وهذا في موضع
الخبر تقديره اي شيء لهذا الكتاب تعجب لشأنه لا يغادر جملة حالية صغيرة سيئة متعينة
قدمها لانها اشد في التعجب ولا كبيرة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها الا حفظها
كأنه عد الضبط والحفظ واسناده الى ضمير الكتاب مجاز ووجدوا ما عملوا من خير وشر
حاضرا موجودا في الخارج على ما دل عليه وقيل لا يوجد تقديرا لما سيأتي لان الاعمال اعراض
لا يبقى وجوده في الكتابة لانه اعادة المعنى السابق ولا يظلم ربك احدا باحضار ما لم يعملوا
ولا يعذبهم احدا بغير ما عملوا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لما
بين حال المغرور بالدنيا وكان ذلك بسبب تسويل الشيطان ذكرهم ادم لئلا يتخذوه وذريته عدوا
عن الشيطان بتذكيرهم ما بينهم من العداوة القديمة كان من الجن استئناف للتعليل كأنه قيل ما له
لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره تعالى بترك السجود وللعداوة

للنسب ومن ذلك هذا الكلام المعترض في تعديد الله تعالى نعمة نفيا نفيا للملائكة عن وقوع شبهة
في عصمتهم فجعلته هي حيث انا في عبارة النعمة افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب والفاء للعطف
على مقدر تقديره أبعد ما علمتم انه فعل قال الله تعالى وعدوا بكم فتتخذونه وذريته اولياء
من دوني تستبدلونهم بي قال التعجب الذي رجل خطأ اهل لابليس ذرية وجزء فعلته
اذ للشرعيين له اشهد ثم ذكر معتزلة افتتخذونه وذريته فعلمت انه لا يمكن ان ذرية الا من
زوج جزء فعلته نعم وهم لكم عدو لم يقل اعداء اي شأنا بل لا اولياء ابا عمل اعداؤهم في بيت
العداوة وتبادل اتفاقهم على ذلك بئس للظالمين بدلا من الله تعالى ابليس وذريته
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي لا اشهدتهم
بغفلتهم خلق بعضهم ولو لا تفعلوا انتشكرون احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض حقيقة ليقل لا اعتضادا بالذي ذكرتم بقوله وما كنت متخذ المضلين
يعني ما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال واستبعادا
لاعتضادهم فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقيل الضمير
للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم وبرأيهم وما اوقفتهم على اسرار ملكي
ولا فضيلة لهم دون غيرهم حتى لو راسوا بتبعهم الناس كما يزعمون ولا تلتفت الى قولهم طمعا في
نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة وما كنت لي خطابا
للرسول عليه السلام ويجوز ان يقال فيه رد لارباب التعصب واصحاب الهيئة والمنجمين وعلم
الطبيعة وقرئ متخذ المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم
جمع عاضد من عضده اذا قواه والاصل فيه عضد اليد ثم وضع موضع العون والتسوية لاذا ليد
قوامها العضد وانما افرد الواحد موضع الجمع لانه في سياق النفي تلع ويوم يقول اي للكفار
وقرئ بالنون وانما لم يقل شركائي على هذه القراءة لان المقام مقام اظهار التوحيد نادوا
شركائي في عبادتكم الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم من عذابي فدعوهم فنادوهم
للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا حاجزا
لقوله فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق او جعلنا تواصلهم
في الدنيا مهلكا في الاخرة قال الفراء البين الوصل ويوبق فاوبق يوبق وبوقا اذا هلك والموبق
اسم مكان او مصدر ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها واقعوها من مكان بعيد فظنوا
انهما تأخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر يرى جهنم فيظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة
والمواقعة الملابسة التي ثبتت ومنه تتابع للحروب ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا

يضطرون اليه ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل نوع من انواع
المعاني البديعة ونصرفه تنبيه في وجوه البيان على تمكينه الافهام وكان الانسان اكثر شيء
جدلا اكثر الاشيا التي يتاتى منها الجدال والجدال شدة المثل من الذهب بطريق الحجاج ولا
يلزم ان يكون بالباطل ولذلك احتيج الى التقييد به في قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل
وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى الرسول او
القران ويستغفروا ربهم عن الاستغفار عن الذنوب الا تقديرا طلب ان تاتيهم سنة
الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب
عذاب الاخرة قبلا بكسر القاف وفتح الباء عيانا وقرئ بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
ضروب وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة وانتصابه على الحال من احد الضميرين وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب للمطيعين والعاصين ويجادل الذين
كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن البشر عن الاكبر قصتها في
ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا
اياتي يعني القران وما انذروا والذي انذروا من العقاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ
بالسكون وهو ما يستهزا به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم
يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه الكفر لم يتذكر ما يترتب على فعله من
العذاب والتعبير عن عدم التذكر بالنسيان … عن الجهل بالبدنية …
المذنب بما يكسبه اليه انا جعلنا … لاعراضهم … الذين كفروا … تعليل
على ما كانوا عليه وما بينهما … الكلام الى اخره جملة معترضة في … على قلوب
اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا قد مر تفسيرهما في سورة بني اسرائيل وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة … تحقيقهم اذا ابدا مدة التكليف
كلها واذا جزاء وجواب للرسول عليه السلام على تقدير قوله ما لي ادعوكم فان حرصه على الاسلام
على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد
على ذلك بانهم الا اهل مكة مع افراطهم في عداوة الرسول عليه السلام بقوله لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد وهو يوم القيامة او يوم بدر لن يجدوا
من دونه موئلا منجا ولا ملجأ يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى
يريد قرى الاولين ثمود وعاد وقوم لوط واضرابهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا
والقرى صفته او عطف بيان والخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون القرى الخبر واهلكناهم حال

خاوية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية او يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على
شريطة التفسير والقرى … من تقدير المضاف ولابد من احدهما ليكون
مرجع الضمائر لما ظلموا مثل ظلمهم … استعمال … الاهلاك … تحذير … وهذا است
ابن عصفور على حرفية لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلية و…
من المعنى الظاهر … للاثم … وجعلنا لمهلكهم
المهلك بضم الميم وفتح اللام الاهلاك موعدا وقتا معلوما لا يستاخرون عنه كما ضربنا لاهل
مكة يوم بدر وقرئ بفتح الميم واللام مفتوحا ومكسورة لهلاكهم واذ قال موسى مقدر باذكر
لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه
ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم والعرب تسمي التلميذ فتى ولذا كان نجيا لا ابرح لا ازال
اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر … حتى ابلغ مجمع البحرين … لها
غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون الخبر حتى ابلغ على ان يكون اصل
الكلام لا يبرح سيري … فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه … السير والطلب ولا افارقه حتى
ابلغ كما تقول لا ابرح المكان … ملتقى بحري فارس والروم …
قال السدي … فارس والروم … لا يلتقيان … الاخص
وفي التيسير كان البحر الذي … اصحاب السفينة … البحر … الانسان
… هذا الكلام ايضا ولعل … من فارس … بالغرب …
… ما قال محمد بن كعب انه مجمع البحرين بطنجة وما قال ابي بن كعب بافريقية
وقول … عليه السلام … لعلي ان …
… بحر فارس والروم …
… الجوهري … كمطلع مطلع او
امضي حقبا الحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون اي اسير زمانا طويلا حتى
بلوغ المجمع … روي في الصحيحين ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل
اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم
منك فقال موسى يا رب وكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت
فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة
وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ الحوت …

ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل مسه من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب
في الماء فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبين ظرف ما اضيف اليه على الاتساع نسيا
حوتهما فقداه وما كان فيه امارة على الظفر بالمطلوب ولا وجه لما قيل نسي موسى عليه
السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع عليه السلام ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه
في البحر لان هذا النسيان منه قبل ذلك على ما دل عليه قوله فاتخذ سبيله في البحر
الفاء فصيحة تفصح عن [illegible] لحياة الحوت وسقوطه في البحر على ما نقل فيما سبق
سربا اي اتخذ سبيله في البحر كالسرب وهو النفق الذي يدخل فيه فينسل منه الى موضع
وفي الحديث لما ذكر وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق [illegible]
السارب [illegible] وسارب بالنهار [illegible] عن هذا لانه بمعنى الطاق يصرح به الجوهري ويدل
عليه [illegible] بالكلية وقابلته نصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل
ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين المذكور وانطلقا بقية يومهما وليلتهما
حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من
سفرنا هذا قيل لم ينصب موسى عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد بقوله هذا وقيل
في الحديث المذكور انه عليه السلام لم ينصب حتى جاوز الموعد نصبا تعبا وعناء قيل
الجوع ولا يجيء الا بالفعل وتعديه [illegible] الاول [illegible] للارتباط بين الكلامين
ان الفعل كالتعدي يقتضي للاستراحة فكأنما قال آتنا غداءنا حتى نتغدى ونستريح [illegible]
قال ارأيت اذ أوينا الى الصخرة اي انما عندها فاني نسيت
الحوت [illegible] في معرض [illegible] ما جرى في الحوت من العاهد وذلك على ما ذكر في
صحيح البخاري ان موسى عليه السلام قال له لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت
قال ما كلفت كثيرا وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره بدل من الضمير اي ما
انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان [illegible]
[illegible] حتى نسيت [illegible] الحال [illegible] لا انه [illegible]
اشاهدها عند موسى عليه السلام [illegible] واتخذ سبيله
في البحر عجبا اي اتخاذا عجبا والمفعول الثاني الظرف وكان عجبا [illegible]
[illegible] الماء عليه [illegible] العجب [illegible]
[illegible] العجائب [illegible] ذلك [illegible] واتخذ في البحر سبيلا عجبا
وهو من كلام يوشع عليه السلام وقيل قال موسى عليه السلام في جوابه عجبا اي تعجبا وقيل

التسل موسى عليه السلام اي اتخذ موسى عليه السلام سبيل الحوت في البحر [illegible]
[illegible] قال ذلك الاشارة الى فقد الحوت لما مر في الحديث انه قيل له [illegible] فقدت الحوت فهو
ثم ما كنا نبغي نطلبه اي نطلبه لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما اي
[illegible] طريقهما الذي جاءا فيه قصصا اتباعا [illegible] لذلك الاثر فانتصب على المصدرية باضمار يقصان
على ما فصح عنه النبي عليه السلام في الحديث لما ذكر من حيث قال فيه فرجعا يقصان
آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك
السلام فقال انا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا فوجدا
عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وهو الخضر [illegible]
الاكثرون [illegible] عليه الجمهور [illegible] الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء
والفروة هنا الارض [illegible] آتيناه رحمة من عندنا الرحمة هنا الوحي والنبوة
كما [illegible] يقسمون رحمة ربك وعلمناه من لدنا علما [illegible]
[illegible] علما [illegible] قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني
على هذه الصفة [illegible] الاستئذان [illegible] الاتباع [illegible] العلم
[illegible] العلم [illegible] وتعليم [illegible] العلم
[illegible] ان تعلمني مما علمت
رشدا علما ذا رشد [illegible]
[illegible]
[illegible] موسى عليه السلام
[illegible] قال انك لن تستطيع
معي صبرا [illegible]
[illegible] وكيف تصبر [illegible]
[illegible] على ما لم تحط به خبرا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بني لم يعجب والخبير بالامور هو العالم بخفاياها وما يخبر بها قال ستجدني ان شاء الله
صابرا معك غير منكر عليك وتعليق الوعد بالمشيئة للاستثنا ولا بد منه صونا للوعد عن الخلف
فانه لا يجوز خصوصا في حق الانبيا عليهم السلام ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا
اي صابرا وغير عاص يكون الوعد في صابرا او يتعلق بي وفا بعادة او على ستجدني فلا محل
له من الاعراب وفيه انه ح لا يكون مقيدا بالمشية ولا بد منه كيلا يكون الخلف الذي هو حنث
وعدا ان لا يتعهد في امر وقد امر بترك السؤال ولم يطعه فيه وانما قلنا فلا محل له من الاعراب
مع انه مثل الاول على هذا الوجه لانه لا ثباتية للفاعل في المتعلق وانما انه جملة لجز الاول
والحال هنا يشتمل على قطع النفع ليكتسي حكم الحال وهذا انما صح لو ذهن موسى عليه السلام
بعد علم كان من الخضر عليه السلام ثم حكم عليه بوجه اخر على ما افصح عنه قوله قال فان
اتبعتني فلا تسالني وقرئ بالنون الثقيلة عن شيء انكره مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث
لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وهذا من الخضر عليه السلام تاديب وارشاد لما يقتضيه
دوام الصحبة فلو صبر ودام لراى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق والاعراض فانطلقا اي انطلق موسى
والخضر عليهما السلام واما يوشع عليه السلام فقد صرفه موسى عليه السلام وردّه الى بني
اسرائيل وفي الحديث انه تبعهما فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وفي الحديث المذكور فمرت
سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة [illegible]
[illegible] في السفينة [illegible] خاصة من بين الراكب [illegible] خرقها
قال عليه السلام في الحديث المذكور فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من
السفينة بالقدوم قال ابو العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى عليه السلام
وكان عبدا لا يراه الا من اراد الله ان يريه ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة
قال اخرقتها لتغرق اهلها اي فعلت ذلك وغرضك اغراق اهلها وقرئ بالتشديد
للتكثير وقرئ بالياء ورفع اهلها اي فعلت حتى يغرق اهلها وقيل انها لام العاقبة والاول
اولى في مقام الانكار لقد جئت شيئا امرا منكرا ماخوذ من الامر لانه الفاسد الذي يحتاج
ان يؤمر بتركه [illegible] اذا كثر اي [illegible] فيها [illegible]
الامر [illegible] الذي من شانه ان يؤمر به وهذا [illegible]
وجه [illegible] على [illegible] ما فيه [illegible] الامر هنا [illegible] العظيم وقيل [illegible]
حسن التناسب لفظا وقيل [illegible] قال الم اقل انك لن
تستطيع معي صبرا ظاهره تذكير [illegible]

أي

أي انه [illegible] لموسى عليهما السلام وهو عدم محافظته الوعد فكأنه قصد المعاتبة [illegible]
عن كلامه الاعتذار بعد ذلك على ما افصح عنه قوله تعالى قال لا تؤاخذني بما نسيت
اي بنسياني او بالذي نسيته [illegible] على ترك المحافظة لا على النسيان لانه غير مقدور [illegible]
تنزيلا على ما نسيت كانه قال لا تؤاخذني بما صدر عني بسبب النسيان امر غير مقدور [illegible]
قد يجيء للالتماس [illegible] ولا ترهقني [illegible]
من امري هو اتباعه اياه عسرا اي ولا [illegible]
من امري يعني ولا تعسر علي متابعتك بالمؤاخذة على ما صدر بسبب النسيان ويسرها علي [illegible]
[illegible] فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما وفي الحديث
الشريف انهما خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع
الغلمان فاخذ الخضر برأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله بما قيل كان قتله بفتل عنقه او بضرب
راسه بالحائط مردود بنص الحديث الصحيح وكذا ما قيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة
على عدم تراخي القتل عن لقاء الغلام جعلا وخرق السفينة فانه لم يتعقب الركوب كذلك
فلم يذكر الفاء ثمة ولما كان القتل [illegible] على اختلاف في [illegible]
ان يعترض ولا اخلال في ذلك للدلالة الفاء على عدم التروي والاستكشاف قال اقتلت نفسا
زاكية وقرئ زكية قال الكسائي هما لغتان [illegible] قال ابو عمرو
الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت ولذلك اختار الاولى وهذا على ما قاله
الجمهور ان كان صغيرا غير بالغ وقال الحسن والكلبي كان بالغا يقطع الطريق ويفسد
بغير نفس اي بغير قتل نفس [illegible] انه لو كان من قتل نفسا لم يكن به باس والظاهر
[illegible] الغلام [illegible] على ان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف
ولا يجد الخضر [illegible] لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقرئ
بضمتين [illegible] فكل [illegible]
[illegible] قال ابن عطية وعندي ان الامر افظع [illegible]
عظيمة [illegible]
جعل خرقها والاعتراض عليه [illegible] وفي الثانية جعل قتله من جملة الشرط والاعتراض
جزا لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام [illegible]
ما قد عرفته من ان تعقيب القتل للقاء دون الخرق للركوب اقتضى ذلك قال الم اقل لك
انك لن تستطيع معي صبرا زيادة لك [illegible] الا [illegible]

لان مواقعة السائل في ثانية بعد التقدم اليه اكثر انكارا واعتذارا ولتناسب القطع والقطع
مما لعقد ما كان اخذ على نفسه من الصبر وعدم العصيان قال ان سألتك عن شيء بعدها
بعد هذه المرة او هذه المسئلة فلا تصاحبني وان طلبت صحبتك وقرئ فلا تصحبني اي لا
[illegible] فلا [illegible] اصحبك قد بلغت من لدني عذرا اي وجدت من قبلي عذرا لما تعدد منه
مخالفتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع
صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ لدنا بالتخفيف والاسكان
وفتح اللام وتعقيبها للام وسكون الدال وقرئ عذرا بضمتين فانطلقا حتى اذا اتيا اهل
قرية بجزيرة الاندلس وحكى ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه وقيل بالجزيرة الخضراء وقيل انها
برقة وقيل انها انطاكية وقيل انها ايلة ونص في [illegible] على ان تكون احد البحرين بحر
فارس وقد عرفت ما فيه وقيل انها [illegible] وعليه فذلك على ما قيل ان البحرين بحر [illegible]
استطعما اهلها الاستطعام سؤال الطعام والمراد به هنا [illegible] الكلام سؤال الضيافة والقرى
اهلها كرر ذكر الاهل تعطيها لهم لان المراد من الاهل في الاول البعض كما هو المتبادر
المعنى والمراد به في الثاني الكل فكان المناسب عادة باسم الظاهر [illegible]
عن عدده على ما ذكر ولا تعقبه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لئام فطافا في المجالس استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ ان يضيفوهما من اضافه اذا كان له ضيفا وحقيقة ضاف وضيفه
امال وجعله ضيفه هذا حقيقة الكلام ثم شاع الضيافة كناية عن القرى والاطعام فهذا المعنى
مستعمل للمقام فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض لا انقضاض السقوط بسرعة وانقضاض مثل
مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد
المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا والارادة مستعارة للمشارفة كالهم والعزم فاقامه
ذكر في الحديث [illegible] انه [illegible] بيده اي اشار اليه بها فقامه وهذا الاشبه بسائر احواله
قال لو شئت لاتخذت افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين
وقرئ لتخذت اي لاخذت واظهر في الذال او ادغامها عليه اجرا كانه لما رأى الحال
اضطرارا وافتقارا الى المطعم قد [illegible] الاضطرار الى ارتكاب [illegible] وهو المسئلة فلم يجدوا مواسيا
فلما اقام الجدار لم يتمالك نفسه عليه السلام لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو
وبما [illegible] تبين وجه [illegible] استطعامهما عن اهل القرية وابائهم عن التضيف قال
هذا فراق بيني وبينك اي هذا الاعتراض الاخير سبب فراقنا والحكم ما شرطت على نفسك
واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل وتكرير

بالاضافة

بالاضافة الى احدهما دون الاخر [illegible] كما [illegible] لمعنى التاكيد قال سيبويه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان قول موسى عليه السلام في السفينة والغلام لربه تعالى فلم يكن
سببا للفراق وكان قوله في الجدار لنفسه في طلب شيء من الدنيا فكان سببا سانبئك بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا ساخبرك بما في باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه منكرا وغير [illegible]
[illegible] والتبيين التاكيد اما السفينة فكانت لمساكين لمحتاجين ضعفا لعائلتهم
الجند [illegible] والحرب او لعجزهم عن دفع الظلم وهذا كما تقول للرجل غني [illegible] في
وهذا المحتطب مسكين رحمة له وشفقة عليه ولا دلالة في ذلك على ان المساكين يطلق على من
يملك شيئا [illegible] يعملون في البحر قدمنا مما يتعلق بعيبها البحر فاردت ان اعيبها
اجعلها ذات عيب تصريح كون السفينة للمساكين وقوله كان وراءهم ملك كالتعليل للتفريع
[illegible] في القرآن [illegible] قوله تعالى وكان الانسان اكثر شيء جدلا هذا نظم الكلام في غاية
الحسن ومن لم يتنبه له تكلف له في توجيهه وكان وراءهم امامهم وقد قرئ به او خلفهم
وكان رجوعهم اليه ملك ياخذ كل سفينة صحيحة [illegible] وقرئ بكل منهما غصبا من
صاحبها واما الغلام فكان ابواه فيه تغليب مؤمنين فخشينا ان يرهقهما يغشيهما
طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه [illegible] بهما شرا [illegible]
[illegible] وطاع كافر [illegible] بسببه ويطغيا ويكفرا
[illegible] انما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وقرئ
فخاف ربك اي كره كراهة من خاف سوء عاقبة وقيل ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقوله
تعالى [illegible] فاردنا ان يبدلهما ربهما [illegible] خيرا منه زكوة
طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب رحما الرحمة [illegible]
والكرم اي رحمة وعطفا على والديه وقرئ رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز وافعل
هنا ليس للتفضيل [illegible] الغلام ان لا يكون رحما ايضا
على ان التفضيل بين [illegible] على التمييز التفضيل [illegible] الاخر لاجل [illegible] خلل
في [illegible] واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة القرية المذكورة قبلها وكان
تحته كنز لهما من كل ما المدخور من ذهب وفضة وروى [illegible] انه كان ذهبا وفضة
وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا دلالة فيه على انه كان للاب الصالح حتى
يحتاج الى الاعتذار بان الكنز المذموم ما لا يؤدى زكوته وكان ابوهما صالحا اعتداد
بصلاح ابيهما وحفظ للعقد فيهما قيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء فاراد ربك

ان يبلغا اشدهما قوتهما قال الجوهري هو ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين والمراد الاول
اي وقت الرأي لا اي الحلم ويستخرجا كنزهما يعني اراد الله تعالى بقاء ذلك المال مدفونا
محفوظا عن ايدي المتغلبين الى ان تأتي بلوغهما سن الرجال الكاملين في الرأي القادرين على
استخراج الكنز منه لا عن تعدي الغير فان الصبيان والرجال العاجزين عن التدبير لا يقدرون
على ذلك اسند الارادة اولا الى نفسه والى الله تعالى لانه المتسبب بما شربه اهلاك الغلام
وخلق الله تعالى البدل وثالثا الى الله تعالى وحده لانه لا مدخل له اصلا في بلوغ الغلامين
اشدهما ولان الاول شر والثالث خير والثاني ممتزج وذلك ان تقول في اضافة الفعل
الى نفسه على صيغة الافتعال نوع قصور لقاء ما اذ بالكلام على الابرام الا لعلة وضمن
في الاول ومتعلقه في الثاني ولا مجال للاضافة الى نفسه في الثالث وبذلك الملائم صوت
حبات العرق الفيزي اليه ما هو شرط لها من رحمة من ربك مفعول له وهي المال الحاصل
بالسهولة الواصل الى صاحبه بلا كثرة الكسب وانتصابه على الحال وقيل منصوب على ان الرحمة
بمعناها التابع او مصدر منصوب باراد ربك لانه يعني رحمهما وما فعلته مجرد وفي تقديري
فعلت ما فعلت رحمة من ربك فلا بلاء يحق له وما فعلته اي ما فعلت ما رأيته عن امري
عن رأيي انما فعلته بامر الله تعالى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اصله تستطع
فحذفت التاء تخفيفا ويسألونك يعني اليهود امتحانا او مشركو مكة عن ذي القرنين هو اسكندر
الملك اليوناني العدوي وتلقيبه بذي القرنين لما روي من قومه انه ملك قرني الدنيا شرقها وغربها

قال الشاعر وهو التبع اليماني	
قد كان ذو القرنين جدي مسلما	ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي	اسباب امر من حكيم مرشد

وما قيل انه اسكندر الرومي ملك فارس والروم مرده ذلك بانه تلميذ ارسطو فيعتقد مذهب
الفلاسفة فما لم يتحقق الا تشبيه في الاسلام ولا نبيا كما الخلاف في نبوته قال
القرطبي والظاهر من الاخبار ان اسكندر اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام
وهو الذي قضى له حين تحاكموا اليه في بئر السبع بالشام والاخر كان قريبا من عهد عيسى عليه
السلام قل ساتلوا عليكم منه اي من ذي القرنين ذكرا خبرا انا مكنا له في
الارض اي اعطيناه التمكين فيها وزيادة اللام للاختصاص واتيناه من كل شيء
من مهمات الملك سببا اصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض
فاتبع سببا الفاء فصيحة تقديره الكلام اراد بلوغ المغرب فاتبع طريقا يوصله اليه حتى بلغه

يقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة
اي كثيرة الحماة وهي الطينة السوداء من حمئت البئر اذا كثرت حماتها وقرئ حامية
اي حارة وقيل لا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين وكليهما لا انكسار
ما قبلها رأيا في عين ذلك لما جرى بين ابن عباس ومعاوية رضي الله عنهم وتفصيله على ما ذكر
القرطبي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال اقرأنيها ابي كما اقرأه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عين حمئة وقال معاوية رضي الله عنه هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهم انا مع امير المؤمنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف
تجدها في التوراة فقال اجدها تغرب في عين سوداء فوافق ابن عباس رضي الله عنهما فان
على تقدير التوفيق بين القراءتين على احد الوجهين المذكورين الا عين الخلاف لذا نبين غيرهما
مثل الا ملائم وما ذكره الفقال انه المراد انه انتهى الى الشمس غربا وشرقا وصل جرمها
لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين
من عيون الارض بل هي اكبر من الارض اضعافا مضاعفة بناء على اصول فلسفية لا تعويل عليها ومنهم
من تعسف وقال لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك
قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب ومن عليه ان الوجدان قد يكون على الحجر ولذا كان
المعنى على ما ذكر ليس الا انها تغرب ثم ان في اطلاق العين على البحر المحيط لا يخفى على ذوي
بصيرة ووجد عندها عند تلك العين قوما كانوا كفرة الا فرقة منهم من الامم قلنا
يا ذا القرنين من قال انه كان نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن انكر قال كان الخطاب على
لسان نبي في عهده او كان ذلك الهاما لا بالوحي لان الدعوة في الحق لا تكون الا من نبي
اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا قد قيل لهم ولا تزعل النوبة
والاستغفار حسنى اي ذا الحسن فيهم حسنوهم الى الله تعالى وتوجيههم وما قيل اخاه تعالى في
القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل يأباه قوله اما من ظلم الى اخره لانه على انه
اثر الدعوة وتحذكان في التخيير بلفظ اما ان تعذب فيهم حسنا ويتعلق التعذيب بمنع اهلها
متعلق الحسنى انما الى ترجيح الشق الثاني فتبعه لا يقال قال اما من ظلم
من دعوتي فظلم نفسه بعدم قبول الدعوة والاستمرار على الكفر فسوف نعذبه اي بحرمانا القتل
بما يعطل بينهما اختيار بعدم قبول الدعوة وتعذيبهما القتل من الامهال بتكرار الدعوة
الفها والاصرار على الكفر وبون العقلة في تعذيبه على عادة الملوك في قولهم نحن فعلنا
ثم يرد الى ربه كان خطابه لا ... تعالى الا ... بين المذكورين على ما بيناه

اتباعه ثم يرد الى ربه فيعذبه في الآخرة عذابا نكرا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن
وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرئ منونا
منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى
بها جزاء او على التمييز وقرئ منصوبا بغير تنوين على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا
مرفوعا على انه المبتدأ والخبر وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا ذا يسر وقرئ
بضمتين قيل ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب [illegible] ويأباه تعدد الجواب باما التفصيل
لانه يستدعي سبق الاجمال وعلى ما ذكر اجمال فيما تقدم [illegible] ثم اتبع سببا ثم اتبع
طريقا وهو الذي يوصله الى المشرق [illegible] حتى اذا بلغ مطلع
الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام [illegible]
الجوهري المطلع ايضا موضع طلوعها فلا حاجة الى اضمار مضاف وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون به عند طلوعها فلا حاجة الى [illegible]
قيل لا جبل فيها ولا شجر [illegible] لهم سروب يغيبون فيها فاذا طلعت عليهم الشمس يحلون في البحر
وقيل في النهر فاذا ارتفعت عنهم خرجوا الى معايشهم كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي
كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك [illegible] جعلهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي
جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقد
احطنا بما لديه من الجنود والعدد خبرا [illegible] ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به
الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا آخر وهو المعترض بين المشرق والمغرب آخذا
من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين [illegible] على ما ذكره وهب جبلان منيفان في
الشمال [illegible] بينهما [illegible] فجاج الارض وكانت بينهما فجوة يخرج منها
يأجوج ومأجوج [illegible] في منقطع ارض الترك وما قيل هما جبلا ارمينية واذربيجان
وهم وقرئ بين السدين بالضم قال الكسائي هما لغتان كالضعف والضعف وقال
ابو عمرو السد بالفتح الحاجز بينك وبين غيرك وبالضم الغشاوة في العين وهذا قال
من جعل ما كان من صنع بني آدم بالفتح وما كان من صنع الله تعالى بالضم ونصب
بين على انه مفعول به لانه من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما اختلف في
صفاتهم ولم يصح في ذلك شيء لا يكادون يفقهون قولا لا يفقهونه الا باشارة ونحو
الا بجهد ومشقة [illegible] افادته هذا المعنى كافية [illegible]

لغرابة

بينة فطنتهم وما عرفنا به اللغة فلا [illegible] وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه [illegible] لغرابة لغتهم او لقلة فطنتهم قالوا يا ذا القرنين ودل هذا الخطاب على
انه [illegible] وهو الفهم الذي ذكرناه فيما سبق دون غيره من المعاني المذكورة في الخطاب
وقدرة ذي القرنين على فهمهم وافهامهم من جملة الاسباب التي آتاه الله تعالى ان يأجوج
ومأجوج اسما قبيلتين من ولد يافث ممنوعا الصرف ولا دلالة فيه على عجمتهما لجواز
علميتين اخريين التانيث والعلمية [illegible] قال الاخفش من جعل الالف
من الاصل كانه من اجيج النار [illegible] جعل الالف زائدة قال يأجوج من يجج ومأجوج
ابن علي ان همز يأجوج فهو من [illegible] ويجوز ان يكون تخفيف همزة
مثل راس [illegible] ويجوز ان يكون على التخفيف وان يكون
[illegible] مفسدون في الارض بالقتل والتخريب [illegible] وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا
يتركون لهم شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك
استفهام على جهة حسن الادب خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرئ خراجا قال
اهل اللغة الخرج ما يخرج من المال والخراج ما يخرج من الارض وقيل كلاهما واحد كالنول
والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم من الخروج علينا وقرئ سدا بالفتح والضم
قال القرطبي قال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال عكرمة وابو
عمرو وابو عبيدة ما كان من خلق الله تعالى ولم يشارك فيه احد فهو بالضم وما كان من صنع
البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقرأ هاهنا بالفتح وقبله بين السدين بالضم وهي قراءة حمزة
والكسائي [illegible]
[illegible] ابو عمرو [illegible] بالفرق وترجيحه [illegible]
قال ما مكني فيه ربي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال والملك خير مما تبذلون لي من
الخراج فلا حاجة بي اليه وقرئ مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اراد معاونتهم بفعل اليد [illegible]
البدن [illegible]
[illegible] تعالى [illegible]
[illegible] اجعل بينكم وبينهم ردما [illegible]
[illegible] آتوني زبر الحديد [illegible] جمع زبرة وهي القطعة العظيمة
ولا يلزم ان يكون [illegible] الحديد [illegible]
بالاضافة الى الحديد [illegible]

حاجزا في تصرفها لا بيانا عن معناه الى معينها لما قالوه ولا دلالة على ذلك في قراءة ائتوني بكسر
التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بها والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير لأنه لا هنا في معنى
الإعطاء لا الإعانة حتى إذا ساوى بين الصدفين في الكلام حذف وتقديره فأتوه بها فلا تنوع
بما طلب حتى إذا ساوى بين جانبي الصدفين والصدف الجبل المرتفع ذكره الجوهري وقرئ
بضمتين وبالضم والسكون وبالفتح والسكون وبفتح الأول وضم الثاني والكل بمعنى واحد
قال انفخوا أي على زبر الحديد بالأكيار حتى إذا جعله نارا أي جعل المنفوخ فيه كالنار
بالإحماء قال آتوني وفيه القراءتان اللتان في آتوني المتقدمة أفرغ عليه قطرا نحاسا مذابا
من القطر لأنه إذا أذيب قطر كما يقطر الماء منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا
فحذف الأول لدلالة الثاني عليه أو أعمل الثاني في الأول [illegible] الأجود ما قاله في الثاني
على التصحيح فما اسطاعوا حذفت التاء تخفيفا لقرب مخرجها من الطاء وقرئ بالإدغام وهو على غير
حده إذ لا يصح لأنه يكون قبل الإدغام تحريك أو حرف مد ولين ولذلك قال أبو علي هو غير
جائز وقرئ بقلب السين صادا أن يظهروه أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وإملاسه وما
استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته قال هذا إشارة إلى السد رحمة من ربي على عباده
فإذا جاء وعد ربي بخروجهم ودنو مجيء يوم القيامة وشارفه أو بقيام الساعة على ما ذكر [illegible]
وجعله دكا [illegible] عند انتهاء زمان الرحمة وانقضاء المصلحة جعله دكا مدكوكا مبسوطا
مستويا بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام
وقرئ ممدودا أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر القصة
وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج في بعض يضطرب في بعض فيختلط إنسهم وجنهم
حيارى ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية لا الأولى [illegible] على ذلك إلا التعقيب
في قوله فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء [illegible] نفخة الإفناء وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين وأبرزناها لهم عرضا [illegible]
الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر [illegible]
وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لإفراط صممهم عن الحق وهذا أبلغ من
الصمم لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به أفحسب الذين كفروا أفظن الذين كفروا
[illegible]
[illegible]
[illegible]

زيادة للذم أن يتخذوا عبادي هم من عبدوهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام من دوني
أولياء يعني أنهم لا يكونون أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم أفحسب الذين كفروا
أي أكافيهم وحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن النعت
إذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا [illegible]
[illegible] النزيل أي الضيف تهكم بهم وتنبيه
على أن لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه جهنم بالنسبة إليه قل هل ننبئكم
بالأخسرين أعمالا نصب على التمييز وجمع لتنوع أعمالهم الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وإعجابهم [illegible] أهل حروراء وقيل هم الرهبان
أصحاب الصوامع [illegible] الذين كفروا [illegible]
[illegible] محله الرفع على الخبر المحذوف [illegible]
[illegible] أو النصب على الذم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا بعجبهم
واعتقادهم أنهم على الحق أولئك الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله المنصوبة على التوحيد
والنبوة أو بالقرآن ولقائه بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه فحبطت أعمالهم بكفرهم
فلا يثابون عليها [illegible] بتخفيف العذاب فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
فلا نضع لهم ميزانا [illegible] أعمالهم لانحباطها وقيل فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا
[illegible] ذلك أي الأمر ذلك [illegible] جزاؤهم جهنم جملة
مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم
بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي
هزوا أي بسبب ذلك [illegible] إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
فيما سبق من حكم الله ووعده جنات الفردوس نزلا [illegible]
والفردوس البستان الذي يجمع [illegible] قال الزجاج [illegible] وسط الجنة وأعلاها
خالدين فيها نصب على الحال [illegible]
لا يبغون عنها حولا أي لا يطلبون عنها تحولا إذ لا مزيد عليها حتى تنازعهم إليه أنفسهم
[illegible]
[illegible] ذكره الجوهري [illegible]
الإكرام فيها قل لو كان البحر مدادا هو في الأصل [illegible]

وما نا اسما لكل ما يمد به الشيء فإن المفعول المراد هنا الحبر وهو اسم خاص لما في المحبرة لكلمات
ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر لأنه متناه بشيء لتناهيه قبل أن تنفد
حينئذ لتأدي البيان كلمات ربي لعدم تناهيها في نفادها وقبل نفادها لا يلزم تحقق نفادها بعد
نفاده ولذلك يقع الطلاق الواحد إذا قال لغير المدخول بها أنت طالق قبل أن تطلقي واحدة ولو جئنا
ولو جئنا بمثله مددا بمثل البحر الموجود مددا لنفد أيضا والكلمات أيضا غير متناهية فإن كل ما يدخل
أن كل ما يدخل تحت الوجود متناه المقدار فلا بد من نفاده بخلاف ما لا نهاية له فإنه يستحيل
نفاده ومددا تمييز وهو مثل المداد فيمد به وقرئ مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب
فيكتب به وقرئ بمثله مدادا وسبب نزول الآية أن اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وتقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة
من بحر كلمات الله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم في العجز عن الإحاطة بعلم كلماته لا أفضل
لكم بشيء إلا بالوحي يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد بيان لما أوحي إليه أو تعليل
لأنهم كانوا ما ينبغي لهم في معرفته الله ثم حض على ما فيه النجاة بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه
في الحال وقع الخبر في المستقبل وهذا الطمع أيضا لكنه يستعمل في الأمور المحبوبة وفرق بين الرجاء
والأغتراء بأن الرجاء يكون لمن تمهد أسباب المرجو والأغترار لمن أخل بها والمراد من لقاء الله
تعالى كل مستبعد تعذيره المضاف على الذكران الكلام حسن لقاء ربه لا يغني عن هذا المعنى وهذا
يغني عنه فليعمل عملا صالحا لأنه الذي يليق بذلك الرجاء ولا يشرك بعبادة ربه أحدا
قال ابن جبير لا يرائي في عمله ولا يبتغي إلا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وروي
أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أعمل العمل لله تعالى فإذا اطلع عليه
أحد سرني فقال إن الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام وعنه عليه
السلام أنه قال اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصة العلم والعمل
وهما التوحيد والإخلاص في الطاعة وقرئ ولا تشرك بالتاء التفاتا عن الغيبة ثم عاد إلى الالتفات
من الغيبة إلى الخطاب إلى الغيبة تنبيه والله أعلم بالصواب

سورة مريم عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص تقدم الكلام فيه ذكر رحمة ربك خبر محذوف أي هذا ذكر أو خبر
محذوف أي فيما يتلى عليك ذكر وقرئ ذكر مشددا على الماضي أي المذكور ونصب رحمة بعد
الملوم ذكر رحمة ربك وذكر على الأمر وهذا صريح في عدم تمام ما قبله قال أبو عمرو

الباقون سوا فتحها لأن الأصل في الراء الفتح عبده مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة
أو الذكر فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه أو عطف بيان له إذ
المجيد لا على أن الرحمة أي وقت رحمة ربه لم يجعل عنه نادى ربه نداء
قد يستعمل في مطلق الخطاب كما في قوله وناداهما ربهما فلا مانع في قوله نداء خفيا
بين القبة والموصوف أي دعاء سرا لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان وعندنا
لا يسأل أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء أو خفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر أو
كان يخفيه خوفا من الموالي على ما دل عليه وقد بلغت من الكبر عتيا قال رب إني
لضعف المنة وهن العظم مني وهن العظم الضعف وقرئ بالحركات الثلاث وتخصيص العظم لأنه
دعامة البدن وأصل بنائه فتطرق الضعف إليه موجب لتطرقه إلى كل البدن ولأنه أصلب
ما فيه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد الجنس وترجح كان قصد إلى
شيء آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها وذلك ليس بمقصود والجنس المناقض
على المقصود بما كان بعضها لا وأما تقتضي المقام من الحقيقة في العظم من الرأس ومجيء
إلي ذات الرسمي هنا قوله فمن له واشتعل الرأس شيبا أي استوى في الضعف الظاهر
والباطن وذكر هنا مزيدا في الدعاء كيلا ما فيها في من الأذكار على قوله تعالى ويحوز الشر
من الاشتباه الظاهرة شبه الشيب بشواظ النار وكذلك في بياضه وإنارته بل فيهما وفي
أن النار كما تشتعل في الجسم تسري فيه وتحيي حيله إلى غير حال المقدم كذلك الشيب يأخذ
في الرأس ويسري شيئا فشيئا حتى يحيله إلى غير لونه الأول وشبه انتشاره في الشعر وفشوه
فيه وأخذه بمكل ما أخذ باشتعال النار في سرعة التهابه وتعذر تلافيه ولا بد في الشبيه
التأمل في هذا باعتبار معنى السرعة في وجه الشبه إذ به يعلم كون الشيب في وقته فتم الكناية
عن المعنى المراد وهو الوصول إلى سن الشيخوخة فإن الشيب قد يأخذ من الرأس كل مأخذ قبل ذلك
إلا أنه يكون على تدريج وتمهل ثم أخرج الأول مخرج الاستعارة المكنية والثاني في مخرج الاستعارة
التصريحية من أصل الكلام اشتعل الشيب في الرأس لا اشتعل شيب الشعر في الرأس لأن الشيب
مما لا يتعلق إلا ببعض الجسد فترك تلك المرتبة إلى ما هو أبلغ منها وجعلها في الإسناد
الأشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال ونائبها الإجمال والتفصيل في طريق التمييز
وترك لفظها تنكيرها لإفادة التعظيم وأكتفى باللام عن الإضافة لاعتماده على علم المخاطب بأنه
لما ذكر مني فيما سبق بل اعتمادا على المبادرة ما العطف على العصيان عبارة الحقيقة ولم أكن بدعائك
رب شقيا أي كنت مستجابا بالدعوة قبل اليوم جديدا غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته إذا ظفر

قوله لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان من أن مقابل الإخفاء الإعلان لا الجهر مقابل الجهر السر

ونبهتي اذا خاب بعد ما فلم يخيبني انه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب
من اطمعه وفيها ذكر لما فات تفضله تعالى في اجابة ادعيته وتوسل بعد ذلك لمزيد الوسيلة
وتحسين الظن بالاجابة فان قرنا يناديها قال تعالى انا عند ظن عبدي بي واني خفت
الموالي الموالي ابن العم والعصبة وجمع الموالي من ورائي كلما ابو عبيدة اي من جهة
الرب الذي هو عند مجيئه قال الشاعر

ازجي بني مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة ورائي

كانه لم يكن فيهم من الولاة من يصلح له به القيام بمقامه في الدين وهو يخشى ان يخلفه فيخلق الطرق
بعده بنسيهم انهم خلفوا قعدا سوء ورجا ولم يشق بهم من به تقوى واعتقاد وكانت امرأتي عاقرا
العاقر التي لا تلد الكبر بسنتها في عبارة كانت تدل لا على انها استمرت على تلك الحالة
والظاهر ان يتعدى بهذا النسل لانه ادرك ما الولد منها وقد مر وجهه في سورة ال عمران ويحتمل
هنا ان يكون المراد من يحصي بها امرأتي فهب لي من لدنك اختراعا بالسبب لاني امرأتي
لا تصلح للولادة وليا ابنا يلي امره بعدي يرثني ويرث قرئ بجزمهما صفتان لوليا يحتمل
ليد له ارثا في العلم وما ليعقوب النبوة ويحتمل انه النبوة انه يصلح لان يوحى اليه
ولم يرد ان نفس النبوة تورث ويجزمها على انهما جواب الدعاء وورد ابو عبيد قراءة الجزم وقال
لان معناه ان وهبت ورث فكيف يخبر الله تعالى بهذا وهو اعلم به من ال يعقوب ابن ماثان
اخو عمران ابو مريم بعضهم يكره يرثني وارث يعقوب على الحال من احد الضميرين تبعا ورث التصغير
لانفصل لانه لا يناسب المقام بل المدح كقول حسان بن المنذر لما احاط بها الحكماء وعدها الكرم
وقرئ وارث ال يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد لا يرجع عن المذكور والاخر به
المراد واجعله رب رضيا مرضيا في اخلاقه وافعاله وارضيا عنك ويحكم بالذكريا انا نبشرك
دعاه فقلنا يا زكريا دل على ذلك ما قصة في سورة الانبياء فاستجبنا له ووهبنا له يحيى انا
نبشرك كانت البشارة بواسطة الملك على ما نص عليه في سورة ال عمران بغلام فيه بشارة
بثلاثة امور الولد وكونه ذكرا وبلوغه الحكم واختلفوا في تبادر به بعد ابيه وانطاق صغرا له
تعالى فاستجبنا له انه يجعل اسمه يحيى تولى الله تعالى تسميته تشريفا له لم نجعل له من
قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وفيه دليل على ان في التخصيص باسم مستحسن نوع تشريف
للمسمى وقد سبق معنى يحيى بيانا استحقاقه قال زكريا رب انى يكون لي غلام استفهاما
تعجبي يدل على التصديق بموضوع الخبر بعد الاعتراف بكمال قدرته عليه لان التعجب انما
يتأتى بمعاني التصديق به لتعمل لاتيها بانه يبطل الدعي على هذا الحال لانه بعد الحالة

فاذا تحمها قيل لم استبعد واستعجب واجيب بانه انما اجيب به فيه اذ الموجون ايضا تاني يقع
المطلوب لمعرفة ليشرح من المراد من الزوجين والعلية وقد كان دعا معينا على التعيين انه
عليه السلام اراد ان الخلق بعد ادعائه التعجب وهذا قال اني يكون لي غلام ان يكون
بين ولد وانه يولد من امرأة التي طلبه الولد منها وهذا قال اني يكون لي غلام وقد بلغت من
الكبر عتيا هو اليبس والجفاف في المفاصل والعظام كالعود اليابس من اصل الكبر والطعن في
السن قال الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك قال ربك هو علي هين
اي بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق وتزوجي وهو عليه هين على المعطوف
على محذوف اي افعل وهو هين وقد خلقتك من قبل انا حلق ماذا له لا حال الصواله لانه عن شيء فلا
شيئا بل كنت معدوما وهذا قال من قبل اي من قبل خلقك بشر ولم تك شيئا بل كنت
شيئا معدوما وفيه تعريض بالملائكة المشهورة قال رب اجعل لي اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني
به لزيد في الشكر في دعا الثالثة قال ايتك الا تكلم الناس علامتك ان تمنع من كلام
الناس بحيث لا ذكر الله ثلاث ليال ذكر الليالي هنا والايام في سورة ال عمران على ان المنع
من كلام الناس استمر ثلاثة ايام ولياليهن للعبرة للذكر والشكر سويا حال ذلك مع سلامة الخلق
سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم فخرج على قومه من المحراب اي المسجد وكانوا ينتظرون
فتحه ليصلوا فيه بامره على العادة فاوحى اليهم فاشار اليهم لقوله تعالى الا رمزا ان سبحوا صلوا
وان يحيى المفتح بكرة وعشيا طرفي النهار يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التوراة
بقوة بجد واجتهاد ولو كان اسم ما بعده القول به كما هو حقه واتيناه الحكم يعني الحكمة وفهم
التوراة صبيا قيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا شفقة ورحمة
للناس قال من لدنا لكال من عند الله تعالى لا لله على ان شفقته عليه
السلام كانت بالغة في جملة الناس ساري عن المعتاد وزكوة وطهارة من الذنوب
فلم يهم بذنب وكان تقيا مستمرا على الطاعة والتجنب عن المعاصي وبرا بوالديه
اي محسنا اليهما في الغاية ولم يكن جبارا عصيا الجبار الذي يقتل على غضب نفسه
لا على استحقاق الجاني قال تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين والعصي المبالغ في
العصيان وهو مخالفة الامر فان الطاعة اما لتغير النهي وعن الامر والعدول عنه الاشتمال
باتيان التسوية لنوبة البلاغ الى الغاية في كل صفة منصرة كانت او مذمومة وسلام
عليه تحية من الله تعالى يوم ولد في هذا بصيغة الماضي وفي قوله ويوم يموت بصيغة
المضارع لان سيأتي الكلام بعد الولادة وقبل موته ويوم يبعث حيا مطلق البعث نعم ما في غير

الا انه مجيد لا يطلق عليه الحي فقوله حيا لتعيينها لبعث قال ابن عيينة اوحش
ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد ويوم يموت ويوم يبعث تعدد فجاءات ثلاث
لا فجاءة اعظم منها وتحيي عليها السلام تحيته بالسلام في هذه المواطن العظام واذكر
في الكتاب اي القرآن مريم يعني قصتها اذ ظرف لمضاف مقدر قد تقدم قيلا او بمعنى
الصديقة وتقديره واذكر مريم نبأها اذ هي على ان انتبذت بدل من مريم واما ما قيل
انه بدل من قصتها بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها ان بدل الكل لان
المراد من الظرف الامر الواقع فيه فلا يصح عليه اي المعنى اذا لم يكن خبرا عن الجنة ولا
حالا عنها ولا وصفا لها لا يكون بدلا عنها انتبذت اي اعتزلت وانفردت ناحية
اذ الخلوة بما بلغه لخبر الى بلدتها اليه شيئا وصل اليه وكذلك احتاجت الى ضرب الستر عليها
بينها وبينهم وهو بشاها في هذا الوقت دونهم من اهلها مكانا انتصابه على الظرفية لا بنائه
ميمما لا بنائه وعلى الاتساع شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى
المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا سترا استترت به عن اهلها لئلا يرونها
قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها فارسلنا اليها روحنا جبريل
عليه السلام لانه فعل التشريف فتمثل لها اي تصور لمريم بشرا سويا مستكمل الخلق
حسن الصورة وانما مثل كذلك لان الانسيا بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها
او حيث لا يكون ذلك تمثل دم طلبة السلام في الخلق بالواسطة نطفة بل ليلا ستر عنه نفسه كلام
وتتلقى به فنطقهم عنها فلما رأت رجلا قد دخل عليها فجاءة في الخلوة ظنته انسانا يريد بها سوء
وعلمت انها لا تقدر على دفع ذلك فاستعاذت بالله قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان يبيح
على تقدير سؤال العرف وذكر الرحمن تذكير لبوادر الجلال فانه تعالى رحيم الدنيا ورحمن الاخرة ان كنت
تقيا تتقي الله وتخشاه فلا تقربني فعلى هذا الخبر الله لا لذا الحال عليه وهذا اكثرية الفاعل الا كنت تقيا
ولا تتعرض لي بتبعني نكرت الا بما انك ما تعالى الا رضا الظلم قال انما انا رسول ربك
في عبارة الرسول اشارة الى ان توسطه في الخبر دون الاثر وافي بالرب نعتا فالتها لتخع قلبها ولا
يقدر الكلام على ان الرسالة لا يصال لتعريف الاحسان الخاص بها بهيئتها انفعا وهلالا ان في
مفهوم الخبر اعتبارها هذا المعنى منطقة لا اشتباه واكد بانما لاهب لك حكاية لقول الله تعالى
على للتعازة ليهب لها وتناسبه وصفا لما ان ديها وفي عبارة الهبة اشارة الى الا ان ما اعطوها قبل
اليها بسهولة غلاما فهو ما فيه من جموع البشارة زكيا طاهرا من الادناس او فاتيا على الخير
والبركة قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر جعل المس هنا كناية عن فيه المقابلة

عبارة عن النكاح الحلال ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال اي تطلب الشهوة من اي رجل كان
ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين وانما لم يصححوا بقلبت الما ذنيا قد دخلت فكسرت
العين ايا قالوا الولد اي ليحقق ... بينا وقيل لم تلحقها التاء لانها بمعنى متعول او بفاعل
ما على فانه قد يشبه بعض المجهول تجديدا قال كذلك الامر كما قلت من خلق غلام منك بغير اب
قال ربك هو علي هين اي اعطاء الولد بلا اب من غير هل ولنجعله تعليل معلل محذوف اي فعلنا
ذلك لنجعله آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون
بارشاده وكان خلقه امرا مقضيا تعلق به قضاء الله تعالى ازلا لا اذ لا تعالى ابي قرار لردنا شبهها
فنفخ فيتجب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملته كما قرئ فانتبذت به اي فاعتزلت
وهو في بطنها او الجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها فاجاءها
ذكر الجوهري يقال اجاها وهو متعد اجاء الا انه استعمل بعد تغيير بمعنى النقل الى معنى
الالجاء وتغليبه الى حيث لم يستعمل الا في معنى الالجاء وفيه نظر قال الجوهري
وآناه اي الى بقوله تعالى اتنا غداءنا اي ائتنا به المخاض وقرئ بالكسر وكلاهما مصدر
مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه
عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمرة وكان الوقت
شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس فلا قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم او حزنا على ما يكون
ويقولون انها على انها لا تبغى فيه ايضا ومن الطلق بين ما في اهل الماء
حينئذ الى قوله وكنت نسيا منسيا بل لانها خافت ان يقع بسببها في الناس معصية
الى الزنا وعنها الموت من جهة الدين ... نسيا بالفتح وهما لغتان كالوتر والوتر وهو
الشيء الحقير الذي من شأنه ان ينسى ولا يطلب كالذبح لما يذبح وقيل هو المتروك
عنه وقرئ بالكسر اسم للشيء المنسي وكذا للنسي بالفتح فناداها كانت المناداة تخاطبه لها بقول
وان كان الخاطبها من تحتها وهو جبريل عليه السلام لانه كان في مكان اخفض منها اوكان تحتها
تقولة القابلة او عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها وقرئ من بالكسر والفاعل مضمر
وهو عيسى او جبريل عليهما السلام على انها في تحتها النخلة ان لا تحزني اي لا تحزني او بان
لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا قال ابن عباس كان
ذلك نهرا قد انقطع ماؤه فاجراه الله تعالى لمريم والنهر يسمى سريا لانه يسري به فان قلت
ما تقول فيه قول الحسن سريا رفيعا لشريفا حتى عيسى قلت ليس بقول الحسن لانه خالفا بالتفصيل

الرفوع وفي المثل اذا اجاءها الله بطل محتفل **وهزي اليك** امر بتحريك مخصوص تتبعه
الحركة في الجهة افتتان الى الجانبين المتقابلين وتعديته بالى لتضمنه معنى الجذب وفايدته
الترغيب فضلتى له عليك لان الهز اذا لم يكن بالمد لا يكون بسقوط الثمر عليها فذكر اليك بقوله
بجذع النخلة متعلق بالفعل التابت اقتضا **تساقط عليك** صفة تساقط تبع قرأت تساقط بادغام
التا وتساقط بالتاء وحذف التاء الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء ويساقط وتسقط ويسقط
بالتاء والياء من اسقط وتسقط ويسقط من سقط والتاء للنخلة والياء للجذع ان الرطب **رطبا** تمييز او
جنيا اي محنيا وهو الطري يتبارك البالغ نهاية النضج **فكلي** من الجني **واشربي** من السري
وقري عينا بالولد الرضي وعينا تمييز اي طيبي نفسا بعيسى عليه السلام وارفضي عنك ما
احزنك وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت
اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه ... ما ادخل النفس سكنت الى ما دعت
فيها **فاما ترين من البشر احدا** اعلاقا تراه ادميا يسألك عن حالك **فقولي اني نذرت**
للرحمن صوما امساكا عن الكلام اي صمتا وقد قرئ به وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون
عن الطعام وقيل صياما حقيقيا وكان صوم من شيد الصوم ... لان عيسى عليه السلام يكفيها
الكلام بما يبرئ به ساحتها وقيل الاحتمال الاستعما ... من الصوم ... الانسان فدعي
الاشارة كلاما فعلا ... ان يكون اخبارها بوقف **فلن اكلم اليوم انسيا** قيل ...
اليوم لا اني لا اكلم ادميا وانما اكلم الملائكة ... ان العقد ... انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري
هذا للتحقيق ... **فاتت به** بعيسى عليه السلام
... كما ذهب به لا يقيم مع **قومها تحمله** حال منها ... قالوا
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من الفري ... القطع ...
يا اخت هرون ... من افضل بني اسرائيل **ما كان ابوك امرأ سوء**
وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فاحشة ...
او ... الصالحين **فاشارت اليه** الى عيسى عليه السلام اي كلموه يجيبكم **قالوا كيف**
نكلم من كان في المهد صبيا ... ولم يكلم في ذلك
الحالة في المهد ... الصبي ... ولهذا ... للتأكيد
للتأكيد **قال اني عبد الله** ... انطقه الله تعالى ...
اتاني الكتاب الانجيل **وجعلني نبيا** ... وكلامه معجزة وقيل معناه ان

ذلك

سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة لتحققه وجد **وجعلني مباركا اينما كنت**
نفاعا حيث كنت او معلما للخير **واوصاني بالصلوة والزكوة** ... ان كان الانسان ... قال
... بالتوصية ... **ما دمت حيا** ...
حياتي **وبرا بوالدتي** اي بارا بها ... بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل
دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة **ولم يجعلني**
جبارا ... **شقيا** عاصيا **والسلام علي** ... التعريض ...
... على من كذب ... **يوم ولدت**
ويوم اموت ويوم ابعث حيا ... **ذلك عيسى** الذي ...
... من النصارى ... الوجه الاول ...
... **ابن مريم** ...
... ابن يوسف النجار **قول الحق** صفة عيسى ... خبرا اخر ومعناه كلمة
الله ... ووجه كونه كلمة الله ...
العمران ... خبر محذوف ... اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه ... للبيان
والضمير للكلام ... بالنصب على المدح او على المصدر اي اقول قول الحق وقرئ
قال الحق وهو بمعنى القول **الذي فيه يمترون** في امره يختلفون ... فقالت اليهود ساحر
كذاب وقالت النصارى ابن الله ... **ما كان لله** اي ما ينبغي له
ان يتخذ من ولد سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد **اذا قضى امرا فانما**
يقول له كن فيكون تبكيت للنصارى ...
... **وان الله ربي**
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بالفتح
على ... عطف على الصلوة **فاختلف الاحزاب** ...
... **من بينهم** ... اصحاب عيسى عليه السلام ...
... النصارى ... في عيسى عليه السلام حين رفع ثم ...
... اعلم ... يعقوب ... فقال يعقوب هو الله هبط
الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله ... وقال اسرائيل
... الاله ... النصارى ... وقال الرابع كذبوا كان عبدا مخلوقا
نبيا ... **فويل للذين كفروا** ... **من مشهد**

يوم عظيم أي فيتهولون من هول الثناء ... على أن المراد من اليوم الواقعة أسمع بهم وأبصر
الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف به ولكن المراد أن أسماعهم وأبصارهم
جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صماً وعمياً في الدنيا وقيل ضمير الحمل على الفاعلية كأكرم بزيد
معناه كرم زيد جداً يوم يأتوننا أي يوم القيامة لكن الظالمون أقيم الظاهر مقام الضمير إشعاراً
بأنهم ظلموا أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم اليوم في اليوم في ضلال
مبين تسجيل على تركهم ذلك بأنه ضلال بين وأنذرهم يوم الحسرة يوم القيامة لأنه يتحسر
فيه الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه إذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو
مصدر قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وهم في غفلة هاهنا
لا اهتمام لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به متعلق بقوله في ضلال مبين وما بينهما
اعتراض أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالاً متضمنة للتعليل إنا نحن
نرث الأرض ومن عليها أي نخرجها من الملك والمالك عند تعميم الهلاك والفناء وفي تغليب العقلاء
يدل على أن الأرض أيضاً ... ونحن مبتدأ وخبر الجملة في محل الرفع خبر إن ولم يجوزوا أن يكون
نحن فصلاً لأن نرث نكرة والفصل لا يقع إلا بين معرفتين أو قريبين من المعرفة وإلينا يرجعون أي
يردون للجزاء ... في محل الرفع بالعطف على نرث أو على الجملة الاسمية واذكر في الكتاب
إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ملازماً للصدق وكثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله
تعالى وآياته ويجوز أن يكون المبالغة ... نبياً استنبأه الله تعالى إذ قال بدل
من إبراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقاً نبياً والمراد بذكر الرسول إياه وقصته
في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم وإلا فالله عز وجل
ذاكره ومورده في تنزيله لأبيه يا أبت التاء عوض من ياء الإضافة ولذلك لا يقال يا أبتي
ويقال يا أبتا وإنما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
المفعول فيهما منسي غير منوي ولا يغني عنك شيئاً يحتمل أن يكون شيئاً في موضع المصدر
أي شيئاً من الإغناء وأن يكون مفعولاً به من قولك أغن عني وجهك دعاه بعد دعائه إلى الهدى
وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرفقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بتضليله
بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلاً عن
عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام ونبه على
أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على
النفع والضر ولكن كان ممكناً لاستنكف العقل القويم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق كالنبيين والملائكة

في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف إذا كان جماداً لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه إلى أن يتبعه
ليهديه إلى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظاً من العلم الإلهي مستقلاً بالنظر السوي
فقال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ولم يسم أباه
بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق ثم ثبطه عما
كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر لأنه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث إنه
الآمر به فقال يا أبت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بأن الشيطان مستعص
على ربك المولي للنعم كلها بقوله إن الشيطان كان للرحمن عصياً ومعلوم أن المطاوع
للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته
وما يجره إليه فقال يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً
قريناً في جهنم لأن الولي ... لا يكادان يفترقان في محبوبه أو مكروه وجعله ولياً في هذه الحالة
ما قلنا من أن كلاً منا سيتبرأ عن صاحبه يومئذ كما قال تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين
وأما ما قيل ... ليعلم أن العذاب بحسبه ... والتنكير فيه للتعظيم وقصد التقليل
بين عبارة المس لا يناسب المقام ... أما الأول فلأن المقام مقام التخويف فلا
يناسب التخويف وأما الثاني فلأن المس مما يقصد به المبالغة كما في قوله تعالى وقد مسني الكبر ولك
أن المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث يتأثر الحاسة ... من الرحمن لأن العذاب من ... الرحمة
أقطع وأشنع ... قال أراغب أنت ... الرغبة ...
لا فيه من المنفعة ... عن آلهتي يا إبراهيم قابل
استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد حيث ناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا
بني وأخره ... بل لو قدمه ... لأن المقام مقام ... من اللطف
وقدم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عنها
كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها لأرجمنك
لأقتلنك بالحجارة أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك واهجرني عطف على ما دل
عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني ملياً زماناً طويلاً من الملاوة أو ملياً
بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أي لا أصيبك
بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي ...
بل لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب
الغفران وهو الإيمان وقد يرد عليه أنه لو كان كذلك لما كان ... عن هذا ... استثني عن القدوة الحسنة

قوله ... في قوله ... تأباني ... منه

كأنه نبه على ما قاله في تفسير قوله تعالى إن تمسنا النار ... في سورة البقرة منه

بر له تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انه كان بي حفيا بليغا في البر
واللطف واعتزلكم اي بالاعتزال المهاجرة وما تدعون من دون الله اي وما تعبدون
من اصنامكم وادعو ربي واعبده وحده فرقا ان تواضعا وهضما للنفس وتنبيها على ان الاجابة
والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب وتعريضا بشقاوتهم في دعاء الهتهم
عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء الهتكم فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحاق ولدا ويعقوب نافلة اولاد
وهب له اسمعيل عليه السلام على ما نص في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اسمعيل واسحاق وانما خص اسحاق بالذكر لانه شجرة الانبياء عليهم السلام او لانه اراد ان
يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا اي كل واحد منهما جعلنا نبيا انهما لما ترك الكفار
لوجهه عوضه اولادا ابرارا ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاولاد والاموال
وجعلنا لهم لسان صدق تناخسنا وهو الصلوات على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
الى قيام الساعة استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين عبر باللسان عما يوجد
به كما عبر باليد عما يعطى بها وهو العطية واضافه الى الصدق لانه تناخس لا كذب فيه عليا رفيعا
مشهورا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وقرئ بالفتح اي اخلصه الله واصطفاه
وبالكسر اي اخلص العبادة لله من مخلص بالامن لسعادته باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من
العبادة بصدق النية وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم
مع انه اخص واعلى ونادينا من جانب الطور الايمن وهو جبل بين مصر ومدين والايمن
من ناحية اليمين من اليمين والمعنى انه اقبل من مدين يريد مصر فنودي من الشجر وكانت في جانب
الجبل على يمين موسى عليه السلام بان تمثل له الكلام من تلك الجهة او من جانبه الميمون من
اليمن وقربناه تقريب تشريف مثل حاله بحال من قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا كنديم بمعنى منادم
حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات
حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا اخاه معاونة اخيه هرون عطف بيان
او بدل نبيا حال منه اي وهبنا نبوة اخيه اجابة لدعوته واشدد به ازري فانه كان اكبر سنا
منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف
باشيا من هذا الباب لم تعهد من غيره وكان رسولا نبيا بعث بشرع ابيه الى قوم دون قوم
ابيه وهم جرهم فكان صاحب شريعة بالنظر اليهم لاختصاص شرائع ابيه بحسب غوثه الينا وكان
يامر اهله اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل

وقيل اهل ملته فانه الاماثل يطلق على الفرق كما في قوله فما تبدت من اهلها بالصلوة
والزكوة اقاخصا لانهما امهات العبادات البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيا لاتصافه
اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد آدم عليه السلام
واول من خط بالقلم وخاط الثياب ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل
والاسلحة وقاتل بني قابيل واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه
ثلاثين صحيفة انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى
عند الله تعالى وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة او السادسة وعن الحسن الى الجنة
اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع
النعم الدينية والدنيوية من النبيين من للتبعيض لان المذكورين بعض النعم
عليهم بل الذين وقعوا خبرا عنه اولئك وهم بعض الانبياء من ذرية آدم بدل منه باعادة
الجار وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهو من عدا ادريس
عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية من حملنا مع نوح عليهما السلام لانه من ولد سام
بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن
جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن
اي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبرا لاولئك لبيان
خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس
والزلفى من الله تعالى وان جعلته صفة له كان خبرا وقرئ يتلى بالياء لوجود الفاصل مع ان
التانيث غير حقيقي خروا سجدا ساقطين على وجوههم ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة
جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم
عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح للاعقب وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها
وقيل باخيرها عن وقتها ... لانه صريح في انه في حق الكفار
واتبعوا الشهوات ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بني المشيد وركب المنظور ولبس
المشهور فسوف يلقون غيا شرا كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد الا من تاب ورجع
عن الكفر وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرئ على البناء
للمفعول من ادخل يدخل الجنة غير مشروطا بالعمل الصالح وانما ذكره للتنويه له ولا يظلمون

اي ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا ينقصونه بل يضاعف لهم ويجوز ان ينتصب شيئا
على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات بدل من الجنة
بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
عدن معرفة لانه علم لمعنى العدن وهو الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة
ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده اي وعدها اياها التائبين
المؤمنين الذين يعملون الصالحات المتقدم ذكرهم لانه اضافهم اليه وهو للاختصاص
لاهل الاختصاص بالغيب بالوحي الى نبيه او وعدها وهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها
انه ضمير الشأن او ضمير الرحمن كان وعده اي موعوده وهو الجنة مأتيا اي هم يأتونها
لا يسمعون فيها لغوا الفعل المتجاوز لفظ الذي لا يعتد به من الكلام وغيره ولذلك قيل لما
لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو والساقط الذي لا يعتد به في الايمان لغو اليمين اللغو
الا سلاما اي لكن يسمعون سلاما من الملائكة او من بعضهم على بعض او لا يسمعون فيها
الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل متصل على
فرض المحال بمنزلة المحال تنبيها لنفي اللغو بحيث لو فرض سماع اللغو فيحملهم على تعديد ذلك لكونه
السلام لغوا وذلك محال والمعلق على المحال محال كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب

ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا لما كان اعتدال احوال الطاعم وانتظامها ان يتغدى ويتعشى
هو الغداء والعشاء فجعل حالا له اعتدال احوال اهل الجنة في ماكلهم وضرب بطرفي البكرة والعشي
مثلا لذلك اذ لا نهار ولا بكرة ولا عشية ثمة ويجوز ان يراد به التعبير كما اذا اريد به الدوام
وهذا كما يقول الرجل انا اصبح وامسي في ذكرك ويريد ان فلان يغدو علي ويروح اي لا ينقطع
تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نجعلها ميراث اعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها او نبقيها
على التقي كما يبقى مال الموروث على الوارث على استعارة الايراث في الابقاء فان الوراثة اقوى
سبب للتمليك والاستحقاق فانها من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط
وقيل يورث زيادة في كرامتهم المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكما
من كان تقيا عن الكفر وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين قال له النبي
عليه السلام لما احتبس اياما فاعتل المشركون لعل ربك ودعك يا جبريل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا
فنزلت والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول الليق
هنا يعني ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وقرئ ما يتنزل بالياء والضمير

له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما نحن فيه من الاماكن او الاحايين
لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره وما كان ربك نسيا
اي ناسيا لك اما فلك الخبر لما فيه وفيه وجه انشاء صيغة المبالغة في تعبير فعله
رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل
من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول عليه السلام مرتب على ما تقدم اي لما عرفت
ربك بانه لا ينبغي ان ينساك فاثبت لاجل عبادته واصبر على مشاقها ولا تضطرب بابطاء
الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد
والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك فالعبادة كالقرن اصطبرها الا انها اصطبر عليها هل تعلم
له سميا اي لا تستحق مثله على سبيل الانكار بعد ذلك كما يقتضيه استحقاقا لغيره بالعبادة
وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد غيره يستحق العبادة لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان يعني ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال
ايبعث بعدما نصير كذا فنزلت ولا وجه لارادة الجنس باسره اذ لا يحسن اسناد القول
مسندا من البعض الى الكل الا انا اسند نعته بما ظاهرهم او رضيتهم كما في قول الفرزدق

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ۞ نبا بيدي ورقاء عن راس خالد

ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل
ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم وانتصابه بفعل دل عليه
اخرج لا به لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها وهذه اللام اذا دخلت على المضارع
تخلص معنى الحال تؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل
معنى الحال وما في ائذا ما للتوكيد ايضا فكانه قال احقا انا سنخرج من القبور احياء حين
يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد أولا يذكر الانسان عطف على
محذوف تقديره اينكر ذلك ولا يذكر وانما اظهر الفاعل على استعماله بالمشابهة
تذكيرا لما فيه لانه للانسان يعني اول الناس او التابعين على يقول وتوسيط الهمزة
بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر
بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه وقرئ يذكر من الذكر انا خلقناه ارادخلق
ما نشأ وانه الخلق من قبل اي خلقنا اياه من قبل حلقة ولم يك شيئا بل كان عدما
صرفا فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها وقرئ يذكر
من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك قسم بالله تعالى مضافا

الي جنبيه عليهما السلام تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول عليهما السلام لنحشرنهم اي المنكر
للبعث لابد من هذا التخصيص لان لحاق الكلام لا يحتمل التعميم والشياطين عطف او مفعول معه لما
علي وعن قوله تعالي ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين انهم يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا جمع الجاثي وهو الذي يبرك علي ركبتيه يعني انهم يساقون الي جهنم من الموقف الي
شاطي جهنم فتقر جثيا حال من ضمير مخصوص من مضيق السوق ثم لننزعن عن الزمع اخراج الشيء مما
كان متصلا به او ملابسا له من كل شيعة الشيعة الجماعة المتعاونون علي امر من الامور ايهم
اشد علي الرحمن عتيا تمييز واصله المصدر جراءة او تمردا اي ايهم اكبر جرما فالاكبر
مبني علي الضم عند سيبويه لان حقه ان يبني كسائر الموصول لانه اعرب حملا علي كل وبعض
للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الي حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك
قرئ منصوبا او مستتر مبتدا محذوف ومرفوع عند خبر مبتدا لا بالابتدا علي انه استفهام وخبره
اشد والجملة محكية وتقديره الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او تعلق
لننزعن لتضمنه معني التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع علي من كل شيعة علي زيادة
من او علي معني لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعني تشيع وعلي للبيان او متعلق
بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين كيف بالعلم عن ايقاع العقوبة اي نحن نبدا بعذ
الاحق فالاحق وحق هذه الكناية الدالة علي انه تعالي في ذلك النزع لا يقسم شيا في غير حق
هم اولي بها احق بالنار صليا تمييزها دخولا او الباء يتعلق او اولي الذين هم اولي بالصلي
او صليهم اولي بالنار فيجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤسا الشيع فان عذابهم مضاعف
لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات من الغيبة الي الخطاب للابتداء من الرسول
الخاصة الي الحال العامة الا واردها اي وان منكم احد الا داخلها والورود في اللغة الوصول لا
المراد هنا الدخول بطريق الكناية كما في قوله تعالي فاوردهم النار وقوله كما تعالى لو كان هؤلاء الهة
ما وردوها لقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقي بر ولا فاجر الا دخلها فتكون علي
المؤمنين بردا وسلاما كما كانت علي ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفى
لهبي وهذا الظاهر من حق له ثم حيث قال ونذر ولم يقل ندخل والاية فيه وقوله تعالى ان
الذين سبقت الاية لان معناه انهم سيبعدون عن النار لا عن موضعها وهو كذلك فانهم يعدون
وان النار وخاصة علي ما ورد في الخبر ولذلك لا يسمعون حسيسها وقاية ادخالهم النار لينا
الحسنى علي ابراهيم كان ورودهم علي ربك حتما مقضيا الختم العظيم الا من نزل

حكم من الله والمقضي الذي قضي بانه يكون وما كان المتبادر الي الوهم من قوله تعالي كان عليه
حتما الوجوب علي الله زاد قوله مقضيا دفعا لذلك الوهم فيه الدلالة علي انما ذكره
تعالي فيكون ان الكلام المذكور مشتملا لتحقيق الاوزم الناشي عن الفضل المنبي فلا وجوب
ولا ايجاب بالامر الا لا بغيره ثم ننجي الذين اتقوا الكفر فيساقون الي الجنة ونذر
الظالمين ونترك الكافرين فيها جثيا جاثين علي الركب للتخاصم كما قال تعالي ان ذلك لحق تخاصم
اهل النار كذا قالوا انهم يتحاجون في النار بغلاف لا يدل فيه علي ان المراد بالورود والجثو حال اليه
وإذا تتلي عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني في نفسها او مبينات
الرسول له او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين
خير مقاما بالفتح موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم وهو موضع الاقامة
والمنزل واحسن نديا مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعني الاية انهم لما سمعوا الايات الواضحات
وعجزوا عن معارضتها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها علي فضلهم
وحسن حالهم عند الله تعالي فرد الله عليهم بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن
كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم
هم احسن في موضع الصفة لكم او لقرن والواو اعتبارا بمعناه وقيل في محل النصب صفة كما
وتركتهم كان احسن نعتا علي الوصفين ودل علي انهم نعت علي اذا كم الخبر لانه تصف بها ولا
يوصف بها اثاثا تمييز للنسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدد من الفرش ورئيا منظرا
حسنا فعل بمعني المفعول من رايت كالطحن وقرئ وريا بغير همز علي قلب الهمزة
اوالي الراء الريا الذي هو النعمة وريا علي القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي كما
المنظر والزي الهيئة فعل من زوي اذا جمع لانه لا يليق الا بما يجمع ويستحسن
عن لبس منسقة ومهابة مشعشعة لما كان كلاهما بالفريقين مخبرا نعتا كلاما المختلط المغلوب
المفحم الذي لا يجد ما يصلح للجواب فيستقل الي امر اخر يدعي به الفضل والغلبة بدعوي فيعرض
كلامهم بهذا بمن هو كذلك من اهلكنا ثم يبين ان تنعمهم في الدنيا استدراج لهم لا يدل علي الفضل
والرفعة وان الفضل هو السعادة في الاخرة بقوله تعالي قل من كان في الضلالة وهو
سبيل علي القابلية لذلك القول بالضلالة وهو تعميم وبيان ان ما دعاهم الي ذلك القول
هو غاية التعمق في الضلالة والخيمة او الاستقرار فيها فليمدد له الرحمن مدا من
لانها شرطية وهذا الامر بمعني الخبر اي من كان في الضلالة يمده الرحمن يعني يمهله ويملي له في العمر
ليزداد طغيانا ومكرا وضلالا ولا يقول لنا انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج علي لفظ الامر ايذانا

بانه مما ينبغي ان يفعل كالمامور به استدراجا وقطعا لمعاذيره حتى اذا راوا ما يوعدون
غاية مفصلة ببيان لاخير مقاما وما بينهما اعتراض اي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان
يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر
واما الساعة اي القيمة وما ينالهم فيها من الخزي والنكال فهما بدلان مما يوعدون فسيعلمون
من هو شر مكانا من الفريقين واضعف جندا اعوانا وانصارا اي فحينئذ يعلمون ان الامر
على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف
حالهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى وان يتصل بما يليها فالمعنى ان الذين
في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها الى ان يعاينوا نصر الله المؤمنين او
حلول الساعة ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على فليمدد لانه في معنى
الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المهتدين اي المؤمنين ثباتا
على الهدى او على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة
الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد
به ما هو خير وعوضه منه والباقيات الصالحات اي الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد
وكل الصيد في جوف الفرا خير عند ربك ثوابا عائدة مما للنعم الفانية التي يفتخرون بها
كيف ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا
مرجعا وعاقبة والتفضيل تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا افرأيت الذي كفر بآياتنا لما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها
استعملوا ارايت في معنى اخبرني والفاء للتعقيب اي اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك
وقال لاوتين جواب قسم مضمر مالا وولدا وقرئ ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه
كالعرب والعرب اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه الهمزة للاستفهام
وبلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب فنظر في اللوح المحفوظ فراى في منيته ام اتخذ عند الرحمن عهدا
موثقا ان يؤتيه ذلك روي ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الاجرة
فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة فاقضيك ثمة فاني اوتى مالا وولدا
حينئذ فنزلت ان قوله لاوتين لا يتاتى الا لمن ... حينئذ كلا ردع وتنبيه
على الخطا اي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه سنكتب ما يقول سنظهر انا
كتبناه له على طريقة قوله ❁ اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ❁ اي يتبين اني لم تلدني
اي لان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

وقيل هذا على طريقة قول المتوعد الجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتقام وان
تطاول به الزمان لا ان حرف التنفيس مجرد هنا للوعيد ونمد له من العذاب مدا ونطيل
من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه ولذلك اكده بالمصدر
لفرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد المذكورين لا اشتمال القول عليها في نرثه
ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونوا
لهم شفعاء عند الله وزلفى لانه ... الصدد كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون
بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون والله ما عبدتمونا انتم كاذبين
او ينكر الذين اتخذوها المشركين اي يكفرون بها كالتي تلحق الذين يكونوا قد عبدوها
كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا خصما لان الله تعالى ينطقهم فيقولون
يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع في معنى
هم عزا او المراد ضد العز وهو الذل والهوان يكونون عليهم ذلا ... على غير
انه يكون لهم فيكون عليهم ... ويكونون كالفريقين لهم
بعد ان كانوا يحسبونهم ... ذاتهم ... الملائكة
ونظيره قوله عليه السلام وهم يد واحدة على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا
في الوقف او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا
سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء
وتعديته بعلى لتضمينه معنى التسليط ... تؤزهم ازا تغريهم وتهيجهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد
تعجيب ... والمعنى تهيجهم الشياطين وتسوقهم الى المعاصي
بتسهيلها ... اي ... فلا
تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم انما نعد لهم ايامهم
... في مقام التعليل ... ان يكون الاول ... لا ... قليل
اي لا تعجل ... المحصورة ... بعيد ... الكلام
المقام عدا ... يوم نحشر المتقين الحشر ...
... يوم ... يحشر ... الاثنين ...
الى الرحمن ... هذه السورة ... الكلام فيها ...

نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها **وفدا** الوفد جمع وافد كركب جمع راكب
حال من المتقين **ونسوق المجرمين** الكافرين بسوق الانعام لانهم كانوا اضل منها **الى جهنم وردا**
عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقته الورود والمسير الى الماء فسمي به الواردون
ذكر المتقين بانهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم
والكافرين بانهم يساقون الى النار كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم
لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المجرمين والمتقين لانحصارهم
فيهما **الا من اتخذ عند الرحمن عهدا** استثناء فيها كقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن من تحرزهم عهدا لا شيئا في فلان بكذا اذا امر به ومحله الرفع على البدل من ضمير يملكون
او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين
اي لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند الله عهدا بالاسلام ليستعد به ان يشفع لهم **وقالوا**
اتخذ الرحمن ولدا اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله ولا وجه لانا
هذا النزول الى الكلام لانكار بعضهم ووقوع المشاجرة فيه فيما بينهم على ان في هذا الالتفات
نوع تسلية للمسلمين وهم بذا لعنه **لقد جئتم شيئا ادا** على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل
عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطه والتنبيه على عظم ما قالوا والاد بالفتح والكسر العجب
وقيل العظيم المنكر والادة الشدة **تكاد السموات** تقرب **يتفطرن** بالنون للانفطار
من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه مرة بعد اخرى فكان ابلغ **منه** من عظم هذا القول
وتنشق الارض وتخر الجبال وتسقط **هدا** اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له لانها
تهد والهد الهدم بشدة صوت وهو تقرير لكونه ادا اي بلغت هذه الكلمة من فظاعتها وعظمها
وهدمها لاركان الدين انها لو فرض بلوغها الى الرضى تعالى تشبيها بصورة محسوسة لو تجسمت مثلها في
الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم وتنشق من شدتها او كادت تلك الاجرام تنفصل وتخر
من غضب الله تعالى على من تفوه بها لولا حلمه وان هذا الاركان العالم عليه اشتغلا
من فظاعتها **ان دعوا للرحمن ولدا** منصوب بتقدير حذف اللام وافضاء الفعل اليه بتعليل
الكندودة او الهد اي هدا لان دعوا علة الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن او مجرور بدل
من الضمير في منه اي من ان دعوا او على اضمار اللام لتعليل او مرفوع على انه فاعل هدا اي هدها دعاء
الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين
اقتصر على احدهما **وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا**
قيل لا يليق به اتخاذ الولد ولا يطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل الا المحال

الحال

المحال فيصير ان يتطلب الى تحقيق تنزيه بتحقق الطلب المحال ولعل التعليل المذكور لا يتم التقريب
وفائدة تخصيص الرحمن بالذكر تكرير مرة بعد اخرى انه اسم مختص بالواجب بالذات
باعتبار افاضته الوجود واصول النعم على الكل كما قيل فليتكتف عن يصير له عطاء فانت
وجميع ما عندك عطاء فكل ما عداه نعمة او منعم عليه ولا يجانس من هو مبتدي النعم والولد
يجب ان يجانس الوالد فلا يمكن له ولد فمن نسب اليه الولد فقد شبهه بخلقه واخرجه عن
استحقاق اسم الرحمن ولهذا اقتصر على الفعل الثاني على تعبير تعلق صحة الدلالة على
العموم ولاحاطته بكل ما يصلح له الولد لا انتفاء المناسبة بشيء ما خلقه له **ان كل من** نكرة
موصوفة صفتها **في السموات والارض الا** وخبر كل **اتي الرحمن** وحكاية ان آتيه حالا على لفظ
كل وهو اسم فاعل مبني على ... وهو مستقبل اي يأتيه ويلتجئ اليه **عبدا** حال اي خاضعا ذليلا
منقادا والمعنى ما كل من في العالم من الثقلين والملك الا وهو يأتي الله تعالى يوم القيمة
مقرا بالعبودية نفي والبنوة متنافيان فتجعل تلك الاية يتحقق عليه وهذا التصريح لعل
ما تقدم الفرائد **لقد احصاهم** لا احصا الحصر والضبط اي احاط بهم بحيث **وعدهم عدا**
اي على تفاصيلهم وعدا عددهم فكانه عدهم باشخاصهم فلا ذي فلا ذي وانه منتهى عن الحاجر الى
العد **وكلهم اتيه يوم القيمة فردا** منفردا من الاتباع والانصار فلا ينبع منهم
يعبد الحد يخذله ويتبعه لا مع الكابا حديث يتعلمه ويعربه ويتبعه **ان الذين امنوا وعملوا**
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في قلوب الناس مودة بلا ... بل الله
تعالى لعباده الخاصة فقال قتادة ما اقبل العبد الى الله تعالى الا اقبل الله بقلوب العباد
اليه وللفظ الرحمن ها هنا خصوصية تظهر بالتامل في قوله صلى الله عليه وسلم قلوب بني
ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء والسين اما لان السورة مكية وكانوا
حينئذ بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دخل الاسلام او لان الموعود في القيمة حين
تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل **فانما يسرناه** سهلناه
بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين والفاء لتسبيبه لان ما قبلها دلت على ان
شان الكفرة اباهم لا يصرهم ... فقال له لا تحف ... اليه **لتبشر**
والمعنى **لتبشر به المتقين** الصائرين الى التقوى **وتنذر به قوما لدا** اللد
جمع الالد وهو شديد الخصومة بالباطل ... في كل امر اي شديد الخصومة اللجاج والمحل
وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار وتحسير للرسول عليه السلام على
انذارهم **هل تحس** تحسه اذا شعر به ومنه الحس والمحسوس **منهم من احد** فعل ترى

منهم احدا او تسمع لهم ركزا الركز الصوت الخفي واصل التركيب الخفا ومنه ركز الرمح اذا
غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون اي فقد ذهبوا فلا عين لهم ولا اثر فكذا هولاء اذا
اعرضوا عن تدبر ما انزلنا اليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم

سورة طه عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

طه روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطا وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فظاهره ان لا
تلحق ما هو المذكور في سورة البقرة وقرئ طه على انه امر للرسول عليه السلام بان يطا الارض
بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت همزته الفا وعليه
يحتمل ان يكون اصل طه طا ها ولا التفت لذلك الى الامر والها كناية عن الارض ويبنى هذا
الوجه والتفسير بان هذا كتبها على صورة الحروف الا انه كتبت بنظري
الكلمتين وعبر عنهما بالاسمين ما انزلنا عليك القران لتشقى ان جعلت طه تعديدا لاسما الحروف
فهو ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة والقران احتمل ان يكون خبرا عنها وهي في موضع
المبتدا والقران ظاهر وقع موقع العائد تحقيقا او ان يكون جوابا لها وهي قسم وان جعلتها ندا
فهو منادى وان جعلتها جملة امرية وتحكية باضمار مبتدا وطائفة من الحروف محكية فهو مستانف
لتشقى لتتعب بفرط تاسفك على كفر قومك وتحسرك على ان يومنوا وما عليك ان لا يومنوا اذا
لم تفرط في ادا الرسالة وبكثرة تهجدك وطول قيامك اي ما بعثت لتنهك نفسك وتذيقها
المشقة الفادحة فانما اخفنا عليك وانما بعثت بالحنيفية السمحة السهلة والشقا جا
في معنى التعب ومنه اشقى من رائض مهر وسيد القوم اشقاهم وفيه اشعار بان القران انما
انزل عليك لتسعد وهو الوسيلة الى نيل كل فوز وسعادة فلا يتعظ الموجب للشقاوة وقيل
رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران
انزل عليك لتشقى به الا تذكرة نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن ليكون تذكرة او على
الحال اي الا مذكرين او على المفعول له اي الا لتذكر وانما جا باللام في لتشقى لانه ليس
لفاعل الفعل المعلل فاتى بحرف التعليل فانتصب تذكرة لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون بدلا من
محل لتشقى لاختلاف الجنسين الا ان يجعل التذكير نوعا من الشقا اي ما انزلناه لتشقى
بالرياضة والتهجد او تتعب بالتاسف والتحسر على ما انهما انما انزلناه لتتحمل مشاق التبليغ
ومتاعب التذكير ومقاولة العتاة المجاحدين ومقاتلة اعدا الدين وسائر كلف النبوة
لمن يخشى لمن يصير الى الخشية بما يلقى عليه ويرق قلبه الذي يعلم الله انه ينتفع به تنزيلا بدل من

تذكرة اذا جعلتها الا مفعولا له لفظا او معنى لان الشي لا يعلل بنفسه ولا بنوعه او نصب على
المصدر باضمار نزل او بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكيرا او على المدح
او الاختصاص او على انه مفعول به ليخشى تنزيلا من هو تنزيل بالرفع اي هو تنزيل ممن خلق
الارض والسموات العلى صلة لتنزيلا او صفة له اي تنزيلا كائنا من الله تعالى والعلى جمع
العليا تانيث الاعلى وتخصيصهما بالذكر لانهما اصل الاكوان وفي الاخبار عن الواحد المتعالي ثم بتنكير
تنزيلا للتعظيم والاشعار بالترجيح حيث لم يوصفهم بالالتفات من التكلم الى الغيبة لاشتبا
التنبيه على عظمة شانه وبتفخيم الكلام ثم باجرا الصفات العظام العجيبة على تنزيل
وايرادها بالوصول الى ذلك الاسم بوصفه للسموات بالعلى الدال على علاه تعالى لفنها
ثم باجرا صفات العظمة والتبجيل كالنعوت بوجوه كثيرة وطرق مختلفة وترتيب صفاته
تنبيها ايضا فقدم اولا بايجاده لاصولها الكاملة وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر
نفعا واحتياجا الى التمام اشارة الى وجه الحكمات الكاينات وتدبيرا امرها بذكر استوائه على العرش
واجرا الاحكام وانزالها لاسبابه على الترتيب الذي اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته
فقال الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن او بدل من فاعل خلق على العرش خبر مبتدا محذوف
وعلى الاول يجوز ان يكون لخبر بعد خبر استوى كناية عن الملك لانه الاستوا على العرش مما يرادف الملك ومما
يتمكن من الملك الا من يستقر على سرير الملك واستعمله في موضعه واشتهر كالمراد به في
المثال ومنع في افادة المعنى مع تصور العظمة وتخييل الابهة والسلطنة والتمكن في ملكه وان
لم يقعد قط على السرير له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
ما تحت السبع الارضين فان الثرى الطبقة الترابية من الارض وهو طبقتها وهو ما تحت الجلد تجري
مجرى البيان من الاولى لانه يدل على كونه ملكا مطلقا قادرا وتصرفه له ما في السموات
تفصيل لذلك وتقرير له ولما كان ذكر ما دل على ملكه وكمال قدرته واراد تعقيبه بما دل
على كمال علمه واحاطته جعل مقابلا للاول على اعلى بالسول المتلازم تلك الصفات فيه وما يتبعه
تصنيع على الجليل فقال وان تجهر بالقول من ذكر او غيره مما اخفيه
جوابا الشرط اي فاعلم انه تعالى غني عن جهرك وانما تعليله فقال مع وعوده فانه يعلم السر
واخفى اي ما اسررته الى غيرك وما هو اخفى منه اي ما اخطرته ببالك واضمرته في نفسك
وما هو اخفى منهما لم يخطر ببالك من الغيب المستاثر هذا مما قالوا وعندي ان علم السر والخفي
كناية عن استغنائه عن الجهر بالقول والحذف وانما شرع تعليم العباد وان الجهر وخفض
النفس للتضرع والجوار وانما نهى عن نطاق الذكر باستغفارها لا لاعلام الله بذلك

وأسماءه وفيه تنزيه عما يوهم بالبراءة عما لا يليق به من الصفات الكمالية ووصفه بما لا يمكن أن
يتصف به غيره من صفات الألوهية والربوبية تصريحا بالتوحيد وتصريح بأنه المتفرد بها المتوحد
بمقتضياتها فقال **الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى** أي هو واحد لأنه
وإن افترقت عبارات صفاته ترد إلى ذاته تعالى [illegible] حين جمع أسماءه تعالى والحسنى
تأنيث الأحسن لدلالتها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها **وهل أتاك** استفهام تقرير بعثا على
الإصغاء لما يلقى إليه **حديث موسى** في خطابه بقصة موسى عليه السلام ليقتدي به في
تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الشدائد بتبليغ الرسالة فإن هذه السورة من أوائل
ما نزل وهذه التقفية مرجحة لكون التذكرة نصبا على الاستثناء المتصل **إذ رأى نارا**
ظرف للحديث لأنه حدث أو مفعول لاذكر مضمرا [illegible] **فقال لأهله**
امكثوا البثوا مكانكم **إني آنست نارا** أبصرت إبصارا بينا لا شبهة فيه ومنه الإنس لظهورهم
وقيل هو وجدان ما يؤنس به ولما كان الإيناس محققا أتى بكلمة إن ليحقق لهم ليوطنوا أنفسهم
عليه بخلاف الإتيان بالقبس ووجدان الهدى على النار فإن كلا منهما مترقب متوقع فبنى الأمر فيه
على الرجاء والطمع فجاء بلعل والقطع بالإيعاد بما لا يستيقن الوفاء به **لعلي آتيكم منها بقبس**
أي بشعلة النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة ونحوهما وقيل جمرة وشررة [illegible]
أخرجها بعضهم **أو أجد على النار** معنى الاستعلاء على النار أن أهلها مشرفون عليها عند
الاصطلاء بها [illegible] أو مستعلون المكان القريب منها **هدى** أي هاديا لأنه إذا
وجد الهادي فقد وجد الهدى أي الطريق [illegible] لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه
جميعا لم يعدم واحدا منهما **فلما أتاها** أي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء **نودي**
يا موسى هو تكليم الله تعالى إياه ونودي بني للمجهول [illegible] **إني أنا ربك**
وقرئ بالفتح أي نودي بأني ومن كسر أجرى النداء مجرى القول لأنه ضرب منه وتكرير الضمير للتوكيد
الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة قيل لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى
أنا ربك فوسوس إليه الشيطان لعلك تسمع كلام الشيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله
تعالى بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع أعضائي [illegible] أسمعه من جميع الجهات الست
[illegible] من جهة واحدة لا من
جميع الجهات **فاخلع** الخلع نزع الملبوس [illegible]
[illegible] **نعليك** [illegible]
[illegible] ولذلك كان السلف يطوفون بالبيت حافين [illegible]

بقوله **إنك بالواد المقدس** دال على أنه لأجل احترام البقعة وتعظيم لشأنها [illegible]
علته التعليق على النداء المذكور [illegible] بالتواضع لله تعالى
والتأدب مقتضى للنداء لكن هو لا يخلو عن الاستعارة [illegible] بركة تلك البقعة مدخلا للورود وبذلك
النداء العظيم للتأدب فيها وقيل لنجاستهما فإنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل [illegible]
بركة الوادي المقدس [illegible] الوادي [illegible] الجبل [illegible] المجرى المعظم من مجاري
الماء المقدس المطهر **طوى** علم للوادي فيكون بدلا أو عطف بيان [illegible]
[illegible] معنى البقعة وقيل [illegible]
أي قدس مرة بعد أخرى [illegible] نودي نداءين **وأنا اخترتك** اصطفيتك للنبوة وقرئ [illegible]
وأخترنا [illegible] **فاستمع لما يوحى** اللام متعلقة باستمع أو باخترتك
وما موصولة أي للذي يوحى إليك أو مصدرية أي للوحي **إنني أنا الله لا إله إلا أنا**
فاعبدني بدل مما يوحى [illegible] التوحيد [illegible] بالإبهام [illegible]
بقوله إنني أنا الله [illegible] دال على أن الوحي مقصور على تقرير التوحيد الذي هو
نهاية العلم [illegible] تخصيص العبادة بالله الذي هو كمال العمل [illegible]
الضمير وتكرير معناه بالتهليل [illegible] **وأقم الصلاة** عطف الأمر بإقامة
الصلاة على الأمر بالعبادة مع تخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات تنبيه على فضلها
وشرفها [illegible] فلذلك علل إقامتها بالذكر
لذكري فإنها توجب شغل القلب واللسان بذكر الله تعالى [illegible] أو لأني ذكرتها
في الكتب وأمرت بها أو لأذكرك بالمدح والثناء [illegible] أو لذكري خاصة غير مشوب
بذكر غيري [illegible] ذكر غيري [illegible]
ذكري وهي مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتي لما روي أنه عليه السلام قال من نام عن صلاة
أو نسيها فليقضها إذا ذكرها فإن الله تعالى يقول أقم الصلاة لذكري على حذف مضاف
[illegible] ذكر الصلاة [illegible] **إن**
الساعة آتية [illegible] كائنة لا محالة **أكاد أخفيها** [illegible]
[illegible] الحكمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قراءة أبي الدرداء رضي الله عنه أخفيها بالفتح [illegible]

قيل انه من الاضداد والحق ما يحكى عن ابي علي انه من باب السلب **لتجزى** متعلقة بآتية
وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير **كل نفس** يجتني من العمل للساعة بجز
قوله **بما تسعى** السعي كناية عن الكسب **فلا يصدنك** الصد الصرف عن الخير خاصة **عنها** عن
التصديق بالساعة او عن الصلاة **من لا يؤمن بها** فالمراد نهي الكافر عن صد موسى عليه السلام ان
نهيه عن الانصداد عنها وهكذا اكثر ذلك لا ارينك ههنا في النهي عن السبب والنهي عن
المسبب المنتفي وفيه تنبيه على انه عليه السلام لو خلي وفطرته السليمة لكان مصدقا بها
غير معرض عنها او بعثه عليه السلام على الصلاة ثم في الدين ومنه التشكيك فيه وتحريضه
عليها فان صد الكافر اياه مسبب عن ضعف عقيدته ولين شكيمته فنهى عن السبب للنهي عن
المسبب ينبغي لك ان تكون صلبا في الدين راسخا في الاعتقاد ونبه به على **واتبع هواه**
على انه سلك طريق العقل واتباع الحجة يوجب التصديق بالبعث والساعة وانما انكرها وانكار
بها انما يكون لغلبة الهوى واتباعه والهوى ميل النفس الى محبوباتها ملتهيا عنه وهو الحق
فتردى جواب للنهي ولا تعارض يجده الجواب وتردى جوابا للنهي علامة النصب فيه
مقدرة في الالف معناه فتهلك **وما تلك** استفهام ضمن تنبيه ايقاظ لما يريه فيها من الآيات
العجيبة الدالة على القدرة الباهرة قيل الحكمة في هذا السؤال بسطه فقد كانت الهيبة تبعته
ولا تدل على ما كان عليه لعله كان لا ينبغي بالا يتحمل الطاقة بسماع كلامه حين نادته بسماع
الخطاب فاجاب بما سئل وسأل السائل الاطناب **بيمينك** حال من تلك والعامل فيها معنى
الاشارة كما في قوله هذا بعلي شيخا وجاز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك قيل انما
لم يقل بيدك لانه كان بيساره خاتم فلاجل تعيين الجواب للاشتباه **يا موسى** تكرير لزيادة
التبيين والاستيناس **قال هي عصاي** قرئ عصي على لغة هذيل **اتوكأ عليها** اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على راس القطيع والتوكؤ على الشيء التحامل عليه في المشي والتكفؤ ونحو الاتكاء وكان
فانكار ينبغي وجد **واهش بها** اخبط الورق وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر
لهشاشته **على غنمي** على رؤوسه تاكله ومعنى على كثرة ما هشها لينبت الهش وهو زجر الغنم اي اهش عليها
لاجل ما تقدم في الجواب متعلقه بنفسه ترشيحا بحقه بالشيئيه **ولي فيها مآرب** الارب
الحاجات عافيتها وان كانت جمعا لما كانت الواحدة المؤنثة فما بعدها صفتها في قوله **اخرى**
ولم يقل اخر رعيا للفواصل وهو جائز في غيرها فكان فيها الوجز والحسن وقيل فهم موسى عليه
السلام من سؤال الدنيا الحق انه سيحدث في العصا امرا عظيما فذكرها هنيئها وفضل بعضها
وخلوصها فلما استقال الكلام تشعر من الادب فاجمل وقيل انما اجمل ليسأله عن تلك الا

فيكون

فيكون زيادة في اكرامه والغرض من ذكرها بيان منافعها انها ليست الا عصا تنفع منافع
كسائر العيدان ليكون انجلاء ما سيظهر فيها المعجزة من خوارق كلام ربه حتى اذا وجدها على خلاف
حقيقتها وخواصها مما ذكرنا لا من الخارقة العادة ظهر انها معجزات باهرة وآيات ظاهرة
حفته الله تعالى بها واكرمه **قال القها يا موسى** انما امر بالقائها لانه اضافها الى
نفسه بقوله عصاي فاراد ان يقطعها عنه **فالقاها** طرحها على الارض وقد مر في سورة
الاعراف بيان تاويل الالقاء **فاذا هي** اي فحصلت في الحال **حية تسعى** الحية اسم الجنس
يقع على الصغير والكبير والذكر والانثى والحية التي بشر عظيمة وحققنا ذكره قيل لما
القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى
المبدا وثعبانا اخرى باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وكان هذا القلب
غافل عن عبارة كان في قوله تعالى كانها جان لانها في حالة في التشبيه وعدم كون ثعبانا
حقيقة وربما الحال رقيب المخرجين بين سلطانه وقد بين لمن تعلم انه تحقق منع الله الاخذ فيما
المعتد **قال خذها** تناولها بيدك **ولا تخف** الخوف انزعاج النفس بتوقع المضرة لما راى
موسى عليه السلام ذلك الامر العجيب الهائل مكنه من الفزع والنفار ما يلحق البشر عند الاهوال
والمخاوف حمته بينها كما اخبر عنه بقوله ولى مدبرا ولم يعقب فامنه الله تعالى بالاقدام
على اخذها نهاه عن ان يخاف منها ولما قال ربه لا تخف بلغ من الامن وطمأنينة النفس انه ادخل
يده في فمها واخذ بلحييها كانه صيغة التكليف صيغة التكوين وقد حققنا في سورة البقرة
ان النهي كالامر يتنوع الى التكليفي والتكويني وحكمه انقلابها وقد سبحانه حق لما اخذها عادت كما كانت في
ذلك الوقت **سنعيدها** الاعادة رد الشيء الى ما كان عليه اولا **سيرتها الاولى** هيئتها وحالتها
المتقدمة السيرة فعلة من السير كالركبة من الركوب فيقال لما يكون له سيرة حسنة ثم اتسع
فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سيرتها الاولى منصوب ان ينتصب على الظرف اي
في طريقتها الاولى حال كونها عصا او على نزع الخافض او على انه مفعول به ان جعل عاد
منقولا من عاد بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او بتضمين فعلها اي سنعيدها
سائرة سيرتها الاولى فعصا ينتفع بها كما كنت او على انه بدل الاشتمال من الضمير المنصوب في
سنعيدها اي سنعيد سيرتها الاولى **واضمم يدك الى جناحك** تحت العضد واخا
الى الجنب على ما اخترته في موضع اخرى لكل ناحية جناحان كجناحي العسكر الجنب
الانسان جناحا استعير من جناحي الطائر سميا جناحين لانه لا يجنحهما عند الطيران اي
يميلهما والجنب جنوح الاستمالة قيل المراد بالجناح العضد على ذلك قوله **تخرج**

وبرقة قوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج لانه صريح في ان المراد الدخول في الجيب
والخروج منه بيضاء مشرقة مشعة قيل كان موسى عليه السلام آدم فاخرج يده بيضاء
لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر من غير سوء متعلق ببيضاء كانه قال ابيضت من غير
سوء كالبرص والداء والقبح في كل شيء كنى به عن البرص لانه تستقبح التصريح به عن خلقته ومن شان
جوهر مما يستقبح ويستقذر لا يخبر انه لم يكن كذلك واما الكناية بمعنى البرص فيما هنا
المقام لانه ينبغي ان يحتمل في مقام الاعجاز نوع الكراهة فلا وجه للاحتراز عنه آية اخرى معجزة
ثانية وقوله بيضاء آية حال لان معناه صحيحه تخرج ويجوز ان يكون الثاني حالا من ضمير
الاول فيكونان من الاحوال المتداخلة او مفعولا نصب بمضمر نحو خذ حذف لدلالة الكلام
عليه لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بالمحذوف المذكور او بما دل عليه آية او القصة
دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة لآياتنا او مفعول ثان لنريك ومن آياتنا
حال اي لنريك الكبرى من آياتنا اذهب الى فرعون امر بالذهاب اليه بالآيتين الى فرعون
ودعوته انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية • تعليل وتعجب بالذهاب اليه
وتقليل بما بعد من تكبيره على صعوبة ما بعد به ليستلقاه بجميل الصبر وحسن الثبات
ولهذا التجأ اليه في طلب التيسير والتأييد وتوسيع الصدر والتشجيع قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري علما منه بانها ابرام في تعند التعلق فيه والتصريح بذكر الصدر والامر
للتأكيد والمبالغة في طلب الشرح والتيسير واحلل عقدة من لساني كان في لسانه
رتة لما روي ان فرعون حمله يوما واخذ بلحيته وكان مرصعا بالجواهر فنتفها جاذبا بعض
نواصيها من اليواقيت فغضب وامر بقتله فقالت آسية رضي الله عنها انه صبي لا يفرق بين الجمر
واليواقيت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمر فوضعها في فيه فاحترق لسانه فصار لكنة منها
ولعل لذلك افنا موسى عليه السلام باللحية من بين اهل الجنة على ما ورد في حديث جابر
رضي الله عنه وهو انه عليه السلام قال اهل الجنة جرد مرد الا موسى بن عمران فان لحيته الى
سرته ولما كانت تلك العقدة عارضة لانها حادثة كان المناسب طلبها التنكير حيث لم يحل
تكن من جنسيا هو المعهود وكان في طلب ازالتها من اللسان المنبه من الانفصال الخلقي ايضا
كان لذلك وقيل انما نكر لانه لم يطلب الفصاحة الكاملة وانما طلب حل بعضها الذي ان
يفهمونه فهما جيدا لان امر التبليغ لا يتم الا بذلك ولهذا علل بقوله يفقهوا قولي فان
التبليغ انما يحصل منه التبليغ ... في صيغة الحقد كانه قيل عقدة منه ... وصلة
لاحتمال واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هارون هو افصح مني

لسانا وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي كل من الاحتجاجين نظر اما الاول فلان
شهادة قوله هو افصح مني لسانا عليه لا له لان فيه دلالة على ان موسى عليه السلام كان
فصيحا غايته ان فصاحة اخيه كانت اكثر وحينئذ لا تكون مستعملة في الفصاحة اللغوية المرادفة
هنا بدلالة قوله لسانا واما في الثاني فلما مر انه لم يطلب حل عقدة لسانه مطلقا بل طلب
حل عقدة تمنع الافهام فلا دلالة فيه في حصول السؤل على زوال العقدة بكمالها نعم
قوله ولا يكاد يبين يدل على الاول لكنا نقول واجعل لي وزيرا ظهيرا اعتمد عليه من الوزر وهو
الثقل لانه يحمل عن الملك اوزاره ومؤنته او من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه
ويلجأ اليه امره او مفعلا بمعنى الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني
من اهلي ولي وزيرا مفعول له وقوله هارون بدل او عطف بيان لا يقال ان لا عطف متبوعه
في التعريف والتنكير وقوله اخي عطف بيان لا بدل لما ذكر لانا نقول ...
لا يتصور بعض عليه الشيخ ... الا اخيار او وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على اوله
عناية بامر الوزارة اشدد به ازري قوه به ظهري والشجاع يتمسك بالجموع ومثله
الربط والعقد والازر القطعة فيقال ازر بني فلان على امري اي كان لي ظهيرا ...
الاستعلاء القطعة لاكد الاجزاء واشركه في امري للاشتراك بالجمع بين التسبيبين او اكثر في
معنى الجمع اذ لم يجعل جاعل غير قدرة الله بين موسى وهارون عليهما السلام في النبوة
وقرئ به ازري ... على لفظ الخبر جوابا للامر ... على لفظ الامر للدعاء انه يتفق
على هارون ويجعل اخي ... كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا
فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده وقدم التسبيح وهو تنزيه الله تعالى
عما لا يجوز وصفه به على الذكر وهو ثناء عليه بما لا يليق به لان التخلية قبل التحلية انك
كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم المعين لي فيما امرتني
به وانه اقدر مني على الفصاحة وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى
اي السؤل المطلوب فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل اي اعطيت ما سألت ...
ذكر بتذكير منته عليه ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته بقوله ولقد مننا عليك مرة
اخرى الذي بعد تنقطع لها عنه ... عليه اذا اعطاه نعمة
تقطعه ... ومنه قولهم اخبز ممنون والمن الكره الراحلة من الكرة اخرى
... مرة اخرى بمعنى غير ... اذ اوحينا الى امك ... قال الجمهور
هو وحي الهام وقيل وحي اعلام ... ما يوحى ...

ذلك في المنام او على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين ما يوحى ما لا سبيل
الى العلم به الا بالوحي وما ينبغي ان يوحى لاستحالة ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ان
اقذفيه في التابوت بان اقذفيه جيبا ما او اقذفيه لان الوحي بمعنى القول او القذف فهو الرمي
البعيد المستلزم لصلابة المرمي واستعير هنا لمعنى الالقاء فاقذفيه في اليم اليم البحر
العذب المراد به هنا النيل فليلقه اليم بالساحل ساحل البحر شاطئه مسمى بذلك لانه
يسحله اي يقشره فهو فاعل بمعنى مفعول وكذا ونحوه وجمع ما تعلقت به الاوامر تفننا في وصول
البحر اياه بالساحل ذكر بلفظ الامر تشبيها للبحر بالمأمور المطيع امتثالا لما ورد عليه من امر
امر مطاع على طريقة الاستعارة بالكناية والجواب قوله يأخذه عدو لي وعدو له
مخرج جواب الامر مجزوما وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع
والاحسن نظما ان يجعل الضمائر كلها لموسى عليه السلام لا كما قيل ان في رجوع البعض الى
التابوت تنافر النظم الذي يبنى في الاعجاز لانه ممنوع كيف ولو كان قد ورد ما يخل بحسب النظم الرافع
في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم ان موجب ذلك عدم الحسن
بل عدم الصحة لا عدم الاحسنية بل لان المحدث عنه موسى عليه السلام لا التابوت وانما ذكر
التابوت على سبيل الوعاء والفضلة فالملقى للاخذ هو موسى عليه السلام في التابوت ولا حاجة الى
شرط الضمائر وانما الظاهر ان البحر القاه بالساحل فالتقطه منه آل فرعون روي انه فتح التابوت
فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني
متعلقة بمحبة اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لذلك احبك فرعون او متعلق
بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وعلى هذا يراد المعنى المذكور على الابلغ
الكناية او بطريق الاشارة وتنكير محبة للتعظيم او الابهام ولتصنع على عيني عطف على
علة مقدرة مثل ليتعطف عليك ونحوه او على الحذف مقدر عطف على الجملة السابقة اي وفعلت
فعلت ذلك قال الخليل يقال اصنعت الفرس وهو من صنيعتي وهو الذي احسن الى
القيام عليه ويقال فلان صنيع الذي قد احسن على عيني بمراعاتي لك كما يراعي الرجل ان
من صنع لانسان شيئا وهو ينظر اليه يصنعه له كما يحبه ولا يتهيأ له خلافه وقيل على عيني اي
على حفظي اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع بدل من اذ اوحينا على ان اذ واسعة الزمن
المتسع فتقول للذين يطلبون مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة على ما ذكر في
القصص فالفاء فصيحة لترتب المذكور على المقدر هل ادلكم على من يكفله على من يضمه الى
نفسه فيربيه وذلك انما يكون بقبول ثديها وانما ذكر اللفظ من فرجعناك فرددناك الى امك

كما نطق قوله انا رادوه اليك وباقي التفصيل في سورة القصص وهذا ايضا نتيجة
كي تقر عينها برؤيتك وقد مر تفسيره في سورة مريم ولا تحزن على فراقك مثل او انت
على فراقها ولا بفقدك بسياق الكلام في سورة القصص وينافيه ما يقتضيه لتعلم ان وعد الله حق
وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم الذي
نالك بسبب قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين
وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي كالثبور والشكور او جمع فتن او فتنة
على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في جمع حجزة وبدرة والفتنة المحنة وكل ما يبتلي
الله تعالى به عباده من نعمة او نقمة وهو محنة لقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ولا كثرة
استعماله في العرف فيما يشق على الانسان اي ابتليناك ضروبا من الابتلاء روى سعيد بن
جبير رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر
سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن
جبير والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة فكل هذا ما كان
فلبثت سنين في اهل مدين وهي مدينة شعيب عليه السلام وعن وهب
انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهرا لصفورا واقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها
حتى ولد له اولاد والفاء للتفصيل بعضها اجمل من انواع الفتنة ثم جئت على قدر يا موسى قدرته
وعينته وهو ما سبق في قضائي ان اكلمك واستنبئك في وقت قد وقته لذلك فما جئت الا على
ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل هو القدر الذي يوحى فيه الى الانبياء عليهم
السلام وهو راس اربعين سنة قال الشاعر

نال الخلافة اذ كانت له قدرا • كما اتى ربه موسى على قدر

يا موسى تكرير عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على انه المقصود واصطنعتك لنفسي اصطفيتك
لمحبتي وخصصتك بي تمثيلا لما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لبعض محاسن
فيه اذهب انت واخوك امر لموسى عليه السلام وحده بالذهاب مع اخيه حسبما سال لان يشرك
هارون عليه السلام امره اسعافا واجابة لدعوته على حسب ما عن وعن كلامه للتنبيه على ما انه
حيث غلب على هرون في الخطاب وقيل اذهبا الى فرعون خطاب لهما مشكل في اذهب الى كد
بانه قيل اذهب الى فرعون وهو بمصر فيلقاه وقيل بعد ما سمع بقبله فاستقبله بآياتي بمعجزاتي
ولا تنيا اي ولا تفترا ولا تقصرا واكثر التفسير في ذكري اي لا تنسياني حيثما تقلبتما

لان الخطاب معها لا مع ...

او في تبليغ الرسالة فان الذكر يطلق على عبادة والتبليغ من اجل العبادات او في تبليغ ذكري
والدعوة الي **اذهبا الى فرعون** تاكيد لقوله اذهب الى فرعون هدانت واخواتها بالتكرير
لهما للاعتنا بالدعوة اللعين ليكون فيه ابهام وتوضيح وتنبيه على سبب الذهاب اليه بالرسالة
من عند ربي اليه **انه طغى** اي جاوز الحد في الفساد ودعواه الربوبية **فقولا له قولا لينا**
مثل قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لانه دعوة في صورة العرض والمشورة
والاستفهام حذرا ان يحمله الحمق على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية وقيل كنياه
لا بد من هذه الزيادة كيلا تغره قوله الم نربك فينا فرعون الى موسى من رب العالمين خاصة
كانت امورا بالتكنية خاصة للمخاطب الملقب **لعله يتذكر او يخشى** متعلق باذهبا
اي على الرجاء امرا ان لا تقنطا والخشية موقنة ان لعل ليس لحقه لعلمه تعالى لكن امرهما باللين
على الرجاء فانه اذا كان الداعي راجيا فهو احرص على الدعاء وذلك ابلغ في الزام الحجة وقيل يتذكر
المتحقق ويخشى المتوهم اي يتذكر ان تحقق صدقكما او يخشى من العذاب ان لم يتحقق توهم ان يكون الامر
كما تصفانه والاخشى ان يتذكر المبدأ او ان يخشى المعاد اي يتذكر حالة نشاته صغيرة
عن تدبير نفسه وانه حادث بعد ان لم يكن موجودا فيرجع عن دعوى القدرة والربوبية او يخشى
عقابا بالله تعالى في دعواه ذلك **قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا** فرطا سبق وتقدم
ومنه الفارط الذي يتقدم الواردين ومنه فرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة
ويفرط من الافراط اي نخاف ان يعجل علينا بما يحول بيننا وبين اتمام الدعوة واظهار المعجزة
او ان يحمله على المعاجلة من استكباره وتجبره ان خوفه على الملك او شيطانه خفيا او النبيه من
النفس المتحرصة على المعاجلة بما ذكر او ان يفرط فيه وانما قالا ما عرفا علمه تنتقل بالعقوبة قبل
الاذن فيه ويحتمل انه سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما فانه مذكور
قبل هذا بدلا لا كذا فهو لم يستكمل وقد دل على انهما تحققا ذلك من عقوبته **او ان يطغى** اي يجاوز
الحد في الخطي في ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراته عليك وقساوة قلبه وفي الاطلاق
الطغيان مع تقييده فيه يقول عليها بطريق الرمز من حسن الادب والتحاشي عن التفوه بالعظيم
بالاجنبي وانما اخر لان من امر ... نحاوله دفعه الخطاب لا بدع وان يحمله اشياء قولا قوي
قال لا تخافا انني معكما المعية هنا بالعون **اسمع وارى** ما يجري بينكما وبينه
من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ولا فضل لا يبعد بعضها لعل السمع والرؤية يكون كنابة
في الحفظ اي حافظ ناصر سميع بصير والحافظ قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ
النصر وبلغنا الفعل عن المحفوظ **فأتياه فقولا انا رسولا ربك** خطابا بقوله ربنا وقالا له

انه من يوجب مملوك اذا كان من يدعي الربوبية وانما ليكيفا **فارسل معنا بني اسرائيل** اي اطلقهم
من الاستعباد كالبلاد ارسلت الصيد ولا تمنعهم عن اتباعنا **ولا تعذبهم** بتكليفنا الشاق كانت
بنو اسرائيل تحت ملكه فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة وتعقيب دعوى الرسالة
بالاطلاق بني اسرائيل لما فيه من ازالة المانع عن دعوتهم واتباعهم وهي اهم من دعوة القبط فلا
دلالة فيه على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان على ان الظاهر ان معاقد
فرعون يؤمن موسى عليه السلام انه انما امر لموسى عليه السلام في مبتدأ امره الا او لا دعوته
قد جئناك بآية من ربك جملة مبنية لقوله انا رسولا ربك لان الرسالة لا تثبت الا بالمعجز
بالمعجزة وانما وحد الآية وصحة لسانه لان المراد اثبات الدعوى بالبينة لا بيان تعدد
الحجة ووحدتها فكانه قال قد جئناك بحجة وبرهان على ما ادعينا من الرسالة كقوله قد جئتكم
ببينة من ربكم **والسلام** اي سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة الاقصى ذكر السلام يعني
الفضل يحصل السلام منا اهل الذين سلامه او السلامة من العذاب **على من اتبع الهدى**
على المهتدين وانا الذي بيانه وهو توبيخ خزنة النار او الخزي والعذاب على الضالين المكذبين
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اوحي مبني للمفعول لما تعلق الكل
ترتيب ما عليه مقصود تنبيه على ان ما بعدهما نعذبهما اوحي الينا لكينونة العذاب على من كذب
وتولى وتحميل النظم باستيفاء الكلام والتوكيد والتصريح بالوعيد لان التهديد في مبتدأ الدعوة
اهم ما عم **قال فمن ربكما** في الكلام حذف وايجاز تقديره فاتياه فقالا له ما امرا به
الى الاشنا لا يتفق فعلهما الا فيما للاثنين التبليغ فلا حاجة الى ذكره ووصفا نبياه ودعوى لا
بما امرا به تقرير ان الناقصة تصح عن تحقق عن تعاله عليهما سمعتكما فمن ربكما **يا موسى**
خاطب الاثنين وخص موسى عليه السلام بالندا لانه الاصل في الرسالة والدعوة وهارون
وزيره وتابعه ولما عرف من ان تعوجيه ونفسا حرصا الكون عليهما السلام نما راد ان يعجه فاستلب
كلامه دون كلامهما ارون عليه السلام المكر وكما يعرفه بذلك قوله انا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين فاجاب باستيفى جوابا بليغه واحصر لفظا واجمعه معنى حيث قال
قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه اي اعطى كل شيء من الانواع والاعضاء صورته وشكله
الذي يوافقها وجعل اليه من المنفعة كشكل الانسان والفرس والعين والاذن او اعطى خليقته
كل شيء ما حاجه اليه ومن تعقل بمعقدمة في الفعل لان المقصود بيانه وقيل اعطى كل
حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجه خلقه على الفعل للاصيجه الضافا اليه او المضاف
اليه لشيء والمفعول الثاني محذوف اي اعطى كل شيء ما يصلحه او يخلقه منعما به مما يليق به

ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى كماله الصوري والمعنوي طبعا
او اختيارا ولعله ضمنه بما عناه انه الموجد لكل شيء على وفق الحكمة المفيض على الكل كل ما يستحقه دون
بحسب الاستعداد لا الالات الهادي له الى مصالحه واستعمالها لانه في تحصيلها لانه هو الخالق
القادر الحكيم المتصف على الاطلاق الغني بالذات وجميع ما عداه مخلوق مربوب مسخر عليه منه
فلذلك بهت الذي كفر واحجم عن الاعتراض عليه صرفا للكلام عنه وشرع في قول الخرافي بسبيل
الروغان عن الاعتراف بما قاله موسى وما اجابه به والحيرة ولما تعذر قال فما بال القرون
الاولى ما تعتقد من حال القائلين على ان الرسل الحسنى على قول موسى عليه السلام على من
اتبع الهدى وان العذاب على من كذب قال علمها عند ربي ما العلم بحال الامم الخالية
والامم الباقية مما لم تعتن بعد المرتبة الجاري من موسى عليه السلام بانه غيب لا يعلمه الا الله
على الخصوص يعني الحفظ المستفاد من عبارة عند في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ وما كان
الاثبات في اللوح مظنة الحاجة الى الحفظ في الكتابة نفاه بقوله لا يضل ربي ولا ينسى
ولعله تعلق هذا من قال لا ينسى علم فيذكر الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق
يوافق تعلقه ومن ترتيبه لهذا قال ويجوز ان يكون تمثيلا لاستحكام علمه وثبته بما
استحفظه العالم وقيده بالكتابة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى لا يضل من ضللت الشيء اذا
في مكانه فلم تعلم به ولم تهتد ويضل من ضل اذا ضيعه والضلال تنزيل لكل ذهب على الانسان بما
ليس يتجه ان مثله يخبر الفعل ما اذا كان فيه فعل اصله بالالف والاصل في الاهمال علم عنه
ولا ينسى من نسيته اذا ذهبت عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات فيلزم
ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه كلها بالصور والخواص
المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم
وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى ومن عليهما ايانا مخصص
القرون الاولى من بين الكائنات انه لو حاط لحلها لكان الظهر واقوى في سنة ما ارادة
الذي جعل لكم الارض مهادا مرفوع صفة لربي او خبر لمبتدا محذوف او منصوب على المدح
وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به او جمع مهد
والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا سلك
بين الجبال والاودية اي جعل لكم سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها
وتقلبكم في البلاد لتبلغوا منافعها وما اعيدكم لان معناه فيما تقدم لا انتفاعكم

فان خير الانسان تعلق لك الخص بالذكر لا يشاركه في الانتفاع بالطرق بخلاف الانتفاع بتمهيد
الارض فانه لو ان النفس الاصل انتفاع الانسان فلذلك خص بالذكر وانزل من السماء ماء مطرا
فاخرجنا به اسند الله تعالى واخراجه عبارة عن ارادة التوليد والخروج لاستعداد المراد وله
لعل في ما به لما للتعبير عن ما في الارادة لانه الجي من الاولى وان تراجع الى المراد من
من الاول الى الخبر والغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى للتنبيه على
ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وحكمه لا يمتنع عليه شيء والتكلم عن الحكاية على ظهور اختصاصه
القدرة على ذلك بالله تعالى ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى صفة لازواج ويجوز ان يكون صفة للنبات
لانه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل وهو شتيت
وهم اشتات وشتى كما يقال جمع شت وشتى جمع شتيت كمرضى في المتفرقات في الصور والطعم
بالاختلاف في الطعم والشكل واللون والرائحة لا تنتهي يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم ولذلك
قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي ان ما يفصل من ارزاقكم
ولا يصلح لم يكن تعلق الانعام بهم والاباحة والاذن وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول
اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معدين لانتفاع بها بان تاكلوا بعضها
وتعلفوا بعضها ان في ذلك في المذكور لآيات دلالات لاولي النهى لذوي العقول
جمع نهية لانها تنهى عن القبيح والخطأ منها من الارض خلقناكم فان اصل خلقة
اولنا يا بكم وان من الاغذية المتولدة من الارض خلقناكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء
ومنها نخرجكم بالبعث بجمع الاجزاء على الصورة السابقة تارة اخرى ولقد اريناه
بصرناه آياتنا او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع المعهودة والمذكورة جعل الايات
لنا وذكرنا في التعريف بالاضافة وهو يجري مجرى التعريف بلام العهد او اراد بها تسع ايات المختصة
بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق
الجبل على الايات التي جاء بها موسى عليه السلام لبني اسرائيل بعد اطلاق فرعون ثم ان فلق البحر
مما كذب فرعون بشانه فكذب وابى يكذبها جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعة لعتوه اذا اجاد
بشأنها قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى تعلل من فرط الدهش
والحيرة بالسحر وانه كيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر على اخراج ذي سلطان مثله من ارضه
وذكره ملك فيجي وذي اخراجهم والقاها في مسامع قومه للتعبير ومنفصين له اذ الاخراج من
الوطن مما يشق فلنأتينك بسحر مثله جواب القسم محذوف بسحر مثل سحرك فاه رد ذلك على سبيل

والمراد من الارادة مع علم لزوم العجز فلا يلزم نوع حتما

التبهما لطاعته في النبوة فان المعجز انما يتميز عن السحر بكونه مما تتعذر معارضته فلو ان السحر
فادعي القدرة على اتيان مثله ووعد به **فاجعل بيننا وبينك موعدا** هو مصدر بمعنى الوعد
لان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان ويؤيده قراءة الحسن بنصب يوم الزينة اي انجاز وعدكم
يوم الزينة **لا نخلفه** بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر **نحن ولا انت** معطوف على
الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن ويجوز ان يكون الموعد اسم مكان ويرجع الضمير في نخلفه
الى ما تضمنه من معنى الوعد وعلى التقديرين انما طابق الجواب السؤال معنى لا لفظا لانه عبر
عن الموعد بيوم الزينة فلا يطابق المكان في الصدد لكن يوم الزينة لا بد فيه من مكان معين
مشهور بين الناس يجتمعون فيه للتنبيه وهو زمان يستلزم المكان المعلوم فذكره يغني عنه
وعلى يوم الزينة **مكانا** منصوب بفعل دل عليه موعدا لا به لانه مصدر موصوف لا لان
الظرف لا يتسع فيكتفي في العمل فيه برائحة الفعل وان كان مصدرا حقيقيا بل لانه يلزم حينئذ الفصل
بينه وبين معموله باجنبي وهو غير سائغ لان المنصوب بالمصدر من تتمته ولا يوصف الشيء
الا بعد تمامه هذا على قراءة الرفع واما على قراءة الجزم فلا مانع من النصب بموعدا ويجوز ان يكون
بدلا من موعدا على تقدير مضاف اليه اي مكان موعد مكانا وعلى هذا التقدير يكون المطابق
معنى **سوى** منصفا يستوي فيه المسافة الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ
وقرئ بالضم **قال موعدكم يوم الزينة** كان لهم في كل عام يوم كانوا يتزينون فيه ويجتمعون
فيه يتسوقوا وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع
ذلك في الاقطار فتتشوق الرغبات لمعرفة الحق ويكل حد الباطل **وان يحشر الناس** ... وقرئ
على بنا الفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير لليوم او لفرعون وان الغيبة للعادة التي
يخاطب بها الملوك تخاطب القوم بحضره موعدكم ويحصل بحشر فرعون ومحلها الرفع عطفا
على يوم او الجر عطفا على الزينة **ضحى** اي اجر ذلك الوقت ليكون العلم ابلغ ويبقوا بين كشف
الحق **فتولى فرعون** فاعرض عن موسى عليه السلام في هذا الوعد **فجمع كيده** ما يكاد به يعني
السحرة والاتهم **ثم اتى** الموعد فخبر عما ثم حصل بادا وان الامر خبر ترك الاخبار عن ان
موسى عليه السلام ايضا اتى لانه لا حاجة في اتيانه عليه السلام على فرقة وغلبة اما المتأمل
والتراخي في جانب فرعون لانه على ضعف قلبه وتخوف عزمه **قال لهم موسى ويلكم** ويل
كلمة تنادي من يستحق الهلكة **لا تفتروا على الله كذبا** بان تدعوا اياته سحرا **فيسحتكم**
بعذاب منصوب باضمار ان وهو جواب النهي وقرئ بكسر الحاء وضم اليا وفتحهما والسحت لغة اهل
الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم يقال سحته الله واسحته اذا استاصله واهلكه وفيه

دلالة على عظم الافتراء فانه يترتب عليه عذاب الاستيصال **وقد خاب من افترى** الخيبة
انقطاع الرجا بالاشياع على الطالب اصل والافتراء انقطاع الخبر الباطل بادخاله في جملة التي
واصله القطع من قرأه بعربه خبرنا **فتنازعوا امرهم بينهم** لتنازع تخالف لذلك كل واحد منهم
المخالفين مع اليمين تحاجه وامرهم فصل لسانه نحو قوله تعالى بعضهم والاحد فاختلفت التقديرات
الى التنين تنزلون بالرغب بيان للحديث اي اختلفوا فيما بينهم اي في التحير وقيل فرعون وقومه
في ان يجيبين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة **واسروا النجوى** اي تشاوروا
في السر خفية عن فرعون ان يتبين فيهم ضعفا وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان في السما
فله امر القوي لكي لا يضعف اولا واما ثم يقع هذا النزاع **قالوا ان هذان لساحران**
يعني موسى وهارون عليهما السلام كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس
وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا
وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا
وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه
عليه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وقرئ
ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا **يريدان ان يخرجاكم**
من ارضكم بالاستيلاء عليها **بسحرهما** فيتبع لهما عند ايضا الشركة في امر الدعوة **ويذهبا**
بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى
اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب
علم فيما بينهم لقوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
القوم الذين هم قدوة لغيرهم **فاجمعوا كيدكم** فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه بحيث
لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع
كيده **ثم ائتوا صفا** مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل واحد
منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة **وقد افلح اليوم من استعلى** فاز بالمطلوب من
استعلى يعني طلب العلو وهو اعتراض **قالوا يا موسى**
اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قد سبق في سورة الاعراف تفسيره **قال بل**
القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوثروه ولان يبرزوا ما معهم وليتبين الظلم في
مبسعة الامر الوحيد ... كلمة الامر ... ثم يبطل السحر وتعاجيب
خطهم الى قدرته وسلطانه ويظهر الحق على الباطل ... المعجز على السحر

بحيث فكانت آية نيرة للناظرين وعبرة مقنعة للمعتبرين **فاذا حبالهم وعصيهم** اذا
للمفاجاة وهي الحروف الظرفية ناصبها فعل المفاجاة ولا يتبع بعدها الا الجملة الاسمية والمفاجاة
تمثيل لسرعة التخييل اي ففاجا موسى عليه السلام وقت تخييل حبالهم وعصيهم او تخييلها
اياه او تخييل السعي اليه على الاحتمال لهذه **تخيل اليه** وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير
الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ بها وبالياء للفاعل وايقاعه على انها
تسعى بمعنى انها تخيل تسعيها واما اليا على ان الفاعل هو الله تعالى للابتلاء والمحنة وتخيل بفتح التاء
تتخيل اي تظن انه لم يعني تخيل **من سحرهم** من اجل سحرهم **انها تسعى** انما قال تخيل لانها لم تكن
تسعى حقيقة وانما تحركت لما قيل انهم لطخوا الحبال بالزيبق المصعد فتحركت لتضجر الحال
فظن انها تسعى **فاوجس** لا ابحاس من المناجين الذي يخطر بالبال **في نفسه خيفة موسى** فعل
له خوف عظيم من مفاجاة ما فاجا على مقتضى الجبلة البشرية لانه لا يخالج الناس ... لا
يتبعون لانه الحق فيه فيميز بما يخالط في كنا فلا يلتبطه وجحا لاطلا بين يادة الامتحان **قلنا**
لا تخف ما توهمت صيغة النهي للتشجيع وتقوية القلب لا للنهي عن الخوف المذكور لانه ليس من الاختيار
انك انت الاعلى تعليل لما قصد بصيغة النهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق
وتكرير الضمير ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والامر التنفيذ لا على الحي
الزيادة لا يعني الغالي كما قال الشاعر

تمني اناس ان اموت وان امت • فتلك طريق لست فيها باوحد

اي بوحيد لانه لم يكن للاصح على حجية ليكمل على عليهم **والق** عطف على لا تخف وفيه تعليل للسياق
الكلام ثبت في مقام الاقدام والتي فالقوا الى ما في يمينك **ما في يمينك** اي عصاك وعبر عنها في سورة الاعراف حيث قال
والق عصاك ومن غفل عنه ظن ان الابهام للتصغير او التعظيم وانما قال **في يمينك** ولم يقل
في يدك لما في لفظ اليمين من اليمن والبركة **تلقف ما صنعوا** اي تاخذ ما زوروه بفيها بسرعة
واصله تتلقف فحذف احدى التائين وتاء المضارعة يحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل
الى المسبب وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف وبالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى
تلقفته وبتشديد التا **انما صنعوا** اي الذي زوروا وافتعلوا **كيد ساحر** بالرفع على ان
ما موصولة والنصب على انها كافة وهو مفعول صنعوا وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر بالاضافة او
السحر على انه ساحر لغة او باضافة السحر اليه لكثرتهم على فتنته وانما وحد الساحر لان المراد
به الجنس والتنكير للتحقير لا التنكير المضاف لان المقصود من تنكيره ما اصل بالاضافة **ولا يفلح**
الساحر اي لا فلاح لهذا الجنس فقال في موضع اخر لا يفلح الساحرون اي لا يفتح حنهم

ولا يجد ما يكثر حيث لم نر ابقيا رجحه **حيث اتى** يسحر والتي السحر تنصب همنا على حالتيها للتعقبة
اي كما هي معتدل وقد ذا في موضع قبيلي في سورة الاعراف فالقي **السحرة سجدا** سجدوا لله
المللا قاعلين بحيث هذا التراجيا لهم وعصيهم الكفر والجحود ثم النقل وتوبتهم بعد ساعة للشكر
والسجود وما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وفي السجود
ولو عهوا **قالوا امنا برب هرون وموسى** قدم موسى عليه السلام في الاعراف
لانه في السالة والدعوة واخرها لانه الاكبر سنا وهرون عليه السلام لانه لا اقباح
تقديم موسى عليه السلام المناسب المقام رعايته ولا لان فرعون ربى موسى عليه السلام في
صغره فلو قدم لتوهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع لان الفاصلة لا تحمل كيف
وقد تجدوا تعطيها ما في الرواة من موسى عليه السلام وايضا تقديمه في موضع اخر يرجح في انه ليس
في الترتيب نكتة معتبرة بل المحافظة على الفاصلة ولو اوجب الترتيب **قال امنتم له** اي
بالله لاجل موعونه وقرئ على الاستفهام للانكار **قبل ان اذن لكم** في الايمان له
انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم **الذي علمكم السحر** وانتم تواطاتم على ما فعلتم **فلاقطعن**
ايديكم وارجلكم من خلاف قد سبق تفسيره في سورة الاعراف **ولاصلبنكم في جذوع**
النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فهنا استعير في نحو بالاستعارة
وتعقل النخل لطول الجذع فيها والمراد تشهير العقوبة **ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى**
الا على انا كذب موسى عليه السلام او على انه لا يناقي به وقيل بريد نفسه وموسى عليه
السلام لم يرلا استهزا ءلها جرانه وتحزها قتل لا فتهم ونوع منع واستضعاف لموسى عليه السلام
واستهزاء به لانه لم يكن من التعذيب في شي قط قيل اللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره
والحق انها التعليل ليست بصلة للايمان ولهذا لا له في قوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
على ذلك اذ معناه يصدقه لا لاجل المؤمنين وموافقتهم نحوهم ولا لنيل يؤمن
بالله وللمؤمنين **وابقى** ادوم عذابا وعقابا **قالوا لن نؤثرك** لن نختارك **على ما جاءنا**
موسى عليه السلام **من البينات** المعجزات الواضحات **والذي فطرنا** عطف على ما جاءنا او قسم
فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكمه **انما تقضي هذه الحيوة الدنيا**
نصب على الظرف وقرئ تقضي على البنا للمفعول ورفع الحياة لكنه بحكم يوم الجنة بالاسناد
الى الظرف كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده بيانا لاستيناف اي تصنع تمهلة او تحكم
ما تراه في هذه الحياة الدنيا الى التعقيب التوكيد مع طلب الايمان الغفران والثواب السرمدي
فهو عليها هين **انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا** من الكفر والمعاصي **وما اكرهتنا**

عليه من السحر من تعلمه روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط
والباقون من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل من العمل به في معارضة المعجزة
لما روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر
لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه وقرينه قوله تعالى اين لنا لاجرا ان كنا نحن
الغالبين فانه ظاهر في الرغبة وعن العصا في قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فان القاء
منه عليهم علمهم بانه لموسى عليه السلام والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عذابا
انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على الكفر والعصيان فان له جهنم لا يموت فيها
فيستريح بالموت ولا يحيى حياة ينتفع بها وهو كالتقرير لما هو من الحالة التي يتمنى فيها الموت
ومن يأته مؤمنا بان مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا بعد الايمان فاولئك لهم
الدرجات العلى جمع العليا اي المنازل الرفيعة وما ايثار صيغة الجمع هنا والافراد في مقابله فللاشارة
الى ما ذكر في موضعه من ان كلا من الكفرة يعذب منفردا عن الاخر زيادة في عذابهم بالوحشة
وان المؤمنين يجتمعون على سرر متقابلين زيادة في لذاتهم وسرورا لانهم جنات عدن بدل من
الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة
او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من الكفر والدنس بالذنوب والايات الثلاث الاخيرة
يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان
اسر بعبادي ليلا اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى عليه السلام ان يخرج بهم من
مصر ليلا وياخذ بهم طريق البحر فمضى فاضرب لهم فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او
فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله والاضافة في عبادي للتشريف طريقا في البحر يبسا يابسا
مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة
يبس وناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا بالسكون وهو اما مخفف يبسا او وصف على
فعل كصعب او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد مبالغة او لتعدده معنى فانه
جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من الضمير في فاضرب اي امنا من ان يدرككم
العدو او صفة ثانية للطريق والعائد محذوف اي لا تخاف فيه وقرئ دركا والدرك اسمان من
الادراك وقرئ لا تخف على جواب الامر ولا تخشى استئنافا اي وانت لا تخشى غرقا وعلى قراءة
لا تخف لا تخشى عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا او حال
والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده فاتبعهم فرعون ومعه جنوده يقال اتبعهم اذا تبعهم ويؤيده
القراءة به اي فادركهم مع جنوده اي كاد ان يلحقهم قال ابن السكيت يقال اتبعه القوم

اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم وهو من التعدي الى مفعول واحد الا انه متعد لمفعولين كما في قوله تعالى
وما اتبعناهم في هذه الدنيا لعنة والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف
المفعول الثاني [illegible] فاتبعهم فرعون وجنوده ثم ادخلهم البحر عقيب دخول فرعون وقومه
فغشيهم من اليم ما غشيهم لا ابهام للتعظيم والمبالغة في التهويل
اي علاهم وسترهم منه ما لا يعلم كنهه الا الله تعالى وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغطية
للفاعل ما غشيهم واضل فرعون قومه عدل بهم عن سبيل الرشاد وما هدى اي ما هداهم
الى الحق وكان ذلك تكذيبا له وتهكما به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل
خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون وقومه على اضمار قلنا او للذين كانوا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنانا عليهم بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه
وواعدناكم جانب الطور الايمن وذلك انه تعالى وعد موسى عليه السلام ان ياتي هذا
المكان مع سبعين رجلا يختارهم سنة لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لانها
كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم الايمن نصب
لانه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار ونزلنا عليكم المن والسلوى في التيه
ونزلنا عليكم المن والسلوى في التيه وقلنا لكم كلوا اذن للاطلاق في التصرف وتخصيص
الاكل بالذكر لانه المقصود الاصلي من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته ولا تطغوا
فيه بان تجاوزوا الحد اليه بالاخلال بشكره او بالتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر
والمنع من المستحق فيحل بالكسر اي فيجب عليكم غضبي من حل الدين اذا وجب اداؤه ومعنى التعلق عليكم
غضبي عذابي وقرئ فيحل عليكم ولذلك وصف بالنزول ومن يحلل عليه غضبي فقد
هوى سقط سقوطا لا نهوض بعده اي هلك واصله السقوط من جبل ونحوه وقيل وقع
في الهاوية واني لغفار لمن تاب عن الكفر وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا
ثم اهتدى ثم استقام على الهدى وثبت عليه لان المراد بالاهتداء الاستقامة والثبات على الهدى
المذكور من التوبة والايمان والعمل الصالح وما اعجلك لما اعجلك استفهام وتعريض وقيل انه
نهي عن مقتضى التهاون فانه للاعتبار مصون في عالم القرآن حتى قيل العجلة من عمل
الشيطان عن قومك يا موسى اي اي شيء عجل بك عنهم وذلك ان موسى عليه السلام اختار
سبعين من النقباء الى الطور على الموعد للتضرع فلما دنا منه تقدمهم شوقا الى مكالمة ربه
واخبرهم بما على اثرهم وظنا انه اقرب الى رضاه تعالى فالنفس التي يجعل عنهم
هم النقباء والمسئول منهم الذين خلفهم مع هارون عليهما السلام وهو سؤال عن سبب العجلة

عن قومه على سبيل الانكار لانها زلة في نفسها منضمة الى اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم
فلذلك اجاب عن الامرين وقدم جواب الامر الثاني الذي هو اغفال القوم لما فيه بسط
العذر وتمهيد العلة لانه اهم هذا ما قالوا وعندي ان تعدية العجل بعن لتضمين معنى
الانقطاع او الانفصال كانه قيل ما الحامل على الانفصال عنهم وبك مستعجلا وكان اصل السؤال
في المعنى عن الانفصال عنهم بعنوان كان في اللفظ عن العجلة فقدم جوابه اعتبارا للمعنى
كما هو الاصل **قال هم اولاء على اثري** اي على خلفي ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها
عادة وقرئ بالكسر وبالقصر واثري بالضم [illegible] ومعنى قرئ السيف [illegible]
يكن التجاوز به **وعجلت اليك رب لترضى** فان المسارعة الى امتثال الامر تستوجب
الرضى يعني ان العجلة وان كانت منقصة لكنها [illegible] الى الرضا [illegible] **قال فانا
قد فتنا** ابتلينا **قومك** يعني بعبادة العجل **من بعدك** من بعد خروجك من بينهم [illegible]
تبيين ان المراد من هذا القوم غير الذين [illegible] للترتيب [illegible] على ما تقدم
من بيانه [illegible] عليه السلام على المناجاة [illegible] الكلام [illegible]
الغفلة عن حال قومه فكانه قال لا تشتغل فيما كنت فيه ولا تغفل عما وراءك انا قد فتنا هم
واضلهم السامري بدعائه اياهم الى عبادة العجل بعد ذهاب موسى الى الميقات وقد مر
التفصيل في سورة الاعراف وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل
ذلك وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالا لانه كان اضلهم **فرجع موسى** بعدما استوفى
الاربعين واخذ التوراة **الى قومه غضبان** عليهم **اسفا** حزينا بما فعلوا **قال يا قوم الم
يعدكم ربكم وعدا حسنا** وعدهم الله ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد
احسن من ذلك **افطال عليكم العهد** اي افطال الزمان وطال عليكم الزمان يعني
زمان مفارقته لهم **ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم**
اي اردتم ان تفعلوا فعلا يستوجب الغضب **فاخلفتم موعدي** وعدكم اياي بالثبات على
ما تركتكم عليه من الثبات على الايمان فاخلفتم الموعد باتخاذ العجل **قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا** بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراءنا لما اخلفنا ولكنا غلبنا من جهة
السامري وكيده وقرئ بالفتح وبالضم والكلمة الاصل لغات [illegible] **ولكنا حملنا
اوزارا من زينة القوم** اثقالا من حلي القبط او اوزارا وآثاما وتبعات لانهم قد
استعاروها ليلة الخروج من مصر لعلة ان لنا عيدا غدا فقال السامري انما حبس عليه السلام
لشؤم حرمتها لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار الحرب على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ

فاخرجوها

فاخرجوها فالقيها السامري في صنعة النار ليجعل لها نصاعة عجلا **فقذفناها** في نار السامري
الذي اوقدها في الحفرة وامرهم ان يطرحوا فيها الحلي **فكذلك القى السامري** اي
ما معه من الحلي الذي ارادوا او ما معه من التراب الذي اخذه من اثر حافر فرس جبريل
عليه السلام ليقذفه في الحلي المذاب في ستهويهم بلاهية المرعى والبعد
والكلام متعلق بالمعنى مثل ما قذفناها القى السامري فهو صنعة تصدق صنعه نصب تقديره
القى القاء مثل القائنا **فاخرج لهم** السامري من الحفرة **عجلا** خلقه الله تعالى من الحلي التي
سبكتها النار بلا ذنب [illegible] ثم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وهلاك
لانه لله تعالى تعبدنا بالبحث عن حل الحكمة لاعن علل افعاله وضم الى ذلك ما لاسبيل له
يتمثل **جسدا** بدل من عجلا اي جثة ذا لحم ودم [illegible] **له خوار** هو
العجل فانه لو كان ما له روح لكان الخوار من شانه وقال بخلاف [illegible]
الانسان بالصياح **فقالوا** اي السامري ومن تابعه وافتتن به اول ما رأوه **هذا الهكم
واله موسى** اي فنسيه موسى هنا وذهب يطلبه عندنا الطور او فنسي السامري الحق
ما كان عليه من الايمان الظاهر **افلا يرون** افلا يعلمون **ان لا يرجع** اي انه لا يرجع
اليهم قولا لان مخففة من الثقيلة وقرئ بالنصب على انها الناصبة للفعل وفعل الرؤية
حينئذ من رؤية البصر على المبالغة في ظهوره ذكر ينتسب اليه منزلة المبصر **ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا** اي لا يقدر على اضرارهم ولا على انفاعهم **ولقد قال لهم هارون من
قبل** من قبل رجوع موسى عليه السلام وقيل من قبل قول السامري كانهم اول ما وقعت
عليهم ابصارهم حين خلصوا به من الحفرة افتتنوا به فبادرهم هارون بالحذر قبل ان ينطق
السامري فقال **يا قوم انما فتنتم به** بالعجل **وان ربكم الرحمن** لا غيره **فاتبعوني** واطيعوا
امري في الثبات على دين الحق وديانة **قالوا لن نبرح عليه** على العجل وعبادته
عاكفين مقيمين **حتى يرجع الينا موسى** فان الظاهر من هذا الجواب ان يكون المراد
من قبل رجوعه عليه السلام **قال يا هارون** اي قال له موسى عليه السلام لما رجع **ما منعك
اذ رايتهم ضلوا** بعبادة العجل **ان لا تتبعن** اي تتبعني في الغضب لله والزجر عن
الكفر والمعاصي والمقاتلة مع من كفر بمن امن او ان تلحق بي مع من اطاعك ولا مزيدة كما في قوله
ما منعك ان لا تسجد فيجوز ان يكون ما صرفك الى ان لا تتبعني اي دعاك اليه **افعصيت
امري** بالصلابة في الدين والمحاماة عليه **قال** ثم اخذ بشعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا
وانكارا عليه لان الغيرة في الله تعالى ملكته **قال يا ابن ام** كان اخاه لابيه وامه عند الجمهور

وذكرها لاستعطافاً وترقيقاً **لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي** أي بشعر رأسي ثم ذكر
عذره وملاكاً لان النهي المذكور متضمنا لدعوى عذر لعصيانه لان الاستحقاق بموجبه اورده له
في صورة التعليل فقال **اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل** لو قاتلت او فارقت
بعضهم ببعض **ولم ترقب قولي** اخلفني في قومي واصلح لان الاصلاح كان في حفظ
الدماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك ثم اقبل على السامري وقال
له منكرا عليه **فما خطبك** سؤال القصة فلذلك اجاب ببيانها ولذا كان السؤال عن مطلوبه
لا انتظم الجواب والى الترتيب بعد دخوله على مدلول لما تعذر من ظهور بانه عرض كما صرح به
عليه السلام بما فعله كان اضطراحا فكما نفى اعلم خطب عندنا فما خطبك **يا سامري قال**
بصرت بما لم يبصروا به قرئ بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم يعلموا وهو ان الرسول
الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رأيت ما لم تروه وهو ان جبريل عليه
السلام جاءك على فرس الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان
جبريل عليه السلام يغذوه حتى استقل وكان يربيه فذلك **فقبضت قبضة من اثر الرسول**
من تربة موطئه وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه من اثر فرس الرسول ولعله سماه الرسول لانه لم
يعرفه انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور والقبضة
المرة من القبض اطلق على المقبوض وقرئ قبصة بالصاد اسم للمقبوض من قرئ فقبصت الله
المهملة الاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع **فنبذتها** في الحلي المذاب
او في جوف العجل فحدث فيه اثر الحياة والتطلع الى معنى لا بساطته **وكذلك سولت**
زينت لي نفسي ان افعله ففعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف بالخطا **قال** له موسى
فاذهب من بيننا طريدا **فان لك في الحياة** ما عشت **ان تقول** لمن اراد
مخالطتك عابا وقع على لك **لا مساس** اي لا يمسني احد ولا امسه وذلك انه منع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وكل ما يعاون به الناس بعضهم بعضا واذا ماس
احدا حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاماهم وكان يصيح لا مساس وعاش في البراري وحشيا
كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كحزام وهو علم للمسة **وان لك موعدا** في الآخرة **لن تخلفه**
لن يخلفك الله موعده ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا لن تخلفه بكسر اللام
من اخلفت الموعد اذا وجدته مخلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى **وانظر الى الهك**
الذي ظلت اصله ظللت فحذفت اللام الاولى تخفيفا **عليه** اي على عبادته **عاكفا** مقيما
لنحرقنه بالنار ويدل عليه قراءة لنحرقنه لاحراق وقرئ بالتخفيف لنبردنه بالمبرد

وهو ظاهر قراءة لنبردنه بالمبرد فانها لا تحل في الذهب بالنار **ثم لننسفنه**
لنذرينه رمادا او مبرودا كما تنسف الطعام المذراة لنطيرنه **في اليم نسفا** فلا يصادف منه
شيء والمقصود بالغ في الاهانة المفتونين به **انما الهكم** المستحق للعبادة والتعظيم **الله الذي لا اله الا**
هو لا احد يماثله او يدانيه في خواص الالوهية **وسع كل شيء علما** وسع علمه كل ما
شانه ان يعلم وقرئ بالتشديد فصار علما مفعولا به وذلك انه وسع بتعديه الى مفعول
واحد وهو كل شيء واما نصب على التمييز مفعولا على فلما نقل بالتشديد الى
مفعولين فصار ما كان فاعلا مفعولا **كذلك** مثل ذلك الاقتصاص البديع الذي قصصنا حكاية موسى
وفرعون والسامري والكاف في محل النصب على المصدر **نقص عليك من انباء ما قد سبق**
من الامم السالفة واخبارهم لتثبيت الحق التذكير بحكاية الاحوال وتذكيرا للمستبصرين
وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه القصص والاخبار حقيقا بالتفكر
والاعتبار وفي تنكيره للتعظيم وتقديم من لدنا للتخصيص او ذكرا لا يمكن ان يوتي الامثل
عندنا فهو من التعظيم قبل ذكر التعظيم جملة وصفة ذكرا ليبين الناس ولا يشاعل
قوله **من اعرض عنه** عن هذا الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة **فانه يحمل**
يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة شبه العقوبة الثقيلة على العاقبة بالحمل الفادح الجائر الصعود
الثقيل الملكونها تنقض ظهره او يسمى جزاء الوزر وهو الاثم وزرا **خالدين** حال من الضمير
في يحمل واجمع حملا على المعنى ووحد في فانه حملا على اللفظ **فيه** في الوزر او في حمله **وساء**
لهم يوم القيامة حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام
للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره
ساء حملا وزرهم **يوم ينفخ** قرئ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر تعظيما له وللنافخ
وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تعالى او ضمير اسرافيل عليه السلام وان لم يجر
ذكره لانه المشهور بذلك **في الصور** وقرئ في الصور **ونحشر المجرمين**
يومئذ زرقا اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ولهذا لا لحدقة من
يذهب نورها تزرق وقيل زرق عيونهم من شدة العطش وقيل اي تسود خلقهم فتسوء
وجوههم وتزرق عيونهم **يتخافتون بينهم** يخفضون اصواتهم لما يملا صدورهم من الرعب
والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه **ان لبثتم** اي في الدنيا **الا عشرا** اي عشر ليال
في عشرها تعد الى نهار او انهم عند نزول ذكر وتحذف فيه وجهان يستقصر
مدة لبثهم فيها لما يعاينون الشدائد التي تحققوا الانتقال اليها لاستطالتهم مدة الآخرة

فانها لابد السرمد يستقصر مدة الدنيا ويستقصر لبث اهلها فيها بالنسبة اليه وهذا الت
قولهم من هول شدائد الآخرة واستعظاما لها وقيل في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم سيرة او
رايا ان لبثتم الا يوما وجه رجحانه انه ابلغ في الطريقة المذكورة آنفا ويسألونك عن
الجبال اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف بعد النزول فقيل ذكرها الغاية في الحق
ولم يذكر في سائر السؤالات ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم
خير ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ويسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها ويسألونك عن الروح
قل الروح ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم لان الجواب فيها عن السؤالات الواقعة قبل
وههنا عن محل علم الله تعالى وقوعه اخبر عنه ولم يقع بعد لذلك اجاب بالفاء فقيل
فكان المعنى اذا سألوك فقل ينسفها ربي نسفا كالرمل يقلعها فيذرها
فيتركها او المعنى للارض للسلم يحكما تراك علي ... وان كان المعنى كما قال
يجعلها كالرمل ثم يرسل الرياح عليها فيفرقها ويذريها كما يذرى الحب لكن نحو ذلك ان
يصدر بالفاء التعقيبية قاعا صفصفا القاع الارض المستوي والصفصف الارض الملساء
فقوله لا ترى فيها عوجا مؤكد للاول وقوله ولا امتا مؤكد للثاني والامت النتوء
اليسير لا اختصاص العوج بالكسر بالمعاني قال ابن السكيت وكل ما ينتصب كالحائط
والعود قيل عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يومئذ يتبعون
يعني في وقت النسف يوم اذ نسفت وبدل ثان من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي
الله تعالى الى المحشر قيل هو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو اي لا يعوج لدعائه ولا يعدل عنه بل
يستوون اليه من غير انحراف عن سمته وخشعت الاصوات للرحمن هيبة وجلالا
والخشوع كالخضوع من حيث هما التذلل الا ان متعلق الاول هو الصوت ومتعلق الثاني العنق وفيه
كل منهما الى متعلقه فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا وقيل هو همس الابل وهو صوت اخفافها اذا
مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن من مرفوع المحل بدل من الشفاعة على تقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن وتقع على هذا من جملة الافعال او لا يحصل منها عملها نصبا
منصوبا او جرية مجرى المفعول اللازم للمبالغة في التعميم كقولهم فلان يعطي ويمنع او منصوب بحل
على المفعولية على الاستثناء متفرع ومعنى اذن له يحتمل هذا اذن لاجله اي اذن للشافع في الشفاعة لاجله

ان يكون من الاذن ومن الاذن بفتح الهمزة ورضي له قولا اي ورضي لكان عند الله قولا لشأنه
او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم
ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونه او بالعكس ولا يحيطون به علما
التحقيق لاحاطة الوصول اليه او بمجموعهما وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت وخصوص الوجوه
لان آثار الذل انما يظهر عليها وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يكون المراد بها الكلام
بل اعني التعريف بالاضافة على ان المراد وجوه المجرمين ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما
يحتمل الحال والاستئناف فيكون الاخلو عند وجوههم وللاعراض لحيا بيان كونه في مقابلة
قوله ومن يعمل الا ان التقابل المعنوي كاف وان الاعتراض كالاستئناف لا ينبغي عن الحال
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط قبولها فلا يخاف
جزاء فلا يخف على النهي ظلما منع ثواب مستحق بالوعد او الظلم ان ... حسناته فنجعلها
ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان اجره لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وكذلك
انزلناه قرانا عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال انزلنا الاخرى وقيل اشارة
هذه الايات المتضمنة للوعيدات الاعظم انزلنا القرآن كله عربيا بلسان العرب وصرفنا
فيه من الوعيد كررنا القرآن فيه من انواع الوعيد صارفين له من نوع الى آخر لعلهم
يتقون اي يتقوا المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا
المؤدي اليهم واحداث الذكر الاتعاظ في القرآن كلمة الترجي بعد ذكر تصريف الوعيد
في القرآن لان التكرار يفيد ملكة التقوى ... في صورة الرجاء المترجي
التقوى ولا افادة ... فيستنبطون منها فتعالى الله تنزه
عن شؤون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام فلا
يماثل كلامه كلامهم ... استعظاما له تعالى ولما ... على عباده من
الوعيد الملك النافذ امره ونهيه الحقيقي بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكيته
وملكه او المستحق للملك ... وصفاته ولما ذكر القرآن وانزاله ... الاستعجال
ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي اي تأن
فيه ريثما يسمعك جبريل عليه السلام ويفهمك ثم اقبل بالحفظ كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل
به وقيل لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك بيانه وقل رب زدني علما واسأل الله
تعالى زيادة العلم بدل الاستعجال فانما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم
من عليه وعهدنا اليه ... واوحي اليه عطف القصة على قصة موسى ... آدم عليه السلام على قوله وصرفنا

فيه بيانه لو حيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان
فهم مزيد خاصة اي تكرار الوعيد وصرفه والا لم يحسن عطف قصة محمد وغيره من قبل من قبل هذا الزمان
فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او اغتر بقول الشيطان او تركه ما وصي به من الاحتراز
عن الشجرة وتغريره فنسيه عنده استيلاء الغفلة اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم
راي وثباتا على ما عهدنا اليه اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله وسوسة الشيطان ولم يغتر
بغروره والوجود ان كان بمعنى العلم فمعمولاه له عزما وان كان بمعنى المصادفة فعزما مفعول وله
متعلق به او حال واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا للملائكة اسجدوا لآدم وابا ابليس
وتحذيرنا اياه من حيث يتبين لك انه نسي ولم يكن ذا عزيمة وثبات ومن هنا تبين ان ما قيل
ان المعنى ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد لا يناسب سياق الكلام فسجدوا الا
ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة على تقدير سؤال السائل كانه قيل لم لم يسجد فقيل
ابى اي اظهر الاباء وتجنب عن السجود قد مر في سورة ص من قوله استكبر بدل ابى فقلنا
يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك اعاد الجار للدلالة على ان عداوته لها ايضا
اصالة لا تبعا لزوجها فلا يخرجنكما من الجنة نهي عن كونهما بحيث يتسبب الشيطان
ويتسبب لاخراجهما فهو من باب لا ارينك ههنا فتشقى اقتصر على اسناد
الشقا اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاها لانه القيم عليها والمحافظ
لها من الايجاد والرعاية مع الفاصلة ويجوز ان يكون المراد بالشقا التعب في طلب المعاش
وذلك وظيفة الرجل ويؤيده قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف
التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواضها
بتعطيل ... بذكر نفيها بطريق ... لتنوع الحذر منها وانما عدل عن الاصل
الا الواقع في الذكر اي ... تنبيها على ان الاولين اصلان وان الاخرين متممان لعلى الترتيب
فالاشتمال على هذا الوجه اظهر وهذا وفق بين القرينتين فقيل اولا ان لك ان لا تجوع
... عطفا على انك لا تجوع وان لم يجز ... على ان لا تدخل ... لانها
... كل عامل لا ... بامتناع ...
... بامتناع اجتماع حرفين ...
... فوق الثوب ...
ولا يجوز ان ... فوسوس اليه الشيطان اي فوسوس منهيا اليه وسوسته

قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود لزعمه ان من اكل
منها خلد ولم يمت سبيل الخلد بزعمه وملك لا يبلى لا يخلق ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد سبق القول فيه وعصى آدم ربه بوقوع الفعل
المنهي ... بخلاف الامر والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد يكون خطأ فيكون زلة
ربه بعد ما نهيه بالنهي فغوى عن الرشد حيث اغتر بقول العدو او عن المطلوب حيث طلب
الخلد بذلك الباقي وفي النعي عليه بالعصيان مع صغر زلته تعظيم لها وتشديد عليه في الغفلة
وتغليظ للعقوبة وعدم تسلية لمثلها وزجر بليغ وموعظة كافية لاولاده ثم
اجتباه ربه اصطفاه بالتوفيق للتوبة والتقرب له وقربه الى كذا فاجتبيت ...
الى الجنة فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى
الثبات على التوبة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحوا ... ولابليس لانه قد
اخرج منها قبل ... بعضكم لبعض عدو وقد سبق القول فيه فاما
يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في
الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان المعرض عن ذكر
الله يقبل على الدنيا التي لا يزال مشغوفا بها متصرفا الى الازدياد منها بجمع وتمنع ومطمح على ما في
ايدي الناس فيتطاول ويغلب عليه الشح فتضيق معيشته بخلاف الذاكر المتوجه اليه التابع لهداه
المتوكل عليه فيما يرد فانه يجعل له رزقه على الله فيتسع بما في يده ويستغني فيعيش عيشا رافعا
كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة على انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان
كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات
الله وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ونحشره وقرئ
بالجزم عطفا على محل فان له معيشة فانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى عن ابن عباس
رضي الله عنهما اعمى البصر وهو كقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ويؤيد
المناسب للسؤال قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك
اي مثل ذلك فعلت ثم فسره ... يتركونه في ... فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك
اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في
الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة

أشد وأبقى أي وللحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي أو ولتركنا
إياه في العمى أبدا أشد وأبقى من تركه لآياتنا أفلم يهد لهم مسند إلى الله أو الرسول أو ما دل
عليه كم أهلكنا قبلهم من القرون أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها والفعل على الأولين
معلق يجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم كما يمشون ويشاهدون آثار
هلاكهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي
ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة
لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود من عذاب الدنيا لازما لهؤلاء الكفرة واللزام إما مصدر
وصف به وإما فعال بمعنى مفعل اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه وأجل مسمى عطف
على كلمة أو على المستكن في كان وهو ضمير ذلك المشار به إلى الإهلاك أي ولولا الإخبار بنفي
ووعد بتأخير عذاب هذه الأمة إلى يوم القيامة أو يوم بدر وأجل مسمى لأعمارهم لكان إلى آخره
والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب أي فعلى الأول هذه العدة لكان الأخذ
العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كان لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى عن الأخذ
العاجل فاصبر على ما يقولون الفاء للسببية جزاء لشرط مقدر أي إذا لا يعذبهم فلا ذكرهم
لما ذكر فاصبر وسبح تقييد التسبيح بالأوقات المخصوصة قرينة لكونه مجازا بمعنى الصلاة و
للأوجه للتخصيص بها وقوله بحمد ربك حال أي وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه
قبل طلوع الشمس أي الفجر وقبل غروبها أي الظهر والعصر لأنهما في النصف الأخير من
النهار ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إني بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد فسبح أي المغرب
والعشاء وصلاة التهجد وإنما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل لأن الليل حين الاستراحة
أقوى فكانت العبادة فيه على النفس أشد وأشق فكان الثواب أكثر ولأن القلب فيه أجمع والتوجه
إلى الله تعالى والخلوة به أيسر وأكثر ولهذا قال الله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ
وأقوم قيلا وأطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب لمزيتهما لكونهما مختلفة للملائكة ومجلسهم
معناه تعاقب ملائكة الليل والنهار ولخصوصيتهما بصلوات وفي جمع الأطراف مجاوزة الإجماع الأمن
من الالتباس لعلك ترضى أي سبح في هذه الأوقات طمعا أن تنال عند الله ما ترضى به
نفسك وقرئ بالبناء للمفعول أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك إلى ما متعنا به
من النظر تطويله ستلزم تحقيقا لما كان يريد استحسان المنظور وتمنيا أن يكون للناظر أزواجا
أصنافا منهم من الكفرة ويجوز أن يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم أي إلى الذي
متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحياة الدنيا الزهرة الزينة والبهجة

وزهرة بفتح الهاء وهي لغة فيها كالجهرة في الجهر أو جمع زاهر كالجهرة في جمع جاهر نصب على الذم
أو على الاختصاص أي أعنيها وأخص وعلى المفعول الثاني فيما دل عليه متعنا أو على تضمينه
معنى أعطينا وإما نصبه على البدل من محل الجار والمجرور والذي به أو من أزواجا على تقدير مضاف
أي ذوي زهرة ضعيف لأنه لا يبدل المعرفة بزيد أخاك ولأن الإبدال من الضمير العائد
إلى الموصول ضعيف بما اختلف في جوازه وعلى قراءة الفتح نعت على أنه جمع زاهر وجاز أن يكون حالا
والإضافة لفظية لأن الأصل زاهرين الحياة الدنيا وصف لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعمهم
وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم
في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة أو ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم
في الدنيا وأبقى لأنه لا ينقطع أبدا وأمر أهلك بالصلاة أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين
من أمته بالصلاة بعدما أمره بها وأمرنا بالصبر ليتوافقوا في الاستعانة على خصاصتهم بها لقوله
تعالى استعينوا بالصبر والصلاة ولا يهتموا بأمر الرزق ولا يلتفتوا لفت أرباب
الثروة والدنيا واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا أي لا نكلفك أن ترزق نفسك
ولا أهلك نحن نرزقك ففرغ بالك لأمر الآخرة لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله والحكم في كونه
مخصوصا بالخطاب بالخاص والعاقبة المحمودة للتقوى مخصوصة لهم ويلزم منه أن
يكون حسن العاقبة لأهل التقوى فلا حاجة إلى التقييد وقالوا لولا يأتينا بآية من
ربه هلا يأتينا محمد بآية تدل على صحة نبوته بناء على عادتهم في اقتراح الآيات وإنكارا لما جاء
به وعدم الاعتداد بها تعنتا وعنادا وتنكير آية للتعظيم أي بآية عظيمة مقصودة مقترحة
كأنهم لم يعدوا القرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها حيث قالوا أولم تأتهم بينة ما في الصحف
الأولى وذلك أنه برهان لما في سائر الكتب المنزلة من حيث إنه معجز بلفظه دونها وهو يأتي بالشبه
إليها حجة على صحتها لاشتماله على ما فيها مع تصديقه إياها مع إعجازه وما كان برهانا على ما فيها
كان برهانا على صحة نبوة الله لاشتماله على أنه مختص بنوع من العلم على قدر أو أشرف من جميع الملكة
وهو خلاصة ما في الكتب الإلهية من العقائد والأحكام مع كون الآتي به أميا لم يمارس نوعا من تلك
الكتب ولم يكن لعدلها بارعا في الفصاحة والبلاغة عند التحدي به ولو أنا أهلكناهم بعذاب
من قبله من قبل محمد عليه السلام أو من قبل البينة وتذكير الضمير لأنها في معنى البرهان
والدليل أو من قبل إتيانها بها أو إتيانها لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع
آياتك من قبل أن نذل بالقتل والسبي والجزية في الدنيا ونخزى بالعذاب يوم دخول
النار في الآخرة قل كل أي منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم في العاقبة

فتربصوا أي انتظروا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي المستقيم
السوا أي الوسط والسوي والسراي السر والسوي وهو تصغير ومن اهتدى إلى النعيم ومن
ومن في الموضعين للاستفهام ومحل الأولى الرفع بالابتدا والثانية معطوفة عليها عطف الجملة على الجملة
ويجوز أن تكون الثانية موصولة لا الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة
المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبي عليه
السلام سورة الانبيا عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم أي دنا وقت إظهار ما للعبد وما عليه ليجازى بهما والحساب إخراج
الكمية من مبلغ العدد والاقتراب بالنسبة إلى ما مضى أو عند الله أو لا نسبة للكائنات بالقرب والبعد
لديه تعالى أو لأن مبدأه الموت أو هو كائن وكل ما هو آت قريب وهم في غفلة عن
التفكر[?] أي وهم مستغرقون في غفلة عظيمة لا يعرفون كنهها وهذا من قبيل نسبة فعل الأكثر
إلى الكل والآية فيكون تعريف الناس للجنس كما في قوله إن الإنسان [?] ... الآية والأولى
صلة لاقترب وتأكيد لإضافة الحساب إليهم كما في قولهم لا أبا لك والأصل اقترب حساب الناس
ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم فيفيد التأكيد بتكرر الطرف كنسبة الفعل
راغبة فيه معرضون عن أسباب التنبه كما كرر عليهم التنبيه وتجدد نظر التذكير وقرعت لهم
العصا وأحدث لهم ذكر من الآيات التي تتلى وما يحدث من التنبه لواحد من تلك الأذكار
وما استيقظوا منه ثم من تلك المرار إلا استمعوه مستهزئين لاهين يلعبون فقوله ما يأتيهم
من ذكر مقرر لحالهم في الإعراض والغفلة بأن الله تعالى يجدد لهم الذكر ويكرر على أسماعهم
الوعظ ليتعظوا فما يزيدهم استماع ذلك إلا لعبا واستهزاء والهيا واستحالا في قلوبهم وجد
وعزيمة في الغي حتى إنهم إن فطنوا ثم في قلة جدوى فطنتهم وتمادي نفوسهم وغفلتهم عن
التأمل والتبصر كأن الدخول لم يكن في قلوبهم لا غفلة لهم أصلا وحمل لها في غفلة معرضون خبر
أو الظرف حال من المستكن في معرضون من ربهم صفة للذكر أو صلة ليأتيهم محدث لفظه بيه
حدوث نفسه بمعنى سبق قبله بالعدم وإن كان قديما لأن الكلام اللفظي حادث عند الجمهور
والأحدث تنزيلا كما زعمته الحنابلة المنكرون حدوثه لأن كلا منهما لا يناسب المقام والإيلام
سياق الكلام بل المراد بحدثه الذكر وما يحدث من الله تعالى مراد في التذكير وقرئ
بالرفع حملا على المحل إلا استمعوه وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم
أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي عنها ... لأن ... وهي من قلبهم [illegible]

ملعبا أنا أنا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه ويتعدى بعن ومن عندنا الأصمعي يقوي
في الحديث عن باب علوا أي من ألهى عني بلهيا إذا ذهل وغفل ويجوز أن يكون حالا من واو
يلعبون فالحال أن شذوا إطلاق وقرئت بالرفع على أنه خبر آخر فالحال والجملة وفي قوله
وأسروا النجوى مبالغة لأنه النجوى لا تكون إلا خفية أي بالغوا في إخفائها الذين ظلموا بدل
من واو وأسروا وفائدة الإبدال الإشعار بأنهم الموصوفون بالظلم الفاحش فيما أسروا به
أو منصوب على الذم أو مرفوع بالابتدا خبره وأسروا النجوى قدم عليه وفائدة التقديم
الاهتمام ببيان أن أسرار النجوى بالتسجيل عليه بأنه ظلم لأن الأصل وهم أسروا النجوى
منهم الظلمة ومنع المضمر وقيل لإسرار التعهد منه أن الإسرار هو الظلم قريب أن النجو
ماهو بقوله هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون بعكس في
الفعل أناجيين بالإنبهار لمتبين وتحقق عند بعضهم أن ذلك هو الظلم الفاحش بالدليل
الراجح لتسميتهم المعجز سحرا مبينا وادعائهم أن كونه بحال الشاهد بين وأعتقادهم أنه
الله لا يكون إلا ملكا وأن من ادعى الرسالة من البشر فهو ساحر وإنكارهم أن يحضر والسحر
الذي لا بد فيه إنما أسروا التشاور في استنباط ما يهدم أمره ويظهر للناس فساده ويبطل
عنه وعادة التشاور في الكتمان وما ذكر كله في محل النصب بدلا من النجوى أو مفعول لقالوا
مضمرا قل وقرئ قال إخبارا عن الرسول وحكاية لقوله ربي يعلم القول في السما
والأرض كلا من قول له يعلم السر لأنه عام يشمل السر والجهر كأنه قال يعلم السر كلي
وغيره كما أن قول له يعلم السر أكد من قوله يعلم سرهم لعمومه فعممه ولم يقل في بعنا يكلا أسروا
النجوى يعلم السر ليؤكد بالطريق البرهاني ثم قرر ذلك وبين بقوله وهو السميع العليم
أي فلا يخفى عليه ما يسرون بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه
بل هو شاعر بل الأولى إضراب عن تجاوزهم في شأن الرسول عليه السلام وما ظهر عليه
من الآيات إلى تحاورهم في أمر القرآن والثانية لإضرابهم عن كونها بالطبل خيلت إليه وخلطت
عليه إلى كونه مفتريات اختلقها من تلقا نفسه والثالثة لإضرابهم عنه إلى أنه كلام شعري
يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها أو أنهم تنقلوا في مدارج الاضطراب وأخذوا
في كل بحر فيه منزعا بالاعتبار اللطيف على اضطرابهم وتحيرهم في قولهم أضغاث أحلام أي
تخاليط قولهم أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر على عادة كل مبطل في الجلاجة والتردد
في التحير والضلالة وذلك يدل على فساد قولهم وبطلانه ولا يذهب عليك أن حق النظم حينئذ
قالوا بل لا بل قالوا وأما ما قيل يجوز أن يكون الكل من الله تعالى تنزيلا لأقوالهم في درج

الشاذ لان كونه شعرا اظهر من كونه مفتريا لانه يتحقق فيه الحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب
قول الشعر وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات تطابق الواقع والمفترى لا يكون كذلك
بخلاف الاحلام وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فبناه على ان يكون
بين السحر والحكمة بونا بعيدا وعلى ان يكون السحر كالمعجز من خوارق العادات ولا يعجز
لواجدهما اما الاول فلخطائه وكان هذا القائل غافلا عن قوله عليه السلام ان من الشعر
لحكمة واما الثاني فلان الحق ان السحر اما تمويه لا حقيقة له او ترتيب لاسباب خفية وعلى
كلا التقديرين ليس فيه شيء من خرق العادة **فليأتنا بآية** بمعجزة عظيمة وصحة
التشبيه في قوله **كما أرسل الأولون** من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات
العظيمة كاليد والعصا واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان ارسال الرسل متضمن
للاتيان بها هذا اذا كان ما مصدرية واما اذا كانت موصولة والمعنى كالذي ارسل به الاولون
فالتشبيه ظاهر **ما آمنت قبلهم من قرية** اراد بالقرية اهلها فالاسناد من
جهة المجاز لا من جهة الحذف فلذلك قال في التوصيف **أهلكناها** دون اهلكناهم يريد
اهلاكهم عند انكارهم ما اقترحوا من الآيات لما جاءتهم **أفهم يؤمنون** لو جئتهم بها وفي
ايلاء الهمزة فاء التعقيب تنبيها على انهم لم يؤمنوا ولذلك لا يؤمن هؤلاء لانهم اعتى منهم واشد عنادا
وتعنتا فلو اتوا بما يقترحون لكانوا اعتى منهم واشد كفرا وتنبيه على ان عدم الاتيان بما
اقترحوا ابقاء عليهم اذ لو اتوا به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم **وما أرسلنا**
قبلك إلا رجالا نوحي إليهم جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فقال **فاسألوا**
أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون امرهم بذلك لكي يخبروهم ان الرسل كانوا بشرا ولم يكونوا
ملائكة والمراد من اهل الذكر اهل الكتاب وانما احالهم اليهم لان المشركين كانوا يشاورونهم
في امر الرسول لعداوتهم له ويثقون بقولهم في هذا التقرير • ينبني ما في تحرير القاضي من النفي
والخلل فتأمل او علماء الاخبار ولا حاجة اليهم لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان
كانوا كفارا وتمام الكلام في هذا المقام قد سبق تفصيله في سورة النحل **وما جعلناهم** اي جعلنا
كل واحد منهم كما يعرفهم ينبئ عنه **جسدا** الجسد جسم الحيوان مختص به كالبدن
بخلاف الجسم والجرم وهو عبارة عن روح وجسد والروح ما لطف والجسد ما غلظ والمراد
لجمع الشيء واشتداده اي ما جعلناهم جسدا محضا ليس فيه روح مفتقر في بقائه
الى البدل فقوله **لا يأكلون الطعام** تتميم وتأكيد لذلك المعنى ورد لقولهم ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ولما كان التعدي به من لوازم التحليل المحوج الى البدل كان قوله

وما كانوا خالدين تقرير وتأكيد له فانهم نفي عن الرسل لما اعتقدوا اختصاصه بالملك
تحقيقا لكونهم من جنس البشر **ثم صدقناهم الوعد** اي في الوعد فنصب بنزع الخافض
فأنجيناهم من اهل بيتهم **ومن نشاء** يعني المؤمنين وفي انجائهم تحكية لمن يشاء من هو بعض
ذريته وللملك حيث لم يحز عن عذاب الاستئصال **وأهلكنا المسرفين** المجاوزين الحد
بالكفر ونحوهم منهم للعقل للكافرين عن من نشاء **لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه**
ذكركم صيتكم وما شرفكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن
الذكر من مكارم الاخلاق وكتاب القرآن والخطاب لقريش والعامة العرب **أفلا تعقلون**
فتؤمنوا به لان الفاء التي في افهم يؤمنون وكذا الاستفهام **وكم قصمنا** واردة عن غضب
شديد لان القصم اقطع الكسر لانه كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه لا يبينها
فصورة التكثير **من قرية** اي اقيمت القرية مقام اهلها او نعت بها عنهم وصف بقوله
كانت ظالمة وأنشأنا بعدها بعد اهلاكها **قوما آخرين** مكانهم وفي ذلك دلالة
على تعدي الغضب الى اهلاك منهم ايضا باخراجها عن صلاحية الاستمتاع بها والا ل
يبعدها ولم يقل بعدهم اظهار للتبديل السابق • واعتبارا لما يقتضيه اللاحق قال
الضمير في قوله **فلما أحسوا** لاهل القرية **بأسنا** اي ادركوا بالحس عيانا وفتنا هائلا
شدة عذابنا على الاستعارة في الاحساس ويجوز ان يكون من قبيل الاستعارة في البأس
إذا هم منها من القرية واذا للمفاجأة **يركضون** والركض ضرب الدابة بالرجل ويجوز
مشبهين على الكناية ويحتمل التمثيل على تشبيههم في الاسراع ونيل العدو بركض الدابة
وان يكون **لا تركضوا** قولا بلسان الحال يشير الى انهم حقيقا بان يقال لهم ذلك وان قاله الرجل
تهكما استهزاء او القائل ملك او من ثمة من المؤمنين او خيلا بما يحدث به انفسهم تحسرا **وارجعوا**
إلى ما أترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة والاسم الترفة اي ارجعوا
الى ما اترفتم فيه **ومساكنكم** التي كانت اكم **لعلكم تسألون** غدا عن اعمالكم
او كناية عن العذاب فانا انتم لتسألون وتقريع اي ارجعوا اجلسوا كما كنتم في
مجالسكم حتى يأتيكم من يستفتيكم امركم ويسألكم الناس اذ يسألكم المال وتلقون في نوازل
الخطر وينادونكم وافدون عليكم ويتخطرون سحائبكم في ابكم ولما اخذهم العذاب ولم
يبق وجه النجاة **قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين** اعترفوا بالذنب حين
لا ينفع الاعتراف **فما زالت تلك دعواهم** الاشارة الى قولهم يا ويلنا لانها دعوى يعني فما زالت
تلك الدعوى دعواهم لا الدعوى الدعوة لان المولول يدعو الويل فيقول يا ويلاه يا ويلنا

أيضاً وأنك ما لو قيل الوقوع في الهلكة وبذلك اسم ما زالت فدعواهم حتى هم ادبا لعكس وكثير
الاول انما هي في غير فرض يخبر بينهما على اصل المعنى باختلاف الاعراب حتى جعلناهم
النصب بجعل الذي كان مبتدأ او حصيداً خامدين كالاخبر في نصبهما جعل جميعا على التسوية
لاوعلى انها تنقص لانه مفاعيل بل على ان الاخير في حكم الواحد اي جعلناهم جامعين بين
الحصيد والخمود كما في قولهم هذا حلو حامض اي جامع للطعمين شبهوا في استيصالهم ونسخهم
بالزرع المحصود وفي دمارهم وسكونهم بالنار الخامدة وافراد حصيدا دل على ان المراد
بخروج الكلام عن حد الاستعارة الى حد التشبيه وما خلقنا السماء والارض على هذه الهيئة
العلى وما بينهما من العجائب والبدائع ولطائف الصنائع لاعبين كما يفعل ابناء الدنيا انما
خلقناها تنبيها للانتظار بالنعم والعبادة في المعاش والمعاد وتبصرة لاولي الالباب
وتذكرة لذوي الاعتبار من النظار فليعتبروا بها طلابا للكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها
سريعة الزوال ثم بين بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه ان السبب في ترك اتخاذ
اللهو هو الحكمة البالغة لا لعدم القدرة الباهرة وهم ينكرون بيئة البعث واسناد
الرزق الى الله تعالى القادر على كل شيء ويتخذون الالهة من اصنام نحتوها فلهم خصر الانشا
فيهم ولذلك او ردهم لجنس العض منا العذاب التجهيل والتوبيخ والتهكم بالمهم وهم توبيخ
في توبيخ لو كان فيهما آلهة الا الله صفة لالهة نعت غيرنا تعددها لا استثناء والهة
جمع منكر غير محصور لا يتناول الله تعالى بنفسه ولذلك لانه دليل على ان الفساد لازم لاجتماع الهة
فيهما دونه والمراد لزوم الفساد من وجودها مطلقا سواء كانت معه او لا فوان الفساد الاتي
ذكره لازم مطلقا لما يتفق عليه على تقدير مطلق التعدد في الالهة مما فرض لاله عنه
الله تعالى على وفق معتقدهم لزيادة تجهيلهم في هذا الامر الجليل الشان فكانه قيل بيانا
لمطلق التوحيد ابطالا لمعتقدهم على الحشر بوجه واشنعه لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما
من التمانع اذ لا يجال للتوافق في المراد وان تطارد عليهما القدر فسبحان الله رب
العرش المحيط بجميع الاجرام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون عما يصفونه
به مما لا يليق بشأنه لا يسأل عما يفعل لقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة ذاتية
بالالوهية ولما كان من الملوك والجبابرة عادتهم ان لا يسألوا عن افعالهم بتدبيرهم
ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ عليهم فلان لا يسأل ربنا الا ربنا به وهو سبحانه الله
الحال في حق استحالة ذلك عليه وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والوحيد
للاعتذار للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة من دون الله الهة كررت استعظاما لكفرهم

واستيفاء لانزهم وتبكيتا واظهارا لغاية جهلهم وقيمتها اذ كان ان يكون لهم دليل من النقل
وهذا ربنا على الاول دليل العقل وعلى الثاني دليل النقل يعني ان جعلوا الهة بشر لانقلوا
فاعدوا وهم الهة اوحدوا فيهم خواص لا اقراء بها ام وجدوا في الكتب الالهية المنزلة
الامر باشراكهم فاتوا ذلك الامر قل هاتوا برهانكم من العقل والنقل فانه لا يصح
القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي
الوحي الوارد على الانبياء عليهم السلام كلها عظة من معي يعني امتي عليها السلام وذكر من قبلي
يعني امم الانبياء المتقدمين عليهم السلام فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك وفيه تبكيت ما بعده وذكر من قبلي بالتنوين على ان من مفعول المصدر
المذكر وهو الاصل والاضافة عارضة وقرئ من معي ومن قبلي على ان من الجارة ادخلها على
معنى ب... اوجه انها ظرف نحو قبل وبعد نحو عند ولدى وما اشبه ذلك فدخلت عليه من
كما دخلت على اخواته بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ما هو اصل الشر والفساد من
التقيد بالضلال وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فلذلك كانت عادتهم الاعراض
عن الحق من التوحيد واتباع الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط جملة مؤكدة
معطوفة بين السبب والمسبب اي كون الجهل المحض سببا للاعراض هو الحق وقد مر في
... الاهتمام والاعتناء بان سببا للاعراض ليس الا الجهل ويجوز حمل النصب على معنى
كون الله هذا عبد الله الحق لا الباطل ولا يعلمون فيعلم سعي المعقول جار مجرى اللازم لسلب
مطلق العلم عنهم ... ما وهذا الوجه افصح واغرب وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص لان ذكر من قبلي خبر الاشارة اليه بهذا وقد تناول
الا ذكر الموجود بين ايديهم وهو الكتب الثلاثة وانه يقصر زمان سابقتها ... التوحيد
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى سبحانه
تنزيه له تعالى عن ذلك بل عباد مكرمون اضراب عنه كما قالت انهم عباد والعبودية تنافي
الالوهية لكنهم مكرمون مقربون فمن ذلك الخطأ وارتلت اقدامهم لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون
شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم
وجعل القول اداة ومحله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله
واثيب اللام مناب الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم
من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون اي كما لا يسبقونه بالقول لا يسبقونه
بالعمل فلا يعملون الا ما امرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم كالعلة لما قبله والتمهيد

لما تقدم اي انهم بعلم الله تعالى يعلم ما قدموا وما اخروا من اعمالهم اي لا تخفى عليه خافية
فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويحتفظون مما امروا به قولا وفعلا ولا يشفعون
مهابة منه الا لمن ارتضى لمن ارتضاه واهله للشفاعة وهم من خشيته مشفقون اي انهم
مع ذلك كله مقاصرون من الهيبة والعظمة على حذر ورقبة والخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق خوف مع الاعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي
بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة ومن الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم بعد ان وصفهم بالكرامة والقرب والاوصاف الجليلة والافعال المرضية محمد من اسرار
بيتهم على سبيل الفرض والتقدير بعدانه للوعيد لتشديد ان الاحاطة علمه بانه لا يكون التعظيم
لشان المشركين وتهديد لهم بتهديد مدعي الربوبية وبيانا لعدم صحتها للولد لو امكن
كان ربا من جنسه كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم
ير الذين كفروا اي لم يعلموا بتدبر والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الا ينكرون ولم يعلموا
البعث ولم يعلموا الكفرة وان لم يعلموا لكنهم متمكنون من العلم به بالاستبصار من الاخبار
ونظر العقل الكتب فكانهم علموا او قيل بان نظروا فان الحق بيتا ومن مفتقر الى معين موجب لذاته
ابدا او بنفسه وفيه ان اصالة الحق معروض للشرع لا يستقل في تقريره العقل ان السموات
والارض كانتا انما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارضين رتقا
ذات رتق وهو الالتحام اي مرتتقتين اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ورتقيا بتقدم الي
على تقديمها شيئا فتعاظما بحيث تعقلوا للتقص ولا الرتق ففتقناهما بالتنويع والتمييز للصور
المختلفة وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان لانه اعظم مواده او
لفرط احتياجه اليه وانتفاعه بوجوده وكثرته بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء ويجري حيا
على انه صفة كل او مفعول ثان ان الظرف لغو افلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا
في الارض رواسي ثابتات من رسي اذا ثبت ان تميد بهم مفعول له اي كراهة ان تميد بهم
وقيل لئلا تميد بهم فحذف لا لامن اللبس وجعلنا فيها اي في الارض او في الرواسي فجاجا
جمع فج وهو الطريق الواسع وانما قدم على سبلا وهو صفة له ليصير حالا فيدل
على انه خلقها حين خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها
للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد واخرى في قوله سبلا فجاجا للبيان والتوضيح بعد الابهام
لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى مقاصدهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا بقدرتنا
من ان تقع على الارض بغير عمد وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع وكمال

قدرته

قدرته وحكمته وهو ما يحس بها من الكواكب وحركاتها واوضاعها وما يعلم من علم الهيئة
والطبيعة معرضون اي هم قوم عادتهم الاعراض وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات والمراد بالشمس والقمر جنس الطلوع كما يجمعها
كل في فلك التنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كلهم يسبحون حال من الشمس
والقمر كنى لرفعهما الاسحاق ويعقوب نافلة او ستينا فان خبر كل والمراد بالفلك الجنس
كقولهم كساهم الامير حلة قالوا ان تحت السماء فلكا هو موج مكفوف تجري فيه الكواكب
وانما قال يسبحون كما يسبح الانسان في الماء وقيل يسبحون حركتها في الاسراع بسباحة
ونسبة ان نحو التشبيه انه يكون المشبه به اقوى من المشبه في وجه الشبه وعكس الامر
على ما ذكر مردود في الكلام البليغ فكيف في المعجزة وانما جمع جمع العقلاء لانهم وصفوا بصفتهم
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لانهم كانوا يقولون نتربص به ريب المنون فنزلت وانما قيل
افان مت فهم الخالدون لتعليق السببية بما قبلها والتمهيد للعذر لانكارها
بما تعرض لك كل نفس ذائقة الموت اي كل نفس حية تذوق مرارة مفارقتها
جسدها وهو تقرير لما مر وتنبيه على ما انكروا ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر
والخير بما يجب فيهم من الشكر وانما قدم الشر لانه انسب بالابتلاء فتنة ابتلاء مصدر من غير
لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر والجزع والكفر
وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا
لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به
ويقولون اهذا الذي يذكر الهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الانكار والتعجب
المفهوم من سياق كلامهم هذا وهم خاصة بذكر الرحمن اي بما يذكرك الرحمن بالخير وما يجب
ان يذكر به كالتوحيد او الثناء عليه بما هو اهله من التسبيح والتحميد هم كافرون فهم احق
ان يتخذوا هزوا لا انت فانك محق وهم مبطلون قيل بذكر الرحمن على الكفر لان الانكار على تخصيصهم
الكفر بذكر الرحمن دون الهتهم فانهم لا يكفرون بل يثنون عليهم وتعظيمهم والجملة في محل النصب
على الحال اي يتخذونك هزوا وحالهم انهم على شيء هو اصل الهزو والسخرية خلق
الانسان من عجل جعل لما طبع عليه بمنزلة ما طبع هو منه لفرط استعجاله وقلة
ثباته وهو تمهيد لنهيهم عن الاستعجال ومن عجلته استعجالهم الوعيد سأريكم اياتي نقماتي
في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت
ان الانسان داخل طبعه بكونه على العجلة وهذا لا ينافي النهي عنها بل ... ويقولون

يستعجلوا الوعد وقت نعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ذكر الوجوه لانها اشرف ما في ظاهر الانسان ومحل حواسه وهو احوج
الى الدفاع عنه من غيره من اعضائه ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وجواب لو محذوف
وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستنصرون عنه بقولهم متى هذا الوعد
وهو وقت صعب يحيط بهم فيه النار من قدام ومن خلف ولا يقدرون على دفعها من انفسهم
ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن
جهلهم به هو الذي هونه عليهم او لما استعجلوا استهزاء فيكون تعليقا بمضمر ويعلم متعلقا بلا
متعدي يجري مجرى اللازم اي لو كان لهم علم لما كانوا مستعجلين وحين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم [illegible] يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لما
وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم بغتة فجاة
مصدر او حال [illegible] لا يكفون بل تاتيهم فتبهتهم
فتغلبهم [illegible] في الحاجز [illegible] العقلاء الى التذكير والتفهيم للوعد
او الحين [illegible] ان يرجع الى النار او الوعد او الحين على تاويل الساعة او النار
او البغتة فلا يستطيعون ردها ولا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون
تذكيرهم بانها [illegible] في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فحاق فحل [illegible] بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزءون وقد
لرعيها السلام [illegible] بهم ما يفعلونه به كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل
من يكلؤكم بالليل والنهار امر رسول الله عليه السلام بسؤال المستهزئين عمن يحفظهم ليا
تا [illegible] الليل لان الحاجة الى الحفظ اكثر والظهر من الرحمن من باسه ان اراد بكم
قيل في ذكر اسم الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاع الباس عن الناس
لا يكون الا بها وعندي ان التنبيه فيه على ان رحمته العامة لا تمنع عن العقوبة [illegible]
و لا يخفى انه هو الانسب [illegible] بل هم عن ذكر ربهم معرضون اضراب عن مقدر
اي انهم غير محفوظين من ربهم [illegible] لا يجدي السؤال عنه كيف وهم
[illegible] الالهة [illegible] في كل وقت الانتقام [illegible] بل هم معرضون عن ذكره فالتذكير
[illegible] انهم وهذا المعنى [illegible] من سياق الكلام وضح انطباقه لمقتضى المقام
[illegible] على الناظرين [illegible] لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه [illegible]

من الكالئ ومالك [illegible] ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا بتبجيح [illegible] بقيام [illegible]
عبارة الذكر [illegible] المقصود [illegible] في الجملة ام لهم آلهة تمنعهم تحفظهم
من العذاب من دوننا اضراب عما تقدم [illegible] الآلهة [illegible] من العذاب
[illegible] تعالى [illegible] بل [illegible] وهذا الاضراب [illegible]
للانتقال [illegible] من كلام الى اخر [illegible] الاضراب [illegible]
[illegible] فانه من مرض [illegible] عن [illegible] فقد عرفت فساده
[illegible] ذلك [illegible] في الاضراب الثاني [illegible] قوله
[illegible] لا يستطيعون نصر انفسهم ولا
هم منا يصحبون يجارون [illegible] فابطال ما ذكر
[illegible] بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر [illegible]
[illegible]
[illegible] بسبب
[illegible]
[illegible] افلا يرون انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها [illegible] كان الله تعالى يجريه على يدي النبي
[illegible] افهم الغالبون [illegible] على
[illegible] في التعريض [illegible]
[illegible] قل انما انذركم بالوحي [illegible]
[illegible] ولا يسمع الصم الدعاء [illegible] الاسماع [illegible]
[illegible] وفي قراءة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اذا ما ينذرون
[illegible] في الانذار
[illegible]
[illegible] فانتم صم لا

كان الاولى [illegible]

يسمع هذا الجنس الدعاء ولئن مستهم نفحة اصل النفح هبوب رائحة الشيء وليستعمل في كونه
يقال نفحته الدابة اذا اصابته بحد حافرها ونفحه بعطية اذا رضخه فعبر بها عن [illegible]
الدال على معنى القلة وزيادة التنكير مبنية اي بما المرة فانها الاقل ما ينطلق عليها الاسم ومن
جهة تنكير الدال على التقليل واما المس فهو يقرب من الاصابة لما فيه من معنى قيد زائد
وهو ان يكون من حاشية المحسوس فاستعمل هنا على الاصابة للدلالة على ان عذاب الله تعالى
وان كان في غاية ما يكون من يسيره من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
[illegible] اي والله لئن مسهم ادنى شيء من العذاب الذي ينذرون به لادعوا واعترفوا بظلمهم
في تصاممهم واعراضهم داعين على انفسهم بالويل ونضع الموازين القسط صفة الموازين
ولم يجمع لانه مصدر وصفت به للمبالغة كانها في نفسها عدل او جاز ان يكون على حذف
المضاف اي ذوات القسط وقد سبق ما يتعلق بوضع الموازين في سورة الاعراف وما يدل
على تحقيقه لا تمثيل واللام في ليوم القيامة للتوقيت اي في يوم القيامة وقيل معناه
لجزاء يوم القيامة او لاهله اي لاجلهم على الحذف فلا تظلم نفس شيئا بنقص من ثوابه
الموعود او زيادة في عقابه المعهود ويجوز ان يكون معناه شيئا من الظلم وان كان اي
ما يفصل به من النقص او الزيادة او الظلم مثقال حبة من خردل وقرئ مثقال
بالرفع على كان التامة وتانيث ضمير المثقال اتينا بها لاضافته الى الحبة وكذلك ضمير
[illegible] اي احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه بمعنى الاعطاء
او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا
وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا كتابا جامعا لهذه الثلاثة اي جامعا
بين فرقان يفرق بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة في ظلمات الحيرة
والجهالة وذكرا اي شرفا او وعظا وتنبيها او ذكر ما يحتاج اليه الناس في مصالح دارينهم
ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وقرئ ضياء بغير واو على انه
حال من الفرقان وللمتقين [illegible] المنتفعون خصهم الله تعالى بقوله للمتقين ومحل
الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه يخشون ربهم بالغيب حال من
الفاعل او المفعول وهم من الساعة القيمة وهولها مشفقون لا اشتغال خوفهم منها
وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا القرآن ذكر مبارك كثير خيره
انزلناه على محمد عليه السلام افانتم له منكرون استفهام توبيخ بعد وضوح الحجة
ورفع شككم ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه

رشد

رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون عليهما السلام
او من قبل محمد عليه السلام وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف
ومكارم الاخلاق اذ قال لابيه وقومه متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر
من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تجاهل لهم وتغافل
تحقير لها وتوبيخ على اجلالها فان التماثيل اجساد لا تبصر ولا تنفع اصل الصورة المتخذ
شبيها بخلق من مخلوقات الله تعالى من مثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به واللام للتعليل
اي لتعظيمها وعاكفون يجري مجرى اللازم غير منوي المفعول اي فاعلون العكوف لاجلها
وهو اللزوم لا تعدية الا بعلى ولتضمن العكوف معنى العبادة او زيادة التوبيخ وتخصيص ما في
حال به من عبادتها عابدين قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين جواب عن التوبيخ بانه
طريق السلف فاتخذناها فلما صمتوا لحجابهم عدوى سوى طريقتهم بالاستناد الى الآباء قال
عليهم حجة قال لقد كنتم انتم تاكيد المتصل في كنتم ليصح العطف عليه وآباؤكم
في ضلال مبين مستغرقون في ضلال ظاهر لما كنتما [illegible] وصف الضلال بالمبين لافادة
وضوح استناد الفريقين بدليل والتقليد ان لاصل لغير جائز [illegible] وفي الفروع انما
يجوز لمن علم في الجملة كون المقلد على الحق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لاستبعادهم
تضليل اياهم وآباءهم حسبوا انه انما قال ما قاله على وجه المزاح والملاعبة فقالوا اجئت
[illegible] انت من اللاعبين [illegible] على الحكم [illegible]
الجملة الاسمية لمبالغتهم في نفيهم على انه من اللاعبين وترشح ذلك الاعتقاد عندهم وان
التقسيم لاول فلم يثبت عندهم فاظهروه انه ان ثبت عنه اخلف في ظنه قال بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه
والضمير في فطرهن للسموات والارض اي انشاهن من غير شيء او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم
والزام الحجة عليهم فكانه قيل انه تعالى خالق وهن مخلوقة فاني يعبد المخلوق ويترك الخالق
وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين اي من المتحققين له لان الشاهد
هو الذي يحقق الشيء وحققه كانه قال وانا احقق ذلك واثبته بالبرهان لست مثلكم
فانكم لا تقدرون على اثباتها بالحجة واشتغالكم بالتقليد كما تمسكتم به وتالله فهي بالباء
على الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة من الباء وان التاء في القسم تقيد معنى التعجب كان القسم
عليه كانه تعجب من تسهيل الكيد على يده وهذا عبر عنه بالكيد لاشتماله على نوع
من الحيل لاكيدن اصنامكم الكيد الاحتيال في وصول الضرر الى المكيد بعد ان تولوا

مدبرين يعني ذهابكم عنها وعن قتادة انه قاله في السر وقيل سمعه رجل واحد
فلما ذهبوا بقي ابراهيم عليه السلام فكسر الاصنام فالفاء في قوله فجعلهم جذاذا
فصيحة قطعا والجذاذ فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع او جمع جذاذة كزجاجة
وزجاج وقرئ بالكسر وهو لغة فيه او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح
وجذاذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار تعظيما روي انه
عليه السلام كسرها كلها بالفاس الا كبيرها فعلق الفاس في عنقه لعلهم اليه
الكبير يرجعون فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه وقيل الى ابراهيم عليه السلام
فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم
عجز آلهتهم ورد عليه انه حينئذ يكون قوله الا كبيرا لهم اجنبيا في البين قالوا حين رأوا
ذلك بعد ما رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين تشديدا للظلم لجرأته
على الآلهة الحقيقة بالاعظام قالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء صفة يعني مصححة لتعلق
السمع به وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه وقيل مفعول ثان لسمع وليس بثبت يقال له
ابراهيم صفة اخرى له وابراهيم فاعل يقال لان المراد به الاسم لا المسمى قالوا فأتوا
به على اعين الناس في محل النصب على الحال اي بمرأى منهم ومنظر يعني معاينا مشاهدا متمكنا
صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون عليه بما فعله او بما سمع منه
او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم
قال ابراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون
اسند الفعل الى السبب مجازا اذ الحامل على كسر هؤلاء لما غاظهم زيادة تعظيمهم
له تسبب لمباشرته اياه والاحسن انه قصد من معاريض الكلام وذلك انه لم يرد ان
ينسب الفعل الى الصنم بل اراد تقريره لنفسه على اسلوب تعريضي مع الاستهزاء بهم
عرضهم من الزامهم الحجة وتبكيتهم لا نفيه عن نفسه واثباته للصنم لان اثباته للعاجز
ما لا يقدر عليه ... ثبات الفساد ومما روي انه عليه السلام قال لم يكذب ابراهيم
عليه السلام الا ثلاث كذبات تسميته للمعاريض بالكذب لما شابهت صورتها او يجوز
ان يكون حكاية لما يؤدي اليه مذهبهم من جوازه كانه قال ... هذا وانه
منه من يدعى الها فكيف فعله كبيرهم يعني خلطه اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا
الى انفسهم مرجعين الى عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون
بعبادة من لا ينطق ولا يمكنه دفع الضرر عن نفسه لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين

ثم نكسوا النكس جعل الشيء اسفله اعلاه ومنه نكس المريض اذا رجع الى حاله وهو
عبارة عن اطراقهم رؤسهم خجلا والمبالغة في هذا المعنى ضمنه معنى السقوط اي نكسوا
ساقطين على رؤسهم وقولهم لقد علمت ينبئ عن حيرة ولهذا اتوا بما هو حجة عليهم
وقيل انقلبوا الى الجدال بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء اعلاه ورد عليه انه حينئذ يضيع قوله على رؤسهم وقيل نكسوا بالتشديد
ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا
بسؤالها وهو على ارادة القول لكن امره عليه السلام بالسؤال للتوبيخ والتبكيت وكلمة
على حقيقتها هاهنا لان تنزيل المخاطب منزلة الجاهل بمضمون الخبر فلذلك اكد بعد ما لم
يكن بها بل انه يجب التوبيخ بها للتشنيع قال أفتعبدون انكار لعبادتها بعد اعترافهم
بانها جماد لا ينفع ولا يضر من دون الله ما لا ينفعكم ان عبدتموه شيئا في موضع المصدر
اي نفعا ما ولا يضركم ان لم تعبدوه أف لكم صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ضجر
ما اي ضجر بانهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم واصرارهم على الباطل بعد وضوح
الحق فاف فعل بهم واللام لكم ولما تعبدون من دون الله لبيان المأفف به اي لكم
ولالهتكم هذا التأفف وقيل معناه ... على تمادي جهلكم بقوله افلا تعقلون
اي بعد وضوح الحق وزهوق الباطل لا تدركون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة
حين اعجزهم الحجاج حرقوه بالنار فانها اهون ما يعاقب به وافظع وانصروا آلهتكم
بالانتقام منه ان كنتم فاعلين فعلا موجبه تنزيل الصابر بانواع العذاب منزلة العلم
في هذا الباب ولا يخفى لطف هذا التعبير البليغ على ذوي الالباب قلنا يا نار كوني بردا
سميت النار لطاعتها لارادة الله تعالى ... مطيع لا يستعصي في الامتثال عند
الامر المطاع ... فقد ذلك يا نار كوني ذات برد ... حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وسلاما اي ابردي بردا غير ضار وقيل نصبه بفعله اي وسلمنا
سلاما عليه روي انهم وضعوه في المنجنيق ... ولم يحترق منه
الا وثاقه وعلى هذا ... على حالها ... المبالغات المذكورة في ادبارها
فانها اظهر في عكسها من الحرارة الى البرودة ولا اشعار في قوله على ابراهيم بتخصيص
البرد لانه متعلق بقوله سلاما لا بقوله بردا فالمفهوم منه اختصاص عدم اضرار البرد
به عليه السلام وارادوا به كيدا الحيلة لاذى اضراره فجعلناهم الاخسرين بتصيير
بردها ... على انه على الحق وانهم على الباطل وموجبا لانتفاعه ... وانسحافهم

اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق
الى الشام وبركاتها الدينية العامة بعث اكثر الانبيا عليهم السلام وانتشار شرايعهم التي
هي مبادي الخيرات في جميع اهل العالم وبركاتها الدنيوية كثرة النعم والخصب كثرة الزرع
والماء والشجر والرخص فيها الارض التي بورك فيها مطلقا وباركنا فيها ابلغ من باركناها
لدلالته على الظرفية والاستقرار فكان تلك الارض محيط لانواع البركات احاطة الظرف
للمظروف وهي مستقرة فيها لا تنفك عنها وروي ان ابراهيم عليه السلام نزل بفلسطين
ولوط عليه السلام بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة
النافلة ولد الولد وهي في الاصل الزيادة والفضل قيل نافلة زيادة على ما سال لانه
عليه السلام سال اسحاق فاعطيه واعطي يعقوب زيادة على ما سال وفضلا فالمختص ولا
باس به للقرينة وكلا اي الاربعة المذكورين جعلنا صالحين لان الانبيا هم المصلحون
وشرط الاصلاح هو الصلاح وجعلناهم ايمة يقتدون بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا
لهم بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات للاقتدا والالهام القيام بالهداية حتى يتمم نعمهم وامرهم
ويتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات
بالاضافة وكذلك الحق له واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو عطف الخاص على العام تفضيلا
وحذفت التا الاقامة المعوض عنها لانه لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين
مخصصين بنا العبادة ولوطا اتيناه حكما حكمة وهو فعل ما ينبغي فعله وجوبا او
ندبا وقيل نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبيا عليهم السلام ونجيناه
من القرية هي سدوم التي كانت تعمل الخبايث من اللواطة وساير المنكرات والفواحش
ياتونها في ناديهم وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف فاقيم
مقامه على ما دل عليه التعليل بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين وتاكيد ذلك
الاشعار بعلاقة السببية فان القرية ما تيسر في تعيين خبيثهم اهلها [illegible]
ولذلك قال ونجيناه من القرية اي اخلصناه من تلك القرية الخبيثة وادخلناه في
رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى
وهو كالتعليل لما تقدم ونوحا اذ نادى من قبل اي في دعايه على قومه بالهلاك من قبل
المذكورين فاستجبنا له دعاه فنجيناه واهله من الكرب العظيم هو الطوفان او اذى
قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه فانتصرنا من القوم الذين كذبوا باياتنا فتعد
بمن لتضمنه الانتقام لا بما في مفهومه من معنى المنع ولا يرد بل جعلناه منتصرا انهم كانوا

قوم سوء تعليل لما تقدم وتمهيد لما تاخر فاغرقناهم لذلك اجمعين عذابا للاستيصال
[illegible] الغضب وهي لما لا تستحقا فهم له وداود وسليمن النصب باذكر اذ بدل منهما يحكمان في
الحرث هو محل الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم قال ابن السكيت النفش بفتحتين
[illegible] وتفسير النفش ان تنتشر الابل بالليل فترعى وكنا لحكمهم جمع الضمير
لان اراد هما والمتحاكمين اليهما تحري حكمهما شاهدين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة
او الفتوى روي ان داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام
وهو ابن احد عشر سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكم فقال اري ان تدفع الغنم
الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون
عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضا ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان ذلك
باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم وعندنا نقض حكم الاجتهاد باجتهاد اخر في شريعتنا
ولذا لا ترجيح فيه على انهما حكما بالوحي وكان حكم سليمان عليه السلام ناسخا بالوحي وكما
كان الناسخ دالا على الوهم من تخصيص سليمان عليه السلام بحكم شريعتنا [illegible] له وكلا
اتيناه حكما وعلما فانه دال على ان الاصوب كان حكم سليمان عليه السلام وهذا
القول دال على انهما جميعا على الصواب فهو دليل على ان كل مجتهد مصيب وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن حال يعني مسبحات او استيناف على تقدير سؤال سايل قال كيف سخرهن فقال
يسبحن اي يقدسن الله تعالى ومع متعلق به او بسخرنا وتمام الكلام ياتي في سورة سبا
بان الله تعالى والطير عطف على الجبال او مفعول معه وانما قدم الجبال على الطير لان
تسخيرها في التسبيح لانه تسبيحها اول على القدرة وادخل في الاعجاز والخرق
للعادة لانها جماد وقرئ والطير على الابتدا وكنا فاعلين قادرين على ما ساله ليس ببدع
منا وان كان عجيبا عندكم فنحن فاعلين للانبيا امثال وعلمناه صنعة لبوس اللبوس اللباس
والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من حلقها وسردها داود عليه السلام فجمعت
الحصانة والخفة لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال
باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بالتا للصنعة او للبوس على تاويل
الدرع وبالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون اصله فهل تشكرون لاقتضاء
الاستفهام الفعل فعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية اي فهل انتم شاكرون للاشعار
[illegible] طلب دوام الشكر وهذا ما خرج في صورة الاستفهام والفرع في هذا
القالب [illegible] ولسليمان الريح وسخرنا له

رد لصاحب الكشاف منه

رد على ذلك [illegible] منه

فيه وتبع في ذا أو دعليه السلام على تعلم بتسخيرنا لأن تبع تسخير الريح وهو جريها
بأمره مختص به بخلاف تسبيح الجبال بعد اشتراكهما في خرق العادة عاصفة وصف لها
هنا بها لتعصف من شدة الهبوب وفي سورة ص بالرخاء لكونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم
وقبضها لكونها بكرسيه عليه السلام وذهابها به في مدة يسيرة عاصفة وقيل كانت عاصفة تارة ورخاء
أخرى على حسب إرادته تجري بأمره بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى أو حال من ضميرها
إلى الأرض التي باركنا فيها أي حاملة لكرسيه إليها أي إلى الشام وكان منزله بها
وتحمل الريح من نواحي الأرض إليها وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة
ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون نفائسها ومن منصوب بالعطف على
الريح أو مرفوع بالابتداء ومن الشياطين خبره وقدم عليه فساغ الابتداء بها وهي نكرة على أنها
موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أخر على ما فصل في
ص وكنا لهم حافظين أن يزيغوا عن أمره أو يعدلوا إلى الفساد الذي هو مقتضى جبلتهم
وأيوب إذ نادى ربه نصب بإضمار اذكر وإذ بدل منه أني مسني أي بأني وقرئ بالكسر
على إضمار القول أو تضمين النداء معناه الضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم مختص بما في
النفس من مرض وهزال وأنت أرحم الراحمين وصفه بغاية الرحمة بعدما وصف نفسه
بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب رعاية لحسن السؤال ولطفه وقصته أنه كان
روميا من ولد عيص بن إسحاق عليه السلام استنبأه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه
الله تعالى بهلاك أولاده وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة فقالت له امرأته يوما
لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء قالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر عظيم بالشفاء
من مرضه وآتيناه أهله ومثلهم معهم لما كشف الله تعالى عنه أحيى ولده بأعيانهم
ورزقه مثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وتذكرة لغيره من
العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة أو رحمة للعابدين وإنا
نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم أو لأفضنا الرحمة والذكر على العابدين ولم يخص الرحمة
بأيوب ليدخل فيهم دخولا أوليا أو إفادة أن العز والذكر بالإحسان إنما كان بسبب
الصبر فكل عابد من حقه متذكر بالإحسان وكان من باب إقامة المظهر مقام المضمر وكان الذي دفع
لإثبات الرحمة لهم بالبرهان وإسماعيل وإدريس وذا الكفل هو إلياس عليه السلام وقيل يوشع
وقيل زكريا سمي بذلك لأنه كان ذا الحظ من الله أو تكفل أمته وقيل كان له ضعف عمل أنبياء زمانه

وضعف ثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل أي كل هؤلاء من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدائد النوائب وأدخلناهم في رحمتنا فيه سبق تبيين وتفسير
إنهم من الصالحين وذا النون صاحب الحوت يونس عليه السلام إذ ذهب مغاضبا لقومه
لكثرة ما قاسى في دعوتهم وشدة شكائمهم وطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم
حتى ينتهي بحلول العذاب بهم وكان عليه أن يصطبر لانتظار الإذن فلم يصبر وظن أن المهاجرة إلى الحكمة
الفتنة ونبيه من بعض الكفر وأهله فابتلي ببطن الحوت وهو بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه
أغاضب يتفاعل منه في الفعل أو بمعنى مغضبا وقد قرئ به فظن أن لن نقدر عليه
من القدر وهو التضييق لا من القدرة ويعضده أنه قرئ مثقلا ويجوز أن يكون من القدرة مخففا
من القدرة بمعنى أن لن نعمل قدرتنا فيه فنادى في الظلمات أي في الظلمة الشديدة
المتكاثفة في بطن الحوت وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل أن لا إله إلا أنت
بأن لا إله إلا أنت أو بمعنى أي سبحانك إني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة
إلى المهاجرة فاستجبنا له ونجيناه من الغم بأن قذفه الحوت إلى الساحل
الأليم وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص وقرئ نجي
يجيء فاعله لأنه لا يحتمل الفعل المبني للمفعول ومن شدد الجيم فوجهه مشكل
لأنه لا يجيء وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا أي بلا ولد يرثني
وأنت خير الوارثين استئناف لما يعني بعد السؤال لأنه اقتراح جراءة على الله تعالى
أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له
زوجه بحسن خلقها وكانت سيئة الخلق وقيل جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل
أن نقيض النظم كالترتيب أن يذكر أصلحنا قبل وهبنا إنهم أي الأنبياء المذكورين كانوا
يسارعون في الخيرات المسارعة المبادرة وتعديتها بفي وإنما عدلت إلى في للدلالة على أنهم
لا يبتدئون بتحصيل بعض الخيرات بل يظهرون الجد والرغبة إلى تحصيل بعض آخر منها وهي
الدلالة على جمل الغاية استغاثة المسارعة لها إليه ويدعوننا رغبا ورهبا أي طمعا وخوفا كقوله
تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة
فيما لديه ورهبة مما عندنا إلى أنهم يسألون أن النعمة والعفو من الله تعالى تمهيدا لما عليه
قوله وكانوا لنا خاشعين متذللين واستدل بهم على تحصيل الخشوع له تعالى وقد سبق
تفسير الخشوع والمبتلى بهم كما استفعل الأجابر إلى طلبهم وما لا يرضي الله تعالى مما نالوا
الإكرام بالخصال العالية والتي كان ذكر التي أحصنت فرجها مريم لما ذكرها بطريق الكناية لأن تنويه الدلالة

حقا لرجال {احصنت فرجها} لا الاحصان الكلي الذي عن النساء ... التعريض في قوله تعالى
قد دلت على ان المراد تحفظها من الحرام فقط لان النكاح مستحب بل سنة قديمة فلا يصلح ان
تمدحها بالفضيلة {فنفخنا فيها} اي فعلنا النفخ فيها {من روحنا} من جهته والمراد من الروح
جبريل عليه السلام فانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضافته اليه تعالى للتشريف
{وجعلناها وابنها} اي حالهما وهي ولادتها اياه من غير فحل ولذلك وحد قوله {آية} او
وجعلناها آية وابنها كذلك ويعضده قراءة آيتين {للعالمين} فان من تأمل حالهما تحقق كمال
قدرة الصانع تعالى {ان هذه امتكم} لا شك ان ملتكم الملة ... الى ملة التوحيد والاسلام اي
ان هذه الملة ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها {امة} حال من ملتكم الاشارة في هذه اشارة
اليها اي {واحدة} غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام وقرئ امتكم بالنصب على البدل
من هذه و... بالرفع على الخبر وقرئ برفعهما على انهما خبران او فصل الثاني مبتدأ اي هي امة {وانا
ربكم} ... لا اله غيري {فاعبدون} لا غيري {وتقطعوا امرهم بينهم} كان الخطاب
السابق عاما للناس كافة فالتفت الى الغيبة لينعي على الذين تفرقوا في الدين وكانوا شيعا
لتنبيه ... الى غيرهم ... لاختلافهم فيه وصيرورته متفرقا واحزابا شتى اي جعلوا
امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فتطير ... {كل} ثم توعدهم بان كل واحد
من تلك الفرق {الينا راجعون} لا الى غيرنا فنجازيهم {فمن يعمل من الصالحات وهو
مؤمن} بالله ورسوله {فلا كفران لسعيه} استعير الكفران لمنع الثواب والحرمان كما استعير الشكر
لاعطائه وقيل ان الله تعالى شكور ونفي الجنس ليبالغ فانه ابلغ من ان يقال فلا نكفر سعيه
ثم بولغ وأكد ... تضييع سعيه بان نفى ... {وانا له كاتبون} اي
لذلك السعي في صحيفة عمله ... ولا نضيع بوجه ما {وحرام} وقرئ وحرم ...
... {على قرية} اي ممتنع على اهل قرية {اهلكناها} ... اهلاكها بالاستئصال ...
{انهم لا يرجعون} ... الى التوبة او الحق ... رجوعهم ... او ...
اسمها وخبرها ... حرام ... وقرئ انهم بالكسر على ان الكلام ثم قبله والمسند
محذوف ... لانه ... حرام على قرية اهلكناها ذلك اي ...
والايمان ... ثم ... على سبيل التعليل ... انهم لا يرجعون
{حتى} هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني {اذا} وما في
حيزها {فتحت يأجوج ومأجوج} المفتوح حقيقة هو السد المنسوب اليهما واما اسناده اليهما
على ... ولكنه لا ... حتى ... او يحذف ...

الحرام او لا يرجعون اي ينتفي لانتفاء الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وفتح السد
... كناية بعقبه {وهم} يعني يأجوج ومأجوج {من كل حدب} نشز من الارض وقطعة كل
... في الكناية المراد الناس كلهم ويعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما جدث بالجيم
{ينسلون} يسرعون {واقترب الوعد الحق} اي القيامة {فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا}
جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها
... على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ... الجمع بين البدل والمبدل لما فيه لاتحاد ...
... فانه ضمير مبهم ... يلزم الابتداء ويجوز ان يكون الضمير بعدها ضميرا للقصة
... ابصار ... ثم ... او ان يكون ضميرا ابهما يفسره ابصار الذين كفروا {يا ويلنا} مقدر
بالقول واقع في موقع الحال من الموصول {قد كنا في غفلة من هذا} اليوم {بل كنا ظالمين}
انفسنا بعدم الاعتبار ... او للتنديد اضرابا عنه لاحاظ ... في الغفلة وابطال
لها بالاعتراف بما هو الحق {انكم وما تعبدون من دون الله} الاوثان وما
يشبههم الشيطان ... لما ... ان ما تعبدون لا ... او ولا ...
... وروي انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب
الكعبة اليس اليهود قد عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فقال عليه السلام
بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية
وليس فيه تخصيصا لا خراج عن الخطاب لان ما ... لا يعقل ... وان ... على ذلك ...
... لم ... يكلفه ... اما علمت ان ما لما لا يعقل ...
... ان الذين سبقت ... احتمال المجاز والتغليب لا التخصيص للعام كما سبق الى الوهم
{حصب جهنم} الحصب ما يرمى به فيهيج ... اي يحصبهم في النار وقرئ
بسكون الصاد ... بالمصدر {انتم لها واردون} استئناف او بدل من حصب جهنم
... على الاختصاص ... على الدوام ... {لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها}
لان المؤاخذ في النار ... العذاب على ما دل عليه تعالى ... بكم الا
... {وكل} اي العابد والمعبود {فيها خالدون} لا خلاص لهم عنها
... بالنار ... بسبيهم ... ادخلهم ...
... لانهم قدروا ... ان ... على ...
... يكن ... {لهم فيها زفير} انين وتنفس
شديد ... نسبة فعل البعض الى الكل وتغليب ... على مجموع العقلاء

وغيرهم ولانا بين للتغليب فلا دليل وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب
بعد حينما فذكر في بعض الآيات من مكالمتهم مع خزنة النار إن الذين سبقت لهم
منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة القصوى او البشرى بالثواب او التوفيق للطاعة
أولئك عنها مبعدون بدخول الجنة سبقت لهم العناية في البداية فظهرت الولاية في
وفي عبارة مبعدون اشارة الى انهم يردونها ثم يبعدون عنها اولا ولما كان ذلك منك
يئا وأعتها عند ورودهم اياها وهم بهم منها نفعها بقوله لا يسمعون حسيسها صوتها
الذي يحس وحركة لهيبها حال من ضمير مبعدون يبقيا بهم فيها لا حسلاسهم منها ومن ساق
المؤذية يرعونها ويبعدون عنها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون التنعم طلب
اللذة اي دائمون في الاستغراق في شهياتهم وتقديم الظرف للاختصاص ومحافظة
الفواصل لا يحزنهم الفزع الأكبر النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع
من في السموات ومن في الارض وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين هذا يومكم
يوم تعز بحد نقص معبد ربانعن كذا الذي كنتم توعدون في الدنيا والعامل في يوم نطوي
السماء لا يحزنهم او الفزع او لا يحزنهم او الطي مصدر السيل والخوف من فوق ذلك الطراعني
الحديث كطي السجل للكتاب كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتبته ونزل
القراءة على الجمع اي المعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت
اليه وكتبه انه لحق التشبيه بكونه بالمعهود المعروف وطي الملك الصحائف بعدها لا من هذا الكلام
وقيل كان كاتبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه انه ليس لحكاية خصوصية ولا يتأتى وتخصيص
التشبيه به يتعرضه لذلك وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وقرئ العتاد فيه كما بدأنا
أول خلق نعيده اي الخلق مفعول بدأنا وما كافة لنصب على المصدر وما كافة ...
اي ما بدأنا اول الخلق نعيده او مفعول نعيده مضمر يفسره ما بعده اي نعيد اول الخلق كما بدأناه
فيجوز ان تكون الكاف منصوبة بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة واول الخلق ظرف
الظرف لبدأنا او نصب على الحال من ضمير الموصول المحذوف والمعنى نعيد مثل الذي بدأناه
الذي بدأناه او نعيده في اول خلقنا اياه او انما لكونه اول الخلق شبهنا الاعادة بالابداء
تعلق القدرة بهما على السواء والمراد اثبات صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان
الذاتي المصحح للمقدورية لهما اي كما اوجدناه من عدم نعيده ثانيا عن عدم ... وتنكير خلق
تكريرا لتعدد تفصيلهم واحدا واحدا والمعنى اول الخلائق كما تقول اول رجل جاءني يعني
وانما اكثر ووحد ليفيد تفصيلهم رجلا رجلا هذا غير ما قالوا والذي يظهر ...

يعني الخلائق وتشبيه بالاول اخراج الخلائق ثانيا وهو لا يصح عن تناول الكلام لا نرى في
...ادة البدن ومثل الخلائق او لا لقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك وعدا مصدر مؤكد
لان نعيده عدة للاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين عازمين في الازل على
ان نفعل ذلك لا محالة او قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور في كتاب
داود عليه السلام من بعد الذكر اي التوراة ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة
يرثها عبادي الصالحون عامة المؤمنين او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما
ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او سبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين
همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم في الدارين
ومصالح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من عذاب الاستئصال والمسخ والخسف وتأخير عقوبتهم قل انما يوحي
الي انما الهكم اله واحد لان ... ويجوز ان تكون ما موصولة يعني ان الذي يوحى الي
المقصود الاصلي من بعثته هو التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على
مقتضى الوحي المصدق بالحجة والتوحيد ما يصح ان يثبت بالسمع فان تولوا واعرضوا عن التوحيد
فقل آذنتكم اذن ... اعلم لكنه شاع استعماله في الانذار اي اعلمتكم ما امرت به او حربي
لكم على سواء مستويا على العلم ... الخالصين اي مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم
بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم ...
... وان ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون ... انه يعلم الجهر من القول
... ويعلم ما تكتمون من الاحن والحقد
... وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تأخير هذا الوعد
امتحان لكم ... ومتاع وتمتع واستدراج لكم الى حين ليكون ذلك
حجة عليكم ... قال رب احكم بالحق اقض بيننا
وبين اهل مكة ... وربنا
الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون ما تصفونه
من الحال ...
... عليه الصلاة والسلام والمؤمنين عليهم

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم أمر بني آدم بالتقوى ثم علل أمرهم به بتعظيم الساعة حثا
قال إن زلزلة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع
بلباس التورع والتردي برداء التقوى فيبقوا على أنفسهم ويقوها عن الردى بملازمة
التقوى والزلزلة شدة التحريك على الإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها
وإضافتها إلى الساعة إضافة المصدر إلى الفاعل على المجاز في الإسناد كأنها هي التي
تزلزل الأشياء أو إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به أو بتقدير في كقوله تعالى بل
مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها
وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها
عن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها وإضافتها
إلى الساعة لأنها من أشراط الساعة شيء عظيم لما وصفه بالعظم وأبهمها تعظيما بأنها شيء
لا يكتنه كنهه علل في تصوير هولها بصورة شكوة فقيل المراد يحتمل له يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ذهول المرضعة ووضع
الجنين بالتشبيه للهول هذا على القول الأول والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ
تذهل معروفا ومجهولا أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة وحيرة
لا للنسيان لأنه يجيء للسلو قال الشاعر • صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل •
وما مصدرية أو موصولة والمرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي
والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع وأما المعنى على القول الثاني وعليه
الجمهور أنه يحققها عيانا أو يجيء به إلى الغاية الرضيع تذهيبها رغبة من جنينه وذهل
منه نفسه ولقد أحسن من قال •

• تذهل المرضعة عن ولدها الحبيب فطام • وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام •

وترى الناس سكارى حقيقة لا على التشبيه وما هم بسكارى في الواقع ولكن عذاب
الله شديد أذهب عقولهم لشدته وطير تمييزهم بهوله فجعلهم بحيث لا يعرف
بينهم وبين من ذهب السكر بعقله وتمييزه وإنما جمع على الرؤية أولا وأفرد ثانيا لأن
الأولى علقت بالزلزلة والثانية برؤية الناس كلهم لا يتبين علقت بكون الناس على حال
السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لاتصاف الكل على صاحبه وقرئ بالضم ونصب
الناس مبنيا للمفعول من أريتك قائما أو رأيتك قائما وقرئ على إسناده إلى الناس على ناوي بالجماعة وسكارى

حال وقرئ سكرى كعطشى إجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس لا يجيء إلا في هذا النعت
من التقصير بأنه حيث سأله عن مسألة من احتاج إلى الإجابة عنه بأنه من يجادل
من غير علم حصوص من شأنه في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول
الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة في كل مجادل
لا يرجع إلى علم ويتبع كل شيطان مريد في جداله وسيرته والمريد المتجرد للفساد
كتب عليه على الشيطان أنه الضمير للشأن من تولاه أي يجعله وليا وتبعه وقرئ
بالكسر على حكاية المكتوب فإضمار القول أو تضمين الكتب معناه فأنه يضله خبر لمن أو
جواب له ويهديه إلى عذاب السعير لا يحمل من ولايته إلا الضلال عن الحق والجنة
والهداية إلى عذاب النار بحمله به وإغرائه إلى ما يؤدي إليه وجعله عليه ما كتب لزمه ذلك
كأنه كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه مجبول عليه وقرئ فإنه بالفتح على أنه خبر محذوف
الفاء يحقق أن يضله أو خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه يضله ولا وجه للعطف لأن
أن يحمل الضمير المجادل لعمومه لا ليحتمل ونحا بعضها الذكور للضمير في عليه له أيضا
يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث من إمكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك
كالجلب والطرد والتنوين في ريب للتحقير والتقليل وإن للاحتجاج بإن لا لتك أي انفتح ريبكم فإن
ريبكم إذا في ريبها النطق فانظر في بدء خلقكم ليزيله فإنا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه
أو من الأغذية المتكونة منه ثم من نطفة وهي الماء القليل من النطفة وهي الصب والمراد المني
ثم من علقة قطعة من الدم الجامد ثم من مضغة وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ مخلقة
وغير مخلقة أي مسواة لا نقص فيها ولا عيب من خلق إذا استواه ومن لم تكن لها كالسقط أو
مصورة وغير مصورة كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة في الصورة والتخطيط ومن ثم يتفاوت
الناس في الصورة والتمام والنقصان والكمال والتفاضل مصورة وغير مصورة أو تامة وناقصة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغيير والفساد والإنشاء أولا قابل
للإعادة ثانيا بل هذا أهون لحصول الفعل وحل في المداومة والمطلقا الشيئين غير متعلق
إلى أفعاله ومن يعتبر بها ومكنتنا وحكمتنا لا يدخل تحت المذكور لا
تنفع ونقر في الأرحام ما نشاء أن نقره إلى أجل مسمى هو وقت الوضع وأدناه
ستة أشهر بكيفية التقليب في الضمير ثم نخرجكم طفلا حال وحدة لإرادة الجنس
أو لأنه مصدر في الأصل أو على تأويل كل واحد منكم وقرئ ونقر بالنصب وكذا ثم نخرجكم عطفا على نبين
والمعنى أنا خلقناكم مدرجين لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى تولد

ونشأوا وبلغوا حد التكليف فكلفتم والغرض في الحقيقة هو الاخبار عن بلوغ الاشد
والتكليف لكنهما لما كانا لازمين لتمام الامر مقصودا لم يصرح بادخالهما في التعليل وقرئ بالياء نصبا
ونخرجكم بالنصب عطفا على نبين لما انه علته ثم لتبلغوا اشدكم الشدة كمال القوة والعقل
والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كانه شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك
على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله او بعده قبل الهرم وقرئ يتوفى اي
يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم
شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية ضعيفا كمثل قليل الفهم والاستغراق المستفاد
به ذكرها في سياق النفي لتأكيد العموم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه وترى الارض هامدة
ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت
بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف
بهيج حسن السار للناظر ليبهجه وهذه دلالة ثانية على البعث كررها الله تعالى في كتابه
لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله
على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي حاصل
بسبب انه هو الحق الثابت الموجود في نفسه الذي يتحقق به الاشياء وانه يحيي الموتى اي
يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان
قدرته لذاته ونسبتها الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على
الكل وان الساعة آتية لا ريب فيها لا ينبغي ان يرتاب فيها لان التغير من مقدمات
الانحلال بعد الاكمال وان الله يبعث من في القبور اي انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد
الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ولما كان المراد احياء موتى الانسان عبر عنها بما هو
خاص بهم ومختص من في القبور من جنس الانسان بطريق الكناية ومن الناس من
يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير علم ضروري
ولا هدى كسبي فانه ما لا يكون بتعليم الغير وارشاده ولا كتاب منير اي وحي مظهر الحق
بحجة وتقليد لا حاجة فيه الثاني ثاني عطفه ثنيا للعطف كناية عن الكبر والخيلاء والجنة
او عن الاعراض عن الحق استخفافا وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله
تعليل للجدال وقرئ بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال
الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي
هو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق عذاب النار المحرقة

ذلك بما قدمت يداك اشارة الى الخزي والعذاب وعبر بالمضي لا لالتفات الى الغيبة
الخطاب او الى لفظ البعيد للتنبيه على تعظيم الموعد به وتهويله من الايماء الى تمام الخطاب
اي انه بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على
بما اعني بان الله تعالى يجزيها بالعدل فنفي ذلك لا الظلم فقط المبالغة لان قليل
الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه عنه كالكثير منا والاشارة الى انه هو في غاية الكمال
شأنه ان يكون وصفه كذلك ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين
لا في وسطه فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه كالذي يكون
على طرف الجيش فان احس بالظفر قر والا فر وهي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان
كان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وما
شيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن به وان كان الامر بخلافه قال
ما اصبت الا شرا وانقلب وذكر الفتنة في مقابلة الخير للتنبيه على ان الشر لا يعتد به تعالى
قصدا الا ما المقصود منه الا ابتلاء خسر الدنيا بذهاب عصمته والآخرة بحبوط عمله بالارتداد
وقرئ خاسر بالنصب على الحال وبالرفع على الفاعلية او على انه خبر مبتدأ محذوف وعطفا على الاول
ذلك من باب وضع الظاهر موضع المضمر تنصيصا عليه بالخسران ذلك هو الخسران
المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اي لا يملك
في شيء اصلا فان النفع والضر في النفي بهما عن جميع الاجسام واعادة كلمة ما للدلالة على
استقلال كل من الوصفين المذكورين في اخراجه من صلوحه الى معرض للتضرر ذلك هو الضلال
البعيد عن المقصود مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا وتعدت مسافة ضلاله يدعو
لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه
الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام داخلة وثبوت لا قرب
بالتقديم والاشعار بعموم اللام المعلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد
وقيل انها داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء للدعوى مجرى القول اي يقول الكافر ذلك بدعاء
وصراخ حين يرى استضراره به وبالله في عبادة او به معنيا التفضيل ويجوز ان يكون
مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير المخالط
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من
اثابة الموحد الصالح وعقاب الكافر الطالح لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره
الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار معناه ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة

فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان لا يفعل ذلك ويغيظه ما يفعل الله فليمدد بسبب الى
السماء ثم ليقطع فليستفرغ وسعه فيما نال غيظه الى سما بيته كما يفعل من بلغ به الغيظ
كل مبلغ ثم ليختنق سمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل
للنهي انقطع او فليمدد حبلا الى السما المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي ان ينزل عليه
فلينظر وليتصور في نفسه هل يذهبن كيده ما يغيظ هل يذهبن نصر الله الذي يغيظه او ان فعل
ذلك وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث اجتهد فلم يقدر الا عليه او على سبيل
الاستهزا لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصرة
وكذلك ومثل ذلك الانزال والاشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى انزال اخر يقصد
تشبيه هذا الانزال به فالكاف مقحمة اقحاما كالازم لا يكاد يترك في لغة العرب ومن
انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به
او يثبت على الهداية من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة ان
الله يفصل بينهم يوم القيامة في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم
في موطن واحد وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم باظهار المحق منهم من المبطل وانما دخلت ان على كل واحد من جزئي
الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شي شهيد عالم به مراقب لاحواله فليحذر كل امري
مختلفا فيما يعمل فعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان ان الله يسجد
له من في السموات ومن في الارض تسخير السجود للانقياد دون المطاوعة برتبة فضلا في
الافعال لانه هيئة من هيئات المكلف لا هيئة اذل منها على الذلة والتسخير ومن يعم اولي العقل
وغيرهم للتغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعادا لذلك منها في العادة وكثير من الناس عطف عليها
ان جعل التعميم للاجماع اي ان في الناس من لا يسجد طاعة ولا يخضع لامره ولا يلزم عطف على
ساير الساجدين المحذوف عند الجمهور بما فيه من استعمال اللفظ الواحد مجازا وحقيقة
في حالة واحدة ويجوز ان يجعل فاعل فعل مضمر دل عليه يسجد اي يسجد له كثير من الناس
السجود الحقيقي ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه اي يحق له
الثواب والخبر يكون على ما سيأتي وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة
ويجوز ان يكون كثير الثاني تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب ان يعطف به

على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليهم العذاب
حقا ومن يهن الله بان حكم عليه بالشقاوة فما له من مكرم يجعله سعيدا وقرئ بالفتح بمعنى
الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والاكرام هذان خصمان اي فوجان يختصمان
ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما
المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته روي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين
نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم
به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة قطعت لهم على مقادير جثثهم ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب
واختير لفظ الماضي لانه كائن لا محالة يصب حال من الضمير في لهم او خبر ثان من فوق
رءوسهم الحميم الماء الحار يصهر به حال من الحميم او من الضمير في رءوسهم وقرئ
بالتشديد ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم
تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم ولهم مقامع من حديد سياط منه
جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار
من غم بدل اشتمال من منها باعادة الجار او الاولى لابتدا الغاية والثانية بمعنى من اجل
يعني كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم فارادة الخروج كناية عن القرب منه كقوله
تعالى يريد ان ينقض اعيدوا فيها بالمقامع والمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم يخرجون
منها ثم يعودون اليها لقوله تعالى وما هم بخارجين منها وقيل لهم ذوقوا
اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ثم ذكر جزاء الخصم الاخر بقوله
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وتغيير النظم
للتفضيل بتغيير العطف واستينافا للكلام وادخال حرف التاكيد واسناد الادخال الى الله
تعالى تعظيما للمؤمنين واحمادا لحالهم يحلون فيها من حليت المراة اذا البستها الحلي وقرئ
بالتشديد للتكثير يحلون فيها من اساور من ذهب صفة مفعول محذوف والاساور
جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف على اساور او ذهب على انه يرصع
وقرئ منصوبا على اضمار فعل اي ويؤتون او عطفا على محل الجار ولباسهم
فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا
الى الطيب من القول ايهم الله او الملائكة في الجنة قالوا الحمد لله تعظيما لله وتلذذا بذكره او القول الطيب

ولعله تنبيه على ان الكلام [illegible] خروجهم
[illegible] واعيد والراجع [illegible]
وكذا اذا اريد [illegible] القرب من الخروج فان الارادة
والقرب لا تقع [illegible] الا بعد [illegible]
ليس [illegible] بعيد [illegible]

ثم بين تنجيحا لشأنه وتعظيما الى انه هذا المقتبس للطيب وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده
او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد كرر هدوا تنبيها على ان كل واحد منهما امر جليل
ثم تعتد به في الهداية التي هي اخبير أتم الجميل عن اسما الله تعالى للاشارة الى خصوصية القول
الطيب اي الى الطريق المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى او اراد المحمود حاقبته وهو الاسلام
وقيل طريق الجنة واضيفا الى الله تكريما للجنة بنسبتها اليه وان طريقها طريقه ان الذين
كفروا اخبر انه محذوف يدل عليه آخر الآية اي ان الذين كفروا نذيقهم من عذاب اليم ويصدون
عن سبيل الله عطف على كفروا لقوله تعالى في موضع آخر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
اي يداومون على الصد به وهو الصد عن الخير حاشية وليس المراد الحال او الاستقبال
بل استمرار وجود الصد منهم في جميع الازمان كقولهم فلان يحسن الى الفقراء ويكرم الضيفان ولذلك
حسن عطفه على الماضي والمسجد الحرام عطف على سبيل الله الذي جعلناه للناس كائنا
من غير فرق بين حاضرهم وباديهم وان ارادوا بالمسجد الحرام مكة فتمسك بظاهره على انه لا يجوز بيع دور
مكة ولا اجارتها ولا ايجارها وعن عمر لقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم لان الاضافة باعتبار
انهم يملكون البناء وان عمر رضي الله عنه دارا ليسجن فيها لانه اشترى البناء بعد ذلك لانه
كان ارتدبها البيت المخصوص بجملة لجميع الناس ولا اوجه الظاهر لقوله تعالى سواء العاكف
فيه المقيم عكفوا والباد الطارئ كالساكن في البادية اي ليس لاحد ان يمنع احدا عنه قيل كانت
بيوت مكة لا يغلقها ابوابها حتى كثرت فيهم السرقة فقال عمر رضي الله عنه لرجل منهم وهو
اول من اتخذ بابا اتخذت بابا لتعتصب به فقال لا ولكن احرز متاع الناس من السرق فقال
له انه لا يحل لاهل مكة ان يتخذوا ابوابا دون بيوتهم وفي جملة بيع ما نص عليه عن ابي حنيفة
رضي الله عنه انه قال في الجامع الصغير لا يجوز وروى ابن زياد عنه انه يجوز والناس
مفعول ثان لجعلناه وسواء خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة حالا او مفعول ثانيا وحالا
والعاكف مرتفع على الفاعلية اي مستويا العاكف فيه والباد وقرئ العاكف بالجر على انه
بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد
الالحاد العدول عن القصد وظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف
الآثام وعلى قراءة فتح الياء فيرد يكون الباء في بالحاد للتعدية اي من يرد فيه بالحاد الحادا
نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر حين جعلنا
لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعبادة وقيل كان المقصود من البوابة

فرق

نشرك بالنهي عن الشرك والامر بتطهير البيت فان في قوله ان لا تشرك بي شيئا وطهر
بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود مفسرة كانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي
شيئا وطهر بيتي من الاوثان والاقذار ان تطرح حوله للطائفين والمصلين ولعله عبر عن
الصلاة باركانها الدالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت
وفصل بين الاول والاخيرين بالواو وجمع بين الاخيرين بغيرها ولان القيام تعظيم لله
تعالى والركوع والسجود تذلل له فاجتمعا في غاية التعظيم وقيل هي متعلقة بموصوله
بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي شيئا وطهر بيتي واذن في الناس ناد فيهم وقرئ
وآذن من الايذان بالحج بدعوته والامر به والحج القصد البليغ الى مقصد منيع روي انه
صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له ان يحج من
الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع والاول اظهر وجوابا للامر ياتوك رجالا اي مشاة
جمع راجل كقائم وقيام وعلى كل ضامر عطف على رجالا كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير
المهزول والاقتصار بالمثوي ونزيادة لفظ كل لانها الغالب في تعميم الامر ولكونه يعلل على المركب
ولو ضعيفا وتقديم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث يأتين
صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استئنافا فيكون
الضمير للناس من كل فج اي طريق واسع عميق وانما عبر عن البعد بالعمق تنبيها
على الانخفاض ضرورة الفج وقرئ معيق والمعيق القصد ليشهدوا ليحضروا متعلق باذن او
بيأتوك منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها مختصة بهذه العبادة ويذكروا
اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين
لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات
هي عشر ذي الحجة وايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام على التعجيل بالمزيد
فبينها بالبهيمة تخصيصا للكلام بنوع من الاعلام لم توجد في غيرها في العبادة وتنبيها
على الكناية بالبهيمة وتعظيم المرزوق بالابهام والاضافة للتعريض على التقرب وقد يبق
قيل لا يرد ما يتعلق بتعيين هذه الانعام فكلوا منها امر بذلك اباحة لما عليه اهل
الجاهلية من التحرج فيه او ندبا لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم واستعمال التواضع
وهذا في هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك كالاضحية بخلاف سائر الهدايا
واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل

باعتبار وقتنا الذي
قد مرتب
تنعم زهر الربع
جامع فيقتضي
الكنفد

فيد الوجوب مخصوص بالنحو
مذكور في البيهقي
مسند

به في الأذان ثم ليقضوا تفثهم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه وقيل قضاء التفث
قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال ولذلك عطف بكلمة
التراخي وليوفوا نذورهم من واجبات حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره
وإن لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن
الحج وبه يتم التحلل وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لأنه أول بيت وضع
للناس أو المكرم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق لخروجه عن ذل العبودية إلى كرم
الحرية أو المعتق من الغرق لأنه رفع من الطوفان أو من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه
ليهدمه فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير رضي الله عنهما الذي
تحصن به منه فكان التسلط عليه ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وهو وأمثاله تطلق للفصل
بين كلامين ومن يعظم حرمات الله الحرم أي ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه
الصفة فيجوز أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله
البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام فهو أي التعظيم خير له والتعظيم العلم بأنها
مع اعتقاد أنها واجبة المراعاة عند ربه يعني في الآخرة وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى
عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا
منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة وفي عبارة يتلى إشارة إلى أن التحريم لا يكون إلا من جهة
الشارع بنص متلو فاجتنبوا الرجس من الأوثان صدره بالفاء السببية لأنه لما
حث على تعظيم حرمات الله تعالى أتبعه وجوب المحافظة على حدوده وأعظمها التوحيد فدخل
وجوب الاجتناب عن عبادة الأوثان فيه دخولا أوليا وتسميته ومن البيانية أي الرجس
الذي هو الأوثان وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها حيث سماها الرجس معرفة
بلام الجنس وأمر بالاجتناب عن عينه وبينه بالأوثان ثم جعل الرجس هو الأوثان كأنك
تعبيرا عن عبادتها خصوصا جعلها الرجس الذي [illegible] عنه بعينه واجتنبوا قول
الزور تعميم للشرك في وجوب الاجتناب عنه ولم يعطف بل كرر الفعل تنبيها على إنافة
تحريمه وتعظيما لما ذكر فإن الشرك من باب الزور إذ المشرك يدعي الألوهية للوثن ويدخل
فيه تحريم البحائر والسوائب ونحوها من مفترياتهم فيكون كالعلة لتحريم الشرك بتحريم لازمه الأعم
وقيل المراد بقول الزور شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور
الإشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والأظهر العموم لتناوله الشهادة وسائر الأكاذيب
والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الإفك من الأفك وهو الصرف فإن الكذب منحرف

ومنصرف

ومنصرف عن الواقع حنفاء لله مستقيمين على الطريقة على أمر الله وأصل الحنف الاستقامة وقيل
المائل [illegible] وإلا بالاستقامة غير مشركين به غيره في العبادة وهما حالان من
الواو ومن يشرك بالله إظهار في التنزيل عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر في التفخيم
الشأن وتعظيم التهويل فكأنما خر من السماء سقط منها فتخطفه الطير فإن الخطف الاستلاب
بسرعة أو تهوي به الريح أو تسقطه وتهوي به السقوط في مكان سحيق بعيد شبه حال
المشرك في هلاكه هلاكا لا خلاص منه بحال من سقط من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في
حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة فهذا إذا جعلته من باب
التشبيه المركب وقيل صورة حاله بصورة حال من هلك على إحدى الصورتين وإن جعلته
من باب التشبيه المفرق شبهت [illegible] العالية للإيمان في علوها تشبيها بالسماء والمشرك الساقط
من الأوج الرفيع إلى الحضيض [illegible] بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح
التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والشرك الذي [illegible] المكان السحيق وأن التخيير
كما في قوله تعالى أو كصيب للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن
خلاصه بالتوبة لكن على بعد ذلك أي الأمر ذلك ومن يعظم شعائر الله معالم دينه
أو البدن الهدايا لأنها من معالم الحج وهو الأخص بما قبلها وما بعدها وتعظيمها اعتقاد كون
التقرب بها من معالم الطاعات واختيارها حسانا سمانا غالية الأثمان وترك المكاس في شراها
روي أن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار [illegible]
[illegible] للدلالة على التعليل [illegible] وهذا أدخل الفاء الجزائية عليه والعائد محذوف فإنها
لتعظيمها من تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب أي ناشئة منها واللام عوض عن المضاف
إليه أي تقوى قلوبهم وإضافتها إليها لأنها مراكز التقوى [illegible] لكم فيها منافع كثيرة
دينية ودنيوية من درها ونسلها وظهرها وصوفها والتصدق بجلالها إلى أجل مسمى إلى
أن تنحرها ثم محلها إلى البيت العتيق ثم موضع حل نحرها منتهيا إلى البيت وقرب منه
وهو الحرم وثم للتراخي في الوقت والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر
وبعده منافع دينية أعظم منها ولكل أمة أهل دين جعلنا منسكا متعبدا وقربانا يتقربون
به إلى الله تعالى وقرئ بالكسر أي موضع نسك ليذكروا اسم الله على ما رزقهم على
[illegible] من المناسك وذكره عند [illegible] عليها من بهيمة الأنعام فيه تنبيه على
أن القربان لا يكون إلا من الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا الفاء في الموضعين للتنبيه
[illegible] على التفصيل [illegible] وتوحيد فاعل

ان الهكم واله جميع الاعمال واحد فله خاصة اخلصوا الذكر بعون غيره واجعلوه لها له
اي خالصة لا تشوبوه بالاشراك انابة وبشر المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو
المطمئن من الارض الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه هيبة لاشراق اشعة
جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها
ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ
به وانما سميت به لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة وهي الابل خاصة وقد الحق بها البقر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ولا
دلالة فيه على صيرورة البقرة بدنة ولم يجز الحسبان في البدنة ونصبه بفعل يفسره جعلناها
لكم وقرئ بالرفع على الابتداء لكم والنصب قد رفناه من شعائر الله اي من اعلام الشرع
التي شرعها الله تعالى واضافتها الى اسمه تعظيم لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية
فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله
اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ
صوافن من صفن الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لانها تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلاث وصوافا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي
خوالص لوجه الله وصوافي على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها
فاذا وجبت جنوبها اي سقطت على الارض بعد نحرها وهو كناية عن موتها
فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر اذا احل اكلها والاطعام القانع الراضي
اي بما عنده او بما يعطى من غير سؤال من قنعت قنوعا وقناعة او القانع الراضي
والمعتر المعترض بالسؤال وقيل القانع السائل من قنع اليه اذا خضع له والسائل قنوعا
والمعتر المعترض بغير سؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل
ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذوها
فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم
بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق
بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم
ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امره تعالى والتقرب اليه والاخلاص
له وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم
فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا

للنعمة

النعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله على ما هداكم اي لترشده اياكم وتعليمه انه
القادر على ما لا يقدر عليه غيره فتخصوه بالكبرياء وتشكروه على انعامه عليكم بالهداية الى
طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها فتعديته بعلى على تضمين معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين
فيما ياتونه ويذرونه وانما ترك التصريح للاشارة الى انهما لا ينبغي للعبادة ان الله يدفع
وقرئ يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه عن الذين آمنوا حذف المفعول للتعميم
ثم علل بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته اي لا يحب اضدادهم
وهم الذين الى ان اعانهم الواجب تغيبهم هم المشركون والتنصيص بكونهم بانهم الخائنون
الكافرون والتعريض بان اضدادهم المؤمنين هم الامناء الشاكرون وان الله تعالى يحبهم وفي
تنصيص ما ضمنه في صيغة المبالغة والاقتصار المطابق تحسين بحق كل خائن وكافر يلم بما
نفسه لما اذن رخص للذين حذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه وقرئ بفتح التاء
اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر ثم نزلت هذه الآية وهي اول ما نزلت
في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير
وعد لهم بالنصر على طريقة كلام الملوك المقتدرين الجبابرة فيما كيف لا يحسبون ان وعدوا به فهو ذي
الكفاية منا للنصر ليس مطلق العقد بلا لعرفه بدفع لنصرة الذين اخرجوا من ديارهم
في محل جر بدل للذين او نصب بالمدح او رفع باضمارهم من ديارهم يعني مكة بغير حق
موجب يستعملوا الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله بدل ان يجعلوا على حق تاكيد للمدح
بما يشبه الذم على طريق قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

اي بغير موجب سوى التوحيد الموجب للاقرار والتمكين لا الاخراج ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على المشركين بالجهاد لهدمت الهدم كناية عن الابطال
والتعطيل على وجه ابلغ اي لاستولى المشركون على اهل الملل وعطلوا متعبداتهم
صوامع وبيع وصلوات الصوامع جمع صومعة وهي متعبد الرهابنة والبيع جمع بيعة وهي
متعبد النصارى في ديارهم والصلوات وهي كنيسة اليهود سميت صلوة لانها يصلى فيها
وقيل كل منها اصلها بالعبرانية صلوثا ومساجد مساجد المسلمين انما خص التعبير بالمسجد
عن مصلاهم لان [illegible] كان صلوتهم خاصة وانما اخرتم غيرها في التقديم من القرب

لو لزم الاستدلال الذي كان [illegible]
هذا التعريب [illegible] لا يخفى [illegible]

من التهديم يذكر فيها لا في المساجد خاصة بل في جميع ما ذكر لا تركا لتعليل لعمومها
بالدفع المذكور اسم الله كثيرا صفة مصدر محذوف اي ذكرا كثيرا ولينصرن الله
من ينصره اي ينصر دينه وهذا اخبار من الله عن الغيب ووعد بحق بتسليط المهاجرين
والانصار علي صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم ان الله لقوي علي نصرهم عزيز
غالب علي امره وفيه تاكيد لما علمه الذين بدل من ينصره او صفة اخري للذين يقاتلون وقوله
ولولا دفع الله الخ اعتراض بين الصفتين ان مكناهم في الارض وسلطناهم في الدنيا
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر اي فاقاموا بامر الدين
حق القيام وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء اي اثني عليهم قبل ان يحدثوا
من الخير ما احدثوا وفيه دليل علي صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من
المهاجرين ولله عاقبة الامور اي مرجعها الي حكمه وتقديره وفيه ايضا تاكيد لما علم
وان يكذبوك تسلية لرسول عليه السلام من تكذيب قومه اياه اي لست باوحدي في التكذيب
فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام وعاد هودا عليه السلام
وثمود صالحا عليه السلام لم يقل فيهما قوم صالح وقوم هود لان الاصل في التعبير هو
الاصل العلم والعدول عنه الي غيره ما الي التعبير بالاسم العام لضرورة فقد العلم وقوم ابراهيم
ابراهيم عليه السلام وقوم لوط لوطا عليه السلام واصحاب مدين شعيبا عليه السلام
لم يقل هاهنا وقوم شعيب لان المكذبين له من قومه اصحاب مدين خاصة وكذب موسي عبر
النظم فيه ولم يقل قوم موسي لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان ذلك
الفعل لتعظيمه وفيها ان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع كانه قيل وكذب موسي
مع عظم اياته ووضوح معجزاته فما ظنك بغيره وفيه الفصل للعطف تمهيدا للكلام بالتهديد لما
سيق له فامليت للكافرين فامهلتهم اي فامهلتهم الي انقضاء اجلهم ثم اخذتهم عاقبتهم
علي كفرهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بتغيير النعمة نقمة والحياة هلاكا والعمارة خرابا
والبناء اسقيفا فكاين من قرية منصوبة المحل بفعل مقدر يفسره اهلكناها او مرفوعة
بالابتداء او الخبر اهلكناها يعني باهلاك اهلها وهي ظالمة اي اهلها حال فهي خاوية
جملة معطوفة علي اهلكناها لا محل لها من الاعراب علي الاول وفي محل الرفع علي الثاني علي
عروشها متعلق بخاوية الخبر بعد خبر والخاوية الساقط من خوي النجم اذا سقط او الخالي
من خوي المنزل اذا خلا من اهله والعرش كل مرتفع مظل من سقف او خيمة او كرم اي ساقطة
علي عروشها بان خوت السقوف علي الارض ثم سقطت الجدران فوق السقوف او خالية مع

بقا

بقاء عروشها وسلامتها وعلي الوجه الثاني فيها الاعراب فهي خاوية وهي قائمة مع عروشها او ثابتة
مشرفة علي السقوف الساقطة بان سقطت السقوف علي الارض وبقيت الحيطان مشرفة
عليها وبئر معطلة عطف علي قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي فيها الماء معطلة وتركت
لا يستقي منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعني عطله وقصر مشيد مجصص
من الشيد وهو الجص او مرفوع البنيان من شاد البناء اذا رفعه اخليناه عن ساكنيه وحذف
لدلالة معطلة عليه وهذا لا يناسب لهذا ان تعني خاوية علي عروشها خالية مع عروشها والاظهر
ان البئر والقصر علي العموم اي اهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها
والابار عن واردها افلم يسيروا في الارض حث لهم علي السفر ليعتبروا بما راوا من مصارع
المهلكين ويروا اثار ديارهم وان كانوا قد سافروا ولكنهم لم يعتبروا فكانهم لم يسافروا
لعدم الفائدة لهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من توحيد
الله تعالي فيقدرونه عند الاعتبار والاستبصار او اذان يسمعون بها ما يجب
ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم وانما ذكر الاذن دون البصر مع انه
انسب بقوله يسيروا الي انهاقا للكلام في الاعتبار لان الالة المقصود بما يحصل من الرؤية العلم
الاستدلالي الا حين افلوا الرجال او بحصول الايمان بالسمع لا الاعتبار بالعين من وسائل الطرق
الاول فلذلك لم يكتف بالاول فانها الضمير للقصة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فانه
علي ان السامع لا يجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمي راجع اليه او الظاهر
اقيم مقامه لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب اي ما عميت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم
عن الاعتبار بالافة في قلوبهم باتباع الهوي والتقليد التي في الصدور تاكيد لنفي
التجوز وفائدته نفي التقليد كل شيء والتنبيه علي ان العمي الحقيقي ليس المتعارف الذي في البصر لا اعتبار
بمن ليس بعمي في الحقيقة بالنسبة الي عمي القلب فان العمي الحقيقي هو عمي القلب الذي محله
الصدر ومن فسره بما ذكرنا لامر علي خلاف ما عليه الجمهور من ان العمي مما هو في البصر حقيقة
وفي القلب مستعار وقيل لما نزل ومن كان في هذه اعمي قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في
الدنيا اعمي افاكون في الاخرة اعمي فنزلت ورد عليه الخ بيكون المعني لا تعمي
الابصار في الاخرة ولكن تعمي القلوب وبرده قوله تعالي قال رب لم حشرتني اعمي وقد
كنت بصيرا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده لا بالامهال العذاب لا بالامهال لا ثر
لها في الاستفهام علي سبيل الانكار اي لم يستعجلون بالعذاب المتوعد به كانهم ما كرون فيه وقوعه
وحال ان يخلف الله وعده فلا بد من وقوعه وان طال الزمان وان يوما عند ربك كالف

سنة مما تعدون اي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم
لان ايام الشدائد الطوال وكاين من قرية كرر للتهويل ولتعيين بعض المراد في الاهلاك وبيان
ان الظلمة لا يهملون عن معد بعد اهلهم اولا ثم يهملون ثم عطف الاول بالفا لكونه بدلا من قوله
فكيف كان نكير وهنا على السبب فالماحكم هنا حكوما تقدمهما من الجملتين المتعلقتين بان الرب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك على سبيل الاعتراض وبيان ان الاستعجال امر منكر
اذ لا بد من تحقق العذاب امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم من اهل قرية
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع اليه الضماير والاحكام مبالغة في
التعميم والتهويل ثم اخذتها بالعذاب والي المصير اي الي حكمي مرجع الجميع وتقديم الاخير
والنبا لغم الوعيد اي لا الي غيري قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين الخطاب
عام للمومنين والكفار لما تقدم ذكره وقيام الساعة وما كان عليه السلام الا مبشرا لان بعثه
فاجتمع فيها الانذار بما لا وحا لا فقوله انا لكم نذير مبين كقوله عليه السلام انا النذير العريان
وقد دل على ذلك تعقيب الخطاب بالانذار بتفصيل حال الفريقين عند قيامها بقوله فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم عند الحساب بلا ان الحسنات يذهبن السيئات ورزق
كريم في الجنة الكريم من كل نوع ما اجتمع فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والافساد
والطعن فيها حيث سموها سحرا او شعرا او اساطير الاولين وتثبيط الناس عنها يقال سعى في
امر كذا اذا اصلحه او افسده بسعيه معاجزين سابقين في السعي بها بزعمهم مسابقين له او
مسابقين في زعمهم ظنا منهم ان كيدهم للاسلام يتم لهم من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه
لان كل واحد من المتسابقين في الاعجاز يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به واذا سبقه قيل اعجزه
وعجزه وقرئ معجزين على انه حال مقدرة اي مثبطين الناس عن الايمان اولئك اصحاب الجحيم
النار الموقدة وقيل اسم دركة منها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي قد سبق تفسير
في سورة الاعراف وسورة مريم وبيان الفرق بينهما بعموم الثاني وخصوص الاول ومنه ما في الرسول
شريعة مجددة فكان نبي ما تعرض من الدلالة في قوله تعالى وكان رسولا نبيا على ان الرسول لا بد
ان يكون صاحب شريعة الا اذا تمنى تلا قال الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة ● تمني داود الزبور على رسل

القى الشيطان في امنيته في تلاوته قالوا انه عليه السلام قرا في نادي قومه والنجم فلما بلغ
قوله ومناة الثالثة الاخرى سكت فقال الشيطان تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
مشكلة بتلاوة النبي عليه السلام فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذي تكلم بها وهذا خوف الا

التمني في قراءة سبيل المرسلين وكان يتكلم فيسمع النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روي
انه نادي يوما احدا الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
وهذا لا يخلو بالوثوق على القران للانقطاع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به
ويبطله ويجعله من الشيطان ثم يحكم الله اياته اي يثبتها ويحفظها عن تطرق النقصان
وتطرق الزيادة من الشيطان ولما كان الاحكام هنا الوجه على معنى النسخ المذكور عند بعضهم
من لا احتمال لان يكون هذا الكلام منتظما كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ايضا من زيادة الشيطان لا لتطهيره للاعجاز عنه انضمامه الي ما يبلغ به المجموع مقدار اقصر
سورة من القران ولعل انه من الجن لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية فلا دلالة
في الاية على جواز السهو على الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم والله عليم بما اوحى الى
نبيه عليه السلام وبعصمة الشيطان حكيم لا يدعه حتى يكشف بينه ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله
تعالى به قوما بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في قلوبهم
مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم الجارين بمعتقدهم الباطل مظهرا كان ذلك او مضمرا
ونعم ان المراد من الاول المنافقين وكانه قيل على ان المنافقين اقسى قلبا من الكافر المجاهر وان
الظالمين يعني بالمقنع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على الفريقين بالظلم لان القياس ان يقول
وانهم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق ويلزمه البعد عن الرسول وعن المومنين
وليعلم الذين اوتوا العلم الاعتقاد المطابق للواقع وهم المومنون انه الحق من ربك اي
ان القران هو الحق النازل من عند الله ولا يلتبس بما يلقي الشيطان من الباطل ولا يدخل عليه فيومنوا
فيستقروا به ويطيعوا بما تحته فتخبت له قلوبهم بالخشوع والخضوع والخشية
وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل عليهم بالتوفيق للنظر الصحيح والكشف بنور هدايته
الى صراط مستقيم هو طريق التاويل لما يتشابه بالتطبيق على الاصول المحكمة فلا
يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية قد سبق في اول
سورة البقرة الفرق بين المرية والشك والريب منه من القران حتى تاتيهم الساعة القيامة
لان ايمانا الموت فانه من اشراطها ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته
بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر
وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لانه العقيم
الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا الملك يومئذ اي يوم القيمة
والتنوين فيه عوض عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم فلا منازع له فيه

يحكم بينهم بالمجازاة والضمير لجميع الفريقين ودل عليه تفصيل الحكم بين لم فالذين آمنوا
إلى قوله عذاب مهين الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات
تفضل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل
هم في عذاب كما قال في جنات النعيم وفي تقديم الجار والمجرور للإشعار بأن العذاب المهين
مخصوص بهم لابتنائه على ما صدر منهم [illegible] بالفريق الأول بتفصيل ما قال والذين هاجروا
في سبيل الله خرجوا من أوطانهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد أو ماتوا حتف أنفهم
ليرزقنهم الله رزقا حسنا الرزق الحسن الذي لا يلحقه أبدا الانقطاع ولا ينقص
[illegible] الرزق في البرزخ قبل دخول الجنة لأن الرزق الحسن في الجنة لا اختصاص له بالمهاجرين
من المؤمنين وإنما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد لاستوائهما في القصد
وأصل العمل وإن الله لهو خير الرازقين فإنه يرزق من يشاء بغير حساب
ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة ولهذا على أن ما تقدم من الرزق قبل دخول الجنة بدل
يتحقق له ليرضونه صفة المدخل فهذا وصفها بكل جميل لأن ما وقع موقع
الرضا فقد كمل وإن الله لعليم بأحوال من قضى نحبه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر
مثل هذا حليم لا يعاجل من قاتلهم بالعقوبة • روي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما
جاهدوا فما لنا إن متنا معك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين ذلك للفصل بين الكلامين
أي الأمر ذلك وما بعده مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به أي لم يزد في القصاص
وإنما سمي الجزاء المبتدأ باسم جزائه الذي هو العقاب بطريق المشاكلة بين السبب والمسبب للملابسة
فإطلاق اسم السبب على المسبب مجازا أو للازدواج [illegible] السبب به ثم بغي
عليه بالمعاودة إلى العقوبة لينصرنه الله أي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم
بعد ذلك فحق على الله أن ينصره إن الله لعفو غفور للذنوب [illegible] أنواع العقوبة
وما وعد المنتصر بها لأنه [illegible] في الانتقام وأعرض عما ندب الله إليه بقوله ولمن صبر
فأجره على الله ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وفيه تعريض بالحث على العفو والصفح
مع كمال القدرة [illegible] فإنه لا كان [illegible] بذلك أولى وتنبيه على أنه قادر على العقوبة إذ
لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل أي ذلك النصر بسبب أن الله تعالى قادر على التصرف في العالم على وفق مشيئته
ومقتضى حكمته ومن آثار قدرته الباهرة [illegible] في الأمور بالتغليب [illegible] عن التصرف

في

في الأمور بالتصرف على وجه عليه سكانه كما يأتيه في عالم الكون والفساد كيفما يشاء والنصر
المذكور من جملة ما تقتضيه الحكمة وأن الله سميع لا يشغله سمع عن سمع وأن
اختلف الأصوات في النهار يسمعون اللغات بصير بما يعملون ولا يستتر عنه شيء
في الليالي بحوالك الظلمات ذلك بأن الله هو الحق أي ذلك الوصف بكمال القدرة
والعلم بسبب أن الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وكل ما كان كذلك كان مبدأ لما سواه
عالما بذاته وما عداه أو الثابت الإلهية ولا يصلح لها إلا من كان عالما قادرا وأن ما يدعون من
دونه من دون الله إلها وقرئ بالتاء على مخاطبة المشركين وبالياء للفصل وتكون الواو للحال
من معنى الإلهية هو الباطل المعدوم في حد ذاته أو الباطل الإلهية وأن الله هو العلي
أي المتعالي على كل شيء بالقهر والسلطان بدون توهم المكان الكبير عن أن يساويه شيء فضلا عن
أن يكون له شريك ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء استفهام تقرير
ولذلك رفع فتصبح الأرض مخضرة عطف على أنزل إذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك ألم تر إلى الحق [illegible] فتشكر والمقصود إثبات الرفع لعطفه على أنزل وتسببه
منه بسبب النبات وكذلك في المثال لأنه معطوف على تعمى وإنما لم ينصب ولا وجه له إلا النصب
في الاستفهام لزوال المعنى في المثال إلى ما رأيت فأشكرت أي لم ترأيت فتشكر وكذلك في الآية
على أن نفيها ما نحن فيه وهو أن أصبح الأرض مخضرة لا يمنع أن يتسبب بعده الاستفهام
وإنما عدل عن الماضي وقد قيل أصبحت لاستحضار الحال الماضية والتنبيه على الصبغ الصانع
المشاهد والدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان فتصبح مخضرة على وزن مفعلة أي
ذات خضرة كمبقلة ومسبعة إن الله لطيف واصل فضله وعلمه إلى كل شيء خبير بمصالح الخلق
وما في ضمائرهم له ما في السموات وما في الأرض ملكا وملكا وإن الله لهو الغني في ذاته عن كل
شيء وما سواه محتاج إليه الحميد المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله ألم تر أن الله سخر لكم
ما في الأرض من عليكم بتسخيره لكم ما تحتاجون إليه في معاشكم من الحيوان وغيره فلا أصلب من
الحجارة والحديد وقد ذللهما لكم تتخذون منهما ما تريدون ولم ما في الأرض عام لكنه أريد به ما ينفعنا
من جنسه قال لكم والفلك عطف على ما أو جرى بالرفع على الابتداء وتجري في البحر بأمره
حال منها أو خبر ويمسك السماء بيد القدرة أن تقع من أن تقع أو كراهة أن تقع على
الأرض إلا بإذنه إلا بمشيئته وفيه رد لاستمساكها بذاتها وأنها ما تقبل لها شابة لسائر الأجسام
في الجسمية تكون قابلة للميل الهابط مستوليه إن الله بالناس لرءوف رحيم
لنعمه عليهم أبواب المنافع ودفعه عنهم أسباب المضار لو جرى الغنى بالغير الرحيم وأنما قد بهم

ولا كامخرج إلا المتفنية الحجج ولا لازم لذاته ولا بالإله الأهل الكثرة تلحقه فلما بقيت مادة بعد إلا بعضها بقيت الإيمان الكلا [illegible] الشأن [illegible] الذكور [illegible] ما ليس كذلك فالتصنع جملة الإرادة [illegible] مشتغيا [illegible]

محافظة على الفاصلة وكذا تقديم بالناس عليهما (وهو الذي أحياكم) بعد أن كنتم
جماداً تراباً ونطفة وعلقة ومضغة (ثم يميتكم) إذا جاء آجالكم (ثم يحييكم) في الآخرة
(إن الإنسان لكفور) لجحود لما أفاض عليه من النعم مع ظهورها (لكل أمة جعلنا منسكاً) كر
نعمه والتأكيد للتعجيب وتعليق الزيادة به وجيء بالواو في الأول لأنها وقعت مع ما يناسبها
من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت عليها وأما هذه فوقعت مع أجانب عن معناها فلم تجد
معطفاً (هم ناسكوه) هم عاملون به (فلا ينازعنك) سائر أرباب الملل (في الأمر) في أمر الدين
لأنهم جهال أو أهل عناد أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل إنه نهي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن التعرض لمنازعتهم بالمناظرة المؤدية إلى نزاعهم فإنها إنما تنفع طالب الحق وهم أهل
مراء وعناد أي لا تلتفت إليهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك وعن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك
فلان أي لا تضاربه وهذا إنما يجوز في الفعل الذي يقع بين اثنين وقرئ فلا ينزعنك في
النزاع على أن المطاوعة الأولى كأنه قيل ما قاله الله تعالى بينة وقرئ
فلا ينزعنك أي اثبت في دينك ثباتاً لا يطمعون أن يزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت على
دينه وتهييج غضبه لله ولدينه وقال الزجاج هو من باب المغالبة أي لا يغلبنك في
المنازعة من نازعته فنزعته أي غلبته في النزاع (وادع) الناس (إلى ربك) إلى عبادته وتوحيده
(إنك لعلى هدى مستقيم) طريق إلى الحق سوي (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون)
أي وإن أبوا المجادلة بعد وضوح أمره وبلوغ حجتها ولم يبق لهم التنازع فادفعهم بأن الله أعلم بما
تعملون من الجدال الباطل والعناد فيجازيكم عليها وهذا وعيد مع رفق (الله يحكم بينكم) يفصل
بين المؤمنين والكافرين بثواب وعقاب (يوم القيامة) كما فصل في الدنيا بالآيات والبينات (فيما كنتم
فيه تختلفون) من أمر الدين والخطاب عام وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلقى
منهم ومن تمام التسلية تقرير علمه بعضهم بما ذكر بقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء
والأرض) من الغيب والشهادة (إن ذلك في كتاب) هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه
وتنكيره لأنه ليس من جنس الكتب المتعارفة ولما كان الإثبات في اللوح المحفوظ مشعراً بالحاجة في
الحفظ إلى الكتبة عقبه بقوله (إن ذلك) أي الإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ (على الله
يسير) لعدم الحاجة إلى الآلة فإن علمه مقتضى ذاته ولا يخفى عليه شيء فلا يهمنك أمرهم (ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم) ما لم يتمسكوا في جواز عبادته
بدليل بالوحي من عند الله ولا بعلم ضروري أو نظري أي ليس لهم في ذلك سند لا من جهة النقل ولا
من جهة العقل وما قدم الوجه النقلي لأنه الأصل فيما لا يجاوز في العبادة عنه بما ذكرنا

إلى أنه مع انتفائه إليه أقسام مذكورة في علم الأصول مرجعه إلى الوحي والعادة عبارة
عن عدم الحاجة إليها في إقامة المعنى المذكور كما عادتها في قوله ما لا يبصر وما لا يتبعه
(وما للظالمين) وما للذين ظلموا هذا الظلم الشنيع (من نصير) يعينهم بدفع العذاب عنهم
ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على المشركين بالظلم (وإذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن
(بينات) واضحات الدلالة على العقائد الحقة (تعرف في وجوه الذين كفروا) أي يظهر فيها
ظهوراً بيناً حتى يعرفه كل من يراه (المنكر) الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها
تقليداً وهذا منتهى الجهالة وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو الأمر المنكر
التقطيب وأمارات التغيظ لما يقصدونه من الشر (يكادون يسطون) السطو الوثب والبطش (بالذين
يتلون عليهم آياتنا) هم النبي عليه السلام وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم)
من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم
(النار) خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال ما هو فقيل النار (وعدها الله الذين
كفروا) وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر على حذف المضاف فيجعل
فتكون الجملة حالاً منها بتقدير قد ويكون استئنافاً كأنه قيل (وبئس المصير) النار (يا أيها
الناس ضرب مثل) بين لكم حال غريبة سميت مثلاً على سبيل الاستعارة لأن الأمثال
سيرت لكونها مستغربة فلذا قيل ضرب للناس مثلاً ولذا أكد بقوله (فاستمعوا له) فإنه مما يبين
(إن الذين تدعون) أي تدعونهم وقرئ يدعون على البناء للمفعول (من دون الله) آلهة يعني الأصنام
(لن يخلقوا ذباباً) الذباب من الذب لأنه يذب سمي ذباباً لأنه كلما ذب آب استعداداً أنه
أبلغ تنكيره مع تخصيصه بها بأن صغره لا يخفى على الله لا لأنه على استحالة خلق الذباب
منهم كأنه قال محال أن يخلقوا (ولو اجتمعوا له) بجوابه المقدر في موضع الحال المذكور
في موضع الحال جيء بها للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف
إذا كانوا منفردين (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الأقل
الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يخلصوه منه لم يقدروا عليه عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام
عن أخذه والظاهر أن المراد جميل امتناع خلقهم ذباباً وامتناع استنقاذهم منه عند سلبه
شيئاً منهم فلا يثبت لهم القدرة المستلزمة لانتفاء الألوهية التي تستلزم الاقتدار على جميع
الممكنات التي يستحق بها العبادة فإن من لا يقدر على خلق أحقر شيء ولا على الاستنقاذ منه كيف
يستحق أن يعبد عبادة من له كمال القدرة على إيجاد كل شيء وتنجيته وهذا غاية في تجهيلهم

واستركا لا عقولهم ضعف الطالب والمطلوب لعشم الطالب للاستنقاذ والذباب
المطلوب منه الاستنقاذ وفي هذا التذييل ايهام بالتسوية وتحقيق ان الطالب يعني الصنم
اضعف لانه قدم عليه ان هذا الخلق لا اذل منه لتساويهم لكن الطالب يخاف عن عظمه من الجزع
يجري العقلاء باثبات الطلب لهم بقي انهم اضعف من ذل الحيوان فعذبه به على مكان الحنيفة
في ذلك ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد
الاشياء عنه مناسبة وادخل في الاتصاف باضداد صفاته ان الله لقوي قادر على خلق
الممكنات كلها عزيز غالب على كل شيء لا تغلبه شيء كيف يشرك به من هو احقر الاشياء واعجزها
وادلها ملاقاة لوحدانيته وتجانسه لا تنادا ان ينفي عنها ما يدعون فيها من التوسل
بها الى الله تعالى والتقرب اليه بتوسطها فقال الله يصطفي من الملائكة رسلا
يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس رسلا يدعون برسالته
الخلق نحوهم ويدعونهم اليه ويشفعون لهم فلا وسيلة بغير هؤلاء المصطفين ولا تقرب الى
الله تعالى الا بعبادتهم ... ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله
الملائكة بنات الله ورد لقولهم ... ان الرسول لا يكون من البشر ان الله سميع
لاقوال الرسول فيما تبلغه العقول بصير باحوال الامم في الرد والقبول يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ما مضى وما غبر لا تخفى عليه خافية والى الله ترجع الامور واليه
مرجع الامور كلها لانه مالكها ومدبرها فلا اعتراض لاحد على حكمه وتدبيره واختيار رسله
يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير تدرج في هذه
الاوامر من الاخص الى الاعم فامر بالصلوة المشتملة على اصناف الطاعات من العمليات والتروك
والدنيا وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها ثم بمطلق العبادة كالصوم
والزكوة والحج ثم بما يتناول الخيرات كصلة الارحام ومكارم الاخلاق والاصلاح بين الناس
وامثالها وقيل كان الناس في اول الاسلام يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فامروا
بالجمع بينهما في الصلوة لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح غير مستيقنين
به متكلين على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج
بسجدتين قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأها وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة
الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي في راي السجدتين فيها وابو حنيفة لا يرى فيها
الا سجدة واحدة لانهم قيل لان قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة
تلاوة وجاهدوا في الله في سبيله ومن اجله اعداء الله او جاهدوا النفس والهوى ومن الجهاد

الاكبر

الاكبر لقوله عليه السلام عند رجوعه من غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد للمبالغة
كقولك هو حق عالم ثم اضيف الجهاد الى ضمير الله اما لانه لا لاختصاصه به من حيث انه مفعول
لاجله والاتساع في الظرف هو اجتباكم اختاركم لدينه ونصرته وفيه تنبيه على المقتضي
للاختصاص المقيد لوجوب الجهاد اي هو من اجتباكم دون غيركم والذي اجتباه الله ينبغي
لا يدلى من الجهاد بالاكبر ليتقضى حق التقرب ... لا ... تنبيه ... ويحفظه من كلاته
ولا كلفه واعرابه ... دليل على المقتضي للجهاد بقي وقوله وما جعل عليكم في
الدين من حرج ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم على انه لا مانع لهم ولا عذر لهم
في تركه ومعناه الاشارة الى الرخصة في اتفاق البعض مما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه
السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص
لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات
في حقوق العباد ... الا وقد جعل لكم مخرجا ورد عليه ان الحرج لا ينفي بوجوب المخرج
في الحال المعروف انه عبارة عن الضيق لا عن عدم المخلص ملة ابيكم نصب على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم او على الاغراء اي الزموا ملة ابيكم او بمضمون ما تقدم على المصدر
اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ابراهيم عطف
بيان وانما جعله ابا لان كل نبي ابو امته من حيث الحقيقة وهو كان ابا محمد عليه السلام واب
ابا لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من
قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران وقيل الضمير لابراهيم وقوله
تسميتهم فيه المسلمين لكن سموا به بسبب تسمية ابيهم مسلمين من قبل في قوله ومن ذريتنا امة
مسلمة لك وقوله في هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ويرشد للاول القراءة الجيد
الله سماكم اي هو خصكم بالاجتباء سماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول يوم القيامة
متعلق بسماكم او باجتباكم شهيدا عليكم بانه بلغكم او بعصيانكم من عصى وطاعة من اطاع
وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة وان وقد
خصكم بهذه الكرامة والشرف فاعبدوه وتقربوا اليه بانواع الطاعات واعتصموا بالله وثقوا
به في مجامع اموركم هو مولاكم فلا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فنعم المولى ونعم
النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه ... المعاد

سورة المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل اذا دخلت على الماضي على ثباته والفلاح
الظفر بالمطلوب والنجاة عن المرهوب اي فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا والافلاح دخول في
الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اذا اوصله الى الفلاح وعليه قراءة قد افلح
على البناء للمفعول وقرئ قد افلح بالقاء حركة الهمزة الى الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا على الابهام
والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وافلح بضمة اكتفاء بها عن الواو ولما كان المؤمنون متوقعين
لمثل هذه البشارة من فضل الله بشرهم بما دل على ثبوت ما توقعوه والمؤمنون في اللغة المصدقون
وهنا في الشريعة فقد اختلف فيه على اقوال قد سبق تفصيلها في تفسير سورة البقرة الذين
هم في صلاتهم خاشعون الخشوع في الصلاة خشية القلب مع التواضع والقاء النظر الى موضع
السجود وروي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده والذين
هم عن اللغو معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عن اللغو وهو ما لا يعنيهم من قول
او فعل كالهزل واللعب وكل ما يجب ان يلقى ويطرح ولما ذكر الخشوع بعده الاعراض عن اللغو ليجمع
بين فعل ما ينبغي ان يفعل وترك ما ينبغي ان يترك وهما الاصلان اللذان عليهما مدار
التكليف وبالغ في اوصاف المؤمنين بازاء الصلاة جعل الجملة اسمية وبنى الحكم على الضمير والتعبير
بالاسم مؤذنا بالفعل وابراز الاعراض مكان الترك لان اصله ان يكون في عرض غير عرضه ليدل
على التجنب والبعد عنه بالكلية مباشرة وتسببا وميلا وحضورا وكذلك قوله والذين هم
للزكوة فاعلون اي للتزكية فاعلون لان الفاعل لا يقال الا للحدث الذي هو المصدر
ولهذا سمي المفعول المطلق ويمكن ان يشتمل لعينه ويقدر مضاف اي لاداء الزكوة وما قيل
من ان الفعل فيه بالدوام فاعلون ولا يدل على المداومة والذين هم لفروجهم حافظون
الفرج يشتمل على سوءة الرجل والمراة حافظون لا من فرجهم حفظا على عبادة ربهم لا يبذلونها ولا
يعفونه ممن يصون نفسه الا على ازواجهم الا على احد ازواجهم او على ازواجهم الاستثناء مفرغ اي يحفظونها في كل حال الا في حال الذين
على ازواجهم وتعلق بمحذوف دل عليه قوله انهم غير ملومين اي يلامون على مباشرة الازواج بالتزوج
المطلق فانهم غير ملومين عليه او ما ملكت ايمانهم اي سراريهم وعبر بما من اجرائه
مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيهم ولانه انما تنقص حالهن عن حال
غيرهن وانما قال ما ملكت اياما بهم لما بينهما من الكثرة والعلة في المباح ملك المنفعة
الطالب منه ما اشعارا باختصاص الوطي في الملكين المذكورين لا مثل ما في ملك

الرفيقة فانها حلت من ملك اليمين كما في المكاتب لان حل الحل المذكور فانهم غير ملومين
الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان اطلقوها على ازواجهم وامائهم فانهم غير
ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى حدا وجعل
ما وراءه طرفا عاديا لا يتجاوز عنه للتعميم وجيء باسم الاشارة او فاولئك المبتغون ووسط الضمير
وعرف العادون اي هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه وكذلك ما ذكر في الحد ونحو الزنا وافراده بالذكر
بتحقيقه لقوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشد الملاهي الى النفس واعظمها
خطرا والذين هم لاماناتهم وعهدهم قيل الامانة ما ائتمنوا عليه والعهد ما عاهدوا عليه من جهة
الحق او الخلق وفيه انه لا حاجة الى الصرف عن الظاهر فان العهد وكذا الامانة مما يجب
راعون الراعي القائم على الشيء بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم والرعية وقرئ لامانتهم
على الافراد لانها في الاصل مصدر ولامن الالتباس والذين هم على صلواتهم يحافظون
يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها وجاء بلفظ الفعل لما فيها من التجدد والتكرار
المشارع في الجملة الاسمية بدلا على دوام التجدد وقرئ بلفظ الجمع ليفيد المحافظة على
اعدادها وانواعها ولم يرد به جنسها بما سبق لان الكلام هنا في الخشوع وهو مطلوب في جنس
الصلاة وفي بناء الاوصاف وختمها بذكر تعظيم لشانها واعلام بعظم قدرها اولئك الجامعون
لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وارثين دون غيرهم الذين يرثون
الفردوس اي يصلون اليه وبالذي ما فيه من النعيم المقيم بلا عمل كسب ويبقى في ايديهم
فان الوراثة اقوى سبب التمليك حيث لا يعقبه فسخ ولا استرجاع ولا يبطله رد ولا اسقاط
والفردوس هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر في الاوراق والرياحين ويحتمل ان يكون
من التفعيل ومن تخصيصه وتعظيمه واستعارة الوراثة وابراز مبتداه لاشارة اشعار بانهم المستحقون
ذلك الخطب الجليل ممن يليق الا هم والصفات لا بسببها لا بل تفضلا وعدلا وهو الفردوس
يكون في القرب مما عليها هم فيها خالدون انث الضمير على تاويل الجنة او الطبقة فانه
اسم للجنان او لاعلاها طبقة ومن هنا تبين ان ما قيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها
حيث فرقوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار ثابتا
بين المقام ولقد خلقنا الانسان من سلالة السلالة صفوة الشيء يخرج منه كانها سليلة
كالنطفة فعالة بمعنى مفعول فيه يستعمل فيما قل كالقلامة والقمامة والنخالة ومن هنا للابتداء
متعلقة بخلقنا وفي قوله من طين للبيان متعلقة بسلالة اي سلالة كائنة من طين والانسان ادم عليه السلام

ثم جعلناه ثم جعلنا نسله على حذف المضاف لقوله تعالى وبدأ خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وما شاء او بجعلنا بعد ذلك الفرد كان الجنس مخلوقا من سلالة
من طين بعينه او ما قيل المراد بالطين آدم عليه السلام لانه خلق ثم منه من السلالة نطفة ولا وجعلنا
قبل من اخراجه عليه السلام من الجنس المذكور حيث جعل مخلوقا من نطفته **نطفة** بان خلقناه منها
في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم سمي المستقر بالقرار كانه نقل القرار بعد وصف
بالمكانة التي هي صفة المستقر فيه على الاسناد المجازي تنبيها **ثم خلقنا النطفة**
علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء بتدريج بعد زمان **فخلقنا العلقة مضغة**
فصيرناها قطعة لحم **فخلقنا المضغة عظاما** بان صلبناها **فكسونا العظام لحما**
فانبتنا عليها لحما فصار لها كاللباس وقرئ عظما وعظاما للواحد ووضع الجنس مكان الجمع
واختلاف العواطف لاختلاف الاستحالات والتكونات في التراخي وعدمه
والفا للتكونات الا في ثم في قوله **ثم انشأناه** فانها لاستبعاد ما بين الخلقين من التفاوت
خلقا آخر التنكير للتنويع اي نوعا آخر من الخلق مباينا للخلق الاول بنفخ الروح فيه وجعله
حيوانا مباينا لما بعدها اذ كان جمادا فجعله حيا سميعا بصيرا ذا اعضاء ظاهرة وباطنة
في كل واحد منها عجائب حكمة وغرائب صنعته ولطائف خلق لا يحيط بها وصف واصف ولا يبلغها شرح
شارح واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان
البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر **فتبارك الله** فتعالى شانه في قدرته وحكمته **احسن**
خبر مبتدا محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من **الخالقين**
المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه روي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق
بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وهذه الرواية غير صحيحة لان السورة مكية وان ارتداده كان
بالمدينة على ما اعترف به الراوي **ثم انكم بعد ذلك لميتون** لصائرون الى
الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به **ثم انكم**
يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والجزاء ومعنى التراخي فيه علم من الظرف
ليس لافادته [illegible] **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق** سموات لانها
طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة واما العرش والكرسي فليسا
من الطرائق لعدم المماثلة بينهما وبينها **وما كنا عن الخلق** وما كنا عنها وعن حفظها

ان تقع عليكم **غافلين** وفي التعبير عنها بالخلق وصل بما لغيرهم في تعظيمها بها او زيادة كذا
لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار **وانزلنا من السماء ماء بقدر** بتقدير تقتضيه الحكمة
او بمقدار ما علمنا من صلاحهم **فاسكناه في الارض** فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض
وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه
لقادرون كما قدرنا على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه وانواعه ومبالغة في الايعاد
وتعديته بالباء تاكيد لارادة الازالة ذهاب به ... ليس في الاذهاب
وهو في غاية البلاغة وزعموا انه ليس في قوله ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
هذه المبالغة والبلاغة وفيها ... الى ما تنفعه ... في موضعه باذن الله تعالى **فانشانا**
لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة من غير الجنسين
المذكورين تتفكهون بها **ومنها** ومن الجنات ثمارها وزروعها **تاكلون** تغذيا
فتحصل ان معنا ... المراد ... النخيل والاعناب
انواعا من الفواكه كالرطب والاعناب والعنب ... الزبيب والبسر والحصرم والدبس والعصير
ونحو ذلك ... **وشجرة** عطف على جنات وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ
لكم به شجرة **تخرج من طور سيناء** جبل موسى عليه السلام اما اسم مركب من المضاف
اليه كامرئ القيس واما اسم مضاف الى بقعة اسمها سيناء ... منع من الصرف في الثاني
والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال
من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال
... **تنبت بالدهن** ... ملتبسا بالدهن
الذي ... كما في قولك ذهبت بزيد وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تخرج
الدهن **وصبغ للآكلين** وقرئ تنبت الدهن من الانبات وهو اما من انبت بمعنى نبت او على
حمل ... زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول
وهو كالاول وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر
اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصطبغ
فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ للآكلين كدباغ في دبغ وما خص هذه الانواع الثلاثة
بالذكر من بين الثمار لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع
التفكه والتغذي ... **وان لكم في الانعام لعبرة**
تعتبرون بها وتستدلون بها **نسقيكم مما في بطونها** من الالبان

سورة النحل استيناف لبيان العبرة ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان ومنها تأكلون فتنتفعون بلحومها وعليها اي في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في اسفاركم وقد قيل المراد بالانعام في الابل فلذلك قرنت بالفلك لانها سفائن البر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله شروع في بيان اهمال الامم الماضية وسوق لبيان كفران الناس ما تلي من النعم المتلاحقة حتى ابتلوا بما ابتلوا ما لكم من اله غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف يجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه ويهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها والهمزة للانكار على الفعل للانكار التعجيب بل التعجيب للانكار فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه قد سبق في تفسير سورة الاعراف وجه توصيف الملأ بهذا الوصف ما هذا الا بشر مثلكم كناية على زعمهم عن نفي الرسالة عنه يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل وان يترفع عليكم بالرسالة بالرياسة ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في اباءنا الاولين يعنون بالبشر هو لا نوح ونبوته او بما امرهم به من تخصيص الله تعالى بالعبادة ونفي كل ما دونه من الالهة اي بمثل هذا الكلام وذلك لكونهم في فترة متطاولة او لعنادهم وانهماكهم في الغي فيكذبوا في ذلك لا ينقادوا للحق بما انكبهم وهذا اجنس حيث قالوا ان هو الا رجل به جنة مع علمهم بانه ارجح الناس عقلا والجنة الجنون فتربصوا به فانتظروا حتى حين اي بخص جنونه فلا تعجلوا في عقوبته بل دعوه الى مدة فانه اذ يموت او يرجع عما او تعقلون به ما شئتم قال رب انصرني عليهم باهلاكهم بالجملة وما وعدتهم من العذاب بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم اياي فاوحينا اليه اي اجبنا دعاءه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ملتبسا بحفظنا كان معه من الله حفاظا يحفظونه بعيونهم لئلا يتعرض له او يفسد عليه عمله ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا عذابنا والمراد بمجيئه ظهور طليعته ومبادئه كان الماء ينبع من التنور كما قال وفار التنور بالعذاب الخروج بسبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ في الانذار والاعتبار وروي انه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب فاسلك فيها فادخل فيها سلك يجيء لازما ومتعديا وتعديا لتعدية من كل من الانواع من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين اثنين تأكيد وبالاضافة اي من كل امة زوجين الذكر والانثى واحدا من هذا واحدا من ذلك واهلك اي اهل بيتك ومن آمن معك الا من سبق عليه القول اي القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيء

لانه الضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى منهم اي من اهلك وهذا ايضا من تخصيص بتمييز من امن ولا تخاطبني في الذين ظلموا وهذا نهي عن الدعاء لهم بالانجاء على وجه ابلغ ومن خص الخطاب بالدعاء فقد اخل بحق البلاغة وجعل النهي عن الدعاء معللا بالظلم فلذلك وضع الموصول مع الصلة موضع الضمير وللمبالغة ولا تخاطبني فيهم ايضا في العلة والحكمة يقتضي هلاك الظالمين انهم مغرقون تعليل للتأكيد اي لانه محكوم عليهم بالاغراق لظلمهم بالاشراك والمعاصي ثم بالغ في ذلك بان امر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم فضلا عن النهي عن الدعاء فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين امر بالحمد على نجاته ونجاة من معه اشارة الى نجاة اتباعه ايضا نعمة جليلة في حقه ولم يقل فقولوا لانه لو قال فقولوا لم يحصل هذا المعنى وايضا كبرياء الربوبية يقتضي ان لا يترقى الى الخطاب بمثله الا نبي وان كلامه ينبئ عن كلامهم وللاشعار بالاجابة الاثيلة وقل رب لما نهاه عن الدعاء للانجاء امره بالدعاء لنفسه ولقومه وهو ان ينزله منزلا كما قال انزلني في الارض من السفينة او في السفينة لانه عبر عنه منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امر بان يشفعه به توسلا به الى الاجابة انما امر بالحمد المذكور وبالدعاء تعظيما لطريقتهما وانها لنفس الحمد والدعاء ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن كنا لمبتلين لمختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر ولقد تركناها آية فهل من مدكر او لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد في الاخبار به كثيرة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين عادا قوم هود عليه السلام لقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فانه قول هود عليه السلام لا قول صالح عليه السلام ولمجيء قصة هود على اثر قصة نوح عليهما السلام في سورة الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم رسولا هو هود في زمنهم في موضع آخر رسولا التأكيد للتعظيم منهم من قبيلتهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه عطف على الفعل على الانكار وعدم التقوى بعد العلم بانه لا اله غيره وفيه مثل العالم

به لتمكنهم من العلم به وتنبيه على [illegible] الدالة على [illegible] فقال الملأ من قومه الذين
كفروا لما تقدم أرسلنا معنى القول عطف عليه [illegible] بالواو ليجتمع في الحصول [illegible] الحق
وهذا الباطل وكذبوا بلقاء الآخرة أي بلقاء ما فيها من الحساب والجزاء يعني بالبعث وأترفناهم
نعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد ما هذا إلا بشر مثلكم في الحال
والصفة يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وقد [illegible] في قصة
نوح عليه السلام لتأكيد المماثلة وما خبرية وحذف العائد إلى الثاني لدلالة ما قبله عليه
أو للتناسب حذف المتصل [illegible] يشربون منه ولئن أطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم
عنه إنكم إذا واقع في جزاء الشرط وجوابا للذين قاولوهم من قومهم لخاسرون بالانقياد
للمتكلم [illegible] أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما
[illegible] ترابا [illegible] بطريق [illegible] عظاما [illegible] بطريق الحس كان الثاني
أشد [illegible] في الاستبعاد عند العامة [illegible] لاستبعاد العظام [illegible]
[illegible] في كونه ترابا [illegible] للتمييز الأول [illegible] ولذلك [illegible] في جميع المواضع
أنكم مخرجون من العدم إلى الوجود تارة أخرى [illegible] أنكم الثاني تأكيد [illegible] لما طال الفصل
بين الأول والثاني ومخرجون خبر عن الأول [illegible] إذا [illegible] الظرفية [illegible] لا لأنه
مع اسمها خبرها [illegible] أنكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف والجملة خبر أنكم [illegible] أي إخراجكم إذا [illegible] أو الرفع
بفعل مقدر هو جواب الشرط [illegible] أي أنكم إذا متم وقع إخراجكم هيهات هيهات من
أسماء الأفعال [illegible] بعد [illegible] بعد التصديق أو الوقوع واللام في لما
توعدون للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد
قالوا لما توعدون [illegible] واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث وقيل
هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا
على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف
وبإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن الحياة إلا حياتنا الدنيا فوضع موضع
الحياة [illegible] حذرا عن التكرار وإشعارا بأن تعيينها مغن عن التصريح كقوله
هي النفس ما حملتها تتحمل ومعنى لا حياة إلا [illegible] الدنيا لأن إن النافية دخلت على هي
التي بمعنى الجنس فوازنت لا التي لنفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما
نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو ما هو إلا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من أنه رسول
وفيما يعدنا من البعث والمفتري قد يكون صادقا في نفسه ويكون الكذب في نسبته إلى الله

عليه فقيل [illegible] كذبا بالدفع هذا الاحتمال وهذا غاية الضلال وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين [illegible] الحافظ على الفاصلة قال رب انصرني عليهم [illegible] بما كذبون
بسبب تكذيبهم إياي فأجاب الله تبارك وتعالى حيث قال عما قليل عن متعلق بيصبحن وما
زائدة لتأكيد معنى القلة [illegible] أو نكرة موصوفة [illegible] بالقسم المحذوف ليصبحن
نادمين على ما فعلوا إذا عاينوا ما يحل بهم فأخذتهم الصيحة صيحة هائلة [illegible] جبرائيل عليه
السلام [illegible] من الملائكة [illegible] فاستدل به على أن القرن قوم صالح عليه السلام [illegible]
لأنه [illegible] صالح عليه السلام بالحق [illegible] بالوجه الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل
من الله تبارك وتعالى أو بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل
[illegible] من الورق والعيدان [illegible] التشبيه [illegible] عليه السلام فبعدا مصدر
بعد إذا هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها واللام في للقوم الظالمين
لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ويحتمل الإخبار ثم أنشأنا من
بعدهم قرونا آخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام ما تسبق من أمة من مزيدة للاستغراق
أجلها الوقت الذي عين لهلاكها وكتب وما يستأخرون الأجل ثم أرسلنا رسلنا تترى
فعلى والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين على أنه مصدر [illegible] وقع
حالا والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور أي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد
كلما جاء أمة رسولها كذبوه أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم
لأن [illegible] المجيء إليهم والرسول [illegible] بهما جميعا فيصح إضافته إليهما فأتبعنا
بعضهم بعضا [illegible] في الإهلاك وجعلناهم أحاديث أخبارا يسمر بها ويتعجب
منها والأحاديث يجوز أن [illegible] اسم جمع للحديث ومنه أحاديث الرسول عليه السلام ويكون جمعا
لأحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم [illegible]
[illegible] لا يؤمنون به ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون [illegible] عليه السلام
كان [illegible] النبي عليه السلام [illegible] الأصل [illegible]
[illegible] بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة [illegible] يجوز
أن يراد به العصا وإفرادها بالذكر لأنها أم المعجزات وأولها تعلقت بها معجزات شتى كما ذكر
كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل ويجوز أن يراد الآيات أنفسها لأنها آيات
وحجة بينة إلى فرعون وملائه [illegible] في سورة
الشعراء [illegible] فقالا يا فرعون [illegible] إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل [illegible]

يذهبوا معا الى الشام فاستكبروا عن تصديقهما في الرسالة المذكورة وعن الانقياد لامرهما
لاجل المنافقة لانهما عليهما السلام لم يتعرضوا اليهما لعلو على البعض انما حاولا ان يذهبوا معا الى
وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لنذعن وننقاد لبشرين مثلنا البشر جنس
كما يطلق على الجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا يطلق على الواحد كقوله بشرا سويا وبهذا الاعتبار
ثنى ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر يستوي فيه الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كقوله الكرام امثالهم ومن الاحمق
مثلهن وقد يثنى ويجمع ايضا نحو مثلاه وامثالهم وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون على
الحقيقة كانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة فكذبوهما فكانوا من المهلكين
بالغرق ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم موسى الكتاب التوراة لما كان ايمانه وموسى عليه السلام
في حكم ايمانه ومعونته قال لعلهم يهتدون اي بني اسرائيل بشرائعها ومواعظها فان الاهتداء
بالكتب الالهية انما يحصل بالعمل بما فيها لا بمجردها وجعلنا ابن مريم عبر عنه بذلك دون اسمه
لما فيه من الاشارة الى وجه كونه آية وهو ولادته من غير اب فذلك ان الاصل في النسب
الاب فلا يعدل عنه الا عند فقده وامه آية لانها ولدته من غير مسيس فهما آية واحدة
او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه آية بان ولدته من غير مسيس
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة هي الارض المرتفعة قيل هي بيت
المقدس وقيل غيره ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها
يستقرون فيها لاجلها ومعين الماء الجاري على وجه الارض مفعول من عانه اذا ادركه
بالعين نحو ركبه اذا ضربه بالركبة اي يدرك بالعين لظهوره فيه معنى هذا او فعيل من معن
الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون الذي هو المنفعة لانه نفاع فيه اصل يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين
في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد
السامع ان امرا نودي لجميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه او خطاب لمحمد عليه
السلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان ياكل من الغنائم وقيل لعيسى عليه السلام لاتصال
الآية بذكره وكان ياكل من غزل امه والطيبات ما يستلذ من المباحات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف
او ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة ومع هذا الاحتمال لا يتم الاحتجاج به على
الرهبانية في رفض الطيبات بالمعنى الثاني واعملوا صالحا فانه المقصود منكم اني بما تعملون
عليم فاجازيكم على اعمالكم وان هذه بالكسر على الاستئناف وبالفتح بتقدير اللام والعلة
او هو معطوف على ما قبله اي بما تعملون عليم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه وقرئ

بالخفيفة

الخفيفة امتكم ملتكم وطريقتكم امة واحدة في اصول الشرائع والمعتقدات او جماعتكم
جماعة واحدة متفقة في التوحيد والايمان وتفضيلها على الخلق وانا ربكم فخصوني بالتقوى في
شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا تقطع بمعنى قطع والضمير لما دل عليه الامة من اربابها
او لها امرهم بينهم امر دينهم من الشرائع والاحكام زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا
دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم كل يتخذ كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا ويؤيده قراءة زبرا
بفتح الباء جمع زبرة مستعارا من زبر الحديد ويجوز ان يكون حالا من امرهم او من الواو كل حزب
كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين امرهم بما لديهم من الكتاب والدين او من الهوى والراي
فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها في غلبتها عليهم
بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل
حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية به لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال
بعذابهم ايحسبون انما نمدهم به ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما لا خبر
له فانه غير معاتب عليه انما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم نسارع لهم في الخيرات
والعائد محذوف خبر ان اي انما نحسبونه اي نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا
الى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم ويجوز
ان يكون فيه من الخيرات كما هو حسبان اهل الخير من المسلمين بل اضراب عما يحسبونه لا يشعرون اي
بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك فيعلموا انه استدراج
لا مسارعة في الخير ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه يتنزلونه التعظيم مشفقون
واشتد الخوف الخشية والخطر على حذر ودقة الاتقاء وخوف مع تعظيم والذين هم بآيات
ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون يصدقون بمدلولها ويعرفونها من عند الله والذين هم
بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات
وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم
وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به والوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه انهم الى ربهم
راجعون لان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون
فيها اشد الرغبة فيبادرونها او الاحسن طاعة فلا يتقدم ما لا يتدرك وقال ان المعنى انهم يبادرون
في نيل الخيرات الدنيوية ويتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام لانهم اذا سورع بها لهم
فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها فيكون كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة لان فيه
اثباتا لهم ما نفي عن الكفار المؤمنين وهم لها سابقون اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون

الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا
حال من فاعل يسارعون او عطف على اولئك يسارعون عطف الجملة على الجملة لما علم ان
وعلم اوخبرهم وسابقون خبر بعد خبر ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد
به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على السابقين ولدينا كتاب اي علم
غير ضايع بل مثبت في كتاب اي اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق يبين الصدق لا يوجد
فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب وبتعذيبهم على
على الفاصلة ثم عاد الى ذكر الكفار فقال بل قلوبهم في غمرة في غفلة غامرة لها من
هذا من الذي وصف به السابقون ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة عما وصفوا به
او الاشارة بذلك للتنطيس هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم
متنعميهم بالعذاب وهو القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى
بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والعلهز والاولاد اذا هم يجأرون
فجاؤوا الصراخ بالاستغاثة اي فاجؤوا وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى
ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا
لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر
من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن اي قد سمعتموه حالا وتلي عليكم
وقتا بعد وقت فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون عنها اشد عن سماعها وتصديقها
على اسمع وجه مستمرين على ذلك والنكوص الرجوع القهقرى وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراه
مستكبرين به بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي
سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وقيل بالقرآن لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم
به تكذيبهم به استكبارا ضمن الاستكبار معنى التكذيب او استكبرتم بسببه اي اذا تتلى عليكم احدث لكم بسببه
استكبار او ان يتعلق بالباء ما بعده سامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وذلك انهم
كانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا
والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا تهجرون وهو من الهجر بالفتح اما بمعنى القطع
او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه او من الهجر بالضم وهو الفحش وقرئ تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش ومن هجر الذي هو بمعنى الهجر في مجلس
اذا هذى اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شانه او تفحشون افلم يدبروا القول اي القرآن
ليعلموا عند تدبره انه الحق المبين فيصدقوا به ويتبعوه او ليخافوا عند تدبر ما فيه من الامثال

ما نزل بمن قبلهم من المكذبين والهمزة للتقرير والتوبيخ اي ابعد وضوح آياتي المتلوة عليهم
لم يتدبروا فيما في قولهم ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين منقطعة اي علموا تدبرهم
لما جاءهم ما لم يات اباءهم لا انهم جاءهم من كتاب او رسول او امن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا
كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسماعيل عليه السلام واعقابه والهمزة هنا بل لا انكار ويجوز
ان يكون المراد بالاولين الذين مضوا من سلفهم من الاقربين الذين قلدوهم فتكون
الهمزة للتقرير ايضا ام لم يعرفوا رسولهم اضراب عما ذكروا بانكار لعدم معرفتهم اياه
لانهم عرفوه بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك
ما هو صفة الانبياء فهم له منكرون تفريع على عدم معرفتهم اياه فيدخل تحت الانكار
والانكار ولا وجه لما قيل لاحد هذه الرجوع لانه الا في بعض منه خلاف الوجه فلا وجه
الفصل بينهما بما ذكر ام يقولون به جنة اضراب وانكار ايضا لقولهم بجنة لانهم كانوا
يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم رايا واصوبهم نظرا ويجوز ان تكون الهمزة للاستفهام
وام هي المتصلة ويكون الكلام على طريق المجادلة بالتي هي احسن بينهم لامور كما يقال
للناظر ان الامر لا يخرج من احد هذه الاقسام لكن الاقسام كلها باطلة الا القسم الاول وهو
تسليم للنقيض وعبر عنه بقوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون تحقيقه
امرهم فلذلك لم يتدبروا وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا
من توبيخ قومهم او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق على سبيل الفرض
والتقدير كما تقرر لهما لات اهواءهم في الشرك بان كان في الوجود الهة شتى لفسدت السموات
والارض كما سبق تقريره في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا او ولو
اتبع الحق الذي قام به السموات والارض اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما قام به العالم
فلا يبقى بحاله او ولو اتبع الحق الذي جاء به محمد عليه السلام وهو الاسلام اهواءهم فانقلب
شركا لجاء الله تعالى بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه وهو على الوجه الاول للحق الموافق لما اقتضاه
ولو كان اتباعا لهواهم وباطلا بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكن شيطانا فيه ما لا يخفى
من جرأته على الله تعالى وسوء ادب فاحش ومن فيهن حتى لعقلاء ونبههم على الوجه العقلي
بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم وفخرهم او الذكر
الذي كانوا يتمنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون
اليه وانما اعاد الذكر باسمه تفخيما ام تسألهم منقطعة خرجا اي جعلا على اداء الرسالة
والخرج ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج

ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج لقولك خراج القرية
وخراج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولهذا حسنت القراءة الاولى يعني ام تسألهم على هدايتك
لهم قليلا من عطاء الخلق فخراج ربك اي فالكثير من عطاء الخالق خير ففيه مندوحة لك
عن عطائهم وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم قد سبق تحقيقه في الفاتحة وتنكيره هنا للتعظيم ولقد الزمتهم الحجة وازاحت العلل
بحصر الاقسام التي يتمحل لها الانكار والاتهام وبينت انتفاءها الا عدم التدبر وكراهة الحق
لمخالفته اهواءهم واقامة الدلايل على اتباعهم افتراءهم عليه من التقليد واتباع الهوى
لما يلزم ذلك من التنافي الكلي اذ ما عليه الحق هو الصراط المستقيم الذي تشهد باستقامته
العقول السليمة والفطر الصافية وانه يدعوهم اليه وانهم كارهون عن الصراط المذكور
لعادلون وانما عدل الى الموصول فقيل وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون
عن الضمير الى الموصول للتنصيص على علة عدولهم عنه لنكوبهم كالذي [illegible]
في الموصول [illegible] ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا
في طغيانهم في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول عليه السلام والمؤمنين
يعمهون اي لعادوا الى ما كانوا عليه من اللجاج في الطغيان ولذهب عنهم هذا الالتباس الذي
بين يديه يشتركون فيه [illegible] ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد اخذناهم بالعذاب
اي القتل والاسر يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فاخضعوا وما تذللوا ولم يوجد
منهم تضرع الاستكانة استفعال من الكون لان المتذلل انتقل من كون الى كون كاستحال من
من حال الى حال او افتعل من السكون اشبع فتحته حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد يعني باب الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون الابلاس
آيسون من كل خير [illegible] حتى جاءك اعتاهم
يستعطفك [illegible] انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة
اخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء
بالجوع فنزلت وهذا صريح في انها مدنية وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون قليلا نصب على المصدر وما زائدة للتوكيد اي شكرا قليلا تشكرون
حقا وانما خص السمع والابصار والافئدة بالذكر في مقام الامتنان لانها اصول المدارك التي
يتعلق بها المنافع الدينية والدنيوية ولا يمكن الانتفاع الا بها فانه متوقف على الاعتبار والاستماع

والاستبصار بالنظر والاستدلال لانها اصول النعم الموجبة للشكر فلما كان العمدة في الشكر
سبيلها الانتفاع فيما خلقت لاجله وصرفها [illegible] فلذا قال وهو الذي
ذراكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار قد سبق تحقيق اي هو المختص
باعظامكم بانشاء الجوارح المذكورة وانشاء الخلق بالاحياء والاماتة وله خاصة اختلاف
الليل والنهار بتعاقبهما لا يقدر على تصريفهما غيره لا اختصاص مستفاد من تقديم
الضمير والظرف افلا تعقلون اي تبصرون الدلايل الواضحة لا تعقلون بالنظر والاستدلال
وان جميع المدركات المذكورة انما هي لنا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من
جملتها فلا تنكرونه [illegible] الكلام الى الغيبة [illegible] التعظيم كما في
[illegible] بالتذكير [illegible] يعقلون [illegible] على [illegible] ايضا او ان
الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون كما قال
الكفار قبلهم قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما قد سبق وجه تاخير العظام عن
التراب ءانا لمبعوثون تكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والاستبعاد والتاكيد باذا ولام
لتوجيه الانكار الى الجزم بالبعث واعتقاد تحققه كما عليه الرسول والمؤمنون وكذب
لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث من قبل مجيء محمد عليه السلام ان هذا الا
اساطير الاولين الاساطير جمع اسطورة وهذا الباب لما يتلهى به كالاضحوكة والاعجوبة والاكذوبة
وقيل جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له قل لمن الارض ومن فيها
من فيها [illegible] تغليبا للعقلاء او لانه يلزم ان يكون [illegible] من طريق الاولى ان كنتم تعلمون
اي ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك زيادة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم
سيقولون لله لانهم معترفون بانه الخالق قل اي لهم بعدما قالوه افلا تذكرون فتعلمون ان من
فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه
في الربوبية قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم في توصيفه بالعظيم تنبيه
للسموات السبع مع هذه العظمة في جنبه وهذا غاية في التعظيم سيقولون لله لان ذلك
ايضا قد تقرر عند العرب باخبار اهل الكتاب وقرئ الله بغير لام فيه [illegible] على ما يقتضيه
لفظ السؤال والاول محمول على المعنى لان قولك لمن هو معناه لمن هذه الاشياء وهذا جائز صحيح
قال الشاعر * اذا قيل من رب العشاب بموقف * ورب الجياد الجرد قيل لخالد *
قل افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به ولا تنكروا ما قدرته على بعض مقدوراته قل

من بيده ملكوت كل شيء ملكه وتدبيره وقيل الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة
ينبئ عن عظم الملك وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه يقال اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه
ومنعته ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمينه معنى النصرة ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون تخدعون فتصرفون عن توحيده وطاعته
مع ظهور الامر وتظاهر الادلة وهذه الاسولة استهانة بهم وتقرير بعد الزامها لهم في الاولين
حيث جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزام بما لا يمكن لمن له ادنى مسكة من العلم انكاره عن تلك
اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا بقوله سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم الى الاقرار
بما اجاب به ولو عكس ما قالوا لا يجيبه بل اخبر انه يجيء في السؤال القضية التي في قل
لمن الارض ومن فيها ثم سؤال عن رب السموات والعرش العظيم والارض بالتبعية اليه
كل شيء ثم سؤال عن من بيده ملكوت كل شيء فاتى باعم العام وكذا الاحاطة وبين الملكوت وهو الملك
الواسع ومقابلته تصويرا وتخييلا وكذلك روعي في جوابهم النكتة في الفواصل تذكرون ثم تتقون
فانى تسحرون الترقي فيها لاعلاء تعنتهم ثم بعدم الاتقاء وفيه توبيخهم بالتعنت بتخيل
تخيل الباطل حقا والحق باطلا في هذا التذكر والتخوف بل اتيناهم بالحق من التوحيد ونفي
نسبة الولد والشريك لله وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك وادعوا ان له ولدا ومعه
شريكا ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في
في الالوهية اذا جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط المحذوف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة
كما تقولون اذا لذهب لانفرد كل اله بما خلق بخلقه الذي خلقه واستبد به وامتاز
ملكه عن ملك الاخر ووقع بينهم التحارب والتغالب ولعلا بعضهم على بعض
وغلب بعضهم بعضا كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل
بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد
البرهان قائم على ان جميع الموجودات التي وجبت لذاتها ولا يلزم منه الا
الواجب ولا يكون في الوجود الا واجب لذاته سبحان الله عما يصفون
عما يصفونه به من نسبة الولد والشريك الذي لا يليق به الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة
خبر مبتدا محذوف وقد جرى بالجر على الصفة دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد
بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى الله عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ما يوعدون

اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم فان ما والنون للتاكيد وان كنت لا تحتاج الى جواب الشرط والجزاء
اي ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة رب تكرير ربنا بين الشرط والجزاء
للتضرع للتنبيه على فضل التضرع والجؤار فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو
مسلم انه عليه السلام معصوم عن ذلك لكنه امر بهذا الدعاء اظهارا لعجزه وتواضعا او
لانه لا يمتنع ان يعمهم العذاب اعلاما بان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم
ليس منهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل
قد اراه يوم بدر او يوم فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة حثه على مكارم الاخلاق
افضل المكارم ما لم يؤدي الى فساد الدين وهو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة
لما فيه من صيغة التفضيل والاحسان لا الفصل بايهام الموصول وتبيين الصلة اي ادفع السيئة
بالحسنة ولا تجازها بمثلها مما يكون من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل
الاستطاعة كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذا بالتي هي احسن نحن اعلم بما يصفون
بما يصفونك به من الاستطاعة الى ما خصصناهم وكذبوك وهو وعيد لهم وتسلية له عليه السلام
اي لا تخف فانا اعلم بحالهم وفعلهم وهو مجازيهم وقل رب اعوذ بك امره بالتعوذ من خطراتهم
فان السهل اليه انه المكر بك ليه بعضهم ولا بالتعوذ من ان يحضروه او يحوموا حوله
من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بالهمز
كما يهمز الرائض الدواب حثا لها على المشي والجمع لتعدد المرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ
بك رب ان يحضرون ان يحوموا حولي في شيء من الاحوال وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع
وقيل عند الصلاة والتخصيص باحدها لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء
احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء عنهم بالاستعاذة بالله من ان يستنزله عن الحلم ويغريه على
الانتقام منهم او بقوله لكاذبون قال تحسرا على تفريطه السابق لما اطلع على الامر
رب ارجعون ردوني الى الدنيا والخطاب بلفظ الجمع للتعظيم وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل
قفا نبك وهو خطاب للملائكة لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان
الذي تركته او العمل فيما تركته من الايمان اعمل فيه صالحا وقيل فيما تركت فيه من المال

أو في الموضع الذي تركت وهو الدنيا كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها إنها كلمة أي
طائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون إلى آخره هو قائلها لا محالة
لا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندامة عليه أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا يسمع منه ومن
ورائهم أمامهم والضمير للجماعة برزخ البرزخ الحاجز قال ـــ الفصل الحاجز بين
الدنيا والآخرة وحيل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وإياه قوله إلى يوم يبعثون لا
لا ينفصل غاية لعدم الرجوع المذكور لعلمه بأنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا بعينه إلا إقناط كلي
عن الرجوع إلى الدنيا ولكنه لا ينفصل للمراعاة فإذا نفخ في الصور للبعث والنشور والقراءة
بفتح الواو وبكسر الصاد يؤيد أن الصور أيضا جمع الصورة إذ الأصل في القراءة التوافق فلا
أنساب بينهم يومئذ تنفعهم لا أنساب لا تنفعهم فإن لكل امرئ يومئذ شأنا أكبر لا ما انتفع بها
لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه
وصاحبته وبنيه وفيه نظر ولا يتساءلون كما يفعلون اليوم وهذا ليس بعقيب نفخة البعث
بل بعد ذلك لقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا فإنه صريح في أنهم يتساءلون وقوله تعالى وأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قال ـــ ابن عباس رضي الله عنهما إنه للنفخة لقيام الخلق
الثانية ولما الجزائية لا تدل على التعقيب فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم قد سبق تفسيره في سورة الأعراف
في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم والجملتان في حكم الصلة ولا محل لهما من الإعراب
أو خبر بعد خبر لأولئك أو في محل الرفع كالذين خسروا أو خبر مبتدأ محذوف تلفح وجوههم
النار تحرقها قال ـــ الزجاج اللفح كالنفح إلا أن اللفح أشد تأثيرا وهم فيها كالحون
من شدة الاحتراق والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمر عن الأسنان كما ترى الرؤوس المشوية
وروي عن النبي عليه السلام أنه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته ألم تكن آياتي تتلى عليكم على إضمار القول أي
يقال لهم ألم تكن تتلى عليكم آياتي في الإنذار فكنتم بها تكذبون تعنيف وتذكير لما استحقوا
هذا العذاب بسببه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا من قولك غلبني فلان
على كذا إذا أخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة وقرئ شقاوتنا وشقوتنا بفتح الشين
وكسرها كالسعادة والكتابة أي غلبت علينا الأعمال الرديئة من الأحوال القبيحة التي شقينا
بها وكنا قوما ضالين عن الحق والصواب بعد لبس هذا اعتذار منهم واعتراف بأنهم
ولا ... قيل غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه

بقدره ولا يكتب غير الذي علم أنه يفعله فإن العلم تابع للمعلوم لا العكس فلا يكون مجبورا
مضطرا في الفعل بسبب التقدير الأزلي ربنا أخرجنا منها من النار فإن عدنا إلى الكفر
والتكذيب فإنا ظالمون لأنفسنا قال اخسئوا ازجروا فيها أذلاء انزجار الكلاب إذا زجرت
من خسأ الكلب وأخسأته لازما ومتعديا شبهوا بالكلب في الذل والهوان فطردوا بالخسئ
ولا تكلمون في رفع العذاب ولا تكلمون أصلا قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك
إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون إنه أي الشأن وقرئ
بالفتح أي لأنه كان تعليل لوجوب انزجارهم فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل هم
الصحابة رضي الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا
وارحمنا هذا تفريع لطلب المغفرة والرحمة على الإيمان للدلالة على كمالهم فيها وأنت خير
الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وتشاغلتم باستهزائهم حتى أنسوكم بكثرة تشاغلكم به ذكري
أي تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي والسخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر إلا أن
في ياء النسب زيادة قوة في الفعل ومبالغة كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء
أن المكسور من الهزء والمضموم من التسخير بمعنى الانقياد والعبودية أي سخروهم واستعبدوهم
والأول مذهب الخليل وسيبويه وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم إني جزيتهم اليوم
بما صبروا على أذاكم أنهم بالفتح ثاني مفعولي جزيتهم وبالكسر استئناف كأنه لما أبهم الجزاء
للتعظيم والترغيب فيه سئل عنه إذ لم يعلم كيف جزاهم قال إنهم هم الفائزون مخصوصون
بالفوز بجميع مراداتهم قال أي الله تعالى أو المأمور بسؤالهم من الملائكة وقرئ على الأمر للملك
أو لبعض رؤساء أهل النار كم لبثتم في الأرض في الدنيا أحياء أو أمواتا في القبور عدد
سنين أي كم عدد سنين لبثتم وكم نصب بلبثتم وعدد تمييز لكم قالوا لبثنا يوما أو بعض
يوم استقصروا مدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار أو لأنها كانت أيام سرورهم
وأيام السرور قصار أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم الذي يستحق أن يعبر عنه
بالقلة فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها فإنا لما نحن فيه
من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون
أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أي القدماء
المعمرين فإنهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم قال وقرئ قل إن لبثتم إلا قليلا أي
ما لبثتم إلا زمانا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون صدقهم الله تعالى في مقالهم لسني لبثهم
في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها أفحسبتم توبيخ آخر على تغافلهم وتجهيل لهم

أنما خلقناكم عبثا حالا أي عابثين أو مفعولا له أي ما خلقناكم للعبث وما خلقناكم
لنتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث وأنكم إلينا لا ترجعون معطوف على
أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا على عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ
ترجعون بفتح التاء فتعالى الله أي تنزه عن أن يخلق عبثا تعليلا لما تقدم الملك الحق الذي يحق له الملك
لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه ومن عداه يملك في بعض الأشياء
بالعرض زائل الملك لا إله إلا هو فإن ما عداه عبيده رب العرش الذي يحيط بالأجرام
الكريم وصفه بالكرم لأن الرحمة والخير والبركة الإلهية
تنزل منه ويجوز أن يكون توصيفه بالكرم لنسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم
إذا كان ساكنوه كراما وقرئ بالرفع على أنه صفة للرب ومن يدع مع الله إلها آخر يعبد
إفرادا أو إشراكا لا برهان له به صفة أخرى لإلها أي لا حجة له عليه لأن البرهان على
أو نفي ... في واحد منهما ما يجوز أن يكون ثمة إلها آخر وهذا وإن كان مذكورا في صورة
الصفة فليس للتمييز لأن الباطل يستحيل أن يكون له برهان فضلا عن برهان
وإنما جيء بها للتأكيد وبناء الحكم والوعيد عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع
فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لبيان الملازمة كقولك من أحسن
إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه فإنما حسابه عند ربه كناية عما ذكر
أي فهو مجازيه بما يستحقه إنه أي أن الشأن وقرئ بالفتح أي لأنه أو على أن خبره حسابه أي
أنه لا يفلح الكافرون من باب وضع الظاهر موضع المضمر أصله حسابه أنه لا يفلح
هؤلاء من يدع في معنى الجمع فمعنى حسابه أنه لا يفلح هو لأنهم لا يعلمون فعنى تعظيما
لشأنهم وتفضيحا لسوء حالهم وإيماء إلى عدم الفلاح لكفرهم وصيغة الجمع للتنبيه على أن
اجتماعهم وإلا فالظاهر أن يجيء بصيغة الإفراد لأن الفلاح مستحق في جنسهم فذا فرج
بين فاتحة السورة وخاتمتها بقوله قد أفلح المؤمنون في الفاتحة وإنه لا يفلح الكافرون
في الخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله وقل رب اغفر وارحم وأنت خير
الراحمين لأن رحمته إذا أدركت أحدا أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته
والله أعلم

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ لأنها مخصصة بالتنكير الدال على التعظيم كرمتها ...
أمرنا بأنزلناها صفة أو خبر ومن نصبها جعلها مفعول فعل مضمر يفسره ما بعده فلا يكون لها محل إلا إذا

أنزل نجوما ولا يجوز تقديره تلك لأن إذا لا تحذف إلا عند ... وفرضناها أي فرضنا ما فيها
من الأحكام وقرئ بالتشديد للتكثير أو للمبالغة وأنزلنا فيها آيات بينات أي دلائل
واضحات لعلكم تذكرون لكي تتعظوا الزانية أي المرأة التي مكنت من الزنا فالكلام خارج
مخرجها قدمت هنا لأنها الأصل في الزنا ... الأولى والحرمة الوطء الذي به يتحقق الزنا منشأ
والعمل على التمكين وتشبيهها كما تقدم الزاني في الحكم الآتي ذكره لأنه الأصل فيه والزاني رفعا
بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط
لأن اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر والجلد الضرب بالجلد وفيه
إشارة إلى أنه لا يبالغ ليصل الأثر إلى اللحم والخطاب لجماعة المسلمين لأنه لا بد من حكمهم أجمع
فينوب الإمام منابهم وعموم الآية يتناول المحصن وغير المحصن ثم نسخ في المحصن بحديث الرجم
وشرائط الإحصان للرجم العقل والبلوغ والإسلام والحرية والدخول بنكاح صحيح وهما على صفة
الإحصان ورجمه عليه السلام يهوديين عنده ... لتحكيم اليهود ... ثم نسخ بقوله عليه السلام
من أشرك بالله فليس بمحصن والتغريب المروي منسوخ بهذه الآية كالحبس والأذى في قوله
فأمسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما لأن الفاء إنما تدخل على الجزاء وهو اسم للكافي ولا تأخذكم
بهما رأفة ... رحمة ... حيث يعطل الحد أو يخففا بل ... في الجلد
ترجع إلى الناصر ... في دين الله في طاعته أو في حكمه وإعلاء
بما يقتضيه حكم الرأفة ... بطريق الدلالة إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن
الإيمان يوجب الإتيان بأمر الله ... من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وجواب
الشرط مضمر أي فاقبلوا ... وليشهد عذابهما والجمع ... تنبيه
... تعذيبهما طائفة فرقة يمكن أن يكون حلقة ... ممن أقلها الجماعة الحافة
حول الشيء من المؤمنين ليعتبروا أو ينزجروا لأن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب
الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة أي لا يميل إلا إلى نكاح ... والزانية لا ينكحها
إلا زان أو مشرك أي لا يمكن إلا من نكاح واحد منهما ... عن نكاح غيرهما
فالزاني لا يرغب في نكاح الصالحة ... عدل في الثانية عن التصريح إلى الكناية ... أسند النكاح
إليها وجه ما ذكر أن ... أو لأن ... سبب النفع والافتراق
... نظيره قوله الخبيثات للخبيثين الآية والآية نزلت في نكاح البغايا ... بالمدينة
فيها عدد المشرك في الفتح وحرم ذلك على المؤمنين لما فيه من التشبه بالفساق وحضور
مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة والطعن في النسب ... الزنا في كم

فيها من التعرض لاقتراف المفاسد ما لا يخفى كيف بمزاوجتهن ولذلك عبر عن التنزيه بالحرمة
مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي
ورد فيه او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده
انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال والذين
يرمون المحصنات اي يقذفون الحرائر العفائف المسلمات المكلفات بالزنا لوصف المقذوفات
بالاحصان وانما عدل عن التصريح الى الرمي ليبعد لان القذف والرمي لمعنيا المسلمين لمطلق
المرمي والتعميد ان المذكور ان اغنيا بها لا يناسب المقام وذكرهن عقيب الزواني واشتراط الاربع
شهداء بقوله ثم كلمة التراخي دل على انه لا يجب على الاتيان بالشهود على الفور لم يأتوا باربعة
شهداء يشهدون على زنا المقذوفة لان القذف بغير الزنا يكفي فيه الشاهدان
المتعلق بها فاجلدوهم ثمانين جلدة لان القذف بغير الزنا لا يوجب الحد بل يوجب
التعزير كقذف غير المحصن بالزنا ونصف ما بين نصف الصادر كتضيب ساية ونصف جلدة على
الفقير ولا فرق فيه بين المذكر والمؤنث وتخصيصهن بالمحصنات لخصوص الواقعة او لان قذفهن
كان اغلب هذا ما قالوا وانا اقول المراد بها الانفس المحصنات كآية قوله تعالى والمحصنات من النساء
فلا تخصيص ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تقبل شهادة زوج المقذوفة ولكن يشترط
طلب المقذوف لان فيه حقه من حيث دفع العار ولا خلاف فيه لابي حنيفة وضربه اخف من ضرب
الزنا قيل لضعف سببه واحتمال الصدق ولذلك نقص عدده ويرد عليه النقص بضربه تشديدا
كما اذا كان المقذوف غير محصن فانه اشد من ضرب الزنا مع قيام اصله المذكورة فيه ولا
تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت في موضع النفي فتعم كل شهادة وردت شهادتهم لانه ليس مفترى والا
ما تخلف عنه في قذف غير المحصن بل لانه من تمام الحد فيتعلق باستيفاء الحد او بعضه
للشافعي فيهما لا بانها لحال قبل الحد او تمامه لانه ان اريد انه كذلك عند الناس فممنوع
وان اريد انه كذلك عند الله تعالى فلا يجدي لان المعتبر في هذا الباب ما عند الناس حتى يجيز
تقبل شهادة الفاسق الوجيه واصل الكلام لا تقبلوا شهادتهم وانما غير النظم زيادة
للابهام لفائدة التنكير لانها تحصل بالنكرة لا التنكير في على وجه احرى بل لانها يعجز كون
ان المذكور من الحد بان في قبول الشهادة نفعا للشاهد لانه يتضمن الاكرام وصيانة
عن الاهانة ابدا اي في الاعادة فانا نقبلهم الشهادة ولا يشترط لذلك قبل
شهادة الكافر المحدود في قذف بعد الاسلام لحدوث اهلية اخرى للشهادة بالاسلام ولا
خلاف للشافعي هنا فانما خلافه في انصراف الاستثناء الآتي ذكره واولئك هم الفاسقون

كلام

لزم منه تنفيره اذ لا يدخل في حيز جزاء الشرط لانها حكاية حال الرامين عند الشرع الحاكم بالفسق
لا عند الله العالم باسرارهم بعدا نقضا الجملة الشرطية كقوله الا الذين تابوا من بعد
ذلك اي القذف واصلحوا احوالهم لا لاستثناء الحكاية للاستهلال عن المقذوفة فيستثنى الكل
ويدل عليه تعليل الاستثناء بقوله فان الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم ولا
حي حال الشرط الحلين ايضا حمل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده
ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عندنا ان يكون منصوبا لانه من موجب تام والذين
يرمون ازواجهم هذا بيان حكم قذف الزوجات بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم
به الا انفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع
بالرفع على الخبر والمبتدأ شهادة احدهم وبالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى
المصدر وهو شهادات والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة وعلى هذا خبر محذوف
تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة
لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت
ان وعلق العامل عنها باللام تأكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنت الله عليه ان كان
من الكاذبين في الرمي ويدرأ عنها العذاب ويدفع عنها الحبس والحد ان تشهد
اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين في الرمي والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين فيه ونصب حفص الخامسة بالنصب عطفا على اربع وبالرفع على
الابتداء وما بعدها الخبر وخص الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد
به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جري اللعن على ألسنتهن وسقوط وقعه عن قلوبهن
فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن واللعان كما بين في الفقه لا يقع الفرقة حتى
يفرق بينهما الحاكم وعند زفر والشافعي يقع بلعانهما الفرقة وتكون الفرقة طلقة بائنة عند
ابي حنيفة ومحمد وعند ابي يوسف رحمه الله والشافعي تحريم مؤبد وانما حكم لعان الزوج
وسقوط حد القذف عنه وثبوت حد الزنا عليها فالتعرض لها لا تعلقه ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم متروك جوابه لا يهوله البلغ لان البعض يذهب
في تقديره وكل مذهب لعلا احسن من قال ان يبينكم ابلغ من النطق ان الذين جاءوا
بالافك هو ابلغ ما يكون من الكذب على الاخر واصله الافك وهو الصرف لانه قول مصروف
عن وجهه والمراد ما افك به على ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقصته مشهورة عصبة
جماعة قيل من العشرة الى الاربعين وكذا في مصحف حفصة رضي الله عنها عصبة اربعة

ليتأد تعصب القوم اذا اجتمعوا على هيئة فشد بعضهم بعضا وفيه العصبة لانه يجمعهم العقب
فتجي عبارة العصبة هنا اخص من فريق ومن جماعة على عبارة الجماعة من جهة الدلالة على الكثرة
والكيف وهم عبد الله بن ابي راس المنافقين وراس المتعصبين وحسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم **منكم** من المخلوطين بكم من اهل ملتكم وهم قالوا ان
الافك وقع من الكفار رد عليهم اظهارا للوجه عادة ذلك الافك وخبر ان عصبة وقوله **لا تحسبوه**
مستانف والخطاب للرسول عليه السلام وابي بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم ولمن
ساءه ذلك من المؤمنين والمؤمنات والهاء للافك **شرا لكم** استئناف وادخل على نفسه الخير
منه **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشر
اية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا **لكل امرئ**
منهم ما اكتسب من الاثم اي لكل امرئ من العصبة جزاء اثم ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا
به وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت والبس في عبارة المرئي الخراج حتى
جنس عن هذا الحكم بل تركه حال تحريم خطابها على الدلالة من بلاغة ما وغيرها
والذي تولى كبره معظمه وكبر بالضم وهو لغة فيه اي قرب منه حرمه ولم يبعد عن المادحي
خصوصا عن نيل هذه الغنيمة **منهم** من الخائضين في الافك وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه
عداوة لرسول الله عليه السلام **له عذاب عظيم** في الاخرة روى ابو داود عن عائشة
رضي الله عنها قالت لما نزل عذري قام النبي فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر امر
بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش قال
علماؤنا وانما لم يحد عبد الله بن ابي لان الله تعالى قد اعد له في الاخرة عذابا عظيما فلو حد
في الدنيا لكان ذلك كفارة له فيتخلص من عذابه الاخروي وانما حد هؤلاء المسلمون ليكفر
عنهم اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة ذلك في الاخرة وقد قال عليه السلام
في الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه ففي قوله تعالى له عذاب عظيم اشارة الى عدم وجوب
الحد على ابن ابي ولذلك لم يحده النبي عليه السلام ثم وبخ الخائضين فيه فقال **لولا اذ**
سمعتموه اي الافك **ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم** بالذين هم كانفسهم من المؤمنين كنفس
واحدة وهو كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم **خيرا** عفافا وصلاحا وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة
وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم للمبالغة في التوبيخ بطريقة الالتفات وليدل
التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على
اختها قول عائب ولا طاعن وفيه ان الذي سمع قال القائل به وانما جاز الفصل بين لولا وفعله

بالظرف

الظرف لانه منزل منزلة من حيا ما منفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك
لان ذكر الظرف اهم لان التوبيخ في اول زمان السماع بالاتيان بالخوض فيه **وقالوا**
كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وترك بالظن الصريح بالسؤال ليفيد ان اللائق
بالمؤمن ان يحمل قوله على الظن الخير في اول وقت السماع **هذا افك مبين** كذب ظاهر
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء هلا جاؤوا على ما قالوا لو كانوا صادقين باربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء الاربعة **فاولئك عند الله** اي في حكمه وشريعته وفي عبارة عند
تعليما في احكام الشرع من العمل بالظاهر **هم الكاذبون** من جملة القول تحريك كونه
كذبا فانما لا حجة عليه مكذب في حكم الشرع ولذلك يستحق الحد عليه **ولولا فضل الله**
عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لو لا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره ولو لا الاولى
تفضيله ان شغلكم الله في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وانا ارحم عليكم
في الاخرة بالعفو والمغفرة بسبب توبتكم واستيلاء حكم الحق **لمسكم** عاجلا **فيما افضتم** بسبب
الخضتم فيه يقال افاض في الحديث وخاض اذا اندفع **عذاب عظيم** يستحقر دونه اللوم والجلد
اذ ظرف لمسكم او لافضتم **تلقونه بالسنتكم** التلقي كالتلقف والتلقن الا ان في التلقي معنى الاستقبال
وفي التلقن الحذق وفي التلقف الاخذ الى التناول ذكره الراغب ولا اختصاص
له بالكلام ولذلك قال **بالسنتكم** اي ان بعضكم كان يتلقاه لبعض يقول هل بلغك حديث عائشة
رضي الله عنها حتى شاع فيما بينكم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه **وتقولون**
بافواهكم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان المراد بانه يعني قول لا كلاما
لا ينبا من القلب بادي في وجه الباطل كالتكيد في قوله **ما ليس لكم به علم** بالتعليل
وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهي ثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي
الافك بالسنتهم والتحدث به من غير علم واستصغارهم لذلك **وهو عند الله عظيم** في
الوزر واستجلاب العذاب وكان الواجب عليهم اذ سمعوه ان لا يتفوهوا به **ولولا اذ**
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا **ان نتكلم بهذا** فقد تقدم فائدة
تقديم الظرف ووجه الفصل به بين لولا وقلتم **سبحانك** للتعجب من عظم الامر واصل التعجب
في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل
في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة فان فجورها
ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده **هذا**
الاشارة الى القول المخصوص ويجوز ان يكون الى نوعه فان قذف احاد امثاله محرم شرعا

فضلا عن تعرض الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله عليه السلام بهتان زور يبهت منه
عظيم وفي بعض الأخبار أن امرأة أبي أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أما بلغك
ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها فقال أبو أيوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق
قوله يعظكم الله أي ينصحكم كراهة أن تعودوا لمثله أي في أن تعودوا إلى مثلها فعلتم من القذف أو
سماعه وتلقيه أبدا ما دمتم أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير
بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصاد عن كل قبيح ويبين الله لكم الآيات الدالة على
الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بما يأمر وينهى حكيم فيه إن الذين
يحبون يريدون أن تشيع الفاحشة أن تنتشر الفاحشة أي ما أفرط قبحها والمعنى يحبون شيوعها
وشيوعها بها لا مطلقا إلا لدنيا لا يكون إلا بعد إشاعتها وليس هذا من قبيل الكناية ولا من قبيل
المجاز المرسل لأن كلا من معنى المحبة والإشاعة مقصود بها بل من قبيل الاكتفاء عن ذكر الشيء بذكر
ما يقتضيه تنبيها على المقتضي في المقتضى ويجوز أن يكون المعنى أن يشيعوا الفاحشة محبين
شيوعها في المحصنين في الذين آمنوا في حق المؤمنين وهم المقذوفون منهم الخفيا بهم الذين
لهم عذاب أليم في الدنيا بالحد والآخرة بالنار والله يعلم بواطن الأمور وسرائر الصدور
وأنتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله يعاقب على ما في القلوب من
حب الإشاعة وعليكم أن لا تتعرضوا عنها ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم
بالعذاب بكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في تعظيم الجريمة والتوبيخ
هم وأن الله رءوف حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب رحيم بغفرانه جناية القاذف
إذا تاب وهذا لأن الرأفة رقة الرحمة وهي مناسبة للمقذوف يا أيها الذين آمنوا
لا تتبعوا الاتباع الاقتداء بالداعي للذاهب إلى جهة ما فيما أتى في الذهاب في تلك الجهة
فالمتبع في الحقيقة تابع للداعي لا لأثره وإنما أضيف الاتباع ههنا إلى الأثر بلا لم بمنزلة الداعي
مبالغة خطوات الشيطان أي بخطواته لا تسلكوا مسالكه بتعدي حدود الله تعالى بالوسوسة منها
ومن يتبع خطوات الشيطان فقد وضع الظاهر موضع الضمير فإنه يأمر تعليل
للجزاء المحذوف والجملة الشرطية فما يقتضيه تعليل النهي بالفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره
الشرع في الجملة فهو تعميم بعد التخصيص فكأنه الشيء بتقديم الخاص إلى الأخص في
بيانه الاشتغال في شأنه من جهة الأمر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من أحد أبدا ما دام
متكلفا ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع عليم عليم

عليم

عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الألية وقيل لا يقصر من الألو والأول أنسب بسبب النزول
في أبي بكر رضي الله عنه وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء
المهاجرين أولوا الفضل منكم في الدين وفيه دليل على فضل أبي بكر والسعة في المال أن
يؤتوا كراهة أن يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات أولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله صفات لموصوف واحد أي ناسا جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك
أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا
بالإغماض والإعراض وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة ألا تحبون أن يغفر
الله لكم هذا غاية اللطف في الخطاب أي ألا تحبون أن يغفر الله لكم فافعلوا بهم كما
والله غفور رحيم أي فتأدبوا بأدب الله واعفوا وارحموا لما نزلت ألا تحبون قال أبو بكر
بلى أحب ثم عاد إلى مسطح ما كان ينفق عليه إن الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات
مما قذفن به كناية عن البراءة منه المؤمنات بما يجب الإيمان به استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول
والمؤمنين كابن أبي رأس المنافقين بحديث عائشة رضي الله عنها وحدها والجمع لأن من قذف واحدة
من نساء النبي عليه السلام فكأنه قد قذف الكل أو المراد عائشة لما عمها كما ينبغي إلى
الأوهام ٭ من قصة مسطح أنه تاب فقد قذف عائشة رضي الله عنها ٭ ففهموا بالجلد والتوبة
لعنوا في الدنيا والآخرة لكلام المؤمنين في الدنيا يلعنهم والملائكة في الآخرة ولهم عذاب
عظيم لعظم ذنوبهم ذلك على معنى عذابه يوم القيامة في يوم لا العامل فيه لا العذاب لأنه موصوف
تشهد عليهم وقرئ بالياء للفصل والفصل بينهم هذا في حق القذفة وقوله تعالى
اليوم نختم على أفواههم الآية في حق المشركين فلا منافاة وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون
يعترفون بها بإنطاق الله تعالى إياها على ما نطق به قوله تعالى قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل
شيء بغير اختيارهم على ما دل عليه قوله لم شهدتم علينا وفي ذلك اليوم يلقيهم العذاب يومئذ
يوفيهم الله دينهم جزاءهم الحق بالنصب صفة له على المدح وقراءة مجاهد بالرفع وقراءة
أي يوفيهم الحق بينهم لا أصل في القراءة المراد ويعلمون عند ذلك أن الله هو الحق
المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لأنه يكرر في ذلك غيره لا ارتفاع التكلف وحصول العلم
القطعي ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في الإفك على عائشة رضي الله
عنها فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وما ذاك إلا لأمر الخبيثات من النساء
وأهل الخبيثين من الرجال أي الخبيثات يتزوجن الخبائث والخبيثون من الرجال
كذلك والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات

وفيه تبرئة عائشة رضي الله عنها لانها زوج الرسول عليه السلام تعطيه بزوج طيب
وامرأة المنافق الفاسق خبيثة لزوج خبيث اولئك مبرؤن مما يقولون اعني فيهم كذلك
الشان الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى
المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز
ان يكون اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك لهم مغفرة
في الحسنات انفا انعم بعضهم ورزق كريم في الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم التي اختص بكم سكناها سواء سكنتم فيها ام لم تسكنوا اي لا تدخلوا
بيوتا تسكنها غيركم وهذا نعم سكنا الاعيان لا يجوز ان يدخل عليها ساكنة روي ان رجلا
قال للنبي عليه السلام استاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن عليها كلما
دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن وفيه دليل على ان رجع الى النهي عن
الاطلاع على عورات الغير حتى تستأنسوا اي تستعلموا من في البيت باي وجه امكن قال
تعالى فان آنستم منهم رشدا اي علمتم وفي سنن ابن ماجه عن ابي ايوب الانصاري قال قلنا
يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح يؤذن
اهل البيت وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أادخل وعنه عليه السلام التسليم
ان يقول السلام عليكم أادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم
والا فالاستئذان ذلكم اي الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور
وهو الدخول بغتة ان روي كان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا و
مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف
اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها
احدا يأذن لكم ومنها ان لا تجدوا اهله لم يكن لكم ان تنفذ المأمور به في تحقيق الاذن
فلا تدخلوها بعينها كان لكم فيها حاجة حتى يؤذن لكم فلان الاذن التصرف في ملك الغير
يعتبر اذنه ومطلوب الامر لا تبعضها ان كان الداخل خيرا بل لان الملازم عن الدخول
على الحرمات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة والمراد بما لا اذن ما يعلم لا الاذن دلالة كما اذا
حرق او غرق او نحو ذلك واما الذي حيث يكون فلا يكون خاليا فلا يكون فيه متعرض للاستئذان
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو عنه الالحاح
من الكراهة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم
عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا في ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالخانات

والرباطات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع
والجلوس للمعاملة والبيع وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او يطلع على عورات قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم لم يذكر ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج لان ذلك معلوم
بالعادة وان من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم ولا حاجة الى الاستثناء وليس كل
الحرم مما يجب غض البصر عنه بخلاف حفظ الفرج فان كل ما يحرم يجب حفظه عنه فلذلك
ادخل حرف التبعيض في الاول واطلق الثاني ذلك ازكى لهم لما فيه من البعد عن الريبة والاثم
ان الله خبير بما يصنعون من اجالة النظر واستعمال سائر الالات وما يقصدون
بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن
فروجهن انما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور
وبالهوى يطرح الغير ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل
او خضاب فالنهي عن اظهارها او موضع الزينة اذ اظهارها عينها مباح والمراد بها مواضعها مجازا
او اظهارها وهي في مواضعها لا اظهارها اعيانها الا ما ظهر منها اي الا اظهارها منهن
كاذا هبت الريح وكشفت عنها الستر او لا استثناء الحكم الثابت بطريق الاشارة وهو
الاستحقاق بالمؤاخذة في ذلك الجزاء بسبب ظهورها وقدمت وجه هذا النوع من الاستثنا
في تفسير قوله الا ما قد سلف في سورة النساء وما ظهر اظهارها من ضرورة كالمعالجة
وتحمل الشهادة ونحو ذلك في حكم ما ظهر بلا اظهارها من ما جرى به العادة والجبلة على ظهوره
ولا يقطع وجهها الاستثنا المذكور وليضربن من قولك ضربت بيدي على الحائط
اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار على جيوبهن كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن ان يسدلنها من قدامهن حتى
يغطيها ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن
لازواجهن او آبائهن ويدخل فيه الاجداد او آباء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا
او ابنائهن ويدخل فيه النوافل او ابناء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام
والاخوال لعدم ذكرهم لانهم او نسائهن يعني الحرائر المؤمنات فان مطلق هذا اللفظ الحرائر من
المسلمات لاخراج الكافرات فانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن
يعم الاماء والعبيد لما روي ان النبي عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها

وعليها شيء إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال
عليه السلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك وقال سعيد بن المسيب
لا تغرنكم سورة النور فإنها في الإناث دون الذكور وعن أبي حنيفة أنه يلزم أن يكون في الذكر
أطفالا يحل لها الإمام مستغنف بالأشبهة أو التابعين الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم
ويعيشون بهم غير بالنصب على الاستثناء أو الحال وبالجر على البدل أو على الوصفية أولي
الإربة من الرجال أولي الحاجة إلى النساء وهم الذين لا يشتهون النساء فلا يحتاجون إليهن من جهة
وهذا الشيوخ الهم وفي الخصي والمجبوب والمخنث لأنهم يشتهون ويحتشمون أو الطفل الذين
جنس يضع موضع الجمع به لأنه الوصف لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم
من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة ولا
يضربن بأرجلهن أي الأرض عند المشي ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها
فيعلم أنها ذات خلخال فإنها تنهى عنه لأن سماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها ولا
دلالة فيه على أن إبداء الزينة نفسه متعلق بالنهي فيما تقدم وتوبوا إلى الله جميعا
أيه المؤمنون إذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقوله لعلكم
تفلحون بيانا لأنه أمرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك الآن يكون الحي بمعاذيها يحمل وانكحوا
الأيامى منكم الأيامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا وأصله
أيايم فقلب والخطاب للأولياء والسادة والأمر للندب لا ايتاء قيل [illegible] في الآية دليل
على أن تزويج النساء الأيامى إلى الأولياء كما أن تزويج العبيد والإماء إلى الموالي لأنا نسلب
الرجل لا يلي الرجل الأيم لا بإذنه فكذلك لا يلي على المرأة الأيم بالإذن لأن الأيم يتناولهما ولا
فارق من جهة النقل والصالحين غير يحصنهم لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم
من عبادكم وإمائكم أي منهن مما لا تكره وتحمل ويجوز أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
وعد من الله تعالى بالإغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية وقوله عليه السلام
الفضل الرزق بالنكاح والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر
على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة كأن المستعفف طالب
من نفسه العفاف الذين لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج أو ما يتزوج به حتى يغنيهم
الله من فضله انظر كيف رتب هذه الأوامر فأمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة
المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويغني عن الحرام ثم بحمل النفس الأمارة
بالسوء على الحلم عن الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه والذين يبتغون

الكتاب مما ملكت أيمانكم أي والمماليك الذين يطلبون الكتابة [illegible] موضع الا
مبتدأ خبره فكاتبوهم وهو للندب وتخللت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب
مصدر كالعتاب والمكاتبة وأصلها من الكتب لأن السيد كتب على نفسه عتقه إذا أدى
المال وتحديدها لا يختلف والأصح وعند بعضهم لإطلاق الأمر وعدم المال لا يبتلى العبد
في المال لا فإنه قادر على الاستقراض إن علمتم فيهم خيرا أمانة وقدرة على الكسب وأما ثم أو
الندب متعلقة بهذا الشرط كما أن التدبير في نكاح الأيامى متعلقة بشرط الصلاح
وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أمر للسادة على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم
سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي يحط عنهم بدل الكتابة شيئا
وأكثرها ربع وفيه إعانة الإماء لأنهم يتعين على التمليك لا على الحط ولا تكرهوا فتياتكم على
البغاء على الزنا والفتاة تعم العبد والأمة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر البغي
إن أردن تحصنا تعففا عن الزنا وإنما قيد بهذا الشرط لا لأن الإكراه لا يتحقق بدونه لأنه
لا تعقل بدون التسليم يكون شيئا للشرط لا للذكر لأنها نزلت في ابن أبي وكانت له جوار
يكرههن على البغاء وفيه توبيخ للموالي أي إذا رغبن في التحصن فأنتم أحق بذلك وإيثار إن على
إذا لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا فإن الفعل مترتب
الصدر كما فرض له تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فذلك لأن الابتغاء المذكور يكون شيئا
معتدا ولا يكون غاية بل ناجز عرض الحيوة الدنيا من أجورهن وأولادهن ومن يكرههن
جزاء أي تعليقه بالإكراه لا يتعلق بهن فإنهم تعليل هذا معناه وهو قوله فإن الله
من بعد إكراههن غفور رحيم أي لهن وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه كذلك وكما
قال من بعد إكراههن لهن المعاقبة على المكره فإن المكره مع قيام تعذره لا كأنت تعتد
المعاقبة حتى احتاجا إلى المغفرة فلما كان المكره ولذا لأن على أن أحد الإكراه الشرعي والمكان
إلى أن ينتهي إليه في من كسب غير الله بغير ذلك بلطفه ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات
المراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت معانيها في الأحكام والحدود ويجوز أن يكون
الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أي بينت الأحكام والحدود فجعل الفعل
لها أو من بين بمعنى تبين ومثلا من الذين تبين الصبح لذي عينين ومثلا من الذين خلوا
من قبلكم أي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة
رضي الله عنها فإنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وموعظة للمتقين أي ما وعظ به
فإنما كانت الموعظة للكل الله نور السموات والأرض النور في الأصل كيفية تدركها البا

وان من ضل عن الحق فليس لخفاء الدليل واشتباه السبيل فقال الله هادي اهل السموات
والارض اي بما بين لهم الحاجة اليه من مصالح دينهم ودنياهم وفي كلمة ... في هذا الموضع
تلك نور بمعنى هادي به يهتدون الى امورهم ومن رآه يهتدون الى مصالحهم مثل نوره اي
صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة والمراد به الدلائل التي يهتدي بها عباده كمشكاة كصفة
مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة
في قنديل من زجاج [illegible] الزجاجة كأنها كوكب دري مضيء بضم الدال وتشديد
الياء منسوب الى الدر لفرط صفائه وصفائه ويقرأ بالكسر والهمز كأنه يدرأ الظلام بضوئه [illegible]
بالصنع [illegible] في نيرها الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما يوقد اي
[illegible] ماض [illegible] كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف [illegible]
توقد بفتحتين [illegible] لاجتماع الزيادتين [illegible] تقويه من شجرة
الزيتون [illegible] مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي
بارك فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية اي لا نابتة
في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود او لا في مضحى
تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنه دائما فتتركها نيا وفي الحديث
لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل اي ليس بحيث تقع الشمس
عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان
ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى [illegible] ما دل عليه الحديث المذكور من ان لا خير فيها
اشراق الشمس عليها دائما [illegible] يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وصف
الزيت بالصفاء وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا النور الذي شبه
به الحق نور متضاعف تعاضد ناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق
مما يقوي النور بقية [illegible] لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت
وصفاؤه [illegible] يهدي الله
لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب [illegible] ويضرب الله
الامثال للناس تقريبا الى افهامهم وتسهيلا لسبل الادراك والله بكل شيء عليم معقولا
كل شيء [illegible] في بيوت متعلق بمشكاة اي كمشكاة في بعض بيوت الله تعالى وهي
المساجد [illegible] توقد اي توقد في بيوت [illegible] تقييدا للمثل [illegible]

المساجد [illegible] في جمع البيوت وحال المشكاة اذ المراد بها [illegible] هذا الوصف بلا
[illegible] او بيسبح اي يسبح رجال في بيوت وفيها تكرير مؤكد نحو زيد في الدار
جالس فيها او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها اذن الله
اي امر ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في
افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال قال ابن عباس رضي
الله عنهما كل تسبيح في القرآن صلاة اي يصلي له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالاصال سائر الصلوات
[illegible] الوقت الذي بعد العصر الى المغرب
[illegible] الاصائل وجمعه اصل واصال [illegible] الاصال جمع اصيل [illegible] العشي
[illegible] وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرئ يسبح بالفتح على اسناده الى احد
الظروف الثلاثة ورفع رجال بما دل عليه يسبح [illegible] لتانيث الجمع
[illegible] اوقات [illegible] الرجال [illegible] على النساء [illegible] الحضور
في المساجد لا تلهيهم لا تشغلهم تجارة اي بالسفر ولا بيع اي في الحضر [illegible]
[illegible] لزيادة افادة [illegible] عن ذكر الله [illegible] واقام الصلوة اي
اقامتها [illegible] عوض من العين الساقط للاعلال [illegible] الاصل اقوام
[illegible] التاكيد [illegible] عوضا عن
[illegible] الاضافة [illegible] وايتاء الزكوة [illegible]
[illegible] احصى الله تعالى [illegible] يخافون حال من الضمير في تلهيهم
او صفة اخرى لرجال يوما يوم القيامة [illegible]
تتقلب فيه القلوب والابصار [illegible]
[illegible] الايمان [illegible]
[illegible] ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون
احسن ما عملوا [illegible] المندوب [illegible] وهو المباح [illegible]
ويزيدهم من فضله [illegible] والله يرزق من يشاء
بغير حساب [illegible]
[illegible] والذين كفروا اعمالهم كسراب [illegible]
[illegible]
[illegible] من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة [illegible] على وجه الارض كأنه ماء يجري

بقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار يحسبه الظمآن
ماء العطشان العطش التشبيه بحيث الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه اذا جا
الى ما توهم انه ماء لم يجده شيئا اي لم يجده شيئا نافعا مما قصده ليس يجيء يراد به يجيء
هذا اذا كان المعنى اذا جا السراب واما اذا كان المعنى اذا جا موضعه فمعنى لم يجده شيئا
لم يجد في ذلك الموضع شيئا كما توهم الى له لانه لا يرى ذلك اذا حضره وكذلك الكافر
اذا قدم يوم القيامة على اعماله التي يحسبها خيرات عند الله يجدها نافعة او لا يراها لانها صارت
هباء منثورا ووجد الله اي وجد عقاب الله عنده اي يبطل حسناته ويجيء عقاب سيئا
سيئاته عنده وحده فوفاه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا او وجده بعد تبيينه
جزاء على كل واحد من الكفار والله سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله
حساب عن حساب بقوله لم يجد الله يعطف على ما تقدم من التمثيل على سبيل العطف على المعنى
على عن هذا زعم ... تبعة التمثيل ... في توجيهه او كظلمات في بحر اي ... او
في ... كثيب ... التشبيه فان اعمالهم ... كالسراب ... كالقيعة
... لم يجد الله عنده لان الاعمال الصالحة وان لم تكن نافعة مع الكفر لا ...
... لجي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر ... فيه ...
... يغطيه موج ... من فوقه موج اي من فوق الموج موج آخر من فوقه
اي من فوق الموج الاعلى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى لبحر ظلمات
اي هذه الظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة
الموج على السحاب اذا اخرج يده اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها
فضلا عن ان يراها ... الواقع في البحر ... الدلالة ... ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور اي من لم يهده الله ... في الحديث خلق الله الخلق
في ظلمة ثم رش عليه من نوره فمن اصابه ... اهتدى ... الم تر ان الله
... يسبح له ... عن كل نقص ... من في
السموات والارض ومن ... التسبيح ... التغليب ... يعقلون ...
الملائكة والثقلين والطير على الاول ... الظاهر والدليل الباهر
... صافات ذوات اجنحة ... على الوقوف في الهوا
باسط اجنحتها ... على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره
كل واحد مما ذكر ... قد علم صلاته وتسبيحه ولا ...

بالهام من الله تعالى الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء
يهتدون اليه والله عليم بما يفعلون من الصلاة والتسبيح وغيرهما ولله ملك السموات
والارض لانه الخالق لهما ولما فيهما والى الله المصير مرجع الكل ... الم تر ان الله
يزجي سحابا يسوقه ويزجي يسوق قليلا قليلا ... في سوق الثقيل ... السحاب
السحاب ... ثم يؤلف بينه تذكيره لان
... بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر
يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل ... وينزل من السماء ... وكل ما علاك
فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها من برد بيان للجبال والمفعول
محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية والثالثة
للتبعيض ... موقع المفعول فيصيب به بالبرد من يشاء فيصرفه في نفسه وفي زرعه
ويصرفه عن من يشاء ولا يصيبه يكاد سنا برقه ضوء برقه يذهب بالابصار بابصار
الناظرين اليه من فرط الاضاءة ... دليل ... الضد
الضد ... يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص
احدهما وزيادة الاخر ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لدلالة على وجود الصانع
العليم ... على وضوح الدلالة لاولي الابصار لمن له بصيرة ...
... والله خلق كل دابة حيوان يدب على وجه الارض ... كل ذا
الاضافة ... الراغب ... والدبيب اصله ... حركة ... قيل دب اذا
مشى ... كل ما يمشي ... من ماء هو جزء مادته ... على ما يشتمل
اليه في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل من ماء مخصوص وهو النطفة فلا يلزم ...
... الغالبة في ... من النطفة ... بمنزلة الكل ...
... من نطفة ...
... فمنهم من يمشي على بطنه كالحية والحوت ...
... استعارة ...
...
... ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي
على اربع كالنعم والوحش ...
...

الاوصاف ليوافق التفصيل الجملة وقدم ما هو عرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة
ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع وفيه نظر لان تسمية الانتقال عن الشيء بالمشي في الاول
استعارة او مجاز **يخلق الله ما يشاء** كيف يشاء **ان الله على كل شيء قدير** فيفعل
ما يشاء **لقد انزلنا آيات مبينات** للحقائق بانواع الدلائل **والله يهدي من يشاء**
بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها **الى صراط مستقيم** هو دين الاسلام الذي هو طريق
الجنة والآيات لانزالها تحتما ذكرنا اذ الآيات تذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث
فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم
المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب فبدأ بالمنافقين
فقال **ويقولون آمنا بالله وبالرسول** لنبينهم **واطعنا** هما والرسول **ثم يتولى** اي يعرض
عنهما فان الاعراض عن الرسول عليه السلام بعدم اطاعته فيما امر اعراض عنه تعالى **فريق**
منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا ثم الاستبعاد ظاهرا لتقبيح صنيعهم **وما**
اولئك بالمؤمنين الاشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم
وان آمنوا بلسانهم لم يؤمنوا بقلوبهم لانتشار كلهم في قسم الاعتقاد وظهور الاعراض من
كان من بعضهم لرضا به من كلهم او الى الفريق المذكور خاصة وانما اتي بالواو وبعدت الفا
لان علمنا بانهم ليس لهم ايمان بل لانهم بالحكم والتعريف الدلالة على انهم ليسوا المؤمنين الذين
عرفتهم وهم المخلصون في الايمان اذا التائبون عليه ومرجع المتقدم الى وصف الايمان المخلص
وما فيه من التصديق الى تلك الوصف عنهم لم يبق فيما اولئك من المؤمنين لما فيه من الخالي
يرجع الضمير الى الموصوفين بها الايلام من علم كونهم من المعروفين بتلك الوصفات لا يكونون
به اصلا **واذا دعوا الى الله ورسوله** الدعوة الى الرسول عليه السلام وذكر الله تمهيد
لتعظيمه وايذانا بان حكمه ليس هو الطريقة الابدال **ليحكم بينهم** اي ليحكم الرسول
عليه السلام لانه الحاكم ظاهرا وان عالم بين يحكم عليهم اشعارا بان اعراضهم عنه مخصوص
بالحكم عليهم بل ان سائل لصورة الشك فانهم الاعراض فيها اذا الشبه الامر حالا وانا
كان الحكم لهم لانه لا يعقل عن هذا الاعتبار اللطيفة في تفسير قوله تعالى **اذا فريق**
منهم معرضون فاجاءوا فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم
وهو شرح التوالي فبما لعله فيه ولم يدل ان شرحه على وجه ابلغ فيما ذكرناه لا فيما ذكرنا
وان يكن لهم الحق الحكم لا عليهم **يأتوا اليه مذعنين** طلب الحقهم لا رضى
بحكم رسوله قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة فيما عنا سابق الاشياع ... مدعنين

يجوز ان يكون الي صلة لمذعنين ويكون تقديمه للاختصاص ومعنا فظه الفواصل **افي**
قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله الحيف الجور بمعنى الحق **عليهم** اما قد
ما الحيف على من لم **ورسوله** اظهارا بانه على تقدير وقوعه يكون من الله تعالى ثم عما
بل اولئك هم الظالمون لا يكون فيه تحمل الرسول لانه مطلق لا سبب قسم الامر في صدورهم عن حكومته
وان يعتقد ان الحاكم لهم اذ يكون من رضي العقل سببا فيقتضي او شيئا يقتضي اذا ولما سبق
تركوا حكمهم وتقييدهم لها وتحاكيهم الحيف في قضايا هو وجه التقسيم انا امتناعهم من الخليل
فبانا في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصبه
ونبوته ان ايمنعه فتعين الاول ولذلك اضرب بقوله **بل اولئك هم الظالمون** عن
التسمين الاخيرين لتحقق القسم الاول وظلمهم بحيث خلل عقيدتهم وميلهم قيل نزلت في سهم
في الحيف يريدون ان يظلموا من لم الحق عليهم وذلك شيء لا يستطيعون في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن ثم يابون المحاكمة اليه فهذا ما ادى اليه النظر الجليل والذي ادى اليه
النظر الدقيق هو انه اضراب عن نفس التقسيم بحيث التقسيم انهم كاملون في الظلم
جامعون لتلك الاوصاف كما لا يخلد التصديق عن حكومته يدل على ذلك اسم الاشارة
والتعريف بالاسم المحصور وتوسيط ضمير الفصل والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه
نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في الارض فجعل اليهودي يجره الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا **انما كان**
قول المؤمنين على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد ذلك اما لا
ينبغي وقرئ قول بالرفع والنصب والنصب اقوى لان اولى الاسمين لكونه اسما كان اوغلها في
التعريف **اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم** الرسول وقرئ على البناء للمفعول واسناده الى ضمير
مصدر على معنى ليفعل الحكم **بينهم** ويحكم الله الذي امر اعلينا **ان يقولوا سمعنا** قوله
واطعنا امره **واولئك هم المفلحون** الفائزون **ومن يطع الله ورسوله** في الاوامر والنواهي
ويخش الله على ما مضى من ذنوبه **ويتقه** فيما يستقبل **فاولئك هم الفائزون** بالنعيم المقيم
واقسموا بالله جهد ايمانهم انه حلف المنافقون بالله فهو حمدا للنبي لانهم يبلغون اقصاها
جهد هم مجتهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين
وبلغ غاية شدتها ووكادتها واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل
وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم
الحال كانه قال جاهدين ايمانهم **لئن امرتهم** بالخروج عن ديارهم واموالهم **ليخرجن** جزا

لا تشتمل على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة للنبي عليه السلام
من قسمكم الذي لا تصدقون فيه او لا تصدقون او الذي يطلب منكم طاعتهم وغيرهم لا
للطاعة النفاقية المنكرة او ليكن طاعتكم وقرئ بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير
بما تعملون فيعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
امر بتبليغ ما خاطبهم الله تعالى به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه
الرسول ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في امره ونهيه تهتدوا
الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم
فلكم والا فعليكم البلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات
والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب
للنبي عليه السلام والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم
خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم
واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم
يعني بني اسرائيل في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم
عليهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم مكثوا عشر سنين خائفين ثم هاجروا
الى المدينة فكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله تعالى وعده فاظهرهم الله
على العرب كلهم وفتح اليهم بلاد الشرق والغرب يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات
على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال
من الواو اي يعبدونني غير مشركين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى ومن كفر
ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون
الكاملون في فسقهم حيث كفروا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما كلف المشرعة بالاوامر
والنواهي ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير
الامر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة به او بالمندرج فيه بقوله لعلكم ترحمون
كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا يعجزون الله
بان لا يقدر عليهم فيها والخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد والمفعول الاول الذين
كفروا ومعجزين مفعوله الثاني او الفاعل النبي عليه السلام لتقدم ذكره والمفعول الاول ذكر

ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم
النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون
اليها يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام
السالفة بعد الفراغ من الايات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد
عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان
غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم من الصبيان
الذين لم يبلغوا فكني عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله
منكم من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام
من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات
او الرفع خبرا لمحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
للقيلولة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلوة
العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم اي هي
ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ ما بعده وقرئ بالنصب بدلا من
ثلث مرات واصل العورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار على عمر
رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت
ان الله تعالى نهى عن الدخول في هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبي عليه السلام فوجد
قد انزلت عليه الاية ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم ولا
عليهم جناح وانما نفى الحرج عن الطرفين لان الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين ومن هنا
تبين ان الامر بالاستئذان في حق المماليك والصبيان تضمن الامر بالاحتياط في حق المخاطبين
بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان
لانه في الصبيان والمماليك الدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين ومما ليس لغيره وانما
قيل هذا مما الناس فيه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة العقلة عما حكاه
الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان ذلك كان واجبا اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب
ولو عاد الحال لعاد الوجوب طوافون عليكم استئناف ببيان العذر المرخص
في ترك الاستئذان وهو كثرة المخالطة وكثرة المداخلة وفيه والفرق بين الاوقات الثلاث
وغيرها بانها عورات دليل على تعليل الاحكام بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض
او يطوف بعضكم على بعض والجملة مؤكدة لما قبلها ويجوز ان يكون بدلا منها لابتدائهم

منه لتلك الحالة ثم عذرهم في ترك الاستئذان في كل وقت لافضائه الى الحرج كذلك
يبين الله لكم الآيات أي أدلة الآيات على الأحكام كما بين لكم حكم الاستئذان أن يبين لكم
في غيره من الأحكام التكليفية عند الحاجة إليه والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان
مرامه وإذا بلغ الأطفال منكم من الأحرار فإن المماليك الحلم الاحتلام كما
حد الرجولية أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم فليستأذنوا في جميع الأوقات كما
استأذن الذين من قبلهم أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الكبار من الأحرار
ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث فإذا
اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا الأحلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا
على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالكبار من الأحرار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا
بالإذن كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره تأكيدا ومبالغة في الأمر
بالاستئذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل الكبر هن فقعدن من
كناية عن البلوغ هنا لتمام القاعدين فالترغيب بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن
فيه لكبرهن هذا المعنى ومنا كيده فليس عليهن جناح إثم وفتحت الفاء في المبتدأ من
معنى الشرط بسبب الام أن يضعن في أن يضعن ثيابهن أي الظاهرة كالملحفة والجلباب
الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة أي غير مظهرات زينة يريد الزينة التي أرخصنا
في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الآية أي لا يقصدون بوضعها التبرج ولكن التخفف
وحقيقة التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها إلا أنه
خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وأن يستعففن أي يطلبن العفة بترك وضع
الثياب فيستترن خير لهن من وضعها لأنه أبعد من التهمة والله سميع لمقالتهن
للرجال عليم بمقاصدهن ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض
حرج قال سعيد بن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبي عليه السلام
وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم ويأذنون لهم أن يأكلوا
من بيوتهم وكانوا يتحرجون عن ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت
الآية رخصة لهم ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم هذا على ظاهره ولم يرد بيان
الحكم فيه بل إظهار التسوية بينه وبين قرنائه كقوله تعالى يكلم الناس في المهد وكهلا
أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم لم يذكر بيوت الأولاد لأنها كالبيوت لهم على الدلالة

أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم
أو بيوت خالاتكم لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة أو ما ملكتم مفاتحه
جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق والمراد بملككم كونه في يده وحفظه قال ابن عباس
هي الوكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من
لبن ماشيته أو صديقكم أو بيوت صديقكم وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط وكان الرجل من
السلف يدخل دار صديقه وهو غائب وربما الجارية تركبه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاها
عنها سرور بذلك وأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤخذ من صديق حكم هذا إلا أن يعلم
بطيب نفسه أو حكم غلبة الشح وكان لذلك وجه تعدد لهم عن صيغة الجمع ليس عليكم جناح
أن تأكلوا جميعا مجتمعين ورد فيمن تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في
الأكل وزيادة بعضهم على بعض أو أشتاتا متفرقين نزل في قوم تحرجوا عن الأكل
وحدهم فإذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على أنفسكم على أهلها الذين هم منكم
بالدين والقرابة ولا تقتلوا أنفسكم أي من هو من جنسكم تحية نصب بسلموا لأنه في معنى
تسليما من عند الله ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة التحية
فإنها طلب الحياة وهي من عنده مباركة لأنها دعوة مؤمن لمؤمن بأمر الله تعالى يرجى بها زيادة
الخير والثواب طيبة يطيب بها نفس المستمع وفي حديث أنس رضي الله عنه قال عليه السلام متى
لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة
الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين كذلك يبين الله لكم الآيات كرره ثلاثا لمزيد
التأكيد وتفخيم الأحكام المختتمة به وفصل الأولين بما هو المقتضى كذلك وهذا بما هو المقتضى
لذلك لعلكم تعقلون أي الحق والخير في الأمور إنما المؤمنون أي الكاملون في الإيمان
الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم وإذا كانوا معه على أمر جامع كالجمعة والأعياد
والحروب والمشاورة في الأمور ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع لم يذهبوا حتى
يستأذنوه ويأذن لهم ولما أراد أن يريهم عظم الجناية في الذهاب عن مجلسه عليه السلام
إذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك الذهاب بلا إذن ثالث الإيمان بالله تعالى والإيمان
برسوله عليه السلام وجعلهما كالتمهيد له كذلك ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده
على أسلوب أبلغ فقال إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
وتضمن جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمان وعرض بحال المنافقين
وتسللهم لواذا فإذا استأذنوك بعد الإذن لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه أيضا

مبالغة وتضييق للامر فأذن لمن شئت منهم وفيه تعظيم شأنه عليه السلام بتفويض الامر
الى رأيه وفيه دلالة على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن قيد المشيئة بان تكون تابعة
لعلمه بصدقهم حتى يكون المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا فقد تعسف ظاهرا واستغفر لهم الله بعد
الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور
لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
يحتمل التشبيه بين الدعائين والمقصود النهي عن قياسه في جواز الاعراض والمساهلة في
والرجوع بغير اذن لوجوب المبادرة الى اجابته وحرمة المراجعة بغير اذنه وحمل
الدعاء على النداء والتشبيه على الدعاء عليه لا يناسب السياق واللحاق والفصل بين اجزاء
الكلام بالاجنبي من السياق يخل بمقتضى البلاغة وحسن الاتساق قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم يخرجون قليلا قليلا من الجماعة ونظيره تسلل وتدرج وتدخل لواذا ملاوذة
بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه
على الحال او مصدرا وعن فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه
وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين والضمير لله لان الامر في الحقيقة
له او للرسول عليه السلام لانه المقصود بالذكر ومفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه لا يدل على ان الامر
للايجاب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد لتوكيد
علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى
ان جميع ما في السموات والارض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين
وان كانوا يجتهدون في سترها ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء
ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات والخطاب والغيبة في الكلامين المذكورين يجوز
ان يكون لجميع المنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون الاول عاما والثاني خاصا
فينبئهم بما عملوا من سوء اعمالهم [illegible] والله بكل شيء عليم
فلا يخفى عليه خافية

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله [illegible]
لا تستعمل الا لله تعالى والمستعمل منه الماضي فحسب [illegible] على ما [illegible]
الذي نزل الفرقان من تنزيله في سورة آل عمران على عبده وعري على عباده ثم

رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم المرسل من الكتب السماوية على ان الفرقان اسم جنس
ليكون العباد والفرقان للعالمين للثقلين نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
ومعنى الجملة متعلقة للرسل عليهم السلام ولا يلزم ان تكون الجملة مستقلة لكل احد الذي
رفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على الابدال من الذي نزل او على المدح او نصب عليه له ملك
السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى ومشركو العرب في
العزير والمسيح عليه السلام والملائكة ولم يكن له شريك في الملك كما زعمت الثنوية وخلق
كل شيء لا كما قال المجوس انه تعالى لم يخلق الظلمة وكما قالت المعتزلة انه تعالى لم يخلق
افعال العباد فقدره تقديرا اي قدر كل شيء تقديرا يوافق الحكمة كخلقه وللغلبة
الفاصلة واتخذوا الضمير للكفار لدلالة نذيرا عليهم من دونه آلهة لما تضمن الكلام
اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
وصفا لهم بما يدل على انها لا تستحق العبادة اي لا يقدرون على الخلق ومع ذلك هم مخلوقون
لان فاعل يخلقون الهتها والعبدة يخلقونها ويحتمل وجها آخر لعدم استحقاقها العبادة ولا
يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ملكهما كناية عن القدرة على التصرف فيهما بالدفع والجلب
فلا حاجة الى تقدير مضاف وتقديم الضر لان دفعه اهم من جلب النفع وانما قال لانفسهم
لان الغاية بجعلهم ممن لا يقدر على ذلك في حق نفسه لا يقدر عليه في حق غيره بدون العكس
ولا يملكون موتا وتقديمه على الحياة على عكس ترتيب الوجود لتقديم الضر على النفع ولا حياة
ولا نشورا ارادوا بها الاحياء بعد الموت اي انهم بمعزل عن الالوهية لعراهم عن لوازمها واتصافهم
بما ينافيها ونحوها كما تقدم للرد على عابديها وقال الذين كفروا ان هذا اي ما هذا القرآن
الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه يعني محمدا عليه السلام واعانه عليه قوم
آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم واحوال الآخرة وهو يعبر عنه بعبارته
فقد جاءوا ظلما يستعمل في معنى فعل فيتعدى تعديته او لحذف الجار وايصال الفعل فلا تنبه
على من التسامع ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو
بريء منه اليهم والزور القول المائل عن القصد وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
وقد ترتيبا لا الاساطير اكتتبها اي كتبها بنفسه او استكتبها وهو على البناء للمفعول لانه
امي واصل اكتتبها كما بينا فحذف اللام وافضى الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف
الفاعل وبني الفعل للمفعول فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه ليحفظها لانه امي
لا يقدر ان يكرر من الكتاب بكرة واصيلا البكرة اول النهار والاصيل آخره [illegible]

المقابلة قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض والسر الخفي المعنى في
القلب والمراد ما في السموات والارض من خفايا الاحوال يعني ان في القران اخبارا عما لا يعلمه
الا الله تعالى من الجنة والنار وعما فيهما ولا ترجمة لها في التورية والانجيل ولو كان ماخوذا
من اليهود او النصارى لم يزد على ما فيهما او يقتصر فيه اخبار عن الحوادث السماوية والارضية
قبل حدوثها وليس احتمال الاخذ من كتب تنفى انه كان غفورا رحيما لا يؤاخذكم ولا يعجل
للانتقام رحيما بالامهال وعدم الاستعجال [illegible] والانعام ليتوب بعضهم ويرجع عن
الاصرار ويخرج من اصلاب المصرين اصحاب [illegible] [illegible] كان الافادة الا لانه
على العادة وقالوا مال وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الها وخط المصحف لا يغير هذا
الرسول استهانة [illegible] الذي يزعم انه رسول وفيه استهزاء وتهكم ياكل الطعام ويمشي في
الاسواق حال والعامل فيها هذا والجملة الاولى كناية عن غاية الاكل والاخرى عما فيهما من
تتبع الحال الذي يقتضيه سياق الكلام والثاني كناية عن الغرض من المشي في الاسواق وهو طلب
اسباب المعاش اي ان صح انه رسول الملك المتعال فما له يفعل هذه الافعال [illegible]
يجب ان يكون ملكا بريا عن لوازم البشرية ثم تنزلوا عن ذلك الاقتراح الى اقتراح ان يكون
معه ملك يصدقه ونائبا في الانذار بقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ثم تنزلوا الى ان يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش
فقالوا او يلقى اليه كنز ثم تنزلوا فقالوا او تكون له جنة ياكل منها اي ان
لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيعيش بريعه ويحسن نظم
المصانع [illegible] ويكون على [illegible] وهو مبني على [illegible] المضارع [illegible] بينهما [illegible]
يكون لا [illegible] [illegible] [illegible] بالظالمين في قوله وقال
الظالمون [illegible] [illegible] ان تتبعون الا رجلا
مسحورا سحر فغلب على عقله فيخيل اليه الشيطان [illegible] انظر كيف ضربوا
لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال الغريبة [illegible] [illegible] فضلوا
عن طريق الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن [illegible] فيها [illegible]
[illegible] لا يدري [illegible] [illegible] [illegible] تبارك
الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات [illegible] الذي ان شاء وهب لك في
الدنيا خيرا مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى وقوله جنات تجري من تحتها
الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرئ بالرفع لان الشرط

اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في
الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم
يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة او متصل بما يليه كانه قال بل كذبوا
بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة
وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا [illegible]
الاشتعال [illegible] اذا راتهم اذا كانت بمرأى منهم
[illegible] من مكان بعيد
[illegible] سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها
بصوت المتغيظ والزفير وهو صوت يسمع من جوفه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واذا القوا منها
مكانا ضيقا [illegible]
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين قرنت ايديهم الى
اعناقهم في الاغلال [illegible] دعوا
هنالك ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك [illegible] واثبوراه اي تعال يا ثبور
فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا
[illegible]
[illegible]
[illegible] قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كانت لهم جزاء [illegible]
[illegible] لهم فيها ما يشاؤن [illegible]
[illegible]

إليه للتنبيه بتقديمه على أن حصول كل المشتهيات لا يكون إلا في الجنة **خالدين** حال من ضمائرهم
والضمير في كان لما يشاؤن وعلى في قوله **على ربك** استعير لما في معنى الوجوب في الدلالة
بمنزلة الصدقة السؤال عنه وهم انه على حقيقته لامتناع الخلف في وعده تعالى ثم قال ولا يلزم
منه الالجاء إلى الانجاز لان تعلق الارادة بالموعود يتقدم على الوعد الموجب للانجاز وعندهم
حيث لم يفرق بين الوجوب على الله والوجوب منه فان الالزام حينئذ هو الوعد لا ما الذي يمحوه ويلزم
الخلف في وعده هو التنافي **وعدا مسئولا** اي كائنا ذلك موعودا حقيقيا بان يسأل ويطلب
سأله الناس في دعائهم **ويوم يحشرهم** للجزاء **وما يعبدون من دون الله** يعم كل معبود سواه
وما وضعه عام ولذلك يطلق لكل شيء ذي عقل اذا اريد به الوصف ولذلك بتغليب الاصنام
لا تحقيرا لان الغالب عليهم من الانبياء والملائكة لا يليق ذلك بشأنهم بل اعنيا بالغلبة عبادهم
فانا قلنا يعم كل معبود لا للتخصيص لانها الاصنام لان ذلك ظاهر في الانبياء والملائكة والانبياء
لان كل شيء ينطق حينئذ فلا يكون السؤال والجواب تقريعية **فيقول** للمعبودين **أأنتم أضللتم**
عبادي هؤلاء فان قلت للتقريع بان الاضلال لا ينبغي لهم لانهم هم المشركون **هؤلاء** بتذكير
عبادي **أم هم ضلوا السبيل** لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح ولا
بالتوبيخ والتبكيت العبدة ولذلك قدم الضمير على الفعل بالاطلاق لاستفهام المقصود بالسؤال
هو الفاعل لا الفعل لانه لا خلاف فيه بالعبد **قالوا سبحانك** تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء
معصومون او جمادات لا تقدر على شيء وتقصدا به تنزيهه تعالى عن الانداد **ما كان ينبغي لنا**
اي ما كان يصح لنا ولا يستقيم **أن نتخذ من دونك من أولياء** للعصمة او عدم القدرة فكيف
يصح لنا ان ندعو غيرنا ان نتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان
كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول
لا زائدة في المفعول الثاني بل في الاول وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي والمعنى ما كان
ينبغي لنا ان نعبدك وقد علمتم انا لا نمتنع من الاتباع لان ان يستنقذ لكن فما لزم
ولكن متعتهم وآباءهم بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب **حتى نسوا الذكر**
حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر للنصيحة وكان التعطف على محذوف تنديد
بكفرهم **وكانوا قوما بورا** هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع
قال ابن الزبعرى في الواحد • يا رسول الاله ان لساني • راتق ما فتقت اذ انا بور •
فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف
القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في حقهم

كثير عنه موضع الحال اي **بما تقولون** بقولكم فيهم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى
في او مع المجرور بدل من الضمير وقرئ بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي
لنا **فما يستطيعون** وقرئ بالتاء على خطاب العابدين **صرفا** دفعا للعذاب عنكم **ولا نصرا** فيعينكم عليه
ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله **ومن يظلم منكم** ايها المكلفون كان من كفر وفسق والمراد
الظلم المشركين بعلمهم لما جوزوا التي ترتبا عنها بالاحتياط بالطاعة ولعله متعلق في
الآخرة **نذقه عذابا كبيرا** وهو عذاب النار في عبارة تدعو اشد الى ان العذاب
جانبي **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق**
كسرها لا لاجل اللام في الخبر لان دخولها وخروجها ههنا سواء بل لانه موضع ابتداء
الاسم بالكلام والجملة بعدها صفة لموصوف حذف ومعناه وما ارسلنا قبلك احدا من
المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لان في المرسلين دلالة عليه ويجوز ان يكون حالا لا اكتفاء
بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق **وجعلنا بعضكم**
ايها الناس **لبعض فتنة** ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم **أتصبرون** علة
للجعل لا للتعبير والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ليعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا لتضمنه معنى العلم او تحتمل ان يكون انتهاء غاية للبسطة من الغني
الفقر **وكان ربك بصيرا** بمن يصبر ومن يجزع او بالصواب فيما يبتلى به وغيره **وقال**
الذين لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة
واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه
ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول **لولا** هلا
أنزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدقك وقيل يكونون رسلا الينا **أو نرى ربنا** فيأمرنا بتصديقك واتباعك
لقد استكبروا في أنفسهم اي في شأنها
حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم
وما هو اعظم من ذلك **وعتوا** وتجاوزوا الحد في الظلم **عتوا كبيرا** بالغا اقصى مراتبه حيث
عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح
النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب
من استكبارهم وعتوهم كما في قوله فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظه
المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم **يوم يرون الملائكة** ملائكة الموت او العذاب

ويوم نصب بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها و
يومئذ مؤكد ليوم يرون أو خبر للمجرمين تبيين أو خبر ثان أو ظرف لما يتعلق به اللام أو لبشرى
إن قدرت منونة غير مبنية مع لا فإنها لا تعمل وإنما أضمرنا ذكر خبرها فقال لا بشرى بالجنة يومئذ
ولا ينتصب بحذف لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا ببشرى لأنها مصدر والمصدر
لا يعمل فيما قبله ولأن المنفي بلا لا يعمل فيما قبل لا والمجرمين ظاهر في موضع ضميرهم تسجيلاً على
جرمهم وإشعاراً بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها أو عام فيتناولهم حكمه بطريق
البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت
آخر ويقولون حجراً محجوراً عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلباً
من الله تعالى أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه أو يقولها الملائكة
بمعنى حراماً محرماً عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حُجراً بالضم وأصله الفتح أو الكسر فإنهما لغتان غير
أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه
ووصفه بمحجوراً للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً
لا قدوم هنا ولا ما يشبه القدوم ولكن شبه حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من
صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال قوم خالفوا سلطانهم وعصوه فقدم إلى
أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً ولا عثيراً ويجوز أن يكون الكلام
المذكور تمثيلاً على سبيل الاستعارة في معرفة أنهم (?) إذا كان الحقيقي وعمدنا إلى ما عملوا
في كفرهم من المكارم فأحبطناه فالتجوز بتلك الاستعارة في المفردات لا في الكلام والهباء
شبه المنبث الذي يرى في الكوة من ضوء الشمس والهباء ... من الهبوة وهي التراب (?)
أن تمسه ... منثوراً صفته وليس فيه تشبيه على تقدير التمثيل وأما على المعنى الثاني فتشبه
به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يمكن الاجتماع
ولا ينتفع به لانتفاء ... أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً مكاناً يستقر فيه والمستقر المكان الذي
يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث وأحسن مقيلاً قال الأزهري
القيلولة والمقيل الاستراحة في نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم وروي أنه يفرغ
من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي لفظ
الأحسن تهكم بهم ... ويوم تشقق السماء أصله تتشقق فحذفت التاء ...
في إحدى الأخريين (?) بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله تعالى
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلاً

ذلك الغمام صحائف أعمال العباد الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لأن كل ملك
يومئذ يبطل ولا يبقى إلا ملكه تعالى فالملك الخبر للرحمن صلته أو تبيين ويومئذ معمول للملك لا
لأنه مما انحط وصفه والخبر يومئذ أو للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً شديداً لما ينالهم
من الأهوال والشدائد يعني الشدائد والنكال ثم النار والأغلال ويفهم منه يسره على
المؤمنين وفي الحديث يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة
لأنه من روادفهما ولا فائدة الدلالة ... الظالم ... المنكر حتى الاستقرار (?)
... والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن أبي معيط يقول حاله تحسره على النبي عليه
السلام يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً طريقاً إلى النجاة والتنكير للإشعار
بكمال الاتباع يا ويلتى وقرئ بالياء على الأصل لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول
لها تعالي فهذا أوانك ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً يعني من أضله وفلان كناية عن
الأعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس لقد أضلني عن الذكر عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة
الرسول أو كلمة الشهادة بعد إذ جاءني من الله ... وتمكنت منه وكان الشيطان
يعني الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من الجن
والإنس للإنسان المطيع له خذولاً يتبرأ منه في الحال ولا ينفعه ... من دون ليه وقت
حاجته إليه وقال الرسول أي في الدنيا شاكياً إلى الله أو كان في الآخرة ... ما كان
يا رب إن قومي قريشاً اتخذوا هذا القرآن مهجوراً متروكاً بأن تركوه ولم يؤمنوا به
من الهجران ... وفيه تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء
عليهم السلام إذا شكوا إليه تعالى قومهم حل عليهم العذاب ولم ينظروا ثم أقبل عليه مسلياً وواعداً
بالنصر عليهم فقال وكذلك أي كما جعلناه لك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين
فاصبر كما صبروا ومعنى الكلمة الكريمة ... من كل شيء ولا ... عليه السلام أنه
لم يكن ببدع ... يكون ... وكفى بربك هادياً
إلى طريق الصواب ... النصر ...
... الهداية ونصيراً لك عليهم وقال الذين كفروا أي أحبار اليهود لولا هلا
نزل عليه القرآن أي أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر ... جملة واحدة أي مجتمعاً
دفعة واحدة كالتوراة والزبور ... فصول ...
أصل البلاغة ...

عند نزول مجموع القرآن دفعة واحدة والشريعة من وجوب تقديم المجمل والعام والمنسوخ
البيان على الخاص والناسخ ولا يتيسر ذلك ايضا على التقدير المذكور والتذكير من وجوب رعاية
شرطا للتكثير وهو ان يكون في اوقات متعددة مع انه لتفرقه فوايد بينها الا اشار بقوله
كذلك جوابا لهم اي انزلناه كذلك لا انا لا اوحينا اليك مدلول قولهم لان معناه لم ينزل
عليه القرآن مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فؤادك بتفريقه لنقوي فؤادك على حفظه
ويحفظه لان التلقين يؤذن لمكنها اي انما يتقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء ولو القي اليه
جملة واحدة لعجز عن حفظه او لتشتت خواطره عن الفحص عن اسرار الاصول وتتابع الرسول لانه لا يقدر على
يمكن بما اصل كتب الغيوب لانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته
زاد ذلك قوة قلبه ومنها ان نزوله بحسب الوقائع يوجب زيادة بصيرة وغوص في المعنى ومنها
انضمام القراين الحالية الى الدلالة اللفظية فانه يعين على البلاغة واما ان الناسخ والمنسوخ
لا يجتمعان وكذا اسباب النزول لا يجتمعون فليس من الفوايد وان كان من جملة الدواعي للتفريق
ويحتمل ان يكون كذلك من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا او اشارة الى
الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك
شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك
بمثل سؤال عجيب كانه مثل لانهم بالباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق الدافع
واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او التفسير المكشف عما يدل عليه الكلام الذين يحشرون
اي يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم رفع منصوب او مجرور مرفوع او مبتدأ
خبره اولئك شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على سوء حالهم وقيل
مكانا منصرفا واضل سبيلا وصف السبيل بالاضلال مجاز للاسناد المجازي الى الفاعل
عليهم قول الرسول عليه السلام على طريقة قوله هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه الاية كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله
ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب
التورية وجعلنا معه عبارة معه اشارة الى اصالة موسى عليه السلام في امر الدعوة
اخاه هارون بدل او عطف بيان وزيرا وهو في اللغة من يرجع اليه ويتحصن برأيه من
الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون
بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني فرعون
وقومه فدمرناهم تدميرا الله ... الهلاك بامر عجيب دال ... الاختصار فاقتصر على حاشيتي

القصة لانها المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
والفاء فصيحة وهي فاء سببية لا لانها التعقيب وقوم نوح منصوب بفعل مقدر يفسره
هذا الظاهر اي اغرقنا قوم نوح والعامل في لما المحذوف لما كذبوا الرسل انكروا البعثة
مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا
للظالمين لقوم نوح عليه السلام واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر وهو عام لكل من
ظلم بشرك ونبينا يعمهم بعمومه عذابا اليما فيختم واما عذابهم في البرزخ ففيه خبر
عن اغراقهم وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وانما صرف ثمود على تأويل الحي ولانه اسم الاب الاكبر ومنع على تأويل القبيلة
واصحاب الرس هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبينما هم
حول الرس وهي البئر غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلجهم
قتلوا ... وهم اصحاب الاخدود ... لا اخدود وقرونا واهل اعصار قد سبق تفسير القرون
في سورة الانعام بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له
الامثال بينا له القصص العجيبة من الامم التي كانت قبلهم ليتعظوا بما كان انزل بمثلهم
فلما لم يتعظوا امرنا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا فظيعا
التتبير التفتيت ومنه التبر لفتات الذهب والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا
له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعني اهل مكة
على القرية سدوم وهي اعظم قرى قوم لوط عليه السلام التي امطرت مطر السوء اي اهلكت
بالحجارة ومطر السوء مفعول ثان اذ اصله امطرت القرية مطرا او مصدر محذوف الزوائد اي
امطار السوء افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار
عذاب الله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يخافون نشورا فلذلك لم ينظروا
ولم يتعظوا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا الا موضع هزء او مهزوءا
به أهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استفهام ... اي قائلين أهذا الذي
بعث الله رسولا والعائد الى الموصول محذوف اي بعثه الله واخراجه في معرض التسليم بجعله صلة
وهم في غاية الانكار تهكم واستهزاء ان كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها
لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها دلالة على فرط مجاهدة الرسول عليه السلام في دعوتهم وعرض
المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم
بعبادة آلهتهم ولما عدوا عبادة الاصنام رشادا واعتقدوا صرفهم عنها اضلالا لا ادعوهم

تعالى فقال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا فيه وعيد
ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه اي من اطاع هواه
فيما ياتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه
كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى وانما قدم المفعول الثاني للعناية به والمعنى حكم
ما تستطيع ثم قد تحول عنه حيث اتخذوا الهوى من الالهة افانت تكون عليه وكيلا اي
حفيظا تحفظه عن متابعة هواه وعبادة ما يهواه او افانت تكون له عليه موكلا فتصرفه عن الهوى
الى الهدى بمعرفة ان اليك التبليغ فقط فالاستفهام الاول للتعجيب والتقرير والثاني للانكار
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام منقطعة معناها بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من
التي قبلها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون
الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة
فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم ارجح ضلالتهم عليها لان الانعام
تسبح ربها وتنقاد لمن يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها
وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني
والمتعذب الروي وما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة وكفى
به داعيا الى الضلال لان فيهم من امن الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته
كيف مد الظل اي بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس
في قول الجمهور لانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو اطيب الاحوال فان الظلمة
الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف
به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا دائما لا يزول ولا تنسخه الشمس
وفيه دليل على انه تعالى يفعل بالقدرة والاختيار لا بالايجاب والاضطرار ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا لانه بالشمس عرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشيا تعرف باضدادها
ثم قبضناه القبض جمع المنبسط من الشيء والمراد ازالته بايقاع الشمس موقعه الينا اي
حيث اردنا قبضا يسيرا سهلا او قليلا قليلا وثم في الموضعين لتفاضل الامور وهو
الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس لستره والنوم سباتا راحة للابدان

بقطع

… واصل السبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وجعل
النهار نشورا ذا نشور اي انبعاث من النوم كنشور الاموات فينتشر الخلق للمعايش وفي هذه
الآية دلالة على قدرة الخالق واظهار لنعمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد
دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وهو الذي
ارسل الرياح وقرئ على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرئ بالفتح
على انه مصدر وصف به وقرئ بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته
قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وانزلنا من السماء ماء طهورا
بليغا في طهارته وذلك لانه لم يشبه بشيء بخلاف ما نبع من الارض فانه يشوبه الخرات
من ارض ممرة او ما يطرح فيه وقيل مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء
لما يتوضا به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن لنحيي به بالنبات بلدة ميتا
وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى
الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وقرئ نسقيه وسقى واسقى
لغتان واناسي جمع انسي الى الناس ككرسي وكراسي او انسان واصله اناسين كسراحين
فابدلت النون يا وادغمت وقدم احيا الارض على سقي الانعام والاناسي لان حيوتها سبب لحيوتهما
وقدم سبب حيوتها على سقيهما وتخصيص الانعام من بين الحيوان لان الناس لانعامهم منافع لا
متعلقة بها فكان الانعام نفعها كالانعام نفعهم وتنكير الانعام والاناسي لانه يريد وصفها
بالكثرة لان اكثر الناس يحلون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقيا الماء واعقابهم
وهم كثير يعيشون بما ينزل من رحمته وتنكير البلد لانه يريد بعض البلاد وهو البعيد عن
مظان الماء وما كان سقيا لانا سقي ما انزل من الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا
ان حقهم ان يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء
ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل
ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بها او ليعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فيشكروا فابى اكثر الناس
الا كفورا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او ما عدل عنا القصير لكيلا
يتوهم ان المراد اكثر ذلك الكثير او صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات
المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فابوا الا الكفور بان
قالوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ما من عام اقل مطرا من عام ولكن يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية ولو شئنا لبعثنا في كل

مطلب طهورا

مطلب المطر

قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها يعني ان المقصود من البعثة بلاغ الدعوة والانذار
لا الاهتمام في امر الهداية وتحصيلها ولا تعلقنا ما هو ادعى لذلك من دعوة كل اهل قرية بنبي
مستقل فلا تطع الكافرين اي فلا توافق هواهم في بعض الامور ابتغاء لقبولهم الدعوة
ودخولهم في طريق الهداية يعني لما قيل نبيا ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا
الامر عليك تعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد
في الدعوة فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه فيرد عليه الموجب لذلك العطف بالواو
الفاء على ما افصح عنه من قال فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين ولم ينزل
به تهييجا لنعم القرآن واياثا للتصوير به وجاهدهم بلئن لطاعتهم الذي يدل عليه
فلا تطع يعني انهم يجتهدون في ابطال الحق فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وزجرهم باظهار
جهادا كبيرا لا يخالطها دعة لانك الكفر على ما فهم مما سبق من بعثته على جميع القرى وجملة الا
ثم عادة اي بعدد اما النعم فقال وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين
نقل لمرج الدابة اذا خلاها ترعى وسمى الماء الكثير الواسع بحرا هذا عذب فرات
قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله
مالح فخفف كبرد في بارد وقد نقل الازهري عن الكسائي صحة مالح وان كان الملح الفصيح ملح
وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر
ما يقول المتعوذ عنه وقيل [illegible] عن الاختلاط كما انهما مستورا وهو الذي خلق من
الماء من النطفة بشرا لعله يعني انسانا لا ذا حقيقته وهو الروح عبر بما يتعلق بها فجعله
نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن
فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن وهو كقوله فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا ذكرا وانثى
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه
ظهيرا معينا وظاهرا يعني الشيطان وقيل يعني معاملا [illegible] وما ارسلناك
الا مبشرا للمطيعين ونذيرا للعاصين كان كافرا او مؤمنا قل ما اسئلكم عليه على تبليغ
الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر جعل الاجر الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر
من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث
اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا

عليه واستشعارا بان طاعتهم تعود عليهم بالثواب من حيث انها بدلالته وتوكل على الحي الذي
لا يموت اعتمد من لا يموت وكيلا لا يكلك الى ميت ذليلا لا يعتني به واستكفاء امرك اليه في
استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه في كل امر وسبح ونزهه
عن ان يكل الى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقهم الى الذي يوجب الحمد وكفى به بذنوب عباده
ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا يعني انه عالم باحوالهم فكاف في جزاء اعمالهم الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وقد سبق الكلام فيه ولعل ذكره
زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه
وتحريض على الثبات والتأني في الامور فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد
خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحي
او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسأل به السؤال كما يعدى بعن لتضمنه
معنى البحث كذا يستعمل بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا اي
فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل عليه السلام
او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه واذا قيل لهم للمشركين اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنعبده لم يكن [illegible] المسمى به لانهم ما كانوا يطلقونه
على الله او [illegible] لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد
لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بالسجود له او لامرك لنا من غير عرفان وقرئ بالياء
على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر المذكور نفورا تباعدا عن الايمان تبارك
الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به لظهورها وارتفاعها
قال الزجاج كل ظاهر مرتفع يقال له برج وجعل فيها سراجا يعني الشمس
لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الكواكب الكبار وقيل الشمس
والكواكب الكبار وعلى هذا يلزم تخصيص الشمس بالذكر بعد دخولها في السرج مع انه [illegible]
الذكر الشمس لظهور فضيلتها على سائرها وقمرا منيرا اي مضيئا بالليل وقرئ [illegible]
[illegible] العرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة جعلهما ذوي خلفة يخلف
كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف
الليل والنهار يعني الحالة [illegible] لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء
الله ويتفكر في صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه
من النعم وعباد الرحمن مبتدأ خبره في اخر السورة اولئك يجزون الغرفة الذين يمشون

على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وقرئ عباد الرحمن على انه جمع عابد كتجار وتاجر هونا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيا هينا والهون الرفق واللين اي يمشون بسكينة ووقار وتواضع بلا مرح واختيال وتكبر ولذا فكانوا لم يمشون في الاسواق كي يعضل لاهل الركوب في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء بما يكرهون قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم وقيل سلاما تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر ولا ينافيه آية القتال لتنسخها قيل نسختها آية القتال ولا حاجة له لان الاغضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروءة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد وقياما جمع قائم او مصدر للبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نام او لم ينم وتخصيصها لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام لمحافظة الفاصلة والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم ضمير محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق والاقتار التقصير عما لابد منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاسراف الانفاق في معصية الله تعالى قل او كثر والاقتار منع حق الله تعالى من المال وقال عليه السلام من منع حقا فقد قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا بفتح التاء وضمها وكسر التاء وكسر التاء والاقتار والتقتير والقتر التضييق الذي هو ضد الاسراف وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والاقتار قواما العدل بالفتح العدل وبالكسر ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر قواما وبين ذلك لغوا والذين لا يدعون مع الله الها آخر اي لا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها الله اي حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك

عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما قال ابو عبيدة الاثام العقوبة وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقي الاثام وقرئ يضاعف على الاستئناف وعلى الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا ذليلا الا من تاب عن الكفر وآمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وعمل عملا صالحا بعد توبته فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحوها عن صحائفهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل قبائحهم بالمحاسن بعد القبائح وكان الله غفورا ولذلك يكفر السيئات رحيما يبدلها بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا ومن خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات اي تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه بذلك يتوب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه لان حضورهم ونظرهم دليل على الرضا به وسبب وجوب الزيادة فيه واذا مروا باللغو يعني اذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به وهو كل ما ينبغي ان يلقى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن التلوث بالتوقف عليه والخوض فيه والذين اذا ذكروا بآيات ربهم اي قرئ عليهم القرآن ووعظوا به لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفي الخرور بل هو اثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه قول الشاعر

بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم * ولم تكثر القتلى بها حين سلت *

اي بايدي رجال شاموا سيوفهم فقد كثرت القتلى يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين واشباههم دليله قوله وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فان القرآن يفسر بعضه بعضا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله قرة اعين وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد او للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله تعالى سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرجو من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما فان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه وقلة الاعين قيل اعين قليلة لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما ائمة يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل واكتفى بالواحد

لا الانس على الجنس لعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في الاصل او لان المراد
واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم
وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم قيل في الاية اولئك يجزون الغرفة اي الغرفات
وهي العلالي في الجنة وتوحيدها اقتصارا على الواحد الدال على الجنس ليدل قوله تعالى وهم في الغرفات
آمنون بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون
منها حسنت اي الغرفة مستقرا ومقاما موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا
مثل اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب على
المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم ومعناه ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته لولا
دعاؤكم لولا دعاؤكم اياه لا اكمالي لا اسلامكم او لولا عبادتكم اي انه خلقكم لعبادته لقوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لا اعبأ بكم لولا عبادتكم او ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه الهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقد كذبتم بما اخبرتكم به
حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد
كذب الكافرون منكم لان الخطاب لعامة الناس بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف
يكون جزاء التكذيب او اثره لزاما لازما بكم وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على
انه مما لا يكتنهه الوصف وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف مدغما النون في الميم وقد عاملها تلك الاشارة الى آيات السورة
آيات الكتاب المبين المظهر الحق من الباطل لعلك باخع نفسك قاتلها ألا يكونوا
مؤمنين من اجل امتناع قومك عن الايمان لعل هنا للاشفاق اي اشفق على نفسك بتخفيف
هذا الغم والهم ولما كانت مظلة اذ يدل تذكرك للعقاب اقتضائي وتحقيق
المؤمنات لا يصيبهم الا ما يريدوا او يكون المراد يعدله بقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية ملجئة قاسرة لهم على الايمان اسيرا في ذلك الى علمهم حق ان ايمان تلك الطائفة في
مراده انما المراد منه بعثتك بتبليغ احكام التكليف عليها لتقتضيه الحكمة ليس امرنا على ارادة ولا
نهيا عن كراهة فظلت اعناقهم لها خاضعين لانه لو قيل ظلت اعناقهم لما بلغ الخضوع

الخاضعين الخضوع اشارة الى الانقياد اللازم للاذعان وهو المراد ههنا بطريق الكناية
فظلت لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل الكناية
المفهومة بعبارة الخضوع اشارة الى انهم ان لم لا يرجحه وبرهان لا يبرز الاختيار
منه في محل الايمان وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
اي ما يجدد لهم الله تعالى بوحيه على نبيه موعظة وتذكيرا الا اشتد اعراضهم عنه عليه من
الاعراض فقد كذبوا اي حدق التعريف اشارة الى ان تكذيبهم بلغ حد الخصوص الى حد
العموم فان تكذيبهم محمدا عليه السلام كان تكذيبا لسائر الانبياء المخبرين عنه والمبشرين
به بل تكذيبا لله تعالى ايضا والفاء في قوله فسيأتيهم فصيحة تفصح عن محذوف معطوف
على الذكر تقديره واستهزؤا به انباء ما كانوا به يستهزؤن اي انه الحق بعيان عند عدو
الحاضر والمنتظر وهذا وعيد لهم وايذان بانهم سيعلمون اذا مسهم العذاب يوم بدر
او يوم القيامة النبأ الذي كانوا يستهزؤن به اولم يروا الى الارض الواو للعطف
على محذوف تقديره او لم ينظروا ولم يتأملوا في عجائب قدرة الله تعالى ولم ينظروا الى الارض
كم انبتنا فيها من كل زوج الزوج الصنف وكل للاحاطة وكم للكثرة كريم
كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفيه دلالة على
كمال القدرة فلذلك قال ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف لآية عظيمة على ان منبتها
تام القدرة عام النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين مصدقين وكان هنا صلة
في قول سيبويه وهذا اخبار عن حالهم في الواقع لا عن حالهم في علم الله تعالى وان
ربك لهو العزيز المنيع الذي لا يغالب فينتقم منهم ومع ذلك فهو لا يعجل في الاخذ
الرحيم فلا يعجل في عقوبتهم اذ لا يخاف الفوت ويقبل توبة من تاب منهم قبل الموت ولما
كان مساق الكلام في بيان القدرة قدم صفة العزة على الرحمة والرحمة اذا كانت عن قدرة
كانت اعظم وقعا واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت
مفسرة او مصدرية القوم الظالمين لانفسهم او لبني اسرائيل قوم فرعون عطف
بيان وليس فيه اقتصار على قومه بل اكتفاء بذكرهم لانه في جانبه وايماء للاشارة الى ظلم
قومه لاتباعهم له ألا يتقون استئناف للتعجيب من افراطهم في الظلم واجترائهم
عليه وقرئ بالتاء على الالتفات للتوبيخ والحث واصل الا للتحضيض لا استخبار لينبه
من الضلال فالمراد انهم العقاب بالطاعة قال رب اني اخاف الخوف انزعاج
النفس بتوقع الضرر ان يكذبون ويضيق صدري لتكذيبهم اياي ومنافقة

او عطف على اخاف ولا ينطلق لساني على ما ارى من المحال واسمع من الجدال وينصبهما
يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير و
صار بتقدير الرفع فارسل الى هرون اي ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا يعينني
على الرسالة ولم يكن هذا الالتماس منه عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس
عون في تبليغ الرسالة وتمهيدا للعذر في التماس المعين على تلقي الامر وكفى بطلب العون دليلا
على التقبل لا على التعلل ومن الدليل على ذلك وقوع فارسل معترضا بين الاولى والرابع
فانه لو كان تعللا لاخر ولهم على ذنب دعوى جرم وهو قتل القبطي فاخاف ان يقتلون
كان عليه السلام خوفا بحوف تلك النفس ونحو فوات مصلحة الرسالة وما قدم
الثاني على الاول تقديما لمصلحة الرسالة على مصلحة نفسه كما هو اللائق بشأن في النفس
من الانبياء عليهم السلام قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعد
اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والفاء فصيحة دلت على محذوف تقديره
ظاهر من التفصيل في موضع اخر حيث قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا
الاية والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه عطف على الفعل الذي دل عليه كلا كانه
قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته وهو هرون انا معكم يعني موسى
وهرون عليهما السلام وفرعون مستمعون الاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية
والكلام من قبيل التمثيل والمراد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع
ما يجري بينكما وبينه والمرادات على حفاظيتهما كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ويجوز
ان يقال افرد الرسول لاتفاقهما كلمة او افرده هنا وثنى في قوله انا رسولا ربك وذلك
لانه كان فيها لهرون عليه السلام جهتان جهة الرسالة من الله تعالى وجهة الوزارة لموسى
عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فحين قيل
فقولا انا رسولا ربك نظر الى جهة رسالته من الله تعالى وحين قال انا رسول رب العالمين
نظر الى جهة وزارته لموسى عليه السلام وكون موسى عليه السلام اصلا في باب الرسالة
كان في مخاطبة فرعون اياه ومجادلته معه خاصة ولم يلتفت اليه وقوله له بعد ما كان في حكم
المعبر عنه ان ارسل معنا بني اسرائيل اي بان اطلق بني اسرائيل من الاسر والاستعباد
ليذهبوا حيث شاؤوا وهو كارسل الصيد الى اهل العبد قال فرعون لموسى بعدما اتياه وقالا
له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي

به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل مكث فيهم ثلاثين سنة وفعلت
فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه معظما اياه بعدما عدد عليه من نعمته
وما عرض بالتربية لاداب الملوك وقرئ فعلتك بالكسر لانها قتلة بالوكز وانت من الكافرين
بنعمتي حيث قتلت خبازي قال فعلتها اذا اي اذا ذاك وانا من الضالين الجاهلين
وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل او من الذاهبين عما يؤول اليه الوكز
لانه اراد به التأديب والضالين هنا الذاهب عن معرفته ففررت منكم الفرار
الذهاب على وجه الفرار لا ادراك لما خفتكم ان تقتلوني فوهب لي ربي حكما
حكمة وجعلني من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع
عطف بيان لتلك والمعنى ان تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وكر على امتنانه عليه
بالتربية فابطله من اصله وابى ان يسمي نعمة الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه
تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده
وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان فرعون امتن على موسى عليه السلام بتعبيد قومه
واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا او وحد الضمير
في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه
ومن ملائه المؤتمرين بقتله قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه
وراى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة
المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف
حقيقته ان كنتم موقنين ان كنتم تعرفون ان الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه
الاشياء دليلا او ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم
هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن
قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه الا تستمعون تعجبا من جوابه لانهم يزعمون
قدمهما وينكرون ان لهما ربا فاحتاج موسى عليه السلام الى ان يستدل بما لا يمكنهم ان
يشاهدوا تبدله وفناءه قال ربكم عدل الى ما لا يمكن النزاع فيه وان ما قالوا ورب اباءكم
الاولين لانه كان فرعون يدعي الالوهية والربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم
قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن
اخر وسماه رسولا بطريق السخرية وترفع عن ان يسميه الى نفسه ولو بالسخرية ولذلك لم يقل الينا قال

رب المشرق والمغرب وما بينهما انتقل الى هذا لان طلوع الشمس من احد الخافقين
وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل
به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة
على نمرود بن كنعان ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم ان لا يمكن معرفته الا بهذا
الطريق فلما عجز فرعون ولم يتهيأ له ان يحتج ظهر آثار صنعه قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدل الى التهديد بعد المحاجة بعد الانقطاع
وهكذا ديدن المعاند المحجوج واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه
كان اذا سجن احدا يطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر
فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى
وان كان اخصر قال اولو جئتك الواو للحال وهمزة الاستفهام مما دخلت على الفعل
المقدر للتوبيخ اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين مصدق دعواي يعني المعجزة قال
فات به الذي تبين صدقك ان كنت من الصادقين في ان لك ما يدل على بيانه وهذا
الكلام يعرب عن الدلالة على ان المعجزة لا يأتي بها الا الصادق فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان حية عظيمة مبين لانه ثعبان لما اذا جرى باتساع والثعب المجرى الواسع ومنه الثعبان
لانه يجري باتساع لعظمه والجان انما هو العظيم من الحيات ذكر الفارق ولا تنافي بين
هذا وبين قوله كانها جان على ان المشابهة بالجان في الاهتزاز لا ينافي الثعبانية على ان
الجان لغة بينهما في العدد مبين اي ان عن نفسه انه ثعبان حقيقة لا شيء يشبه الثعبان كما
يكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر ونزع يده اي اخرجها من جيبه وذكر من النزع
اخراج الشيء مما كان متصلا به او ملاصقا له فاذا هي بيضاء لها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق وفي قوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر
اليه لخروجه عن العادة قال للملأ اي الاشراف ليلبس عليهم حوله منصوب بمضمر
ضيقي اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف والتصاقه بالمحل وهو النصب على الحال
من الملأ اي كائنين مستقرين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره اي بالقاء العداوة والفرقة بينكم ويستميل اهل
لمحاربة بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك
الخير تامرون تشير عند في امره من المؤامرة وهي المشاورة قالوا ارجه واخاه اي اخر
امرهما ولا تعاجلهما بالقتل لانهم راوا ان الناس يتبينون ان القتل ظلم وان السحر

مطلب منصوب بنفسها

ذا في وسعه ذلك الا الافتنان فكان الجنيد عندنا في قتله او حبسه بحسب ما يرى
وابعث في المدائن حاشرين رجالا يحشرونه والحشر السوق من جهات مختلفة
الى مكان واحد ثم انهم عارضوا قوله ان هذا لساحر عليم باتوك بكل سحار عليم جاء
بكل الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة اي انفذ الحاشرين
في المدائن وانهم حشروا وجمعوا السحرة والفا نصيحة لميقات يوم معلوم يوم الزينة
نيسانه وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام في قوله موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي تحدد من زمان او مكان ومنه
مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي اجتمعوا وهو استبطاء لهم
في الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة في دينهم ان كانوا هم الغالبين
ان غلبوا موسى عليه السلام ولعل غرضهم اتباع السحرة واما الغرض ان لا يتبعوا موسى
عليه السلام فساقوا الكلام مساق الكناية والغلبة لاستعلاء الشيء فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون اءن لنا لاجرا الاجر الجزاء على العمل بالخير واذا كان بالشر يسمى عقابا ان كنا
نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر
والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم
بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلون لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فكان
اذن لهم انتم ملقون فان قوله لنا كانه قال فيخالجهم حين قالوا اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي لجاؤا بسحر عظيم وقالوا اذا
نضيقة بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته وهي من ايمان الجاهلية
والمراد القدرة التي يمتنع بها من اللاحق ضيم لعلو مرتبتها فالقى موسى عصاه القاء صحيح
ناشيء عن معتقد ذكر في سورة الاعراف فاذا هي تلقف اي تلتقف تناول الشيء بالفم
سرعة ما يافكون ما يخيلونه منقلبا عن وجهه بفعلهم وتمويههم او افكهم تسمية للمأفوك
به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بسحر وعبر عن الخرور بالالقاء
بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاءات ولسرعة ما سجدوا كانهم القوا قالوا آمنا برب
العالمين بدل من الذي بدل الاشتمال او استيناف رب موسى وهرون عطف بيان لرب
العالمين لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون لانه حين حشرهم قال انا ربكم
الاعلى قال آمنتم له اي لموسى قبل ان آذن لكم بذلك انه لكبيركم الذي ٥
علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم او واعدكم ذلك وتواطأتم عليه وقد

اي ان كنا ... على ما ذكر في الاعراف نه

... الاية نه

افصح عنه ذلك في سورة الاعراف وانما ابهم التلبيس علي قومه كيلا يعتقدوا انهم انما
عن بصيرة وظهور حق **فلسوف تعلمون** وبال ما فعلتم فانا فضيحة ومدخولها
محذوف وهو علي ما ذكر في سورة الاعراف ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها
اهلها ثم خبر بما كنى عنه فقال **لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف** من شق طرف
وهذه الطريقة في السياسة علي الحكمة فانه حينئذ لا ييأس الجاني عن الحيوة والتعيش بكل
القتل بعده سياسة اخرى بخلاف ما اذا قطعا من شق واحد فانه حينئذ يكون التنكيل
وازالة العذاب المحض **ولاصلبنكم اجمعين** اي لا اترك احدا منكم الا يا
قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اي في ذلك او علينا **انا الي ربنا منقلبون** قد
تقدم تفسيره في سورة الاعراف **انا نطمع** الطمع طلب النفس للخير الذي يتقدر فيه
ان يكون له **ان يغفر لنا ربنا خطايانا** اي ما فعلنا من السحر وغيره والخطيئة الزوال عن
الاستقامة المؤدية الي الثواب **ان كنا** لان كنا **اول المؤمنين** من اتباع فرعون او من اهل
المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على
الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره المتحقق بصحته **واوحينا**
الي موسى كان هذا بعد سنين قام فيها بينهم كذلك **ان اسر بعبادي** بني اسرائيل واضافتهم
الي نفسه للتشريف لانهم امنوا به وصدقوا نبيه والاسرا السير في الليل وما زيد قوله
ليلا لان المراد السير في معظمه لا في اوله واخره **انكم متبعون** يتبعكم عدوكم فرعون
الامر بالسير في الوقت المذكور فانهم لو ساروا في اول الليل لتبعهم العدو في الحال فلا يحصل
لهم التقدم وكذا لو ساروا في اخره **فارسل فرعون** اي فعمل موسى عليه السلام ذلك فخرجوا
فاخبر بذلك فرعون فارسل فاعلا فصيحة **في المداين** مداين مصر وحده ارسل يجمع الجند
الي للتنبيه علي الاستعجال فيه وسرعة الامتثال لما وصل الي ان بلغ مصر كان معمورا
بعضها بحيث ما ارسل الا حاشرا من عنده في المداين وهي كثيرة ... وما ذكر في كتب
حشر من العساكر ليتبعهم **ان هؤلاء لشرذمة قليلون** علي ارادة القول
والشرذمة الجمع القليل ... ذكرها بالاسم الدال علي القلة ثم وصفها بالقلة وفي لفظ
الجمع باعتبار الاسباط واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وما استقلهم وكانوا
ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه **وانهم لنا لغائظون** لفاعلون ما يغيظنا
بخروجهم من مصر بلا اذن منا وقد ذهابهم بحلي لنا التي استعاروها **وانا لجميع حاذرون**
نعني حذرنا فالحذر اليقظة والحذر الذي يجدد بعد ان تجري ...

والحذر

والحذر استعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه
معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور **فاخرجناهم** باحداث
الداعي الى الخروج **من جنات وعيون وكنوز** اموال ظاهرة ... لان انواعهم الظاهرة قد انطمت
ومن عبر عن هذا فالاستعمال كونها لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله **ومقام كريم** بهيج
كذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج والجر على انه صفة مقام اي
مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك **و**
اورثناها بني اسرائيل من الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم **فاتبعوهم**
مشرقين فلحقوهم يقال اتبع فلان فلانا اذا لحقه ... قال الزجاج يقال شرقت
اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت **فلما تراءى الجمعان** اي تقابلا بحيث يرى كل منهما الاخر
قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون **قال** موسى **كلا** لن يدركوكم فان الله تعالى
وعدكم الخلاص منهم **ان معي ربي** اي وعده لي **سيهدين** طريق النجاة ويجوز ان يكون من
قبل النبيل **فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر** بحر قلزم **فانفلق** اي فضرب فانفلق
فانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط وفي حذف الفعل وترتيب الانفلاق على
الامر المذكور ايماء الى ... الامر الخارق امر من الله تعالى لا من موسى عليه
السلام **فكان كل فرق كالطود العظيم** كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها
كل سبط في شعب **وازلفنا** قربنا **ثم** حيث انفلق البحر **الاخرين** فرعون وقومه حتى
دخلوا على اثرهم مداخلهم **وانجينا موسى ومن معه اجمعين** بحفظ البحر على تلك الهيئة
الى ان عبروا ... فلما دخل فرعون ومن معه ولم يتخلف من قومه احد ... فانه كان بين
يدي موسى عليه السلام ويدل على ان نجاتهم كانت لبركة مصاحبة موسى عليه السلام وتبعيته
ثم اغرقنا الاخرين باطباق البحر عليهم وكلمة ثم دالة على تاخر الهالكين عن خروج الناجين
وذلك ان جبريل ... قدامهم ليلحق به اخرهم لا يبقى منهم احد **ان في ذلك** اي فيما فعل
بموسى عليه السلام وفرعون **لاية** لعبرة عجيبة لا توصف **وما كان اكثرهم مؤمنين**
وما امن بها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد من القبط في مصر الا ... وبنو اسرائيل بعدما نجوا
سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **وان ربك لهو**
العزيز الغالب القادر على الانتقام من اعدائه **الرحيم** بتاخير العذاب بعد حتى يتوب منهم من تاب
واتل عليهم على مشركي العرب **نبا ابراهيم** خبره العجيب الشان **اذ قال لابيه وقومه**
ما تعبدون اي اي شيء تعبدون سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق العبادة **قالوا**

نعبد اصناما كان السؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا
ومباهاة بعبادتها ولذلك عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها
طول النهار ويحتمل ان يكون لا نظل بمعنى ندوم وقيل يدل على اختصاص عبادتهم بالنهار قال
ابراهيم عليه السلام هل يسمعونكم هل يجيبونكم اذ تدعون قال سمع بمعنى اجاب تابع
ومنه سمع الله لمن حمده ولو كان يسمعون على معناه الحقيقي لقيل هل يسمعونكم تدعون
او ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا بل اضراب اي لا تسمع
ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها بشيء من ذلك ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
فقلدناهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون قال النقد
لا يدل على الصحة ولا ينقلب الباطل حقا فانهم عدو لي العدو والصديق يجيئان في معنى
الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء الي يوم القيمة لقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا او قال ـــــ الفرا هو من المقلوب اي فاني عدو لهم وفي قوله لي دون
لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان
الضمير لكل معبود عبدوه فيدخل فيه المعبود بحق ولا حاجة الى ان يقال لعل كان من اباءهم من يعبد
الله لانهم انما يعبدون الله الا انهم يشركون الاصنام في العبادة فدل على ذلك قوله اذ
نسويكم برب العالمين الذي خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناهج الدنيا ومصالح
الدين ولا استقبال في يهدين مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل هديتني للاهم الافضل
والاتم الاكمل او الذي خلقني لاسباب يخدمه فهو يهدين لاداب يخدمه والفاء للسببية
ان جعل الموصول مبتدأ او للعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلافا لعظم نعمة
الخلق واستمرار الهداية والذي هو يطعمني ويسقين بدلا لا وله مبتدأ محذوف الخبر لدلالة
ما قبله وكذلك اللذان قبله بعد وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل وصف
من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واضافة الاطعام الي وهي لا تعلم لان الركون الى
الاسباب بعادة لا نعلم واذا مرضت لم يقل امرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم
يضف اليه ما يقتضي الصبر ولان ذلك لم يكن مقصودا بذاته كسائر ما ذكر من افعاله
تعالى الكاملة وانما هو من زوائد الطعام والشراب ولهذا قال واذا مرضت على الفرض
فلم ينسبه اليه تعالى نسبة البواقي تنبيها على الفصل بينهما فهو يشفين ان شفيت لا غير
لانه يشفين لا محالة والذي يميتني لم يقل اذا امت لانه الخروج من حبس البلاء واوان
اللقا الى [illegible] لقا لوعد اللقا فليس هو كالمرض ولما كانت الاماتة والبعث لا يكون

اسنادهما الا الى الله تعالى كالخلق لم يحتج الى تاكيد بخلاف الهداية والاطعام والسقي
والشفا فانهما مما يمكن اسنادهما الى غير الله تعالى وانما اتى بثم الدالة على التراخي في قوله ثم
يحيين لانه اراد الاحيا في الاخرة بعد اللبث في القبر وبدلالة التعقيب في الهداية والشفا
لانهما يعقبان الخلق والمرض وبدلالة الجمع المطلق في السقي لانه قد يعقب الاطعام وقد
يتاخر وقد يتقدم عليه والذي اطمع طمع العبد في المولى بالافضال لا على الاستحقاق
بالسؤال ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين استغفار الانبياء عليهم السلام تواضع منهم
لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة وقدم الثناء على الله وذكر بالاوصاف
الحسنة بين يدي طلبته ومسالته ثم سال الله تعالى فقال رب هب لي حكما كمالا في العلم
والعمل لانتظم في عداد الكاملين في صلاح الدنيا الذي لا يشوب صلاحهم كبيرة ذنب
ولا صغيرة والحقني بالصالحين اي الانبياء عليهم السلام ولقد اجابه حيث قال وانه
في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق اي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما
باللسان عن القول بما لا يجيء من البلاغة وانما اضافه الى الصدق اضافة الموصوف
الى الصفة الدالة للاختصاص به والمراد منه الخير الاعم للاطلاقيته في الاخرين
في الامم التي تجيء من بعدي فاعطي ذلك فكل اهل دين يثنون عليه ويتولونه [illegible]
واجعلني من متعلق بمحذوف اي وارثا من ورثة جنة النعيم سال ان يجعله منها
من الاطلاق فيما يعنا بعد الطاعات لان الجنة لا يتنعم فيها الا بالاستحقاق وان كان
الدخول بمحض لطف الله تعالى فلذلك قال من ورثة فان الوارث ياخذ الميراث بلا
كسب منه واغفر لابي طلب هدايته الى الايمان اقتضاء لمغفرته ولهذا قال انه كان
من الضالين اي استمر على الضلال في الازمنة الماضية وقال باستغفاره له انجازا لوعدها
او كان ذلك بالطلبة منه عليه السلام قبل ان مات ابوه فلما مات ابوه على الكفر فتبين انه
عدو لله تبرا منه ولا تخزني الاخزاء الخزي والهوان او من الخزاية وهي الحياء يوم يبعثون
الضمير للناس لانه معلوم او الاخرة في يعذب بالي يوم الحشر على رؤوس الخلق
الاستغفار لابيه يوم لا ينفع مال بدل من اليوم الاول ولا بنون احدا الا ينتفع في الدنيا
بعدد ماله ويذب عنه بنوه الا من اتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق
سليم القلب فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض اي ان المال اذا صرف
في وجه البر وبنون صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب تنصيص الخليل
ذكر ان لم يجعل صفة في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وازلفت

الجنة للمتقين أي قربت عطف جملة على جملة أي تزلف من موقف السعداء فينظرون إليها
ويتبجحون بحشرهم إليها وبرزت الجحيم أي أظهرت فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم
مسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين دلالة على أن أرض الحشر قريبة من الجحيم للغاوين
الغاوي المتعاطي لما يوجب الخيبة من أفعال وأسباب الغواية الخفية قال الشاعر

❊ فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ❊ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ❊

وقيل لهم على تجنيبهم التوبيخ والتقريع أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
هل يمنعونكم بنصرهم لكم أو ينتصرون أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم وهذا لأنهم
وآلهتهم وقود النار فكبكبوا أكبوا أو طرح بعضهم على بعض فيها في جهنم هم أي
الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في
اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في
قعرها وجنود إبليس شياطينه أو متبعوه من عصاة الإنس والجن أجمعون تأكيد للجنود
إن جعل مبتدأ خبره ما بعده وإن لم يجعل مبتدأ بل معطوفا على هم يكون تأكيدا
للضمير الذي هو هم وما عطف عليه وهو الغاوون وجنود إبليس وهذا لأجل أن
قاموا ذا في الضمير المنفصل وما يعود عليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون يجوز أن
ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويؤيده الخطاب في قوله تالله إن
كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم نعدلكم أيها الأصنام برب العالمين في استحقاق
العبادة وما أضلنا إلا المجرمون أي رؤساؤهم الذين أضلوهم أو إبليس وجنوده ومن سن
الشرك فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة وما
أتى بصيغة الجمع لتكثير الفاصلة تدور حول المقام بزيادة من التبعيضية ولا صديق
حميم من الأقارب كما ترى للمؤمنين أصدقاء قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين وحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمك ما يهمه أو من
الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فلو أن لنا كرة رجعة إلى الدنيا فنكون من
المؤمنين جواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لتمني في مثل هذا التمني كأنه قيل
فليت لنا كرة لما بين معنيي لو وليت من التلاقي إن في ذلك فيما ذكر من قصة إبراهيم عليه
السلام لآية لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب
وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية
والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصوير

الأمر في نفسه واطلاقا لعذرهم لو يعتد على سبيل الحكاية تمريضا وإيقاظا لهم ليكون أدعى
لهم إلى الاستماع والقبول وما كان أكثرهم أكثر قومه مؤمنين به وإن ربك لهو العزيز
القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالإمهال لكي يؤمنوا أو واحد من ذريتهم كذبت قوم
نوح القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة المرسلين قدمنا الكلام في تكذيبهم المرسلين
إذ قال لهم أخوهم نوح لأنه كان منهم ألا تتقون خالق الأنام فتتركوا عبادة
الأصنام إني لكم رسول أمين كان مشهورا بالأمانة فيهم كمحمد عليه السلام في قريش
فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما أسألكم عليه على ما أنا
عليه من الدعاء والنصح من أجر الأجر عبارة عن المنفعة المستحقة فأما الذي لا يكون مستحقا
فلا يسمى أجرا بل هبة إن أجري إلا على رب العالمين وتكرير الأمر تنبيه على عظم شأن
الأمر بتبليغه وهذا هو الموجب لطاعته فيما يدعوهم إليه فلذلك أعاد قوله فاتقوا الله
وأطيعون وأما حسم الطمع المستفاد مما تقدم فقاصر عن إيجابها ثم إن في قوله رب العالمين
إشارة إلى أن الثواب الأخروي ذلك لفضله من تربيتهم لا لأمر يعود إليه نفعه من نفع أو دفع
قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون الواو للحال وقد مضمرة بعدها وقرئ وأتباعك جمع تابع
كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال الأرذلون جمع الأرذل على الصحة والرذالة الخسة والدناءة
وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات
الدنية وإنما ذلك لأن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنما هو لتوقع مال أو عز فلذلك
قال وما علمي بما كانوا يعملون إنهم عملوه إخلاصا أو طمعا في طعمة وما علي إلا اعتبار
الظاهر إن حسابهم إلا على ربي ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله تعالى فإنه المطلع على البواطن
لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما أنا بطارد المؤمنين
جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم لأنه ليس من شأني أن أطردهم استنكافا عن الشركة معهم
في الإيمان خصوصا إذا كان لهم فضل التقدم وقدم السبق ونوقفوا لما هم عليه وقد علم
إن أنا إلا نذير مبين كالعلة له أي ما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين من الكفر
والمعاصي سواء كانوا أعزاء أو أذلاء وكم من ذليل عند الناس وهو عزيز عند الله فما لكم فكيف يليق
بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء أو ما علي إلا الإنذار وكمال التأديب بالبرهان الواضح ثم
العلم بشأنكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لأن الانتهاء بلوغ الحد في التجاوز
إلى ما فيه غنيته وأصل النهاية بلوغ الحد لتكونن من المرجومين من المضروبين
بالحجارة قال رب إن قومي كذبون إظهار لما يدعو عليهم لأجله وهو تكذيب الحق

مطلب اتباع جمع تابع وتبع

لا تحزنهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما
من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق ونجني ومن معي من
المؤمنين من قصدهم أو من شؤم عملهم فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء
بحمله البالغ الذي يملؤه كما كانت السفينة مملوءة من الناس وأنواع الحيوان من أزواج
سباع البهائم وجوارح الطير وكانت في قصتهم عبرة ونجاة وفي هذا النعت توصيف
الفلك بالوصف المذكور في مقام الامتنان ثم أغرقنا ثم للتفاوت بين الحالين الأكثر بحي
ولذلك قال بعد أي بعد إنجائه ومن معه الباقين من قومه إن في ذلك لآية أي عظيمة
شاعت وتواترت وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز المنتقم بإهلاك من
جحد وأصر الرحيم المنعم بإغاثة من وحد وأقر كذبت عاد المرسلين هي قبيلة وفي الأصل
اسم رجل هو أبو القبيلة إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين وقد مر تفسير نظيره
أتبنون بكل ريع مكان مرتفع ولبنا وضع ساف على ساف بحيث يتبين الريع الارتفاع
من الأرض ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء بما يكون لارتفاعه
كالعلامة تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع مأخذ الماء وقصورا مشيدة أو حصونا
أي تعملون لأن في كل موضع عال مشرف علامة تنزلون منها ولا تحتاجون إليها بل كما تريدون
به المباهاة والملاءة وذا عبث لعلكم تخلدون وترجون الخلود في الدنيا فتحكمون بنيانها
وإذا بطشتم بطشا لضعيف بالسيف وضربا بالسوط بطشتم جبارين الجبار العالي في بغي
لعظيم سلطانه وهو في صفة الله تعالى مدح وفي صفة غيره ذم وقال الحسن تبطش
الجبرية هو المبادرة من غير تثبيت ولا توقف فنهاهم الله تعالى في بذلك وتمام هود عليه
السلام فاتقوا الله بترك هذه الأشياء وأطيعون فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم واتقوا
الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين قرن البنين بالأنعام لأنهم يعينونهم
على حفظها والقيام عليها وقرن البنين في قوله وجنات وعيون العيون بالجنات
لا تعلق بهما وذو وجه في فضلها بها كرا الأسباب لا اختصار ربا على تعداد الله تعالى إياهم ما يعرفونه
من أنواع النعم تعليلا وتنبيها بالوعد عليه بدوام الاستغناء والوعيد على تركه بالانقطاع
ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساوئهم المدلول عليها إجمالا بالإنكار في الأفعال
مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى ثم أوعدهم فقال إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم
في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الإنعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا أي مستو

عندنا

عندنا وما قيل علينا لأن المراد بيان الاستواء من جهة التأثير أوعظت الوعظ كلام يلين القلب
بذكر الوعد والوعيد أم لم تكن من الواعظين فإنا لا نرعوي عما نحن عليه من تغيير شيء
لقوتها تقتضيه المقابلة بالمبالغة تكافيا لاطلنا بالمبالغة في جانب السكوت عن الوعظ لكونه
مقصودا فإن الإخراج من عداد الواعظين أبلغ من نفي المباشرة للوعظ والمحافظة على رعي
الآي إن هذا إلا خلق الأولين وفي خلق بضم الخاء واللام الاختلاق أي ما هذا الذي جئتنا
به إلا كذب الأولين وقرئ بضم الخاء أي ما هذا الذي نحن عليه من تهيئة أسباب الحياة مجموعه
لانتهاء الإعادة إلا دين الأولين وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعث ولا عذاب في الآخرة فكذبوه
فأهلكناهم بسبب تكذيبهم إياه بريح صرصر عاتية إن في ذلك لآية إلى قوله تعالى إلا على
رب العالمين تقدم تفسيره في هذه السورة أتتركون إنكار ونفي لأن يتركوا كذلك وتذكير
بالنعمة في تخلية الله تعالى إياهم وأسبابها بتنعيمهم فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان
من النعيم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله في جنات وعيون هذا أيضا
إجمال ثم تفصيل وزروع ونخل أفرد النخل تفضيلا لها على سائر أشجار الجنات طلعها وهو
ما يخرج من النخل كنصل السيف هضيم لين نضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره فإنه ما دام رطبا
فهو هضيم فإذا يبس فهو هشيم وتنحتون أي تنقبون من الجبال بيوتا فارهين بطرين وهذا
هو الحاصل في بيوت الحجر من قوله آمنين لا تخشى حاذرين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا
أي لا تمتثلوا أمر المسرفين فيما صرف الكلام عن الظاهر والحكمة عن المنابذ حيث لم يقل
ولا تطيعوا المسرفين تنبيها لأمثالهم من ديدن الإطاعة وتبعيدا لهم عن حيز الطائعين وأما
جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي فلا يناسب المقام الذين يفسدون في الأرض وصف موضح
لإسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لدلالة على خلوص فسادهم وتعيين فسادهم
المستفادين من الإسناد إلى كلمة الأرض بما يناسبه قالوا إنما أنت من المسحرين المسحر
الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله ما أنت إلا بشر مثلنا كناية عن استحالة كونه رسولا بناء على
ما زعموا من أن الرسول لا يكون من جنس البشر صالحا إلا امتيازه عن سائر الأفراد وكأن
صالحا عليه السلام ردهم قولهم هذا بأن يقول أني رسول الله بأن يعلم الله أني امتيازي عن
سائر البشر بالمعجزة الخارقة للعادة فقالوا في مقابلته فأت بآية خارقة للعادة إن كنت
من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة كذا ذكر في سورة الأعراف هذه ناقة الله لكم آية لها شرب
نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم فيه ولا تمسوها بسوء ضرب
كقتل الذي هو عقرها ضربا بالسوط الجامع لأنواع الأذى بأن تقربوا في الكثرة وأحسم المادة فيأخذكم

ما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك
لهو العزيز الحكيم ...
...
جزاء الأولى رب العالمين

وفي سورة الأعراف فعقروا
...
بعضهم على بعض تعقبون
سنه

عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب لان اليوم
اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها الفاء فصيحة والجملة المحذوفة
مذكورة في سورة الاعراف وانما اسند العقر الى الجميع لانه كان بامرهم وتعاونهم على ما
افصح عنه قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فاصبحوا نادمين لا على عقرها
خوفا من حلول العذاب بهم لانه مردود بقوله تعالى وقالوا يعني بعدما عقروها
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين بل على تركه ولدها وقد تقدم ذلك في
سورة الاعراف فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود وهو الرجفة العادية من
الصاعقة ان في ذلك لآية عظيمة وما كان اكثرهم مؤمنين في نفي الايمان عن اكثرهم
في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما
عصموا عن مثله ببركة من امن منهم وان ربك لهو العزيز الرحيم جامع لجهتي الانتقام
والانعام كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قد
تقدم تفسيره في هذه السورة أتأتون الذكران اي أتأتون من بين اولاد آدم مع كثرتهم
وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد اعوزنكم او أتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران
لا يشارككم فيه غيركم فالمراد بالعالمين على الاول الناس وعلى الثاني كل من ينكح وجمع
هذا الجمع للتغليب ويبتني هذا الوجه على اختصاص ذلك الفعل بالاناث وفيه نظر
وتذرون ما خلق لكم لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس
الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون
مثل ذلك بنسائهم وما خص الازواج بالذكر بعمومه فان الاماء مخصوصة بالاحرار بل
انتم قوم عادون بل اضراب بمعنى الانتقال من شيء الى شيء والعادي المتعدي
في ظلمه المتجاوز فيه للحد والمراد هنا التجاوز عن حد الشهوات بالزيادة على سائر
الناس بل الحيوانات او الافراط في المعاصي مطلقا وعلى هذا الاضراب للترقي قالوا
لئن لم تنته اي لم تمتنع عن انكارك علينا او تقبيح امرنا يا لوط لتكونن من المخرجين
من جملة من اخرجناه من بيننا وطردناه من ديارنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على
اسوأ حال قال اني لعملكم من القالين فلا اكون معاونكم ولا مصحا والقلي
البغض الشديد كأنه يقلي الفؤاد والكبد وقال من القالين للتنبيه على انه مندرج
بذلك بل واحد من الجماعة المعروفين به ونظائره ابلغ من قال وان كان هو ابلغ من

هذا اللفظ لما ينبئه قولك قال من صنعة التحسين رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤمه
وعذابه فنجيناه واهله اي من امن به اجمعين باخراجهم من بينهم وقت العذاب بهم الا عجوزا
مقدرة في الغابرين العجوز المرأة التي قد اعجزها على امر كبرة كبر سنها وهي امرأته
على ما افصح عنه قوله الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين من لدن اهلها واهل
بلدها وقيل الغابر الباقي في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس يعني غبارا ثم دمرنا
الآخرين اي اهلكناهم اشد اهلاك وامطرنا عليهم مطرا امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة
فاهلكتهم فساء مطر المنذرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف والمراد بالمنذرين
جنس الكافرين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
تقدم تفسيره كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة تنبت السدر
والاراك والمراد النجل المرسلين اذ قال لهم شعيب انما لم يقل اخوهم شعيب لانه لم
يكن منهم بل كان من نسب اهل مدين وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم
والى اصحاب الايكة الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قد مر تفسيره في هذه
السورة اوفوا الكيل امر بالايفاء ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف ولو قيل ولا
تخسروا لكان ابلغ في النهي على ما تقدم في تفسير ولا تركنوا الى الذين ظلموا وما عدل
عنه الا الى ما ذكر تحريضا لاجتنابهم بتلك الحال وزنوا بالقسطاس المستقيم الوزن وضع
الشيء بازاء المعادل له ليظهر مقداره اي بمثل المقدار اما بالزيادة او النقصان والقسطاس
والقسطاس الميزان او القبان فان كان من القسط وهو العدل جعلت العين مكررة فوزنه
فعلاس والا فهو رباعي ولا تبخسوا الناس بخسته حقه اذا نقصته اياه اشياءهم
دراهمهم ودنانيرهم بقطع اطرافها فلو لا المراد النهي عن الفساد والخيل ولا تبخسوا الناس
شيئا لانه ابلغ في النهي وهو لا تتعدوا في الارض والعثو الفساد وذلك قد يكون لا
لتحصيل الكسب بل لمجرد الكفرة فلدفع هذا الاحتمال قيل مفسدين ولا تعثوا في الارض
مفسدين يعني من تقدم من الخلائق اطلق الخليقة واريد بها الخلق قيل الجبلة
الخلق المتحد الغليظ ماخوذ من الجبل بمناسبة لتفسيره بخلقه عادي عود واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين ترك ادوات الجمع في قصة ثمود ليفيد التوكيد والتعزير
والمعظم بانه بشر مثلهم اي لا ينبغي ان تكون بمنزلة الاتي تمتاز به عنا ولهذا قالوا
فأت بآية ان كنت من الصادقين وان في بها هنا للدلالة على انه جامع بين وصفين متنافيين

للرسالة مبالغة في تكذيبهم فكأنهم قالوا انت في غاية عدم صلاحية الرسالة
من جهة كونك بشرا مثلنا وتلك المرتبة عالية فيكون ذلك سحرا ادعيته ثم اكدوا ذلك بقولهم
وان نظنك لمن الكاذبين والظن بمعنى اليقين واللام الفارقة داخلة في المفعول الثاني
كان هذا الرد ابلغ من الاول لما طلبوا البرهان كما طلب ثمود بقولهم فات باية ان كنت
من الصادقين بل قطعوا بما يدل على الياس من ايمانهم بقولهم على سبيل الاستهزاء فاسقط
علينا كسفا جمع كسفة وهي قطعة من السماء عقوبة ان كنت من الصادقين كما قالت
قريش بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال ربي
اعلم بما تعملون اي ان الله تعالى اعلم باعمالكم فبما تستحقون عليها من العذاب
فاذا اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل فاذا لا دعاء لي فانه الحكم الذي
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا والظلة سحابة اظلتهم بعد
ما حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام فاجتمعوا تحتها مستغيثين بها مما نالهم من
الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وهذا اي ولكونهم معذبين في ذلك الوقت
بسبب احتجابهم بالظلة اضيف العذاب الى اليوم دون الظلة وتعظيم اضافة العذاب اليه
لانه نوع من اشعار بان عذابهم قبل نزول النار من الظلة بلغ الى حد كان الاحتجاب
لهم من العذاب انه كان عذاب يوم عظيم وقد مر ان وصف اليوم بالعظم ابلغ من وصف
العذاب به ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر
القصص السبع المذكورة على وجه الاختصار تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد
للمكذبين به وانه لتنزيل رب العالمين اي ان القرآن لمنزل من عند الله تعالى الخالق
العالمين نزل به الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه امين الله على وحيه وقرئ
نزل مشددا والروح منصوبا اي جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية
على قلبك اي احفظ التلاوة المعنى عليك لانه محل الوحي والتثبت ولعل المراد
عن المخالطة والمخالطة لوصوله الى القلب بالذات لا بواسطة الصوت والسمع
هذا السر الدقيق لتكون من المنذرين فاقتصر على الانذار لعمومه
ازجر للسامع بلسان عربي بلغة العرب متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين
اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد عليهم
الصلاة والسلام مبين للناس ما يحتاجون اليه من امور دينهم ودنياهم وانه
لفي زبر الاولين يعني ذكره مثبت في سائر الكتب المنزلة السماوية وقيل ان معانيه

فيها فلا دلالة فيه على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية والى هذا رجع ابو حنيفة
فقد تقدم بيانه اولم يكن لهم اية على صحة القرآن ونبوة محمد عليه السلام ان يعلمه
علماء بني اسرائيل اي يعرفوا بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرئ يكن
بالتذكير واية بالنصب على انها خبر وان يعلمه هو الاسم بتقدير او لم يكن لهم علم علماء بني
اسرائيل اية وقرئ تكن بالتأنيث واية بالرفع على انها اسم كان ولهم خبرها وان يعلمه بدل
وقيل في تكن ضمير القصة واية خبر مقدم والمبتدا ان يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان
تامة ولهم اية وان يعلمه بدل منها او خبر مبتدأ محذوف اي اولم يحصل لهم اية ولو
نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقرأه عليهم
ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين
جمع على التخفيف كما قالوا الاشعرون اي لا سنتم التصدق بالنسبة ولولا هذا التقدير
لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء وزيادة كان لافادة معنى الاستقبال المراد
بمعنى الاستمرار فان فهمتم هذا الاعتبار كذلك سلكناه اي مثل ما ذكرنا من
ادخال التكذيب به على تقدير قراءة الاعجمي ادخلنا التكذيب في قلوب المجرمين
بقراءة افصح العرب لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم المراد به معاينة العذاب
عند الموت وذلك ايمان يأس فلا ينفعهم فيأتيهم بغتة يعني ان العذاب الذي يستعجلون
يجيئهم فجاة والبغتة حصول الامر العظيم للسائل من غير توقع وتعد لطلب اسباب وهم
لا يشعرون باتيانه فيقولوا حينئذ عطفا على قوله يروا هل نحن منظرون
ليتأمل في الكلام افبعذابنا يستعجلون فيقولون
امطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة
للانكار والتوبيخ على ترتيبه الاستفهام بما لحق
العذاب وان استعجلت يحيى بن معاذ رحمه الله اشد الناس
غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى ما لو فاته والله تعالى يقول افرأيت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون في ذلك
الشيئين في دفع العذاب وتخفيفه وما يجوز ان تكون والاستفهام ليكون في معنى
خبر كان لمعنى التعجب والانكار بها كل احد حتى يتعجب
كان في الموضعين لافادة الاستمرار وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
الا لاقي وما اهلكنا من قرية الا بعد ما كانت مقولة لان الاصل عدم الواو

اذ الجملة صفة لقرية والا وان توسطت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف منذرون اي بينة
الجمع لان من قرية عام فكانه قيل وما اهلكنا من القرى والعدول عنه لافادة الدلالة
على ان المراد الكل الافرادي لا الكل المجموعي ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة و
لانها في معناها لانذرنا او حال من الضمير في منذرون او الرفع على انه صفة منذرون باضمار
ذوو او بجعلهم ذكرى والجملة اعتراضية ولا يجوز ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا كما سبق
له لان مذهب الجمهور ان ما بعد الا لا يعمل فيما قبلها الا ان يكون مستثنى او مستثنى
منه او تابعا له غير معتمد على الاداة وما كنا ظالمين اي ليس من شأننا الظلم فنهلك
فيها غير مستحقين له ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القران على محمد عليه الصلوة
والسلام نزل وما تنزلت به اي بالقران الشياطين واتى بصيغة التكلف والجمع لانه في
تقدير وقوع النفي لا يكون الا بايانة كلفة ومشقة من جماعتهم على ما بين في تفصيل
كيفية استراق السمع ردا لما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي
لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون ذلك النفي ولا الوقوع ثم اللياقة ثم القدرة ثم بين عدم
القدرة بقوله انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لمصونون القران لتضمنه ما هو
الممتنع في الخلافة وسبب ذلك ما ذكر في سورة الجن لكنهم محجوبون بالشهب فلا تدع
مع الله الها اخر فتكون من المعذبين نهى النبي عليه السلام منها لتشرك في العبادة مع
الفاجر اليه في ضمنه تهييج البلاغ ترتيب العذاب عليه على وجه لا يتخلف عنه في حق غير الحق
فكيف في حق غيره وانذر عشيرتك الاقربين خصهم لينفي التهمة اذ الاشتباه اهل قرابة
وليعلموا انه لا يغني عنهم من الله شيئا وان النجاة في اتباعه دون قربه والعشيرة تنتظم
المحدثة فافهمها واخفض جناحك لين جانبك وتواضع مستعار من خفض الطائر جناحه
اذا اراد ان ينحط لمن اتبعك من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم ولافادة هذا التعميم
ذكر قوله من المؤمنين لا لانه لا ايمان لاتباعه عليه السلام قوله فان عصوك لم يتبعوك
وانذر عشيرتك الاقربين وكان اصل الكلام ان لم يتبعك فقال تعجلك واطاعوك واخفض
لهم جناحك وان يخضوا والا يتبعوك فتبرا من عملهم لانه غير التغيير في احد التفسيرين
المعتد ومترتب الحق في الجانب لغالب عموم حكمه تنبيها على ان حكم الانذار اصله غير مختص
وانما الاختصاص فيما به عليه السلام في وصف تقديمه وتخصيص كون العصيان بمنفرد
ذلك الحكم في حق غيرهم بطريق الاولى فقل لهم اني بريء لا كان الحكم في صورة الا
ونحوها في صورة خلافه مبنيا لم يفصل الحكم في لا ولى وانا لا لطفها بعوده في الثانية

قال اني لاعمال رضا ما يشبه لم اولادو ولا الاحيا مما تعملون مما تعملون به او من اعمالكم
البراءة من عملهم لانهم استعاروا بانهم لابية كون ما اظهار العصيان بل بدعوى الى
الطاعة من بعد اخرى بالملطف اي ان ترك الامر بالعنف وتوكل التوكل تفويض الامر
الى من يملكه وتحري فتوكل على الاسباب المتجوان لسقط على العزيز الرحيم على الذي يقهر
اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شرهم بتفصيل منهم من غيرهم الذي
يراك الرؤية علم خاص بنوع من المحسوس غير متوقف على النظر بل قد يحصل بنظر او غيره
ولذلك قال موسى عليه السلام قوله انظر اليك حين طلب الرؤية المعهودة حين تقوم
للتهجد وتقلبك ترديدك في الساجدين في المصلين تبع كونه حجا على سؤاله
امر من سببا بالرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتردده في تفحص
احوال المتهجدين من اصحابه رضي الله عنهم ليطلع من حيث لا يشعرون ويعلم انهم
يعبدون الله فيحلو لهم انه هو السميع العليم لما تقوله وتعلمه هو ان عليه
معاناة مشاق ما يحمله لتهجد الخير تحقيقه له اذ لا سعة على من يعلم
انه يعمل بمرأى من مولاه هل انبئكم على من تنزل الشياطين انما قال تنزل لانه اكثر
ما يكون في الهوى وانه يمر مر الريح تنزل على كل افاك اثيم على كل من يكثر في الافك والاثم
لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا
عليه الصلوة والسلام لا يصلح لان تنزلوا عليه بخصلتين احدهما انما يكون على شرير
كذاب كثير الاثم وهم الكهنة والمتنبئة ومحمد عليه السلام منزه فالافاكين عليهم فكيف تنزل
الشياطين عليه وانما ذكره كل عيانا بالمارق من مصنعها لعمرو لا لافاحة اليه في تحليل
الكلام وتاييدهما ما ذكره بقوله يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلهم اشياء لا يطابق
اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة ولا كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها
ويلقون حال اي تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع فيكون في محل
الجر او استئناف فلا يكون له محل من الاعراب كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل لانهم
يفعلون كيت وكيت واكثرهم اي اكثر الافاكين كاذبون فيما يقولون على الشياطين ما لم يوحوا
اليهم واختصاص هذا النوع من الكذب باكثرهم لا ينافي تناول جنس الكذب كلهم والشعراء
يتبعهم الغاوون واتباع محمد عليه الصلوة والسلام ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل

كونه شاعرا ألم تر أنهم في كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول
واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة الحد في القصد حتى إنهم يفضلون
أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وأنهم يقولون ما
لا يفعلون وذلك لتعلقهم في أفانين الكلام ومحبتهم للفصاحة والمعاني اللطيفة
وقد ينسبون لأنفسهم ما لا ينفع فيهم لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد
قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في
القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال أربابهما
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين كعبد الله بن
رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وذكروا الله كثيرا أي كان
ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى
والثناء عليه وانتصروا من بعد ما ظلموا هجوا أي ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمين وسيعلم الذين ظلموا تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ
وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت
من الإبهام والتهويل وقرئ أي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء وهما في المعنى واحد ذكره
الثعلبي ختم السورة بما يقطع أكباد المتدبرين

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك إشارة إلى آي السورة آيات القرآن وكتاب مبين عطفه على القرآن كعطف
إحدى الصفتين على الأخرى وتنكيره للتعظيم بأنه يبين ما أودع فيه من الحكم والأحكام
أو القصص عجائب وإنما عرف القرآن ونكر الكتاب على عكس ما في سورة الحجر لأنهما اسمان علمان
للمنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ووصفان له باعتبار معنيهما الأصليين فيهما جعل
أصلا والآخر صفة صح وكتاب قرئ بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه على معنى وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات
والعامل فيها معنى الإشارة أو بدلان منها أو من كتاب وصفة لهما أو خبران أخر أو خبر
محذوف أي هي هدى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة تقدم تفسيره في سورة
البقرة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال أو العطف وتغيير النظم
للدلالة على قوة يقينهم وثباتهم وأنهم لا يحلفون فيه أو استيناف كأنه قيل وهؤلاء الذين

يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية
وكرر فيها المبتدأ حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا الجامعون
بين الإيمان والعمل الصالحات لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق إن الذين
لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم القبيحة بخلق الشهوة فيهم حتى رأوا ذلك
حسنا كما قال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقد مر البحث مستوفى في إسناد التزيين
إليه تعالى في تفسير سورة البقرة فهم يعمهون يتحيرون ويترددون في ضلالهم
كما يكون حال الضال عن الطريق أولئك الذين لهم سوء العذاب عما كان لهم
من سوء الأعمال وهم في الآخرة هم الأخسرون أشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق
العقوبة وإنك لتلقى القرآن أي يلقى عليك بشدة من لدن حكيم عليم مصيبة أقواله
وأفعاله عليم بكل شيء وأحواله فليس الأول منهما مشتملا على الآخر حتى يكون الجمع تكرارا
والتنكير فيهما للتعظيم وفي الآية تمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من القصص وما في
ذلك من لطائف حكمه ودقائق علمه إذ قال موسى أي اذكر قصة إذ قال موسى وقيل متعلق
بعليم لأهله إني آنست نارا الإيناس الإحساس بالشيء مع سكون النفس إليه سآتيكم
منها بخبر أي عن حال الطريق لأنه قد ضلها ويحكى أنه لم يكن معه غير امرأته وقد
الخطاب بلفظ الجمع كناية عنها بالأهل وإقامة لها مقام الجماعة في الأنس بها والسكون
إليها في الأمكنة الموحشة والسين للتقريب وتعليل مدة الوعد كيلا يستوحش أهله
وفي التعبير بالإتيان عدول عن الإبطاء ووقع تمهيد لهذا أو آتيكم بشهاب قبس الشعلة
من النار لغة لشهاب ما يمتد منها وإضافته إليه لأنه يكون قبسا وغير قبس وقرئ
منونا على أن القبس بدل منه أو وصف له لأنه بمعنى المقبوس وكلمة أو على سبيل
الظن ولذلك عبر بصيغة الترجي في موضع آخر والترديد لبيان أن عدم الخلو عن أحد
لا في الجمع وبيانا أن كل واحد منهما أمر مهم باعث على السعي في تحصيله لعلكم
تصطلون رجاء أن تستدفئوا بها من البرد والطاء بدل من تاء الافتعال لأجل الصاد
فلما جاءها أي النار التي أبصرها نودي أن بورك أن مخففة من الثقيلة تقديره
بأنه بورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض لأن قوله بورك دعاء فإن الدعاء
يعني في أحكام كثيرة أو مفسرة لأن في النداء معنى القول من في النار ومن
حولها أي من جملة البركة والخير فيهما في مكان النار وهم الملائكة ومن حولها
أي موسى عليه السلام لحدوث أمر ديني فيها وتقييد الخطاب بذلك بشارة بأنه قد

تفخيم لامر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام
ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من ذلك او تعجب من موسى
عليه السلام لما رآه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة
له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره
على يده من المعجزة لصدقه في اثبات النبوة والق عصاك عطف على محذوف تقديره
من التفصيل المذكور في سورة طه لا على بورك لان الفصل بينهما بتجديد النداء اي ونودي ان
يا موسى يا باه فلما رآها تهتز حال من المفعول لان الرؤية بصرية كأنها جان في
كأنها جان اي حية سريعة الحركة ولى موسى عليه السلام مدبرا اعرض عنها وجعلها
خلفه خوفا منها بمقتضى البشرية ولم يعقب ولم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل
بعد ان ولى فنودي يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي وحذفا المفعول للظهور او قصدا
الى تنزيل المتعدي منزلة اللازم اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا ينبغي لهم ان
يخافوا عند تشريفهم اياهم بالخطاب وفيه اشارة الى ان تلك الحالة كانت مقدمة لرسالته
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما
يختلج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها
اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقد قصد به تعريض موسى
عليه السلام بوكزة القبطي لانه عليه السلام لم يكن في حينئذ مرسلا وقيل متصل وثم بدل
مستأنف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل حسنا اي اتى بالتوبة بعد سوء بلا
له بالحسن اي كان ذلك منه سيئا بتبديل السيئة بالحسنة وفي التعبير عنها بالحسن
في حسنها لبعدها عن مظنة شوب الرياء لكن لعلها كفى بهذا البدل لما انه
عمل بالعمل خلص عنه وادخل يدك في جيبك لانه كان عليه مدرعة صوف لا كم له
تخرج بيضاء فيه جمع فلما بين طريقي التكليف والتكوين من غير سوء فجعل كان خروج يده
من خلقته ووجوهها بما يستقبح ويستقذر لم يكن كذلك واما احتمال البرص
فمعزول عن هذا المقام مثل ذلك لا يخطر بالبال في مثل هذه الآيات العظام حتى يحتاج الى
نفيه في تسع آيات اي اذهب في تسع آيات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب ونقصان الزراعة واما الفلق فليس منها لانه عليه
السلام لم يبعث به الى فرعون وقومه لم يكن لجاهم موسى عليه السلام بها لانها كانت
خارجة عن حين طاقته وفي بعضها لم يكن منه عليه السلام تصرف عادي مبصرة ايضا

بيّنة

الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة

بحيث كأنها تبصر فتهدي لان العمي لا يقدر على الاهتداء فضلا عن ان يهدي غيره
ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والكلمة العوراء تغوي فهو
من قبيل الاستعارة المكنية وفي البلع من المجاز قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته
ظاهر بين المبصر والمبين وجحدوا بها اي الجحد نفيه وجحده بمعنى ذكره في الديوان والجحد
هو الانكار وانه للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا والواو في واستيقنتها للحال
وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم اي جحدوها بالسنتهم بعد
ما استيقنوها بقلوبهم وفي التعبير بانفسهم عن قلوبهم تنزيل لها منزلة الرجال
ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلية من جحدوا فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين وهي الاغراق والاحراق في الدارين ولقد آتينا داود وسليمان
علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الواو وفيه لنصح عن
محذوف تقديره ففعلا شكرا لله تعالى ما فعلا مما لا يفي ببيانه العبارة الحمد لله الذي
فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ارادا الكثير المفضل عليهم من لم يؤت مثل
علمهما دل على ذلك تقييدهم بالايمان فان المؤمن لا يخلو عن علم وفيه اخراج الكفار عن حيز
الاعتبار وتعظيم لنعمة التفضيل بتعظيم المفضل عليه من حيث دلالة على فضل العلم
وشرفه حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه مما اوتيا
من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما اتاه من
فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير اوتيا وورث
سليمان داود النبوة والملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وهم تسعة عشر وقال ورث
فان حقيقة الميراث انتقال التركة من المالك الى مالك ولم يترك ما يبقى بعد الموت واستعير
ههنا لما ذكر وليس العلم فقد شارك اباه فيه بل الراجح على ما فيما لحكاية على ما اصدق
في زمن ابيه فهمها وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التي هي منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه يا ايها الناس علمنا
منطق الطير النطق والمنطق في المتعارف الاصوات المقطعة التي يظهرها اللسان
وتعيها الآذان ولا يقال لغيرها الا تبعا وان الاعراب تقيم سبيل التبع نحو الناطق والصامت
للاصوات وما لا صوت له واوتينا من كل شيء المراد به كثرة ما اوتي كما يقال فلان يعلم
كل شيء وتعطى كل احد والقصد في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده وهذه النون
نون الواحد المطاع فكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها

ن هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر كقوله عليه السلام انا سيد
ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقول فخرا وحشر لسليمان اي جمع من
جهات مختلفة جنوده من الجن والانس قدم الانس على الجن لان مقام التسخير لاخ
من نوع عجيب والطير ولو كان فيها اجتماع لذكر هم بما فهم يوزعون يمنعون عن
التفرق والانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم وذلك اخشن في الهيبة واهيب في الرؤية
حتى اذا اتوا ممن يوزعون نحتى فعل يصلح ان يكون لحتى غاية له اي فهم يسيرونه
لتوقفا لا يفارق بعضهم بعضا على وادي النمل هو واد بالشام كثير النمل وعدي باتوا
بعلى اما لان اتيانهم كان من فوق واما لانه اريد به قطع الوادي وبلوغ آخره قالت
نملة تاقها الوحدة وهي في حكم الموتى للانتظام انها لم تعلم ملكه كثرة فعيع
فلا دلالة فيه على كونه انثى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لم يقل ادخلن لانه جعلها
قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في العقلاء فاجرى خطابهم مجرى خطابهم
لا يحطمنكم الحطم الكسر سليمان وجنوده نهي سليمان عليه السلام عن الحطم والمراد
نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا اريتك ههنا فهذا استئناف او بدل من
الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا
لم يفعلوا قالت النملة ذلك على وجه العذر وصف سليمان وجنوده بالعدل فتبسم
لما فهمه تضمن عن تحذير فهمه سمع سليمان كلامها فتبسم ضاحكا شارعا في الضحك
آخذا فيه من قولها متعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها ونصحها للنمل
او فرحا لظهور عدله ولذا قال ضاحكا لان التبسم قد يكون من غضب وقد يكون على
ما يتبسم للضحك لا يكون الا عن سرور وفرح قلت ـــــ الظاهر من هذا ان سليمان عليه
السلام كان عالما بلسان غير الطير من الحيوانات فوجه تخصيصه بالذكر في مقام اظهار
الشكر على ما اتاه الله تعالى من جلائل النعم قلت ـــــ قد اجاب التسخير عن هذا حيث
قال كان لا احتمال ان تسمع تلك من الطير فلما نقل الله سليمان عليه السلام منطقها ولا
ذلك لما علمه وقال رب اي ابتغى شكر تلك النعم الجليلة رب اوزعني ان اشكر
اي يسر لي الشكر واجعلني اوزعه ايام وامنع الشكر عن مانع موجبه وهو النعمة تمكن في
غاية الفصاحة نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا
للنعمة وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في
عبادك الصالحين في عداد الجنة وتفقد الطير حقيقة التفقد ان النفس

فقال ما لي لا ارى الهدهد بحثا عن بريدا ولا يثبته ثم قال ام كان من الغائبين يرشدنا بعض
فعلة بسبب ما كان المذكور في قوم ترك ذلك ثم عطفه عليه على سبيل العطف من جهة المعنى
كان الغالب على ظنه هذا الاختيار لعلمه بما كان فلذلك قال لاعذبنه عذابا
شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس وحبسه للنمل ياكله وجعله مع ضد في قفص او لاذبحنه
ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والسلطان في الاصل
الحجة لما يتسلط به والحلف في الحقيقة على احد الامرين بتقدير عدم الثالث لكن لما
اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث الحلوف عليه بعطفه عليها فمكث اي كان
مابثا فمكث فالفصيحة غير بعيد اي لبث زمانا غير بعيد عن وقت تعقبه بريدته
الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه عليه السلام ولما كان المذكور في حكم الاستبار بمجيبه
عن قرب رتب عليه قوله فقال احطت بما لم تحط به يعني
حال سبأ وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على انه في ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم
يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي هو فتنة
العلماء وجئتك من سبأ قرئ مصروفا على انه اسم للحي او للاب الاكبر وغير مصروف على
تأويل القبيلة او البلدة بنبأ بخبر له شان في هذا النوع من الاطناب من جهة المعنى تشويقا
للمخاطب بتشويق ليكسر من غيظه يقين محقق اني وجدت امرأة يعني بلقيس بنت شراحيل
وانما قال وجدت ونعت وذكر اشعارا لغرابة الحال حيث كانت بتلك العظمة والشوكة وقرب
المكان مجهولة لسليمان عليه السلام واصحابه تملكهم الضمير لسبأ ان لاهلها ثم لم يقل
تملكها لانه اراد بيان ملكها وسلطنتها وتعجيبه لذلك بالاضافة الى اهل الدنيا لا لاختصاص
اليها فقيه ايضا تقوية لمعنى الغرابة المقصودة ببيان النبأ حيث كانت امرأة مالكة لجيل
عظيم واوتيت من كل شيء قد نبهت فيما تقدم ان المراد من كل شيء في مثل هذا المبالغة في
الكثرة فيقبل يعني له بحتاج اليه الملوك فخاطره بتلك المبالغة ولها عرش عظيم سرير
كبير قدرا وقيمة وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي متجاوزين عبادة
الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم والجملة معطوفة على مقدر عما لهم عبادة
الشمس وغيرها من قبائح الافعال فصدهم عن السبيل الذي الغرض دونه مانع من
نبه او غيرهما فاندرج فيه ثلاث معان الشرك والتضمن والصرف عن السبيل طريق
الحق والصواب وما اطلق السبيل لان السبيل الذي لا يعول بسلوكه ممنوع فكانه ليس بسبيل
فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله اي فصدهم لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان

فادغمت النون في اللام او زين لهم الشيطان ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان لا يسجدوا بزيادة لا وقرئ الا بالتخفيف على انها للتنبيه
ويا حرف النداء ويسجدوا امر بمعنى يا اسجدوا او المنادى مضمر اي يا هؤلاء اسجدوا وعلى
هذا صح ان يكون استئنافا من سليمان عليه السلام او من الله والوقف على لا يهتدون فكان
امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة
لا عند قراءتها الذي يخرج الخبء في السموات والارض الخبء ما خفي في غيره واخراجه
اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء
بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود
ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصفه له تعالى بما يوجب
اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على السجود وردا
على من يسجد لغيره وتقديم ما تخفون على ما تعلنون لان مقتضى سلوكه في تاخيره
عنه التسبيح بين جريا للكلام في الاهتمام الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين عظمه وعظم عرشها بون عظيم
بعيد وقرئ العظيم بالرفع نعتا لله تعالى قال عليه السلام للهدهد سننظر من النظر
بمعنى التامل اصدقت فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين هذا ابلغ من كذبت لانه اذا
كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وانما استحق عن المبالغة
على تقدير الكذب لانه اخبر بامر عظيم بالغ فيه اذهب بكتابي هذا فالقه انما امر بالالقاء
لان الطائر لا يمكنه تبليغ الكتاب متعارفا الا انه خص معنى الايصال ولذلك قال اليهم
اي اطرحه على وجه يصل اليهم لما كان المقام مقام التاني الذي ينبغي تقديم من
به عليه بقوله ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون
ما يقولونه بمنظر منك على ما دل عليه قوله فانظر ماذا يرجعون تبينا الرجع لامر الرجع
اي ماذا يردون في مقابلة كتابنا قالت يا ايها الملأ اي قالت ملكة سبا لاشراف
قومها بعد ما قبل الهدهد ما امره اني القي الي كتاب كريم حسن مضمونه ومختوم او لانه
عليه السلام كريم الكاتب ختمه انه من سليمان استئنافا كانه قيل لها ممن هو فقالت انه
اي ان الكتاب بعنوانه اي وانا المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل
لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية
فيكون بصلته خبر محذوف وقد ذكرناه او المقصود او لا تعلوا او بدل من كتاب وأتوني مسلمين

منقادين فيوشك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها صريح في ان الدعوة كانت دعوة السلطنة
لا دعوة النبوة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اشيروا علي في الامر الذي نزل بي والفتوى
الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن والمراد هنا الاشارة
عليها بما عندهم من الرأي وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب نفوسهم ليمدوها
ويقوموا معها ولذلك قالت ما كنت قاطعة في الزمان الماضي قاطعة قاضية امرا اي
قضية امرا حتى تشهدون بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح في موضع الرفع وهذه
موضع النصب واصله تشهدونني فحذفت النون الاولى في النصب والياء لدلالة الكسرة
عليها وثبتت في الوصل والوقف اي تحضروني اي كانت عادتي ان لا ابت امرا الا بحضركم
فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها فعرضوا لها اولا انهم من اهل القوة
ثم سلموا الامر الى نظرها فانه من محاسن الجمع قالوا نحن اولوا قوة
واولوا بأس شديد ارادوا بالقوة الاجساد والالات وبالباس النجدة والبلاء في الحرب
اي قادرون على القتال لا نخاف منهم ولا نصبر لهم لو حاربنا عدونا وقد تم هذا
الكلام تكلا ليوهم العجز من نفوسهم لا مثل اليها ما تنتظر منهم والامر اليك موكول فانظري ماذا
تأمرين من الحرب والصلح نطيعك ونتبع امرك قالت ان الملوك في بنية الجمع
تفضيحا على تعظيم الحكم الا افادوا في الحسن لاحتمال الخصوص اذا دخلوا قرية عنوة
وقهرا افسدوها بالتخريب وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالاهانة والاسر تزييفا لما احست منهم
من الميل الى المحاربة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية وذكرت
لهم سوء عاقبة الحرب واشعرت بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام
خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم وكذلك يفعلون تاكيد
لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله
تعالى واني مرسلة اليهم رسلا بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة فناظرة
بم يرجع المرسلون بالرجاية او بالاهانة حتى اعمل بحسب ذلك يسلمون الرسول
ومن ارسل معه فلما جاء سليمان اي الرسول او الهدية فلما جاؤوا اي المرسلون سليمان
قال اتمدونني بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب
استفهام انكاري فما اتاني الله تعليلية اي فالذي اعطاني
الله تعالى من النبوة والملك وتسخير الجن والانس والطير والوحش خير مما اتاكم
فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل اضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم

وتعليله إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور
الهمة بالدنيا والزيادة فيها **بل أنتم بهديتكم** والهدية اسم المهدى كما أن العطية
اسم لما يعطى فتضاف إلى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد الذي أهداه
أو أهدي إليه **تفرحون** لأنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى
إليكم لزيادة أموالكم أو بما تهدونه افتخارا على أمثالكم **ارجع** خطاب للرسول **إليهم** أي
بلقيس وقومها **فلنأتينهم** أي إن لم يأتوني مسلمين فلنأتينهم **بجنود** بأنواع من الجنود
لا قبل لا طاقة **لهم بها** وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة أي لا يقدرون أن يقابلوها
ولنخرجنهم منها من سبأ **أذلة** بذهاب ما كانوا فيه من العز والملك
وهم صاغرون الصغار أن يقعوا في أسر واستعباد فلما رجع إليها رسلها بالهدايا
وقصت عليها القصة قالت هو نبي من عند الله وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر
سبعة أبيات وغلقت الأبواب ووكلت حرسا يحفظونه وبعثت إلى سليمان عليه السلام
إني قادمة إليك لأنظر ما الذي تدعو إليه وشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل
قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان عليه السلام **قال** سليمان **يا أيها الملأ**
أيكم يأتيني بعرشها أراد بذلك أن يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب
على يده لتطلع على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويحقق صدقه
وتعيين ما لا بد منه ثم إنه قصد في ضمن هذا فائدة أخرى على ما تقف عليها **قبل أن يأتوني**
مسلمين فإن غرضي بوصف الإسلام إعلاما بأن طمعه في عرشها ليس طمعا فيه فإن النبي بمعزل
عن مظنة الطمع فإن من علم أنه يأتيه مسلما فإنما إتيانها لأن يستحل ما لها
فلا يأخذ في يده فإنما يصح رجعها للطلبة عرشها قبل إتيانها مسلمة لا لتبياس منقلب الشيء
قال عفريت من الجن العفريت الخبيث المنكر العفر وإذ لا اختصاص له بالجن ولذلك
احتاج إلى البيان بقوله من الجن وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صخر الجني **أنا آتيك به**
قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك للحكومة والفصل مقاما ينبغي لك للقضاء وهو من
الغداة إلى نصف النهار **وإني عليه** أي على الإتيان به **لقوي** لقادر وإنما عبر عن القدرة
بالقوة للحاجة في تحصيل ما ذكر إلى القدرة بالقوة **أمين** آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا
ولا أبدله **قال** ... من جملة الخاطبين
من الثاني منهما واحتمال أن يكون المأمور القائل الثاني سليمان عليه السلام نفسه كأن
الخطاب في آتيك فإنه حينئذ أنا آتي به وأيضا الأنسب قوله فلما رآه إنما الأنسب

حينئذ

حينئذ أن يقول فها أنا آتي به والمشهور أنه آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وفيها
التعبير عنه بقوله **الذي عنده علم من الكتاب** في التوصيف به إشارة إلى أنه
إنما قدر على ما قدر عليه بقوة حيوانية بل بقوة ملكانية **أنا آتيك به قبل أن يرتد**
إليك طرفك الطرف تحريك الأجفان أي بين امتداد الطرف بعضها وأن نداده يطبقونها
ويقع فيه ويعتم الطرف ثم يرجع للنظر **فلما رآه** أي العرش وقالوا قضيته أي أذن له سليمان
عليه السلام فأتى به فلما رآه **مستقرا عنده** ثابتا غير مضطرب لديه وفراره في موضعه
من غير أن يحضره يحتاج إلى فصله بما أن يحسب العادة مع هذا الأخبار بكان مستقر
فيكون في عبارة حاضر **قال** تلقيا للنعمة بالشكر **هذا** أي حصول مرادي وهو حصول
العرش في طرفة العين **من فضل ربي** علي وإحسانه إلي من غير استحقاق مني **ليبلوني**
ليمتحنني فيختص أي لاختبار **أأشكر** النعمة **أم أكفر** أجحد **ومن شكر فإنما يشكر**
لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن وصمة الكفران ويستجلب به المزيد من
النعيم **ومن كفر** حيث نعم جزائه وهو خاصا بما يكفر على نفسه أي ضر كفره عليه لا يتعداه
لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينه وأقيم تعليله مقامه **فإن ربي غني** عن الشكر لا يتضرر
إن لم يشكر **كريم** بالإنعام لا يتوقع عوضا ولا يفعل لغرض حتى يتغير عند عدم حصول
والوصف المذكور من تمام التذييل **قال نكروا لها** أي بتغيير **عرشها** تغيير حاله
عندها ولعل المراد لها أن المتبدل شكلها وتغيير هيئتها أنه حينئذ يكون منكرا مطلقا
لا منكرا عندها فقط ولعله إنما على التغيير في الجملة وأما وجه الأخبار ردا
تعليله **ننظر** بالجزم على الجواب وقرئ بالرفع على الاستئناف **أتهتدي** إلى الجواب
الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله ويرد عليه أنه حينئذ لا حاجة إلى التنكير بل
لأن يتبادر على ما لها أعون على تحصيل هذا المراد والله الهادي إلى سبيل الرشاد **أم تكون**
من الذين لا يهتدون أي لا يهتدون على لا أهتدا قالوا إن الشياطين خافوا
أن يتزوجها سليمان عليه السلام فيولد له منها ولد يجتمع له فطنة الإنس والجن لأنها كانت
بنت جنية فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا إن في عقلها شيئا وهي
شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وتعرف ما فيها ورجليها
بالصرح والصحيح على ما يأتي بيانه فإن الأليق بشأن الذين لا يهتدون كونها من الطائفة
الحسية من هنا ينبغي وجه الاختبار به والله أعلم بالصواب **فلما جاءت** قيل فيها مجيئها
والمتدبر بطريقه في تأمل **قيل أهكذا عرشك** تشبيه العرش بالتشبيه بالكاف التشبيه ورد اسم الإشارة

يعني قبل الإسلام وأما قبل الإيمان فلا يلزم صح

مستند إلى النظر كما أن التعليق إلى الرؤية صح

وهذا كناية عن أنه لا يتعداه نفعه ... عليها صح

... يتعدى ... صح

ومن نقل عن هذا قال ... صح

ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو فأجابت
أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس هو وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
للأمرين أو لما شبهوا عليها بتنكيرهم هكذا عرشك شبهت عليهم بتنكيرها كأنه هو مع أنها
علمت عرشها وأوتينا العلم من قبلها من تمام كلامها أي وأوتينا العلم بقدرة الله وبصحة نبوتك
بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه الحالة الخارقة للعادة وكنا
مسلمين منقادين لك مطيعين لأمرك وكأنها وقفت على ما قصده سليمان عليه السلام
بذلك أولا وآخرا وصدها كلام مبتدأ من الله تعالى ما كانت تعبد من دون الله أي منعها عن
التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ثم بين نشأها بقوله
إنها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صد أي صدها
نشوها بين أظهر الكفار أو على التعليل فيكون لام التعليل محذوفا قيل لها
ادخلي الصرح الصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف ومنه صرح بالأمر
إذا أفصح به ولم يكن عنه وكان الصرح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء جار فيه سمك
فلما رأته حسبته لجة أي ماء عظيما وكشفت عن ساقيها لتخوضه والواو في وكشفت
عاطفة على مقدر تقديره فشمرت ذيلها المرتب على الحسبان المذكور مجموع المعطوفين والا
المذكورة كاشفة عنهما وكان سليمان عليه السلام على سريره في صدر الصرح فرآها
وقدميها حسنا فانصرف بصره قال إنه صرح ممرد مملس مستو ومنه الأمرد من
قوارير من الزجاج وأراد سليمان عليه السلام تزوجها فكره شعرها فعملت له الشياطين
النورة فأزالته فنكحها قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك وأسلمت مع سليمان
أي تابعة إياه لله رب العالمين فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة لإظهار أن
إسلامه لله تعالى وهو الوصف المستتبع لربوبيته للعالمين ولقد أرسلنا إلى ثمود
أخاهم في النسب صالحا بدله أن اعبدوا الله بأن اعبدوا الله أي وحدوه فإذا
للمفاجأة هم مبتدأ فريقان خبره يختصمون صفة وهي العاملة في إذا والمعنى فاجأ
قوم صالح فريقا مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وقد مر تفصيله
في سورة الأعراف قال حين قال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من
المرسلين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذي توعدون به قبل الحسنة قبل التوبة
لولا هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب
لعلكم ترحمون بالإجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لأنهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم

فنسبوه إلى مجيئه والأصل تطيرنا وقرئ به فأدغمت التاء في الطاء وزيدت الألف لسكون
الطاء ومن معك من المؤمنين قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم
وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم المكتوب عند الله تعالى فيه تارة بكمال تركه
ونفرته للكرم وقلته وقد مر أصل ذلك في تفسير قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في
عنقه بل إضراب من بيان السبب إلى بيان سبب السبب أنتم قوم تفتنون تختبرون
بتعاقب السراء والضراء وكان في المدينة أي مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط الرهط
اسم للجماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط كما قال القرطبي يفسدون في
الأرض ولا يصلحون أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا أي قال بعضهم
لبعض تقاسموا بالله خبر في محل الحال بإضمار قد لأنه ماض أي قالوا متقاسمين أو أمر
أمر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه أي لنقتلنه بياتا أي ليلا وأهله ومن تبعه ثم لنقولن
لوليه لمطالب الذي له ولاية الدم ما شهدنا ما حضرنا مهلك أهله المهلك من أهلك
يحتمل المصدر والزمان وكذا المهلك بالكسر بكسر اللام وقرئ بالفتح فيكون مصدرا
أي لم نتعرض لأهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع هلاكه فكيف توليناه وإنا
لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا في ذلك ومكرنا مكرا أي جزيناهم على مكرهم بتعجيل
العقوبة وهم لا يشعرون بذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان إن كانت
ناقصة فخبرها كيف وإن كانت تامة فكيف حال أنا دمرناهم قرئ بكسر الهمزة على
الاستئناف وخبر محذوف وبفتحها على أنه خبر أو بدل من اسم كان أو خبر لكن
حال أو يكون التقدير لأنا وحذف حرف الجر وقومهم أجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم
خاوية ساقطة متهدمة من خوى النجم إذا سقط أو خالية من الخوى وهي حال عمل فيها الدال
عليه تلك بما ظلموا بظلمهم إن في ذلك لآية فيما فعل بثمود لقوم يعلمون فيتعظون
وأنجينا الذين آمنوا بصالح وكانوا يتقون معاصيه ولوطا أي واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا
لدلالة ولقد أرسلنا عليه الأول أنسب لما ترك والأول في الماضي ذكره إذ قال
بدل من لوطا على الأول ظرف على الثاني وذكر قوم لوط وظرف على الأول لقومه أتأتون
الفاحشة الاستفهام للإنكار والتوبيخ والفاحشة الفعلة القبيحة والمراد اللواطة
أبهم هنا ثم بينها بقوله لتأتون الرجال ترتيبا تنبيها على أن تحقق الفاحشة بلغ الغاية
فيها تخصيصا بعد الإبهام في البيان المذكور تنبيها على أن المراد بالفاحشة فحشها بعد
العادة وإتيانه كناية عن فعل اللواطة وأنتم تبصرون والحال أنكم الإبصار رعيتان

فباشر ذلك المحل من الخصوصيات موجودا لتبصر كما في ادراكها أئنكم لتأتون الرجال
الرجال لعلها للذكور لمزيد ادفع الايات المذكورة شهوة للشهوة ناظر الى قوله وانتم تبصرون
كأنه قيل الفاحشة هنا في درجة عظمى من لم تفصل ذلك سببه عنه نفرة ولو انتم تعرفون فيه
شهوة من دون النساء يعني ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا
الانثى للانثى فهي مضادة لله تعالى في حكمته بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل
الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها
وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا وفي قوله بل انتم قوم تفتنون فغلب المخاطب على الغائب
لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين فما كان جواب قومه الا ان قالوا
شيء كان جوابا لهم الا ان قالوا اخرجوا آل لوط اي لوطا ومتبعيه فوضع الآل موضعه عليه
السلام لا الهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن ما نفعل فيذكرون
هذا الفعل القذر ويغيظنا انكارهم تعليل للامر المذكور على وجه يتضمن الاستهزاء انه
على طريقة الاستهزاء الحليم الرشيد فانجيناه الفاحشة واهله يعني من العذاب بقومه الا
امرأته قدرناها اي قدرنا كونها استئناف للتعليل من الغابرين الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قد مر تفسيره في سورة الاعراف قل الحمد لله
وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله عليه السلام بتحميده والسلام على المصطفين
من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم كل متكلم
في امر ذي بال ان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما او هو خطاب للوط عليه السلام ان يحمد
الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله تعالى ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم
آلله خير اما يشركون لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق
كل شيء وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وليعلموا
ان الايثار يجب ان يكون للخير الذي لا يعدله شيء سبحانه وتعالى في الخيرات والمنافع التي هي
آثار رحمته وتفضله فقال أمن بل أمن خلق السموات والارض خلق تقرير لهم بان من قدر
على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم من السماء ماء نظر الى قوله لكم
تنبيه على ان الغيث وان لم يخل من الضرر الا ان المقصود منه الا النفع فانبتنا صرف
الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيدا لمعنى اختصاص الفعل لذاته وايذانا بان انبات الحدائق
المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو
وحده به اي بالماء حدائق الحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة ذات

كناية الامر في الاخرى الى اشد العذاب لفرعون
صح

تعلل ذلك لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت بهجة حسن لان الناظر يبتهج
به ما كان رجح صيغة الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق ومعنى
الكينونة الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل
شريكا له بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد بل هم
بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رأيهم أمن جعل الارض وما بعده بدل من أمن خلق فكان
حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها وجعل خلالها اي وسطها انهارا
لتنزل الثاني والاول انهارا في بيته الجبال بنيانه وجعل لها للارض رواسي جبالا ثابتة تمنعها
من الحركة وجعل بين البحرين العذب والمالح حاجزا برزخا ان يختلطا أإله مع الله بل اكثرهم
لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون أمن يجيب المضطر اذا دعاه فالاضطرار افتعال من الضرورة
وهي الحالة المحوجة الى اللجأ يقال اضطر على كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي
احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجأ الى الله تعالى والتضرع اليه واستغراق الكل
اذ دعاه واللام للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء اي الضر والجور
ويجعلكم خلفاء الارض اي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد
بالخلافة الملك والتسلط وهذا اتم من الاول لعمومه واجل نفعا للناس ولهذا فصل بعده
التذكير ونوع فيه أإله مع الله قليلا ما تذكرون ما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا
ويجوز ان يراد بالقلة العدم أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ليلا
وبعلامات في الارض نهارا والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة
او مشتبهات الطرق على الاستعارة ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقد مر في سورة
الفرقان بين يدي رحمته قدام المطر أإله مع الله تعالى الله عما يشركون تعالى القادر
الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق تذييل كالنتيجة للايات السابقة أمن يبدأ الخلق
ثم يعيده انما قيل لهم ذلك وهم ينكرون الاعادة لانه ازيحت علتهم بالتمكن من المعرفة
والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية
وارضية أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم ان كنتم صادقين
في ان مع الله الها آخر قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله استثناء
منقطع على ان العلم بالغيب مما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق فيه على ما تعدل من
من ان المعنى لا يعلم احد الغيب الا الله فان الله تعالى منزه ان يكون ممن في السموات والارض
ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب

والبدل في المنقطع كما في المتصل نحو قولك ما في الدار احد الا حمار نزلت الاية في المشر
كين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة وما يشعرون ايان متى يبعثون في
الاعراف يبعثون ينشرون بل ادارك اي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا
وقرىء بل ادرك اي استحكم واصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد الف الوصل ليمكن
التكلم بها علمهم في الاخرة اي في شان الاخرة والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله
بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك
قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم
وتكرير لجهلهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة
كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوأ حالا وهو
العمى وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة
والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكر وجاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله
تهكما بهم وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا
وقت كونها الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من
قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل
علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقال الذين كفروا ءاذا كنا
ترابا وءاباؤنا ائنا لمخرجون اي من القبور احياء وتكرير حرف الاستفهام انكار بعد انكار ودليل
على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون لان بين يديه عوائق وهي همزة الاستفهام وان
واللام لا يعمل ما بعد واحد منها فيما قبله والضمير في انا لهم ولابائهم لان كونهم ترابا
قد تناولهم واباهم لكنه غلب الحكاية على الغائب وءاباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول
قام مقام التاكيد لقد وعدنا هذا اي البعث نحن وءاباؤنا من قبل اي من
قبل محمد عليه السلام قدم هنا هذا على نحن وءاباؤنا وفي المؤمنين اخره ليدل على
ان المقصود بالذكر هنا البعث وثمة المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا
احاديثهم وأكاذيبهم قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
اي اخر امر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف للمسلمين في ترك الجرائم كقوله فدمدم عليهم
ربهم بذنبهم ولا تحزن عليهم لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا ولا تكن في ضيق في
حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى
هذا الوعد اي وعد العذاب ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بالمكذب قل عسى ان

يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم يتعدى بنفسه وباللام ومن قرأهم ان تعديته باللام تضمين
معنى فعل يتعدى به فقد وهم لان تلك المعنى حاصل الردف ثم ان تعديته بفي وقرب بمعنى لا
باللام بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل
وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وعلى ذلك جرى وعد الله تعالى
ووعيده وان ربك لذو فضل اي افضال على الناس بترك المعاجلة بالعذاب ولكن
اكثرهم لا يشكرون اي اكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم
وقوع العذاب وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه الاكنان وادراجها في الاكنان
جعل الشيء بحيث يخفيه اي المانع يفصل عنه وما يعلنون يظهرونه فليس تاخير العذاب
لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر وما من غائبة في السماء والارض سمى الشيء الذي يغيب ويخفى
غائبة وخافية فكانت التاء فيهما كالتاء في العاقبة والعافية والنطيحة والرمية والذبيحة
في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية الا في كتاب مبين
بين او مبين لما فيه لمن ينظر فيه من الملائكة والمراد بالكتاب اللوح ان هذا القرءان يقص على بني اسر
ائيل يبين لهم والقصص كلام يتلو بعضه بعضا فيما يكون على المعنى اكثر الذي هم فيه
يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح والاختلاف ذهاب كل
واحد الى خلاف ما ذهب اليه صاحبه وهذا تحريك للمشركين على اتباع القرءان فانه لما كان يق
ص على اهل الكتاب وهم يرجعون اليهم في كثير من امورهم كان حقهم ان يرجعوا اليه لانه
من جنسهم وكان من لا على بعثتهم وانه لهدى ورحمة للمؤمنين لانهم هم المنتفعون
به ان ربك يقضي بينهم بين من ءامن بالقرءان ومن كفر به بحكمه اي بعدله لانه لا يقضي
الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا
يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم
انك على الحق المبين علل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح وفيه بيان ان صاحب
الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصرته انك لا تسمع الموتى تعليل اخر للامر بالتوكل
من حيث انه يقطع طمعه من مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء ثم اكد حال الاصم بقوله
اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته
وما انت بهادي العمي الهداية لا يلزمها الاهتداء ادل على ذلك من قوله تعالى واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى فلا حجر يلحق له عن ضلالتهم حتى يكون المنفي الهداية المحضة

اي اخر ما يعلمون لكنه ذكرها في سورة يس ثم

مطلب الهداية

ي

عن الضلالة لا تطلق الهداية لانها غير ممتنة في حق العمي ان تسمع ما يجدي سماعه
الا من يؤمن باياتنا الا الذين يصدقون ان القرآن كلام الله تعالى اذ حينئذ تلتبس به
عليه السلام فيقبل قوله فيجدي اسماعه نفعا فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من
اسلم وجهه لله اي جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول عليهم سمي معنى القول وهو ما
وعدوا من قيام الساعة والعذاب بالقول لتحقق وقوع حصوله والمراد اشارفة الساعة وظهور اشراطها
اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لها اربع قوائم وزغب
وريش وجناحان لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب من الارض اي من ارض مكة
روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني
المسجد الحرام تكلمهم وقرئ تكلمهم وقال ابو الجوزاء سالت عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما تكلمهم او تكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر وقيل تكلم بالعربية
وتقول ان الناس كانوا باياتنا لخروجها وسائر احوالها فانها من ايات الله تعالى هم
لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله تعالى او علة خروجها
وقرئ ان بالكسر ثم ذكر قيام الساعة فقال ويوم نحشر من كل امة فوجا اي واذكر يوم نجمع
من كل امة من الامم فوجا ومن للتبعيض لان امة كل نبي اهل كل قرن شامل للمصدقين
والمكذبين ومن في قوله ممن يكذب للتبيين باياتنا المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس
اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهو عبارة عن كثرة العدد وكذا
الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة حتى اذا جاءوا حضروا الى موقف الحساب قال لهم تعالى
تهديدا اكذبتم باياتي المنزلة على رسلي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كانه قال اكذبتم
باياتي بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او بالتكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب وعدم القاء الاذهان لتحقيقها اماذا
كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب
من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك وما مجاز بحمل الامر على ما الاستفهامية
لهاء السكتة فانها خرجت عن حقيقة الاستفهام الى التبكيت بالحكم لا بالمعادل بدلا الاول
ووقع القول عليهم بما ظلموا حل بهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب
فهم لا ينطقون لشغلهم عن النطق ولا علة لقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل انا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اي جعل الابصار للنهار وهو لاهله بالذات

ومن نقل عن هذا اهل الايمان علما في علم الله ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون ختم

بجعل الابصار حالا من احوال المجعول بحيث لا ينفك عنها وهذا من باب ما حذف
من احد المتقابلين ما اثبت في الاخر لتعديد فجعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار
مضيئا ليتبصروا فيه ومن غفل عن هذا قال ان التقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى
ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ان في ذلك لايات لدلالتها على الاصول
الثلاثة لان المعنى الذي علموا انا جعلنا الليل والنهار لمعاشهم في الدنيا ليعلموا
ان ذلك لم يجعل عبثا بل لحكمة وابتلاء ولابد بعد ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكن ثم
في هذه الدار فلابد من دار اخرى للثواب والعقاب لقوم يؤمنون خص بالك
الايات لاختصاصهم بالانتفاع بها ويوم واذكر يوم ينفخ في الصور هو قرن ينفخ
اسرافيل عليه السلام وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه ينفخ ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع
ثم بعدها بزمان نفخة الصعق ثم نفخة البعث وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى باعتبار
الجيش اذا نفخ في البوق ليتبين بذلك ففزع الفزع والجزع اخوان لكن الفزع ما يعتري
من الموت من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه
فانه كائن لا محالة ولا حاجة الى هذا الاستثناء في الاول لانه نشأ الفزع فالقطع بوقوع
هذا يقتضي القطع بوقوع ذلك الا من شاء الله انه لا يفزع بان ثبت الله تعالى قلبه قالوا
هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل وقيل وكل اتوه داخرين
حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره صاغرين وترى الجبال تحسبها
حالا من المخاطب واقفة ممسكة في مكانها عن الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح وهي تمر
مر السحاب اي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة
في مكان واحد وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام المتلاصقة
المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لما دل عليه تمر لان
مرورها كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل
الذي اتقن اي احكم صنعه ولعله اراد به الصنع والاتقان تحريكا وذلك ان تكون
تسوية الجبال بعد ما خلقها وصارت كالعهن المنفوش دالا على كمال الاتقان من جهة الصنع
وهو تركيبها لصورة في المادة وهذا الاتقان ينتظم كل شيء فيما كان تركيبه او تصنيعا
انه خبير بما يفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم على حسب ذلك ثم فصل ذلك
بقوله من جاء منهم بالحسنة قال اكثر المفسرين الحسنة ههنا كلمة الاخلاص
والسيئة ضدها وهو الشرك لانه قال في حقها فكبت وجوههم في النار فله خير

منها أي خير حاصل من جهتها وهم من فزع شديد أي من فزع شديد مفرط الشدة وهو
خوف النار أو من فزع ما وقرئ بالإضافة إلى يومئذ لأنه يحمل يوم مع إذ كان
الواحد ولمراد بيوم الفيه الفزع أمن يجدي بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم في النار أي كبوا فيها على وجوههم أو كبت أنفسهم فعبر عن الجملة بالوجه كما
يعبر بالرأس والرقبة عنها هل تجزون إلا ما كنتم تعملون على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك تبكيتا
الكتب هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك والمعاصي إنما أمرت أن أعبد
رب هذه البلدة مكة خصها من بين البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه
وأعظمها عنده وإليه أشار بقوله هذه إشارة تعظيم لها وتقريب أي لا يلائمها وحرمت
نبيه عليه السلام ومهبط وحيه الذي حرمها جعلها حرما آمنا وله كل شيء خلقا وملكا
ووصفه بالتحريم الذي هو خاص وصفها تحجيل حرمة كل شيء تحت ربوبيته وملكوته
للحرمة لها ولا حصر فيها إجلال الوصف على الله تعالى في تعظيم شأن الوصف ما
يتعلق بها الوصف وزيادة اختصاصه بمن اجري عليها الوصف وتحمل ذلك كالمسلم المفروغ
عنه لا كذلك ومثل التي حرمها وعطف لها بالله غضبا وصلحا وأمرت أن أكون
من المسلمين المنقادين له وأن أتلو القرآن من التلاوة أو من التلو بمعنى الاتباع أي وأن أواظب على تلاوته
الرسول ليتبيين لي أسرار الحقائق المخزونة فيه أو من الله تعالى ووصفه بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت
قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن لأعرف الحلال والحرام
وسائر الأحكام وما يقتضيها الإسلام فمن اهتدى باتباعه إياي في ذلك فإنما يهتدي
لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلي ومن ضل بمخالفتي وخرج عن طاعتي فقل
لقد تابعه عليها أي فضرر ضلاله راجعة إليه لا إلي ولا أحد فقد ذلك أقيم مقام
وهو قوله فقل إنما أنا من المنذرين أي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول
إلا البلاغ وقل الحمد لله أي احمد الله تعالى على نعمة النبوة أو على التوفيق للعلم والعمل
به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا أو في الآخرة فتعرفونها فتعرفون أنها آيات
الله تعالى ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا يغرنكم
تأخير العقوبة فإنه إمهال لا إهمال

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين أي آيات القرآن المبين الظاهر إعجازه وبركته أو المبين
لما فيه من الحلال والحرام أو لمعانيه أو الظاهر معاني البين لمن تدبر ونظر بنت كذا إذا فصلته

لو علينا عليك أي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام بأمرنا ونتلو نتلو عليك من نبأ البعض مما
عظيم لشأن موسى وفرعون أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق لقوم يؤمنون لأنهم
المنتفعون به إن فرعون استئناف مبين لذلك البعض علا تطاول في الأرض
التي يصرون ما عبر عنه بما هو اسم الجهة السفل أشعارا بأنه أظهر منها ما يليق بشأنه
وجعل أهلها شيعا فرقا بأن أغرى بعضهم بالعداوة كيلا يتفقوا عليه كالتهيئة لما
حال فيحق له يستضعف طائفة منهم هم بنو إسرائيل من التي المذكورة فإنهم لو
لم يستضعفهم لما اجترأ على ذلك يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم بدل لأن المستضعف منهم
قد تقدم تفسيره في سورة الأعراف إنه كان من المفسدين في الأرض وعتي
فساد فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير بتخيل فاسد وفي الحكاية حال ماضية متعطفة
لأن فرعون ما لا يخشى انهما إذ فالأولى تفسير للنبا وحال من يستضعف ويجوز أن
يكون تعلقا لأن دم يتكون في زمان متزلقب وهذا ليكون نعمة المنة أو تقرير ضلال
التغلب على التذبيب الظهار أن نمن نتفضل عليهم بإنقاذهم من بأسه على الذين
استضعفوا في الأرض مع عدم الحاجة إليه ههنا ليتمشى جعل التعريض في الأرض
عوضا على الإضافة إليها ونجعلهم أئمة مقتدين في أمور الدنيا والدين ونجعلهم الوارثين
أي يرثون الأرض المعهودة لما كانت لهم دلالة أقوى منها في الاستحقاق والكل لا يخ
لا يعقبه نسخ ولا استرجاع والآية تبطل بها وإسقاطا شعيرة الاستحقاقهم بمن الله
تعالى ونمكن أصل التمكين أن تجعل للشيء مكانا يقعد عليه أو يقعد فيه ثم استعير للتسلط
وإطلاقا الأمر لهم في الأرض أظهر في مقام الأخبار تحقيقا لشأن تلك الأرض ونري فرعون
وهامان وجنودهما الوزير بفرعون ومدبرة كالمهلك للشرك فإضافة الجنود إليهما
منهم من بني إسرائيل متعلق بنري دون يحذرون لأن الصلة لا تتقدم على الموصول
ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقد أخبرهم الكهنة
وأوحينا إلى أم موسى وقد تقدم تفسيره في سورة طه أن أرضعيه أي التي تذبك فيه
فإذا خفت عليه من الذبح بأن يسمع الجيران صوته فينموا عليه
فألقيه في اليم وقد تقدم تفسيره في سورة طه ولا تخافي من الغرق والضياع ولا تحزني
بفراقه ولا لأخطاره الخوف بالجملتين ثم طرأ عليهم إنا رادوه إليك
بوجه لطيف ليربيه وجاعلوه من المرسلين في هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان ٥

فالتقطه الفاء فصيحة مفصحة عن محذوف وفعل تقديره فأرضعته إلى أن خافت عليه فألقته
في اليم فالتقطه آل فرعون أي أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة من غير طلب فإن التقاط الالتقاط إصابة الشيء
ومنه اللقيط واللقطة ليكون لهم أي ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لذلك كقولهم لدوا
للموت ما تلد الوالدة ومعنى هذا سماها اللام لام العاقبة والصيرورة وقيل هي في الحقيقة
للتعليل فإن ذلك كونه لهم عدوا وحزنا لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه
بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وعلى اعتبار هذا التشبيه على طريق الاستعارة
المكنية لم يبق حاجة إلى التجوز في اللام كما ذهب إليه بعض أي ليكونا عدوا وحزنا وحزنا وقرئ
حزنا كالعدم والعدم إن فرعون وهامان وجنودهما كانا نديميه لما كان مديرا لملك فرعون
وساير جنده فلذلك أضاف فعلهم إليهما كانوا خاطئين مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن
ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم أو كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم
في تربية عدوهم ببدع منهم وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ وقالت
امرأة فرعون أي لفرعون حين أخرج من التابوت قرة عين لي ولك فلم تغيير في
الفرق إلى ولك أي هو قرة عين لنا لأنهما لما رأياه حين أخرج من التابوت أحباه وفي
الحديث أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه
الخطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك
لما رأت من نور بين عينيه أو نتخذه ولدا أو نتبناه فإنه أهل له وهم لا يشعرون حال
قد حذف حالها أي فرعون وتقديرها فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقالت امرأة فرعون كذا وكذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع
في تربيته وقوله إن فرعون إلخ اعتراضية واقعة بين المعطوفين لتأكيد معنى
خطئهم وقيل هو تمام كلام امرأة فرعون أن نتخذه ولدا والناس لا يشعرون أنه لغيرنا
بل يظنون أنه ولدنا وأصبح فؤاد أم موسى فارغا معطوف على محذوف وقد علم منه سابق الكلام
صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد آل فرعون وقيل من
الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقوله
لتكون من المؤمنين يرده على التاني قوله وقالت لأخته قصيه إن كادت لتبدي به
مخففة من الثقيلة أي إنها كانت لتبدي به لتظهره والضمير لموسى عليه السلام أو للأمر
والباصلة لولا أن ربطنا على قلبها الربط على القلب تقويته بإلهام الصبر
والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعدنا وجواب لولا محذوف أي لأبدته

وقالت لأخته قصيه أي اتبعي أثره وتتبعي خبره فبصرت به أي
أبصرته عن جنب عن بعد وهم لا يشعرون أي آل فرعون لا يعلمون أنها أخته
وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع أي منعناه أن يرتضع ثدييا والمراضع جمع مرضع
وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع
أي من قبل أن ترده أمه أو من قبل قصها أثره فقالت أخته وقد دخلت دار فرعون بين المراضع
ورأته لا يقبل ثديا هل أدلكم أرشدكم على أهل بيت أخبرتهم لك على الرد وهناه
يكفلونه لكم بالإرضاع وغيره وهم له ناصحون لا يقصرون في خدمته وإصلاح
أمره فإنهما ما يجتز نعته في أمر الرضاع وهو نفيض الغش روي أنها لما قالت
قال هامان إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون
فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله
فلما وجد ريح أمه استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك
فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها
ورجعت به إلى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه إلى أمه كي تقر عينها بلقائه
ولا تحزن بفراقه ولتعلم أن وعد الله حق علم مشاهدة ولكن أكثرهم لا يعلمون
أن وعده حق فيرتابون فيه وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى ولما بلغ
أشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوءه وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأقاليم واستوى
واعتدل قده أو عقله آتيناه حكما حكمة وعلما فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا وكذلك
ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على إحسانهم ودخل المدينة
مصر آتيا من قصر فرعون وهي منف بعد أن غاب عنه مدة على حين غفلة من أهلها في وقت القائلة
وقيل ما بين العشائين وقيل يوم عيد لهم قد اشتغلوا فيه باللهو وقيل على حين غفلة لأن لا تعلمه
هي المقصودة فصار هذا كما تقول الحيت على حين غفلة وإن شئت قلت على حين غفلة بمعنى
إذا اضفت إلى ما ليس بمقصود كما إذا قلت جئت حين غروب الشمس وقيل لما أوتي موسى عليه
السلام حكما وعلما عاب ما عليه فرعون وقومه وتخشى ذلك منه فخافوه فكان لا يدخل
المدينة إلا خائفا مستخفيا فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه
أحدهما من شيعته والآخر من عدوه والإشارة إلى الحكاية وفي عبارة العدو نوع إشارة إلى ما
نقلناه آنفا فاستغاثه فسأله أن يغيثه بالإعانة ولذلك عدي بعلى الذي من شيعته
على الذي من عدوه فوكزه موسى أي دفع بصدر كفه فقضى عليه فقتله

أصله أنه بحيث حركه من قوته لم وقضينا إليه ذلك الأمر قال هذا من عمل الشيطان أثار
إلى القتل الحاصل بغير قصد وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه
واستغفر منه لأنه لم يؤذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر ولا ينبغي
ذلك في عصمته عليه السلام لكن لما خطأ إنه عدو مضل مبين ظاهر الإضلال وكذلك
ظهور العداوة أي بدلها العكس قال رب إني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي
له باستغفاره إنه هو الغفور لذنوب المستغفرين الرحيم بهم قال رب بما أنعمت علي
قسم محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك علي من المغفرة وغيرها لأتوبن فلن أكون
ظهيرا للمجرمين الكافرين أو استعطاف كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت
علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون
وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وقيل أراد
إني لا أعين بعد هذا سبطيا وكان ذلك يبرئ السبط كما لو صح من شيعته من قومه
المتعصبة لهم نسبا لا دينا قال ابن عباس رضي الله عنهما فلم يستثن فابتلي ثانيا
فأصبح في المدينة خائفا من قتل القبطي يترقب أي يترصد ما يحدث بعد فإذا الذي
إذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ استنصره بالأمس يستصرخه يستغيثه من بعد مستغيثا
من قبطي آخر قال له موسى أي للسبطي إنك لغوي مبين بين الغواية لأنك تسببت
من لا تطيقه وقيل لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر ولا إنابه فلما أن أراد أن
يبطش لأن تذكر موسى عليه السلام تنبيه لذلك الخطر ربما عنا الإحجام لا اتباعا لأصله
وأما بتبيان أن التأكيد والتقوية بجعلها الإرادة والكلام بتمضيتها فذلك أنا أرانه البطش
ليتحققها لأنها لا تنفع لأن تكون سببا للخوف بل كناية عن بسط اليد نحو المقصود
بالبطش والتي يتبعها الفعل وربما مرادفا مجازيا للإرادة البالغة إلى حد العزم لا مطلق
الإرادة بالذي أي بذلك القبطي الذي هو عدو لهما لموسى عليه السلام وللسبطي
قال السبطي لموسى عليه السلام معتقدا أنه أراد أن يبطش به لا بالقبطي حيث أغلظ
له في القول يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد أي ما تريد إلا
أن تكون جبارا الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل وهو الذي يجبر الناس على ما يريد
في الأرض تضرب وتقتل وما تريد أن تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي
أحسن وكان قتل القبطي بالأمس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفشى على موسى عليه السلام
على السبطي أن قاتله موسى عليه السلام فذهب القبطي إلى فرعون فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو

مطلب

وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل أو حال
منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة لا صلة لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال
يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وإنما سمي التشاور ائتمارا
لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج من المدينة إني لك من الناصحين اللام
للبيان وليست بصلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من
المدينة خائفا يترقب التعرض له في الطريق أو أن يلحقه من يطلبه قال رب نجني من القوم
الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه التوجه الإقبال على الشيء تلقاء
قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام ولم تكن
في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما
خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه قال عسى ربي أن يهديني سواء
السبيل أي وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق معه إلى مدين ولما ورد ماء
مدين ماءهم الذي يستقون منه وكان بئرا وجد عليه فوق شفيرها أمة جماعة
كثيرة من الناس إنما قال الناس مع أن السقي لا يكون من الإنسان تنبيها لأنهم فيما كانوا
إنما لا يستحقون إلا التعبير باسم الجنس كلامهم في ذلك في ورود ماءهم ذكرهم
من جنسهم لا يتميزون عن غيرهم يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تذودان
تطردان غنمهما عن الماء لعجزهما عن المزاحمة مع الرجال ولم يذكر المفعول في يسقون وتذودان
لأن الغرض هو الفعل لا المفعول إذ هو الذي في البعث على سؤال موسى عليه السلام وما
زاد على المقصود بعد ذلك فضولا وأما البعث على المرحمة فليس هذا موضعه فإنه
لم لا تسقيان حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير قال موسى عليه السلام ما خطبكما أي
ما شأنكما تذودان سألهما عن سبب الذود فأجابتا بما مرجعه إلى العجز عن المزاحمة والاحتياط
عن المخالطة ولما آنسه أن [illegible] النعمة بالرجال فإنا لا نكافئ بأمرهم
تداركا الاعتذار عنه بما تقدم من ليس لنا راع وأبونا شيخ كبير مختصر متصد للكلام
الاستئناف في دلالة الرأي والنصيحة في أول الباب في عليه قالتا لا نسقي غنمنا حتى
يصدر الرعاء يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال والرعاء جمع راعي
وقرئ الرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال وأبونا عطف على محذوف يبنيه أي إنا أبونا شيخ
كبير في السن لا يقدر على السقي والرعي فسقى لهما أي سقى غنمهما لأجلهما رغبة في
المعروف وإغاثة الملهوف روي أنه كانت هناك بئر أخرى عليها صخرة فاقتلعها وحده

وأسقيتهما ثم تولى إلى الظل إلى ظل الشجرة فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير
فقير محتاج إلى الطعام قيل كان لم يذق طعاماً سبعة أيام وقد لصق بطنه بظهره
وقد كان يكفيه ربما إلى فقير لأنه قدم بيان سبب حاجته بهيكلا للإعداد لما أزكية
من مخالفة المعتاد بالخروج إلى السفر البعيد بلا زاد مع أنه من النازلة المذكورة إلا
الله تعالى من قتله القبطي فإنه كان سبباً لهربه من مصر بلا تدارك لعدده وما أغنى به
من خير فقال لما بنتاه أي منقلبين لأنه التشكي وأعاجيم بكون بمحيكا لحله بأن الخير
ما الخبر أن الله تعالى فجاءته إحداهما الفاء فصيحة معربة أي لما رجعتا إلى أبيهما قبل
الناس قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما
ادعيه لي تمشي على استحياء أي مستحيية قالت إن أبي يدعوك ليجزيك ليكافئك
أجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا روي أنها لما قالت ليجزيك أجر ما سقيت لنا كره ذلك
ولما أجابها إليه لا ليجتني أجره لأن المقاصد حرمته ولما وضع شعيب عليه السلام بين
يديه الطعام امتنع فقال له شعيب عليه السلام ألست جائعاً فقال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضاً
لما سقيت لهما وإنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمناً فقال شعيب
عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل فلما جاءه الفاء فصيحة أي فأجابها فمضى
عليه السلام معها إلى أبيها فلما جاءه وقص عليه القصص القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين إذ لا سلطان لفرعون بأرضنا قالت إحداهما
وهي التي استدعته يا أبت استأجره لرعي الغنم إن خير من استأجرت القوي
الأمين تعليل جامع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل
خيراً اسماً وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه مجرب معروف روي أن شعيباً قال لها
وما علمك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر وأنه صوب رأسه حتى بلغته وأمرها بالمشي
خلفه قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين لأنه لا يلائم ... على أنه
كانت ... إذ تكنى فيه لما خاصة إلى لأن ... علم الخاطب بأنه كانت لم تغير بما على أن
تأجرني على أن تأجر نفسك لي من أجرته إذا كنت له أجيراً ثماني حجج ظرف والحجة السنة لأن في كل
سنة حجة فسوابيها لتضمنها إياها ما تعطيها لكن العقد على أن تجعل أجري بالأعلى تزوج
بنتي رعيتها ثماني سنين والتزويج على رعي الغنم جائز في شريعتنا أيضاً فإن أتممت
عشراً أي عمل عشر حجج فمن عندك أي فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك ... له
من عندك ولا أحتمه عليك ولكنه إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما أريد أن أشق

عليك بإلزام أتم الأجلين أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال وحقيقة
شق عليه الأمر أنه إذا تعاطاه فإنه شق عليك ظنك باثنين تشق كلنا أو الحقيقة وطولا
الطيبة ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة والوفاء بالعهد والجواز
من أن الصلاح على العموم ويدخل تحت حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله تعالى فيما
وعلمه من الصلاح لأنه لا على توفيقه تعالى فيه ومعونته قال موسى عليه السلام ذلك
هذا وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام والخبر بيني وبينك يعني
ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً لا يخرج كلانا عنه
لا عما شرطته ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أيما الأجلين قضيت أي نصب
قضيت وما مزيدة مؤكدة لإبهام أي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي أي لا تعتد
علي بطلب الزيادة كما قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه في أتمهما ولكن جمعهما ليجعل
الأقل كالأتم في الوفاء كما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل
والله على ما نقول من المشارطة وكيل هو من وكل إليه الأمر وعدي بعلى لأنه استعمل
في موضع الشاهد والرقيب فلما قضى موسى الأجل قال عليه السلام قضى أوفاهما وأبرهما
... وسار بأهله بامرأته نحو مصر آنس من جانب الطور من الجهة التي
تلي الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر
... أو جذوة بفتح الجيم وكسرها وضمها وهي عود غليظة من الحطب كانت في رأسها نار أو لم
يكن ولذلك بينه بقوله من النار لعلكم تصطلون تستدفئون فلما أتاها نودي
من شاطئ الوادي الأيمن أتاه النداء من الشاطئ الأيمن لموسى عليه السلام في البقعة
المباركة بتكليم الله تعالى فيها متصل بالشاطئ أو صلة لنودي من الشجرة بدل من الشاطئ
بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة على الشاطئ أن يا موسى أن مفسرة أو مخففة
من الثقيلة إني أنا الله رب العالمين هذا وإن خالف ما في سورة طه والنمل في القصص
ما أخذ ... في اللفظ ... للنار ... أنوار القدس ... لا
... خطاب ... أحسن ... أعطي ما لم
... وأن ألق عصاك ... فألقاها فقلبها الله تعالى
ثعباناً فلما رآها الفاء فصيحة تهتز ... كأنها جان
ولى مدبراً ولم يعقب ... يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين من المخاوف
اسلك يدك في جيبك ... أدخل يدك في جيبك عطفاً على قوله وألق

وتركنا العطف هنا كيلا يذهب الوهم الى عطفه على اقبل تخرج بيضاء من غير سوء
تغيير واضمم اليك جناحك اليدين بفتح الجناح اليه تجلدا وضبطا لنفسه عند خروج يدك
بيضاء حتى لا ينحرز ولا يضطرب من الخوف استعارة من هيئة الطائر فانه اذا خاف
نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مستمران فهذا المعنى لها عبارة
قوله ولا تخف تكرير الاستيخيا تقدم من الرهب من اجل الرهب جعل الرهب الذي كان
يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه والرهب الخوف فمع تحرزه واضطرابه فذانك
مثنية الهو مشددا مثنى ذلك والتشديد عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا
برهانان حجتان نيرتان لتعبيرهما ان تعلان تضم ابن الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم
بره الرجل اذا ابيض وقيل فعلان من قولهم برهنت من ربك الى فرعون وملايه انهم
كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان نرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الردء العون
الذي يدفع الشر عن صاحبه يصدقني اي ردءا مصدقا لي وقرئ بالجزم جوابا للارسال ومعنى
تصديقه موسى عليهما السلام اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج ليشيدوا
اني اخاف ان يكذبون تعليل تقويم مقام الجواب المحذوف وعلى قراءة يصدقني بالرفع قال
سنشد عضدك باخيك سنقويك باخيك اذا اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد
والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ونجعل لكما سلطانا غلبة وتسلطا وحجة فلا
يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بيصلون اي لا يصلون اليكما بسبب اياتنا
وتم الكلام او بنجعل لكما سلطانا اي تسلطا باياتنا او بمحذوف اي اذهبا باياتنا او قسم
جوابه محذوف وهو لا يصلون او حلف لما [illegible] عليه او هو بيان الغالبون في قوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون لاصلة له بل الذين [illegible] الغالبون [illegible] على ان
اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي لامتناع تقدم الصلة في حكمها فلما جاءهم موسى
باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى مختلف لم يفعل من قبل مثله او سحر
تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا
يعنون السحر او دعاء النبوة في ابائنا الاولين حال منقول عنه اي كائنا في ايامهم
تبين تحدث [illegible] بكونه فيهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم انه
محق وانتم مبطلون وقرئ بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد
حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة

الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها
خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصده
بالعرض انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى
لا [illegible] بصيغة الجمع للاية انبانا جميعهم لا يفلحون وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت
لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولما
كان العلم بنفي العلم في مقام ما يقتضي نفي الوجود [illegible] تعلو بمن تبعه عنا شيئا
الحال فرع عليه الامر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على حقيقة الحال بقوله فاوقد
لي يا هامان على الطين قيل انه اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه
يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه يا في وسط الكلام
على ما يريد التورية فاجعل لي صرحا الصرح البناء العالي الظاهر بمعنى التصريح ليظهر
المعنى لعلي اطلع الى اله موسى الطلوع والاطلاع الصعود وتعديته بالى لما تضمنه من معنى الانتهاء
نفي الاشراف الى اله موسى حسبانه في مكان كما كان هو فيه واني لاظنه من الكاذبين
في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا رسولا والظن هنا ليس بمعناه المتعارف للشك
وهو الاعتقاد الراجح بل بمعناه اللغوي وهو ما لا يكون تحقيقا سواء كان راجحا او مرجوحا
او مساويا واستكبر هو وجنوده اي تعاظموا في الارض ارض مصر بغير الحق بالباطل اذ
بغير استحقاق فان الاستكبار بالحق هو تعالى وظنوا عن اعتقادهم وانكارهم البعث
عقيبا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء لا يرجعون يوم القيامة وليس هذا بحذف هم
بل ذم لهم بالجهل وترك التامل في الايات حتى تعلموا فاخذناه وجنوده اخذ عقوبة فنبذناهم
في اليم وهذا الكلام المحكم الذي دل به على عظمته وتشبيههم استقلالا لعددهم وان كانوا
الجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد كيف كان
عاقبة الظالمين واحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال
يدعون الى النار الى موجبها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون بدفع
العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعنا للاعنين تلعنهم
الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة هم من المقبوحين المطرودين او ممن قبح وجوههم
نكرة قبح العيون ويوم طرف المقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس
حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد كما ان البصر نور العين الذي

بتصريحه بين يديه انبياء التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا
من باطل وهدى وارشادا الى الشرائع التي هي سبيل الحق ورحمة لانهم لو عملوا بها
نالوا رحمة الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت
يا محمد بجانب الجبل الغربي وهو الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام او المكان
في شق الغرب من مقامه او الجانب الغربي منه على انه من قبيل اضافة الشيء الى صفته كقوله
ولدار الاخرة اذ قضينا اوحينا الى موسى الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت
من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه السبعون المختارون
للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف
الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر
اي ولكنا اوحينا اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت
الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه
متضمنا للدفع ما عسى ان يخطر ببال احد من احتمال ان يكون اخباره عليه السلام عن ذلك
بطريق الاخذ من افواه الرجال وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب عليه
السلام والمؤمنين معه تتلو تقرأ عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصة شعيب
عليه السلام وقومه وتتلو في موضع نصب خبر ثان او حال من الضمير في ثاويا
ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
موسى ان خذ الكتاب بقوة ولكن رحمة من ربك اي ولكن عرفناك ذلك رحمة منا
اظهارا لنبوتك وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين خالد بن سنان عليهما السلام لعلهم يتذكرون
يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي
فلما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي نسبت الاعمال الى الايدي وان كانت من اعمال القلوب
تغليبا للاكثر على الاقل فيقولوا اعتنا العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف
والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض
من واد واحد والفاء تدخل في جواب الامر والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب
معاصيهم وكفرهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من
المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم

قلت

قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال
لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بان
يكون سببا للارسال والعقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت
كانها سبب للارسال فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية منبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به
انه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة فنتبع اياتك اراد بالايات المعجزات وتعريبا
جعل جوابا لانها منزلة ونكون من المؤمنين اي من المصدقين برسلك كالتفصيل
فلما جاءهم الحق من عندنا اي القرآن او الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة او من الايات كاليد
والعصا اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم
الكفرة في زمن موسى عليه السلام بما اوتي موسى من قبل من قبل هذا القول قالوا
ساحران تظاهرا يعني موسى ومحمد عليهما السلام تعاونا باظهار تلك الخوارق او موسى وهارون
الكتابين وقرئ سحران اي التورية والقرآن واسناد تظاهرا اليهما لدلالة على سبب الاعجاز
وقالوا انا بكل كافرون اي بكليهما او بكل الانبياء عليهم السلام قل فأتوا بكتاب من
عند الله اي فاذا كذبتم يا معاشر العرب هذين الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى محمد مما دل الالتزام المعنى اتبعه جواب فأتوا ان كنتم
صادقين في انهما سحران مختلقان لا هداية فيهما وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام
والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي الاتيان بكتاب
اهدى فحذف المفعول للعلم به وهذا الحذف شائع عند ذكر الاجابة تعديته اليه
باللام والى الداعي بنفسه واما قول الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فلا تعديته الى الداعي فاعلم انما
يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا الحجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي
بغير هدى من الله في موضع الحال للتأكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق
الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم ولقد وصلنا لهم
القول التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القرآن اتاهم متتابعا في الانزال ليتصل
التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم
يتذكرون فيؤمنوا الذين اتيناهم الكتاب من قبله من قبل القرآن وخبر الذين

هم به يؤمنون نزلت في مؤمني أهل الكتاب وإذا يتلى القرآن عليهم قالوا
آمنا به أي بأنه كلام الله تعالى إنه الحق من ربنا استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم
به إنا كنا من قبله من قبل نزول القرآن مسلمين كائنين على دين الإسلام مؤمنين
بمحمد عليه السلام وقوله إنه تعليل للإيمان به لأن كون كلام الله حقيقا بأن
يؤمن به وقوله إنا كنا بيان لقوله آمنا لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده
فأخبروا بأن إيمانهم به متقادم أولئك يؤتون أجرهم مرتين مرة على إيمانهم
بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله
وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ويدرءون بالحسنة السيئة
يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا أعمالنا
ولكم أعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم
فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها إنك لا تهدي من أحببت
لا تقدر على أن تنور قلب من أحببت بنور الهدى [illegible] لاشتراك الهداية
ولكن الله يهدي من يشاء لقد أصاب كل من عبارتي الحب والمشيئة محزها وهو أعلم
بالمهتدين بالمستعدين لذلك قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها
نزلت في أبي طالب إذ كانت الصيغة عامة وقالوا إن نتبع الهدى معك أي وقالوا
يا محمد إن نتبع الهدى نكن معك أو نتبع الهدى الذي معك وهو القرآن نتخطف
التخطف الاستلاب بسرعة من أرضنا أي نخرج منها في الحال وهو تعلل [illegible]
تعللوا به عند تحيرهم من معارضته فرد الله عليهم بقوله أولم نمكن لهم حرما أي ألم
ندفع عنهم شر العدو بالحرب وقد مكن لهم حرما آمنا أي ألم نجعل مكانهم في حرم
ذا أمن لا يسبون فيه ولا يغار عليهم ولا يتعرض لهم بمكروه مع هذا الحرم في حرمة من
فيه ولا يراع يجبى إليه ثمرات كل شيء أي يجمع ويجلب إليه من كل شيء آفقه
والنفعه كما يقال لثمرة الكلام ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء رزقا مفعول
لأن معنى يجبى إليه يرزق فأن يتعلق له أو حال من الثمرات إن كان يجبى من رزق بمعنى مرزوق لتخصيصها
بالإضافة كما ينتصب عن النكرة المخصصة بالصفة من لدنا أي تفضلا منا فإذا خولهم
وعبدة الأصنام هكذا فكيف يخافون التخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة
التوحيد ولكن أكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا أن

تتعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله إذ لو علموا أنه
من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن أيضا من عند الله تعالى ثم بين أن الأمر بالعكس
بأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها
وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم
وخرب ديارهم وكم نصب بأهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وإيصال الفعل أو بجعلها
ظرفا بنفسه كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام
معيشتها أو بتضمين بطرت معنى كفرت والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ
حق الله فيه فتلك مساكنهم منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار لم تسكن
من بعدهم حال والعامل فيه الإشارة إلا قليلا من السكنى أي لم يسكنها إلا المسافر
ومار الطريق يوما أو ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها أي
لا يملك التصرف فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى أي ليس من عادته
أن يهلك القرى حتى يبعث في أمها في أصلها وقصبتها التي هي أعمالها لأن
أهلها تكون أفطن وأنبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لإلزام الحجة وقطع المعذرة
أو ما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك قرى الأرض حتى يبعث في أم القرى
يعني مكة رسولا وهو محمد عليه السلام والظاهر المناسب لعبارة ما كان ذلك هو
الأول وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر
وما أوتيتم من شيء في محل النصب على الحال أو الحال الضمير لما بدون الصلة والعائد
من الصلة إلى الموصول أي وما أوتيتم كائنا من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها أي
فأي شيء تمتعون به من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة وأبقى
لأنه دائم لا ينقطع أفلا تعقلون أن الباقي خير من الفاني فتستبدلون به
بالياء [illegible] وهو أبلغ في الوعظ أفمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فإن
حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لعدم الخلف في وعده كمن
متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب
للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيامة من المحضرين من الذين أحضروا للعذاب
ثم الأولى لتسبب الإنكار المستفاد من الاستفهام والمعنى أنهم لما ذكر التفاوت
بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعد هذا التفاوت

الجليل سوى بين ابنا الدنيا وابنا الاخرة وثم الثانية للتسبيب لا ان لقا الموعود
مسبب من الوعد وثم للتراخي حال الاحضار عن حال التمتع وقرئ ثم هو بسكون الها
تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم نداء توبيخ وهذا عطف على يوم القيمة
او منصوب باذكر فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم
شركاي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما وفي باب ظننت وان لم يجز
الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول اي وجب مقتضاه وثبت وهو قوله
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هولا
الذين صفة له اغوينا صلة للذين والعايد محذوف تقديره اغويناهم
واغويناهم خبر المبتدا لعقود له كما غوينا فاستفيد من الخبر ما لم يستفد
من الصلة والكاف في كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم
فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا فهم لا كذلك غووا باختيارهم
لان اغوانا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان
تسويلنا وان كان داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلته دعا الله لهم الى الايمان
بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب فهو
كقوله وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا
انفسكم ويجوز ان يكون هولا مبتدا والذين اغوينا خبر المبتدا واغويناهم استينافا
اخبارا مبتدا ابين له كما غوينا تبرانا اليك منهم مما اختاروه من الكفر ما كانوا ايانا
يعبدون بل يعبدون اهواهم ويطيعون شهواتهم واخلا الجملتين من العاطف
لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا شركاكم اي الهتكم
لتخليصكم من العذاب فدعوهم لا لفرط الحيرة بل لضرورة الامتثال فلم يستجيبوا
لهم لعجزهم عن الاجابة او لغير مستند ينطق كل شي بل لعجزهم عن الاستجابة
وراوا العذاب الضمير للتابع والمتبوع لو انهم كانوا يهتدون جواب لو
محذوف اي لما راوا العذاب ويوم يناديهم عطف على الاول فانه تعالى
يسال اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبيا عليهم السلام فيقول ماذا اجبتم
المرسلين الذين ارسلوا اليكم فعميت عليهم الانبا يومئذ اي خفيت عليهم الاخبار
خفا لا يرجى زواله فلم يستطيعوا ان يجيبوا بما فيه نجاتهم واتى بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه فهم لا يتسالون لا يسال بعضهم بعضا عن العذر والجواب لان يكون ...

ليس عندهم علم لانهم يتساوون في العجز عن ذلك بالسبب المذكور على ما افصح
عنه الفا التفريعية لا لفرط الدهشة كما توهم فاما من تاب من الشرك في ما هلا
الاستغفار بزيادة اعتنا بان ما دخلت عليه فيما يتبع له الكلام كقوله تعالى فاما
الذين في قلوبهم زيغ وتفصيل بما لها لتفريعه على ما افتتح مقام قسيمه وامن
وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين
عند الله وعسى من الكرام تحقيق او ترج من التايب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك
يخلق ما يشا ويختار المشية تجامع الايجاب بالذات دون الاختيار ففيه تفضيل الرد على
الفلاسفة كما ان في اثبات المشية تفضيل الرد على من زعم انه تعالى يقتضي العالم
اقتضا النار للاحراق ما كان لهم الخيرة ترك العاطف لانه تقرير لما قبله فان
معنى ويختار اي يدخل تحت تكوينه والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر كالطيرة
بمعنى التطير اي ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه سبحان الله تنزيها له ان يزاحم
اختياره احد اختيار وتعالى عما يشركون ان الله تعالى بري من شركهم وربك يعلم
ما تكن صدورهم بيان للا اكتنانها بشي في صدري اي اخفيته اسند الاخفا الى الصدور
مبالغة وما يعلنون اي يعلم ما اضمروه كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده
وما اظهروه كطعنهم فيه وهو الله الذات المستحق للعبادة لا اله الا هو لا معبود
يستحقها الا هو ترك العاطف لانه تقرير لما قبله له الحمد في الاولى والاخرة
الاختصاص المستفاد من تقديم الظرف باعتبار المجموع فان الحمد في الدنيا وان شاركه
تعالى فيه غيره فان المستحق للحمد لا يلزم ان يكون مسويا للنعم لكن الحمد في الاخرة
لا يكون الا له وله الحكم بالقضا النافذ في كل شي واليه ترجعون بالبعث والنشور
قل ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم انما قال عليكم لان النفع انما هو
في تقلب الملوين فاي تنبيها انهم يتقلب نفعه ضرا الليل سرمدا اي دائما من السرد
وهو التتابع ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه
فعمل الى يوم القيمة بالكسوف او باسكان الشمس تحت الارض من اله كانه يحمله على
فكر من على زعمهم انه غيره الهه غير الله صفة اله ياتيكم بضيا انما قال بضيا ولم يقل بنهار
كما قال فيه بليل لان النهار لا يلزمه الضيا على ما تنبهت عليه اتفاق النفع
من وجود الضيا فيه فانه لو خلا عنه لانقلب نفعه ضرا حتى قالوا ان الكسوف ساعة
يكون سببا لبعض الافات من الزلازل وغيرها بخلاف الليل فانه لا يخلو عن النفع المذكور

منقطعا كان او متصلا ولما كان مبنى ما ذكرنا لا يقف عليه عوام الانام الا [illegible]
من الخواص قال هنا افلا تسمعون ومن ذكرنا انه ذكر السماع هنا لكثرة منفعة النقل
فهذا بعد قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا اخر امر النهار عن الليل
لانه اصل والنهار عارض ثم اسند الى يوم القيامة باسكان الشمس فوق الافق
او بتحريك كرة الارض على نفي حركتها وانما كان الفساد في اقامة النهار في دار
التكليف ولم يكن في دار النعيم لان دار النعيم الكثيف لانه فيها من التعب والنصب
الذي يحتاج معه الى الحمام والاستراحة وليس كذلك دار النعيم من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال وانما تعرض لوصف الليل دون الضياء
لانه نعمة في ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولما كان ما ذكرتها يقف عليه
كل من له بصيرة لا يتوقف على استخراج قال هنا افلا تبصرون ومن رحمته
للسبب جعل لكم الليل والنهار اي خلقهما لاجلكم لتسكنوا فيه اي في الليل والنهار
على تقدير كل من المتعاقبين في علية كل واحد منهما على التوزيع اعيد اللام في قوله
ولتبتغوا من فضله وانما حذف اكتفاء بما ذكر تعقيبه ويمكن ان يكون من باب اللف والنشر
على الترتيب وفي التعبير بالابتغاء عن كسب العبد اشارة الى انه لا اثر له الا على معنى
الطلب فنتيجه تأتي التأثير من جهته كان في قوله من فضله ينبي الايجاب منه تعالى والتوكل
عليه ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها تعليل اخر
للجعل المذكور ولذلك صدر باداة العطف ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ليؤذن بانه لا شيء اجلب لغضب الله تعالى من
الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده ونزعنا اخرجنا وخصصنا فان الغالب
نزع الى وطنه اذا حن اليه حنينا يطالبه بالخروج اليه من كل امة يعني الامم الضالة
بدليل سياق الكلام وسياقه شهيدا شاهدا عليهم بما اجابوا به رسلهم كما قال فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال وجيء بالنبيين والشهداء وهذا
صريح في انهم غير الانبياء فقلنا لتلك الامم هاتوا برهانكم حجتكم على صحة ما كنتم
تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب
عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الوهية غير الله والشفاعة لهم ان
قارون لا ينصرف للعجمة والعلمية ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف كان من
قوم موسى كان ابن عم موسى عليه السلام فبغى عليهم تفريع على مقدر بدلالة الاجمال على غاية

الفرط

رتقول الزجاج

الفرط على ما يفصح عنه التفضيل الآتي وذكرنا الفاء فصيحة والبغي طلب العلو بغير
حق وقيل لولاه الجور بغاة عليهم روي انه قال لموسى عليه السلام لك الرسالة
ولهارون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر واتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة
ان مفاتحه ما بمعنى الذي في موضع نصب بأتينا وان واسمها وخبرها صلة الذي وهنا
كسرنا ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به باب المال والصندوق لتنوء بالعصبة
لتنوء اي ثقل على ثقل وتنهض به على مشقة حتى يميل تحته وهو لازم وصار هنا
متعديا بالباء الذي في قوله بالعصبة اي الجماعة الكثيرة اولي القوة الشدة وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بيبغي وما
بينهما اعتراض في معرض التعليل لبغيه لا بتنوء اذ لا وجه لتخصيصه بذلك الوقت
لا تفرح لا تبطر الفرح هنا المرح الذي يخرج الى الاشر وهو البطر ولذلك قال
ان الله لا يحب الفرحين لانه اذا اطلق صفة الفرح فهو الخارج بالمرح الى البطر
واما قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله فمخصص بهذا التقييد وابتغ فيما آتاك الله
من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك ولا تنس لا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا اي حظك منها من دنياك ما لا بد لك منه في معاشك فانك غير ملوم في ذلك
من كنزه لله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا واحسن الى عباد الله
تعالى كما احسن الله اليك فيما وسع عليك وبسطه ولا تبغ الفساد في الارض
بالبغي والظلم ان الله لا يحب المفسدين بل يبغضهم والاكتفاء بنفي محبته تعالى
بهم للتنبيه على ان هذا القدر يكفي في زجر العاقل عن الفساد قال انما اوتيته اي
المال على علم عندي اي على استحقاقي لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو
علم التوراة او علم الكيميا او العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة لعلم
وزيادته لافادته معنى الاختصاص له اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من
القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا تعجب وتوبيخ على اغتراره
بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التوراة او سمعه من حفاظ التواريخ
والواو للعطف على مقدر اي الم يقرأ في التوراة او الم يسمع من الحفاظ ولم يعط الى
آخره او رد لادعائه العلم وتعظيمه به بنفي هذا العلم عنه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي
ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنها

هذا وبذكر إهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بيّن أن ذلك لم يكن
مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على
قومه عطف على محذوف ينسحب عليه سياق الكلام من عدم تنصحه لما قيل له وتماديه
أسبابا لبطره الفاضحة في زينته حال من فاعل خرج أي متزينا قال الذين
يريدون الحياة الدنيا على سبيل الرغبة في اليسار يا للتنبيه ليت لنا مثل ما
أوتي قارون غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن يريد زوالها عنه
إنه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين أوتوا العلم
بأحوال الآخرة ويلكم أصل ويلك دعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما أوتي
قارون بل من الدنيا وما فيها وفيه حث المفضل عليه لتعظيم المفضل كما في قوله الله
أكبر ولا يلقاها أي لا يلقى هذه الكلمة وهي ثواب الله خير إلا الصابرون على الطاعات
وعن المعاصي فخسفنا به أي بقارون أي بسببه الأرض وأذهبته في جهة السفل
وبداره الأرض روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة
التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فشحت به
نفسه فهمّ إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بني إسرائيل فبرطل بغية لترميه
بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى عليه السلام خطيبا من سرق قطعناه ومن زنا
غير محصن جلدناه ومن زنا محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال
إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله
أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على أن أرميك بنفسي فخر موسى عليه السلام
ساجدا يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت
فقال يا أرض خذيه فأخذته الأرض إلى ركبتيه ثم قال خذيه فأخذته إلى وسطه ثم قال
خذيه فأخذته إلى عنقه وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال وموسى لا يلتفت
إليه لشدة غضبه ثم قال خذيه فانطبقت عليه فعوقب بما يناسب ما افتراه من الجريمة
فقال الله تعالى لموسى عليه السلام استغاث بك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو استرحمني
مرة لرحمته ثم قال بعض بني إسرائيل إنما أهلكه ليرث ماله فدعا الله تعالى حتى خسف
بداره الأرض وأمواله فما كان له فالفاء للعطف والتفريع على مجرد وقوع
على تعذيبه لا إجماليا انساق الكلام من فئة أعوان وتنوينها للتنبيه على وجه التقليل

3.

سورة القصص ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين إنما ذكر اتباع
نفس من دفع عذاب الله مع أنه معلوم لأن المراد بيان أنه لم يكن الأمر على ما قدره من
اتباعه بجانبه وبخيله فإن ذلك الذي عتا وتمرد في طغيانه ثم أخبر أنه كما لم
يكن له من ينصره لم يكن هو أيضا من ينتصر بنفسه تصحيحا وتحقيقا لذلك وأصبح الذين
تمنوا مكانه منزلته لم يقل مثل مكانه اكتفاء بما ذكر قبل هذا بالأمس استعير للزمان
القريب يقولون ويكأن أي صائرين يقول كل بعضهم لبعض لما تعاينوا أن الله ويكأن كلمة تقرر
متنبها أما ترى أنا نعلم قال المرادي وروي أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك قال
ويكأنه وراء البيت أي أما ترينه وقال تضرب عما كلمتان ويك بمعنى ويلك
حذف اللام كما في قول عنترة ●
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ● قيل الفوارس ويك عنتر أقدم ●
وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال وأما أنا فقيل أن وي للتعجب وكأن للتشبيه
والمعنى أن التشبيه لا يناسب المقام يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض لولا أن منّ الله علينا
بصرفنا كما تمنيناه بالأمس لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه ويكأنه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار
الآخرة تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها
والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض غلبة وقهرا ولا فسادا
ظلما على الناس لم يعلق الموعود بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب
إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون والعاقبة المحمودة للمتقين
من لا يرتضيه الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها مر في النمل ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات
موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررا فضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة
إلى قلوب السامعين إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم
مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة إن الذي فرض عليك القرآن أوجب
عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك إلى معاد أي معاد وهي مكة أراد رده عليه السلام
إليها يوم الفتح وما تنكيره لأنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد
لغلبة الرسول صلى الله عليه وسلم وقهره لأهله وظهور عز الإسلام وأهله وذل الكفر

تنبيه الحال المقابل للنحو
وتأييم عادة لمراد
نخـ

ترجيه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق
عليه السلام إلى مولده ومولد آبائه قل ربي أعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من
الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره أعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه
من العذاب والإذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وما كنت ترجو
[illegible] الرجا في سورة الفرقان أن يلقى إليك الكتاب أي سيردك إلى معادك
كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه إلا رحمة من ربك هذا محمول على المعنى أي
ألقي عليك الكتاب لا رحمة لأجل أن ترحم [illegible] لكن للاستدراك أي لكن رحمة
من ربك ألقي إليك فلا تكونن ظهيرا أعوانا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله
عن قراءتها والعمل بها بعد إذ أنزلت إليك أي بعده وفرضت عليك وادع إلى ربك إلى عبادته
وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله إلها آخر هذا وما قبله
للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم على أن العصمة لا تمنع النهي والوعيد على [illegible]
لأنه [illegible] لا إله إلا هو صفة لإلها آخر [illegible] كل شيء
هالك إلا وجهه إلا ذاته فإن الوجه يعبر به عن الذات [illegible] لأنه ممكن [illegible]
كذلك في حد ذاته [illegible] في حد ذاته [illegible] له الحكم القضاء
النافذ في الخلق وإليه ترجعون للجزاء بالحق ● سورة العنكبوت

● بسم الله الرحمن الرحيم ●

الم [illegible] ذكرا لأقاويل [illegible] التفصيل [illegible] لا [illegible]
[illegible] من نوع الاستفهام [illegible] أحسب الناس الحسبان [illegible] على
[illegible] لتعليقه بما في المفردات [illegible] بمضامين الجمل [illegible]
[illegible] على وجه الظن [illegible] على مضمون الجملة [illegible] الحسبان
[illegible] والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا فإنه
[illegible] في قوله أن يسبقونا [illegible] لأن المعنى أحسب الناس [illegible]
[illegible] وتركه [illegible] أو [illegible]
[illegible] بدلالة الحال [illegible]
[illegible] عليه أن يقولوا آمنا [illegible] غير مستقل [illegible] وهم
لا يفتنون [illegible] بحقيقة إيمانهم [illegible]
[illegible] بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة [illegible]

الطاعات الشاقة ورفض الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال
ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وقيل معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين [illegible]
لقولهم آمنا فالترك أحد مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني [illegible]
[illegible] الفصل بين تركوا [illegible] من الاهتمام [illegible]
[illegible] أن يتركوا غير [illegible] لعلة أخرى
ولقد فتنا اختبرنا وهو متصل بأحسب أو بلا يفتنون الذين من قبلهم من الأمم
بأنواع الفتن والمحن [illegible] السنة [illegible] جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع
[illegible] بعض
الأنبياء كزكريا ويحيى وجرجيس عليهم السلام وقد امتحنوا وصبروا فليعلمن الله
الذين صدقوا في الإيمان وليعلمن الكاذبين فيه وعلم الله تعالى بالكائنات [illegible]
في الزمان [illegible] يترتب عليها [illegible] عن تحقق المعلوم [illegible]
[illegible] وليتميز [illegible] الصادق منهم من الكاذب قال
[illegible] يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء
وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو
من الكاذبين [illegible] فليعلمن [illegible] الناس [illegible]
[illegible]
[illegible] فليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجه وسواده أم
حسب أم هنا منقطعة [illegible] الاتصال [illegible] بعدها جملة ومعنى
بل للإضراب [illegible] قصة [illegible] للإبطال والإضراب [illegible]
هذا الحسبان أبطل من الأول [illegible]
[illegible] الذين يعملون السيئات من المعاصي [illegible] الكفر [illegible]
العمل [illegible]
[illegible] أن يسبقونا أن يفوتونا فلا نقدر على أن نجازيهم [illegible]
[illegible] ساء ما يحكمون
[illegible]
[illegible] من كان يرجو لقاء الله [illegible]
[illegible] فإن أجل الله [illegible] لآت لا محالة تعليل

الجواب لشرط محذوف تقديره فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله
وإتيان الوقت المضروب إنما كان بإتيانهما والتعبير عنهما بلقاء الله تعالى للتعظيم
والتهويل وإضافته إلى الله في الموضعين للتعظيم ويجوز أن يكون على تمثيل حاله بحال عبد
قدم على سيده بعد زمن مديد وقد اطلع السيد على أحواله فإما أن يلقاه ببشر لما رضي
من أفعاله أو بسخط لما سخط منها وهو السميع لما يقول عباده العليم بما يفعلونه ولا يخفى
شيء ومن جاهد نفسه بالصبر على مخالفتها في طاعة الله تعالى فإنما يجاهد لنفسه
لأن منفعة ذلك ترجع إليها إن الله لغني عن العالمين فلا حاجة له إلى طاعتهم وإنما
كلفهم نعمة عليهم ومراعاة لمصالحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم
سيئاتهم التكفير إذهاب السيئة بالحسنة كإذهاب الكفر بالإيمان والمعصية ولنجزينهم
أحسن الذي كانوا يعملون إنما قال أحسن لأن المباح حسن ولا أجر ووصينا الإنسان
بوالديه حسنا بإيتائهما فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى حكمه حكم
أمر في معناه مع تصرفه ومعنى وقضيته ذلك بعهد وأمرته بتعهدهما ومن ماله وإن جاهداك
لتفعل ذلك وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بإلهيته عبر عن نفيها بنفي العلم
إشعارا بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا
تطعهما في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إلي مرجعكم مرجع المطيع والعاصي
منكم فأنبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على
العصيان وحث على الثبات والاستقامة في الطاعة روي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه لما أسلم نذرت أمه أن لا تأكل ولا تشرب ولا تنتقل من الضحى حتى يرتد فلبثت ثلاثة
أيام كذلك فشكى سعد رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية
والتي في سورة لقمان والتي في الأحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين في الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم ومن الناس من يقول آمنا بالله
في الإخبار عنهم بأنهم من الناس تعجيب لشأنهم فإذا أوذي في الله أي في طاعته وفي
التثبت كما في المتنبي جعل فتنة الناس أي أذاهم له الصارفة عن طاعة الله تعالى كعذاب
الله في الخوف منه فيطيعهم ولئن جاء نصر من ربك أي فتح وغنيمة ليقولن إنا
كنا معكم أي إنا بعين لكم في دينكم فأعطونا نصيبنا من المغنم أوليس الله بأعلم
صيغة أفعل هنا لمطلق الزيادة وإثبات العلم على الوجه الأبلغ والعطف في المعطوف
تقديره أليس الله أعلم بما في صدور العالمين من الإخلاص والنفاق

كيف يتوهم هذا المنافق أن يخفى حاله على المسلمين ولا يخبرهم الله به وهو عالم بما
يبدي ونبوي له كما اتفق له وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين تهديد
أخروي كني بالعلم عن الجزاء وهو الجزاء على المعلوم وعبر عن الإخلاص بالإيمان فأخرجها للأول
أن الحامل على التصديق بالجنان محض الإيمان وفي الخلاف الصيغتين إشعار بأن
المنافق على النفاق وترتبه على الكفر زيادة النفر في محله وقال الذين كفروا للذين
آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في
أمرهم وأنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران
في الحصول والمعنى تعليق الثاني على الأول على وجه المبالغة والوعد بتخفيف الأوزار
عنهم إن كانت تشجيعا لهم على الاتباع وطمأنينة عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون في الدعاء الأولى للتبيين والثانية مزيدة
لتأكيد الاستغراق وليحملن أثقالهم أوزار أنفسهم بضلالهم وأثقالا مع أثقالهم أثقالا أخر
لتسببهم بإضلالهم كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين
يضلونهم بغير علم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون يكذبون على الله
سؤال تقريع واللام في الفعلين للقسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ولقد أرسلنا
نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما بعد المبعث إلى حدود الطوفان وعمره
على العبارة لما في ذكر الألف من تخييل طول المدة إلى السامع فإن المقصود تسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان يكابد من الكفرة ومجيء المميز أولا بالسنة ثم
بالعام لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة فأخذهم
الطوفان هو ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما والواقع
ظرفا لما وهم ظالمون أنفسهم بالكفر فأنجيناه أي نوحا وأصحاب السفينة أي
والذين حملهم نوح عليه السلام في السفينة وجعلناها أي السفينة لأنها بقيت
أعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل لهم العلم بها أو الحادثة آية علامة
أو عبرة للعالمين يعتبرون بها وإبراهيم عطف على نوحا وقرئ بالرفع على تقدير
ومن المرسلين إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لأرسلنا أي أرسلناه حين كمل عقله
لدينها أو في زمن الرسالة لم يجب بلغ الدعوة كما أمر واتقوه ذلكم خير لكم مما أنتم عليه
إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم إنما تعبدون من دون الله أوثانا
أو ثنيا تعمله من حجارة وطين وتخلقون أي تكذبون أو تصنعون فإنها تختلقون من خلق

بمعنى التكثير فيخلق افكا وقرئ افكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف
عنه كالكذب واللعب من اصلهما واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا استدلال ثان على شرارة ما هم
عليه من حيث انه زور وباطل وهذا استدلال عليه من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا
يحتمل النصب على المصدر اي لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم
فابتغوا عند الله الرزق لا عند الاصنام الرزق كله فانه المالك له وحده لا شريك له فيه على
الاستبداد والاعتماد على الاسباب العادية ثم بين طريق الطلب فقال واعبدوه في
كل حال واشكروا له بما تقيدوا من الافضال مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون
فيجازيكم بما عملتم بما لكم من الكفران والعبادة والطغيان وهو وعد ووعيد وان
تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم كقوم نوح وهود وصالح وما على الرسول الا
البلاغ المبين اي وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبهم اممهم وما
ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما الرسول فقد تم امره
حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان
كنتم مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه
ان يصدق ولا يكذب والآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم عليه السلام اولم يروا
وقرئ بالتاء على تقدير القول كيف يبدئ الله الخلق اي قد راوا ذلك وعلموه وقوله
ثم يعيده ليس معطوفا على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله
بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
ان ذلك اي الاعادة على الله يسير سهل قل حكاية كلام الله لابراهيم عليه
السلام سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق على كثرتهم واختلاف احوالهم لتعرفوا
عجائب فطرة الله تعالى في المشاهدة وتعرفوا به ما بدأ يعني ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع
واخراج من العدم والكلام المقصود من السياق الاستدلال بالابداء على الاعادة
المنبئ عن قرب الافصح من الاول فيذكر الرؤية في الاول والنظر في الثاني وكان القياس
ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة فان قيل كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة لان الكلام معهم كان في الاعادة وفيها قرعهم في الابداء بانه من الله

الحجة عليهم بان الاعادة مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب ان لا يعجزه الاعادة
فكانه قال ثم ذلك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه
على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ ان الله على كل شيء قدير ومن جملة
الاشياء ما يعاد وهو قادر على الاعادة يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته
واليه تقلبون ترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تعجزونه ان هربتم من حكمه وقضائه
في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلائي ولا نصير يمنع عذابي ويدفعه
عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك
يئسوا من رحمتي في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم في الآخرة
بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم عليه السلام وقرئ بالرفع على انه الاسم
والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه اي قال بعضهم لبعض او قال واحد منهم وكان
الباقون راضين به فانجاه الله من النار الفاضحة اي فقذفوه
فيها فانجاه الله من النار بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لآيات
هي عدم تأثيرها فيه مع شدتها وخمودها وكونها باردة عليه وحماية الحطب
وروي انه لم يحرق الا الحبل الذي اوثقوه به وروي انه لم ينتفع ذلك اليوم بالنار
وذلك لذهاب حرها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها وقال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب المودة وتحابهم وثاني
مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان تكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او باتخاذ
بالذات اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرئت منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق
وقرئت مرفوعة بغير مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او بسببيته بينكم
والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما موصولة او مصدرية والعائد محذوف وهو
المفعول الاول وقرئ بالرفع منونة ومضافة بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم ثم يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض يتبرأ القادة من الاتباع ويلعن بعضكم بعضا يلعن الاتباع القادة
ومأواكم النار ومنزلكم جميعا النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط اي
صدقه في جميع ما قاله وانه ابن اخته لانه لم يؤمن في ذلك الوقت لان الكفر لا يجوز على الانبياء
عليهم السلام وقال ابراهيم عليه السلام اني مهاجر من كوثى من سواد الكوفة الى ربي الى

حيث أمرني ربي إنه هو العزيز أي المنيع الذي يمنعني من أعدائي الحكيم
الذي لا يأمرني إلا بما فيه خيري روي أنه هاجر مع لوط ابن أخيه وسارة بنت عمه إلى حران
ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له إسحق ويعقوب ولدا ونافلة
حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسمعيل عليه السلام وهبه قوله
وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق وجعلنا في ذريته النبوة فإنه شجرة الأنبياء عليهم السلام
والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة وآتيناه أجره على هجرته إلينا في الدنيا بالثناء
الحسن والصلوة عليه إلى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له وما قيل من تقدم ذكره فالعطف
عليه يأبى عن تخلله في الآخرة وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم الدرجات العلى
ولوطا عطف على إبراهيم أو على ما عطف عليه إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة
الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة
تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها أئنكم لتأتون
الرجال وتقطعون السبيل طريق الولادة بتعاطيكم الفاحشة [illegible] أو بقطع الناس
المارة وتأتون في ناديكم في مجلسكم الذي تجتمعون فيه ولا يسمى ناديا إلا ما دام فيه
أهله المنكر كالمضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح والحذف بالحصا وضرب المعازف
والفرقعة والسخرية بمن مر بهم فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله
إن كنت من الصادقين حسبما سبق في سورة الأعراف قال رب انصرني بإنزال العذاب على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعار
بأنهم أحقاء بأن يجعل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة
قالوا لا تخف إنا نبشرك بغلام قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية قرية سدوم وكلمة هذه
بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال إن
أهلها كانوا ظالمين تعليل لإهلاكهم أي الظلم قد استمر منهم في الأيام السالفة وهم
عليه مصرون وإنما قالوا إنها [illegible] إنهم [illegible] التعليل الإشعار [illegible]
وهو [illegible] صفتهم ففيه إشارة خفية إلى أن المراد من أهل القرية من ثبت فيها فلا
يتناول لوطا ومن لم يتصف [illegible] قولهم إلا في تخصيصا للأهل بمن عداه
قال إن فيها لوطا معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين ظهرانيهم [illegible]
عليهم باق فيها [illegible] حال المعترض لأن مبناه العفو عن [illegible]
قد سبق بيانها قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله وليس هذا خطابا [illegible]

مرعي فلا وجه لما قيل فيه تأخير البيان عن الخطاب إلا امرأته كانت من الغابرين
الباقين في العذاب وقال في سورة الحجر إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم
أجمعين إلا امرأته قدرنا والتوفيق بينهما أن يقال إن الحكاية قد تكون على
وجه التفصيل النقل بالعبارة أو بمرادفها وقد يكون على وجه الإجمال والنقل بحاصل
المعنى فالمذكورة من قبيل الثاني والمذكور ههنا من قبيل الأول ثم أخبر عن مصير
الملائكة إلى لوط عليهما السلام بعد مفارقتهم إبراهيم عليه السلام بقوله ولما أن جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وأن صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهما
وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة
عليهم من قومه أن يتناولوهم بالفجور وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم
ذرعه أي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا
رحب الذراع إذا كان مطيقا لما أن الأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله
القصير الذراع وصار ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو منصوب على التمييز وقالوا عطف
على محذوف متفرع على ما تقدم تقديره فكشفوا الحال وقالوا له ذلك لما رأوا فيه
آثار الضجر قالوا وفجأة لا تخف الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر ولا تحزن على
تمكنهم منا لأن انزعاج الخوف والحزن من تلك الجهة بإعلامهم إياه أنهم رسل الله بل على نفسه
وأهله لما علم أن نزولهم لحادثة عظيمة فنفتهم إنا منجوك تعليل لنفي الخوف والحزن
وأهلك نصب بإضمار فعل لأن موضع الكاف جر على المختار فامتنع العطف على محلها باعتبار
الأصل إلا امرأتك كانت أي في قراءة من الغابرين من الباقين في الهلاك إنا
منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لأنه يقلق المعذب من
قولهم ارتجز إذا ارتجس أي اضطرب وقد يستعمل لما تضطرب به النفس بما كانوا يفسقون
بسبب استمرارهم على تجديد الفسق في كل حين ولقد تركنا منها آية بينة هي
آثار منازلهم الخربة وقيل الحجارة الممطورة وقيل الماء الأسود على وجه الأرض لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا أو ببينة وإلى
مدين أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر
بالرجاء أمرهم بالرجاء والمراد اقتضاء ولا يجوز فيه ويجوز أن يكون الرجاء بمعنى الخوف واليوم
مجازيهم بما فيه من الثواب والعقاب ولا تعثوا في الأرض مفسدين وقد سبق تفسيره
فكذبوه فأخذتهم الرجفة هي زلزلة الأرض وصيحة الملائكة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة

اي صيحة جبريل عليه السلام وهي سبب للرجفة فاصبحوا في دارهم في بلدهم او ديارهم على ما ذكر
في سورة هود علي انه اكتفي هنا بالواحد لامن اللبس جاثمين الجاثم البارك على ركبته
مستقبلا بوجهه الارض اي صاروا ميتين على هذه الحال وعادا وثمودا منصوبان بفعل دل عليه
ما قبله اهلكنا وقرئ ثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم ذلك يعني
ما وصفه من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها وكان اهل مكة يمرون عليها في بعض اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان
اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم الصد الصرف عن الخير والابقاء على الضلال عن السنن
ولكن هنا الصرف عن الشر ومنعه عنه عن السبيل المراد المستقيم الذي هداهم اليه
الرسل وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا او متبينين ان
العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان
معطوفة على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين
اخذنا بذنبه عاقبنا بسبب جنايته فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الحاصب ريح تاتي بالحصباء
وهي الحصا الصغار كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا
به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون وقومه وكما قوم نوح عليه السلام
من المذكورين الغرق لا يكون الا في الماء والخسف ولذلك زاد فيه لفظ الارض
وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم وزيادة كان
لبيان انه ليس من عادته ذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني مثل ما اشركوه بالله الاوثان كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا اي كمثل العنكبوت لانه فيه كما ان الطاغوت تقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث اتخذت بيتا اي كمثل العنكبوت فيما نسجته لنفسها من بيت فان ذلك البيت
لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يحمي ما تحمي البيوت فكذلك الاوثان لا تنفعهم في الدنيا
والاخرة ولا وجه للعيب في تفضيل بيتها بالوهن لانه ما له حقيقة وانتفاعا
ما لا ذلك فتسمية التشبيه عكس هذا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فانه ظاهر
ان الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم بما هو مثل عند الناس في الوهن
والضعف لا تشبيه ذواتهم بالعنكبوت لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا
مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون الكلام بعد تشبيه دينهم ببيت العنكبوت

يعني التفضيل ان يكون بين البيوت في الوهن ولا يجد في نفسه ... اوهن منه

على طريق الاستعارة فيراد ببيت العنكبوت دين المشركين وعبادة الاوثان ويكون لو للتمني
صريحة تمثيلية ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل
للكفرة ان الله يعلم ... يدعونه ايا حال على ما قبله وما استفهامية منصوبة
بيدعون ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون
او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائدة المحذوف
والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز
الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه
وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية
كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني المثل المذكور وامثاله
نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها وما يعقل حسنها وفائدتها
الا العالمون الذين يقفون على ان الامثال والتشبيهات انما هي من المعاني المستورة حتى
تبرزها وتصورها للافهام خلق الله السموات والارض بالحق محقا يعني لم يخلقهما باطلا
بل لحكمة وهي ان يكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل عظم قدرته كما اشار
اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين خصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون بها اتل
ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان
القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلاة اي داوم
على اقامتها فانها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قد مر تفسيرهما والنهي مجاز عن
المنع روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام فقال ان صلاته ستنهاه فلم
يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر اي والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات وانما عبر عنها
ليستقل بالتعليل كانه قال والصلاة اكبر لانها ذكر الله او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه
بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح الا الذين ظلموا منهم بالافراط
في الاعتداء والعناد فلم ينفع فيهم الرفق وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلوهم بالسيف وقولوا آمنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم هو من جنس المجادلة بالاحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا

اهل الكتاب ولا تكذبوهم وان كان حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك
ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب مصدقا لكتبهم بان نزل على ما وصف فيها
فالذين آتيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه تفريع على نزول القرآن على ما وصف في كتابهم
وانما قال يؤمنون به دون آمنوا به لان منهم من لم يؤمن بعد ومن هؤلاء من يؤمن به
الاشارة الى اهل مكة او الى عامة العرب او الى من في عهد الرسول من اهل الكتاب لانهم
داخلون فيما تقدم من الاجمال في تخصيصه بمن تقدم عهده عليه السلام لان المتفرع
بآياته وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها ولذلك قال وما يجحد فان الجحد
ليس مطلق الانكار بل الانكار بعد المعرفة الا الكافرون الا الساترون للحق بعد وضوحه
عنادا وما كنت تتلو من قبله من كتاب اي من قبل نزول القرآن عليك فانه يفهم
منه انه عليه السلام كان قادرا على التلاوة والخط بعده من كتاب عربيا كان او عبريا
او سريانيا او فارسيا ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم
الشريفة على من لا يعتاد القراءة والخط خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي
ونفي للتجوز في الاسناد وما فيه من الاطناب المعنوي لافادة ان الكتابة من شرف الصناعات
فلا ينبغي ان تكون بالمبعوث اليها المخصوصة بخصائص الامور على ما اشار اليه النبي عليه
السلام بقوله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اذا تقديره ولو كنت تتلو الكتاب وتخط
اذا لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يقرأ ولا
يكتب وليس به وانما سماهم مبطلين لانهم وجدوا في كتبهم كذلك نعته وقيل اي لو كنت
ممن يخطه ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وفيه ان ذلك الارتياب
لا ينبغي ثم بكونه عليه السلام اميا فان التعلم من الغير لا يتوقف على القراءة والكتابة بل
هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم هما مخصصا بصدور القرآن
كانه آيات بينات للاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب السماوية فانها
لم تكن معجزات في حد ذاتها ونشبهها سائر الامم الا مصاحف في قولهم الذين اوتوا العلم
تشريف للحفاظ وتنبيه على ان حفظه حقيقة انما يكون بالوقوف على معانيه وما يجحد
بآياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل الاعجاز
وقالوا عطف على الا الذين ... لا تعتد بتلك الآيات وقالوا لولا انزل عليه آيات
من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليه السلام قل انما الآيات عند الله

ينزلها كما يشاء واما ما قيل لنا فهلا اتانا بما تقترحونه فلا بيدي الا الانذار لا الاقتراح
ان من الله تعالى لانه عليه السلام وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا التبليغ
المرتب به من الانذار لا الاتيان بما اقترحتموه من الآيات والاقتصار على ذكر الانذار لزيادة
تنبيه بيلغهم النذير وخصوصية الانذار عليه السلام غير منقص على ما ذكر بل التبشير
ايضا من شأنه عليه السلام اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب الكامل في
حقيقته يتلى عليهم بدوام تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية
ثابتة لا تنقضي كما ينقضي كل آية بعد كونها ان في ذلك اي في مثل ذلك الكتاب الذي هو آية موجودة
في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون لمن
همه الايمان دون التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات
او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في
السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل
وهو الذي يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء
ولولا اجل مسمى على مقتضى الحكمة لكل عذاب وقوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب
في الاجل المسمى بغتة فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه فليس وقت بدر به يستعجلونك
بالعذاب اعادة لربط قوله وان جهنم لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يأتيهم او هي كالمحيطة
المآل منزلة المحقق للقطع بوقوعها هذا بحسب النظر الجليل واما الذي يقتضيه النظر
الدقيق فهو انه تعالى ... فالكائنات كلها واقعة في اوقاتها المعينة
بالنظر اليه تعالى فلا يجوز في احد ... بالكافرين اللام للعهد على وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على
حكمهم ولا يقف على الكافرين لان يوم ظرف لاحاطة النار بهم يوم يغشاهم العذاب من
فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وذكر الارجل
للدلالة على ان ذلك للتغشية في حال انقطاعهم ويقول ذوقوا اي يقول الله او بعض الملائكة بامره وقرأ
نافع بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان
ارضي واسعة اي اذا لم تتسهل العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا
الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه ... في قوله فاياي فاعبدون جواب شرط محذوف اذ المعنى
ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط

وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم خوفهم
بقوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت
بالموت سهل عليها مفارقة وطنها ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب ومن
هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم من الثوى وهو النزول للاقامة وثوى
غير متعد فاذا تعدى بزيادة الهمزة لم يتجاوز مفعولا واحدا والوجه في تعديته الى ضمير
المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل
او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله ويوقف على العاملين على ان
الذين صبروا خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى
غير ذلك من المحن والمشاق والوصل اجود ليكون الذين نعتا للعاملين وعلى ربهم يتوكلون
ولا يتوكلون في جميع ذلك الا على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله
لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع
ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم في الكسب سواء في انه لا يرزقها واياكم
الا الله لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من اضعف الدواب
فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة روي انهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة
ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم يعني الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة ليقولن
الله اي هم معترفون بذلك لانه لا يخفى ضعف الممكن ووجوب انتهاء الممكنات الى واحد
واجب الوجود في هذا المطلب فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيده مع اقرارهم بهذا كله
الله يبسط الرزق يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر يضيق لفقد الرزق وضيق اذا
ضيقه له اي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لانه مبهم غير معين فكان الضمير مبهما
مثله وليس المراد من الموسع له والمضيق عليه واحدا باعتبار الوقتين اذ حينئذ يحتمل قوله
ان يصدق باعتبار التعاقب ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم
ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بذلك
يشركون به ما لا يقدر على شيء اصلا قل الحمد لله على هذه النعم العظيمة ان الله
حجة كل شيء بل اكثرهم لا يعقلون فلا يعلمون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان

الشرك

الشرك وصحة التوحيد وكلمة بل اضراب عن جهلهم الخاص في الاتيان بما هو حجة عليهم
يعني انهم مسلوبوا العقول فلا يبعد عنهم مثله وتحول قل الحمد لله معترض وبابي
في سورة لقمان تفسير هذه الآية بوجه آخر وما هذه الحيوة الدنيا الا اشارة تحقير
كيف وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما هي لسرعة زوالها
وعدم النفع فيها الا كما يلهو ويلعب به الصبيان يجتمعون اليه ويبتهجون
به ساعة ثم يتفرقون واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضي وان
الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحيوة الحقيقية لعدم طريان الموت
عليها او كانها في ذاتها حيوة اذ ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة والحيوان مصدر حي
وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهي الحيوة لما في بناء فعلان من
معنى الحركة والاضطراب والحيوة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى
الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختير على الحيوة لان المقام بيان لو كانوا يعلمون
حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو موصلة لسان وصف
الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه
ما قبله من شرح حالهم بطريق الاشارة ولتوجيها مخلوقا اي هم على ما وصفوا به من
الشرك والعناد فاذا ركبوا في البحر دعوا الله في تلك الحالة مخلصين له الدين
حقيقة حيث لا يدعون معه غيره لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فهذا اي الفرق
بين العلم والعمل حقيقة الاخلاص لاضطرارهم وايضا سياق الكلام في تقبيح حالهم وكمال
القبح في انقلابهم عن الاخلاص الى الشرك بعده فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي وكذا في وليتمتعوا
على قراءة الكسائي يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود اليه كافرين بنعمة النجاة متمتعين
باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها ان اللذة لا عبرة على خلاف عادة المخلصين
من المؤمنين فانهم يشكرون نعمة الله تعالى اذا انجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة
الى زيادة الطاعة لا الى التلذذ والتنعم وعلى هذا لا يوقف على يشركون ومن
جعله لام الامر فتمتعوا بامر القول والسكون على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر يحتمل الوقف عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا اي اهل
مكة انا جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا عن النهب والتعدي آمنا يامن داخله عما
كان يحل اهله او من غيرهم من القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا و

قتلا وسبيا إذ كانت العرب حولهم في تغاور وتناهب أفبالباطل أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه إلا الله بالصنم أو الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للمحافظة على الفاصلة أو للاختصاص على طريق المبالغة ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا بأن جعل له شريكا أو قال ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ويجوز هذا القول منهم باعتبار أن التقرب لا يكون إلا بالطاعة فيلزم القول بأن تلك العبادة طاعة أمروا بها وهذا افتراء منهم على الله تعالى ثم إذ افتراه نسبه فإنه لا يخلو عن كذب لكن المفتري قد يكون صادقا والمفتري ههنا وهو كون عبادة الأصنام مرضية لما كان كذبا أكد به قوله كذبا زيادة في تفضيحهم أو كذب بالحق يعني الرسول أو الكتاب وفي لما جاءه تسفيه لهم حيث لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها أي ألا يستوجبون فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو لاجترائهم أي ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجرأة والذين جاهدوا أطلق المجاهدة ليعم كل ما يجب مجاهدته من الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعها فينا في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وإن الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في الدنيا والإثابة والمغفرة في العقبى

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم غلبت في القراءة المشهورة على البناء للمفعول وسيغلبون على البناء للفاعل وقرئ على العكس والإضافة غلبهم في الأولى إلى المفعول وفي الثانية إلى الفاعل في أدنى الأرض أرض العرب لأنها الأرض المعهودة عندهم أي في أدنى أرض العرب منهم أو أرضهم أي في أدنى أرضهم من العرب بينهم أو أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من الإضافة وقيل في أدنى أرضهم إلى عدوهم أما اللام لا على الإضافة فظاهرة من ذكرهم وفي النهاية فالحديث المخلوقية وعن مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وقيل أذرعات وبصرى وهي أدنى أرض الشام من العرب وهم من بعد غلبهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب كالحلب والحلب سيغلبون في بضع سنين البضع ما بين الثلاثة إلى العشرة وفي المجمل ما بين الواحد إلى التسعة روي أنه

لما بلغ مكة خبر غلبة فارس الروم فرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين والمعنى على القراءة الثانية أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة ففتحوا بعض بلادهم لله الأمر من قبل ومن بعد أي من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أي ليس الأمر فيه إلا لله وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف إليه كأنه قيل قبلا وبعدا أي أولا وآخرا ويومئذ ظرف معمول ليفرح والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة أي ويوم إذ يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وغيظ من شمت بهم من كفار مكة ولما ظهر من صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين وقيل وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم تارة من عباده بالنصر عليهم ويتفضل عليهم أخرى بنصرهم إياهم وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن ما تقدمه في معنى الوعد وكذلك له علي ألف درهم عرفا لأنه حقا اعترف له بها اعترافا لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم في الجهل فإنه يتحقق أن يقال فيهم لا يعلمون يعلمون ظاهرا بدل من لا يعلمون وفي هذا الإبدال نكتة للطالب علم البديع إشعار بأن سلب العلم الذي هو الجهل لا يأبى وجود العلم بظاهر أمور الدنيا بل هو هو لا فرق بينهما ظاهرا من الحياة الدنيا فيه إشارة إلى أن للحياة الدنيا ظاهرا وهو ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنا وهو ما يعرفه العقلاء من الاعتبار بها وسرعة انقضائها وكونها مجازا للآخرة يتزود منها بالتقوى والطاعة وتنكير ظاهرا يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا واحدا من ظواهرها وهو التمتع بها بالأكل والشرب كالبهائم لا يجعلونها فائدة ينتفع بها لأمر هام غير مخصوص بها والاستدلال بها على صانعها وكيفية الانتفاع بها لصلاح الدارين فيه ذم لهم بالجهل بليغ وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وعلى كلا الوجهين في توسطه وتكريره إشعار بأنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقتضى أنهم فيها أحق

النهاية فالسكون إليها كأنه لا غافل غيرهم أولم يتفكروا كلام مستأنف وتعجيب منهم
يتفكروا أماخوذ التفكر والواو للعطف على محذوف تقديره أقصروا النظر ولم يتفكروا
وقوله في أنفسهم يجوز أن يكون ظرفا وأن يكون صلة للتفكر وعلى تقدير كونه ظرفا فذكره
به على الأول مع أنه لا يكون إلا في النفس زيادة تصوير لحال المتفكرين ونحوه
كقولك اكتبه بيمينك كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي قلوبهم الفارغة
عن التفكر والتأمل وعلى الثاني معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم
وتتبعوا فيها من عجائب الصنع وبدائع الحكم التي أودعها الله تعالى فيها وفي
إنشائها لا أنها في السن إلى الشيخوخة والضعف وضعف ورقة قابلها ما خلق الله
السموات والأرض وما بينهما متعلق بعلم وحقه أن يحذف والكلام عليه أي فيعلموا
أو يقولوا هذا القول إلا بالحق حال أي إلا ملتبسة بالحق أي بالحكمة البالغة
والعدل والصواب وأجل مسمى أي وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه وهو قيام الساعة
ووقت الحساب والثواب والعقاب أو وهي ملتبسة بالحق وبتقدير أجل مسمى تنتهي ما خلقه إليه
فلا تبقى بعد ذلك وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم أي بلقاء جزائه عند انتهاء الأجل المسمى أو بعد
لكافرون منكرون أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير
لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية
المترتب على تلك السيرة وصف حالهم فقال كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض
وقلبوا وجهها للزرع والبذر واستنباط المياه واستخراج المعادن وغيرها وعمروها
بالاقتصار فيما بين البناء والغرس أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة إياها وفيه تهكم بهم
لأنهم أهل واد غير ذي زرع لا تمام لهم في الأخرى وهم مغترون بالدنيا متفاخرون
بها مع أنهم أضعف حالا فيها إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتصرف في أقطارها بأنواع الآثار وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات أو
الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم فما صح له أن يظلمهم لأنه تعالى
منزه عن الظلم كناية عن عدم كون تدميرهم واستئصالهم ظلما ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون حيث اقترفوا ما أوجب تدميرهم من الكفر والتكذيب والمعاصي ثم كان
عاقبة الذين أساءوا السوأى التي هي أسوأ وهو تأنيث الأسوأ كما أن الحسنى تأنيث
الأحسن أو مصدر كالبشرى نعت بها للمبالغة أي عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت
عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وهي جهنم التي أعدت للكافرين وضع الظاهر موضع

المضمر للدلالة على أن الموجب للعقوبة السوأى إساءتهم المفرطة أن كذبوا بآيات الله علة
أي لأن كذبوا أو بدل من السوأى أو عطف بيان لها أو خبر كان والسوأى مصدر أساءوا أو مفعوله
والمعنى أي اقترفوا الخطيئة السوأى والتهويل فإن يكون كذبوا حينئذ إن كذبوا تفسير
أن هي المفسرة بمعنى أي لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت
في معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبههما ويجوز أن يكون تفسيرا لأساءوا السوأى
أي اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف
يحذف فحذف بلغوها لإرادة الإبهام أي ما لا يحيط به الوصف وقرئ عاقبة بالنصب
على أن الاسم السوأى وأن كذبوا على الوجوه المذكورة وكانوا بها يستهزءون عدل
عن صيغة الماضي للدلالة على استمرار التجدد في الاستهزاء أي
للتكذيب والمحافظة على رؤوس الفواصل الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم
ثم إليه ترجعون للجزاء والالتفات للاستحضار والتنبيه على أنه المقصود وقرئ بالياء على
الأصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فأبلس
إذا سكت وأيس من أن يحتج ومنه ناقة مبلاس إذا لم ترغ وقرئ بفتح اللام من أبلسه
إذا أسكته ولم يكن لهم من شركائهم من الذين أشركوهم بالله وعبدوهم من دونه
شفعاء يجيرونهم من عذاب الله وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بإلهيتهم حين
يئسوا منهم وإنما جيء بلم يكن وكانوا على لفظ الماضي لتحقق وقوعه وقيل كانوا في الدنيا
بسببهم كافرين وزيادة كان للمحافظة على الفاصلة ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون تهويل لحال على ما قدم بعدهما والضمير للخلق أو ضمير يرجعون وإعادة
يوم تقوم الساعة للتهويل فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
الفاء للتفصيل والروضة البستان ذو كلأ ونبات وما يسمى روضة وتنكيرها
للتفخيم والإبهام أي في روضة لا يعرف قدرها ولا يكتنه شأنها يحبرون يسرون من
حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
فأولئك في العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه وفي بناء الإحضار للآلة على إكراههم
يجبرون على الحضور في العذاب وما يعبرون فكذلك لا دلالة على أنهم مقهورون بالطبع
والعادة فلا يكاد بين ما يبشرهم بأنواع السيئات التي لم يمكن الإنسان شيئا في الدنيا فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه بما يتعين طلبا
للخلاص من الدركات إلى الوصول إلى الدرجات كأنه قيل إذا صح وصح عاقبة الفريقين

عن عبادته وطاعته والمقبلين اليها فسبحوا الله تسبيحا دايما وقرى حينا تمسون
وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه وله الحمد في السموات والارض اعتراض
الناطقة فيهما باستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهلهما ووجوبه عليهم وعشيا اي عطف
هنا على تمسون نظايرها لانه لم يصرف من العشي فعل لا يقال اعشي كما يقال امسى واصبح
واظهر وحين تظهرون اي في صورة الاخبار لكن فيه تاكيد بنفس به الله تعالى والثنا
عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها ايات قدرته وتتجدد فيها نعمه وانما خص
التسبيح بطرفي النهار لان اثار القدرة فيهما اظهر والحمد بالعشي والاظهار لان تجدد
النعم فيهما اظهر واكثر والعشي اخر النهار من عشي العين اذا انتقص نورها والظهيرة
وسطه ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراضا وقيل المراد بالتسبيح والتحميد الصلاة في الاوقات المعينة للصلاة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشا
وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولا يلزم منه ان
تكون مدنية لان الخمس بمكة بدل عليه حديث المعراج ولانه بنية يخرج الحي من الميت
الطاير من البيضة والحيوان من النطفة ويخرج الميت من الحي بالعكس ويحيي الارض
باخراج النبات منها بعد موتها يبسها وكذلك مثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور
بالبعث فانه تعقيب الموت بالحيوة واخراج الحي من الميت والمراد ان الابدا والاعادة
متساويان بالنسبة الى قدرة القادر وفي الاخراج والاحيا المذكورين دليل قاطع
على البعث ومن اياته ان خلقكم من تراب لانه اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون
ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لان حوا خلقت من ضلع ادم عليه السلام وسائر النسا خلقن من نطف الرجال او لانهن من
جنسهم لا من جنس اخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوا بها لتسكنوا اليه ان اماله اليه فعنه
السكن وهو الالف والمسكون اليه وذلك لان الالف انما يكون بين المتجانسين لان
الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم بين الرجال والنسا مودة
ورحمة بعصمة الزواج بعدما لم تكن بينهما سابقة معرفة ولا قرابة توجب ذلك التبسط
اما النسب والتربية او لان تعيش الانسان متوقف على التعاون المحوج
الى التوادد والتراحم ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من
الحكم والمصالح ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم العربية والعجمية

وغيرهما بان علم كل صنف واهل كل اقليم وهجانهم والوانكم اشكالكم وهياتكم
من تخاطيط الاعضا والصورة فانه لا يكاد يتفق اثنان في الشكل والهية وعليه ينبني
التعارف المحتاج اليه في ضبط النظام ان في ذلك لايات حيث ولدوا من اب واحد
وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون للعالمين لكل من له عقل من
اهل العالم وقرى بالكسر بترجيحها فانه تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن اياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ظاهر الاية يدل على ان المنام في الليل
والنهار وابتغا الفضل فيهما وهو معنى صحيح فان المنام في النهار الصيفية الطويلة هو
القيلولة المستحبة في السنة لاستراحة القوى النفسانية وانتعاش القوى الطبيعية
وكذلك ابتغا الفضل في الليالي الشتوية من المباحات لقصر النهار وقصوره عن قضا
المارب ويجوز ان يكون منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فيعمل من التوقيف
بالزمانين اشعارا بان كل واحد من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة
ويؤيده الاختصاص تكرير هذا المعنى في القران ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
بل كون المخصوص لان المنام الذي هو يشبه الموت والابتعاث المشاهد سماع من الحيرة كما في
حق الاعمى والثاني منتفيا لا يبقى عبرة عن غير ذكرها الا لله لانه وهذا من جنس
لطايف لا غير فانه لا يعني ... لا الاحيا ومن اياته يريكم البرق من اياته
خبر مبتدا محذوف اي من اياته ما يذكرونه ويتلى عليكم فقيل يريكم البرق خوفا امابيان
لذلك او يريكم مبتدا على حذف ان ورفع الفعل كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
او تنزيل الفعل منزلة المصدر المرفوع اي ومن اياته اراءتكم البرق كقوله •
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه • او صفة لمحذوف تقديره اية يريكم بها البرق كقوله •
فما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح •
اي تارة اموت فيها خوفا من الصاعقة وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر
ونصبهما على المفعول له وانما جاز مع انهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل لانه الارادة
مستلزمة للرؤية او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي ارادة خوف وطمع
او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال
اي خايفين وطامعين وينزل من السما ما فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها وقد
سبق وجه الفا التعقيبية بين الاماتة والاحيا في تفسير سورة النحل ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة

مطلب

الصانع وحكمته ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره أي بقوله كونا قائمتين والمراد
تعلق إرادته بقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس تشبيها في قيامهما في حيزهما
المعينين من غير مقيم محسوس على وفق إرادته للمأمور المطيع الممتثل أمر الآمر المطاع بلا توقف وتنبيه
لبيان كمال قدرته ونفاذ أمره وعدم تخلفها عن إرادته وكذا في قوله ثم إذا دعاكم
دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون شبه الموتى بالمأمور المطيع لخصوصيته بخروجهم على
دعائه من غير توقف عطف على أن تقوم على تأويل مفرد كأنه قال ومن آياته قيامهما ثم خروج
من الأرض بسرعة إذا دعاكم دعوة فقال أيها الموتى اخرجوا ثم تنبيها للخلق على
الحالة من قيام السموات والأرض بأمره ومن خروج الموتى من الأرض بمجرد دعوة
وكلمة إذا الأولى شرطية والثانية للمفاجأة وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط ومن
الأرض متعلق بدعاكم لا بتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله وله من في السموات
والأرض فلم يبق ما يتعلق به في مثل هذا المقام كل له قانتون منقادون لوجود
أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو أي
الإعادة وتذكيره لمطابقة أهون أو على تأويل أن يعيد أهون عليه أي أسهل عليه من
الإنشاء بالنسبة إلى عقولكم والقياس على أصولكم وإلا فجميع الممكنات بالنسبة إلى قدرته
سواء والإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء ولما قصدت الصلة
في قوله هو علي هين لقصد الاختصاص ولا وجه له فلذلك أخرت وقيل الضمير في عليه
للخلق أي الإعادة أهون على الخلق لأنه وجد دفعة على التمام وأما الإنشاء فهو وجود
متدرج من النقصان إلى الكمال فعليه فيه مشقة وله المثل الأعلى في السموات
والأرض أي الوصف العجيب الشأن الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه كالقدرة الكاملة
والحكمة البالغة يصفه به ما في السموات والأرض دلالة ونطقا وهو العزيز القوي القادر
المطلق على بدء كل ممكن وإعادته ولا يعجز عن شيء لا يمتنع عليه الحكيم الذي يجري شؤونه
وأفعاله على مقتضى الحكمة ضرب لكم مثلا في التوحيد من أنفسكم أي منتزعا من أحوالها التي
هي أقرب إليكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم
من الأموال التي رزقناكم أي هل ترضون لأن تشارككم عبيدكم فيما رزقناكم
من الأموال وهم بشر مثلكم وأنتم عبيد مثلهم فأنتم فيه سواء فتكونون أنتم وهم سواء
في التصرف فيها من غير فرق ومن الأولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة
لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي لأنه الإنكاري تخافونهم تستبدوا بالتصرف

كخيفتكم أنفسكم كما يخاف بعض الأحرار بعضا إذا اشتركوا في ميراث أو مال مشترك
أن يحل أو يحرم دونه أو يستقل بتدبيره والتصرف فيه أو يخافون أن تستبدوا بتصرف دونهم
كمخافة بعض الأحرار بعضا فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم وأنتم وعبيدكم سواء في البشرية
فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الملك العبيد والأحرار أن يكون بعض عبيده له شركاء
كذلك أي مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات أي نبينها فإن التمثيل مما يكشف المعاني
ويوضحها تصويرا وتمكينا لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال
بل اتبع أي أعرض عن تبصير المشركين وجهالتهم وآيات الله هم لا يهتدي عليهم شيئا اتبع
التفات من الخطاب إلى الغيبة للإعراض والمتاركة الذين ظلموا بالشرك لقوله
تعالى إن الشرك لظلم عظيم أهواءهم بغير علم شأن الأهواء فيهم به لأن العالم إذا
ركب الهوى ربما يمنعه علمه وأما الجاهل فهيهات لا يردعه شيء فمن يهدي من أضل
الله فمن يقدر أن يهدي من أضل الله وخذله والهمزة في مثله للتنبيه والاستفهام للإنكار
أي لا أحد اتبع الظالمون أهواءهم جاهلين لا رادع لهم فلا يبعد أن لا أحد يهديهم وما لهم
من ناصرين يخلصونهم من ضلالتهم ويمنعونهم تبعاتها الذين ظلموا ومن أهل العصيان
موضع الضمير في الأول للتنصيص عليهم بالظلم والتعليل لاتباع الهوى والثاني للتعليل
لامتناع قبول الهداية فأقم وجهك للدين تمثيل للإقبال عليه والاستقبال إليه بحال
من قصد شيئا غير ملتفت عن يمينه يمينا وشمالا أي قوم وجهك له وعلم التوجيه بجرده
عنه إضلالا وكناية عن كمال الاهتمام فإن من اهتم بالشيء غاية الاهتمام عقد طرفه عليه وسدد
نظره إليه وقوم وجهه مقبلا عليه بكليته والفاء للسببية أي إذا لم يخص هداه بك فأقم
فأقم وجهك للدين والزموه حنيفا حال من ضمير أقم أو من الدين فطرة الله نصب على
الإغراء أي الزموا فطرة الله والإفراد على خطاب الجماعة لقوله منيبين فإنه حال من
ضمير الفاعل المقدر في قوله فأقم وأنيبوا وأقيموا أو الأكثر لأنه عطف على المقدر أو المصدر لما دل
الفطرة التي فيه وحق صفتها بعلم التي فطر الناس عليها للاختصاص والتعظيم فإنه
لا ينبغي أن تبدل أو تغير ولا يبعد لاختلاف تغيير ما خصها لاطلاع المشركين وحمايتها أن
ترحل فإني لا يمكن تغييره وتبديله للتأكيد والتعزير بقوله لا تبديل لخلق الله ففيه
دلالة على أن المراد من الفطرة الخلقة وهي الحالة التي جبلوا عليها من قبولهم التوحيد
ودين الإسلام وتمكنهم منه وتركه غير مستحيل ولو جبلوا عليه لاختاروا عليه دينا آخر
وشهدت عقولهم الفطرية به ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس وقد أفصح

عن هذا قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم
أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه
اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه أو المراد بالفطرة بمنزلة الاسلام فيكون معنى
لا تبديل لا ينبغي أن يبدل ... وحمل الخطاب وللامة جمع لأن خطاب الرسول خطاب لامته
فأفرد تعظيما للآمر ثم جمع لأن الخطاب للنبي ... الذين لهم الاصالة ...
ذلك إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له الدين القيم المستوي الذي لا عوج
فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين إليه أي
راجعين إليه تعالى بالتوبة وإخلاص العمل ومستعلين عليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى
والمراد بين التكرار المبالغة في الرجوع إلى الرجوع لا الانقطاع عن الهوى أو نصيب النية
على جعل التوبة تكون بعد أولى وجعل الإنابة لا الانقطاع إلى الله تعالى بالطاعة وطلبه
على هذا النظم ومنه الناب لأنه قاطع واتقوه وأقيموا الصلاة وخصها بالذكر لأنها
عماد الدين ولا تكونوا من المشركين ممن يشرك به غيره في العبادة وفيه تهييج على الرياء في
الصلاة فإنه شرك خفي من الذين بدل من المشركين فرقوا دينهم تركوا دين الإسلام وإنما
عبر عن تركه بالمفارقة لما عرفت أنهم جبلوا على قبوله فنزل قبولهم منزلة فعله مبالغة في
قبولهم إياه وقرئ فرقوا دينهم أي جعلوا أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم وكانوا شيعا
شايع كل فرقة إمامها الذي أضلها والشيع الفرق التي يجتمع كل فريق منها على مذهب خلاف
مذهب الفريق الآخر كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون يحسبون أنه الحق والجملة
في محل النصب صفة شيعا أو كل حزب مبتدأ خبره الذي فارقوا دينهم منقطعا عما قبله
وفرحون صفة كل وإذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين إليه راجعين
إليه من دعاء غيره ثم إذا أذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة إذا فريق منهم
بربهم يشركون فاجأ فريق منهم بالإشراك بربهم الذي عافاهم وفي عبارة ثم ولفظ
إذا فيهم إشارة إلى أنهم مع اشتداد حاجتهم وتأخرهم منها في الغاية يشركون كأنهم
طلبهم الخلاص منها ليكفروا بما آتيناهم اللام للعاقبة وقيل هي لأمر التهديد
فتمتعوا على الأول أمر التهديد كقوله اعملوا ما شئتم والفاء للسببية على تقدير
شرط محذوف أي إذا أصررتم على الشرك وتماديتم في الكفر فتمتعوا وعلى الثاني عطف
على ليكفروا لا التفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في التهديد فسوف تعلمون
وبال تمتعكم أم أنزلنا أم منقطعة بمعنى بل والهمزة بل للإضراب عن الكلام السابق والهمزة للإنكار

من الحجة استفهام إنكار وتوبيخ عليهم سلطانا التنكير للتعظيم وعلى استعارة الدلالة على
أن ما يتعلق بمثل هذا الأمر حقه أن يكون برهانا عظيما لا نحو الدلالة وهذا على
من دلالة الآية الواضحة بالنطق في قوله فهو يتكلم مجاز في التفريع نوعا التوصيف بما كانوا
به يشركون بالأمر الذي بسببه يشركون به تعالى في ألوهيته وإذا أذقنا الناس
رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وإن تصبهم سيئة بما قدمت
أيديهم أي بشؤم معاصيهم إذا هم يقنطون فقنطوا من رحمته بالكلية وإنما جيء بصيغة
المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقنوط وتنبيها على أن
ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا وإذا المفاجأة جواب الشرط ما تبعها الفاء لتآخيهما في
التعقيب ثم أنكر عليهم بطرهم وقنوطهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض
فما لهم لا يشكرونه على نعمته ولا يرجعون إليه تائبين عن معصيته كالمؤمنين حتى يعيد
عليهم نعمته ويبسط عليهم نعمته وهذا ما أراد بقوله أولم يروا أن الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر عبارة ... إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون
بها على كمال القدرة والحكمة لأنه يرجعهم إلى البطر والقنوط وتعلق الشيء بأسبابه بحكم الله
والتحرز عنهم على ما يجب أن يفعل فيما لا سبيل ... السببية ...
فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل إذا فرج عن الأخير ثم بالنصب المبني
لهما بالزكاة وجبا أن يقضي حق الأول بالنفقة الواجبة ... الخطاب الأمر
والندب معا في استعمال الجلد ولهذا احتج أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم
إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وخصها الشافعي في وجوبها بالوالدين والأولاد
وقاسهما القرابات على بني الأعمام لا ولادتهم ذلك خير للذين يريدون وجه
الله أي يقصدون بمعروفهم إياه خالصا وأولئك هم المفلحون حيث حصلوا
بما بسط لهم من زخارف الدنيا النعيم المقيم في العقبى وما آتيتم من ربا زيادة
محرمة في المعاملة وقرئ بالقصر أي ما جئتم به من إعطاء ربا ليربوا في أموال الناس
ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو ولا يبارك فيه وقرئ
لتربوا أي لتزيدوا أو لتصيروا ذوي ربا وقيل هو من الربا الحلال أي وما تعطونه
من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربو عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فأولئك
هم المضعفون المضعفة ذوي الأضعاف من الثواب ونظير المقوي والموسر لذي القوة والميسرة

بفتح العين والراجع منه محذوف إن كانت ما موصولة تقديره المضعفون به أو فمؤتوه
أولئك هم المضعفون وذوو الأضعاف من الثواب والذين ضعفوا أموالهم ببركة الزكاة
وفيه التفات حسن للتعظيم كأنه قال للملائكة وخواص خلقه تعريفاً لحالهم فأولئك
الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم
المضعفون وتغيير العبارة والنظم عن سنن المقابلة للمبالغة في المدح أو للتعميم
أي فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون فيكون إثباتاً بطريق برهاني الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء أي الله الذي خلقكم
خبره أو صفة والخبر هل من شركائكم والرابط للجملة بالمبتدأ ذلكم لأن معناه من أفعاله
ومن الأولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة لاستغراق
النفي وكل منهما مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء وتجهيل عبدتها فإن معنى الاستفهام
الإنكار المستلزم للنفي على سبيل التأكيد أثبت الله تعالى لذاته الأفعال التي هي من لوازم
الألوهية وخواصها ونفاها عن شركائهم من الأصنام وغيرها مما دل عليه البرهان
ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك أنه منزه أن يكون له شركاء سبحانه وتعالى عما
يشركون قيل كلما لا يجيبون عما سئلوا عنه عجزاً قال أم شيئاً ذا سلطانه إلى آخره ظهر الفساد في
البر والبحر مثل الموتان في الناس والدواب والحيتان والقحط وكثرة الحرق والغرق وقلة
الريع في النيل وخيبة الصيادين والغاصة ومحق أرزاق التجار واحتباس الأمطار ومحق
البركات وضعف الأقوات بما كسبت أيدي الناس بشؤم معاصيهم وقد نوزع في كون الفساد
في البر قتل قابيل بن آدم أخاه وفي البحر أن جلندى يأخذ كل سفينة غصباً وعن الحسن
أن المراد بالبحر المدن والقرى التي على شاطئه ليذيقهم بعض الذي عملوا أي ذلك
بأنه في الدنيا قبل جزائه الموعود في الآخرة وما كان مما في الدنيا موجب ما عملوا
ومقتضى شأن ذلك الفعل أن يترك واللام للعلة الشرعية مجازاً لترتب المسبب على السبب
لعلهم يرجعون لإرادة الرجوع عما هم عليه قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبل أمرهم بالسير في الأرض والنظر في آثار من أهلكه الله تعالى من الأمم
قبلهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان أكثرهم
مشركين استئناف للدلالة على أن ما أصابهم من الهلاك بسبب شركهم والمعاصي ولم يكن إلا
بسبب تدميراً للكل فأقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يأتيه
عوج يقيني قد بلغ لأنه لا تعرض عنه إلا أن تقصد أنت الطريق الذي

[illegible]

يوصلك إلى الدين المستقيم وهو ما تقدم ذكره فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين
القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يوماً فإن الله لا يرده ولا يقدر أحد أن يرده
يوم لا راد له من جهة الله أي لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه يومئذ
يصدعون يتصدعون أي يتفرقون تفرق الأشخاص إلى ما ورد في قوله تعالى يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث والفرق الفريقين كما قال فريق في الجنة وفريق في
السعير فإن المبالغة في التفرق المستفاد من يصدعون إنما يناسب الأول وأما تفاوتهم
شأنهم في تلك الحال فكأنه قيل كيف حالهم فقيل من كفر فعليه كفره
أي وبال كفره مبالغة في إحاطة جميع المضار به لأن مضرة الكفر ووباله غاية في المضار الأول
لها وهي خلاصة النار به ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون أي يسوون منازل في الجنة
أو نعيم ولا أحب الراحة فيه وهو تمثيل لحالهم بحال من يمهد فراشه ويوطئه لينتفع في
غاية النعومة بحيث لا يصيبه في مرقده ما ينغصه عليه ... تقديم الظرف
في الموضعين للاختصاص وصيغة الإفراد في الكافر لأن المعنى في تعاديه في زمان
... قاله وأنا الوحشة ثمة أخرى وصيغة الجمع في المؤمن لأنه لا تنافي بين كونهم
لا ... على ثوابهم الجزيل والعاقبة منها بأن من كفر ومن عمل صالحاً تنبيه على أن العمل الصالح
من نوافل الإيمان لا يوجد مع الكفر وأما إن العمل الصالح كأنه عن الإيمان لم يبق قسم
مجهول الحال ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله بما يتفضل عليهم
لأن الثواب من الفضل والعقاب من العدل وقوله ليجزي تعليل ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء عن جزاء الكافرين بفحوى قوله
إنه لا يحب الكافرين وتوصيف المؤمنين بالعمل الصالح يشير للتخصيص بل للتنبيه
على أن الإيمان الحقيقي أنه يستتبع العمل الصالح أو يحمله عليه والموصول مع صلته
من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتصريح بالتكرير للمدح والإشعار بأنه هو الموجب لكونه
للاستحقاق والترغيب في الإيمان والصالح وكذا أنه لا يحب الكافرين بعد قوله
من كفر فعليه كفره فإنه تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس أي يثير الأول الثاني وحكمه
مع ذلك أن قوله ليجزي الذين آمنوا إلى آخره يدل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء الكريم
على أنهم أهل الولاية والزلفى وقوله إنه لا يحب الكافرين يدل على الاختصاص بمفهومه
على أن عدم المحبة كناية عن البغض وعلى أن مقتضى الجزاء لأضدادهم موقوف على محبة
المؤمنين ومن آياته أي ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن يرسل الرياح هي الجنوب والشمال

والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها
رياحاً ولا تجعلها ريحاً وذلك لأن العرب تقول لا تلقح السحاب إلا من رياح مختلفة
يريد اجعلها لقاحاً للسحاب ولا تجعلها عذاباً وتحقيق ذلك أن مجيء الجمع في آيات الرحمة
والواحد في قصص العذاب وقرئ الريح على إرادة الجنس عدد الفوائد في إرسالها
فقال **مبشرات** أي أرسلها للبشارة بالغيث **وليذيقكم من رحمته** ولإذاقة الرحمة
وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي هو مع هبوب الريح
وزكاء الأرض وغير ذلك عطف على علة أو على شيء محذوف دل عليها مبشرات أو لعلتها
باعتبار المعنى لأنه في معنى التعليل كأنه قال ليبشركم وليذيقكم أو متعلق بمحذوف
عليه الدليل تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها **ولتجري الفلك** عند هبوبها
بأمره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر **ولعلكم تشكرون** ولتشكروا نعمة الله فيها **ولقد**
أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات لما وسط بينها لأدلة التوحيد تسلية
للرسول عليه السلام ووعد له اقتصر كلامه بإدراج ذكر الفريقين في حيز الانتصار
والنصر تعريضاً بالمقصود وفصل للطريقة والحق فجاؤوهم بالبينات فمنهم من آمن ومنهم من كفر
فانتقمنا في الدنيا **من الذين أجرموا** أي كفروا بالتدمير **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**
إشعار بأن الانتقام من المجرمين كان لأجلهم وتعظيمهم وإظهار لكرامتهم عند الله تعالى في
أن جعلهم مستحقين على الله بأن ينصرهم مستوجبين لأن يظهرهم على عدوهم ولذلك قدم
الخبر على الاسم اعتناء بهم وبحقية نصرهم وقد يوقف على حقاً على أن اسم كان ضمير الانتقام
ويبتدأ علينا نصر المؤمنين إكفاء بتحقق كعلينا **الله الذي يرسل الرياح فتثير**
سحاباً فيبسطه في السماء أي يجعله متصلاً تارة في الجو **كيف يشاء** سائراً وواقفاً مطبقاً
أو غير مطبق من جانب نحو جانب إلى غير ذلك **ويجعله كسفاً** قطعاً تارة أخرى وقرئ بالسكون
على أنه مخفف أو جمع كسفة أو مصدر وصف به والمراد بالسماء جهة العلو **فترى**
الودق المطر **يخرج** في التارتين **من خلاله** وسطه **فإذا أصاب به** بالودق **من يشاء من عباده**
يريد إصابته بلادهم وأراضيهم **إذا هم يستبشرون** لمجيء الخصب **وإن كانوا** إن هي المخففة
من الثقيلة واللام في ليغنيهم الفارقة بينها وبين النافية **من قبل أن ينزل** المطر
عليهم من قبله تكرير للتأكيد كقوله فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها والدلالة
بعد عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وتمادي إبلاسهم ليفيد أن فرحهم في استبشارهم بعد ما
الفرح بنزوله على قدر اغتمامهم بانقطاعه وتقويته معنى التأكيد واللام في **لمبلسين**

أي آيسين متحيرين في الغم مستغمين وكذلك معنى السببية في **فانظر إلى آثار رحمت**
الله من النبات والأشجار وأنواع الثمار وغير ذلك أي إذا كان كل الاستبشار في نزول
رحمة الغيث في إحيائه فانظر إلى آثار رحمته كيف هي واعتبر والضمير في فانظر لكل مخاطب
كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى أي إن ذلك القادر الذي يحيي
الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وإنما أسند لأن الإحياء الموات
على إحياء الأموات وفي إن واللام تأكيد وتقوية للدليل في مقابلة إنكارهم ثم قرر ذلك وقوى
بيّنه بقوله **وهو على كل شيء قدير** لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على السواء **ولئن أرسلنا**
ريحاً فرأوه أي فرأوا أثر رحمة الله لأن الرحمة الغيث وأثره النبات **مصفراً** يابساً جافاً
لأنه إذا ابيض اصفر وقيل الضمير للسحاب لأنه إذا كان مصفراً لم يمطر واللام موطئة للقسم
دخلت على حرف الشرط وقوله **لظلوا من بعده يكفرون** جواب سد مسد جزاء الشرط ومعناه
ولذلك فسر بالاستقبال أي ليظلن من بعد اصفراره يكفرون نعمه وهذه الآيات ناعية
على الكفار بقلة تثبتهم وسرعة تزلزلهم لعدم تدبرهم وسوء رأيهم فإن النظر السوي
يقتضي أن يتوكلوا على الله في الأحوال كلها ولا يستبطئوا فيكفروا نعمه عند الشدة والرخاء
ويصبروا عند الضيق والبلاء ولا يكفروا نعمه في السراء والضراء ويرضوا بما جرى به القضاء
فيفضل تعالى في البلاء بالنعماء والعافية **فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء**
للتشبيه أي إذا كفروا فلم يتنبهوا بهذه الآيات الواضحة لعدم استماعهم فهم موتى وصم
عمي فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم ولا تهدي العمي وتقييد الحكم بقوله **إذا ولوا**
مدبرين للمبالغة في غفلتهم وتماديهم في جهلهم وعدم سمع الدعوة فيهم فإن الأصم إذا
لم يسمع ما كان مقبلاً فربما يفهم بالإشارات والحركات وأما إذا كان مدبراً فلا إمكان لتفهيمه
وتفهيمه **وما أنت بهادي العمي** إنما عدل هنا عن صيغة الفعل إلى صيغة اسم الفاعل لأن الاسم
يدل على الثبات والدوام ولذلك تضمن معنى الإذهاب فقال **عن ضلالتهم** يقال هداه
عن الضلالة أي أبعده عنها بالهدى وقرئ وما أنت تهدي العمي فقط اكتفاء بما في قوله
عن ضلالتهم من الدلالة على الحال دون هدايتها بدليل الرشاد **إن تسمع إلا من يؤمن**
بآياتنا فإنهم إنما يدعوهم إلى سماع اللفظ وتدبر المعنى فهم مستعدون لما يأمر
به **فهم مسلمون** منقادون لأوامره تعالى **الله الذي خلقكم من ضعف**
ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم وما عليه بنيتكم الضعف كقوله خلق الإنسان من عجل
وذلك لأن الحال الطفولية والصبا وقرئ ضعف بالفتح والضم وهما لغتان كالفقر والفقر

والضم اقوى لقراءة ما روي ان ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضُعف بالضم ثم جعل من بعد ضعف قوة وهي
حال الشبيبة من اوان البلوغ الى زمان الكهولة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
ثم نرد كما الى الضعف والشيخوخة وزيادة قوله وشيبة للتنبيه على ان المراد التبدل بحسب
السن فقيه رفع لذهاب الوهم الى ان المراد بالجعل الاول الخلق من النطفة ومن الثاني نفخ
الروح في البدن والتنكير مع التكرير لان المتأخر غير المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف
وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان هذه الانتقالات في الاحوال المختلفة دالة
على انه تعالى يخلق على مقتضى المشيئة والعلم والقدرة لان التغير من صورة الى صورة
والترديد من حالة الى حالة مع امكان خلافه لا بد له من دليل على الارادة المبنية على العلم
والحكمة المقتضية الى القدرة ويوم تقوم الساعة الساعة القيمة من الاسماء الغالبة
كالنجم للثريا والكوكب للزهرة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من الدنيا وقيل لانها
تقع بغتة كما تقول لمن يستعجل في ساعة يقسم المجرمون يحلفون كما قرفوا ما لبثوا في
الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا
والبعث اربعون وهو محتمل الساعات والايام والاعوام غير ساعة الظاهر من القسم
انما ذكروه على زعمهم لنسيانهم لانهم استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم لان
ذلك القول منهم قبل التخلص في زمان عذاب الآخرة والوقوف على مدتها فلا وجه
اليها كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا
عن الصدق الى الكذب ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وقال
الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس والجن لقد لبثتم في كتاب الله في
كتبه واوجبه لكم على ان في للتعليل كما في قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار في
هرة حبستها الى يوم البعث ردوا بها ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم
وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقوله فهذا يوم البعث اي فقد تبين
بطلان قولكم والفاء فصيحة وهي جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث
فهذا يومه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر فيومئذ لا ينفع الذين
ظلموا معذرتهم وقرئ بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل
بينهما ولا هم يستعتبون لا يستعتبون الاستعتاب الاسترضاء يقال استعتبني فلان فاعتبته اي
ازلت عتبه وارضيته والمعنى لا يطلب منهم ان يستعتبوا ربهم بالتوبة والطاعة لا طلبه منهم

في الدنيا لانها ليست لهم استرضوا ربكم ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل ولقد بينا كل امر من اصول الدين والتوحيد واحوال الآخرة في هذا القرآن البليغ
او وصفناهم بكل صفة هي في الغرابة كالمثل بصفة المبعوثين واحوالهم ومقالهم
وعلمهم فما يغني معذرتهم وتوبتهم واستعتابهم ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا
ان انتم الا مبطلون ولكن لقسوة قلوبهم واختلاف مشاربهم لئن جئتهم باية عظيمة لتسميتهم
ومن معك من المؤمنين الى الزور ونسبته للابطال والذين كفروا في موضع مضمر لتصميم التصريح
بكفرهم ذما وبيانا ان الكفر هو الموجب للعناد والانكار ونسبة الحق الى التزوير والابطال
كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون من لا يطلب العلم
ويتحرى الجهل اي الذين لا علم لهم ولا يطلبونه ويصرون على معتقداتهم الباطلة حتى
طبع على قلوبهم وران بسبب الجهل المركب المانع عن ادراك الحق ومعرفة الحق والعافية في
فاصبر للتسبيبة على تقدير شرط اي واذا علمت حالهم وطبع الله على قلوبهم فاصبر على اذاهم
ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون ولا يحملنك على الخفة والقلق قولهم الجهلة فانهم قوم شاكون
ضالون لا تستغرب منهم ذلك وقرئ لا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتنونك
فيكونوا احق بك من المؤمنين ● سورة لقمان ●

بسم الله الرحمن الرحيم ●

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في سورة يونس عليه السلام هدى ورحمة
حالان من الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر بعد
خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين الجامعين بين العلم والعمل وخص له الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيانه كما قال الالمعي الذي
يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا او للذين يعملون الحسنات كلها وتخصيص
القائمين بهذه الثلاثة بالذكر لاناقتها وفضل الاعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد
ولما حيل بينه وبين غيره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
سبق تفسيره في سورة البقرة ومن الناس من يشتري لهو الحديث نزلت في النضر بن الحارث
وكان يشتري اخبار الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد
وثمود فانا احدثكم بطرف من احاديث رستم واسفنديار فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القرآن وقيل كان يشتري القينات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه بتغنيهن

بالهو واللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لا اصل
لها والغناء والاشتراء من الشرى كما روي عن النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي
استبدلوه منه واختاروه عليه والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر
او الاعم منه على الثاني بمعنى التبعيض باعتبار ان بينهما عموما وخصوصا من وجه ولكن
لا يكون من مقتضى الاضافة **ليضل عن سبيل الله** اي عن دينه او عن قراءة القرآن
وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت على الضلال عن الدين ويزيد فيه **بغير علم** بحال ما يشتريه
او بالتجارة حيث استبدل الباطل بالحق والضلالة بالهدى حال من الضمير في يشتري اي
جاهلا والضمير في **ويتخذها** للسبيل لانها مؤنثة **هزوا** وقرئ ويتخذها بالنصب عطفا
على ليضل **اولئك لهم عذاب مهين** لاهانتهم الحق باستيثارهم الباطل عليه **واذا تتلى
عليه آياتنا ولى مستكبرا** متكبرا لا يعبأ بها **كأن لم يسمعها** مشبها حاله في عدم التفاته
اليها حال من لم يسمعها **كأن في اذنيه وقرا** ثقلا لا يقدر ان يسمع كأن مخففة من الثقيلة
اسمها ضمير الشأن محذوف اصلها كأنه لم يسمعها حالية وكذا الثانية حال من ولى او من ضمير
مستكبرا وكان بدلا من الاولى او حالا من ضمير لم يسمعها [illegible]
جملتين مستأنفتين **فبشره بعذاب اليم** [illegible] **ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات النعيم** لتعميم جنس الجنات الثمانية كالفردوس والعدن [illegible]
التفضيل في سورة [illegible] والنعيم عن جنة والاضافة للجنات المبالغة **خالدين فيها** حال من
الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام من معنى الاستقرار **وعد الله حقا** مصدران
مؤكدان الاول لنفسه لان لهم جنات النعيم في معنى وعدهم بها [illegible] الثاني
لغيره لان معناه الصدق والثابت على كل واحد كذلك **وهو العزيز** القوي الذي لا يغلبه
احد فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة
خلق السموات بغير عمد ترونها تقدم في تفسير سورة الرعد **والقى في الارض
رواسي** جبالا شوامخ **ان تميد بكم** لئلا تضطرب بكم فيما بيننا به اجراؤها يقتضي تبدل الاحياز
والاوضاع [illegible] **وبث
فيها من كل دابة وانزلنا** [illegible] في نحو البلاغة لان ذا [illegible] الامور العظام
خاصة [illegible] موضوع للتنبيه والايقاظ للعبادة
والشكر على النعمة والاعراض عن الشرك **من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم**
صنف كثير المنفعة [illegible] على كمال قدرته وحكمته على الوجه [illegible]

والحجاج فيه للعبودية ثم تبكيتهم بقوله **هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من
دونه** اي مما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة فماذا [illegible]
ما الابتداء وخبره ذا بصلته [illegible] ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل
عليهم بالظلم والتورط في ضلال ليس بعده ضلال فقال **بل الظالمون في ضلال مبين**
ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم **ولقد آتينا لقمان
الحكمة** المشهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة [illegible] الكمال العلمي مع العملي اي العلم
بحقائق الاشياء على ما هي عليه والحكمة [illegible] على الافعال الفاضلة **ان اشكر لله** اي
المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول [illegible] الحكمة بالشكر تنبيها على ان الحكمة المعتد
بها هي المقتضية للاعمال الصالحة والشكر لله تعالى هو العبادة **ومن يشكر فانما يشكر لنفسه**
لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها **ومن كفر** فحقه جزاؤه وهو
[illegible] لا يتعدى عنها [illegible]
وهو قوله **فان الله غني** عن الشكر لا ينتفع بوجوده ولا يتضرر بعدمه **حميد** بذاته
حقيق بان يحمد وان لم يحمد [illegible] بلسان الحال وهو نطق
من لسان المقال **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني** [illegible] **لا تشرك
بالله** [illegible] **ان الشرك لظلم
عظيم** [illegible] **ووصينا الانسان بوالديه**
الى قوله [illegible] تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك
فذكر [illegible] الوالدين [illegible]
بتعظيمهما [illegible] في وجوب الشكر والطاعة لهما الا في
الشرك [illegible] في الدنيا بالمعروف [illegible]
بغيرها **حملته امه** [illegible]
[illegible]
التعليم [illegible] قال النبي عليه السلام [illegible] ثم قال بعد
الثالثة [illegible] **وهنا** [illegible]
[illegible] **على وهن** اي تضعف ضعفا فوق ضعف [illegible]
[illegible] **وفصاله في عامين** [illegible]
وكانت ترضعه في تلك المدة [illegible]

أن اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا والحملان معترضتان بين المفسر والمفسر
او بدل من والديه بدل الاشتمال إلي المصير هو ترغيب وترهيب وإن جاهداك على أن
تشرك بي ما ليس لك به علم أي باستحقاقه للاشتراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم نفي المعلوم
اي ان تشرك بي ما ليس بشي كقوله ما تدعون من دونه من شي فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما
في الدنيا معروفا صفة مصدر محذوف اي صحابا معروفا او مصاحبا معروفا بخلق حسن وبر
واحتمال وصلة وحلم وغير ذلك مما يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من
اناب إلي في سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه ثم إلي مرجعكم اي مرجعك
ومرجعهما فأنبئكم بما كنتم تعملون فأجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما روي
انها نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لم تطعم
ولا تشرب حتى شجروا فاها بالعود وكذلك لما قيل ما يليه تعالى ابو بكر رضي الله عنه فانه
اسلم بدعوته يا بني انها إن تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان
ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل والمثقال ما يساوي غيره في الوزن وقرئ نافع مثقال
بالرفع على ان الضمير للقصة وكان تامة وتأنيث المثقال لاضافته إلى الحبة او لأن المراد به
الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الأرض في اخفى موضع واحرزه كجوف صخرة
او مكان كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر
يكن اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها يوم القيمة فيحاسب بها عاملها إن
الله لطيف يصل علمه في البواطن فيصل الى كل خفي خبير بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها
خبير بمستقرها يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك
واصبر على ما اصابك من الشدائد لا سيما في ذلك إن ذلك اشارة الى الصبر او الى ما
كلف به من عزم الامور مما عزمه الله تعالى من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام مصدر اطلق
للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد والمعنى من عازمات
الامور ولا تصعر خدك لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء
يصيب البعير فيلوي عنقه للناس اي لاجلهم او فعل عن الناس لا ان المعنى ما يكون تصعير
للناس وتحقيرا لهم لا الميل عنهم مطلقا فانه اذا كان لامر آخر يكون مستحبا ولا تمش في
الارض مرحا مصدر وقع موقع الحال اي فرحا او مصدر محذوف الفعل اي تمرح مرحا او مفعول
له اي للمرح يعني لاجل البطر والبطالة لا لغرض صحيح ديني او دنيوي إن الله لا يحب
كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور وهو في مقابلة المتقدم من المنهيات لرؤس الاي

رد في قوله تعالى ولا تصعر خدك للناس

بصيغة المبالغة لتوافق رؤس الاي وانما لم يقل ونحو حتى تكون المحبة مسلوبة عن كل منهما
اصالة لا تبعا على ان الدخل في الجملة في عدم محبوبيته كافيا لانهما عطوف بعطف الحجة
لتعلقها عن تباتا لتخص في سلب المحبة ثم ان سلب النفي اخل على اداة العموم لفظا يجيء
داخلة عليه معنى اي لا يحب كل واحد منهم والاختيال المشية المتكبرة والفخر كالمناقب بالنظائر
على التكابر واقصد في مشيك واعتدل فيه اي توسطه بين الاسراع والدبيب تجنبا
للوثب وثبا للتنافر ولا تحتد بدبيب المتماوتين قال النبي عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء
المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد السرعة المرتفعة
عن دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من
صوتك وانقص منه واقصر ويجوز ان يكون الغض في الصوت مستعارا من غض الضحكة
حتى إن انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم البليغ ولذلك
يكنى عنه فيقال الطويل الاذنين وفي الاية ذم بليغ لرافعي اصواتهم حيث شبهوا بالحمير
وتمثيل نهاقهم بالنهاق ثم اخرج مخرج التشبيه واخرج الكلام مخرج الاستعارة وكل ذلك تهجين رفع
الصوت والتنفير عنه والحث على الغض والترغيب فيه وتوحيد الصوت لأن المراد به
الذي يعمهم في النكر لا افراده ألم تروا أن الله سخر لكم لاجلكم ما في السموات
ما في جهة العلو من الكواكب وانتفاعها والسحاب ومطرها بان تجعلها اسبابا
لمنافعكم وما في الأرض اي في الجهة السفلية بأن سلطكم عليها ومكنكم من الانتفاع بها
بواسطة او بغير واسطة واسبغ عليكم نعمه ظاهرة محسوسة وباطنة معقولة ومخفية
عنكم ما لم تدركوه بعقولكم ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم
مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير بل بتقليد صرف كما صرح به في قوله
وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وفيه منع صريح عن التقليد
في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم جواب لو محذوف اذ الأولة نتبع عليه اي لاتبعوه
والواو للحال والهمزة للانكار والتعجب والضمير لآبائهم ولهم اي ايتبعونهم في حال دعاء
الشيطان اياهم الى عذاب السعير اي الى ما يؤدي اليه من الشرك والتقليد ومن يسلم
وجهه الى الله من سلم اليه المتاع اذا دفعه اليه ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي
باللام فلتضمين معنى الاختصاص اي من جعل ذاته ونفسه خالصا لله تعالى وهو
محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى فقد تعلق بأوثق ما يتعلق به مثل حال
المتوكل المفوض نفسه الى الله تعالى بحال من اراد ان يترقى شاهق جبل فاحتاط لنفسه بان

مطلب سرعة المشي

استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون الانقطاع وتعذيبا إلى الله للاختصاص
أي صائرة إلى الله لا إلى غيره عاقبة الأمور فيجازيه عليها ومن كفر فلا يحزنك كفره
فلا يهمنك كفره وتكذيبه للإسلام فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك
والمستفيض في الاستعمال الحزن في الماضي ويحزن ثلاثيا مجردا في المستقبل إلينا
مرجعهم خاصة فننبئهم بما عملوا أي فنخبرهم على أعمالهم إن الله عليم بذات الصدور
أن الله يعلمها في صدور عباده فيجازيهم على حسبه نمتعهم قليلا تمتيعا أو زمانا قليلا
فإن الزائل بالنسبة إلى الدائم قليل ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ استعار الغلظ للأمور
الغليظة لثقل العذاب عليهم وشبه إلزامهم العذاب باضطرار المضطر إلى شيء الذي
لا يقدر على الانفكاك عنه ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لوضوح
البرهان الملجئ إلى الإذعان به قل الحمد لله لإلزامهم على إقرارهم بأن الخالق هو الله وحده
فإنه يجب أن يكون له الحمد وأن لا يعبد معه غيره بل أكثرهم لا يعلمون أن إقرارهم يلزمهم
وبل إضراب عن دعوتهم لجهلهم وأنهم لا يتنبهون بالتنبيه لا يتفطنون إذ قد لزمهم
لله ما في السموات والأرض بين التوحيد باختصاص الملك به ونفي الإلهية فيكم إن
الله هو الغني عنهم وعن إيمانهم وحمدهم الحميد المستحق للحمد بذاته من كل عار فهو آلة
يرهقون بحذف ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام توحيد شجرة لتفصيل الجنس وتفصيل واحدة
من جنس الشجر واستغراقه نحوها أي جميعها في الأرض من شجرة حتى لا يبقى واحدة منها إلا بريت
أقلاما والبحر بالرفع عطفا على محل أن ومعمولها يمده من بعده حال أو لا يمده أي
والواو للحال أو بالنصب عطفا على اسم أن وإضمار فعل يفسره يمده والمعنى ولو ثبت كون أشجار
الأرض كلها أقلاما وكون البحر ممدودا بسبعة أبحر وعلى الابتداء أو الواو للحال أي والحال
أن الأشجار أقلام فيحتمل كون البحر ممدودا أو استغني بالواو عن الضمير ويكون أثناء الحل
الأحوال الجارية مجرى الظروف ويجوز أن يكون اللام بدل الإضافة أي وبحرها والضمير
للأرض وقرئ وبحر وتمده على التنكير لا بجملة لم إلا العطف على محل أن ومعمولها وقرئ يمده
وعلى هذا مد الدواة وأمدها واعتبر عن ذكر المداد بمصدره لأنه يكتب ما نفدت كلمات الله أخاديج
المتكلمة على جميع الكثرة فيجلي الكلم بالاستغراب بأنها لا تفنى بالتقليل منها فضلا عن الكثير والمعنى
ولو أن أشجار الأرض كلها أقلام والبحر المحيط بسعته مع أنه يجعل البحر بمنزلة الدواة والأبحر
السبعة مملوءة مدادا تمدها أبدا وكتب بها كلمات الله تعالى ما نفدت كلمات الله ونفدت الأقلام
والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي

إن الله عزيز حكيم لا يعجزه شيء ولا يخرج عن علمه وحكمته أمر ومن كان كذلك لا تنفد
كلماته وحكمه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا
التوراة وفيها كل الحكمة وقيل أمره وفد قريش أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست
تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء وأما ما قيل أنها نزلت حين
قال اليهود لقولوا وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ونحن قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء
فيرد عليه أنه لا يلائم سياق النظم الكريم فليس فيما قبله تعرض لوجه التوفيق بينهما ما خلقكم
ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها لأنه لا يشغله شأن عن شأن فلا يتفاوت
عنده القليل والكثير لأنه يكفي في وجوده تعلق إرادته القديمة بنصبه إلى قدرته
الذاتية كما قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون إن الله سميع لكل مسموع
بصير بكل مبصر لا يشغله إدراك بعضها عن بعض وكذلك البعث والخلق ألم تر أن
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من الشمس والقمر
يجري في فلكه إلى أجل مسمى إلى منتهى معين الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وقيل
إلى يوم القيامة لأنهما ستنقطع جريهما حين ينقطعه استعمال الحركة فيما يجري لأنها وفي فاطر
بحرف اللام للاختصاص أي يجري لإدراك أجل معين لأن المراد الجري إلى منتهاها يوافق
اختصاصها بالجري بإدراك الأجل المعين في الحقيقة كلا العبارتين يتوافقان في إفادة المقصود
وأن الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الوصف الذي وصف به من كمال القدرة
والحكمة بسبب أن الله هو الحق الثابت في ذاته والثابت الألوهية وأن ما يدعون
من دونه الباطل المنتفي الألوهية أو المعدوم في حد ذاته وأن الله هو العلي الشأن
الكبير السلطان أو المترفع على كل شيء الكبير عن أن يشرك به شيء ألم تر أن الفلك تجري في
البحر بنعمة الله بإحسانه في تهيئة أسبابها بأن يحمله والباء للصلة أو الحال وقرئ بنعمات
الله بأمر ربه وكالحمل به وتحمل النعمة ليريكم من آياته أي بعض دلائل قدرته
وحكمته وقدرته إن في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في
الأنفس والآفاق شكور يعرف النعم ويعرف مانحها مما يفيد أن المؤمن إذ الإيمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن وقيل صبار على
بلائه وشكور لنعمائه وإذا غشيهم وإذا علاهم وغطاهم موج من تعمه كالظلل
جمع ظلة وهي كل ما أظلك من جبل أو سحاب وغيرهما وقرئ كالظلال كقلة وقلال
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما

مطلب الإيمان

دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ثابت على الطريق القصد
الذي هو التوحيد اي باق على الاخلاص الحادث في البحر وقيل [illegible] او متوسط في الكفر
لانزجاره بعض الانزجار وانخفاضه عن غلوائه وما يجحد باياتنا الا كل ختار فان الختر
في الغدر ناقض للعهد الفطري او لما عاهد الله عليه في البحر والختر اشد الغدر كفور لنعمة
الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما التنكير للتفخيم والتهويل لا يجزي والد
عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي اي لا يغني والجملة صفة ليوما والعائد محذوف
اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير
النظم بالمحذوف ولعله الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية للتوكيد للدلالة على ان المولود
اولى بان لا يجزي شيئا عن والده [illegible] حسم اطماع المؤمنين اذ يعنون اباهم الكفار في الاخرة
فانهم كانوا يتوقعون ذلك والمبالغة في التاكيد [illegible] دون ولده لان الولد
يطلق على ولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق على ولد الولد الا بالنسبة الى الذي
ولدته اي لو قصد النفع [illegible] لم يفد عليه فضلا ان ينفع لاجداده كذا قيل ومبناه
على تخصيص الخطاب بعد الحكم الظاهر العموم فالوجه ان يقال ان الاية دالة على ان
يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق [illegible] وقيل [illegible]
[illegible] ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحياة الدنيا
بزينتها فان نعيمها دانية ولذاتها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجي
بضم الغين [illegible] الغرور [illegible] المبالغة او ارادة زينة الحياة الدنيا لانها غرور [illegible]
المبني على التسبب ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو
اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض
فمتى تمطر السماء وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت [illegible]
[illegible] له تعالى لا يصل اليه غيره فان كون النبي [illegible] عبارة عن كمال حفظه وبهذا الوجه
يظهر اختصاص العلم المذكور به تعالى وينزل الغيث اي يرسل المطر النافع بحسب المصالح
على التدريج في اوقاته [illegible] ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص
وما تدري نفس [illegible] كانت وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لما في الدراية من
معنى الحيلة [illegible] فالمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ماذا تكسب غدا من خير او
شر فربما كانت عازمة على خير فعملت شرا او عازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس
باي ارض تموت اي اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها

مطلب الفرق بين الولد والمولود

فترمي

فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها وقرئ باية ارض وشبه سيبويه
تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن واعلم ان الانطباق على سبب النزول المذكور [illegible]
ما روي في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها الا
الله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية [illegible] على تقدير ان يظهر علم [illegible]
الغيث وعلم احوال الحمل [illegible] باذن يكون تقديره [illegible] وينزل الغيث وان ينزل الغيث
عطفا على الساعة يعني عنده علم الساعة وعلم ان ينزل الغيث [illegible]
الايات [illegible] الوحي [illegible] على هذا القول ويعلم
ما في الارحام ان الله عليم خبير ● سورة السجدة ●

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ان جعل الم اسما للسورة فهو مبتدأ
الكتاب خبره على ان التنزيل بمعنى المنزل [illegible] تنزيل [illegible]
[illegible] وقوله من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل
له من الاعراب والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة اي لا ريب في ذلك يعني في كونه
منزلا من رب العالمين او الخبر لا ريب فيه ومن رب العالمين خبر ثان او حال من الضمير
في فيه على انه للتنزيل او الكتاب ام يقولون افتراه [illegible] رجوع الضمير في فيه الى مضمون
الجملة وكذا قوله بل هو الحق من ربك لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب
العالمين والهمزة في ام يقولون انكار لقولهم وتعجيب منه فيكون الكلام مصدرا باثبات
انه من رب العالمين معقبا بانه لا ريب في ذلك ثم معقبا بالاضراب عن ذلك الى ما
قالوا فيه والتعجيب منه [illegible] في الاعجاز ثم بالاضراب عن الانكار الى تقرير
المقصود [illegible] فاثبات انه الحق من ربك ثم بيان الغرض منه بقوله لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير [illegible] ولا يشكل هذا بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لانه لم يخل
[illegible] من قبلك لانهم كانوا اهل الفترة لعلهم
يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش سبق تفسيره في سورة الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
يدبر الامر [illegible] بالاسباب السماوية نازلة اثارها الى الارض كل يوم من ايام الله هو الف
سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت
في صحف ملائكته في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون كل وقت من اوقات

هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويتحصل تحت الوجود الى ان يبلغ المدة آخرها ثم يدبر
ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام
من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في زمان هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة الطويلة في
مدة قصيرة ان تكون تلك المدة مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
عام وفيه نظر اذ لا يلزم من قطع المسافة الطويلة في مدة قصيرة ان تكون تلك المدة
طويلة في الحقيقة وذلك ظاهر نعم لو قيل في مقداره يجوز ان المقدار المذكور للمسافة
باعتبار قطعها المعتاد لكان له وجه ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبره ويقع عليه العزيز
الغني باتقانه امره الرحيم على العباد في تدبيره على وفق مصالحهم تفضلا وامتنانا الذي
احسن كل شيء خلقه حسنه على ما يقتضي الحكمة والمصلحة موفرا عليه ما يستعده ويليق
به وان تفاوتت الى حسن واحسن وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرئ بفتح اللام
فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان يعني آدم
عليه السلام من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه
اي تنفصل وتخرج من صلبه والسلالة ما يسل من الشيء وتخرج من ماء مهين ضعيف
حقير ثم سواه قومه بتصويره اعضاءه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى
نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية
ولذلك قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وانما قدم السمع على البصر لخساسته نظرا الى
البصر فان الكلام على اسلوب الترقي تنبيها الى الاشرف فالاشرف قليلا ما تشكرون
اي تشكرون شكرا قليلا وقالوا اي القائل ابي بن خلف واحد الى رضائهم بقوله
فالاسناد اليهم بل يكفي وجود القول بينهم كقوله واذ قتلتم نفسا ءاذا ضللنا بالفتح
والكسر في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها
وقرئ صللنا من صل اللحم اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض وقرئ اذا على
الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا او
ان على الخبر بل هم بلقاء ربهم كافرون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو
ابلغ في الكفر بما بعد الموت من الرجوع الى الله والجزاء قل يتوفاكم ملك الموت يستوفي نفوسكم
من قولهم توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا اي يقبض نفوسكم بتمامها

ملك الموت الذي وكل بكم اي يقبض ارواحكم عند انتهاء اعماركم وفي بيان
وكل بكم اشارة الى وجه التوفيق بين هذه الآية وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
فهو ان فعل الوكيل فعل الموكل ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى الاصل ان
يكون الخطاب لكل احد متوجها اليه الغرض ولا يعدل الى ان يقرر مفعول لان المعنى
ان يكون ثبات الرؤية في هذا الوقت اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم من الذل والحياء
والندم عند ربهم عند حسابهم ونوقع عليه تلك الحالة اذ القدر ما يقولون ربنا
ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا
وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان والطاعة انا موقنون بالبعث
ولا الجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في
علم الله تعالى بمنزلة الواقع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل
الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لأملأن جهنم من الجنة
بما قدم الجن لان المقام مقام التحقير والناس اجمعين اي ولكن اقتضت الحكمة
ذلك وما ذكره من سبق القضاء كاف برعاية ذلك الاقتضاء فليس فيه تشبث بعدم
التقدير الازلي بما اشبه الى بعض الانعام فذوقوا يعني ما انتم فيه من الحرج والغم
بما نسيتم بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا وهو ترككم العمل لهذا اليوم كما انكم نسيتموه
فلم تذكروه انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب وجازيناكم في نسيانكم وفي استئنافه
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد اي والمعنى
انه هذا العذاب المخلد كما غير ان المنكم بما كنتم تعملون باعمالكم من الكفر والمعاصي
وفيه ما كرر التاكيد ولما نبطه به من التصريح بمفعوله وتعليلها بافعالهم السيئة ما علله بتركهم
تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك وفي هذا استئناف دليل
على انه لا عذر لهم في ذلك توجهها الى النتيجة والاخرى انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا
بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله تعالى وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز
عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون
عن الايمان والطاعة تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع الفرش ومواضع النوم
ما تعتري الاعضاء بقيام الليل كانهم ينيمون بالطبع لذا الاعتياد كثير يسعون لحاجاتهم
الطبيعية يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي عليه
السلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى

العين فتركت فيهم ما ترى فاهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل ما اخفي لهم على البناء للمفعول والفاعل وهو يحيى فقال اخفي على انه مضارع
اخفيت وما نخفي وما اخفيت والفاعل في الكل هو الله تعالى وما موصولة والعلم بمعنى المعرفة
او استفهامية بمعنى اي شي علق عنها الفعل من قرة اعين مما تقربه اعينهم وقرئ من
قرات اعين لاختلاف الانواع جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي اخفي للجزاء او مصدر جزوا
جزاء الاخفاء على التنبيه بالمصدر رعاية للنسبة اي اذا اخفيا من كانوا يخفون اعمالهم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وفيه للابهام ثم التوضيح والتنبيه لعزة اعين تفخيم لما اخفي لهم
وتعظيم لم وان جعلنا استفهامية زيد تعظيم على تعظيم افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا الفاء للتعقيب والهمزة للانكار اي ابعد ما ذكر من ثواب المؤمن وعقاب الكافر هل
يكون المؤمن كالفاسق الخارج عن الايمان في الترتيب كلمة لا يستوون تاكيد وتصريح
والاول جمع المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى اي الماوى الحقيقي
الابدي فاما الدنيا منزل مرتحل عنها وقيل نوع من الجنان كما في قوله تعالى عند سدرة المنتهى
عندها جنة الماوى عن ابن عباس رضي الله عنهما ياوي اليها ارواح الشهداء نزلا
سبق تفسيره في آل عمران بما كانوا يعملون باعمالهم واما الذين فسقوا فماواهم النار
جنتهم ماويهم النار اي النار لهم مكان جنة الماوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها قد سبق تفسيره وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى
عذاب الدنيا ما محنوا به من الاسر والقتل والقحط سبع سنين دون العذاب الاكبر عذاب
الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر
عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها
فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عن مثل هذه الآيات مع وضوحها
وانارة برهانها وارشادها الى الفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد عقلا
كما تقول لصاحبك وجدت مثل هذه الفرصة ثم لم تنتهزها ومنه ما في بيت الحماسة

لا يكشف الغماء الا ابن حرة • يرى غمرات الموت ثم يزورها •

انا من المجرمين منتقمون اشد ما تكون فكيف بانتقام ممن هو اظلم [illegible]
[illegible] الظالم [illegible] المجرمين [illegible]
المعنى [illegible] ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية

من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن اي انك لتلقى مثل ما اوتيه
موسى قال فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك او من لقائك
موسى الكتاب وتعديته بالتقاء قوله وجعلناه اي المنزل على موسى عليه السلام هدى لبني
اسرائيل فلما عنوا الضمير الى موسى عليه السلام اي من لقائك موسى فيا نا [illegible]
[illegible] التقريع وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا
اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا لصبرهم وقرئ لما اي حين صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيقضي فيميز الحق من
الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين او لم يهد لهم الواو
للعطف على منوي من جنس المعطوف [illegible]
عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام [illegible]
[illegible] لا اله الا الله [illegible] يمشون
في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ان في ذلك لآيات افلا
يسمعون [illegible]
الابصار او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع [illegible]
[illegible] فنخرج به زرعا [illegible]
[illegible] تاكل منه انعامهم [illegible] وانفسهم [illegible]
[illegible] افلا يبصرون فيستدلون به على كمال
فضله وقدرته ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة [illegible]
[illegible] يوم الفتح [illegible]
[illegible] ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون [illegible] يوم القيامة [illegible]
المؤمنين [illegible]
كفروا المقتولون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] انتظر [illegible] انهم منتظرون [illegible]

الكفر المستمر الى وقتنا العذاب هو الذي يوجب عدم نفع الايمان وتحيا لا انظار فاعرض
عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هي منسوخة باية السيف وانتظر النصر عليهم وهلاكهم
انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وقرئ منتظرون بفتح الظاء اي انهم احقاء بان ينتظر
هلاكهم اي ان الملائكة ينتظرونه فهلاكهم فانهم هالكون لا محالة •

• سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي نودي عليه السلام في جميع القران بيا ايها النبي ويا ايها الرسول تعظيما لرتبته
العليا فكيف لنا نعوته اتق الله امره بالتقوى تعظيما للتقوى واعلاما للامة بانه اعظيم
يجب ان يتحلى به ويحافظ عليه والمراد الامر بالثبات على ما هو عليه ليكون مانعا له عما
نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تساعدهم على شيء يخولوهن في الدين ولا
تقبل لهم رايا في ذلك روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا
المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابي وقد اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الامان على ان يكلموه فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك
ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد
ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا منك ان الله كان
عليما بخبث اعمالهم حكيما في تاخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك من ربك
من الامر والنهي ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع
الى الكفرة وقرئ بالياء اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وفوض امرك
اليه وكفى بالله وكيلا موكولا اليه كل امر قال الزجاج ولفظه كفى وان كان الخبر
فالمعنى اكتف بالله ما جعل الله لرجل تركيب مع زيادة من في قوله من قلبين بمعنا الغني
للتعميم والاستغراق اي ما جعل الله لاحد من جملة الرجال فضلا عن الصبيان والنساء
قلبين ثابتين في جوفه اي الرجل او الصدر في جوفه توكيد مع بيان انه تصوير بالة مع يكون ذات سمعه
بصره وقيل انسان لا يجمع الى قلبين فيكون ذا اشرع الى الانكار وما جعل ازواجكم اللائي
تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم فما جعل الزوجية والامومة في امرءة
والبنوة في رجل التي اجتماع القلبين في جوف اصلا لانتفاء الاجتماع بين الاخرين وذلك
العرب يزعم ان اللبيب له قلبان فعلل ذلك قيل لابي معمر جميل بن اسد الفهري بدرة لعلمه
رجلا من احفظ العرب وارواهم وكان يقول ان في قلبين فهم بالحديثها اكثر مما يفهم محمد

عما اي قوله وتغولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني فانهم كانوا يقولون للمرأة المظاهر
منها انت علي كظهر امي وجعل الرجل ابنه والمعنى كما لم يجعل الله تعالى قلبين في جوف لاداء ما في القلب
فهذا الذي يكون كل منهما اصلا لكل المعنى وغيره اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة
بينهما وبين امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة ومعنى تظهرها ان يقول للزوجة انت علي
كظهر امي ماخوذ من الظهر اعتبارا باللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب
لان الظهار كان في الجاهلية طلاقا فكانوا يجتنبون المرأة المظاهر عنها كما يجتنبون المطلقة
وتعديته الى من اسمه فانه عدي بمن لتضمنه معنى التباعد ولانه كي بمعنى حلف فلا يعتدي
بمن وذكر الظهر في تشبيههم كناية عن البطن في التعريج كما انهم ما شئوا عن ذكره لانه بيان
ذكر الفرج فكنوا بالظهر عنه لانه عمود البطن والتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان
المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي وهو الذي تدعى ولدا فعيل بمعنى مفعول وجمعه
ان يجمع على فعلى كجرحى وقتلى والجمع على افعلاء انما يكون لفعيل بمعنى الفاعل كتقي واتقياء
وشقي واشقياء فهو شاذ عن القياس كقتلاء واسراء ووجه التشبيه اللفظي ذلكم قولكم بافواهكم
اليمنا ذكر اي الاخير قولكم بافواهكم اي لا حقيقة له ولا يبطل عن الواقع والله يقول
الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق وفي فصل بعض الجمل الواقعة
في هذه الاية ووصل بعضها ما لا يخفى على العالم بعلم المعاني المندب بطريق النظم ادعوهم
لابائهم اي انسبوهم اليهم هو افراد للمقصود من اقواله الحقة هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل مستعمل للمطلق للزيادة من القسط بمعنى
العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا اباءهم اي ان لم تعرفوا اباءهم فتنسبوهم
اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي او
مولاي وليس عليكم جناح اثم فيما اخطاتم به قبل النهي او بعده على سبيل النسيان او سبق
اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدتم بعد النهي وكان الله غفورا
رحيما يغفر للمخطئ وبعفو عنه وعن العامد اذا تاب النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم في كل شيء من امور الدين والدنيا فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم
وفلاحهم بخلاف انفسهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها
وشفقتهم عليه اتم واقدم من شفقتهم عليها وحمية لما روي انه عليه السلام اراد غزوة
تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس منهم نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وفي قراءة ابن مسعود

النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم اي في الدين وكذا كل نبي هو
ابو امته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم
كناية عن التحريم خاصة ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء لا في غير
استحقاق التعظيم وحينئذ ينتظم التساوي في الامر المذكور واولوا الارحام وذو
القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ ما كان في صدر الاسلام من التوارث
بالموالاة في الدين وبالهجرة في كتاب الله اي في اللوح او فيما اوحى الى النبي عليه السلام وهو
هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام
وتخصيص المهاجرين بالذكر بعد التعميم لدفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من عدم نيل الحكم
لهم لما فيهم من فضيلة الهجرة او صلة لاولى اي واولوا الارحام بحق القرابة اولى
بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا استثناء منقطع من اعم العام من معنى النفع والاحسان وانتصابه
على الظرفية اي الا وقت ان تفعلوا وعدي بالى لانه في معنى تسدوا والمراد بفعل المعروف
التوصية وبالاولياء المؤمنون والمهاجرون لما بينهم من الولاية في الدين اي الاقرباء بعضهم
اولى ببعض من الاجانب في كل نفع من ميراث وهدية وهبة وصدقة ومعاونة وغير ذلك
الا في الوصية كان ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا في الكتاب في اللوح المحفوظ
او في القران وقيل في التورية مسطورا مثبتا او مذكورا واذ اخذنا مقدر باذكر من النبيين
ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعوة الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيص المشاهير واصحاب الشرائع من الانبيا
عليهم السلام بالذكر لبيان شرفهم وتفضيلهم ولذلك قدم محمدا عليه السلام على الجميع
لكونه افضلهم وانما قدم نوحا عليه في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك لان الغرض من سياق الكلام ثمة بيان اصالة الدين وقدمه واتفاقه
فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل القديم الذي وصينا به نوحا في العهد القديم والذي
اوحينا اليك في العهد الحديث ووصينا به من توسط بينهما من الانبيا المشاهير من
اصيل قديم متفق عليه وعلى اقامته الانبيا كلهم ولم يتفرقوا فيه واخذنا منهم ميثاقا
غليظا مكررا للتاكيد وزيادة وصف الميثاق بالغلظ وفخامة الشان ولذلك نكر وقيل
اي بيننا فالمراد بالايمان العلاقة وسماه ميثاقا لانه عهد دال على توثيقه باليمين
والتغليظ استعارة من وصف الاجرام لنعت معاني النفوس والرقة في الحس ليسال

الصادقين عن صدقهم تعليل لاخذنا اي اخذنا ميثاقهم ليسال الله تعالى
يوم القيمة عند موافقهم الانبيا والمؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
عن صدق عهدهم من الانبيا الذين صدقوا عهدهم عما قالوا لقومهم وتصديقهم اياهم
تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم بانه صدق الصادق فيما يسبق واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا لان المعنى اكد على الانبيا الدعوة الى دينه لاثابة المؤمنين
واعد للكافرين او على ما دل عليه ليسال الذي قال ما ثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عليه
السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها يعني الملائكة روي انه عليه السلام
لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف فضرب معسكره والخندق
بينه وبين القوم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله تعالى عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم
واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب
وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طلحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر
فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وغيره بصيرا وقرئ
بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والتضام اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من
فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من
قبل المغرب قريش ومن تبعهم من تحتكم مع ما فيه من رعاية المقابلة والاختصار لفظا لا
لا في نفسه بل بالنسبة الى ما اختير لك لانه احسن لفظا ومعنى من اعلى منكم واذ زاغت
الابصار مالت عن سننها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ
عند شدة الخوف فيرتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة وقيل هو مثل
لاضطراب القلب فان ما جعل الخفقان يدنو من انتفاخ الرئة وزاد قلبه نحو الحنجرة
وهي راس الغلصمة مخرج النفس وتظنون بالله الظنونا الظنون المختلفة والخطاب
للمؤمنين منهم الثبت الاقدام لا يظنون الا بالله تعالى وانجاز وعده بالنصر
ومنهم من يخاف الزلل وضعف الاحتمال ومنهم الضعاف الذين يشكون في امرهم
والمنافقون على ما حكى الله تعالى عنهم يظنون ان المؤمنين يستأصلون هنالك ابتلي
المؤمنون اختبروا فتميز المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا

وان يحجوا النداء انزعاجا من شدة الفزع وزلزلوا اي الاضطراب العظيم واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وعدا باطلا اذ روي انه
ما وعد الله تعالى الي من اعلاء الدين والظفر على المشركين واذ قالت طائفة منهم هم اوس
ابن قيظي ومن وافقه يا اهل يثرب اسم المدينة وقيل اسم ارض وقعت المدينة في ناحية
منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرئ بالضم على انه مكانا ومصدرا من اقام فارجعوا
الى المدينة وانخزلوا عن عسكر الرسول الى بيوتكم وقيل لا مقام لكم بالمدينة الدين على
دين محمد فارجعوا كفارا مشركين واسلموا محمدا حتى يمكنكم المقام بها ويستأذن فريق
منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة بسكون الواو وبكسرها فالعورة
بالسكون الخلل سميت به في وصفها بالعورة كأنها نفسها عورة وبالكسر ذات العورة يقال
عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف
عورة وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا
الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف
الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء
الحكم المترتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرئ
بالقصر اي لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا بها اي بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما
يكون السؤال والجواب من غير توقف او بالمدينة اي ما لبثوا بها بعد الارتداد الا زمانا
يسيرا ولبثا يسيرا لان الله تعالى يهلكهم ويستأصلهم ولقد كانوا عاهدوا الله من
قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس رضي الله عنهما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه بما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا
لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحاق عني بهم بنو حارثة عاهدوا يوم احد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين فشلوا ثم تابوا ان لا يفروا بعد ان نزل فيهم ما نزل وكان عهد
الله مسؤولا عن الوفاء به مجازى عليه ان شاء ذلك قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل نفعا ما فانه في دفع الامر المذكور بالكلية اذ لا بد لكل شخص من حتف
انف او قتل في وقت لا لانه مسبوق بالقضاء لانه تابع للمقضي فلا يمكن ان [illegible] بل لانه
مقتضى ترتب الاسباب على المسببات بحسب العادة على مقتضى الحكمة ولا دلالة فيه على ان الفرار
لا يغني شيئا حتى يشكل هذا بالنهي الواقع في الكتاب عن الالقاء في التهلكة وبالامر الواقع
في السنة بالفرار عن المضار كيف وقد دل قوله تعالى واذا لا تمتعون الا قليلا على ان في الفرار

بين ما ذكره في كلام القاضي

لانه تابع للارادة التابعة للعلم التابع للمعلوم كما تقرر في محله منه

الفرار في الجملة اذ المعنى لا تمتعون على تقدير الفرار الا متاعا قليلا او زمانا قليلا وعن
بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل
من ذا الذي يعصمكم من الله اي مما اراد الله له بكم ان اراد بكم سوءا او اراد
بكم رحمة العصمة هي المحافظة من السوء ولا يكون من الرحمة فقرانها بالسوء في حكم العصمة
في الظاهر عطف على عامل محذوف يحمل على عامل آخر يجمعهما معنى واحد اختصارا اي او
يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة ويجوز ان يكون لقرينة السوء في العصمة لانها في معنى المنع
كما في الرمح قرن السيف في قوله متقلدا سيفا ورمحا في النقل لانه في معنى الحمل فلا
يحتاج الى تقدير متقلدا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع
الضرر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم قد هنا للتحقيق واذا دخل على المضارع
المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم
من ساكني المدينة هلم الينا وقد سبق تفسيره في سورة الانعام ولا يأتون البأس الا
قليلا اي اتيانا قليلا او زمانا قليلا او ناسا قليلا فانهم يخرجون مع عسكر ويوهمون المؤمنين
انهم معهم ولا يقاتلون الا قليلا اذا اضطروا اليه لقوله ما قاتلوا الا قليلا
اشحة عليكم بخلاء عليكم وقت الامن او بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الغنيمة عند الظفر
جمع شحيح نصب على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او القائلين او على الذم فاذا جاء
الخوف اي وقت الحرب رأيتهم ينظرون اليك في تلك الحالة تدور اعينهم في موضع الحال
اي دائرة اعينهم والكاف في كالذي يغشى عليه في موضع النصب على المصدر اي ينظر
اي تنظر مثل نظر الذي يغشى عليه او دورانا مثل دوران اعين الذي يغشى
عليه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم
سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة [illegible] بالخوف
[illegible] سلقه [illegible] اي صحب واصله رفع الصوت [illegible]
ليس بيننا تحلق وسلق اي نحو بنحو عند المصيبة او رفع صوت بالنياحة اشحة على
الخير حال من فاعل سلقوكم او نصب على الذم ويؤيده قراءة من قرأه بالرفع وليس بتكرار لان
كلا منهما مقيد بغير ما قيد به الاخرى اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فالمنافقين فاحبط الله اعمالهم
اي ابطل الله تعالى ما عملوه من اعمال البر بسبب نفاقهم وعدم ايمانهم حقيقة فانه شرط
صحة العبادة وقبولها وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق ارادته به
وعدم ما يمنعه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا من شدة الجبن والخوف ففروا الى المدينة وقد

انهم الاحزاب وهم من استيلاء الفزع عليهم لا يصدقون بذلك وان يات الاحزاب كرة
اخرى يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وبين الاعراب
يسالون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة
ولم يرجعوا الى المدينة ووقع قتال ما قاتلوا الا قليلا الا قتالا قليلا رياء وخوفا من
التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة يجب ان يؤتسى به وهي المصابرة على
الجهاد والثبات في المحاربة ومقاساة الشدائد والاولى بمصاحبة المراد ان يكون في فعل
لكم في رسول الله كقوله تجريدا كانه قد كان لكم رسول الله بنفسه اسوة حسنة اي هو قدوة يحسن
ان يقتدى به كما تقول في البيض فلان صديق صادق ومعناه المبالغة في الصدق فكانه في
من كمال الصدق صديق اخر لمن كان يرجو الله واليوم الاخر يرجو ثواب الله او لقاءه و
المثوبة وهي نعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا ويجوز ان يكون من رجا الله عند
الموطية كما تقول رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد والرجاء فيهما يجوز ان يكون بمعنى
الامل وبمعنى الخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لاسوة وقيل بدل من لكم كقوله للذين
استضعفوا لمن امن منهم ولا يجوز عند الاكثر ان يبدل من ضمير المخاطب لا بدل البعض وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء
بالذكر الكثير المؤدي الى ملازمة الطاعة لئلا يكون رجاؤهم طمعا فارغا فان المقتدى برسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله لانهم وعدوا ان يزلزلوا حتى يستغيثوا ويستنصروا في قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة الاية وفي قوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة
لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع او عشر اي في اخر
تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب و
البلاء ايمانا بالله وبوعده وتسليما لقضائه وقدره واظهار الاسمين في قوله وصدق
الله ورسوله للتعظيم اي ظهر صدق خبرهما او صدقا في النصر والثواب كما صدقا في
البلاء وما زادهم ضمير للفاعل فيه لما راوا او للاشارة لما تجده الخطب او للبلاء الا ايمانا
بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال التنكير للتفخيم
صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي صدقوا فيما عاهدوا عليه من الثبات مع الرسول
والمقاتلة على اعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق كما في المثل صدقني سن بكره اي صدقني في سن
بكره وقد روي ان رجالا من الصحابة نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا
وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وحمزة ومصعب

وغيرهم

وغيرهم رضي الله عنهم ويجوز ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا له
سنفي بك فاذا وفوا به فقد صدقوه من قولك صدقني سن بكره اذا قال لك الصدق فمنهم
من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب وانس رضي الله عنهم والنحب
استعير للموت فان الموت لازم لكل حيوان فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه
كان هذا القائل حاملا على النذر المذكور في سبب النزول لان موجبه ان يكون له النحب على
حقيقته وقضاء نذرهم يجوز ان يكون كناية عن شهادتهم ومنهم من ينتظر كعثمان وطلحة
رضي الله عنهما وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد
ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اوجب طلحة اي الجنة تبديلا شيئا من التبديل تعريضا لمن بدل من اهل النفاق
وتبديلهم ولذلك قال ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين
تعليلا للمنطوق والمعرض بجعل المنافقين كانهم قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد الصادقون
بوفائهم عاقبتها الصدق فقيل اللام لام مجاز العاقبة فانها وان امكن حملها على الحقيقة بالنسبة
الى الصادقين لكن لا يمكن حملها عليها بالنسبة الى المنافقين لان التعذيب لم يكن غرضا
لهم ولا يستعمل اللفظ الواحد حقيقة ومجازا في استعمال واحد فيجب حملها على المجاز لان كلا
الفريقين سوقا الى عاقبته من الثواب والعقاب ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم ان
تابوا ويجوز ان يريد تعذيبهم ان شاء او يوفقهم للتوبة ان الله كان غفورا لمن تاب
رحيما بعفو الحوبة ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا
حال اخرى مثله الخلان او مشاقا اي مغيظين غير ظافرين ويجوز ان تكون الثانية بيانا
للاولى او استينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكفى هنا بمعنى وقى
يتعدى لاثنين واذا كانت بمعنى حسب فالاكثر في لسان العرب ان يكون الفاعل مخفوضا
بالباء نحو كفى بالله وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل
الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من
حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به من حصن وغيره وقذف في قلوبهم الرعب الفزع
والخوف فريقا تقتلون وتاسرون فريقا انما اخر عن قوله تاسرون وغير النظم
للدلالة على ان الكل حصل في الفريقين قيل كان بنو قريظة عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنقضوا العهد باستدعاء ابي سفيان وجاءوا لمحاربة المسلمين فلما فرغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح سمع وجبته على باب الحجرة فنظر فاذا جبريل

عليه السلام على فرس بلق وعلى ثناياه النقع فقال يا رسول الله وضعت السلاح ونحن
ما وضعنا السلاح بعد ان الله يأمرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة فنادى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذن للناس في المسلمين فخرجوا اليهم حتى ثم رسول الله صلى الله عليه و
فحاصرهم احد وعشرين او خمسا وعشرين يوما ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بان يقتل مقاتليهم
وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم فقال عليه السلام لقد حكمت بحكم الله تعالى
فيهم فنفذ ذلك ومن الله تعالى على المسلمين بذلك واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم
حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم اي جعلها لكم بعدهم وارضا لم تطؤها
اي لم تصيروا اليها بعد فاصبحتم فيها لاهلها وهذا وعد منهم باخراجها ارض اخرى قيل هي
ارض فارس والروم وقيل الحيرة وقيل هي خيبر وقد دخلت وكان الله على كل شيء قديرا
فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها ذكر الحيوة
الدنيا توطية وتمهيد للاختصاص اي ان كنتن تردن زينة الحيوة الدنيا وكما ذكر الله
في تردن الله ورسوله فانه للاختصاص الرسول به فتعالين اصله ان تعالى ان يقول لمن في
المكان المرتفع العالي لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى
تعالين هنا اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين فلم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقولك
قام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق واسرحكن التسريح كما يعترف قبل النكاح
للذي لم يوقع التسمية سراحا جميلا لا ضرار فيه روي ان نساءه سألنه ثياب الزينة وزيادة
نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعائشة رضي الله
عنها وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة
فرأي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر
الله لهن ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد الآية وتعليق التسريح بارادتهن زينة الدنيا
وجعلها قسيمة لارادتهن الرسول يدل على انها اذا اختارت زوجها لا تقع البينونة وانه
انه لا يقع الطلاق اصلا ولا لانه فيما ذكر عليها بتهمة عليها نعلم ان التسريح بنوعي
البينونة ويعتقد بالتمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لا تعلق
واسرحكن بالرفع على الاستئناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله
اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما تنكير اجرا للتعظيم اي اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات وانما عدل فيه عن مقتضى الظاهر للدلالة على ان
استحقاقهن الاصل لاجر لاجل الزيادة فيه على سائر المحسنات يا نساء النبي من يات منكن

مسئلة الاول وصف الاحصان بسبب كونهن نساء عليه السلام

بفاحشة

بفاحشة مبينة بكبيرة في الفتح مبينة ظاهرة قبحها من بين مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين ضعفي عذاب غيرهن من النساء اي مثليه لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن
فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة فضل العاصي وزيادة العقاب تتبع زيادة قبح المعصية
ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاقب
عليه غيرهم من الصغائر وكان ذلك اي التضعيف على الله يسيرا لا يمنعه عنه
كونهن نساء النبي عليه السلام بل هو السبب له فكيف يحميهن ويدفع عنه ومن يقنت منكن
يدم على الطاعة لله تعالى ورسوله عليه السلام وذكر الله هنا لذكره في قوله تردن
الله ورسوله لان طاعته طاعة الله تعالى كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وتعمل
صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي عليه السلام
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ ويعمل ايضا بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه
ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء في الفضل واحد في الاصل وحد بمعنى واحد ثم استعمل في النفي العام مستويا
فيه المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه ولذلك جاء هنا بمعنى جماعة واحدة من جماعات
النساء ان اتقيتن الظاهر انه بمعنى استقبلتن احدا فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن
خاضعا لينا خنثا كقول المريبات فانه يحتمل استعمل معروف في اللغة واستعماله ابلغ

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ۝ فتناولته واتقتنا باليد

اي استقبلتنا باليد وهذا المعنى ابلغ في مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى
ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات في انفسهن والتعليق بظاهره يقتضي انهن
كن متحليات بالتقوى فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على
محل النهي على انه نهى لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول اي لا تخضعن
فلا يطمع الفاجر وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن
في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها
الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل كقولك ظلن بكسر الظاء وقرئ وقرن بفتح القاف
واصله اقررن فحذفت الراء ونقلت فتحتها الى القاف كقولك ظلن بالفتح وقيل من قار
يقار اذا اجتمع ومنه القارة للقبيلة لاجتماعها ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج
النساء في ايام الجاهلية الاولى القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي
الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط

الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح عليهما السلام وقيل بين ادريس
ونوح عليهما السلام وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاولى ما بين
عيسى ومحمد عليهما السلام ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام اي لا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن
بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي
الدرداء رضي الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر
واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه امرهن
بالصلوة والزكوة على الخصوص ثم بالطاعة على العموم اعتناء بشانهما وايماء الى انهما اصل
جميع الطاعات البدنية والمالية من اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه الى جميعها انما يريد
الله استيناف لتعليل امرهن ونهيهن بما امرهن به ونهاهن عنه ليذهب عنكم الرجس
الذنب المدنس لعرضكم اهل البيت نصب على النداء او على المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا
استعار للرجس الاثم والطهر التقوى للتنفير عن القبائح والترغيب في المحاسن وفي التصريح
والتخصيص باهل البيت تعظيم للنبي عليه السلام وبيان لشرف اهل بيته واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من آيات الله والحكمة ما وعظتن به كي تنتهين وهو حث على اعمال التزكية
ما يجلي قلوبهن من العلم والحكمة تذكرهن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب الجامع بين الآيات
الدالة على التوحيد والنبوة وبين الحكم والشرائع المنسية بعوائد النعمة لان بيوتهن مهابط الوحي
ومنازل العلم والهداية فيجب عليهن ان يحفظنه ولا يغفلن عنه ان الله كان لطيفا خبيرا
حيث علم ما يصلحكم وينفعكم فانزل عليكم واخبركم به وفيه تحريض على الايمان ان
المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين
بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين
والصادقات في نياتهم واحوالهم واعمالهم والصابرين والصابرات على الطاعات وعن
المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله الخاشعين اليه بقلوبهم وجوارحهم
والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض
والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم
والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر التي لا يخلو الانسان عنها بحكم
البشرية لانها مكفرة واجرا عظيما على الطاعات روي ان ازواج النبي عليه السلام
قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا

طاعة

طاعة نزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث
على الذكور ضروري لكونهما صنفين مختلفين تحت جنس واحد فلا بد من توسيط العاطف
واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فليس بضروري ولذا ترك في قوله مسلمات
مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد ما اعد لهم للجمع بين
هذه الصفات وما كان وما صح لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا اي باداة
الجمع بعد التفرق للدلالة على ان احد القضائين لا ينفك عن الآخر فان قضاء الله لا يظهر
الا من جهة الرسول فقضاؤه قضاء ولا يكون الا بامر القرآن ان يكون لهم الخيرة ويجوز
وجمع الضمير على المعنى لان النكرة في سياق النفي تفيد العموم من امرهم وهذا الجمع
للتعظيم اي لا يجوز لهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا
لاختيار الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب
وسبب نزوله خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته على مولاه زيد بن
حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فنكحها اياه واذ تقول
للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك بعتقه واختصاصه وانعمت عليه
بعتقه وتبنيه وما فعلك الله في حقه يعني زيدا امسك عليك زوجك يعني زينب
وذلك ان رسول الله ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب
وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك والقى الله في نفسه كراهة صحبتها
فاتى النبي عليه السلام فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال
لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك
امسكها وتبينا له عليك لتصفي ... ولا تطلقها واتق الله في امرها
ولا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان
طلقها زيد وهو الذي ابداه الله تعالى وتخشى الناس قالة الناس ان تقول نكح امرأة ابنه
وتخشى عطف على تقول والله احق ان تخشاه حال اي تحقيقا في ذلك ان تخشى الله او
اعتراض اي والله احق ان تخشاه في كل حال ويجوز ان تكون الواو في وتخفي واو الحال
على ان تخفي اي تقول امسك مخفيا في نفسك ما الله مبديه وكذلك في وتخشى بجعل
العطف اي يجمع بين ان تقول وتخفي وتخشى والمعنى لا تخفي في نفسك ... ما الله ...
ذلك وليس المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل في الاخفاء مخافة قالة الناس ...
لنفاق اصحابه فانه الاولى ان يصمت او يفوض الامر الى ربه حتى لا ...

وتغاير بين طاعة الله ورسوله اخوان
بحيث لا ... احدهما ... عنه
...

كما في قوله فكلوا مما
امسكن عليكم

لان الانبياء عليهم السلام كذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فلما قضى زيد منها وطرا اذا طلقتها الرجل بحيث
لم يبق له فيها حاجة قيل قضى منه وطره اي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطلقها وانقضت
عدتها قضاء الوطر كناية عن الطلاق نحو لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها
اي امرنا بتزويجها منك او تولينا انكاحها منك وقيل انها كانت تقول للنبي عليه
السلام ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن الا ان انطباق التعليل الاتي يدل
على الاول وقيل كان السفير في خطبتها زيد وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة
ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا تعليل للتزويج
وهو دليل على ان حكمه عليه السلام وحكم المؤمنين واحد الا ما خصه الدليل وفيه ان الوطر
هنا كناية عن الطلاق لان الحكم المذكور غير مشروط ببلوغ الحاجة منهن وكان امر الله
مفعولا جملة اعتراضية اي وكان امره الذي يريده مكونا لا محالة كما كان تزويج
زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في
الديوان كذا ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر وهو
مؤكد لما تقدمه كانه قيل سن الله ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء الماضين عليهم السلام
وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود
عليه السلام مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية
وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مقطوعا الذين يبلغون رسالات الله
مجرور صفة للذين خلوا او نصب على المدح او رفع عليه ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
تعريض بعد التصريح فيما له وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف ومحاسبا للصغيرة والكبيرة فيجب ان لا يخشى غيره ما كان
محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين
الاب وابنه من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا الطاهر
والطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم
ولا وجه له لاستقلال التاكيد بقوله وخاتم النبيين لانه لا ينتظم معه ولا يكون ابا
للحسنين لانه قصد الولد لا ولد الولد ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا
احد وكل نبي ابو امته من حيث انه يعلمهم ويربيهم ويجب عليهم تعظيمه وتوقيره وعليه
شفقتهم ونصيحتهم لا في سائر الاحكام وتزويجهم وحكمهم فيما ذكر لا انه ولد له

والنبي

النبي من باب الاختصاص صفة التقريب لا غير وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف اي ولكن هو رسول الله وقرئ ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن
رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين اي وكان خاتم النبيين
الذي ختمهم على قراءة الكسر وختموا به على قراءة الفتح بمعنى الطابع ولو كان له ابن بالغ
لكان نبيا لما روي انه عليه السلام قال في ابراهيم لو عاش لكان نبيا فلم يكن هو
خاتما وهو كذلك لكونه ليس ابا احد من رجالكم ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام
لا لانه اذا نزل كان على دينه لانه لانبيا في استقلاله في النبوة انما انبيا في استقلاله بنبي
الرسالة بل لانه عليه السلام كان نبيا قبله لا بعده فلا ينافي كونه خاتما للانبياء على انه
اخرهم بعثة وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي
شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اذكروا الله باصناف الذكر من التقديس
والتحميد والتكبير والتهليل وكل ما هو اهله من انواع الثناء وسبحوه بكرة واصيلا وخصوا
التسبيح بالذكر من بين سائر الاذكار بانفصاله واختصاصه بالشرف لان التنزيه افضل
الاذكار مقدما على كل ما هو ثناء والتعقيب او قيل المذكورين لذلك ايضا اي لبيان
فضلهما وشرفهما لكونهما طرفي الليل والنهار ويجتمع الملائكة فيهما وتحصيلهما يدل على
فيهما الدوام هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار والاهتمام بما يصلحكم
والصلاة المشتركة بين الله تعالى وملائكته هي الاعتناء بالخيرات ولكل اثر بما يصلح المؤمنين
في الدارين فكيف يهتمون لتعظيمه بذلك سبحانه عن الصلاة التي هي مشرف كمالهم ولهذا
عليه قوله ليخرجكم من الظلمات من ظلمات الكفر والمعاصي الى النور الى نور الايمان
والطاعات وملائكته الملائكة واسطة الفيض كان لهم مدخل في الاخراج بالنور الكاملة
وقيل هي الرحمة والرافة والتعطف المعنوية استعيرت من الصلاة المشتملة على الحنو والانعطاف
في الركوع والسجود للحنو والانعطاف الصوري كما عطافا للعائدين المريض والمراة المشفقة على
ولدها ثم شاع استعمالها في الرحمة والتراوف المعنويين ومنه قولهم صلى الله
عليه وسلم عليك اي ترحم وترافق لان الملائكة وسائط الرحمة ومستجابوا الدعوة في
الاستغفار لهم نسب الرحمة لهم كما نسب الى الله على ان الاستغفار ترحم ويؤيده قوله
وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصالح امرهم واناقة قدرهم واستعمل في ذلك
ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه
او عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة

والتنكير للتعظيم واعد لهم اجرا كريما في الجنة وتغيير النظم في تحيتهم واعداد
للمبالغة فيما هو اهم وادل على الكرامة المحافظة على الفاصلة يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم مقبول القول لديه عند تصديقهم وتكذيبهم نحو ما عنهم وتشبيهم
وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب به
من صفاته باذنه بتيسيره لما كان التصرف في الغير حق المالك مستعدا انما يكون بالاذن
استعير الاذن للتيسير والتسهيل ايذانا بان دعا اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد امر
صعب متعذر الاستطاع الا اذا سهله الله تعالى ويسره ولا يتجوز حمله على الحقيقة
لان قوله ارسلناك داعيا يغني عن الاذن بمعناه الوضعي وسراجا منيرا شبه النبي عليه
السلام بالسراج المنير لاستضاءة من تحير في ظلمات الجهل بنوره واهتدا من ضل بضوئه
ولانه قد جلى الله تعالى به ظلمات الشرك بنور توحيده او نور البصائر بنور هدايته كما ينور الابصار
بنور السراج وبولغ في وصفه بالانارة لان من السراج ما لا ينير وقيل اسراج منير عليه
السراج مستعار للقرآن وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي عطاء واسعا
او ثوابا جزيلا او فضيلة على سائر الامم وصف بخمس صفات ثم قابل كلا منها بخطاب يناسبه
يكون نعوتا هكذا واهمل ما يقابل المبتدأ لانه لم يعطف شيء عليه فانه مما بالمبشر فيصح ان يكون معطوفا
على ما غاب لي وصفا الذي عطف عليه مبشرا وهو منزل قبله وقابل نذيرا بالنهي عن مراعاة
الكفار والمبالاة باذاهم في قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فان ذلك اشد الانذار
كانه قال اخلص وثبت نهيتنا انا الكفيك وذلك تهييج له عليه السلام على ما هو عليه من مخالفتهم
وقابل داعيا الى الله باذنه بقوله ودع اذاهم وتوكل على الله فانه مبشر لكل من عبده
منير يبقى له وكفى بالله وكيلا يعني كلا اليه الامر في الاحوال كلها لان من انار برهانا
على جميع خلقه حقيق بان يكتفي به عن غيره ولا يبتغى ان الايه يا ايها الذين امنوا اذا
نكحتم المؤمنات لنكاح العقد وتخصيص المؤمنات تنبيه ان الحكم المذكور يستوي فيه المؤمنات
والكتابيات تعليم لما هو الاولى لهم وتعريض عليه فانا لا اولى بالمؤمن ان يتخير لنطفته ولا
يختار للنسل الا العفيفة الطاهرة وجا في الماثور بيان الجواز ومعنى التراخي في ثم طلقتموهن
نفع لما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن فيها الاصابة يؤثر في العدة كما في
النسب من قبل ان تمسوهن المس كناية عن الجماع فما لكم عليهن من عدة ايام تعتدون
فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته
فاكتاله او تعتدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق لا ازواج كما اشعر

الكن ومن قرا تعتدونها بالتخفيف حفظها لجا زوا وصل الفعل الى الضمير بحذفه كقوله
ويوم شهدناه اي شهدنا فيه ومنطوقه ساكت عن العدة بحجة الخلوة الصحيحة ولا يعين
الفهم فلا مانع لطلاق الخلوة المنا سنى في ايجاب العدة فمتعوهن اي الوجوب ان لم يكن
مفروضا لهن فان المفروض لها نصف المهر ويجوز ان يحمل على الراجح والاولى اي القدر
المشترك بينا الوجوب والندب فيشا وكما فان المنعة المفروض لها منصفه ولم يجب الا
لغير المفروض لها قبل المساس من المطلقات وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس عليهن
عدة سراحا جميلا من غير اضرار ولا منع حق يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي
اتيت اجورهن مهورهن فان المهر اجر على البضع وايتاؤها اعطاؤها او العنية فيه الا التزام كما
في الخبر وقد نبه على هذا من قال اعطاوها عاجلا او فرضها وتسميتها في العقد فانه
في حكم الاعطا وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وهي صفية وجويرية فاعتقهما
وتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الجمع في العمات
والخالات دون العم والخال لتساوي الكلام على وفق الواقع كما في قرينة السابق اللاتي
هاجرن معك مع ليس القران بالاجود ما لحسبك نزل الامر اسلم مع سليمان والتقييد التكميل
التخصيص يحكى ان امرها في تزوجي اهتمتها انها قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه وامراة
مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اتفق ولذلك نكرها اي رضيت بالنكاح له عليه
السلام بلا مهرها فالهبة المذكورة مجاز عن تمليك المنعة بلا عوض وليس معناه ان الكل
وهبت نفسي للنبي حتى يتمحض حجة في الحلاقية المشهورة بيننا وبين الشافعي علينا او لنا
وامراة عطف على ازواجك وما بعدها ولا يمنعه التقييد بان الاستقبالية لان المراد
بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمنا لك حل امراة مؤمنة او نصب بفعل مضمر يدل عليه احللنا لك
امراة وقرى ان بالفتح على التعليل بتقدير محذوف ذا ان لاي لان وهبت وبلاهية هبتها
ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للاحلال الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها
منه لا توجب له حلها الا بقبوله بل الارادة المذكورة عبارة عنه ولا وجه لحملها في الحقيقة
لان قوله يستنكحها يغني عنها الارادة بمعناها الوضعي والعدول عن الخطاب الى الغيبة
بلفظ النبي ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك للايذان بانه مما خص به لنبوته وتكريره تقرير
لاستحقاقه الكرامة لاجله وخالصة مصدر مؤكد كوعد الله حقا اي خلص لك احلالها
خالصة مصدر بعنى خلوصا او حال من الضمير في وهبت او صفة مصدر محذوف اي هبة خالصة

وقريبا خالصة بالرفع اي ذلك خلوص لك من دون المؤمنين او تلك المراة
خالصة لك من دونهم قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب
المهر لتستمتعها بالوطئ حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها عليهم كيف ينبغي
ان يفرض عليهم والعقد لمن عبارة الا ان ما ذكرنا لك لا له على ان مدار الحل على ملك البيه
لا يتحقق الحل اذا اختلف ملك اليمين بملك الرقبة كما في المكاتبة لكيلا يكون عليك حرج
علة لقوله خالصة لك وما بينهما اعتراض لبيان ان الفرق بينه وبين المؤمنين ليس بمجرد
التوسيع عليه كما هنا بل المعاني خاصة بنوع تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة
وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مكان الحرج
ترجي بهمز وبلا همز والمعنى تؤخر من تشاء منهن تترك مضاجعتها ولا تقسم
لها وتؤوي اليك تضم اليك من تشاء وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ومن
ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك التفويض الى
مشيتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اقرب الى قرة اعينهن
وذهاب حزنهن حصول رضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سوا لا تفاضل بينهن فتتغاير ثم
ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن على بعض علمن انه بحكم
الله وبرحمته فتطيب نفوسهن ويرضين ولا تتغايرن والله يعلم ما في قلوبكم
وعيد لمن لم ترض منهن بما ذكر الله تعالى وفوض الى مشيته وكان الله عليما بذات
الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر لا يحل لك النساء اي ذلك
الجنس واتيان صيغة الجمع ثم ابطالها بالتعريف لعدم المفرد من لفظها ولم يقل امراة لعموم
المملوكة بملك اليمين والمراد المملوكة بملك النكاح بقرينة قوله من ازواج وقرئ بالتذكير
لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة فمع الفصل اجوز من
بعد من بعد التسع لانه نصابه رسول الله عليه السلام من الازواج كما ان الاربع نصابنا
امته او من بعد اليوم حتى انه لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل
بهن ولا ان تستبدل بهن من ازواج لا بكلهن ولا ببعضهن بان تطلق احديهن وتنكح اخرى
مكانها كرامة لهن وجزاء على اختيارهن وعنين به قصر رسول الله عليه السلام عليهن وهي
التسع اللاتي مات عنهن رضي الله عنهن ومن في من ازواج بين الاستغراقية مزيدة لتاكيد
في التبدل بتحصيل الازواج ولو اعجبك حسنهن حال لازواج المستبدلة وهو حال
من الضمير الذي هو فاعل التبدل اي مفروضا اعجابك بهن وقيل المفعول الذي هو ازواج

لانه فيه ما قربه به المعرفة المستغرقة لا نكرة الى تجويزهم ان يتبع مبتدا وعن
عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله عليه السلام حتى احل له النساء يعني ان الاية
نسخت ولا نسخها ان يكون بالسنة وما بقوله انا احللنا لك ازواجك او بقوله
ترجي من تشاء منهن فتقدم الناسخ في التلاوة المنسوخ الثاني وترتيب النزول على ترتيب
المصحف وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن
لك من الاعرابيات والكتابيات والغرائب او الاماء بالنكاح فانه لا يليق بمنصب النبوة كلام
الا ما ملكت يمينك استثناء متصل لان النساء فانه كان في الاصل يتناول الحرائر
والاماء لكن غلب استعماله في الازواج وهو المراد هنا على ما مر بيانه وكان الله على كل شيء
رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي لم يقل بيت النبي كيلا يتوهم ان المراد بيتا للنبي
حرم فيه الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم ولا يجوز نصبه على الظرف
لانهم قد نصوا على ان المصدرية لا تكون في معنى ظرف لا يجيئ لك حين صياح الديك وقدوم
الحاج ولا يجوز اجيئك ان يصيح الديك ولا ان يقدم الحاج الى طعام متعلق بيؤذن لانه
متضمن معنى يدعى الدلالة على ان حكم النهي لا يرتفع بمجرد الاذن لا لانه يعتقد ان بعد رفع
الحجاب مثلا بل لا بد معه من صريح الدعوة وبعضهم قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين
وقته وادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او من الضمير في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون
جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقرئ اناه بالامالة
لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك قيل الخطاب مخصوص بقوم كانوا يتحينون طعام
رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته
الا باذن خاص والقائل الخطاب عام لغير المحارم وخصوص السبب لا يصلح مخصصا
على ما تقرر في الاصول نعم يكون وجها لتقييد الاذن بقوله الى طعام فيندفع وهم
اشتراطه من مفهومه ولكن اذا دعيتم فادخلوا هذه المقالة ولا دلالة فيها على ... ولو انما
لفائدة في قوله فاذا طعمتم فللتعقيب بلا مهلة للدلالة على انه ينبغي ان يكون دخولهم بعد
الاذن والدعوة على وجه يتصل الى الاكل كما دخلوا فيه ثم بل لا يتخل البيه
غير ناظرين اناه من النهي عن الدخول للطعام قبل ادراكه فانتشروا فتفرقوا ولا تمكثوا
روي عن انس انه قال انا اعلم الناس بهذه الاية لما زفت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت معه في البيت وصنع طعاما ودعا الناس فاكلوا وتفرقوا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون

فلما اقتضا رسول الله عليه السلام ليخرج ثم رجع فاذا الثلاثة يتحدثون بعد فنزلت
وكان رسول الله عليه السلام شديد الحيا فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت
ولا مستانسين لحديث اي ولا مستانسين بحديثكم لبعضكم لاجل الحديث او مستمعين لحديث
اهل البيت لا قول بالتجسس له معطوف على ناظرين او منصوب بفعل مقدر اي
ولا تدخلوها ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم تعليل المحذوف وهو ذلك الكلام اي
فلا يخرجكم فيستحيي منكم وكذلك صدقه بدلالة التعليل فلو كان المعنى يستحيي من اخراجكم
لكان حقه ان يصل باثر الملاطفة والله لا يستحيي من الحق الا ان الحيا يمنع الحيي من بعض
افعاله وما فيه العواقب كان تحفا فبين ان الله لا يستحيي من الحق اي لا يمنعه من اتباع الحق
مجازاة على طريقة قوله * تلك الفضل الجنة وشيء * يعني اخراجكم حق فينبغي ان
لا يترك حيا كما لم يتركه الله تعالى وامركم بالخروج واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي
لدلالة ذكر البيوت ولان الحال يدل عليهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع من ورا
حجاب ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو
امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه
فاصابت يد رجل يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن من خواطر الشياطين وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان
تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او طلاقه وخص
التي لم يدخل بها لما روي ان الاشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم
برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم اي
ايذاؤه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما اسنيا في التعظيم للنبي
عليه السلام وايجاب حرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا
من نكاحهن وغيره او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم
عليه وفي هذا التعميم مع انه برهان على المقصود تهويل عظيم ونبا لشديد في الوعيد
لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء
لمن لا يجب الاحتجاب عنه روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول
الله او نكلمهن ايضا من ورا حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الاخوة على ما ذكر
في البيان او في غلط الاكتفا بالانتهام وقيحا لاخ فان ذكر ابنه يغني عنه لانه كرر

الاخ

الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفاهما لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد سبق في تفسير سورة النور واتقين
الله فيما امرتن بها التفات الى الخطاب بعد الغيبة لاظهار الاعتنا بامر الحجاب والتشديد
عليهن في ذلك والاية من باب التذييل لوجوب رعاية المحافظة عليه ثم اوعد على ذلك
بقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا سواء عنده السر والعلن لا يتفاوت عنده شي من
الاحوال فليكن عملكن في الحجاب كما كان قبل الاحتجاب ان الله وملائكته يصلون على النبي
يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم
ايضا فانكم اولى بذلك فقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك
ايها النبي والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه عليه السلام في الجملة ان الذين
يؤذون الله ورسوله مجازا بان يكونوا ما يكرهانه من الكفر والمعاصي ولان
يكون حقيقة وذكر الله توطئة للتعظيم او لاختصاص اي يؤذون رسول الله لعنهم
الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها ذلك
اطلق ايذا الله ورسوله وقيد ايذا المؤمنين والمؤمنات لان ايذا الله ورسوله لا يكون الا
بغير حق وايذاهم قد يكون بحق فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت
في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة
كانوا يتبعون النسا وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسا المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين بها وجوههن واعطافهن [illegible] اذا برزت
لحاجة بيانا لما ادنا الا ترى ان وجه المراة ادني ثوبك على وجهك والجلباب الملحفة وكل
ما تستتر به من كسا وغيره ومن للتبعيض لان المراة تتلفع ببعضها وترخي بعضها [illegible]
او لان لها جلابيب كانت لنسائها وقال الاخطل يترشح في درع وخمار وكانت عادتهن في
الجاهلية لا فرق بين الحرة والامة في ذلك وربما كانت الشبان والفسقة يتعرضون لهن
فاذا عوتبوا فيه يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن زي الاماء فقال الله
ذلك ادنى ان يعرفن يتميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل
الريبة بالتعرض بما يكرهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بتعليم
اداب الكلام لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان
وقلة ثبات عليه وقيل اهل الريبة والفجور من الزناة يتعرضون لمطمع الذي في قلبه مرض

والمرجفون في المدينة الذين يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله عليه السلام
فيقولون هزموا وقتلوا وأصل الجملة ما يكدر قلوب المؤمنين والإرجاف الإخبار الكاذب لأنه
المتزلزل غير ثابت يقال رجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة من الرجفة وهي الزلزلة
لنغرينك بهم الإغراء التحريض جعل مجازا عن قصد ضربهم التسلط أي لئن لم ينتهوا لما فيه
عن نفاقهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عن أراجيفهم لنأمرنك بأن تفعل
بهم الأفاعيل التي تسوءهم من أنواع التعذيب ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا عطف على
لنغرينك لأن الجلاء عن الأوطان عقاب وإيذاء لو قيل ثم لم يبقوا لا يجاورونك لكان صحيحا أو
عطف ثم لأن الجلاء عن الأوطان لما كان أعظم عليهم من كل بلاء اشتد من كل ما أصيبوا به من العذاب
بعد ما له عن حال المعطوف عليه ثم تفعل بهم ما يضطرهم إلى الجلاء عن المدينة وإن كان لا بد أن
فيها الأمر زمانا قليلا ريثما يتهيئون للرحيل ويرحلون عيالهم ثم يرتحلون ملعونين نصب
على الذم أو الحال والاستثناء شامل له أيضا أي لا يجاورونك إلا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب
بأخذوا في قوله أينما ثقفوا وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها والتشديد للدلالة على التكثير وكذا التكثير سنة الله في الذين خلوا
مصدر مؤكد أي سن الله ذلك في الأنبياء الذين مضوا من قبل ذلك سنة وهو أن يقتل الذين
في الذين نافقوا وسعوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لأنه تعالى لم يبدلها ولا يقدر أحد
على تبديلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها كان المشركون يسألون رسول
الله استهزاء وتعنتا أو امتحانا لأن الله تعالى عمى وقته في التوراة وفي
جميع كتبه قل إنما علمها عند الله لم يطلع عليها أحدا لا نبيا ولا ملكا ثم بين لرسول
الله بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين
وإسكاتا للمتعنتين وتذكيرهم بما على ما وليها الليل واليوم والزمان ويجوز أن يكون الساعة
أو في زمان قريب إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة الإيقاد
خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم ظرف
يقولون أو نصب بإضمار اذكر تقلب وجوههم في النار كما تقلب اللحم في النار
وتحال في حال إلى هيئة وخصت الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء من الإنسان ولو عز
أو عبر بها عن الجملة وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ويقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسولا فلم نبتل بهذا العذاب وزيادة الألف في الرسولا والسبيلا للإطلاق كالصوت
جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام

فانقطع وإن ما بعده مستأنف وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون رؤساء الكفر
الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم وقرئ ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فأضلونا
السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي مثلي ما آتيتنا منه لأنهم ضلوا وأضلوا
والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد وقرئ بالباء أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه يا أيها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فاستحقوا العذاب في لعنتي فبرأه الله مما قالوا
فيحتمل ما أظهره الله تعالى من براءته عليه السلام مما قرفوه به انقطع كلامهم فيه فبرأه عليه السلام
من قولهم مضمون ما قالوا في الدنيا يظهرون كذبهم وافتراءهم على موسى وذلك
ما ذكر في القصص من تحريض قارون امرأة على قذفه بنفسها أو اتهامهم إياه بقتل هارون
عليه السلام فأحياه الله تعالى فأخبر ببراءة موسى عليه السلام أو قرفوه بعيب في بدنه
من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا جاه
ومنزلة فلذلك كان يدفع عنه التهم ويحافظ على ما وجهه به من كل وصم
ونقيصة وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا
عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا إلى الحق من سد يسد سدادا والمراد
النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد حق ليعم سمتها المنهي عن القول الموذي لرسول الله فإن النهي بالأمر
القول السديد بالحق ويحفظ اللسان عن الكذب والنميمة والغيبة ليتعاطى الأمر والنهي
ترادفا عليهم مع اتباع النهي الوعد الشديد في ضمن قصة موسى عليه السلام واتباع
الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الشر والداعي إلى الخير ولتعم أفراد
القول السديد بالذكر وإن كان ذا خلاف في التقوي لأنه اجتناب من رذيلة الكذب لتفضله
كالمحض برأسه كما خص جبريل عليه السلام من بين الملائكة يصلح لكم أعمالكم بالقبول
والإثابة عليها أو لذلك بالتوفيق لصالح الأعمال ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة
باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الأوامر والنواهي فقد فاز فوزا
عظيما عاش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها لاشتمالها خوفا مع عظمها وحملها الإنسان تقرير للوعد السابق بتعظيم
الطاعة فإنه لما علق الفوز العظيم بها أراد أن يقرر أنه حقها فاستعار لها الأمانة
لأنها واجبة الأداء كالأمانة وبين أنها من عظمها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام
العظام مع أحكامها وعظمتها وكانت شاعرة لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها
الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته مجدين بالقيام بحقوقها والمراد بحملها أن

يعني زجرها لذاتها وسادة المتابعين وحق لمن اضاع حقوقها وخانها ان يرهق
بالسد العذاب ويبوء بشر المآب انه كان ظلوما حيث لم يراع حقوقها ولم يؤدها
ولم يف بها جهولا حيث لم يعرف عظم قدرها وفخامة شأنها فلم يؤدها وهذا
حكم على الجنس بحسب الاغلب وقيل المراد بالطاعة الانقياد لارادته تعالى
مطلقا بحيث يشمل الاختياري والطبيعي وبعرضها استدعاؤها الذي يعم ارادة
صدورها وما خلقت هذه الاجرام مطاوعة وطلب ما يتأتى للانسان منه ويجعل الاباء
عن ادائها والخيانة فيها اباء لحمل الامانة واحتمالها اذا لم يؤدها الى صاحبها
من عهد بها فتزول عن ذمته لان الامانة اذا كانت عليه كانها راكبة له وهو حاملها
كما يقال ركبته الديون فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا يكون هو حاملا لها وبابائها
حملها ابائها عما اراد الله تعالى منها طوعا وانقيادا وباشفاقها منها [illegible]
واشفاعها [illegible] لانها جمادات فيكون المعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها
لم تمتنع من طاعتنا وانما فعلت امرناها به واتت اتيناها ولم تخن واذعنت لارادتنا
منها كمن لم ابتلاها فعني واما الانسان مع كونه عاقلا لم يطع انه كان ظلوما لانه
لم يؤد امانتنا وخاننا ولم يف بعهدنا وخاننا جهولا بوخامة عاقبته واللام للتعليل [illegible]
لان التعذيب يعقب حمل الامانة ويجوز ان يراد بالامانة العقل وما يلزمه من التكليف
وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي
هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما
جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل
عليها فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد
ومعظم المقصود من التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه يتبعه
كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونه ظلوما جهولا
في جبلته لا يخلو عن فرط [illegible] بالرفع على ان العلة قاصرة على فعل الحامل [illegible]
الله ابتداء كلام وكان الله غفورا حيث تاب على فرطاتهم رحيما حيث اثاب بالطاعة عنه
والله تعالى اعلم بالحقيقة والصواب • واليه المرجع والمآب

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض قد سبق ان في وصفه المحمود بعد اثبات الحمد
له اشعارا بانه موجب لاستحقاقه الحمد والمعنى انه تعالى حقيق بالحمد لاجل انعامه بجميع
النعم الدنيوية وهذا عطف عليه بقوله وله الحمد في الآخرة الحمد على النعم الاخروية
عطف على الصلة [illegible] انه المحمود على نعم الدنيا في الآخرة وعلى نعم الآخرة في الآخرة وتقديم
الصلة للاختصاص لكون النعم الاخروية منه تعالى بلا واسطة واما نعم الدنيا فقد تكون
بواسطة من يستحق له الحمد ايضا لتسببه لها والفرق بين الحمدين بان الاول [illegible]
لانه على نعمة واجبة لا يتصل الى مستحقها لا يبتني على اصل اهل السنة [illegible]
على اصل الاعتزال لانهم لا ينكرون التفضل في الآخرة غاية انهم لا يقولون بكون الكل
تفضلا ووجوبه بحكم الوعد لا ينافيه لان الوعد منه تعالى مع عدم شموله لانواع النعم
الاخروية تفضلا عن افرادها كان تفضلا وما يجب بحكم التفضل لا يخرج عن حاله على انه
لا يثبت به الاستحقاق فلا يجدي نفعا في دفع الخلل [illegible] وهو الحكيم الذي احكم في افعاله
المصيب في اقواله الخبير بما في [illegible] الايقان بانه تعالى كما يستحق
الحمد لانه منعم يستحقه لانه متصف بصفات الكمال وان انعامه على وجه الحكمة والصواب
وعن علم بموضع الاستحقاق والاستيجاب ثم فصل علمه وحكمته بعد الاجمال بقوله يعلم
ما يلج في الارض من المطر وعروق النبات واصول الاشجار [illegible] الكنوز والدفائن والموتى
فيما يوضع فيها لا ما يلج فيها والولوج الدخول في المضيق وما يخرج منها من نبات والعيون
والنبات والاشجار [illegible] الارض من الفلذات [illegible] فيما يخرج لا ما لا يخرج وما ينزل
من السماء من الملائكة والكتب وقطرات الامطار والصواعق وامثال ذلك وما يعرج
فيها من الملائكة والاعمال [illegible] والادعية [illegible] العروج في
الدرجة اذا [illegible] وهو مع [illegible] هذه النعم [illegible] الرحيم بالنعم الدينية [illegible]
والحكمة والهداية الغفور للمفرطين في اداء موجب شكرها [illegible] الوصفين تتميما
للمقصود [illegible] انه تعالى مع [illegible] النعمة [illegible] ذلك التقصير [illegible]
في [illegible] النعمة [illegible] وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة [illegible]
انكار [illegible] استهزاء [illegible] هذا الوعد قل بلى وربي
لتأتينكم رد لكلامهم واثبات [illegible] في [illegible] الايجاب مع
التاكيد القسمي وايراد المقسم به بالوصف [illegible] والتعليل [illegible]
لاتيانها [illegible] وعلى الاول كان المذكور [illegible] على المدح هو عالم الغيب او مبتدأ خبره

لا يعزب عنه وقرئ عالم الغيب بالجر صفة لربي وعلام الغيوب للمبالغة ولا يعزب بكسر
الزاي وفيهما ابن الغروب وهو البعد مثقال ذرة مقدار أصغر نملة في السموات
ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما على
الابتداء ويؤيده القراءة بالفتح فيهما على نفي الجنس كقوله لا حول ولا قوة بالرفع والنصب
والاستثناء في قوله إلا في كتاب مبين أي اللوح المحفوظ يأبى عطف المرفوع على مثقال
والمنصوب على ذرة على أنه فتحة لامتناع الصرف لامتناع الاستثناء إلا إذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل
المثبت في اللوح بارزاً عن الغيب لبروزه للملائكة الأعلى كما قال بعضهم ولا ابناء على المعنى
لأن المعنى الغيبي إذا برز إلى الشهادة لم يعزب عنه بل بقي في الغيب على ما كان عليه
في جملة مستقلة والواو عاطفة الجملة على الجملة لتناسبهما في بيان تعلق علمه تعالى ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات تعليل لقوله لتأتينكم أولئك لهم مغفرة ورزق كريم
لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالإبطال وتزهيد الناس فيها معاجزين
مسابقين ليفوتونا وقرئ معجزين أي مثبطين الناس عن قبولها أولئك لهم عذاب من
رجز الرجز سوء العذاب أليم مؤلم وقرئ بالرفع والجر ويرى الذين أوتوا العلم أي ويعلم
أولوا العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم من الأمة أو علماء أهل الكتاب
الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وأضرابهما الذي أنزل إليك من ربك القرآن
هو القرآن هو الحق مفعول ثان ليرى وهو فصل ومن رفع الحق جعله مبتدأ والحق خبراً والجملة
والجملة في موضع المفعول الثاني ليرى وهو في محل الرفع على أنه كلام مستأنف للاستشهاد
بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل في محل النصب عطفاً على ليجزي أي وليعلم
العلماء عند مجيء الساعة أنه الحق عياناً كما علموه الآن برهاناً فيحتجوا به على المكذبين أو
أن يعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا حينئذ أنه الحق فيزدادوا حسرة وغماً ويهدي
إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين
كفروا قال بعضهم كما قريش لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمداً عليه السلام
وإنما عبروا عنه برجل على التنكير ولم يذكروه باسمه مع شهرته فيما بينهم للتعجيب وإخراج
كلامهم مخرج الأعاجيب التي لا يعرف قائلها وأصحابها بل تحكى للتلهي والسخرية فلذلك
أخرج هو مخرج من لم يعرف في قوله ينبئكم دون يخبركم لما فيه من الذكر فإن
النبأ خبر فيه غرابة وشأن إذا مزقتم إذا متم وتمزقتم كل ممزق نصب على المصدر
أو على الظرف على أنه اسم مكان أي فرقتم كل تفريق وصرتم تراباً أو كل موضع تفريق كقوله

لفي خلق جديد أي تبعثون بعد أن تمزقت أجسادكم في الطرف العامل في الظرف ما دل عليه إنكم لفي خلق
جديد أي بعثتم وجدد خلقكم وتجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد بمعنى مفعول من جد
النساج إذا قطعه وأصله في التوبيخ شاع في المقطوع الطرف عيباً باستبعاده وتعريضاً بالتكذيب
التعجب لبعده من العقول وأصله ينبئكم أنكم تبعثون وتجدد خلقكم إذا اسم فقدم
وأخر وبدل وغير لما قلنا ولذلك بالغوا في التأكيد بأن واللام متعجبين ومجيلين من
جزمه بالبعث إذ لا ينتفع بإمكانه بل يجزم بوقوعه حال شبهة وهذا هو السبب في حصرهم
قوله عليه السلام في الافتراء والجنون بناء على أن كونه مصدقاً وحقاً أمر بين الاستحالة عند
الترديد فسمي الكذب أفترى الفاستفهام دخلت على الألف المحكية فاستغنى عن الاستفهام
عنها على الله كذباً فقصد وتعمد كذباً بالكتاب أم به جنة أي جنون يوهمه ذلك فيقوله
بغير قصد فاستدلوا بجعلهم إياه قسيم الافتراء والجنون لأن هذا القول عنهم إنما يصدر عن أحدهما
لأنه إن كان يعتقد خلافه فما أخبر به فهو مفتر وإن كان لا يعتقد فهو مجنون بل الذين
لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد إضراب عن تقسيمهم وإبطالهم إلى ما هو أفظع
وفصل بسببه إنكارهم البعث وعدم إيمانهم أي وعدم إيمانهم بالآخرة وقرن العذاب
بالضلال إشعاراً بأن العذاب يلزم الضلال غير منفك عنه كأنهما في وقت واحد لسرعة
إذ الضلال بالبعد من الإسناد المجازي لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة أفلم
يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض تذكير لهم بما هم عليه من كمال قدرة
الله تعالى وتهديد على تكذيبهم أي أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض
فيستدلوا بذلك على أنهم في سلطان الله تعالى يجري عليهم أحكامه إن نشأ نخسف بهم
الأرض كما فعلنا بقارون أو نسقط عليهم كسفاً قطعة من السماء كما فعلنا بأصحاب
الأيكة لتكذيبهم بالآيات البينات بعد ظهورها إن في ذلك أي في النظر إلى ما بين أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض لآية بينة ودلالة واضحة على قدرة الله تعالى لكل عبد
منيب راجع إلى الله لأن الراجع إليه تعالى متفكر في آياته الدالة على أنه قادر على البعث
وعلى عقاب المكذبين ولقد آتينا داود منا فضلاً على سائر الناس وهو ما خصه به من النبوة
والكتاب والملك والصوت الحسن وعلى سائر الأنبياء عليهم السلام فيما أنعم به وهو ما ذكر
بعده من المعجزات الخاصة به يا جبال أوبي رجعي معه التسبيح وقرئ أوبي من الأوب أي
ارجعي معه في التسبيح لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه ويجوز أن يخلق فيها صوت مثل صوته
يحكيه كما في الصدى وقيل سيري معه أينما سار والطير قرئ بالرفع عطفاً على

لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية لكون بنائه بسبب العارض وهو وقوع المنادى مقام
شبيه الاضمار وهو كاف ادعوك بالحركة الاعرابية او عطفا على فاعل اوبي اي اوبي انت
والطير كقوله اسكن انت وزوجك الجنة وبالنصب على محله ولا تاييد في القراءة بالرفع
هنا لان مبناه على ان يتعين فيها العطف على لفظ الجبال وقد عرفت انه غير متعين
او على انه مفعول معه وقيل عطفا على فضلا وبمعنى وسخرنا له الطير واصل النظم
ولقد آتينا داود منا فضلا وتاويب الجبال والطير فعدل الى هذه الصيغة لفخامة
والجزالة لدلالة على كمال قدرته تعالى وعزة سلطانه وكبريائه حيث جعل الجبال والطير
كالعقلاء المطيعين الذين اذا دعاهم سمعوا واجابوا واذا امرهم اذعنوا واطاعوا اشعارا
بان كل حيوان وجماد مطيع له ومنقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد جعلنا
له لينا كالشمع يصرفه بيده كيف يشاء بغير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او لانه اوتي من قوته
ان اعمل اي امرناه ان اعمل وان مصدرية اي بان اعمل سابغات دروعا
واسعات يقال سبغ الثوب اذا غطى كل ما هو عليه وفضل منه والمراد درعا ذي يعني البدن حتى
يستر الساعدين والساقين وهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وكانت تثقل
لابسها فالامر بالتقدير بان يجمع بين الخفة والحصانة اي لا تنقص الحصانة فتثقل ولا
الخفة فتزول المنعة وقدر في السرد نسج الدروع وهو ان تحكمها وتجعل نظام حلقها
ولا تجعلها متخلخلة ومنه سرد الكلام نظمه في نسق واحد وقيل التقدير بالرقة وقدرها الحلقة
اي لا تجعلها صغيرة فتضعف لا يقوى الدرع على الدفاع ولا كبيرة فينال لابسها الا
وقيل هو في المسامير اي اجعل المسامير على قدر الحلق لا تغلظها فتخرق ولا ترققها فتقلق
وعدي التقدير على الوجهين المذكورين في تفسير السرد للمبالغة والاخير انه زوع
لم يكن مسموعا من داود ولا معدوما الحاجة الى التشبيه على تقدير ان يكون الحديد لينا بالالة
واما اذا كان على طبيعته فيلينه داود عليه السلام بيده قوية فلا بد من التشبيه بهذا
التفصيل ظهر فساد ما قيل ويؤيده الرد المذكور والنا له الحديد واعملوا الضمير لداود عليه
السلام واهله صالحا عملا صالحا موافقا امر الله تعالى اني بما تعملون بصير فيجازيكم عليه
ولسليمان الريح وسخرنا لسليمان الريح بنصب الريح وقرئ بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة غدوها
شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك واسلنا
له عين القطر النحاس المذاب اسال له معدن النحاس فكان ينبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك
سماه عينا والقطر كان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل من في محل النصب عطفا على الريح

ومن

ومن الجن حال متقدمة او في محل الرفع على الابتداء ومن الجن خبره بين يديه قدامه
باذن ربه بتيسيره وقد سبق وجه هذه الاستعارة في سورة الاحزاب ومن يزغ يعدل
منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام نذقه من عذاب السعير
عذاب النار قيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن امره ضربه ضربة احرقته
يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد انما عبر عن المسجد بالمحراب لاختصاصه
بهم من بين سائر البيوت وتماثيل صور الملائكة والنبيين والعباد كانت تعمل في المساجد
على هياكل العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم ولم يكن عمل
على الصور وبهذه الامثلة بدعة وجفان كالجواب جمع جابية وهي حوض كبير لان
الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور
تطبخ لها كنا بالكنف كنفولد يوم ينزع الداع وقدور راسيات ثابتات على الاثافي
لا تنزل عنها لعظمها وهذه الكناية كانت في منزلة التشبيه في قرينتها اعملوا
آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا مفعول له او حال بمعنى شاكرين او نصب على
المصدر اي اشكروا شكرا وحذف فعله لدلالة اعملوا عليه من حيث ان العمل للمنعم شكر
له ويجوز ان يكون مفعولا به على طريق المشاكلة بمعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم
فاعملوا انتم له الشكر وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه
وجوارحه في اكثر اوقاته فلما قضينا عليه على سليمان الموت ما دلهم الضمير للجن
على موته الا دابة الارض اي الارضة اسمها السرفة والارض مصدر ارضت الخشبة
فعلها فاضيفت اليه تاكل منساته عصاه المنساة العصا لانه ينسا بها اي يطرد ويؤخر
وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن التخفيف القياسي
ومنساته على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاة ومن سأته اي من طرف عصاه استعيرت
من ساة القوس وفيه لغتان كقحة وقحة فلما خر تبينت الجن من تبين اذا ظهر وتجلى
او من تبينه اذا عرفه ان لو كانوا يعلمون الغيب ان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال
كقولك تبين زيد جهله اي تبين جهل زيد ومفعول به وعلى الاول الظهور في المعنى
للبدل من الجن لانهم اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين وعلى الثاني معناه تحقق الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته
حال وقوعه فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره وعلم الجن كلهم علما بينا بعدما التبس الامر
على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب لقد كان

لسبا الانتظام بين القصتين انا لاولى في مدح الشكور وانا لثانية في ذم الكفور وبيان
جزا كفرانه وقرئ سبا منصرفا اي لاولاد سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والمنع
عن الصرف على معنى القبيلة او المدينة وسبا بقلب الهمزة الفا في مساكنهم في مواضع
سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب وقرئ مسكنهم بفتح الكاف وكسرها حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع آية اي علامة تدل على ان لهم الها خلقهم ورزقهم لان
ما اعطاهم من انواع الشجر والثمار كان خارجا عن وسع البشر جنتان بدل من آية او خبر
مبتدا محذوف تقديره جنتان وقرئ بالنصب على المدح ويدل ذلك على ان فيه معنى
المدح والمراد جماعتان من البساتين لا بستانان اثنان عن يمين وشمال جماعة عن يمين
بلدهم كل واحدة منهما لتقارب بساتينها وتضامها والتفافها كأنها جنة واحدة او
بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية
لما قيل لهم اي قلنا لهم على لسان الانبياء عليهم السلام المبعوثين اليهم او فهم اجابات
يقال لهم او قيل لهم بلسان الحال بلدة طيبة لم تكن سبخة ولا عاهة فيها ولا هامة
استيناف للدلالة على موجب الشكر وتعليل للامر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة
طيبة ورب غفور وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ
بلدة وربا بالنصب على المدح او اسكنوا او اعبدوا فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل
العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة والمراد المسناة التي عقروها سكرا وقيل العرم
الوادي الذي فيه السكر او الوادي الذي جاء منه السيل وقيل المطر الشديد او الجرذ الذي
نقب لهم السكر عليهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين تسمية الله لهم جنتين للمشاكلة مع التهكم ذواتي
اكل خمط الاكل بالضم والسكون الثمر والخمط شجر الاراك وقيل شجر ذو شوك وقيل كل
نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقرئ اكل بالتنوين وترك الاضافة الى خمط واذا نون
جعل خمط بدلا لانه كانه قيل ذواتي اكل بشيع او جعل اصله ذواتي اكل اكل خمط بحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما الاضافة فلان الخمط في معنى البرير وهو ثمر
واثل شجر تشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا وشيء من سدر قليل السدر شجر النبق
وهو مما يطيب اكله ولذلك كان يغرس في الجنان الاول ومن تعجيبه فلذلك قيل بالقلة
وبالغ فيه بقوله وشيء من سدر اي يبقي اثر ما منه على الجنان المبدلة تذكرة لما كان
وتحسرا عليه واثل وشيء معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل لا اكل له وقرئ
واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين ذلك جزيناهم بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة

او بسبب كفرهم بالرسل وتقديم المفعول على جزينا للاهتمام او للتعظيم ولذلك اشير
اليه بذلك وهل نجازي الا استعمل الجزا في معنى العقاب بقرينة هل نجازي بمعنى نعاقب
اي هل نجازي بمثل هذا الجزا وهو العقاب العاجل الا الكفور الا البليغ في الكفران
او الكفر وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام
قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة
وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرايح يبيت في قرية
الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل ماء ولا زاد
سيروا فيها على ارادة القول بلسان الحال او المقال لا امر فيه ولكن لما هيئ اسبابهم وكنوا
من السير كانه امروا بذلك واذنوا فيه ليالي واياما آمنين اي ان شئتم بالليل وان
شئتم بالنهار فانه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان
طالت مدة سفركم واستغرقتها ليالي او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها
الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا سئموا طيب العيش وملوا العافية والترفه
وبطروا النعمة فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى
وهو ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل ويتزودوا الازواد
ويتطاولوا بها على الفقرا فعجل الله لهم الاجابة بتخريب القرى المتوسطة وقرئ باعد
بين على لفظ الخبر ومعناه على خلاف ذلك وهو شكوى منهم من بعد سفرهم على قصرها ودنوها
لفرط تنعمهم وترفههم وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه كانهم تشاحوا على ربهم
وتشكوا اليه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد او بعد على النداء ورفع بين بانه الفاعل
وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث اي عظات وعبرا يتحدث
ويتمثل فيها الناس ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق
غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لايات لكل صبار
على المعاصي والبلا شكور للنعم والرخا ولقد صدق عليهم ابليس بالرفع ظنه بالنصب
اي حقق عليهم ظنه صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن اي وجد ظنه صادقا وقرئ
بتخفيف صدق على الوجهين ومعنى الاول صدق ابليس في ظنه او صدق يظن ظنا نحو
فعلته بجهدك اي تجهد جهدك ومعنى الثاني قال له ظنه الصدق فحين تخيل اغواءهم
يقول له صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على ان ظنه بدل له اي صدق عليهم ظن ابليس
فاتبعوه ان جعلنا الضمير لاهل سبا او في عليهم لبني آدم كان كالبرهان على ان اهل سبا اتبعوا

ز

الشياطين فاغواهم ومعنى صدق ظن ابليس وتخيله اغواهم انه حين وجد آدم عليه السلام
ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما فظن بهم اتباعه وقال
لاضلنهم ولاغوينهم الا فريقا من المؤمنين قلل المؤمنين بالنسبة الى الكفار على ان
من للبيان اي الا فريقا هم المؤمنين لقوله لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم
شاكرين وان كان للتبعيض فهم المخلصون لقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وما
كان له عليهم من سلطان اي من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة الا ليظهر علمنا بما تعلق به من ايمان من آمن وشك من شك تمييزهم عن مظاهر الجزاء
والمؤمنين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول والمراد بالعلم متعلقه ليترتب عليه الجزاء وذلك
علة للتسليط وفي قوله ممن هو منها في شك وتغيير نظم الصلتين ايذان بالحالة
الاسمية وتنكير الشك وجعل متعلقه ما لا احتجابه فهو راسخ في الشك المحيط
منه اي لا يرتاب وعلى الكفر وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيان قل
للمشركين ادعوا الذين زعمتم حذف مفعولا زعمتم والتقدير زعمتموهم آلهة اما
الاول فلطول الموصول بصلته واما الثاني فلقيام صفته مقامه وهو من دون الله وهو
حذف فاش اذ لا يكون مفعولا ولا يستقيم ان يكون هو مفعوله الثاني لان قولك هم من
دون الله لا يلتئم كلاما ولا لا يملكون لانهم لم يزعموا ذلك بل نقيضه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع ودفع ضر كما تدعون الله تعالى هل يستجيبون لكم ثم بين انهم لا يملكون
مثقال ذرة من خير او شر او نفع وضر استئنافا في الجواب عنهم لتعينه اشعارا بانه
متعين وبين لا يحتمل غيره فلا يمكنهم الافصاح عنه لكونه حجة عليهم في السموات
في الارض تعميم عرفي اي لا يملكون شيئا ما في موضع ما او لان آلهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير
والشر اما سماوية واما ارضية والجملة المعطوفة على الاستئنافية كلتاهما بيان لما فاته
صفاتهم للالوهية بالكلية التامة وما لهم فيهما من شرك في هذين الجنسين من
شركة في خلقهما لا في ملكهما وما له منهم من ظهير يعينه على خلقهما
وتدبيرهما يعني انهم في العجز والبعد عن صفات الربوبية بهذه المثابة فكيف يصح
ان يعبدوا او يدعوا ويرجوا كما يعبد الله تعالى ويدعى ويرجى ولا تنفع الشفاعة عنده
اي لا تنفعهم من جهتها الشفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له وقرئ على البناء للفاعل اي لمن اذن له الله ان يشفع او لمن اذن ان يشفع له لعلو الشأن

بالشفاعة

الشفاعة قد تكون للشافع وقد تكون للمشفوع له فلا يليق بهذا الموضع ان تكون
بمعنى المشفوع له واللام الثانية في قولك اذنت لزيد لعمرو اي لاجله وكانه قيل
لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن وقع الاذن للشفيع لاجله حتى يكون من المقبولين
هؤلاء يستشفعون بما عند الله تعالى لا تنفعكم شفاعتهم لانهم لا يؤذن لهم ان يشفعوا لاجلكم
حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان توقف الشفاعة على الاذن مؤذن بان ثمة
انتظارا للاذن وترقبا للراجين للشفاعة والشفعاء من انه يؤذن لهم كانه قيل
يتربصون مترقبين حتى كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن في الشفاعة والتفريع كشف الفزع
وازاله وقرئ مخففا بمعنى التشديد وقرئ بالراء المهملة والغين المعجمة اي نفى الوجل
عنها وافنى من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وفرغ مخففا اصل فرغ بالزاي المعجمة
فرغ الوجل عنها ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا
علم المرفوع واصل المخفف فرغ الوجل انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار
والمجرور قالوا اي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا اي المقربون قالوا
قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى من المؤمنين وقرئ الحق بالرفع اي مقوله
الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك مقرب ولا نبي مرسل ان يتكلم
ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والارض
تقرير لقوله لا يملكون ولذلك امر بالجواب بقوله قل الله لتعينه
عند العقل وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به
بقلوبهم لعلمهم بانه لا جواب الا هذا وان الحامل العناد وحب الشرك لا افواههم ان ينطقوا به
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين
الذين يخصون الرزق وهو المتفرد بالقدرة الواجب له العبادة ومن المشركين الذين
يشركون الجماد النازل في ادنى مراتب الامكان لعلى احد الامرين من الضلال والهدى وهو
غاية ففيها الانصاف الذي يحمل من سمعه من الموافق والمخالف جميعا في طلبة بعد ما تعلم
من التعريض البليغ تعريض بمن هو في ضلال لا يلحق بالفريقين ومن هو على الهدى كما يبلغ من التصريح
لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب واختلاف الحرفين في التعدية للدلالة على
ان المستعلي على جواد يركضه حيث يشاء او على منار يشرف على كل شيء والضال
كالمنغمس في ظلمة لا يمكنه التقصي منها لا يرى وجهه الا الاحوال فكالمنغمس في ظلام مرتبك
لا يرى وجهه تتوجه اليه ابهام يتبعه بقوله قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون

بما هو أبلغ من الأول فإنهما العناد والانصاف فيلحق بالغ دون الإخبات نسب
الإجرام إلى نفسه وأصحابه والعمل إليهم وهو مباح على الفرض والتقدير فلا يلزم الجرم
ولا يخلو عن التعريض المذكور مع التهكم قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا
بالحق يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم
الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي أن يقضى به قل أروني الذين ألحقتم
به شركاء استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة متصل بأمرهم بإظهار
العظيم وزيادة في التبكيت أي أرونيهم بأي صفة ألحقتموهم به في استحقاق العبادة
وشركتموهم به في التعظيم وكيف قايستم الجماد الذي في غاية العجز والذلة بالقادر
الذي قهر كل شيء بالقدرة كلا ردع لهم عن مذهبهم بعدما بكتهم بإبطال المقايسة
بل إضراب بعد الردع عن الشرك إلى حصر الألهية في الله تعالى ومحض التوحيد
هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة تنبيه لهم على فرط
غلطهم وتغابي نصابهم كأنه قال أين شركاؤكم من هذا الوصف وهو راجع إلى
الله أو ضمير الشأن كما في قوله قل هو الله أحد وكيف ما كان فمؤداه على نهاية
التعالي إياهم المحجوج وما أرسلناك إلا كافة للناس كافة إذا منع صفة مصدر محذوف
أي إلا رسالة عامة محيطة بهم مانعة لهم من أن يخرج منهم أحد وقال الزجاج جامعا
للناس في الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة
كالرواية والعلامة ويجوز جعلها حالا من الناس مقدمة فإن تقدم الحال على صاحبه
المجرور مختلف فيه وقد ذهب أبو علي وابن كيسان وابن برهان وابن مالك إلى أنه يجوز وهو
الصحيح ولا حاجة إلى أن يكون اللام بمعنى إلى فإن أرسل يتعدى باللام كقوله تعالى
وأرسلناك للناس بشيرا ونذيرا للمطيعين والعاصين ولكن أكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط تعنتهم لا من فرط جهلهم ولذلك عطف
بالواو دون الفاء متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله يجمع
بيننا إن كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما
كان سؤالهم عن تعيين الميعاد تعنتا وإنكارا لا استرشادا جاء الجواب تهديدا أو وعيدا
مطابقا لما قصدوه قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا
الزمان والإضافة للتبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية ويؤيده أنه قرئ ميعاد يوم فأبدل
منه اليوم وقرئ يوما على التعظيم وتقديره لكم ميعاد أعني يوما ويجوز أن يكون الرفع أيضا

على التعظيم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون أي إذا فاجأكم لا تستطيعون
عنه تأخرا ولا عليه تقدما وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه
من الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم السلام الدالة على البعث روي أن كفار
قريش سألوا أهل الكتاب عنه عليه السلام فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم
فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ثم أخبر عن صورة حالهم في الآخرة
فقال له عليه السلام أو لكل من يستحق أن يخاطب ولو ترى إذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول أي لو تراهم في الآخرة موقفهم عند المحاسبة وهم
يتجاورون ويتراجعون القول وجواب لو محذوف لدلالته على ما لا يدخل
تحت الوصف من العجائب الهول والفزع يقول الذين استضعفوا أي الأتباع
للذين استكبروا أي الرؤساء لولا أنتم لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان
لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا بصيغة
المضارع تصويرا للحال ثم عدل عنها إلى الماضي وكذلك الشرك العاطفة أنحن
صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بمنع قبل وقال الزمان ما لا يتسع في غيرها فيضاف
بعضها إلى بعضها إلى الجمل فلذلك أضيف بعد إلى إذ وإذا بل كنتم مجرمين أولى الإثم
الصريح لإنكار أن يكونوا هم الصادين إياهم عن الهدى بعدما جاءهم وتمكنوا منه وإثبات
أنهم الذين صدوا باختيارهم وآثروا الضلال على الهدى ولذلك ضربت عن دعواهم الإضلال
عليهم إلى أنهم هم الذين أجرموا بكسبهم وقال عطف هذا الكلام على كلامهم الأول بالواو
دون كلام المستكبرين في جوابهم لأنه ابتداء جواب بحقه الاستئناف الذين استضعفوا
للذين استكبروا أي كره المستضعفون عليهم وقابلوا إضرابهم بقولهم بل مكر الليل
والنهار مبطلين إضرابهم بإضراب عنه إلى أن الإضلال كان من جهة مكرهم الدائم
وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد لا من جهتنا واختيارنا وأضيف المكر إلى
الظرف على الاتساع وأجرى الظرف مجرى المفعول به أي مكركم لنا في الليل والنهار
من باب الإسناد المجازي وإضافة المصدر إلى الفاعل بجعل الليل والنهار ماكرين وقرئ
مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين على الأصل ومكر الليل والنهار بالرفع
والنصب أي الكرور أما الرفع فعلى الابتداء أو الخبر أي سبب ذلك مكركما أو مكركم في
مكركما أو مكركم بسبب ذلك وأما النصب فعلى المصدر أي تكرون الإغواء مكرا دائبا إذ
تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا إذ بدل من الليل والنهار أي مكركم

في زمان امركم ايانا بالكفر او نصب الظرف لمكر او تعليل اي لامركم ايانا بالكفر واسروا
اي اسر الظالمون الموافق قول السائلون للفريقين الندامة لما راوا العذاب
اخفوا الكلام بالندامة فيما بينهم على سبيل المسارة والتناجي اخفوها اي الندامة المستكبرين على
الضلال والاضلال وعندائه المستضعفين على الضلال والاتباع واظهروها على ان
الجمع والتصريح على ان الهمزة للازالة كما في قولك اعتبته واشكيته وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا من باب وضع الظاهر موضع المضمر اي في اعناقهم
للتصريح والتنويه بذمهم والدلالة على ان الكفر هو الذي استحقوا به الاغلال هل
يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزي
لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير تسلية لرسول
الله عليه السلام بان الرسل كلهم منوا بما مني به من قومه من التكذيب والمفاخرة بالمال
والاولاد الا قال مترفوها تخصيص المتنعمين بذلك لان معظم الدواعي الى الكفر
والانكار التكبر والمفاخرة بالاموال والاسباب التي هي منشأ الطغيان ولذلك ضموا
التهكم والمفاخرة على التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون لانه مقابلة الجمع
بالجمع لان كل من نذير في سياق النفي للعموم ولان الانبياء عليهم السلام متفقون في
اثبات التوحيد والبعث وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
او اولى بالنجاة لانهم في قوله وما نحن بمعذبين لانهم اعتقدوا ان اختصاصهم بالغنى
التنعم والترفه انما هو لكرامتهم عند الله تعالى او فاستولوا الاخرة على امر الدنيا فقالوا
ذلك على ان وقع لم يكونوا معذبين لانهم اكرم على الله تعالى من ان يعذبهم انما المعذبون
من يهون على الله من اهل الفقر والفاقة وسوء الحال في الدنيا وفيه استهزاء بالانبياء
عليهم السلام واصحابهم من الفقراء واستهانة بهم اي ان صدق وعدكم بالبعث فانتم
المعذبون لا نحن كما في الدنيا قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر اي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء كما كان يعني اوفرها كما فلا التوسيع
يدل على الاكرام ولا التضييق على الاهانة ولا يتعلق السعادة والشقاوة الاخروية
بتوسيع الرزق الدنيوي وتضييقه بل ولو كان ذلك لكرامته وهوانه لم يوجباه لم يكن
بمشيئته وفيه نظر لا تعرضي من متعين ان المشية تابعة للاسباب الا ما الباقي لم الذي في
الفعل والترك ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم تفهمهم على موافقة الحكمة
وانسرها فيظنون ان الفقر والغنى وكثرة الاموال والاولاد لكرامته والهوان عند الله

وليس [illegible] الاستدراج [illegible] توهم

في الدنيا وقد رد ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اي
من الاموال والاولاد التي على ارادة الجماعة لان الجمع المكسر يستوي في تانيثه العقلا
وغيرهم وتجريا للاولى لانها جماعات وقرئ بالذي اي بالتي الذي زلفى في محل
النصب على المصدر اي تقربكم قربة كقوله انبتكم نباتا الا من آمن وعمل
صالحا الظاهر انه استثناء منقطع اي لكن من آمن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه
وقيل استثناء متصل من مفعول تقربكم اي لا تقرب الاموال والاولاد احدا الا المؤمن
الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله تعالى ويعلم اولاده الخير والفقه في الدين
ويربيهم على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من آمن واولاد
فاولئك لهم جزاء الضعف اي يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا الى سبعمائة او اكثر من
اضافة المصدر الى المفعول اي اولئك لهم ان يجازوا الضعف وقرئ جزاء الضعف
على الاصل وجزاء الضعف بنصب جزاء ورفع الضعف اي لهم الضعف جزاء ويجوز كونه
حالا على انه تمييز او مصدر لدلالة لهم على فعله اي يجزون جزاء ويجوز كونه حالا
بالمصدر وجزاء الضعف برفعهما على ان الضعف بدل من جزاء والفاء في اولئك للسببية
منها اسم الاشارة ونحوه بما عملوا في ان الموجب للكرامة والزلفى عند الله تعالى هو
الايمان والعمل الصالح لا غيرهما بما عملوا وهم في الغرفات في غرف منازل الجنة وقرئ في
الغرفة على ارادة الجنس آمنون اي كل مخوف ومكروه والذين يسعون في آياتنا اي
في ابطالها وصرف الناس عنها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا
اولئك في العذاب محضرون لغيبتهم عن موضع العذاب مبالغة قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اعادة لان ما سبق باعتبار الاشخاص وهذا
باعتبار الاوقات بالنسبة الى شخص دلالة لمنكره ادل على المقصود وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا لا عوض سواه وهو خير الرازقين لانه قادر على
مواصلة رزقه وزيادة ما شاء لمن يشاء بغير حساب فاما العبد كذلك واما ان رزق
حقيقة دون العبد فلا يناسب تفضيل احدهما على الآخر لانه يقتضي الشركة في اصل
الفعل حقيقة ويوم نصب بقالوا او باذكر يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا وارقاما
لهم عما يتوقعون من شفاعتهم فهو وارد على نمط قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وتخصيص
الملائكة لانهم اشرف معبودهم لان عيسى عليه السلام اشرف منهم ولا لاختصار

صلاحيته للخطاب فيهم بل لأن مبدأ الشرك عبادتهم قالوا سبحانك تنزيهاً لك أن
يعبد معك غيرك أنت ولينا الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم
بيّنوا بإثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لأن تخصيص الربوبية
به تعالى وإثبات معاداتهم إياهم منافية لذلك ثم أضربوا عن عبادتهم إياهم إلى إثبات عبادتهم
الجن بقوله بل كانوا يعبدون الجن أي الشياطين الذين يخلونهم ذلك لأنهم أطاعوهم
في عبادة غير الله تعالى أو يتمثلون لهم الصور الحسنة ويحسبونها ملائكة أكثرهم بهم
مؤمنون إنما قال أكثرهم لأن عبادة بعضهم كان عن وهم واحتمال لا عن تصديق ويقين
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً إذ الأمر يومئذ لله فلا يملك أحد شيئاً من
الضر والنفع لا لغيره ولا لنفسه وإنما نفى الملك دون النفع لئلا يتوهم نفي الشفاعة للعبدة
على الشفاعة بإذن الله تعالى ونقول عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده للذين
ظلموا ذوقوا عذاب النار تخصيص العقاب بالذين ظلموا التصديق بالمقال ولم يبهم في عدم لو لم
يرد الظالمون خصوصهم بالاختصاص بالعقاب لأن الكلام فيهم وفي فرق التي كنتم
بها تكذبون دلالة قاطعة على أن عود الضمير على المضاف إليه لا يخل حسن الكلام إذا لم
يكن في محل الاشتباه وإذا تتلى عليهم آياتنا آيات القرآن بينات واضحات الدلالة
على إعجازه قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجل يريد أن يصدكم
الضلال الصرف عن الحق عما كان يعبد آباؤكم يريدون القرآن إلا إفك كذب مفترى على الله وقال
الذين كفروا للحق لأمر النبوة أو للإسلام أو للقرآن والأول أي الإفك أي الإلحاق الكذب باعتبار
معناه وهذا أي إلحاق السحر عليه باعتبار لفظه وبلاغته لما جاءهم إن هذا أي الحق
إلا سحر مبين ظاهر سحريته وفي الإشارة بهذا في المواضع الثلاثة إشارة إلى العظيمة الجراءة
على الله تعالى ورسوله عليه السلام وكذا به فردّا لأنه فيها قرينة بما يدل على غضب به
وإنكاره عليهم وتعجيب من كفرهم بليغ بإيقاع الموصول موقع الضمير في قوله قال
الذين كفروا وتعريفهما الحق ولما الدالة على مبادهتهم بالكفر وتسمية الحق بالسحر
المبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الإشراك وأمر به
ولا رسولنا من النذير يعني نكيراً الدال أو بالتكثير يدرسون الكتاب وقرئ يدرّسونها
بتشديد الدال يتعلمون إلا من الدرس وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يدعوهم
إليه ويهددهم بالعقاب على تركه وقد بان من قبل إليهم بطلانه فمن أين وقعت
لهم الشبهة وهذا غاية في تجهيلهم وتسفيه رأيهم ويجوز أن يكون معناه أنهم قوم جهال

أميون لا كتاب لهم ولا نبي لنا وأعلى طباعهم الخاصة في الجاهلية لا تثبت لهم حجة
ولا تمسك بشبهة كمن لزم اتباعهم كما بايت قبلهم بتقريرهم مستمسكون ثم هددهم بقوله
وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم أي بلغ هؤلاء عشر ما آتينا
أولئك من القوة والقدرة وطول الأعمار وعظم الأجرام وكثرة الأموال وقيل معشار ما
عشر العشر فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف
كان حالهم في التدمير لا استئصال الحكم يعني فيهم استنطاقهم بعلمهم مستظهرين
فالمراد هؤلاء ويجوز أن يكون المعنى وما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى
فكذبوا رسلي فاستؤصلوا مع أن الحجج والبينات لم تكثر عليهم كما كثرت على هؤلاء فكيف
كان حالهم في إنكاري وكيف يكون حال هؤلاء مع تكرر البينات وتكررها فيتعظوا بحالهم
والفعل الأول مثلها وكذبوا عطف على كذب الذين عطف المتبع على المطلق والفاء السببية
أي فعلوا التكذيب وأقدموا عليه حتى تعودوا به فصار سبباً لتكذيب رسلي ويجوز أن
يعطف على ما بعد كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عمرو عليه قل إنما أعظكم
أنصحكم بواحدة بخصلة واحدة أن فعلتم أصبتم الحق وتخلصتم وفسرها بقوله أن
تقوموا لله خبر مبتدأ محذوف وهي أن تقوموا والمراد القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه
السلام ولا يجوز أن يكون عطف بيان لأن بواحدة نكرة وأن تقوموا معرفة تقديره قيامكم
لله والمخالف في عطف البيان لم يذهب إليه ويجوز مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين
متناظرين على النصف ثلث العصبة والجدال وواحداً واحداً متفكرين فإن الاجتماع
مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع الفكر والتخاصم ويعرض بهذا الأمر في بعضهم
وأما المراد لحد فيه ويمنع تقديم العمل والوجه الله معرضاً عن المراء والتقليد ثم تتفكروا
في أمر عليه السلام وصلة الجر على البيان أو البيان أو الرفع أو النصب إضماراً هو وأعني
ما بصاحبكم من جنة ما نافية متعلقة بتتفكروا أي تتفكروا فتعلموا ما به من جنة
ويجوز أن يكون استئنافاً تنبيهاً من الله تعالى لهم على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف
في ترجيح صدقه فإنه لا يدعه أن يتصدى لادعاء يحمل هذا الأمر العظيم الذي تحته
ملك الدنيا والآخرة من غير تحقق بقين وتعرف برهان مبين فيفتضح على رؤوس الأشهاد
ويلقي نفسه في معرض الهلاك كيف وقد انضم إليه آيات باهرة ومعجزات قاهرة ويجوز أن
تكون استفهامية أي ثم تتفكروا في أمره أي شيء به من آثار الجنون وقد علمتم أنه أرجحكم عقلاً
تقول له إن هو إلا نذير لكم يرجح كون ما هو بين يدي عذاب شديد قدامه لأنه مبعوث

من بين يدي الساعة قل ما سألتكم من أجر فهو لكم جزاء الشرط أي أي شيء سألتكم من أجر على
الرسالة فهو لكم ويجوز أن تكون ما موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط والغرض نفي الأجر
رأساً كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً فاسترده وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً أو إن
الأجر فهو لكم وهو ما أراد بقوله ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً وقوله
قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله تعالى ينفعهم وكذا
مودة قرباه فإن تحببه قربة لهم إلى الله تعالى وعلى الأول قيل كان المعجل النبي سألتهم ما أخذ
الأمر بالجعل وتوقع نفع يرجى عليه لأنه لا يخلو من أن يكون لغرض ولا وإياكما
يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما لأنه لا يخفى منفعته لأن توقع النفع الدنيوي غير منحصر في سؤال
الأجر وذلك ظاهر إن أجري إلا على الله أي ما يبتغي عليه إلا الثواب من الله تعالى
وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وأني لا أطمع في شيء ولا أتوقع أجراً إلا منه قل إن
ربي يقذف بالحق مستعار من معناه بمعنى الإلقاء أي يلقيه إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل
فيدمغه فيزهقه علام الغيوب خبر ثان لإن أو صفة لاسم إن على محل إذ ما اسمها أو خبر
مبتدأ محذوف أو بدل من المستكن في يقذف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على المدح أي
أعني وأخص وقرئ بكسر الغين كالبيوت وبفتحها كالصبور على أنها مبالغة غائب وهو
البليغ في الغيبة والخفاء قل جاء الحق الإسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد أي زهق الباطل
وهو الشرك بحيث لم يبق له أثر ولا يبدي ولا يبدي مثل في الهلاك لأن الحي إما أن يبدي
فعلاً أو يعيده فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فصار مثلاً فيه ومنه قول عبيد

● أقفر من أهله عبيد ● فاليوم لا يبدي ولا يعيد ●

وقيل الباطل إبليس لا يبدي
خلقاً ولا يعيده أن المنشئ والباعث هو الله تعالى وقال الزجاج أي شيء ينشئه
إبليس ويعيده فجعله للاستفهام قل إن ضللت عن الحق فإنما أضل على نفسي فإن ذلك وبال
ضلالي على نفسي وإذا اهتديت فيما يوحي إلي ربي وأصل الكلام إن ضللت فإنما يرجع إلي
ضرره على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي فإن نفعه للاهتداء إلى ما ذكر فيه في أحد الشقين
الحكم وفي الآخر السبب اكتفاء بما فهم مما ذكر في أحدهما عن الآخر هذا غاية الإيجاز وكل ما
يحتمله اللفظ لا الالتفات إنه سميع قريب يسمع ويرى قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى
عليه منهما شيء وإن أخفاه ولو ترى إذ فزعوا حذف جوابه للتهويل أي لرأيت أمراً فظيعاً
لا يمكن وصفه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة أو وقت الموت وقيل يوم بدر
وإذ ولو للأفعال الماضية لأن ما يفعله هي فزعوا واحد وأخذ واحد كلها الماضي والمراد بها

الاستقبال لأنه لما علم تحقق الوقوع سائرها عند الله تعالى وكلما يفعل الله تعالى في
المستقبل هو بمنزلة الماضي لتحقق وقوعه لا محالة فكأنه قد وقع فلا فوت فلا يفوتون الله
ولا يسبقونه أي لا فوت لهم وأخذوا من مكان قريب من الموقف إلى النار أو من ظهر
الأرض إلى بطنها أو من صحراء بدر إلى القليب والعطف على فزعوا وأخذوا فلا فوت
الكلام وعلى لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذ عطفاً على
محل لا فوت أي لا فوت هناك وهناك أخذ وقالوا آمنا به أي بمحمد
عليه السلام لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم أو بالعذاب المذكور في قوله بين يدي عذاب
شديد وأنى لهم التناوش أي التناول السهل من مكان قريب يعني
تناول الإيمان من مكان بعيد فإنه يكون في حيز التكليف وقد أبعد عنهم تمثيل لطلبهم
المستحيل وهو أن ينفعهم الإيمان وقت العذاب في الآخرة كما ينفع المؤمنين في الدنيا
بحالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولاً
يسيراً سهلاً وقرئ التناؤش بالهمز على قلب الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدور وعن ابن عباس
رضي الله عنه وأما التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولك نأشت إذا أبطأت وتأخرت
وقد كفروا به أي بمحمد عليه السلام أو بالعذاب من قبل من قبل ذلك أوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون ويتكلمون بما لم يظهر لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم من المطاعن
ساحر وشاعر وكذاب وهذا عبارة عن ... من مكان بعيد أي فقد أبعد الغيب
من جهة بعيدة عن حاله عليه السلام أو لما لم يعد شيئاً مما جاء به الشعر والسحر بعيدة غاية البعد
التي هو منزه عنها الزرق والكذب ولعل تذبذبهم في التعبير على العذاب يعني وقد فهم
لتخيلهم أمر الآخرة على أمر الدنيا وهو غيب مستور ويقذفون به من جهة بعيدة والعطف
على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلاً لحالهم في سلب أنهم
في طلب المستحيل وهو نفع الإيمان في الآخرة بمن يقذف شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن
في لحوقه لغاية بعده وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقي إليهم
ويلقنهم ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الإيمان والنجاة به من النار
والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكي عنهم بقولهم فارجعنا نعمل صالحاً كما فعل
بأشياعهم من قبل بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة إنهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة
أو ذي ريبة من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ويدخل فيها مجاز في كلا
المعنيين والمريب بالمعنى الأول منقول ممن يصح أن يكون مريباً من الأعيان وبالمعنى الثاني

منقول من صاحبه الشاك الى الشك كما تقول شعر شاعر يبعث به الشك الى المبالغة في
اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب والله اعلم واحكم

سورة الملائكة اربعون وخمس آيات وسبعمائة وسبعون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبتدعهما من الفطر وهو الشق فاستعمل في الخلق ابتداء على
طريقة المجاز المرتب على الكناية والاضافة حقيقية لانه بمعنى الماضي على ما قرئ بلفظه
ولذلك وصف به المعرفة جاعل الملائكة وقرئ بالرفع على المدح رسلا وسائط بينه و
عباده ويبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة اولي اجنحة اولى اسم
جمع لذو وهو بدل من رسلا او نعت له مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة غير منصرفة
اي صنف منهم اجنحتهم اثنان اثنان وصنف اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وصنف اجنحتهم
اربعة اربعة ولعله تفاوت بتفاوت مراتبهم التي يحركنها وما روي انه عليه
السلام رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح فلعله مخصوص به
ولم يذكر لانه ليس من جنس الكثير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان الاختلاف
المذكور امر يقتضيه مشيئته وحكمته لا امر تستدعيه الخلق ولكل زيادة في جميع الخلائق
كحسن الصوت وحصافة العقل وذكاء القلب وشجاعة النفس وسماحتها الى ما
لا يحيط به ان الله على كل شيء قدير استئناف للتعليل فان القدرة الكاملة الشاملة
لم يرجع لامر خارج لانه ينافي كمال القدرة ما يفتح الله للناس استعير الفتح للاطلاق
والارسال لانه اثر في استخراجه لم يتوصل الى ارساله له من رحمة تنكيرها
للاشاعة والابهام اي اية رحمة كانت معنوية او صورية سماوية او ارضية فلا ممسك
لها فلا احد يقدر على امساكها وما يمسك قبل المرسل بالرحمة وقدم لانها الاصل واطلق
الممسك ليتناولها والغضب تنبيها على ان رحمته سبقت رحمتي على غضبي فلا
مرسل له فلا احد يقدر على ارساله التصريح ولذا التضمن للترتيب على المعنى
للتنبيه بالرحمة وذكر للثاني على اللفظ لا ظلامة من بعده من بعد امساكه وهو العزيز
الغالب القادر على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه ارسالا وامساكا الحكيم الذي
لا يفعل ما يفعل الا بحكمة واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت المتصرف في
الكل على الاطلاق امر الناس بشكر نعمته وتخصيصه به تعالى فقال يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم الخطاب عام وكذا النعمة ولا عبرة في الخصوص سيكلفه تعول والمراد بذكر

مطلب

النعمة شكرها بالقلب واللسان والجوارح بمعرفتها انها من غيره واداء حقوقها بالثنا
على المنعم والطاعة له واستعمالها في مرضاته ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق
ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله قرئ بالحركات الثلاث اما الرفع فللحمل
على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق واما
الجر فللحمل على لفظه واما النصب فعلى الاستثناء يرزقكم من السماء والارض صفة لخالق
او تفسير لعامله او جملة مرفوع المحل باضمار فعل لا بالابتداء اي هل يرزقكم من
خالق او استئناف دل على ان لا خالق غيره تسجيل على جحد شكر نعمته ولحسن الوجه وعلى
الوجهين الاخيرين لا محل له من الاعراب لا اله الا هو مفصول بيرزقكم في الوجه
الثالث او بجعله مثل يرزقكم في الوجهين الاولين يفسد المعنى لان قولك هل من خالق
آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق لو كان فيه فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن
التوحيد الى اشراك غيره وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام
وبعث له على التاسي بالرسل الماضين في الصبر على تكذيبهم اي وان يكذبوك فتأس بالرسل
العظام واصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضعه استغناء بالسبب عن
ذكر السبب عن المسبب مجازا وتنكير الرسل للتعظيم المقتضي لزيادة التسلية والحث
على الصبر اي رسل عظام ذوو عدد كثير واولو آيات بينات وقد يجيء بها على تحييبهم
تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها بعد التفريع البالغ في قوله فانى تؤفكون والى الله ترجع
الامور وعد ووعيد اي فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد
الله بالحشر والعقاب حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فلا تذهلنكم الدنيا ولذاتها
وشهواتها فيلهيكم التمتع بها عن السعي للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان فانه يمنيكم في الغرور بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان
امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم
وهو مصدر او جمع كالقعود والنهود او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم
عدو تذكير للنبي صلى الله عليه وسلم بالاعراض من عداوته لابتداعه فاتخذوه
عدوا بالغ العداوة في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم
انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير بيان لغرضه في الغد بدعوته علاقته بتعريضها
وبيان لعرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب
شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجابه ووعد لمن خالفه

وبني الامر على الايمان والعمل الصالح وتركهما ليقطع الاطماع الفارغة ويبهج اعمالها
ولما ذكر الفريقين قد ر الوعد والوعيد بين لهما افمن زين له سوء عمله لغلبة وهمه وهواه
على عقله فانتكس رايه فراه حسنا الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق
بالنظر الصحيح فعرفهما فراى الحق حقا فاختاره وراى الباطل باطلا فاستقبحه
وتركه والهمزة للانكار دخلت على الفا العاطفة لانكار الجملة وقد انقطع القبيح
واتبع الشيطان فراى القبيح الذي زين له حسنا كمن ليس كذلك وانما حذف الجواب لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه وقال الزجاج الجواب ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه اي فلا تهلك
نفسك للحسرات عليهم مبالغة تذهب كمن كاد هلك عليهم حيا اذ يبا ان الحسر ويجوز
ان يكون حالا كانها كلها صارت حسرات لفرط التحسر وجمع الحسرات للدلالة على تضا
عف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتاسف عليهم وقرى فلا تذهب نفسك
اي فلا تهلكها والفاات الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة
على المسبب ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية وقد جاء لفت به عما قبله وما بعده الى
المضارع استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من اثارة
السحاب وما يقارنه من انزال المطر وغيره وهكذا يفعلون بفعل فيه كل امر عجيب وفعل يختص
بحال يستغرب او توهم المخاطب او يختص بنوع شرف وغير ذلك والالتفات في فسقناه الى
بلد ميت من الغيبة الى التكلم الذي هو ادل على الاختصاص بالقدرة الباهرة والتعبير
في فاحيينا به الارض بلفظ الدال عليه السحاب والسحاب لانه سبب السبب او سبب
والاسناد اليه بعد موتها بعد يبسها كذلك النشور اي مثل احيا الموات نشور الاموات
في صحة المقدورية اذ لا فرق بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذا لا مدخل
لها فيها وقيل في كيفية الاحيا فان الله يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد
العزة اي الشرف والقدرة والمنعة فليطلبها من عند الله فتحصل له استغنا عن
المذلولة الدليل وهو قوله فلله العزة جميعا اي عزة الدنيا والاخرة ثم بين ان الذي
يطلب به العزة هو التوحيد والعمل الصالح فقال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
الكلم الطيب هو قول لا اله الا الله وصعوده اليه مجاز عن قبوله اياه والمستكن في يرفعه
للكلم لان القاعد بمنعه لا خلاف في ان العمل لا يقبل الا بالتوحيد والايمان

المراد بنصب العمل وقيل لله تعالى والمرفوع العمل وتخصيصه بهذا الشرف لما فيه من
الكلفة وقيل العمل فانه محقق الايمان ومقويه والكلم اسم جنس للاجناس التي يفرق
بينه وواحدها والجنس بالتا كالتمر وتمرة وقرى يصعد على البنا للمفعول ويصعد على البنا
للفاعل من اصعد ونصب الكلم والفاعل هو المتكلم به لانه يصعده الى الله تعالى والذين
يمكرون السيئات نعت لمصدر محذوف اي المكرات السيئات او مضافا الى مصدر اي
المكر السيئات او ضمن يمكرون معنى يكسبون فنصب السيئات مفعول به والمراد المكرات
قريش في دار الندوة وتقدير تفصيلها في الانفال لهم عذاب شديد لا يوبه دونه
بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور اولئك اشارة الى الذين يمكرون السيئات جي
به للدلالة على عظيم مكرهم وانه لخبثه اوجب فساده وعدم نفاذه وتوسيط هو
للحصر اي هو خاصة يبعد ويفسد لان مكر الله تعالى بهم والامور مقدرة لا تتغير
علة لسابقيهما فقررناه في مواضع من انه لا تاثير في التقدير كما نعته الخبرية
والدلالة على ذلك في قوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم عليه السلام منه ثم
من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا اصنافا ذكرانا واناثا وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له لبيان القدرة الكاملة والعلم
الشامل والاذ اثبات القضا والقدر مقال وما يعمر من معمر من باب تسمية الشي بما
يؤول به اي وما يعمر من احد الا يرى انه يرجع الضمير في قوله ولا ينقص من عمره الى
والنقصان من عمر المعمر محال وهو من التسامح في العبارة ثقة بفهم السامع هذا مذهب
الجلي من النظر واما الدقيق فحكم بصحة المعنى الذي قد اعترض طويل بجواز ان يبلغ الى
حد ذلك العمر وان لا يبلغ فيزيد يعمر على الاول وينقص على الثاني ومع ذلك لا يلزم التغيير
في المقدر لان ذلك ان المقدر لكل شخص انما هو الانفاس المعدودة لا الايام المعدودة والاعوام
المحدودة والاختلاف انما هو في الايام فقد يكون الانفاس تزيد ويتبعض الصحة والحضور والمرض
والتعب فافهم هذا السر العجيب الا في كتاب هو اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير
اشارة الى الزيادة والنقصان وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر والعذب ما يقمع العطش ويرد
الفرات الشي ما انسلخ عنه والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره
والملح الذي فيه ملوحة ولا يقال مالح والاجاج اشد الملوحة وهو الذي لشدة
ملوحته يلذع ويقال اجيج النار اي لهيبها ولا جرم ثم وصف البحرين بما فيهما

من النعم والغرايب على سبيل الاستطراد استيفاقا وتفضلا فقال ومن كل تاكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية تلبسونها اما غير النظم حيث لم يقل وتلبسون حلية لتفاوتهما
حيث كان الاول سهل التحصيل دون الثاني وفي زيادة الثاني المبين نوع دلالة على تعب
كلفة في اخراجها وفي عبارة كل دلالة على ان قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان على
ظاهره ويجوز ان يكون ومنهما من تمام التمثيل وهو انهما تشتركان في فوايد كثيرة الا انه
لما كان المقصود من الانسان فيه مفقود كالمقصود الاعظم من الماء في البحر الملح ولكن
قد يشارك المؤمن في فوايد دنيوية كالشجاعة والسخاوة وانما كان الملح وان لم يبق فيه
خاصية الا وهو جوهره بما اختلط به وابطل فطرته كالكافر لكنه فضل عليه بان فيه
فوايد كثيرة ومنافع جمة بخلاف الكافر فانه لا خير فيه ولا نفع فيكون على طريق قوله تعالى
فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة الاية وترى الفلك فيه مواخر شاقة الماء
بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واضمر الجلية تعالى وتعينه لا
متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون استعمال
من معنى الترجي للارادة ولذلك سلك به مسلك التعليل وعطف على قوله لتبتغوا
كانه قال لتبتغوا من فضله ولتشكروا على ذلك يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى قد سبق تفسيره في سورة لقمان ذلكم اشارة الى الموصوف
بالصفات المذكورة وفيه اشعار بان فاعلية لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة الله
ربكم له الملك ذلكم مبتدأ الله بيان ولا يجوز ان يكون صفة لانه علم لا يوصف به ثم الكل
جملة استينافية معترضة للحكم الذي هي فيه ذكرا ولعله الصفات المذكورة او تاكيد
اخبار مترادفة ولا يأبى المنع عن خبرية ربكم لانه يكون فيما خبرا بانه المتال اليه المالك
والافعال ولانه ربكم خبران وله الملك جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب وقد يقع في قرانه
قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير منقبة مستعملة الى الاولى لتحقق
القياس بينهما بانه فاناد الاقل منهما لم يصلح للالهية ولم يستحق العبادة والقطمير القشرة
في ليس التمر وقيل لفافة النواة ثم قرر نفي الالهية عنها بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم لانها جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعدم تفصيل
منهم لعلكم معتقدتهم على شيء ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي ينكرونه هذا على
ان يكون الكلام في الاصنام بحيث يخلقهم بان ينطقها الله تعالى يوم القيمة فينكرون ان يكون
اهلا للعبادة او ينكرون ان تكون لهم العبادة حقا فاعادوا ذكرا فعالهم بالواو والنون

لانه وصفهم بصفات العقلاء او ان كان في الملايكة والانبياء عليهم السلام فمعنى قوله
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لغيبتهم عنهم ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانهم لا يملكون
ذلك ومعنى انكارهم شرككم انهم يوم القيمة يقولون ما كانوا يعبدون الجن او ينكرون
ان يكون ذلك حقا ولا ينبئك مثل خبير التنكير للتعظيم اي ولا اخبارك بحقيقة
الامر على ما هو عليه خبير مثل خبير اعجبه بكل خفية وجلية يعني ما اخبرتكم به من حال
الاوثان هو الحق لانه خبير بكل شيء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن
لكم وتعريف الفقراء الماضية بنا على المبالغة وتوسيط انتم للحصر اي انتم جنس الفقرا كلكم
دون سائر الخلايق بعضها لكم لكثرة حوايجكم وشدة افتقاركم فغايته تصغر فقركم بالنسبة الى
سائر الخلايق كالعدم جعل الفقرا ليس غيركم فقرا ولذلك قابله بقوله والله هو الغني
مطلقا في الذات او بوجوب وجوده لا غنى سواه لا احتياج الكل اليه فهو الغني عليه الحميد لا
الغني الذي لا يجود ولا يحمد وهو الجواد المنعم بجميع النعم وقد انعم عليهم بالوجود وكلما
يحتاجون اليه فكان حميدا مطلقا ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بقوم اطوع منكم
وما ذلك على الله بعزيز بمتعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس
اخرى فلا تغتروا بقول الكبرا كما قال الكافرون ولنحمل خطاياكم ولا ينافي قوله وليحملن
الضالين المضلين ويحملون اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لان الكل اثمالهم اوزارهم
وان تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها تحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء
لا يحمل شيا من وزرها اي لا تغاث بان يستغاث بهم حتى نعمل ان تدع للتعميم اي وان
تدع كل نفس في العالم واحدا واحدا لا يجب ولهذا اضمر المدعو في ولو كان ذا قربى قربى
ذا قربى على حذف الخبر ويجوز ان يكون كان تامة الا ان الاول اوقع واحسن انما تنذر
الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل اي يخشونه غايبين عن عذابه او من
المفعول اي يخشون عذابه غايبا عنهم او نصب الى الظرف اي في السر والخشية من
واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار واختلاف الفعلين لان الاستمرار خشيتهم
ومن تزكي ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وهو اعتراض
مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكي والى الله المصير ترغيب وترهيب
وما يستوي الاعمى والبصير مثل الكافر والمؤمن او الصنم والله تعالى وتاخير البصير
لمحافظة الفاصلة ولا الظلمات ولا النور مثل الباطل والحق وانما جمع الظلمات وحد النور
لان الحق واحد والباطل فانه على انواع متعددة ولا الظل ولا الحرور مثل الثواب

والعقاب والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل غلب على ما يكون بالليل والسموم
على ما يكون بالنهار والواوات بعضها عاطفة الوتر على الوتر كالتي بين ولا الظل
ولا النور وكرر لا فيها لتأكيد المنافاة فالظلمات تنافي النور والظل ينافي الحرور وأما
الأعمى فلا ينافي البصير إنما المنافاة بين الوصفين ولذلك لم يكن أن يتصف الواحد بصيرا في وقت
وأعمى في وقت آخر ولهذا لم يذكر لا فيهما وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر للعقلاء الذين
دخلوا في الإسلام والجهال الذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر ثم صيغة الجمع هنا لأنه
أراد نفي المساواة بين الأفراد أي ليس في جنس الأموات فرد يساوي فردا من جنس الأحياء
ولا يتحقق هذا المعنى في الأعمى والبصير فإنه قد يوجد في جنس الأعمى ما يساوي بعض
أفراد البصير بل يفضل عليه فلذلك أتى فيه بصيغة الإفراد تفضيلا للجنس على الجنس
إن الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وبناء الفعل على الاسم
يفيد أنه لا يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور وما بالك في إرادة إسلام
من تشاء من قوم تحدد لهم الإسلام من يريد إذ يسمع من في القبور وهو ترشيح لتمثيل المصرين
على الكفر بالأموات ومبالغة في إقناطه عنهم ثم قال إن أنت إلا نذير أي لست تستطيع
فأما الإسماع فليس إليك ولا حيلة لك في إسماع المطبوع على قلوبهم ما عليك إلا الإنذار
إنا أرسلناك بالحق حال من أحد الضميرين أي محقين أو محقا أو صفة مصدر محذوف
أي إرسالا مصحوبا بالحق أو صلة لقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا مضى فيها نذير من
نبي أو عالم وإنما خص معنى الإنذار بالذكر لأن البشارة إنما تكون بالسمع في
خصائص الأنبياء والبشير لا يكون إلا نبيا والأشبه على أن الإنذار فإنه كما يكون بالسمع
يكون بالعقل فلذلك وجد ثانيا في كل أمة ولا يشكل هذا بقوله تعالى وما
أرسلنا إليهم قبلك من نذير لأن المراد من العقلاء فيه النذير بالسمع وإن يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم تسلية للرسول جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على
نبوتهم وبالزبر بالصحف وبالكتاب المنير وجنس الكتاب كالتوراة والإنجيل والزبور
ولعل هذه الأشياء المذكورة في جنس الأنبياء عليهم السلام بعضها في جميعهم وهي البينات
وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتب المجيء بها إليهم مطلقا على أن الكل
جاز إسناد الكل إلى الكل وإن جاء بكل واحد ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير
قد سبق تفسيره ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها أي أجناسها كالرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصى أو أصنافها

مطلب

على أن كلا منها أصناف مختلفة أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال
جدد طرائق مختلفة الألوان أي جبال كل منها طرائق على ألوان وطرقه تخالف الأخرى في
الألوان أو من الجبال ذو جدد أي خطط وطرائق بيض وحمر مختلف ألوانها
أي بعضها مختلفة الألوان وبعضها على لون واحد وقرئ جدد بضم الدال جمع جديدة
وهي الطريقة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح وغرابيب سود عطف على بيض أو على
جدد مختلفة الطرائق ومنها ما هو على لون واحد غرابيب والغرابيب البالغ
في السواد وهو من التوابع المؤكدة ومنه الغراب وعلى هذا تقديمه عكرته ووجهها أن يضمر
المؤكد قبله لأنه تابع ثم أوقع بيانا له حقيقة للبس كقول النابغة •
والمؤمن العائذات الطير • والتعليل الأصل فيه زيادة التأكيد كأنه دل على المعنى
الواحد بطريقي الإضمار والإظهار فيكون التكرير للتأكيد بوجه أبلغ ومن الناس
والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال إنما يخشى الله
من عباده العلماء ما يخشى الله من عباده تعالى إلا العلماء بالله تعالى وبصفاته وأفعاله
فإن الخشية على قدر العلم فمن كان أعلم بالله كان أخشى منه وفي الحديث أعلمكم بالله
أشدكم خشية وهذا لما ذكر أنه الدال على كمال قدرته وعظمته وحكمته ينبغي لم
إنما يخشى الله إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وتأخير الفاعل
فيه ولو قدم لا تنعكس الحصر فيه فكان في المعنى من قرأ برفع الأول ونصب العلماء أنه
للخشية الإجلال والتعظيم أي إنما يجل الله من بين الناس كما يجل المهيب المخشي العلماء
إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لأن من قدر على العقوبة ولا ينتقم وفي العفو
ولم يفعل فحقه أن يخشى إن الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءة القرآن
وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم يعني لا يشغلون بتلاوته عن حقوق العمل به
سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد إليها أي سرا في المسنونة وعلانية في المفروضة
يرجون خبر إن وقال ابن عجيل تقديره الخبر إنه غفور شكور تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
لأن طلبه لا ينقطع متعلقا لن تبور لن تكسد ولن تهلك يعني الخسران صفة
للتجارة ليوفيهم متعلق بلن تبور أو بيرجون أو علة للأفعال المذكورة من التلاوة والإقامة
الصلاة والإنفاق أي فعلوا ما فعلوا من الطاعات ناجين تجارة لن تبور ليوفيهم
أجورهم ويزيدهم على الموعود من فضله متعلق بجميع ما ذكر من التوفية والزيادة لا بالزيادة
خاصة أي حقيقة يلزم أن لا يكون له تعالى في التوفية مستقلا لأنه ما وجب عليه كالنعمة

المعتزلة انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم مجازا عن اعطاء الجزيل على العمل القليل
والذي اوحينا اليك من الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق اي
الكامل في كونه حقا مصدقا حال موكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه
من الكتب المتقدمة ان الله بعباده لخبير بالبواطن بصير بالظواهر فلو لم ير فيك
اهلية واستحقاقا فاهو الكمالات لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي ليس هو كسائر
الكتب وتقديم الخبير لان الاعتناء بالامور الروحانية اكثر وهي العمدة ثم اورثنا الكتاب
اي اعطيناه بلا كلفة كسبا كالميراث الذين اصطفينا من عبادنا يعني امة محمد عليه
السلام فانهم مختارون من بين سائر الامم وفي عبارة اورثنا اشارة الى ان الكتاب
المذكور يكون باقيا في هذه الامة يرثه بعضهم عن بعض الى قيام الساعة ولا يضيع
كما ضاع سائر الكتب والمعنى نورثه على عادة الله تعالى في اخبار ما يقع بتحقق وقوعه وكان
ورثة الدنيا ثلاثة اصناف صاحب فرض وعصبة وذوي الارحام كذلك ورثة الدنيا
اصناف فمنهم ظالم لنفسه وهو من عاش عاصيا ومات عاصيا من اهل الايمان الذي
قال النبي عليه السلام فيهم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي قدمه اهتماما لانه ابعد الاصناف
عن كرامة الاصطفاء واللام للاختصاص لان فعل الظلم يتعدى بنفسه وقابلية الاحراز
عن الظلم يغنيه لان النجاة فيه عهدة ذلك الغير ومنهم مقتصد وهو من عاش عاصيا
ومات مطيعا ومنهم سابق بالخيرات وهو من عاش مطيعا ومات مطيعا نقل عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له الاصناف المذكورة على مراتب في الوصول الى المقصد متاخر ومتوسط
وسابق عن نص المسبوق لكن لا بفضيلة ذاتية كما في سباق الدنيا بل بفضل من الله والى هذا
اشير بقوله باذن الله بتيسيره وتوفيقه ومعنى هذا المجاز والا فلا اولى التعبير بقولك
سبقته بالكره اذا احرزتها وتشريف له على السلام يتعلق بها حكاية ذلك الاصطفاء
هو الفضل الكبير اذكر الاصناف المذكورة بحسب احوالهم في دار العمل فرق بينهم ولما ذكرهم
باعتبار ماآلهم في دار الجزاء جمعهم فقال جنات عدن بدل لان المفضل هو السبب في الوصول
اليها فكانه هو بالنسبة اليه فاشياء المسبب عنه وتنزيل السبب منزلة المسبب غير عزيز يدخلونها
اي الفرق الثلاث يدخلونها ويجوز ان يكون الاشارة الى السبق والاختصاص للسابقين
بعد التقسيم لذلهم والسكوت عن القسمين الاخيرين للايذان بالحث على البدو والتشوق
الى منازل السابقين وقرئ جنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على بناء

المنزل يحلون فيها حال مقدرة او خبر ثان وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية
من اساور من للبيان او للتبعيض اي يحلون بعض اساور فلعله بعض سابق لسائر الابعاض كما
سبق المتحلون به غيرهم وهذا على تقدير ان يكون الاشارة الى السبق من ذهب من للبيان
لا للتبعيض لانه يكون الخبر خاليا عن الفائدة ولؤلؤا عطف على ذهب اي ذهب مرصع
من لؤلؤ او ذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ لؤلؤ عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير
والتنكير للدلالة على انه نوع غير معهود من جنس الحرير بعد وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن همهم من خوف العاقبة او من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها
ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من
فضله من انعامه وتفضله لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب النصب التعب والمشقة
التي تصيب المنتصب للامر ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد والتعب فهو
من باب الترقي في نفي اسباب التشنيع ولذلك اعاد قوله لا يمسنا فيها ولم يقل ولا لغوب
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان اي لا يموتون بعد
ان فيستريحوا ليقضي عليهم اذ انه قال تعالى فوكزه موسى فقضى عليه فلا بد
من صرف قوله فيموتوا عن الحقيقة الى المجاز صونا عن وقوع اللاغية وقرئ فيموتون
عطفا على يقضى داخلا في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها من عذاب جهنم لقوله تعالى كلما
خبت زدناهم سعيرا فان فيه دلالة على ان سلطة الحرقة في غيرهم متبقية البدل في خفتها
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور بالغ في الكفر او الكفران اي قرئ بالنون والبناء
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وهم يصطرخون
يستغيثون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة واستعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث
صوته فيها في جهنم ربنا باضمار القول اي يستغيثون ويقولون ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اعتراف منهم بان ما عملوا كان غير صالح وحسبوه صالحا
وتحسر عليه ومن الدلالة على ان طلب الخروج للاغتنام اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
جواب من الله اي ان ما يتذكر فيه يحتج من الله تعالى على طلبهم ووعيد على تعليق القول اي يقال
لهم تنتوك الرجوع ولم نعمركم مدة يكون فيها التذكر للتذكر وما يتذكر فيه زمانا وقيل كل عمر
يتمكن فيه الانسان من العمل المرجب للنجاة وان اقصر الاسنان التي يبلغ فيها التطابق اعظم وقيل
ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون

ستين سنة {وجاءكم النذير} عطف على معنى أو لم نعمركم لانه تقرير لفظه لفظ الاستفهام ومعناه
معنى الخبر كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير اي المنذر وهو الكتاب وهذا الزام بحجة تعلم
بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع والفاء في {فذوقوا}
للسببية اي فما تذكرتم فذوقوا سببه وكذا الثانية الا ان فيها معنى التعليل {فما للظالمين
من نصير} يدفع العذاب عنهم {ان الله عالم غيب السموات والارض} ما غاب فيهما عنكم {انه عليم
بذات الصدور} تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى الغيوب كان اعلم بكل غيب في العالم فيعلم انه
لو ردهم الى الدنيا لم يعملوا غير الذي كانوا يعملون كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
{هو الذي جعلكم خلائف في الارض} فان المستخلف خليفة وخليف ويجمع الخليفة على خلائف
والخليف على خلفاء والخطاب عام على ان المعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد
التصرف فيها واباح لكم منافعها لتؤمنوا به وتشكروه وقيل لمن بعث اليهم رسول
الله عليه السلام فانهم من خلف من شاهد واتى تاريخ الاكرمين فيهم مستعبرة وما فيه
من رحمة {فمن كفر} منكم وغمط مثل هذه النعمة {فعليه كفره} اي فعليه وبال كفره لا على غيره
{ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا} بيان له والمقت اشد البغض والتنكير
للتعظيم لان مقت الله اعظم من كل مقت وكذا التنكير في خسارا {ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا} وهو خسار الاخرة وتكرير الكافرين والتصريح في موضع الاضمار ان ذم
وبيان لكون الكفر مقتضيا لكل واحد من الامرين القبيحين المذكورين بالاصالة {قل
ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله} يعني الهتهم والاضافة الى الشركاء اليهم لانهم
لانهم جعلوهم شركاء الله {اروني ماذا خلقوا من الارض} بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه
بمعنى اخبروني كانه قيل اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية اي جزء من الارض استبدوا
بخلقه {ام لهم شرك في السموات} ام لهم شركة مع الله تعالى في خلق السموات فاستحقوا
بذلك الشركة في الالوهية ذاتية {ام اتيناهم كتابا} ينطق بانهم شركاء ويجوز ان
يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا على ان السؤال عن
دليل المنهم اهو برهان عقلي او نقلي {فهم على بينة منه} على حجة من ذلك الكتاب
بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من
تعاضد الدلائل ام منقطعة على معنى الاضراب عن العقلي والنقلي ثم اضرب عنها
مرتجيا بقوله {بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا} واثبت ان ذلك الاتباع
ما هو الا غرور صرف وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ثم لم نجعلهم بدلا من الظالمين

بعضهم الرؤساء والمراد بهم الاتباع بعضهم للاتباع ويجوز ان يكون وعد الشيطان الكافر
كما قال يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا انما هم ان يشفعوا لهم
اصنامهم وتقربهم الى الله زلفى {ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا} يمنعهما
من ان تزولا لان الامساك منع او لان لا تزولا لان لا تزولا لكن لم ان تميدا بكم اي لان لا تميدا
بكم {ولئن زالتا} على سبيل الفرض {ان امسكهما} ما امسكهما {من احد من بعده} من بعد
الله او بعد الزوال والاول اللام موطئة للقسم وان امسكهما جواب للقسم وساد مسد جواب
الشرط ومن الاولى مزيدة للتاكيد والثانية للابتداء {انه كان حليما} لا يعاجل
بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين ان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض {غفورا} لمن تاب عن الشرك ورجع عنه {واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم} اي واحدة من الامم اليهود
والنصارى والصابئين وغيرهم من الامم التي يقال لكل منها احدى الامم او من الاحد
تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما تقول هو احد الرجال {فلما جاءهم
نذير} والتنكير للتعظيم {ما زادهم} اي النذير او مجيئه {الا نفورا} قيل ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم
الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول الله لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول
الله عليه السلام كذبوه وان الاسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا نفورا
عن الحق وتباعدا عنه {استكبارا في الارض} بدل من نفورا او مفعول له وكذا
{ومكر السيء} عطف عليه وانما يكون بدلا او مفعولا له اذا كان نفورا على ان الاصل وان مكروا المكر السيء فحذف
الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف {ولا
يحيق المكر السيء الا باهله} وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر {فهل ينظرون
الا سنة الاولين} الا سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم {فلن تجد لسنة الله تبديلا} بان لا يعذبهم {ولن تجد لسنة الله تحويلا} بان ينقله الى غيرهم
{اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم} استشهاد عليهم بما
كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وعلامات
هلاكهم ودمارهم {وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه} ليسبقه ويفوته {من شيء
في السموات ولا في الارض انه كان عليما} بالاشياء كلها {قديرا} عليها

ثم بين أن تأخير العذاب عنهم ليس للعجز بل للحكمة تقتضيه فقال **ولو يؤاخذ الله الناس**
بما كسبوا من المعاصي **ما ترك على ظهرها** على ظهر الأرض **من دابة** من نسمة تدب عليها
أي الإنس وحدهم وقيل ما ترك الإنس وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم على ما في
الآثار وهو مرجح لأن الأول قال **ولكن يؤخرهم** أي يؤخر كل واحد منهم **إلى أجل مسمى** معلوم
عنده قيل هو يوم القيامة وقيل ... **فإذا جاء أجلهم** وقتهم عند الله لحقوق
الجزاء وقيل ما هو كالدليل عليه تمامه وهو قوله تعالى **فإن الله كان بعباده بصيرا**
وذلك أن العقل يوجب العلم كالالزام ليتم بالحكمة والله تعالى أعلم وأحكم

سورة يس ثمانون وثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والإعراب وقرئ بالكسر كجير وبالفتح كأين على البناء الساكنين
أو على البناء أو على إضمار حرف القسم مع الصرف أو بالنصب على اتل يس وبالضم كحيث
أو بالرفع على هذه يس وبتخفيف الأنف لأنها وإدغام النون في واو **والقرآن** وهي
واو القسم أو العطف إن جعل يس مقسما به **الحكيم** ذي الحكمة ومتصف بها أناء
على عبد الهيثم بن عدي ... عند ابن عباس وعند سعيد بن جبير هو اسم من أسماء
محمد عليه السلام ... **إنك لمن المرسلين** جواب القسم وهو رد على الكفار في قولهم
لست مرسلا **على صراط مستقيم** خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أو حال من المستكن فيه
والمجرور وفائدته التصريح بالمدح والجمع بين وصفه ... بعثه وتعظيمه وتنكيره
المستفاد من التنكير **تنزيل العزيز الرحيم** وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ...
على المدح أو على أنه مصدر أي نزل تنزيل وبالجر على البدل من القرآن **لتنذر قوما** متعلق
بتنزيل أو بمعنى الإرسال في المرسلين أي أرسلت لتنذر **ما أنذر آباؤهم** ما نافية والجملة في
محل النصب صفة لقوما أي قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الأقربين لتطاول مدة الفترة ...
من قبل ... فإن آبائهم ... أهل
الكتاب ... أو موصولة ...
أو مصدرية ... لتنذر ... الذي أنذر به آباؤهم ... الأقدمين ...
كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا ... مصدرية في محل النصب على المصدر أي لتنذر
إنذارا مثل إنذار آبائهم ... على الأول متعلق **فهم غافلون** بالنفي
أي لم ينذروا فهم غافلون ... عن ... بسبب غفلتهم ... في تعليل الإنذار

والإنذار أي إنك لمن المرسلين لتنذرهم فإنهم غافلون والمراد بآبائهم لا آباؤهم
في زمن الفترة والجاهلية ... الإنذار على القتل ... ولا أسماعيل عليه السلام
الذين كانت ... على الأبناء **لقد حق القول على أكثرهم** أي ثبت ووجب
عليهم **فهم لا يؤمنون** لما علم منهم أنهم يموتون على الكفر باختيارهم إياه وإصرارهم عليه
... قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولا يغني
... ذلك أكثر المذكورين **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا**
تصميمهم على الكفر وعدمها لأنهم ... الإنذار وتدبرهم بالإيمان تمثيلا ... تصميمهم
على الكفر وعدم ... عن ... المغلول ... أنهم لا يلتفتون إلى الحق
ولا ... أعناقهم نحوه ... بالمغلول ... كالمحصورين الحبوس
بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم ولا يبصرون ... ولا يتأملون في
آيات الله تعالى ... **فهي إلى الأذقان** ... الأغلال ... عريضة
... إلى الأذقان ... مجتمع اللحيين ... المغلول إلى ... وتجعله إلى
... الإقماح **فهم مقمحون** رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم ... العل
... بين ... الذي ... بعد
... رأسه **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا** قرئ بالفتح والضم وقيل
بالفتح المصدر ... بالضم الاسم وقيل ما كان من عمل الناس ... بالفتح وما كان من خلق
الله تعالى فبالضم **فأغشيناهم** فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة
عن أن يطلعوا إلى ... فأعميناهم وقرئ بالعين المهملة ... **فهم لا يبصرون**
... بالإنذار ... **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم** ...
في سورة البقرة **لا يؤمنون** ... لبيان عدم نفع الإنذار في حقهم ... أنا ... الإنذار
لا ينجع فيهم ... المقصود من الإنذار ... لأنه لا ... الإنذار ...
بالنسبة إليهم سواء ... الإنذار ... **إنما تنذر** الإنذار المنجع للمنتفع
... **من اتبع الذكر** أي ... بما جاء من عند الله تعالى فالذكر القرآن **وخشي الرحمن**
بالغيب الخشية ... عن ... بالأوامر ... عن المناهي ... **فبشره**
بمغفرة وأجر كريم وذلك أن ... الأجر ... كريم ... العمل كما قال
والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ... الرحمن إشارة
إلى أن ... في الخشية ... لا يخلو ... وذلك لأن ... مقدم

وانما قال بالغيب عند العيان لانه يبقي الخشية بيان انا نحن نحيي الموتى نبعثهم بعد
مماتهم او نخرجهم من الضلالة بالهداية ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال
الصالحة والطالحة عبر عن احاطة علمه باعمالهم بالكتابة التي تضبط بها الاشيا
وكنى بذلك عن المجازاة فانتظم مع قوله نحيي الموتى وآثارهم وما يبقى بعدهم من آثار
حسنة او سيئة ونحوه قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله
واخر من آثاره وكل شيء منصوب بفعل يفسره احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء في
امام مبين يعني اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب ومقتدى بها واضرب لهم مثلا اي مثل
لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهو يتعدى الى مفعولين
لتضمنه معنى الجعل وهما اصحاب القرية على حذف مضاف تقديره اجعل لهم مثل
اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على مفعول واحد كالجعل ويجعل المقدر حالا او بدلا من
الملفوظ او بيانا له اي اضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية والقرية انطاكية عبر عنها
ههنا بالقرية وفيما ياتي بالمدينة رعاية في كل من المقامين ما يناسبه وذلك ان ما في اصل
القرية من معنى الجمع يناسب الاصحاب وما في اصل المدينة من معنى الاطاعة يناسب
غرض ذلك الرجل من كلامه وهو الحث على اتباع المرسلين وانتصاب اذ بانه بدل من
اصحاب القرية جاءها عدل عن الظاهر وهو ارجاع الضمير الى الاصحاب لان المذكور
اذ فيها تصح حيث دل على انهم بلغوا الرسالة اليهم في مقر عزهم ومركز شوكتهم المرسلون
رسل الله عليهم السلام ذكره ابن عباس وكعب وهو الظاهر من قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين
وقولهما ان انتم الا بشر مثلنا وقيل رسل عيسى عليه السلام واسناد الارسال اليه تعالى
لانه فعل رسولهم وخليفته وفيه تعظيم عيسى عليه السلام واسناد الارسال اليه
تعالى بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ولا بد لنا ذا الاولى اثنين هما يحيى
ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا بثالث هو شمعون وقرئ مخففا
من عزه اذا غلبه ولا يحتمل المفعول لان المراد ذكر المعزز به وما الطف فيه من التعبير حيث
عن الحق وتذليل الباطل وحق الكلام المنصب الى غرض جديد بيانه كان ما سواه مرفوض
فقالوا انا اليكم مرسلون التاكيد لسبق الانكار منهم بتضمن الخبر بتكذيبهم
الرسولين والمعتبر علم المخبر بانكار المخاطب لا علمه بنفسه وهو حاصل ايضا فلا يحتمل ما
قيل انه ابتدا اخبار والثاني جواب عن انكار قالوا ما انتم الا بشر مثلنا اي لا مزية
لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لعمل ما بالا

وما انزل الرحمن من شيء اي وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون فيما تدعون وانما
أوثر صيغة الفعل مع ان صيغة الفاعل ابلغ اعتبارا لمعنى التجدد فكانه قيل تجددون
الكذب وقتا بعد وقت وتستمرون على ذلك قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
لما نفوا الرسالة وبالغوا في ذلك وابلغوا انكارهم في الجواب زيد التاكيد بقولهم ربنا
يعلم لانه استشهاد بعلم الله تعالى جار مجرى القسم للتوكيد كما تعرف ههنا وبزيادة
اللام وتقوية التوكيد وتحسين الاستشهاد بتوكيدهم وما علينا الا البلاغ المبين
اي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته فاذا لا استشهاد على الدعوى
انما يحسن ببينة واضحة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم يعني سمعنا منكم ما هو من جهة
الفال تبريا بكم لوقوع الشعار في نفسنا او في اهلنا او في اموالنا او غيره للاعتراض سببا بدا لكم
تكفوا عن هذا الكلام ولا يقاربونا لئن لم تنتهوا عما تهتم عنه لنرجمنكم لنرمينكم
بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم المس ما بهربنا تنهنها البشر قالوا طائركم اي سبب
شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وفساد اعمالكم ائن ذكرتم همزة الاستفهام وحرف
الشرط وقرئ ان بالفتح بينهما وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ائن
وعظتم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ ااذ ذكرتم بهمزة الاستفهام وان
الناصبة اي ان تطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى الاخبار اي اذ
ذكرتم تطيرتم وتطيرتم لان ذكرتم واين ذكرتم بمعنى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وهو
ابلغ لانه اذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون قوم
عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في ضلالكم
حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله وجاء من اقصى المدينة رجل هو حبيب النجار
النجار وكان ينحت الاصنام يسعى يقصد وجه الله تعالى بالنبع عن رسله وهو
قوله وسعيه لما سمعها ان السعي في الاصل المشي بسرعة وخفة حركة ثم استعير للجد في
الامر خيرا او شرا وقتادة قال يا قوم اتبعوا المرسلين ... على تعلقه بقول الناس لما قالوا عند ذلك يا قوم
اتبعوا المرسلين تأنى في بالسلامة لينتقل الفهم عن الرجل وقوله يا قوم لانه والطفها
ان لا منابذة بيننا ولا تهمة في اراءة السوء بكم اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
كلمة جامعة في الترغيب اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم
لكم خير الدنيا وخير الآخرة وتحثها وتوطئها بابرازها مخرجها في صورة المناصحة لنفسه
ليكون انجح في المحاماة النصح حيث اراد لهما اراد لنفسه والتلطف بهم ومداراتهم

حتى لا يعصوا فيقبلوا ثم وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكانه لم ما لكم لا تعبدون
الذي فطركم ونحا الى الامر بقوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد ولولا الدلالة
ارجع ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة ودل على انهم كانوا عبدة الاصنام
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا نفي للشفاعة رأسا كقوله لا ترى الضب بها ينجحر
ولا ينقذون لا يقدرون على انقاذي بنفوذ لان القصر اي لا تنفع من جهتهم بالشفاعة ولا
تنفع بالقدرة اني اذا لفي ضلال مبين تعريض على تركه عبادة خالقهم الى عبادة من
لا ينفع ولا يضر وقد بعض قوا انها كالحجة على ضلالهم حيث ذكر ان الله هو المبدئ العالم
واليه الرجوع ومنه الرحمة العامة الشاملة وله القدرة التامة الكاملة وهو الذي اذا
اراد بالخلق شيئا من الضر بدل النفع فعل فانه ترك عبادته الى عبادة ما لا يضر ولا ينفع
ولا يغني شفاعة شيئا ولا يقدر على انقاذ ما ابتلاه الله تعالى بالنصر والمظاهرة او
اشركته به في عبادته وفي اذا الفضل الذي يقتضيه كل عاقل اني آمنت بربكم فاسمعون
فاسمعوا في السماع مما يجازيكم لا تبالغ اذ لا وجه للترتيب بين سماع القول وبيانه
قيل ... وهو ... اللحم ... في سوق انطاكية وما ... بحبله ...
الرسل قيل ادخل الجنة استئناف لان خصه مظنة السؤال عن حاله كانه قيل كيف
كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي بروحه فقيل قيل ادخل الجنة
ولما كان السؤال عن القول سيق الجواب مبنيا لذو حذفه لا لحاجة اليه وهو مبنيا للفاعل
مع كونه معلوما وكذلك قوله قال يا ليت قومي يعلمون استئناف على تقدير
سؤال لسائل كأنه قال عند ذلك الفعل العظيم بما غفر لي ربي ما مصدرية اي بغفران
ربي لي او موصولة اي بالذي غفر لي من ذنبي ويحتمل ان تكون استفهامية اي باي شيء
غفر لي ربي على الاصل مع ان الاكثر حذف الالف تقول قد علمت بما صنعت هذا اي باي شيء
صنعت متمنيا ان يعلم قومه بانه غفر له بايمانه فيرغبوا في الايمان وهذا ... وليا ...
يريدون لقتله ... ان لا يكون لله تعالى ناصرا وجعلني من
المكرمين باعطاء المنزلة الرفيعة في الجنة دل على ان الجنة مخلوقة وعلى ان القبر ...
عنهم ... من ... وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله من
جند من السماء استحقار لاهلاكهم وايماء الى تعظيم رسول الله عليه السلام اي كفينا
امر اهلاكهم بصيحة ... وما انزلنا عليهم جندا ... لتساوي ...
يوم بدر والخندق وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك ... جند السماء

معظمات الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وانما اهلك الله تعالى كل امة بتبيت ...
حكمه والترتيب لجنودنا لسنا لانتصار احد من الانبياء عليهم السلام الا لانتصار محمد
عليه السلام لكرامته عند الله وتفضيله على سائر الانبياء والا لكان يكفي في نصرة ملك
واحد ان كانت الا صيحة واحدة كان الغاية ... التذكير لان الاصل ما وقع شيء الا صيحة
واحدة ولكن هو ملحوظ بها الصيحة لانها في حكم فاعل الفعل وعليها قراءة الحسن
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بالتأنيث لنقل الفعل المبني للمفعول ورفع مساكنهم وقرئ صيحة
بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار
الرمزية مجازا بالنار رمزا لطفاتها تحويل النار بطريق الاستعارة بالكناية اي خمدوا كما تخمد
النار وذلك ان الروح عند الفزع الشديد يصل مع الدم الى الباطن دفعة فيختنق في
شدة الانحصار لا اجتماع فيطفي يا حسرة على العباد الحسرة بلوغ النهاية في
التلهف حتى يبقى القلب حسيرا لا موضع فيه لزيادة التلهف كالبصر الحسير الذي
لا قوة فيه للنظر والبصير الحسير الذي لا قوة له على المسير ونداؤها نداء الحسرة عليهم كأنما
قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من الاحوال التي حقك ان تحضري فيها وهي ما دل عليه
ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون ويجوز ان يكون المتحسر عليهم
من الله تعالى على سبيل الاستعارة والمراد تعظيم ما جنوا على انفسهم وفرطوا تكثير له
وتحييبهم منه ويعضده قراءة من قرأ يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد
بالاضافة الى الفاعل او المفعول لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره
على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم من جهة الملائكة
والمؤمنين بل الثقلين ألم يروا معلق عن العمل في كم اهلكنا قبلهم من القرون
لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لانها في الاصل الاستفهامية الا ان اصلها
الاستفهام وانما جاز تعليق فعل الرؤية لانه بمعنى العلم الا ان معناه نافذ في الجملة
كما نفذ في قولك الم يروا انه يدل التعليق وان لم يعمل في لفظه وقوله بدل انهم اليهم
لا يرجعون من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون
من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقيل انه بدل من ضمير كم اهلكنا وليس بذاك لان كم تحتمل
لان العامل فيه كم اهلكنا ولا يبقى عاملا في البدل وقرئ بالكسر على الاستئناف
التهديد اما اهلكنا ولا يدل على هذه القراءة بدل الاشتمال وان كل لما جميع ان مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرئ لما بالتشديد على ان ان نافية

ولما بمعنى إلا وكل بمعنى الإحاطة وإن لا ينفك منهم أحد عن الجمع بمعنى الاجتماع وإن جمعهم
المحشر والتنوين في كل عوض عن المضاف إليه أي كلهم محشورون مجموعون لدينا محضرون
للحساب يوم القيمة وقيل محضرون في النار يعذبون وآية لهم الأرض الميتة
الميتة مبتدأ خبره آية لهم أحييناها استئناف لبيان كون الأرض الميتة آية لهم ويجوز
أن يكون صفة للأرض لأن المراد بها الجنس المطلق لا أرض بعينها فجاز وصفها بالنكرة وأن
يكون آية مبتدأ ولهم صفتها والأرض خبرها وأن يكون أحييناها خبر الأرض والجملة خبر
آية وصفة لها وأخرجنا منها حبا المراد بالحب الجنس وتقديم الظرف في قوله فمنه
يأكلون للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ويقوم البدن بالارتزاق
منه إلا يسيرا إذا قل فقد حصل الهلاك القحط وعم البلاء وجعلنا فيها جنات بساتين
من نخيل وأعناب من أنواع النخيل والعنب ولذلك لم يجمعهما دون الحب فإن كونهما في
البدن باعتبار جنسه لا باعتبار تنوعهما ما قيل إن ذلك لأن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف
ولا كذلك الدال على الأنواع خلاف ما هو المشهور وعليه الجمهور فإنهم قالوا في العالمين
إشعارا بالاختلاف دون العالم وذكر النخيل دون التمر ليطابق الحب والأعناب
لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى فإن التشديد للمبالغة والتكثير من العيون من زائدة
عند الأخفش وعند غيره المفعول محذوف أي شيئا من العيون ليأكلوا من ثمره الضمير
للتفجير أي لينتفعوا بفوائده إذ يقال ثمرة التجارة الربح وتخصيص الأكل بالذكر لأنه معظم
الفوائد وقرئ بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار وما عملته أيديهم عطف على الثمر أي
من ثمره والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس والخل وكل ما يتخذ من التمر والعنب وقيل
ما نافية والمراد أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة وما عملت بغير هاء
لأن حذف الراجع من الصلة أحسن من غيرها أفلا يشكرون استبطاء وحث على شكر
نعمه سبحان الذي خلق الأزواج كلها الأجناس والأصناف مما تنبت الأرض من النخل
والشجر والزرع والثمر ومن أنفسهم الأولاد ذكورا وإناثا ومما لا يعلمون ومما لم
يطلعهم الله تعالى عليها ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفته وآية لهم الليل في الإعراب
المذكور ما فيما تقدم من نظيره وهي نسلخ منه النهار الوجوه المذكورة في أحييناها
من الاستئناف والصفة والخبرية والسلخ الكشط يقال سلخ جلد الشاة إذا كشطه مستعير
لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله فإذا هم مظلمون داخلون في الظلام

والشمس

والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي إليه دورها في آخر كل سنة وقيل
الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ إلى مستقر لها وقرئ
لا مستقر لها أي لا استقرار لها إلا أن يكورها الله تعالى يوم القيمة على أن لا بمعنى ليس ذلك
تقدير العزيز العليم ذلك الجري على هذا التقدير العجيب أمر لا يقدر عليه إلا الغالب بقدرته
على كل مقدور والمحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه أي قدرنا مسيره منازل على حذف
المضاف وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر
عنها على التوالي إلى الثمانية والعشرين فيه ويستقوس كالعرجون القديم ثم يستتر
ليلة إذا نقص الشهر أو ليلتين إذا تم وهذا تذكير له حتى عاد كالعرجون
القديم العرجون العود المتقوس ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج
هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون والقديم العتيق المحول وإذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه به
من ثلاثة أوجه لا الشمس ينبغي لها أي لا يصح ولا يستقيم لها أن تدرك القمر
وتجتمع معه وتداخل في سلطانه فتطمس نوره لأن [illegible] وإيلاء
الشمس حرف النفي للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما قدر لها من السير والطلوع وأما
وصفها بالإدراك ووصف القمر بالسبق لأن الشمس بطيئة السير بالنسبة إليه فإنه يقطع فلكه في
شهر وإنما تقطع الشمس فلكها في سنة فناسبه السبق وهي [illegible] تشبه السبق إلى الليل
دون النهار في قوله ولا الليل سابق النهار أي لا الليل يسبقه فيزيل ضوءه
وقيل المراد بهما آيتاهما وهما الشمس والقمر فيكون عكسا للأول وفي ذلك أن صلاح النبات والحيوان
وجميع الشؤون الأرضية مبني على تعاقبهما وأن يكون منهما سلطان على حدة وقرئ سابق
النهار بالتنوين ونصب النهار على الأصل وكل التنوين عوض عن المضاف إليه أي كل
واحد منهما في فلك غير فلك الآخر والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري
فيه الشمس والقمر والنجوم وعلى هذا المراد من الفلك الجنس يسبحون يسيرون
بانبساط كما يسبح السابح في الماء وإنما جمع جمع العقلاء
لوصفه بفعلهم وآية لهم أنا حملنا ذريتهم وقيل وآية لهم الفلك كما قال وآية لهم الليل
لأن الصحيح حملهم في الفلك لا حمل الفلك فإنه يجب من جنس ذريتهم أولادهم الذين
يبعثونهم حمله وتجارتهم اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها وفي الحديث أنه عليه السلام نهى
عن قتل الذراري يعني النساء وتخصيص الذريات لأنه لا قوة لهم على السفر كما للإنسان

وفي قراءة

٣

في جمعهم اظهر في الفلك قيل المراد فلك نوح عليه السلام وقال تعالى فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون فعلى هذا يراد بالذرية الاسلاف لانه من الذرء وهو الخلق فيعم
الاصل والنسل لان بعضهم خلق من بعض ويجوز ان يكون المعنى انه تعالى حمل اباهم الاقدمين
وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لان الخطاب للكفار ولا فائدة في وجودهم فلم
يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما في اصلابهم من المؤمنين ولم قيل على الفلك مع انه لا ينسب
بالحمل لان تحتج لحفظ النساء من حرق لظرف دخل في الاستباق وانتسابا فقصد من نوح
الفلك بقوله المشحون لانا نسا لسفينة مملوة بانواع الخلق من سباع البهائم وجوارح
الطير وهوام الدواب فكان ينبغي ان تغرقها بثقلهم من اثار اللطف العظيم والقدرة الباهرة
لو لا ذلك الاعتبار اللطيف لكان التوصيف بالمشحون بمعزل عن مقام الرابة المستفادة
عن عبارة الاية لان القرار على الفلك المشحون الثقيل اهون من القرار على الفلك الخالي
الخفيف فكذلك لم يوصف الفلك به في قوله وعلى الفلك تحملون وخلقنا لهم من مثله
من جنس الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من مثل فلك نوح عليه السلام من
السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الصريخ والصارخ بمعنى المستغيث
ويجيء بمعنى الاغاثة لان اصله مصدر بمعنى الصراخ وقد سبق تحقيقه في سورة ابراهيم
ولا هم ينقذون اي لا يخلصون بعد ذلك الا رحمة منا ومتاعا الى حين الا لرحمة
ولتمتيع بالحيوة الى زمان قدر لاجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم من الوقائع
النازلة بالامم المكذبة قبلهم وما خلفكم من الساعة واهوالها او نوازل السماء ونوائب
الارض او ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر او فتنة الدنيا وعقوبة الاخرة لعلكم ترحمون
لتكونوا راجين رحمة الله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى للتاكيد
والجواب محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل
لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل اية وموعظة من تنزيل حكمة لما سبق من
حديث الاعراض واذا قيل لهم انفقوا لم يذكر المنفق عليه لا اذا ايا هم ان كان عن الانفاق
وعلى المؤمنين خاصة الا انه حسبنا تعلل ابو سب بانه الانفاق فواشا وللاختيار الى هذا
المنفق عليهم مما رزقكم الله الاشارة الى ان البخل به في غاية القبح لانه بخل
بمال الغير قال الذين كفروا بالصانع تعالى يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم
وذلك انهم لما سمعوا المؤمنين يعلقون الامور بمشية الله تعالى يقولون لو شاء الله لكان
كذا او قد حملوا هذا الكلام مخرج الهزو يستهزؤن بالمؤمنين يحيون بقولهم

الانفاق والتصريح بالوصفين من الكفر والايمان لبيان ان الموقع لهم كفرهم
وان المراد بهم المؤمنون وان كل وصف حامل لصاحبه على ما صدر عنه اذ كل اناء بالذي
فيه يترشح وايضا لما كان المقصد الرد على المؤمنين لا الامتناع عن الطعام لانهم يتحرزون به
كان حق المقام التصريح بوصفهم الايمان في القول لهم ومن هنا يتبين وجه اخر للعدول عن عبارة
الانفاق الى عبارة الاطعام انطعم لما كان الاطعام اذ في وجوه الانفاق واعلى ما ينبغي
به كان الاباء منه ابا عن الانفاق رأسا من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل نزلت
في مشركي مكة حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي جعلوها لله تعالى في زعمهم
وقالوا لو شاء الله لاطعمكم يعني ان الله تعالى قادر على اطعامهم ولا نرضى اطعامهم فنحن
احق بذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله تعالى ويجوز ان يكون
من تتمة كلامهم ويجوز ان يكون كلاما من الله تعالى لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ذلك
من قولهم تهكما لنهيهم لان الله تعالى يطعم من يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام
الفقراء وتوفيقهم له ويقولون متى هذا الوعد اي وعد البعث ان كنتم
صادقين فيما تقولون خطاب للنبي عليه السلام واصحابه رضي الله عنهم ما ينظرون ما ينتظرون
الا لا ينتظر المعهود من قولهم متى الا صيحة واحدة اي عذابا بانها وهي نفخة الاولى
يقال لمن صاح بهم الزمان اي هلكوا كما قال الشاعر

صاح الزمان بال برمك صيحة ۞ خروا لشدتها على الاذقان

وقيل هي نفخة لانه ذكر في الصيحة انها تدل على هولها وعظمها اخذها التنكير وتاليها
واحدة اي لا يحتاج معها الى الثانية ونادى انها تاخذهم اي تاخذهم الاخذة او تصل اليهم في
اقطار الارض حيث ما نشأنا لا يكون الاعطيا وهم يخصمون اي تاخذهم بغتة وهم في
امورهم مشغولون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها يبالهم ما يغطيهم
به الامر فان العاقل المتيقظ عليهم اذا صاح بهم صائح يكون انتجاف اعظم عليهم فلا يستطيعون
فلا يستطيعون توصية اي ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولا ان
يرجعوا الى اهلهم ومنازلهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة ونفخ في الصور هي النفخة
الثانية نفخة البعث وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ
بالفاء والفاء للمفاجأة الى ربهم ينسلون اي يسرعون لا سبيل في الخروج ولفظ الرب
اشارة بالخبر لانهم التوجه الى من احسن اليه يكون ذلك اشد ولما لم يذكر
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من هبنا من هب من نومه اذا انتبه

واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقرئ من اهبنا ومن هبنا على الجارة والمصدر وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم ولما شهر عذاب الكفار في قبورهم بالنار
لما صيح بهم لنشر الذكور **هذا ما وعد الرحمن** مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع ولعل هذا قوله تعالى يا ويلنا هذا يوم الدين **وصدق المرسلون** اي
صدقوا فيه ويجوز ان يكون اعترافا منهم وتنبيها وتذكرة لما سمعوا من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا ليس من كلامهم بل جواب الملائكة او المؤمنين لهم لكنه عدل
عن سننه ومطابقته للسؤال لاغراض منها تنبيههم على ان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث
لا عن الباعث ومنها تذكيرهم لكفرهم وتكذيبهم الرسل وتقريعهم على ذلك ومنها تنبيههم
لما الهم التعجب فيها واخبارهم بوقوع ما انذروا به كانه قيل لهم ليس هذا بالبعث الذي عرفتموه
وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث انما هذا هو البعث الاكبر ذو الافزاع
والاهوال الذي وعده الله تعالى في كتبه المنزلة واخبر به على السنة رسله الصادقين **ان كانت**
الا صيحة واحدة وقرئت بالرفع على كان التامة والتعبير في الناقصة للفعلة التي يعلم
وقتها **فاذا هم جميع لدينا محضرون** بمجرد تلك الصيحة وفي ذلك تهوين امر البعث
والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطونهما بها القياس على ما يشاهدونه **فاليوم**
لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ وكذا ما بعده
من وصف اهل الجنة تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وترغيبا او ترهيبا **ان اصحاب**
الجنة اليوم في شغل عن ذكر اهل النار ولو خطر ذلك ببالهم وفيها احدهم اقاربهم او احبابهم
تنغص عليهم ما هم فيه والتنكير في شغل للتعظيم والتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام
ويعرب عن كنهه الكلام والشغل العارض الذي يذهل الانسان عما سواه لان الملك
العارض لكان متوجها اليه **فاكهون** وقرئ فكهون كفطن على انه حال والخبر هو الظرف
والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنها الفاكهة لانها مما يتلذذ به **هم وازواجهم** هم
مبتدأ او تأكيد للضمير في شغل او فاكهون والمعنى على تقدير التأكيد انهم وازواجهم
تشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء والازواج جمع زوج وهي حرة الرجل التي
يحل له وطيها **في ظلال** جمع ظل كشعاب وظلة كقباب ويؤيده قراءة في ظلل **على**
الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش **متكئون** خبر او في ظلال خبر
وعلى الارائك متعلق متكئون وكذا متكئين على الحال **لهم فيها فاكهة** عبر عن كل ما يتفكه به بالفاكهة
الفاكهة للتنبيه على انهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لانهم اجسام محكمة مخلوقة

للابد كلما ياكلونه على سبيل التلذذ **ولهم ما يدعون** يفتعلون من الدعا اي يدعون
به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا اشوى او جمل لنفسه ويجوز ان يكون بمعنى يتداعون
كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت يعني تمنه علي وفلان في
ما ادعى اي في خير ما تمنى وقال الزجاج هو من الدعا اي ما يدعو به اهل الجنة
ياتيهم وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتدا ولهم خبرها **سلام** بدل منها او صفة
اخرى **قولا** مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة **من رب رحيم** والاوجه
ان ينتصب على الاختصاص وهو مدحه ان الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير
واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس
رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين **وامتازوا اليوم** يقال
مازه فامتاز وميزه فتميز والمعنى انفردوا **ايها المجرمون** اي انفردوا عن المؤمنين والمراد من
اليوم يوم الحشر قال الضحاك ان لليهود فرقة وللنصارى فرقة وللمجوس فرقة وللصابئين فرقة
ولعبدة الاوثان فرقة ولكل فرقة في النار بيت يدخل فيه ويرد بابه فيكون فيه ابدا لا يَرى
ولا يُرى ويشكل هذا بقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقوله تعالى
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء **الم اعهد اليكم يا بني آدم**
من جملة الخطاب يبين ثم نوع ايماء الى ان ذلك العهد كان في عهد آدم عليه السلام **ان لا تعبدوا**
الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهد الله تعالى اليهم ما ركز في عقولهم
ونصب لهم من الحجج العقلية والادلة السمعية الآمرة بعبادته الناهية عن عبادة غيره وجعلها
عبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا
وصاه **انه لكم عدو مبين** تعليل للمنع عن عبادته **وان اعبدوني** عطف على ان لا تعبدوا
هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ
لا صراط اقوم منه والجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او اتباع الامرين والتنكير
في الصراط للتعظيم او للتبعيض **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا** رجوع الى بيان معاداة
الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل وتمييز ولذا قال **افلم تكونوا**
تعقلون استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل والجبل الخلق واصل الجبل الطبع ومنه
الجبل لانه مطبوع على الثبات **هذه جهنم التي كنتم توعدون** بها في دار التكليف **اصلوها**
اليوم الزموا العذاب بها واصل الصلا اللزوم ومنه المصلي الذي يأتي السابق ملازما اثره
بما كنتم تكفرون بسبب كفركم **اليوم نختم على افواههم** اي نمنعها عن الكلام

للابد

منعه أن يتكلموا بألسنتهم وتكلمنا أيديهم بإنطاق الله تعالى إياها على ما نطق به قوله
تعالى قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء فلا مساغ للتأويل بظهور آثار المعاصي فيها
ودلالتها على أفعالها وتشهد أرجلهم أسند الختم إلى نفسه دون الكلام والشهادة
نفعا لتوهم الإجبار وإقطاعها وأنه لم يبق لهم الاختيار بحيث لا اقتدار على النطق والتكلم ولما
كان كلام الأيدي إقرارا منها على الغير المنكر ترك تصديقا لا تحملا وإنما ترك الشهادة فعبر
عن تكلمها بالشهادة بما كانوا يكسبون أي الكسب بالمباحث ويكون الإخبار منهما
إقرارا ادعى الرجل شهادة لأنها حاضرة وكلها بأسره ولهذا خص التكلم بحيث الإقرار بالأيدي
والشهادة بالأرجل ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الطمس محو الشيء حتى يذهب أثره والطمس
على العين تعفية شقها حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط فطلبوا الطريق الذي
اعتادوا سلوكه سابقين وإنما اعتبر قيد السبق على طريقة التضمين لأن التعدي في
سلوك الصراط المعهود في الطريق أظهر ويجوز أن يكون من باب حذف الجار وإيصال الفعل أي
فاستبقوا إلى الصراط أو نصبا على الظرف فأنى يبصرون لم يتيسر لهم أن يتمكنوا ولم
يبصروا ولم يحصل لهم سلوكه فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتبديل صورهم وإبطال
قواهم وقدرهم على مكانتهم في مكانهم المكانة والمكان كالمقامة والمقام أي لجماعتهم
فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل أي
أنهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك ولا عجز فينا لكنا لم نفعل لشمول الرحمة واقتضاء الحكمة إمهالهم
قيل لا يرجعون عن تكذيبهم ومن نعمره نطل عمره ننكسه بالتشديد تدريجا والتخفيف
من التنكيس والانتكاس وقرئ بفتح الكاف من النكس في الخلق أي نقلبه فيه فلا يزال
يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره أفلا يعقلون أن من قدر
على الطمس والمسخ فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وما علمناه الشعر بتعليم
القرآن وهو رد لقولهم إن محمدا شاعر والمراد أن القرآن ليس بشعر وأن ما هو من الشعر
فإن الشعر كلام موزون مقفى يستظهر من الخيالات المرغبة والمنفرة وما ينبغي له أي
يليق به ولا يصح له لأنه لا يتحرى في تغيير المعنى حيث يقتضيه اللفظ والشارع يكون
اللفظ تبعا للمعنى وقيل لا يتأتى له إذا أراده وقوله أنا النبي لا كذب أنا
ابن عبد المطلب قاله بعفو طبعه [illegible] الرواية بالإعراب وإذا كانت بالإعراب
لم يكن شعرا وأما ما قيل ليس هذا النوع من الشعر فمكابرة لأن أشعار العرب على عدد
لم يدركها الخليل وغيره وأما قوله هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فلعله

قالها

قالها ساكنة التاء أو متحركة من غير إشباع ولا يكون شعرا إلا إذا كسرت التاء بالإشباع
إن هو إلا ذكر أي موعظة وتذكير من الله عز وجل وقرآن مبين كتاب سماوي بين كونه
ليس من كلام البشر لظهور إعجازه لينذر أي القرآن أو الرسول ويؤيده قراءة بالتاء
النافع قانية من كان حيا عاقلا فهما فإن الغافل كالميت ومؤمنا في علم الله تعالى فإن
الاختصاص لا ثمار به لأنه هو المنتفع به دون غيره ويحق القول وتجب كلمة العذاب
على الكافرين المصرين على الكفر وفي ذكرهم في مقابلة من كان حيا إشعار بأنهم بمنزلة
الأموات في أنهم لا يتعظون عن ثمرة الحياة أولم يروا المشركون ولم يعلموا أنا خلقنا لهم مما
عملت أيدينا مما توليناه بإحداثه لأنه لا يقدر على توليه أحد سوانا وذكر الأيدي وإسناد العمل
إليها استعارة من عمل من يعمل بالأيدي للمبالغة في الاختصاص والتفرد بإحداثها
أنعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة ولطائف الحكمة وكثرة المنافع جمع بين
إظهار القدرة والامتنان بتذكير النعمة المختصتين بها وهذا كما يقول فهم لها مالكون
أي خلقناها لأجلهم فملكناهم إياها فهم فيها متصرفون تصرف الملاك وذللناها لهم
التذليل من جملة النعم الظاهرة لولاه لما قدر عليها أحد وهذا أشار الله تعالى إلى الراكب
بشكر هذه وسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم مركوبهم
ومنها يأكلون أي بعضها مالهم ليركبوا ظهورها وبعضها يأكلون لحومها ولهم فيها منافع [illegible]
في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآية ومشارب اللبن وما يتخذ منه
جمع مشرب وهو الشرب أو موضع الشرب مما لم يقل ومنها يشربون لأن ابتداء الشرب
ليس منها بخلاف الأكل أفلا يشكرون نعم الله في هذه النعم إذ قطعوا النعم واتخذوا من
دون الله آلهة بعدما رأوا الآيات الباهرة وأدركوا النعم الظاهرة لعلهم ينصرون طمعا
في أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمر والأمر على عكس ما قدروا لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم
أو لا ولهة لا استطاعة لهم ولا قدرة على النصر وقيل هم يوم القيامة محضرون بعد أن
في زيادة تعكيس الضمائر فيما قبل الكلام الذي هو إعجاز القرآن ومن عادته أنه أهم ما يجب
على المفسر وأيضا المتبادر منه النفع دون الضر وقيل محضرون في النار
حياة الجند فإنه جمع معد للحرب فلا يحزنك قولهم للتسبيب أي إذا علمت حالهم وحالهم
قيل فلا يحزنك قولهم فيك إنك شاعر أو ساحر أو كاهن أو كاذب أو ساحر ونحو ذلك إلا إذا
بالشرك فإنا مجازوهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل للنهي وفيه وعيد شديد

لهم وزيادة تسلية لرسول الله عليه السلام فان كلمة انّ ليست مقتضية للبلاغة نفسه
ما يقال من انه يكون نظم الكلام على اسلوب انّ في قوله ذلك مقتضاها الحسب
جليل النظر وانما مقتضاها بحسب تيقظها ما هو تاخير حتى يكون الكل من جزئي الكلام
خطرا من الاهتمام وذلك انه حينئذ يكون الجزء الاول لاهتمام التقديم والجزء الثاني لاهتمام
التصريح به لا لفهمهم بطريق الالزام على تقدير التقديم تفوت احد الاهتمامين
كما لا يخفى على ذوي الافهام ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ الهمزة للانكار و
العطف للتقريع والتعجيب من حال الانسان اي ايكفر الانسان البعث ولم ير ابتداء
خلقه وابتداعه كما مر فيه تسلية اخرى لرسول الله عليه السلام بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم
للبعث وتنبيه بليغ لانكارهم لانه ابلغ في الفحشية والاذى وغيبته والادل على تمادي
كفر الانسان واقراره بحقوق النعم حيث يتيسر بعلمه انا خلقناه من شيء قليل ومبلغناه الى
قدر جليل واعلم يبلغ مثل ما هو عليه مع ما فيه من المناسبة لقرينته ما يتعلق بالكلام بحيث
لما سبق من المرام وذلك محذوف ما يجعل قرينا آخر وهو الاشتغال بالاحتراز عن الاكرام
ومن لم يتنبه لهذا قال انا خلقناه من ماء مهين وقدره مع مهانة اصله وخساسته
عاصيا متصديا لمخاصمة الجبار الذي شرفه بجعله جنسه وكرمه بعد ذلته وجعله من
حيل لنطفة ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ اذا للمفاجأة والفاء فصيحة للعطف على مقدر تعليله
لما بلغ نطفة اطلعها المتكبر والحمل عليها باعلان الكفر والحجيج النفي في الخصم
مصرحا عما في نيته ويعول بخيانته وكائن الخصام في الدم تصفه لا بالحجة عليه وهو انه
منشأ من موات والاعادة اهون من الابتداء الخصام مخصوص بربه ﴿وضرب لنا مثلا﴾ اي
قصة لا ينكره امرا عجيبا وقصة غريبة كما لت الكرم قدرة الله تعالى على احياء
الموات وقدرتنا شاء الله تعالى من العادات ﴿ونسي خلقه﴾ وهو اقرب شيء اليه ﴿قال
من يحيي العظام وهي رميم﴾ يعني ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم بال يفتته بيده
فقال اترى يا محمد الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار
والرميم اسم لما بلي غطفا كان الرغبة غير صفة كالرمة والرفات لا فعيل بمعنى فاعل او مفعول
فقال لم يتبع كونه خبرا عن مؤنث وقيل لانه معدول عن فاعل وكل ما كان معدولا
عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اخواته كبغيا في قوله تعالى وما كانت امك بغيا فانها
مصروفة عن باغية وفي ظاهره دلالة على ان في العظام حياة وانها تنجس بالموت ﴿قل يحييها
الذي أنشأها أول مرة﴾ اما قال انشاها اولا احياها ثانيا اشارة الى الفرق بين الاحياء

من حيث ان الاول ابتداء انشاء والثاني اعادة فلا جرم يكون الاهون ولا تغيير بحجاب
الفاعل ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق النشاة ويجمع اجزاء
جلايلها وانذفاقها ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر﴾ وصف الشجر بالاخضر حملا على
اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ﴿نارا﴾ نوعا غريبا من النار حيث يختلف ما يقطر منه الماء
هنا ظهر وجه توصيف الشجر بالاخضر نقلا عن ارباب الحكمة ان النار على اربعة انواع نار
تاكل ولا تشرب وهي النار المعهودة ونار تشرب ولا تاكل وهي نار الشجر ونار تاكل وتشرب
وهي نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار الحجر ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ لا تشكون
في انها نار تخرج منه استدلالا بالنشاة الاولى على الثانية ثم باقتداح النار من الشجر الاخضر
وهي من زناد الاعراب واكثرها في المرخ والعفار يقطع منهما غصنان مثل السواك وهما
خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فتقدح النار باذن
الله تعالى مع مضادة الماء النار واطفائها بها فمن قدر على ذلك كان على اعادة الغضاضة
فيما كان غضا فيبس وبلي اقدر ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن
يخلق مثلهم﴾ بلى ثابت كانه قال ابعد ما يرى قدرة الله ليليق لا يقدر من خلقهما مع كبر جرمهما
وعظم شانهما على خلق مثلهم مع صغرهم وقيامهم بالنسبة اليهما فقيل بمثلهم لان المعاد مثل
المبتدا في اصول البنية الذات والصفات وبرده ان المذهب ... ﴿بلى﴾ جواب من الله
تعالى مشعر بان الجواب منحصر في هذا وهو الاثبات بعد النفي ﴿وهو الخلاق العليم﴾
المبالغ في الخلق والعلم المستفاد من الصيغتين المذكورتين تناسب المقام ﴿إنما أمره﴾ اي شانه
اشار في سورة النحل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ومن جعل الامر هنا
على الشان فقد غفل عن ذلك البيان ... قدرته تعالى في مراده بامر مطاع
وعلى ماموره مطيع لمن البيان انه يمتثل فقال انما امره في ايجاد الاشياء ﴿إذا أراد شيئا
أن يقول له كن﴾ اي تكون ﴿فيكون﴾ فيحدث من غير امتناع عليه ولا توقف في المامور
ولا افتقار الى الالات وحركات عملا لا تراهما لمادة الشبهة في قياس قدرة الله تعالى
على قدرة الخلق وهو من الاستعارة التمثيلية يتوهم مقام تعليل لقدرة الله تعالى
على اعادة المرفق اي من كان ايجاده لا شياء هو بهذا فكيف يعجز عن الاعادة وقرئ يكون
بالنصب عطفا على يقول لا الرفع على تقدير جملة اسمية اي فهو يكون منطوقة على اخرى
ملفوظة اي مما انه ان يقول ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ تنزيه له تعالى عما
وصف به المشركون وتعجيب مما يقولوا فيه ما قالوا والفاء للسببية او رحمها تعليلا و

يكون به المتصرف في ملكوت كل شيء بمقتضى مشيئته وموجب حكمه فكيف يمتنع عليه شيء والملكوت
مقابل الملك على ما ورد في الدعا الماثور سبحان ذي الملك والملكوت فان لكل شيء جهتين
كثيفة وروحانية لطيفة جسمانية ظلمانية من عالم الخلق وهو عالم الخلق وعالم
الشهادة وروحانية النورانية من عالم الملكوت وهو عالم الامر وعالم الغيب ومعنى كون
ملكوت كل شيء بيده انه المتصرف فيه بواسطة الاسباب والآلات على مقتضى حكمته **واليه ترجعون**
وعد ووعيد للمقرين والمنكرين والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة والصافات مائة وستون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا الواو للقسم والصف ترتيب الجمع على خط واحد **فالزاجرات زجرا**
صفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفا للتوسط بين الصفات اما لترتيبها مع اتحاد
الموصوف واما لترتب الموصوفات والاحوال اما لترتيبها في الوجود واما لترتيبها في بعض
الوجوه بحسب التفاضل او التناقص وكذا الثانيا في الوجود واما في الاعتبار ويحتمل هنا
اتحاد الموصوف فيعم ترتب الصفات في التفاضل على ان الصف طاعة وكمال والزجر تكميل بالمنع
عن الشر والسوق الى الخير والتلاوة افاضة المعارف والحكم على الانبيا عليهم السلام او في
التناقص على ان الصف هو المقصور على نفسه يكمل بتصفية في مواطن القرب والزجر للشياطين
والتلاوة الذكر بالتسبيح والتحميد وكذا اذا اريد تعدد الطوائف وتفاوتها وقد يترتب
على التفضيل على ان الطوائف بالصفات فضلا والطوائف الزاجرات افضل والتاليات افضل
او بالعكس **فالتاليات ذكرا** اقسم الله تعالى بطوائف الملائكة الصافين في مراتب العبودية
بحسب تفاوت فيضان الانوار الالهية عليهم منتظرين لاوامره تعالى او النفوس الصافية
الزاجرات الاجسام عن المعاصي بالهام الخير والشياطين عن التعرض بالاضلال والاجرام
والسحب بسوق السحاب والرياح وغيره ذلك مما امرت به التاليات لآيات الله تعالى
من الكتب المنزلة على انبيائه عليهم السلام وغيرها من التقديس والتسبيحات وما نحن
الاذكار وبنفوس العلما العباد الصافات اقدامها في الصلوات وحضورها في الجماعات
فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات كلام الله تعالى وشرائعه وحكمه او بنفوس
الغزاة المجاهدين في سبيل الله تعالى الصافين في صف القتال والزاجرين الخيل للكر
مع ذلك الله تعالى والتالين لآياته لا يشغلهم تلك الشواغل عنها كما حكي عن علي رضي الله
عنه وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن معاصي

تعالى

تعالى والتاليات كل من تلى كتاب الله تعالى وترتيبها فعلى ان الفا للتفاوت فيما يليها
لترتب بخروجهما من مخرج التالي **ان الهكم لواحد** جواب للقسم وفائدته الاقسام تعظيم
المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف في كلامهم واما تحقيقه فالبرهان بقوله تعالى
رب السموات والارض فان وجودهما وانتظامهما على الوجه الاكمل دليل على وحدة الصانع على ما مر في
تفسير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وفيه على المدح
اي هو رب السموات ويجوز ان يكون بدلا من لواحد **وما بينهما** يتناول افعال العباد
فيدل على انها من خلقه تعالى **ورب المشارق** مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة
وستون تشرق في كل يوم في واحد منها بحسب تقلبها وتتبعها اختلاف المغارب ولذلك اكتفى
بذكرها مع دلالتها عليها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر واما ذكرها ادل على القدرة وابلغ
في النعمة ولا يصلح وجها للاكتفا المذكور بما يصلح وجها للتخصيص للمشارق بالذكر
على تقدير لا لكنفا بالحقيقة **انا زينا السما الدنيا** القربى منكم **بزينة الكواكب** اي
مصدر كالنسبة والاسم ما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة واضافتها الى المفعول او
جعلتها مصدرا اي بان زان الله تعالى الكواكب وحسنها لانها انما زينت السما بحسنها في انفسها
واصلها بزينة الكواكب التي هي وبعض الكواكب ويقويه كذلك اذا والى انها على اي
ما تقدم الكواكب حاله بزينة الكواكب وان جعلتها اسما فالاضافة للبيان فان الزينة
مبهمة قد تكون بالكواكب وقد تكون بغيرها اي بزينة هي الكواكب كذلك بلمساح او بزينة
هي الكواكب ويعضده القراءة بالتنوين وجر الكواكب على الابدال ويجوز في النصب كونه
الابدال من محل الجار والمجرور وبهذا المعنى ونحو على قراة الحرك يراد بالزينة ما زينت به
الكواكب من اضوائها واوضاعها المختلفة كشكل الثريا بروجا وزينها للناظرين اي
بالاشكال وعن ابن عباس بزينة الكواكب بضو الكواكب واعلم ان تخصيص السما الدنيا
باي عن محل الزينة على ما يحسب الظهور في الحيز لعدم التمييز بين العليا والدنيا في ذلك
ففي التخيل المذكور فتح ما اشتهر من ان مدار الكواكب في السما الدنيا **وحفظا**
عطف على محل بزينة باعتبار المعنى لانا المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا
من الشياطين كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين او منصوب
بفعل مقدر على المصدر اي وحفظناها حفظا او على التعليل اي وحفظنا زيناها بالكواكب
من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة **لا يسمعون** ابتدا الاخبار لبيان حال المسترقة
السمع لا تعلق له بما قبله الا من حيث المعنى ورجوع الضمير الى كل شيطان اما من حيث

اللفظ فلا يجوز أن يكون صفة لكل شيطان إذ لا يصح الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا
استئنافا لو سئل لم يحتفظ من الشياطين لما صح الجواب لأنهم يسمعون فبقي أن لا يسمعوا
فحذفت أن وأهدر عملها فقد ركب شططا لأن كل واحد من الحذف فيه على الانفراد غير
منكر وأما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها **إلى الملأ الأعلى** وهم الملائكة
لأنهم سكان السماء والثقلان الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وقرئ لا يسمعون بتخفيف
وتشديد السين والميم وأصله يتسمعون وهذا ينصر التخفيف على التشديد وعدي يسمعون
بإلى لتضمنه معنى الانتهاء أي لا ينتهون بالسمع أو التسمع إلى الملأ الأعلى لا لتضمنه معنى
الإصغاء إذ كل جزئية لا يلزم نفي السمع أو التسمع إذ لا يلزم من نفي المجموع انتفاء الأجز
اء [illegible] ثم إن فيه المبالغة في النفي فتدبر **ويقذفون** يرمون بالشهب **من كل جانب**
من كل جهة يصعدون منها إلى السماء للاستراق **دحورا** مفعول له أي للدحور وهو الطرد
أو حال أي مدحورين أو مصدر لأن القذف والدحور متقاربان في المعنى فكأنه قيل
يدحرون دحورا أو على أنه [illegible] **ولهم عذاب واصب** دائم يعني أنهم
مرجومون في الدنيا بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة عذاب غير منقطع **إلا من خطف**
الخطفة من مرفوع المحل بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان
الذي خطف الخطفة بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
وأصلها اختطف والخطف الاستلاب بسرعة والمراد استلاب كلام الملائكة مسارقة ولذلك
عرف الخطفة **فأتبعه** وقرئ فاتبعه بالتشديد [illegible] التفعيل في تتبعه لم
شهاب [illegible] أنهم يرجمون مقذوفون بالشهب حتى يرجعوا عن ذلك الأمل إلا من يخطف
خطفة فأتبع بشهاب فيكون نجوم الرجم غير نجوم الزينة تلك ثابتة وهذه سائرة منقضة
قال [illegible] النجوم يقذف بالنجوم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل
الناس يسيبون أنعامهم ويعتقون رقيقهم يظنون أنها القيامة فأتوا عبد يا ليل
الثقفي وكان قد عمي فأخبروه بما فعلوا فقال [illegible] النجوم تهافتت [illegible] فقال
لا تعجلوا فإن كانت النجوم التي تعرف فهي عند قيام الساعة وإن كانت نجوما لا تعرف فهي من أمر
حدث فنظروا فإذا هي نجوم لا تعرف قال فما تلبث إلا قليلا يسيرا حتى [illegible] النبي عليه
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشهب [illegible] بميلاد النبي عليه السلام وعلى كلام
المنذر بن الحارث قذفها للشياطين بالشهب أو الشهب نفسه فلا قدح فيه بدلالة الشعر
الجاهلية على وجود الشهب قبله فلا حاجة إلى أن يقال إن الحادث كثرتها لا وجودها

وأما ما قيل إن أصل الشهب بخار يتصاعد إلى الأثير فيشتعل فمبني على نقل الكتاب لا من صريح
في أن أصل الشهب الكواكب المشبهة بالمصابيح وإذا انقضاضها واشتعالها لحكمة القذف
لا ينافي أصلها عند وصولها إلى الأثير **ثاقب** مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه
فاستفتهم ما كانت الهمزة في الأصل للاستفهام حقيقة فاستفتهم أي فاستخبرهم والضمير
[illegible] والمجرد إلى معنى التقرير للتصغير لمشركي مكة أو لبني آدم عليه السلام
أهم أشد خلقا يحتمل أقوى خلقا وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث
والنشأة الأخرى **أم من خلقنا** المراد به ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض
وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولي العقل
على غيرهم فقال من خلقنا ويدل عليه إطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا
بالتخفيف والتشديد وقوله **إنا خلقناهم من طين لازب** الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين
من قبلهم كعاد وثمود ولأن المراد إثبات المعاد ورد استحالتهم إياه والأمر فيه بالإضافة إليهم
وإلى من قبلهم سواء **لازب** لازم [illegible] أي أصل خلقتهم وهو الطين اللازب
فليس إلا التراب والماء وهو على حال [illegible] استنكروا ذلك **بل عجبت** من إنكارهم
البعث **ويسخرون** أي وهم يسخرون منك ومن تعجبك وتعريفك بالبعث وقرئ عجبت
بضم التاء فيحمل الكلام على المجاز لأن العجب [illegible] لأنا نعلم استعظامه
على الله تعالى محال فهو في حقه تعالى مجرد الاستعظام أو على سبيل الفرض أي إنه عند
الله بمنزلة لو جاز عليه العجب لعجب [illegible] للاستعظام على ما مر في قوله تعالى
يا حسرة على العباد وأن الأمر في نفسه متعجب منه وقد جاء في الحديث عجب ربكم من
ألكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم **وإذا ذكروا لا يذكرون** وإذا وعظوا بشيء
لا يتعظون به **وإذا رأوا آية** عظيمة من آيات الله تعالى كانشقاق القمر ونحوه **يستسخرون**
يبالغون في السخرية كأنهم يطلبون من أنفسهم السخرية منها ويحملونها على ذلك
أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها **وقالوا إن هذا إلا سحر مبين** ظاهر سحريته
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أصله أنبعث إذا متنا فبدل
الفعلية بالاسمية وقدم الظرف وكرر الهمزة مبالغة في الإنكار وإشعارا بأنه مستنكر
في نفسه وفي هذه الحال أشد استنكارا [illegible] من القراءة بطرح إحدى الهمزتين **أوآباؤنا**
[illegible] مبعوثون ويدل عليه ما قبله فإذا قلت أقائم زيد أم عمرو
فعمرو [illegible] المحذوف الخبر ويجوز عطفه على محل إن واسمها على خلاف مذهب سيبويه لأنه

تمثل ان عمرا في قولك ان زيدا قائم وعمرو مرفوع على الابتداء وانما عطفه على المحل
في مبعوثون فلا صحة له لان همزة الاستفهام لا تدخل على الجمل فعلى تقدير العطف
على المفرد كان العمل عاملا فيه بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها
فيما بعدها وانما دخلت الهمزة الانكارية على الواو لمزيد الاستبعاد على معنى ايبعث
ايضا اباونا يبعثون انهم اقدم فبعثهم ابعد وقري او اباونا باو الفاصلة كما في
صاحب المطالع واذا كانت للتقرير والتوبيخ او للدلالة او للانكار او الاستفهام كانت
مفتوحة الواو واذا كانت للشك او التقسيم او الابهام او التوزيع او التخيير بمعنى بل
او بمعنى حتى او بمعنى الى او كيف كانت ساكنة الواو الاولون الاقدمون قل وقري
قال نعم اي نعم تبعثون وانما اكتفي به في الجواب لسبقها بما يدل على جوازه وقيام المعجز
على صدق المخبر عن وقوعه ولا يجدي في حق القائلين انه سحر مبين وان الكلام معهم بعد ما انكر
الاعجاز والرسالة وانتم داخرون صاغرون وقري نعم بكسر العين وهما لغتان فانما
هي مبهمة لا ترجع الى شي يفسرها خبرها ويجوز ان يرجع الى البعثة الدال عليها لبعثون
والفا جواب لشرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة
هي النفخة الثانية من زجر الراعي اذا صاح عليها وامرها بالاعادة كما مر في الاية ولذلك
كتب عليها قوله فاذا هم ينظرون احيا يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا
يا ويلنا مر تفسيره في سورة يس هذا يوم الدين كلام الكفرة هذا يوم الفصل كلام الملائكة
جوابا لهم ويجوز ان يكون الاول ايضا من كلام الملائكة وان يكون الثاني ايضا من كلام
بعض الكفرة لبعضهم اي هذا يوم الجزاء الذي نحن فيه ونجازى باعمالنا هذا يوم الفصل
والفرق بين فرق الهدى والضلال الذي كنتم به تكذبون فيه دلالة على ان الرسل
عليهم السلام بعد ما كانوا ينذرونهم بذلك [illegible] وهم اصروا على
الانكار واستمروا على الاصل احشروا الذين ظلموا خطاب من الله تعالى للملائكة او خطاب
بعضهم لبعض بامر الله تعالى والحاشر الى الحشر لانهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر
ومن مبعثرين والحشر السوق الى مجمع واحد من الجهات المختلفة وازواجهم قرناءهم
من الشياطين قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اذا بعث الكافر زوج بقرينه
من الشياطين فلا يفارقه وقال عطا في تفسير قوله تعالى واذا النفوس زوجت
اي قرنت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكفار بالشياطين وما كانوا يعبدون من

دون الله يدل هذا على ان المراد من الذين ظلموا المشركون وقوله عليه السلام على وفق
قوله تعالى حكاية عن الملائكة بل كانوا يعبدون الجن بل اكثرهم عبدوا الشياطين الذين
امرتهم بذلك فيحمل ما عبدوا من غير الله على عمومه وانما الاصنام ونحوها غير
داخلة فيه بما تقرر في قوله تعالى فاهدوهم يجمع للمذكورين الى صراط الجحيم عرفوهم
طريق النار حتى يسلكوها وفيه تهكم بهم لما مر في تفسير سورة الفاتحة ان الهداية بطريق
اللطف وفي الصراط ايضا نوع تهكم لانه طريق مستو للسالكين لا اعوجاج فيه وقفوهم
واحبسوهم في الحشر عند مجيئهم الى ما دل عليه قوله تعالى ويوم يحشر اعداء
الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم فالسؤال في قوله
تعالى انهم مسئولون ليس عن عقائدهم واعمالهم بل عما كانوا يرجون منه الشفاعة والنصرة
بدلالة قوله تعالى ما لكم لا تناصرون وقوله تعالى في موضع اخر ويوم نحشرهم جميعا ثم
نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون توبيخ لهم وتهكم بهم بالعجز عن
التناصر وتخليص بعضهم لبعض بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا متعاضدين بل هم اليوم
مستسلمون اي ليس احد يقدر على نصر احد بل الكل مستسلمون لما يراد بهم وكلمة بل حرف
ابتداء لا عاطفة واقبل بعضهم على بعض يعني الكفرة والشياطين يتساءلون يتخاصمون
قالوا يعني الكفرة للشياطين انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن القوة والغلبة حتى
حملتمونا على الضلال وقهرتمونا عليه قالوا يعني الشياطين للكفرة بل لم تكونوا مؤمنين
اضراب عن مقدر دل عليه السياق اي ما اجبرناكم على الضلال بل انتم اعرضتم عن الايمان
واخترتم الكفر على الايمان وما كان لنا عليكم من سلطان من تسلط بسلبكم
التمكن واختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان وهذا اوفق لما في موضع اخر من
قوله تعالى وقال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فحق علينا اي اذا لم يكن لكم
تلزمنا قول ربنا انا لذائقون اي حكم بانا لذائقون لعذابه يوم القيمة اخبروا بذلك عن
انفسهم عدلوا عن الخطاب الى لفظ التكلم لحكاية لله تعالى فقد اتهم فلو حكى وعيد الله تعالى
كما هو لقال انكم لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فدعوناكم الى الغي لانا كنا غاوين
احببنا ان تكونوا مثلنا ما احببنا لانفسنا فلم تستجيبوا لنا الا لرشد بل غاية ما في
الباب انا دعوناكم فلم اجبتمونا وقلتم فكانه تعريض بانه لم يحق علينا قول ربنا اي ليست
غوايتكم في الحقيقة بنا ولو كان كل من يتبع اغواءنا فقد اغوانا فانهم اي الاتباع والمتبوعين
من الكفرة والشياطين يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون كما كانوا في الغواية مشتركين

إنا كذلك بمثل ذلك الفعل البديع نفعل بالمجرمين بالمشركين بدلالة السياق والآية التي في
المطلاق ما لا يخفى من المبالغة في كون الإشراك جرمًا أجنبيًا لم يعتد بما عداه من المعاصي جرمًا
نظرًا إلى عظمه إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون عن الإذعان والقبول
ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون رسول الله عليه السلام بل جاء بالحق أمر
عن معتقدين بإعلائها السياق وصدق المرسلين أي هو وهم عليهم السلام على طريقة واحدة
في دعوتهم الأمم إلى التوحيد وترك عبادة غيره تعالى وفيه رد على المشركين بأن ما جاء به
من التوحيد حق يطابق عليه البرهان العقلي وأنبأنا النقلي من المرسلين إنكم لذائقوا العذاب
الأليم بالإشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله
بتقدير النون وقرئ لذائقون العذاب على الأصل وفي عبارة الذوق دلالة على أنهم
غدًا يلجئهم إليها وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم وما هو جزاؤه الأصل في
المماثلة كما في التشبيه البليغ إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع أي لكن عباد الله المخلصين
ثوابهم مضاعف وقيل متصل على الضمير في تجزون أو لذائقوا على أنها للعموم أولئك لهم
تقديمه للتخصيص رزق معلوم خصائصه من الدوام وتمحضه للذات ولذلك فسر
بقوله فواكه فإن الفاكهة ما يتلذذ به ولا يتقوت وذلك لأنهم مستغنون عن الغذاء
إذ لا تحليل هناك فيكون رزقهم كله للتفكه والتلذذ لا للتقوت وهم مكرمون عند
الله تعالى لا يلحقهم هوان وذلك من أعظم المثوبات اللائقة بذوي الهمم في جنات
النعيم أي في جنات ليس فيها إلا النعيم ظرف أو حال من المستكن في مكرمون أو خبر ثان
لأولئك وكذا على سرر يحتمل الحال والخبر فإن جعل خبرًا كان متقابلين حالًا من الضمير فيه
أو في مكرمون ويجوز أن يتعلق متقابلين على أنه حال من مكرمون يطاف عليهم
بكأس الكأس الزجاجة ما دام فيها الخمر وقد يطلق على الخمر مجازًا كما في قوله وكأس شربت
على لذة من معين من شراب معين أو نهر معين والمعين الظاهر للعيون الجاري على وجه الأرض ظاهرًا
للعيون وإنما وصف بما يوصف به الماء لأنها تجري في الجنة كما يجري الماء قال تعالى
وأنهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان للكأس وصف باللذة للمبالغة كأنها
نفس اللذة أو تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ … ولذ بالفتح لذاذة … يجعل الخلد
قال ولذ كطعم الصرخدي تركته • لا فيها غول أي فساد من أنواع الفساد التي تكون
في خمور الدنيا من خمار وصداع واختلاط عقل ولغو وعربدة وغير ذلك والغول الإهلاك
والإفساد … وتقديم الظرف … ولا حرف النفي لإفادة نفي الغول عنها وإثباته

في

في غيرها غير مقصود بل الإفادة أن المنفي عنها ما هو الثابت في غيرها أي ليس فيها ما
في خمور الدنيا من اغتيال العقل ولا هم عنها ينزفون أي لا تنزف عقولهم من نزف الشارب إذا
ذهب عقله وقرئ ينزفون بكسر الزاي من أنزف الشارب إذا سكر أو إذا فني شرابه
العقل أو ورد بالذكر لذلك للدلالة على أن السكر من أعظم المفاسد كأنه منفرد عن أنواعها ومن جنس آخر
غيره أجل عند النزول وعندهم قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن
طرفًا إلى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض
النعام المكنون في الأداحي فإنه مصون عن الغبار في غاية الصفاء ولونها بياض مشرب بصفرة
حسنة وهي أحسن الألوان للأبدان ولهذا تشبه العرب مخدراتهم ببيضات الخدور وقيل
أراد به المصون عن الكسر يعني أنهن عذارى صحيحات قال الفرزدق

خرجن إلي لم يطمثن قبلي • وهن أصح من بيض النعام

ويؤيده ما في سورة الرحمن فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان وقيل شبههن
بالدر كأنهن بيض مكنون في صفة الولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون وأشار بذلك إلى
أن الحور للصفة دون الولدان لأن اللؤلؤ للاستتار والبيض لما … فأقبل بعضهم
على بعض عطف على يطاف عليهم يتساءلون أي يتحادثون على الشراب يسأل بعضهم بعضًا
عما جرى لهم وعليهم في الدنيا وعن رغبتها والتعبير بالماضي للإخبار عن تحقق وقوع
تلك المحادثة من بينهم وهي المحادثة على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات إلا • أحاديث الكرام على المدام

قال قائل منهم في تكالمهم إني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن
المصدقين قرئ بالتخفيف والتشديد أي يوبخني على التصديق بالبعث أو التصدق
أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا لا يبقى لدينا لحم … بعد … ترابًا
إلى التضعيف في مقام الاستبعاد … لا نعول
عظمًا … وتحقق … أئنا لمدينون
أئنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء … ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه قال أي ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار لأريكم
ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن
تطلعوا وقرئ مطلعون بالتخفيف يعني يا ذا الطالع علينا والمطلع والطلع بمعنى
فاطلع أي عرض لهم الاطلاع فقبلوا عرضه فاطلع والمعنى بعد ذلك أيضًا قرئ بالتشديد

على قراءة مطلعون مشددا أو بالتخفيف على قراءة مطلعون مخففا كالاطلاع على المضارع
المنصوب جوابا للاستفهام وقرئ مطلعون بكسر النون والتخفيف على إرادة مطلعين
إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه
اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لما بينهما من التآخي كأنه قال يطلعون وهو ضعيف لا يقع
إلا في الشعر وعلى قراءة المضارع معناه هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أيضا وإن
جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنه شرط في اطلاعه اطلاعهم رعاية لأدب المجالسة
وهو أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا
للملائكة أي المطلعون على فريقيها الملائكة فاطلع صاحبي من أهل الجنة عليه فرآه أي
قرينه في سواء الجحيم في وسطها قال تالله إن كدت لتردين لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين
إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة كقوله إن كاد ليضلنا ولولا نعمة ربي بالعصمة
والهداية لكنت من المحضرين في العذاب معك أفما نحن بميتين الهمزة للتقرير والفاء
تدخل على الفاء العاطفة ما بعدها على معطوف محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى التي في الدنيا وهي
متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء
المنقطع وما نحن بمعذبين كما وعدنا والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم فيما وعدنا الله
لهم عملا بخلاف حال الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وهذا تمام كلامه لقرينه تقريعا
له ثم يتوي معاودا إلى مكالمة جلسائه مبتهجا من قرينه تحدثا بنعمة الله تعالى وإحيا لما
بحاله فيما لا نعقابه ويتحجبها وزيادة في تقريع قرينه إن هذا أي الذي نحن فيه
لهو الفوز العظيم وقيل هو قول الله تعالى تقريرا لقولهم وتصديقا له وإشارة إلى
ما هم فيه من النعمة والخلود والأمن من العذاب وقرئ لهو الرزق العظيم أي
ما رزقوه من السعادة لمثل هذا أي لنيل مثل هذا أن عملوا أعمالا فليعمل العاملون
لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهذا معنى تقديمها الغاية
وإيراده التشبيه من عادة الله تعالى أن يتبع الترغيب بالوعيد فلما فرغ من بيان الرزق
المعلوم ووصف أهل الجنة في محادثتهم وانساق الكلام كلامهم إلى قصة المؤمن وقرينه
شرع في رزق الكافر ووصف أهل النار أذلك أي أذلك الرزق المعلوم الموصوف
خير نزلا نصب على الحال والنزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له ويجوز حمله على
المعنى الحاصل فيه أنه نصب على التمييز أم شجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق منتنة

من حريقه

مرة حريفة تنبت بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة وفيه أن الرزق المعلوم وما ذكر معه
من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل وما وراءه مما للذات بعدنا فإنهم لا يكل
عنه الوصف وكذلك شجرة الزقوم وما ذكر معه إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء وامتحانا لهم في الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف
يكون ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فيها ويتلذذ
بها كالسمندر فهو قادر على خلق شجر فيها وحفظه عن إحراقها إنها شجرة تخرج
في أصل الجحيم وقرئ نابتة كأن تخرج وقيل منبتها في قعرها وأغصانها ترتفع إلى دركاتها
طلعها الطلع ما يطلع من النخل استعير لما تحمله وحمل ثمرها كأنه رؤوس الشياطين
استعير الطلع من حمل النخل لحمل شجرة الزقوم وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه
في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح أمره راسخ في طباع الناس
وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشياطين حية عرفا قبيحة المنظر هائلة جدا فإنهم لآكلون
منها من الشجر أي من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع الشديد واستيلاء
عليهم أو لأنهم يقسرون على أكلها تعذيبا ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إذا
شبعوا وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم وأحرق الزقوم بطونهم سقوا شرابا من غساق
وصديد مشوبة أو ممزوجا بحميم يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم وقرئ لشوبا بالضم وهو
اسم ما يشاب ويجوز أن يكون ثم لاستبعاد المعطوف فيفصل بينهما بزيادة البشاعة والكراهة
من طعامهم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم أي إنهم يعادون من النار المنحبسة في دركات الجحيم
إلى الزقوم فإذا عطشوا أخذوا إلى الحميم ثم يرجعون إلى مقارهم ومساكنهم من دركات
الجحيم وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن مستقرهم لإلى الجحيم يطوفون بينها وبين
حميم آن علل لما أخبر أنهم يستحقون ذلك على إنهم ألفوا آباءهم ضالين تعليل
لاستحقاقهم الوقوع في تلك الشدائد كلها يعني أنه لذلك بسبب تقليدهم آباءهم
الضالين فهم على آثارهم يهرعون الإهراع الإسراع الشديد كأنهم يحثون حثا
وقيل إسراع فيه شبه بالرعدة وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على نظر
وتدبر ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش أكثر الأولين بالتقليد وترك النظر ولقد
أرسلنا فيهم منذرين أنبياء عليهم السلام حذروهم العواقب كما فعل قومهم ما فعلوا فيهم
بالنذر على معاصيهم في الإنذار فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
الذين أنذروا وقد كذبوا فأهلكوا جميعا إلا عباد الله المخلصين الذين أخلصهم

مطلب الإهراع

يعني الله تعالى او اخلصهم اتقيا لدينه على اختلاف القراءتين والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمراد قومه لانهم رأوا اثارهم وسمعوا اخبارهم ثم شرع في تفصيل
المنذرين والمنذرين فقال **ولقد نادانا نوح** حين يئس من قومه **فلنعم المجيبون**
اللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف اي فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع
في نادانا والمجيبون دليل العظمة والكبريا واظهارها والمعنى ولقد دعانا فحصل على
انا اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون **ونجيناه
واهله من الكرب العظيم** من الغرق الذي كان فيه او من اذى قومه لان من ذلك دعا ربه
فاجابه والكرب الغم الثقيل على القلب **وجعلنا ذريته هم الباقين** هم الذين
بقوا وحدهم دون غيرهم وذلك لا دلالة فيه على عدم بقاء ذرية غيره حتى يخالف ظاهر
قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح لان الذرية يشار الى الاولاد والبنات دل عليه عند عيسى عليه
السلام مولد ذرية نوح على بابه في سورة الانعام **وتركنا عليه في الاخرين** من الامم
كلهم هذه الكلمة وهي **سلام على نوح في العالمين** على الحكاية كذلك وقرئ
انه اي يسلمون عليه تسليما وبعده انه لم يثبت هذه التحية في العالمين من الملائكة والثقلين
جميعا كانه قيل يثبت الله التسليم على نوح واتمامه في الكل عن اخرهم **انا كذلك نجزي
المحسنين** علة لمجازاته بتكرمة السنية وعظمها بتعلم كذلك اي مثل ذلك الجزاء العظيم وهي
تنبيه ذكره وتسليم العالمين عليه ابدا باحسانهم على الاحسان بما انه واضافه الى ذاته
تعالى في ... بل خرافته بقوله **انه من عبادنا المؤمنين** لاختصاصه به كل الكمال لا ان تعلل
الايمان وجلاله وانه العابد العظيم بصفات المدح والتعظيم وجعل المؤمنين الكرام
واختصاصه مع كونه نبيا مجتبى للترغيب في العبادة في الايمان والاذعان الى الاعمال **ثم
اغرقنا الاخرين** ثم اخبر تعالى انه اغرق من لم يؤمن من قومه **وان من شيعته** ممن
شايع نوحا عليه السلام في التوحيد واصول الدين **لابراهيم** ولا يقدح في ذلك اختلاف
الشرايع فانها تختلف بحسب اختلاف الامم وكان بينهما الفان وستماية واربعون
وما كان بينهما من الانبياء الا هود وصالح عليهما السلام **اذ جاء ربه** منصوب بمقدر
اذكر او بما في الشيعة من معنى المتابعة لانه فيه تفصل بينها العامل والمعمول باجنبي وهو
قوله لابراهيم وايضا لام التاكيد يمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها او بقلت اذكارا
علينا قلبي المجيء **بقلب سليم** من جميع افات القلوب كالشرك والشك والنفاق
وغيره من ذلك او المجيء به الاخلاص والاعراض عما سوى الله تعالى بالتوجه اليه **اذ قال لابيه**

وقومه بدل من اذ جا **ماذا تعبدون** سؤال التوبيخ **ايفكا الهة دون الله تريدون**
افكا مفعول له اي اتريدون الهة افكا فقدم المفعول فهو اهم للعناية لانه
الاهم ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم عندهم ان يكافحهم بانهم ليسوا على
غرض صحيح في عبادتهم بل على الباطل وبني امرهم على الافك او مفعول به والهة بدل
منه على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها على حذف المضاف
لذلك انما تعبدونها عليه او حال بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين او الافك
اشنع الكذب ... فقطعه واصله قلب الشيء عن جهته التي يجب ان **فما ظنكم برب العالمين**
بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته الى عبادة غيره او هو
على ما قبله ... لا يبعد في وهم ولا عقل ما يصد عن عبادته الى عبادة
غيره فضلا عما لا يعظم به او فما ظنكم به انه اي شيء هو حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما
ظنكم انه يفعل بكم اي هل تظنون انه كيف يعاقبكم على عبادة غيره **فنظر نظرة في
النجوم** فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها او في كتابها ولا منع منه لا استدلالا على حالة كما
سيجيء **فقال اني سقيم** انما قال ذلك لانه اراد ان يتخلف عنهم الى بيت الهتهم وكان اغلب
اسقامهم الطاعون فانهم كانوا يتشاءمون ... ولا نسبة على ما دل عليه قوله تعالى **فتولوا عنه
مدبرين** فاعرضوا عنه لما فيه من الايثار بمخافة العدوى لانه مرض معد فعفل بالاصنام
فعل ما فعل ... اني سقيم من معاريض الكلام وليس بكذب اي سقيم القلب بكفرهم او سار
التسقيم لانه من كان يصدا بالموت كانه سقيم السقم ولا يخفى صحيح من ذلك لم يكن
كاذبا فيما اطلق من الكلام فلم يحققه بل يعني به المعنى الذي اراد اذ كان في شيء وقصد كسر الاصنام
فاحتاج الا الى اظهار الحق وابطال الباطل فكان ... عمل اسباب او ستعيا الى شكر الله **فراغ** ذهب
في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة **الى الهتهم** بنا على زعمهم اي الى الاصنام
التي يعبدونها الهة كقوله اين شركاي **فقال الا تاكلون** اي الطعام الذي عندكم
ما لكم لا تنطقون بجوابي استهزاء وتهكم بها وبعبدتها فلما لم يالها خطابا عنهم
فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا **ضربا** نصب على المصدر اي ضاربا او على المصدر
من فعل مقدر ... حال اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او من راغ لانه في معنى ضرب كانه
قيل ضربهم مستعليا عليهم ضربا **باليمين** للدلالة على قوته فان قوة الالة تستدعي
قوة الفعل وقيل معناه بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم **فاقبلوا اليه**
الى ابراهيم عليه السلام **يزفون** يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من زف

اذا دخل في الزفيف ومن ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على
البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من
زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه قال ابراهيم عليه السلام
بعد محاورات كانت بينهم ذكرها في سورة الانبياء عليهم السلام اتعبدون ما تنحتون
تحت الخشبة يريد انهم يعبدون اصناما ما تعملونها انتم والله خلقكم وما تعملون
وخلق ما تعملون من الاصنام فان جواهرها بخلقه واشكالها وان كانت بفعلهم ولذلك
نسب اليهم عملها فانها باقدار الله تعالى اياهم عليها وخلقه ما يتوقف عليه اعمالهم من الالات
والجوارح والدواعي قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة التوقد من
الجحمة وهي شدة التأجج فارادوا به كيدا اصنعوا لاهلاكه حيلة متعلقة بالنار وجعلوها
لرميه اليها من بعيد لانه لم يمكن قربها لشدة حرها كما كانت تمنع عن الحضور عنده كما قاله غير واحد
المشتمل على نوع من الحيلة فجعلناهم الاسفلين لما غلبهم بالحجة ارادوا ان يهلكوه كيلا
يظهر للعامة عجزهم فابطل الله تعالى كيدهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وصار كيدهم
حجة اخرى على التصديق بانه نبي عند الله تعالى والمراد من المعجزات في هذا المقام الامر
الخارق للعادة مطلقا لا مصطلح اهل الكلام وقال اني ذاهب الى ربي مهاجر الى حيث
امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين سيرشدني الى ما فيه
صلاح ديني واستقامة امر ديني وانما بت القول لان الله تعالى وعده الهداية يعني الامر على
لنوع يقينه اتباعه على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده لفرط توكله وتعويله على
الله تعالى ولم يبنه على الرجاء كما بني موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل لانه كان في امر الدنيا لا في امر الدين فلا دلالة فيه على قصور موسى عليه السلام
في ذلك الباب والله اعلم بالصواب رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين
استأنس به في الغربة واستعين به على الكربة اراد به الولد لان الهبة غالب فيه وان
جاء في الاخ ايضا كما في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا على ان الوهب
فيه تبع هارون لان نفعه عليه السلام اما البشارة بالغلام فلا تدل على زيادة الولد
بخصوصه فبشرناه بغلام حليم لما لم يترتب على هب لي لكن قوله تعالى فاستجبنا
له ولا كلمة اقل لفظا واكثر معنى من هذا لاحتوائها على البشارة بالولد وانه ذكر وانه
يبلغ اوان الحلم لان غير البالغ لا يوصف بالحلم بل لان الغلام منتظر بشاربه وانه يكون
حليما وقيل ما نعت الله تعالى الانبياء عليهم السلام بما نعتهم بالحلم لعزة وجوده

الا ابراهيم وابنه عليهما السلام فلما بلغ معه السعي معه متعلق ببلغ اي بلغ السعي
مصاحبا له وذلك لا يقتضي البلوغ معا كما احتاج السعي كالم يستعن العقيلي بقول بلغ
مع سليمان ان يكون اسلامهما معا كما في الحديث كما تعلق برسول الله تمامه في صحيح البخاري
ويجوز ان يتعلق بالسعي فان قيل المصدر اذا كان ظرفا او شبهه يجوز تقديمه عليه لانه
الظرف مما يكفيه رائحة من الفعل فلا حاجة في تعلق معه الى تاويل المصدر مع الفعل
على انه ليس كل ما اول بشيء حكمه حكم ما اول به فالمراد اختصاص الاب بالسعي معه
بيانا لصغر سنه اي لم يبلغ ان يسعى في الحوائج الا مع ابيه لا مع غيره لان اباه ارفق الناس
به واعظمهم عليه لا يكلفه الا ما يسهل عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا
يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وفائدة ذلك البيان اظهار انه
مع حداثة سنه وغضاضة عصبه بلغ مبلغا من رصانة الحلم وكبر السن ورجاحة
العقل ما سهل عليه احتمال البلية العظيمة ويسهل الاجابة بذلك الجواب الحكيم
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي بامر من الله تعالى ويدل عليه قوله افعل
ما تؤمر وذلك ان رؤيا الانبياء عليهم السلام وحي كما في اليقظة وانما لم يبلغ رأيه لانه
راى مرة بعد اخرى وان امرهما كان في المنام دون اليقظة ليكون مبادرته عليه
السلام الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص فانظر ماذا ترى من الرأي
وانما قال على وجه المشاورة مع انه حتم من الله تعالى عليه ليعلم ما عنده فيما نزل به
من امر الله تعالى فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وليوطن نفسه
عليه ويسهل عليه البلاء ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى وقرئ ماذا
ترى من الاراءة اي ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا
يريك نفسك من الراي قال يا ابت افعل ما تؤمر اي تؤمر به فحذف وهو منصوب او
صلة ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وانفصل
الضمير منصوبا فجاز حذفه او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسميته مأمورا
امرا وقرئ ما تؤمر به على الاصل ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على
ما قضى الله به فلما اسلما انقادا لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اذا انقاد
له وخضع وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم
من ان ينازع فيه فقولهم سلم لامر الله واسلم له منقول منه وحقيقة معناهما اخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى

وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع
احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد لرضا الرحمن وتحزنا
للشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وقيل في الموضع المشرف
على مسجده وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم وفي ابنا المنزل
على النزول اشعار بتمثيل حالهما بحال من يحتاج في خطابه الى رفع الصوت واذ كان الخطاب
عن قريب زجرا له عما اقبل عليه وتوغل فيه قد صدقت الرؤيا بصدق العزيمة والاتيان
بما في وسعه من المقدمات وروي انه امر السكين بقوته على حلقه فلم يقطع وجواب
لما محذوف تقديره كان ما كان مما لا ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف والمقال
من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما الله تعالى وشكرهما على ما انعم به عليهما من رفع
البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب الجزيل
والكرامة عند الله والعوض بالنبي الذي ليس وراءه مطلوب انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا لهو
البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون عن غيرهم او المحنة البينة الصعوبة
التي لا محنة اصعب منها انما قال وفديناه والفادي بالحقيقة هو ابراهيم عليه
السلام والله تعالى هو المفدي به لان الله تعالى هو الذي وهب له الكبش فكان هو
المكن من الفدا فهو فاسند الى نفسه اسنادا الى المسبب بذبح الذبح اسم
ما يذبح عظيم عظيم الجثة سمين وهي سنة في الاضاحي وقيل عظيم القدر لانه كان
فدا نبي من انبيائه تعالى وهو اسمعيل عليه السلام في قول ابي بكر وابن عباس وابن
عمر رضي الله تعالى عنهم وجماعة من التابعين واسحاق عليه السلام فيما روي عن علي
رضي الله عنه وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم وجماعة من التابعين والاظهر
الاول لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحاق عليه السلام معطوفة على البشارة
بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر
ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى حفر زمزم او بلغ
بنوه عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولان ذلك كان بمكة وكان
قرنا الكبش كانا معلقين بالكعبة في يد ابنا اسمعيل عليه السلام حتى احترق
البيت ولان البشارة باسحاق عليه السلام كانت مقرونة بالاخبار عن ولادة يعقوب
عليه السلام منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا واما ما روي عنه عليه السلام انه

اسحاق

اسحاق عليهما السلام فاخبار لم يثبت صحتها وتركنا عليه في الاخرين ثناء حسنا ولا
وقف عليه لان سلام على ابراهيم مفعول تركنا كذلك نجزي المحسنين لم يذكر هنا
انا مع ذكرها في ساير القصص لانه فيما سبق فيما تقدم اكتفي بها انه من عبادنا
المؤمنين قد سبق بيانه في هذه السورة وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين مقدرا
كقوله فادخلوها خالدين اي بشرناه باسحاق عليه السلام مقدرا كونه نبيا مقتضيا
كونه من الصالحين ولا حاجة الى تقدير مضاف كما قيل فان تقدير الحال لا يوجب وجود
ذي الحال بل يقتضي تحقق وجوده ما في ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وباركنا
عليه على ابراهيم عليه السلام وعلى اسحاق بان اخرجنا من نسلهما انبيا وافضنا عليهما بركات
الدين والدنيا وتكرير الجار لافرادهما واسحاق عليه السلام للاشعار بانه المتبرك عليه بالاصالة
والاستقلال لا بالتبعية لكونه نبيا وابا للانبيا بني اسرائيل عليهم السلام وغيرهم كايوب
وشعيب عليهما السلام ومن ذريتهما محسن في عمله بالايمان والطاعة وظالم لنفسه
بالكفر والمعصية مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال
وان الظلم في الاعقاب لا يعود بعيب ولا نقيصة على الاسلاف وان المدح والذم انما
يترتبان على كسب المرء وحسن عمله وقبحه وصلاحه وفساده في نفسه لا على حال الاصول والفروع
ولما انه لا تاثير للعرق في الطيب والخبث صالحي يلزم ان يتبعهم اثر الطبايع والعناصر بالكلية
فيما سوى ما هو الظاهر من قوله تعالى عقيب ذلك ربيم ومن قوله عليه السلام لا يدخل ولد
الزنا ولا ولد بعده ذلك الجنة انا النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها فلا دلالة فيما ذكر
عليه ولقد مننا على موسى وهرون بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما بني اسرائيل من الكرب العظيم من استعباد فرعون وتعذيبه وظلمهم او من
الغرق ونصرناهم الضمير لهما وقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة وهديناهما الصراط المستقيم الطريق
الموصل الى الحق وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين مر تفسيره في هذه السورة وان الياس لمن المرسلين قيل
ان الياس هو ادريس عليه السلام رفع قبل الطوفان الى السماء
وراه ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس في موضعه ان الياس وقيل هو الياس
ابن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليهما السلام اذ قال لقومه الا تتقون الا تخافون
الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه وهو علم صنم كان لهم عظيم غاية التعظيم

ان بعلا بمساواه يتطلبون ان شرايع الضلالات من الشيطان وتعولون ان بعلا امر كذا ونهى
عن كذا وكان اسم صنم لاهل بك من بلاد الشام فنسبت اليه وركبت اسمها باسمه
وسميت بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها
والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادة الله تعالى
ولم يقل وتدعون مع ما فيه من ضعف التجنيس لانه مذموم فانه انما كان بديعا عند
التصنع بكون مذموما قبيحا في كلام الله تعالى وكلام الرسول عليه السلام بل لانه
في دعوى انه ابلغ على الترك لانه يناسب المقام وهو معنى الحفظ وفيه الوديعة الله ربكم
ورب اباءكم الاولين قرئ بالرفع على انه مبتدا وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا
وصل نصب واذا وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء
بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثنا
من واو فكذبوه لا من المحضرين لفساد المعنى لان استثناءهم من القوم المحضرين لعدم
تكذيبهم على ما دل عليه التوصيف بالمخلصين لا من المكذبين قال المعنى وليحذر وتركنا
عليه في الاخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين عليه السلام لغة في الياس وزيد
على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون ولا يجوز
حمله على الجمع اذا قرئ بالقطع لان الجمع من التعريف لا يكون الا بالالف واللام واما قراءة ال ياسين
فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الال وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون في متاجركم الى الشام
فان سدوم في طريقه عليهم على منازلهم مصبحين اي داخلين في الصباح اي وقت بكرة يمرون عليها
وبالليل والنهار وهو الداعي الى الاعتبار افلا تعقلون ان الاعتبار بالمعاينة لكم عن
تعتبرون بها وان يونس لمن المرسلين قرئ بكسر النون وكسرها اذ ابق الى الفلك
المشحون الاباق فرار العبد الى حيث لا يهتدي اليه الطالب وكان يونس عليه السلام هرب
من قومه بغير اذن ربه الى حيث طلبوه ولم يجدوه على ما مر في تفسير سورة يونس لانه
لم يره باعتبار هذا القيد لا باعتبار القيد الاول فقط المشحون المملوء فساهم اي فارع
اهل الفلك بالقاء السهام فكان من المدحضين اي من المغلوبين بوقوع القرعة عليه من الادحاض
اي عن مقام الظفر في الاسهام روي انه عليه السلام لما وعد بعذاب قومه خرج من
بينهم هاربا قبل ان يامره الله تعالى به فركب في السفينة فوقفت فقالوا ههنا ابق
وفيها من عجم التجار عرفت ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة

على يونس عليه السلام فقال انا الابق فزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت ابتلعه من
اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او ات بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بفتح
الميم من ليم كما جاء مشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا
بالتسبيح من المسبحين مدة عمره وقيل في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون عبارة عن اللبث
حيا على الحوت والمعنى فكان محبوسا في بطن الحوت الى يوم البعث وفيه ايماء الى انه لا يجعل
عند النفخة الاولى في الحيوانات البحرية وفيه حث على اكثار الذكر وتنبيه على من اقبل اليه
تعالى في السراء اخذ بيده عند الضراء واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت والاظهر البحث
ذكره فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر
ونبت وما روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام
ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه مردود كيف وقد فنادى في الظلمات على ما مر في
تفسير سورة الانبياء عليهم السلام وهو سقيم مما ناله روي انه صار بدنه
كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين
اليقطين ما انبسط على وجه الارض من الشجر ولا يقوم على ساقه كشجر البطيخ والقرع
والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدبا

مطلب
فائدة الدبا

وفائدة الدبا ان الذباب لا يقربها وهو اسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وان لها
عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس
وارسلناه الى مائة الف المراد الارسال الى قوم اخرين او ارسال ثان الى قومه الذين خرج
من بينهم ويجوز ان يكون المراد الارسال الاول والواو لا تدل على الترتيب ويأباه الفاء في
فامنوا لانها تدل على التعقيب بلا مهلة او يزيدون باعتبار الخرص لكن المكلفين
ثم كانوا مائة الف اذا اضيف اليهم من يصلح للتكليف كانوا اكثر ومن هنا ظهر وجه التعبير
بصيغة الجمع دون التانيث واما على ما قيل ان المعنى في مراى الناظر اي اذا نظر اليهم
قال هم مائة الف او اكثر فلا يظهر وجهه لعدم نقله عن الناظر وقرئ بالواو فامنوا فصدقوا
او جددوا الايمان بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى وقرئ حتى حين فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون معطوف على فاستفتهم في اول السورة بما عطف عليهما
المتباعد لانه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث
وساق الكلام جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضه ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه

القسمة الضيزى حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات
الله تعالى مع كراهتهم الشديدة لهن واستنكافهم عن ذكرهن كما قال تعالى واذا بشر
احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ولقد ارتكبوا بذلك على الشرك ثلاث
انواع التجسيم وتجويز الفناء على الواجب الوجود تعالى شأنه لان الولادة مخصوصة بالاجسام
الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه تعالى حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما
لانفسهم والاستهانة بالمقربين حيث انثوهم ولهذا كرر الله تعالى انكار ذلك في كتابه العزيز
مرات وبين فظاعتها في آيات وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا وحيث كان الانكار ههنا بناء على ما هما اقرب الى فهم العامة واقطع عندهم
بمقتضى قاعدة التقسيم المذكور ثنى ببيان الملائكة حيث جعل المعادل للاستفهام
ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان الانوثة ليست
من لوازم ذواتهم حتى يمكن للعقل طريق الى معرفتهم ذلك ولم يرد به كتاب ولا طريق الى علم
امثال ذلك الا المشاهدة مع ما فيه من الاستهزاء بهم والتسفيه لارائهم حيث يثبتون بالقول
كانهم شاهدوا خلقتهم والتصريح بتضليلهم بتعديد طرق في ارتكابهم وبالاتيان بحرفي الانكار
لزيادة التشنيع وتعظيم قولهم **الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون**
الافك الكلام المكذوب المصروف عن الحق الى الباطل والولد فعل بمعنى المفعول يقع على الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث بالغ في الانكار بالاداة واللام وتقديم من افكهم لظهور استحالته
ووضوح حجة التوحيد **اصطفى البنات على البنين** استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء
اخذ صفوة الشيء وقرئ بكسر الهمزة ويجوز ان يكون على الاخبار باضمار القول متعلقا
بقوله لكاذبون في قولهم اصطفى البنات وابطال قولهم ولد الله على انه من كلام الكفرة
ويبعد ذلك ان تلك القراءة ضعيفة جدا لكون هذه الجملة مكتنفة بالانكار من جانبيها
واقتضاء المقام اختصاصها بزيادة الانكار لانه ابلغ في انكار الولادة واقتضى الحال
ان ينقل خصوص الاناث من جعلها للاثبات وقطعها فحيلة بين نسبتين وتزيين
نظم الكلام والجملة الاعتراضية التأكيدية اعني انهم لكاذبون تزيدها ضعفا لانها
مقررة لنفي الولد عن اصله بنسبة لله ذلك فاذا وجهتها الى هذه خرجت عن كونها مبينة للا
وصارت كأنها تجوز الولادة المذكورة مطلقة لصدقهم لو قالوا بنينا وكذا الالتفات
قوله **ما لكم كيف تحكمون** اي بما لا يرتضيه عقل ولا بأباه **افلا تذكرون** انه منزه عن الولد
فترجع بيذكر من ذكر والاولى ان يقال ان تلك القراءة على حذف حرف الاستفهام

دلالة

دلالة قرآنية وشهادة عيانية ما لهم في حق الله **ام لكم سلطان مبين** حجة نزلت من السماء او من خبر
من نبي بان الملائكة بنات الله اي لا يجوزه عقل ولا نقل به نقل فاذا كان كذلك **فأتوا
بكتابكم** الذي ينطق بذلك كما قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون **ان كنتم صادقين** في دعواكم وهذه الآيات واردة على سخط عظيم واستبعاد
لاقاويلهم وتشديد من الاساليب التي وردت عليها والتراكيب التي تعتضدها الالفاظ
بتسفيه احلامهم وتجهيل نفوسهم واشراك عقولهم مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان
يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفس فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا
وجعلوا بينه يعني بين الله تعالى **وبين الجنة** يعني الملائكة عليهم السلام ذكرهم باسم
الجنس وضعا منهم وتقصيرا بهم ان بلغوا هذه المناسبة التي ابتدعوها مع كونهم في
انفسهم مكرمين معظمين لا يقتضيه المقام التعبير **نسبا** وهو زعمهم انهم بناته تعالى
او الحق وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله تعالى وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة
له وللملائكة والجن جنس يشمل كل جن وملائكة لكن من صفاته وتعوذ منه وطرد
خيرا كان ملكا ومن كان رجسا وظالما حيثما كان شيطانا وقيل قالوا
ان الله تعالى صاهر الجن وقيل قالوا ان الله تعالى والشيطان اخوان فعلى هذا لا يتناوله
لفظ الملائكة **ولقد علمت الجنة انهم** اي الكفرة **لمحضرون** النار ومعذبون بما
يقولون وانما نسب العلم الى الجنة لانهم الذين نسبوا بتلك النسبة وعظموهم ومع ذلك يحضرون
مع جميع الكاذبين فالمعنى في الكذب اذا الزمتهم هذا النسب وعرفوهم
انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم لمحضرون معذبون بها وقيل ان فسرت الجنة بالشياطين
جاز ان يكون الضمير في انهم لهم والمعنى ولقد علمت الشياطين ان الله تعالى يعذبهم ويحضرهم
النار ولو كانوا مناسبين له تعالى لما عذبهم وفيه ان علم الشياطين بذلك غير معلوم ولا يقتضيه
العقل ولا يتناوله النقل على ان نسبة العلم اليهم قليل الجدوى **سبحان الله عما
يصفون** من الولد والنسب **الا عباد الله المخلصين** استثناء منقطع من المحضرين اي ولكن
المخلصين ناجون او من يصفون اي لكن المخلصين برآء ان يصفوه به او لا يستقيم من واو
اوقع التنزيه معترضا بين الاستثناء والمستثنى منه **فانكم وما تعبدون** عود الى خطابهم
ما انتم عليه على الله تعالى **بفاتنين** مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال
ان اقسم اضلها عليه وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب والفاء
فانكم وما تعبدون للتسبيب اي اذا كان المخلصون برآء من ذلك فلا تفتنوا

انتم وما تعبدون الا من هو من اهل النار ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع وما تعبدون
سادا مسد الخبر كقولهم كل رجل وضيعته اي فانكم مع ما تعبدون يعني فانكم قرناؤهم
وهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين
بباعثين او مائلين عليهم بطريقة الفتنة والضلال الا من هو صال الجحيم كالناس في
كلام مبتدأ الا من هو صال الجحيم بكسر اللام اي لستم تفتنون احدا الا اصحاب
النار الذي سبق في علمه تعالى انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وقرئ بضم
اللام على الجمع والتقاء الساكنين بمعنى صالوا محمولا على معنى من والتوحيد فيه على
لفظه او على حذف لامه واجراء الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصله
بالية بمعنى كعافية من عافى او على القلب بتصيير صال الصال في صايل كما قيل
شاك في شائك وما منا الا له مقام معلوم اي مرتبة معلومة عند الله تعالى معينة لا يتجاوزها
وهو حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم والوجه ان يكون هو وما قبله
من قوله سبحان الله تعالى حكاية من كلامهم متصلا بقوله ولقد علمت الجنة
قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له ثم استثنوا
المخلصين تبرئة لهم ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية
وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها ولا ينحطون عنها وليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه كما قيل لان احد المحذوف مبتدأ و الا له مقام معلوم خبره وانا لنحن الصافون
اقدامنا واجنحتنا في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون
ربنا عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما
في ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص في جليها اخر كلام الملائكة من التأكيد والاختصاص
لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وان كانوا ليقولون اي
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اي وان المشركين كانوا يقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين لكنا عباد الله المخلصين
لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما كذبنا ولما خالفنا كما كذبوا وخالفوا فكفروا به اي لما
جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والكتاب الذي هو المهيمن على الكتب فكفروا به
فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اذا حل بهم الانتقام ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم
الغالبون وهي باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماها كلمة وهي

كلمات

كلمات لانتظامها في معنى واحد هي في حكم كلمة واحدة وقرئ كلماتنا وقرئ على عبادنا
على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى
مدة يسيرة وهي الموعود لنصرهم قيل هو يوم بدر وقيل هو يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم
حينئذ من القتل والاسر والمراد بالامر الدلالة على انه كائن لا محالة قريب كانه
قدامك وفيه تسلية له عليه السلام وتنفيس عنه فسوف يبصرون يبصرونك على
ما انلناك مما قضينا لك من النصر والغلبة وسوف للتأكيد في الوعيد لا للتبعيد
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل افبعذابنا يستعجلون
فاذا نزل اي العذاب وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الجار والمجرور وكذلك نزل
بتاء ونزل من الانزال والتشديد بساحتهم بفنائهم فساء وقرئ فبئس صباح المنذرين
المخصوص بالذم محذوف اي فساء صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من
ذلك من الصباح الغارة ولما كانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا سميت الغارة به
اي وقت وقعت شبه العذاب بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فمن باب التمثيل وقيل
هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا
محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تكرير لتأكيد
التهديد وتأكيد تسلية بعد تسلية واطلاق الفعلين في الثاني بعد تقييدهما في
الاول بالمفعول للزيادة المبالغة في عذابهم كما بولغ في نصرته اي ابصر وابصرهم وابصر ما
يحيط بالموصوف من انواع المسرة واضافة للشماتة وابصر بالاولى العذاب الدنيا وبالثاني
عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه واضافة
الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته
الثبوتية والسلبية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم
بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من تبعهم من
النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم ولما كان مدار الكلام في هذه السورة
على مقالة المشركين في الله تعالى بنسبة الولد والشريك اليه تعالى ومقالة الرسل عليهم
ومقاساتهم بايذائهم وما نصل لهم من التأييد والنصر عليهم ختمها على وفق ما اختص بالذكر
عما يصفونه والتسليم على الرسل بما حملوا من اعباء الرسالة وادى الرسل اليهم والحمد على
ما انعم به عليهم من النصر في العواقب واعلاء الدين وعلا كلمتهم على الحقيقة

والصواب واليه المرجع والمآب

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تعالى عما يذكره الحواس والاوهام وتعاظم عما يحيط به القياس والافهام
الذي بيده بقبضة قدرته الملك يتصرف فيه كيف يشاء والملك عالم الاجسام
كما ان الملكوت عالم الارواح فلذلك وصفه اولا بالتصرف في عالم الملك وتدبيره
ايماء بحسب تنبيه بالتبارك الذي هو غاية التعظيم في افاضة الخير والبركة والزيادة
فيها وثانيا بتسبيحه عن عالم الملكوت بمقتضى ربانيته التسبيح الذي هو كونه منزها
عن مشابهة الاجسام جميعا كما في فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وورد كلا منهما مناسبا له
لان الزيادة والبركة تناسب الاجسام فيحوطها وتزيدها والتنزيه يناسب عالم التجرد
عن المادة وهو على كل شيء قدير سواء كان ذلك الشيء من عالم الملك او من عالم الملكوت
ففيه دفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من تخصيص الملك بالذكر اختصاص الحكم الثابت به
الذي بدل من الذي قبله او خبر مبتدا محذوف خلق الموت والحيوة الخلق بمعنى الايجاد
ان كان الموت ضد الحيوة وبمعنى التقدير ان كان عدمها وانما قدم الموت عليها لانه ادعى الى
حسن العمل ولكن في هذا المقام مع ان قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ان الموت فيه
على المعنى المجازي ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالبلوى وهي بالخير ايكم احسن عملا
في الدنيا بالزهد في سوءها والرغبة عنها وكان الاختبار في قوله تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا غير مخصوص بالتكليف بالشرايع كذلك هاهنا
غير مخصوص به وجملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى من حيث انه تضمن معنى
العلم فليس هذا من باب التعليق لان الجملة المعلق عنها يجب ان يبقى موقع المفعول
معا وانما قدم الموت الذي هو اثر صفة القهر على الحيوة التي هي اثر صفة اللطف قدم
صفة القهر على صفة اللطف في قوله وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل
الغفور الستار الذي لا يبالي بهتك احوال الاساءة والزلل الذي خلق سبع سموات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وجمع طبق
كجمل وجمال او طبقة كرحمة ورحام صفة اذ كان جمعا او وصف بالمصدر او على انه مطلق
لفعل محذوف فان الخطاب في ما ترى في خلق الرحمن لكل احد التعجب العام من الناس
في خلقهن من تفاوت من اختلاف في الخلقة وعدم تناسب كان بعضها لم يكن كذلك لنقص

والتهديد وحقيقتها التفاوت وعدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه
وقوله في خلق الرحمن من تفاوت من باب وضع الكبري موضع النتيجة لبيان الحكم
بعلته وكذلك ان اصل الكلام ما ترى فيهن من تفاوت لانه من خلق الله وما ترى في
خلقه من تفاوت وفي اضافته الى الرحمن اشعار بان ذلك التناسب من الرحمة لانه
مدار انتظام العالم والجملة صفة ثانية للسبع فارجع البصر متعلق بما قبله على معنى
التسبيب اي اذا نظرت ما تحقق ما اخبرناك به فارجع البصر هل ترى من فطور من صدع
وشقوق جمع فطر وهو الشق والمراد به الخلل ثم ارجع البصر بمعنى التراخي في ثم هو
ان يتوقف بعد كلاول البصر كرتين والرجعة حتى يتم بصره ثم يعاود فلا ينقلب اليه
الا بالمعنى المطلوب كالاول فلا بعثه على تحيره التفاوت والفطور والمراد بالتثنية
في كرتين التكرير والتكثير كما في قولهم لبيك وسعديك ولذلك اجاب بانه بعد ان
ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عما طلبت كانه مطرود عنه بالصغار وهو حسير كليل
من كثرة الرجعة وطول المعاودة ولقد زينا السماء الدنيا القربى منكم وفي هذا النوع
دلالة على ان الزينة في الواقع لا في الرؤية اذ لا تمام زينته دنيا هادية عليا ما في النظر
بمصابيح استعيرت الكواكب المضيئة بالليل والتنكير للتنويع اي بمصابيح لتنبيه لحسنه
مضايحكم وجعلناها رجوما جمع رجم العتيم وهو مصدر سمي به ما يرجم الشياطين اي
حسنا الى التزيين فايدة اخرى جليلة من رجم الشياطين التي تسترق السمع بالشهب المنقضة
وقد عين هذا المعنى بقوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد والفايدة بقتل بعضهم بعضا
سيما في حكم والحق لا خلاف لما قيل معناه وجعلناها ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون
دلالة على ان الكواكب المستعيرة لها المصابيح في السماء الدنيا لاجل انفصال الشهب
بيرها الى السموات وقدمنا في تفسير سورة الانبياء ان السماء الدنيا فلك القمر ويحتمل كثير الكواكب
كلها من كتاب السماء الدنيا بنوع تكثرها واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد
الاحراق بالشهب في الدنيا والسعير اشد الحريق وللذين كفروا بربهم من الثقلين
عذاب جهنم وقري بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب جهنم على عذاب السعير وبئس
المصير المرجع اذا القوا فيها طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها
لجهنم شهيقا صوتا منكرا كصوت الحمار شبه حسيسها المتغيظ بالشهيق قال ابن عباس
رضي الله عنهما الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير ثم
تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف فذاك الزفير والشهيق للكفار والمذكور في قوله تعالى لهم

بها نفير وشهيق بعد ذلك بعد الفراغ في النار روى بسنده ان قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
فصاروا لا يتكلمون ولم يبق لهم الا اصوات منكرة لا تعرف معانيها وهي تفور تغلي بهم ان الغليان
فان الفوران ارتفاع الشيء بالغليان لا الغليان بشدة حرارة النار لان ارتفاعها بالماء ارتفاع
المرجل ان تكاد تميز اي تتقطع وتتفرق من الغيظ على الكفار بتخييل لشدة اشتعالها بهم ويجوز
ان يراد غيظ الزبانية فاسناده اليها للملابسة والغيظ الغضب الكامن ولا يلزم ان يكون من
العجز كما وهم الجوهري لقوله تعالى والكاظمين الغيظ فانه في مقام المدح والعاجز عن الغيظ
كلما القي فيها فوج من الكفار المكذبين للرسل بدلالة قوله فكذبنا ولا حجة فيها للمرجئة
على انه لا يدخل النار احد الا الكفار لانه يلزم حال الداخلين فيها ثم سكت عن حال الباقين
فيها فلا يبعد ان يكون عصاة المؤمنين دخولهم فيها فلا يسألهم اي قال لهم
على ما صرح به في سورة الزمر وفي التعبير عنه بالسؤال نوع من خصلة التعذيب ايضا
الثاني يعني تنبيها على انه ليس بحقيقة السؤال بل توبيخ وتقريع في صورة السؤال خزنتها
حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهلها توبيخا لهم الم يأتكم نذير رسول
من جنسكم يخوفكم من هذا العذاب يحمل النذير على ما في المعقول من لا لاحتاج [illegible] الخوف
برته [illegible] لقوله تعالى وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بان الله تعالى ازاح عللهم بارسال
الرسول وحمل النذير على معنى الجمع لا على الصيغة لم لا يعلم المقام لان معنى فكذبنا
فكذب كل واحد منا النذير الذي جاءنا فكل واحد منهم لم يكذب رسلا [illegible]
وقوم نوح ما جاءهم الا نوح عليه السلام وقلنا ما نزل الله من شيء اي فكذبنا وافرطنا
في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وعلى وفق هذا ورد ما في حذف المفعول
من الايماء الى انه تكذيب لم يكن لرسلهم خاصة بل لهم ان انتم الا في ضلال كبير خطاب
لرسلهم والاشتغال على التخييل فان تكذيب الواحد تكذيب للكل [illegible]
تكذيبهم للرسل وتحدد ما صرحوا بما يقتضي ذلك اخرجوا فيه من الاشارة الى [illegible]
ويجوز ان يكون من كلام الخزنة على ارادة القول والمراد بالضلال الهلاك او الضلال في
الدنيا حكاية لما كانوا عليه فيها وقالوا لو كنا نسمع سماع تفهم بتفهيم الغير لشده ما
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم او نعقل من عندنا تعقلا بالتامل في ادلة الظاهرة
على وجوده تعالى ووحدانيته من البينات الباهرة القائمة على صحته دعوى الرسل وقيل
اي نسمع سماع قبول وطاعة او نعقل عقل متفكر متامل [illegible] او يعني الواو كما في قوله

تعالى ان ينظر حكمها او ان ينقاد بكماله لا استقلالي في كل من السمع والعقل في الحكم
الذكر يحتمل ان تنزيل لفعل الجملة في منزلة تمامها تفصيلا للمواضع التفريط واعتبارا بان
كل منها في مقام التصديق ما كنا في اصحاب السعير في جملة من اعدت لهم النار فاعترفوا
بذنبهم حين لا ينفعهم الاعتراف في قولهم الدنيا عيانا لاصله اشارة الى انما اعترفوا
بما ذكر لسببهم وهو الكفر بسبب تكذيب الرسل فسحقا لاصحاب السعير
الخ وتنكيرها البعد والنصب على انه مصدر وقع موقع الدعاء اي فاسحقهم الله سحقا
واصحاب السعير الشياطين لانا عكاده كانهم الاكل من حظ فيه وقد اشير الى ذلك فيما
كلامهم حيث قيل في اصحاب السعير لم يقل من اصحاب السعير فلما فصل فيه بينهم وبين
اصحاب السعير كان اصل الكلام فسحقا لهم ولاصحاب السعير وانما عدل عنه الى ما ذكر تغليبا
لاصحاب السعير عليهم للاختصار والتعليل والمبالغة في التهديد على وجه لا ايجاز فيه
فصار الايجاز نكتة اخرى للتغليب فقد وهم ان كلا مما ذكر يكفي بدون التغليب الا
انه لا يكون على وجه الايجاز ان الذين يخشون ربهم بالغيب الخشية خوف يشوبه
تعظيم الخشية مع المعرفة به ولهذا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فان
بالغيب بعد العيان لا يبقى الخشية منا لهم مغفرة واجر كبير متعلق بالغيب
المنقاد من يختلف للعيان والجهر ومجموع الامرين فلا يلزم اختصاص مغفرة الذنوب بالذين
يخشونه تعالى واسروا قولكم او اجهروا به الامر فيه لا لاستواء الامرين الاسرار والاجهار
فمستنده المبالغة في تسويتهما في علم الله تعالى ثم علله بقوله انه عليم بذات الصدور
اي بضمائرها من غير ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلمها تكلم به ثم ذكر بتعليله الا يعلم
من خلق اي الا يحيط علما بالسر والجهر من خلق الاشياء كلها وهو اللطيف الخبير حال
انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن [illegible] تذييل بعد التعليل [illegible]
كما بالنظر الى ان من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبرائيل عليه السلام بما قالوا فيه
وبالناسي فهذا الواقع بينهم اسروا قولكم كيلا يسمعه اله محمد عليه السلام فنزلت هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها بالحركة والسكون وغير ذلك
فامشوا في مناكبها شبهت الارض في غاية تذليلها بالبعير الذلول [illegible] في المناكب مثل
لفرط التذليل ومجاوزته الغاية فان منكبي البعير وملتقاهما من الغارب ارق شيء منه
وابعده من ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك شيئا
التذليل حتى لم [illegible] ان يكون المراد [illegible] حالها فلا استعمال [illegible] المناكب [illegible]

المناكب الجبال كذلك الزجاج معناه سهل لكم السلوك في الجبال فاذا امكنكم السلوك
فيها فهو ابلغ التذليل وقيل اسفلها جوانبها وكلوا من رزقه التمسوا من نعم الله تعالى وخصص
الاكل بالذكر لكونه اهمها واتمها واليه النشور اي اليه تعالى خاصة نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما
انعم عليكم ءامنتم من في السما امره وقضاؤه او الالوهية كقوله وهو الذي في السما اله وقيل
الله ... والهمزة للانكار ... الثانية ... ان يخسف بكم الارض كما خسف
بقارون وهو بدل من ... الاشتمال ... بها الارض بالتحرك ... بتضمين
حال اي متضررا بكم فاذا هي تمور المور الاضطراب في المجي والذهاب ام امنتم من في السما
ان يرسل عليكم حاصبا كما فعل بقوم لوط ... الحجارة التي ... فستعلمون
كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم به ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول
عليه السلام وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير الاعتبار ... ... المقام اذا تقدم
الخاسف في الكلام وقد اهلك الله تعالى اصحاب ... والحاصب الذي ... فيه
ذكر ... هذه القصة فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند الطيران فانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها ... على خط مستقيم ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ... قدر الله تعالى ...
لان الاصل فيه بسط الاجنحة ... القبض ... للاستظهار على التحريك للبسط ...
وقابضات ... في البسط ... القبض ...
وقتا بعد وقت لاحتياج ... في التحريك فان الطيران في الهوا كالسباحة في الما
فكما ان الاصل في السباحة مد الاطراف ... للاستعانة على ...
فكذلك في الطير انما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل الرحمة
لكل ... من العوايد والخواص وخصهن ... واشكال ... الجري
في الجو ما يمسكهن ... الصغير في ... انه بكل شيء
بصير يعلم كيف يخلق ويدبر ... لكل شيء ... امن هذا
الذي هو جند لكم ... الجوع ... هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن ان ارسل عليكم عذابه ام من هذا الذي ... الاستفهام ...
ومن جند ... هذا ... مع صلته ... ينصركم ... على ...
والمعنى ... العجيبة ... على ...

او حاصبا ام لكم جند ينصركم من دون الله تعالى اذا ارسل عذابه وهو نحو قوله تعالى ام
لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم
اعتقدوا هذا القسم ان الكافرون الا في غرور اي ما هم الا في غرور امن هذا الذي
يرزقكم ... اليه ... هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه ... ان
هذا اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوايب ويرزقون ...
... الناصر والرازق على اعتقادهم ... اللازم ... على ...
... عنهم فقال بل لجوا اللجاج ... كثرة ... في
عتو ... ونفور ... من ...
... الحق النافع ... بالحق ...
الكافر والمؤمن فقال افمن يمشي ... الحركة ... فاذا ... قادا الى
... النشاة ... وقد ... والحركة ...
... مكبا الكب ... اكب ... وهو ...
... القشع ... الام ...
... يمشي ... على وجهه ...
كل ساعة ... على وجهه ... الطريق ... الارتفاع والانخفاض ...
... سويا على صراط مستقيم كيفهما في الكب ... على حال ...
... عليها ... امن يمشي سويا
اي قايما سالما من ... على صراط على طريق لا ... مستقيم لا ميل
فيها ... الصعود ... السبيل ... التفضيل
... الفاتحة ... اهدى ... الكب الذي يحشر
على وجهه الى النار ... المعاصي ... الذي يمشي على ... الجنة
... التوحيد والاسلام قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع ...
والابصار لتنظروا ... والافئدة لتتفكروا ... قليلا ما تشكرون ...
... شكرا قليلا ... العدم
قل هو الذي ذراكم خلقكم في الارض واليه تحشرون للجزا ...
... الى مكان واحد ويقولون متى هذا الوعد ... البعث ان كنتم صادقين
... النبي عليه السلام والمؤمنين قل انما العلم ... عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا

فيه ... [illegible]

[illegible]

نذير مبين مخوف ظاهر وذلك أن بعثته عليه السلام كانت من أشراط الساعة فكان
عليه السلام نذيرا لنا الا وحدا الاعلى ما انا والنبي بقوله انا النذير العريان فلما رأوه
الضمير للوعد يعني الموعود زلفة نصب على الحال أي ذا زلفة أي قريبا منهم أو على الظرف
أي مكانا ذا زلفة أي فلما رأوا ما وعدوا قريبا سيئت وجوه الذين كفروا من باب وضع
الظاهر موضع الضمير والأصل سيئت وجوههم أي الذين كفروا الموعود ساءت رؤيته
وجوههم فتغيرت إلى ما ترى بالذم والكآبة أو بأن تسبب الإساءة والكآبة برؤية الوعيد إنما هي
الكفر وكذلك في تحبير الكافرين في موضع ضمير كم وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
تفتعلون من الدعاء وقيل من الدعوى وقرئ تدعون بالتخفيف قيل القائلون لهم الزبانية
تطلبون وتستعجلون به أو كنتم بسببه تدعون وتزعمون أنكم لا تبعثون قل أرأيتم
إن أهلكني الله أماتني ومن معي من المؤمنين أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم
أي ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون وفي
تربصهم بالرسول عليه السلام ومن معه متربصون إحدى الحسنيين فالهلاك الذي
تطلبون لهم ما هو إلا استعجال للفوز والسعادة وأنتم على صفة لن يشيرها إلا الهلاك
الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه قل هو الرحمن أي الذي
أدعوكم إليه مولي النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه إنما أخر صلة
آمنا وقدمت صلة توكلنا لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل
آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قيل وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متوكلون عليه من رجالكم
وأموالنا فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ بالياء الغيبة ردا على قوله فمن
يجير الكافرين قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا غائرا ذاهبا في الأرض لا تنالها الدلاء
يقال غار الماء غورا إذا سفل في الأرض مصدر وصف به للمبالغة خص من بين أنواع الآلاء
أضرها بالعبادة إحالة لغيرها على الدلالة فكأنه يقول العجز كم في هذه الصورة ثابت
فكيف الحال فيما فوقها ولا يخفى أن ما عدا الماء لا يخرج من نعمها ثم إذ قيل ما لي أن
الماء تقتضي نقصه أن يقول الحق وجه على وجه الأرض وظهوره بالسبب لطف من الله تعالى
والإنسان عاجز بالاحتيال أقرى قوله تعالى وأنا على ذهاب به لقادرون لأنه لا
يترك الإنسان فمن يأتيكم بماء معين ظاهر يراه العيون أو جار على وجه الأرض فهو على الأول
مفعول من العين كمبيع من البيع وعلى الثاني من الإمعان في الجري فهو فعيل كأنه ممعن
في الجري والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

سورة

سورة النبأ العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

عم أصله عن ما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وقرئ على الأصل ثم حذف
الألف فرقا بينها الاستفهام والخبر وقرئ عمه بهاء السكت إجراء للوصل مجرى الوقف وأما وقفا
على إضمار يتساءلون وإلا بتدا بما بعده على الإبهام والتفسير ومعنى هذا الاستفهام تفخيم
شأن المستفهم عنه كأنه قال على أي شيء يتساءلون ونحو ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع
قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه هذا أصله ثم جرد العبارة
عن التعظيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية ويتساءلون الضمير المذكور في النبأ ووصفه
بما لأنه لما يدل على الخطر يتساءلون يسأل بعضهم بعضا والضمير لأهل مكة كان المشركين
يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء ويتساءلون
غيرهم من رسول الله عليه السلام والمؤمنين كما ذكرنا في يتداعونهم ويترادونهم وقرئ
يتساءلون بالإدغام عن النبأ العظيم بيان لشأن المفخم وأصله يتساءلون وعم متعلق
بمضمر مفسر به ولا دلالة على هذا في قراءة السكت لاحتمالها كلا الوجهين على ما نبه
عليه آنفا والنبأ الخبر الذي له شأن الذي هم فيه مختلفون جزما منهم من يقطع بنفيه ومنهم
من يشك فيه ولا يجوز أن يكون الاختلاف في الإقرار والإنكار على أن يكون الضمير في يتساءلون
للمسلمين والمشركين جميعا لأن الفريقين كلاهما في حيز الردع وعلى هذا يلزم أن لا يدخل
فيه ومنه ما صح به كلا ردع للمتسائلين سيعلمون وعيد صدقه ما يتعلق به العلم تهويلا
أي سيعلمون ما يحل بهم وقيل المعنى سيعلمون حين يرون العذاب أن ما يتساءلون عنه
ويضحكون منه حق وقرئ بالتاء على تقدير قل لهم ثم كلا سيعلمون تكرير للردع
مع الوعيد تشديد فيه ذلك ومعنى ثم الإشعار بأن الثاني أبلغ من الأول وأشد وقيل
الأول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الأول عند البعث والثاني عند الجزاء ألم نجعل
الأرض استفهام بمعنى التقرير مهادا فراشا وهو المراد بالمهاد التصريح فيه بتعداد بذكر
بعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على البعث كما ذكرناه
وقرئ مهدا أي أنها لكم كالمهد للصبي وهو ما يمهد فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر
أو وصف بالمصدر أو بمعنى أنه يمهد والجبال أوتادا أي للأرض كيلا تميد بكم فالمراد
بما جعلها في تثبيت بما قبله ولذلك لم يفصل بينهما بإعادة الفعل وخلقناكم أزواجا ذكرا
وأنثى حتى يصح منكم التناسل وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الحركة والإحساس المتراكم

للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها بتعطيل الحواس وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته
فيه تنبيها للنائم المقصودة بجعل النوم سباتا وجعلنا النهار معاشا متصرفا للعيش
فهو ظرف لا مصدر فلا حاجة إلى إضمار الوقت والعيش الانتعاش الذي يبقى به الحيوة
على حال الصحة والنهار انتباه الخيال المنبث في الآفاق وبنينا فوقكم سبعا شدادا
سبع سموات شدادا أقوياء محكمة لا يؤثر فيها مرور الدهور وكرور الشهور وجعلنا
سراجا وهاجا متلألئا وقادا أي جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس وأنزلنا من المعصرات أي
السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر أو الرياح التي حان لها أن تعصر
السحاب وإنما جعلت مبدأ للإنزال لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه ويؤيده قراءة المعصرات
وأريد السحاب فتوجيه تلك القراءة أن الإنزال إذا كان منها فهو منها ماء ثجاجا منصبا
بكثرة وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ما يقتات به كالحنطة والشعير
ونباتا ما يعتلف به من التبن والحشيش وجنات ألفافا ملتفة لا واحد لها كالأوزاع والأخياف
وقيل الواحد لف كجذع وأجذاع وأنشد حسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق ● وندامى كلهم بيض زهر ● أو لفيف كشريف

والشريف وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف كخضراء وخضر وأخضار
وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد إن يوم الفصل كان في علم الله وحكمه ميقاتا حدا
به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل
أو عطف بيان له فتأتون من القبور إلى المحشر أفواجا جماعات وفتحت السماء أي شققت
لنزول الملائكة كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقرئ بالتخفيف
فكانت أبوابا أي كثرت طرقها فصارت كأن كلها أبواب مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا
كأن كلها عيون تتفجر منها وسيرت الجبال أي في الهواء كالهباء كما مر من قوله تعالى
في سورة بني إسرائيل فكانت سرابا فصارت تشبه سرابا إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق
حقيقتها لتفرق أجزائها وانبثاثها إن جهنم كانت مرصادا موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين لا ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها
لأنهم يستغنون عن ذلك الحراسة لغلبة نورهم على نار جهنم حتى ورد في الخبر
جهنم تنادي جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي وقد مر في تفسير قوله تعالى وإن منكم إلا واردها
أن المؤمنين يمرون وهي خامدة بل لا تنتبه لهم عندها لأن مجازهم عليها والراصد
المراقب ثم استعمل في رصد الكفار لئلا يشذ منها واحد فإن صيغة المبالغة

وقد قرئ أن بالفتح على التعليل لقيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا كأنه قيل
كان ذلك لإقامة الجزاء للطاغين مآبا مرجعا ومأوى بدل من قوله مرصادا لابثين
فيها حال مقدرة من الضمير في للطاغين وقرئ لبثين وهو أقوى لأن اللابث
من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان
لا يكاد ينفك منه أحقابا ظرف جمع حقب وهو الدهر ولا يراد به عدد محصور بل
الأبد إذ لا يكاد يستعمل الأحقاب إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة
وسبعون ألف سنة فعلى تقدير صحته ليس فيه ما يقتضي تناهي الأحقاب حتى يعارض
بمفهومه منطوقة الدال على خلود الكفار لجواز أن يكون أحقابا مترادفة كلما مضى حقب
تبعه حقب آخر إلى غير النهاية وإنما استعمل جمع القلة للكثرة محافظة للفاصلة
لا يذوقون أي غير ذائقين حال من الضمير في لابثين فيها أي في تلك الأحقاب
ويجوز أن يكون أحقابا منصوبا بلا يذوقون على أنه حين يلبثون فيها أحقابا
غير ذائقين إلا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون
جمع حقب من حقب الرجل إذا أخطأه الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره فيكون حالا
بمعنى لابثين فيها حقبين ويكون قوله لا يذوقون تفسيرا له بردا أي روحا ينفس عنهم من
الهوان يتسلى به ويكسر سورة الحر وقيل المراد به النوم ولا شرابا إلا حميما ماء حارا
يحرق ما يأتي عليه وغساقا ما يسيل من صديدهم استثناء منقطع قوله ولا
شرابا وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي يحافظ
على الفاصلة وقرئ بالتشديد جزاء وفاقا أي جوزوا جزاء وفاقا موافقا لأعمالهم مصدر
بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف معللا بقوله إنهم كانوا لا يرجون حسابا
أي لا يخافون أن يحاسبوا إذ أن الله تعالى بأعمالهم لأنهم لا يؤمنون بالبعث فلا يرجون حسابا وكذبوا
بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل شائع فصيح وقرئ بالتخفيف وكل شيء نصب
بمضمر يفسره أحصيناه كتابا مكتوبا في اللوح ومصدر في موضع إحصاء إذ أحصينا
في موضع كتبنا لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبا وقرئ بالرفع على الابتداء وهذه
الجملة اعتراض لبيان وعيدهم بضبط معاصيهم لأنه عطف لهم فذوقوا فلن نزيدكم إلا
عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أي فذوقوا جزاء وفي هذه
التسبيح الالتفات للتنبيه والتأكيد بالنكر مع المصدر في الجملة الاعتراضية
ولأن لن نزيدكم على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الإمكان ومجيئها

علي طريقة الالتفات بالغة حد النهاية وهو دليل شاهد علي ان الغضب قد بلغ الغاية وعن
النبي عليه السلام هذه الآية اشد ما في القرآن علي اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا
بالنعمة او موضع فوز حيث اخرجوا عن النار وادخلوا الجنة ولم يعطف قصتهم علي
قصة الطاغين كما عطف في قوله تعالي ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان
مرادهما تبيين القصتين ليس كذلك تبيين القصتين فان الاولي فيما نحن فيه مسوقة
لذكر جهنم وانها كانت مرصادا ووقعت الثانية لان المتقين من خاطبهم كيف فيهما آية
في الغرض والاسلوب وهما علي حد لاجمال الملاطف حدائق جمع حديقة وهي البستان
المحوط عليه بما لا حدق به اي احاط بدل من مفازا وبيان واعنابا المراد الكروم
وكواعب جمع كاعب وهي الناهد اترابا الاتراب لا قران في السن جمع ترب وكاسا دهاقا
ممتلية او متتابعة لا يسمعون فيها اي في الحدائق المذكورة لغوا كلاما لا طائل تحته
ولا كذابا اي بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا وقيل الضمير للكاس اي
لا يجري في اثنا شربها كما في تشارب خمر الدنيا من الهذيانات والفضيح العدوان جزاء من
ربك مصدر مؤكد منصوب بمعني فعل ان للمتقين مفازا كانه قال جازي المتقين عطا
بدل منه علي الاشتمال باعتبار كونه في مقابلة العمل وعطا لعدم استحقاق العبد له
كيف والعمل واجب عليه بحكم العبودية فلا يستحق بسببه الاجر ولا يجوز نصبه بجزاء
المفعول به لان المصدر المؤكد لا يعمل لانه لا يحل محل حرف مصدري والفعل وقال ابو حيان
ولا نعلم في ذلك خلافا حسابا صفة له بمعني كافيا من احسبه الشي اذا كفاه حتي قال
حسبي وقري حسابا بالتشديد علي انه بمعني المحسب كالدراك بمعني المدرك رب السموات
والارض وما بينهما قري بالرفع علي البدل علي اضمار هو ومبتدا او الرحمن صفته لا يملكون
خبر او هما خبران وبالجر علي البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني علي انه مبتدا
خبره لا يملكون او هو الرحمن ولا يملكون استئناف والضمير في لا يملكون لاهل السموات
والارض وفي منه خطابا لله تعالي اي لا يملكون ان يخاطبوه والواو لاهل السموات
والارض اي لا يملكون خطابه ولا الاعتراض عليه في ثواب وعقاب لانهم مملوكون له
علي الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه ان يخاطبوه
بشي من نقص العذاب او زيادة من الثواب الا باذنه لهم في ذلك ولا يملكون ما يخاطب
الله تعالي بالعذاب او بالثواب والعقاب خطابا واحدا يتصرفون فيه تصرف الملاك
بزيادة او نقصان اذ لا يقدر احد ان يخاطبه تعالي في شي وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه

يوم يقوم نصب بلا يملكون او لا يتكلمون الروح جبرائيل عليه السلام وقيل ملك
عظيم ما خلق الله بعد العرش اعظم منه موكل علي الارواح كلها والملائكة صفا اي
مصطفين لا يتكلمون اي الروح والملائكة خوفا الا من اذن له الرحمن في الكلام و
في الشفاعة وقال صوابا بما شرطنا ان اذن الرحمن وقول الصواب وهو الشفاعة لمن ارتضي
لقوله تعالي ولا يشفعون الا لمن ارتضي والجملة تقرير وتاكيد لقوله لا يملكون علي ان
الضمير فيه لجميع من تقدم ذكره واما اذا كان للروح والملائكة خاصة فلا يتضح اذ الكل
علي اصل الاعتزال بان يقال ان هؤلاء الذين هم اشرف الخلائق واقربهم الي الله تعالي اذا
لم يقدروا ان يتكلموا الا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضي الا باذنه فكيف يمكن غيرهم
لان مذهب اهل السنة ان خواص الانسان اشرف الخلائق وانهم افضل من خواص الملائكة
ذلك اليوم الحق الثابت وقوعه لا محالة فمن شاء اتخذ الي ربه الي ثوابه مآبا مرجعا
بالعمل الصالح انا انذرناكم عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحققه لان كل ما هو
آت قريب ولان مبداه الموت يوم ينظر المرء مؤمنا كان او كافرا فهو لفظ عام يشمل الطائعين
والعاصين ومعمول يوم لفعل ما اشتمل علي حال الفريقين ما قدمت يداه من خير وشر والموصولة
منصوبة بينظر بالنظرة بمعني رايته ونظرت اليه ما عم والراجع من الصلة محذوف وقدمت
محذوف او ما استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شي قدمت يداه قوله
ويقول الكافر يا ليتني يعطف المرتب علي ما قبله كما في قوله ان سلكت البين واعندت
وان كل واحد منهما يحكيها في التقدير فنظر المرء ويقول الكافر وقد نبهت فيما
سبق ان حرف الواو يسمي عطفية فان قلت لم خص قول الكافر بالذكر دون المؤمن
علي عكس ما تقدم من تخصيصهما المؤمن بالذكر حيث قال فمن شاء اتخذ الي ربه مآبا
قلت لذكر الكافر علي غاية الخيبة ونهاية الحسرة لحاله فقول المؤمن
علي غاية الفرح ونهاية الفرح ما لا يحيط به الوصف كنت ترابا اي حين بعثت كالاك
سائر الحيوانات فان الانسان مخصوص من بينها بالروح الباقي بعد الموت وهذا في
ما قيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها لانه يتوهم
من ان كان بمعني صار والله تعالي اعلم بالصواب

سورة والنازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات نزع النبي من عنا اذا اخذ بقوة من كنزع القوس من كبده غرقا اسم بمعني

الاغراق كالسلام بمعنى التسليم او منصوب بمحذوف او بالنزع اي اغرق النازع في النزع
اذا استوفى مدها والناشطات نشطا من نشط الدلو من البير اذا اخرجها والسابحات
سبحا اصل السبح في الماء ثم تجوز لسرعة الجري بطريق الاستعارة فالسابقات سبقا
عن القرار الى الغاية لتسبق على السبح والعطف بالفاء في قوله فالمدبرات امرا ايضا للدلالة
المعنى اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة التي تنزع ارواح الكفار بشدة وتعنف
لشدة تعلقهم وبالطوائف التي تخرج ارواح الابرار برفق وسهولة لقلة تعلقهم
التي تسبح في مضيها فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد على ما رسم لها
او بالنجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع ما بينهما من الفلك
كلها وتنشط من برج الى برج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك
فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها من اختلاف الفصول
وتقدير الاوقات ولما كان في الحركة الاولى معنى الاستيفا ذكر فيها النزع والاغراق
ومن وهم ان ذلك لانها قسرية فقد وهم لان فيه تسامح في عبارة العشية
فان المراد معنى العرضية لان حركات النجوم كلها عرضية يوم منصوب بالجواب المضمر
لدلالة ما بعده ترجف الراجفة الرجف حركة الشيء من تحت غيره بتحريكه او اضطراب
والراجفة الاجرام الساكنة التي تتحرك من الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال تتبعها الرادفة الزلزلة الثانية تتبع الاولى فتنشق السماء وتنتثر الكواكب
والرديف لكل من بعد الاول قريبا منه والفرق بينه وبين التابع ان في التابع معنى
الطلب لموافقة الاول دون الرديف فالرديف يعني القرب دون التابع قلوب مبتدا
لانها تخصصت بان تنكيرها عوض عن المضاف اليه كتنكير كل في قوله كل في فلك يسبحون
والمعنى قلوب الناس لا قلوب الكفار كما زعم ... لا له قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة
اذ القلوب لدى الحناجر وترى الناس سكارى وما هم بسكارى يومئذ منصوب بـ
واجفة وهو خبر والوجيف الخفقان والاضطراب القلب ابصارها خاشعة جملة
ابتدائية وانما فصل عما قبلها لعدم الاتصال اذ لا ... الخشوع القلب ... قوله
تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها والبصر من جملة ما لا ينسب الخشوع ايضا
والبصر ... قال المرزوقي يقال خشع فلان اذا طاطا راسه بصره الى
الارض فهو خاشع الطرف خاضع العنق واسناد الخشوع الى البصر من قبيل اسناد الفعل
اليه واضافة البصر الى القلب من قبيل اضافة الالة الى صاحبها فقد وقع في النسبة

بل

بل لا وجه له يقولون اي المنكرون للبعث بدلالة الاستفهام الانكاري في قوله
ائنا لمردودون في الحافرة اي انرد بعد الموت الى الحالة الاولى اي الحيوان يقال رجع
في الحافرة اي في طريقه التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه جعل اثر قدميه حفرا
ووصفها بالحافرة بطريق المجاز في النسبة كقوله تعالى عيشة راضية او على تشبيه
القابل بالفاعل ثم اتسع فيه فقيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته
اي الى حالته الاولى وقرئ بالجزم وهي بمعنى المحفورة ائذا منصوب بمحذوف تقديره
ائذا كنا عظاما نخرة نبعث وقرئ اذا على الخبر نخرة بالية من نخر العظم فهو نخر وناخر
مثل طمع وطامع والاول ابلغ والثاني اشكل برؤوس الاي وقد قرئ بها وهو
الباقي لاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير قالوا تلك اذا كرة خاسرة وصف الكرة
بالخسران لخسران اصحابها اي انها ان صحت اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فانما
هي متعلق بمحذوف اي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانما هي زجرة واحدة صيحة
فيه تقدير تعالى والزجرة الصرخة ... وهي هنا الصيحة لقوله تعالى
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاذا هم بالساهرة فاجاوا الحصول
بالساهرة وهي وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض ... لان سالكها لا ينام خوفا
فيها ... اي انهم حضروا فيها اذن هل اتاك حديث موسى ان كان اتاه قبل
ذلك فالمعنى اليس قد اتاك حديثه وان لم يكن اتاه فالمعنى انا نخبرك به اذ ناداه ربه
بالواد المقدس طوى قد مر تفسيره في سورة طه اذهب الى فرعون على ارادة القول
وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول كذا قيل وفيه ان بيان النداء المذكور وهنا
النقل ليس لتفاصيل المقصود بالقول في سورة طه فقل هل لك الى ان تزكى اي هل
لك رغبة الى ان تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد لمثل التولي الذي
الذي امر به في سورة طه وهو على صيغة العرض للامر والترغيب لان الترهيب
واهديك الى ربك فتخشى وارشدك الى معرفة ربك فتخشى لان الخشية بعد المعرفة
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لان الخشية
الله تعالى لانها ملاك الامر فيه فاراه اي فذهب وبلغ فاراه الاية الكبرى
هي قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع الا انه جعلهما واحدا
لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له
ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء او المجموع لانهما باعتبار الاعجاز والدلالة على صدقه

واحد فكذب موسى عليه السلام وعصى الله تعالى بعد ظهور الحق ووجوب الطاعة ثم أدبر
يسعى أي تولى عن موسى عليه السلام مجتهدا في مكايدته كما ينبئ عنه قوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده
ويجوز أن يكون أدبر مستعارا للمجيء أقبل يعملها بها تنبيها على أنه كان إدبارا فحشر أي فجمع
الناس يعني قوله تعالى فجمع كيده والحشر الجمع من كل جهة وقد يكون الجمع بمجيء جزء إلى جزء فلا يكون
فنادى في مجمعهم فقال أنا ربكم الأعلى أي أعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى نكال
بمعنى التنكيل مصدر مؤكد أي نكل الله به تنكيلا في الآخرة بالإحراق وفي الدنيا بالإغراق أو
مفعول له أي للتنكيل فيهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما نكال الكلمة الآخرة وهي هذه وكلمة
الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري والنكال عقاب ينكل به عن الإقدام على مثله
إن في ذلك لعبرة لمن يخشى لعبرة لكل من يخشى وإنما خص به من يخشى لأنه هو المنتفع به الخطاب أأنتم
أشد خلقا لمنكري البعث أي أنتم أصعب خلقا وإنشاء أم السماء ثم بين كيف خلقها فقال
بناها ثم بين كيفية البناء فقال رفع سمكها أي مقدارها في جهة العلو بأن جعله
مديدا رفيعا فسواها فعدلها مستوية لا تفاوت فيها ولا فطور أو فتممها بما يتم به كمالها
وصلاحها من قولهم التزيين بالكواكب وغير ذلك من قولهم سوى فلان أمره إذا أصلحه وأغطش
ليلها أظلمه وأغطش الليل وأغطشه الله تعالى أي أظلم وأظلمه وجاء أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم
فالأول متعد من أغطش والثاني بمعنى الصيرورة وأخرج ضحاها الضحى الضوء لقوله
تعالى والشمس وضحاها أي ضوئها ووقت الضحى هو وقت إشراق ضوء الشمس وإضافة الليل
والضحى إلى السماء لأنهما يحدثان بحركة الشمس فيها ومن قال بحركتها فكأنه غفل عن قوله تعالى
وكل في فلك يسبحون فإنه صريح في أن الشمس تجري في الفلك لا أن الفلك كما زعمه الفلاسفة
والأرض بعد ذلك دحاها بسطها أخرج منها حال بإضمار قد كقوله تعالى أو جاؤوكم
حصرت صدورهم ماءها بتفجير العيون ومرعاها رعيها والمرعى مشترك بينه وبين العلف
والموضع ذكره في القاموس وأصل الرعي حفظ الغير في أمر معاشه ومصلحته ومنه رعي الغنم ورعي
الوالي الرعية وذكر الراغب أنه لا اختصاص في الرعي للأنعام ولذلك قال والجبال أرساها
لأنها الأوتاد لئلا تتقلقل ضبطا للأرض ونصب الجبال بإضمار أرسى على شريطة التفسير ورد
ترجيحا على الابتداء متاعا لكم تمتيعا مفعول له ولأنعامكم ولمواشيكم فصل بينه وبين
الفعل المعلل به بقوله والجبال أرساها لأنه مما يتوقف عليه التمتع بالماء والمرعى
فرغ عن تذكير حجة البعث شرع في الإخبار بما يكون عنده ذلك فقال فإذا جاءت الطامة
الكبرى الداهية العالية على غيرها عامة وهي أكبر الطامات وقيل النفخة الثانية فإنها كبرى

النفخة

النفختين لعموم أثرها إطلاقا للأولى فإن تأثيرها في الأحياء وقيل الساعة التي يساق فيها
أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار والآية الثانية التفريع على ما تقدم يوم يتذكر
الإنسان ما سعى عند تقبيل الأعمال بصورها أو هيئاتها على ما نطق به الأحاديث وسيأتي
تفصيله في سورة الزلزلة وإنما قال يتذكر لأنه قد نسيها بطول العهد وفرط الغفلة وهو
بدل من إذا جاءت وما موصولة أو مصدرية وبرزت الجحيم أظهرت لمن يرى وهم الطاغون
لقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين ومن قال إنه من الأفعال التي لا يعتد بها فعل
أي لكل ذي بصر والمراد العموم والمعنى أنها تظهر ظهورا بينا لا يخفى على أحد فرآها أهل
الساهرة جميعا فكأنه غفل عن قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسيسها فبرزت مخففة للمغيرة أي ولمن ترى والعقيد الجحيم لقوله
تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد جواب فإذا جاءت فأما أي كان ما لا يدخل تحت الوصف
تفصيله فأما من طغى جاوز الحد حتى كفر وآثر الحياة الدنيا أي اختار
فانهمك فيها ولم يعمل للآخرة فإن الجحيم هي المأوى هي مأواه لا على أن اللام فيه ساد
مسد الإضافة لأنه على المذهب المرجوح بل لأنه استغنى عن الإضافة بخصوصها بالقرينة
ودخل اللام لأنه معلوم كما في غض الطرف وهي للفصل وإفادة
التخصيص في صحة المعنى أي أن الطاغي هي مأواه لا مكان آخر وأما من خاف مقام ربه
محل التعظيم كأنه في حضرته أو متخاف قيامه عليه وكونه رقيبا عليه كقوله أفهو
قائم على كل نفس بما كسبت ونهى النفس عن الهوى أي النفس الأمارة بالسوء عن الهوى
المردي فإن الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة أيان مرساها
متى إرساؤها أي إقامتها أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة
وهو حيث تنتهي إليه وتستقر فيه فيم أنت من ذكراها أي في أي شيء أنت من أن
تذكر وقتها لهم أي ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء إن الله تعالى هو المستأثر
على ما قالت عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة
حتى نزل هذا فانتهى وهو على هذا تعجب من كثرة ذكرها كأنه قيل في أي شغل أنت من ذكرها
والسؤال عنها يعني يحرصون في السؤال بها يسألونك فلا تزال تذكرها وتسأل عنها
لحرصك على جوابهم ثم قال إلى ربك منتهاها أي لا ينتهي علمها إلا إلى ربك لا يعلمها
إلا هو وقيل فيم إنكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكراها أي إرسالك
وأنت خاتم الأنبياء المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها أي علامة من علاماتها فكفاهم

بذلك دليلا على اقترابها وباعثا على الاستعداد لها وخوف من هولها فلا معنى لسؤالهم
عنها **انما انت منذر من يخشاها** ويخشى اهوالها اي لست بمعلم وقتها فلم تبعث لذلك
بل لتنذر من اهوالها وبالبيه الابهام وعدم تعيين الوقت وقدم وجهه وانما قال لمن
يخشى لان المنكر لا ينتفع وخصها لانذار وغيره سواء كانا او يزدد والاعجل عن خمس وقرئ
منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصح لانه للحال **كانهم يوم**
يرونها اي الساعة **لم يلبثوا** اي في الدنيا او في القبور **الا عشية** عشية يوم وكان
التنكير بدل من الاضافة ثم **او ضحاها** كانه الا مثل الاعشية يوم وضحاه الذي ضحى ذلك
اليوم وانما اكتفى عن المضاف اليها للتنوين اعيد الضمير الى المضاف الا به بكونها
جزئيا منها ولاجد ذلك لعد ولا غنى لا مثل لهما فقطه رؤس الاي والغاية في الاضافة
استقصار المدة اعدادا يدل لبثهم كانها لم تبلغ يوما وكن ساعة على ما ذكر في قوله لم
لم يلبثوا الا ساعة من نهار اذ يقول الا مثل الاعشيها او ضحاها والضمير في الموضعين
للساعة يعني قدر عشيها او ضحاها وكذا المراد من النهار في قوله الا ساعة من نهار
الساعة واصله من نهارها فابدل عن الضمير التنوين ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا
ساعة من النهار بالنقص عن مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون من تبديله
في سورة يونس عليه السلام • واكمل التحية والاكرام •

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق اصل الطرق الدق ومنه المطرقة لانه يدق بها والطريق لان المارة
تدقها بارجلها والطارق اي الاتي ليلا لانه يحتاج الى الدق للتنبيه وطلاق على النجم
البادي ليلا بطريق الاستعارة كالنجم كوكب الطالع فانه يقال لكل طالع نجم ثم سماه
بنجم الثاقب اذا طلع **وما ادراك ما الطارق** تفخيم لشأن هذا المقسم به ولما كان القصد
بالاقسام به تعظيمه لما فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وبديع الصنعة بين المعنى
المقصود بالابهام والتبيين مجازا بوصفه المشترك بينه وبين غيره ثم فسره بقوله **النجم**
الثاقب زيادة في تعظيمه والثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه او الفلك فينفذ
فيه والمراد جنس النجم لا كوكب الصبح بخصوصه كما قال الجوهري ولا زحل بخصوصه كما قال
ابو زيد ادنا يا ه سبب النزول قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ابا طالب كان عند النبي
عليه السلام فانحط نجم فامتلا نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه السلام

هذا

هذا النجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب ابو طالب فنزلت **ان كل نفس لما عليها**
حافظ قرئ بالتشديد بمعنى الا وان نافية وبالتخفيف على ان ما صلة مؤكدة وان هي المخففة
واللام هي الفارقة او على ان ما نافية وان اللام بمعنى الا كما في قوله •
انبئ ان ليلا لا نعد عليه • وما ابان عنا لعلاج سودان •
وعلى هذا يتحد القراءتان في المعنى والجملة عليهما جواب القسم تقديرا للطرف الاخص
والمعنى على كل نفس رقيب مخصوص به يحفظ عملها خيرا كان او شرا ولا امتناع لان يراد بالحافظ
هو الله تعالى لعدم اختصاصه بنفس دون نفس ولا ان يحمل الحفظ على حفظها عن الاخطار والآفات
وسائر الآفات فيا بالفاء التعقيبية في قوله **فلينظر الانسان مم خلق** لما اثبت ان
عليه رقيبا حفيظا على النظر في مبدأ ايتانه حتى يتحقق صحة اعادته فلا يملي الاعمال فلا يملي حافظه
الا ما يسره في عاقبته **خلق من ماء دافق** استئنافا وجوابا عن استفهام مقدر لان انبساخ ما
قبله معنى الاستفهام والدافق في موضع المدفوق الى الاسناد المجازي فان الدفق يدفع صاحبه
ويجوز ان يكون معناه النسبة الى الدفق كلابن الماء المنزجر من النطفتين بقوله تعالى
يخرج من بين الصلب والترائب مثل الرجل نحوه وترائب المرأة وهي عظام صدرها
جمع تريبة واصل الكلام يخرج من الصلب والترائب ولما كان فيه احتمال الجمع بان يكون الخروج
من احدهما ويسند اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان زيد بين لدال
على الترائب الحقيقية دفعا لذلك الاحتمال والعرب صلب بتحتين وصلب بضمتين وصالب
بفتح اللام والضمير في **انه** لله تعالى او الابرين الفاعل لقوله تعالى مم خلق اذ لا يبقي
الوهم الى غيره فقيرا بالاضمار قبل الذكر ثابتا فاكدا التركيبا لانه لفظ الله فاقام عليه البرهان
الواضح بمعنى **على رجعه** على اعادته حيا بالبعث بعد الموت **لقادر يوم تبلى السرائر** يتعرف
ويتميز ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه والسرائر ما اسر واخفي من العزيمة والنيات
والاعمال **فما له** اي فما للانسان **من قوة** من منعة في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** يمنعه
والنصر اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر **والسماء** اقسم بها ثانيا **ذات الرجع** اي
المطر سمي به لانه لا يرجع مرة ويأتيه الثانية المستعارة من الطارق المصدر على
المطر ولانه تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لان السحاب يحمله من الارض ثم يرجعه الينا
وقياسا رجا الى السما لكون ترجو لم نجعهما فلا حاجة الى صرف لفظ السماء عن معناها المنا
لان يذكر في مقابلة الارض ويجوز ان يراد بالرجع ما يغيب ثم يرجع الى مطلعه من الشمس
والقمر والنجوم **والارض ذات الصدع** ما يتصدع عنه الارض من النبات والعيون او الشق بها

إنه أي القول المتقدم لقول فصل بين الحق والباطل والتجوز في الفصل عقلي لا طبعي
لأنه كما في العدل في رجل عدل وما هو بالهزل ولو كان الضمير للقرآن لكان المناسب
نفي وجود الهزل فيه بجميع وجوهه بعد ما ذكر أنه خير كله إنهم يعني أهل مكة وأضرابهم قبل
الذكر للتحقيق شأنهم في الاشتهار بالوصف الذي ذكره بحيث لا يذهب الوهم إلى غيرهم عند
الإطلاق يكيدون يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق كيدا الكيد
المكر وهو إلى تخفى خفية والتنكير للتعظيم وأكيد كيدا أقابلهم بكيد أعظم من
مكايدهم وهو استدراجه تعالى إياهم وانتقامه منهم من حيث لم يحتسبوا فمهل الكافرين
لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به فإنه قد وقت لهم وقتا أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا الدر
والمخالفة بين اللفظين في مهل وأمهل وما كيد رويدا وهو مصدر أرود مرود ومصغر
تصغير ترخيم وأصله إروادا لزيادة التمكين منه والتعبير. انتهى ما وجد من تفسير
المرحوم العلامة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى وكان الفراغ من كتابته
في يوم الثلاثاء المبارك ثاني شهر جمادي الآخر من شهور
سنة ١٠٤٨ بعد الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى السلام والحمد لله
أولا وآخرا وظاهرا وباطنا
والحمد لله وحده
والصلاة على
من لا نبي
بعده
والله
أعلم

وذلك على يد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى محمد بن محمد بن حسن الأزهري مصرا
الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه ولمن اقرأه ولمشايخه وللمسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إنك قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين آمين
واغفر اللهم أيضا لمن دعا له بالمغفرة ولمن رأى فيه عيبا وأصلح معولا على العلم
لأن أصله فيه من بعض الحرفيات ما لا يخفى والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب